

# مجلة الأزهر

## مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
المستشار  
إدارة أبحاث مجمع الأزهر  
بالتفكير

ت ١ ٤٦٤١٤

يشارك في التحرير  
عبد الرحمن محمد العقاد  
بدل الأمانة  
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة  
٥٠ خارج الجمهورية  
رئيس التحرير والمطابع

بصنعت من شيخنا الأزهر في أول كل شهر

الجزء الأول - السنة الرابعة والثلاثون - المحرم سنة ١٣٨٢ هـ - يونيو ١٩٦٢ م

السلامة والرفاهية

## عام جديد على أزهر جديد

### بقلم: أحمد حسن الزيات

على يد غارسها الأعظم بالمدينة ، فضناها  
الوحي ، وسقاها الإيمان ، وتعدتها النبوة ،  
حق قام في ظلها البادئ مجتمع الأنصار  
والمهاجرين على الوحدة والأخوة والتعاون .  
ثم انبسط هذا الظل في بوادي الجزيرة كلها ،  
لجملها واحة للعبد والإحسان على قدر  
ما تقبله الحياة البدوية والطبيعة الجافة ، ثم  
امتدت الرسالة مع خلافة الراشدين إلى مشارف  
الشام وأرياف العراق وجنات مصر ،  
فتفتحت في الحضارتين الرومية والفارسية  
من ريح الله فتفتحت عنهما الخبيث ، وأبقت

التجديد والتقدم والانواع والشمول من  
طبيعة الرسالة المحمدية لأنها رسالة العصر  
كله والناس كلهم . تضمن أصلها الساري الخالد  
سر المجتمع البشري المثالي كما تتضمن النواة  
سر النخلة السحوق ، والنطفة معنى الإنسان  
الكامل ، فهي تسير مع الزمن ، وتتطور مع  
الناس ، وتنسج مع العمران ، وتعمق مع  
العلم ، ليكون فيها لكل غاية منهج ، ولكل  
أمة دستور ، ولكل علة علاج ، ولكل  
قضية حكم .  
تفطرت هذه النواة عن سرها الإلهي

رسالة محمد أن تشكر للاشتراكية العادلة المعتدلة وهي التي جعلت الفقير حقاً معلوماً في مال الغني لا يكل دينه إلا بأدائه، وطالبت الفقير علاج من يعلم علم الاضطرار أنه أصل كل داء ومصدر كل شر . وقد أوثك هذا العلاج أن يكون بعد توحيد الله أرفع أركان الإسلام شأنًا وأكثر أوامره ذكرًا وأوفر مقاصده حنانية .

ولو ذهبت تستقصى ما نزل من الآيات وورد من الأحاديث في الصدقات والبر، لحسبت أن رسالة الإسلام لم يبع بها الله آخر الدهر إلا لتنفذ الإنسانية من غوائل الفقر وجراثيم الجوع . وحسبك أن تعلم أن آي الصيام في الكتاب أربع ، وآي الحج بضع عشرة ، وآي الصلاة لا تبلغ الثلاثين . أما آي الزكاة والصدقات فاتها تربي على الحسين .

فأنت ترى أن هذه الرسالة التي نزلت على جبل النور في واد غير ذي زرع لم تلبث بفعل ما استكن فيها من نور الله وعلمه أن سارت مسير الشمس من مشرقها تتدرج مع طاقة العقل وحاجة الناس في الارتفاع والاتساع حتى أضاعت كل مكان وأحييت كل هامد . تدرجت من خلافة عمر في المدينة إلى ملكية معاوية في دمشق ، ومن أعباطورية الرشيد في بغداد إلى جمهورية عبد الناصر

منهما الطيب ، وساستهما على نظام فريد من نظم الحضارة الروحية المسلمة . ثم أدركت الخلافة الأموية في دمشق وهي تمد عينها إلى أبهة البلاط الكمروى وتورقه فكسرت من فظرائها الرغبية ، وشغلتها بالفتح الراحف ، وأسعفتها بالتشريع المفيد ، وأقرتها على اقتباس النظم السياسية والإدارية والاجتماعية مما لا يخالف أصلاً من أصول الإسلام ، ولا يهافى خلقاً من أخلاق العروبة .

ثم انتقل سلطانها مع بني العباس إلى المراق وكان العرب قد فتحوا أكثر المعروف يومئذ من الدنيا القديمة ، فامتد ملكهم من الهند والصين شرقاً إلى جبال البرانس غرباً ، فأوت إلى ظلها الوارف وكنفها الرحب أجناس الناس وحضارات الأمم وثقافات الشعوب ، فلم تضق بمسلم ولا فن ، ولم تهجم بحضارة ولا عمارة ، ولم تهجم لخرق ولا ذينة ، ولم تنس من جواب ولا حل ، ولم تصد عن تطور ولا تقدم ، وإنما أخرجت مما خلفته القرون من العادات والاعتقادات والمذاهب والنظم مزاجاً من العقلية العربية والمدنية الإسلامية كرم الإنسان وعدل الميزان ومدن العالم .

وما هي ذى تتقبل اليوم للنظام الاشتراكي العربي في مصر كما يتقبل الأصل قرعه الذي اشتق منه لا تسكره ولا تزوره ، وما كان

دار القاهرة في عهد محمد علي مستشرق أوروبا  
فطلب أن يجتمع بعلم أذهري له دراية بعلم  
الفلك فلم يجدوا له بعد طول البحث إلا  
شيخا واحدا درس هذا العلم على نفسه هو  
الشيخ عبد الرحمن الجبرتي .

كان ذلك ولا ريب ميلا عن طريق الرسالة  
الحمدية التي جاءت لتصل الأرض بالسما ،  
وتنظم الدنيا بالدين ، وتحيي المادة بالروح ،  
وتكشف الجبهة بالعلم ، وتمحو الضلالة  
بالهدى ، ولكنه كان ولا ريب أيضا عرضا  
ذائلا ومرضا موقوتا لا تلبث عنه أن تزول  
مقى انجابت تلك السحب وتجل من ورائها  
دين الله نور السموات والأرض لجميع  
المتفرقين على الوحدة ، وحضر المتخلفين على  
التقدم ، لذلك لم نكده عواصف الثورة تبدد  
السحب عن وجه الشمس حتى ماد الأذهار إلى  
مداره من فلك الرسالة وقد بلغت عصر الفرة ،  
يقبض منها أشعة الهدى والعلم ليهمم في بناء  
الاشتراكية العربية التي وضع قواعدها  
( ميثاق عبد الناصر ) على أسس ثابتة من  
الدين والخلق والعلم والعمل والعدل والكفاية  
والحرية والسلام والوثام والوحدة ، وهي  
أسس كانت في كل عهد مضى وفي كل جيل خلا  
أحلاما لا تحقق ومبادئ لا تطبق حتى جمعها  
الله في رسالته وأوحاها إلى رسوله فسلح عليها  
الناس ما داموا على طريقة المستقيم الواضح

في القاهرة ، لم يخفت لها نور ، ولم يفتقر  
لها حرور ، ولم تسكن لها حركة . وإذا حدث  
في بعض العصور المختلفة أن احتجبت  
أشعتها الهادية المحيية عن النفوس فأصابها  
البرود والهمود والغفلة ، فذلك لأنفسه  
الزمان وذهاب السلطان واستعجام اللسان  
تنشئ صحايا تقالا من الجهل والشك تحول  
بين الأبصار والهدى ، وتفضل بين البصائر  
والحكمة .

في عصر من هذه العصور التي غامت فيها  
الآفاق الإسلامية بهذا الزكام انتطع الأذهار  
وهو وريث النبوة عن دنيا الناس فلم يتصل  
بها من إلا أعلام قلائل كانوا كالصوى في  
هذه المفازة يصطفهم الله من حين إلى حين  
ليجدوا دعوته ويعملوا كلمته .

كان الأذهار يعيش حينئذ على بعض التراث  
الإسلامي من فقه وحديث وتفسير وما يعين  
عليها من نحو وحرف وبلاغة . ولم يكن  
يعنى من الفقه إلا بالعبادات وهي مناط العلة  
بين العبد وربّه . أما المعاملات وهي مناط  
الصلوات بين المرء وغيره فلم يكن يعنى بها  
ويتفقه فيها إلا رجال القضاء والحكم في  
الدولة . ولا نسل بعد ذلك عن علوم الدنيا  
من طب وفلك ورياضة وزراعة وكيمياء  
وفيزياء وصيدلة ، فقد كانت من الفضول  
الذي لا يعاب به أحد ولا يفرغ له بال .

يؤثر رضا ربه على رضا نفسه في كل نزعة أو نزوة ، وهذا هو الإصلاح الجوهري الشامل الذي تمنى بهه المصلحون فلم يجدوا من أرباب السلطان والحكم معيناً عليه ولا سيلاً إليه .

إن (ميثاقك) الذي عاهدت الله على الوفاء به ، وعاهدك الشعب على القاء عليه ، حروف من كلمات الله لم يؤلفها أحد من قبلك في أى عهد ، لا في القديم والحديث ، ولا في الشرق والغرب . لم يبق شيء في نفوس المذنبين في الأرض والمستضعفين من الناس إلا وجدوه فيه . ولو كان واضع من جرب عليه للكذب وعرف عنه الخديعة لقلنا سراب ولا ماء ، وقمعة ولا طعن ، ودوحة فيناقة من شجر الصفصاف : خضرة في العين ، ولا ثمر في الدين ! ولكنه عبد الناصر الذي عود العالم في عشرينين ألا يقول إلا بعد أن يعمل ، ويجهتد وألا يعمل إلا بعد أن يعلم ويعتد ! فسبحى أيتها الثورة على بركة الله وأنا أسمى بين يديك بكتاب مبین يهتدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم .

أحمد حسن الزيات

قلنا توقع المنكر واستهتر البغى واستحكم الجمل انطفاأت أضواءها السبوية في نفوسهم فآمنوا بها إيماناً أثرياً ظاهرياً لا يتعدى تحريك الألسنة والجوارح بالآيات والصلوات لتبرك أو العادة !

ولكن الثورة التي أطاحت بالظلمانيات وبعثت بالإقطاع وبشرت بالديمقراطية ودانت بالإشراكية واتخذت سنداً وهذا من كتاب الله وستة الرسول وإرادة الشعب لن تدع بعد ذلك سيلاً إلى علة نصيب الحكم ولا آفة تفسد المجتمع .

قال الأزهر للثورة يوم دخلت عليه المحراب تستنهضه ليتبوأ الصدر من قيادة الإصلاح وإمامة النهضة : نعم ونعام عين ! إن الثورة من طبعي ، وإن الإشراكية من روحى ، وإن الهداية من واجبي ، وستجدني في طوري الجديد إن شاء الله مظهراً رسالة الشائر الأعظم فأكون كما كنت طباقاً من العلم والعمل ، ونظاماً من الدين والدنيا ، أخرج العالم المجتهد الذي يجعل من فقهه رسالة ومن بيانه دعوة ، والعليلب الروحى الذى يجعل من عبادته عبادة ومن مرضاه إخوة ، والمهندس الفنى الذى يجعل من عمله جهاداً ومن خلقه قدوة ، والموظف المتدين الذى



# معنى الهجرة ودواعيها

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ محمد وشملت

وسلب الأموال ، واستهانة بالقيم ... وكثير  
غير ذلك مما تستمره الوثنية ، ويدفع إليه  
الإشراك بالله .

ومن أجل القضاء على تلك المفساد وإعلاء  
شأن الإنسان كانت رسالة محمد صلى الله  
عليه وسلم .

ومن أجل الارتفاع بمستوى البشرية  
وتحسين المثل الرفيعة من نفوس الناس  
وقلوبهم كانت هجرة محمد صلى الله عليه وسلم ،  
طلباً للأطمئنان ، وتمكيناً للدعوة ، وتعاوناً  
مع الأيدي المتكافئة على إنقاذ البشرية  
من المهوة التي تردت فيها ، وذلك بانتقاء  
المؤمنين من أهل مكة برجال المدينة :

رجال البيعة على الصدق والوفاء ، والمعاينة  
على النصرة والتأييد والتفاني في سبيل تطهير  
الأرض من عبادة غير الله ، والقضاء على معالم  
الاجتماع الجاهل لتعلو كلمة الله ، كلمة الحق والعدل  
والمساواة ...

وإن الهجرة نوع من محاولات الإصلاح  
والتهذيب والتقدم في الحياة . وهي كذلك

إذا كان تاريخ الدعوة الإسلامية عامراً  
بالمعاني العظيمة ، والأحداث الجليلة ، فإن  
هجرة محمد صلى الله عليه وسلم من أجل  
الأحداث قدراً وأعظمها أثراً في حياة  
الرسالة المحمدية ، والدعوة إلى توحيد الله  
والعمل من أجل حياة أفضل للبشر جميعاً .  
فالهجرة كانت فصلاً قاطعاً بين التخلي بالدعوة  
والجمهور بها ، بين التستر عليها والإنصاح  
عنها ... كانت انتقالاً لها من النطاق المحدود  
والحصار المضروب ، والاضطهاد القاسي ،  
إلى الآفاق الرحبة والانطلاق الفسيح ،  
والنصر الفدائي .

والهجرة من المجر وهو الترك ، وعند  
العقلاء أن المترك يكون دائماً أقل حظاً  
من المطلوب المهاجر إليه .

ولقد هاجر محمد وصحبه من مكة إلى المدينة  
يوم كانت مكة تموج بالشرك وعبادة غير الله  
يحكم سلوكها آثار العقيدة الفاسدة ، من ظلم  
وطغيان ، وعبودية واستغلال ، وأكل  
الحقوق ... وإراقة الدماء وهناك للأعراس

لرسوله ولذؤمتين معه فقال : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا . »

والمهاجر على هذا النحو لا يلتزم جهة معينة يتجه إليها إنما يتجه حيث يرى مراحه في إزالة المنكرات خصيبا ، وظروفه مهيئة ، وقد نعى الله في كتابه على من قعد عن الهجرة مع قدرته عليها فقال : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا : كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا . »

وإن مضمون هذه الآية هو حفظ البلاد الإفریقیة والآسیویة الآن من هجرة المخلصين وأصحاب الدعوة السليمة إليها ، يهاجرون إلى ربوعها بقلوبهم إذا لم تمنعهم أبدانهم ، بأرائهم إذا لم تمكنهم أجسامهم ، بكل ما يستطيعون به تبديل شرهم خيرا ، وذلم عزا وضعفهم قوة ، وشنائهم جمعا . وتختلفهم تقدما وزحفا ...

والهجرة بهذا المعنى رسالة كل قادر بنفسه ، أو فكره : بلسانه أو قلبه ، برأيه ، بتجربته ، يبعث بها إلى المواطن التي تحتاجها والأقاليم التي تشهد الخير والإصلاح فيها .

وقد ضمن الله للمهاجرين المرو والنصر كما

عمل إيجابى لرفع مستوى الإنسانية والنهوض بها من كبوتها التي حرمتها كل كاله وكل شرف ، وأفقدتها الإحساس بجلال الحق ، وجمال العدل ورفعة السلام ...

هذا ما هاجر إليه محمد وصحبه ، وهناك اتلفت القلوب وتشابكت الأيدي ، وتعاقت الأرواح وتأكدت المواثيق ، واتسع نطاق النصرة ...

وهذا هو معنى الهجرة في صدر الإسلام ، وقد كانت في ذلك الحين واجبا دينيا ، لمن يؤديه هذا المأثبة ووافر الأجر ، ولمن يهمله سوء العاقبة وشر المنقلب .

وقد أعل القرآن من شأن المهاجرين ، ونكل بالمرعطين عن الهجرة والمتخلفين .

فقال جل شأنه : « الذين آمنوا وهاجروا وحاجدوا في سبيل الله بأموالهم وأقربهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ، إن الله عنده أجر عظيم . »

وما أروع قول الله في عاقبة المهاجرين المخلصين الصابرين على الأذى : « والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لننؤنهم في الدنيا حسنة وللآخرة أكبر لو كانوا يعلمون . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون . » واعتبرا بعد هذا وذلك نصرا وتأيدا

• نقل الأمة من ظلمات الجهل إلى نور العلم هجرة .

• وقاية الأمة من الأمراض ، وعلاجها من المعطل هجرة .

• رفع مستوى الشعب وتحقيق الرفاهية له هجرة .

• تحقيق الكفاية وضمان العدل ... هجرة .

• الإنفاق في سبيل الله وتفريج الكرب وقضاء حاجة الفقراء والمساكين ... هجرة .

وهكذا ... تبديل كل شر خيراً هجرة ، للقائمين به ثواب المهاجرين .

وإذن فحسب الجمهورية العربية المتحدة يكون له ثواب المهاجرين فيمن ساعده

بالقوة البدنية وفيمن ساعده بالقوة الفكرية ، وفيمن ساعده بال رأى والمشورة ...

والحمد لله ، فقد أصبح للجمهورية العربية المتحدة في كل عام هجرة أو هجرتان في محيطها

الداخلي وهجرات في محيطها الخارجي العالمي ، تسهم بها في مستقبل البشرية ، وتشارك في

دعم السلام ...

سدد الله خطانا ، وحقق آمالنا ، ورحمنا خطا القائد الموفق ، جمال عبد الناصر ، وأخلص له النباه والضائر .

محمد سلوت

شيخ الأدهم

نحن لم التوفيق والتأييد ، واعتبر الهجرة

التي تقع موقعها وهي المصحوبة بنية إنقاذ الضعفاء ونشر الخير ، وإشاعة البر ، مجلبة

لثواب ورضا الله ، وقد جاء ذلك في الحديث المشهور : إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ

ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته

إلى دنيا بعينها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

والهجرة بنوعها : قلبية وبدنية ، شأن طيبى لمن عضة الظلم وأذله الظلمانيان ... أدرك

ذلك في نفسه ورآه فهاجر ... ثم رآه في غيره فعمل حل الهجرة إليه بقلبه أو بدنه ، بفكره

أو ماله .

والهجرة مدين المؤمنين سنة من سن الأنبياء والمرسلين ، وشأن من شتتوا الدعاة المخلصين

فما من نبي أو رسول أو داع إلا وهاجر إلى الأرض التي تثبت بذنتها ، وأعرض عن

الأرض الجدبة تطبيقاً لقول الله عز وجل : « والبلد الطيب بخرج نياته يأذن ربه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكدا » .

هذه هي الهجرة ، وتلك فلسفتها .

• الانتقال من حال إلى حال أصلح وأهمل هجرة .

• تغيير حياة الأمة تغييراً أساسياً وحيثاً في اتجاه آمالها الإنسانية الواسعة هجرة .

## عوامل الإعراب في اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

لأن امتناع سبب من الأسباب لا يكون سببا موجبا لشيء. كما قالوا وشايهم هل قولهم العالم الفقيد ، وقد بنى على هذا الاعتراض مذهبه كله في إحياء النحو ، لأنه أقام لحركة الضم في آخر الكلمة سببا موجبا سماه : الإسناد ، ورأى أن الفتحة هي الحركة التي تأتي بغير عامل ولا تعتبر علما من أعلام الإعراب .

والأستاذ إبراهيم - رحمه الله - لا ينكر أن أواخر الكلمات المعربة تختلف في اللغة العربية باختلاف المعنى أو باختلاف الصلاقة بين معاني الجمل ودلالة كلماتها ، ولكنه ينكر أن يتحول العامل من معنى مفهوم ، إلى لفظ محدود يقيد ذلك المعنى بطوازمه اللفظية ، لأن اللفظ قد يرمز إلى المعنى المقصود من إحدى نواحيه على سبيل المجاز ولا يتابعه في جميع لوائمه ومصاحباته وتفرعاته على جميع الأحوال ، ولا مناص من الخلط في التقدير والتأويل إذا جعلنا الرفع - مثلا - مساويا للمفهوم من الارتفاع في اللغة على جميع الوجوه ، أو جعلنا الجزم مساويا للمفهوم من القطع ، أو جعلنا الجر مساويا للمفهوم من السحب ، أو جعلنا الكسر مساويا

عاد بعض المشتغلين باللغة إلى البحث في مسألة العامل ، في لغتنا العربية ، وهي مسألة من أم مسائل النحو في هذه اللغة ، بل هي مسألة الكبرى أو مسألة الأولى والأخيرة لأنها ترتبط بأسباب الحركة على أواخر الكلمات ، وتلك هي أسباب الإعراب وبناء .

وقد كان من أسباب العودة إلى مسألة العامل تعليق المؤننين على آراء العالم النحوي الكبير الأستاذ إبراهيم مصطفى رحمه الله وطيب ذكراه .

ورأيه المشهور - كما يعرف قراء كتابه في إحياء النحو - إنه ينكر على النحاة الأقدمين إفراطهم في تقدير العامل الذي ينسبون إليه تغيير الحركة في آخر الكلمة ، ويعملون لكل حركة من حركات الإعراب عاملا ظاهرا أو مستترا يوجب الفتح أو الكسر في آخر الكلمة ، ولا يذكرون لضم عاملا غير امتناع الحركتين الآخرين ، فيقولون : إن الكلمة مرفوعة لامتناع الناصب والخافض ، وهو فيما رأى بعض الأقدمين تعليل غير معقول ،

والظاهر من سياق القصة أن الإمام أباهل  
الفارسي تجنب اللجاجة عمداً مع الأمير في  
ذلك المجلس لسبب رآه وهو يرجح\* الجواب  
الصحيح إلى موضعه من البيان . وإلا فإن  
الجواب يسير لو أراد أن أبو علي لترجيح  
تقديره في هذا المقام ، فإن الأفعال التي  
تستخدم للاستثناء تدل على معنى الحرف  
الذي ينوب عنها ، فيأتي معنى ، إلا ، موافقا  
لمعنى حاشا وما خلا وما عدا وكل فعل يستثنى  
ما بعده على هذا القياس . ولا موجب  
لإعطاء الحرف هنا معنى غير معنى الفعل  
الذي يدل مثل دلالته ، إلا أن يكون حرفاً  
من حروف الجر في حكمه المعروف .

ومن الخطأ في تطبيق القياس أن يحسب  
الاستاذ إبراهيم كثرة الفتحة على أواخر  
الكلمات بحساب العدد وهو في مقام النظر  
إلى حكم ، الكلمة بين أحكام سائر الكلمات .  
فإذا كان حكم الفعل الماضي مثلاً أن يبنى  
على الفتح فإن سريان هذا الحكم على فعل  
واحد كاف لاستغراق جميع المواد في اللغة  
العربية على وجه التقريب ، لأن كل مادة  
لفظية قابلة للاشتقاق لا تخلو من فعلها الماضي  
المجرد والمزيد ، ثم يأتي الفعل المضارع  
المعرب بالنصب فيضاف إلى هذا العدد الوافر  
من أواخر الماضي المفتوحة ، ويأتي بعد  
ذلك عدد المنصوبات من الأسماء بعوامل

للفهوم من البتر ، إلى أشياء ذلك من المفاهيم  
التي تنفق من ناحية واحدة مجازية ولا تنفق  
من نواحيها الحقيقية كل الاتفاق .

فلا شك في وجاهة الاعتراض على إفراط  
النحاة في التقديرات التي يوجبها نقل للسبب  
من معنى ملحوظ إلى لفظ محدود ، ثم تقييد  
المعنى بهذا الحد اللفظي في جميع تفرعاته  
وتصريفاته على غير موجب لذلك التقييد .

لكن هذا الخطأ يلزم المعارضين على  
النحاة في تقديراتهم وفاريلاتهم كما يلزم  
النحاة في تلك التقديرات والتأويلات ، بل  
نرى من الإنصاف أن نقرر هنا أن أخطاء  
المعارضين أكبر وأكثر من أخطاء المقدرين ،  
وأمثله ذلك كثيرة جداً في الشواهد التي  
استند إليها الاستاذ إبراهيم مصطفي أو ابتداء  
بها ابتداء من عنده في كتاب وإحياء النحو ،  
وفي غيره من دواياه اللغوية ، وفيما يلي  
قليل من ذلك الكثير :

روى الاستاذ قصة الإمام أبي علي الفارسي  
مع عضد الدولة فقال : إن عضد الدولة سأله :  
ولماذا ينصب المستثنى في نحو قام القوم  
إلا زيدا ؟ فقال الإمام : بتقدير أستثنى زيدا .  
قال عضد الدولة : لم قدرت أستثنى ؟ هلا  
قدرت : امتنع زيد ، فرفضت ؟ فلم يجر الفارسي  
جواباً وقال : هذا الذي ذكرته لك جواب  
ميداني ، فإذا رجعت ذكرت الجواب الصحيح .

الفتان والفتن والعمر والكتب والآله ،  
إلى كثير من أمثالها لأن الاستمرار في  
حركة واحدة أيسر من الانتقال منها إلى  
تسكين ثم للعودة بعد التسكين إلى التحريك .

• • •

قال الأستاذ : « إذا رجعت إلى علم مخارج  
الحروف واستشهدت طبيعة الفتح في نطقها ،  
وقسناها إلى تغييرها من الحركات ، وجدت  
البرهان الجلي على خفة الفتح والشهادة لذوق  
العرب في استحبابها ، وذلك أن الفتح القصيرة  
أو الفتح الطويلة — وهي الألف —  
لا تكلف الناطق إلا إرسال النفس حراً ،  
وترك مسرى الهواء أثناء النطق بلا عناء  
في تسكينه . »

ونرجع إلى النحاة في اعتبارهم أن الضمة  
غنية عن التعليل فزى أنهم أقرب إلى الصواب  
لأن الضمة لا تكلف الناطق شيئاً على  
الإطلاق إذا كانت الفتحمة — كما قال  
الأستاذ — تكلفه إرسال النفس حراً وترك  
مسرى الهواء أثناء النطق بلا عناء . فإن  
الضمة هي حالة انطباق الشفتين عند انتهاء كل  
كلام ، وهي كذلك حالة الشفتين قبل  
كل كلام .

فإذا احتجنا إلى تعليل الحركة فإنما نحتاج  
إليه في حالة غير حالة انطباق الشفتين وهي  
إما حالة الفتح أو حالة الكسر ، ولا نذكر

النصب فلا يكون في هذه الزيادة دليل على  
أصالة حركة الفتح بين سائر الحركات ، وإنما  
هي حكم واحد على آخر فعمل ماض واحد  
يقضى بنا إلى هذا العدد الكثير .

يقول الأستاذ إبراهيم : « إن الفتح أخف  
من السكون أيضاً وأيسر نطقاً ، خصوصاً  
إذا كان ذلك في وسط اللفظ ودرج الكلام . »  
ثم يذكر من شواهد على ذلك : « أن  
العرب قد فروا في بعض المواضع من  
الإسكان إلى الفتح ، ومن ذلك منفيهم في  
جمع المؤنث السالم لمثل : فترة ، وحسرة ،  
ودعد ، فإن العين في المفرد ساكنة ومن  
حقها في جمع المؤنث السالم أن تبقى ساكنة  
أيضاً ، لأن الجمع السالم لا يبدل فيه بناء  
مفروء ، ولكن العرب أوجبت في مثل هذا  
فتح العين فيقولون : فترات ، وحسرات ،  
ووعيدات ، ولا يجوزون الإسكان إلا في  
ضرورة من الشعر . »

وهذا أيضاً من خطأ القياس عند المعترضين  
على طرائق النحاة في التقدير ، لأن السكون  
هنا لا يستقل وإنما يستقل الانتقال من  
التحريك إلى التسكين ثم من التسكين إلى  
التحريك ، ولا فرق في ذلك بين الفتح  
والضمة لأنهم يقولون : الحركات والفرقات  
والقبليات والظلمات بدلا من تسكين الجهم  
أو الراء أو الباء أو اللام ، وكذلك يقولون

(ها) Ha وهي ضمير إشارة مستعمل في اللغات السامية ، ولم يزل في الحبشة يلحق بالأعلام في حالة النصب إذا وقع عليها فصل ذو اتجاه ، مثل : أقبل وقصد ، وأصل معناها في هذا الاستعمال الاتجاه إلى شيء أو شخص معين ... .

فإن لم يكن هذا سبب الفتح في كلمات اللغة العربية ففيه إشارة إلى بعض أصولها في لغة من اللغات السامية ، وهي قرينة من قرائن التطور في أقدم هذه اللغات وأجمعها لقواعد الإعراب ، وهي اللغة العربية .

على أن الأستاذ إبراهيم قد بنى مذهبه كله في إحياء النحو على الحاجة إلى تعليل الضم وعدم الحاجة إلى تعليل الفتح فأصبح المذهب كله مرتباً بثبوت هذا الرأي وذهاب الشك فيه ، وأول ما يتطرق إليه من دواهي الشك القوى أن ، الإسناد ، لا يصلح لتعليل الضمة لسبب يسير ، وهو أن الضمة أو انضمام الفهم في نهاية الكلام لا حاجة بها إلى سبب ، سواء كان هو الإسناد كما سماه صاحب إحياء النحو رحمه الله أو كان له سبب سواء .

وحسبنا مثل واحد نختم به هذا المقال لبيان الفارق في دقة التقدير بين طريقة النحاة الأقدمين وطريقة المحرّضين عليهم في مسألة من ألحق المسائل بالإسناد والمُسند إليه وما (البقية على الصفحة التالية)

السكون لأنه هو حالة قطع الحركة ولا يحسب من أجل ذلك في عداد الحركات ، ولهذا كان موقعه الغالب موقع البناء حيث لا تنغير أواخر الكلمة بالإعراب .

وليس من اليسود الآن تعليل معنى الفتح أو معنى الجر في مواقع الإضافة ، ولكن المحقق أن الفتح والجر لا يطردان في مواضعهما جزافاً لغير سبب دعا إليه ضد وضع اللغمة بين أوائل المتكلمين بها ، ونفى بهم أولئك الذين كانوا يتكلمون ويقرنون الكلمات بحركات بدوية أو شفهية مصطلح عليها لدفع اللبس بينها وبين ما عداها .

وقوله على سبيل الظن الذي نعرّضه لإشارتنا في هذا الزمن إن الفتح كان علامة على الابتعاد بحركة من الفهم تؤكد ما حركه من اليد إلى الفضاء ، وراقب المتكلم وهو يقول عن أحد أو عن شيء إنه ذهب واقضى ... فإنه سواء تكلم بالفصحى أو العامية يقول : راح ، وفات ، وانتهى ، ويدفع يده مرتفعة إلى الفضاء ، كأنما يشير إلى شيء غاب عن البیان .

وقد نجد من قرائن المقابلة بين اللغات السامية ما يؤيد هذا الظن أو هذا التخمين ، فقد نقل الأستاذ إبراهيم أقوال بعض العارفين بالحبشية من أمثال بروكلمان ورايت فقال : « إنه يمكن أن يرى أن الفتح أصلاً

## القوانين التي وضعها الإسلام ضماناً وتنفيذاً للحقوق الطبيعية للأستاذ محمد محمد المدني

قلنا في مقالنا السابق : إن الإسلام يكفل الحقوق الطبيعية للوطنين ، وهي : حق المواطن في المساواة ، وفي الحرية ، وفي اعتبار كرامته الإنسانية ، وفي أن يأمن حل حياته ، وفي أن يعيش عبثة كريهة .

وقلنا : إن الإسلام لم يكف بتقرير هذه الحقوق تقريراً نظرياً ، ولكنه شرع مع ذلك من النظم والقوانين ما يضمنها عملياً ، ويكفل تنفيذها حل أحسن وضع .

ونريد الآن أن نبين القوانين التي وضعها الإسلام في هذا الشأن :

١ — فأول ذلك أنه ضماناً لحق المساواة ، وتنفيذاً له ، قرر قانون العدل أو القسط .

والعدل من أهم الأركان التي يقوم عليها المجتمع الصالح ، وكل مجتمع لا يقوم على أساس من العدل هو مجتمع فاسد صائر إلى الانحلال ثم الزوال .

وقد جاءت جميع تعاليم الإسلام متمهية

( بقية مقال عوامل الإهراب )

دعامة النحو الجديد كما يسميه المعترضون على النحاة المتقدمين .

يسأل الأستاذ إبراهيم : ما الفرق بين كسر الإباء وانكسر الإباء إلا ما ترى بين صينتي كسر وانكسر ، وما اكل صيغة من خاصة في تصوير المعنى ؟... أما لفظ الإباء فإنه في المثالين مسند إليه ، وإن اختلف المسند .

فهذا تقدير يلاحظ عليه ما لاحظته الأستاذ الفاضل رحمه الله على النحاة وهو يأخذ عليهم نقل العامل من معناه المفهوم إلى لفظ محدود يقاس عليه في جميع الأحوال .

فإذا كان معنى الإستاذ هو موضوع الكلام

ولم يكن معناه هو اللفظ في موضع الفاعل أو نائب الفاعل ، فالفرق كبير بين « انكسر الإباء » ، وكسر الإباء ؛ لأن الموضوع في قولنا انكسر الإباء هو موضوع الكسر بغير نظر إلى فاعل معلوم أو مجهول ، ولكن صيغة الفعل « كسر » مبني على المجهول تشغل الزمن بمعنى غم معنى الكسر ، وهو النظر إلى الفاعل والعلم بعد ذلك بأنه غير معلوم ، وهو معنى من معاني الإستاذ أو التكلم عن الموضوع لا يتساوى عند التمييز بالكلمتين .

عيسى محمود العقاد



وهناك آيتان متميزتان بينهما كثير من أوجه التشابه تحدثان عن العدل وترسمان قانونه :

«أحداهما في سورة النساء، وهي قوله تعالى: «يأيا الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا..»  
والثانية قوله تعالى في سورة المائدة :

«يأيا الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون» .

وقد توافقت هاتان الآيتان في كثير من جزئيات هذا القانون الإلهي، وإن اختلف التعبير بعض الاختلاف :

فرى كلا منهما نطلب من المؤمنين أن يكونوا «قوامين لله»، أو «قوامين بالقسط»، الذي هو العدل والتوازن .

وه «القوام» هو المبالغ في القيام بالشئ، المضطلع به اضطلاعا قويا، فهو شديد الحرص عليه، شديد الوفاء له، شديد الغيرة على تمامه وصلاحه .

هذا هو «القوام» بالشئ، وهذا هو الذي يطلب الله إلى المؤمنين أن يكونوه، له والعدل، فهو يريد أن يكونوا «قوامين لله»

مع العدل، فكل ما شرعه الله تعالى من أحكام المعاملات، وقواعد السلوك الاجتماعي، وتفصيل العلاقة بين المؤمنين بعضهم وبعض، وبينهم وبين غيرهم، كل ذلك يقوم على العدل ويرى إلى تحقيق العدل، حتى المقائد الإلهية والمبادئ الاجتماعية :

فاعتقاد الوحدةانية مثلا عدل في الاعتقاد، وفيه إنصاف للعقل؛ لأن العقل يحكم بأن يكون صانعا واحدا تبذر آثار قدره ودرجته في كل ما خلق على طراز واحد من الاستقامة والإتقان والطراد السنن والخواص ولذلك جاء في وصية لقمان لابنه : «يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم»، وإذا كان الشرك ظلما لأنه إخلال بما يقتضيه العقل والنظر؛ فإن الوحدةانية عدل لأنها هي التعبير الصحيح عن واقع الأمر في هذا الكون المتناسق في وضعه وفي قوانينه، الدال بتناسقه على وحدة خالقه .

والتضامن الاجتماعي كذلك عدل، لأنه لا يمكن أن يتحقق التوازن بين الناس على وجه يكفل الاستقرار إلا به، ولا يمكن أن يقبل في العقول أن يكون أحد أعضاء المجتمع متخما بالمال والنعيم، وبجانبه من هو مستحق بعض ذلك ليميش ثم يعني هذا الخرف المنعّم من أن يماون أعياه وزميله في المجتمع بشئ من ماله .

ومكنا ...

ثم إن سورة النساء تقول : ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، فتنبه من ملاحظة هوامل التمسب للنفس ، أو التحيز لقرابة ، مما يبعث على تلوين العدل بغير لونه ، وإعطاء المشهود له ما لا يستحقه ، وذلك هو الإخلال بالعدل عن طريق محاباة النفس أو من تميل إليه النفس .

ويتناول هذا في سورة المائدة ، ولا يجرى منكم شأن قوم على ألا تصدقوا ، وهو تنبيه من ملاحظة هوامل الكراهية ، التي من شأنها أن تلون العدل بغير لونه أيضاً ، وأن تحمل على التحيف وإسالة الحق ، وذلك هو الإخلال بالعدل عن طريق الإجحاف بصاحب الحق ، والحيلولة بينه وبين الوصول إلى حقه .

هذا وفي الآيتين أسرار أخرى كثيرة حسبنا منها ما تقدم .

وقد طبق الخلفاء الراشدون هذا العدل على أدق وجه ، وحسبنا ما يروى في ذلك من حمر بن الخطاب ، فهو يقول بعد قوله الخلافة : « إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندي من القوى حتى آخذ الحق منه » . ويقول في رسالته لابي موسى الأشعري : « آس بين الناس في وجهك وهداك وجلستك ، حتى لا يطلع شريف في حيفك ، ولا يياس ضعيف من هداك ، ويقول في وصيته للخليفة من بعده : « أجعل للناس هداك سواء ،

« قوامين بالقسط » مضطلمين بهذا وذاك على نحو قوة ظاهر القوة ، لا أن يكونوا صورا ضعيفة مزيلة ، يرضون بأيسر الأمور ، وأدنى الآمال ، ولا يبدلون أكرم اليهود ، ويلتمسون العاذر عن ضيقهم وتحاذلهم ، فكل الناس مطالبون بأن يكونوا ذوي شخصيات قوية مضطلمة بما تضطلع به من القوامية على العدل في ثبات وعزم وشجاعة ، واصطلاحها بذلك « فهو قسطها ، وهو باعها ، وهو ملهمها ، وهو غايتها — عندئذ يكون الحاكم « قواما لله » ، « قواما بالقسط » ، ويكون المحكوم « قواما لله » ، « قواما بالقسط » ، ويكون الناصح كذلك ، والمنصوح كذلك ، والمامل كذلك ، والموظف كذلك ، كل فيما خوله الله ، قوام لله ، قوام بالقسط وعندئذ تكون الأمة بناء قويا ، من لبنات قوية ، وتكون في حصانة من أن تهضم أو تهضم أو تهزم ، أو تظلم أو تهمل .

وقد اختلف التفسير بين آية النساء وآية المائدة في أول مادة من هذا القانون ، إذ تقول سورة النساء : كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، وتقول سورة المائدة : كونوا قوامين شهداء بالقسط .

وفي هذا الاختلاف إجماع ، بأن كلامهما يصح أن يوضع موضع الآخر ، وأن القوامية لله هي عين القوامية بالقسط ، ولا شك أن ذلك تنويه عظيم بشأن القسط والشهادة لله .

مطلبتنا بالإيمان .

والإسلام يفتح باب الاجتهاد احتراماً  
لحرية العلية والتفكير العقل ، وقد وضع  
لكل قانوناً معجماً ، هو أن المصيب له أجران ،  
والخطي له أجر واحد ، وهذا هو أعظم  
ما يتصور من تشجيع الحرية الفكرية ،  
وكأنه يقول لأصحاب العقول : فكروا  
ولا تخافوا من عواقب التفكير ، فقد أجمع  
لكم أن تخطئوا خير من عدمكم ، بل جعلت  
لكم مكافأة من ثوابي إن أخطأتم أحاطها  
لكم إن أصبتم !

• • •

٣ - وفي سبيل الاحتفاظ بحق الحياة  
للواطنين ، وبحق الأمن والطمانينة  
على النفس في المجتمع ، شرع القصاص ،  
واعتبر أن قتل النفس الواحدة بغير الحق  
بمثابة قتل الناس جميعاً ، وإحياء النفس  
الواحدة بالمحافظة عليها ، وإقرار حقها في الحياة  
بمثابة إحياء الناس جميعاً : « أنه من قتل نفساً  
بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل  
الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا  
الناس جميعاً » .

وكذلك شرع كل ما يحفظ الحياة للحي :  
فنهى عن الانتحار بقتل النفس أو ما هو  
بمثابة قتلها من النفس : « ولا تقتلوا أنفسكم  
إن الله كان بكم رحيماً » ، « ولا تقتلوا أولادكم  
خشية إهلاك » ، « ولا تقتلوا أولادكم

لا يقال هل من وجب الحق ، ثم لا تأخذك  
في القلوة لأنهم ، وإياك والآخرة والحياة » .  
هذا هو عدل الإسلام الذي شرعه  
في سبيل تحقيق المساواة وهي أول حق طبيعي  
مشترك بين الناس

وفي سبيل تحقيق هذه المساواة أيضاً يعمل  
الإسلام على تحقيق ما نصيب ( تكافؤ الفرص )  
ويشرح لذلك أحكاماً من شأنها أن تؤيده وتثبتها :  
منها الحيلولة دون تضخم المال ، وأن يكون  
دولة بين الأغنياء خاصة ، بتحريم الاحتكار  
وإغلاء الأسعار وتلق الركبان ، ونحو ذلك .  
ومنها تحريم الرشوة أخذاً وإعطاء .  
لئلا يكون الغنى أقدر على تحقيق مناهضه من الفقير .

ومنها تشريع الموارث الذي لوحظ فيه  
توزيع الثروة على الأولاد والأقارب بنسب  
مقابلة وملائمة لما أكرم وواجبهم مما  
يجمل الفرص متكافئة في الحقيقة ، وإن  
اختلفت الأنصبة في الظاهر .

٢ - وفي الحرية والكرامة الإنسانية  
شرع الإسلام نظاماً من شأنه تصفية الرق  
البشري ، وذلك بأن ضيق الموارد المؤدية إلى  
العبودية وحذر من التوسع فيها تحذيراً شديداً  
ووسع الخارج المؤدية إلى الحرية ، ورغب  
فيها ترغيباً عظيماً .

والإسلام لا يرضى عن الإكراه الديني ،  
ولا يرى إيمان المكروه صحيحاً ، كما لا يرب  
أثراً على الإكراه على الكفر ، مادام القلب

الحاضر البادى، فيقول، لا يبيع حاضر لباد،  
دهوا الناس في غملاهم يرزق الله بعضهم  
من بعض، وذلك لأن الحاضر أى المقيم  
في الحضر أخبر وأقصد على أن يبيع بسعر  
أعلى ترويحاً للسلعة التى جلد بها البادى  
أى المقيم بالبادية، فيرتب على ذلك ألا تنهيا  
فرص الرزق التى يجب أن تترك حرة بين الناس،  
فربما غفل أهل البادية فانتفع بذلك أهل  
الحاضرة، وليست الغفلة حينئذ معيبة منهم  
بل هى مسيرة السهولة واليسر وعدم المبالاة  
نتيجة لأنهم عادة يكسبون مكاسب طبيعية  
بما فئت الأرض، وتخرج الماشية ونحو ذلك،  
فلا يفسدهم أن يتساعوا وينقلبوا بعض  
القلب إذا قيس أمرهم فى البيع والكسب  
بسكان المدن والحواضر.

\*\*\*

وهكذا يتبين أن الإسلام يكفل الحقوق  
الطبيعية للواطنين، ولا يكتفى بهذه الكفالة  
نظرياً، بل يشرح من اللوائح والنظم ما يجعلها  
مضمونة نافذة قوية.

وصدق الله العظيم إذ يقول، إن هذا القرآن  
يهدى للذى هى أقوم.

**محمد محمد المرقى**

عميد كلية الشريعة  
بجامعة الأزهر

من إملاق، ، ، ولا تلقوا بأيديكم  
إلى التهلكة.

وشرح كل ما يحفظ الصحة من النظافة  
والوضوء والغسل وعدم الإسراف فى الطعام  
والشراب، وعدم تناول المسكرات والمخدرات  
والمخافة على صحة الأجنة والأطفال بإباحة  
الفطر للحامل والمرضع، والنهى فى أوقات  
الوباء عن الخروج من الأرض الموبوءة  
بالنسبة لمن فيها، والدخول إليها بالنسبة لمن  
هم خارجها.

١ - وفى سبيل الارتضاع بالمستوى  
الإنسانى، حرص على العمل والشمه والاتجار  
والضرب فى الأرض وإثارتها بالحرث التماساً  
للنبات، وأباح التمتع بالزينة والطيبات  
من الرزق، وطلب من المرء أن يعمل  
على أن يكون غنياً ليعطى، لا أن يكون  
فقيراً يأخذ. فإن اليد العليا خير من اليد السفلى.

وفصل قواعد التعامل والبيع والشراء،  
والأخذ والعطاء، على وجه يجعل الناس  
متعاونين يتنفع بعضهم من بعض، وينفع  
بعضهم بعضاً، كل ذلك بالمعروف دون ضرر  
ولا ضرار، ولا تريب ولا احتكار.

فبينما نرى الرسول صلى الله عليه وسلم  
ينهى عن تلقى الركبان ليتيح للناس فرصاً  
متكافئة حين ترد البضائع إلى السوق فيتساوى  
الناس فى التقدم لشراؤها؛ نراه ينهى عن أن يبيع

# نِجَاحُ الْقُرْآنِ

سُلْطَانُ الْأُمَّةِ مَنْوُظٌ بِاسْتِقَامَتِهَا  
وَدَوَامُ النِّعَمَةِ رَهِيْنٌ بِصِيَانَتِهَا  
لِلْأَسْتَاذِ عَبْدِ الْلطِيفِ السَّبْكِيِّ

ذلك بأن الله لم يك مغيرا لعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما  
بأنفسهم : . وأن الله سميع علم .

يغيروا ما بأنفسهم . . فن نكت فإنما  
ينكت على نفسه . .

ونحن في عالم قسح الأوجاء ، تتناوبه  
صروف القدر ، وتناوج فيه أحداث الزمن ،  
وهو في طريقه يستقبل جديدا ، ويردع قديما ،  
إل أن يستقر الركب على أى نحو يشاء الله .  
والله تعالى - يحب إلينا دائما أن نعيش  
على الهدى ، وأن نقتبس الخير من سبيله  
عامة ، لندرك حظنا من دنيانا ، وليكون  
الخير بعد ما موصولا بما هو حيرته ، وأبني  
في حياة الخلود .

٢ - وكان من فضل الله على الناس أن  
يمنحهم العقل ليفكروا ، والوحي ليتدبروا ،  
وأضنى عليهم نعمة العلم ، والرزق ، والصحة  
ليسلطوا سبلهم من بينة إلى خير ما دام  
إليه وبين لم أن الإحسان منهم إحسان إلى  
أنفسهم . . وأن الإساءة منهم إساءة إليها .

١ - الله سبحانه - يضى على الأمة جانبا  
من تأييده ، ويمنحها حظا من سلطانه . فتكرن  
لها شخصية ومهابة ، وهو شأنها ، وتستقر  
سيادتها في رعاية الله ما دامت على الجادة ،  
وغير ملتوية في مسالكها عما رسم الله من  
شئون دينه ودنياء في محيط الأمة ، وفي  
علاقاتها مع الغير ، والله سبحانه يمنح الأفراد  
كذلك من فضله ، ويحفظ عليهم نعماءه  
ما دامت النعمة فيهم مربية الجانبا ،  
ومعقودة بالتقدير ، والحمد وحسن التصرف .  
وقد حامد الله خلقه على أنه لا يسلبهم  
نعمته ، ولا يسدل من حظائه إلا إذا كانت  
الإساءة منهم إلى أنفسهم .

لحينذاك يكونون رافضين لما منحهم ،  
ومعرضين عما فضحهم ، فلا يكونون أهلا  
لما تفضل به عليهم . . وهذا هو قوله سبحانه :  
« لم يك مغيرا لعمه أنعمها على قوم حتى

وأوعده بالشر فاستهان بوعيده ؟؟ ذهب  
ريحهم ، وخلعت منهم ديارهم ، وبأبوا بشر  
ما يبوؤ به من دخل دنياه وأبحا . ثم خرج  
منها خاسراً ، وانحدر على هوان ، وليته  
لم يكن في الدنيا شيئاً مذكوراً .

تلك أمم : انخرجت لهم حياتهم وانسحت  
لحاج دنياهم ، وكان لهم سلطان ومتاع ،  
فما بق لهم غير ذكريات سيئات ، وما ورننا  
ضهم سوى العبرة بهم ، والتخويف من  
صقبام إذا غيرنا ما بأنفسنا كما غيروا ، فإن  
سنة الله قاتمة ، وقدرته متمكنة .

ونحن عباد مثلم ، ولنا أهو على الله منهم  
إلا بتقواه ، وباتخاذ سبلنا في الحياة على هداه .  
ورحة الله لمن يتدى يديه ونعمته تدوم  
مع من يرطما بالأمانة عليها ، وحسن تصرفه  
فيها . ومن يتق الله يحصل له من أمره يسرا .  
٤ - والدنيا عند الله هينة ، وهو  
يعطيها لمن يحبها ولن لا يحبه . ولا يضيره  
- سبحانه - أن تظل نعمته عند من يعصيه  
ويبقى السلطان عند من لا يتقيه .

ولكن حكمة الله تترك الدنيا لمن لا يستحقها  
فأعما فيها ، حتى يتم اختياره بها ، ثم يكون  
زوالها وبالا عليه ، وحسرة له .

ومن أجل ذلك التدبير تراها دولة بين  
الناس - ويغير الله من حال إلى حال ...  
فقوم كانوا على صلاح ثم أفسدوا ، وعلى

وأن ما يصيبهم من سوء فهم الكاسيون له ،  
وما ينالهم من جزاء فما ظلمهم الله فيه .  
وهذه شرمة الله مع عباده قديما وحديثا ..  
فإذا كان ؟ .

٣ - كانت للناس ممالك متباينة ، وتقلبات  
مضطربة ، وعلاقات غير وحيمة فيما بينهم  
وخصومات لديهم ، ومقاومة كريهة  
لدهوة وسلمهم .

ومكذا خلعت فيهم حقول ، وعصيت منهم  
بصائر ، فتجاملوا ما عرفوا من شرائعهم ،  
وانخرقت بهم النعمة ، ومرتوا على شفاق  
وضلالة .

وماذا يستحق الماكر غير هوان به ،  
وسلب نعمته بعد توافرها ، وكسر شوكته  
بعد قوتها ؟؟ وإذلال نفسه بعد جبروتها ؟ .  
هكذا كانوا ، وهكذا صنع الله بهم .

نحى الله من بينهم أنبياءه وأتقياءه ،  
ثم سلط على الآخرين بلاءه ، فأهلكهم  
بالصيحات ، والصراخ الماحقات ،  
وبالحسف ، والمسخ ، وبالزيج العاتية ،  
والإغراق المبيد ، وأذاقهم من بأسه ما لم  
يكن لهم في حساب .

ونلك عدالة الله مع خلقه ، وحكمته في  
تدبير ملكه .

ثم ماذا يستحق من الله من أحسن الله  
إليه فأساء ، ووعده بالخير فكذب وعده ؟

• ... فلما جاءهم رسول منهم ، ووجهت  
إليهم دعوة ، وقام عليهم حجته غدروا  
بالقراءة ، واحقرقوا الرحم التي بينهم وبينه  
وتعلموا عن عصيتهم الحق ، في سبيل  
اعتصامهم بالباطل ، وأنكروا محمداً وهو  
من صميمهم ، وأكرمهم نسباً فيهم ، بل هو  
كما نصف فيهم أرحم بهم من أنفسهم ، وهو  
أصدق من حرف بالصدق فيهم ، وأوفى من  
حرف بالأمانة بينهم .

نكلت قريش عن دعوته ، ولم يشكروا  
نعمة الله بهدائه .

فكان هذا منافذاً لما عرف عنهم من  
مؤازرة العصية ، ومنافياً لما عهد فيهم من  
عرفان الجليل . طاشت عقولهم ، وضلوا سبيلهم  
فبدل الله أنهم خوفاً ، وراحتهم شقاء ،  
وأصبحت كثرتهم في قفص ، وسيادتهم  
في أفول ، وصارت تلاحتهم الهزائم ، ونهز  
من كيانهم الناقبات ، وتطلى من وجاهتهم  
فضائح سيرتهم مع خير رسول بعث منهم  
وإليهم ، وإلى الناس جميعاً .

أولئك قوم أتيتهم لم أن يهتدوا بهدي  
رسول الله ، وأن يسودوا في ظل دين الله ،  
وأن يعظموا بالعلم ، وعدنية الإسلام ، وأن  
تقدم لهم الحكمة المرموقة لهم وزيادة ، وأن  
يتصل مجد عروبتهم في الجماعية بمجد عروبتهم  
في الإسلام ، وفي ظلال القرآن .

عدل ثم جاروا ، وعلى تناصح ثم جحدوا  
وعلى حياء ثم تبجحوا وعلى قناعة ثم جشموا ،  
وعلى اجتهاد في حياتهم ودنيائهم ثم قوا كلوا  
مؤلاء جميعاً غيروا ما بأنفسهم ، فغير الله  
ما بهم من صنوف نعماته ،

ورب قوم على فساد وحلال ثم ازدادوا  
وتسادوا ، فهم كذلك غيروا ما بأنفسهم  
من قبيح إلى أقبح وإن كانوا من قبل في مهلة  
من وعيد الله ، فإن الله لا يظلم إماماً بل  
يلاحقهم بما يزعج أمنهم ويتقص من  
راحتهم . ويبرز من كيانهم ، ويسلط عليهم  
من غصص الحياة وأكدارها ما يبدلهم سوءاً  
بعد حسن ، وشرراً بعد خير ، وشؤماً بعد  
رجاء .

وكذلك كانت قريش ... طاشوا في رخاء  
وتعبدوا بعصية وأنساب ، وتمتعوا في  
شموخ رائفة ، وكان فيهم كفر ووثنية ،  
غير أنهم كانوا في مهلة ، وفي شبه معذرة ،  
لأن رسولا لم يأتهم ، ولأن دعوة لم توجه  
إليهم ، وكانت لهم مع الكفر والضلالات  
مبرات خلفية كريمة ، كصلة الأرحام ، والوفاء  
بالعهد وحماية الجار ، وإغاثة الملهوف ،  
وجمعة البكرم ، والإيتار .

وإذا هذه المبرات مع وثنييتهم كانوا في  
مهلة من تغير الحال بهم ، وفي حذرة من  
التهديد والتضييق واقتضاح أمرهم .

أصابته خيراً كثيراً يوم كانت على عهدنا  
مع الله ورسوله .

ولكنها تراخت من بعد ، وتلست عن  
مناهج دينها ، وانفصت في جهالة ، وركنت  
إلى كسل في شئونها ، وأرخصت مجدها  
فزلت لغيرها عما كان بيدها من سلطان  
بالدين ، وتسابق في العلم ، واعتزاز بالخلق .  
وأخيراً تهاقت أمة مسلمة على السير في ركاب  
المخادعين ، طواغية للأمم .

وبقدر ما تساهلت في مقوماتها كان تخلفها  
عن مكاتها حتى أصبح الإسلام غريباً فيهم ،  
ومحارباً منهم .

ولا يزال القرآن ينادى فيهم ، ويستقضى  
همهم ، ولعل الله يفيهم من هذا الامتحان ،  
ويوفهم الخير ما يكون .

ولعلمهم يدركون أن أجدر الناس بالحرص  
على مجدهم ، وإحياء تراثهم هم الذين تتلوى  
قلوبهم وتلج ألسنتهم - بلا إله إلا الله محمد  
رسول الله ، فذلك أصدق كلمة تجري على لسان .

وهي أقوى عهد بين الله والإنسان .  
وهي شعار الحياة البالغة منتهى الكمال .  
وفي طيها وموز واضعة لكل ما ينتفيه الدين  
والدنيا من الآمال - وفق الله الجميع .

عبد المظيف السبكي

عضو جماعة كبار العلماء .

فلم يكن منهم إلا نكوص ، وإعراض ،  
ولجاج وهناد ، وطفيان وجلاد في سبيل  
الباطل والسير في جند الشيطان .

وما كان رسولهم يسألهم على دعوته لم أجرا  
غير المودة منهم في القربى التي تجمعهم .

قوم نبذوا ما كان يليق بهم ، وآثروا  
ما كان قبيحاً منهم ، لا يستحقون إلا أن  
تجههم لهم الحياة ، ويكون الدين الجديد حرباً  
على جوعهم ، وشؤماً على مطامعهم ، وناعماً  
لسلطاتهم ، وتذكيراً لهم بالعذاب في أغرام .

٦ - وهذا جانب من تغيير الله لما كانت  
تخطئ به فريش قبل تمردهما على ربها وهكذا  
رسم الله للأمم في تماقها أن تعتبر بمن سبقها  
ودعاهما أن تدرك قصصها من مفاتن دنياها ،  
وأن تتفادى العاقبة التي ترى فيها غيرها .

ولم يكن باقياً بعد أولئك سوى أمة دعاهما  
محمد بن عبد الله ، وليس بعده من داع جديد .  
ونزل عليه القرآن من عند الله ، وليس  
بعد القرآن من مزيد .

فأمنت به طائفة ، وبقيت طوائف أخرى  
كذبته ، وعاشت في غير استجابة له ، فهل  
يفلت المخالفون له من هو أن الله وإن أغرام  
الإمهال ١١ لا ١٢

إن الله موعداً لمن يخلفه ، وما يغيب عن  
وعينا اليوم سيصبح أمراً مقضياً .

ثم انظر : تجد أن الأمة المستجيبة لمحمد



# سَيِّخُ تَهَابُهُ الْمُلُوكُ

لِلْأَسْتَاذِ مُحَمَّدٍ الشَّرْقَاوِي

وأحاطت بالوطن الإسلامي الزعاع والحطوب  
ترك صومعة الواحد إلى سيف المجاهد ، وغل  
بينه وبين التحرير والبيان ، ليحمل الرمح  
والسنان ، فإذا شارك في الجهاد وفرح بالنصر  
عاد إلى كتابه وبيانه وشهر قلبه ولسانه في  
وجه الظلم والظالمين ، من حكام المسلمين ، فلم  
يكن في شجاعته هذه معهم ، أقل قوة ولا  
إخلاصاً ولا عنفاً منه في حربته وتحريضه على  
حرب أهداء الإسلام .

كان داعية للتضحية والمعدائية ، في العلم وفي  
الحرب ، يضرب المثل من نفسه فيحمل ،  
ويضرب المثل من منطقته فيقول : « إن الجهاد  
ضربان : ضرب بالجلد والبيان ، وضرب  
بالسيف والسنان ، وسلاح العالم كله ولسانه  
كما أن سلاح الملك كله ولسانه ، وكما لا يجوز  
للوك إغناء أسلحتهم لا يجوز للعلماء إغناء  
ألسنتهم ... والمخاطرة بالنفوس مشروعة في  
إعزاز الدين ، ولذلك يجوز لبطل المسلمين  
أن ينغمر في صفوف المشركين ، وكذلك  
المخاطرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،  
ومن قال بأن التنفير بالنفوس لا يجوز  
فقد بعد عن الحق ، ونأى عن الصواب » .

وله في عصر كان جديراً به ، وعاش في عهد  
من الفتن والحن كان الناس فيه يحتاجون إلى  
إخلاصه وإيمانه وشجاعته ، لضرب لم المثل  
ويضع أمام أعيانهم وبصائرهم القدوة .

خلع عليه معاصروه لقب : « سلطان العلماء » ،  
وكان جديراً بأن يسمى « سلطان السلاطين » ،  
فقد كانوا يهابونه ويخشون بأسه ، ولم يكن له  
من بأس ولا سطوة إلا عرفاته حق الدين  
وأمانة السلم ولسان الضمير ، وما كان له  
- بسبب هذا كله - من غلبة على الناس يقودهم  
بها . وحب من الناس يملأ قلبه بالثقة والإيمان  
والعبر وقلوبهم بالتضحية والشجاعة والطاعة  
سماء أهله : « عبد العزيز » ، فمات حمداً كله  
لا يعرف لغير الله قوة ، ولا يحس بأن الغير  
« العزيز القهار » في نفسه وقلبه هبودية  
ولا قبيحة ولا مهابة ولا خشية ، وكان أمم  
أبيه : « عبد السلام » ، ولكنه عاش في عصر  
لا يعرف السلام ، بل لم يعرف أهله غير  
الحرب والخصام والزع والخصام وتقلب  
الحام .

كان ، في خيمته وروحه ، زاهداً عابداً  
يتصرف وينقطع العلم ، فإذا جد الجهد

لا نعرف من طفولته شيئا كثيرا ولكننا نعرف من حياته بعد ذلك أنه ولي التدريس والقضاء والإفتاء في دمشق، وأن « فتنة » من « مسألة كلامية » - كما يقول صاحب طبقات الشافعية - ثارت في دمشق جهر فيها الشيخ برأى لم يرض عنه الملك الأشرف ، ولكن الشيخ لم يرجع لفضب السلطان ، مادام قد أرضى دينه وضميره ، واستناب غضب السلطان ، في سبيل رضا الله . ثم رجع الأشرف بعد ذلك فطلب الشيخ وقربه ، وترشاه ، وطلب رأيه ونصحه . ونعرف من سيرته أنه خدم « بعد الأشرف ، أعاء الملك الصالح ، والملك الكامل ، الذي اختاره مدرسا في زاوية الغزالي وقاضيا على دمشق . وأن الملك الصالح لقي من خصومة الشيخ وحربه ما أزعجه وأثار عليه عطفه فلما ساط عليه الصالح سوط غضبه . ترك الشيخ دمشق - بعد أن هيج الناس وأثارهم على السلطان - ونزح إلى بيت المقدس فأخذه صاحبها إلى السجن . وأرسل له الصالح يستصلحه ، ولكنه نفر وأبى ، فأمره الصالح . ورحل الشيخ إلى القاهرة فولاها سلطانها الصالح نجم الدين خطاباتها وقضاءها وعمارته المساجد فيها وفي بلاد مصر كلها . ثم عزل الشيخ نفسه ، ودجا من السلطان أن يمفيه ، فقبل رجاءه وأعفاه . ومات نجم الدين ثم جاء ابنه . « توران شاه »

ويحرص أصحاب الغلب السليمة والضيائر المستقيمة على أن يذلوا - حتى حياتهم ونفوسهم - في سبيل الله والحق فيقول : « إننا نزم أننا من جملة حزب الله ، وأصار دينه ، وجنده وكل جندي لا يخاطر بنفسه فليس بجندي » . وكذلك كانت حياته - كما قلنا - مصداق منطلقه ودعوته .

### مبدأ ووفاء :

كانت بلاد الإسلام : مصر والشام ، يحكمها بحكم القرون الوسطى ملوك وسلاطين وأمرأه ، يعرفون الشجاعة ويقتحمون على الموت ، ولكنهم لا يعرفون الحرية ولا الحق ولا العدل في الرعية ، وكانت حروبهم يصلها أهلهم وإخوانهم وشجعانهم يبلوهم أعمامهم وإخوانهم وأبنائهم بينما يغزو بلاد الإسلام الغزاة القساة الفجرة من التار والصليبيين ، فيستعين بعضهم هؤلاء الغزاة البغاة الفجرة على إخوته وأهل دينه ، كما فعل الملك الصالح إسماعيل .

في هذا الظلم والإثم ، وبين هذا الظلام والعدوان ، عاش « عبد العزيز » الذي ولد في سنة ٥٧٧ هـ ( ١١٨١ م ) في عهد الملك البطل صلاح الدين الأيوبي ، في مدينة دمشق ، وعاصر بقية سلاطين الدولة الأيوبية ، ونفرا من سلاطين المماليك البحرية وله مع كل واحد منهم مشاهد ومواقف .

بعد حياة اعتز فيها بالدين فلم يخش فيه سلطانا ولا ملكا ، بل عابته الملوك والسلاطين وخشيت بأسه ، وهز فيها الدين وعزت رجاله وأهله وكلته . فقد جعل الشيخ من حياته ، منذ كان إلى الآن ، وعلى طول الزمان ، مثلا مضروباً وقدره متبوعة لمن يتبع .

بالبقا نذكر ، فنقتدى ونحتذى ونقتيد .  
منزلة وكرامة :

يقول السبكي ، صاحب طبقات الشافعية ، عنه : « شيخ الإسلام والمسلمين ، وأحد الأئمة الأعلام ، إمام عصره بلا مدافعة ، القائم بالأسر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه ... لم يَرَّ مثله علماً وورعاً ، وقياماً في الحق ، وشجاعة ، وقوة جنان ، وسلطاناً » .

ويقول عنه شيخ الحنفية في عصره - والمعاصرة حجاب كما يقولون بحق - : « هذا رجل لو كان في الهند أو في أقصى الدنيا ، كان ينبغي السلطان أن يسمي في حوله في بلاده لنتم بركته عليه وعلى بلاده » ، ويفتخر به على سائر الملوك » .

ولطخ من منزلة الشيخ وكرامته أن الملك الظاهر بيبرس عندما أثبت قاضي قضاء مصر نسب الخليفة المستنصر ، لم يتقدم ليمنه إلا بعد أن بايحه الشيخ ، ثم تقدم السلطان فبايحه ، ثم القضاء والأمراء .

فاكرم الشيخ ورعا منزله وأحسن معاملته . ثم صارت الدولة إلى الأتراك بعد بني أيوب فاكرم سلاطينهم الشيخ أعظم إكرام وبخاصة الظاهر بيبرس ، الذي كان - كما يقول : « مؤرخوه » منقماً ، تحت كفة الشيخ لا يستطيع أن يخرج عن أمره .

ومات الشيخ : « سلطان العلماء » في عهد الظاهر بيبرس ، فأمر جنده وعامة مملكته أن يحملوا نعشه ويسيروا في جنازته ، ووقف هو يشهد ما تحت القلعة ويرى أفواج الناس وأمواجهم تردع الشيخ وقبره وترسم عليه وتبكيه . ثم نزل السلطان نفسه بعد ذلك لحضر دفنه . ثم قال بعد ذلك كلمتين تدل أولاهما على ما كان للشيخ من منزلة كريمة في قلوب الناس وإدراك السلطان نفسه واعترافه بهذه المنزلة ، وهي : « اليوم استقر أمرى في الملك ، لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس اخرجوا عليه لا تنزع الملك مني » .

والكلمة الثانية تدل على ما كان يشعر به السلطان نحو الشيخ من كرامة وتقدير ، رغم هذه الحشية منه على عرشه ، وهي حزنه الذي عبر عنه في هذه الكلمات القوية : « لا إله إلا الله » . ما اتفقت وفاة الشيخ إلا في دولتي ٤٠٠ هـ . ومات الشيخ في سنة ٥٦٠ هـ : ( ١٢٦١ - ١٢٦٢ م ) .

ومات الشيخ « عز الدين بن عبد السلام »

## مشاهد ومرافق :

كانت حياة الشيخ كلها ، كما قلنا ، عزة بالدين والدين . فلم يمش سلطانا ولا ملكا ، بل هابته الملوك والسلاطين وخشيت بأمره . وهذه معاهد ومواقف من عزة بالدين وعزة الدين به ، وكيف غسّل بعزته الملوك والسلاطين ، واستمال عليهم بكلمة الحق وسultan السكرامة والخلق والدين .

١ - كان الملك الأشرف يحكم دمشق ، وأخوه الملك الكامل يملك مصر . وماد للملك الأشرف حقله فسمى إلى الشيخ في أن يرضى عنه ويؤوره . بعد الجفوة التي أشرنا إليها من قبل - ورضى الشيخ أن يؤور الملك ، ولكنه أخبره نفسه شيئا أكبر من الزيارة وملاقة السلطان : هي أن يسمى لخير الإسلام ويجمع شمل الآخرين المتخاصمين على حرب عدو الإسلام والمسلمين وهو هو . فقد كان الشيخ يعرف أن خصومة قائمة بين الأشرف وأخيه الكامل ، وأن الحرب توشك أن تقع بينهما . ذهب الشيخ ليؤور السلطان ، فوجده قد نصب دعليزه صوب مصر ، . وذلك ، في اصطلاح ذلك العصر ، أمانة على رغبة السلطان في غزوها ، وإشارة بإعلان الحرب عليها . وأنه لا بد أن يفتحها ويدخلها ، ملأ أرحمها ، مادام وجه دعليزه صوبها ، كما يدخل صاحب الدار داره .

وبدا الشيخ حديثه مع السلطان فقال : إن الملك الكامل أخوك الكبير ، ورحمك . وأنت ملك عظيم عرف الناس كلهم شجاعتك وفتوحاتك . وتعرف أن التار - أعداء الله والإسلام - يغزون بلاد المسلمين ويفتحونها . ومع ذلك تركهم يجاربونهم ، ويفتحون بلادهم ويقتلون نساءهم وصبيانهم ، ويهدمون مساجدهم ، لو أمكنهم الله منهم ، وحاشا لله . ترك - يا سلطان المسلمين - أعداء الإسلام يصنعون ذلك بالمسلمين ، لتعارب أخاك الملك المسلم

ثم قال الشيخ : دع ذلك أيها السلطان ، فإني لا قطع الرحم ، وخذلان الدين ونصر أعداء الإسلام ، وقم لتصرة الله وحرب أعدائه وأعدائك وإعزاز كلمة الحق . وكان السلطان مريضا ، فقال للشيخ : إن شاء الله لسلطانا وسلطان المسلمين الشفاء والمافية ، وجونا من الله أن ينصرك على عدوه وعدوك ، وكانت لك بذلك الحسنة في الدنيا والآخرة . وإن شاء الله لك أمرا آخر جلّلك الله بحسن قصدك وإخلاصك وسعيك وإنما الأعمال بالنيات .

وتأثر الملك الأشرف من حديث الشيخ وإخلاصه فأمر ، والشيخ حاضر ، بنقل دعليزه من ناحية مصر ، صوب التار ، وأعلن الحرب عليهم . ثم طلب إلى الشيخ

وأوشك الشيخ أن ينشق صدره من الغيظ والغضب . فأمر الناس ألا يتعاملوا مع أعداء الإسلام وأعدائهم ، ولو أباح لهم السلطان ذلك ، ولم يذكر اسم الملك الصالح في خطبة الجمعة ، إيداناً بخلفه والخروج على طاعته ، وكان الصالح ولاء خطابة دمشق بل ذكر الصالح في خطبته بشيء من السوء . والناس من ورائه تهلل وتكبر . وأخذ رجال الملك الصالح الشيخ إلى السجن<sup>(١)</sup> فلما قدم الصالح أخرجه منه ومن دمشق كلها ، خوفاً منه ، فساد الشيخ بقصد بيت المقدس ، ولكنه وقع في أسر حاكم نابلس ، وكان من رجال الملك الصالح .

وتكاثر الصليبيون وقوادهم وملوكهم على الشام ، يريدون النزول منها إلى مصر ، ووقع الصالح في حرج بالغ ، والشيخ لا يكف عن مهاجته والتعريض عليه . وجلس الصالح في خيمته يفكر في الحرب ولجأ جره على نفسه ، بخيانته من الحزبي وعلى وطنه ودينه من الشر . وفي هذا الشيخ الذي شهد عليه من الحرب وتوبيخ الناس مالا يستطيع أن يصنع إزاءه شيئاً . ورأى أن يطلب الشيخ ليصلحه ، أو ليرشوه ويشتريه .

وطلب السلطان رجلاً من عامته فبعث به

[١] أنكر ذلك أيضاً من الملك الصالح النقيب المالكي الكبير أبو عمر بن الحاجب ، حبس مع الشيخ عز الدين .

أن يزيد في نصحه ، فطلب إليه أن يبطل المحرمات ، وأن يرفع عن الناس المظالم . فأمر الملك بذلك ، وطلب إلى الشيخ أن يتولى بنفسه الإشراف على رعاية الحق والعدل في الزهية . ثم أمر الشيخ بألف دينار ومصرية جزاء إخلاصه ونصحه . فاعتذر الشيخ من قبولها وهو يقول للسلطان : لقد حضرت إليك لنصحتك ولخير المسلمين ، وكان اجتماعنا في الله وبقائه ، فلا تكدر على صفاء قسي بعد ذلك بشيء من منافع الدنيا .

ولم يمض يسير زمن حتى قدم الملك الكامل بغيره من مصر لحرب أخيه . ثم تصالحا . ولو وجد الكامل في مصر شيئاً مثل عز الدين بنصحه ويذميره ويقوه ، ما فعل . وقد أكرم الكامل الشيخ واستدعاه فأجلسه على بساطه ، وأخو الكامل ، الصالح إسماعيل ، واقف يشهد ويهيب .

٢ - في هذه الفتن السود عاف الملك الصالح إسماعيل على نفسه وهرثه في دمشق ، من هجوم الملك نجم الدين أيوب ، سلطان مصر الذي حاله الملك الصالح ثم عافه ، فلم يجد الصالح - بيلاً لآمنته وسلامته إلا في أن يخون دينه ووطنه ... فتصالح مع الصليبيين على أن يسلمهم « صيدا » وقلعة « الشقيف » وبعض الحصون الأخرى . وأن يبيع لهم دخول دمشق لبشروا منها ويبيعوا فيها . ودخل الصليبيون دمشق يشترون السلاح ...

وهبت الرسول المناقني المذاق . وقال الشيخ  
أمرني السلطان — إن لم توافق — أن  
أعتقلك . فقال الشيخ : سباً وكرامة .

وحبس الشيخ في خيمة تجاور خيمة الملك  
الصالح . فكان يكثر من الصلاة والتلاوة يرفع  
صوته بها حتى يسمع السلطان .

وجاء إلى الملك يوماً جماعة من حلفائه  
الصليبيين يتحدثون إليه في أمر الحرب .  
وأراد الختان أن يظهرهم على مقدار ما قدم  
لهم من العون ، وما لقي في سيلهم من الإنكار  
فقال لهم : هل تسمعون هذا الشيخ الذي  
يقرأ القرآن ... ؟ قالوا : نعم . قال : هذا  
أكبر علماء المسلمين .

وقد حبسته لإنكاره على تسليم حصون  
المسلمين لكم ، فزله عن جميع مناصبه  
وأخرجته من دمشق ، لجاء إلى بيت المقدس  
يحاربني ويتحداني ويفسد على\* وإليك  
الناس ، لقد دت حبيبه واعتقاه لأجلكم .

هند ذلك جبهه جلساؤه الصليبيون وأخروه  
بهذا الجواب : لو كان هذا الشيخ قسيساً عندنا  
أقمنا بين يديه فقلنا رجله ، وشربنا ماء  
نفسلهما ...

وفي مقال آخر نجد مشاهد أخرى ومواقف  
للشيخ الذي أهرق الدماء واعتز به فأمره الله  
وذلك له الناس وهابته الملوك والولاة .

محمود الشرفاوى

رسولاً إلى الشيخ . ووصاه : تظلم بالشيخ  
وأكثر من ملايكته ، وحده على بأى سارجه  
إلى مناصبه وأزيد في إكرامه ، فإن قبل  
فهانته إلى وأسرع . وإن أبى فأحضره صبيحنا  
في خيمة تجاور خيمتى .

وكان رسول الملك منافقاً بماذاق من عباد  
الدنيا وخدام السلاطين ، فظن أنه ، عن  
طريق الجاه والمال ، يستطيع أن يعود  
بالشيخ إلى سلطانه وسيده ، وأن يرضيه  
ولو هان ذلك . كما هان غيره .

قال الرسول المناقني المذاق للشيخ المؤمن  
المجسود : إنك شيخ جليل وعالم كبير من  
حقك أن تنال أعظم المال وتحوز أرفع  
المناصب ، وأن تعيش حياتك كلها معزواً  
مكرماً ينال الناس من بركاتك وينفعون به لك .  
وليس أمامك لتحوز ذلك وتناله وتعود  
إلى ما كنت عليه وزيادة ، إلا أن تخضع  
للسلطان وتدخل عليه فتقبل يده ... لا شيء  
أكثر من ذلك ...

وهنا فسمع عجبا ونرى عجبا : نرى الشيخ  
يهيج ويصرخ في رسول الملك ويقول :  
إنك لمكين ... إلى لا أرضى أن يقبل  
السلطان يدي وأنت تريد مني أن أقبل يده .  
إنك وسلطانك وقومك في واد وأنا في واد .  
إنكم عبيد المال والجاه والنهوة . وأنا لا  
أعبد إلا الله ولا أعرف ولا أخشى سواه .  
والله الذي طافني بما ابتلاك به .

من رقاب الحرم :

## شحنة للمشاعر الإنسانية

للأستاذ فتحي عثمان

منكم ، هديا بالغ الكعبة أو كفارة طمام  
مساكين ، أو عدل ذلك صياما لذوق وبال  
أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن طوافيتنم  
الله منه ، والله عزير ذو انتقام . أحل لكم  
صيد البحر وطعامه ، مما طأ لكم والسيارة ،  
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ، وانفقوا  
الله الذي إليه تحشرون .

وعلى هذه التربة النبيلة للمشاعر الرفيقة ،  
نقوم شعائر الحج ...

وهي تشر ثمراها في تعامل الإنسان  
والإنسان :

« ولا يجرمكم شأن قوم أن صدوكم من  
المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على  
البر والتقوى ، ولا تصاونوا على الإثم  
والعدوان وانفروا الله . إن الله شديد العقاب . »

وهكذا يحس الحج على القلوب ، فيرثها  
من الحقد والضن والخل ...

ويعالج الحج النعوس ، فيثفيها من العقد  
والعلل ...

ويربي الحج المشاعر ... بتياب الإحرام  
في بساطتها ، وشعائر الحج في روعتها ،

« ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله  
في أيام معلومات . »

أما المنافع المادية المباشرة ، فهي بارزة  
للعيان ... رواج التجارة ، وتعارف على  
الحير ، وتعاون على الحق بين الأفراد  
والشعوب والحكومات .

وإنما أتاول هنا الشحنة الشعورية الضخمة  
التي يسكبها الحج في قنوس الحجاج ... شحنة  
من أجل المشاعر الإنسانية والقيم النبيلة .

• • •

في الحج تربية للإحساس المرهف النبيل ...  
فاللحاج في بساطة ثياب الإحرام . محظور  
عليه المعفون ... حتى على الطير والحيوان !  
« غير على الصيد وأتم حرم إن الله يحكم  
ما يريد . »

« يأبها الذين آمنوا ليلونكم الله بشئ  
من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ، فيعلم الله  
من يخافه بالغييب ، فمن اعتدى بعد ذلك فله  
هذاب أليم . يأبها الذين آمنوا لا تقتلوا  
الصيد وأتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا  
فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل

ورسول الإسلام حبيب بالغ حل القوارير،  
ومشاهير من وعواطفهن .. وهو الذى قرن  
« النساء » .. « بالطيب » ، فيما حبيب إليه من  
متاع الدنيا ... وهو الذى من أجل مرضاة  
أزواجه حرم ما أحل الله حتى نزل وحى  
الله بصرفه عما فعل ... وهو الذى فى مرض  
الموت كان يصبر على العدل فى رعاية مشاعر  
أزواجه ، ليقل محمولا بين بيوتهن وفق  
ما قسم بينهن فى معاملته لهن ، فكان عليه  
الصلاة والسلام يتساءل وهو صريع المرض:  
أين أنا فدا ؟

إنها المشاعر الحساسة المرحفة ، فى الموقف  
الديق الرهيب ...

إنها العدالة الإنسانية المقررة فى الخطاب  
الجامع الخطير ...

« أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا  
يحل لامرىء مال أخيه إلا من طيب نفس  
منه ، فلا تظلموا أنفسكم ، ألا هل بلغت ؟  
اللهم فاشهد !! »

فلا ترجموا بمدى كفاروا بضرب بعضكم  
وقاب بعض ...

أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم  
واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن  
أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل  
على عجمي إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم  
فاشهد !! ، إنه الإخاء الذى أثمره الإيمان ..  
والذى لا يمزقه إلا الكفران !!

والسلام المرسل من القلوب والألسنة  
والجوارح ... فى دار السلام .

« والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من  
يشاء إلى صراط مستقيم » .

إنها همة شعورية هائلة ... تعالج الإنسانية  
من « داخلها » ، وتأتى النفوس من أبوابها ،  
وتضع قواعد السلام والإخاء والمساواة  
على أساس صارب فى الأعماق .

\*\*\*

وفى هذا الجو النبيل ... انطلق صوت  
رسول الإسلام ، يقرر حقوق الإنسان فى  
خطبته الخالدة فى حجة الوداع .

« أيها الناس : إن دعاكم وأموالكم حرام  
عليكم إلى أن تلقوا ربكم ... كحرمة يومكم  
هذا فى بلدكم هذا ... حتى تلقوا ربكم فيسألكم  
هن أعمالكم » .

إن تربية المشاعر النبيلة لا بد أن تشر  
تأمرها العملية فى السلوك ... وإن حرمة الشهر  
الحرام فى البلد الحرام ، ينبئ أن يسكب فى  
مشاعر المؤمنين رعاية حقوق الله فى كل زمان  
ومكان !!

« أيها الناس : إن نفسائكم عليكم حقا ،  
ولكم عليهن حق ... فاتقوا الله فى النساء ،  
واستوصوا بهن خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم  
فاشهد !! » .

إن الإسلام لا يتجاهل شطر المجتمع ...



فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تقرر  
ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما  
وتلكه الجبين ، ونادياه أن يا إبراهيم ، قد  
صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين .  
إن هذا هو البلاء المبين . وقد يناه بذيخ عظيم  
وتركنا عليه في الآخرين . سلام على إبراهيم .  
كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا  
المؤمنين ، ١١

إن الله لأرحم بعباده من أن يقتلوا أنفسهم  
تقرباً إليه ...

« وإذا قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم  
أنفسكم بائخاذكم العجل ، فتوبوا إلى بارئكم  
فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ،  
فتاب عليكم ، إنه هو التواب الرحيم . »

إن الطاعة يكنى فيها الرمز ... والقول بان  
يحدد أن يأتي منه النفع ... ومن هنا كانت  
الاصحية حيوانا يؤكل لحمة ، وبطن منه الفقير  
والمسكين .

« والبدن جملتنا ما لكم من شعائر الله  
لكم فيها خير »

فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا  
وجبت جنوبها فكلوا منها ، وأطعموا الفقاع  
والمعتر ، كذلك نحرنا ما لكم لعلكم تشكرون .  
لن يقال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن  
بناله التقوى منكم ، كذلك نحرها لكم  
لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر المحسنين .

إنها المساواة ... التي أتت بها الإيمان بالله  
واحدة له وحده صفات الاستعلاء والكبرياء  
وكل البشر بعد ذلك سواء ، لأنهم جميعا  
مرسبون ولأنهم جميعا عباد ١١

لقد سجل التاريخ أن ملكا حديث عهد بالإسلام  
لطم مرييا مسلماً لأنه وطىء طرف ثوبه وهو  
بطوف حول الحرم ... فإذا بالخليفة المسلم  
يصر على التفصاص ، بما أدى بالملك المتكبر  
أن يرتد عن دين لا يؤله إلا الكبير المتعال  
ومن هذه الأحماق العقيدية البعيدة .  
ومن هذه التربة النفسية العميقة ... تأتي  
« المساواة » الحقيقية ، ويأتي « الإخاء »  
النابع من التجارب والتفاهم في الممار  
والأفكار .

« وألف بين قلوبهم .  
لو أنفق ما في الأرض جميعاً ما ألفت  
بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم . »  
إن الإيمان « بالله » ... خير رعاية  
« للإنسان ، ١١١

\*\*\*

وبعقب أيام الحج عيد الأضحي ، وفيه  
ذكرى نقلة إنسانية كبرى في التاريخ البشري ...  
ذكرى إعلان نهاية القرايين البشرية ، منذ  
عهد إبراهيم عليه السلام .

« فبشرناه بنفلاهم حلیم . فلما بلغ معه السعي  
قال : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك ،

فإذا قتلتم ... فأحسنوا القتلة .  
وليحذر أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته ،  
حفاظ على الإنسان ... حتى وهو  
يستعمل السكين !!

إن الحيوان هالك على أية مية ... ولكن  
ما أفدح الخسارة حين تكون في مشاعر  
الإنسان ، !!

ومن أجل هذا ... أخبر رسول الإسلام  
أن امرأة هذبت في ( مرة ) حبستها حتى  
ماتت جوعا فدخلت فيها النار ...

وأخبر رسول الإسلام أن رجلا سقى كلبا  
بلغ به للعطش ، فغفر له ...  
إن المؤمن موصول بجهنم ... الرحيم

الرحمن .  
إنه يراقبه ويبتلي وحاشا ، في تعامله مع  
الناس ...

في رعاية خلجات نفوسهم ومكنونات  
مشاعرهم ...  
إن المؤمن يسير في ركاب رسوله ... الرحمة

المهداة !  
« ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا  
من حولك ،

فأعف عنهم ،  
واستغفر لهم ،  
وشاورهم في الأمر ... »  
« رسول من أنفسكم

وبذلك انتهى عهد القرابين ذات الدلالة  
المعقيدة المجردة ، وغير ذات المنفعة البشرية  
المباشرة :

« الذين قالوا : إن الله عهد إلينا ألا نؤمن  
لرسول حتى يأتينا بقرآن تأكله النار  
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالحذی

قتلتم ، فلم تلتزموا إن كنتم صادقين ٩٩ .  
فإن كذبوا فقد كذب رسل من قبلك ،  
جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير ، !!

« آية مراحل قطعها المجتمع الإنساني ...  
وهو يتدرج في السمو والرق والارتفاع .  
« آية مراحل قطعها التشريع الديني ...

لبسائر التطور الاجتماعي البشري .  
« آية دروس يستفيد ما علم الاجتماع ...  
استوعبت دراساته تاريخ النبوات ، وأطوار

الآديان ... بفهم نحن أو تجاهل أو اعتساف !  
...  
وفي الدين تربية الشاهر الإنسانية ... حتى

في ذبح الحيوان !  
إن ذكر الله عند ميل السماء ، وإزهاق  
الأرواح ، هو أن على ترقيق القلوب ، وترقية

المشاعر ، حتى لا يقسمها المنظر المألوف  
للدماء الجارية ...  
وإن في إراحة الذبيحة رعاية للشاعر

الإنسانية في هذا الموقف المصيب : « إن الله  
كتب عليكم الإحسان في كل شيء ...

ولكم تشقى الإنسانية ... من هذه البصائر  
المطموسة ١١

ولكم يسعد الإنسان ، ... حين يجد  
إلى جواره - فى دوايمة الحياة - الإنسان ، ...

وإن الإنسان ، ليجد نفسه ، ويحمد  
أخاه ... على توره الإيمان ، ...

فأين من هذا النور غلاظ القلوب من  
المترنين المنتهين ، المنتهين النائم ،  
الملتصين للميوب ...

وأي من هذا النور من وإن على قلوبهم  
ما كانوا يكسبون وتبليت مشاهيرهم فى طوبة  
بمن الأناية ، وضيق أفق النفعية ...

ما أحوج الإنسانية ... إلى المشاعر الدافئة ،  
والحنان الفامر ...

ما أحوج الإنسانية ... إلى الجهد والعق  
والصدق فى عالم الوجدان ، ليحس الإنسان ،  
بمستوى أرفع فى علاقة الإنسان بالإنسان ...  
مستوى أرفع من العلاقات الحيوية  
البيولوجية ، والضرورات الاجتماعية ...

مستوى يرضى الإنسان ، فى أحقاد  
نفس الإنسان ، ٩

فتسمى همامه

عزيز عليه ما هتم

حريص عليكم

بالمؤمنين وهووف وحيم ، .

... .

وعد :

فإنما يتميز الإنسان ، عن غيره من  
الآحياء ... بالمشاعر الواعية ، والتمييز المدرك  
والحس الرفيف ، والانفعال الخلاق ...

وإنما يتميز الإيمان ، بأنه يصفل  
الأجهزة الروحية والنفسية فى الإنسان ، ..  
فيجعله أرق ما يكون حساسية ، وأعمق  
ما يكون وعيا ...

إن تجربة التعامل مع الله ، ... تنعكس  
آثاراً عجيبة فى التعامل مع الإنسان ، ...  
ومع معجزة الله فى الإنسان ، ١١ .

وبهذه الأجهزة البلورية الحساسة يتعامل  
المؤمنون ... فيكون لهم نور يمشون به ١١  
أما الذين عاشوا فى حدود ذواتهم ،  
ضائقت أو انسحت ، فهم من هذه المشاعر  
المتلاثة محجرون ...

وأما الذين عاشوا فى حدوده أشباح  
والرسوم ، من شعائر عامدة ، ومشاعر  
ميتة ، فهم عن حقيقة الإيمان بعيدون ...

## من معاني القرآن

وقد جعل الله منها البنين والأحفاد ،  
وبذلك يرى فيها الزوج تمام فرعه وبقاء  
نوعه وامتداد وجوده ، فإذا كبر أولاده  
وأحفاده وجد فيهم قوة العين . وقوة العون ،  
فإذا أضيف إلى ذلك ما خلق الله له ولزوجته  
ولذريت من زوجها من طيبات الرزق .  
فإذا وراء ذلك من مطالب الحياة . .

الزوجة نعمة يجب أن تقابل بما ينبت من  
شكر المنعم .

والبنون والحفدة الذين يسرعون في طاعة  
آبائهم وخدمتهم نعمة يجب أن تقابل بما  
ينبت من شكر المنعم .

وإنه وحده هو الذي جعل لنا من أنفسنا  
أزواجاً .

وهو وحده الذي جعل لنا من أزواجنا  
بنين وحفدة .

وهو وحده الذي يرزقنا من الطيبات .  
إنه دون غيره - الخالق الرزاق ، فالإيمان  
بغيره باطل لأنه إيمان ياطل لا قائدة منه ولا  
خير فيه ، فإذا أضيف إلى ذلك نعمة التي لا تحصى  
ولا تنكر ، بل يجب أن تذكر ونشكر ،  
فأي إنم أكبر من هذا الإثم وأي ظلم أعظم  
من هذا الظلم ؟ هبه الرميم قوده

وإنه جعل لكم من أنفسكم أزواجاً  
وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة  
ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون  
ونعمة الله هم يكفرون . .

الحفدة الأحفاد ، وأصل معنى الحفد  
( يسكون الفاء ) إسراع البعير في سيره  
مع تدارك خطوه .

ثم استعمل في الإسراع إلى الطاعة ، ومن  
ذلك ما جاء في الدعاء المأثور ( وإليك نسعى  
ونحفد ) أي نسرع إلى الطاعة ، كما استعمل  
في أولاد الأولاد لأنهم كالخدام في الصغر .  
والباطل ما لا بقاء له ولا قائدة منه .

هذه الحياة :

في هذه الآية حل إيجازها تتمثل الحياة  
بأجل ما فيها من ألوان المتاع المشروح . .

فالزوجة نعمة ورحمة ، إذ جعلها الله للزوج  
من جنسه ، ليضمرب بأنها من نفسه فيسكن  
إليها ، ويكمل بها نفسه . ويجعل بها حياته ،  
ويجد فيها فطرت عليه من رقة الشعور ،  
ولين الجانب ، وجمال الظل والتكوين  
ما يروى شوقه ، ويرمى ذوقه كما يجد فيها  
تجيداً من أعمال لا يجيدها الرجال ، ما يكفيه  
الحاجة ويهيئ له أسباب الراحة .

## الموضوع في الأدب العربي للأستاذ محمد فرید أبو حديد

لفنى والاتصال بالمجتمع معا ، وعلى هذا فإن الشعر الفنى تدور المناقشات حوله وهو « هل الفن فنى أم هو للجمع » ، يبدو شعارا عاليا من الدلالة إذا كان المقصود منه المقابلة بين قيمتى الأسلوب والموضوع فى العمل الفنى ، لأن القيمتين لابد أن يتوافرا معا لكل عمل فنى .

وإن يكن يكون المعنى الحقيقى الذى تدور المناقشات حوله هو أن بعض النقاد يذهبون إلى أن الأدب مطلق الحرية فى اختيار موضوع إنتاجه سواء كان مما يقبله المجتمع ويرضى مثله العليا وقيمه للمعنوية أو كان مما يرفضه المجتمع وينكر مثله وقيمه ، هل حين أن البعض الآخر منهم يذهبون إلى أن الأدب الحق هو الذى يختار موضوع إنتاجه مما يقبله المجتمع ويمرر بقيمه ومثله العليا .

ولا يخفى ما يحيط بالرأى فى كل من الجانبين من غموض يستحسن إلقاء بعض الضوء عليه حتى يمكن أن يسلم من التعمش . وقد رأيت أنه مما قد ينير سبيل الرأى أن أستعرض الموضوع الشعرى فى صورتها ثلاثة وهى العصر الجاهلى والإسلامى الأموى والمباسب

يتحدث النقاد والأدباء عن الفن الأدبى وهل ينبغي أن يكون المعول فى تقدير قيمة العمل الأدبى على ما يمتاز به فى أسلوبه أو أن يكون المعول فى ذلك التقدير على قيمة موضوعه كذلك بالنسبة إلى المجتمع وإلى الإنسانية ، ولست أقصد بهدئى هذا أن أعرض لما يسوقه طرقا المناقشة من الحجج ، فهى معروفة كثرت المجادلات فيها ، غير أن الذى يبدو من هذه الأحاديث أن موطن الخلاف بين الجانبين المناقشين معنى آخر خفى لم يظهر واضحا فى ثنايا المناقشات فأردت فى كلتى هذه أن أحاول إظهار هذا المعنى الخفى بتوجيه بعض نظرات إلى أدبنا العربى لعلمنا نستبين حقيقة الصلة بين الموضوع فى الأدب وبين الحال التى كان عليها المجتمع فى المصور المختلفة ، فإن الكشف عن تلك الحقيقة يجدر بأن يزيل كثيرا من الغموض الذى يحيط ببعض ما يبدى من الآراء .

ونقطة البداية التى أبدأ منها أن الإنتاج لا يمكن أن يسمى إنتاجا أدبيا إلا إذا توافر له الأسلوب الأدبى الفنى ، ومعنى هذا أن كل إنتاج أدبى لابد أن يتوافر فيه الأسلوب

تعبيراً صادقة عن صفات الصداقة والعداوة وعن المحبة والبغضاء وعن الإجلال والازدراء وعن الشجاعة والمروءة وأعدادهما ، وفيها يتلوى مهمل حافل بما كان العرب من قيم فردية واجتماعية تتصل بممالك الأفراد والجماعات في الحياة الخاصة والعامة .

فالشعر الجاهلي مثال للإنتاج الأدبي الفني يعكس لنا تجارباً كاملاً بين الأديب وبينته البشرية ... وإلى جانب هذه الخاصة كانت طبيعة الصحراء لا تكاد تسمح للعربي بما يرفه عنه في حياته الفلقة المنعزلة للصراع إلا من ناحيتين ينضم منهما البهجة والأنس أولها جمال المرأة والإنسان الذي يجسده الفرد في مجالس السر بين الأصدقاء وما كان يشيع فهم من النقشة على أثر معاناتهم الحزيرة وأما الناحية الأخرى فكانت مشاهد الطبيعة الطليقة التي تبتك السلى إلى قلب المحزون والمهموم . وكانت الحياة أمام العربي حياة حرة يتعامل فيها أحرار لا يعترفون بالقيود ولا بطبقونها ، فلم يكن فيها حدود غير ما تعارف عليه المجتمع من قواعد الولاء بالنسبة إلى القبيلة وقواعد الشرف والمروءة بالنسبة إلى الفرد . وكان للبراة العربية في الجاهلية مكانة الفرد الحر كالرجل ولهذا كان الحب بين الرجل والمرأة يتم بالتقدير

الأول ، وأن أختار لذلك الاستعراض ما يمثل الاتجاه الأكبر في كل من هذه العصور وهي تمثل ثلاثة أدوار من مراحل التطور الحضاري للمجتمع العربي .

وأما النتائج التي يمكن الوصول إليها من هذا الاستعراض فقد رأيت من المستحسن تأجيلها إلى نهاية الحديث .

كانت حياة أجدادنا العرب في العصر الجاهلي مطبوعة بطابع ينتمى الصحراوية إذا استثنينا بعض البقاع الحصية في اليمن والمدن المتصلة بالبحر كالحيرة .

وكان النظام القبلي دعامة حياتهم بصفة عامة وأول مميز لهذا النظام هو الولاء الكامل المتبادل بين الفرد وقبيله ، وهذا الولاء هو الاتصال النفسي بين الفرد ومجتمعه . فكان الشاعر العربي فرداً من قبيلته ويصدر في مشاعره وفي إنشاده عن شعوره القوي بالصلة التي تربطه بقبيله . فهو يتغنى بمآثر قومه وبانتصاراتهم في الصراع مع القبائل الأخرى وبشيد بفضل أبطالهم وبفاخر بطوكه فهم وقد يهجر خصومهم أو يمانب حلفاءهم ، وهو في كل الأحوال يعبر عن مشاعره كفرد متصل أتم الاتصال بمجتمعه .

وقد خلف لنا العصر الجاهلي بعض صور الدفقات العاطفية القوية التي أثارها مواقف قومه ومواقفه في قومه ، وهي تعبّر لنا

الشعراء في عصر من العصور وهو في تعبيره الساذج الصادق عن مشاعره في هذه الوقفات يصور لنا لوحات فيها أبدع تمثيل العاطفة الإنسانية الأول .

وكان انطلاق العربي في الصحراء يتبع له أن يرى بعينه الدقيقة الملاحظة ما كان يضرب في الصحراء من حياة الحيوان عامة وحياة الوحش بخاصة ، وما كان يجاهد الطبيعة الفاسية من نبات أو زهر ، فكان يصور في شعره ما يحسه من بهجة حين يرى الزهرة اليانعة بين الرمال وحين يرى الظبية تحنو على وليدها أو تنفر ناجية إذا أحست الخوف . وكان يصور ما نجش به نفسه من الرحة أو الإعجاب حين يرى الصراع بين الأحياء كالبقرة الوحشية حين تستبسل في الدفاع عن نفسها ضد كلاب الصيد أو الذئاب التي تحوشها أو كالعبد الوحشي حين يدفع أمانه دفعا شديدا نحو الماء إذا اشتد عطشهما فتصوير مشاهد الطبيعة الطليقة من أروع ما سجله الشعر في لغة من اللغات وهو يمتاز دائما بالصدق وقوة ما فيه من تعبير عن العاطفة .

أما التخييل بمجالي الخرف فكان في أكثر الحالات إذا لم نقل فيها جميعا لا يزيد على التمهيد لوصف ما يمتاز به الشاعر من الفتوة والكرم والبطولة في مواقع القتال .

التبادل بينهما ، وإذا استثنينا بعض ما جاء في قصائد بعض الشعراء كالأعشى وامرئ القيس أمكن أن نقول : إن شعر الغزل الجاهلي يمتاز بإحلال المرأة الحرة محلا رفيعا في قلب صاحبها ، ففيه من صور الحب الرفيع ما يسمو إلى أعلى مراتب الشعر الغنائي في الآداب العالمية .

ومن اليسير أن ندرك العلة في انحراف أمثال الأعشى وامرئ القيس أحيانا عن مذهب شعراء العرب الجاهلين في الحب . فقه كان الأعشى شاعرا مرتزقا جوالا في الآفاق يتردد بين عمان وحمص وأورشلليم وذمب إلى النجاشي في أرضه وإلى أرض النبط وأرض الدجم ، ونزل بنجران وأحالي السروفي اليمن ، وكان في هذه البلاد يتصل بالحياة المتحركة وما فيها من معاهد اللهو والمجون الحضرية . وأما امرئ القيس فكان منذ مطلع شبابه مخيم لالتواءات قضية كثيرة أدت به إلى الخروج على قومه والانطلاق في الأرض شريدا مع طائفة من الخلفاء الذين تبرأت منهم قبائلهم لخروجهم على ما تعارفوا عليه .

فكان لمساكنة المرأة عند العربي أثر واضح في الموضوع الشعري فكان الشاعر يصف وقوفه بديار الحبيبة إذا هي تزحمت عنها ويتغنى بأناشيد من أصدق ما صدر عن

في شعراء الحضرة مثل عدي بن زيد أو من في حكمهم مثل الأعشى ، وذلك التفكير لا يتعدى حدود المعبر الدالة على ذوال الحياة وغرورها وتداول المجد بين الملوك .

غير أن شعر الجاهليين لا يخرج من تأمل الحياة من جانبها الواقعي المتصل بالحياة في المجتمع ، ولا يضاح ما نقصد نورد مثالا واحداً وهو قول دريد بن الصمة في رثاء أخيه فهو لا يقتصر على وصف بطولة أخيه ووصف إقدامه هو حين اندفع بين الفرسان للدفاع عنه ، بل يرجع على معاني الولاة القليلة والتضامن معها في رشدتها ونهبها ويشير إلى المثل العليا التي كان أخوه يتمسك بها فهو قليل التشكي للخصيات ، حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد ، وهو فتوح يكتفي بأقل الزاد ، والزاد حاضر ولا يعاب بما يلبس مع أنه كريم يهود بما في يده ويزيده سماحاً وإتلافاً لماله فنكر الدهر له ، واشتداد الظروف عليه .

فالشعر الجاهلي يمثل أدب عصر من عصور الحياة العربية كان يسوده التضامن والولاء بين الفرد والمجتمع وكان ذلك يتصف بالصدق في تصوير المواطن كما يتصف بالانطلاق النفسي الذي لا يشوبه التواء أو انطواء .

وبما له صلة بهذا المعنى أن شعر صفاييك العرب أنفسهم لا يشذ عن أنماط الشعر

فالظاهرة العامة للشعر الجاهلي أنه كان ينبع مما تبعته الحياة في الشاعر من الأحاسيس وهي جميعاً متصلة أو تقي الاتصال ببيئته وبرلائه لقومه وتعلقه بقيم السلوك الفردي والاجتماعي التي تعارف عليها قومه واملتها عليهم طبيعة قاهرة ونظام اجتماعي مستقر . ولما نجد في الشعر الجاهلي ما ينم عن انطواء الشاعر في نفسه أو انفصاله عن قومه أو الحقد عليهم ، حتى إن الهجاء الجاهلي نفسه لم يكن سوى تصوير تقدي يوجه إلى قوم أو إلى فرد لخروجه على القيم السلوكية الماضية في نظر أهل العصر . فلم يكن فيه إلا حضرات قليلة من المثالب المفضحة المسفة التي كثرت في شعر العصور الأخرى .

وكان الأعشى من أكثر الشعراء هجاء . ولكننا لا نكاد نرى في هجائه - وهو المرتزق بالشعر - ما يخرج من حدود النقد التي أشرت إليها . وكان من أشد ألياته في الهجاء وقفا قوله في حلقة ابن حنانه إذ قال :

نيتون في المنيق ملاء بطونكم  
وجلوانكم غرقى بين خائنا  
حتى لقد قيل إن حلقة بكى حين سمع  
ذلك البيت وجعل يقول في الأعشى :

هـ قاتله الله أنحن كذلك ؟ .

وقد نجد في الشعر الجاهلي أمثلة للتأمل المعكرو المجرد . وأكثر ما نجد ذلك



المدة أنه خلا من ذكر الخمر ومن التشيب  
بالمرأة ، حتى لقد قيل إن أحد الشعراء  
وهو حيد بن ثور اللخالي أراد أن يتغنى بحبه  
فكفى عن الحبية بالسرحة فقال :  
سقى السرحة المحلل والأبطح الذي

به تثرى غيث مدجن وبروق  
وقد ألق أصبل المرأة من ذكره لها  
مع إختافها وراء ( السرحة ) فضاو به بذلك  
فرد عليهم قائلا :

نحرم أهلها لأن كنت مشعرا  
جنونا بها يا طول هذا النحرم  
ومالي من ذنب إليهم هلته  
سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلي  
بلى فاسلي ثم اسلي ثم اسلي

ثلاث نحيات وإن لم فلكمى  
وكان الشعراء من العرب بغير شك لا  
ينفطمون عن الإنشاد حين تتحرك نفوسهم  
في موقف من المواقف وهم ينساحون في الأرض  
على بموث الفتح ولكن ما وصل إلينا من هذه  
المقطوعات قليل وهو يشبه الشعر الجاهل في  
صدقه ودلالته على الولا. الكامل بين الفرد  
ومجمعه .

وجاءت دولة بني أمية بمدنحو أربعين عاما  
من الهجرة النبوية وكان لها أثر كبير في توجيه  
الأمة العربية إلى وجهة جديدة ، وكانت  
للأحداث التاريخية الكبرى التي وقعت في

الجاهل عامة نهؤلاء كانوا مع خروجهم  
عن مجتمعهم لم يخرجوا عليه بل كانوا  
يتمسكون بمثله العليا في الكرم والشجاعة  
والمرودة ومن أمثلتهم عروة بن الورد  
والثغفري وتأبط شرا .

وقد جاء الإسلام فأضاف إلى الحياة  
العربية إضافات كثيرة من القيم الإنسانية  
والمثل العليا وأنكر من قيم الجاهلية ما كان  
يشوه حياتها كالمبالغة في القسوة والصرامة  
والانقطاع مع شعور المصيبة القبلية الضيقة  
كما أنكر الخمر وأحاط علاقة الرجل بالمرأة  
بطائفة من الحدود التي تكفل سلامتها من  
المبت . ثم وجه العرب إلى حياة جديدة  
لها مبادئ الوحدة بين القبائل والمساواة بين  
الأفراد من كل الطبقات والأجناس وجعل  
مقياس التفاضل بينهم ما يتمتع به كل منهم  
من صفات الإنسانية ، وحلهم مسئولية  
فشر دعوة الحرية والمساواة في أمم العالم .

فشغل العرب حينها بمواجهة الدين الجديد  
حتى دخلوا فيه ثم شغلوا حينها آخر بمواجهة  
الحوادث الكبرى التي أعقبت موت النبي  
عليه الصلاة والسلام ، ثم خرجوا من جزيرتهم  
في بموث الفتح لنشر رسالة الإسلام فكانت  
هذه المشاغل سببا في قلة ما روى من الشعر  
العربي مدة تقرب من ثلاثين أو أربعين عاما .  
ومن أظهر آثار الإسلام في شعر هذه

الشعراء للأحزاب لم يكن ثابتا في كثير من الأحوال لأنهم كانوا مرتزقة بالشعر ولأن الأحزاب كانت عرضة للتغير . فقبل مثلا إن جريرا لم يكن مواليا لبي أمية في مطلع حياته ثم توسل بأحد الولاة كي يوصله إلى الحجاج . ثم توسل بالحجاج ليوصله إلى عبد الملك بن مروان ، فوجد عند خلعاء بني أمية ما يغنيه عن التذلل بين الأحزاب . ولكن النابتة الجسدي وعبيد الله بن قيس الرقيات لم يثبنا على الانتصار لحزب واحد وإسماعيل بن يسار الفساق انقطع أولا إلى ابن الزبير ثم تحول إلى بني أمية ولزم فيها بعد الوليد بن يزيد . وطريح بن حيد السقي انقطع أولا إلى الوليد بن يزيد وبالح في مدحه حتى قال له :

لو قطع السيل دح طريقك

والهوج عليه كالحصب يتلج  
لساخ وارتد أو لكان له

في سائر الأرض هناك منرج  
وقد عاش حتى أدرك عهد أبي جعفر المنصور وأراد التقرب منه فسأله أبو جعفر عن هذين البيتين فقال إنه كان يرفع يديه إلى الله تعالى عندما أتدما موجهها خطابه إليه ولكن أبا جعفر لم يقره إليه . وكان من الطيبي أن ينقطع أكثر الشعراء في ذلك العصر إلى بني أمية طلبا لما عندهم من الجزاء

مدة هذه الدولة أثر كبير في توجيه الشعر كذلك من ناحية موضوعه .

ومن الظواهر الجديدة التي طرأت على الشعر العربي عند ذلك أن ولاد كثير من الشعراء انصرف إلى حزب من الأحزاب التي يتشتمون إليها ، بعد أن كان ولاد الشاعر من قبل متجها إلى قبيلة وما كان أكثر الأحزاب المتطاحنة طوال ذلك العصر .

ولم يكن ولاد الشاعر الأموي لحزبه مثل ولاد الشاعر الجاهلي لقبيلته فقد كان الشاعر الجاهلي ينتشد منطلقا في التعبير عن مشاعره غير متكلف فيه ، كما كان في العادة غير مرتزق بشعره . ولكن الشاعر الأموي كان في كثير من الأحوال مرتزقا في ولادته لحزبه . وكان لذلك يوضح عن قصص حراوة الولاة بزيادة التألق وبزيادة العنف في تعبيره سواء في ذلك المغالاة عند المدح والإفداع عند الهجاء ، فخرج كلا المدح والهجاء عن حدود الصدق ، وبعد أن كانت المعاصرة بشواهد الحوادث الجارية أصبحت تمتد على ذكر المآثر السابقة لأبطال الجاهلية الذين ينتمى للمعاصرة إلى قبائلهم . ومن هناك أحيى الفهرجسية القبائل بعد أن نهى الإسلام عنها ووجه العرب إلى الوحدة الشاملة ، وقصائد الشعراء الثلاثة الكبار - جرير والاختل والفردق - ملأى ببنار الممارك القبلية . على أن ولاد

كانوا من أبناء السراى لا من أبناء الحرائر  
من عقائل الأسر العربية الخالصة ، فيمكن  
أن يقال إنهم لم ينشئوا على ما اتجه إليه  
المجتمع الإسلامى الجديد من تحفظ نحو المرأة  
على أنه من الممكن كذلك أن يرمى انقطاع  
هؤلاء الشعر الغزلى إلى أسباب سياسية فيحكى  
مثلا أن سليمان بن عبد الملك سأل ابن أبي  
ربيعة يوما عن سبب امتناعه عن مدحه فأجابه  
« انتهى لا أمدح الرجال وإنما أمدح النساء » .  
فكان هؤلاء الشعراء أرادوا أن يقطعوا  
الذريعة إلى مدح الخلفاء الأمويين والدمايه  
لم يشعروا فأنقطعوا إلى شعرهم الغزلى .  
وتروى عن ابن أبي ربيعة أخبار تدل على أنه  
كان يشعأ أحيانا على خلفاء بني أمية .

غير أنه إلى جانب هؤلاء الشعراء أبناء  
الأعيان كان شعراء آخرون قد انقطعوا  
لشعر الغزل أو صرفوا إليه كثيراً من  
اهتمامهم وتغلف لنا من ذلك تراث ضخم  
ينسب إلى مجنون لبلى وإلى جميل بن معمر  
صاحب بئنة ومنه ما ورد في أقوال كثير  
ونصيب والصمة القشيري الذي قيل إنه هاجر  
إلى طبرستان حزنا على حرماته من حيثته  
وهو بصود حنينه إلى معاهد حبه في عينيه  
المعروفة التي يقول فيها غامطاً نفسه :

حنفت إلى ربا ونفسك باعدت  
مزارك من ربا وشعبا كما معا

فقد انقطع عبد الرحمن بن أوطاة إلى الوليد  
ابن عثمان بن عفان وانقطع نابغة بن شيان إلى  
عبد الملك بن مروان وهما خصمه ابن الزبير  
وانقطع الأختل ونصيب إلى مدح بني أمية  
حتى كان سليمان بن عبد الملك يفضل على  
الفردق ولزم الحكم بن عبد الأسد بشر  
ابن مروان وكانت قلة من الشعراء تخلص  
للأمويين ومنهم السيد الحصري وقد غالى في  
ذم السلف تعصبا لم حتى تخرج الرواة من  
رواية شعره .

فإذا تركنا الشعر السياسى أمكن أن ندرك  
مقدار ما طرأ على المجتمع العربى من التبدل  
الاجتماعى في العصر الأموى فقد نشأت طبقة  
من أبناء الأعيان وخاصة في مدن الحجاز ،  
توفرت لهم وسائل الحياة الناعمة وبسرت لهم  
مكائهم الاجتماعية الانقطاع عن العمل  
فانصرف الشعراء منهم إلى وصف مغامراتهم  
اللامية . وكان رائد هؤلاء عمر بن أبي ربيعة  
ومنهم ابن أبي حقيق وهو من سلالة أبي بكر  
الصديق والمريجي وهو من سلالة عثمان بن  
عفان ، والأحوص وهو من سلالة عاصم بن  
ثابت بن الألقح . فكانوا يتعرضون لزوجات  
الأمراء والأعيان ويناتهم ويذكرونهن في  
شعرهم وأذاعوا ذلك الشعر عن طريق الغناء  
وما كان أكثر المغنين عند ذلك من رجال  
ونساء . وبما يلاحظ أن هؤلاء الشعراء

قله شعورهم بالولاء له ، فابن ميادة مثلاً كان  
ابن جارية بربرية أو صقلية وكان الحطية  
مطمونا في نسبه .

وقد ظهر شعور الانفصال عن الحياة  
العربية في صورة أخرى وهي بدء الانقسام  
إلى العجم والمفاخرة بذلك الانقسام ، قال  
ابن ميادة في بعض شعره :

أليس غلام بين كسرى وظالم  
بأكرم من نيطت عليه المهائم  
وقال إسماعيل بن يسار - وهو مولى قارص -

إنما سمى الفوارس بالفرس  
مضاهاة رفعة الأنساب  
أتركى الفخر يا أمام علينا

وأتركى الجور وانطقى بالصواب  
واسألى إن جهلت هنا وعنكم  
كيف كنا في سالف الاحقاب

إذ نرى بناتنا وتدسون  
سفاهنا بناتكم في الزراب  
ومما يذكر هنا أن ابن يسار هذا سبق

إلى نوع جديد من الغزل المكشوف بإبراز  
قصص دنيئة إلى الفناء ، ومن أمثلة ذلك  
قصيدته التى يصف فيها هجرته على بيت امرأة  
منزوجة وقضاء ليلة معها ويقول فى آخرها :

حتى إذا الليل بدا ضوءه  
وغابت الجوزاء والمزود  
خرجت والوطء غنى كما  
ينساب من مكنه الأرقم

فما حسن أن تأتى الأمر طائفاً  
وتجزع أن داعى الصباية أسما  
وقد سما بعض هذا الشعر بالحب إلى مرتبة  
فوق مرتبة الجسد وجعله أقرب إلى روحانية  
المتصوفة مثل قول الشاعر :

وإني لأستحييك حتى كأنما  
على بظهر الغيب منك وقيب  
هل أتنا حين نستعرض شعر الغزل الأموى

حامة سواء منه ما قاله أبناء الأعيان في  
مغامراتهم اللامية أو ما قاله سوام نستطيع  
أن نلح أثر الإسلام في تطهير ذلك الشعر  
والحيلولة بينه وبين الإسفاف ، وإن كان  
بعض أهل ذلك العصر قد أنكر بعضه .

وعما يقال فى هذا الموضع إن يزيد بن معاوية  
غضب على الشاعر أوى دهل حين قال فى أخته  
حانكة بنت معاوية أبياتاً منها قوله :

وهى زهراء مثل لؤلؤة الفواص  
وميزت من لؤلؤ مكنون  
فبعد أن أباه الحكيم لم يوافق على غضبه

ولم يجد فى ذلك الشعر ما يبنى لأحد أن  
يغضب منه وهناك ظاهرة أخرى جديدة  
ظهرت لأول مرة فى الشعر العربى وهى انجاء  
قلة من الشعراء إلى الارتفاق بالهجاء لا  
بالمدح ، مثل ابن ميادة والحطية ، ويمكن  
تعليل هذا بأن الظروف الجديدة أدت إلى  
انفصال بعض طوائف المجتمع عنه وسيبت

استطاعوا أن يقوضوا دولة بني أمية ويقيموا بدلها دولة بني العباس وكل من المنتظر أن يتم الانصهار بينهم وبين العرب ويتكون من الجميع أمة عربية واحدة أساسها مثل الإسلام في الحرية والمساواة ، ولكن ظروفها كثيرة لا محل لذكرها هنا حالت دون هذا الانصهار . فاستمرت العناصر المختلفة في الأمة تعيش جنباً إلى جنب وهي شاعرة بتبزيها . وكانت خيبة أمل الموالي عقب انتصارهم وإقامتهم للدولة العباسية سبباً في شعورهم بالانفصال عن المجتمع الذي يعيشون فيه . وكان لذلك للشعور أثر كبير في اتجاه الشعراء نحاول أن نقتبسه في إنتاج ثلاثة من كبار شعراء هذا العصر وهم بشار بن برد وأبو العتاهية وأبو نواس ، وهم جميعاً من الموالي . كان بشار مولى إذ كان أبوه مولى لإحدى سيدات بني عقيل وكانت أمه بغير شك غير عربية وكان أبوه عاملاً فقيراً وهو قد ولد أمي ، وكل هذه عوامل تؤدي إلى الانواء النفسي والشعور بالنقص والانصراف عن المجتمع ، ولكن بشاراً بشاً كما قال في حجود ثمانين من شيوخ فصحاء بني عقيل فكانت لغته عربية فصيحة عالمة ، ودروس العلم في حلقات كبار العلماء والمفكرين ولكنه لم يستقر على مذهب غير الشك ، وكان من الطبيعي أن يبدأ حياته الشعرية بالهجا . وصرح بأن ذلك وسيله إلى شق طريقه في مجتمع

فكان هذا الشعر من أشد ما قيل في هذا العصر جرأة على المخادوم ، وما يجب أن نذكره هنا أن الخمر لم ترد إلا قليلاً في شعر هذا العصر إذا استثنينا الأخطل وأبا ذبيد وعبد الرحمن بن أرمطة .

فالشعر العربي كما يبدو من هذا الاستعراض الجميل يبين ما طرأ على المجتمع العربي من طوارئ أحدثت ثلثاً في وحدته الكاملة وأدت إلى شيء من الانقسام بين بعض الأفراد ومجتمعهم . ولكنه مع ذلك يدل على أنه بقي متصلاً بالحياة إلى حد بعيد متأثراً بها مؤثراً فيها محتفظاً بالولاء له وإن كان بعضه ولاء متشككاً متذبذباً . وقلنا نجد في هذا العصر من الشعراء من تبدو على شعرهم دلائل الثورة أو الحقد على المجتمع أو الانصراف عنه والانطواء في أنفسهم شعوراً منهم بأنهم غير شاعرين بالانتباه إليه .

ولا نملك إلا أن نقول إن مكانة الشاعر في العصر الأموي قد هبطت هبوطاً ملحوظاً عن مكانته الاجتماعية في العصر الجاهلي ، فقد أصبح الكثير منهم تابعاً مرتزقاً من سادته لا صديقاً مالياً لقومه .

أما العصر العباسي الأول فقد شهد في الشعر تطوراً أبعد بكثير عما شهدته العصر الأموي ، وذلك لأن المجتمع العربي شهد انقلاباً من أشد الانقلابات التي نظراً على حياة الأمم . فقد أصبح الموالي فيه قوة خطيرة إلى حد أنهم

وغلًا فيه غلوا شديدا ، أو هو سلك سلك  
عبد الرحمن بن أوطاة وزاد فيه مفالة إلى  
درجة الإفاش ، واخذ لنفسه مجلسا سماه  
البردان وكان النساء يحضرون إليه ولا شك  
في أن أكثر من كن من الجوارى ، حتى لقع  
هال ذلك كثيرا من المتحفظين من رجال  
العلم والأدب ، ولكنهم كانوا يخشون هجاء  
المقذع فاستعانوا عليه بالخليفة المهدي الذي  
نهى عن مسلكه ، وكان مذهبه في الحياة قائما  
على الشك ويبدو ذلك واضحا في شعره فمن  
ذلك قوله :

طبع على ما في غير غير

هوأي ولو خبرت كنت المهذبا  
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد  
وقصر على أن أقال المنيبا  
فأصرف من قصدي وعلى مقصر

وأسمى وما أعقبت إلا التنبيا  
وكان في حياته الخاصة على ما يبدو لا يرعى  
حدا من حدود الأخلاق الإسلامية وما يدل  
على مذهبه الإباحي قوله :

من راقب الناس لم يظفر بجاجة

وفاز بالطيبات التفاتك الهج  
فهو يسخر من القضاء ويسخر من القيم  
الاجتماعية ويذكرنا بمن يدعون أنهم يتبعون  
مذهب الوجودية .

وكان يصف عصره بأنه دهر اللثام : ويظهر

أجني حته ، واستمر في حياته يضر ثورة  
عنيفة على ذلك المجتمع فلما أعلن إبراهيم  
ابن عبد الله بن حسن العلوي ثورته على  
أبي جعفر المنصور صارح بالانضمام إليه  
وبعث إليه بقصيدة يهاجم فيها أبا جعفر  
ويطالبه قاتلا :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم

وما سالم عما قليل يسالم  
غير أن هذه الثورة أخفقت وقبض على  
إبراهيم وقتل ، فطشع بشار وبادر إلى تغيير  
قصيده وجعل مطلعها مهنوما على أبي مسلم  
الحراساني الذي قضى عليه أبو جعفر فقال :

أبا مسلم ما طول عيش بدائم .

وفي هذه القصيدة ينطلق بشار مع ثورته  
مع إبراهيم العلوي فيقول متحمسا :

وخل الهوي الضعيف ولا تكن

تثوما فإن الحزم ليس بنائم  
وما خير كف أمك الغل أخها

وما خير سيف لم يؤبد بقاتم  
وحارب إذا لم تصط إلا ظلامة

شبا الحرب خير من قبول المظالم  
إلى آخر ما قال فيها ، وهي تظهر قوة  
شعوره لتأثر على القولة وعلى النظام القائم  
عندها .

وظهرت ثورته في نواح أخرى غير السياسة  
فقد سلك سلك ابن أبي ربيعة في الغزل

ضيقه به وتبرمه منه ، وظهرت ثورته كذلك في ثورته على العرب وعلى قيسهم ، كما تدل عليه أخباره وبعض أشعاره .

ولا شك أن هذا الروح الثائر الجريء هو الذي حرك عليه خصومه حتى أوقعوا به عند الخليفة المهدي الذي أخذه كما قيل بتهمة الزندقة وأمر بقتله أو بإعدامه ، وقيل إن الخليفة نفسه لم ينج من لسانه فغضب إليه شعر فيه تحريض شديد عليه وهو قوله :

بني أمية هبوا طال نومكم

كما نسب إليه شعراً آخر فيه سب شنيع له ووطن مقنع عليه . فشر بشار مثال على ما يكون عليه موضوع الشعر حين يحدث الانقسام بين الشاعر وبين المجتمع الذي يعيش فيه .

والشاعر الثاني هو أبو العتاهية . وهو مثل بشار من أبناء الموالي ، وقد نهل المصاحبة من مواليه في بادية الكوفة ، غير أنه لم يكن في مثل جرأة بشار ، فلم يستطع أن يحقق طريقته في المجتمع بالهجاء ، بل اتجه إلى أن يظهر التواضع حتى لقد قيل إنه اشتغل بالهجمة لإظهار تواضعه ، وقد نهل من العلم قدراً ولكنه لم يتخذ لنفسه مذهباً إذا لم يجد من نفسه القدرة على الدفاع عن مذهب يعتقده ، فأتجه إلى شعر الزهد وجمعه وسيله للاعتياز والظهور في المجتمع .

وكان يتوخى السهولة في ذلك الشعر ليكون أسير بين العامة وماتزال بعض أشعاره تجري إلى اليوم على الألسنة وقليل من الناس من يعرف أنها لأبي العتاهية ، مثل قوله :

إن الفراخ والقباب والجدة

مفسدة المسرة أى مفسدة

وقوله :

في سبيل الله أقتنا

كلنا بالموت مرتين

كل حى عند ميتته

حظه من ماله الكفن

وقوله :

وكانت في حياتك لي حظات

وأنت اليوم أوهظ منك حيا

ومن أقواله في الهجاء :

وما نصنع بالسيف

إذا لم تكن قتالا

نصنع ما كنت حليبا

س به سيفك خلخالا

ومنه في الشكوى .

حتى إذا انقلب الزمان

على حرت مع الزمان

وفي الغزل :

يا من رأى قبلى قبلا بكى

من شدة الوجد على الفاتل

ومنه في التصوف والزهد :

والخش هو بيت الخلائ طبعا .  
 وبما يدل على بأسه من المجتمع :  
 لبس لمن ليست له حيلة  
 موجودة خير من الصبر  
 فأخط مع الدهر إذا ما خطا  
 واجر مع الدهر كما يجرى  
 من سابق الدهر كبا كيرة  
 لم يستقلها آخر الدهر .  
 ويدور أن نظره المشائمة بالحياة وما فيها  
 وقسوته في الحكم على عصره مما السرفي  
 انصرافه إلى شعر الزهد . فهو من هذه الناحية  
 منفصل عن مجتمعه ثائر عليه وإن كانت ثورته  
 من نوع آخر غير ثورة معاصره بشار ،  
 فهي ثورة حققد ولكنها مقرونة بالمحروب .  
 والثالث من شعراء هذا العصر أبو نواس ،  
 وهو مولى كصاحبيه . وكان منذ طفولته  
 وحيدا إذ خلفه أبوه طفلا ، وكانت أمه على  
 ما قيل ترتزق من حياة غير شريفة صرفتها  
 عن رعايته ، فوزع وقته منذ صغره بين  
 التماس الرزق الضئيل لنفسه وبين الاختلاف  
 إلى مجالس العلم والأدب في المسجد والجامع  
 بالبصرة وهي من أكبر مراكز العلم والأدب  
 في عصره ، وتصادفت به ظروف حياته  
 القاسية وهو وحيد من العائل والحامى  
 والعاطف ، فطرحته هذه الظروف إلى  
 الكوفة ، وكانت مركزا للحياة ذائخة مثل

يا حبا كيف يعمى الإله  
 أم كيف يصمده الجهاد  
 وفي كل شيء له آية  
 تدل على أنه الواحد .  
 ولكنه كان في قرارة نفسه ثائرا على  
 الحياة والمجتمع . قيل إن أحد الناس سأله  
 ماذا ينقش على خاتمه فأجاب : أكتب لعنة  
 الله على الناس .

وقال :

برمت بالناس وأخلاقهم  
 فصرت أستاذ بالوحيدة  
 ما أكثر الناس لعمرى وما  
 أظلم في حاصل المسئلة .  
 ومن قوله :

قدفت في الدنيا فليس بها  
 أحد أراه لآخر حاب  
 حتى حكان الناس كلهم  
 قد أفرغوا في قالب واحد  
 وقوله :

فأضرب بطرفك حيث شئت  
 فلن ترى إلا بئسلا  
 وقوله :

يا أتن من حش  
 على حش إذا تأما  
 أرى قوما يتهمون  
 حشوشا وزقوا جاما



البصرة ، وكان ما زال في سن الشباب ، فأتى  
نصه في محيط مانح من دفعات الغرائز ومن  
تيارات الأفكار المضادة والعقائد الاجتماعية  
المتصارعة ، وكان لا يستطيع بالطبع أن يجد  
منفذاً إلى طبقة من الناس غير أمثاله  
من الموالى الذين لا يحدون من تقاليد طبقتهم  
ما يحول بينهم وبين اقتحام الحدود التي  
يتجنب أصحاب المروءة اقتحامها ، وقد نزع  
حيناً إلى البادية فعاش بين فصحاء بني أسد  
كما عاشر بشار بين فصحاء بني عقيل .

وكان عاش أبو النعمانية بين فصحاء بادية  
الكوفة ثم نزع إلى بغداد فواجه الحياة  
المضطربة فيها كما يواجه الحيوان الصغير  
الوحيد مخاطر الغابة ، متحدياً دائماً متحفزاً  
للافتاع من وجوده في كل لحظة ولم يجد لنفسه  
الطموح فرصة تحقق له ما يرضى طموحه  
فامتثلت بالحنية ، ولم يجد متنفساً لطموحه  
إلا في مجتمع صغير من أمثاله ، رفهوا عن  
نفوسهم التي امتلأت بظهور الحنية بالناس  
الفسيان الذي تبعته الخراب في الإنارة التي  
تبعثها نفوسها فيهم فكانت ثورتهم على  
مقدمات المجتمع تشعرم بشيء من  
وضئ التشنج .

واضطلع في حياته هذه ثائراً حائقاً على كل  
ما يتصل بالمجتمع من دين وعرف ، بل لقد  
شملت ثورته كل ما غلب في تحقيقه من

الاحتمنان إلى الحب أو إلى العدل ، وتمثلت  
ثورته في اندفاع وحش إلى كل ما يحرمه  
المجتمع ، وفي سخرية لازعة قاسية منه ومن  
قيمه ومثله ، فسخر من الحب ومسخه مسخاً  
يدل على عمق الحوة التي دفعه إليها بأسه من  
الحياة ، وكان يياح في شعره بما يندفع إليه  
من الجروح والقسوة ويجد في هذه المباشرة  
ارتياحاً كالحا يشبه ارتياح الشمس في مصاب  
غيره ، وهو يقول في تعبيره عن هذا الشعور  
هند ما أوقع الأذى بأحد أصحابه :

فقلت ما ضرت به صاحباً  
والقلب متى جامع قاس  
لا خير في اللذات ما لم يكن  
صاحبها منكشف الرأس  
ولست أريد أن أجادل في قيمة شعره  
من ناحيته الفنية فهذا خارج عن حدود هذا  
الحديث الذي أتناول فيه الموضوع في الشعر ،  
غير أنني أجده من الضروري أن أشير إلى  
ظاهرة واحدة تميز أسلوبه فهو لا يكاد يتكرر  
معنى ونكاد صوره تكون محصورة في  
عدد قليل من المعاني يكررها ويلبسها  
أثواباً باشتى .

فهو مثلاً يكثر من تشبيه الخراب بالنار أو  
النور ويكثر من تشبيه الحب بالجوهر من  
لؤلؤ ودر وفضة ،  
ومثل أمثلة هذا أقواله الآتية :

وأشال هذه كثيرة تكاد لا تحصى منها  
قطعة من خرياته .

ومن استعارته النار أو النور لوصف  
الخر قوله :

كأن شعاع الشمس بلفاك درها  
تري لها إلى الشرف الأعلى شعاعا مطنيا

تلتهب الكف من تلها  
وتصر العين أن تقصاعا

كأن نارا بها محرقة  
بهاها نارة ونفشاها

فلو مزجت بها نورا لمازجها  
حتى تولد أنوارا وأضواء

وهو يصف الخمر بالقدم ، ويكرر هذا  
المعنى كذلك تكرر لا ينبغي أن أطيل

بعد هذا في إيراد الأمثلة عليه . ومن هذا  
يظهر أن صوره لم تكن أصيلة ولا غريبة

النبيج فالصفة الأصيلة في أبي نواس هي أنه  
كان ثائرا على مجتمعه وكانت ثورته عليه تشمل

في تحدى مقدساته ومثله ونظمه .  
وكان أحيانا يجر بما يدل حراحة على

الثورة المنطوية في أعماقه فمن ذلك قوله :  
سأبنى القنن لما تديم خليفة

يقوم سواء أو يخيف سيل  
بكل قنن لا يستطار جناه

إذا نوه الزحان باسم قتيل

فاخر يافوثة والباس لؤلؤة :

كأن صفري وكبرى من فراقها  
حبيباء دد على أرض من الذهب

فإذا علاها الماء ألبسها  
حيا كتل جلاجل الجمل

ثم شمت فادارت  
فوقها طوقا قدارا

كأقراص الدد بالدر  
صفارا وكبارا

شمت فمالت فوقها حيا  
مزامضا كمراصف النظم

ثم شمت فادارت  
فوقها مثل العيون

حقا ترونو إلينا  
لم تحجر بجهنم

ذعبا يثمر دأ  
كل إبان وحين

إذا شهما الساق بماء وأينها  
مكلة الأعلى بطوق جمان

حتى إذا مزجت بالماء واختلطت  
سأك المزاج لما من لؤلؤ فلكا

إذا ما علاها الماء خلعت حباها  
تفارق در في جوانبها شتى

فإذا الماء شهما خلعت فيها  
لؤلؤا فوق لؤلؤ مسلوكا

فلأنتقل بعد هذا إلى فرض تقييدتين هما  
علاقة وثيقة بثقافتنا العربية في عصرنا الحاضر:  
النتيجة الأولى هي أن تراثنا الثقافي يشتمل  
على هذا الإنتاج الأدبي الذي انحدر إلينا  
من عصر بعد عصر، متزايداً على مر الزمن  
حتى صار اليوم خزاناً ضخماً تجمعت فيه روافد  
شأن الألوان والأنواع مما يمشى به الصور  
المنعقدة التي مرت بها الأمة العربية في أدوار  
حياتها الماضية، منها عصر الجاهلية الذي ساد  
الانسجام بين الفرد ومجتمعه ومنها العصر  
الإسلامي الأموي الذي بدأت عوامل الحياة  
الجديدة تطرأ عليه وأهمها بدء امتزاج العرب  
بغيرهم من الشعوب، ثم العصر العباسي  
الأول الذي اجتمعت فيه أخطاط شأن من  
شعوب لم يتح لها بعد أن تنصهر في أمة  
واحدة جديدة متجانسة، ثم أخذت هذه  
العناصر المختلفة تنصهر معاً على توالي القرون  
وراجعت معاً أحياناً ضعيفة ومفامرات  
قاسية، خرجت منها أمة هرية حديثة صارت  
تزداد انصهاراً وامتزاجاً على مر عدة مئات  
من السنين حتى انتهت إلى هذا العصر الحاضر  
وقد تم انصهارها معاً أو كاد، وأصبحت أمة  
هربية موحدة الوعي والشعور موحدة المثل  
العليا والقيم إلى حد كبير.

فإذا أردنا أن نفرض تراثنا الأدبي على  
ناشئة هذه الأمة الجديدة كان جذراً بنا أن

ليخص مال الله من كل قاهر  
وذي بطة للطيأت أكل  
لم تر أن المال هون على التقي

وليس جواد معدم كخبيل  
من هذا الاستعراض للموضوع الشعري  
في المصور الثلاثة التي مر بها يمكن أن أقول  
إلى انتقال من تعبير صادق يميزه الولاء للمجتمع  
في العصر الجاهلي إلى تعبير مختلف الوجهة  
في العصر الأموي وانتهى في العصر العباسي  
الأول إلى تعبير فردي تميزه الثورة على  
المجتمع، ومن الممكن أن نميز بين طرفي هذا  
التطور في موضوع الشعر العربي بما يميز به  
علاء النفس بين الظواهر النفسية للأفراد

إذ يصنفون بعضهم بالانطلاق Extrovert  
وبعضهم بعضاً آخر بالانطواء Introvert  
فالشاعر الجاهلي كان مطلقاً يعيش في  
المجتمع ومعه وينظر إلى شخصه من خلال  
نظرة إلى الحياة ويعبر عن انفعاله بما حوله  
تعبيراً يسوده الولاء لمجتمعه سواء كان راحياً  
عنه أو ساعطاً عليه على حين كان الشاعر في  
العصر العباسي الأول أقرب ما يكون إلى  
وصف الانطواء، إذا كان ينظر إلى الحياة  
من خلال شخصه فلا ينقل إلا طوعاً لمشاعره  
الخاصة وانجماها النفسية التي يميزها الانقسام  
عن المجتمع، فهو لا يضمحل للمجتمع ولأهل  
يضمحل له الحق والثورة والسخرية المرة القاسية.

والنتيجة الثانية التي أود أن أعرضها تصل  
بنقد الأدب ونقاده وهذا ما حققت هذا  
الحديث من أجله قصداً . فنحن اليوم كما  
قدمت أمة عربية حديثة موحدة الوحي  
والمشاعرومن الطبيعي أن يشعر الفرد منا اليوم  
بالولاء الكامل لمجتمعه سواء في حال رضاه عنه  
أو سخطه عن بعض ما فيه ، غير أننا في الوقت  
عينه نعيش وسط عالم إنساني أصبح قريباً منا  
سهل الاتصال بنا ولا نستطيع أن نباعد  
بيننا وبينه سواء أردنا ذلك أو لم نرده .

وأمم العالم تتفاوت في ظروفها وقد يكون  
منها أمم استقرت فيها الحياة على الولاء الكامل  
بين الفرد ومجتمعه ومنها أمم أخرى قد نكون  
في مرحلة زعزعة وبلبلة تعرض لظاهرة  
الانفصام بين الأفراد ومجتمعهم . وهناك  
ما يدل دلالة واضحة على أن بعض اتجاهات  
الأدب في بعض الأمم نشبه اتجاه الأدب في  
العصر العباسي الأول من ناحية ثورته  
وخروجه على مثل المجتمع وقيمه ومن حيث  
احتقار أدبائها لتلك المثل والقيم .

والأسباب التي تجعلنا نطلب التحرر في  
اختيار ما يناسب حياتنا الحاضرة من تراثنا  
الأدبي تجعلنا نطلب من النقد والنقاد أن  
يتحرروا كذلك في اختيار مذاهبهم النقدية  
فلا يقبلون مذاهب النقد الأدبي التي ترد إلينا  
من الأمم التي أصاب الانفصام بمجتمعها ، فإن

نذكر أنه تراث مختلف الأنماط ينبعث من  
شقي الانفعالات في العصور المتوالية وأن  
حياتنا الحاضرة لا يلائمها إلا أن يكون أدبها  
متعبداً بالولاء الكامل للمجتمع فالتراث  
الأدبي في مجموعه وإن كان جديراً بأن يتوفر  
عليه الدارسون المتخصصون ، فإن الثقافة  
العامة للأجيال الناشئة تتطلب أشد التحرر  
في اختيار ما يعرض منه على الناشئة عما يلائم  
حياتهم الاجتماعية الحاضرة والمنسوبة في  
نهضتنا الحديثة .

وقد أدركت أجيال سابقة من الأمة العربية  
ضرورة التحرر في اختيارها لما يعرض على  
طلاب الثقافة من تراثها ، فعدد كبار أدبائها  
إلى إعداد المختارات الملائمة التي تعزز المثل  
الغليظة والقيم التي ينبغي للناشئة أن يتعلموا بها  
ومن هذه المختارات حماسية أبي تمام وحماسة  
البحرني وغيرهما .

فإن الواجب أن يهتم المشرفون على تثقيف  
الأجيال الناشئة في وقتنا هذا بإعداد المختارات  
الأدبية الجامعة لروائع الشعر العربي بخاصة  
وأولئك يهتموا بنشر روائع الأدب العربي  
والأجنبي بصفة عامة مع التحرر أن يكون  
هذا كله بما يلائم روح هذا العصر الذي عادت  
فيه الوحدة إلى الأمة العربية بعد انفصام  
عناصرها معاً وصار من الطبيعي أن يكون  
التضامن أو التجارب كاملاً بين الفرد والمجتمع

محط الولي العاطف المتصامن لا بحرية الناشر المنعزل الكاره المتحدى .

أما الأديب الذي لا يأبه إلى غير مجتمعه ولا يمتد بقيمه ولا يمشط العليا ويرحم أنه يعيش لنفسه وأنه ينصرف إلى فنه من أجل الفن وحده ولا يعني ما يتول إليه أمر المجتمع فلا يهمه أن يبنى مناسكا ويزيد صلاحا أو أن يضرب أمره ويضمحل شأنه ، فإن المعنى الحقيقي لموقفه من مجتمعه هو أنه ثائر عليه ويقصد إلى حدمه وهذا ما أقصده حين أقول إن مثل هذا الأديب ينطبق عليه وصف الاضطرابي الساخر الخائض الذي لا ينطوي على ولاه لمجتمعه .

وهناك أمثلة لهذا الصنف من الأدباء في أمم العالم الأخرى عن بدأبون على إثارة الغرائز الهوجاء البدائية التي لا تلائم المجتمعات في وقت نهضتها بل تطلق فيها حين تدركها الشيخوخة الحضرية وتقرب بها إلى الفناء ، وهناك من هذا الصنف من الأدباء من يدهون إلى التحلل من الحدود والقيود التي تعارف عليها المجتمع صيانة لكيانه من الانهيار فيزيفون لأنفسهم بعض المذاهب الفلسفية كالوجودية وهم لا يدرون ما هو ذلك المذهب الذي يزيقونه لأنفسهم كما فعل غيرهم من قبل حين زيفوا مذهب أبيقور الفلسفي وصرفوا معناه إلى التماس اللذات ( البقية على صفحة ٧٠ )

تلك المذاهب تتعارض ومرحلة الحياة التي نحياها في هذا العصر .

وقد بينا في أول هذا المقال أن مذهب النقد القائم على شعار « الفن للفن » ليس له معنى في الحقيقة إلا أن يتحلل الأديب من كل اعتبار اجتماعي ، فلا يلزم بأن يكون الإنتاج متصفا بالولاء للمجتمع سواء كان راضيا عنه أو متعرضا لنقده ، ولا يلزم بأن يكون الإنتاج مسيرا للثل العليا التي يؤمن المجتمع بها أو يكفر بها ولا يهمه في شيء أن يكون الإنتاج حافدا على المجتمع مادام له أو داعرا ما جئنا يسخر من مقدساته ويتهك حرمانه مادام يحقق غاية واحدة وهي خضوعه لشعار « الفن للفن » .

إن الأسلوب الفني مفترض في كل إنتاج أدبي ، فأم ما ينبغي أن ينظر إليه في النقد بعد تحقق الأسلوب الفني هو « الموضوع » ومقداره ما ينطوي عليه من ولاه للمجتمع واتصال نفس طائف به .

وليس معنى ذلك أن يكون الإنتاج راضيا عن كل ما في المجتمع بل قد يكون متصفا بالولاء الكامل له مع تقده وإبداء السخط على بعض مظاهره ، ففي هذه الحالة يكون نقد الأديب لمجتمعه نابعا من رغبته في تسديده وتوجيهه إلى وجهة أفضل ، فيكون محطه

# السَّبْعَةُ الْأَحْرُفُ

التي أنزل عليها القرآن

للإمام محمد بن محمد الشراوى

- ٢ -

فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى أتيت إلى سبعة أحرف ، أقول : هذا الحديث لم يصرح بسأعه من الرسول . وقال ابن حجر فيه : « لعله سمعه من أبي ابن كعب ، والحديث مشهور عن أبي رافع كما في مسلم : « كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل رجل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فأمرهما النبي صلى الله عليه وسلم فقرأا ، لحسن النبي شأنهما ، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيتي .. ضرب في صدري ، ففضض هرقا . وكأنما أنظر إلى الله عز وجل قرأ .. فقال : يا أبي .. أرسل إلي « أن اقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه : أن هوّن على أمي ، فرد إلى الثانية : اقرأ على حرفين ، فردت إليه :

مهما يكن الاختلاف في صور كلمات القرآن الكريم فهي لم تخرج في مجموعها عن لغات القبائل السبع من مضر ، وعلى هذا يتخرج قول عمر : إن القرآن نزل بلغة مضر .. ونرى أن هذا أول من القول المنسوب لابن عباس من أنه نزل بلغة خمس من قبائل هوازن وتسمى عليا هوازن وبلغتين لسائر العرب . . ذلك لأن ابن عباس الذي نسب إليه هذا قد نسب إليه رأى آخر وهو أن القرآن نزل بلغة الكميين : كعب قريش ، كعب خزاعة ، قيل وكيف كان ذلك قال : لأن الدار واحدة ، يعني أن خزاعة كانوا جيران قريش فبهلت عليهم لغاتهم .. وبهذا ظهر التردد واضحا في هذا الرأي .. وذلك بالإضافة إلى أن ابن عباس رضي الله عنه يعتبر في حديث الأحرف السبعة ناقلا عن سمع عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا سامعا منه عليه الصلاة والسلام وحديثه الذي أخرجه الشيخان عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أقرأني جبريل على حرف ..

سوى خمسة لأن أكثرها غير مختار ، وقد أوصلها البعض إلى أربعين ، ولاداعي للإفاضة في تعدادها ، وتفصيل ما بها ، لأنها متشابهة ، ومعتمة ، وغيرها محتمل ، ولذا قال المرمى : لا أدرى مستقدا ، ولا عن خلف ، ومنها أشياء لا أهمها على الحقيقة ، وأكثرها معارضة لحديث عمرو هشام الذي في الصحيح ، ، ولقد وقع الاختلاف في قراءات القرآن بين أكثر من اثنين من الصحابة : فمن ذلك ما بين عمرو وهشام ، وما بين أبي وابن مسعود والاول في الفرقان ، والثاني في سورة النحل ، ومن ذلك ما وقع بين عمرو بن العاص وصحابي آخر .. وترجع أسباب هذا الاضطراب .. بين الاحطاب في جعلها .. إلى عامل تمنصت عنه طبيعة الظروف التي عاشتها الدعوة الإسلامية وحتمية الاطوار التي مرت بها .. وذلك هو انعدام عنصر التجميع لهذه القراءات في مقام واحد ، أو مقال جلع ، إذا كان التشريع يسائر احتياجات الناس في كل باءة نسخ ، أو فرصة تواتر ، .. الامر الذي جعل من المتعذر على عمرو وهو من ألقى الناس بالرسول - أن يتعرف ما يكون قد طرأ على ما قد كان من أوجه القراءة . بحيث استنكر قراءة هشام حين سمعها منه ولم يكن قد سمعها من الرسول بعد .. في الوقت الذي

أن هو تن على أمي ، فرد إلى الثالثة : اقرأ على سبعة أحرف .. فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألها ، فقلت : اللهم اغفر لأمي ، اللهم اغفر لأمي . وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلق كلهم حتى إبراهيم .

فابن عباس رضي الله عنه - نظراً لحدائث سنة وقت لترخيص بالقراءة - قد وجع العلماء أنه ناقل لاسامع ، ومن هذه الرواية نجد أن عمرو من حيث إنه سامع لا ناقل أبداً في معرض الاستدلال حين يحدد قراءات القرآن بقبائل مضر - ولذا قلنا إن الأحرف السبعة هي على تصدها لا تخرج عن تلك القبائل التي هي أفصح من نطق بالصاد .

وكما روى هذا الحديث عن أبي بن كعب روى مثله عن عمرو بن الخطاب ، وهشام ابن حكيم ، وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي بكر ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وعمرو بن أبي سلمة ، وأبي الجهم . وأبي طلحة الانصاري ، وأم أيوب الانصارية حتى هذه البعض من المتواتر وقد بلغ الخلاف في هذه الأحرف السبعة مبلغاً كبيراً حتى أوصلها القرطبي فيما نقل عن ابن جابر إلى خمسة وثلاثين قولاً وإن كان لم يذكر منها القرطبي .

وانتساب كل حرف إلى صحابي على حدة إنما يعني أنه كان أصبغ له وأقرأ به حتى عرف منه ، وأخذ منه ، فهي إضاعة اختيار في إطار الاتباع ، وليست إضاعة اختراع في مجال الابتداع .

ومهما تنوعت ألفاظ القرآن فهي لم تخرج في جملتها عن أمرين : إما اختلاف اللفظ مع اتفاق المعنى ، وذلك كالصوف والعين ، وإما اختلاف الأمرين معاً مع التوافق في المفهوم المشترك مثل : قال رب ، وقل رب . أما الاختلاف في صفة النطق كالتخفيف والإمالة ونحوها فهو ليس من نوع اختلاف الألفاظ والمعاني .. بل هو اختلاف في الوصف لا يخرج اللفظ عن وحدته ، وقد ظل ابن الجزرى مستشكلاً حديث الأحرف السبعة .. كلفاً بفهمه هل وجهه نيفاً وثلاثين سنة حتى رأى أن الله تعالى قد فتح عليه بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله ، وذلك أنه تجمع القراءات صحيحها ، وشاذها ، ضعیفها ومنكرها ، فلم يجد لها تدويصة أضرب على النحو الآتي :

أولاً : اختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو : يحسب بفتح السين وكسرها . ثانياً : اختلاف في الحركات مع تغيير في المعنى دون الصورة : نحو : أكر بعد أمة بالتشديد ، وأمة بالتخفيف وهو النسيان .

سبقه بملها من صحت الحاجة إلى التسجيل بعله .. قال ابن حجر : « كان سبب اختلاف حمز وعشام في القراءة أن حمز حفظ هذه السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قديماً .. ثم لم يسمع ما نزل فيها بعد ذلك .. لأن هشاماً كان من مسلمة الفتح .. فكان النبي أقرأه على ما نزل أخيراً فنشأ اختلافهما من ذلك .. » وحقيقة اختلاف الأحرف السبعة كما نقل عن ابن الجزرى : أنه اختلاف تنوع وتغاير . لا اختلاف تضاد وتناقض .. فهذا محال في كلام الله تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » . وكل ما صح عن النبي من ذلك وجب قبوله .. إذ كل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية ، ومن كفر بحرف قرآني تواتر ثبوته فقد كفر بالقرآن كله ، كما أشار إلى ذلك ابن مسعود ، وكما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله لأحد المختلفين في القراءة : « أحسنت ، وللآخر : « أصبت ، ، وثالث : « هكذا أزلت » .

وهذا يفترق خلاف القراء مع خلاف اللفظاء ، فالأول كله نطقي وحق لأنه من عند الله يقيين ، والثاني كله ظني لأنه نتيجة أعمال الرأي ، وإيمان الروية ، فكل مذهب فقهي بالنسبة لصنوه صواب يحتمل الخطأ .. في حين أن كل قراءة بالنسبة إلى صاحبها صواب قطع به .



أرجل وخفضها ، والأولى توجب غسل الرجلين ، والثانية توجب المسح ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن المسح للابس الخلف ، والغسل لغيره ، وإما لتفسير كلمة على خلاف ما يظهر منها : « فامضوا إلى ذكر الله » فقد بينت أن المراد من قراءة « فامضوا » ليس السير السريع ، وإما لتوضيح المراد بما قد لا يعرف مثل : « كالصوف المنفوش » بالنسبة إلى « الصوف المنفوش » ومنها ما يتخذونه أهل الحق برهانا يصحون به من عدم مثل « ملكا كبيرا » بكسر اللام ، وهو من أعظم الأدلة على وثبة الله تعالى في الدار الآخرة ونحو ذلك .

وتمت مسألة جديرة بالنظر في هذا المقام وهي : هل مصحف عثمان الإمام الذي تداوله اليوم يشتمل على الأحرف السبعة كلا أو بعضا ... ونحن إذا ضربنا صفحا من الخلاف الذي وقع حول تلك المسألة وما أكثره . نرى أن الذي ارتضاه المحققون مما يمتثل مع روح الدليل هو ما قرره السيوطي في الإتيان بقوله : « ذهب جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين إلى أن المصاحف التي بالأصناف مشتملة من الأحرف السبعة على ما يتفق مع رسم المصحف العثماني وما يحتمله رسمه ، وأن هذا المصحف جمع المرحمة الأخيرة التي مرخصها

ثالثا : اختلاف في الحروف مع تغير المعنى دون الصورة نحو : تبار ، تلو .  
رابعا : اختلاف في الحروف مع تغير الصورة دون المعنى نحو : الصراط والسرط .  
خامسا : اختلاف في الحروف مع تغير المعنى والصورة نحو : يأ تل : يتأل بتشديد اللام .  
سادسا : اختلاف بالتقديم والتأخير نحو : وجاءت سكرة الموت بالحق ، وجاءت سكرة الحق بالموت

سابعا : اختلاف بالزيادة والنقصان : نحو أوصى ، ووصى . وقد حاول الرازي مثل تلك المحاولة في المعجم والاستنباط كما حاول ابن قتيبة .

ولم تخل تلك الخلافات التي انطلوت عليها الأحرف السبعة من حكم بالغة : فهي إما لبيان حكم يجمع عليه مثل « وله أخ أو أخوة » من أم ، في قراءة سعد بن أبي وقاص فإنها توضح المولد من الإخوة وأنهم لأم وهو محل اتفاق وإما لترجيح حكم يختلف فيه كقراءة أو تحرير رقبة مؤمنة ، في كفارة اليمين وفيها ترجيح دليل من اشترط الإيمان في الرقبة ، وإما لتجميع حكيم متخالفين في العمل نحو « حتى يطهرن » بتخفيف الطاء وتشديدها حيث أقادت وجوب الجمع بين انقطاع الدم والغسل أو مدة الغسل عند حل الاستمتاع بالمرأة ، وإما لبيان حكيم متخالفين نحو « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم » بنصب

النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي قبض فيه ولم يترك منها حرفاً واحداً ، قال ابن الجوزي : « وهذا هو الذي يظهر صوابه وهو المتفق على إزاله المقطوع به المكتوب بأمر النبي صلى الله عليه وسلم كما وقع في المصحف المكي : « تجري من تحتها الأنهار » في آخر برادة ، وفي غير هذا المصحف بدون من ، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من هذه رايات ثابتة في بعضها دون البعض ، وكذا عدة هاءات ، وعدة لامات ونحو ذلك ، وهو محمول على أنه نزل بالأسرين معاً ، وأمر النبي شخصين بكتابتها ، أو أعلم شخصاً واحداً مرتين وأمره بإثباتها ، وهذا يقوى ما سبق أن حققه ابن الجوزي من أن أساس جمع المصحف شيثن : العرضة الأخيرة ، وما صح بما لم يفسخ ولو لم يرد بالعرضة الأخيرة . ومن هنا نشأ خلاف المصاحف ، وأما ما حدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو عما كان قد جاوز توسعة على الناس في أول الأمر ... قلنا آل الحال إلى أن قال بعضهم لبعض : قرا في خير من قراءتك ، وأشار بعض ذوي الفطنة على عثمان بضرورة تلافى الشر قبل استفعالها اختار الصحابة بجماعة عثمان الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته ، وتركوا الباقي . قال الطبري : وصار هذا

الاقتصار كمن اقتصر على خصة واحدة من خصال الواجب الخير ، لأن أمرهم بالقراءة على الأوجه المذكورة لم يكن على سبيل الإيجاب ... بل على سبيل الرخصة بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فاقروا ما تيسر منه » ووافق الطبري جماعة منهم ابن عمار في شرح الهداية حيث قال : « أصح ما عليه الخذاق أن الذي يقرأ به الآن بعض الحروف السبعة المأذون في قراءتها لا كلها ، وضابطه ما وافق رسم المصحف ، فأما ما خالفه مثل : أن تبغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج ومثل : « إذا جاء فتح الله والنصره فهي من تلك القراءات التي تركت ، وعلى هذا تكون القراءات السبع المشهورة جزءاً من الأحرف السبعة ... لا أنها الأحرف السبعة ، وكذا غيرها من سائر القراءات . وقال البغوي : « المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العروضات على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر عثمان بفسخه في المصاحف وجمع الناس عليه ، وأحرق ما سوى ذلك قطعاً لمائة الخلاف ... فصار ما يخالف رسم المصحف في حكم المنسوخ كسائر ما نسخ ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ إلى ما هو خارج عن الرسم . » فالحق : أن القرآن الذي بأيدينا اليوم هو من جمع عثمان ، وأنه توزع فيه الأحرف

السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الأحاديث الشريفة . . وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة . .

وأول من جمع القراءات السبع المعروفة هو أبو بكر بن مجاهد في المائة الرابعة من الهجرة ، وقد كان السبب في نشوء هذا الاشتباه أن الناس سمعوا حديثاً أنزل القرآن على سبعة أحرف ، . . وسمعوا أيضاً معه القراءات السبع . . فأشكل عليهم الأمر ، وخلطوا بين قراءات سبع ، وأحرف سبعة ، وظنوا أنها سواء . . وإذا كره كثير من المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء ، وخطئوه في ذلك ، ورأوا أن الصواب إما النقص عن هذا العدد . . أو الزيادة عليه ليزول الالتباس ، من أقدام الناس . . قال الإمام أبو العباس المهدوي : . . فأما اقتصار أهل الأمصار في الأغلب على نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ماسر وطاهر وحمة والكسائي فقد ذهب إليه بعض المتأخرين اختصاراً واختياراً ، لجملة عامة الناس كالغرض المحتوم . . حتى إذا سمع ما يخالفها . . حكم بالخطأ والكفر . . وربما كان ما يخالفها أظهر وأشهر ، ولقد فعل مسبع السبعة ما لا ينبغي له أن يفعله ، وأشكل على العامة حتى جهلوا ، وليته إذا اقتصر . . تنصير عن السبعة أو زاد ليزيل هذه الشبهة . .

السبعة . . بمعنى أن بعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة أسد ، وهكذا . . ولا تساعدنا النقول التي بأيدينا على تحديد كل بعض من هذه الألفاظ ، وأن الأحرف السبعة لا يوجد منها في ذلك المصحف إلا ما يحتمله الرسم فقط وهو ما يتفق مع آخر عرضة لقرآن على جبريل عليه السلام ، وما سوى ذلك فقد أجمع الصحابة على تركه ، ولا يترتب على تركه عطلور . . لأنها قراءات اختيارية بحسب أصلها . . قال ابن جرير : . . إن القراءة على الأحرف السبعة لم تكن أمراً واجباً . . بل كانت جائزاً . . فلما رأى الصحابة أن الأمة تفرق وتختلف إذا لم يجمعوا على حرف واحد . . اجتمعوا على ذلك إجماعاً شاملاً . . وم معصومون من الاجتماع على ضلالة ، ولا شك أن القرآن نسخ منه في العرضة الأخيرة ، فانفق رأى الصحابة على أن يكتبوا ما عتقوا أنه قرآن مستقر في العرضة الأخيرة ، وتركوا ما سوى ذلك .

وبما نجد الإشارة إليه : أن مفهوم الأحرف السبعة شيء ، ومفهوم القراءات السبع التي يترجم بها القراء اليوم شيء آخر . . ذلك لأن القراء الذين تنسب إليهم هذه القراءات لم يكونوا قد خلقوا زمن الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن . . قال أبو شامة : . . وظن قوم أن القراءات

اقتصروا على ما يوافق خط المصحف بما يسهل حفظه ، وتنضبط قراءته ، فنظروا إلى من اشتهر بالثقة والأمانة وطول العمر ، في ملازمة القراءة ، ثم اتفقوا على الأخذ عنه ، وأفردوا لكل مصر إماما واحدا .

وقد اقتصر ابن جبير على خمس قراءات لأن مصاحف عثمان إلى الأمصار كانت خمسة ، ويقال إن عثمان وجه إلى البحرين مصحفا سادسا ، وإلى اليمن سابعا ، ولكن لم يسمع لهذين المصحفين الآخرين خبر ، وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف فاستبدل من غير البحرين واليمن قارئين ليكمل بهما العدد ، فتصادف توافق عند القراءات مع عدد الأحرف ، فظن من لم يعرف أصل المسألة أنهما سواء ، وليس الأمر كما ظنه . . وتعتمد القراءات السبع في ثبوتها على دعائم ثلاث : ما صح سنده في السماع . . وما استقام على العربية وجهه . . وما وافق خط المصحف . . ومتى فقد شرط من ذلك فهو الشاذ . كما نقل عن الكواشي .

وأول من جمع القراءات كلها في كتاب : أبو عبيدة بن سلام وجعلهم خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة .

وأول من اقتصر على هؤلاء السبعة ابن مجاهد ثم تسابع المؤلفون حتى بلغ عدد القراء في كتبهم أكثر من سبعين من هو أعلى رتبة ،

وقد سئل ابن عيينة عن الاختلاف بين المراقبين والمدنيين في القراءة : هل هو الأحرف السبعة ؟ قال : لا ، إنما الأحرف السبعة مثل : هم وتعال وأقبل . . أي ذلك قلت أجزأك ، وقال ابن وهب مثله .

وقال ابن العربي : ليست هذه السبعة متعينة للجواز بحيث لا يجوز غيرها . . بل هناك غيرها ما هو مثلها أو قوتها كقراءة أبي جعفر وشيبة والاعمش ونحوهم . . والسبب في اختلاف القراءات السبع المشهورة . . على ما ذكره ابن أبي هاشم : أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها عدد من الصحابة ، وكانت المصاحف بلا نقط ولا شكل ، فأخذ أهل كل جهة يتلقون القرآن من الصحابة الذين بساحتهم بشرط موافقة الخط ، وتركوا ما يخالف الخط امتثالاً لأمر عثمان ومن معه ، واحتياطاً للقرآن ، فمن ثم . . نشأ الاختلاف بين قراء الأمصار مع كونهم على بعض من الأحرف السبعة .

وقد تعددت القراءات إلى ما وراء السبع والمشر وأوصلها أبو حاتم إلى ما فوق عشرين وجلا لكل منهم قراءة ، واقتصر أبو عبيدة على خمسة عشر ، وزادها الطبري إلى اثنين وعشرين . . بيد أن الانقضاء على السبعة له ما يبرره . فمن ذلك ما قاله مكي : إن الرواة كانوا كثيرين جدا ، فلما تقاصرت المهم . .

أنزل عليها القرآن ليست موجودة الآن بالوضع الذي كانت عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأن عثمان اكتفى بما جمع منها في المصحف الإمام ، وأحرق ما سوى ذلك ، وصار ما عداه في حكم المنسوخ ، وأن الموجود بالمصحف الذي بأيدينا هو خليط من هذه الأحرف السبعة من غير تحديد لكل بعض على حدة ، وأن الأحرف السبعة هي كلمات متنوعة مترادفة تعبر عن معنى الكلمة الواحدة وأن هذه الكلمات المتنوعة قد تكون في لغة واحدة ، وقد تكون في لغات مختلفة ، وأن السبب في شرعيتها هو إرادة التيسير والتسهيل على الأمة وأن عثمان استهدف من الاختصار على بعض الأحرف السبعة إخماد وميض الفتنة الذي هددا الأمة الواحدة بالتصدع والانحيار . ومن أمثلة هذه المترادفات : انظرونا أمهلونا آخرونا أرقبونا ، تعال . . . لم أقبل فامضوا إلى ذكر الله ، فامضوا إلى ذكر الله . والكلمات التي تصل مترادفات في القرآن إلى سبعة قليلة جدا .

وأن الشارع الحكيم اقتصر على سبع قراءات للكلمة الواحدة لعله أن الكلمة من القرآن لا يزيد عدد مترادفات عن ذلك بحسب أفصح اللغات . . . أو غالبا .

محمد محمد الشرقاوي

المدرس بمعهد الإسكندرية الديني

وأجل قدرا من هؤلاء السبعة ، وقد ترك البعض ذكر بعض هؤلاء السبعة ، فأهل أبو حاتم ذكر حمزة والكسائي وابن عامر ، وزاد نحو العشرين من م فوق ذلك ، وكذلك فعل الطبري ، وزاد نحو خمسة عشر ، فكيف يظن ظان بمد ذلك أن هؤلاء السبعة المتأخرين هم أصحاب الأحرف السبعة المنصوص عليها . . . هذا تخلف عظيم . . . أكان ذلك بنص نبوي ؟ . . . أم كيف كان ذلك ؟ على حد تعبير أبو محمد مكي . . . وكيف يكون ذلك . . . والكسائي إنما الحق بالسبعة في أيام المأمون ، وكان السابع في ترتبه السبعة : يعقوب الحضرمي . . ثم جله ابن مجاهد سنة ثمانمائة فأثبت الكسائي في موضع يعقوب ، وقال ابن تيمية : لا نزاع في أن الأحرف السبعة ليست هي القراءات السبعة ، وأول من جمعها ابن مجاهد ليوافق عدد الأحرف . . . لا لاعتقاده أنها هي . . . أو أنه لا يجوز أن يقرأ بغيرها ، وكذلك ليست هذه القراءات السبع هي مجموع حرف واحد من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن الكريم . . .

هذا . . . وأصح القراءات السبع المشهورة من جهة السند : قراءتا فافع وطاصم ، وأصحها قراءتا أبي عمرو والكسائي .

وبعد :

فما تقدم يتبين أن : الأحرف السبعة التي

## نقد وصال :

الموازنة في التاريخ الإسلامى  
للأستاذ محمد رجب البيومى

ارتقت قنون الكتابة التاريخية في عصرنا الحديث ارتقاء حميدا فأصبحنا نرى التاريخ الإسلامى يقدم فى أنماط مختلفة ، ويفسر تفسيراً منهجياً على ضوء ما استحدث من المذاهب الأدبية والنفسية والاجتماعية ، حتى إنك لتقرأ الموضوع الواحد لنفس من الكتاب ، فتجد من اختلاف النظر ، وتنوع المنهج ، وتميز الأسلوب ما يكون موضع عجبك وإعجابك ، فنجد أهل ابن خلدون طريقته التحليلية فمعرفة العلل والأسباب ، وأنصال النتائج بالمقدمات ، وملء الصفحات المتصلة بما يروحى به منطق الأشياء ، وتعليه ظروف المكان والزمان ، وكتابة التاريخ تحيد قليلاً قليلاً عن النسق التقليدى فى الرواية والإسناد ، وسرد الحوادث فى فطاق السنين والأيام دون نقد حصيب لرواية مدخولة ، أو وقوف دقيق عند تناقص مضطرب لإفهام تدور عند القليل من المتعمقين ، حتى جاء العصر الحديث بأسلوبه المبهج ، ومنطقه القوي ، وتعليه العلمى ، فأوجد فى الحقل التاريخى زرعاً ناضر اللون شهى التمر متحدد الأفانين ، والموازنة بين الوقائع والأشخاص فى كتابة

التاريخ ميدان فسيح يجذب إليه أفلام الكائنين ، فترى الحادثة القديمة تفرن بالحادثة الطارئة ، فى نسق دقيق تتضح معه العلل والنتائج ، وترجع كمة عن كفة أو تتساوى الكفتان فى موضع واحد من الملامة أو الإطار ، وقد تغفل الموازنة إلى الأبطال فترى التقليد والطواف من هؤلاء على بساط النقد فى مستوى عادل دقيق ، والفارى بلا شك ظافر بالمائدة الجزيلة تمنع بما يقرأ من التمليل والترجيح ، فيسير مع الكاتب فى أفقه المتسع ، يصدان ما يفد من أسباب الارتقاء والمهبوط أو ينجم من حلل الانحراف والاعتدال ، وفلك لمة فكرية هنية يحرص عليها من يقدر معدنها الأصيل .

غير أن هذه الموازنة الممتعة ، تتعرض فى بعض الأحيان إلى تباينات خفية تجعل من الصعب الشاق على الكاتب أن يصيب مقطع الحق فيما يقول . ومرد ذلك إلى الإعجاب الخفى أو الواضح ببطل معين تتضاد بإزاته محاسن سواء ، فؤرخه يفسر الأشياء بما يرضى هذا الإعجاب الواضح لديه ، وقد يكون غافلاً عن حقيقة إعجابه اللاشعورى ، حين يميل على

عن البطل العظيم نور الدين محمود زكى قاهر الصليبيين .

وقبل كل شيء أعلن الدكتور الفاضل أنى أشاركه الإعجاب المطلق بهذه الشخصية المثالية ، وأحد كل ما ذكره عن فضائلها الباهرة حقاً لا مرية فيه . وأذكر بادئ ذي بدء أنى كتبت مقالين كبيرين عن نور الدين منذ سنوات قلت فى أحدهما :

« إن نور الدين يلتقى بعلى بن أبى طالب فى أبرز صفاته وأخلص معادته ، فإذا كان تقديم الحق وحده دون النظر إلى مضمون سياسى أو ظفر حزى هو مبدأ أمير المؤمنين الورع الزاهد فإن هذا التقديم العظيم للحق وحده دون اعتبار لسواء كان مبدأ نور الدين طالما اصطدم الرجلان بأهواء المفسرين ونزوات الوصليين وكان فى بعض التيارات على حساب الحق ما يجمع المتفرق ويملئ الشبهة ويطنى الثورات ، ولكن المثل الأعلى يصبح فى أذى البطلين الكريمين أن قدسا الحق وحده ولا تحملا بغنية بمقبا وخز الضمير وتعب البال ، وبالله من نداء مؤمن صادق يرتفع عن الرغبات والأهواء ، وإن عاد على سامعه بكثير من العنف والإرهاق . »

بل أزيد على ذلك فأزعم أنى أنصفه نور الدين من الدكتور نفسه فقد ذكر فى معرض حديثه عنه أنه لم يكن : « بالجندي الماهر ولا بالسياسى الضليع وإنما كان المؤمن الذى يغنيه الإيمان الصادق عن

الطرف الثانى بالملاحة والمواخنة ، وذلك مرحلة شائكة تدهو إلى التريك الوئيد حتى يتبين الكاتب حقيقة نفسه بالمعاودة والتحليل ، وفيما بلى شاهد قوى الدليل :

لقد ظهرت المكتبة التاريخية أندلسية وشرقية بكثير من مؤلفات المورخ الموهوب الأستاذ الدكتور حسين مؤنس ، وأشهد لقد انتفعت كثيرا بأبحاثه الممتعة وآرائه الصائبة ، وما زلت أرجع إلى آثاره التاريخية فى نشوة صاعدة ، وحين أعالقه الرأى متافى بعض ما اعترضنى من أبحاثه النفسية لا أزعج لنفسى حق التوجيه والتنصيص فأنا دون الكاتب اطلاعا ونفاذا وقوة حدس ، ولكن أحرص وجهة نظر متواضعة قد تكون مقبولة فتصحح وضعا غلطنا وقد تكون مرفوضة فتحتاج إلى تصحيح .

لقد قرأت كتابه القوى « من قصص النبالة » ، قرأت ما لا مزيد عليه من الروعة والنساعة والأتزان ولكن بعض الفصول تمنع إلى الموازنة بين شخص وشخص ، فأراها من وجهة نظرى المخطئة تشتت كثيراً فى التهم على من لا يستحق غير التأيد فى أكثر الأحيان والتبرير فى أقلها فأقع فى حيرة مربكة حين أرى الإعجاب اللاشعورى لدى الكاتب يغلو ويحتد حتى يحور على أناس معتدلين ، وسأضرب المثل بما كتبه الدكتور

غدرأ بهمد أو تمحرشا بغير خصم أفليكونا في  
جلالها السامق سياسيين مثاليين في دنيا  
الاطماع .

وإذن فكانة نور الدين لدى أقوى من  
مكانته لدى الدكتور ١١ ولكن موضوع  
هذا المقال لا يقف عند ذلك بل يشبه إلى  
تصحيح ما ذكره المؤلف - في معرض  
الموازنة - عن حماد الدين ذنكي والد  
نور الدين من ناحية وعن صلاح الدين  
الأيوبي خليفة نور الدين من ناحية ثانية ،  
فقد أجحف بالرجلين بعض الإجحاف ،  
ولم يلب تصحيح وإنصاف .

قال الدكتور - في معرض بحثه عن  
نور الدين - « لم يكن نور الدين كآبيه  
حماد الدين ذنكي ينشد ملكا بأى ثمن ،  
ولا يتردد في مصالحة الصليبيين والمضى معهم  
إلى حيث يريدون ، ولا يحفل بوضع يده  
في يد مسلم أو نصراني ما دام الأمر ينتهى  
بانساع ملكه أو زيادة موارده » .

وقال الدكتور مؤنس عن صلاح الدين  
في هذا البحث عينه ، قد كان صلاح الدين  
لا يكاد يتشم ربح خطر من ناحية إلا تغيرت  
نفسه ، وغاضت فيها عيون الحلم والصبر  
وكانت مشاريعه ومطالبه متعددة لا تنتهى  
فكانت حاجته للنال لا تنتهى أيضا وكان  
عماله وجباة من أقصى خلق الله على الناس  
ما مريبلد ناجر إلا قسم الجباة ظهروا ،

مهارة القيادة وحذكة السياسة ، وهذا كلام  
يحتاج إلى تصحيح ولعل قاربع الحق حين  
قلت مختصا في تنفيذه .

« إن تقديس مبادئ الإسلام سياسة  
رفيعة عالية ، يصعب على كثير من الناس أن  
يتمسكوا بها فيما يأخذون ويدعون من الأمور  
وبمز عليهم في الوقت نفسه أن يعترفوا  
بتقصير تأكد ملامته ، ويتحقق عيبه ،  
فيحاولون أن يمحوا من تهاونهم الناقص  
كياسة حاذقة توجهها الظروف ، وتفرضها  
الملايات ، ثم يتجهون بأبصارهم إلى أناس  
لا يعرفون التهاون في الحق ، فيرون بعد  
ما بين الفريقين من خلاف في الهدف والغاية  
والطريقة . وإذ ذاك ينحون باللائمة على من  
يستمعون الحق فيتبعون أحسنه ولو رجعوا  
إلى مختارهم في لحظة مؤمنة بصيرة لا تكشف  
النطاء عن خداعهم الزائف وهرفوا أن  
أصحاب المثل أناس لا تنقصهم السياسة  
والكياسة والمراتب ، ولكنها سياسة  
القرآن وحده يؤكد بها الإيمان أفكان في  
في تريته وحصافته وفقهه وبصره غير سياسي  
أفكان نور الدين في تساعه وإيقاته بهمه  
وصدق وحده غير سياسي ١١ لا يا هؤلاء ١١  
إنهما سياسيان عظيمان ألها مبادئ خالدة  
لا تطرق إليها رغبة جاعة ولا تشين نقاءها  
نزوة هوجاء ١ هما سياسيان محكان يلتزمان  
سياسة القرآن ، وكياسة الإسلام فلا يعرفان



لا تهيئة في الرها وأنطاكية وبيت المقدس وطرابلس بعد أن جرت خيولهم في أنهار الدماء إلى صدورهم وضاع في معركة بيت المقدس أكثر من سبعين ألف شهيد من المسلمين !! وقد هيات الأقدار حماد الدين زنكي أمير الموصل للتعرض بهذا العبء الجسمي ، وكان وافر الكياسة دقيق الإدارة واسع الحيلة قسم على توحيد الإمارات العربية تحت قيادته فضم إلى الموصل معظم بلاد الجزيرة ثم عبر الفرات واستولى على حلب وكشعر من بلاد الشام واستطاع أن يقف وجهاً لوجه أمام الفرنجة ، وثقل عليهم بخيله ورجله وتبهم في الدروب والأزقة فاستجدوا مذعورين بملك القسطنطينية ، ثم هجم على الرها فاستردها ، وبدأ المسلمون يشعرون بقوتهم على يديه وأشرقت بوارق الأمل في نفوسهم خلف قيادته ، على حين ذهرو الصليبيون وأيقنوا أن ما خدعهم به الكنيسة من أطراد النصر ، وتماقب الفوز سراب مغرور في صحراء سامية يشتعل بها الحجير ...

فهاد الدين لم يكن يشهد ملكاً بأى ثمن ، ولكنه كان يجمع الصفوف خلف قيادته كيلا يطمئه طاعن من خلفه ، وفي ذلك من بُعد النظر ، وعمق الفراسة ما يسجل بالإعجاب ، وحين هادن الصليبيين في بعض المآزق كان يماطلهم بدعائه ليضع أمامه

وما يست على إنسان علامة من علامات اليسار إلا أنذر بمذاب من رجال السلطان ، وكان الفلاحون والضمفان معه في جهد ما أينسه في حقولهم ثمرة إلا تلقفها الجبابة ، ولا بدت سنبلة قح إلا استقرت في خزان السلطان حتى أملق الناس في أيامه وخلفهم على أبواب مدن ومجاعات حصدت الناس حصداً ،

هذا كلام الدكتور عن البطالين الكبارين ، ولولا الإعجاب المتدفق بنور الدين ما جاز هكذا على أبيه حماد وتلميذه صلاح في مجال الموازنة والتزجيج ، وسنعرض لها بإيجاز محدد ، لتعرف موضع الجور الأليم فيما سبق من الكلام !!

لقد دحفت جيوش الصليبيين على الشرق الإسلامي في وقت حبيب فإمارات الشام تخضع للنظام الإقطاعي الذي ينفرد فيه كل حاكم بولاية صغيرة لا تملك جيشاً أو تدخر قوة ، وأسراء الدول الصغيرة في تنابد يحول دون التضام والائتحاد ، والخلافة المباسية يفتدادها حجة ضعيفة لا تملك أن تدفع عن نفسها الشر ، وقد استصرخت ولاذ بها اللاتذون فقطعوا شعورهم وبكوا دون طائل ، والدولة الفاطمية بحصر متجهة إلى مكابذ القصر ، ودسائس الوزراء ، والانشقاق الداخلي بين الخليفة ورؤساء الجيش !!

وبهذا التخاذل المنحل في ممالك الإسلام استطاع الصليبيون أن يؤسسوا أربع إمارات

حين راحوا يلقون أساطير موهومة عن حيل السلطان في اصطياد الجواهر والحل من اليهود والنصارى بنوح خاص ! أما ما ذكره مؤرخو العرب ، ومنصفو الأوربيين عن شجاعة وحناء صلاح الدين وكرمه فبيد كل البعد عن هذه الأراجيف ! ! ولولا ما أسميه عبادة البطل الواحد ، في مجال الموازنة التاريخية لافضت في ذكر ما نسبته الدكتور المؤرخ من البدائث الدائمة ، والأمثال السائرة مما تنسوقل عن شهامة صلاح الدين وأريجته ، وما أظن أحداً ممن يتصدر لتسجيل أعمال السلطان ينسى أنه أخذ من مال الفداء يوم القدس مائتي ألف دينار ، وعشرين ألفاً فوقها ، ففرقها على العلماء والمجاهدين والفقراء ، وأطلق كثيراً من ضغفاء الصليبيين دون فداء كما أعطى من جواهرهم وحليهم فلم يمرض لها بمصادرة مما لا فقلته يصدر عن أرق رجل مهذب في القرن العشرين ، وقد خرجت ابنة الملك مرى تحمل صلبانها الذهبية ، وحليها المتوجهة المغرية . وم أحمابه بها لخال بشامة السادرة دون ما يتفقون ، بل إن طريق القدس جمع أموال البيع والكنائس في صناديق منظمة وأخبر بها صلاح الدين فتركها له ، وقال في أريجته مثالية لا يجوز أن نقتصمه في ثروته بعد بلجمته في أحلامه الدبقية ! ! فليت شعري

الوقت لتجتمع فالوثوب ، وكانت ظروفه في ذلك غير ظروف ولله نور الدين إذ أنه صاحب الصيحة الأولى في التجمع والاستعداد ولولا جهوده الشاقة في ضم الشمل ، ومطاردة المخرضين ، ما ترك لولاه هذا التراث المسكين قد يكون الدكتور صادقاً إذ يقول إن نور الدين أزعج في الجاه والرياسة من أبيه فهذا ما لا يحسد به جاحد ! ولكنه يجهل على الحقيقة حين يذكر أنه كان يمشي مع الصليبيين إلى حيث يريدون ! وإذن ففسيم السلاح والعتاد والحرب والصيال ! وكيف قطف أولى ثمرات النجاح وهياً طريقه الواضحة لنور الدين ثم لصلاح ! ! إن مثل عماد مع خلفه كثل أسرة أرادت أن تثنى حديقة فيحاء في أرض ذات صخور وأشواك وآكام فقام عميدها الكبير بإزاحة الأشواك ونسوية الطريق وشق الجدارل وتنمية البذور ثم واقاه أجله فاستأقت قومه الفرس والبسر ونهدهوا الودح بالرى والقسميد حتى تهرعت الأفنان وتهلكت الثمار ! ! فهو مشكور ما جود دون نزاع فكيف نتمته بالوصولية المغرقة دون برهان ! !

هذا عماد ! فإذا كان من أمر صلاح ! ! يحيل إلى أن الدكتور مؤنس قد اعتمد فيما ادعاه على ما كتبه غلاة المخرضين من مؤرخي الفرنجة وما وسعه خيال قصاصهم

المسيحية لغير هذا الكاتب المنصف ، لضاق بنا القول ، دع ما تفيض به الروايات الإسلامية من باهر المزاي ورائع الخيال ولا تريد أن تنقل هنا ما يحله أسدقاء الرجل من عالطوه وصادقوه كإن شداد وغيره كيلا نظن بهم بعض المبالغات في رأى من يتشددون في الرضى والقبول بل إننا سنقتل عن رحلة ابن جبير ما شهد به نفسه من كرم السلطان وسعائه ، وهو بعد عن لم يتصدقوا كتابة تاريخ السلطان على وجه يتم منه التحيد ، وإنما هو جابر سليل طاف وقتا ما بمصر فرأى وشاهد ثم سجل طباعا ، بعد أن فارق البلاد دون أدنى تأثير من حاكم ، أو ذلى إلى كبير . ولم يكن الرجل مؤرخا رسمياً بدفعه الإعجاب بالبطولة إلى التزيد ، وإنما كان وصافا يفيض بمخالجه دون أن يجب لنفسه مكان المسجل العلى ، فاعتذرت كتابته طابع الصدق الساذج والوصف الأمين ، وكان مما قاله :

ومن مناقب هذا البلد ومفاخره المائدة في الحقيقة إلى سلطانه : المدارس والمحارس الموضوعة فيه لأهل الطب والتمدد ينفدون من الأقطار الثانية فيأتى كل واحد منهم مسكنا يأوى إليه ، ومدرساً يعلّم الفن الذى يريد تعلمه ، وإجراء يقوم به في جميع أحواله

أ يكون السلطان بعد ذلك لا يترك إنسانا من المسلمين يبدو عليه علامات البوار إلا أنذره بالويل والعذاب !! لتأمل ما سطره الدكتور المسلم ولتقرئه بما ذكره مسيحي أوروبى وهو صاحب كتاب « تاريخ المؤرخين » : إذ يقول ما ترجمته نقلا عن كتاب الدكتور أحمد البيل في صلاح الدين « ولقد كان من شدة كرمه أن عماله كانوا ينكرون عليه المال ، حتى إذا جاءت ساعة الحاجة أخرجوا إليه ما يريد ، وهذا من كثرة بذله وعطائه ، وكان من عادته أنه إذا استولى على مقاطعة من المقاطعات نشر أعلام كرمه وسعائه على أتباعه ، وسكان الجهة فلك بذلك رقابهم ، ولما استولى على دمشق لم يأخذ لنفسه شيئا من خزائنها ، بل وزع ما وجد على الأعمالي وكان يحترم كل من في خدمته ويعاملهم معاملة لينة فإذا وقع من أحدهم ما يسيئه كتبه ولم يظهره ، أما مجلسه فكان طاهراً لا يحضر فرد أن يقول سوا في جواره ، ولم ير يتبا إلا انحركت فيه عاطفة الشفقة والرحمان عليه ، وكان فوق هذا محبا لأولاده وأمله ، وكثيرا ما شارك أطفاله لعبهم ، وكان يحب المعدل ويعاقب كل من عالف أحكامه ، فكان يجلس للظالم بنفسه مرتين في الأسبوع لغنى والفقير في حله وترحاله وفي سفره ومقامه . ولو شئنا أن ننقل كثيرا من النصوص

وانحراف ، وقد تكون الموازنة الأدبية بين نص ونص أو نص أو نص من الموازنة التاريخية بين إنسان وإنسان . لأن الموازنة الأدبية في النصوص الفنية تعرض الأثرين الأدبيين أمام القارئ المُنصف أولاً ، وسيكون له رأي فيما يقرأ من أسلوب وما يسجل من حكم ، أما الموازنة التاريخية بين إنسان وإنسان فترجع إلى ما كونه الموازن في نفسه من أحكام عن الشخصيتين دون أن يسره الوقائع الكثيرة لصاحبها ١١ لذلك كانت الدقة البالغة من أزم القواعد في هذا المجال ، وإلا نشز وجه الحق فيما يقال . هذه خواطر مخصصة أقدمها لصادقنا المؤرخين واجباً أن تجدد من الصدر الواسع ما يدفع إلى الانهماك بها تأييداً أو تنقيداً فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وقد يكون من المفيد أن أعلن لقراءى الكرام أنني اقتضت في هذه المعجالة الطارئة بما سبق أن نشرته من بحوث مختلفة بمجلات الأزهر ومنبر الإسلام والحج السوديّة عن الأبطال الثلاثة عماد ونور وصلاح فإذا وجدوا بعض التكرار فيما سوت فعذري الواضح أن طبيعة المقال قد اقتضت أن أراجع إلى آثارى العلمية قبل أن أراجع إلى آثار الناس .

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

وانسع اعتناء السلطان بولاء الغرباء الطائرين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك ، ونصب لهم مدارساً لعلاج من مرض منهم ووكّل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم ، وتحت أيديهم خدام يأمرهم بالنظر في مصالحهم التي يثيرون بها من علاج وغذاء ، وينهون للأطباء أحوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم ومن أشرف هذه المقاصد أن السلطان عين لأبناء السبيل من المغاربة خبزتين لكل إنسان في كل يوم بالغاً ما بلغوا ونصب لتفريق ذلك كل يوم إنساناً أميناً من قبله فقد ينتهى في اليوم إلى التي خبزة أو أزيد بحسب القلة والكثرة وهكذا دائماً ... أما أهل بلده ففي نهاية من الترفيه واتساع الأحوال لا يلزمهم وظيف البتة ١٢ .

فإذا صاننا نقول في هذا التسجيل العرضي الذي لم يتعمد سوى النقل للفوتوغرافي لما كان دون احتفال بإطراء ، أو اعتناء بتمجيد إن ما سطره الدكتور عن البطالين الكبارين في معرض حديثه عن نور الدين يدفعنا إلى الحسدر المفرط عند الموازنة الشخصية بين إنسان وإنسان ، وإذا كان في هذه الموازنة ما يفسح وجهات النظر ، ويجعل خواص الحقائق . ويفصح مجال التحليل والتأمل فإن في الانحياز الحق ما يجعل منها أداة إحياء

# الإسلام في تشاد

## للاتحاد عطي صفت

ومن أشهر المدن أبشه Abéché العاصمة الدينية للبلاد الواقعة على طريق فوافل الحاج، والتي تعد سوقا كبيرة لمنتجات دارفور في السودان وروادى، ومن المدن الهامة أيضا: فورت أرشامبول Fort Archambault، مار Mao، فايا Faya.

وجو الإقليم شديد الحرارة في الصيف دافئ في الشتاء، وتسقط الأمطار بخرارة في الجنوب، ويشغل معظم الأهالى بالزراعة والرعى وتربية الماشية وتجارة الجمود والحاصلات الأخرى.

ويبلغ عدد السكان ١٧٤٠٠٠ ر ١٧٤٠٠٠ نسمة ينتمون إلى عدة قبائل منها:

البودوما Boudouma ويكترون في الجمات الشمالية والوسطى من البحيرة، وم مسلون يتكلمون لغة أهل و كانم، المجاورين لهم. والكورى Kouri ويكترون شرق الأرخيل، التيبو Tibu ويكترون أيضا في الشمال، وم دعة إبل مسلون يتحملون العطش كثيرا ولهم سريمة كما يكترون أيضا في وسط الإقليم. ويوجد في إقليم كانم

بين خطى عرض ٨، ٢٢ شمالى خط الاستواء، وخطى طول ١٣، ٢٤ شرق جرينتش، وفي قلب القارة الإفريقية، يقع إقليم هو أم الأقاليم الأربعة، التي تتكون منها إفريقيا الاستوائية، الواقعة تحت الحكم الفرنسى منذ أكثر من خمسين عاما، ذلك هو إقليم تشاد Tchad الذى يحده من الشرق جمهورية السودان ومن الغرب نيجيريا والكامرون، ومن الشمال ليبيا وحدود المغرب العربى، ومن الجنوب إقليم أوبانجى شادى أحد أقاليم إفريقيا الاستوائية.

وتبلغ مساحة هذا الإقليم ١٢٨٤٠٠٠ كم. وينقسم إلى تسع مقاطعات، يمثل ثلاث منها الإقليم الجنوبى، الذى يمتاز بكثافة السكان وكثرة المزارع والمراعى، والسبع الباقية تمثل الإقليم الشمالى الذى تكثر صحاريه وبقل سكانه، ويفصل بينهما في أغلب الأماكن نهر شادى أكبر الأنهار الجارية في هذا الإقليم.

وعاصمة تشاد هي فورت لامى Fort Lamy الواقعة على نهر شادى قريبا من الدلتا،

وهم يخشون أن يزحف الإسلام من الشمال على الجنوب ويرقبون حركة الانتقال بين الإقليمين بحذر . ولا يرتاحون للأكثرية الإسلامية الموجودة في العاصمة ، فمن بين سكانها البالغين ٥٣ ألفاً يوجد ٥٠ ألفاً من المسلمين ، يكون العرب منهم أكبر نسبة .

وقد دخل الإسلام إلى هذا الإقليم منذ القرن الحادى عشر وذلك من طريقتين : السودان والحجاز ومصر من الشرق ، وبلاد المغرب من الجهة الغربية ، وكان زحف الإسلام إلى هذه البلاد زحفاً سليماً هادئاً فقد جاء إليها المسلمون مهاجرين أو تجاراً لا يغيرون وراء ذلك شيئاً ، حتى إذا ثبتت أقدامهم في البلاد ، وكثر الداخلون في الإسلام ، أقاموا بمالك منظمة كان لها أثرها في نشر الدعوة الدينية في المناطق المجاورة من إفريقية الوسطى والغربية ، وأهم هذه الممالك : مملكة « كانم » في الشمال الشرقى من البحيرة التي قامت فيها أسرة سيف

Self نحو ألف عام ( ٨٠٠ - ١٨٠٠ م ) وظلت على وثقيتها حتى دخلها الإسلام في أواخر القرن الحادى عشر في عهد « درجو برى » .

وازدهرت المملكة في أوائل القرن الثالث عشر الذى بلغت فيه قوة الجيش ٣٠ ألف فارس ، وامتدت أطرافها حتى شملت بلاداً كثيرة ، ومنذ أواسط القرن

ووادى عرب رحل وعرب « بقارة » وبعض التيو ، وكثير من السكان القدامى مثل : التاما والمون والأرنجا ، كما توجد قبائل الماسا والموجو وسارا والبولالا .

والمسلمون يمثلون أكثر من ٧٠ ٪ من عدد السكان ، وأوصلتهم بعض المصادر الإسلامية إلى ٩٠ ٪ . بينما تقول نشرات التبشير إنهم لا يجاوزون ٥٠ ٪ ، والفرض معروف من قليل نسبة المسلمين ، فهم يحاولون جهداً أن يحسوا الفكرة الشائعة من قديم إن البلاد إسلامية ، ويفتحون بذلك باب الأمل لإيجاد أغلبية غير مسلمة ليفيدوا من ذلك من الناحية الدينية والسياسية معاً . وهناك نحو المليون من الوثنيين الذين يعتقدون في الأرواح ويقفسون الأشباح ، كما يوجد بعض الآلاف من المسيحيين الذين تنصروا منذ أن لوث التبشير أرض البلاد سنة ١٩٢٨ .

ومنذ أن دخل الإسلام إلى المنطقة في القرن الحادى عشر والمسلمون يتكاثرون ، حتى صارت لهم الأغلبية في البلاد ، وهم يكثرون جداً في المناطق الشمالية ويقولون في الجنوب حيث يسيطر عليه المبشرون الذين أقاموا خطأ تبشيراً يبدأ من « كيان » وينتهى في « بنجور » ماراً « بفورت شبول » ، « كورما » ، « موندو » ، « كيلو » ، « بالالا » ،

مرحان ما هاجهم ملك واداي سنة ١٨٧٠ ،  
حتى جاء راج سنة ١٨٩٢ فضم باجرى  
إليه ملكته .

ومنطقة واداي شرق الإقليم تأخر دخول  
الإسلام فيها نسبيا ، بسبب تعدد القبائل  
وبسبب وجود أسرة النجر ، التي حكمت  
المنطقة بعد هربها من دارفور في السودان ،  
التي كانت ما تزال وثنية إلى القرن الرابع عشر  
وأول الملوك المسلمين فيها هو السلطان  
عبد الكريم ، وهو عربي أبوه من بلدة  
شندي شمال الخرطوم ، وكان قد وصل إلى  
البلاد وأقام ضيفا عند إحدى القبائل يدعو  
إلى الإسلام ، ثم تزوج منها وصارت له  
الكلية فيهم ، وكان يسمى هناك « محمد  
الإسلام » . وبعد موته تولى ابنه « عروت »  
مهمة نشر الدين في المناطق المجاورة ، وقد  
حدث أن أحد الحكام رفض قبول دعوته  
وعمل على هرقه جهوده ، فثار عليه الأهالي  
وعزلوه وولوا « عروت » سلطانا عليهم ،  
فأسس مدينة « وارا » وجعلها عاصمة للمملكة  
إسلامية في إقليم واداي ، حتى انتقلت إلى  
« أبته » ، وقد كانت المملكة تتمتع الجزية  
لسلطان دارفور ثم تخلصت عنها في أواخر  
القرن السابع عشر ، وازدهرت المملكة في  
عهد صابون ( ١٨٠٥ - ١٨١٥ ) وفي  
سنة ١٨٤٣ تولى أخوه السلطان محمد شريف

الرابع عشر اثبتت في معارك مع قبيلة  
البولالا حتى بداية القرن الخامس عشر قتل  
فيها أربعة من ملوك كانت ، فاضطروا إلى  
الهجرة إلى « بورنو » . ولما جاء الملك « علي  
دوناما » ( ١٤٧٢ - ١٥٠٤ ) هاجم البولالا  
وأعاد نظام المملكة ، وجاء عهد الازدهار  
الثاني ( ١٥٧١ - ١٩٠٣ ) الذي وسع فيه  
الملك إدريس ألوما حدود المملكة . وبعد  
فترة هدوء ثم تدهور استدعى الملك الشيخ  
محمد الأمين السكاني الذي صد هجوم الفولاني  
سنة ١٨٩٠ . وتولى الحكم بنفسه وأنهى  
حكم أسرة سيف ، ثم حدثت منازعات بين  
ممالك واداي وكام و باجرى ، حتى وصل  
إلى الإقليم السلطان راج ، أحد قواد سليمان  
ابن الزبير باشا ، سنة ١٨٩٣ م فأشأ  
أمبراطورية قوية غير أنه قتل في حربه مع  
الفرنسيين سنة ١٩٠٠ م .

ونشأت أيضا مملكة إسلامية في « باجرى »  
جنوبي البحيرة على يد السلطان « بريجي »  
( لعله عرف عن إبراهيم ) في أوائل القرن  
السادس عشر وازدهرت في عهد السلطان  
الحاج محمود الأمين ( ١٧٥١ - ١٧٨٥ ) .  
وفي سنة ١٨٠٦ خضعت لسلطان واداي ،  
حتى ضمها الشيخ الأمين السكاني ( المتخرج  
في الأزهر ) إلى ملكته ، ولما جاءت  
سنة ١٨٤٦ قوى ملوكها نسبيا ، ولكن

فشكل في القضاء عليهم والتخلص من سلطانهم فغرد بهم حتى جمعهم في مكان واحد ، وأرسمهم قتيلا يرمي على أن فرنسا تستحق أن تسمى بجمهورية حاملة شعلة الحرية والإخاء والمساواة ، وكان عدد القتلى من العلماء فقط في هذه المجزرة البشرية في أبشة ، سنة ١٩١٧ نحو ٤٠٠ عالم ، وتبعوا الطلاب وأئمة المساجد ومعلمي القرآن حتى طردوا من البلاد ، وكانت تسمى هذه المجزرة بمذبحة «الكبكب» أي الساطور . وبعد أن هدأت الحالة عاد المهاجرون إلى «أبشة» وزادوا نشاطهم الديني والعلمي في هدوء وتسلیم .

كانت البلاد قبل دخول الإسلام على حالتها من الوثنية والبداءة ، حتى قدم العلماء والدعاة من الشرق ومن المغرب ، فشرروا لواء الدعوة وثقفوا الأهالي في المساجد والكتاتيب ، وخرج كثير من العلماء الذين أتموا دراستهم في الأزهر وجامع الزيتونة بتونس . ولما جده الاحتلال الفرنسي أحمل التعليم الديني بل اضطهد ، ولم يعد للتسليم بعد من المدارس الإسلامية المنظمة إلا عديد ضئيل . كعهد «أبشة» الديني الثانوي ، والمعهد الإسلامي الابتدائي في «فورت لامي» والمدرسة الابتدائية في «فورت شمول» التي تدرس فيها علوم الشريعة . والتعليم في هذين المعهدين على النظام الأزهرى القديم مع قليل من العلوم

صالح الحكم ثم ابنه السلطان على ( ١٨٥٨ - ١٨٨٣ ) فقويت الدولة ، ثم حدث نزاع بين الأسرة الحاكمة على العرش ، وبينها وبين البلاد حتى دخل الفرنسيون سنة ١٩٠٢ لنصرة أحد الأطراف واحتلوا وادأى .

وقد احتلت فرنسا إقليم تشاد لتصل مستعمراتها في وسط القاهرة بمستعمراتها في شمال إفريقيا ، بنجأت حملات من الجنوب ومن الغرب ، واشتركت مع البلاد في حرب كان يقودها السلطان رايح ، انتهت بقتله هو والقائد الفرنسي «لامى» في بلدة «كسورى» التي تحول اسمها إلى «فورت لامي» وجعلت عاصمة الإقليم .

لم يعرف الفرنسيون إقليم تشاد قبل القرن الخامس عشر الذى تحرر كفيه بعثات الملاحه والاستكشاف حول قارة إفريقيا ، حيث وصلت إلى مصب نهر الكونغو ، ووصلت أخبار البلاد إلى أوروبا وسال لهاها على القارة البكر ، فتكونت في فرنسا فكرة بناء أسطول لاحتلال إفريقيا الاستوائية في القرن الثامن عشر . ونجح «فيلستر» في احتلال إقليم «جابون» في مارس ١٨٤٢ ، وظل الاستعمار يذهب حتى بسط سلطانه على المنطقة كلها ، وقد أحس المستعمر بخطر العلماء والقضاة الذين كانوا يحملون لواء المقاومة ضد الفرنسيين مدة سبع سنين ،



سنة ١٩٧٩ هـ وكان الأهالي هم الذين يتفقون على هذه المساجد حتى سلبها المستعمرون للجمعيات. ومن الجمعيات الدينية في البلاد: الهيئة التشادية الإسلامية، وجمعية الشباب المؤمن في فورت لامي. وجمعية الفقهاء في أبشة، وقد أنشئت كلها بعد سنة ١٩٤٥ هـ، كما يوجد من الجمعيات الخيرية: الجمعية التجارية الوطنية، وجمعية الأخوة التشادية والرابطة السارواوية، ويوجد ناد للثقافة الإسلامية في فورت لامي. والطرق الصوفية موجودة في البلاد، وقد وفدت إليها مع الدعوة الأولين، وأهمها التيجانية، والفادوية، والميرغنية.

ومن الشخصيات الهامة ذات الأثر البارز في الكفاح الوطني والديني: الشيخ محمد عليش عويضة مؤسس معهد أبشة، والشيخ إبراهيم جباي خليل المتخرج من كلية الشريعة بالأزهر، والذي أنشأ مدرستين عربيتين في أبشة، والشيخ محمد المهدي قاضي القضاة، والأستاذ أحمد غلام الله، وغيرهم.

هذا والبلاد ما زالت تزدهر تحت نير الاستعمار الفرنسي الذي لا يعرف معنى للحرية والرحمة والإنسانية، والمنطقة لها طابع إسلامي مجيد يمتد نحو عشرة قرون، ولها أهميتها في وسط العارة الإفریقیة من جهة نشر الوعي الديني والوطني والقومي، وهي في حاجة ماسة إلى مساعدة فعالة لتستطيع

المدنية، والأهالي هم الذين يتولون الإفتاء على التعليم وإدارة شئون المصلين، ما عدا معهد أبشة فقد تركه الإدارة الرسمية ليكون تحت رقابتها، وقد أنشئ هذا المعهد سنة ١٩٤٦ بفضل أحد خريجي كلية الشريعة بالأزهر وهو الشيخ محمد عليش عويضة، وقد أغلقه الفرنسيون سنة ١٩٥٣ وطردهوا مؤسسه، ثم عاد تحت ضغط الأهالي واضطرت الحكومة إلى فتح المعهد سنة ١٩٥٧، غير أنها هي التي تولت الإشراف عليه لإدراجه مراقبه.

واللغة السائدة في الإقليم هي العربية التي يتحدث بها ٩٠٪ من السكان: المسلمون منهم وغير المسلمين سواء، وهي لغة التعليم في الدراسة الدينية، أما اللغة الرسمية فهي لغة المستعمرة الفرنسية، ولا تدرس العربية في المدارس إلا كلغة ثانوية.

والمسلمون يدينون بعقيدة أهل السنة والجماعة، ويتفقون على مذهب الإمام مالك الذي وفد مع الدعوة والمعلمين، والذي شجع الأخذ به السلطان واج.

والمساجد كثيرة منتشرة في البلاد حيث يوجد المسلمون، وفي أبشة، جامع السلطان الذي أنشئ سنة ١٠٧٩ هـ، وجامع السوق الذي أنشئ سنة ١٢٠٠ هـ. كما يوجد في فورت لامي، العاصمة مسجد كبير أنشئ

إن المبشرين كشوا في تقريرهم المنشور في نشرة ٧ من يوليو ١٩٥٦ أن الأحداث الخطيرة في شمال إفريقيا والمغرب ودول الساحل الإفريقي على المحيط الأطلسي ، والدول القائمة في قلب الصحراء هي أثر لعمل الخطير الذي تقوم به في مهارة وجهد ، الجامعة العربية وراديو القاهرة والبحوث الدينية الأزهرية ، ويقولون : إن الإنسان يشعر في هذه الأيام بأن مصير تشاد متعلق تماماً بما يجري هذه الحوادث ، ويطلبون زيادة نشاط الكنيسة لإيجاد مسيحية سوداء في الكرون وجابون والكونغو على حدود العالم الإسلامي ، وينبغي ألا نكون أقل يقظة منهم ، وأن نعمل عظمين لهداية هؤلاء المتطلمين إلى الإيمان الصحيح والحرية الحقيقية ، والله هو الموفق والمعين ؟

عطية صفر

الحض في القيام بدورها الإيجابي في العالم الأفريقي المتطلع إلى الحرية والاستقلال ، والذي يملئ آمالا كباراً على الجمهورية العربية وعلى الأزهر الشريف . واعتقد أننا سنكسب الجولة لو أننا هبطنا بقوة الروح الدينية في نفوس هؤلاء المسلمين ، وإفهامهم النواحي الحية في الدين التي تفتح على الكفاح والعمل المتواصل للتحرر ، والنيار الاستماري هناك شديد باعتقاده على المبشرين الذين كادوا بكثافتهم ومدارهم ومستشفياتهم ومبعوثهم أن تكون لهم السيطرة الدينية والفكرية في البلاد ، وإذا أردنا أن نحاربهم فليكن سلاحه الذي يستطيع الأزهر أن يقوم بتوسط كبير منه ، إذا أراد أن يبرهن على أن خطوته الإصلاحية الجديدة هي من وحى الواقع الذي يعيش فيه المسلمون في هذه الأيام .

( بقية المنشور على صفحة ٤٩ )

المسدية وجعلوا ذلك غاية الحياة التي يحبوها ، وما أحرانا أن ننفذ أيدينا من أدب هؤلاء ومن يريدون من نقادنا أن يحولوا إليه مذهبهم في النقد . فصيحة الفن الفن تبعد بالنقد عن ميدانه الصحيح وهو نقد الموضوع الذي يختاره الأدب ليرزه بأسلوبه الفني ، فإن قيمة الإنتاج الأدبي لا تعرف إلا بمقياس مزدوج على الأقل : بجانب من هذه القيمة يرجع إلى توافر العناصر الفنية في أسلوبه وهذا شرط أولى لا يمكن أن يسمى

الإنتاج أدبياً إلا حين يتوافر له ، والجانب الآخر الذي هو الفصيل في المعاصرة بين إنتاج أدبي وآخر هو : الموضوع ، الذي لا بد للنقد أن يتحرى الدقة في الكشف عن حقيقته ، وهل هو موضوع وبيل ينفع العلم في المجتمع أو هو مما يبعث الحياة ويظهرها ويسموها إلى مراتب أعلى ويدفع بها إلى مستوى حضارى أجدر بالبقاء .

محمد فريد أبو حمير

## مفردات قرآنية : التجارة في القرآن للأستاذ أحمد الشراصي

- ٢ -

ذكرنا كثيرا حتى بناهوا الفلاح والنجاح في الحياة .

وقد روى في سبب نزول الآية أن دحية ابن خليفة الكلبي أقبل بتجارة من الشام في يوم جمعة قبل أن يسلم ، وكان معه أنواع من التجارة ، وكان الناس يتلوه بالطلب والتصفيق والنبي صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج الناس إلى التجارة واللهو ، وتركوا النبي ، ولم يبق معه إلا القليل ؛ قيل ثمانية ، وقيل اثنا عشر ، وقيل أربعون <sup>(١)</sup> ؛ فقال النبي : « لولا هؤلاء لموسم لم التجارة » ويروي أن النبي قال : « لو اتبع آخرهم أو لم لالتب الوادي طيهم ناراً » <sup>(٢)</sup> .

ولما حدث هذا نزلت الآيات تعريضا وإنذارا وتحذيرا من فعل ذلك ، وقد خصصت الآية البيع بالذكر لاهميته والحرص عليه ، ويقاس عليه غيره ، وفي ذلك يقول جل الله الرحمن الرحيم : « وأراد الأمر بترك ما ينهل عن

[١] في تفسير الطبري روايات عليه أنهم كانوا اثني عشر رجلا واحداً ، ج ٢٨ ص ١٠٤ .

[٢] من تفسير الرازي ، ج ٤ ص ١٥٤ بصرف واختصار .

التجارة في نظر القرآن الكريم ليست عملاً مادياً دنيوياً صرفاً ، بل له صلة بالجوانب الدنيوية في حياة الإنسان ، ولذلك يشير القرآن إلى ارتباط تجارة الدنيا بتجارة الدين ، فيقول : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وإذا أروا تجارة أو لموا انقصوا إليها وتركوا قائماً ، قل ما عند الله خير من المهر ومن التجارة ، والله خير الرازيين . » <sup>(١)</sup> .

وبفهم من هذه الآيات الكريمة أنه إذا أذن المؤذن للصلاة الجمعة لم يحل البيع والشراء ووجبت المبادرة إلى الصلاة ، فذلك خير وأقنع وأحسن ، وأنه إذا انتهت الصلاة فينبغي للمسلمين أن يعودوا إلى رحاب الحياة عامليين متاجرين مكتسبين متطلعين الوصول إلى الرزق بفضل الله ورحمته ، ذاكرين ربهم

[١] سورة الجمعة ، الآيات ٩ ، ١٠ ، ١١ .

ونظرننا في الآية المتقدمة نجد أن الله تعالى يعلم عباده أن يذكروا واجب العبادة الدينية وهم يباشرون الأعمال الدنيوية ، فإذا تردد النداء لصلاة الجمعة تركوا التجارة وغيرها من أعمال الدنيا ، وهرعوا إلى الصلاة ، فتصل أعمال الآخرة بأعمال الحياة ، وإذا كانوا في الصلاة سمعوا حديث هذه الحياة ، بما فيها من تجارة وتعاقد ، فقد يتلو عليهم إمامهم قول ربهم : « وأحل الله البيع وحرم الربا » أو قوله : « يا أيها الذين آمنوا إذا تدانيتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه .... » فيكون هذا جعلا بين حديث الدنيا وحديث الآخرة .

وإذا انتهت الصلاة فقد انفتحت أمامهم من جديد أبواب السعي في الحياة ، وقد جهات « الفاء » هنا ، وهي التي تفيد التعقيب بلا تراخ : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » . أي إنه يحل لكم الانتشار للكسب والاتجار بمجرد انتهاء الصلاة ، وبلا فاصل زمني ما .

ولكن إذا انتشرتم وسعيتم فلا تفسوا أنكم تسبرون في أرض الله ، وتأخذون من رزق ، وتبتغون من فضل الله : « وابتغوا من فضل الله » .

وهذا التذكير يربط أيضا بين التجارة والدين فلا تكون عملا ماديا مجردا من معاني الإيمان

ذكر الله من شواغل الدنيا ، وإنما خص البيع من بينها ، لأن يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديه ، وينصبون إلى المصر من كل أوب ، ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الأسواق بهم إذا انقضى النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ، ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي إلى المسجد قيل لهم : بادروا إلى تجارة الآخرة ، واتركوا تجارة الدنيا ، واسموا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع منه وأربح ، وذكروا البيع الذي نفسه يسير وربحه مقارب (١) .

وقد فات الغنوشي أن يذكر مع هذا أيضا ما نكاد نلمسه وهو أن صلاة الجمعة صلاة جامعة ، فلا تحقق ثمرتها إلا بالاجتماع والتلاق بين المسلمين ، فإذا تكامل هذا وذلك أو نشغلوا بالتجارة عن الاستجابة للنداء لم يكن الهدف المطلوب ، وهناك الخطبة التي يجب على المسلمين أن يستمعوا إليها ويستفيدوا منها ، ولو أمهلوا أو أجلوا لغاتهم ذلك ، كما أن صلاة الجمعة تؤدي في وقت معين عدد ، وليس كالفروض الفردية التي يتسع أمام الفرد وقت أدائها ، فيؤديها في أول الوقت أو في وسطه فيما ييسره من مكان صالح للصلاة .

[١] تفسير الكشاف ، ج ١ ص ٩٩ .

كما أمرني ، فأرزقني من فضلك وأنت خير الرازقين ،

ويعرض كتابه ، في ظلال القرآن ، للحديث عن الآية السابقة ، فيقول فيها يقول : الآية تأمر المسلمين أن يتركوا البيع وسائر نشاط المعاش بمجرد سماهم للأذان ، وترغبهم في هذا الانخلاع من شئون المعاش والدخول في الذكر في هذا الوقت ... فلا بد من فترات ينخلع فيها القلب من شواغل المعاش وجوانب الأرض ، لينضوا إلى ربه ويتجرد لذكره ويتذوق هذا العلم الخاص للتجرد والاتصال بالملأ الأعلى ، وبملا قلبه وصدره من ذلك الهواء النقي الخالص العطر ويستروح شذاه ، ثم يعود إلى مشاغل العيش مع ذكر الله ، وهذا هو التوازن الذي يتم به المنهج الإسلامي : التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض من عمل وكد ونشاط وكسب ، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو ، وانقطاع القلب وتجرده للذكر وهي ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنفوس بتكاليف الأمانة الكبرى (١) . ولأن القرآن قد ربط بين العبادة والتجارة بذلك الرباط الدقيق الوثيق ، وأبنا أن فقه القرآن والسنة يضع لتجارة آداباً تجعل التاجر

والروح . بل تكون موصولة بالأوصار بالقيم والأخلاق ...

ولا تنكفوا بذكر أنكم تبغفون من فصل الله ، بل أضيفوا إليه أمراً آخر : « واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » ، وذكر الله في أثناء العمل الدنيوي يباركه ويعصمه من الزلل والخلل ويباعد بينه وبين الانحراف والاعتصاف .

واحذروا أن تكونوا كأولئك الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم فجذبهم هواذب الحياة المادية في وقت واجبهم الدين ، فانصرفوا إلى عرض الدنيا وتركوا ما هم أذكى وأبقى ، لأن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين .

فنحن نرى الآيات تشير في صدرها إلى أن الناس من شأنهم أن يكونوا في سبيلهم ونجارتهم ، وأن هذا أمر مشروع مرضى عنه من الشارع ، فإذا جاء وقت الصلاة وصلوه بوقت العمل والسعي ، وإذا ما انتهى واجب لله عاد الناس إلى ميادين الحياة ، ولكنها ميادين من فضل الله ، ولذلك يجب عليهم أن يتذكروا ، وأن يذكروا ربهم ذكراً كثيراً ... وليس وراء ذلك مزج وائع بين عمل الدنيا وعمل الآخرة .

ولقد كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة وقت ياب المسجد وقال : « اللهم أجبت دعوتك ، وصليت فرضتك ، وانتشرت

[١] في ظلال القرآن للأستاذ سيد قطب ، ج ٤ ، ص ١٠٦ .

يجازاً لما في البيع والشراء من الإيمان الكاذبة  
وخبث والتدليس والربا الذي لا يتحاشاه  
أكثرهم ولا يفتنون له ، ولهذا قال في تمامه :  
إلا من اتقى الله وبر وصدق .<sup>(١)</sup>

وفي الحديث أيضاً : « إياكم وكثرة الحلف  
في البيع ، فإنه ينفق ثم يمحق ، أي يروج  
أولاً ، ثم تكون عاقبه ذهاب البركة . »

وكان عمر بن الخطاب إذا دخل السوق  
قال : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر  
والمسوق ، ومن شر ما أساطت به السوق ،  
اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة  
عاسرة . »

ومن آداب التجارة في الإسلام أن لا يثنى  
البائع على السلعة بما ليس فيها ، وألا يكتم  
شيئاً من عيوبها أو خفايا صفاتها ، فإن هذا  
من الخداع الذي نهى عنه الرسول صلى الله  
عليه وسلم ، ولقد مر النبي رجل يبيع قمحا  
فأعجبه فأدخل يده فيه فوجد بللاً ، فقال :  
ما هذا يا صاحب الطعام ؟ فأجلب : أصابته  
السماء فقال النبي : « هلا جعلته فوق الطعام  
حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا . » ومن  
قواعد الإسلام أن النصح واجب لكل مسلم ،  
ومن بعض التابعين أنه قال : لو دخلت الجامع  
وهو غاص بأهله وقيل لي : من خير هؤلاء ؟

يقوم بها وهو عاقل على خلق المسلم وأمانة  
المسلم وإخلاص المسلم ، ومن هذه الآداب  
المحذرة من اتخاذ الحلف الكاذب وسيلة  
لترويج السلعة أو زيادة الكسب في التجارة  
والحديث المتفق عليه يقول : « والنبي الكاذبة  
منفقة للسلعة بمحنة البركة ، وفي حديث مسلم  
« ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم : المنان  
والمسبل وإزاره ، والمنفق سلعته بالحلف  
الكاذب . »

وفي تفسير القرطبي : « ويكره<sup>(٢)</sup> للتاجر  
أن يحلف لأجل ترويج السلعة وتزيينها ،  
أو يصلح على النبي صلى الله عليه وسلم في  
عرض سلعته ، وهو أن يقول : صلى الله على  
محمد ، ما أجود هذا . ويستحب للتاجر أن  
لا تشذله تجارته عن أداء الفرائض ،<sup>(٣)</sup> .  
ويلحق بما ذكره القرطبي حلف التاجر  
بحق لحية ، أو حق شيت ، أو حق  
« شباك النبي ، الذي وضع عليه يده وهو  
يخرج ، أو حق الكعبة التي طاف حولها  
ولمها ، أو حق « الحجر الأسود ، الذي  
قبله ... إلخ . »

ولقد قال الرسول : إن التجار يمشون  
يوم القيامة جواراً إلا من اتقى الله وبر وصدق .  
وقال ابن الأثير تعليقا على ذلك : « سمام

[١] النهاية في غريب الحديث ، ج ١

ص ١١٠ - ١١١ .

[٢] الكراهية هنا فيها معنى الحرمة

[٣] تفسير القرطبي ، ج ٥ ص ١٥٩ .

بعضها بخمسة وبعضها بعشرة ، فباع في غيبة  
غلامه شقة من ذوات الخمسة بعشرة ، فلما  
عرف ابن المنكدر أطال البحث عن المشتري  
حتى وجده وقال له : إن الغلام قد غلط فباعك  
ما يساوي خمسة بعشرة . فقال الرجل :  
يا هذا قد وضيت . فقال : وإن وضيت فإننا  
لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا ، فاختار  
إحدى ثلاث خصال : إما أن تأخذ شقة من  
العشريات بدراهمك ، وإما أن ترد عليك  
خمس ، وإما أن ترد شقتنا وتأخذ دراهمك .  
فقال المشتري : أعطني خمس ؛ فرد عليه  
خمس ، وانصرف الأعرابي يسأل : من هذا  
الشيخ ؟ فقيل له : هذا محمد بن المنكدر .  
فقال : لا إله إلا الله ، هذا الذي نستقي به  
في البوادي إذا قمنا .

ودوى أنه وائلة بن الأسقع كان في السوق  
فراى بانما يبيع لرجل ناقة بثلاثمائة درهم ،  
ومضى المشتري . ولكن وائلة رأى شيئا ،  
فنادى على الرجل ، وقال له يا هذا اشتريتها للحم  
أول الظهر ؟ (الركوب) فقال بل للظهر فقال وائلة :  
إن يخفها فبها قد رأيت . وإنما لا تتابع السير .  
ونصح بردها للبائع ، فنهضها البائع  
مائة درهم من ثمنها الأول ، وقال لوائلة :  
رحمك الله ، أفسدت على يمي ، فقال وائلة :  
إنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على  
النصح لكل مسلم . وقال : سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول : لا يحمل لأحد

لقلت : من أنصحهم لم ؟ فإذا قالوا : هذا .  
قلت : هو خيرهم ، ولو قيل من شرهم ؟ قلت  
من أغشهم ؟ فإذا قيل هذا ، قلت هو شرهم .  
ولقد كان السلف يضربون الأمثلة الرائعة  
في الأمانة والنصح والصدق ، فهذا يونس  
ابن عبيد - كما يروى عنه الغزالي (١) - كان  
عنده حل مختلفه الأثمان ، ومنها صنف ثمن  
كل حلة منه أربعمائة درهم ، ومنها صنف  
آخر ، ثمن كل حلة منه مائتان ، فذهب  
يونس إلى الصلاة وترك ابن أخيه عند  
الثياب ، جاء أعرابي وطلب حلة بأربعمائة  
فعرض عليه الثمن من حلل المائتين فاستحسنها  
الأعرابي ورضيها واشترها ومضى بها وهي  
على يديه ، فلقبه يونس بفرف حله فقال  
للأعرابي : بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة .  
فقال : لا تساوى أكثر من مائتين ، فارجع  
حتى تردها فقال : هذه في بلدنا تساوى خمسمائة  
وأنا أرتضيها ، فقال له يونس : انصرف  
فإن النصح في الدنيا خير من الدنيا بما فيها .  
ثم رده إلى الدكان ورد عليه مائتي درهم ،  
وعاصم ابن أخيه في ذلك ، وقال له :  
أما استحييت ؟ أما اتقيت الله ؟ تربح  
مثل الثمن ، وترك النصح للسلين ؟  
فقال : والله ما أخذها إلا وهو راض بها .  
قال فملا وضيت له بما ترضاه لنفسك ؟  
وهذا محمد بن المنكدر أيضا كان له شق ،

وقد يؤدي به ذلك إلى الاحتكار<sup>(١)</sup> الذي حاربه الإسلام وحذر منه الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : « لا يحتكر إلا خاطي » ، وقال : « من احتكر حكرة يريد أن يغلب بها على المسلمين فهو خاطي » ، وقال : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس » ، وقال : « من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله منه » .

وقال علي بن أبي طالب : « من احتكر الطعام أربعين يوماً قسا قلبه » ، وحدث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل الأسواق والبلد بالسر المناسبات الميسرة ، فقال : « من جلب طعاماً فباعه بسعر يومه فكأنما تصدق به » ، وجاء في الحديث المرسى : « إن الجالب إلى سوقنا كالجهاد في سبيل الله » ، وفي الحديث : « الجالب مردوق والاحتكر خاطي » .

ولنتذكر هنا أن البيوع — كما يقول القرطبي في تفسيره : « نوحان : قلب في الحضر من غير ثقة ولا سفر ، وهذا أثر بص واحتكار قد رغب عنه أولو الأقدار ، وزهد فيه ذوو الأخطار ( المراتب ) والثاني قلب المال بالأسفار ونقله إلى الأمصار ، فهذا ألبق بأهل المروءة ، وأعم جدوى ومنفعة ،

أن يبيع فيما إلا أن يبين آفته » ، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا نبيته » .

ولما بايع الرسول جرير بن عبد الله على الإسلام ، ذهب جرير ليتصرف ، فاجتنب النبي ثوبه ، واشترط عليه النصح لكل مسلم . وحسبنا قول الرسول : « اليمان إذا صدقا ونصحا بورك لهما في بيعهما » ، وإذا كتبا وكذبا نزع بركة بيعهما » .

ومن أدب أهل القرآن في التجارة ألا يخذلوا في سعر الوقت ، ولا يجتالوا للتغريب بالناس في الأسعار ، ولذلك نهى النبي عن « تلقى الركبان » الذين يقدمون من البوادي إلى الأمصار ومعهم سلع يريدون بيعها ، ولا علم لهم بسعر الوقت ، فيلقاهم من يخذلهم فيه ويستولي على سلعهم بشئ يخس ! كما نهى النبي عن « التجش » ، وهو تظاهر من لا يريد الشراء بالرغبة فعلا في الشراء ، ويرفع في الثمن لينخدع الراغب في الشراء ، فينخدع ويشتري بشئ مرتفع ، وهذا مثل ما يحدث الآن في المزايدات الصورية .

ونهى كذلك عن خداع من لا يحيطون بأسرار التجارة علما ، فقال : « لا يبيع حاضر لباد » ، لأن البادي يريد أن يبيع بسعر معقول ، إذ يحتاج إلى البيع ، ولكن الحاضر — المقيم في المدينة أو البلد — يريد أن يستولي على السلعة ويغزنها ويتحكم في السعر ،

[١] قال ابن الأثير : ( احتكر الشيء أي اشتراه ليقل فيطو ) النهاية ج ١ ص ٣٤٥ .

[٢] انظر نيل الأوطار للشوكاني ج ٥ ص ٢٤١ والإحياء للقرظي ج ٢ ص ٦٦ .



وقال النبي : « إن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه » .  
كما حرم الإسلام (كسب البغى) وهو الكسب الناشئ عن المتاجرة بالعرض ، كما حرم (حلوان الكامن) وهو ما يطلى لدعي التنبؤ أو ضارب الرمل أو الودع أو ما أشبهه ، وحرم كسب الربا .

وقال الرسول : « لا يبيعن أحدكم حل يبيع أخيه ، أى لا يشتري على شراء »<sup>(١)</sup> ، يقول ابن الأثير عن هذا الحديث : « فيه قولان : أحدهما : إذا كان المتعاقدان في مجلس العقد ، وطلب طالب السلعة بأكثر من الثمن ليرغب البائع في فسخ العقد ، فهو محرم ، لأنه إضرار بالغير ، ولكنه منعقد ، لأن نفس البيع غير مقصود بالنهي ، لأنه لا خلل فيه ؛ الثاني أن يرغب المشتري في الفسخ بعرض سلعة أجود منها بمثل ثمنها ، أو مثلاً بدون ذلك الثمن ، فإنه مثل الأول في النهي ، وسواء كانا قد تعاقدنا على المبيع أو تساويا وقربا الانقضاء ، ولم يبق إلا العقد »<sup>(٢)</sup> .  
وهذه كلها شواهد تؤكد ما أشار إليه القرآن من وجوب ارتباط التجارة بالمعنى الديني ، حتى يكون قائدا لها ورائدا أمامها .

أحمد الشرباصي

غير أنه أكثر خطرا وأعظم ضررا<sup>(٣)</sup> .  
ويتصل بهذا نهى الإسلام عن التغالي في الربح ، وعن المحش في الكسب ، لأن قلة الربح مع كثرة البيع تؤديان إلى وغرة المكسب مع التبشير على المسلمين ، وكان هل بن أبي طالب يدور في سوق الكوفة ويقول : « معاشر التجار ، خذوا الحق تسلبوا ، لا تزدوا قليل الربح فتحرموا كثيره » .

ومن صفة أهل القرآن في تجارتهم أنهم يضبطون الكيل والوزن والقياس ، لأن بهم تبارك وتعالى يحذر أشد التحذر من التطفيف في هذه الأمور ، فيقول : « ويل للطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين » ، ويقول : « والسماء رفعها ووضع الميزان . ألا تظنوا في الميزان ، وأقيموالوزن بالقسط ولا تحسروا الميزان » ، ويقول النبي لأصحاب المكيال والميزان : « إنكم قد وليتم أمرين ملكك فيهما الأم السابقة قبلكم ، أى فاحذروا البخس في ذلك ، وإلا هلكتم كما هلك السابقون .

ولأن التجارة متصلة بالعبادة حرم الإسلام الاتجار في الأشياء الخبيثة ، كالخمر والمخعة والدم ولحم الخنزير والأصنام والأزلام والأنصاب وما أشبهها<sup>(٤)</sup> .

[١] تفسير القرطبي ، ج ٥ ص ١٥٩ .

[٢] انظر زاد نلاد ، ج ٤ ص ٢٣٩ .

[٣] مفردات القرآن ، ص ٦٦ .

[٤] النهاية في غريب الحديث ، ج ١ ص ١٠٥ .

# البيان العزني

للأستاذ علي محمد حسن العزني

ضرورة لهذا العلم كالتأني في كل علم ،  
فكيف نضنها ؟

• • •

وستحدث في هذا المقال عن كتاب من  
هذه الكتب التي عنت بتتبع خطوات البيان  
العربي ، وأبانت عن تصور العرب لمعناه  
في الصور المختلفة ، وكشفت عن مصادره  
الكبرى وعن الأذواق والمقولات التي تضافت  
على بناء هيكله حتى استقر علما واضحا المعالم  
يمثل مؤلفه الظاهرة بين علوم الأدب ،  
ويحتل مؤلفه أيضا في تراث الأمة العربية  
في العلم والتفكير ،<sup>(١)</sup> وهذا الكتاب هو  
البيان العربي للدكتور بدوي طيانه .

وقد يكون من الوفاء للتاريخ ، ولهذا  
الدراسة بخاصة أن أثبت هنا بعض ما عرفته  
من هذه المحاولات .

فن هذه الدراسات ، مقالات وبحوث  
نشرت في المجلات الأدبية ، كالثقافة والرسالة ،  
ومجلة كلية الآداب ، وصحيفة دار العلوم .  
ومنها دراسات مستفيضة نشرت في مجلة الأزهر

اتجاه جديد نحمده للدارسين ، ذلك  
هو العناية بالبلاغة العربية ، وقد نشطت -  
في السنوات الأخيرة - الدراسات حول البيان  
العربي ، وإن كانت لا تزال في أول الطريق ،  
وتشعبت الغايات من هذه الدراسة ، فبعضها  
يضع منهجا لتجديد البيان العربي ، وبعضها  
يكثف بالطمح على الطريقة التعليمية في هذا  
البيان ، وبعضها يؤرخ لنشأة البلاغة  
وتطورها ، وكلها جهود مشكورة تدل على  
ما يبذل الدارسون من جهد في سبيل التقدم  
بدراسة هي من أولى الدراسات بالعناية .

ومن المصعب أن كل هذه الدراسات تحوم  
حول المشكلة ، ولا تخرج على اقتحامها ،  
فالذي وضع المنهج لتجديد دراسة البلاغة  
لم يضع بابا واحدا يمكن أن نعتبره نموذجا ،  
والذين نظروا في الكتب القديمة خللوا ،  
وأبرزوا ما فيها من نظريات لم يحاولوا  
كذلك أن يقولوا لنا : ماذا فعلنا ،  
هل نكتفي بعرض ما كتب المتقدمون أمام  
أعينهم ، أم لابد أن نرشدكم إلى ضوابط  
تعينهم وترشدكم ، وإذا كانت الضوابط

[١] من مقدمة كتاب البيان العربي .

يدرس في كلية دار العلوم ، فنياته تعليمية ،  
فمن الطبيعي أن يكون النظر البلاغي غالباً  
عليه ، وقد قال مؤلفه : « وإذا كانت طبيعة  
هذا البحث تقتضي أن يكون منهجه منهجاً  
تاريخياً ، لأنه يقوم على دراسة تطور الفكرة  
البلاغية ، إلا أن الدراسة الفنية لم تغارقه ،  
فقد أبرزت قيمة البلاغة وقوتها ، وآثارها  
في قوة المعنى ، أو في صورة ذلك المعنى ،  
كما أن هذه الدراسة تعتمد فيما تعتمد على  
أسلوب الموازنة بين الفكر والآثار ،  
ومدى التوافق أو التخالف بينها ، وحظ  
كل منها من الابتكار أو التقليد ، وبيان  
تأثيره بما قبله وتأثيره فيما بعده ، وفي كل ذلك  
كان رأي يطل في تقويم تلك الجهود ،  
والإشادة بما يستحق منها الإشادة ، وتقد  
ما رأيت فيه بعداً عن طبيعة البحث البياني  
بعد تقرير الفكرة وتوضيحها ، وعرضها  
عرضاً مجرداً يعتمد على النص الصحيح من  
غير تعصب ولا هوى ، أو محاولة لتحصيل  
النص فوق طاقته من الاحتمال (١) .

وهذا البيان الواضح . أبرز لنا المؤلف  
منهجه في وضع كتابه ، وقد وفي بكل ما رسمه  
هنا ، غير أني كنت أحب أن يطل بنظرة  
أكثر ، لا سيما على بعض المشكلات التي  
وقف الدارسون عندها ، ولا يزالون يقفون ،  
مثل مشكلة التوفيق بين نظريتي عبد القاهر

في المجلدات الثالث عشر والرابع عشر  
والخامس عشر عن كتب عبد القاهر ،  
وقداسة ، والآمدي ، والجاحظ ، وابن  
ستان ، وابن الأثير ، والباقلاني ، وعلى بن  
عبد العزيز الجرجاني .

ثم أخرجت المطبعة كتاباً قيمة - في هذه  
الدراسات - منها كتاب (من الوجوه النفسية)  
للدكتور محمد خلف الله ، وكتاب ( بلاغة  
أرسطو ) للدكتور إبراهيم سلامة ، وكتاب  
( أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى  
آخر القرن الرابع الهجري ) للأستاذ محمد  
زعلول سلام .

ومن أمتع هذه الكتب وأدقها كتاب  
( النقد المهجي عند العرب ) للدكتور  
محمد مندور وإن كان سبقه كتاب في تاريخ  
النقد أكثر تركيزاً ، وهو كتاب ( تاريخ  
النقد الأدبي عند العرب ) وقد نتبع فيه  
مؤلفه المرحوم طه أحمد إبراهيم ، تطور  
النقد العربي منذ جاعليه إلى القرن الرابع  
الهجري ، وطبع الكتاب في سنة ١٩٣٧ م .  
ولكل كتاب من هذه الكتب - كما أشرت  
آنفاً - زاوية ينظر منها فيما كتبه النقاد  
والبلاغيون السابقون وإن كان موضوع  
الدراسة واحداً وهي كتب النقد والبلاغة  
أو عبارة أدق هي كتب معينة دارت حولها  
هذه الدراسات .

وكتاب ( البيان العربي ) فطر في هذه  
الكتب من ناحيته الخاصة ، وهو كتاب

عن تأثر الجاحظ بكتاب ( الخطابة )  
لأرسطو ، وذلك حيث يقول مرددا القول :  
« وقد رجحنا أنه إن لم يكن أدرك كتاب  
الخطابة لأرسطو مترجما ، فقد عرف ما فيه  
من أفواء الثقلة الذين اعتزموا ترجمته ،  
والجاحظ ياتف الثقافة من الفم والعقل ،  
كما يلقفها من الكتب ومن أسواقها » (١) .  
وهذا دليل لا يتنبى العجب منه .

وقد وقع صاحب البيان العربي في شيء  
من هذا ، حين قال تبعا لأستاذه إبراهيم سلامة  
بعد أن ذكر مناظرة أبي سعيد السيرافي ،  
ومنى بن يونس حول النحو العربي والمنطق  
اليوناني واتصار أبي سعيد للنحو العربي :  
« وذلك هي حقيقة الأفكار التي تباهاها  
عبد القاهر ، وصاغ منها كتابه دلائل الإعجاز » (٢)  
ومن قبل قال الدكتور إبراهيم سلامة :  
« عرضنا لهذه المناقشة بشيء من التفصيل  
لأهميتها في اتجاه عبد القاهر الجرجاني ، الذي  
جمل مدار كتابيه « دلائل الإعجاز »  
و « أسرار البلاغة » حول محور هذه المناقشة  
( النحو والمعنى ) وما المعنى الذي أشاحه  
في الكتاب الثاني وجمله قرين اللفظ بل  
المتحكم فيه إلا المعنى العقلي الخاضع للمنطق  
البري . من التناقض والإحالة » .

الجرجاني في المنظر والمعنى ، وسيجيء لهذه  
النقطة مزيد بيان

وقد أعجبنى من المؤلف اعتداله ، وإنصافه  
لعلائنا ، وإصراره على أصالة البيان العربي ،  
إلا حين يقوم الدليل الحاسم على أن المؤلف  
احتذى أو نقل من البلاغة اليونانية ، وقد  
هاب على بعض الباحثين من المعاصرين أنهم  
حكوا بالاحتذاء والتقليد لبلاغة اليونان  
لجرد أنهم رأوا صفات مشتركة ، وملاح  
متشابهة بين البيان العربي وغيره . أو بين  
طرق النظر فيه ، وطرق النظر في غيره من  
الآداب الأجنبية ، واعتبر هذا بعيدا عن  
الإنصاف لأنه يفنى أن ينظر إلى الأمور  
النظرة الطيمية البعيدة من آثار التحامل ،  
والبعيدة أيضا عن آثار الهوى والتعصب .

ولقد عرض الدكتور محمد مندور في بعض  
بحوثه لهذه الفسكرة ، وحذر منها ، وقال :  
« وليس في ميدان البحث شيء أشق من التقييد  
من المؤثرات العقلية ، ولا أخطر ، وكما ظلم  
الباحثون رجال الفكر بدعواهم الأخذ من  
هذا أو ذاك في غير دليل قاطع ، اللهم إلا  
أن يمتثل الباحث نفسه فيقيم أدلة مصطنعة » (٣) .

قلت : ومن هذه الأدلة المصطنعة  
ما ذكره المرحوم الدكتور إبراهيم سلامة

[١] بلاغة أرسطو - ٣٩٦ .

[٢] البيان العربي - ١٦٢ .

[٣] مجلة الثقافة - ١٧ العدد ٢١٩ . في بحث  
تحت عنوان ( المنظر عند الجرجاني ) .

كما أراد ، لأنهم قتلوا وأهلكوا ، وقوتلوا  
ولعنوا ، وما كان الله ليدعو على أحد  
تحميد الدعوة منه .

قال المؤلف : ولا شيء على ابن قتيبة في  
هذا لأنه نظر إلى القرآن نظرة مجردة ، وقاسه  
على سنن العرب في كلامها واستعمالها ، أما  
ابن فارس فإنه ينظر نظرة دينية ، ويرى  
أن مثل هذا الإطلاق لا يصح أن يقال في  
كلام الله أو يوصف به دعاؤه ، والحقيقة  
أن الله تعالى ليس في حاجة إلى هذا ، وإنما  
هو أسلوب ألفه الفصحاء ، لجاء على منواله  
التعبير .

وكتعليقه على تحليل عبد القاهر لقوله  
تعالى : « وقيل يا أرض ابلعي مارك ... »  
الآية ( ص ١٧٠ ) .

وكذلك مشئت لمحاولته التقريب بين  
قواعد البلاغة النظرية وبين النقد  
الأدبي ، وصناعة الأدب ، حتى لا تكون  
البلاغة بمزول مما خلقت له ، وهو درس  
الأدب وفهمه ، وتذوقه وتقديره ، وهذا  
الاتجاه — كما يقول — يمد على البيان  
شيئا من عظمته ، ويحفظ عليه حياته وجدته .  
وكم كنت أتمنى أن يحقق المؤلف هذه  
الغاية ، وليس تحقيقها — فيما أرى —  
بأن تؤرخ لتطور البيان ، وعمل العلماء  
السابقين فيه ، ولكن تحقيقها يكون بأن

المؤلفان يريان أن عبد القاهر اطلع على  
هذه المناظرة ، وصاغ منها كتابه ، ولو  
أردنا التمسك بالدقيق في هذا الموضع قلنا  
إن هذا مجرد فرض .

أولا لأنه ثابت في تاريخ عبد القاهر  
أنه لم يخرج من بلده جرجان ، وليس تبادل  
المعلومات في ذاك الزمان من السهولة بحيث  
يصل إلى عبد القاهر في القرن الرابع ما جرى  
من مناظرة في النحو في القرن الثالث .

وثانيا لأن عبد القاهر كان إماما  
في النحو ، حتى إنه كان يلقب بالنحوي ،  
وله فيه مؤلفات عظيمة ، وله آراء  
افتردها ، وتنسب إليه في كتب النحو  
المتأخرة ، فلو فرضنا أن هذه المناظرة وصلت  
إلى عبد القاهر ، فمن الظلم للرجل أن نقول  
إنه ( صاغ منها كتابه ) إلا ما أشار إليه  
الدكتور مندور من اصطناع الأدلة .

كما أعجبنى في المؤلف ، بعض تعليقات  
دلت على دقة في الفهم ، وحسن في الإدراك  
ومن هذه التعليقات ، رده على ابن فارس ،  
في نقده لابن قتيبة فقد قال ابن قتيبة في قوله  
تعالى : « قاتلهم الله أنى يؤفكون » إن هذا  
دعاء على جهة الهم لا يراد به الوقوع ، فقال  
ابن فارس : وهذا وإن أشبه ما تقدم ذكره  
من الأمثلة فإنه لا يجوز لأحد أن يطلق فيها  
ذكره الله أنه دعاء لا يراد به الوقوع ، بل  
هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم ، فكان

العصور المستفيدة للتأنيج الصحيحة ، ثم صاغوا قواعد ، وقالوا بأنها أمثل الطرق لإحسان العمل دون أن يرضوا قريحتك لها ، ولا أن يسمحوا لخواك بالخروج عنها ، فإن بين الاستبداد والفوضى نظاما هو أحق أن يؤثر ويتبع (١).

وهذه القواعد الجديدة - على الرغم من الصيحات المتتابعة - لم نضمها ، وما أظننا حين نضمها نستفي عن قواعد ( السكاكي ) ومن هذا حذوه .

وإما أن نصوغ هذه القواعد التي بين أيدينا صياغة جديدة ، ونلتصق لها من كتب النقد والأدب شواهد جديدة . وحينئذ نكون قد قاربنا حقا بين قواعد البلاغة النظرية وبين النقد الأدبي وصناعة الأدب . وهذا ما لم يفعله المؤلف .

على أن المؤلف ، ومن سبقوه ، وإن جهدوا جهدا في خدمة البيان السري ، وقفوا عند مباحث علم البيان ، وقليل من مسائل علم المعاني وعلم البديع ، ويكفي أن هذا الكتاب للضخم الذي يدرس في كلية مهمتها أن تخرج مدرسين لفن العربية خلاخلوا يكاد يكون تاما من الإشارة إلى فصول في علم المعاني ، لأن الكتب التي عني بدواستها لم تدون هذه

نصوص قواعد البيان من جديد في ظل القواعد والضوابط التي يمكن أن نستخلصها من هذه الكتب . والذي أصل الجزء الأكبر منها السكاكي ومدرسته ، فكل ما أخذناه على هذه الضوابط ، وأخذنا غيرها أنها ( جافة ) أي أنها لم تصغ في ظل النصوص الأدبية الكافية .

وعندنا أمران لا ثالث لهما ، إما أن نضع ضوابط جديدة لهذه العلوم ( علوم البلاغة ) وهذه الضوابط أمر لا بد منه - كما يقول الأستاذ الزيات : ( على أن الطبع والقرينة لا يفتيان في البلاغة من الفن ، وإذا كانت القواعد هي النتائج التي استنبطتها الأذهان القرينة من وسائل الطيعة وطرقها على طول القرون ، فإن الشأن في البلاغة يجب أن يكون هو الشأن في سائر العنون التي اخترعتها القرينة وأصلحتها التجربة ورقاما المران . فعلم البيان - إذن - هو الجزء النظري من فن الإقناع ، والبلاغة هي الجزء العملي منه ، هو منهج الطريق ، وهي نسلكتها ، وهو إملل الوسائل ، وهي تملكها . وهو يرشد إلى ينبوع ، وهي تعرف منه . والقواعد البيانية لم يضعها الراعصون إلا بعد أن رجعوا إلى أصول الأشياء ، ودسوا علاقتها بالنفس والحس ، وعرفوا نتائج هذه العلائق من الالم واللذة ، ثم استخلصوا من تجارب

[١] دفاع عن البلاغة ص ١٦ .

لا يضيق بها ، فإننا ما نبغي إلا خدمة تراثنا  
الجيد ، والكشف عن مقوماته .

١ - أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى

صنيع بعض الكتّاب ، وإفادتهم من كتابه  
دون أن يشيروا إليه قال : « وقد أفاد بعض  
الكتّاب ، من خلة هذا الكتاب ومنهج ،  
كما أفادوا بما أثار من فكر وآراء حول  
هذا البيان ، ومن المادة التي بذلنا في تحصيلها  
جهوداً يعلم الله مداها من غير أن يكلموا  
أنفسهم أقل ما تقتضيه أمانة العلم وأسر  
ما يقتضيه واجب رعاية الحق من إشارة إلى  
هذا البحث الذي اتألم لم الطريق » .

وإله شيء يؤسف له حقاً أن يستفيد  
باحث من منهج كتاب ومن آراء مؤلفه  
دون أن يكلف نفسه الإشارة إليه .

ولكن ألا يوافقني الدكتور أنه وقع في  
الغلطة نفسها ، إن بحثنا وكتبنا نثرت قبل أن  
يخرج المؤلف كتابه ، وفي هذه البحوث  
والكتب نفس المنهج ، ونفس الآراء ،  
ومع ذلك فقد راجعت ثبوت المراجع التي  
ذكرها المؤلف فلم أجدها ذكراً لهذه الكتب .

وقد أشرت في أول هذا البحث إلى بعض هذه  
الكتب ، ونسيت أن أذكر أقدمها ، وهو  
كتاب ( النثر العربي في القرن الرابع ) الذي  
وضعه الدكتور ذكي مبارك ، وقد تحدث فيه

الفصول ، ولأنه ليس من اليسر منهم هذه  
المسائل ، كما تيسر لكثيرين منهم مسائل  
علم الحياة .

ولقد رأينا المؤلف حين وصل إلى البلاغة  
السكاكية أجملها في فصل ، ولم يشر إلى جهود  
أنباع هذه المدرسة لأنه يراهم مقلدين في  
البلاغة ، مع أن دراستهم تعبتنا على فهم  
البلاغة النظرية ، وهذا ما عنيت في كتابي  
( تاريخ البلاغة العربية ) الذي ترجم لأشهر  
المؤلفين في البلاغة ، وبين طرائقهم في  
التأليف ، وعنى بصفة خاصة برجال المدرسة  
السكاكية الذين أهل شأنهم الباحثون ،  
حتى أصبح متعلونا لا يعرفون عن الخطيب  
والسعد والسيد والأبجي إلا أسمائهم ، وحين  
يصدر هذا الكتاب سيتم هذه السلسلة التي  
وقف أكثرها عند القرن الرابع ، وبعضها  
ككتاب المؤلف قفز إلى العهد الحديث ،  
لتحدث من أم ما كتب فيه عن البلاغة ،  
ولكنه ترك قرة جليلة من الزمن دون أن  
يكشف الدور الهام الذي قلم به رجالها في  
خدمة البلاغة النظرية .

وأنا - في الحقيقة - معجب بما يكتبه  
الدكتور طيانة في البلاغة والنقد ، غير أنني  
أحببت أن أقف معروضة قصيرة في كتابه هذا  
( البيان العربي ) لعل صدر المؤلف الفاضل

المؤلف اطلع على كل ما كتبه المعاصرون حول موضوعه ، أو على بعضه ، وأقام بما قرأ ، ولكنه لم يكلف نفسه الإشارة إلى هذه المراجع .

إن المؤلف ينبتنا في مقدمة الطبعة الأولى أنه كتبها في سنة ١٩٥٥ م ومعنى ذلك أنه سبق بكتب وبحوث كثيرة .

قال الدكتور ذكي مبارك أخرج كتابه سنة ١٩٣٤ م وأنا لا أعتقد أن كاتباً يكتب في البلاغة العربية - سيما إذا كان أستاذاً في جامعة - أو في الأدب العربي لم يقرأ هذا الكتاب ولم يستفد منه .

والدكتور محمد مندور أخرج كتابه في سنة ١٩٤٨ م . وقد تحدث فيه حديثاً مستفيضاً عن ابن المعتز وقدامة ، والآمدي ، والمهرجاني ، والمصري ، وعبد القاهر ، كما تحدث عن موضوعات تتصل بالبيان العربي .

والأستاذ زغلول أخرج كتابه سنة ١٩٥٢ م وفيه تحدث عن أكثر الكتب التي عرض لها مؤلف البيان العربي ، وحللها .

والذين كتبوا في مجلة الأزهر نشرنا دراساتهم ما بين سنتي ١٩٤٢ ، ١٩٤٥ م . فهل من حقت أن تقول للمؤلف إنك استفدت من كل هذه الدراسات ولكنك لم تنشر إليها .

عن بعض هؤلاء العلماء ، وعن مؤلفاتهم التي تحدث عنها مؤلف البيان العربي .

ولكن هل أشار المؤلف إلى هذا الكتاب وهل أشار إلى الكتب الحديثة التي سبقته في هذه الدراسات . وإلى هذه البحوث التي نشرت في مجلة الأزهر ، والتي لا نجد فكرة في كتابه ولا تحيلاً - إلا ما قل - يخرج عما كتبه هؤلاء الكتاب ، في مؤلفات معينة تعرض لها المؤلف ، هل أن هذه البحوث أوسع وأشمل مما كتبه صاحب البيان العربي إلى لم أجد - في المراجع - ذكراً لكتاب بلاغة أرسطو ، وهو كتاب أستاذ من أساتذة المؤلف والموافقة بينهما واضحة فيما حلاه من كتب مشتركة ، بل لم أجد المؤلف أشار في المراجع إلى أحد من المعاصرين إلا لأستاذين اثنين ، الأستاذ أحمد الشايب ، والأستاذ أمين الخولي ، أف يكون معنى ذلك أن المؤلف لم يطلع على جهود أحد من المعاصرين غير هذين أو أنه اطلع ، ولم يستفد شيئاً . ٩

لئن كان الأول فإني أعده قصوراً من مؤلف في علم لم يراجع جهود الباحثين المعاصرين فيه ، ولئن كان الثاني ، فإني أعجب كيف يسبقك كاتب برأى ، ثم نعيد أنه رأي ، وتدعى بعد ذلك أنك لم تستفد منه .

لم يبق إلا الفرض الثالث ، وهو أن



التنين (٢٢٢ ص) وأنه استمرار لقدامة بل بحث له ، وإن له دواة بالأدب العربي شعره وشعره (٢١٥ ص) . وأخيراً يقرر في غير موارد أن كتاب العسكري كان نقطة تحول النقد إلى بلاغة ، بل يحمل هذه العبارة عنواناً من عناوين كتابه .

فتحن لا نرى المؤلف زاد شيئاً عما ذكره الدكتور مندور ، وكل ما بينهما من خلاف أن المؤلف يقول عن أبي هلال : إن ذوقه أدبي رفيع (١٢٥ ص) وأن دراساته تعتمد على الفهم الدقيق والذوق الخبير بصناعة الأدب (١٢٣ ص) في حين يرى الدكتور مندور أن العسكري سقيم الذوق (٢٢٣ ص) وأنه يورد الأمثلة من شعر صاحب بن عباد المسجوع السقيم ومن شعره هو نفسه الذي لا يقل سقياً عن شعر صاحب (٣٢٥ ص) ، ويرى أن سبب فساد ذوق أبي هلال يرجع إلى فوط إجماله بالبديع وأوجهه ، ويضرب لذلك أمثلة في (٢٢٤ ص) .

أما ذكر مبارك فيمد شعر أبي هلال من الطبقة العالية ، وتمايزه من التعابير المشرفة ، وبراءه من الشعراء المهينين ، ويرى أن كتابه الصناعتين ، كتاب جيد نادر المثال وهو كتاب أدب قبل أن يكون كتاب نقد ، وأن شخصية أبي هلال قوية جذابة .

والملاحظة التي لاحظها المؤلف ، من أن

الواقع أن -- وإن لم أعرف المؤلف شخصياً -- حسن الظن به إلى حد كبير ، فلمسل له عن هذا الاعتراض جواباً لا يحضرنى .

وقد رأيت -- قبل أن أوجه هذا الاعتراض للمؤلف -- أن اختار فصلاً من كتابه ، ثم أواجهه فيما كتب قبله ، فاخترت حديثه عن أبي هلال العسكري .

رأيت بذكر أن أبا هلال من مدرسة الجاحظ التي تفضل الصياغة (١١٩ ص) وأنه حتى بهداسة السرقات الأدبية (١٢٥ ص) وأن الكتاب زاخر بالدراسات النقدية (١٢٣ ص) وأن أبا هلال كان غيور العلم ، ولم يتحدث من إعجاز القرآن في الكتاب مع أنه ذكره في المقدمة ، وأنه تناول البلاغة بروح أدبية ، وأخيراً قال : ( ويمكن القول بأن كتاب الصناعتين يمكن أن يعد نقطة تحول في الدراسات البيانية والنقدية ، وأنه جنح بتلك المعالم الذوقية اتجاهاً قاعدياً بما وضع من أسس فن البلاغة التي يعد كتابه من أهم مصادرها ) .

أما الدكتور مندور فإنه يتمتع بمنهج العسكري في السرقات ويقول إنه وضع هذه المشكلة أصدق حل (٢٢٤ ص) وأن كتاب الصناعتين يمثل الأوج الذي وصل إليه مذهب البديع (٢٢٥ ص) وأن العسكري لجأ إلى

أبا هلال ( قد ذكر في أول كتاب بالصناعتين أثر معرفة علم البلاغة في إثبات إعجاز كتاب الله تعالى ) ولكنه ( لم يبحث في كتابه شيئا ذا بال في القرآن أو في إعجازه ) هذه الملاحظة هي التي لاحظها أستاذه إبراهيم سلامة حيث يقول : ( يبين أبو هلال في أول كتابه عن غرض ديني هو معرفة الإعجاز في القرآن الكريم ... ولكنه بعد هذه المقدمة بهمل هذه الناحية تماما ، فبات على كتابه كله من غير أن يتعرض للإعجاز إلا فيما يورده من الأمثلة القرآنية على سبيل الاستشهاد بالآيات إلى جانب الآيات من الشعر والعبارات من الشر إلا في الأقل النادر ) (١) .

فمن نرى أنه اقتنى أثر أستاذه بل تابعه متابعة حرفية ، حتى إنه قال بعد العبارات التي نقلناها : ( واكتفى بالاستشهاد بآية في فنون الكلام وعجاسه كما استشهد بغيره من مآثور المنشور والمنظوم ) . فهل نجد فرقا بين عباراته هذه وما سبقها في هذه الملاحظة وبين عبارات أستاذه ؟ .

ينبغي أن نعترف بأن أي مؤلف يتفجع بالدراسات التي سبقته في موضوعه ولا عيب على المؤلف في ذلك ، ما دامت مجهوداته معروفة ومشكورة في فنه ، ولكن العيب هو إغفال الإشارة بالآخرين .

( الحديث بقية )

على محمد حسن الصمري

[٥] بلاغة أرسطو = ٥٧ .

## من الشعر الجيد

قول محمود سامي البارودي :

أود وما ود امرئ<sup>١</sup> نائما له  
وما بي من قعر الدنيا ، وإنما  
وكم من يد<sup>٢</sup> قد عتدى ونعمة  
أنا المرء لا بطنفيه عز لثروة  
أصد من الوفور يدركه الخنا  
ومن كان ذا قس كغنى تصدده  
ومن شيمى<sup>٣</sup> حب الوفاء بحجة

وإن كان ذا عقل إذا لم يكن جده  
طلاب الملا جده ، وإن كان لي جده  
بعض عليها ككفه الحاسد الوغد  
أصاب ، ولا يلوى بأخلاقه الكسد  
وأقع باليسور يقبه الحسد  
لعزته الدنيا ، وذلك له الأسد  
وما خير قلب لا يدوم له جده

# دراسات في علم المعنى

## «الليمانيك»

### للدكتور كمال بشر

— ٤ —

المدارس الرئيسية في التفكير اللغوي بوجه عام وفي مشكلات المعنى بوجه خاص .  
يقرر أولمان أن خير سبيل إلى تحديد مكانة علم المعنى في الدراسات اللغوية ، وإلى معرفة الدروح المختلفة التي يمكن أن يتكون منها علم اللغة إنما يتحقق بالنظر في طبيعة الرموز اللغوية أو الوحدات التي يتألف منها التركيب اللغوي وهذه الرموز أو الوحدات التي يمتلئها أولمان هي رموز ووحدات من نوع معين ، تقتضي معرفتها الوقوف على أساس مهم من أسس البحث التي لم يتبعها هذا العالم في معالجة هذه القضية لحسب ، بل اتبعها كذلك في معالجة غيرها من القضايا اللغوية بوجه عام .

هذا الأساس هو ما ذهب إليه من وجوب التفريق بين جانبيين من جوانب الكلام الإنساني .

الجانب الأول هو ما سماه دي موسير de Saussure - رائد هذه الفكرة الثنائية - «الكلام» parole ، والجانب الثاني «اللغة»

لقد كشفنا في البحث السابق (١) عن آراء بعض اللغويين فيما يتعلق بمكانة علم المعنى في الدراسات اللغوية وعلاقته بغيره من فروع علم اللغة ، وسوف نحاول الآن أن نكمل ما بدأناه فتأتي حل وجهات نظر أخرى في الموضوع نفسه ، حتى نثبت لنا حقيقة الأمر في هذه القضية التي نلزم معرفتها قبل الدخول في أية تفصيلات ، وذلك لأن هذه القضية - في نظرنا - هي الأساس الذي تبنى عليه مناهج البحث المختلفة التي يتبعها العلماء في دراسة هذه التفصيلات نفسها ، أو بمباراة أخرى ، إن التعرف على آراء الدارسين إزاء هذه القضية هو السبيل الأول إلى فهم كل ما يمرضون له من مشكلات فرعية تتعلق بالمعنى اللغوي .

وقد رأينا أن تقصر كلامنا هنا على ما ذهب إليه في هذا الشأن عالمان مشهوران ، هما أولمان Ullmann وفيرث Firth ، وبذلك يتم لنا الوقوف على تلك الآراء التي تشمل

[١] انظر لعدد السابق من هذه المجلة .

الكلام إنما يفعلون ذلك لارغبة في التعرف عليه وعلى خصائصه ، وإنما يهدفون إلى اللغة وحقاتها من خلال دراسته .

ووححدات اللغة عند أولمان - طبقا للفهوم الذى أشرنا إليه سابقا - تتكون من ثلاث مجموعات ، هي :

( أ ) الوحدات الصوتية أو ما يسمى بالفونيات phonemes .

( ب ) الكلمات أو بعبارة أدق ، الصور اللفظية للكلمات word-engrams .

( ج ) التراكييب أو بعبارة أدق ، الصور اللفظية لهذه التراكييب syntagmes .

وهذه الوحدات من الممكن دراستها والنظر فيها من نواح أو زوايا ثلاث ، لا يمتد منها في هذا المقام إلا اثنتان فقط ، هما :

( أ ) وظيفة هذه الوحدات .

( ب ) التركيب الداخلى لهذه الوحدات .

فوظيفة الفونيات ( ومفرداتها فونيم ) التفريق بين الكلمات أو بين معاني هذه الكلمات ، وذلك كالتفريق الذى نلاحظه بين « كل » و « دجل » مثلا ، بسبب وجود الفونيم المسماة « كافا » في الكلمة الأولى و « جيا » في الكلمة الثانية . ووظيفة الكلمات هي الدلالة أو استدعاء الفكر ، أو صور الأشياء المشار إليها بهذه الكلمات . أما وظيفة التراكييب

langue . والرأى عند هذين العالمين - كما هو الرأى عند جميع أتباع هذه المدرسة - أن الكلام شيء فردي ، ومادته الأحداث اللفظية الحقيقية ، أى الأصوات والكلمات والعبارات والجل المنطوقة المسموعة بالفعل . وهذه المادة المنطوقة المسموعة على اختلاف أنواعها تترك في إثرها مجموعات من الآثار أو الصور العقلية التي تتلعب وتستقر في ذهن الجماعة اللفظية المعنية ، وهذه الآثار أو الصور التي تمثل الأحداث اللفظية ومدلولاتها معا - هي مادة اللغة التي يتم بها التفاهم في المجتمع المعين (١) .

ومعنى هذا أن هناك فرقا بين مادة الكلام ومادة اللغة . أو بعبارة أخرى ، إن رموز الكلام ووححداته تختلف عن رموز اللغة ووححداتها ، فالوحدات الأولى تنسم بالطابع المادى ، أما الثانية فهي وحدات عقلية أو ذهنية . والوحدات التي يعنها أولمان في هذا المجال والتي يبنى عليها رأيه هنا هي وحدات اللغة لا وحدات الكلام ، وذلك لأن اللغة عنده - وعند جميع من نهجوا نهجه - هي موضوع البحث في علم اللغة ، وهي هدف الدارسين جميعا . أما الكلام فهو شيء ثانوى ولا يعنى به اللغويون إلا بوصفه وسيلة لا غاية في ذاته ، أى أنهم إذا أقدموا على دراسة هذا

(1) See Ullmann, The principles of Semantics, pp. 27-8.

جانبا ، أحدهما الجانب الخارجى أو الدال signifiant على حد تعبير دى سوسير ، والثانيها جانب المعنى أو المدلول signifié ، وهذان الجانبان قد يطلق عليهما أحيانا الصيغة والمعنى أو القالب والمضمون . وهذه الثنائية في عناصر هذه الوحدات تقتضى حتما ثنائية تقابلها في العلم الذى انحصر بدراستها . ومن ثم كان من الضرورى تفريع كل من علم الكلمات وعلم النحو فرعين اثنين . فعلم الكلمات يتفرع إلى علم الصرف المعجمى ، والمعنى المعجمى ، أما علم النحو فيندرج تحته علم الصرف النحوى وعلم المعنى النحوى . ولكن هذا التقسيم الثنائى لعناصر وحدات اللغة لا يطبق - عند أولمان - على الوحدات الصوتية أو الفونيات ، وذلك لأنها - في نظره - خالية من عنصر المعنى ، وليس لها من وظيفة إلا مجرد التفريق بين الكلمات . فهى إذن وحدات ذات عنصر واحد ، ولا تحمل التشقيق والتنويع ، ومن ثم لا تقتضى تقريبا في العلم الذى يقوم بدراستها ، وهو علم الأصوات التنظيمى .

والنتيجة التى وصل إليها أولمان من هذا كله هى أن النظر في وحدات اللغة من الناحيتين السابقتين معاً - وهما ناحية الوظيفة وناحية التركيب - يؤدى حتما إلى تفريع علم اللغة على الوجه التالى :

(أ) علم الأصوات التنظيمى .

(ب) علم الكلمات :

فهى الإفصاح عن العلاقات بين الأشياء التى تمثلها الكلمات التى تتكون منها هذه التراكيب . ثم يقرر أولمان بعد ذلك أننا إذا نظرنا إلى هذه الوحدات من الناحية الأولى - أى من ناحية الوظيفة - وجب علينا أن نقسم علم اللغة ثلاثة فروع رئيسية ، كل فرع منها يقابل مجموعة معينة من هذه الوحدات ، ويعنى بدراستها والنظر فيها . هذه الفروع الثلاثة هى :

(أ) علم الأصوات التنظيمى phonology

(ب) علم الكلمات lexicology .

(ج) علم النحو أو علم العلاقات النحوية syntax .

فعلم الأصوات التنظيمى هو الذى يقابل الوحدات الصوتية أو الفونيات ، وهو الذى يختص ببحثها وتحديد وظائفها في اللغة . وعلم الكلمات وظيفته البحث في الكلمات ومشكلاتها ، أما النحو فيبحث التراكيب وهدفه بيان العلاقات بين مفردات هذه التراكيب .

ولكن هذا التقسيم الثلاثى لفروع علم اللغة سوف يتعرض لشيء من التغيير أو التعديل ، إذا ما نظرنا إلى وحدات اللغة من زاويتها الثانية ، وهى زاوية تركيبها الداخلى . يرى أولمان أن وحدات اللغة ، أو بمباراة أدق ، أن وحدات المجموعتين الأخيرتين منها - وهى للكلمات والتراكيب - لها

ما يكون البحث في المعنى على مستوى الكلمة المفردة ، وهذه المرحلة من اختصاص « علم المعنى المعجمي » وهو ذلك العلم الذي يبين ألمان لدراسة معاني الكلمات دراسة عامة ، على نحو ما هو معروف ومألوف في صناعة المعجمات . ومن الواضح أن علم المعنى المعجمي إنما يعنى بتأحية المعنى أو المضمون أو المدلول فقط ، أما الناحية اللفظية المحضة فيتولى شأنها قسمه الآخر في التفريع السابق وهو « علم الصرف المعجمي » . لهذا العلم الأخير إنما يركز كل اهتمامه على البحث في أصول الكلمات وفي طرق تركيبها واشتقاقها وما إلى ذلك من قضايا عاصية باللفظ أو الدال signifiant ، كما يحصلو لبعض الباحثين أن يسموه .

أما المرحلة الثانية التي نعرض فيها لعلم المعنى فتتمثل في دراسة المعنى على مستوى العبارة والجملة . وهذه المرحلة هي مجال البحث فيما سماه ألمان « علم المعنى النحوي » ، ويعنى به ذلك العلم الذي يتولى الكشف عن وظائف الوسائل النحوية المختلفة التي تستعملها اللغة للإفصاح عن العلاقات ، بين الأجزاء أو الوحدات المكونة للجملة أو العبارة . ومن هذه الوسائل التنغيم أو موسيقى الكلام ، وطرائق نظم هذا الكلام ، والسوابق واللاحق التي تغير المعنى الاسامي للكلمة ، وكذلك الأدراك على اختلاف أنواعها ، كمعروف الجمر

١ - علم الصرف المعجمي

lexical morphology

٢ - علم المعنى المعجمي

lexical semantics

(ج) علم النحو :

١ - علم الصرف النحوي

syntactic morphology

٢ - علم المعنى النحوي

syntactic semantics

ويرى ألمان أن هذا التفريع من أقرب التفريعات إلى المثالية والكمال ، وأن منطق الأشياء يشير إلى ضرورة الأخذ به ؛ لأن فيه — على حسب ما يفهم من كلام هذا الباحث — ما يقابل حاجة اللغة وما يشجع رغبة المدارس المدقق في الحصول على مناهج علمية واضحة الحدود والمالم : مناهج تيسر له سبل البحث في الظواهر اللغوية المختلفة بحثاً لا خلط فيه ولا اضطراب .

ومهما يكن الرأي في مثالية هذا التقسيم أو عدم مثاليته ، ومهما تكن فظرتنا إلى الأسس والمبادئ التي بنى عليها فإننا نستشف منه أن صاحبه قد عني بعلم المعنى عناية فائقة ، وأنه لم يأل جهداً في إبراز هذه الأهمية وقاكيدها . فهو — وإن لم يجعل هذا العلم قسماً للفروع الرئيسية ومقابلاً لها — قد أوجب على الدارسين قتاله والتعرض له على مرحلتين اثنتين : المرحلة الأولى عند

بالمصطلح المشهور : علم المعنى أو السيماتيك Semantics ، فهذه المدارس حين تستعمل هذا المصطلح لا تعني به إلا ذلك العلم الذي يعني بدراسة معاني الكلمات على مستوى المعجم ، سواء أكانت هذه المعاني معاني أساسية أو أولية أم معاني فرعية أو ثانوية . أما ذلك الفرع الآخر الذي سماه أولمان « علم المعنى النحوي » ، والذي قرر أن وظيفته هي بيان العلاقات بين عناصر الجملة وبيان المعاني النحوية لهذه العناصر — أما ذلك الفرع فلا يدخل في مفهوم المصطلح « سيماتيك » ، عند أصحاب هذه المدارس : إن هذا الفرع يقابل ما يعرف عندهم « بعلم النحو » ، بمعناه المعنى المعروف لدى أغلبية القنويين . هل أن لناظر المدقق في وظيفة علم النحو عند هؤلاء ووظيفة علم المعنى النحوي عند أولمان سوف لا يجد فروقا جوهرية بين هذين العلمين ، وإنما تمثل الفروق في بعض القضايا الجزئية التي ترجع في أساسها إلى ثلاثة عوامل رئيسية هي :

(١) اختلاف المدارس في المبادئ التي يبنى عليها تقسيم علم اللغة إلى فروعها المختلفة كبدا التفريق أو الفصل بين جانب اللفظ وجانب المعنى للكلام الإنساني ، أو عدم الفصل بينهما ووجوب النظر إلى الحدث اللغوي على أنه وحدة متكاملة .

وحروف العطف إلخ . ومن وظائف علم النحو أيضا « بيان المعاني النحوية لأنواع الكلمة » ، كالأسماء والأفعال والأدوات ، وبيان « الدلالات التي تفي » عنها أجزاء الجملة «<sup>(١)</sup> ، كالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وكذلك يدخل في نطاق هذا العلم البحث في الوحدات العليا للغة ، كالنظر في أنواع الجمل ، من استهلامية وإثباتية مثلا ، وكالنظر في هذه الجمل من حيث استقلالها أو اعتمادها على غيرها وارتباطها به . ومن البديهي أن وظيفة هذا العلم مقصورة على بيان جانب المعنى النحوي أو الوظيفة النحوية للوسائل أو الوحدات التي تتألف منها العبارات والجمل . أما جانبها اللفظي فهو من اختصاص « علم الصرف النحوي » ، وهو ذلك العلم الذي تنحصر وظيفته في بيان نوع هذه الوسائل والوحدات ، والكشف عن خصائصها المميزة لها من الناحية اللفظية أو الصرفية المختصة .

من هذا يتبين لنا أن أولمان قد وازع مباحث المعنى اللغوي على فرعين اثنين من فروع علم اللغة ، ولم يقتصرهما على فرع واحد ، كما فعل غيره من المدارس . والفرع الأول منهما — وهو علم المعنى المعجمي — هو في الواقع ما تعنيه بعض المدارس الأخرى [١] انظر أولمان : المرجع السابق ص ٣٤ .

المبادئ القوية التي يرى كل منهما أنها تنضوي تحت لواء علم المعنى . يرى بلومفيلد - كما سبق بيانه في موضعه (١) - أن هذا العلم يتفرع ثلاثة فروع هي ما سماها : المعجم ، الصرف ، النحو ، وينسب أولمان إلى تقسيمه قسمين اثنين هما : علم المعنى المعجمي وعلم المعنى النحوي فالمعجم عند بلومفيلد يقابل علم المعنى المعجمي عند أولمان ، والنحو عند الأول يقابل علم المعنى النحوي عند الثاني . ويجدير بالذكر أن كلا من الفرعين المتقابلين يتفق مع الآخر في وظيفة ومجال اختصاصه ، وليس بينهما من فرق إلا في التسمية ، وإلا في بعض القضايا الجزئية التي يرجع الخلاف فيها إلى بعض المبادئ الخاصة بمناهج البحث القوي عند كل منهما . وهذه المبادئ نفسها هي التي دفعت بلومفيلد إلى أن يجعل « الصرف » - بالمفهوم الذي ارتضاه هو - فرعاً من فروع علم المعنى . ومهما يكن الأمر فن الواضح أن كلا من هذين اللغويين قد اهتم بعلم المعنى اهتماماً فائقاً . وحاول جاهدًا توسيع دائرته ومجالاته بحيث يعمل جوانب لغوية ، هي في الواقع من اختصاص علوم أخرى مستقلة عن علم المعنى . فلم النحو مثلاً ، أو ما سماه أولمان علم المعنى النحوي لا يدخل في نطاق السيانتيك بالمعنى الذي يرتضيه من يمتد بأرائهم عن اللغويين

(٢) اختلاف وجهات نظرهم في مكانة علم المعنى في الدراسات القوية ، وفي وظيفة هذا العلم .  
(٣) اختلاف الرأي في تحديد معنى « المعنى » نفسه .

والحق أن أولمان نفسه قد صرح أكثر من مرة بأن المصطلح « سيانتيك » حين يستعمل استعمالاً عاماً أي بدون ذكر صفة تحدد المقصود منه وتعيينه ، يجب أن يؤخذ على أن المراد به إنما هو الفرع الأول فقط وهو علم المعنى المعجمي . أما إذا كانت الدراسة تعنى ببيان العلاقات بين أجزاء الجملة ، وبيان المعاني النحوية لهذه الأجزاء ، فعل الدارس حينئذ أن ينص صراحة على أن المقصود هو علم المعنى النحوي أو السيانتيك النحوي . وكل ما يعنيه أولمان بهذا التفسير هو مجرد وجوب تحديد المراد بالمصطلح « سيانتيك » حين استعماله ، لا وجوب قصره على فرع واحد من الدراسات القوية كما فعل أتباع المدارس الأخرى .

وهذا الإيضاح الأخير يقودنا إلى القول بأن نظرة أولمان إلى علم المعنى وإلى مكانته في الدراسات القوية تلتقي - أو تكاد تلتقي - مع نظرة بلومفيلد إلى الموضوع نفسه . ويظهر هذا الالتقاء أو التشابه بين النظرتين فيما لو قارنا بين مسلكي هذين العالمين تجاه

[١] انظر السعد السابق من هذه المجلة : ص ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ .



وأصرح . لقد قرروا هذا العالم منذ البداية أنه سيبنى تفريجه لعلم اللغة على مجموعة من الأسس ، منها الاعتماد على طبيعة التركيب الداخلي ، للوحدات أو الأحداث اللغوية ، وعلى النظر إلى هذه الوحدات أو الأحداث على أنها مكونة من جانبين متميزين : هما جانب اللفظ وجانب المعنى ، ومن ثم جاء تفريجه النهائي لهذا العلم مطابقا تمام المطابقة لهذا الأساس الذي ذكره . وهذا الأساس نفسه يتمشى بدوره مع مبدأ آخر يؤمن به أولمان : ذلك هو مبدأ تقسيم الكلام الإنساني قسمين ، الأول ما سماه « اللغة » language والآخر ما سماه « الكلام » speech ، فأصدا باللغة تلك القضايا والمواضع اللغوية المخزونة في ذهن الجماعة ، وبالكلام تلك الأحداث الفعلية الصادرة من المتكلم لفرد أثناء الكلام الحقيقي (١) .

وليس يخاف أن هذه النظرة إلى الحدث اللغوي وإلى الكلام الإنساني تتضمن فكرة « الثنائية » فهما ، تلك الثنائية التي سبق أن رفضناها بكل أنواعها ، والتي أنكرنا على الدارسين الأخذ بها في الدراسات اللغوية (٢) ، ومن ثم كان لابد لنا من رفض ما بنى عليها من قضايا ومشكلات ، ومن هذه القضايا

المعاصرين ، وكذلك الصرف ليس من السيماتيك في شيء عند هؤلاء اللغويين وغيرهم . وكذلك يظهر الاتفاق بين أولمان وبولوفيك في قضية أخرى لا تتصل بعلم المعنى وحده ، وإنما تتعلق بجميع فروع الدراسات اللغوية كما تتعلق بالمبادئ التي يبنى عليها تفريع هذه الدراسات إلى تلك الفروع . هذه القضية تمثل في فطرتها إلى الحدث اللغوي (كلمة كان أو جملة أو عبارة) كما لو كان مكوناً من جانبين أو عنصرين متميزين ومنفصلين : أحدهما عنصر اللفظ أو الدال أو القالب والثاني عنصر المعنى أو المدلول أو المضمون . ويشهد على إيمانها بهذه النظرة ذلك المسلك الذي سلكاه في تقسيم علوم اللغة ، فقد حرص كل منهما على تقسيم هذه العلوم بطريقة تضمن - بل تؤكد - تخصيص بعضها لدراسة الجانب الأول وهو جانب اللفظ ومرادفاته ، وبعضها الآخر للبحث في الجانب الثاني وهو جانب المعنى أو المدلول أو المضمون . ولنا نظر أن هناك سبباً آخر دفع ببولوفيك إلى تقسيم علم اللغة قسمين رئيسيين هما : علم الأصوات وعلم المعنى (٣) ، حتى يكون هناك تقابل تام بين هذين العلمين وبين الجانبين المذكورين . أما بالنسبة لأولمان فالامر أوضح من هذا

[١] انظر ص ٨٢ - ٩٠ .

[٢] انظر العدد السابق من هذه المجلة ص ١٣٨٠

- ١٣٨١ ، ١٣٨٠ .

[٣] انظر العدد السابق من هذه المجلة ص ١٣٨١ .

يجعل نظريته هذه نظرية لغوية صرفة ، تستمد مبادئها وأسساها من الواقع اللغوي نفسه . وترى إلى بيان الحقائق اللغوية كما هي ، بدون إقحام عامل الذاتية أو الافتراض والتخمين فيها . وكان ينكر على غيره من اللغويين التجاهل إلى بعض العلوم الأخرى يستمدون منها العون في معالجة قضاياهم اللغوية وتفسيرها ، ويشتد هذا الإنكار ويقوى حين يحاول هؤلاء اللغويون أنه يجمعوا أو يخلطوا بين مبادئ هذه العلوم . كلها أو بعضها . وبين مبادئ الدراسات اللغوية . فهذا المسلك - عنده - إنما يؤدي في النهاية إلى تكوين منهج واه ضعيف ، تنقصه وحدة العناصر وتكاملها ، والنتيجة الحتمية لتطبيق هذا المنهج هي الخلط في الدراسة والاضطراب والزيغ فيما يصل إليه المدارس من نتائج .

**دكتور كمال بشر**

مدرس علم اللغة العام

بكلية دار العلوم

( البقية في العدد القادم )

ذلك التقسيم الذي أتى به أولمان هنا عاما بلعوم اللغة ، وذلك الوظيفة التي عينها لعلم المعنى .

أما رأينا في هذه المشكلات وفي مشكلة علم المعنى ومكانته في الدراسات اللغوية فيعتمد في أساسه على منهج أستاذنا فيرث ، ذلك المنهج الذي شكله صاحبه بعد خبرة طويلة في البحث اللغوي ، دامت ما يقرب من الثلاثين عاما . وقد استطاع فيرث في هذه الفترة أن يكون نظرية لغوية جديدة أن تنسب إليه وحده فهو صانعها ومبتكر أصولها وواضع الخطوط العامة والخاصة التي ينبغي على الباحث اللغوي أن يتبعها في كل مراحل الدراسة . وكان أول ما وجه إليه الاهتمام في عمله هذا هو التخلص من كل أوجه القصور والنقص التي انسمت بها النظريات والمناهج الأخرى ، والتي تتمثل في اعتماد أصحاب هذه النظريات والمناهج على المبادئ أو الأفكار الفلسفية والنفسية والمنطقية في بحوثهم ، لقد قررو هذا اللغوي الكبير منذ البداية أن

من ذخيرة لغتنا عراعر بمعنى سادة .

قال شرحبيل بن مالك يمدح معد يكره بن عكب :

خلع الملوك وسار تحت لوائه شجر العري وعراعر الأقوام

( عن كتاب الأملاني لابن علي القالي )

# الإمام الأعظم أبو حنيفة

رسائل دانية في مناصبه

للاستاذ عباس طه

لأبي حنيفة قم قاساه : فقام إليه وقال له  
ما تقول يا أبا الخطاب في رجل غاب عن أهله  
ففلت امرأته ففقه تزوجت ثم قدم زوجها  
الأول فدخل عليها وقال لها : يا زانية  
تزوجت وأنا حي ، ثم دخل زوجها الثاني  
فقال لها تزوجت يا زانية ولك زوج . كيف  
يكون اللعان فقال فتادة وهل وقعت هذه  
المسألة فقال أبو حنيفة وإن لم تقع فإننا  
نستعد لها حتى إذا وقعت كان جوابها حاضراً ،  
وعلى هذا المتوال أحدث أبو حنيفة الفقه  
التفديري فكان بهذا وأمثاله مجدداً في الإسلام  
غير مدافع .

ولقد ارتضى جمهور العلماء هذه الطريقة  
فاقتدى بأبي حنيفة في هذا فقهاء الأمصار  
إلا أقلهم فتدورا المسائل وفرضوا وقوعها  
ثم استنبطوا أحكامها من أصول الشريعة نسجاً  
على منوال أبي حنيفة وبذلك نمى الفقه  
الإسلامي واتسع حتى صار بحراً زاخراً  
لا ساحل له وثروة غنية للجمع في التشريع  
والنظم الصالحة مع أنه كان قبل أبي حنيفة  
متمموراً على الحوادث التي وقعت في ذلك  
العهد الأول .

من محمد بن أبي حنيفة استنبط الفقه التفديري :

لما لم يكن بدون معرفة حكم الله تعالى  
في الوقائع ، ولما كانت الحوادث في العبادات  
والصرفات مما لا يقبل الحصر ، وكانت  
من المقطوع به أنه لم يرد في كل حادثة نص ،  
كان هذا من الدواهي إلى وجوب اعتبار  
الاجتهاد ليكون بصد كل حادثة لم ينص على  
حكمها ، وكان من الدواهي التي دعت الإمام  
الأعظم إلى إحداثه الفقه المستنبط أو التفديري ،  
فوضع المسائل التي لم تقص وفرض نزول  
الحوادث التي لم تحدث ، وقد قوع الوقائع ،  
واستنبط لها الأحكام من أصول الشريعة ،  
حتى إذا وقعت كان الإفتاء عنها قائماً ؛ إذ  
ليس من المتيسر دائماً وجود المفتي الذي  
يفتي الناس في حوادثهم التي تقع وتحدث لم  
في كل يوم وفي كل مكان ، وكان بعض السلف  
لا يجيب عن مسألة إلا إذا وقعت بالفعل  
ولا يفتي في أمر لم يحدث ، روى الحافظ  
ابن عبد البر أن فتادة قدم إلى الكوفة لجلس  
في مجلس له وقال : سلوني عن سنن رسول الله  
صل الله عليه وسلم لأجيبكم ، فقال جماعة

شيء من تبرير أبي حنيفة في علم  
القضاء والاستنباط :

من بديع استنباط أبي حنيفة ومقدمته  
الفقهية وتوفد ذكاته وسرعة خاطره وتبريزه  
في علم القضاء ، وعلم القضاء غير معرفة الأحكام  
والقبصر بالحلال والحرام ، فقد يكون الرجل  
بصيراً بأحكام الأفعال عارفاً بالحلال والحرام  
ولكنه لا يستطيع أن يقوم بفصل القضاء .  
أقول : من ذلك ما ذكره الإمام الحافظ  
ابن العربي في كتابه أحكام القرآن قال :  
عما يروى في معرفة أبي حنيفة بالقضاء  
أن رجلاً جاءه وقال له : إن ابن أبي ليلى  
قاضى الكوفة جلد امرأة مجنونة قالت لرجل  
يا بن الزائين لهما حديث في المسجد .

فقال أبو حنيفة على الفور : لقد أخطأ  
ابن أبي ليلى من ستة أوجه : الأول :  
أن المجنونة لا حد عليها لأن الجنون يمسقط  
التكليف ، هذا إذا كان القذف في حال الجنون  
فأما إذا كان يحين مرة وبضيق أخرى فإنه يحد  
بالقذف في حال إفاقته إذا قذف في حال  
إفاقته أيضاً .

الثاني : قولها يا بن الزائين جلدتها من أجله  
حديث لكل أب حد وهو خطأ لأن حد القذف  
يتم داخل ولا يتمدد بتعدد المقتذوف لأنه حق  
الله تعالى كحد الحر والزنا ، ولو أن رجلاً قذف  
قوماً ما كان عليه إلا حد واحد .

فهل يجوز في شرح الله فرض المسائل  
واستنباط أحكامها قبل وقوعها كما فعل  
أبو حنيفة ؟ هذه مسألة مختلف فيها ولكن  
بما هيير علماء الإسلام أجازوا ذلك مستدلين  
بأدلة كثيرة صحيحة . منها ما روى في صحيح  
مسلم ( ج ٢ ص ٩٨ ) عن المقداد بن الأسود  
أنه قال : يا رسول الله : أرايت إن لقيت  
رجلاً من الكفار فقاتلني فضرب إحدى يدي  
بالسيف فقطعتها ثم لاذتني بشجرة فقتلتني :  
أسألت الله . أفاقته ، يا رسول الله بعد أن  
قالها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا  
تقتله . قال . فقلت : يا رسول الله إنه قطع  
يدي ثم قال ذلك بعد أن قطعها أفاقته ؟ قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتله فإن  
قتلك فإنه بمنزلة من قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلة من  
قبل أن يقول كلمته التي قال . ففي هذا الحديث  
الشريف لم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم  
المقداد عن فرض مسألة لم تقع بل أجابه عنها  
وبين حكمها فدل ذلك على جواز فرض المسائل  
واستنباط أحكامها قبل وقوعها . وكان إحداه  
أبي حنيفة لهذا الفقه المستنبط أو التقديرى  
موافقاً لآلة النبوة بل هو تطبيق عليها  
ونسج على منوالها واقتداء بعمل الرسول  
الكريم صلى الله عليه وسلم ، فنعاب أبا حنيفة  
على ذلك فإنه لم يخطئ بالسنة خبراً ولم يعرفها  
معرفة أبي حنيفة بها ، بل لم يعرف مذهب أبي  
حنيفة ولا مداركه الدقيقة .

وهذه من مناقب أبي حنيفة في حسن فهمه بالطاعة لأول الأمر .

ومن ذلك ما رواه الحسن بن أبي مالك أحد أصحاب أبي يوسف أن أبا حنيفة دخل إلى قاضي الكوفة ابن أبي ليلى ومعه أبو يوسف ليقص حقه فلما جلس أبو حنيفة عنده قال ابن أبي ليلى لحاجبه . اتلف لي حضر من الخصوم بالدخول كأنه أراد أن يرى أبا حنيفة كيفية الإجماعات التي يتخذها مع الخصوم وكيفية أعماله في القضاء وإيضائه الحكم فدخل عليه الخصوم وتقدم إليه جماعة لحكم بينهم ثم تقدم إليه وجلان فقال أحدهما : أعزك الله إن هذا الرجل قذو أمي بالزنا وقال لي يا بن الزانية وأنا أسأل القاضي أن يأخذني بحق مته ، فقال ابن أبي ليلى للدمعي عليه : ما تقول في هذا ؟ .

فقال له أبو حنيفة أنساه عن مصواه وليس هو له بخصم ؟ إنه رمى بالزنا أمه فهل ثبتت وكالته من أمه عندك ؟ قال لا فقال : أقبل على المدعي واسأله أحية أم أم ميتة ؟ فإن كانت حية فلا وجه لمصواه إلا بوكالة منها في المطالبة بحقها وإن كانت ميتة كلن قولاً آخر فسأل ابن أبي ليلى المدعي فقال له أمك حية أم ميتة ؟ قال : بل ميتة ، قال له أقم عندى البينة بوقاتها حتى أعلم ذلك فأقام عنده البينة بوقاتها ، فسأل ابن أبي ليلى المدعي

الثالث : أنه حد بدون مطالبة المقذوف ولا يجوز إقامة حد بإجماع الأمة إلا بعد المطالبة بإقامته .

الرابع : أنه والى بين الحدين ومن وجب عليه حدان لم يوال بينهما بل يحد لأحدهما ثم يترك حتى يندمل الضرب ويسبق المضروب ثم يقام عليه الحد الآخر .

الخامس : أنه حدما قائمة ولا تعد المرأة إلا في حالة مستورة .

السادس : أنه أقام الحد في المسجد والحدود لا تقام في المساجد إجماعاً .

ثم قال ابن العربي : إن هذا الذي قاله أبو حنيفة على البدنية لا يدركه أحد بالرؤية إلا العلماء السامعون الراصون في العلم وهو يدل على معرفته بعلم القضاء .

لم يبلغ ابن أبي ليلى هذا النقد شكاً بأحنية الرواي وقال له : إن بالكوفة شاباً يعارضني في الأحكام ويشنع علي بالخطأ فتعنه الوالي من الفتوى ولزم بيته . ثم وددت مسائل لعيسى بن موسى فاستفتي أبا حنيفة فيها فأفتى بما استحسنه عيسى وأذن له بالفتوى لجلس في مجلسه كما كان . وفي رواية أخرى أن امرأة استفتته يوماً بأنه خرج من أسنانها دم وهي صائمة فبصقته حتى عاد الريق أبيض فهل تفطر إذا بلعت الريق فأمر أبو حنيفة ولده حماداً أن يفتيها وقال لها : إن الوالي معنى من الإفتاء ،

الآن فسل المدعى عليه عن دعوى المدعى  
لسأله فأذكر فقال للمدعى ألك بينة قال : نعم  
جماعة من وجوه أهل الكوفة ، قال فأحضرهم  
مع خصمك حتى أسمع شهادتهم عليه ثم نهض  
أبو حنيفة وانصرف . فمن هذه الوقائع يتبين  
تبريز أبي حنيفة في علم القضاء واستنباطه  
وسرعة عاظمه وتوقد ذكائه ومقدرة الفقهية  
التي بلغت في التجديد في الدين أعلى الدرجات .  
نقول لو صح هذا كله لكان ابن أبي ليلى  
غير جدير بتولى القضاء . فإن ما لاحظته  
أبو حنيفة عليه من الإجراءات الأولية فنحن  
نذكر في محنته وإنما أوردناه لما فيه من  
الطراف ودلالة على اعتراف الجماهير بصدق  
نظر أبي حنيفة في إدارة شئون التفاضي  
مع أنه لما دعي لتولى القضاء أبي أر يقبله  
تودعا ، وشدد عليه في القبول فأصر على  
الإباء . وهكذا يتحفظ العالم في إجابته أمانة  
في أداء الفترى وخروجا من العهد أمام الله  
والناس حتى يظل العالم خليقا بحمل أمانة  
ما يفق فيه ؟

هياس ط

عليه من دعوى المدعى فقال له أبو حنيفة  
سل المدعى هل لأمه وارث غيره ؟ فإن كان له  
إخوة كانت المطالبة له ولهم وإن كان هو  
وحده كان قولاً آخر . فقال ابن أبي ليلى  
للمدعى هل لأمك وارث غيرك ؟ قال لا قال  
فأقم عندى البينة بذلك فأقام البينة بأنه وارث  
أمه ولا وارث لها سواء فذهب ابن أبي ليلى  
لبسال المدعى عليه من دعوى المدعى فقال  
أبو حنيفة : سل عن أمه أحره أم أمه ؟  
فقال ابن أبي ليلى للرجل أمك حرة أم أمه ؟  
قال بل حرة : قال فأقم عندى البينة فأقام بينة  
بذلك ، فذهب ابن أبي ليلى لبسال المدعى عليه  
فقال أبو حنيفة : أسأله أمسلة أم أم معاهدة ؟  
قال : هي حرة مسلمة من بنات آل فلان  
سراة بالكوفة قال فأقم عندى البينة بأنها  
مسلمة فأقام البينة عنده بأنها مسلمة ، ثم أقام  
البينة على أن أمه حنيفة عن وطء نحبده ، وأن  
ذلك الرجل لم يقذفها في حياتها وأنها سمعته  
من حد القذف لأنه إذا قذفها وهي حية  
وسامحته من الحد لم يحد بقذفها . ثم قال  
أبو حنيفة لابن أبي ليلى بعد ذلك شأنك

قال الشاعر :

فأياك أن تغتر يا صاح بالهوى      فإن الردى حلف الهوى وحقه

# مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

## المُسْلِمُونَ السُّودُ فِي امْرِيكا

للاستاذ عباس محمود العقاد

### The Black Muslims In America

التحقيق عنده أو يكلف القارىء تصديق  
عالمًا يقبل التصديق من دعايل تلك الحركة .  
ولا غرابة في حرص الدكتور أريك  
لشكون على تحقيق أخباره عن حركة كبيرة  
من حركات أبناء قومه في بلاده . لأنه لا  
يستطيع أن يتنكر لشعوره بالقرابة الحميمية  
بينه وبين من يكتب عنهم وإن نشأ على  
عقيدة غير عقيدتهم ، وربما كان انتسابه  
إلى طائفة مسيحية كالتائفة الميثودية ، حياء  
آخر من أسباب الصدق في وصف عيوب  
المجتمع الغربي ونسويغ الشكاية التي يشكوها  
النافسون على تلك العيوب ومنهم السود  
الأمريكيون ، فإن الطائفة الميثودية إنما  
نشأت وانتشرت بفضل الانتشار في القرن  
الماضي لأنها دعوة صارمة إلى إصلاح تلك  
العيوب وتبديل العادات والتقاليد التي من  
أجلها تبرمت طائفة السود بالحياة الاجتماعية  
بين البيض في القارة الأمريكية ، وقد يكون

في هذا الكتاب بيان واف عن حركة  
جديدة في مقدمة الحركات الإسلامية المعاصرة  
بالقارة الشمالية من بلاد العالم الجديد ، منذ  
سنة ( ١٩٣٠ م ) إلى اليوم .

ومؤلف الكتاب من الأمريكيين  
السود يسمى أريك لشكون ينتمى إلى الطائفة  
المسيحية التي تعرف باسم المنهجيين أو  
الميثوديين Methodists ويدرس الفلسفة  
الاجتماعية بأحدى كليات أتلانتا ، ويكاد  
يتخصص للدراسات التي تتعلق بمذاهب السود  
في القارتين الأمريكيتين .

وقد دلت طريقته في وصف حركة الدعوة  
الإسلامية بين السود الأمريكيين على صناية  
بالصدق في تلميح الواقع والبحث عن مصادر  
الأخبار ، فهو - فيما عدا بعض العقائد التي  
ينسبها إلى السود المسلمين - يستبعد أن يدين  
بها أحد ينسب إلى الإسلام - لم يذكر خبرا  
عن الأخبار التاريخية يثير الريبة في قية

باعتدال أولئك الدعاة على تعويد أتباعهم ،  
بعد فترة وجيزة ، أن يستقيموا على حياة  
العفة والورع وإن كانوا قبل ذلك من مدمى  
السكر ومقارفى الشهوات وملتمسى الكسب  
من أنواع المحرمات والمحرقات .

ويشهد المؤلف لمؤسس الدعوة ( فراج  
محمد ) أو فراج محمد على بحسن تدبيره لأمر  
الدعوة وتنظيم برنامجها واتباع الخطة التي  
تجدهى فى التوجيه وصيانة الحركة على سوائها  
ما ليست تجد به خطة أخرى فى مكانها ، ومن  
آثار هذه الخطة المنتظمة أن أتباعه  
بلغوا بعد سنوات نحو مائة ألف ( وقد  
يزيدون ) وأنهم أقاموا لهم بين الولايات  
الشمالية نحو سبعين مسجدا وزاوية للمادة  
حد المدارس والمكاتب وأندية الاجتماع  
والمحاضرة ، ومن دلائل تدبيره أنه كان يحنى  
عدد أتباعه ويتجنب الخوض بهم فى غمار  
الانتخابات ويوصى أتباعه بمثل ذلك إلى أن  
يحين الوقت لاستخدام أصواتهم على الوجه  
المفطور فى ترجيح فريق على فريق من الخصوم  
السياسيين .

ويحيط المؤلف لإمام الدعوة بهومن الغرابة  
يلامهم جو « الغيب » الذى يأتي من قبله رسل  
الدعوات ، فقد حضر إلى « ديترويت »  
حوالى سنة ( ١٩٣٠ م ) ولم يحفل بحضوره  
أحد قبل بضعة شهور ، لأنه كان يصرف ببيع

فى بيان تلك العيوب على حقيقتها شيء من  
الاعتذار عن إخفاق الدكتور أريك لتكوين  
وزملائه السود فى تبشير أبناء قومه بملهمهم  
المسيحى ، لأنه يقول ويستشهد على قوله  
بكلام المؤرخ الكبير « توينبى » إن السود  
شعروا بخيبة الرجا حين دانوا بملهم من  
المذاهب المسيحية ثم وجدوا أن وحدة  
الدين لم تكن عنهم شيئا لدفع المهانة عنهم ولا  
لحايثهم من ظلم التفرقة بينهم وبين البيض  
فى معاملتهم وعلاقاتهم الشخصية أو الاجتماعية  
ويترأى من بين السطور اعتذار آخر  
عن إخفاق المبشرين السود فى ضم أبناء قومهم  
إلى ذمتهم . فإن مؤلف الكتاب يلاحظ  
أن رؤساء الكنائس يرفعون عن قبول  
الشذاذ والوضعا وذوى الشبهات بين أتباع  
كنائسهم ، فى حين إن الدعوة الإسلامية  
قد أسفرت عن نجاحها التام فى إصلاح هؤلاء  
المتبذذين بعد امتزاجهم بأبناء البيئة الإسلامية ،  
وفد يكون توكيد هذا النجاح عذرا للدكتور  
أريك لتكوين وزملائه من ذلك الإخفاق  
الذى يحنون به كلما حاولوا أن يضيئوا صنيع  
الدعاة المسلمين الذين يرحبون بمن يستجيبون  
لدعوتهم وينشئونهم نشأة أخرى كما يقول  
المؤلف بغير مواربة فى شهادته لمؤسس الدعوة  
الإسلامية الأولين ولأن خلفهم على هداية  
أتباعهم المؤمنين ، فلا يخفى المؤلف إعجابه



الاقاويل ، فإنه أناب عنه أكبر مردي السيد  
ومحمد إيليا ، ثم لزوى عن الانظار ولم يرجع  
من غيبته تلك إلى هذه الساعة ، وقيل عن  
أسباب احتجابه إنه ينتظر ساعته الموعودة ،  
وقال كثيرون إنه ذهب ضحية لمكائد أعدائه  
الدينيين أو السياسيين ، ولم يستبعد فريق  
من أبناء الإقليم أنه اغتيل وأن اغتياله  
كان على يد ناس من أتباعه المنشقين عليه ،  
لأنه كان يجرّد حمل السياسة لعداوة الرجل  
الابيض ولا يوصى أتباعه بالولاء للدولة  
القائمة في البلاد ، وافقدت عليه ثقة من  
أتباعه أشفقوا من تعرض الحركة كلها  
لبطش الدولة باسم القانون وغالغوه وجمهروا  
بولايتهم للسلطة المدنية مع احتفاظهم  
برسالتهم الدينية والثقافية ، وإلى بعض هؤلاء  
المنشقين يعزى اغتياله على قول أناس من  
شيئته وأناس من مخالفيه .

وكل ما ينسبه مؤلف الكتاب إلى هذه  
الدعوة يدخل في باب الاحتمال المقبول  
إلا ما يرويه عن شيعة قليلة اعتقدت فيه أنه  
له تجسد لينتقد خلافة المظلومين ، وأنه  
ظهر بالجسد على صورة إنسان من السود  
لأنه أراد أن يطهر الأرض من فساد الرجل  
الابيض ويسلبها لأيدي السود من ضحايا  
ذلك الفساد .

فنحن نستبعد أن يشيع هذا الاعتقاد

الملابس والمنسوجات ولم يلفت إليه الانظار  
إلا بعد افتتاح البيت الأول للوعظ والصلاة  
ظما النفس إليه ولادة الأمر ومنظاموا الأخبار  
بحسوا عن أصله والمكان الذي أقبل منه فلم  
يقتدوا من أمره قط إلى يقين ، وبلغ من  
اضطراب الظنون حول حقيقته أن بعضهم  
ينميه إلى مكة وبعضهم ينميه إلى فلسطين ،  
ويقول أناس إنه من الإفريقيين التابعين  
للدولة التركية ويقول غيرهم إنه من رسل  
النازيين إلى أمريكا لإثارة رعاياها المتمردين  
عليها ، بل زعم بعضهم أنه من دعاة السياسة  
اليابانية كما زعم آخرون أنه من دعاة السياسة  
الروسية ، ولولا أن تنظيم الحركة كان أقوى  
وأثبت من أن تسال إلى خدمة الدعايات  
لحقت فيه شبهات القائلين إنه داعية من  
أولئك الدعاة الدوليين مستتر عن الانظار  
بتار القومية والدين ، ولكن الرأي المحقق  
الذي انتهى إليه الباحثون عنه أنه د مبشر  
سلم شديد العصبية لدينه ، مع مخالفة تناسب  
إليه في مزج الدعوة الدينية بالدعوة النصرانية  
إلى تغليب الرجل الأسود على سلطان الرجل  
الابيض ، خلافا للنصرانية النازية التي حاول  
بعضهم أن يحسب من أذناها .

ولما احتجب عن مقر الدعوة بمدينة  
ديترويت وما حولها كان احتجابه أغرب من  
ظهوره وأدعى إلى إثارة الظنون واضطراب

الاستقلال غير الثورة على دعوى الرجل الأبيض في حق السيادة على الأمم الصفراء والسمراء أو الأمم غير البيضاء على الإجماله ولم ينس إمام الدعوة أن الإسلام لا يقوم على كراهية جنس من الأجناس ولا على التفرقة بين الشعوب والألوان ، ولكنه كان يقول: إنها كراهية تولدت من الكراهية ، وإن عداوة السود للبعض فرح من أصل هريق فيها حوله ، وهو عداوة البيض للسود . فإذا تقدم الزمن بدعوة ديترويت ، إلى ما وراء هذه البواعث المحلية ، أو الموقونة لم يكن عسيراً على المؤمنين بها أن يصونوا لها تلك الغيرة التي استمدتها من النخوة القومية ليستقيموا بها على النهج القويم من الغيرة الإسلامية ، أو الغيرة الإلهية . ولهذا الموضوع عودة نعرض فيها لجوانب البحث التي شملتها فصول الكتاب ولم يتسع لها هذا المقال ؟

عباس محمود العقاد

بين أناس يقرءون القرآن ويعرفون طرقاً من سيرة النبي عليه السلام ، ولكتنا لا نستبعد الغلو في الخلة على الرجل الأبيض وما يتيحه من الغلو في تقدير رسالة الرجل الأسود الذي يضطلع بإصلاح فساد وإزالة سلطانه . فإن مؤسس الدعوة بمدينة ديترويت ، قد عول على النخوة القومية ولم يكن له مناص من التعويل عليها للارتفاع بنفسوس أتباعه إلى مقام الكرامة التي تأتي الخنوع لأصحاب السلطان وتطمع إلى الوقوف منهم موقف المصلحين المخلصين ، وليس قصاره من الإقناع أن يقتنع سامعيه بمشابهة السادة في بلادهم وبين مظاهر سلطانهم واضرازم ، بل هو يناديهم ليصلحوا حيث فسد أولئك السادة ويملكوا زمام الولاية حيث كانوا من قبل يملكون صخرين .

وواقفت هذه الدعوة المحلية ، دعوة أخرى عالمية من قبل الآسيويين والإفريقيين ، لم يكن لها شعار منذ قيامها مع حركات

من قصيدة لسلي بن يزيد يرثي أخاه قيس بن سلة :

إذا ثوب الداعي وتثنى به الجور  
إذا ما هو استغنى ويبيعه الفقر  
له جفوة إن نال مالا ولا كبره  
شمال وأمسك لا يبرحها ستره  
إلى باب سفي وقد قطعت القطر

ففي كان يعطى السيف في الروح حقه  
ففي كان يدينه الغنى من صديقه  
ففي لا يعد المال ربا ولا كُرى  
فتم مناخ الضيف كان إذا سرت  
وماوى البائس المصلين إذا اتوا

## مَحْنًا مِنْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

### عابِد الشَّمْسِ

لِلأَسَازِ الْعَوْضِي الْوَكِيلِ

« على شاطئ نهر الكسح في الهد قوم يبدون الشمس ، ولم زعم  
فل ينظر إلى إله حتى كبت بصره ، ولست مع ذلك استمر وجهه إلى  
الشمس منذ مشرقها إلى أن تغرب كل يوم مقبدا خاشعا » .

أيها العابد قد جاء الصباح وتبدى من سناه في وشاح  
وصح الكون على ترنمة لك سارت في الروابي والطرارح  
ترفق الشمس لدى غدوتها وتحيها إذا حان الرواح  
قبلة أنت إليها ناظر دأباً ، لم ينصرف منك التماح !

\*\*\*

لم تزل تزو إليها خاشعاً خافض القلب لديها والجناح  
رحمت تدعوها دعاء خافتا خاض اللفظ وإن مضاه صاح  
ونجاء أنت في لجته غارق ، نشوان منه غير صاح  
قد تخلفت أكون طراً مقبدا ورحيب الأفق للعبد ساح

\*\*\*

أيها العابد نوح الغمض وادن لاح منها حاجب ، أورد قرن  
تأجها بالصمت حيناً والغي وكلا ذين به سحر وفن  
وتوسل في خشوع شاعر وانهل الأضواء فالآفاق دن  
ولئن عانك طرف ناظر فلك القاب له أذن وعين

\*\*\*

أيها العابد للشمس التي لم تزل تسخر علينا بالسنا  
نحن حشاق لها ، لكنتنا ما اتخذناها إلهاً بيتنا  
إنما نصب من أبدعها ولديه وحده نفي المني  
ولنا شعر وترنم له وتهايل تسامت في الدني

( البقية على صفحة )

من رحاب الله  
مزبداً من النور  
للأستاذ إبراهيم محمد نجما

( يا إلهي .. يا نور النور ، سأظل طول أيامي  
أدعوك : مزبداً من النور .. مزبداً من النور ، تتحول به  
ظلت إلى نور ، بعيدني إلى رحابك في عالم النور ) .

مزبداً من النور يا خالق	فقد جن ليل بفجر الضياء
مزبداً من النور يهدي خطاي	إن حيث نبع الهدى والصفاء
مزبداً من النور في ظلي	ليجو لجرى ظلام المساء
مزبداً من النور بسعد قبي	بما بسعد النبع ركب الغلاء
ظمت إليه بروحي التي	تري النور فيما سحي العطاء
مزبداً من النور ، فالنور حب	وبالحب يشرق ليل الحقاء
وبالحب التي البعيد القريب	وما أروع الوصل يوم اللقاء
وبالحب أشعر أني فنيك	قلت الخلود بهذا الفناء
أنا عاشق النور مثل الفراش	وي النور ألقى خلود البقاء

\*\*\*

مزبداً من النور على أعود	إلى عالمي في رحاب السماء
فأحيا كما كنت أحيا هناك	حياة الصفاء ، حياة النقاء
أضئ ، وأسمع غيري بغي	فيتمد عمري بسحر الفناء
وأرؤ إلى الله في باطني	فتأخذني مرة وانتشاء

قضيت زمانا بهذا المكان ومن تكلم فريد الرواء  
 رأيت الحياة على ضفتيه ديبعا يروح بسر انشاء  
 ولما صحت تولى الربيع وجاء الحريف ، وجاء الشتاء  
 وألفيتى هاهنا في التراب أسير كن تاه بين السراء  
 ألهل وحدى ظلام الحياة بروح تضى كنجم أضاء  
 وأمشى أجور قيود الوهاد لأبلغ يوما قباب الملا  
 وقد يخلق اليأس باب النجاة فأنفج في القلب باب الرجاء  
 إذا كان جسمي يخوض الشرى فروحى تخلق بين الفضاء  
 وإن حجب النور عنى غطاء فما قريب أزيح الغطاء  
 وعما قريب ستلبس روحى رداء من النور جم البهاء  
 وتزع منها الرداء الذى أهد لها من تراب وماء

• • •

فيارب يا نور هذا الوجود وبأخير من يستجيب النداء  
 مزيدا من النور يهدى خطاى إلى حيث تبع الهدى والصفاء  
 مزيدا من النور حتى أعمود إلى عالى فى رحاب السماء  
 إذا كن دافى ظلام الحياة فنورك يارب خير الفواء

ابراهيم محمد نجما

( بقية المنشور صفحـ ١٠٣ )

أبها العابد فى شط النهر وانظر الروشات فيها فتنة  
 وانظر الأنجم تبسود زينة وانظر الإنسان أمسى خلقه  
 انظر الشمس ، جميعا ، والقمر من ظلال وغصون وزهر  
 وهدايات بداء وحضر عجب الكون ، ومرئاد الفكر  
 أثرا ، يا حبذا هذا الأثر ربنا الرحمن ، والكون له

الموضى الوكيل

# الكتاب

نقد وتعريف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

١ - محمد رسول الله :

للأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي

هذا الكتاب الجديد للكاتب المعروف الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي، والذي نشرته مكتبة عالم الكتب بالقاهرة، جدير بالعرض والمناقشة لسببين رئيسيين :

أولهما : أن المؤلف - وهو كاتب له شهرته ، لا في داخل محيطنا العربي وحسب ، بل عارجه أيضا - يكتب لأول مرة عن الرسول - صلوات الله عليه - دراسة استغرقت بضع سنوات ، وهذه الدراسة لم تتأثر كثيرا بالسطحيات التي عني بها كثير من كتب السيرة ، وتأثر بها عدد غير قليل من عامة المسلمين .

وثانيهما : أن المؤلف - كما ذكر في المقدمة لا يقدم كتابا جديدا في السيرة بضيف حقيقة جديدة فيها ، وإنما بصور قصة إنسان التسع لآلام البشر ومشكلاتهم وأحلامهم ، وكونت تعاليمه حضارة زاهرة خصبة أغنت وجدان العالم كله لقرون طوال ، إنه يقدم صورة الرجل . . لا النبي ، وقصة الإنسان الرائع

البطولة الذي ناضل - على الرغم من كل الظروف ضد القوى الفاشية المعترسة من أجل الإخاء البشري .

إذن ، فالمؤلف يضع حدودا لدراسته ، فهو يريد أن يعرض تعاليم ومبادئ محمد الإنسان . لا النبي . ويقوم منهجه على التصوير والسرد القصصي ، ويحد به عن إطار الدراسة والبحث ، وهذه عارضة ليست جديدة في الجانب المنهجي ، وإن كانت جديدة في تحديد الهدف من عرض شخصية الرسول من الجانب الإنساني والبشري ، دون ما ارتباطه بالجانب الديني .

يبدأ الأستاذ الشرقاوي في أسلوب قصصي بقصة والد الرسول عبد الله ، الذي كادت دماؤه تسيل تحت أقدام تماثيل الآلهة الوثنية ، لولا المصادفة التي تدخلت لتنفيذ حياته ، ثم بصور الحياة في مكة قبيل الرسالة المحمدية ، حيث : المال والآلهة والسكبة والمتاح للسافة ، والرمضاء والمرارة والألم والحرمات للمستضعفين ، الذين سقطوا تحت ضربات الحاجة ليتحولوا إلى عبيد عند دانتهم ، كما بصور فترة الفلق الذي ساور عقليات بعض

طويلا معه ، فهو محاولة فصل محمد الإنسان من محمد النبي والرسول ، إذ الجانب الإنساني أو الجانب العبقري لا يمكن استخاؤه من الجانب الديني متمثلا في النبوة والرسالة معا ، وللتين ليس لهما مصدر سوى الوحي السامي والمؤلف حاول عبثا هذا الفصل ولكنه لم يتقو عليه ، والصورة الرقيقة التي قدمها لشخصية محمد كانت وثيقة الصلة بتوجيه القرآن له ، ولو قوى على تحقيق هدفه وهو أن يقدم محمدا الرجل والإنسان لا النبي والرسول ، للجا لحسب - إلى أحاديث الرسول وأعماله التي لا تمت إلى الوحي بسبب ، ولا يصلح حذرا للمؤلف قوله دفاعا عن نفسه : إنه يكتب لغير المسلمين عن مناقشون الرجل والتعاليم ، فلا يجب أن يراجعهم بالنبي ، فهذا شيء حقيقه من قبله غير المسلمين من كتاب الغرب والشرق المنصفين ، وإذا كان هؤلاء كتبوا عن محمد العبقري لشغفهم بالكتابة عن العباقرة ، فإن مهمة أمثال الأستاذ أشرقاوى في كفاءته ومقدوره على البحث والحراسة والتحليل ، أن يقدم إلى غير المسلمين محمد الرسول العبقري دون ما فصل بين الرسالة والعبقرية وهو الذي دعا إلى المبادئ الزهيدة والمثل العليا باسم الإسلام لا باسمه الشخصي كرجل وإنسان وعبقري .. ونحن مضطرون إلى أن نقف مع المؤلف وقفة أخرى أكثر طولا : فهو في أسلوبه الحوارى يثير إبهاما وغموضا

المستعيرين من أمثال ورقة بن نوفل وزيد ابن عمرو ، إزاء هذه الآلهة المسيطرة وإزاء تلك الأوضاع الفاسدة التي تباركها الآلهة نفسها ثم يعرض المؤلف محمدا في طفولته وفي صباه ، وحينما أصبح رجلا يدبر بيتا ، وعاقلا ناضج العقل بنأف من آلهة مكة وأوضاعها المليئة بالخدع والكاذب ، وبعد ذلك حين أصبح رسولا مسئولاً عن التطويج بآلهة مكة وأوضاعها الزائفة ، وحينما اضطر إلى الهجرة من مكة إلى المدينة ليقيم فيها ديننا ودولة ، وينشر في الآفاق إعاء ومساراة ، وينشر حرية وعدلا ، وحينما اضطرته أعصاب الظروف إلى أن يرفع سيفنا في وجوه الطغاة الممتدين بين أرجاء مكة وما حولها ، وفي وجوه الحوثة المارقين من اليهود المقيمين معه بالمدينة ، وحينما اضطرته الظروف أيضا أن يفتح عينيه لمساكن المنافقين ومؤامرات الحاقدين ، والرسول صلوات الله عليه إزاء هذه الظروف جميعها يناضل دون يأس ، ويسير دون توقف ، يحمل قلب رجل وإنسان معا . هذا مجرد عرض موجز سريع ، ولنا بعد ذلك أن نقول :

إن المؤلف حيث ألزم في منهج الكتاب الإطار القصصي كان موفقا ، وموفقا للغاية حين التقط نماذج حية ناطقة عن عظمة محمد ذي القلب الكبير والعقولة الواعية والآفاق الواسع البعيد النظر - أما الذي نقف فيه

شعيد في لإسلام وامرأة جعفر بن أبي طالب  
عم الرسول ، وقاطمة بنت الخطاب أخت عمر ،  
واسماء بنت عميس أخت ميمونة أم المؤمنين  
ويذكر المؤلف : أن ابن أهدر الرسول  
عطاءم في فتح مكة ، عبد الله بن سعد ، عهد  
إليه محمد بكتابة الوحي - أي القرآن - فكان  
يغير على هواه ثم يذهب إلى المنافقين ويتندر  
بما صنع ، فلما كشف محمد أمره رجع إلى  
مكة مرتدا - والمعروف أن تدوين الوحي  
قام به الكثير ، وبمعه أصحاب محمد في صدورهم  
وعبد الله هذا ارتد كما ارتد غيره ، ثم هما  
عنه الرسول كما حفا عن غيره ، وأسلم مرة  
أخرى وحسن إسلامه ، وولاه كل من  
الخليفين عمر وعثمان بعض أعمالهما .

ويسمح المؤلف لنفسه أن يذكر عن حمزة  
سيد الشهداء أنه بعد هودته من رحلة على  
شاطئ البحر ، وجمع إلى عهد الله ، وظل  
ليلة كاملة يصعب الحفر مع قانتين إسرائيليتين ،  
ثم غدا على المسجد ، ورائحة الحفر تفوح من  
فمه ، ورائحة المعطر تفوح من بين أصابعه ،  
والرحلة التي ذكرها المؤلف ، هي سرية  
« سيف البحر » ولوسلنا بأن حمزة قد شرب  
الحمر - وهي لم تحرم بعد - فكيف فلم يفتنه  
الفانتين من بنات إسرائيل ، وهي أكثر  
من قرية . لاسيما حينما تنسب إلى سيد الشهداء  
ومن أعز الله لإسلام باثنين هو أولهما .. ؟

يوحمان القاري . أنه إنما يحاول إبراز القرآن  
في إطار بشري ، دون أن يتمدد التصريح  
- أي أنه مجرد الطباح في نفس محمد ، نشأ  
من تأثره بيئته التي نشأ فيها ، وتعبير عن  
الحياة نفسها التي عاش فيها ، وهو في هذا لم  
يرد شيئا عن بعض المستشرقين وفي مقدمتهم  
المستشرق الانجليزي « سجب » في كتابه  
« المذهب المحدثي » فالاستاذ الشرفاوي كثيرا  
ما يردد : فهذا هو الحد الذي جاء به محمد -  
لقد جاء بكثير من العقوبات - خرج يستقبل  
القرآن - ثم أخذ يتلو ، وهو في كل هذا  
يسوق عبارات القرآن كماها من تفكير محمد  
السريع - لا من وحي السماء ، وحي الوحي  
لم يقطع به المؤلف ، فقد حصره في الرؤيا ،  
أو بين اليقظة والنوم ، مع أنه من المسلم به  
والمقطوع بتواتره ، أن جبريل لقي الرسول  
جهارا وواجهه بالقرآن مشافهة .

هناك ملاحظات لا مجال لاستيعابها ،  
فقد كنا نود ألا يتأثر الكاتب ببعض  
السطحيات التي حشيت حشوا في بعض كتب  
السيرة ، بل يجعل من قلبه - وهو الناقد  
اللامع - قاصدا يميز الحق من الباطل ،  
ويفصل الثناء عن الزبد .

لأنه يذكره أن عدد المسلمين الأوائل بلغ  
أربعين منهم الأجرء والصعاليك والجواري  
والبغايا والأرقاء - وكلمة البغايا لا مكان لها ،  
فالمسلات الأوليات منهن : خديجة وسمية أول



والى المدينة الذى استغل أداة البطش ، بل تصدر الأوامر إلى أن يقف الوالى المحرول أمام دار مروان ليقتل منه كل من آذاه . شتمه بشتة ، ولتنة بلعنة ، ولطمة بلطمة ، وقطف الرعية أمر الخليفة لقتلنى ، ويأتى دور زين العابدين بن الحسين الذى ذاق ما ذاق من بطش الوالى ، فتملكه أخلاق النبوة ويقف أمام الوالى الأعزل ويلقى السلام عليه ويقول له : « إن كانت لك حاجة فإننا نقضها لك ، وإن كان عليك دين من ولايتك فإننا نسد دينك . . . » ، وانهمرت دموع الأمير . وزين العابدين ينصرف وهو يشتم : إنه محرول ، فليس له قوة ، ونحن نملو ونشكرك عن إيذاء الضعفاء ، وهكذا توقف الناس عن إيذائه .

انقضا عشرة قصة من تاريخنا نعمل فيها دروس وعبر ، منها قصة القلب الكبير ، قلب للتابعى الجليل عبد الله بن المبارك ، والإمام الأعظم أبو حنيفة فى اعتزازه بعله وإيمانه وتمسكه بالحق أينما كان ، وأبو معزى أحد المكالمين الجزائريين فى ذنائبه المظلمة ، حيث استطاع إيمانه أن يصمد أمام التذويب والحرمان وطغيان فرنسا ، ثم صانع الرجال القائد المظفر سعد بن أبي وقاص ، البطل الذى قهر إيمانه إصرار أمه على الإضراب عن الأكل والشراب حتى يرتد سعد عن الإسلام ، ثم العرش المحطم عرش عبد الحميد السلطان

وبعد - فالألقى الراسع يرحب بالافكار الجريئة مهاكنا خطرهما ، والذين تضيق عقولهم بكل رأى حر عليهم أن يشهروا أقلامهم ليردوا وينقدوا ، أما حين نحاول أن نتمقب الآراء الجريئة ونستعدي عليها لمصادرتها ، فإننا نقنع بمنطق النعام حين يرى من الأسلم له أن يدفن روسه فى الزمان . . .

٢ - دموع الأمير :

الدكتور نجيب الكيلانى .

هذه مجموعة قصص نشرتها مكتبة وهبة بعابدين فى كتاب للؤلؤ ، وهذه القصص من واقع تاريخ الإسلام والمسلمين ، والأدب المؤمل ، وهو من التأثرين بالدراسات الإسلامية استطاع أن يقدم فى هذه القصص صوراً حية للبادئ الإسلامية نستشف منها عظات وعبوراً تصل إلى أحماق نفوسنا من واقع تاريخنا البعيد . . .

القصة الأولى وأطول القصص هى دموع الأمير ، نعرض جانباً من تاريخ حكم بنى أمية فى مرحلته الأولى ، حيث كان هشام بن اسحاقيل المخزومى والياً على المدينة من قبل الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، وسيافاً مصلاً على رقب المخاصمة من آل البيت وغيرهم ، ويشاء القدر أن يموت الخليفة ويتولى ابنه الوليد . فتتغير سياسة الحكم إلى نوح من تخفيف حدة العنف والبطش والانتقام ، ولا يكتفى الخليفة الجديد بمحور

المبادئ الهدامة ، ومكافحة الاستعمار ، وتعمق التبشير والمبشرين ، وفي فرائض الإسلام ، وأخلاق المؤمنين ، وفي كثير من المعاني الإسلامية ، وفي التكافل الاجتماعي ، وأدوار المجتمع وغير ذلك ..

فضيلة أستاذنا الشيخ علي رفاعي يتناول موضوعاته بأسلوب عصري جيد ، فيه كثير من نضوج الفكر وسعة الأفق ، والتجاوب مع الأحداث الاجتماعية والسياسية في بلادنا الإسلامية ، إلا أن عنوان كتابه في هذه المرة ( التربية الأساسية في الخطب المنبرية ) يوحي بأن الكتاب دراسة عن الخطب المنبرية وأثرها في التوجيه والتربية ، ولكن الكتاب جاء بمجموعة قيمة من الخطب فيها تطور وتجديد ، وكنا نود حل الأقل أن يقدم الكتاب بتمهيد صعب يكون وثيق الصلة بعنوان الكتاب الجليل في موضوعاته.

٤ - المؤثر في التربية الوسطية :

لفضيلة الشيخ حل المنصوري نشرت هذا الكتاب دار القومية العربية للطباعة والنشر بالقاهرة ، وفضيلة المؤلف ممن قطعوا أمدا بعيدا مجاهدا في سبيل الإسلام . فهو رئيس جماعة التربية الإسلامية بشبرا ، والكتاب مجموعة من البحوث عن القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية ، في ثلاثة أبواب : الباب الأول يتناول العقائد

الطائفة ، ثم قصة أبي غيثمة الذي تخلف في بادئ الأمر عن الرحيل مع الرسول إلى تبوك ، ثم جذبه إيمانه إلى الحق بمحش الإيمان ، ثم قصة سلطان العلماء المزين عبد السلام الذي كلن يهز بإيمانه عروش السلاطين ، ثم خاتمة القصص ودجل في المنى . أما الرجل فهو الصحابي الجليل أبوذر الغفاري الذي نقي لله ورسوله ولصدقه بالحق ضد ترف بني أمية ..

الدكتور نجيب الكيلاني يقدم لنا جديدا من القصة ، فخل منه معظم كتاب القصة عندما فهم يهرعون إلى موضوعات عاطفية مكررة ، مع أن في تاريخنا الإسلامي مادة دسمة لكل مفكر ، ولكن يظهر أن كتابنا يؤثرن السطحيات التي لا تكلف جهدا ولا تسترقق وقتا وكنى ..

٣ - التربية الأساسية في الخطب المنبرية :

لفضيلة الأستاذ الشيخ علي رفاعي كتاب جديد نشرته مكتبة صبيح بالأزهر للأستاذ الشيخ علي رفاعي المنشور العام للوعظ بالأزهر الشريف ، قدم له فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر .

فضيلة المؤلف له عدة كتب في هذا المجال . مجال الخطب المنبرية وهي ذات أثر فعال في قلوب المسلمين ، كما يقول الأستاذ الأكبر ، والكتاب استوعب بين دفتيه أربعة وستين خطبة منبرية ، في الوحدة الإسلامية ومقاومة

خمس وتسمين اسما. كان آخرها المدينة المنورة. كما سماها الرسول، وقبله يثرب نسبة إلى اسم أول ساكنها، وتبحث الدراسة عن معالمها ومآثرها، وتعرض قسما من السيرة الشريفة،

وبيوت أقد فيها، وتلقى أضواء من التاريخ القديم والحديث على أحداثها، ثم تقدم الدراسة عددا من أعلام المدينة الأقدمين والمعاصرين، كما تقدم هذه المدينة الخالدة في العصر الحديث، والمؤلفات التي كتبت عنها. بما منذ القرن الثاني الهجري مثل كتاب الأوس والخزرج لأبي عبيدة المشي البصري وفضائل المدينة لابن الجوزي، والإبارة في الزيادة لابن حجر، وفضائل المدينة مرة أخرى لابن حساكر، وغير هذه كثير..

لموضوع الكتاب أهمية كما قلت إلا أن المؤلف عمد إلى خلط لا مبرر له، حيث لا ارتباط له بالكتاب، كموضوع من بناء النهضة في الحجاز، قدم منهم فقط فضيلة الشيخ محمد مرور العبدان، وأياديه على العسكر والأدب والدراسات الإسلامية، وهذا حق لا نكران عليه. فلو أن فقدان الصلة قائم بين هذا الباب وموضوع الكتاب، والمؤلف يترجم نفسه مع التراجم للأعلام وهذا اتجاه غير منطقي إذ غيره يترجم له، ولو أنه وضع الترجمة مستقلة في أول الكتاب أو آخره كترتيب المؤلف لكان هذا أسلم..

والكتاب بعد ذلك جدير بتقديرنا..

محمد عبد الله السامح

والإيمان، التوحيد، الملائكة، القرآن، الرسل، اليوم الآخر، والباب الثاني يتناول الإسلام وأركانه الخمسة، والباب الثالث يتناول المأثورات كالاستخارة والدعاء..

عنوان الكتاب، الموجز في التربية الإسلامية، لا يفهم منه إلا أن يكون تربويا خالصا، ولكن فضيلة الشيخ جعل منه دائرة معارف صغيرة، للفقه والتوحيد والتفسير والحديث وعظات السلف وما إلى ذلك، وإن كان ما استوعبه الكتاب كله إسلاميات معتمدة على الكتاب والسنة. إلا أن الواجب أن يكون الموضوع مرتبطا كل الارتباط بعنوانه، وكنا نود أن يربط فضيلة المؤلف على الأقل بين الموضوعات التي طرفها وبين التربية. إلا أن جانب الفقه غلب على الطابع التربوي، ونحن لا نكرر بعد ذلك أن فضيلة هرف بالإخلاص فيها يكتب والغيرة على الإسلام وقيمته في كل ففاته.

٥ - المدينة المنورة في التاريخ:

للأديب الأستاذ عبد السلام هاشم

هذا الكتاب نشرته دار الجهاد ببغدادين، والمؤلف أديب وشاعر حجازي هاجر من المدينة إلى القاهرة واعتبرها وطنه الثاني.

موضوع الكتاب له أهمية من حيث موضوعه، فهو دراسة تاريخية مركزة، تبحث عن بداية تكوين المدينة منذ هدمها بعد الطوفان، ثم عن أسمائها التي بلغت

# بريد المجلة

أخذنا على عباده ، أخذنا على الأنبياء  
والمرسلين ، أخذنا على العلماء ، أخذنا على  
الحكام ، أخذنا على الأُمراء والجماعات كغفلك .  
والى باسم الإسلام وباسم الأزهر ، وباسم  
الملايين المتطلعة إلى انبثاق المبعر الصادق في  
جوانب حياتنا ، أهتكم بتوفيق الله لكم ،  
وأهني الأمة المصرية والوطن العربي بما  
تضمنه مشروع الميثاق الوطني من مصايح  
هادية على طريق الحق والعمل والخير من  
أجل رفاهية الكادحين والماملين في سبيل  
الله .

نفع الله بكم أمته ودينه ، وسدد على الهدى  
خطاكم ، ونصركم بالحق ، ونصر الحق بكم ،  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد شلتوت

شيخ الأزهر

عود إلى التسمية في بدء القراءة

كان الأستاذ محمد عبد الشراكوي من علماء  
الإسكندرية مصرأ على إنكار التسمية  
في أول القراءة - سواء : أكانت القراءة  
من أوائل السور ، أو من أثنائها .

رقية الإسلام إلى الرئيس :

من محمود شلتوت شيخ الأزهر :  
إلى ابن العروة والإسلام الرئيس  
جمال عبد الناصر .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته - وبعد :  
فقد شرحتم صدورنا بما أعلتم من تخطيط  
يمل كلمة الحق ويحفظ ميزان العدل ، ويرسي  
قواعد الحرية والكرامة ...

ولقد أرضيت أرواح الشهداء بما حققتم  
من آمال ، وما وصلت إليهم من نصر ..  
فن أجل الحق الذي ضعف عنه أنصاره  
كانت ثورة الشعب بقيادكم ...

ومن أجل العدل الذي اختلت موازينه  
كانت تضحياتكم وفدايتكم ..

ومن أجل الحرية السليمة والكرامة  
المهدية كان كفاح السنين العشر في حرب  
أعداء الحرية وخصوم الكرامة ..

ومن أجل هذه المعاني الإنسانية الكريمة  
كانت الرسائل الإلهية التي تضمنت النظم  
الصحيحة لحياة الجماعة الإنسانية ..

ومن هذه المعاني الإنسانية الكريمة كذلك  
انخذ الله لرسالاته الموثيق أساساً ومتكناً ،

والفقهاء . مع أنه ليس كذلك ، بل دليل ما نقل عنهم .

إذ هؤلاء يقولون بالتسمية ، وظاهر الأداة معهم .

وإذا كان الأستاذ يقول : إن أقوال هؤلاء معارضة بأقوال القراء ، فكذلك تقول له :

وإن أقوال القراء - ومع قلة - معارضة بأقوال هذه الكثرة من الأئمة ومن الخيرة أن يقتصد

الأستاذ في هذا المجدل في شأن موسع ، ولا حرج مطلقاً في القول به - بل هو أوفق

لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في أعماله .

فقد كان يذكر التسمية في كل شيء ، حتى في دخوله الحلاء ونحو ذلك .

وهناك أشياء جديدة بالبحث والعناية ، وهي أولى بالانضمام فيها فضلاً عن أن القراء

يحييرون لقاري أن يختار التسمية في الأثناء - وكفى .

عبد القطيف السبكي

### وضع الزهرور على القبور :

دارت مناقشات في بعض الأندية حول هذه العادة وكيف نشأت. فمن قائل إنها غريبة ،

ومن قائل إنها شرفية إسلامية . والرأي الثاني هو الصحيح ، فقد جاء في صحيح البخاري

عن ابن عباس قال : مر النبي عليه السلام بقبرين فقال : إنهما ليحذبان وما يحذبان في

وكان اعتياده على قوله تعالى : « فإذا قرأت القرآن فاستمعوا له من الشيطان الرجيم » .

ويرى الأستاذ في مقاله الأول أن التسمية في أي موضع تعتبر زيادة على النص

بالاستعاذة ، وهذه الزيادة تكون ناصحة للنص دون مسوخ للنسخ

وقد نشرنا تعليقاً على هذا بأن الزيادة غير موجودة ، إذ أن الاستعاذة والتسمية

ماخوذان من نصوص القرآن نفسه ، والجمع بين النصين في موضع كل منهما لا يسمى نسخاً .

وكذلك نشر الأستاذ الحبيبي هاشم من علماء الزنازيق بحثاً واسعاً قوياً يفند فيه بحث

الأستاذ الشرقاوي ويثبت مشروعية التسمية على الوجه الذي رآه العلماء ، وينبغي الأخذ به

ولكن الأستاذ الشرقاوي عاد إلى الكلام في هذا بشيء من التعديل في كلامه .

إذ قصر إنكاره على التسمية في أواسط السور ، وسكت عن التسمية في أوائلها ،

فكأنه سلم به وهذا جانب من الإنصاف نحمده له .

غير أن الأستاذ يتشبك بالإنكار في أواسط السور ، وكل اعتياده في هذا على ما ذكره من إجماع القراء على أنه لا تسمية

في أواسط السور .

وطن الأستاذ أن إجماع القراء وحدهم يقوم حجة مطلقة على جميع المفسرين والمحدثين

يترجح مجرد خبرها من أن كقوله تعالى :  
« يكاد زيتها يضيء » ، وما كادوا يفعلون ،  
فيكون الكثير في خبرها أن يتجرد ، كما أنه  
يجوز اقتران خبرها بأن مع الفسلة ، وهذا  
بخلاف ما نص عليه الأندلسيون من  
أن اقتران خبرها بأن مخصوص بالشعر .

وقد جاء مقترنا بأن في غير الشعر كقول  
الرسول عليه الصلاة والسلام : ( وما كنت  
أن أصل العصر حتى كادت الشمس أن تغيب )  
والحديث الشريف متفق مع القرآن في أن  
القرآن لا يأتي بالفتات الشاذة وإلا لما كان  
معجرا وكذلك الحديث لا يأتي بالفتات  
الشاذة ، والله تعالى يقول : « وما ينطق عن  
الهووى » وقول الشاعر :

كادت الشمس أن تفيض عليه

مذ ثوى حشو وبطة وبرود  
والشعر العربي إذا تعددت فيه الأمثلة  
لا يكون ذلك ضرورة ولا شاذاً وإنما هو  
قاعدة مسلم بها .

فاروق أحمد سلام

التقليد بمعنى المحاكاة :

أنكر أحد المدرسين على تلاميذه استعمال  
التقليد بمعنى الاقتداء والمحاكاة لأنه لم يرد في  
كتب اللغة ، وهذا ليس بصحيح ، فقد جاء  
في لسان العرب وشرح القاموس ومعيار  
اللغة وأساس البلاغة وغيرها ما نصه :

كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرى من بوله ،  
وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم أخذ  
جريدة وطية فشققها نصفين ففرز في كل قبر  
واحدة ، قالوا يا رسول الله لم فعلت هذا ؟  
قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا ، والحكمة  
في ذلك أن كل حي ونام يسبح الله دون الميت  
واليابس ، وفي الحديث الشريف إشارة إلى  
أنهما يسبحان ما دامتا وطبتين دون ما إذا  
يبستا ، وهذا الإشراق الروحي للرسول  
عليه السلام حيث يشاهد تسبيح النبات والجماد  
من خصوصياته ، وقد يكشف الحجاب  
لبعض الأطنان من أمته حتى يسمع تسبيح  
المسكيات كما حصل ذلك لبعض الخوارج من  
أهل الطريق ، ولا زالت هذه العادة عند  
العامة في جميع البلاد متأسية بالرسول الطاهر ،  
ثم أبدلت بالزهور عند الخاصة ، والتسبيح  
من كاهما واقع ، والتخفيف - على الزجى -  
يبد الله سبحانه وتعالى وهو الرحمن الرحيم .  
عبد السلام الحنيزي

طاهر أبو :

قرأت في إحدى المجلات كلاما لبعض  
رجال اللغة يخطئ فيه كاتباً كبيراً في إدخاله  
أن على الفعل المضارع الواقع في خبر كاد  
ويقول : إن ذلك هو القياس المطرد إلى آخره ،  
وهذا القول غير صحيح من عدة أوجه : إذ  
أن الرأي المتفق عليه عند النحاة أن ( كاد )

الأرض برعها : أثر فيها ، وسميت المسألة  
الدقيقة نكتة لتأثير الحواطر في استنباطها اه  
وفي النكليات : النكتة هي المسألة الحاصلة  
بالنكير المؤثرة في القلب التي يقارنها نكت  
الأرض بنحو الإصبع غالباً .

والبيضاوى أطلق النكتة هل نفس  
الكلام إذ قل . هي طائفة من الكلام منقحة  
مشملة على لطيفة مؤثرة في القلوب .

وقال بعضهم : هي طائفة من الكلام يؤثر  
في النفس نوعاً من التأثير قبضاً أو بطلا ،  
وفي بعض الحواشي : هي ما يستخرج من  
الكلام ، وفي حاشية الكشاف ، نكت  
الكلام أمراؤه ولطائفه لحصولها بالنكير ،  
ولا يغلو صاحبها غالباً من نكت للأرض  
بنحو الإصبع .

وجمعها نكت ونكات وفي أساس البلاغة  
ومن المجاز جاء بنكتة ، ونكت في كلامه  
تنكيته . ورجل منك ونكات ، وقد ألفه  
كتب باسم ( التنكيك والتبكيك ) .

ومن هنا يظهر لك تطور الكلمة وصحة  
استعمالها في المسكامة ونحوها .

محمد أحمد عمر

وصم الكبش ودار السكب :

قرأت في مجلة سعودية لأديب قاتني اسمه  
كلمة يقول فيها : « وكان المرضى في الجمالية

قلدتها قلادة جعلتها في عنقه . ومنه التقليد  
في الدين . وتقليد الولاة الأعمال ، وهو  
مجاز كأنه جعل قلادة في عنقه ...

وجاء في كتاب التعريضات للجرجاني :  
التقليد عبارة عن اتباع الإنسان غيره فيما  
يقول أو يفعل معتقداً للحقيقة من غير نظر  
وتأمل في الدليل ، كأن هذا المنبع ( وهو  
المقلد ) جعل قول الغير أو فعله قلادة في عنقه ،  
والتقليد عبارة عن قبول قول الغير بلا  
حجة ولا دليل . اه

ومن هذه النصوص يظهر لك أن المعنى  
الأصلي للتقليد واحد وهو وضع القلادة في  
العنق ، ثم استعمل في غيره على سبيل التجوز  
والتشبيه والاستعارة ، وقد ألفت كتب  
ووضعت بحوث في التقليد ولم يلمن فيه أحد  
لأنه يرجع إلى معنى عربي صحيح .

عبد الله معروف

معنى النكتة حقيقة ومجازاً :

جاء في شرح القاموس : النكتة النقطة ،  
ونقل شيخنا عن المنار في حاشية التلويح  
هي اللطيفة المؤثرة في القلب من النكت  
كالنقطة من النقط ، وتطلق على المسائل  
الحاصلة بالتغل المؤثرة في القلب التي يقارنها  
نكت الأرض غالباً بنحو الإصبع .

وفي التعريفات : النكتة هي مسألة لطيفة  
أخرجت بدقة نظر وإيمان فكره من نكت

ويقول غيره :

ولا نكسر الكيزان في إرضيفنا

ولكننا فكفيه إذا ليرجما

وبعد فمقتدات القوم في الجاهلية كانت

جملها أباطيل ، وافته المأدى إلى سواء السبيل .

محمد نهان

### ملاحظات على بعض الأوهام

في الكتاب العربي المخطوط :

للدكتور صلاح الدين المنجد

نشر الدكتور صلاح الدين المنجد وهو

مشهور معروف بكثرة النشر والتأليف —

(الكتاب العربي المخطوط) محتوياً على نماذج

المخطوطات إلى القرن العاشر . ومع حرص

الدكتور على أن يكون الكتاب كاملاً فقد

وقع في بعض الأوهام التي كنت أود لو تنبه

لها . وهذا بعضها : —

١ — في الفصح رقم ٧٤ نشر صورة غاتم

على كتاب عيون الأنبياء يفيد أن الكتاب

نسخ لسلطان سليمان بن غازي بن محمد

الأيوبي . ثم ذكر تحت الصورة أن هذه

النسخة نسخت سنة ٨٢٩ برسم خزانة السلطان

سليمان العثماني . فأخطأ ثلاثة أخطاء : —

(١) لا يوجد في الخاتم أي لفظ يشير

إلى السلطان العثماني سواء في اسم أبيه أو جده

أو لقبه .

الأولى يتداولون بدم ( الكبش ) في شفائهم

من داء الكلب ... إلخ .

وقد اختلط على الأدب الطريق وفهم

ما قرأ على لفظه الوارد دون المقصود منه .

فالكبش في لغة العرب معناه السيد أو الرئيس .

وفلان كبش التوم أي سيدهم ورئيسهم .

قال عمرو بن معد يكرب :

نار لك كبشهم ولم

أر من نزال الكبش بدا

وبعض الأعراب في الجاهلية الأولى كانوا

يمتدنون أن دم الرئيس يشفي من داء الكلب

وفي ذلك يقول شاعرهم :

بناة مكادم وأساة جرح

مماؤم من الكلب الشفاء

ويقول غيره :

أحلامكم لسفام الجهل شافية

كما دعاؤكم تشفي من الكلب

ولست أدري ما فضل دم الرئيس على دم

المردوس في شفاء الكلب إن كان ثم شفاء ؟

وإذا كان الشيء بالشئ يذكر لماي أذكر

أن العرب كان من عاداتهم الفاشية إلى يومنا

هذا أنهم إذا رحل عنهم الضيف الثقيل

وكرهوا هودته كرهوا في أثره شيئاً من

الأواني . وفي ذلك يقول شاعرهم :

كرنا القند بعد أبي سراح

فأاد وقدونا ذهبنا ضياعاً



(٢) نشر في الروح رقم ١٠ صفحتين من مصحف يدل شكل الصورة على أنهما متواليان ولكن النسخة بها الآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل واليبرى بها الآيتان ٧٣ ، ٧٤ من نفس السورة مما يؤكد أن هذه الصورة لورقتين من أوراق غير مرتبة من مصحف (دشت) وكان يجب عليه الإشارة إلى ذلك لأن قراءة الصفحتين تحدث تشويهاً لنهر الحافظ .

(٣) غفل الدكتور المنجد عن تصوير مؤلفات بخطوط مؤلفيها — وهم من أعلام الإسلام أو عليها خطوطهم وما أحمل ما هو أول بالشرعاً صور مثل : —

١ — رسالة الإمام الشافعي رضي الله عنه وعليها خط « الربيع » المتوفى سنة ٢٧٠ وتاريخ الخط في ذى القعدة سنة ٢٦٥ .

٢ — أخبار حيويه (وهو غير النحوي المشهور) تأليف ابن ذولاق المصري بخط المؤلف سنة ٣٨٩ .

٣ — مقامات الحريري منقولة من خط مصنفها وعليها خط الحريري المتوفى سنة ٥١٦ .

٤ — التحرير في شرح الجامع الكبير بخط مؤلفه سنة ٦١٦ — وهو الإمام جمال الدين محمود الحصري المتوفى سنة ٦٣٦ .

٥ — التيسير في التفسير لعمد العزيز بن أحمد الديري بخط المؤلف سنة ٦٧٣ .

(ب) السلطان سليمان الثاني ولد سنة ٩٠٠ فلا يمكن أن تكون له خزانة نسخ برسمها المكتوب سنة ٨٢١ أي قبل مولد السلطان بتسعين سنة .

(ج) اسم الأيوبي واضح في الخاتم المصور . وقليل من التروى يدل على أن المراد هو السلطان سليمان بن غازي الأيوبي صاحب « حسن كيما » المتوفى سنة ٨٢٧ بعد ملك دام نحو خمسين سنة .

(٢) نشر الروح رقم ٦١ ضمن مخطوطات القرن العاشر مع أنه مخطوط سنة ٩٠٠ فكان يجب وضعه ضمن نماذج القرن التاسع الذي انتهى بهذه السنة .

(٣) ذكر أسفل الروح رقم ٣٨ أن القاضي عياض توفي سنة ٥٩٤ والصواب قبل ذلك بخمسين سنة أي سنة ٥٤٤ .

(٤) ذكر في الروح رقم ٢٣ أن وفاة طبري سنة ٣١١ والصواب سنة ٣١٠ .

وهناك بعض المآخذ التي كنت أود للدكتور ألا يجعل لها إليه سيلاً مثل : —

(١) نشر الكتاب خلوا من تاريخ العرب بل تاريخ الإسلام . ولست أفهم كيف نشر جامعة الدول العربية كتاباً عن المخطوطات العربية ثم يهذف فيه التاريخ العربي — إن هذا البلاء الذي وروثناه عن الغرب والذي أخذ يستشري يجب أن يكون له حد .

٥٤ الصفحة الأخيرة من نفس الكتاب وكانت تكتفى في التصوير لأن المراد النماذج وكان يجب تصوير كتاب آخر من المخطوطات المهمة في الروح ٥٣ .

٥ - بدأ الدكتور بنماذج القرن الثالث فهل نفهم من هذا أنه لا يوجد اليوم مخطوطات من القرنين الأول والثاني وإلا فما هي الحكمة في أن الدكتور أغفل تصوير نماذج القرنين المذكورين ؟ .

هذه هي المأخذ والملاحظات التي لاحظتها على الكتاب المذكور ولا يسعني في الختام سوى إهداء الشكر للدكتور على الجهد القيم الذي بذله في الكتاب المذكور وانه سبحانه وتعالى موفق والمهادي للصواب وإليه المرجع والمآب .

عبد السلام محمد النجار

روضة خيرى باشا - صوفى بحيرة

٦ - جزء من الطبقات الكبرى لابن السبكي المتوفى سنة ٧٧١ بخطه .

٧ - المصباح المنير بخط مؤلفه العموي سنة ٧٣٤ .

٨ - مختصر البداية والنهاية والمنتقى من معاني الواقدي وتعليق من تاريخ ابن عساكر كل ذلك بخط ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ .

٩ - شرح الفصيدة لقائمة لمر الدين الكنتاني والشرح لفيروزبادى صاحب القاموس المتوفى سنة ٨١٦ وبخطه .

وهذه الكتب جميعها موجودة في معرض دار الكتب المصرية أى أنها سهلة المتناول وأهمية مؤلفيها كانت تستوجب تصوير مخطوطهم .

٤ - الودع ٥٣ عبارة عن الصفحة الأولى من مشيخة المرافى المتوفى سنة ٨١٦ والودع

# مِنْ ضَائِرِ لَحْنِ الْفِتْوَى

باب بشرف عليه : إبراهيم محمد الأصيل

تحت هذا الباب ستقرر المجلة اجراء من هذا العدد  
مختاراً مما أصدرته لجنة الفتوى بالأزهر في شئون مختلفة  
تسبباً لفائدة الرخوة وإجابة الرغبات للتجدة التي  
تدعو أصحابها إلى الاستمرار من موضوعات سبق للجنة  
للوقرة الإثنا . فيها .

## المجواب :

إن التمثيل في ذاته وسيلة ففانية سواء كان  
هل المسارح أو الشاشة أو التلفزيون فإن  
كثيراً من وقائع التاريخ ، وأحداث السياسة  
ومواقف الأبطال في ساحات الجهاد ،  
والدفاع عن الأوطان ينبغي أن يتجدد ذكرها  
وينادي بها لتكون فيها القدوة الحسنة للأجيال  
الحديثة . وغير وسيلة لإحياء تلك الذكريات  
أن يكون القصص عنها بتمثيلها تمثيلاً واقعياً ،  
غير أن التمثيل قد يتجاوز الأهداف الجدية ،  
ويتخذ وسيلة لقرينة المنوع ، وبت الدعاية  
نحو أغراض غير كريمة ، وخاصة فيما يتعلق  
بالتاريخ حول شخصيات من السابقين ،  
والتاريخ يكون مشوباً بما يحتاج إلى تمحيص  
من المصديات .

وبما أن السابقين من الصحابة ورضي الله  
عنهم لم مقام كريم ، وشأن خاص بين جماعة

حكم تمثيل الشخصيات الإسلامية ، ومن لم  
يثبت إسلامهم ولم يحون أكيد للنبي الكريم  
في دعوته .

## السؤال :

١ - ما حكم الشريعة الإسلامية فيمن  
يمثل الشخصيات الآتية على شاشة التلفزيون :  
١ - الصحابة ، وهل منهم من يجوز ظهور  
من يمثله علناً بأن بلالا قد ظهر من يمثله في فيلم  
ظهور الإسلام وعالمه بن الوليد في فيلم  
عالمه بن الوليد ؟

٢ - بنات النبي صلى الله عليه وسلم ؟  
٣ - أبا طالب ممن لم يثبت إسلامهم  
وكان لم يحون أكيد للنبي صلى الله عليه وسلم  
في دعوته وكذلك التابعين وتابع التابعين ؟  
٤ - مسلمين ومسلمات لم تثبت محبتهم  
لرسول وعلى الأخص طالب بن أبي طالب ؟

وكذلك الناسون وأتباعهم لآمانع من ظهور من يمثل شخصياتهم متى روعي في التمثيل ما من شأنه ألا يحل بكرامة المسلم .

وأما النساء المسلمات فيجب الاحتياط في تمثيلهن أكثر مما يحتاط في تمثيل الرجال المسلمين الذين لم تثبت محبتهم ، وعلى المرأة التي تقوم بالتمثيل ألا يوجد مع تمثيلها اختلاط بأجنبي عنها من الرجال ، ولا يصحبه كشف ما يحرم كشفه من جسمها ، ولا يكون معه تكسر في صوتها ، ولا حركات مشيرة للفراش ولو مع ستر الجسم ، وإذا كان الأمر كذلك فلا حرمة في التمثيل خصوصا إذا كان التمثيل لغرض على يعود على الأفراد والأمة بالعادة .

وأما إن صحبه اختلاط بالرجال الأجانب أو كشف ما لا يحل كشفه من جسمها أو وجد معه تكسر في صوتها أو حركات مشيرة للفراش بجسمها ولو مع ستره أو كان لباسها يحدد مفان جسمها بأن التمثيل حينئذ يكون محرما على من تقوم بهذا التمثيل .

رابعا : من لم يثبت إسلامه كأبي طالب وغيره ممن له صون أكيد في دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونصرته لآمانع من ظهور من يمثله إذا روعيت صلة مودته للنبي عليه الصلاة والسلام بحيث لا يكون في تمثيله

المسلمين ، وبما أن تمثيلهم على المسارح أو الشاشة قد ينحرف بهم إلى ما يمس بشخصياتهم أو عن تاريخهم الحق — لما يتعرضون له أحيانا من أكاذيب القصاصين أو أهواء المتعصبين لبعض ضد البعض الآخر من جراء الفتن والخلافات التي قامت حولهم في أزمانهم وانقسام الناس في تبعيتهم إلى طوائف وأشياح بسبب الدسائس بينهم — فإن اللجنة إذا هذه الاعتبارات نفى بما يأتي :

أولا - عدم جواز ظهور من يمثل كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين ومعاربة وأبنائهم رضي الله عنهم جميعا لقد استهم ولما لم من المواقف التي نشأت حولها الخلافات ، وانقسام الناس إلى طوائف مؤيدين ومعارضين .

أما من لم ينقسم الناس في شأنهم كبلال وأنس وأمثالهما فيجوز ظهور من يمثل شخصياتهم بشرط أن يكون الممثل غير متلبس بما يمس شخصية من يمثله .

ثانيا : عدم جواز ظهور من يمثل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبنايه ، لأن حرمتهم من حرمة عليه الصلاة والسلام ، وقد قال الله في شأن نسائه : يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ، وبنايه بذلك أولى .

ثالثا : من لم تثبت محبته من الرجال المسلمين

ما يحضش مقامه تقدير المالكين منه نحو الرسول عليه السلام من مناصرة وهون أكيد .  
وردت الأسئلة من :

السيد / عبد الرحيم محمد سرور  
الإدارة العامة للتليفزيون

ورد السؤال من :

السيد / منير عامر رئيس الجمعية الشرعية لإحياء السنة المحمدية بالإسكندرية

حكم زواج عتلى الأديان .

**السؤال :**

ما حكم التزويج الإسلامية في المسائل التي تتصل بزواج عتلى الأديان ؟

**الجواب :**

الرجل المسلم يحل له أن يتزوج بنفقه المسلمة إذا كانت من أهل الكتاب بأن كانت يهودية أو نصرانية ولو بقيت على دينها . قال تعالى :  
« اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ، والمحضات من المؤمنين والمحضات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم . .  
« ولا تتكفروا بالمشركات حتى يؤمن . »

وأما المرأة المسلمة فلا يحل لها أن تتزوج بنفقه المسلم مطلقا سواء أكان كتابيا أو مجوسيا أو مشركا لأن الرجل قوامون على النساء وقال تعالى : « ولن يحل الله للكافرين على المؤمنين شيئا . »

ورد السؤال من : ١-١ . وأذا جهادى (جنوب إفريقيا - جوهانسبرج)

حكم النفقة من زكاة الأموال على جهات النفع العام .

**السؤال :**

هل يجوز شرعا صرف من زكاة الأموال في النفقة على إنشاء وتجهيز المستوصفات الخيرية المخصصة لعلاج مرضى الفقراء بالمجان أو بأجر يسير وكذلك على منشآت دور الحضنة والكفالة التي تخصص لتربية الأيتام الفقراء واليتام ؟

**الجواب :**

صرف الزكاة إلى الملاهي\* والمستشفيات وغيرها من المصالح العامة جائز شرعا لقوله تعالى في مصارف الصدقات : « وفي سبيل الله ، وقد فر بعض العلماء سبيل الله بأنه كل جهة خيرية فيدخل فيها تعمير المساجد وإنشاء الملاهي\* والمستشفيات وإصلاحها ، وغيرها من المصالح العامة .

حكم عقد القران في شهر المحرم .

السؤال :

هل يوجد في الشرع ما يحرم عقد القران في شهر المحرم أم أن ذلك صرف جرى عليه الناس ؟

الجواب :

لا يوجد في الشرع ما يحرم عقد القران في شهر المحرم وما معروف عليه عند بعض الناس فهو فاسد لا أصل له .

ورد السؤال من : السيد / سيد حسين

حكم الذبائح في النحر الواجب .

السؤال :

في موسم الحج وفي النحر الواجب أكثر الذبائح كثرة عظيمة حتى إنه ليفسد كثير من اللحوم لعدم وجود محتاجين إليها فهل تجزئ القيمة ؟ وفي أي زمان ومكان ؟

الجواب :

إن إراقة الدم مقصود لفنائه فلا تجزئ عنه إخراج القيمة . وأما فساد اللحم فيمكن تداركه بواسطة تخفيفه والانتفاع به ولو بأن يقوم بذلك المسئولون في البلاد الإسلامية .

ورد السؤال من : السيد / فهمي الطلباري

حكم استعمال دواء يزيل آلام الوضع .

السؤال :

ما هو موقف الدين الإسلامي من قضية استعمال علاج يزيل آلام الولادة أثناء عملية الوضع ، وصلت إلى استنباطه بتجاربي واختباراتي الخاصة ، وشرعت باستعماله بنجاح تام ؟

الجواب :

إن استطاع الطبيب بعلمه وتجاربه أن يخترع دواء لإزالة آلام الولادة فذلك عمل إنساني يبيحه الدين ، ففيه معونة للمريض ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه . كما أن في هذا إزالة للحرج والمشقة وذلك مما يدعو إليه الدين ويضمره ، والله تعالى يقول : « ما جعل عليكم في الدين من حرج » ويقول « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( إن الدين يسر ) .

ولا مانع من استعمال هذا العلاج إذا لم يكن من مادة محرمة ممنوعة شرعا ولم يصحب ذلك محذور شرعا كخطر أجنبي أو مباشرة عمالة الوضع من غير ضرورة ، فإن صحب استعماله شيء من هذا كان محظورا شرعا ، وإن كان الاختراع في حد ذاته عملا إنسانيا ،

حكم التوسل بالأولياء وما يصحبه .

**السؤال :**

ما حكم التوسل بأولياء الله الصالحين والتقرب إليهم بالتقربين كذبح الذبائح والسجود لهم حينما يدخل الناس مقابرهم ؟

**الجواب :**

إن التوسل إلى الله بأوليائه الصالحين باعتبار أنهم أعظم عند الله شأنًا وأقرب إليه من غيرهم بمعلمهم الصالح أمر لا شيء فيه ما دام ذلك لم يؤد إلى ارتكاب محرم ، وأما ذبح الذبائح لم فإن قصد الفاعل التذلل لنفس الأولياء فالنذر باطل والوقاء به حرام . وإن قصد بذلك انتفاع الفقراء فهو جاز لا شيء فيه لأنه نوع من الصدقة ، ولا يلزم بنقل الذبائح إلى محال الأولياء . بل له أن يذبحها بمكانه هو ويوزعها على فقراء بلده إلا إذا قصد الفقراء الذين يوجدون بحى الأولياء فيجب عليه الوقاء بما نذره . وأما السجود فلا يجوز لتغير الله تعالى فيحرم السجود للبشر تعظيمًا لم لا فرق بين الأولياء وغيرهم .

ورد السؤال من :

عمران محمود عمران

مع ملاحظة أنه عند العلاج يقدم الطبيبات فإن لم يكن فالطبيب الخافق المعروف بحسن الخلق والمدالة .

ورد السؤال من : السيد الطيب

سامي فؤاد طراد - بيروت

حكم إقلاق راحة الجار بالزار .

**السؤال :**

بجواري جارداب على عمل الزار في أوقات كثيرة مما أدى إلى إقلاق راحة السكان المجاورين لبنته كما يصاحب الزار كثير من الأشياء المخلة بالشرف والآداب العامة فما الحكم ؟

**الجواب :**

إن إيذاء الجار بمثل ما تذكر من حفلات الزار وغيرها ممنوع شرعًا يجب العمل على إزالته تنظيماً للجمعية من مثل هذه الممارسات المردولة وعلى التسبب في هذه المنكرات أن يكف وإلا فللحاكم تأديبه حتى يمتنع .

ورد السؤال من :

أحمد محمود علي - باب الشريعة

# بين الصحيف والكتب

اختيار وتعليق عبد الرحيم فودة

مع هطول المهرم :

جرت عادة المسلمين أن يذكروا مع  
حلال شهر المحرم من كل عام هجرة النبي عليه  
الصلاة والسلام ، وما كان لها من أثر بالغ  
في انتصار دعوته ، وانتشار رسالته . وإظهار  
دينه .

والحديث عن الهجرة طالما تردد وتجدد .  
وانطلقت به الألسنة ، وجرت به الأقلام .  
وامتدت له الأفئدة ، ومع ذلك ظل عذبا  
وطيبا قويا أعادنا تقاذا ، وسيظل كذلك ما بقي  
هذا الدين القويم يعمر قلوب مئات الملايين  
من المسلمين

وإذا كان الحديث يمل بالتكرار وكثرة  
التذكّر ، فإن حديث الهجرة تلقاه القلوب  
دائما بإحساس وليد ، وشعور جديد ،  
لأنه ينطوي على معان ومثل ومبادئ غالية  
لا تبلى جديتها ، ومن ثم كان لهذه الذكرى  
عالمها من جلال وجمال .

وأى جلال أرواح من تمثل منظر محمد صلى  
الله عليه وسلم مع صديقه أبي بكر وحى الله  
عنه وهما في غار أحدق به للكفار وأطبقوا  
عليه بخيلهم ورجلهم ، يقول له أبو بكر وهو  
خائف واجف : لو نظر أحدهم إلى قدميه لآثما .  
فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم في ثقة بالله  
وإيمانه : وأطمئنان إليه : ولا تخزن إن الله معنا .

وأى جمال أجمل من تخيل منظر هؤلاء  
وقد احتشدوا للفكك بمحمد وصاحبه ثم  
وقفوا حول الغار يتلفتون يمنة ويسرة ،  
ويسألون الأرض والسماء والفضاء والصحراء  
عن محمد ومكان محمد ، فلا يجيبهم الساء ،  
ولا ترد عليهم الصحراء . ولا يتحرك لهم الفضاء  
إلا بأصدااء النداء . ثم يرتدون بخيبة المسعى ،  
لأن يد الله أقوى منهم ، وتقديره فوق  
تقديرهم ، وتقديره فوق تقديرهم .

وقاية الله أغضت عن مضاعفة  
من الدروع وعن عال من الألم



التجلى والتفدير ، لأنها قصة مثالية واقعية ،  
تحمّل إلى البشر ما لا تحمله قصة أخرى من العبر .  
( ح . ف )  
[ من جريدة الزمان عام ١٩٥١ ]

### بشارة من التوراة والإنجيل :

جاء في التوراة في السفر الخامس ثلثية  
٠ ٠ ٢ ٠ ٣ ٠ ٤ ٠ ٥

« أقبل الله من سينا ، وتجلّى من ساهير ،  
وظهر من جبال فاران ومعه دبرات الأظفار  
عن يمينه » قال ابن القيم في كتابه « هداية  
الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى » : وهذه  
بشارة متضمنة لنبوءات الثلاث ، نبوة موسى  
ونبوة عيسى ، ونبوة محمد ، فجئته من سينا  
وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى ونبأه  
عليه أخبار نبوته ، وتجلّى من ساهير هو  
مظهر المسيح من بيت المقدس ، وساهير قرية  
معروفة هناك إلى اليوم ، وهذه بشارة بنبوة  
المسيح ، وفاران هى مكة التى ظهر فيها النبي  
محمد صلى الله عليه وسلم .

ولقد جاء في قرآنا العظيم نص مشابه حيث  
يقول الله عز وجل : « والتين والزيتون  
وطور سينين وهذا البلد الأمين » .

ودليلنا على أن فاران هى مكة أن التوراة  
ذكرت عن اسماعيل أنه فارى أباه وسكن

وأى مثل التضحية في سبيل العقيدة .  
والفتاء في سبيل المبدأ ، والشجاعة في الجهر  
بالحق أعظم من محمد صلى الله عليه وسلم وقد  
ترك أمه ، ووطنه ، واستهان بكل ما في الدنيا  
من مغريات ، وعجز من كل ما سمع من وعده  
وعبيد ، وتحدى كل قوى الإرهاب والتهديد ،  
ثم مضى بدعوته يلتصق لها أفقا أرحب نشرق  
منه ، وأرضا أخصب تنمو فيها ، وجوا  
أطهر تنفس فيه ، وهو نا أكبر تعتمد عليه ،  
حتى إذا أظهر الله دينه ، وأتم نعمته ، وأظهر  
المؤمنين على الكافرين ، ومكن لنبية صلى الله  
عليه وسلم من رقاب أعدائه ، لم يشف منهم  
حقد عليهم ، لأن نفسه كانت أهل من أن  
تتحقد ولم تمتد يده إلى أحد منهم بسوء لأن  
يده كانت أطهر من أن تقم ، وإنما مد يد  
الصفح عنهم ، وأظهر لهم ما عرف به دائما  
من سماحة نية ، وعفو جميل ، اذهبوا  
فأتم الطلقاء .

إن جوانب الجلال والجلال في ذكرى  
الهجرة أرفع من أن ترقى إليها الأفلام  
بالتصوير ، وأوسع من أن تنوعها الأفهام  
بالتأمل ، ومن ثم كانت حقيقة بأن يحتفل  
لها المسلمون مع هلال شهر المحرم من كل عام ،  
جديرة بأن تحظى من الناس أجمعين بآيات

وأنا لا أريد أن أشغل بالحديث عن  
خلافت المتقدمين والمتأخرين في أصل اشتقاق  
هذا اللفظ ، وهل هو من الصفاء أو الصوافة  
أو الصفة ، أو أن مرده إلى غير ذلك من  
علل التسمية ، فذلك أمر لا طائل تحته ، وما  
يرجى من البحث وراءه لا يستحق أى عنا .  
وإنما الذى يجب أن يفهم منه أنه اسم دال  
على صدق التوجه إلى الله تعالى ، والتصوف  
من كان له نصيب من ذلك يدخله في مقام  
الإحسان الذى فسر الرسول صلى الله عليه  
وسلم بقوله : « أن تعبد الله كأنك تراه ،  
فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، وهذا هو تمام  
المراقبة ، وهو الأصل الذى يرجع إليه صدق  
التوجه ويمتد منه جبل الاتصال .

ولا بد للتصوف من الإيمان ولزوم العمل  
بالإسلام ، فلا تصوف إلا بفقه تعرف منه  
أحكام الله الطاهرة ، كما أن العمل بالعبادة يقوم  
على تصوف ؛ لأن العمل على مقتضى ظاهر  
الشرع يلزم له صدق التوجه على ضوء ما جاء  
في القرآن الكريم « يدعونهم بالفداء  
والعش يريدون وجهه » ، كما يلزم له سبق النية  
على ضوء ما جاء في الحديث الشريف ( إنما  
الأعمال بالنيات ) .

ولا وزن للمقابلة والتصوف إلا بالإيمان ،  
وتلازم الفقه والتصوف كتلازم الروح  
والجسد ، ولا حياة إلا بهما معا ، فهما

في برية قاران ... وأن نبوة من ذريته تظهر  
وتملأ السهل والجبل .

وكانت هذه الكلمات تحدد معالم النبوة  
المحمدية وتبشر بها وتمهد لها كما ذكر القرآن  
الكریم « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي  
الذي يجيئهم بهداهة مكتوبة » هتدم في التوراة  
والإنجيل بأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر  
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث  
ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت  
عليهم .

من كتاب المستقبل للإسلام :  
الأستاذ أحمد عبد الجواد الدوسي

### صباحه المثالي :

شاق الوجود صباحه المثالي  
يوم بموكة نور طه يشرق  
سرحوته من السماء سريرة  
نشوى بأنوار النبوة تحمق  
الشاعر ( حسن جاد )

### هذه هي التصوف :

قال أبو الفتح البستي رضي الله عنه :  
تتأزع الناس في الصوفى واختلفوا  
وظنه البعض مشتقا من الصوف  
ولست أمتنع هذا الوصف غير قى  
صفا فصوفى حتى سمي الصوفى

### في كل مكان :

سأل أحمد الصحفيين الرائد الكوني الأمريكي « جون جلين » هل يعتقد أن الله موجود في الفضاء ؟ فأجاب « جلين » أن الله موجود في كل مكان ، وليس من العبادة أن يحاول المرء أن يحدد وجود الله في مكان ما من الكون دون سواه ، ذلك لأن الله أعظم من الكون ، وحيثما توجهنا فهو هناك .

وكان جون « جلين » قد صرح في الخطاب الذي ألقاه أمام « الكونغرس » بعدما عاد سالماً من رحلته الكونية التي دار أثناءها حول الأرض في فبراير الماضي بما يلي :

كلما تقدمت خبرة يزداد إعجابي بمدى ما نعلم من أسرار الكون ، بل بالمجالات الهائلة التي لم نتمكن بعد من استكشافها ، أما الآن وقد أخذت معلوماتنا عن الكون تتسع شيئاً فشيئاً ، فإني أرجو أن بنعم الله علينا بأن نستفيد من هذه المعلومات بحكمة ودراية وتبصر .

[ من مجلة الحسنى بإلحاح ]

### تعليل :

« سفيرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ، أو لم يكف بربك أنه هل كل شيء - شهيد . .

قرآن كريم

متكاثران وقد قال الإمام مالك رضي الله عنه فأصاب كبد الحقيقة : « من تصوف ولم يتفقه فهو زنديق » ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد فسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق .

فالتصوف على هذا مسلم مؤمن عرف به خفيه عن علم ، وانبج أمره على فقه ، كما تقرر ذلك في القرآن بصريح قول الله : « إنما ينشئ الله من عباده العلماء » .

الأستاذ أحمد حنفي نصار القوصي ،

[ من مقال بمريضة المقلم عام ١٩٤٥ ]

### يا رسول الله :

المصلحون أصابع جمت يدا  
هي أنت ... بل أنت اليد البيضاء  
أدعوك عن قوس الضعاف لازمة  
في مثلها يلقي عليك دجاء  
أدري رسول الله أن نفوسهم  
ركبت هواها ، والقلوب هوا  
تمسكون فالتصوف نفوسهم

تقة ، ولا جمع القلوب صفاء  
وقدوا وغرهمو نصير باطل  
ولم يبق قوم في القيود بلاء  
من ديوان الشوقيات « شوقي »

## الطبيعة الفنية :

وامتنع الإعجاب بين جميعا حل المحصر  
والتعريف غير أن المزية التي لا غنى عنها  
والتي لا يكون الشاعر شاعراً إلا بنصيب منها  
هي مزية واحدة ، أو هي مزية نستطيع أن  
نسميها باسم واحد ، وتلك هي الطبيعة الفنية .  
تعمد أن تقول : إنها تسمى باسم واحد ،  
لأنها في الحقيقة أشياء شتى تدخل في عموم  
هذه التسمية .

فالطبيعة الفنية هي الطبيعة التي بها يقظة بينة  
للإحساس بموانب الحياة المختلفة ، وهنا  
ينتهي بنا الإجمال إلى كلمة كأنها كليت أو  
كأنها معجم كامل من المصطلحات ...  
للأستاذ عباس محمود العقاد  
من كتاب « ابن الرومي »

## الشعر :

والشعر إن لم يكن ذكرى وعاطفة  
أو حكمة فهو تقطيع وأوزان  
( شوقي )

## شعر :

شعر تركت به الأشعار حاسدة  
فكان تقطيعها من شدة الحسد  
( أحمد الزين )

إن مزاي الشعر كثيرة تتفرق بين الشعراء  
وتتفرق الإعجاب بها بين القراء ، وقد يحرم  
الشاعر إحداها أو أكثرها وهو يعد شاعراً  
لا غبار عليه ، لأنه يحسن نمطا من الشعر  
نصح به الشاعرية ، كالجمال في الحسان . يروقنا  
في كل وجه بلون وسمة وهو في جميع الوجوه  
واتق جميل ، وكاللمحة الواحدة من ملاح  
الجمال . تحلو في هذا الوجه وتحلو في ذاك  
ولا تشابه بينهما في غير الخلوة ، ففي الميرون  
ألف عين جميلة . لا تعب الواحدة أختها  
ولا تنفق اثنتان منها في معاني النظرات  
وعناصر الصفات . وليس هناك إلا جمال  
واحد عند الكلام على جوهر الجمال .

وكذلك الشعر . يعجبنا في كل شاعر  
بطراز مختلف ، وهو شعر سائق مستلح في  
كل طراز ، فالذي يعجبنا من المتنبي غير الذي  
يعجبنا من البحتري ، والذي يعجبنا من هذين  
غير الذي يعجبنا من التعريف الرضي أو من  
أبي العلاء أو من أبي نواس أو من ابن  
زبدون ، والذي يستحق به كل واحد منهم  
صفة الشاعرية غير الذي يستحقها به البقية ،  
فقد تفرقت مزاي الشعر كما قلنا أيما تفرق ،

the moral but also for the physical welfare of society.

Prostitution, the great evil of civilization, which is a real cancer, with its concomitant increase of bastardy, is practically unknown to countries where plurality of wives is allowed as a remedial measure.

IT IS WRONG to suppose that any of the Islamic institutions can ever do wrong to mankind, for Islam aims at the welfare of humanity. If we carefully and with an unprejudiced mind study the law of divorce, we shall find that: it is sanctioned for no other reason but good of Society. Occasions do arise when the separation of a married couple becomes indispensable. The Qur'an sanctions divorce only in cases when all attempts to bring about conciliation between husband and wife fails. It may be added here that, though divorce is allowed by Islam if sufficient cause exists, yet the right is to be exercised under exceptional circumstances. The Prophet Mohammed said: "Of all the things which have been permitted to men, divorce is the most hated by God".

Thus, it is clear that Islam has not allowed divorce as a general rule, it is only to be exercised in cases when nothing but divorce can help the society.

The Holy Qur'an says: "Your wives have rights against you as you have rights against them".

Islam is the only religion that imposes itself as a universal religion of all humanity in all times and as such it appears as a natural religion which man embraces, guided by his moral and intellectual faculties without being in need of preliminary apprenticeship.

It offers itself as the first religion revealed to all those who are sent by God, whom people in a state of ignorance wronged by untrue and false commentations with a view to satiate their ambitions and subdue the peoples.

It recommends to its adepts to put faith in all those who are sent by God whether known by their names or remain unheeded.

It uplifts the mind so as to make in the only master in all the disputes that arise concerning faith and the private and social behaviour, thus conferring the mind all the power which belong to it.

It condemns imitation and claims from the believer to establish the truth of his faith.

It claims absolute equality between all, and condemns any sense of nationality.

That is Islam, the Religion of God; open your heart to its light, and try to study and practise the teachings in the Holy Qur'an, leave every fanaticism out of your mind, be just and true.

There is none like God, from Him all has come and to Him all return. He is the light of the heavens and earth, the Glorious, the Magnificent, the Beautiful, the Eternal, the Infinite, the First and the Last.

ISLAM TEACHS US to respect all the prophets of God, and to believe in them. Mohammad was the last and not the only prophet of Islam. From the beginning of the world "Islam" has existed inspired by God, but the people wrongly named it after the prophets of every period. This incorrect step was the root of misunderstanding and fanaticism between various elements of humanity.

God has sent prophets to all mankind, to tell them to fulfil His will and to lead a sound life, and to believe in the resurrection after death, and in the day of judgement.

Erroneously one speaks of fatalism and predestination in Islam: the Muslim believes in direct separation of good and evil, all that is created by God is good, and being used after its true direction will lead to happiness, but if it be abused will lead to evil and sorrow.

Every Muslim believes in the responsibility of his own deeds, and carries his own burdens, and none can take the responsibility of other's sins.

Difference of nations and colours as well as varieties of beliefs are unknown in Islam. In Islam the

whole of humanity forms one family, combining the black and white into one unity of brethren.

Many bad ideas are spread by fanatics about polygamy and divorce in Islam.

Islam does not enjoin polygamy nor even permit it unconditionally. It permits polygamy under certain circumstances, and its chief aim is to give protection to the gentle sex. The Holy Qur'an has sanctioned polygamy as an exception to the general rule, and has laid down justice and equality between wives as a necessary condition for it. Polygamy helps the society.

It will be admitted on all hands that men are breadwinners; they take part in strife, struggle and hard out-door duties. They also have to go to the battlefields and face the bullets of the enemy, therefore, their death-rate must be higher than that of the female population; and consequently there must be a huge disparity between the number of men and women as actually happened after the great wars. Polygamy in such cases will be a blessing for those women who cannot easily find husbands to protect them. It is not only the preponderance of females over males that necessitates polygamy in certain cases, but there are a variety of other circumstances which require polygamy to be adopted under exceptional circumstances, not only for

# WHAT IS RELIGION?

by

MOHAMMED TAWFIK AHMAD

Editor : " Al Bareed Al-Islami "

---

Religion is the great school, in which God (Allah) has put His law and commandments, to teach all mankind how to live happily during this life, and after death.

But this programme differs according to the long spaces of time, and progress of thought. It is just like the programme of our schools now, beginning with elementary school, then the primary and after the secondary, to reach the high college. God sent His Prophets, every one of them taught the programme of his time. Now we are in the high college, our teacher is the prophet Mohammad, who taught the high programme of the Universal Religion (Islam); its text Book is : The Holy Quran.

Those who don't study and practice this high programme, live in bygone ancient centuries, even when they are living with us now; they are fanatics, their fanaticism that religion never changes in its foundations.

ISLAM MEANS PEACE among humanity and submission to God, every follower of the religion of God

(Islam) is called a (Muslim). Man of peace. A Muslim learns to believe in one God, possessing all the conceivable good attributes and absolutely free from all defects. The Most Perfect Being, The Originator, The Sustainer, and Ultimate Cause of all things. God is one, there is absolute unity in the Divine nature; it admits of no participation or manifoldness. He has no partner or co-charer, He begets not. He is free from passions, and is indivisible and impersonal.

The religion of Islam denies all plurality of persons in God-head, and any participation of any being in the affairs of the world. God created us to obey His laws, and serve Him and to do good because it is goodness that God loves.

God has begotten neither sons nor daughters. He is the All-Mighty, the All-Knowing, the All-Just, the Cherisher of the worlds, the Master of the East and West, the Author of the Heavens and the Earth, the Creator of all that exists. He is Loving and Forgiving but also just and swift in reckoning, The friend, the Guide and the Helper.

of the verses without looking to a dictionary put after the revelation of the Qur'an to serve the principles of a certain sect, and without inclination to a certain type of explanation subjected to weak factors or the orientation of those who tries to humiliate the islamic nation as one of history and message imposed upon it to struggle for them.

This calls to a new revision of the books, thosis and treatise which speak about Islam and be produced to Muslims in their schools, institutes or their common life. As well as it calls to a new revision of the culture which is produced to the people in the mosques, in order to become an expression of the actual reality of the islamic message as a

perfect system of the respectful human life. A man being strong in the whole aspects of that life, is really one element of that human life, while in the same time he is polite and self-righteous, especially in manner and treating others.

From all what we before mentioned, we come to conclude that the beginning point is to restore the islamic significances to their first meanings, and to take the glorious Qur'an and the correct prophetic sayings as guides in order to define clearly that denotations and not to be influenced by the other openions which were related to Muslims and affected by the different human states which factly are away from the aims of the Islamic message.

---



"The recompense for an injury is an injury equal thereto (in degree), but if a person forgives and makes reconciliation, his reward is due from God." [S. The consultation, V. 40].

This verse clears that man can treat the other the same as he treats him, evil to evil, but it asks believers to be of a higher human standard and not to meet evil by evil, but by forgiveness and mercy.

Forgiveness, when it turned to the meaning of tolerance — in case of the inability to meet evil by evil —, it would surely be another intruder meaning for the forgiveness virtue which Islam had made it one of the distinguished human manner. Indeed, weakness of the Islamic society was the cause of giving that new meaning which is the weakling feature of the Islamic society. That feature, by turn, emanated from the untiding of the individual relations and giving no attention to the supreme examples, but they were only struggling to keep their individual life.

If we trace all the significances which represent the Islamic virtues, and upon which stands the correct way of the practical behaviour of the believer one, we shall find that they turned and changed to the opposition of their first sense. And beside that, we shall find that the reason of that change is the society

itself. Then if we look for the feature of the society which inspired that change of the significances from their first sense to their oppositions, we shall find also that the individual in the Islamic society had changed from his former state. And that change is in no way out of that the belief which filled the first Muslim's heart became lighter in weight or turned from being high examples to worldly needs and trifle objectives in the human life.

Therefore, it is impossible that these significances can be restored to their first sense, except when the Muslim individual be brought up according to the Islamic teachings, and when he feeds the Islamic Values and represents them in his spirit, belief and manner. Furthermore Muslim can not be brought up on Islamic education, unless these significances be turned to their first sense and be put before him in order to understand and carry them out.

The reformation way, however, is a dual one, but it can be passed in the same time at which the first significances of the Islamic understandings be restored and produced to the individuals of the society bearing that meanings.

The way to utilize that, is to carry out the instructions of the holy Qur'an according to the full meaning

the reach of hand, as in the meantime, it did not consider the meaning of humiliation or at least accept the humbleness in any of its different phases. The glorious Qur'an clears that evidence completely in its verses, it says :

" Soon will God produce a people when He will love as they will love Him, lowly with the believers, mighty against the rejecters" [S. The Table, V. 57.]

"And out of kindness lower to them the wing of humility" [S. The children of Isreal, V. 24.] "But lower your wing (in gentleness) to the believers." [S. The Rocky tract, V. 83.] " And lower thy wing to the believers who follow thee." [S. The poets V. 215.] "Wart thou severe or harsh hearted, they would have broken away from about thee" [S. The family of Imran, V. 259.]

Actually these verses ask man to avoid urging the believers - by any means - to treat their fellows or parents arrogantly. But he should be of a good behaviour with. The Qur'anic expressions "lowly" "And lower your wing" "And lower wing to them" refer to that.

The inclination and deviation from the right significance of modesty to another meaning such as the acceptance of humiliation, keeping in

humbleness or being unable to remove the means of that humiliation or humbleness. That surely will be an intruder meaning to the former sense which the new condition of the islamic society resulted it because of its new state which is the state of weakness and humiliation that springs not from Islam, but it completely emanates from the relations of Muslims to each other or from the relations of the Muslim society with the other nations.

#### 5—The Forgiveness :

The same way is forgiveness in its significance and its evolution from its first meaning to another one attached to it. Reading, for instance, the saying of the Almighty God "Those who restrain anger, and pardon (all) men; for God loves those who do good" [S. The family of Imran, V. 134.], we will be sure that the significance of forgiveness which was considered one of the virtues is the abandonment of penalty inspite of the ability to perform it. This may be more evident in the following saying of God "For God loves those who do good." So, clemency here is nothing but a methodical picture of the respected humanity which can be represented in the self-control and forgiving with the ability to take revenge. This meaning is very evident in God's saying

" ( they are) those who persevere in patience, and put their trust on their God" [ S. The Bees, V. 42. ] And " Then when thou hast taken a decision, put thy trust in God. For God loves those who put their trust ( in Him. )" [ S. The family of Imran, V. 105 ], we will find that duality in which the dependence-in the islamic point of view - will be no virtue or desired by Islam, except with the joining between its two edges.

But if-in any time-the meaning of dependence become nothing but waiting for God's help without producing any effort or using human activity, surely that meaning and significance will be an intruder one on the islamic society. As it means that it changed as a result of the change of society itself.

Looking for the factors which intruded and came to the islamic society and caused that change in the society and the significance of the dependence which turned to be equal to the indolence, we will find the same thing which we already found. That is the weakness of the islamic society, the separation of the relations, being away from the examples and values, and turning to the daily needs which help man to realize his material duration as a living entity inclines by the duration instinct to covet it eagerly.

Going more and more in the analysis of the specific elements of weakness, separation and avoiding the supreme values, we may find that these elements emanate from the spread of the individuality and egoism which direct the individuals of the society, especially when it goes into successive difficulties and its members lose their self-reliance and mutual relations.

The islamic society - like any other human society - passed with many difficulties. Its members lost their self - reliance as they left doubt towards each other. Therefore, they strived only to realize personal stability or rather to keep the individual and personal duration.

The significance of the dependence in its evolution and changing speaks about the turning of the society itself from power to weakness, and that by turn clears that it is the result of the turning of the society.

#### 4.—The Modesty :

The significance of modesty is not an exception or away from the former ones. But it changed as a result of the change of the society itself. Indeed, the first sense of modesty-thetfore it was a virtue-was the self bearing in order to avoid the means of power deception and pride which may sometime be in

So, the significance of patience can represent two kinds of the Islamic society, as in the mean time, the change of the Islamic society is responsible for turning the former meaning of patience to the latter one. Hence, we can say that the powerful society can add to the meaning its aim and power. Also the weak society will lose the power of the meaning or replaces it with a weak significance.

### 3 — The dependence :

The same as we found the clemency and the patience significances, the same we find in the other meanings and significances which firstly were of certain sense, then they turned according to the alteration factors that changed the society, its aims and feature. A clear evidence for that statute is the dependence. Reviewing the Qur'anic verses that ask man to depend upon God, we will find that they never went away from the meaning of joining the human endeavour and using all the abilities, with asking help of the almighty God "exalted be He". In the Qur'an also there is no distinguish between the human endeavour and asking God's help. In this respect the glorious Qur'an says : "No reason have we why we should not put our trust on God. Indeed, He has guided us to the ways we (follow). We

shall certainly bear with patience all the hurt you may cause us. For those who put their trust should put their trust on God." (S. Abraham, V. 12.) And says also addressing the prophet : "peace be upon him" "And obey not (the behests) of the unbelievers and the hypocrites, and heed not their annoyances, but put thy trust in God, for enough is God as a disposer of affairs." (S. The confederates, V. 48.)

Reading these verses, we will clearly observe that the glorious Qur'an has joined two facts to each other. It linked the human effort to the asking of God's help. In the first verse, it tied between the human effort in being patient towards the harm caused to them by enemies, and between the asking of God's help in order to enable them to be patient till they realize the prospective result which is to raise the values of the human life according to the teachings of Islam. The second verse also tied between the human effort in being disobedient to the unbelievers and hypocrites and bearing their harm without giving them any attention, and between asking the divine support till the realization of the believer's victory.

Like that, if we turned to other verses such as the saying of God

So, if we passed over the quranic verses in which patience was mentioned, we would find that sense which we already denote to, and which we considered as the first meaning of the patience. This may be clear in God's saying "But verily thy God, to those who leave their homes after trials and persecutions, and who thereafter strive and fight for the faith and patiently persevere, thy God after all this is oft-forgiving most merciful," [S. The Bees, V. 110.] and the saying of God "But if you are constant and do right, not the least harm will their cunning do to you; for God compasseth round about all that they do" [S. the family of Imran, V. 120]. "And obey God and His prophet and fall into no disputes, lest ye lose heart and your power depart, and be patient and persevering for God is with those who patiently persevere." [S. The Spoils of war, V. 46.]

"And join together in the mutual teaching of truth and of patience and constancy." [S. Time through the age, V. 3.]

Saying these verses and more than them, Qur'an calls people to patience and asks them to take it as a behaviour. It does not mean more than the spiritual bearing for the sake of the belief, values and the prominent examples. This is because the good

aim is the most important thing in the life of man who has a human character and supremacy in his humanity. This in fact is the distinguished aim in life. The aim of life will not be a human and a distinguished one, unless it is for belief in a certain system of life, and for the sake of realizing this system and carrying it out.

But the patience of one who can not afford his living needs, or who has no way to earn his living because of illness, and the patience of one who is hungry waiting something to satisfy him, that is another meaning and significance of patience, but it is not the patience which mentioned in the prophetic saying "patience forms half of the belief."

Therefore, when the meaning of patience turned to the latter meaning, this surely mean that it turned under the new impression of the society at which the Muslim society had turned at the beginning. But the new sphere of that society will be a materialistic one which urges people to seek their material needs, especially after the relations and unionization among the individuals became weak and after the muslims became far from seeking the human values and examples and struggling in order to realize and to keep that values.

changing the meaning and significance of the word "clemency : lisan", we can say also that this change illustrates the alteration of the society itself. Therefore, the history of Islam illustrates two kinds of the human societies. The first looks for superiority, highness and it is ready to perish in that cause, while the other one looks only for the sufficient means of poverty and hunger. Surely, clemency in its turning from a significance to another refers to the turning from a society to another.

#### The Patience :

As to the significance of patience, it had a certain meaning since the advent of the first Islamic society. Then when that society turned to another one, the patience took another meaning in order to go with that society.

Patience at the beginning of the Islamic message was the practical representative of the powerful belief, meaning that the powerful belief was attached to man, he could not leave it, as it also could not leave him. Consequently, man bears, for the sake of belief, all the means of spiritual and the material harm. This is because as long as he is a practical expression for the powerful belief, there is no room for being impatient or fretful. God the Almighty, when He addresses the prophet "peace may be upon him" saying "Therefore patiently persevere"

as did all messengers of inflexible purpose and be in no haste about the unbelievers". He actually means to advise him to be patient especially for the belief and preaching to the Islamic call. This patience was not at all a cause of poverty or a psychological crisis resulting from despair in realizing a material personal wish, but firstly and lastly it was psychological bearing and patience for the sake of the call and to face the hindrances and obstacles which his opponents put before him. He also considered that patience will be the bridge on which he will arrive to the main purpose, that was to succeed in his call. In other words, he aimed to turn the belief in the call to a practical result which was to build the new society wanted by the heavenly message.

This sense may be assured by the saying of God "But they never lost heart if they met with disaster in God's way; nor did they weaken (in will) nor give in. And God loves those who are firm and steadfast." [S. the Family of Inran, V. 146.]

This verse clearly denotes that patience in its first meaning and significance was spiritual bearing-for the sake of belief and call to the divine message-before being a material one, especially because poverty and hunger.

first islamic significances alone-which is the distinguished human one. Therefore, when the Qur'an says "But do good, for God loveth those who do good" "We have enjoined on man kindness to his parents", it does not mean more than to utilize a human treatment, manner and behaviour. Furthermore, when it says "whoever submits his whole self to God and is a doer of good, has grasped indeed the most trustworthy hand-hold," [ S. Luqman, V. 22. ] "Behold! he that is righteous and patient, never will God suffer the reward to be lost, of those who do right" "And those who strive in our ( cause ), We will certainly guide them to our paths: For verily God is with those who do right", it surely means alone the character of pioussness, patience and struggling in the cause of the high principles and the human values. It is the human character which raised to the high standard of humanity defined by the significance of clemency.

All what the holy Qur'an mentioned, whether related to goodness or adapted from it such as clemency and good doer, does not bear any more meaning than what we referred to. That is the standard which causes spiritual stability and strong relations between man and other.

When the meaning of clemency

after that changed or deviated to the meaning of material giving or charity, that really came as a result of turning of the society and its objectives from struggling the cause of the high standard of humanity, its principles and examples, to the means of earning living and struggling for it alone. In other words, this change came as a result of the alteration of the society's objectives from being methodical to materialistic ones.

As a matter of fact, the islamic society turned to that material objective only when it became weak and when there was a long distance between the conception of the actuality of the human values and the mobilization through belief in order to realize its actuality. Clemency in its turning from the meaning of the high standard of humanity to the meaning of how to earn the material living, surely illustrates the evolution of the islamic society itself, when it turned from the methodical society of the power, belief, stability, co-operation, unionization and of strong advancement in realizing its examples and aims, into a society away from all that, whether in the relations among its members or in its aims and objectives or in the way of realizing its own purposes of life.

IF we say that the alteration of that society was the cause of

reach to that standard, except the one who strives hard to become a man and to reach the standard of humanity. He is always careful to avoid egoism, all the means of lusts, sexual desires and both internal and external instigative factors which have the power to deviate him from being of prominent human standard. This sense is clearly illustrated by the Qur'an in God's saying "But do thou good, as God has been good to thee, and seek not (occasions for) mischief in the land" (S. The Narration, V. 77.).

The good things which God the Almighty has bestowed on man are as follows: Firstly, the creation of man, the holy Qur'an says "And has given you shape, and made your shapes beautiful" (S. The believer, V. 64.)

Secondly, His guidance to man which is completed by belief in God and worshipping Him, as it is illustrated in the prophetic saying "You worship God the same as if you see Him" answering a questioner about clemency.

As a matter of fact, clemency in its first significance and meaning, since the advent of Islam, is the human distinguished and instructive sense which is expressed by saying and action. In this respect the Qur'an says: "O ye who believe! the law

of equality is prescribed to you in cases of murder: The free for the free, the slave for the slave, the woman for the woman, but if any remission is made by the brother of the slain; then grant any reasonable demand and compensate him with handsome gratitude." (S. The cow, V. 178.) "Come not nigh to the orphan's property except to improve it" "The parties should either hold together on equitable terms, or separate with kindness." "When a (courteous) greeting is offered you, meet it with a greeting still more courteous or (at last) of equal courtesy" "Speak fair to the people" "Say to My servants that they should (only) say those things that are best."

"Invite (all) to the way of thy God with wisdom and beautiful preaching; and argue with them in ways that are best and most gracious".

The above mentioned verses have demonstrated the different aspects of the honourable human picture which gives the quality of clemency to its owner, and which makes any thing springs from him good, whether it is deed, words, action, behaviour, call or neighbourhood.

The other verses in which the holy Qur'an asked man to be clement, give the meaning of clemency in its



Remaining not too long to this theoretical aspect in order to interpret the changes of these significances from their former position, we have to indicate to some of them, as we also have to indicate to the changes of aims and purposes of life. To reach easily to the link which we mentioned before, it may be better to explain the relation between the objectives of the Islamic message, when it was revealed to the Prophet Mohammad "peace may be upon him", and the meanings and significances which the message had embodied at that time. This link was that the change of the aim led to the change of the former definition of the significances and meanings. Verily, the Islamic Message — as we aggregately before said — put the lines of the high standard of the human beings which Muslim — by means of his religion — should reach and keep it during all his life time as long as he believes in Islam and its values. These lines also forms significances and meanings which are, in the same time, commendments and which muslims can turn them into actions.

Shortly, these significances and meanings are called "Virtues" by the ethic scholars. Every body should be practised in them till they become some of his habits and a second

nature for him. It may also be said that the formation of these significances and meanings in the human being is a picture for the supposed rectifying of the good person, a picture for the good manner in the good mannered person, and a picture of education in the educated one.

### *1 — The Clemency :*

The Islamic message when it calls people and induce them to clemency, it surely aims at creating such a man of clemency, or in other words the attributes which lead him to be of humanity, as humanity in its actual meaning is the goodness in all sides and aspects. The glorious verses in this respect obviously denote to that meaning. The holy Qur'an says in the chapter of Cave : " As to those who believe and work righteousness, Verily We shall not suffer to perish the reward of any who do a (single) righteous deed. " ( V. 30 ). The clemency and goodness which mentioned in that verse, and which God promised a good recompense for it, is the same one which is represented in belief and good deeds. Undoubtedly, belief is an elevated picture for humanity, and the good deeds — which have their effect in leading to co-operation and unionization — are also an elevated picture for humanity. No one can

## THE ISLAMIC CALL REVIVAL SHOULD BEGIN FROM THE ESSENCE

BY

Dr. Mohammed El-Bahay  
chancellor of Al-Azhar University

---

The Islamic message has embodied - since it was revealed - the meanings and significances which denote the way of life and the behaviour of the human being, whether towards his God, his family, or towards the other individuals of his society. These meanings and significances were the source of urging and motive of life. The Muslim people, during the message era and not long after it, represented all these meanings and significances, as they clearly took them in. This was before they had any touch of obliquity in their understanding.

The individuals of the Islamic society were so strong as they had correct orientations and motives in life. The Islamic society itself, according to that, was a powerful, united and more supportable one, whenever these meanings and significances were sincerely practised as a rule of behaviour and a monde of life. Surely, the aims of the society were emanating from these significances and meanings, that are not more

than a definition for the human standard to which the human beings should raise, if they became lower in behaviour or away in direction, and to which they should stand at and keep when they reach it.

But after that, it was remarked that these meanings and significances started to be away from its former position, and accordingly had another view of life and other way of behaviour that differs from that which they denoted to during their former time of the message and not long after it till that change happened.

This change may be happened because of the other objectives which differ from that of the message that embodied and defined as to be practically utilized in the life. In other words, the cause of turning these significances from its former position - which was to raise people to the human standard and to keep standing at it - may be the abandonment of the true objectives of the message itself.

The charge of the orphaned Mohamed was undertaken by Abd Al Mu'alib his grandfather A. D. 576.

Ibn Hisham in his book "Assira" narrated how his grandfather has preserved traditions of fondness, and how the old man of fourscore years has treated the child spreading a rug for him under the shadow of the kaaba protecting him from the rudeness of his own sons etc.

God adds in the same Surah " And found thee erring and guided thee " This verse refers also to the puzzle which Mohamed was enduring, and the loss in which Mohamed was staggering without comfort.

Up to his 40th year, Mohamed followed the religion of Ebrahim the prophet. Tabari says that when he first entered on his office of prophet, even his wife khadiga had read the scriptures, and was acquainted with the history of the prophets, but his comfirmity can only have been partial.

God rescued Mohamed from erring and wandering. His puzzle reached its zenith when he became forty years old. He isolated himself in the cave of "Heraa" to worship his almighty Lord. All of a sudden he found his way to confort and bliss.

Some interpreters say that Mohamed was once lost in the desert of Mecca, and somebody led him to his uncle Abu Taleb. Others say that he lost his way across the way leading to Syria.

On the other hand some interpreters say that Mohamed sustained loss after his nurse " Halima " has taken him when he was a baby.

According to me his puzzle was due to the impatience, and idolatry with which he was living. He was anxious to leave the foul air to a pure one.

God addresses his messenger not to wrong the orphan, and not to chide away one who asks him, and to tell abroad the favours of his Lord.

God gave him these orders because he was an orphan, and underwent heavily the burdens of orphanage. Every person is exposed to have an orphan, or to be himself the orphan.

The prophet was in search of guidance, and asking for confort. It is not meant by " one who asks " a beggar, but it is meant generally one who seeks your aid, guide, or consult.

One should confess with the favours of God. The rich who does not spend his money in the respects of good deos not tell about the favours of his great Lord.

The savant who does not spread knowledge, and teach one who seeks cognisance does not tell abroad the invaluable favours of the bounteous God.

It is stated that if God bestows upon a slave a favour, He loves to see its traces on him.

hate thee, and verily the latter portion will be better for thee than the former. And verily thy Lord will give unto thee so that thou wilt be content. Did He not find thee an orphan and protect thee. Did He not find thee wandering and direct thee? Did He not find thee destitute and enrich thee? Therefore the orphan oppress not. Therefore One who asks, drive not away, therefore Of the bounty of thy Lord be thy discourse."

This Surah is called "Ad'Duha" or the morning hours. It took its name from the first verse. Ad'Duha is the light of the sun during the youth of the day. God swears by the lightness of the day explaining the first meaning "By the sun and his noonday lightness" (S. the sun, V. 1.) On the other hand He swears explaining the second meaning "On the feast day be your meeting, and in broad daylight let the people be assembled" (S. Taba. V. 59.)

Consequently the word "Ad Duha" has two meaning, but in both cases it is worthy of swearing.

God swears after that by the night when it is still. In this way God swears by two contrasts: movement, and stillness. The hours of the morning refer to the revelation, and the night symbolizes its suspense. Movement is always followed by stillness.

God adds that surely the future should be better for him than the past. It is not necessary to focus the meaning of the future on the day of judge-

ment, but one may understand that the consequences of affairs would be better than the previous attitudes.

God reassures his pledge, and swears that his Lord will be bounteous to him in the end, and the Prophet will be satisfied.

God fulfilled his promise, and Mohamed emerged triumphant from all these calamities. God revealed him at the pilgrimage of farewell "This day have I perfected your religion for you, and completed my favour unto you, and have chosen for you as religion "Al Islam", [Surah the table spread V. 3.]

God adds in the Surah of Ad'Duha "Did he not find thee an orphan, and gave thee home" This verse refers to the early life of Mohamed.

Mohamed grew up orphaned because as soon as his father got married with his mother "Amina" He made for Syria with the view to carrying on commerce. On his arrival at Madina he sent his last breath, and was buried there. His son Mohamed was not yet born.

Abu Taleb took care of him and he was the person who called him "Mohamed". His love exceeded when his mother died and the child was still six years old.

His mother was accustomed to visit his father's tomb at Madina every year. In the course of the last visit she fell ill. Then she faced smiling her doomed fate.

Elbokhari related that Aisha had said : " the divine inspiration appeared at first to the messenger of God as a righteous dream while he was asleep. Every dream which he had dreamt appeared as the breaking of the morning. He became stuck to the empty places to forget the world. He isolated himself in the cave of " Hira " where he worshipped God several nights before returning to his family.

He was accustomed to return at times to Khadiga to supply himself with food. Afterwards he hastened to the cave to continue his task to worship his Lord. All of a sudden God revealed the loss which had befallen him. Gabriel, the angel, descended, and addressed him " Recite " Mohamed replied " I am not a reciter ! " Then he embraced, and covered him, and directed the speech to him again " Recite ". The prophet answered " I am not a reciter ". The angel took him once more, then he said " Recite " The prophet answered " I am not a reciter ".

Gabriel did not despair, and took the prophet and covered him. When he released him he told him abruptly " Recite thou in the name of thy Lord who created man from clots of blood. Recp thou! for thy Lord is the most beneficent, who hath taught the use of pen, hath

taught man that which he knoweth not ".

The prophet returned back trembling out of fear. As soon as he caught a glimpse of his wife Khadiga bent Khowayled he cried out " wrad me ! wrap me ! ".

They wrapped him till the images of fears, and the portraits of terror forsook him.

Notwithstanding Mohamed was afraid, and filled with fright yet he was convinced that the right which had espied was the light which he had been eager to fill his eyes with it. It was the guidance which he was anxious to appear to enlighten the dark hearts, the bliss, and the blessing for the confused souls.

When the divine inspiration forwent him, and the prophet received no revelation he became downcasted, and seemed in low spirits. Many appeals were raised to God to reveal his sorrow, sadness, fear, and impatience. The idolators mocked him saying Allah of whom we used to bear so much, had forsaken poor Mohamed and now hates him. God animated his dead hopes, and vitalised his lost prospects " In the name of Allah, the beneficent, the merciful. By the morning hours and by the night when it is stillest, the Lord hath not forsaken thee, nor doth God

# A PERIOD OF PUZZLE

BY

Dr. Gamal Addin Arramadi

---

Mohamed, the prophet, was born in the 10<sup>th</sup> of Rabee Alawal 571 A. D. which was called the elephant year. When he grew up, and reached the age of consideration, discernment, and choice, he felt that he was foreign to the environment in which he lived. He felt loathsome-ness, and disgust towards the customs, and habits of the Arab society.

He refused to drink wine, and gamble. He rejected to eat what was slaughtered on the posts. He declined to attend the feasts of their idols, and image worshipping.

He hold strong aversion, deep detestation, and profound repugnance towards the pre-Islamic custom of burying daughters alive, injuring the rights of the weak, and appropriating the wealth of the others without the atom of right.

As well as he grew up he became more disgustive with idolatry and oppression. He felt great pain, and wailing spiritual torture. All of a

sudden he made up his mind to wipe out these evils, abolish these ills, and get rid of these mischiefs. He asked God to sustain him in his bitter trial.

Some people noticed his noble manners, and mildness, and was attracted with his good conduct. They called him "the honest".

No wonder he holds this name because he was a typical ideal of fidelity and candidness. No one found a way to injure his behaviour.

When he reached the age of forty he got to the climax of distress, and annoyance. He became puzzled and confused, on occasion of finding no way to guide his people or to be satisfied with the environments.

He sought a method to secure him from this bitter impasse, and critical predicament.

He made for the empty place, relinquished all people and waited for the mercy of our Lord.

by Moslem jurists as all other aspects of Moslem legislation until they became of so wide a scope as to regulate all relations in a way that would realise social benefit, and general peace.

These bases were laid by Islam, and expounded by Moslem jurists and legislators at a time when former civilised countries were the victims of obsolete traditions that gave little or no consideration to justice and peace. These countries' example and outdated tradition were followed by the countries of modern civilisation until the modern international law in the 17th century laid down by a Dutch jurist, and based on the principles of natural law now rejected by all jurists as a reliable law worthy of the consideration accorded to all other laws.

The world has in our modern times tried to ensure peace through the establishment of international organisations, but the human holocausts taking place all over the globe, are conclusive evidence of the utter failure of these trials to achieve their desired ends.

Compare these with Islam's just and frank rules, and its guarantee of the realisation of its laws and dictates, since it is incumbent on all moslems in accordance with their religion to observe and obey these dictates whether as concerns themselves or others.

Quotation may be made in this connection of certain God's sayings as a commentary on some of these international rules, "This is God's judgments, God would judge among you for He is wise and knowing."

"Should you do it, there will be on earth great discord and corruption."

"Judge amongst them in accordance with God's revelation, and do not follow their whims, and beware lest they should draw you away from some of God's revelation. Should they refuse to you, know, therefore, that it is God's desire that should be the victims of their own sins, for many people are impious. Do they want the rule of ignorance? But surely God's rule is best for those who are judicious and wise."

*Interpreted by Pilot Ali Effat*

*Director Photographic & Ciné. Dept. Military Factories  
( Ex. Secretary Youngmen Moslems Association )*

party is more numerous than another party." "Therefore take not your oaths between you deceitfully, lest your foot slips, after it hath been steadfastly fixed, and ye taste evil in this life, for that you have turned aside from the way of God; and ye suffer a grievous punishment in the life to come."

Islam laid such strong emphasis on the principle of strict compliance with covenants. That it considered a covenant as constituting a bar to the necessity of religious protection, in that if a community in a foreign country between which and Moslems a covenant is concluded, are persecuted because of their embracing Islam, Moslems may not go to their support or protection out of respect of their Moslems covenant with that country. In this sense the Koran says, "But they whom have believed, but have not fled their country, shall have no right of kindred at all with you, until they also fly. Yet if they ask assistance of you on account of religion, it belongeth to you to give the assistance, except against a people between whom and yourselves there shall be a league subsisting."

The above are briefly the most important rules by which Islam regulated the relations between Moslems and other countries, and the treatment accorded by Moslems to non-moslem residents of their own countries.

Islam has further regulated general international relations on the basis explained before; and laid a sound foundation for the organization of the treatment of the non-Muslem population of moslem countries; based on the following:—

1) Participation with Moslems in general rights and obligations.

2) Allowability of non-moslem ruler; and that a moslem ruler may deal with such affairs in accordance with their own religions.

3) Fair treatment to non-moslems. Various commandments were given by the Prophet to treat non-moslems fairly and equitably.

4) Religious tolerance provided non-moslems, religious practices are not of a nature to impair Moslems, faith in their religion. Islam has, thus, and since 14 centuries ago, ensured freedom of faith which was responsible for much aggression and persecution in Europe, until it was at long last ensured in modern times.

These are the basis on which international general and private relations were regulated by Islam. They were laid down by the Koran, expounded by Moslem legislation, explained by the Prophet's and his followers' actions, and then subjected to exhaustive discussion and study



tribute that has been collected from them, and inform them that you return their money on account of the news received of the considerable forces levied against Moslems who being incapable to check them in accordance with a previous condition, should return the collected tribute until such time as they emerged victorious by God's will, when the said condition and the agreements between them and non-moslems would again be given effect."

In this Islam does not ignore the necessity of exercising mercy and clemency, through the unpermissibility of any tribute being imposed on women, minors, those of weak constitution, or unable to earn their living, or on monks who follow a secluded life.

#### Convents in the view of Islam :

Islam makes it incumbent on Moslems that their policy regarding covenants in general should be based on relaxation with a view to the establishment of peace and justice. It abhors all covenants that are founded on force, aggression, or repression, and detests hypocrisy and treason. It describes violators of treaties as worse in God's view than beasts, and recommends severe treatment for traitors who respect no obligations and do not fear God.

Islam permits, however, revocation of covenants only in case this is justified by any emergency or expediency between Moslems and their enemies, but necessitates that the enemy should be enabled to communicate the notice of revocation to all parts of their country. A relevant statement by El-Kamal Ibn El-Hammam, the Hanafi Jurist, in expounding God's saying, "Should you fear treason from a people, revoke your covenant with them, for God dislikes traitors," is to the following effect, "Mere notice of revocation is insufficient, for the enemy should be allowed enough time for their king to communicate the new all over his kingdom. During such delay it is forbidden for Moslems to take any aggressive action."

In this connection it might be appropriate to quote the following koranic verses which rightly provide a clear illustration of Islam's general rule regarding the respect of promises, "Perform your covenant with God, when you enter into covenant with him, and violate not your oaths, after the ratification thereof, since ye have made God a witness over you. Verily God knoweth that which ye do. And be not like her who undoeth that which she hath spun, untwisting it after she hath twisted it strongly; taking your oaths between you deceitfully, because one

example of this is provided by the treatment meted out by Moawieh to Armenians to whom full liberty was given to appoint their own rulers, judges, and chiefs, and to retain their own religious and military traditions.

Islam leaves to Moslems the appreciation at their discretion of the value to them of each kind of these treaties, with one single restriction, namely that the treaty should be consistent with basic Islamic rules, and the general legislation of Islam.

This is derived from the Prophet's saying, "All conditions that are not found in God's book are null and void," and is similar with the practice of modern countries to consider all treaties that are not consistent with the Constitution as invalid.

The above principle is not, however, exclusively used in the interests of Moslems, as it is also applied to non-moslems. In this sense certain jurists say: "If a ruler saks freedom of faith against a tribute provided he is given freedom to rule his people in an arbitrary manner, killing men, and managing their affairs corruptly and injustice while being able to stamp it out is ungodly."

Islam permits Moslems to forego in necessity certain of their rights; or to conclude peace treaties

with others, or to advance them with money in expectation of some future good, or as protection of foreseen evil. A good example of this is afforded by the Hodaybieh Peace Treaty which is indicative of Islam's tolerance, and flexibility for the attainment of a state of peace and tranquility.

Closely related to the peace treaties is Islam's establishment of the principle of tribute payment. Tribute is not as imagined by certain people an exemption from embracing Islam, or a security from aggression, for it only serves as a symbol of the loyalty of tribute payers, and their abstention from causing disturbances, or hindering the Islamic movement. It also represents a financial contribution which enables them to take part in the active administration of their country's affairs, and be afforded with full security as regards their families and wealth.

It was related in the "Book of Tribute" by Imam Abou Youssef that Abou-Abda, having concluded a peace with the people of Syria and collected taxes from them, learnt that the Greeks had levied strong armies against the Moslems, and subsequently wrote to the rulers of moslem cities in the following terms.

"Return to non-moslems the

is an expect of true faith. God says in appreciating the qualities of true believers.

"They give food to the poor, and the orphan, and the bondman, for his sake, saying. We feed you for God's sake only, we desire no recompense from you, nor any thanks."

Moslem rulers were given full liberty to release their prisoners at their discretion either with or without ransom, in the light of public interest. The Prophet himself has given money ransom to release prisoners and to that same end arranged for the instruction of Moslem children in writing. As to the Prophet's giving authority for slavery in was necessitated by the social conditions prevailin at the time, though inconsistent with the general legislation words," and either give them a free dismissal afterwards or exact a ransom."

The legislation embodied in the above verse together with the Prophet's own actions are clearly indicative of the fact that Moslem rulers are entitled in certain circumstances to such rights as would enable them to deal with problems without their rights constituting general legislation for all times.

Just as Islam has advocated

generous and merciful treatment to war prisoners, it has also made legislation for the distribution of the spoils of war justly and equitably, giving the right of their acquisition to those who obtained them without distinction being drawn in this respect between Moslems and others.

Islam is most observant of the realization of peace and security for the world, and therefore calls on all Moslems to be peaceful, and not to follow the footsteps of Satan. In this sense God revealed to his Prophet, "If they incline to peace, do you also incline thereto, and put thy confidence in God."

Islam seeks to achieve this end through negotiations in accordance with usual practice, accepting messengers and envoys' mediation, without formalities that might lead to competition or confusion. On these bases Islam concludes treaties either for the temporary cessation of hostilities or in other words armistice, the Hodaybieh Treaty, or final termination of war as occurred in the Negrin wars when the enemy was required to place themselves under Moslem protection on certain agreed conditions.

There is another sort of treaties whereby the country forming party to a treaty is assured of self-government under moslem sovereignty. An

other benefits in the fields of industry, culture, and other aspects of social activity. A striking example of Moslem tolerance is provided by the great attention given by Moslem doctors to their wounded enemies as in the wars of Salah-el Dino against the crusaders.

No restriction is placed on Moslems in this connection except to take such precautionary measures as to protect themselves, their country, and their religion. They are thus prohibited to sell their arms, munitions, equipment or horses to their enemies.

The system of "security" further serves to provide an opportunity for those to whom it is granted to be acquainted with the realities of Islam, and to closely study its aims and objects, and this served in turn to propagate Islamic principles, and to communicate God's words and commandments to distant countries without war.

Certain Moslem jurists are of the opinion that "Moslem rulers should on the expiry of the period of security offered to a person, allow him a further period of time which may be sufficiently long as to obviate any possible embarrassment to him especially if he has such dealings as might require a lengthy time."

6) Of the traditions of Islam in wartime is the protection of messengers charged with the communication of information between Moslems and their enemies, the extreme care exercised for their safety until they return of their bases, and the refusal to retain them even if they disown their people. Evidence of this tradition is provided by many actions of the Prophet, a distinguished example of which was reported by Abu-Rafael. He said, "Quoraish sent me to the Prophet on whom be God's peace and blessings. When I came to him; I experienced an ardent desire to embrace Islam, and therefore considered not to return back to Quoraish. So I said to the Prophet, "O Messenger of God; I shall not return to them", whereupon he replied, "I never break a promise or a pledge. So return to them, and if you still feel the same desire, come back to us."

7) Treatment of war prisoners constitutes an important section of Moslem Legislation recommending that they should be treated with kindness and generosity.

Regarding such treatment, the Prophet once said, "Thou must treat thy prisoners fairly, and "Gather" thy food and send it to them". On the other hand the Koran urges that war prisoners be treated with clemency and considers this as charity which

conformity with the principle of the unpermissibility of fighting the non-combattant women, children, the old; the incapacitated and civilians that fighting nations should on no account be starved, and the necessary provisions prevented from reaching them, although this may be permitted as regards fighting forces.

5) One of Islam's principles during wartime which is indicative of tolerance is the permissibility for fighting individuals and nations to get in touch with Moslems, enter their country where they may stay for a certain period during which they are entitled to transact commercial and other business under the protection of certain tradition known in Moslem Legislation as "Security" whereby they are assured of every protection both as regards their lives and wealth so long as they remain in Moslem territories. They are granted further facilities, privileges, and immunities which are not even enjoyed by Moslems and are called to account only for crimes which endangered the safety and security of the State, or involve aggression against Moslems.

Islam has gone a further step forward in this respect by entitling all moslems of all social classes, to give refuge and security, provided that the safety of moslems be assured

by ascertaining that the persons to whom security is granted have no such power at their disposal, and are not disposed in such a way as to threaten Moslems to act as spies on them, or to cause disturbances.

This does not; however, mean that the rights of Moslem rulers to exercise their authority in the management of their people's affairs is either overlooked or ignored, for on the contrary, they are entitled in virtue of their general jurisdiction, and discretionary management of affairs in the best interests of their people to invalidate any "security" offered by a Moslem which has not fulfilled the necessary requirements. They are further authorised to restrict or to prevent altogether the practice of individuals to grant security.

This principle of security which as already referred to is clearly illustrative one of Islamic tolerance in a degree that has never been attained even by modern civilised nations, has its origin in God's saying, "Should an unbeliever seek thy protection, grant him protection until he hears the words of God, and then assure him of his security."

By the grace of this "security" Islam allows commercial exchanges between Moslems and their fighting enemies; as well as the exchange of

thy enemy, invite him to accept one of three alternatives."

In this connection a noted religious jurist said, "Through this invitation we make our intention clear to our enemy that we do not aim at extorting their wealth or taking their families captives, for this might lead to their submission without due invitation is a great sin deserving of God's displeasure."

#### *B. In the course of War.*

Islam's aim from war is not oppressive or destruction; neither does it favour that people should in wars forget the dictates of humanity to treat people with kindness and mercy, in a spirit of observing justice, and fearing God.

It places on Moslems certain obligations in wartime which if observed by modern people would have greatly alleviated humanity's distress and healed its wounds.

It is only too appropriate to refer in this connection, at a time when the world is sunk deeply in the horrors of war created by man or his own destruction, in which he wasted his effort, blood and wealth, to certain aspects of Islamic principles regarding wars, so that people may learn that Islam is the religion of mercy, kindness, justice and reform.

1) Islam prohibits the killing of women, the young, the old, the crippled, the blind, and the mad. It also forbids the killing of monastery inmates, farmers, and non-combattant workmen.

2) Islam disapproves of arson, trees cutting, and demolition unless the enemy has taken the first step in that direction in which case these measures are permitted on the strength of the principle of retaliation; "The evil should be met by a similar evil."

3) It also forbids finishing the wounded off and prohibits burning.

One of the Prophet's counsels to a leader which serve to illustrate these principles was, "Do not kill a woman, or a boy, or an old person, neither cut a yielding tree, or demolish a populated place, or kill a cattle unless for eating, or sink or burn palm trees." Another counsel being: "Only God should punish by fire."

A further famous saying of the Prophet was to the effect that, "Don't kill children in wars, and the people enquired, "O Prophet, but are not they the children of infidels?" whereupon the Prophet answered, "but are not the best of you the children of infidels?"

4) Islam further establishes in

for invasion and colonisation, nor has it consented to wars of oppression, and persecution urged by covetousness, or a desire to impose authority on the weak to extort their resources and reduce their standards of life. It considered all such wars as wars of aggressiveness and oppression that should not be prosecuted by any nation that held any respect for humane principles, and therefore restricted the scope of war being a necessity within a narrow circle; limiting it to its reasonable causes and justifications such as :—

A. The redress of wrongs and injustices.

B. The establishment of the freedom of faith.

C. The defence of the mother country.

Guidance to these aims is given in various parts of the Koran, e.g. "Fight for the sake of God's religion those who fight you, but do not transgressors." "Fight against unbelievers collectively, as they fight against you, and know that God supports the pious." "He permitted those who were wronged to fight, and God capable of bringing them victory, and commanded those who were unjustly compelled to leave their dwellings to say God is our Lord."

The general basis of the justification of war is amply provided in God's saying, "As to those who have borne arms against you on account of religion, and have dispossessed you of your habitations and have assisted in dispossessing you, God forbiddeth you to enter into friendship with them, and whosoever of you entereth into friendship with them, those are unjust doers."

Islam later laid down for war itself a detailed legislative ruling based on justice, mercy, respect of rights and defence of humanity. This ruling applies to all stages of war, either before, or in its course.

A. Before the War (refer in this connection to the chapters of struggle and biography in the books of the "Hadith" ( Prophets, sayings ) and Moslem Legislation.

Islam establishes that on no account should war be started until the enemy's feelings of antagonism towards Moslems has been ascertained, and when this has been ascertained it is incumbent upon Moslems to notify their enemies of their intentions. This is similar to the final warnings in the modern international practice and is clearly illustrated in the Prophet's saying to one of his leaders, "should those meet

who have not aggressed against them because of their religion or dwellings, and goes further in this direction to the extent of dealing kindly and generously with them. This constitutes the first state — the conditions of peace and friendly relations.

#### The State of War :

As to the second state — of war and antagonism, it was viewed by Islam from various standpoints.

#### Islam's recognition of war:

Islam viewed war in itself as an unavoidable exigency necessitated by the nature of the human society. Islam has not, therefore, attempted to deny it, or to repute its consistency with the true requirements of human nature, but recognised it as a necessary means of meeting aggression, resisting oppression, and controlling revolutionary Moslems.

War was recognized by Islam on the strength of the fact that human nature and social relations frequently engender disputes, antagonisms, and aggressions against liberties, and violation of religious principles.

Had Islam which is essentially a practical and reformatory legislation that appreciates the strength of

actual facts and not recognised war as a mean of resistance in face of aggression, and for removing such obstacles as were placed in the way of its appeal for the general good; the elements of corruption and evil supported by the power of aggression and obstinacy would have destroyed all possibilities for the success of the Islamic Movement in its early stages, thereby depriving humanity from gleaning the healthy fruits of this movement?

This sense is clearly illustrated by the Koran in God's saying, "Had it not been for God's urging people against each other, the world would have been a place of corruption, but God is indulgent towards people." "Had it not been for God's urging people against each other, monasteries and mosques wherein God's name is repeatedly celebrated would have been destroyed."

The above is an illustration of Islam recognition of the legitimacy of war

Islam has, furthermore, considered the justifications and the reasons of war in a way that conformed with its aim at general righteousness; equality among people, and upholding the dictates of justice and mercy. It has not, therefore, permitted wars which were motivated by a desire



and exchange benefits with each other, and to co-operate together without restriction except in so far as was necessitated by the prohibition under Moslem legislation of certain dealings and relations as usury, marriages between Jews and Christians and Moslem women, or between Moslems and the unbelievers in any heavenly religion.

No restriction is placed on Moslems by their religion to institute such relations or to conclude such treaties as are in their discretion beneficial to them in the fields of commerce, industry, politics, education or culture. They were at liberty to organise such relations on the basis which they found suitable, and which while being consistent with the normal rules of society, was not contradictory with their own mode of life.

Islam further lays down certain kinds of benefits whose appreciation is left to the discretion of the community of Moslems.

It is on this basis that Islam calls for the conclusion of treaties for the maintenance and preservation of the natural state of peace. An example of this being the treaty made by the Prophet, peace be upon him, with the non-Moslems in the early period of his stay at Medina.

This treaty constituted the foundation stone in the structure of Islamic Rule, as well as the first political relation established by Islam, whereby the freedom of creed and thought was recognised, and the security, sanctity and civilisation of Moslems assured.

Islam also called for the conclusion of treaties of military alliance with non-Moslems as indicated by the Prophet's words, "Thou wilt make a peace with the Greek with whom thou wilt then fight a common enemy behind thee."

Various treaties of this nature were concluded by the Moslems of the distant past, while the Prophet himself had fought the tribe of Quraish in fulfilment of the "Khozaa" promise as provided under the "Hodaybeyah" peace treaty.

The Koran has laid the foundation of this peaceful relation in God's saying, "As to those who have not borne arms against you on account of religion, nor turned you out of your dwellings, God forbiddeth you not to deal kindly with them, and to behave justly towards them; for God loveth those who act justly."

This divine verse obviously authorises Moslems to establish such relations as they desired, with those

moslems, or between them and other nations.

Our intention from this essay is to discuss the rules laid down by Islam for the organisation of international relations, by regulating :

(1) Treatment accorded by one Islamic country to another.

(2) Treatment meted out by an Islamic country to non-moslems residid within its territory.

An Islamic Country's Relations with other Countries :

Relations between moslems and other nations may only be governed by two situations : a situation of peace and cordiality, or a situation of war and dispute.

The Peace Situation :

It is obvious, in the light of the above, that Islam views the first situation — that of peace — as the natural state of affairs in which non-moslems are only required not to hinder its appeal for the embracement of its principles, without placing any obstacles, in its way. This is because the Islamic Movement being one of truth, justice, and reform, minds will, if left free, be inclined to adopt its principles through persuasion, and not by force and

repression " Appeal for God's religion with wisdom, and good counsel, and argue with people kindly. " " There is no repression in religion, thus impiety has been distinguished from righteousness. " " For thou shalt not compele people to be true believers. "

The Koran thus declares that the appeal for righteousness should be through plausible arguments and sound proofs and not by force and repression has therefor, no hinderance been placed between the Koran's persuasive arguments and proofs and the minds of people, no drop of human blood would have been shed for the sake of God's religion for its appeal would have naturally penetrated into the minds and souls of people.

In its peaceful and persuasive appeal, Islam adopts all such methods as have been followed by people in the propagation, defence and appraisal of their principles. These methods include public speeches, messages to kings and rulers, and the hospitable receiving of delegations to whom Islamic principles are explained and expounded.

In this state of complete peace and tranquility, peopel were allowed full freedom in the managements of their affairs in their own preferable ways. They were at liberty to deal

*Elements of the Islamic Movement :*

The Islamic Movement, however numerous its aspects may be, can be summed up in one principle, namely "The Appeal for Good" which may for the sake of detail, be divided into three fundamental aims : (1) God's Unity. (2) Equality, and (3) Justice.

(1) Islam has, through the principle of God's Unity, dissipated the corruption of faith. It called upon people to respect their reasons, and to abandon idolatry, declaring that the Universe has an omnipotent and wise God who is alone worthy of their prayer.

"He whom human eyes cannot behold but He beholds them for He is indulgent and omniscient."

This appeal to human reason did not, however, constitute any departure from the nature of humanity, nor did it contradict any previous religion. It is the nature of God in which man was created. "He has of religion made legislation for your similar to our counsels to Noah, our revelations to you, and our commandments to Moses and Jesus to establish religion and not to differ concerning it."

(2) Through the principle of

equality, Islam established the unity of all humanity which does not admit of any form of racial discrimination. "O Men, verily we have created you of a male and a female, and we have distributed you into nations and tribes, that you might know one another; verily the most honourable of you, in the sight of God, is the most pious of you."

"O Men fear your Lord, who hath created you out of one man and out of him created his wife, and from the two hath multiplied many men and women; and fear God by whom ye beseech one another, and respect women."

(3) By justice Islam stamped out despotism and arbitrariness, establishing peace, tranquility and satisfaction without differentiation between friends and enemies, faithful and idol worshippers. "We have formerly sent our messengers with evident miracles and arguments; and balance, that men might observe justice."

O you who have believed, support God's commandments, and be truthful witnesses and not be discouraged into injustice by other people's infidelity, for justice is nearer to piety."

On these bases, Islam formulated its policy of reform among



# ISLAM AND THE REGULATION OF INTERNATIONAL RELATIONS

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar

## The World before Islam

The world, before the Islamic Movement came into being, was deeply sunk in polytheism and idolatry, ignorance and fanaticism; despotism and injustice.

The general phenomena of human society at that time was corruption in all aspects of life: corruption of faith, social relations, systems of governments, and politics, while immorality was the rule. People were victims of fancies, misconceptions, suspicions, and erroneous beliefs, and their characters and behaviour dominated by carnal instincts, and savage disposition. Humane qualities were almost absent from the society of that time.

Relation between individuals, or nations were based upon power. The strong man aggressed against the weak one, and extorted his legitimate rights, while the victor subdued and humiliated the vanquished.

In politics, the ambitions and worldly desires of rulers, and those in authority were the rule governing the relations between them and their peoples. They manage the peoples affairs in a despotic manner, wasting human life, tainting honours, and extorting wealth at their free will.

It was, therefore, God's wisdom that ordained to save the world from the prevalent corruption, and to heal it from these social evils that spread everywhere like epidemics, threatening its whole being.

Islam dawned, dispelling the darkness of evil and corruption, "Light and a perspicuous book of revelations come to you from God. Thereby will God direct him who shall follow his good pleasure, into the paths of peace; and shall lead them out of darkness into light, by his will, and shall direct them in the right way. [Verses 15 and 16 of the Chapter of the Table.]

# مجلة الأنزهرية

## مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
العدد  
إدارة أبحاث الأثر  
القاهرة

ت ١ ٤٦٤١٤

يشترك في التحرير  
عبد الرحمن محمد الوعاظ  
بكالوريوس  
٤٠ فيكتوريل  
٥٠ شارع  
والمدى والطلاب

بصيرة من شجرة الأنزهرية في أول كل شهر

الجزء الثاني - السنة الرابعة والثلاثون - صفر سنة ١٣٨٢ هـ - يوليو سنة ١٩٦٢ م

للسنة الثامنة والعشرون

١٤٠٠  
١٣٨٢



## الأدب رسالة، يوجّه ولا يوجّه

بقلم: أحمد حسن الزيات

فهم من أصحاب الرسائل الفكرية الذين  
يشعرون قبل غيرهم بالنقص لقوة الحس  
فيهم ، ويفكرون أكثر من غيرهم في الكمال  
لصفاء النفس منهم ، ويتخلون دون غيرهم  
ما وراء الواقع لحسوبة الخيال لديهم ،  
وحكمهم في تبليغ رسائلهم عن طريق  
الإلهام ، حكم الأنبياء الذين بلغوا رسالاتهم  
عن طريق الوحي ، إلا أن طبيعة الرسالة  
الأدبية تختلف عن طبيعة الرسالة الدينية :  
رسالة الأدب تنبذ الشعور بالجميل والجليل ،  
ورسالة الدين تهوى الضمير بالخير والحق .

إلى الذين يبررونه أنه يخففوا الأثيب  
بالأمر :

ليس الكاتب أو الشاعر الخلق بهذا  
الوصف إنسانا كائر الناس تبين له الوجهة  
وتبين له الغاية ، وإنما هو إنسان أعلى ،  
ميزه الله بقوة الفكر وحدة العاطفة وسمو  
الخيال ، ليشترك في عملية التقدم العام لركب  
الخليقة ، يدفعه بحر الفهم العظمى إلى أمام ،  
ويرفعه بمثل العليا إلى فوق .

الروسية ؟ ومن الذى وجه الأفغانى ومحمد عبده والبارودى ونديم إلى التهيد للثورة المرائية ؟ نقول السادة القائلين : بأن الأدب يجب أن يوجه إلى الحياة أو إلى الشعب ، وأن يقصد به بعد الاستقلال إلى الهيم أو إلى اليسار ، قول من يعتقدون أن الأدب آلة لا نفس ، وصنعة لا طبع ، وحيلة لا إلهام ، وفي هذا الاعتقاد نزول بالأدب إلى منزلة الوسائل المادية القبيحة ، يوجه إلى القصد الذى تريده الجماعة ، كما توجه الصحافة أو التجارة إلى الطراز الذى تفضيه الحضارة ، وليس هذا من عمل الأدب أو الفن ، وإنما هو من عمل العلم أو التعليم . العلم وحده هو الذى يوجه إلى تحقيق تلك الوسائل وتطبيقها على الوجه الملائم لحاجة الشعب ورفاهيته .

أما الأدب فهو السياسة العليا للأمة كما سموه بحق ، زعامته مستقلة ، ورسالته متبعة ، يوجه ولا يوجه ، ويقود ولا يقاد ، وإذا جاز للجيش أن يوجه القائد ، جاز للشعب أن يوجه الأدب .

ومن المحال أن يجوز ذلك ، لأن الشعب يتفعل بالأدب ولا يفعله ، ويتأثر به ولا يؤثر فيه ، ولا تعترض على بالماثورات الشعبية « الفولكلور » ، باعتبارك إياها إنتاجا للشعب ، فإن أولئك الأدباء المجهولين الذين أرسلوا الأمثال والحكم ، ونظموا المواويل

والأدباء كالأنبياء مصطفىهم الله من خلفه ، ويصنعهم على عينه ، ويؤتهم العلم من لده . نقول علماء الدين : وما اتخذ الله من نبي جاهل ، ولو اتخذ لعله ، يصدق على الأديب . فقلبان ويديبا وعرو على وابن المقفع والمتنبي كانوا في العلم اللذين المصادر من صفاء النفس وخلوص المطرقة أشبه بأنبياء الله ورسله ، لم يتلقوا الأدب عن أستاذ ، ولم يتخرجوا في العلوم من جامعة ، وإنما أقاض الله عليهم من علمه ، وكاشفهم بالمحجوب من غيبه . فانبثقت في أفئدتهم أشعة الهداية ، وتفجرت على ألسنتهم ينابيع الحكمة ، فأثروا بمآلات به فيلسوف ولا طالم .

فالأديب الموهوب زعيم بالمطربة ، توجهه نفسه الكبيرة يطيعتها إلى أن يحرك في شعبه المحجور بالنقص ، ويوقظ في وعيه الطموح إلى السكال ، تلك الصرخات التي يرسلها فيه ، مؤلفة في كتب ، أو منظومة في قصائد ، أو مصورة في مقالات ، أو حلة في قصص ، أو بمثلة على مسرح .

يفعل ذلك من تلقاء نفسه لا عن تلقين ملقن ولا توجيه موجه ، وإلا فن الذى وجه ديدرو ومونتسكيو وروسو إلى التهيد للثورة الفرنسية ؟ ومن الذى وجهه تواستوى وجوركى وتودجنيف إلى التهيد للثورة

ولا يشتمن عليكم أمره فإن له علامات  
تميزه وتدل عليه :

إنه إنسان متجدد منطلق ، لا يرجع  
القهرى ، ولا يطبق الركود ، ولا يقبل  
الإسفاف . لا يتم بقواحد البلاغة لأن  
قوانينها مقتبسة من فنه ، ولا يبدأ بمذاهب  
النقد لأن مقاييسها مقدرة على كلامه . يصر  
في الظلام أبعد مما يصر في النور ، ويشعر  
في الشدة أقوى مما يشعر في الرخاء ، وينتج في  
التقيد أبلغ مما ينتج في المراح ؛ والأدباء أو  
العلماء الذين يصطفون للإصلاح هم في نعمة  
الأنبياء الذين يبعثون بالدعوة ، لأن المصلح  
أو الرسول إنما يرسله الله حين يطغى الظلم  
ويطغى الضلال ويغنى المنكر ، حتى إذا بلغته  
الرسالة واستكان الجور واستبان الطريق ،  
فتر الوحي وهذا الجهاد وقرت النفس ومانت  
الأرواح إلى مشرقها الأول .

أما إن كان غفلا من هذه الدلائل ، خلوا  
من تلك الصفات ، فهو من طبقة المتشاهرين  
والمسكابين الذين يمكن الأقلام الحديد ،  
كما كان يحسك خطباء المساجد السيوف الخشب .  
أنتم وشأنكم معه ؛ قيدوه بما شتمتم من  
القيود ، ووجهوه بما استغفتم خارج الحدود .

أحمد حسن الزيات

والأعاني ، وألقوا الأساطير والنوادر ،  
وصاغروا الضوابط الزمامية والمناخية ،  
قوم تميزوا على نظرائهم من العامة بما آتاهم  
الله من صحة التفكير وقوة التعبير وصدق  
النظر ، فارتفعوا في طبقتهم ويثمنهم إلى مقام  
القادة بأخذ الناس بتجاربهم في الأمور ،  
ويزلون على أحكامهم في القضايا ، ولا فرق  
بينهم وبين الأدباء المعلومين إلا أنهم جهلوا  
لغة الخاصة فاستعملوا لغة العامة ، ففقد ذلك  
منهم ، وصرف حين التاريخ عنهم ، ولكن  
البلاغة ليست مقصورة على قوم دون قوم ،  
ولا خاصة بلغة دون لغة .

وقصارى ما أقوله للعامة الذين يريدون أن  
يخلفوا الأدب بالأمر ، وينشئوه على  
القواعد ، ويسددوه بالنقد ، إن الأدب  
من صنع الله ومن إعداد الطبيعة ، فانظروا  
حتى يرسله ، فإذا أرسله فاتبعوه ودعوه يعمل  
على سجيته ، لا ترسموا لرسائله الحدود ،  
ولا تقيموها لفرجته الحواجز ، ولا تحبسوه  
في القفص الذي حبستم فيه البليل ، ولا تنمقوه  
بالسد الذي هو قتم به أنهر . دعوه يرسل التفريد  
في كل أفق ، ويسل الخرب في كل اتجاه .

## الميثاق الوطني في رأي الأزهر

دعا الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، أساتذة الكليات وشيوخ المعاهد ومدرسيها وطلابها إلى مؤتمر هام ؛ يناقشون فيه مشروع الميثاق الوطني من الوجهة الأزهرية ، فلي دعوته عشرات الآلاف من جنود الرسالة المحمدية وورثتها في القاهرة والمحافظات ، واجتمعوا تحت ربابته في قاعة الإمام محمد عبده بالأزهر ، يوم الأربعاء الحادى عشر من شهر المحرم سنة ١٣٨٢ هـ وكانت فاتحة هذا الحفل الحافل آيات من الذكر الحكيم أقيمت بعدها كلمة الإمام الأكبر ، ثم بدأت المناقشة وتولى إدارتها الأستاذ الدكتور محمد البهى مدير جامعة الأزهر ، فكان بشرح كل استفسار وبوضوح كل غامض ، وبسلط الضوء على كل جانب من جوانب الميثاق ؛ حتى أسفرت المناقشة عن قرارات أجمع عليها الحضور ، وستقرؤها فمصلحة بعد كلمة شيخ الشيوخ .

### كلمة الإمام الأكبر :

لحياتها الدينية ومناراً على طريق الدعوة إلى الله . تلك الجهود التي تحمل صاحبها على أن يعمل ليله ونهاره ، صباحه ومساءه ، في نشر الدعوة الإسلامية على وجهها الصحيح ، وإبراز حقيقتها مبرأة من كل ما التصق بها في المصور الماضية من بدع وشبهات بجالها ، ونقول أخفت حقيقتها وقدمتها للناس في ثوب مهمل من انحراف العقل الإنساني أو ضعف الإيمان .

هذه هي مهمة الأزهر — المنشأة العلمية الإسلامية — كما يجدد الأزهر في تاريخه وكما تؤثر في أروقة مجتمعه ، مما يتصل بإبراز

أما بعد : فإن مهمة الأزهر من يوم أن برز العالم على وجه الأرض ، ومن يوم أن تلقى علوم الشرح والدين من الأمصار الإسلامية التي وقفت عن الاستمرار في السير بها ، منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا ، وإلى ما شاء الله في مستقبل الحياة ، هذه المهمة تنحصر في مجال واحد هو مجال العمل الجاد المخلص في تكوين المواطن المؤمن ، الذي لا تقف جهوده عند حدود الأزهر ، ولا عند حدود الجمهورية العربية المتحدة ، بل تمتد ذلك إلى الدول الإسلامية التي تعرف الأزهر منبعها



بالقوة على نهضة مجتمعا من جانب ، وصيانة القيم الإسلامية من جانب آخر ، كما تلقاها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وتابعوه ... تلقوها علما من ناحية المرض والنشر والتشفي . وتلقوها عملا من ناحية التهذيب والتقويم وتربية المسكيات وتسكين المعادات الفاضلة ...

فليست مبادئ الإسلام مجرد صور لمعلومات تخزن في العقول ، وإنما هي قوة دافعة لها آثارها في تكوين المسكيات والمعادات حتى تنطبع على الجوارح ، وتصدر عنها أعمال لها طابع البناء والتشيد ، ولها قوة الانطلاق والدفع ، فلا تعرف الوقوف فضلا عن أن تعرف الضعف ، ولها قوة الوضوح فلا تشوبها صورة من صور البلبلة والعمه . إخواني وأبنائي علماء الأزهر وطلابه :

باسم الأزهر تحمل الجمهورية العربية المتحدة أمانة تعاليم الإسلام في العقيدة وفي الشريعة ، وتدعو المسلمين في كافة أرجاء الأرض إلى الاعتصام بحبل الله الذي بين بأسلوبه الواضح عقيدة المسلمين ، وشريعة المسلمين ، وأخلاق المسلمين ، والأزهر بهذا الاعتبار هو المحور الذي تدور حوله الدول الإسلامية كلها في التمسك بالدين وشر آدابه وأخلاقه باعتبارها أسسا للإنسانية الفاضلة التي لا تعرف العنصرية بوجه من الوجوه ...

أسرار الشريعة في نواحي الحياة المختلفة ، والقيام بالخدمة إليها في المجالات المتعددة : في حلقات التدريس ، وفي مجالس البحث ، وفي مواطن الوعظ ، في المسجد وفي الفصل ، في المنتدى والسوق ، في القرية والشوارع ... في كل أوضاع المجتمع بدواعيها المتباينة وصورها المتعددة .

ونحن بصفتنا الأزهريين العاملين في ضروب الحياة ، وفي مجالات المجتمع المختلفة إذا استقبلنا مشروعات تنظيمية لامتنا ومجتمعنا فطربنا إليها وقدرناها بقدر ما بينها وبين مبادئ الدعوة الإسلامية من ارتباط أكيد وصلات وثيقة ، قريبة كانت أم بعيدة .

ورجائنا من إخواننا وأبنائنا علماء الأزهر وطلابه في هذا المؤتمر الأزهرى العام أن يستقبلوا مشروع الميثاق الوطنى ويناقشوه في ضوء هذه المسكيات القصيرة التي نعهد بها لتوجيه وأن يخرجوا من هذه المناقشة بتوصيات محددة لها قوتها ووضوحها : لها قوتها في إرساء بناء المجتمع على مبادئ ديننا لتقويم ... ولها وضوحها في الوصول إلى الأهداف التي تصطبغ لها طوال حياتكم في أزهرنا العاصم المبارك .

وليس علينا إلا أن نتقدم بكل صراحة وأمانة بما يعدل الفكرة ويرسم الطريق لإبراز التعاليم الدينية ، مما من شأنه أن يعود

إخواني وأبنائي :  
سدد الله خطاكم وكتب لنا ولكم التوفيق  
والهداية إلى أقوم طريق .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

### قرارات المؤتمر :

١ - إن الأهر قام وبنى وسبق إلى  
ما شاء الله معهداً إسلامياً عالمياً لدراسة التراث  
الإسلامي والعربي وصيانة القيم الإسلامية  
والدعوة إليها والعناية بتوجيه المسلمين في  
المجتمع الداخلي والمجتمعات الأخرى الخارجية  
في البلاد الإسلامية .

٢ - إن إرغباط الأهر بالتراث  
الإسلامي والدعوة الإسلامية وصيانة القيم  
الإسلامية والربط بين الشعوب على أساس  
من هذه القيم جعل للأهر مكانة مقدرة في  
العالم الإسلامي كله : عربي وغربي ، وجعل  
لآراء علمائه وأئمة حجية بالنسبة لاطمئنان  
المسلمين في حياتهم .

٣ - إن الأهر لم يكن معهداً علمياً  
حسب ، وإنما كان معقلاً وطنياً وكان كذلك  
مصدراً للحركات الوطنية سواء تلك التي ظهرت  
في مجتمعنا بالجمهورية العربية المتحدة ، أم في  
المجتمعات الأخرى عن طريق أولئك الذين  
يفدون إليه وما زالوا يفدون فريضة وتقدير  
ثم يعودون إلى بلادهم قادة وروادا للحركات  
التحريرية .

وأنا بوصني شيخاً للأهر أذكر الجمهورية  
العربية المتحدة إلى أن يكون دستورهما الجديد  
- المنبثق من ميثاقها - على أسس الإسلام  
وصادته ، ملطفاً في صراحة بأن دينها الرسمي  
هو الإسلام ... وبصفتي شيخاً للأهر أذكر  
مرة أخرى سائر الدول العربية والإسلامية  
إلى مآدهوت إليه بالجمهورية العربية المتحدة  
وأن يزل الجميع في حياتهم على مضمون قوله  
تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته  
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا  
بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا لعمه  
الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم  
فأصبحتم بنعمته إخواناً .

وبذلك يتحقق تكتل المسلمين ووحدة  
فيمود إليهم مجد الوحدة وهو التكتل الذي  
عرفناه من تاريخ الإسلام والمسلمين .

### إخواني وأبنائي :

إن الموقف الريادي للأهر بضرر عليكم  
قيمات جسيمة ، وإنني لأرجو إن شاء الله أن  
فصل إلى نتائج من مناقشة مؤتمركم هذا لمشروع  
الميثاق الوطني الذي قدمه السيد الرئيس  
جمال عبد الناصر إلى الشعب ... من شأنها  
أن تضيء سبيل العمل الذي يحقق مهمتنا ،  
وتتناسب مع رسالة معهدنا وتاريخه ومجده ،  
وأن نحقق هذه النتائج المشاركة الإيجابية في  
تأكيد أهداف أمنا الموزة .

قامت الدعوة الإسلامية في مكة على أساسه وجاءت مرحلة المدينة لتنظيم حياة هذا المجتمع. فهذا الميثاق فضلا عن أنه يجعل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، قوة دافعة في الحياة نحو السعي والإنتاج ونحو السلوك المستقيم ، فهو يجعل من مبادئه الأخرى نظاما اجتماعيا يقضى على الاستغلال والظلم بآية وسيلة من الوسائل ويقم العلاقات بين الأفراد على أساس من عدم الحقد والغش وعلى أساس من الأخوة والمحبة والرضا ، كما يجعل من مبادئه سياجا يحول دون عودة الظلم والظلمة والاستغلال ويؤمن جانب الطمأنينة وعامل الأخوة والمحبة المشترك بين الأفراد .

\*\*\*

وتطبيقا لهذه الدراسة قرر المجتمعون ما يأتي :

أولا : يخرج الأزهري برجله أساتذة وطباء ووعاظا بالشكر العظيم إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر على هذا الميثاق الذي سيكون فاتحة عهد جديد في مجتمعات العرب الإسلامي في جمهوريتنا العربية المتحدة والذي سيكون مثالا ونموذجا يجب أن يحتذى به جميع الشعوب والأمم العربية والإسلامية ما داموا منتمين إلى الإسلام. وهم إذ يقدمون هذا الشكر للسيد الرئيس على هذا الميثاق يعتبرونه مستجيبا لرسالتهم التي حملهم إليها

من هذا الواقع كان للأزهري دوره العلى ، وكان له أيضا دوره التحريري ، فلم يدع الفرائض الإسلامية يدرس في عزلة عن حياة المجتمع ، وإنما ربط حياة هذا المجتمع والمجتمعات الأخرى بالدعوة الإسلامية وبمفاهيمها وأسلوبها في الحياة وأهدافها . ومن ذلك أيضا لم يكن دوره عاديا وإنما كان دور المكافح بحساب دور الباحث والمكاشف .

والأزهري كان كذلك قيامه وسيظل حاملا هذا الدور المزدوج وحاملا هذه الرسالة التي هي في أساسها دعامة لمبادئ وتطبيق لهذه المبادئ .

ومن واقع الأزهري على هذا النحو من تاريخه وعلى مدى من رسالة فضيلة الإمام الأكبر إلينا قرر المجتمعون أن يدخلوا في دراسة الميثاق الوطني الذي أعلنه السيد / الرئيس جمال عبد الناصر في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية بتاريخ ١٧ من الحجة سنة ١٣٨١ هـ الموافق ٢١ مايو سنة ١٩٦٢ م في دور رسالته المزدوجة حاملين لتراث الإسلام وتقيم الرسالة الإسلامية بكنود ومسالكين في سبيل صيانة هذه القيم وفي سبيل تحرير الشعوب الإسلامية من الاعتداء عليها .

وبعد دراسته ومناقشته قرر المجتمعون أن هذا الميثاق الوطني في مبادئه يتفق ومبادئ الدعوة الإسلامية وأنه يفتح مجتمعا إنسانيا

الحين والحين . وهذا الميثاق يعتبر أول محاولة شاملة تسير على هذا النهج القوي وأن التطبيق لهذا الميثاق في حياة الأمم وللشعوب العربية والمسلمة الإسلامية سيذيب الفوارق المصطنعة والظلمة بين الطبقات وسيضع حدا للاستعمار والدخلاء . كما يحول دون الطغيان والاستغلال في أية صورة من الصور . كما سينتج الفرصة لهذه الشعوب أن تزيل العوائق من طريقها في سبيل العمل في الحياة . كما سيكون شعارها الأوحده لا إله إلا الله محمد رسول الله لا تخضع لسواه ولا ترتبط بولاية إلا مستمدة من دينه ورسالة التي جاء بها رسوله الكريم .

• • •

خامساً : يدعو علماء الأزهر جميع الشعوب الإسلامية بعد أن يتخذوا من الإسلام أساساً لنظام المجتمعات أن يواجهوا في قوة الحركات الداخلية والخارجية التي تعمل على إبقاء العزلة بين هذه الشعوب وحل إضعافه مقوماتها حتى تعود كلتهم كلة واحدة كما أنه إلههم إله واحد ورسولهم رسول واحد وشعارهم شعار واحد وكتابهم كتاب واحد وأمتهم أمة واحدة . والمسلمون إذا اتحدت قوتهم وزالت الفوارق المصطنعة بينهم فسوف تعود لهم العزة والقوة بفضل ما في دينهم من قيم هي للإنسانية الخالصة أصل ودعامة .

لتاريخ . كما يعتبرون أنفسهم دعاة للشوعية لهذا الميثاق .

ثانياً : يقررون أن دستور الدولة الذي سينتج من هذا الميثاق ويقوم على أسسه يجب أن يعلن صراحة أن الإسلام هو دين الدولة الرسمي يشع في قوانين الدولة وفي مناهج التعليم فيها وفي سلوك المجتمع في حياته وفي توجيه وسائل الإعلام وفي ربط الأسرة وفي كل رعاية تقدمها الدولة إلى المجتمع والأفراد .

ثالثاً : أن يضاف إلى الفقرة التي جاءت في الميثاق خاصة بمساواة المرأة بالرجل عبارة (أن يكون ذلك في حدود الشريعة الإسلامية)

رابعاً : يناشد الأزهر الشعوب الإسلامية أن يكون نظام مجتمعاتها قائماً على أساس من هذا الميثاق ؛ فهذا الميثاق كفيل للإنسان والمجتمع الكرامة الإنسانية والمحبة والأخوة في الصلابة القوية بين العبد وربّه . وذلك هي أهداف الرسالة الإسلامية إذ أن هذا الميثاق يعتبر نقاشاً جديداً في مجال التطبيق الجاد للبادئ الإسلامية ؛ وقد كان يؤخذ على المسلمين أن انفصلوا أزماناً طويلة عن التطبيق التام الجاد لها يدعو إليه الإسلام ولم يعد للمسلم أن يعود بالذاكرة في مجال التطبيق إلى عهد دخلت في عصر النبوة أو الخلفاء الراشدين أو الومضات التي كانت تظهر بين

# قدم الكتاب العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

اختلفت الحضارات في برما الأصيل كما  
اختلفت في داخل الجزيرة باختلاف عوامل  
التطور العالمية واختلاف عوامل التطور  
المحلية ، فكل ما يبتدى إليه علماء الحضريات  
من بقايا الجزيرة القديمة فهو مادة صالحة  
لاستقراء الأصول والفروع من هذه  
الحضارات ، ولاستقراء عوامل التطور مع

جزيرة أفرطش ( كريت ) مركز من أهم  
مراكز الحضريات التي يتفتح بها طلاب  
التحقيق في تاريخ مسلم الإنسان ، أو  
" الأثرولوجية " .  
لأنها جزيرة تتوسط بين القارات الثلاث :  
إفريقية وآسيا وأوربة ، وودت عليها  
حضارة بعد حضارة من هذه القارات ، ثم

إن الأهر ، باعتباره الجامعة الإسلامية  
الكبرى ، وباعتبار علماء هم الجماعة والمرجعين  
لشعوب العالم الإسلامي كله ، يرون من واجبهم  
أن يبلغوا هذه الدعوة لجميع الشعوب ويرون  
من حق الله عليهم أن يعملوا جامعين في  
تبليغ هذا النداء إلى إخوانهم في العالم  
الإسلامي كي يتضامنوا جميعا في رد الحقوق  
المسلوبة من أجزاء الوطن العربي والإسلامي  
إلى أهلها لكي يهرروا بمحركات من أبناء هذه  
الشعوب من ردى الاستعمار — استعمار  
المبادئ — أو استعمار الجيوش — أو  
استعمار العقول — أو استعمار القلوب .  
« ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد » .

وإن علماء الأهر إذ يمدحون شعوب  
العالم الإسلامي كله لينتخذوا الإسلام نظاما  
عمليا لمجتمعاتهم ومصدرا لمحاكاة الاستعمار  
والطغيان وإزالة الفواصل يدعوون المسلمين  
جميعا أن يتدبروا كتاب الله وسنة رسوله  
ويرون أن هذا الميثاق يتفق ومبادئ الإسلام  
وأن العائق الذي قد يعوق الناس عن إدراك  
العلة بين هذا الميثاق ومبادئ الإسلام  
أمران : إما طائفية وعصبية ومذهبية قد  
أغلقت القلوب والعقول عما ، وإما جمود  
ودكود في فهم الإسلام ومدى ملائمته لحياة  
الإنسان حياة إسلامية كريمة .

برانديس أنه انتهى إلى مفتاح الكتابة التي  
نقشت على ألواح الجزيرة فوضع له أن اللغة  
سامية ، لا شك فيها ، وأن بعض كلماتها  
تقارب الكلمات العربية التي تتكلمها في العصر  
الحاضر ، ومنها كلمة « قرية » وكلمة « بيت »  
وكلمة « داود » منطوقة بما يقرب من نطق  
حروفها التي تكتب بها الآن .

والعلماء الآخرون من اطلعوا على تأويلات  
الأستاذ جوردون ولم يشتركوا في احوال  
الحفريات يراجعونه في مقارناته بين الحروف  
ويقولون إنها قد توافق للنطق الفينيقي ،  
ولكنها قد تكون مرادفة لمعاني الكلمات  
في لغات أخرى ، إذا أرادوا خلق أن يتصرف  
بالمد والقصر ، أو التفتيح والترقيق ، في أداء  
الاصوات بما شاء من مخارج الحروف .

على أن المنكرين لمفتاح الأستاذ جوردون  
يتكلمون هنا شديدا إذا كان إنكارهم مبني  
على الشك في وصول الفينيقيين إلى الجزيرة  
وراقمتهم فيها قبل الميلاد بقرون عدة .  
ويتكلمون هنا أشد من ذلك إذا قدروا أن  
الملاحين الفينيقيين لم يكن لهم شأن في حضارتها  
ولم تكن لهم صلة « لسمية » بأهلها ، كأننا  
ما كان أولئك الأملون قبل وصولهم إليها .

فهما يكن رأى المؤرخ في الأساطير القديمة  
فهو خيال لا يتخلو من الواقع وخبر لا يتخلو  
من الدلالة ، وليس من المحقول أن تزعم

حوادث التاريخ الإنساني الساميل وهوامل  
تتطور المنحصرة في جزيرة محدودة تنعزل  
حيناً وتتصل حيناً آخر بما يحيط بها من  
أقطار القارات الثلاث .

ويأتى في المرتبة الأولى بين مباحث هذه  
الحفريات مبحث اللغة التي تكلم بها أبناء  
الجزيرة قبل الميلاد بصفة عشر قرناً ، قد  
ترقى إلى الآن سنة .

إذا ترجعنا الأساطير اليونانية القديمة  
بلغة التاريخ فالمعهوم من أشهر هذه الأساطير  
التي وردت في شعر « هوميروس » أن  
الكريتيين كانوا من سلالة فينيقية ، لأن  
ملك الجزيرة « مينوس » كان ابن الحشاء  
« أدوب » أميرة مدينة صور التي كان يحكمها  
الملك فونيق .

ولكن علماء الحفريات يحاولون أن يحققوا  
التواريخ الأسطورية بتفسير النقوش التي  
ترجع إلى تلك الفترة من حضارة الجزيرة  
قبل الميلاد ، ومنها نقوش عثروا عليها منذ  
نصف قرن ولا يزالون مختلفين في المقابلة بين  
حروفها والحروف الأبجدية التي استخدمها  
سكان الجزيرة على أثر اتصالهم بالحضارة  
الأغريقية .

وبعد خمسين سنة في الفروض والتأويلات  
أعلن الأستاذ سهوسي جوردون رئيس  
مباحث البحر الأبيض المتوسط بجامعة

أما الذي نؤثره ونستند في إشارته على الأصول المعقولة فهو تغليب كلمة العربية على كلمة الفينيقية أو كلمة السامية على اختلاف مدلولاتها حيث يرجع الأمر إلى أربعة آلاف سنة من تاريخ هذه اللغات القديمة ، أو على الأصح من تاريخ تلك اللهجات كما ينبغي أن تسمى في ذلك الحين لأنها كانت قبل أربعين أو خمسين قرناً للهجات تنفرد على أصل واحد قديم .

لقد كان الفينيقيون يقيمون بين النهرين على مقربة من خليج العرب قبل انتقالهم إلى صور وغيرها من المدن على شواطئ فلسطين وقد كانت الحروف المنسوبة إليهم عربية على التحقيق ولم تكن مقصورة على القبائل الفينيقية في العراق أو فلسطين ، ولولم تكن عربية عامة لما وجدت بصورها الباقية إلى اليوم في الخط المسند الذي لا شك في قدمه وعدم الحضارة النمانية بل المروية النمانية - من قبله - فإن الأبجدية المشهورة باسم الفينيقية ، والأبجدية التي كانت تكتب في بلاد اليمن متشابهتان في أكثر الحروف ، وما اختلف منها قليلاً فهو اختلاف في الأداء دون الأصول ، ومثل هذا الاختلاف الذي نفاذه بين كتابة المصرية وكتابة المغاربة لبعض الحروف العربية إلى اليوم .

وإذا جلا الشك في العلاقة القديمة بين

الأساطير أن أميرة صور كانت ملكة على جزيرة كريت إن لم تكن هناك علاقة من علاقات الملاحة والتجارة بين البلدين ، ولم تكن تلك العلاقة في ذاكرة الرواة والشعراء ، يتناقلونها خلفاً عن سلف وجيلاً بعد جيل ، ولا يخطونها ساعة روايتها ، بلغة القصص أو لغة التاريخ .

فالقول بأن اللغة الفينيقية عرفت في جزيرة كريت قبل أربعة آلاف سنة أو نحوها هو أقرب الأقوال إلى التاريخ الصحيح ، سواء نظرنا إلى تاريخ الملاحة في الجانب الشرق من البحر الأبيض المتوسط ، أو نظرنا إلى الأساطير المروية عن علاقة الجزيرة بمدينة صور ، أو نظرنا إلى تفهيرات الحفرين ولم يظهر ما هو أول منها بالتبول إلى الآن ، أو نظرنا إلى الحروف الفينيقية التي اكتسبها اليونان وأبناء الجزر اليونانية جميعاً باسم المصغر المقدس لوجسود الأميرة ، أوربة ، والملك « ميتوس » ببطنة قرون .

ونحن - إلى هنا - نذكر اللغة الفينيقية والحروف الفينيقية منه الكلام على التاريخ قبل أربعة آلاف سنة ، لأننا نمقب بهذا الكلام على تسميات العلماء الأوربيين الذين يسمون الشعوب السامية بتلك الأسماء ، كلما ذكروا شيئاً من تواريخها في تلك الأزمنة الخالية .

حروفنا هل النحر الذي أشرنا إليه .

ومن المؤرخين الأوربيين من يصعبون في نسبة كل ثقافة أوربية إلى أصل من أصوله المربية أو الشرقية ، فهم يدركون هذا الفجوة بين الأبجدية عندنا والأبجدية عند اليونان فيعترفون به ولكنهم يسألون : ولماذا لا يكون الساميون هم الذين اقتبسوا هذه الحروف من مصدر أوربي قديم ؟

وقد ظل هذا السؤال زمنا معلق الجواب أو محتملا للإجابة بنسبة الأصول الأبجدية إلى المصادر الأوربية ، لولا أن أسماء الحروف المربية عرفت بمعانيها وأشكالها ولم يعرف لها معنى ولا شكل يعود بها إلى لغة من لغات الأوربيين ، ومن معاني هذه الحروف ما نفهمه في أحاديثنا اليومية إلى هذه الأيام ، كالباء من البيت والجيم من الجمل والعين من العين ، والكاف من الكسف ، والنون من النون أو الحوت .

وكما كشف الحفريون حروفا مكتوبا وصرفوا معناه وعمله في الجمله طابعهم هذا للكشف الجديد إلى أصل قديم بقدر تاريخه بألاف السنين ، فقد كشف الحفريون من آثار بلاد النبط بعض حروف الجر التي كانت تستعمل في مثل موقعها من الجمله عندنا قبل ثلاثة آلاف سنة ، فإذا قدرنا أن حرف الجر عادة هو اسم أو فعل مختزل لا تعود

الحضارة المربية وجزيرة كريت فليس هناك محل للشك في علاقة هذه الحضارة باليونان منذ عصر الملك « قدموس » وهو مقارب في حساب التاريخ وحساب الأساطير لعصر الأميرة « أوربة » ، والملك مينوس على رواية الشاعر هوميروس .

نعم لا شك في هذا ، لأن الأبجدية اليونانية باقية إلى اليوم تدل على تاريخ تلك العلامة القديم .

فهذه الأبجدية التي يكتبها اليونانيون في عصرنا هذا موافقة بترتيبها حروفا حروفا لترتيب الأبجدية المربية ، ولا يختلف هذا الترتيب مرة إلا إذا تقابل حرف من حروف الحلق بحرف من الحروف التي تقاربه في نطق الأوربيين ، لأن الأوربيين لا ينطقون حروف الحلق كما هو معلوم .

فالأبجدية اليونانية تبتدى بحروف ( ألفا وبيتا وجما ودلتا ) وهي حروف الألف والباء ، والجيم والدال في « أبجد » ، هل هذا للترتيب . ثم تتقابل حروف « هوز » بما يقارنها مع اختلاف نطق الهاء ، ونطق الواو حين تكون حركة مد عندم وحروفا منطوقا عندنا في بعض الأحيان ، ثم تأتي « ككن » متتابعة كما هي عندنا بغير اختلاف لخلوها من حروف الحلق والمك ، وهم ينطقونها « كانا ولا متاوى وى » ، ويتبعونها ببقية



في غيرها من العائلات اللغوية كما يسمها المحدثون ، ولكن لغة من اللغات - سامية كانت أو آرية أو طورانية - لم تتحرر فيها الخارج بحروفها ولا الحروف بمخارجها كما تحررت في لغة الضاد ، فليس في لغة الضاد حرف ملتبس بين مخرجين ولا يخرج ملتبس بين حرفين .

وفي اللغات السامية نحو وصرف ولكنهما واقعان ، فوق المنبت ، جذورا كالخشب الذي لا يقبل النمو بد ما وصل إليه ، وما من جذر من جذور نحونا أو صرفنا لم يتفرع ولم يحتفظ بقوة الحياة فيه كما تحتفظ البنية الحية بقوة حياتها ، في كل عضو من أعضائها .

ومن الواجب أن تمثل هذه الظواهر العربية الخاصة في أذهان أولئك المصلحين ، الذين يحسبون أنهم يتناولون هذه اللغة بالإصلاح كلما احتاج الأمر إلى توفيق بينها وبين مطالب العصر الحديث ... فلا محل في البنية الحية النامية لإصلاح التركيب أو تقويم البنية من جديد ، وإنما هو الغذاء ، الذي يوافي تلك البنية وتأخذ منه بقدرتها الحية ما يأخذنه الأحياء الأصحاء من كل غذاء طيب وكل طعام مفيد ؟

عباس محمود العقاد

الألسنة اختاراه قبل انقضاء مئات السنين فلا بد من تقدير زمان سابق لتاريخ تلك الكتابة النبطية بمدة قرون ، كانت فيها اللغة العربية لغة تركيب وإعراب بقواعدها التي تطورت مع الزمن حتى وصلت إلى ما هي عليه ، وبلغت فيها قواعدها غاية مداها من الضبط والاستقرار .

وما هنا نقهى إلى بيت القصيد من تحقيق القول بقدم اللغة العربية .

فإن قدم اللغة ، حل أية حال ، هراقة تحسب لما كما تحسب لكل كائن حي هريق ، ولكن الذي يميننا منه في هذا المقام هو جانب التمام والنضج بعد طول التطور والتقويم .

فما من قاعدة من قواعد اللغات السامية تأبست نحوها ونضجت في تطورها كما نضجت في لغتنا العربية ، بعد ذلك التقدم المتطاوّل من أقدم العصور :

في اللغات السامية إعراب ولكنه قاصر غير مطرد ولا متناسق في مواضعه ، ولم يبلغ قط مبلغ القانون ، الذي تعرف فيه حدود الاطراد وحدود الاستثناء .

وفي اللغات السامية اشتقاق ولكن قوالب المشتقات فيها لم تنبع بأوزانها ومعانيها كما تميزت مع تطور اللغة العربية .

وفي اللغات السامية حروف لم تعرف

# فكرة وتطبيق

"أن التقدم الوطنى لا يحققه كلمات مخنونة عالية الزين"

للاستاذ الدكتور محمد البنى

وطائفة الكثرة المستقلة والمسلوبة الاعتبار  
الإنسانى .

تجلت هذه الأحداث من بداية التنازل  
والصليبيين ، إلى حملة نابليون ، إلى الاحتلال  
البريطانى ، ثم الاستقلال الداخلى فى ظل  
الاستقلال الذى جعله المستعمر امتدادا غير  
مباشر لاستقلاله وسلبه الاعتبار البشرى .  
وإذا كانت هذه الأحداث التاريخية التى

مررت على الأمة المصرية فى دائرة النطاق  
العربى هى التى أوصلت إلى ثورة ٢٣ يوليو  
سنة ١٩٥٢ وبالنال أملت على الاشتراكية  
العربية مفهومها - فالاشتراكية للعربية تساوى  
رد الاعتبار البشرى إلى أفراد المجتمع المصرى  
ثم بالنال إلى أفراد الوطن العربى .

ورد الاعتبار البشرى هو بداية وغاية فى  
الوقت نفسه ، بداية للثورة المصرية فى ٢٣  
يوليو سنة ١٩٥٢ وغاية للاشتراكية العربية  
التي تحمضت عن الأحداث المتتالية على الشعب  
المصرى فى النطاق العربى .

وقوانين يوليو سنة ١٩٦١ ليست إلا تعبيراً  
عن رد الاعتبار البشرى لمن سلب منهم هذا  
الاعتبار فيما مضى ، وليست إلا إحدى نتائج

من دوامة مشروع الميثاق يستخلص  
الفارى أن هذا المشروع قوامه فكرة  
أصلية . وامتداده تطبيق لهذه الفكرة .

أما الفكرة الأصلية فهى الاشتراكية  
العربية .  
وأما امتدادها هو التطبيق لها فى المجالات  
المتنوعة فى المجتمع : المجالات السياسية  
والاقتصادية والاجتماعية .

## الاشتراكية العربية :

أما الفكرة فلم يحاول المشروع أن يحدد  
مفهومها من أصل لغوى يشتق منه ، كما لم يحاول  
أن ينقل هذا المفهوم من فلسفة أخرى  
أو توجيه أجنبى عن النطاق العربى . وإنما  
استخلص هذا المفهوم من أحداث التاريخ التى  
مررت بالأمة المصرية فى دائرة الأمة العربية .  
وأحداث التاريخ نفسها هى التى حددت  
مفهوم الاشتراكية العربية . وهذه الأحداث  
التي تابعت على الأمة المصرية فى دائرة النطاق  
العربى كانت تهدف كلها إلى الاستقلال المسمى  
والمعنوى حتى أصبحت مجموعة الشعب مسلوبة  
الاعتبار البشرى . ونشأ عن ذلك أن المجتمع  
انقسم إلى طائفتين : طائفة القلة المستغلة ،

والاشتراكية العربية إذن هو الذي يكون إنتاجه في ظل الاشتراكية العربية أفضل حتما من إنتاجه فيما قبل الثورة .

والاشتراكية العربية إذن مساوية للإنتاج الأفضل ، وقريبة له ودافعة إليه . وعلى هذا الأساس عندما طالب الميثاق بالإنتاج وبالمزيد فيه ، وبالجودة فيه لم يعبأ إلا عن النتيجة الحتمية لتطبيق الاشتراكية العربية . فإذا جئنا إلى مجال العمال أو مجال الفلاحين وأردنا أن نتعرف الاشتراكية العربية من غيره فقياس ذلك واضح ، وهو الأفضلية في الإنتاج . والأفضلية في الإنتاج في النوع مقدمة على أفضليته في الكم ، فإذا اجتمع الأمران معا كانت أفضلية الإنتاج واضحة . وكذلك إذا ذهبنا إلى المجالات الأخرى ، إلى مجالات المثقفين والمعلمين أو مجالات الموظفين فالأمارة التي تميز الاشتراكية العربية عن غيره هي أفضلية الإنتاج في نوعه قبل كنه أو أفضليته في الأمرين معا .

وإذا سألتنا أنفسنا عن توطيع هذه الأفضلية فمحافظة العامل في مصنفه على الجودة والإتقان ، وعلى صيانة الآلة بحيث تبقى مستمرة في إعطاء الإنتاج الجيد نموذج من نماذج هذه الأفضلية ، ومحافظة الفلاح على جودة الإنتاج والإبقاء على خصوبة الأرض صورة أخرى من صور هذه الأفضلية ومحافظة المدرس والناظر والموظف كل منهم

الاشتراكية العربية وواضح إذن أن هذه القوانين ليست هي الاشتراكية ، وإنما ظاهرة تنحكي صودة من هذه الاشتراكية .

### مجال العمل والإنتاج :

والغاية الحقيقية من الاشتراكية العربية أو بمعنى آخر من رد الاعتبار البشري لمن سلب منه هذا الاعتبار في ظل الاستعمار والاستغلال سواء كان عن طريق الإقطاع أم الرأسمالية — هو إفصاح الطريق للعمل والإنتاج ، هو إزالة العقبات من طريق العمل والإنتاج . فإذا رده الإنسان اعتباره البشري وأحسن بأنه فرد ككل الأفراد الآخرين معه في مجتمعه ، يساهمهم في الطبيعة الإنسانية وفي القيمة والاعتبار — وإن كان يختلف معهم في الطاقة والإدراك — فانه لا شك لا يجد صعوبة في انطلاقه نحو العمل والإنتاج فالاشتراكية العربية إذن مبنية الطريق إلى العمل ، والاشتراكية العربية هو العامل المنتج دون حائق تقسى بمعوقه عن الدفع والإطلاق .

### نحو إنتاج أفضل :

ولكن إذا كان عمل الأفراد في ظل الاشتراكية العربية سيظل مساويا لمعلمه فيما قبل ثورة ٢٣ يوليو فعني ذلك أن الاشتراكية العربية بقيت في دائرة التصور الذهني ، وعلى شفتي الفم دون أن تعمق فحصل إلى القلب وتصبح إيمانا وعقيدة .

## القوى الروحية :

ولأن الاشتراكية العربية تساعد على الدفع المحر نحو العمل والإنتاج ، وبالتالي تساعد على الإنتاج الأفضل فإنها ترحب بالقوى الروحية التي من شأنها أن تدفع والتي من شأنها كذلك أن تساعد على رفع العقبات من طريق العامل والمنتج .

وتقدير الاشتراكية العربية للقوى الروحية أتتد ليس فقط لأن القوى الروحية حملها تاريخنا في كل قراه وتسلح بها الشعب المصري في إطارنا العربي ضد الاستعمار المقتنع وغير المقتنع ، وإنما أيضا لأن القوى الروحية كما ذكرنا تساعد على الانطلاق وعلى الدفع . فكل ما من شأنه أن يساعد على هذا الانطلاق إذن تشجع عليه الاشتراكية العربية ولذلك تشجع على العلم ؛ لأن طريق العلم أقرب إلى الغاية وأمن في الوصول إليها . ولذا كانت القوة الروحية دافعة ، فالعلم قوة كاشفة . ولاغنى للإنسان الذي يريد أن يكون صاحب إنتاج أفضل . وهو الإنسان الاشتراكي العربي . من هاتين القوتين معا : القوة الروحية ، وقوة العلم ، إحداهما للاندفاع . والأخرى للكشف والتبصير .

والمزاوجة بين هاتين القوتين إذن أمر حتمي وضروري في مبحثنا الاشتراكي العربي وعلى الذين يحملون رسالة الروحية أن يفهموا العلم ، وعلى الذين يقومون برسالة العلم أن

على إتقان عمله سواء في التوجيه أو في إنجاز المصالح صورة ثالثة من صور هذه الأفضلية .

## الفصل :

وإذا خرجنا من مجال الإنتاج المادي إلى مجال الإنتاج البشري في الأسرة لمجودة الإنتاج التي تمثل في الأولاد ، التي تمثل في القوة المادية والمعنوية والإيمانية صورة رابعة من صور هذه الأفضلية .

وإذا تجاوزنا مجال الإنتاج المادي والاسرى إلى مجال الإنفاق فالاعتدال فيه وحدم الإسراف سواء أكان في الجانب الخاص أم في الجانب العام صورة خامسة من صور الاشتراكية العربية لأن الاعتدال في الإنفاق سيقرب عليه تربية غير مباشرة فضلة تدخر . والإدخار صورة من صور الإنتاج . لأن الإنتاج هو الحصلة التي ينتفع بها في تغطية التكاليف العامة والخاصة .

وإذا كانت الاشتراكية العربية هي رد الاعتبار البشري للإنسان الذي سلب منه هذا الاعتبار ، وإزالة العقبات من طريقه ليكون ذا انطلاق في عمله وإنتاجه ، وإذا كان الاشتراكي العربي هو صاحب الإنتاج الأفضل فإن الاشتراكية العربية مبدأ يوصل إلى الإجابة ، والإنسان المجيد هو الإنسان المحسن ، وهو الإنسان الذي انطلق طاقاته في تحقيق أهداف الإنسان كإنسان .

والعالم المسلم وصاحب الرسالة الروحية لا يكون كذلك اشتراكيا حريا إلا إذا كان متجاوبا مع مجتمعه وذا إنتاج أفضل وإنتاجه الأفضل هنا هو أن ينظر إلى المجتمع ككل وينظر إلى الدين كنظام للحياة . ومن هاتين النظرتين الشاملتين يصدر رأيه فيما يشكل على الناس في أمر دينهم ويحمل الريادة في توجيه الناس في حياتهم نحو أهدافهم .

والصحفي لا يكون اشتراكيا حريا بكثرة مقالاته أو بطول مقالته ، وإنما يكون بإجادة ما يكتب . والجودة فيما يكتب : أن يرى الاشتراكية العربية في مفهومها وفي تطبيقها فلا يفض النظر في مفهومها عن أحداث التاريخ التي استتبعته ، ومن بين هذه الأحداث القرة الدافعة التي دفعت إلى التحرير وإلى قيام الثورة والتي تدفع دائما إلى صيانة هذه الاشتراكية وهكذا . . .

فما ذكره الميثاق هو تحديد للاشتراكية في مفهومها ، وتحديد لما تكون عليه الاشتراكية في تطبيقها في المجالات المختلفة .

ومشروع الميثاق أخيرا هو عهد على أنفسنا أن نكون مؤمنين بالله وأنفسنا وبإنسانيتنا في وطننا العربي الكبير الذي نعيش فيه .

الدكتور محمد البرسي  
مدير جامعة الأزهر

يتفهموا القوة الروحية . وأصحاب الرسالة الروحية إن هم داروا في إطار نظري مفترض دون نظر إلى الواقع فإنهم سيدفعون أنفسهم إلى البقاء دوما في حركة ، وبالتالي سيجعلون من المجتمع قريبا لا يكشف الواقع . وأصحاب الرسالة العلمية إن هم تجاهلوا القوة الروحية فإنهم يتناحزون عن قوة كبيرة في الدفع نحو إنتاج أفضل ونحو الإثقان والإحسان معا .

### جامعة الأزهر :

وإذا كان هذا الازدواج بين القوة الروحية وقوة العلم لم يدخل بمدى في إطار واحد في مجتمعنا الذي نعيش فيه الآن فإن الأمل معقود على جامعة الأزهر الجديدة في أن العلم والقيم الروحية لا يسير بعضها جنباً إلى جنب لحسب وإنما تتكون منهما وحدة تدفع وتعين على الانطلاق نحو العمل وإنتاج أفضل .

إننا إذن عمالا وفلاحين وموظفين وأصحاب رأسمالية وطنية وجنوداً لا نتحدث عن أنفسنا بأننا اشتراكيون عرب إلا إذا كنا ذوي إنتاج أفضل كل في مجاله وكل في دائرته . وإننا ليس العامل في المصنع الذي زاد أجره واشترك في أرباح مصنعه ، وليس الفلاح في أرض وزدهت عليه ، أو في أرض يستأجرها ، هو الاشتراكي العربي طالما لم يكن ذا إنتاج أفضل في مصنعه وفي مزرعته ، وكذلك الشأن في طوائف المهنة المختلفة لا يكونون اشتراكيين حرياً إلا إذا كانوا ذوي جودة وإحسان في عملهم .

من طرائف إجموع القرآن :

## استخراج القياس الأصولي من القرآن

للأستاذ محمد محمد المدني

مثال ذلك : أنك تقيس قطعة من النسيج بوحدة قياسية كالتر مثلاً ، فتنبها إلى هذه الوحدة أي تضيقها إليها وتعتبرها بها ، فقد تجددها مسارية للتر مرة واحدة أو أكثر من مرة ، أو تجددها مسارية لجزء من المتر . ولهذا يسمى كل ما يقاس به الشيء ، ويعتبر تقديره على أساسه مقياساً ، ولو كان من المسكايل أو الموازين أو غيرها : قلتر مقياس ، والإردب مقياس ، والقفطار مقياس ، ونسبة الخريطة التي تقدر بها المساحات والمواقع مقياس ، والمبار الذي يقاس به الطيب المجرح ليعرف غوره مقياس ... وهكذا .

وكما يستعمل هذا القسط في تقدير الأجسام ؛ يستعمل أيضاً في تقدير المعنويات ، فيقال مثلاً : فلان يقاس بفلان في عمله وفضله ، أو لا يقاس به في عمله وفضله ، أي يساويه أو لا يساويه .

ومنه قياس الرأي بالرأي ، أو قيس الرأي بالرأي على معنى الموازنة والمفاضلة بينهما ،

القياس أصل عظيم من الأصول التي دار حولها نظر الفقهاء في الشريعة الإسلامية ، والتي تأثر بها الفقه الإسلامي تأثراً شديداً في جانب الاستنباط إثباتاً وتضيافاً ، وإليه يرجع الكثير من أسباب الاختلاف بين الأئمة ، ومن دوس هذا الأصل العظيم دراسة قوية ، وأحاط بأقسامه وتفصيله ومواطن الخلاف بين العلماء فيه ، فإنه يكون قد جمع علماً غزيراً ، واكتسب مرئاً ومرونة في معرفة مدارك الأحكام ، وطرائق الاجتهاد ونهياً إلى مدى بعيد لاستقبال ما جده من الحوادث وصور المعاملات بمثل ما كان يستقبلها به أهل الفتوى والتخريج والاستنباط من العلماء الأولين .

\*\*\*

وأصل القياس في اللغة : التقدير ، ومنه : قسط القلوب بالذراع أي قدرته ، وبلا حظ فيه معنى التسوية بين المقدر والمقدر به ، فإذا قدرمت شيئاً بشيء فقد سويته به في وحدته أو ضعفه أو جزئه .

أرأيت لو وضعها في حرام أليس يكون عليه في ذلك وزر ؟

ومن أمثلة اختلاف الاصطلاح في استعمال هذا اللفظ ما يرد أحيانا من قول بعضهم : إن إباحة كذا على خلاف القياس ، يريدون على خلاف الأصل المطرد ، مثال ذلك قول الفقهاء : إن إباحة السلم على خلاف القياس ، أي أنه يخالف لأصل مقرر يقول ( لا تبع ما ليس عندك ) فهذا الأصل يقتضي الإباحة السلم لأنه يبيع ما ليس عندك ، غير أنه استثنى وخصر فيه الحاجة فكانت إباحة مخالفة للقياس والأصل .

وقد يطلق القياس ويراد به المعنى المدرك بالعقل ، كما لو قيل ( التيسم خلاف القياس ) أي خلاف المعنى المعقول لتشريع التطهر ، فإن التراب ملوث لا منظف ، بخلاف الغسل بالماء فإنه على مقتضى القياس أي ما يحكم به العقل ، فهو مزيل للذنوب ، منظف للبدن .

ومثل هذه الاستعمالات خاصة بالمعنى الغوي للقياس أكثر من صلتها بالمعنى الاصطلاحي له ، فإن معناها يرجع إلى تقدير شيء بشيء ، وإضافة شيء إلى شيء ، حتى يتبين أن المقدر على وفق المقدر به أو على خلافه .

• • •

والكلام في استقصاء هذه التعريفات ،

وقد زعم بعضهم أن هذا المعنى ملاحظ في تسميته « أسرى القيس » الفاعل بهذا الاسم لأن شره اعتبر به ، وجعل كأنه مقياس للشمر ، وهو زعم فيه طرافة ، وإنما نسوقه توضيحا لمعنى القياس والقيس في أصل اللغة .

• • •

أما في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفه لتعدد أقسامه ، والتفاوت في ملاحظة بعض القيود أو إلغائها ، ثم لتعدد الاصطلاح في استعماله بحسب المواضع المختلفة : فقيل : « هو حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما » .

وقيل : « هو حركك على الفرع بمثل ما حركت به على الأصل ، لا اشتراكهما في العلة التي انقضت ذلك في الأصل » .

وقيل : « هو حمل الفرع على الأصل ببعض أوصاف الأصل » .

وكل هذه تعريفات متقاربة ، ولكنها تناسب نوعا من القياس هو المعروف « بقياس الطرد » مع أن هناك نوعا آخر من القياس لا تنطبق عليه هذه التعريفات هو النوع المعروف ههنا « بقياس العكس » ، وهو إثبات عكس الحكم في الفرع الذي وجد فيه عكس حلة الأصل ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله : أيقضي أحدنا شهوته من زوجته فيكون له بذلك أجر ؟ فقال

صدده الناس عن ذكر الله وعن الصلاة وإنما يرجع في الخمر إلى غيبوبة شاربها بالسكر أيضا . والحكم الذي انتقل من الأصل إلى الفرع هو التحريم المستفاد من قوله تعالى في الخمر وما حطفت عليها « فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . وقد سبق التثليل لقياس العكس ، وإليك بيان أركانها :

فالصورة المقيس عليها - وهي الأصل - هي قضاء المرء شهوته في غير زوجة ولا ملوكة .

وحكمها : ثبوت الوزر .

والصورة المقيسة - وهي الفرع - هي عكس الصورة الأصلية ، أي قضاء المرء شهوته مع زوجته .

وحكمها : ثبوت الأجر ، وهو عكس حكم الأصل .

والمعنى المناسب ، هو التماكس بين العلتين . وهكذا لا بد في القياس من أصل وفرع وحكم يتحقق فيها التماثل على سبيل التماكس .

• • •

وقد اختلف الناس في القياس فهم من يثبت كأصل تشريعي ، ومنهم من ينفيه ولا يعتمد به .

فالذين يثبتون القياس :

١ - قالوا إن القياس أحد أصول

وما ورد عليها من الأسئلة والاعتراضات ، والاجوبة والتحليلات ؛ كلام طويل وليس فيه كبير فائدة ، ويكفينا أن ندلم أن لكل قياس أركانا أربعة لا يتم إلا بها : الأصل ، والفرع ، والملة ، والحكم ، وقد يقال إن الأركان هي الثلاثة الأولى فقط ، أما الحكم فهو الثمرة التي تأتي بعد تحقق هذه الثلاثة ، والأمر حين على كل حال .

مثال قياس الطرد : أن تحكم على النبيذ بحكم الخمر وهو الحرمة ، لاشتراكهما في الإسكار .

فالخمر هي الأصل ، لأنها هي التي وردت في شأنها النص : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهون ، (١) .

والفرع هو النبيذ لأنه غير منصوص على حكمه .

والصلة التي من أجلها حرمت الخمر هي الإسكار ، بإتفاق العلماء . استنادا إلى الآية الثانية ، فإن إبتاع الشيطان العداوة والبغضاء بين الناس ، إنما يرجع في الخمر إلى كونها مسكرة تخرج شاربها عن الصواب ، وكذلك



في الزبر، <sup>(١)</sup> وفي ذلك قياس للآخرين على الأولين، فالكفار الأولون أصل والعقاب الذي وقع عليهم حكم، وعلّة هذا الحكم هي التكذيب وهذه العلّة قد وجدت في الكفار الآخرين، فلا بد من تعدّي الحكم إليهم بمضمون العلّة، وهذا محض القياس.

ومثل ذلك قوله تعالى: «أظلم بهموا في الأرض فينظروا كيف تكن عاقبة الذين من قبلهم: دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها» <sup>(٢)</sup> فقد أخبر الله تعالى أن حكم النور حكم مثله.

(٣) وقالوا: إن الله تعالى نفى عن حكمه وحكمته التسوية بين المختلفين في الحكم، فقال: «أنجعل المسلمين كالجبريين». ما لكم كيف تحكمون، <sup>(٤)</sup> وقال: «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحيام وعماهم، سواء ما يحكمون» <sup>(٥)</sup> وقال: «أم تجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالفاسقين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار» <sup>(٦)</sup> وفي ذلك كله استنكار للتسوية بين المختلفين، وهو يستلزم استحسان التسوية بين المتماثلين.

(٤) وقالوا: إن الله تعالى قد امتن على

الشريعة، وقد أُرشد الله تعالى إليه في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، انظر إلى قوله تعالى: «فسيقولون من بعدنا قل الذي فطركم أول مرة» <sup>(٧)</sup> وقوله تعالى: «وضرب لنا مثلا ونسئ خلقه» قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة» <sup>(٨)</sup> وأمثال ذلك فإن الله تعالى يقبس النشأة الآخرة على النشأة الأولى، وانظروا إلى قوله تعالى: «ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إنه الذي أحيها لنحي الموتى إنه على كل شيء قدير» <sup>(٩)</sup> يقبس حياة الأموات بعد الموت على حياة الأرض بالإنبات بعد موتها وانظروا إلى قوله تعالى: «ولخلق السموات والأرض أكثر من خلق الناس» <sup>(١٠)</sup>.

فإنه يقبس الخلق الجديد الذي أنكره على خلق السموات والأرض، ويعمله من قياس الأول، إلى غير ذلك من المواضع التي يقبس الله تعالى فيها شيئا على شيء.

٢ — وقالوا إن الله تعالى بعد أن أخبر عن صفات الأمم المكفبة للرسول، قال: «أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براة

(١) الآية ٤٣ من سورة القمر.

(٢) الآية ١٠ من سورة محمد.

(٣) الآيتان ٣٥ و ٣٦ من سورة النمل.

(٤) الآية ٢١ من سورة الجاثية.

(٥) الآية ٢٨ من سورة ص.

(١) الآية ٥١ من سورة الإسراء.

(٢) الآيتان ٧٨ و ٧٩ من سورة يس.

(٣) الآية ٣٩ من سورة فصلت.

(٤) الآية ٥٧ من سورة طه.

في الحكم لاسعواتهما في العلة الجامعة بينهما .  
وقل مثل ذلك في قوله تعالى : « ألم يروا  
كم أهلكنا من قبلهم من قرون مكناهم  
في الأرض ما لم يتمكن لكم وأرسلنا السماء  
عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتم  
فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرونا  
آخريه » (١) فقد بين الله تعالى أن إهلاكهم  
كان بسبب ذنوبهم ، وفهم من هذا أن العلة  
نعم ، فمن أذنب مثلهم كان مستحقا لمثل  
حكمهم وهو الإهلاك ، وكل هذا من قبيل  
قياس العلة .

وقل مثل ذلك أيضا في قوله تعالى :  
« وربك الغنى ذو الرحمة ، إن يشأ يذهبكم  
ويستخلف من بعدهم ما يشاء كما أنشأكم  
من ذرية قوم آخرين » (٢) وقوله تعالى :  
« إما أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم ،  
كما أرسلنا إلى فرعون رسولا . فعصى فرعون  
الرسول فأخذناه أخذا وبيلًا » (٣) .

وهذا في القرآن كثير .

وأما قياس الدلالة ، وهو الجع بين الأصل  
والفرع بدليل العلة وملوومها ، ففقه جاء  
في مثل قوله تعالى : « يأياها الناس إن كنتم  
في ريب من البعث فإياا خلقناكم من تراب ،

عباده بأنه » علم القرآن . . . والساء رفعها  
ورضع الميزان ، ألا تظفوا في الميزان ، (١)  
والميزان هو آلة العدل والتسوية ، والقياس  
ما هو إلا ميزان ، ومنه ما هو قياس صحيح  
كلميزان الصحيح ، وما هو قياس باطل  
كلميزان المضطرب ، فالذين قاسوا البيع على  
الربا يجمع ما يشتركان فيه من القراضى ،  
قياسهم باطل ، والذين قاسوا الميتة على المذكى  
بجماع أنهما مشتركان في خروج الروح  
قياسهم باطل . . . الخ ، فليكن في القياس  
ما يذم لبطائه وفساده كلميزان الفاسد الباطل  
ولكن هذا لا ينطبق على كل قياس فإن  
هناك آلاف الآفة الصادة . كما أن هناك  
آلاف الموازين الصالحة .

« وقالوا : إن أنواع القياس المستعملة  
موجودة كلها في القرآن :

قياس العلة موجود في مثل قوله تعالى :  
« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من  
تراب ثم قال له كن فيكون » (٢) ، فأدم  
أصل ، وعيسى فرع ، وكلاهما يشارك الآخر  
في أنه مخلوق على غير السنة المألوفة طوعا  
لمشيئة الله وتكوينه ، فمن أقر بوجود آدم  
من غير أب وأم ، فكيف يستنكر وجود  
عيسى من غير أب ، واذن فهما مشويان

(١) الآية ٦ من سورة الأنعام .

(٢) الآية ١٣٣ من سورة الأنعام .

(٣) الآيات ١٥ ١٦ من سورة الزمّل .

(١) الآية ٨ وما قبلها من سورة الرحمن .

(٢) الآية ٥٩ من البورة آل عمران .

باطل لأن التساوى في قرابة الأخوة ليس بعلّة للتساوى في السرقة - على فرض أنها حصلت من أخى يوسف - ولا دليل على التساوى فيها .

ومن ذلك أن الكفار يقولون في الاعتراض على الرسل : « إن أقم إلا بشر مثنا » (١) فيمتسبون مجرد التساوى في البشرية ، ويقبسون حال الرسل على حالهم هم ، ويحكمون عليهم بأنهم ليسوا برسل كما أنهم هم أنفسهم ليسوا برسل .

وقد أجابت الرسل عن هذا القياس ببيان الفارق ، حيث قالوا : « إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده » (٢) أى نحن نعلم أننا مثلكم في البشرية ولكننا نختلف عنكم في مزية ، هي أن الله من علينا ولم يمن عليكم ، والله يمن على من يشاء ، فهذا ، هو الفارق ، ولا قياس مع الفارق .

إلى غير ذلك من الآيات ؟

**محمد محمد المرنى**

عيد كلية الشريعة

ثم من طفلة ، ثم من حقة ، ثم من مضغة مختلفة وغير مختلفة لتبين لكم ، وتفرق الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شبثاً ، (١) فذكر الله تعالى أطوار الخلق من المبدأ إلى حين الموت ، وكلها ممكنة الوقوع بدليل المشاهدة التي لا ارنباب فيها ، فالبص الذي ترتابون فيه ما هو إلا نشأة ثانية وخلق جديد كالنشأة الأولى التي تمرقونها وتزرون تطورها .

وفي القرآن الكريم من هذا كثير . وأما قياس الشبه ، وهو الخالي من العلة المؤثرة والوصف المقضى للحكم ، فإنه قياس باطل ، ولم يرد في القرآن الكريم إلا على ألسنة المبطلين .

فنه قوله تعالى إخباراً عن إخوة يوسف وقالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل (٢) ، فهم لم يجمعوا بين الأصل والفرع بعلّة أو دليلها . وإنما الحقوا أحدهما بالآخر من غير دليل جامع سوى مجرد الشبه الجامع بين الآخرين وهو التساوى في القرابة ، وهذا

(١) الآية ١٠ من سورة إبراهيم .

(٢) الآية ١١ من سورة يوسف .

(١) الآية ٥ من سورة الحج .

(٢) الآية ٢٧ من سورة يوسف .

# نفاية القرآن

المجتمع الإسلامي يحمي بالقوة  
ليعيش في ظل السلام من أعدائه  
للأستاذ عبداً اللطيف السبكي

- ١ - « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » .  
٢ - « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » .

- ١ — كان ظهور الإسلام مفاجأة لقوم عاشوا طويلاً في طلاقة من الفوضى ، وفي مجبوحة من التقاليد التي تكيف بها حياتهم كأمة لها مجتمع .  
وكن كذلك مفاجأة لأمة أخرى ؛ لها سابقة في الدين على أي نحو من التشريع اليهودي ، أو المسيحي .  
فكان طبيعياً أن تثار حول هذا الدين خصومات ومقاومة من يرون فيه تحويلاً لمعنا ألفوا .  
وكان مفروضاً أن يحتاج هذا الدين إلى وسائل وقائية يحمي بها من يناصرونه المحسومة ، ويذودونه عن تبليغ رسالته إلى الناس ما استطاع .
- ٢ — ونحن في موقفنا الآن — أمام آيتين متعاقبتين في سياق القرآن .  
الأولى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتفعلونهم الله يعلمهم ... » .  
والثانية : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله هو السميع العليم ... » .  
فآية في جانب القوة والدعوة إليها في شموخ وتأکید ...  
وآية في جانب المسالمة والدعوة إليها في تشجيع وترغيب ...  
فهل بين التوجيهين تناقض ؟؟ أو في السياق ما يشير غضاضة نحو مسلك الإسلام في دعوته الرحيمة بالإنسانية ؟؟

(ب) وبنو النضير — وهم العاقبة الثانية من اليهود — يتهدون جلوس النبي عديم التزام معهم على أمر ، مطمئناً إلى عدم ، فيدبرون الحيلة العاجلة لقتله غيلة بإلقاء حجر عليه من فوق منازلهم .

ولكن الله — تعالى — بعصم رسوله من خيانتهم ، ويخبره الوحي بتدبيرهم ، فينصرف عنهم ، وينجسون شرم ، ثم يحاصرون بالاستعداد للحرب ، فيحاصروهم كذلك أياماً كانت نجات طليهم ، حتى ارتضوا أن يخرجوا من المدينة بخليل من أموالهم — دون سلاح — إلى أرض خيبر مع دعيهم — حسين بن أخطب .

(ج) وكذلك فعلت قريظة — وهي أشد اليهود عداوة للإسلام وأهله .

حضر إليهم من خيبر — دعيهم النضير : حسين بن أخطب . . . ثم دلفوا إلى قريش في مكة ومواها ، وحالفوهم على تكوين جيش منهم ومن أحزابهم لحرب المسلمين في المدينة .

فكان من أثر صنيعهم هذا غزوة الأحزاب وهي غزوة الخندق .

لما تبين للمسلمين تكاثف الأحزاب من قريش ومن يواليها حفرُوا حول المدينة خندقاً يوق عن دخولها ، واكتفوا بالدفاع من داخل الخندق .

ولما اجتمع القوم ووجدوا ذلك الحاجز

نظرة في سبب النزول لهاتين الآيتين تكشف عن حكمة القرآن في بناء مجتمعه على القوة ، والمسالمة . . فقد كان في المدينة وحولها يهود يعيشون إلى جانب المسلمين في رغد ، وفي أمن ، ولم قدم راحة في هذا الوطن .

ولما استقر الإسلام في المدينة تظاهروا بالمسالمة أكثر وعقدوا مع النبي عهداً على الأمان ، وألا يظاهروا على المسلمين عدواً من أعداء الإسلام وما كادت غزوة بدر تقضى بنجاحها على قريش مع قلة جيش المسلمين وكثرة الكافرين حتى ثار الحقد في نفس اليهود ، واستكثروا على محمد أن يظهر شأنه ، وهو حربى وليس من بني إسرائيل .

وتوجسوا أن هذا الانتصار الباهر ، له ما بعده من نجاح الإسلام . فهونت عليهم الأحقاد ، وخبث الطباع أن يتقضوا عهدهم طائفة بعد أخرى .

(١) فبنو قينقاع يبدون بالسفاهة على النبي وأصحابه ، ويتهيئون لحرب المسلمين معتمدين بالمحصون المنيعة ، لحاصروهم النبي في حصونهم هذه ، وضيق طليهم ، حتى رضوا أن ينزلوا من الحصون على حكم النبي فيهم بما يرضى .

حكم بتجريدهم من أموالهم غنيمة للمسلمين ، وإخراجهم سالمين من القتل إلى جهة أذرعات من بلاد الشام بعيدين عن الحجاز كله ، وظلوا هناك حتى بادروا جميعاً ،

الأقل ولكن سعد بن معاذ كان أوفى لدينه من هؤلاء الخونة الذين أسرفوا أكثر من سوام في الكيد للمسلمين فقال لبنى قريظة : أترضون يحكمي ؟ قالوا : نعم .

الحكم يقتل الرجال جميعا - وكانوا ألفا - وأن تقسم الأموال بين المسلمين ، وأن تسبي النساء والأطفال ، وحيفتذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات ثم نفذ الحكم ، وطهرت المدينة من خبيثها ، وحقا - هي كما قيل فيها : تنقى خبيثها كما ينقى الكبر خبيث الحديد .

هل طهرت أرض الجزيرة كلها من أهل الكتاب جميعا ، وتم هذا في عهد عمر رضي الله عنه تنفيذا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم ألا يجتمع في جزيرة العرب دينان ، فلم يعد يهودى ولا نصرانى بالجزيرة منذ عهد عمر رضي الله عنه والجزيرة يومذاك مكة والمدينة وخيبر واليامة .

وكانت قريظة شر الجميع ولعنة الله على الجميع .

٣ - إزاء هذا الانتفاض على اليهود ، والتعالف على المسلمين كان الأمر بحاجة إلى رسم سياسة منيعة تحفظ على المسلمين حياتهم وتكفل سير دهورهم الإصلاحية ، فلا تعثر في حواجر التضليل ، ومقاومة المبطلين .

فألاية الأولى - نطلب الاستعداد للعدو

في طريقهم وابطأوا على جانبيه ، ومنعوا المسلمين من الخروج من المدينة إلى أسفارهم ، أو مراعيهم ، ومتاجرهم .

وصادروا يناوئونهم بالسهام والنبال حتى أحس المسلمون بشيء من الجهد .

ثم سلط الله على الأحزاب أسباب المزيمة المماجنة ، فمضت بهم الريح ، واجتاحتهم ذرايبها ، وأطاحت بخيامهم ، وأمنعتهم ، وهددت شملهم على شر ما وقع بهم من خزي وهوان ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا ، وفى نفس اليوم ، وعقب فراغ النبي من الخندق نزل عليه الوحي ألا يضع سلاحه ، فإن الملائكة لم تضع أسلحتها .

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يؤذن في الناس : من كان ميمعا فلا يصاحب النصر إلا فى بنى قريظة .

ثم حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى رضوا أخيرا أن ينزلوا على حكمه فيهم فتوسطت الأوس لدى الرسول بجامة لقريظة وكانوا حلفاء لهم من قبل .

فرضى النبي صلى الله عليه وسلم أن يحكم فيهم زعيم الأوس سعد بن معاذ ، ففرحت قريظة بذلك وظنوا أنهم سيطفرون بالخروج مع شيء من المال ، أو سالمين بأنفسهم على

وأنت ترى في هذا التوجيه حرصا على تربية المهابة للإسلام في نفوس أعدائه جميعا ، فيكف عنه المناوئون له ، ويخشاه المقسرون في أسنان النفاق ، ويترصدون به العوثر والأحداث .

وهذا يثبه الله أهل دينه إلى أن لم خصوما يخشون في عداوتهم ، ولكن الله يعلمهم وحده ، فلا يحسن بنا الاستسلام للغملة ، والمخادعة ، وتحسين الظن .

وعندما يكون الإسلام في أمة يخشاها عدوه تتاح للسليبي حياة مستقرة الأوضاع ، واضحة المعالم ، ولا يهابون سفراء الشيطان الذين يحركون العداوات ويبغون الإفساد في الأرض ، وهي حياة أجدي على الدنيا من حياة تضطرب فيها الوثنية ، أو العصيات المختلفة ، ولا توجد فيها وشائج روحية تقضى على الفوارق الجنسية ، والإقليمية بل تكون حياة تقتلح الأناية ، وتركز فيهم نوبة الإخاء الإنساني كما يفعل كل ذلك الإسلام . فالتجاء الإسلام إلى ناحية القوة علانية بأنه لا يتصف عن ولوج الحرب .

ولا يقتصد في اقتحامها عندما يقتضيه أمر من جانب أعدائه .

ومن هذه الناحية - ذم خصومه أنه دين يفرض نفسه على الناس بالعنف ، وأنه ليس دين تفاهم بالعقل والحجة كما يدعى أهل .

بتوفير أدوات الحرب دون وقوف عند غاية ، أو اكتفاء بنوع من معدات النضال ، بل بكل ما تشمله القوة لفظا ، ومدلولاً من جنود ، وقنون وأدوات ، وتخطيط ، وكل ما يعتبر مجدياً في النضال ، وتهدى إليه سياسة الحروب .

ولما كانت الخيل أم ما يستعان به قديما في المصاولة ، وخفة الحركة صرح بذكرها القرآن : لا على سبيل الحصر فيها .

بل للاهتمام بها أكثر من سواها . كالإبل ، والأفيال مما كان يستخدم في الخيل والهجوم على العدو قديما .

والقرآن يحض على إعداد القوة دون تحديده ، فيمتد مفهومها إلى كل ما يستحدث على طول الزمن بواسطة العلم ، والاختراع . وإذا لحظنا أن عداوة أولئك الخصوم قد تأرست في نفوسهم ، وفي أعتابهم ، وأن الإسلام غلب حيلهم ، ومحاولاتهم ، حتى صار غير مقدور لهم أن يدروا نشاطه ، ولم يعد في معظمهم أن ينالوا منه مأربا . . . إذا لحظنا ذلك أدركنا حاجتنا إلى الحيطة منهم ، والاستعداد لهم . . . والوقاية من الشر سلامة من الوقوع فيه .

وهذا ما صرح به القرآن في قوله تعالى « ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تطعنهم ، الله يعلم » .

فإذا لم يكن اقتناع بالدين الذي يحاربونه  
فليسكن سلام ترف ظلاله على الحياة وأهلها  
وتستغفر في أمته الأرواح... ثم حسابهم فيها  
بعد ذلك إلى الله الذي يتولى الجزاء.

وبهذا التوجيه الرحيم يعلمنا الله أن الأمر  
ليس أمر حرب تقام، أو صلح يفتقد، فهذه  
وسائل حربية جرت عليها شئون الدنيا.  
أما الانتصار وغيره فتدبير من الله وحده،  
وقد ينصر الله القلة، ويهزم الكثرة دون  
قياس بالعدد، أو الوسائل.

وبهذا يعلمنا الله رسوله والمؤمنين فيقول  
له: "... وتوكل على الله، إنه هو السميع  
العليم". ثم يعلمنا ثانياً إلى أن الراغبين  
في السلم يحق لهم في رعاية الله، وأن المخاضعين  
في صلحهم هم في خصومة مع الله.

" وإن يريدوا أن يخمدوك فإن حسبك  
الله، يتكفل الله بك فينصرك على عادتك،  
ولك سابقة النصر على الكفار بما جمع الله  
حوالك من الأنصار والمهاجرين في المدينة  
حتى ألق بين قلوبكم جيماً فأصبحوا قوة  
متآخية لا يستهان بها، وهذه القوة زلزل الله  
الشرك وأهله، وقوض حصونهم، ومعالهم  
كفرهم..."

وهذه سنة الله مع أوليائه المؤمنين:  
يؤلف بينهم، ويشد من أودم، ويهيئ لهم  
حياة طيبة بقدر ما يكون لإخلاصهم لله.

٤ — وفي الحق أن هذا دم البلاء الذي  
لم يتصلوا بتعاليمه، ولم يعطوه من وصيهم  
قليلاً، بل هم يتخبطون في دجيم الغيب،  
فيستبيحون متابعة المرجفين فيه.

وكثيراً ما تنبه أناس من خصومه إلى النظر  
في آياته، واستطلاع مقاصده، فهدام البحث  
والموازنة بين ما فهموه وما سمعوا عنه إلى  
اعتناقه من بينة، وأطمئنان، بل شرعوا  
أعلامهم في وجوه الآخرين منصفين لهذا  
الدين الصام، الخير للإنسانية، وبينوا أن  
الإسلام دين دعوة سلمية، ولا يبغي من  
القوة إلا أن يحصى نفسه بين موجات صاخبة  
من مطامع الشعوب، تتقاذف الفؤاد من  
شياطين الإنس يمينا وشمالا.

وهذا تحقيق مستمد من نسق الكتاب نفسه.  
٥ — فبينما يحض على القوة في آيتنا هذه  
يردونها بآية الترغيب في السلم والحض على  
الأخذ به، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها،  
وتوكل على الله...

فأنت ترى القرآن يطن "وقود الحرب  
بقبول الصلح مع خصومه إذا طلبوا المسالمة  
وأقلعوا عن التمدد بالحرب، والعداوة.

وهذا أسلوب الرحمة يكفكف به فيران  
الحروب وهذه دعوة الإنسانية يرطب بها  
وهج الخصومة، ويجذب الانفس إلى التقارب  
في ظلال السلام... وفي ذلك خير للجميع



وفعلوا ذلك يوم الأحزاب، ويوم المدينة  
وكل هذه الأحداث استمرار لحرب عداية  
مع المسلمين . . . وقد بما يقول الناس : الشر  
بالشر والبادي أظلم .

وما هو الإسلام إذاً خصومه اليوم يلاق  
منهم القدر والعنك ، والتألب ، والإبذاء ..  
وليت حكام المسلمين المعاصرين يفتنون إلى  
ما ينبغي الأخذ به : من تضامن في الخير  
ويقظة من مخادعة خصومهم ... ولا نقول  
بحرب ولا عصية ، وإنما نقول بحيلة وحبرة .  
وإذا لم يكن فيما تلوه من كلام الله زاجر  
لنا ، ولقنة إلى تنظيم صفوفنا فلن يستقيم  
للمود الأخرج ظل ، ولن يبق حل الفساد  
ومجانبة الدين ملك ، والله لا يصلح عمل  
المفسدين ؟

عبد اللطيف السبكي  
عضو جماعة كبار العلماء

أقبع هذا الترهيب في السلام ، وطرح  
الخصومه بظن من يظن أن الإسلام غير رحيم  
بالناس ، وأنه يتهاون على إراقة الدماء  
وإشمال الحروب ، أم ينسون ما فعله  
يهود اليوم ؟

٦ — كثرت في القرآن آيات القتال ،  
وكثرت فيه الأمر بقتال المشركين كافة وبقتالهم  
حتى لا تكون فتنة منهم يتقلبون بها على دعوة  
الله عند من يتمكنون من قتلهم .

ومع هذا فإنك تجد القرآن في موقف  
الذئاع ، فإن الحرب قائمة عليه من جهة  
أعدائه دائماً وما كانوا يهادنونه إلا ريثما  
يستمدون لمهاجمته .

فعلوا ذلك حينما أخرجوا الرسول وصحبه  
من مكة ، وفعلوه يوم أفلتت هيرم في هودتها  
من طريق المدينة ، ثم ألغوا جوعهم للحرب  
المسلمين فكانت الدائرة عليهم في بدر .

قال حسان بن ثابت :

وإن امرأ أسمى وأصبح سالماً

من الناس إلا ما جنى لسعيه

# بنداء الفيران الى كل مسلم، وإلى كل عربي، وإلى كل محب للسلام

دوستانه محمد الساکت

## بسم الله الرحمن الرحيم

تحقيق أمل فيكم ، بأن أكون دستوركم  
الرسمي والحكمي ، ومنهجكم العلي والعمل ،  
فأنا الكفيل بسمادتمك العظمى ، في الآخرة  
والأولى ...

ولا يجب أن نزل في الروح الأمين ،  
على قلب غاتم النبين ، بلسان عربي مبين :  
« تبياناً لكل شيء » وهدي ورحمة وبشرى  
للسلبيين .

وليس بيني وبينكم إلا أن تبصروني ،  
فتمتصروا بي . وتهتدوا بهدي ، فإن أهدى  
لتي هي أقوم ... ومن اهتدى بهيري فقد اتبع  
غير سبيل المؤمنين ، وضلّ ضلالاً بعيداً !  
« أفن يمشي مكباً على وجهه أهدى أم من يمشي  
سويّاً على صراط مستقيم » .

\*\*\*

لقد دهوتم لي بين يدي قائمكم ، وفي أزهركم  
ومعاهدكم ، وفي مؤتمراتكم ومساجدكم :

سلام الله عليكم ورحمته ، وأبدكم الله بروح  
منه ، ووفقكم لأن تستجيروا الله والرسول إذا  
دعاكم لما يحبيكم ...

أما بعد : فإن مشروح الميثاق الوطني ،  
الذي قدمه السيد الرئيس ... هبة من هبات  
الله لكم ، على شرط واحد ، تباعون الرئيس  
على الوفاء به ، يد كل واحد منكم في يده ،  
ويبد الله فوق أيديكم ، فمن نكث فإنما ينكث  
على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه  
أجره عظيماً ..

ذلكم الشرط : أن تتخذوني دستوراً لكم  
وإماماً يهزمكم الله في كما أهرنيكم وأفصاره ،  
فلم يكن أحد أهر على وجه الأرض منهم ...  
« وفي العزة والرسولة وللمؤمنين ولكن  
المنافقين لا يملكون » .

\*\*\*

إنه إن يكن يومكم هذا يوم القول والتطبيق ؛  
فإن يومى غداً ، يوم الفعل والتحقيق :

إلا كلمة في قال حسن ، وأخرى في بشارة حسنة ، وثالثة في إشارة إلى رؤى دأما لفائدكم وأزهركم ، نبشر .. إن كانت صادقة .. بأن الله ناصرهما بنصره ، وحافظهما بحفظه . والرؤيا للصادقة هي البقية الباقية من آثار النبوة ...

...

لأنه .. إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ..

وإن يرد الله بكم وبقادتكم خيرا ورشدا يحقق في آماله الإسلام والسلام والعروة فيكم ، ويجمع في شملكم ، ويؤلف في بين قلوبكم .. وإذا لا يضركم من خالفكم وإن جمعوا لكم وزادوا عليكم أضعاضا مضاعفة : مُدة وعددا ، وتاريخكم الجيد : قديما وحديثا أصدق شاهد :

« فاعتبروا .. وانظروا .. واحذروا ... »  
« اعلوا أن التاريخ بعيد نفسه ، فاقفوا ... »  
« اصبروا ... » إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ..

« واذكروا إذ أقم قليل مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفكم الناس فأراكم وأيدكم بنصره ووزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون .. »

فإن يكن دماؤكم هذا وثقى ما في قلوبكم ، وترجمة ما في ضمائركم ، فإنكم مصدق ومؤمنون في حقنا ، والله يستجيب لكم ويؤيدكم ، وأتم الأهلون والله معكم ... »

وآية إيمانكم في وصدق بيمتكم ، أن تقدموني بالأرواح والمهج ، وأن تهاجروا وتجاهدوا في سبيل بأموالكم وأنفسكم ، والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوتهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .  
الذين صبروا وعلى أنفسهم يتركون ...  
« والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين ، ... » والذين جاءوا فينا لنهدينهم سبلا وإن الله مع المحسنين ..

...

وإن كنتم تقولون بألسنتكم ما ليس في قلوبكم وتحبون أن تحمدوا بما لم تفعلوا ، وتحسبون أنكم بقولكم هذا ، تؤدون حق عليكم لما أضيحكم ، وأكبر منكم ، وما أبعد الشقة بيني وبينكم ، واقفوا إن شئتم : « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .. »

...

لأنه ليس لكاتب هذا النداء فيما ظنم ودعوتهم ،

من دياركم أن تَبَرُّوهم وتقسطوا إليهم  
إن الله يحب المقسطين ...

...

واعطوا أن من ظلم مائةً أو كلفه فوق  
طاقته ، فتديكم خصمه يوم القيامة ، نبيكم  
وحبيبتكم !! نبيكم الحريص عليكم ، الرؤوف  
الرحيم بكم ، الذي استوصى بإخوانكم الأقباط  
خيرًا ، وأنبأكم أنهم أصهاره ، وأن لهم  
بهذه المصاهرة ذمة ورحمًا ...

...

ألا ، فاكتبوا ندائى هذا واشروه ،  
وتداولوه بينكم وتدارسوه : فرادى وجماعات ،  
وأما . واجعلوه أساس هذا الميثاق ، وأساس  
كل ميثاق وعهد بينكم ، حتى يحكم الله لى ،  
أو يقضى الله أمراً كلن مفعولاً .  
و والسلام على من اتبع الهدى .  
طسه .

وإن يرد بكم غير ذلك - وأعينكم بالله من  
فضبه وحربه - يكلنكم إلى أنفسكم ، ويجعل  
قلوبكم شتى ١ وإذا لا تولفون بينها أبداً  
ولو أنقمتم ما فى الأرض جميعاً !!

...

ألا ، فاحفظوني يحفظكم الله ، وانصرونى  
ينصركم الله ، واقروا : « إن ينصركم الله  
فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم  
من بعده وحل الله فليشركل المؤمنون . »

...

لا تخافوا منى حل من لا يؤمن بى ، من  
أهل العهد والذمة ، فإنى أرحم بهم منكم ،  
بل أنى لأرحم بهم منهم ... ومن لا نصبه  
وحق ، فلن تحفظه عدائى ، واقروا :  
« يأيا الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء  
بالقسط ولا يجرمنكم شآن قوم على ألا تعدلوا  
اهدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله  
خبير بما تعملون . » لا ينهاكم الله  
عن الذين لم يقاتلوك فى الدين ولم يخرجوكم

## من مذكرات أبى أماعة :

- البيان بالإحسان قبل الحديد فى القرآن .
- أوفى الناس : الخليل ؛ وأكرمهم : الصديق ؛ وأقوام : الأمين ؛ وروحهم : الكلمة ؛  
وسيدم : من لا يفتر .
- الهجرة فى إيمانها : من شجاعة الشجعان ؛ والهجرة فى غير إيمانها : فرار من الميدان .

# ابن خلكان المؤرخ

للأستاذ محمد رضا الشيباني

ومن ذلك أنه ظهر بكثير مما ألفه المغاربة والأندلسيون في تاريخ المغرب والأندلس . كما ظهر بكثير مما ألفه المشارقة من عراقيين وشاميين ومصريين هذا بالإضافة إلى بعض ما ألف بالعربية من كتب التاريخ .

## ابن خلكان وأساليب المؤرخين :

والعاضى ابن خلكان خبير بأساليب المؤرخين وما جرت عادتهم في وضع مصنفاتهم وترتيب معيّناتهم ، ففي كتابه إشارة إلى عتف تلك العادات من ذلك مثلاً طائفة في ذكر من عرف بكنته دون اسمه من الأعلام . فمن المؤرخين من يفرد باباً لمن عرف بكنته دون اسمه ، ومنهم من يراعى في الترتيب أول حرف من المضاف إليه . وهكذا نجد ابن خلكان يقول في ترجمة ( أبي بكر ابن عبد الرحمن ) أحد القراء السبعة : « والمعروف أن كنته اسمه ، وطاعة المؤرخين أن يذكروا من كنته اسمه في الحرف الأول الموافق لأول المضاف إليه ، والمضاف إليه هنا بكر ، فلهذا ذكرته بالباء » (١) .

(١) الوفيات (١٨٦/١) .

كان ابن خلكان ولا شك من حذاق المؤرخين اطلع على أمهات الكتب التاريخية وسبرها سبراً جيداً وهو بمنافسة قضايا أو أحداث تاريخية مناقشة دقيقة . ونبه على أغلاط وأوهام غير قليلة في اللغة والتاريخ والأنساب وقص في تصانيف المؤرخين والمحدثين متقدمين ومتأخرين كما سترأه . ولا بد لنا في هذا المكان من الإشارة إلى الفارق البعيد بين طريقتيه في مناقشة الأحداث وطريقة ابن خلدون ، فإن خلدون يناقش في بحوثه قضايا عمرانية أو شتونا اجتماعية عامة بأسلوبه المعروف في فلسفة التاريخ . وابن خلكان يناقش مضافاً إلى بحوثه في الشعر واللغة والأدب قضايا تاريخية خاصة لا علاقة لها بتاريخ العمران والاجتماع . على أن ذلك لا يقلل من شأن بحوث مصنف الوفيات ولا يحط من قيمتها سواء أكانت فقهية أم تاريخية أم لغوية وأدبية بما ينخلها من تحقيق واستقراء في حدود منهجه المرسوم . قلنا شذ من ابن خلكان كتاب أو مأخذ جليل من مأخذ التاريخ مما ألف قبل زمانه في العالم الإسلامي بأسره شرقاً وغرباً ،

المصرية كانت من مأخذه وهو في سبيل إخراج كتاب الوفيات .

وهذا المنذرى كما لا يخفى من أجل مشابهته الذين لقبهم في القاهرة بعد استقراره فيها وأخذ عنه إلى أن مات . وطش القاضي ابن خلكان من بعده مدة . وكان كما يستفاد من كتاب الوفيات يقاوض شيخه المذكور ويستطلع طلع وآيه في مسائل عروضة ومطالب غامضة من التاريخ والحديث وعلومه . ولم يكن الشيخ - والحق يقال - ضئيلاً بالإفادة والإجابة وما أكثر حديثه عن المنذرى في الكتاب . وقد أورد نبذة عنه في ترجمة الحافظ أبي الحسن المقدسى (١) هذا وفي كتاب الوفيات تواتر وتعالى تاريخية وأخرى في علوم الرواية منقولة عن شيخه المنذرى المذكور (٢) ، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ترجمة الحافظ المؤرخ المعروف بابن عساكر محدث الشام من كتاب الوفيات وهذا نصه : وقال لي شيخنا الحافظ أبو محمد عبد العظيم المنذرى حافظ مصر أدام الله به النفع وقد جرى ذكر هذا التاريخ - ( يعني تاريخ ابن عساكر ) - وأخرج لي منه مجلداً وطال الحديث في أمره واستظامه : وما أظن هذا الرجل إلا هزم على وضع هذا التاريخ من

وقال مثل ذلك في ترجمة ( أبي عمرو بن العلاء ) ثم قال : « ومن المؤرخين من يفرد لكنى باباً ، ومعنى هذا أنه عنى بملاحظة مختلف عادات المصنفين في التاريخ من هذا القبيل .

### فهرسة كتب ابن خلكان :

يستفاد من تصانيف كتاب الوفيات أن مصنفه اقنى خزانة كتب جليلة من كتب التاريخ خاصة كُتبت بالثقل منها في كتابه . والمرجح أنه ظفر بمجموعة نفيسة من تراث حفاظ مصر ومحدثيها أو مشايخها . منها نسخ مختارة مقروءة أو مضبوطة أو ذات خطوط منسوبة أو عليها خطوط مؤلفيها أو خطوط علماء آخرين . ومن جملة ذلك التراث على الغالب بعض مصنفات شيخه الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذرى مصنف كتاب ( التكملة في وفيات النقلة ) وكتب أخرى عليها خط شيخه الحافظ المذكور . وفيما يلي بعض أقواله التي تدل على ظفوره في القاهرة بالكتب التي استعان بها على تأليف الكتاب :

« فلما وصلت إلى القاهرة صادفت فيها كتباً أثر الوقوف عليها وأخذت منها حاجتي لإنهاء هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة » . وهذا يعني أن تلك الكتب

(١) الوفيات [ ٣٢٦ / ١ ] .

(٢) [ ٩٩ / ١ ] .

يوم عقل على نفسه وشرح في الجمل منذ ذلك الوقت وإلا فالمر يقتصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والشيبة ، قال ابن خلكان ولقد قال - يعني شيخه المنذرى - الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومن يتبع للإنسان الوقت حتى يضع مثله . وهذا الذي ظهر هو الذي اختصره وما صح له ومن ذلك ما قاله في ترجمته ابن طباطبا العلوى وقد ناقش اجتماعه بالممر الفاطمى وهذا فيه . وأما في تاريخ وقته - يعني ابن طباطبا - فإن شيخنا المحافظ زكى الدين أبو محمد عبد العظيم المنذرى وكنهه واجتهت في هذا التناقض فقال : أما الوفاة في هذا التاريخ فمحققة ، ولعل صاحب الواقعة مع المعزكان قوله والله أعلم أى ذلك كان . وما يقال من كتب الحديث والتاريخ . يقال من كتب الأدب والشعر وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف والفنون البلاغية كاليان والمعاني والبديع ، ولا يبالغ إذا قلنا إن ابن خلكان كون لنفسه خزانة عامة لكل فن من هذه الفنون ، وفي مقدمة ذلك خزائنه من دواوين الشعراء : جاهليين وإسلاميين مختصرين ومولدين إل دواوين من عاصره أرقارب عصره من الشعراء . وهذه الدواوين كلها من مآخذ ابن خلكان فيما يكتبه من الشعراء وهو من المجددين في الكتابة

فيهم . وله في وصف الكتب والدواوين المذكورة أسلوب جميل . وقد يقتنى من كتاب أو من ديوان شعر أكثر من نسخة لكل نسخة خصائصها ومزاياها وهو لا يفضل الإشادة إلى تلك الخصائص والمزايا في كتاب الوفيات . توافرت أداة التأليف الدقيق والبحث العميق لابن خلكان في كل بلد نزل ، من ذلك خزانة كتبه النادرة المأثور ذكرها التي هي بجميعها ومضاعفتها وزيادة عددها مئة حياته ، ويتضح أيضا من مطالعة كتابه الوفيات أنه يستند في نقله إلى أصول جلية وأمهات نادرة من المؤلفات في أكثر الفنون والمعلوم المعروفة في تلك العصور ، اقتناها وعنى مدرستها . ولما قل من كتاب مثيل . ويتضح أيضا من مطالعة كتابه ( الوفيات ) أن مؤلفه اتقى بمجموعة نادرة من أجل كتب التاريخ ودواوين الشعر وأسفار الفلاسفة وكتب الأدب واللغة . وإلى إقامته في ( أربل ) و ( الموصل ) و ( حلب ) ودرسته في مدارسها . وكانت حلب غنية بمدارسها ودور كتبها في عصره - ثم إلى عمله في القضاء وما إليه مرد حصوله على تلك الذخائر النفيسة التي سماها سفرا سفرا وكتابا كتابا ، وعنى بتعرفها ، ويستفاد مما علقه عن أحواله وسيرته في تضاعيف كتابه أن شواغل منصبه في قضاء الشام مدة طويلة - وكان ذلك في عصر

من مناصب الدولة ، ولم يكن الرجل بعد العزل - وهو معنى بالتأليف - أفرغ من حجام سابط - كما قال - بل كان أشغل من ذات النخعين ، ولكنها العادة في الخنن إلى المناصب والعادة حكما . هذا وإلى تخليه عن المناصب السلطانية وإلى إقامته في القاهرة واستقراره فيها وظفروه بما ظفرو به من الكتب النادرة في خزانها - وهي كتب خلت منها خزائن حلب والشام والموصل وأربل - مرد لإكمال كتابه وإخراجه بهذه الصورة الشائقة ، فإن مأخذه من خزائن كتب الشرق لم تكن وافية بالمرام وإن كانت كثيرة جليلة القدر كما صرح بذلك وكما يلاحظ مما حرره من الأدوار التي مرت عليه في تأليف الكتاب . وقد يكون ابن خلكان محقا في شكواه من العطلة بسبب العزل ونكابه من التأليف في القاهرة وذلك لقلة من يردد عليه أو يساعده في الكتابة في فترة العزل ، وعزل القضاة والحكام في تلك العصور نكبة يعقها ما يعقها من التشفي والشبهة . وفي معرض قلة الأعوان يقول ابن خلكان في ترجمة محمد الدين ابن الأثير مصنف كتاب النهاية بعد أن سمي تصانيفه ووصفها بالجودة على كثرتها : « ينبغي أنه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة فإنه تفرغ لها وكان عنده جماعة يعينونه في الاختيار

الماليك - شغله من تأليف كتابه أو تنسيقه وتبليغه في دمشق . ثم لما عزل وحل محله زميل له من قضاة عصره يعرف بابن الصامخ عاد إلى القاهرة عاطلا لا يشغله منصب من مناصب الدولة وتوفر له التأليف وانكب على البحث قائلا في هذا الباب : « ثم حصل الانفصال عن العام والرجوع إلى الديار المصرية ، وكانت مدة المقام بدمشق عشرين كواملا لا تزيد ولا تنقص يوما ، فلما وصلت إلى القاهرة صادفت فيها كتابا أثر الوقوف عليها ، وما كنت أتفرغ لها ، فلما صرت أفرغ من حجام سابط ، بعد أن كنت أشغل من ذات النخعين - كما يقال في هذين المثالين - طالعت تلك الكتب وأخذت منها حاجتي لإتمام هذا الكتاب حتى كمل على هذه الصورة » .

هذا ما قاله المؤلف عن نفسه في هذا الباب . ولنا نشاط ابن خلكان رأي في شكواه من العطلة بعد العزل وهو معنى بالتأليف وأي شغل أعظم من شغله تنسيق مادة كتابه في هذه الفترة . وياليت لم يتفقد تلك المناصب التي شغله عن التأليف أكثر من عشرين وإن تقلد ما - والحق يقال - بمداورة وكفاءة منقطعة النظير ذلك أن مجوته الممتعة في العلم والأدب والتاريخ أجدى وأكثر فائدة للناس من كل أعماله في منصب القضاء أو غيره .



وبجانب حسب ما يشهد بذلك تاريخه الكبير المذكور على ما يقول ابن خلكان . وقد عرف كتاب المسيحي هذا نقلا عن مقدمته بقوله : « التاريخ الجليل قدره الذي يستغنى بمضمونه عن غيره من الكتب ، وهو في أخبار مصر ومن حلها من الولاة والخلفاء والأمراء وما بها من عجائب الأبنية وأصناف الأفعمة وذكر نيلها وأحوالها إلى الوقت الذي كتبنا في هذه الترجمة وأشعار الشعراء وأخبار المغنيين ومجالس القضاة والحكام والمحدثين والأدباء وغيرهم وهو ثلاثة عشر ألف ورقة . » هذا والكتاب من أجل ما أخذ ابن خلكان في الوفيات ويستفاد من فهرس خزانة دير طور سيناء الذي نشر مؤخرا وجود نسخة من بعض أجزاء تاريخ المسيحي المذكور .<sup>(١)</sup>

٢ - تاريخ العتيق وإن لم يكثر من النقل عنه وقد لفتت كثيرا عن معنى هذه النسبة إلى أن وجدت في ترجمة عبد الرحمن بن القاسم العتيق بالولاء المقيمة المشهور قال ابن خلكان<sup>(٢)</sup>

(١) (٥١٥/١) ترجم ابن خلكان ترجمة حسنة للمؤرخ المذكور وهذه النسبة فما يقول السمعاني إلى الجدل قال وعرف بها لليحيى صاحب تاريخ للفتاة ومصر - بن الأمير للذكور - وأظن أيضا (٢٣٨/١) من كتاب الوفيات وما قلته عن تاريخ لليحيى خير استاذ حافظ مصر عبد الله بن سعيد وسبب ذلك وهو خبر طريف (١ : ١١٤) .

(٢) الوفيات (١ : ٢٣٦) .

والكتابة . . فإن خلكان لم يتهيا له ما تهيا لابن الأثير في حقله من الكتاب والأحزان لأن كثيرا من أصحابه قاطعوه وانقضوا من حوله فأعلن شكواه . وما أبعد الفرق بين ابن الأثير وابن خلكان من هذه الناحية كما يستفاد من سيرة ابن الأثير هذا . ولم تكن الفتوة في عصر ابن خلكان وما إليه غالبا بمعنى تشيرون أعلامها الذين يملون ذكرها ويرفعون اسمها ، وتوقف أسباب العمل وإداحة العلل وكفاية المؤن لم - ولو وجد ابن خلكان مثل هذه العناية في فترة العظيمة لما جاهر بشكواه .

### تاريخ مصر بأندوم المصريين :

ويستفاد من تسميته لما أخذه في التاريخ أنه اقتنى وهو في القاهرة مجموعة كبيرة من الكتب المجردة في تاريخ مصر لمؤرخين مصريين خالص في الغالب وبعضهم من زلايا الديار المصرية ، أو من الكتب المجردة في خطط مصر لبلدانيين مصريين . هذا ومن المفيد تسمية بعض هذه التواريخ استنادا إلى ما جاء في كتاب الوفيات على الصورة التالية :

١ - تاريخ مصر لمصنفه الأمير المختار المعروف بالمسيحي من مؤرخي عصر الحاكم ابن عبد العزيز الفاطمي وله معه محاضرات

اليوميات التاريخية في ترجمة (صريح الدلاء) على بن عبد الواحد العقبي البغدادي القاهر المشهور نقل طرفاً منها عن كتاب الحنان الرشيد ابن الزبير الأسواني ثم قال : « ورأيت في نسخة ديوان شعره - يعني صريح الدلاء - أنه أبو الحسن محمد بن عبد الواحد القصار البصري واقف أعلم بالصواب ، وكانت وفاته في سابع ورجب سنة اثنى عشرة وأربعمائة من شرفة لحفته عند الشريف البطحاني ، وغالب ظني أنه توفي بمصر لأن نقلت تاريخ وفاته من التاريخ الذي ذكرته في ترجمة النهاية ومبناه على الحوادث الكاتبة بمصر يوماً فيوماً ، ويؤيد ذلك أن ابن الزبير ذكر أنه توفي سنة اثنى عشرة وأربعمائة واقف أعلم بالصواب . وفيه قال أبو العلاء المعري (١) :

دعيت بصارع فتداوكت

مبالغة ترد إلى فصيل

هذا ما ورد عن تاريخ وفاته صريح الدلاء نقلًا عن التاريخ المبني على الحوادث الكاتبة بمصر يوماً فيوماً ويستفاد منه أنه من أنفس ما كتب في تاريخ الديار المصرية .

٤ - مذكرات القاضي العاضل : نسب ابن خلكان إلى القاضي العاضل صاحب ديوان الإنشاء على عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي كتاباً في التاريخ مرتباً على الأيام وآه بخطه

في الترجمة المذكورة : « العتيق بضم العين وفتح التاء هذه النسبة إلى (العتقاء) وليسوا من قبيلة واحدة بل هم من قبائل شتى منهم حجر حجير ومن سعد المشيرة ومن كنانة مصر وغيرهم . وطعنهم بمصر ويقال لهم ( أهل الزاية ) . » هذا ما جاء في هذه الترجمة من كتاب الوفيات من العتقاء وفيها مضافاً إلى ذلك فوائد غير قليلة من أولية أولئك العتقاء ولماذا دعوا بذلك وعن خطهم التي نزلوا بها من مصر وتسمى ( الظاهر ) ويستفاد من هذا البحث أن العتقاء الذين ينسب إليهم الفقيه العتيق ، كانوا في الأصل قطاع طرق فأسرم الحكام حنوة ثم منوا عليهم بالعتق وما كانوا من العبيد . وقد نقل ابن خلكان هذه الفائدة عن كتاب ( خطط مصر ) تأليف محمد بن يوسف بن يعقوب النجفي .

٣ - مذكرات مخفلة في تاريخ مصر - جاء في ترجمة النهاية القاهر الأندلسي هكذا نقله من بعض تواريخ المصريين وهو مرتب على الأيام ، كتب مؤلفه كل يوم وما جرى فيه من الحوادث وأبى منه مجلداً واحداً ولا أعلم عدد مجلداته (٢) . هذا ما قاله ابن خلكان عن هذا التاريخ الطريف وإن لم يرد ذكر لاسم مؤلفه فيما كتب عنه . وحاد صاحب الوفيات إلى النقل عن هذه

(١) المصدر المذكور (١/٣٥٨) .

(٢) المصدر عينه (١/٣٣٥) .

٧ - كتاب المعارف المتأخرة لمحمد  
ابن عبد الملك الحمداقي (١).

٨ - التكملة في وفيات النقلة المعانظ  
زكي الدين المنذرى من أجل مأخذ ابن خلكان  
في كتاب الوفيات .

٩ - تاريخ الفرغاني - وهو أحمد  
ابن عبد الله بن أحمد الفرغاني نزيل مصر (٢).

١٠ - المذهب في تاريخ أئمة المذهب  
تأليف أبي حفص عمر بن علي الطوسي .

١١ - كتاب المنظم في أخبار من سكن  
المقلم تأليف أبي سعيه ابن يونس .

١٢ - تاريخ أبي موسى المنزى هكذا  
نسب في الوفيات (٣).

١٣ - التكملة المصرية في أخبار الوزارة  
المصرية العتيقة عمارة النيني .

١٤ - تاريخ الحضري وهو أبو القاسم  
محمد ابن علي المصروف بابن الطحان ذيل به

على كتاب ابن يونس في التاريخ .  
(البقية على صفحة ١٨٢)

ونقل عنه في الوفيات ، وليس من المستبعد  
أن يعنى القاضى المذكور بتدوين هذه المذكرات  
فإن أخبار العالم الإسلامى وحوادث الدول  
وخصوصا دولة بنى أبوب كانت على طرف  
النشام من صاحب ديوان الإنشاء في الدولة  
الأيوبية . هذا وتجد مثالا من هذه اليوميات  
الفاضلية في ترجمة الملك الأفضل من كتاب  
الوفيات (١) .

٥ - تواريخ مصر للصدقي : هو عبد الرحمن  
ابن أحمد الصدقي لمحدث المؤرخ المصرى جمع  
لمصر تاريخين أحدهما وهو الأكبر يختص  
بالمصريين والآخر وهو صغير يشتمل على ذكر  
القرباء الواردن على مصر . قال ابن خلكانه :  
وما قصر فيها وقد ذيلها أبو القاسم يحيى  
ابن علي الحضري وبني حلها . وهذا المؤرخ  
أعنى الصدقي هو الذى يقول في وثاقه  
عبد الرحمن بن إسماعيل الخولاني المصرى  
الحساب من أبيات :

ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه

حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا  
وتواريخ الصدقي وذيلها من مأخذ صاحب  
الوفيات في التاريخ (٢) .

٦ - كتاب النصف والطرف للوزير  
أبي سعد (٣) .

(١) ٨٦ / ١ .

(٢) ٢٧٩ / ١ / ٢٩ واظر ترجمة الصدقي .

(٣) الوفيات ٩١ / ١ .

(٢) ٢٦٩ / ١

(٣) ٢٥٠ / ١

(١) الوفيات ٩٨ / ١ وللهداني ذيل على كتاب  
طبقات النقباء لأبي إسحاق الشيرازي راجع منه  
الوفيات ( ٢٧٧ / ١ ) وله كتاب آخر سماه ميون  
سير الوفيات ( ١٢ / ١ ) ولد أورد ابن خلكان  
في ترجمة محمد بن طنج أسماء ثلاثة تواريخ هي تاريخ  
الهداني وتاريخ المتق وتاريخ الفرغاني .

# كلمة عرب

نحدها ونطوِّرها وننقِّرها في معناها القوي

للدكتور عرفتوخ

في شعره . ويبدو أن العاليين هم الذين سموا  
الجرمان باسمهم هذا اشتقاقاً من كلمة ( غير ) ،  
بمعنى الجار . والفرنسيون سموا بذلك لأن  
سلاحهم القبل الخاضع بهم كان يسمى  
( فرانكا ) ، أي هزة ، والمغزة هي  
الرجل القصير . وللمصريون سموا التجار  
الفاطمون إلى بلادهم من الشمال والجنوب  
أسماء كثيرة : صين ، تين ، شين ، سيريس ،  
كائاي ولا تدرى اليوم ما معناها . والهنود  
يؤمنون أنهم ينسبون إلى بهارتا قارشا ،  
وقد أطلقوا على بلادهم بعد استقلالها اسم  
( بهارتا ) ، مع أن اسمهم المشهور في الشرق  
والغرب قديماً وحديثاً ( الهند ) ، اختصاراً  
من التسمية الفارسية : ما وراء النهر ، نهر  
الهند المحرف اسمه عن الكلمة السنسكريتية  
( سند ) ومعناها النهر عامة وتطلق على نهر  
السند خاصة . وقد أطلق الفرس اسم ( الهند )  
في العالم الشرقي ، كما جعل اليونان كلمة الهند  
( إندس ) ، على مقتضى لفظهم وإعراب  
الكلمات في لغتهم ، ثم أطلقوا الاسم في العالم  
الغربي : إنديا .

وما كان اسم العرب بدعاً في أسماء الأمم .

من المؤلف أن تنسب الأمم والشعوب  
إلى أسلاف لها حقيقة بين أو خرافية  
يتألف من ذلك الانتساب جماعات قبلية  
صغيرة أو كبيرة ، كما عرفنا في تاريخ  
العرب من انتسابهم إلى عدنان أو قحطان  
ثم قسمهم بكرأ وتبما وأدأ وعيسا  
وشيان أو طيثا وغواصة وأزداً وعنسا  
ومعدان . ومثل هذا كان شأن الهنود  
واليونان والجرمان

وإذا اتفق أن اتخذت الأمم أسماء جامعة  
فإنما أن تشير إلى نفسها بأنها ( الشعب ) أو  
( الأمة ) ، وإما أن تتخذ أسماء كريمة ،  
فإن سكان شمال غربي إفريقيا يسمون أنفسهم  
( الإمازيغن ) أي الأشراف ، والجرمان  
يذهبون أن اسمهم محرف من ( هرمان ) ،  
أي السيد . وكذلك الفرنسيون يذهبون  
أن اسمهم معناه ( الأحرار ) .

غير أن جميع الأسماء المشتهرة على الأمم  
في التاريخ إنما هي من صنع جيرانها ، أعداء  
كانوا أم أصدقاء . إن سكان شمال غربي  
إفريقية سموا الرومان البربر ، وهذا هو  
الاسم الذي أشار به إليهم امرؤ القيس

ما بين النهرين بمشتقاته غربا فيملك طوبقين  
أساسيين أحدهما يشرف شمالا والآخر يتجه  
جنوبا .

في أثناء هذه الهجرة ينخفض صبح الحمزة  
في الحنجره فتصبح هاء مرة نحو أيكلو التي  
تصبح هيكل ، وهينا مرة ثانية نحو أزواني  
أصبحت ه حزة ، ، وتصبح غينا مسجة مرة  
ثالثة نحو أربي فاذا هي غروب ، وأحيانا  
تبقى الحمزة حمزة نحو إربا ( بفتح الحمزة  
وإمالتها ) بمعنى أربعين وقد تخرج الحمزة أحيانا  
فتجد في القاموس العربي كلمات مثل : أرب  
وعرب وفرب بمعنى واحد هو فساد المدة ،  
وأحيانا يذكر القاموس مثل هذه الجملة :  
« الأربان بضم الحمزة لغة في المربان بالسج  
( تاج : ١ : ١٤٧ ) .

ليس فيما مر تعرضت لغة التي أخذت من  
أختها ، إذ الغاية عما مر أن ندل على أن كلمة  
« عرب » تشترك كلمات كثيرة تبدأ بغير العين  
في لغة مصر التي تشكلمها ونكتب بها « من  
أجل ذلك وجب أن يكون الجذر الذي جاء  
منه هذه الكلمة جذرا هجينا غير خالص .

ونمر بالشعر الجاهلي الذي وصل إلينا فلا  
نجد فيه صيغة من جذوع - و - ب للدلالة  
على معنى قومي يتعلق بالجنس ولا على معنى  
يتعلق باللغة التي تشكلمها ، وهذا أمر له تليده  
من تاريخنا السابق على الإسلام . لقد كان

ويبدو أن سكان ما بين النهرين القدماء ،  
البابليين والآشوريين ، كانوا على حق لما  
أطلقوا على أقاربهم الساميين وجيرانهم  
إلى الغرب والجنوب الغربي اسم أ - رى - بى .  
ولا معنى لنا من الرجوع بهذه الصيغة  
( أربى ) ( إل الجذر ) ( - رب ) ( غير  
أن هذا الجذر هجين جدا في لفظه وفي معناه .  
إن الحمزة في هذا الجذر تأتي في الصيغ التي  
يقال : إنها مشتقة منه مفتوحة ومائلة ، وربما  
جاءت مكسورة ( والباء ) فيه في الأصل باء  
تخرج عنها الشفتان يسر ، ولكن قد ترد  
في عدد من مشتقات هذا الجذر باء مهملة  
أو منقوطة .

وكذلك معاني المشتقات التي يقال : إنها  
من هذا الجذر كثيرة جدا ، ثم هي مزيج  
غير مؤلف في بعض الأحيان ، ويبدو أن  
المعنى الأصلي لهذا الجذر « الغرب » الذي  
يقابل الشرق ، ثم تناول هذا الجذر معاني  
تتصل بجهة الغرب من قرب ومن بعد . ومن  
هذه المعاني غروب الشمس والمساء والعتمة ،  
ثم هنالك الغراب لأن لونه يصب لون العتمة ،  
ومن المعاني المتعلقة بهذا الجذر من بعد :  
الجراد لوجوده في تلك المنطقة الغربية  
بالإضافة إلى سكان ما بين النهرين ، ومن  
معانيه أيضا القفر ( الصحراء ) لطبيعة تلك  
المنطقة عموما ، ويهاجر هذا الجذر من بلاد

الجاهليون فارقين في منازعاتهم القبلية فلم يكن لديهم ، فيما لدينا من التراث اللغوي ، ما يدل على المدرك القوي الجامع ، ولكن لما وقف الجاهليون في أعقاب العصر الجاهلي وجها لوجه أمام الفرس على حدودهم الشرقية ، ثم كرهوا الحكم الفارسي الذي كان قد استحال في شبه الجزيرة ، بدءوا يستشعرون شيئا من البغضة للفرس ، وشعر هنترة بهذه البغضة فقال في معلقته عن ناقته :

شربت ماء الدحرتين فأصبحت

ذوراء نمر من حياض الهيل

إن هنترة قد أحس بالدافع القوي الجامع ولكن لم يجد الكلمة التي تعبر عنه فاضطر إلى أن يدور حول المعنى يبحث كامل من الشعر . وجاء الإسلام ونزل القرآن الكريم منجيا في ثلاث وعشرين سنة فلم يرد فيه عن الجفر « ح - رب ، إلا ثلاث صيغ : هربا جمع هروب ( بفتح الهمزة ) فلما للراءة المتحيرة لوجهها في قوله تعالى : « هربا أترابا » ( ٥٦ الواقعة ٣٧ ) . ثم جاءت الصيغة « أعراب » حشر مرات في سور مدنية فقط ، منها ست مرات في سورة التوبة وحدها ، ولا حاجة للاستشهاد على أن كلمة أعراب تدل في القرآن وفي غير القرآن على البدو .

أما الكلمة العاصلة في هذا الشأن فهي كلمة « عربي » التي وردت في القرآن الكريم

إحدى عشرة مرة ، في سور مدنية وفي سور مكية أيضا ، غير أن هذه الكلمة قد وردت حشر مرات فلما لفظة التي نزل بها القرآن بأنها لفظة واضحة بينة ، من مثل قوله تعالى : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تفقهون » ( ١٢ يوسف ٢ ) ، أي تفهمون ، ويبدو أن هنالك مكانا واحدا استعملت فيه الكلمة ( عربي ) لتسمت شخص الرسول صلى الله عليه وسلم . في قوله تعالى : « ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ، أأعجمي وعربي ؟ » ( ٤١ السجدة ٤٤ ) أي أكتاب أعجمي اللغة ونبي عربي ؟

إن استعمال كلمة عربي في القرآن الكريم دلت الشعراء على التعبير الذي لم يقع عليه هنترة ، ومنذ السنة الثالثة للهجرة قال كعب ابن مالك يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
هذا لنا قاتبناه فصدقه

وكذبوه ، فكنا أسعد العرب  
وبعد ذلك بمدة يسيرة فيما يبدو قال حسان ابن ثابت يقرع بني هذيل لما اشترطوا على الرسول أن يحمل لهم الزنا حتى يدخلوا في الإسلام :  
سألت هذيل رسول الله فاحشة

ضلت هذيل عما قالت ولم أنص  
سألوا رسولهم ما ليس معطهم

حتى المات ، وكانوا سبة العرب  
وهكذا بدأ في الشعر العربي مدرك لم يكن معروفا من قبل ، هو أن العرب جماعة واحدة

الأهم : ) بل هم ، والله يا رسول الله ، من  
الروم وليسوا منا ( ثم قال عمرو بن الأهم  
مخاطبا قيس بن عاصم ) :  
إن تبغضونا فإن الروم أصلكم

والروم لا تملك قلبغضاء للعرب  
ولقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم  
قيسا وعمرا عن هذا التلاحى وأنها تليغا  
أن الإسلام قد أغرق العصبية كلها .  
وفى أثناء الفتح السورية ، أو الفتح  
الإسلامى على الأصح فى أيام عمر بن الخطاب ،  
بلغ العمود العربى من الناحية القومية مبلغا  
يشمل فى البيت القتال ليربوع بن مالك ،  
والذى أورده الطبرى ( ١ : ٢٥٣٦ ليد ) ، وهو :  
إذا العرب العرباء جاشت بحورها

نظرنا على كل البحور الزواجر  
ثم تقلبت كلمة عرب بعد ذلك بين المدرك  
القوى الحاضر وبين المدرك المتصل بالإسلام  
اتصالا وثيقا . وجرى المدركان جنبا إلى  
جنب مصورا ، والشواهد على ذلك ككثرة  
تحتاج إلى دراسة مستقلة .

هذا كله من الناحية القومية فى تاريخ كلمة  
عرب ، ولكن يبدو لنا أيضا أن الإسلام  
هو الذى جعل لكلمة عرب هذا المقام فى  
شعور الجماعة ، ولكن نهى عن أن يكون  
هذا الشعور عاملا مفرقا بين صفوف الأمة  
لقى وحدها الإسلام .

الدكتور محمد فروغ  
عضو مجمع اللغة العربية

ذات نطق من الوحدة الجامعة . على أن  
مدرك العروبة يومذاك أو المدرك القوى  
العام على الأصح ، كان بعد حرو والإسلام  
شيئا واحدا . بعد غزوة الخندق ، فى السنة  
الخامسة للهجرة ، وإجلاء اليهود من بنى النضير  
وبنى قريظة ، وفى شاهر من بنى الأشهل اسمه  
الضحاك لحال أولئك اليهود ، من أجل ذلك  
جما حسان بن ثابت هذا الشاهر وذكره بأن  
نفر من قبيلة بنى الأشهل قد كانوا مسلمين  
حقا ، منهم إياس بن أوس بن هنيك الذى  
استشهد فى غزوة أحد ، وأفس بن أوس  
ابن هنيك الذى استشهد فى غزوة الخندق ،  
وهكذا قال حسان بن ثابت لضحاك هذا :  
أعجب بهدان (١) الحجاز ودينهم

كبد الحار ، ولا تحب عمدا ؟  
لو كنت منا لم تفارق ديننا  
وتبص دين هنيك حين شهدا  
وسرعان ما برزت كلمة حرب فى مقابل كلمة  
روم وكلمة نبط ( آراميين ) واكتسبت بذلك  
معنى قوميا واضحاً . جاء فى الأغانى  
( دار الكتب ، ١٤ : ٨٧ - ٨٨ ) :

بعد فتح مكة ، فى السنة الثامنة للهجرة ،  
قدم قيس بن عاصم وعمرو بن الأهم ابن عمه  
على الرسول ، فلما صارا عنده تسابا وتهاورا .  
ثم قال قيس بن عاصم للرسول عن عمرو  
وقومه : ( والله ، يا رسول الله ، ما هم منا ،  
ولأنهم لمن أهل الحيرة ) ( فقال عمرو بن

(١) بهدان : جمع يهود .

# الاستقلال في التشريع

للأستاذ محمد محمد أبو شهبه

غير تقاليدنا وعرفنا ، ويشتها غير يشتنا كان  
شوكة في ظهورنا ، ووحمة عار في جبيننا أمام  
غيرنا ، وثغرة نفذ منها إلى النيل منا أعداؤنا  
- أعداء العروبة والإسلام - ورمونا بالعقم  
ورعدم الإنتاج وأتانا نعيش حالة على قوائيمهم  
وثمرات أفكارهم ومعارفهم .

ويظهر أنه قد آن لطلبات القوانين الأجنبية  
المستوردة أن تنجل ، وأن الأوان لأن نحكم  
بتشريعات تابعة من عقائدنا وتقاليدنا  
وعرفنا ويشتنا وأخلاقتنا وتتفق هي وما  
وصلنا إليه من استقلال سياسي واقتصادي  
وتقدم اجتماعي فقد جله بمشروع الميثاق  
الوطني هذا النص ( كذلك فإن القوانين لابد  
أن تعاد صياغتها لتخدم العلاقات الاجتماعية  
الجديدة التي تقيمها الديمقراطية السياسية  
تعبيرا عن الديمقراطية الاجتماعية ) وهو  
شيء تمسحت له القلوب المؤمنة برها ورسالاته  
وأنياته . والمؤمنة بنفسها وبحق الوطن عليها  
واستبشرت به النفوس التي طالما راودها  
هذا الأمل الحلو ، والأمان العذاب ، وتلقته  
الأمة بالقبول ، وبما يشبه الإجماع عليه  
أليس مما يملأ جوانب النفس أسى وتحسرا

من منذ بضع سنوات وعلى صفحات هذه  
المجلة الإمراء كتبت مقالا تحت عنوان  
( الحكم بما أنزل الله ) يبين فيه ضرورة  
الاحكام إلى الشريعة الإسلامية في كل  
ما يعرض لنا من قضية . وحكم الله في العمل  
بغير شريعته ، ودرغبت فيه إلى أولى الأمر  
أن تعدل القوانين المدنية والجنائية بما يتواءم  
هو والشريعة الإسلامية الغراء .

وفي هذه الفترة أمكن للشعب بفضل الله ،  
ثم بتوجيهات قادته الرشيدة أن يحصل على  
مكانة جنة في النواحي السياسية والاقتصادية  
كانت أمانا وأحلاما أصبحت حقائق واقعة .  
وقد استقلنا - وقد الحمد والمنة - سياسيا  
واقتصاديا . ولم تعد لنا نعيمة لغيرنا وذهب  
إلى غير رجعة ذلك المهد الذي كانت فيه  
مصابرنا وأمورنا بين المستعمرين وصنائعهم  
وأذنانهم ، ووصلنا إلى منزلة يغبطنها عليها  
الكثيرون ، ولم يبق علينا إلا أن نستقل  
استقلالاً تشريعياً .

وفي الحق أن نبيتنا التشريعية في قوانيننا  
المدنية والجنائية ليدول دينها غير ديننا ،  
وطبائنها غير طبائنا ، وتقاليدنا وعرفنا



في الحضارة ولها ثروة فقهية عظيمة ،  
وتشريعات حمى من خصائصها ، ولها ارتباط  
وثيق بأخلاقها وتقاليدها وجوها وأرضها  
فلنا في حاجة قط إلى أن نكون عالة على  
قوانين غيرنا ولا سيما أن الشرف والكرامة  
يفرضان علينا أن نكون لنا شخصيتنا التشريعية  
المستقلة .

ولم نكن كنوز الشريعة الإسلامية وما فيها  
من ثروة لنية فقهية معروفة في أوروبا في  
العصر الحديث حتى وفق الله بعض علماء  
القانون العرب الذين جمعوا بين فقه الشريعة  
وقف القوانين الوضعية الأجنبية فوضعوا  
مؤلفات قيمة أبانوا فيها عن سمو التشريعات  
الإسلامية وسبقها للقوانين في كثير من  
موضوعاتها من بضعة قرون وقد بدأ هذا  
العمل الجليل المرحوم الدكتور محمد فتحي  
فقد نشر في أوروبا بعضا مما حوته الشريعة  
الإسلامية من ثروة فقهية حيث وضع مؤلفه  
بالفرنسية ( النصف في الحقوق في الفقه  
الإسلامي ) سنة ١٩١٣ أبان فيه بوضوح  
ودقة أنه يبدأ في العصر الحديث أعرق  
الأمم مدنية في أوروبا في الأخذ بتلك النظرية  
إذ كان قد فرغ منها علماء الشريعة الإسلامية  
من قرون صعدة وتوسعوا في تطبيقها حتى  
هيمنته على جميع فروع القانون العام  
والخاص وقد وجه هذا المؤلف أنظار علماء

أتنا لا زلنا نحكم بقوانين مهلهلة مرفقة بعضها  
فرنسي ، وبعضها بلجيكي ، وبعضها إنجليزي  
وبعضها ألماني ، بل نصل أحيانا إلى نحو  
عشرين قانونا أجنبية متباينة المقاصد ، مختلفة  
النزعات ١١٤ وهكذا جاءت القوانين ثوبا  
خلقا غير متجانس ولا يلائم بعضه بعضا ،  
ونحن أفرق من هذه الأمم كلها حضارة ،  
وعلى ، وتشريعا ، وفقها .

لم تبلغ الأمة العربية الإسلامية أوج  
عظمتها التشريعية يوم أن كانت هذه الدول  
لا تزال تخبر ، ولا تزال تحكم بقوانين الغاب  
وتسودما البربرية والهمجية ؟؟

لقد وسعت الشريعة الإسلامية الدولة  
الإسلامية المتفرامية الأطراف ، والتي كانت  
تتمتد من المحيط إلى المحيط ، وكان في هذه  
الدولة العربي ، والعماسي ، والرومي ،  
والآسيوي والإفريقي ، بل والأوروبي في  
الفردوس المفقود - الأندلس للشهيدة - وكان  
فيها المسلم ، واليهودي ، والنصراني ، وسعت  
هؤلاء وأولئك تشريعا وعدلا ورحمة ،  
وإحسانا وبراء ، وأمانا وسلاما ، ونم العالم  
المعروف آتت بشريعة الله - شريعة الحق  
والعدل والسلام - وكان غير المسلم يتمتع  
بحريته الدينية ، والاجتماعية والأدبية كالمسلم  
سواء بسواء ، وارجع إلى التاريخ الصادق  
ينبئك عن ذلك النبأ اليقين إتنا أمة عريقة

جهدنا المؤلف اهتماما خاصا ونشرت البحث  
الشري في مجلتها سنة ١٩٣٠ .

ولم يسع بعض علماء القانون في أوروبا  
وقد اطلعوا على التشريعات الإسلامية  
ودرسوها إلا أن يعلّثوا إعجابهم بها وتفوقها  
على القوانين الأوروبية وصلاحياتها للعالم طرا  
كما سمحت آنفا .

ومن ذلك ما قاله الدكتور ، أنريكو  
انساباتوا ، في كتابه ، الإسلام وسياسة  
الحلفاء ، : : إن الإسلام إذا كان  
محدوداً غير متغير في شكله ، فإنه مع ذلك  
يساير ما تقتضيه الظروف فهو يستطيع أن  
يتطور دون أن يتضاءل مع مرور الزمن ،  
يحفظ بكامل حيويته ومرونته ، ولا يجوز  
أن تهدم يد الخلافة هذا الصرح العظيم من  
العلوم الإسلامية أو أن تفدّه أو أن تنمسه  
بسمه . فقد أوجد للعالم أوسع شرائع نباتا  
شريعة تفوق في كثره من التفاسيل الشرائع  
الأوربية .

وإليك النسخة النعمية التي أسداها لمصر  
الأستاذ الكبير ، باولا كازيلي ، الإيطالي  
الجنسية ، والذي كان مستشاراً لوزارة العدل  
بمصر زمنا طويلا وهي : : إنه يجب على مصر  
أن تستمد قانونها من الشريعة الإسلامية  
فهي أكثر اتفاقا من غيرها مع روح البلد  
القانونية .

القانون في أوروبا إلى الشريعة الإسلامية ،  
والاهتمام بها .

وفي سنة ١٩٢٣ وضع الدكتور الفاضل  
محمد صادق فهمي مؤلفه ، الإثبات في القانون  
المدني المقارن ، أبان فيه عن مقدار تفوق  
الفقه الإسلامي بدقته الفنية على كل ما هو  
معروف في الأمم المتعدنة في أوروبا وأمريكا .

وقد وضع الأستاذ ، لينى أولمان ، أستاذ  
علم مقارنة الشرائع بجامعة باديس ووكيل  
المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي عقد  
سنة ١٩٢٨ مقدمة عن هذا الكتاب قال  
فيها : : إنه يندج بلا جندل بين مؤلفات  
أساطين علم القانون المدني في فرنسا أمثال  
« شالي » و « بولي جيد » و « تاليرجلسون »  
وأنه أبان ما في الشريعة الإسلامية من كنوز  
وثرورة علمية يحسود أن تكون مهدى ونورا  
للعالم طرا .

وفي سنة ١٩٣٠ وضع الدكتور محمد صادق  
فهمي بالاشتراك مع الأستاذ الفرنسي ، ألبرت  
شبيرون ، مؤلفا في « حوالة الديون في الشريعة  
الإسلامية ومقارنتها بالقوانين الأوروبية » ،  
وقد أظهر فيه بما لا يدع مجالاً للشك تفوق  
الفقه الإسلامي على شرائع أكبر الأمم  
المتعدنة في أوروبا .

وقد احتست جمعية مقارنة القوانين بباريس

علماء الأزهر المتضلعين في الفقه الإسلامي على تعدد مذاهبه ومذاهبهم آخرون من علماء القانون الذين جمعوا فقه الشريعة وحقق القانون وأعدوا دراسة علمية فنية لكتاب العقد لأنه أعقد الكتب ، وليكون نموذجا صالحا لغيره ، وأبانوا في هذه الدراسة عن تفوق الفقه الإسلامي على غيره من القوانين بطريقة لا تحتل أي جدال وقد طبع تحت عنوان « نموذج لكتاب العقد مستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية لجامعة من علماء القانون والشريعة الإسلامية » .

وقد عرض هذا النموذج على مستشارين من هيئة النقض مشهود لهم بسمعة الاطلاع وعمق البحث فأعجبوا به ، وكتبوا في شأنه تقريراً إضافياً جله من بين مسطوره ( يجب اعتبار الشريعة الإسلامية المصدر للحكم حتى تكون هي المرجع في تفسيره وتطبيقه ، تلك التي عمل بها في هذه البلاد وفي سائر الأنظار العربية الشقيقة ثلاثة عشر قرناً ونيفاً ، والتي فيها من الاتساع في المذاهب والأقوال ما يجعلها كافية بأن يستمد منها قانون مدني على أحدث الجاهدي المصرية ) .

كما أنه عرض على نقابة المحاماة الوطنية فاستنصاه المحامون على اختلاف درجاتهم دراسة ومحاولة ولم يسمهم بعد أن اقتنعوا به

وهي شهادات من غير مسلمين لا ترتق إليها تهمة التعصب أو التحيز ومن قانونيين كبار لا يظن بهم المجازفة في الحكم أو الجهل وقصر للنظر .

وهناك بحوث أخرى لها قيمتها ووزنها في الإبانة عما في الشريعة الإسلامية من كنوز وجواهر .

فقد قرر المؤتمر الدولي لقانون المقارن الذي عقد بمدينة « لاهاي » سنة ١٩٣٢ : أن الشريعة الإسلامية مصدر من مصادر القانون المقارن وبذلك صارت مصادر القانون أربعة هي : الشريعة الإسلامية ، والقوانين الفرنسية ، والألمانية ، والانجليزية . وفي مؤتمره سنة ١٩٣٨ القانون المقارن قرر المؤتمر بصفة قاطعة بناء على تقرير تقدم به مندوب الجامعة الأزهرية : أن الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها لا تمت إلى القانون الروماني ولا إلى أي شريعة أخرى بصلة وأنها صالحة لمجاراة التطور الحديث ، وكان أحد الأعضاء الممثلين للأزهر الإمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت شيخ الأزهر الحالي .

ثم حدثت خطوة عملية في سبيل الإبانة عن تفوق التشريعات الإسلامية على غيرها من القوانين الوضعية بطريقة فنية دقيقة لاتدع مجالاً لأي ارتياب فقد قام جامعة من

التي حمادها علوم الدين واللغة العربية - لغة القرآن - قد اكتسبت زعامة العالم الإسلامي من قديم ، وهي بالمكانة المرموقة ، والميزة التي لا تدفع عنها ، فإن هي حملت جلد على التخلص من هذه التركة البغيضة تركت القوانين الملققة من كل قانون ، فسبقت لها زعامتها لأعماله وستزداد قوة إلى قوة ونفوذاً إلى نفوذ. (وبعد) فإن في كتب الفقه الإسلامي كنوزاً معطورة وثروة دنيئة لو أنها استخرجت وهذبت ونظمت على غرار القوانين ووضع لها الفروح الكاشفة عن أسرارها لكانت مرآة صادقة يرى فيها الغربيون والشرقيون سمو تشريعاتنا وأصالة فقهنا ولا غننا عن استيراد القوانين من غير بلادنا ، هذا وفي المقال الآن سأعرض للقارنة بين التشريعات الإسلامية والقوانين الوضعية إن شاء الله .

وأيقنوا بمرته إلا أن قاموا يطبعه مرة ثانية (١) .

ولأمر ما توقفت هذه الجماعة من عملها ولو أنها سادت على هذا المنهج لقدمت لنا الفقه كله على هذا النموذج الصالح . ولأستد إلى الإسلام والمسلمين أكبر خدمة تشريعية في هذا العصر الحديث .

على أن الكثرة من علماء الجامعة الأزهرية وبعض علماء القانون على أوفى استعداد لأن يحملوا الأمانة ويكملوا هذا العمل الجليل ويصوفوا الفقه الإسلامي صياغة قانونية عصرية إذا صدقنا النسبة وأجمعنا الأمر على أن نتخلص من كابوس القانون الوضعي الذي يجم على صدر الأمة ما يقرب من قرن من الزمان بإرادة الاستعمار وأهوائه . إن الجمهورية العربية المتحدة بأزهرها العتيق العتيق وحفاظها على الثقافة الإسلامية الأصيلة

محمد محمد أبو شربة

[١] رسالة الفقه في المجتمع الإسلامي ص ١٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار في حديث له معهم :

إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع .

من علماء الإسلام :

## عالم جري يستشهد للأستاذ محمد رجب البيومي

ونتخدم قما شاعة في دنيا الصراحة المؤمنة  
فليأذا لا يقرن بهم يعقوب بن السكيت ا  
وقد بذل دمه في سبيل وآيه ، أما هؤلاء فقه  
حفظت لم أقدم في الحياة ، ولم تكن  
لأخدم هذه الخاتمة المؤسية الآلية وما أريد  
بذلك أن أبخس جهودهم العالية ، ماذا الله ،  
ولكن الحق بهم ذملا طلي الهمة ، وافر  
العلم أدى أمانة دينه حين جهر حاكما ظالما  
بقوله الحق ، غر الدنيا ليفوز برضوان  
من الله أكبر ...

كانت الفترة القصية التي شهدت حياة  
ابن السكيت من أحلك فترات التصيب  
والاعتناء ، لأن المأمون مع سعة أفقه ،  
وخزارة معارفه ، وولوعه بالبحث والمناظرة  
لم يشأ أن يترك للناس أحرارا في آرائهم  
الخاصة بل ضاق بخصومه ، وشن عليهم حربا  
ظالمة لا طائل وراءها غير التشكيل والتعذيب  
والقتل في بعض الأحيان مع أن صاحب  
الرأي الحر في معيار البحث العلمي يجب أن  
يضع صوره لمعارضيه ، إذ أن من الجود

كنت أشرت في عبارة موجزة بأحد  
أعداد مجلة الأزهر ( صفر ١٣٨٠ هـ ) إلى  
ابن السكيت ، وموقفه الجري في نصرة  
الحق ، ثم تابعت من صفرة القراء من يطلبون  
تفصيل الحديث عن هذا الشجاع الباسل  
ليكون بجرته الصريحة قدوة محبة لمن يتلمسون  
المثل الصالحة لدى علماء يقدسون الحقيقة  
ويجاهون الطغيان :

وقد وجدت في نفسي نشاطا سريعا إلى  
الحديث عن الرجل ، لأن الذين كتبوا حياته  
لم يهتموا كثيرا بطولته النادرة ، واستشهاده  
المثالي ، وإنما أقضوا في تحليل مكاتبة الفرية  
والأديبة وتعرضوا لاساتذته وتلاميذه من  
أئمة الفقه والعلوم السنية وسردوا لهرس  
مؤلفاته ونصائفه ثم أشاروا إلى موقفه  
البطولي في سلور قليلة متضائلة ، مع أنه  
ذهب شديد هذا الموقف النادر ، فلا بد أن  
تفصل أدواره الزائلة باهتمام ، وإذا كنا  
نردد في كل مناسبة مواقف العزيم عبد السلام  
والمتدبرين سعيد ، وسعيد بن المسيب ،

السكيت يقيم مكانه الأدبي في مضمار التدريس العلمي والتأليف الفئوي والصرفي ، فأصدر كتباً كثيرة ، لا يزال بأيدينا منها كتاب ( إصلاح المنطق ) شامداً بمنهجه وعمقه واستفراجه على مكانة الرجل ودقته ، وقد ذكر ياقوت فهرس مؤلفاته ص ٥٢ ٥٣ ٥٤ من معجم الأدباء فأوقفنا على كثرة متعدد المعادن متنوع الفانس ، فالتحجج ثبتت يؤلف كتاب القلب والإبدال وكتاب النوادر وكتاب الألفاظ ، وكتاب فصل وأفضل وكتبا مختلفة في الفرق والأمثال والروحوش والفجر والخبرات والأيام واليالي وسرقاته الشعراء ومعاني الشعر مما يدل على ذهن متنفذ وفكر جامع مستوهد ، واتجاه متنوع مختلف ، ونحن نعلم الرجل إذا وقفنا به عند المضمار الفئوي والصرفي كما يصنع مترجموه ولو كانت بأيدينا مؤلفاته السالفة لوضعناه في مكانه الموسسرحى على التحديد لا على التقريب ١١ .

هذا العالم المفضل كان على ثرائه العلمي ذا نفس ثرية حافلة بالخلق العالي والتواضع الحيد وكان يزن الأشياء بميزان الإسلام لا بميزان التقاليد المترفة في عصر مختلف الأجناس والنزعات ، وهو بعد كواكب العالم الفئوي إسحاق السكيت كثير الصحة في المحافل وهو صحت المفكر المتأمل الذي يغنيه خاطره

لشأن أن نلزم كل فرد من أبناء العقيدة الإسلامية بأداء المحلة في خلق القرآن فإذا كانت لبعض المخالفين وجهة نظرهم الخاصة صحيحة أو باطلة فليس لنا أن نزعهم في أعماق الجون ، وأن نعتهم بالسياط ونكبلهم بالأغلال . وطاشق الحرية الفكرية هو الذي يمنحها أفضاه وخصومه على السواء أما أن يستغل نفوذه السياسي لمحاربة مذهب فكري لا صلة له بدعائم عرشه ، ومية سلطانة فهذا ما يؤخذ به في ممرض الموازنة واحساب ...

وقد تلا المأمون من الخلفاء ومن نهجوا نهجه في التعذيب والاضطهاد ، لجاء المنتصم والرائق والمتوكل ليضايقوا الصامة والخاصة بأعنف ضروب الإهانات ١١ وإذا كان المتوكل على الله قد منع القول بخلق القرآن ونصر أهل السنة في مذهبهم الخاص فإنه انقلاب طاعية جبارا يضطهد أفضاء الاعتزال ويملاهم المحابس والجون ١١ وهذا ما لا يرتضيه منصف حكيم ، لأننا لا نذهب إلى فصرة فريق على فريق ، ولكنتنا نأمل من الحماكم أن يترك العلماء ومعتقداتهم ما داموا في معتزكها الفكرية لا تهتم أصلاً من أصول التشريع ، أو تعاوض ما يراه من سياسة الدولة في الحكم والتنفيذ نقول .

في هذا العصر المضطرب النائر كان ابن

المازني فتهره ، وقال لا تجلس إلى فساه  
المازني من سبب ذلك قال أبو عبيدة رأيتك  
مع إنسان خوزي سرق مني قطعة ا ، مهما  
يكن من شيء فقد كان ابن السكيت أكبر من  
أن يعترف بأوضاع زائفة أو يقيم اعتبارا  
لقيم تافهة تأخذ البريء بجرم المذنب لو صح  
أن حاكفي هذا الإقليم مرة سارقون ا  
ونحن بعد نرى كل مكان في الدنيا لا يخلو  
من العليب والخبيث ا ولم يخل ما كتب في  
سيرة هذا الإمام الكبير من افتراء مفرض ،  
إذا أتنا فطالع عنه وعن غيره ، من كبار  
المؤلفين أخبارا كاذبة لا تثبت نظرة واحدة  
من نظرات النقد الزهية ، والسبب الأول في  
اختلاق هذه الأكاذيب هو إلصاق المعرفة  
العلبية بالخلفاء والحكام تزلفا وطقا ، ثم  
يحيى من الرواة من ينقلها دون تحييص مع  
أنه لو فهم أن مهمة المؤرخ لا تقف عند الجمع  
الحاشد ، بل تتعداه إلى التقديد والتصويب ،  
لاتضح له بجملاء بالمل ما يسجله عن الأئمة  
المنضلمين . فقد أجمع مؤرخو ابن السكيت على  
رواية هذه الحادثة الملفقة ، والرواية هنا من  
ياقوت معجم الأدباء ٧٣ ص ١١٧ في ترجمة  
أبي عثمان المازني ، ونقلها ابن خلكان في  
الجزء الخامس من الوفيات في ترجمة ابن  
السكيت نفسه .

قال الواثق لابن عثمان دعه - أي ابن

المزدحم عن الاشتراك في عادية لا نسمي  
وراء هدف ، أو تصد إلى غير الإعلاف  
والهباء ، ولعله بسكوته التأمل قد وفق  
كثيراً في رصد معلوماته وثبغ سوانحه ،  
وتحليل خواطره فإذا انكفأ إلى تسجيل  
بحوثه أو إتمام دروسه ساعده التأمل الصامت  
على الجودة والإبداع .

قال الفراء سألت ابن السكيت عن نسب  
فقال في تواضع : خوزي - أصلحك الله من  
دورق ، فكشكث أربعين يوماً في المنزل أستحي  
من لقاء ابن السكيت لأنني سألت عن نسبه  
فصدقني ، وقول الفراء على اقتضائه يرشدنا  
إلى شيء كبير جداً عن ابن السكيت ، فالرجل  
وهو في مكان المدارة العلية لا يخضع إلى  
مصطلحات عصره الزائفة فينكر مولده  
ومنشأه ، بل يعترف أنه خوزي من دورق ا  
وقد وقفت كثيراً عند هذه العبارة لأن  
مدلولها اللغوي وحده لا يفيد إلا أنه من  
خوزستان والنسبة إليها خوزي ، ولكن  
مدلولها السياقي يلقي إحصاء مريباً على منزلة  
هذا المكان الثم ١١ وإلا فكيف يستحي  
الفراء من صدق الإجابة حتى يمكث أربعين  
يوماً لا يقابل ابن السكيت ، ولعل ما يؤكد  
هذا المدلول السياقي بإجماع المتواضع ما قرأته  
بالجزء السابع من معجم الأدباء ص ١٠٩  
ومن أن أبا عبيدة الغنوي دعا نليذه أبا عثمان

أن يرفعوا الخلفاء فوق مستوى المحققين من العلماء ، يفضحون أنفسهم حين يخالفون منطق الأشياء . فيأتون بما تقوم آلاف القواعد على دحضه ، وكأن الأقدار أرادت أن تكشف مبالغاتهم المقيمة حين جعلت هذه الروايات المغفلة تتعارض وتناقض ليهم بعضها بعضاً ثم لتجبر أنقاضها الشائنة من ميدان الحقد حين يكشفها باحث دقيق ١ .

هذه أضواء متواضعة ترسلها من بعيد ، لتكشف ملاح ابن السكيت ، فتمهد بذلك إلى حديثنا عن بطوك الباسية ١ وقد كتب عليه أن يقوم بدوره المثالي في عهد المتوكل على الله ، ليلقي مصرعه الفاجع على يديه فيذهب شهيد الرجولة في حومة الكرامة والإباء .

كان المتوكل على الله مبدئاً متلاقاً ، وطاغية سفاكاً ، أجمع على ذلك مؤرخوه في الحديث والقديم حتى أطلق عليه لقب فيرون العرب ، وفي هذه ابتداً اضمحلال الدولة العباسية . إذ ترك أمور الدولة لقواده ، وانغمس في المذاذات والشراب وانتشرت الرشوة بين الولاة والموظفين ، ولم يبق أحد من الخلفاء من الأبنية مثل ما بنى فن ذلك العصر المعروف بالعروس أفتق عليه ثلاثين ألف ألف درهم ، والقصر القريب أفتق عليه عشرة آلاف ألف درهم ، والقصر المختار

السكيت — فقال المازني لصاحبه : ما وزن فكنتل من الفعل فأجابه ابن السكيت : فعل ، فقال الوراق : ضللت ثم قال للمازني فسرره فقال المازني : نكنتل تقديره ، فتعل وأصله نكنتيل ، فأنقبت الياء ألفاً لفتحة ما قبلها . فصار لفظها نكنتال . فأسكنت اللام للجزم لأنه جواب الأمر فخذت الألف لالتقاء الساكنين ، فقال الوراق هذا هو الجواب لا جوابك يا يعقوب ١ ١ .

فهذه النادرة الصرفية من الطرائف المختلفة لأن حذف العين في هذا الوضع ليس من الهمات التي تفوت مبتدئاً في قواعد الصرف فضلاً عن إمام كابن السكيت ألف كتاباً حافلاً عن ( القلب والإبدال ) وكتاباً آخر عن ( فعل وأفعل ) ثم لا أدري هل كان الوراق أعلم بقواعد التصريف من ابن السكيت حتى يقول له أخطأت ثم يقول للمازني هذا هو الجواب ١ وأين تلقى كل ذلك ! مع أن رواية أخرى ذكرها أبو الفرج وياقوت وحشرات غيرهما تقول إنه - الوراق نفسه - قد استعصى أبا حنبل المازني ليسأله عن خبر ابن في قول الشاعر :

أظلم إن مصابكم رجلاً  
ألقى السلام قهية ظلم  
فلبت شعري أبطن إلى العين المخنوفة  
من لا يظن إلى خبر إن ، إن الذين يحاولون



ثم يضطرون إلى اللق المسافق فيبتسحون ضاحكهن ١١ ليت لم يقش مجلس الخليفة قبل اليوم حتى لا تقضى عينه بما يؤلم من المشاهد ، وتلك ممامه بما بهم من الشتام ١١ .

إنه ليتحدث في حس إلى معارفه ليكون رأيا طامما يستطيع أن يجابه به هذا البنى السافر ، ولكن قرا عن خسروا ضائرم التيفطة يستمعون إلى ابن السكيت لا يعاونوه ، حل ما ألزم من إصلاح ولا يلوذوا بالصمت حين تعذر عليهم أن يرفقوا إلى مصاف الرجال ، بل لينقلوا الحديث إلى المتوكل واثين متعلقين ! وثائق الأنباء الطاغية ، فيصمم حل أن يخرى الشيخ في مجله ليظهر باكيا يستنكر ويتزلف ويقسم الأيمان المخلطة أنه لم يقل ولن يقول . هكذا قصور المتوكل على الله ، فأرسل بمن يدور الرجل لساعة ، فأقدم في وقار المؤمن ، وهدوء الوائى ، ثم فتح عينه ليرى جلساء الطاغية تنامزون متضاحكهن . والخليفة ينظر إليه في استمواز مترفع وقد جلس بين رجليه الأمهين ثم يسأل في تعظيم .

بالمعقوب أترى الأميرين هذين ؟ ١١ .

فيقول في هدوء وقور : أراهما يا أمير المؤمنين ؟

فهب الخليفة وأسفه في هربة ويرد أسنانه مستهزئاً ثم يسأل : أيها أحسن ؟ وهادى هذان ،

أنتق عليه حمة آلاف ألف درهم والقصر المصروف بالوحيد أنتق عليه ألفي ألف درهم إلى قصور بمائة مثل قصر الماحوزة وقصر الجعفرى وقصر البهو ، وقصر القلوة ، وقصر الكامل بما يوقف القارىء حل تبذير آخرق لا يرمى مال الصامة ، وموارد الدولة ... وكانت هذه القصور جميعها تحتل مكانا فسيحا بر من رأى يسمى ( المتوكية ) والبحترى في أوصافها من الآيات ما يرفقه الدارسون ... وهو إلى ذلك السفه الأرضى ، والنظم الباطش ، يتسند بسب آل البيت ، ويرسل أحواله إلى كربلاء فهدمون قبر الحسين ويحطمون ما حوله من الدور نفسا وإحراقا ثم يمتد المجالس من عليه وذوائه وخاصة ليشهدوا المضحكين ) بمن يملون أبا تراب ، ويستهنون برحط حل وبنيه ١١ ويلتصه الخليفة إلى جلسائه ليسمع صيحات الإعجاب ، ويرى بهيات التأيد ، فيعتقد أنه بطل قاتع وجع من الميدان مكللا بنار النصر ومسجلا أعظم معارك التاريخ .

وقد هن على ابن السكيت أن يكون خليفة المسلمين بهذه الضعة التافهة من الرعونة والإحفاف ، وآله أنه يسمع جلساؤه — وفهم بعض العقلاء والمتصلين — أقذار السباب وأوصار الشتام تهال حل على وقاطمة والحن والحسين وصفوة آل بيته الرسول

وبشاء القدر الساهر أن يرى المتوكل إجابة  
سؤاله صريحة دون كتمان ، حين يتأمر أحد  
مذنبين الأئمة من الفضلاء على حياته ، فيلقى  
مصرعه ذليلاً صارماً بتدبير ربه تحت سيف  
الخدم من الأتراك ١١ هؤلاء الذين فرغوا من  
إعدام ابن السكيت لينهتوا بعد قليل لحق  
الطاغية العنيد ، قاتله سيوف الأوشاب  
في ليلة وهيبة دامية وتنفذ جسده في العراء ،  
وبرأها الناس فحشمتون بالصريح ويترحمون  
على يعقوب ثم يصبحون دعثين ١ ما أجمل  
التأثر لقد انصرفت السماء ١

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

أم الحسن والحسين أيها الشيخ المجنون ١٢  
فرغ يعقوب رأسه في صلاة ، واتجه بنظره  
القاصص إلى غريمه ثم قال بصوت مرتفع زاده  
جلال الإيمان ووقار الشيب وروحة وتأثيرا :  
إن قنبرا خادم الحسن والحسين أحسن منها  
وملك يا أمه المؤمنين ١١

عدم المتوكل بما لم يكن يتوقع وكسا الخزي  
الأحمر وجوه جلسائه ، فقام كالثور المانح  
برغي ويزبد ، ثم أمر غلبائه الأتراك فطرحوا  
الشيخ أرضاً ليدوسوه بالنعال ، ثم لتركوه  
في سكرات الزبح ، فيحمل إلى داره فاقد  
الإدراك ، ويقلب المختصر الشهيد عينيه في  
أهليه مودعا حتى إذا قضى وطراً بما يريد ،  
جاءه اليقين فلقى وضوان الله .

( بقيه المنشور على صفحة ١٧٦ )

خلكان والغالب أنه لم يتيسر له إنجاز ذلك  
الكتاب وكل ما في الأمر أنه ميا الأصول  
والمأخذ لتأليف ذلك التاريخ الكبير .

١٦ - كتاب الجنان ورياض الأذهان :  
للرشيد ابن الزبير الأسواني وهو في تراجم  
الشعراء المصريين . وهذا الكتاب من أمتع  
المؤلفات فيه ، وهو من مأخذ علماء الكتاب  
في الحريرة والقاضي ابن خلكان في الوفيات .  
١٧ - كتاب الإشارة إلى من قال  
الوزارة لابن الصوفي .

محمد رضا السبيعي

عضو مجمع اللغة العربية

١٥ - تاريخ ابن خلكان الكبير :  
يستفاد من تضاعيف كتاب الوفيات ومن  
مقدمته خاصة أن هذا الكتاب مختصر من  
تاريخ كبير لأن خلكان ذكر ذلك غير مرة  
ووجه أن يستوفى مباحث الوفيات الموجزة  
في تاريخه الكبير . ومن ذلك ما جاء في ترجمة  
الحلاج وقد أنجز الكلام فيها إلى ذكر  
القرامة (١) فقال... وحدثهم وحروبهم  
وخروبهم على الخلفاء مشهور فلا حاجة إلى  
الإطالة في شرحه في هذا المكان بل إذا يسر  
الله تحرير ( التاريخ الكبير ) فساذكر فيه  
حديثهم مستوفى إن شاء الله . هذا ما قاله ابن

## من معاني القرآن

والضار والنافع ، والحرام والحلال ، فكل ما يضر ويؤسره ويستكره خيبه حرمة الله ، وكل ما ينفع ويسر ويستحسن طيب أحله الله وبين الخيب والطيب يون شاسع ، وفرق واسع - فهما لا يتولين عند الله ولا عنه ذوى العقول السليمة والفطر القويعة ولو كان الخيب من الوفرة والكثرة بحيث يشهر الإعجاب .

ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخيب  
قالتة الطيبة والكلمة الطيبة والعمل الطيب .  
والرزق الطيب ، وكل ما أحله الله أو أمر به لا يسأره أو يرقى إليه التية الخيبة والكلمة الخيبة والعمل الخيب والرزق الخيب وكل ما حرمة الله ونهى عنه ، تخافوا غضب الله واحفظوا أنفسكم من عقابه بامثال ما أمر به واجتناب ما نهى عنه وعمل ما يرضيه .  
يا أصحاب العقول فلي انتم الله بها عليكم لتعرفوا بها ما ينفع وما يضر ، وما يسوء وما يسر ، فلي تقوى الله بسبب الضلاح والنجاح ، وهى أن يصلح الله حالكم إن اتقيتموه وتوخيت مرضاته فتفودوا في الدنيا وفي الآخرة بالنجاح والملاح والحياة الطيبة الكريمة ؟

عبد الرقيب فوده

قل لا يستوى الخيب والطيب ولو أجبك كثرة الخيب فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلمكم تفعلون .

الخيب عند الطيب ، فإذا كان الطيب تستمره النفس وتطيب به وترتاح له وتراه حسنا جيلًا فإن الخيب تستردمه وتكرهه وتراه سبنا قبيحا ، ومن ثم كان من رحمة الله بالناس أن يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، فكل ما أحله الله طيب ، وكل ما حرمة خيب . وإن خفي على بعض الناس سبب خيبه فإن الله لا يخفى عليه شيء .  
في الأرض ولا في السماء ، وهو أعلم بخلقه وبما تستقيم عليه حياة خلفه .

والتقوى ، مأخوذة من الوقاية بمعنى الحفظ والصيانة ، فهي أطلق وتصدق على كل عمل يكون الباعث عليه اتقاء الشر وابتغاء الخير والاساس الذي تقوم عليه هو الحروف من المكروه أو الشر :

والألباب . جمع لب وهو العقل .  
الملاح . الفوز . والمطر .

المعنى :

قل أيها النبي لكل من يتأني خطابه لا يستوى الردى والجيد ، والى والحسن ،

# سَيِّحُ تَهَابُهُ الْمُلُوكُ

للأستاذ محمود الشرفاوى

« تمة لما نشر »

٣ - فإن الشيخ الشجاع عز الدين بن عبد السلام كان ينطق عن رأيه وإيمانه المختص بأه لا يجوز أن تلى ولاية أمر المسلمين امرأة . وموقفه هذا من دلائل شجاعته وعظمته نفسه وقوة إيمانه .

٤ - جاء يوم العيد ، وجاء الأمراء والشيخ ووجوه القوم يصعدون إلى القلعة ينتشون السلطان بالعبد ، ووقفت الجند صفاً صفاً بين يديه والأمراء والشيخ ووجوه القوم يقفون حتى يخرج عليهم السلطان في أبهى زينة وأبهج مظهر وأعظم نظامة : غلابة سلاطين مصر التقليدية ، حتى إذا خرج عليهم أسرع الأمراء يضمون جباههم على الأرض ثم يقبلونها بين يدي السلطان ... وفي هذا الصمت وهذه الرعدة سمع الناس وسمع السلطان صوت الشيخ طالباً يناديه باسمه مجرداً من التفتيح والتعظيم واللقب والجلالة : يا أيوب ، ما حجتك عند الله إذا سألك عن ملك مصر هذا الذى أنتم به عليك ثم ترى الناس فيها يصمون الله بأمرك أنت ؟ فقال السلطان للشيخ - مهوئاً - كيف جمع

٣ - شاء الله أن يخلد الصليبيين وحليفهم الملك الصالح ، وأن ينصر جيش المخلصين من المسلمين على يد سلطان مصر : « الصالح نعم الدين أيوب » ، فسار الشيخ إلى مصر الظافرة المنتصرة ، وولاه الصالح نعم الدين قضا مصر وخطبتها وعمارها المساجد فيها ، فأقام ذلك زمناً ثم عزل نفسه ورجا من السلطان أن يعزله ، فقبل ، ولكنه تكرباً للشيخ ، أبقى جميع نوابه ووكلائه الذين اختارهم .

ثم انتقل ملك مصر بعد قليل إلى المدكة : « شجرة الدر » ، وأرسل الخليفة المنتصر « بماتب أهل مصر » على توليتهم امرأة ، ولم يخش الشيخ بطش الملكة القوية ، أم خليل ، فتحدث في بعض كتبه عن ذلك بما لا ترضاه . ولئن كان لشجرة الدر أكبر الفضل في إقناذ مصر والإسلام من أخطر حلة صليبية (١) ، بميلتها وثباتها وشجاعتها ،

(١) حلة لورس التاسع ملك فرنسا الذى هزمت جيوشه وأسر في للصورة .

وبذكر الله فيخضع ، ويقول له الشيخ الكبير : أما خضت غضبه ؟ فيجيب سلطان العلماء : والله يا بني ، لقد استحضرت في نفسي حية الله فصار السلطان في عيني كأنه نط ... !

هـ - تجمع التتار في جيوش كأها صاحب من الميراد ، يمدون بأعظم الخطر بلاد الشام ، ثم جميع البلاد الإسلامية إذا كتب لهم النصر . وأوشك هذا الطوفان المخرب منهم أن يلطم بجيوش المسلمين في عين جالوت ، (١) ولكن سلطان المسلمين يحس بفرزته ويدرك بفكره أنه غير عليه أن يتصر على هذا الطوفان من التتار . وبث السلطان إلى سلطان العلماء يستدعيه ويستشير ، فقال له الشيخ : ( أخرجوا الحريم مؤمنين بالله وسينصركم ) ، ويقول له السلطان : إن المال في خزائني قليل ، وأريد أن أفرس على التجار فرسا لشترى منه سلاحا ، فيقف الشيخ في وجه طمعه ويقول فلا يتخلو حديثه من لوم للسلطان وتأنيب : ( إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك ، وأحضرت الأمراء ما عندكم من الذهب الحرام ، وضربتم هذا وذاك تقودوا وأتقته على الجيش فلم يكف حاجته ، عند ذلك

ذلك ؟ فأخذ سلطان العلماء ، يمدد السلطان مظاهر هذا العصيان وأما كنهه ، ثم قال : يجري ذلك في ملكك ، وبأمرك . وأنت تتقلب في نسيم هذه المملكة التي أنعم الله بها عليك . ! وكان صوت الشيخ يزجر ويدوي في قاعة العرش ، وجند السلطان وكبار قومه صامتين مهوتين متجعين يخافون على الشيخ غضب السلطان وبطشه ، ولكن السلطان صاحب السطوة والجهروت ، الذي كان يشهد قبل قليل جمود الأمراء له ينادي الشيخ : يا سيدي ، ثم يقول : إني ما فعلت ذلك ، بل وجدته من ذم السلاطين قبل ، فيجيب الشيخ كأنه يزجر ويعلم ويقوم ويلوم : وهل أنت من الذين قال الله فيهم : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتنون ، ... ؟

ولم يجد السلطان الشاخ بدأ من التصاهر والتسلية ، فأمر بأن يطل تلك المنكرات التي ذكرها الشيخ ، وانتهى مجلس السلطان العبد ، وخرج الشيخ شاعراً راضى لنفسه ، والناس جميعاً يلهجون بحديثه ويمجبون ، ولحق به شيخ من كبار الشيوخ يسأله كيف فعل ذلك بالسلطان في يوم ذبته وأجهته وأحاط قومه ؟ فقال الشيخ العظيم : رأيت السلطان في تلك العظيمة وهذا الشموخ فأردت أن أعيد إليه نفسه وأذكره قدره ليتواضع

(١) قرية سفيرة بين نابلس ويسان ، جرت فيها لوقعة الفاصلة بين جيوش مصر بقيادة « قطز » للظفر وبين التتار سنة ٦٨٥ هـ [ ١٢٩٠ م ] .

اشترام سلطانهم أيوب من مال بيت المال ، ثم أعتهم ولم يصح عند الشيخ هذا وأقضى بأنهم لا يزالون ملكا لبيت المال ، وأنهم لابد أن يباعوا ، كما يباع الرقيق . ومعنى هذه الفتوى من سلطان العلماء ، أنه يطل هؤلاء هؤلاء الأمراء ، فلا يصح لهم بيع ولا شراء ولا زواج ، ولا تصرف مما يتصرف به الأحرار . وكان من الأمراء الذين يقع عليهم هذا الحبر والرق : نائب السلطان نفسه . . . واجتمع الأمراء يتداولون هذا القرار الحطير ، الذي أصدره عليهم الشيخ ، ويستطيع أن تفكر من ذلك ما ملا قلوبهم من الغيظ والسخط والحسب . وما ملا نفوس الناس من الإكبار والإعجاب والإشفاق على الشيخ من بطش هؤلاء الأمراء . وما كان بملا نفسه هو من العزة والسطة والإيمان والثقة .

أرسل الأمراء بعد اجتماعهم يطلبون الشيخ ليحدثوه في هذا الأمر العجيب . فقال : لا رأي عندي ولا حكم إلا أن نفقد لكم مجلساً ينادي عليكم فيه للبيع ، مثل سوق الرقيق ، ويدخل ثمنكم إلى بيت المال ، ثم يكون عتقكم بطريق شرعي بعد ذلك . ولم يجد الأمراء ونائب السلطان مفرأ من دفع الأمر السلطان . وبمات هذا الشيخ من يتحدث إليه في أن يرجع عن قتواه ، فلم يرجع .

نستطيع أن نطلب من التجار وغيرهم قرضا . أما قبل ذلك فلا يجوز لك ) . واستجاب السلطان والأمراء للشيخ فأحضروا ما عندهم من ذهب وجمهر ووضوه بين يدي الشيخ فألقاه على جيش المسلمين . ونصراقه السلطان وجيوشه ، وحفظ الإسلام وبلاذته من الحراب والدمار .

٦ - ثم يسجل المؤرخون للشيخ قصة كأنها خرافة . وقف فيها ، منفردا ، بل مستنصرا بسلطان الدين ، وعزة الحق ، أمام نائب السلطان وأمراته . وكانوا يقتلون النفس ، ويزهقون الروح ، وهم يلهون ويلعبون . وقف سلطان العلماء أمام هؤلاء يستدلهم ويضعهم في موضع المييد ، بل يبيعهم كما يباعون وينفق ثمنهم في مصالح المسلمين .

قال المؤرخون إن الملك الصالح نجم الدين أيوب ، سلطان مصر أسرف في شراء المماليك الأتراك وأسكنهم في قلعة الروضة ، وأخذ بعد ذلك يمتهم ويجعل منهم أمراء يقبلون على رقب الناس ، ويكثرون بينهم الأذى والشر . حتى قال في ذلك شاعرهم :

الصالح المرتضى أيوب أكثر من ترك يدوك ، يا شر مجلوب قد أخذ الله أرباباً بضمته

فالناس كلهم في حر أيوب وكان بعض هؤلاء الأمراء المماليك قد

إليه مرة أخرى بمقتضيه ويستلته . ولكن الشيخ لم يرض ، ولم يلب ولم يسأر . عند ذلك اشتد بنائب السلطان غضبه وثار صغته واحتل قلبه بالغيظ . فخرج ثائرا وهو يقول : كيف بنادى علينا هذا الشيخ وبديعنا ونحن ملوك الأرض وسلاطين مصر ... ؟ والله لأقتل بسبي هذا . وركب مع جماعته من المماليك والقواد إلى بيت الشيخ وسيفه مسلول في يده . وفتح الباب لنائب الحاج الغضبان ابن الشيخ ، فلما رآه وفي يده السيف وفي وجهه الشر أسرع إلى أبيه عائدا محذرا . ولكن الشيخ كان مطمئن القلب ثابت الجنان يحدث ولده فيقول : يا ولدي أبوك أصغر شأنا من أن يقتل في سبيل الله ... وأصرح فخرج لنائب السلطان كأنه إصم أو بكم . ولم يقع بصر نائب السلطان على وجه الشيخ وما فيه من عزم وحزم وقوة وغضب ، حتى تحاذلت يده عن سيفه ، وسقط قلبه بين ضلوعه . وباح غضبه وبره غيظه ، واستعجال إنسانا آخر ضعيفا متخاذلا يشمر بالصغار والخطيئة ، على ما أجرم في حق الشيخ من التهم على بيت وهيب وشخصه . وبكى نائب السلطان ، ندما ، أمام الشيخ ، الذي لم يحدثه كلمة . وطلب إلى الشيخ أن يدعوه الله له . ثم قال . ما يريد الشيخ أن يصنع بنا ... ؟ ( البقية على صحيفة ١٩٢ )

وقال السلطان كلمة ينكر فيها على الشيخ أن يدخل في هذا الأمر الذي ليس من شأنه . عند ذلك غضب الشيخ أحف الغضب ، وأخرج مناهجه البير وأوكف حماره فوضع عليه هذا المتاع وحمرا أخرى أركب عليها مائكة وأهله ، ثم سارت للقافة ، وهو يمشي خلفها على قدميه ... يريد أن يعود إلى وطنه : « الشام » . وتسامع الناس وتناقلوا أن سلطان المملاء قد غضب على البلد وحل سلطانها وأمراته فلن يتنحضا له مقرا ولا وطنا . وأن هذا الغضب وعنه الهجرة نذير من النذر على غضب الله وصغته . ولم يمر الشيخ وقافته إلا يسيرا حتى لحق به غالب المسلمين ، لم يتخلف عن ذلك رجل ولا صبي ولا امرأة ، ولا صبا المملاء والمالكون والتجار وأمثالهم من أهل الرأي والمنزلة . وعرف السلطان الخبر وما حل بالناس من الجزع . وقال له الناصحون : لو هاجر الشيخ وترك مصر يجعل بملكك شريكه لا تستطيع له احتمالا ولا دفعا . وأصرح السلطان فركب بنفسه وسار حتى لحق بالشيخ ، وأخذ يلاطفه ويترغاه ويطلب نفسه بالثود والملاينة حتى قبل أن يرجع إلى بيته . ولكنه لا يرجع عن رأيه . وماد الشيخ وأهله إلى القاهرة . وعلم نائب السلطان أن للشيخ لم يزل عن فتواه فأرسل

## مجتمع الطبقة الواحدة في الإسلام للأستاذ فتحى عثمان

مقررة إذاً حكمهم ، وهذا هو المعدل الإسلامى ... .

ويقتنع جب ظروف انهيار الدولة العباسية ثم يقول فى نهاية البحث :

« إن انهيار الخلافة العباسية لا يعنى أنه لم يمه هناك مكان للإسلام ومؤثراته فى الحياة السياسية لغرب آسيا ... » .

• • •

والأستاذ جب من المادسين المتعصبين للإسلام وتاريخه ... ومن المتعصبين لحركاته قديما وحديثا ، ومن هنا كان لقوله أهمية . وقد تضمن هذا القول ثلاث مسائل عامة :

• البرعة التنويرية فى الإسلام .

• النظام السياسى فى الإسلام .

• مجتمع الطبقة الواحدة فى الإسلام .

وكل من هذه المسائل بيده الآن عن الفكر الإسلامى المعاصر ... بل قد تكون الأفكار السائدة مضادة لذلك ، ووجهها الجرد والضعف بين المسلمين ، ووجهها الاستشراق والفكر الغربى ١١

فن الأفكار الدائمة أن الإسلام هو استسلام ، وبأى هنا الفهم الحامى . ( لقتضاء

فى حلقة دراسية عظمها مركز الدراسات العليا المتخصصة فى تاريخ الأدبان بمدينة ستراسبورج من ١٢ إلى ١٤ يونيو ١٩٥٩ ، ألقى الأستاذ جب H.A.R. Gibb بحثا عن « الدولة والدين فى عهد العباسيين الأوائل Government and Islam under the Early Abbassids » . كان عما جاء فيه (١) :

« إن الإسلام كنظام سياسى ، كان يحمل فى أصوله فكرة ثورية تحدى التقاليد القديمة للحكومة السياسية فى غرب آسيا وهذه هى فكرة مجتمع الطبقة الواحدة one class society التى يكون فيها بعض الناس حاكين والآخرين محكومين ، لا على أساس ميزات المركز والوضع status ولكن على أساس من ميزات الصلاحية لوظائفهم المعينة وكل من الحاكين والمحكومين سواء أمام مزاج من الحقوق والواجبات المتبادلة التى فرضها الوعى الإلهى . ويفرض على الحاكين بوجه أخص واجبات تجاه إخوانهم المسلمين — إخوانهم لا رعاياهم ، كما أن للمحكومين حقوقا

(١) لى البحث فى مجموعة دراسات الحلقة التى نشرت بالفرنسية بعنوان .

L'Elaboration de l'Islam - Paris 1961



وتاريخ الإسلام... رصيد لتجارب الكفاح  
الثورى المتصل ...

كفاح ضد طواغيت قريش ، و ضد  
طواغيت الروم والفرس ...

كفاح ضد طغيان الحكم ولو كان الحاكم  
أمويًا أو عباسيًا ، وكفاح ضد عدوان الغزو  
الأجنبي ... ضد الصليبيين والمغول ... ثم ضد  
المستعمرين الغربيين في العصر الحديث ١١  
ومع ذلك يقال إن الدين عنصر ، وإن الإسلام  
احتلام ...

وغفل الفاتنون عن أن الانتقاد لله حصنة  
من الانتقاد للأمواء والجبابرة ... وحصنة  
من قياض من مجاهدة الأهواء ومقاومة  
الجبابرة ١١١

« ولا تنهوا في ابتغاء القوم إله تكونوا  
تألمون . فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من  
الله ما لا يرجون وكان الله عليا حكيما . »

« الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا  
لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله  
ونعم الوكيل فاقبلوا بنعمة من الله وحسنلهم  
لم يحسبهم سوء ... » .

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله  
والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان  
الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية

والنصر ) ، ولطاعة ( أولى الأمر ) عما كان  
يروجه بعض مشايخ الطرق في المنسرب  
وبستفيد منه الاستعمار لفرنسى ١١

والنزعة الثورية في الإسلام ، حقيقة تنطق  
بها تعاليم الدين وأحداث التاريخ ...  
فالإيمان بالله واحد ، إفراده بالخصوع  
والانقياد ، وكفر بمن عداه من الطواغيت  
والجبابرة ...

فهو وحده العزيز الجبار المنكبر ، وهو  
وحده الذى يحمد على كل حال ، وهو وحده  
الذى لا يُسئل عما يفعل ... لكن الناس  
جميعا يستلون ١١

« والله تعالى قد أمر بالعدل ، ونهى عن  
البنى ... وقد ورد أن أشد الناس عذابا يوم  
القيامة رجل عمل أشركه الله في حكمه ، فأدخل  
عليه الجور في عبده ١١

« والله تعالى قد أمر المسلمين أن يتناصفوا ،  
وأن يكونوا بدأ واحدة على من بنى وطغى :  
« فإن بنت إحدىهما على الأخرى ، قتلتوا  
الله تبنى حتى تنفى . إلى أمر الله ، ١١

فالؤمن بطبيعة إيمانه لا يعبد إلا الله ...  
ولا يدين بمشاعر الخوف والرجاء لأحد سواه .  
وهذا الإيمان في المؤمن طاقة ثورية

هائلة ... موصولة بمصدر لا ينفد . هو  
رب العالمين ، الذى له جنود السموات  
والأرضين ، وخزائن السموات والأرضين ١١

والحكومات ، وإذا بالزعماء متدينون ،  
والأحراب مسيحية ، والحكومات صليبية :  
سواء في محاربة الشيوعية أو في محاربة الإسلام .  
ومع ذلك فقد تفتت الأسطورة إلى  
عقولنا ... الأسطورة التي لا تتلام مع  
تاريخنا ، ولا تتلام مع حاضرنا ...

فديننا دين العدل ، الذي يعلن الجهاد  
المقدس ضد البغي ...

ونحن نؤمن المسلمون لم يدعوا عصمة ولا  
قداسة ، بل كانوا بشرًا يقومهم الرعية إذا  
أخطئوا ، وبثمنون الرأي ويدبشون  
بالشورى ...

وجماهيرنا كانت تخضع لحكامها إلى الإسلام ...  
وحين يحور الحكم أو ينحرفون ترى علماء  
الإسلام قوادا شيعيين ضد الحكم الجائرين .  
وكما سجل تاريخنا جهود أبي بكر وعمر ومعاوية  
وعمر بن عبد العزيز والرشيد والمأمون —  
وم حاكمون ، سجل كفاح أبي ذر وابن الزبير  
والحسين وابن تيمية والعز بن عبد السلام  
وعمر مكرم — وم قواد شيعيون ناثرون  
من أجل العدل ١١ .

فإذا تركنا جانباً ( العقد النفسي ) التي  
تغشى المشاعر والأفكار عند الحديث عن  
( نظام الإسلام السياسي ) وعالجنا البحث  
الموضوعي لأصول هذا النظام وجدنا أصولاً  
لا يضيق بها عاقل أو منصف في الأرض ...

للطالم أعلم ، واجعل لنا من لدنك ولياً  
واجعل لنا من لدنك نصيراً ...

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين  
كفروا يقاتلون في حيل الطاغوت  
فقاتلوا أولياء الشيطان ، إن كيد الشيطان  
كان ضئيلاً . .

« قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين  
ونحن تربص بكم أن يصيبكم الله بمذاب من  
عنده أو بأيدينا تربصوا ، إنا معكم  
متربصون ، ١١١ »

• • •

والنظام السياسي في الإسلام ... شيء  
لا يطيقه الفكر الغربي وتلاميذه ... لقد  
فصل هناك أخسود غائر بين السياسة والدين ،  
ولا يراد إقامة أبي جسر العبور والاتصال .  
إن معاودة الاتصال بين السياسة والدين ،  
في الغرب معناه عودة تاريخ سرير : صراع  
الامبراطورية والبابوية ... ثم صراع  
البروتستنت والكاثوليك ... ثم تحالف  
الأشراف والكهنوت ضد العامة ... ثم  
مذابج التصب ومحاكم التفتيش وقرارات  
الحرمان ... إلخ .

ومن هنا فصل القوم في الغرب بين السياسة  
والدين ... وما كادوا يسبرون في طريق  
الاتصال ، حتى استحال عليهم الشدوذ من  
القطرة ، فإذا بالدين يوجه الأفراد والهيئات

في الإسلام من أصل عريق مكين ... من الإيمان ذاته ...

فاقه وحده هو الذي له الاستعلاء والكبرياء والناس بعد ذلك سواء ، وهم أشباه وأنداد ، إذ كلهم مخلوقون وكلهم عباد الله ...

(وحقيقة الإيمان تستحق هذا الرتل المتعاقب من رسل الله ، وتستحق ما لقوا من عنت في سبيل الله ... ) .

( إن الإيمان بأن لا إله إلا الله ، يفرد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء التي لا تنبئ لأحد غيره ، فهو الحاكم القهار وحده الذي فطر الناس على معرفته وطاعته ، يسلمون له في السراء والضراء ولا يحدون على مكروهه سواء ... أما موقف البشر مع بعضهم فهو غير هذا الموقف ، إذ يختارون حاكمهم — فلا يفرض عليهم ، ويناقشونه الحساب فيحدون له ويسخطون منه ... ولا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون ) . ١١ .

( والإيمان بأن لا إله إلا الله ، يفرد الله بخصائص الاستعلاء والكبرياء التي لا تنبئ لأحد غيره ، فهو وحده ، ليس كمثل شيء ، وهو وحده ، لم يكن له كفوا أحد ، ... ) . والناس بعد ذلك كلهم أشباه وأنداد ، كلهم مخلوقون وكلهم عباد ، وكلهم في ذلك سواء . وهم حين يحرسون سوايتهم يحرسون إيمانهم حتى لا يعلو عليهم إلا الخالق المعبود

فلسفة النظام السياسي في الإسلام تقوم على العدل ، والشورى ، والزكاة والسياسة ، والعزة ... إلى غير ذلك من الأصول التي لها ترجمتها التشريعية في تفاصيل النظام ، بما هو متروك للفقه الدستوري والإداري والداري عند المسلمين .

وحسبنا أن نقول إن نظام الإسلام السياسي يقدي الحرية ، ويقرر الحقوق السياسية والاجتماعية ، وبضمن إنفاذها ... وقد وقف أول خليفة مسلم يقول : ( إن وليت عليكم ولست بجهنم ، فإن رأيتوني على حق فأطيعوني ، وإن رأيتوني على باطل فقوموني ... أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم ... الضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ) ... وعلق الإمام مالك على هذا الخطاب الخطير للخليفة الأول فقال : لا تصح خلافة إلى من ما اشترطه أبو بكر ١١ .

\*\*\*

أما بمجمع الطبقة الواحدة الذي يشهده المكررون والمصلحون من قديم ... فلا يقوم إلا على أساس ، من الأعماق ...

وهذه خصيصة الإسلام ...  
إن ( المساواة الإنسانية ) قد نبعت

في الرزق ، فبا الذين فضلوا برادى وزفهم  
على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء  
أفئمة الله يمحون ، ٩٤ .

( وجملة القول أن الإيمان بأن ، لا إله  
إلا الله ، إعلان للأخوة الإنسانية ، عن طريق  
إفراد الله بالربوبية ... ، ١٠١ هـ . )

فهل ترانا قف عند لفظة ( جب ) ...  
وتدبرها ، ونعرف سرها بالرجوع إلى تعاليم  
دينا ، وننتفع من هذه التعاليم في تحقيق الأمل  
المأموق وإقامة المجتمع السعيد ١١٩٩ .

نرجو أن يكون لنا إدراك ( جب )  
وإخلاص المؤمنين .

ففي هذا

(١) رسالة ( الدين والواقع ) لكتاب المطور .

ويصدق بأنه ، من كل متكبر لا يؤمن  
يوم الحساب ، ١١ .

( والإيمان بأن ، لا إله إلا الله ، يفرده  
بخصائص الاستعلاء والكبرياء التي لا تنفى  
لأحد غيره ، فهو وحده الرزاق الذي يعطى  
ويمنع ، ليلو الناس هل يؤدون الحقوق  
وهل يطلبون الحقوق ... والخلق بعد ذلك  
مطالبون بأن يتداولوا عطاء الله بينهم بالقسط  
، كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ،  
مطالبون بالألا يتحلوا لأنفسهم حقوق المالك  
الأصيل الذي استخلفهم على خزائنه  
، وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، ...  
فلا تحميد للعلقات ولا تأييد للفوارق ، بل  
توجيه التكافل والتضامن من ذاع عنه فقد  
جحد نعمة الله ، والله فضل بعضكم على بعض

( بقية المنشور على صفحة ١٨٧ )

وأنفقها في مصالح المسلمين . وكان يوما  
مشهوداً وأمرأ عجبا وعزة لدين ليس لها  
مثيل ولا نظير .

هذا هو المرز بن عبد السلام : سلطان  
العلاء ، وأولى به أن يسمى سلطان  
السلامين .

محمد الشرفاوي

قال : أيسمكم في ، مزاد ، عام ... ١ وقال  
وماذا تصنع بشتنا ... قال الشيخ : أنفقه  
في مصالح المسلمين . فقال النائب : ومن الذي  
يقبض الثمن وينفقه ... ؟ قال الشيخ : أنا  
الذي يبيع ، يقبض وينفق .

وكان الشيخ ما أراد : أقام لثائب السلطان  
والأمراء سوقاً فنادى عليهم ليبيع واحداً  
بعد واحد . وغال في أثمانهم ، وقبضها ،

# البيكان العزني

للأستاذ علي محمد حسن العاري

- ٢ -

فياقوت اضطرب رأيه ، ثم إن القاضي توفي سنة ٢٦٦ هـ على ما صحح ابن خلكان ، أو سنة ٢٩٢ هـ على ما ذكره ياقوت ، وعبد القاهر توفي سنة ٤٧١ هـ ، أو ٤٧٤ هـ . وعمل أي من التاريخين في وفاة القاضي فيبد أن يكون عبد القاهر تليذا له يفتخر بالاتباء إليه ، لأن بينهما نحو قرن تقريبا ، ولم يذكر أحد من الذين ترجوا لعبد القاهر أنه عثر طويلا .

وكان على المؤلف أن يحقق هذه المسألة ، ولا يقع في هذا التناقض ، وبعض الباحثين يرجح أن القاضي كان أستاذا لعبد القاهر في الثقافة والروح ، وهو أمر غير مانع فيه . أما ياقوت ، فلم يسمع الخبرين فأثبتهما دون أن ينتبه لتناقض بينهما ، أو لعل كتابه ( المعجم ) ليس كله لياقوت كما صح عند أحد الباحثين من أن ما وجد من كتاب ياقوت ينتهي في الصفحة ٢١٤ من الجزء السابع من طبعة سنة ١٩٢٨ م وهي آخر حرف الجيم (١) .

٢ - ذكر المؤلف في هامش ١٩٣ في ترجمة القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني أن من تلاميذه الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، ونقل عن ياقوت أن عبد القاهر قد قرأ عليه ، واشتد من بحره ، وأن عبد القاهر كان إذا ذكر القاضي ينبخ به ، وشمخ بأفقه بالاتباء إليه .

ثم أجاد مثل ذلك في ١٦٠ ، فقال عن الشيخ عبد القاهر : قال السيوطي : إنه أخذ النحو عن ابن أخت أبي علي الفارسي ولم يأخذ عن غيره ، لأنه لم يخرج من بلده ، ثم خلق المؤلف قائلا : ولعل هذا في النحو فقط ، أما الأدب فإن من أم أساتذته فيه القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة .

قلت : وقد ذكر ياقوت نفسه في ترجمة محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت علي الفارسي ، أنه استوطن جرجان ، وقرأ عليه أهلها منهم عبد القاهر الجرجاني ، وليس له أستاذ سواه (٢) .

(١) مجلة الرسالة ٧٦٥ .

(٢) معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٨٧ ط دار الآمون

إلى البديع ، ولم يأت غير رأينا فله اختياره ( فابن المعتز - إفف - يفرق بين البديع وبين محاسن الكلام ، وهذا ما فهمه ابن وشيخ حيث قال في العمدة : ( على أن ابن المعتز وهو أول من جمع البديع وألف فيه كتابا لم يعبه إلا خمسة أبواب أولها الاستعارة ثم التجنيس ثم المطابقة ثم رد الأفعال على الصدور ثم المذهب الكلامي ، وعد ما سوى هذه الخمسة الأنواع محاسن ، وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعا ) .

فالأمر واضح في أن ابن المعتز يفصل بين الأنواع الخمسة الأولى ، وبين الأنواع الثلاثة عشر الثانية ، فلا داعي للاقتراض في هذا الصنيع ، وإنما الذي يحتاج إلى التعليل هو لماذا سمي النوع الأول بديعا ، وسمى النوع الثاني محاسن ، وقد حاول ذلك صاحب كتاب ( بلاغة أرسطو ) غير أنه اقترض فرضا قال : ( وهناك شيء ثالث يمكن أن يفرض لنا هذا الفصل بين « البديع » و « المحاسن » . أيكون ابن المعتز قد صرف شيئا من بلاغة أرسطو ، ادعاه ودونه في القسم الثاني بعد أن سلم القسم الأول للعرب وللشعر العربي ١٢ . هذا ممكن ولكن يحتاج في إثباته إلى تثبت ) ثم انتهى به التثبت إلى أن القسم الثاني الذي جمع فيه ابن المعتز محاسن الشعر أو الكلام من عامة تفكيره .

فإذا صح ذلك كان منقضا هذا الاختلاف هو المبحث بكتاب المعجم .

٣ - عرض المؤلف لصنيع ابن المعتز في تقسيم كتابه قسمين (١) البديع (٢) محاسن الكلام .

ورأى تعليلا لذلك ( أن ابن المعتز لم يؤلف كتابه في وقت واحد ، بل ألفه على مرحلتين ، وقد أحصى في المرحلة الأولى الفنون الخمسة المذكورة في البديع ... ولعل ابن المعتز جمع بعد ذلك من بعض النقاد والمتبشرين اعتراضا على قصر البديع على الفنون الخمسة الأولى ، وأنهم رأوا البديع أكثر مما ذكر ، فأقرم على دعواهم ، وكتب بقية المحسنات وضمها إلى الفنون الخمسة لينق عن نفسه مظنة الجهل بذلك البقية .

وواضح من هذا الكلام أن ابن المعتز يرى أن الأنواع الأخيرة التي هنون لها بمحاسن الكلام من البديع ، وأنه أضافها بعد الاعتراض عليه ، ولكن التأمل والدراسة يؤديان إلى أن ابن المعتز كان يرى أن البديع غير محاسن الكلام ، ودليل ذلك من كلامه هو ، قوله بعد أن أورد الأصناف الخمسة الأولى : ( قد قدمنا أبواب البديع الخمسة وكل عندنا ) وقوله مرة أخرى : ( فن أحب أن يقتصر بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا

وجعله أساس كل جمال في العمل الأدبي هي السائدة في هذا الكتاب .

والحقيقة أن رأى عبد القاهر مضطرب في الظاهر على الأقل - وأن كل الذين كتبوا عن عبد القاهر تنهوا إلى هذا الاضطراب ، وحاولوا التوفيق بين نظريتيه ، فالحطيب القزويني يوفق على النحو الذي ذكره المؤلف والدكتور مندور يرى أن النظريتين : نظرية الدلائل ونظرية الأسرار متعارضتان وذلك بعد أن يقسول في موضع آخر : ( ينكر عبد القاهر كل مزية في اللفظ <sup>(١)</sup> ) .

والدكتور إبراهيم سلامة يصترف بأن عبد القاهر لا ينكر قيمة الالفاظ جملة ، وإنما يريد أن يحدد مكانها في النظم ، ويفر كل الفرار من أن تكون المزية البلاغية في اللفظ وحده ، ويسيد قول الحطيب القزويني بأسلوب مصري ، فيرى أن عبد القاهر في تقريره للصورة والتصوير الذي أقامه الكلام فيه وفي كتابه ( أسرار البلاغة ) يدخل عنصرا ثالثا في النقد الأدبي الذي لا ينبغي أن يقتصر على تقدير المعنى ، واللفظ فقط بل لابد فيه من مراعاة الصورة التي تحدث من اجتماعهما <sup>(٢)</sup> . وهو بذلك يفسر قوله عبد القاهر : ( ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير

وقد كنت أحب لصاحب ( البيان العربي ) أنه يثبت هو أيضا ليصل من وراء البحث إلى أن ابن المعتز ألف كتابه في فترتين ، أو في فترة واحدة . هل أنه لاجابة لما قلت لافتراض الأستاذ إلا إذا سلمنا أنه أن البديع ومحاسن الكلام - فهذه نظر ابن المعتز - شيء واحد ونحن لا نسلم له ذلك ، فليبحث من يشاء ليعرف السر الذي جعل ابن المعتز يفصل بين النوعين .

٤ - أصر المؤلف على أن الشيخ عبد القاهر زعيم مدرسة المعاني والأفكار ، وإذا كانت البلاغة تعني قبل كل شيء بالأسلوب وهو مجال تلك الصناعة فإن عبد القاهر على هذا من الذين يناوئون ذلك الرأي ويسرون في اتجاه واحد مضاد لاتجاه سير البلاغة .

ومع أن المؤلف يحمل في كتابه أن الحطيب القزويني ضل إلى التناقض في رأى عبد القاهر الذي ينادى بأن البلاغة صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إقادته المعنى عند التركيب ، وكثيرا ما يسي ذلك فصاحة أيضا ، وهو مراد عبد القاهر بما يكرره في دلائل الإعجاز من أن الفصاحة راجعة إلى المعنى دون اللفظ مع هذا تنامي هذا التناقض في رأى عبد القاهر وبني كل حديث على أن عبد القاهر يرجع الجمال في الكلام إلى معناه فقط ، حتى في أسرار البلاغة ، فنظرة عبد القاهر إلى المعنى وإكباره

(١) مجلة الثقافة - ١٢ العدد ٢١٦ .

(٢) بلاغة أرسطو - ٣٨٩ .

متخلفين من كثير منه ، يقدمون ويؤخرون  
ويقارون ويكثرون ، قد يبروه أرباباً مبهمة ،  
ولقبوه ألقاباً متهمة ، وكل واحد منهم قد  
ضرب في جهة وانتحل مذهباً هو فيه إمام  
نفسه وشاهد دعواه ، لجمعت أحسن ما قاله  
كل واحد منهم في كتابه ليكون العمدة في  
محاسن الشعر وآدابه (إن شاء الله) .

والذي أهمهم من قول ابن رشيق أن كثيراً  
من تسكلموا في الشعر لم يرجعوا إلى أصول  
ثابتة في النقد ، ولم يخلصوا إلا لأهوائهم  
الخاصة ، فكل منهم يستحسن معتقداً على  
قريحته ، ويضع الألقاب على حسب ما عليه  
عليه رأيه ، ولا يجد إنساناً آخر يوافقه على  
مذهب ، وقد فهم من هذه المبارات ،  
ما يقوله بعض النقاد المحدثين في أحد الكتاب  
البارزين إنه يفصل آراءه على نفسه ، بمعنى  
أنه يستحسن من الكلام ما يحسنه ، فإذا كان  
بمبدأ القصة ، فهي أرقى فنون الأدب ، وإذا  
كان بمبدأ نوماً خاصاً من القصة فهذا النوع  
هو أفضل الأنواع ، وهكذا . فقل ابن  
رشيق يريد أن هؤلاء الذين يبروا الشعر أرباباً  
مبهمة ، وانتحلوا فيه مذاهب كل منهم إمام  
دعواه فيها ، من هذا النوع الذي لا يستحسن  
من القول إلا ما يحسن ، ويعتبر نفسه دليلاً  
على جمال هذا اللون .

ولو فهمنا من قول ابن رشيق ما فهمه

والصياغة وأن سبيل المعنى الذي يسبر عنه  
سبيل الشيء الذي يقع التصوير فيه كالفضة  
والذهب يصاغ منهما عاتم أو سوار ، فكما  
أنه حال إذا أردت النظر في صوغ الخاتم  
وجودة العمل وردائه أن تنظر إلى الفضة  
الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع  
فيه ذلك العمل كذلك حال أن تعرف مكان  
الفضل والمزية في الكلام أن تنظر في مجرد  
(معناه) .

ومن هنا يتبين لنا بما لا يدع مجالاً للشك  
أن عبد القاهر لا ينسرك قيمة اللفظ ، ولا  
يحمل الفضيلة كلها للحن ، وإذا كان الأمر  
كذلك فقد كنت أحب لمؤلف البيان العربي  
أن يتنبه لهذه المشاكل ، وأن يحاول أن  
يضع لها حلاً ، وبذلك يضيف جديداً في  
الكشف عن اتجاه هذا الإمام العظيم .

• — قسا المؤلف على ابن رشيق صاحب  
العمدة ، وحمله الدعوة إلى توقف القول  
والأنواع عن البحث حيث يريد ابن رشيق  
على ما فهم المؤلف — أن يجمع العلماء والنقاد  
على كلمة واحدة لا يختلفون عليها ، قال :  
ولقد كانت هذه الدعوة أهم الأسباب في  
توقف البلاغة العربية وتخلفها عن متابعة  
الأدب ، ووجدت حركات تقدمه .

وهو يشير إلى قول ابن رشيق في المقدمة :  
« ووجدت الناس مختلفين فيه — يريد الشعر —



القرن الخامس الذي عاش فيه ابن رشيق ،  
ويعتقنا العملية تختلف عن بيئة ابن رشيق  
في المغرب في ذلك العصر ، فإذا كنا نأثق  
في تأليفنا ، فذلك لا يفسد من شأن صاحب  
العمدة ، ما دامت طريقتنا لا تجد كثيراً  
عن طريقته .

على أن ابن خلدون قد ذكر ( العمدة )  
أكثر من مرة ، فامتدح الكتاب ، وذكر  
في باب صناعة الشعر أن هذا الكتاب ( هو  
الكتاب الذي افترده هذه الصناعة ، وإعطائها  
حظها ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده  
مثله ) وقال في موضع آخر من هذا الفصل :  
( وبالجمل فلهذه الصناعة ونعلها مستوفى  
في كتاب العمدة لابن رشيق (١) ) .

وقد شهد له بعض العلماء المحدثين ، وإن  
كان روى كتابه بأنه عوجا وقصا ، وروى  
ابن رشيق بأن عقله لم يكن يعرف الربط ،  
قال : « ومع ذلك فينبغي ألا نغفل ابن  
رشيق حقه ، إذ ليس من شك في أنه لعب  
في جمع هذه المادة وترتيبها على هذا الفنق  
الذي اختاره لنفسه ، وإن من يفتبه في حرته  
لذلك المادة الوفيرة يجد له كثيراً من الأفكار  
النيرة (٢) » .

المؤلف ، فهل لنا أن نقول إن دعوة ابن  
رشيق هذه هي التي وقعت بالبلاغة ، وكانت  
سياقاً في تخلفها ، إننا نجد هذا كثيراً على جملة  
من المؤلفين وكيف تلقى هبته على مؤلف  
واحد ، إن تخلف البلاغة عن متابعة الأدب  
له أسباب كثيرة لا اعتقد أن المؤلف يحفلها  
وهي لم تصنع في عصر واحد ، ولا من رجل  
واحد ، فكيف تكون دعوة ابن رشيق من  
أهم الأسباب التي دعت إليها .

وابن رشيق عند المؤلف حقيق الأفق في  
البحث البيان . ولا يحسب له في كتابه إلا القليل  
المجيد ، وهو ليس إلا حاكياً آراء السابقين .  
ونحب أن نقول للمؤلف أن ابن رشيق  
ألف كتابه في صناعة الشعر ونقده ، وأنه له  
نظرات جيدة في النقد ، تصل بتقد شعراء  
عصره ، فلعلنا إنه قل — فقط — من  
المتقدمين ولم يرد شيئاً في بعض الأبواب  
من الأقوال المأثورة من السابقين ، أفلا  
يكون ذلك عملاً يستحق الثناء ، وهل يجمع  
لنا المؤلف أن نقول له إن صفيته في كتاب  
( البيان العربي ) مولود من صنيع صاحب  
العمدة ، ذاك روى لنا ما قاله المتقدمون  
في النقد والبلاغة وهذا أرخ لتطور الفكرة  
البيانية ، فكيف نهرم على ابن رشيق  
ما نجده لا نقسنا ؟ .

لا شك أن طبيعة عصرنا تختلف عن طبيعة

(١) المقدمة ص ٥٨٤ - ٥٧٥ ط البعثة .

(٢) مجلة الثقافة العدد ٢٨٠ ، شوقي خيفة .

وذكر أنه كان موقفاً في باب اللفظ والمعنى وفي باب موضوعات الشعر وفي باب المعاني المحدثة .

وأياً ما كان فإن المادة الأدبية التي ذكرها ابن رشيقي في كتابه ، والآراء النقدية التي حفل بها الكتاب لما خطر لها في بناء هيكل البيان العربي سواء من حيث المصير إلى التعميد ، ومن حيث التدقيق الفني للمعاني الأدبية .

٦ - المؤلف : وأنا أقول ذلك على كره مني - لم يطل النظر في البلاغة السكاكية ولو أنه أمعن النظر في بعض الشروح والخواص التي عنيت ببسط قواعد هذه البلاغة لكان حرياً أن يكشف بعض ما كتبه عن ( البيان البلاغي ) بغير الطريقة التي كتبه بها .

السكاكي فصل علم المعاني من علم البيان ، للملاحظة لاحظها ، ذلك أنه جعل الغرض من علم المعاني الاحتراز من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال ذكره وجعل موضوع علم المعاني هو البحث في اللفظ العربي من الناحية التي تؤدي إلى هذه الغاية ، فلم المعاني عنده هو معرفة خواص تراكيب الكلام ، أما علم البيان فهو معرفة صياغات المعاني ، ليتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقها ، وقال إن علم البيان يتوقف على علم المعاني ، ذلك أن علم البيان هو معرفة

إيراد الكلام بطرق مختلفة في الوضع بعد مراعاة المطابقة لمقتضى الحال ، ومعنى ذلك أن الشاعر أو الكاتب يريد أن يصوغ معنى ، فيأتي بتشبيه أو مجاز أو كناية ، فهو حينئذ أخذ بجزء من علم البيان ، فإذا لاحظ أن هذا الأداء يطابق مقتضى الحال كان آخذاً بالعلم كله ، فالنظر في هذه الصور البيانية ( التشبيه - المجاز - الكناية ) يتأتى من ناحيتين ، من ناحية أنها صور يعبر بها عن المعاني ، ومن ناحية أنها تطابق أو لا تطابق ، والنظرة الثانية هي موضوع علم المعاني والنظرتان معاً موضوع علم البيان ، ولذلك قالوا إن علم المعاني من علم البيان بمنزلة المفرد من المركب ، على أن ابن السبكي يناقش هذا الرأي فيقول : ( لا نعلم أن علم البيان يتوقف على علم المعاني ؛ لجواز أن يعلم إنسان حقيقة التشبيه والكناية والاستعارة وغير ذلك من علم البيان ، ولا يعلم تطبيق الكلام على مقتضى الحال ، فليس علم المعاني جزءاً من البيان ، ولا لازماً له ) (١) .

وقد قالوا : تطبيق الكلام على مقتضى الحال كالمادة ، وهذه الطرق كالصورة والمادة ليس جزءاً من الصورة .

والمشهور عند علماء البلاغة السكاكية أن أي بحث إذا نظرت إليه من زاوية المطابقة

(١) عروس الأعراف ج ٢ ص ٢٦١ .

قدرة وتقليد اكل الذين خلفوه في أدبه وبيانه  
وحاولوا أن ينسجوا حل متواتر من غير أن  
يعلم علم الاستدلال الذي يجعله السكاكي أساسا  
من أسس البيان ، ومن غير أن يعلم بلاغة  
السكاكي أيضا ) فإذا أراد المؤلف من هذا ؟  
هل أراد أن السكاكي - وهو لعالم الجهد -  
وقع في عاظمه أن العربي لم يدع البيان الرفيع  
إلا بعد أن درس بلاغة السكاكي ؟ هل أراد  
أن السكاكي وضع هذه الضوابط والقواعد  
ليعلم الناس البيان ؟

إن السكاكي أجلب في صراحة من هذا  
الذي ، ما أظن المؤلف ظنك بالسكاكي . فقال  
بعد أن ذكر أقوالا أربعة في إعجاز القرآن :  
( ينحسها ما يحده أصحاب الذوق من أن وجه  
الإعجاز هو أمر من جنس البلاغة والفصاحة ،  
ولا طريق لك إلى هذا الخامس إلا طول خدمة  
هذين العليين بعد فضل إلمى من حبة جبهها  
بحكته من بقاء ، وهي النفس المستعدة لذلك  
فكل مبسر لما خلق (١) ) .

فأدراك إعجاز القرآن بالذوق ، والذوق  
لا يكون إلا بشرطين : الأول طول خدمة  
هذين العليين وطبعا لا يعني السكاكي بطول  
خدمتهما حفظ قواعدهما ، وإنما يعني النظر  
في مصادرهما ، وتطبيق الشواهد على القواعد  
( البقية على صفحة ٢٠٤ )

وعندها فهو من علم المعاني ، فلو نظرت إلى  
السجع هذه النظرة كنت صادرا في بحثك  
من هذا العلم وإذا نظرت إليه من ناحية أنه  
يزيد الكلام حسنا كنت صاحب بديع ،  
وهكذا النظر في غيره من المحسنات البديعية .  
أو من الصور البيانية .

وأظن بعد هذا البيان لا نجد مسوغا  
للتألف أن يقول : ومن هنا يتبين الخطأ  
في قصر تطبيق الكلام على ما يقتضيه الحال  
ذكره على مسائل علم المعاني ، فإن ذلك شامل  
لفنون البلاغة جميعا .

فلو أننا وضعنا هدف كل علم عربي في العلوم  
الأخرى لما أمكن فصل مباحث هذا العلم ،  
الآن ترى أنه لا بد في السجع وغيره أن نلاحظ  
أحكام النحو والصرف ، فلم نجعل ذلك في هذه  
العلوم ؟ إنما ولا شك لا نحكم على كلام  
بالمجودة حتى يكون مستوفيا لكل ما قرره  
علوم العربية ، ولكتنا حين نصف نرجع  
كل مسألة إلى علمها ، وهذا هو الشأن هنا ،  
فلو نظرت في المحسنات البديعية من ناحية  
مطابقتها ، لم تكن صادرا عن ضوابط علم  
البديع ، وإنما كنت صادرا عن ضوابط  
علم المعاني . وهكذا .

ولقد عجبت لقول المؤلف : ( لقد كان  
العربي البادي في جزيره يصوغ المعاني المعجبة  
ويدعج البيان الرفيع الذي اتخذ منهجه فيه

# ريزار التجميد في شعر العربي

## المازني شاعراً

### للاستاذ العوضي الوكيل

وفيعمل الأمر بين القديم والحديث ليس في موضوع الشعر نفسه ، وإنما هو في إحساس الشاعر بهذا الموضوع ، ونقله عن هذا الإحساس .

وانتشرت الدعوة بين الناس حينذاك ، فتلقاها بعضهم تلقياً غريباً ، فإنه - حين أراد أن يكون شاعراً مصرياً - دون ما وصف القدماء وما شهروا في ديوان ، ثم قال متحدياً معارضاً ، فإذا وصفوا الناقة مضى هو إلى الطائفة والقطار ، وإذا ذكروا هذا ودعوا والرباب مضى هو إلى أسماء النساء المستحدثات في العصر فأوسمها عزلاً ونسبياً .

وخلك المازني - رحمه الله - ودميلاه ، وأنصارهم من هؤلاء المقلدين في إنكار التقليد ومحموم أصحاب مذهب الابتداع التقليدي ، لأنه في حقيقة أمره لون من ألوان التقليد ، ويقول العقاد عن هؤلاء : لو أن الشاعر منهم كان نقاشاً لما عرف كيف يطل جداره بالون الأبيض ، ما لم ير أمامه جداراً أسود الدمان .

وإذا كان الشاعر العربي قد أصابه الركود

منذ نصف وخمسين سنة وقف المازني يدهو إلى مذهب جديد في الشعر ، مع زميلين شاعرين هما العقاد وعبد الرحمن شكري .

ولم تكن دهوتهم بحاربة القديم وببذنه ، وإنما كانت دهوة إلى الابتداع ، وترك التقليد ، والاستجابة لوصي الشعور الصادق والوجدان الصحيح .

وعلى هذا الأساس (١) وكان شعر العرب (في نظرم) مطبوعاً لا تصنع فيه ، وكانوا يصفون ما وصفوا في أشعارهم ، ويذكرون ما ذكروا لأنهم لو لم ينطقوا به شعراً لما شئت به صدودهم زفيراً ، وجرت به هيونهم دماً ، واشتغلت به أفئدتهم فكراً ، وأما نحن فلا موضع لتلك الأشياء من أنفسنا فهي لا نحتاجنا كما نحتاجهم ، ولا نصينا كما أصابهم ، وإذا سكتنا عن النظم فيها لا نخطر لنا إلا كما تمر الذكرى بالذهن ، والمر - إذا تذكر لا يقلد من بتذكرهم ، ولكنه يتحدث بهم .

(١) مقدمة للعقاد لديوان المازني طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب - القاهرة ١٩٦١ .

، أسطوانة ، تصاد مع تبديل العنوان ،  
أو قاب يتكرر فلا تعزبه زيادة ولا نقصان .  
وصدره دواوين للشعراء الثلاثة دواة  
التجديد ، نماذج لما يدهون إليه وصوراً  
صحيحة لمنهجهم في دهرهم ، ومنها ديوان  
الملاقي الذي نحن بصدده ، وقد أعاد إصداره  
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب  
بالقاهرة منذ مدة ، وتضمن الجزءين اللذين  
كان الشاعر قد نشرهما في حياته وجزءاً آخر  
قدمته أمرته إلى المجلس ، فكان الجزء الثالث  
والأخير من ديوان الملاقي رحمه الله .

ولقد أعلن الملاقي ذات يوم بعد طبع  
الجزءين الأول والثاني من ديوانه أنه لم يعد  
شاعراً ، وأنه ينكر على نفسه الشاعرية ،  
وفي هذا يقول حماد شارح ديوانه ومقدمه :  
نظم الشاعر هذا الشعر

يوماً وارتماء

ويسوم آخر أن

سكرو ثم نقاه

قال إن الشعر فن

ماله عندي أداء

ويقول صاحب ديوان رسوم وشخصيات :

الملاقي شاعر

وإن يقل بنهر ذا

والضنف طوال حكم الأتراك والعثمانيين ،  
كسائر فروع الأدب ، لما غشى العيش من  
هواشي الحمر والطفاني ، وانحطاط الثقافة  
العامة ، وفراغ الأذهان والقلوب من المعاني  
الشريفة والأحاسيس السامية ، فإن الأدب  
لم ينته من ذلك إلا قبيل عشي القرن العشرين  
حين استيقظت الحرية في شاعر الشرقيين ،  
وكانت علامة تلك الثقافة ، أن شعر كل  
أديب بشخصيته واستقلال نفسه ، وصار  
لكل طريقة في الشعر والقول تنحى به عن  
سواء من القائلين .

على أنه التقليد معنى لا يختص به الأدب ،  
ولا يزيد به على الزمان ثمرات الفرائح ، لأن  
الشعراء ينظمون على قالب واحد من قوالب  
القول ، ويبدون حول محور واحد من  
محاوره ، فقرأ المائة منهم كأنك تقرأ الواحد  
أو كأنك تسمع أصداً من الماضي ولا تقرأ  
لأحد ، ويقول المضاد في ذلك .

، ورأينا المؤرخين يكتبون عن عشرين  
شاعراً أو ثاتراً في عصر واحد ، فيقولون  
عن كل شاعر أو ثائر منهم : إنه وحيد زمانه  
وفريد عصره وأوانه . ورأينا الشاعر يمدح  
ويرثي ، ويردد مدحه وروثاءه في العشرات ،  
بل في المئات ، فلا يختلفون في صفة ولا عمل  
ولا يتميزون بلمحة ولا علامة ، كأنها

من يشتدون الصدق فيا يقولون رفقيا يضلون .

وتعبر ديوان المازني فتلح فيه روح عصره  
الشاك المتردد ، من مثل قوله :

آليت لا يستخفى أمل  
في الغد أو تستغرق في حسنه  
الهمر لولا الآمال مشته  
والمرء في نفسه يرى زمنه  
وقوله :

يا ليتني لو بصح لي أمل  
أعنى ، له من كفافه شغل  
أيدي لا مرعفا ولا قلق الآ  
حشاء عما تحرك العطل  
ويقول عن الإخوان :

ركبت إليهم ظهر الأمان  
على ثقة . فعدت أذم ومحدى  
وغير ماضع بالغيث غنى  
خله الغم إذ جدنا بحد  
صفوت له حل الملات دمرأ  
فرق بالسفاهة ماء . وردى  
وقوله جوابا على آيات بيت بها إليه  
المقاد :

وما طاف الشكرى باليمن إلا  
ليفتنهما حل الكرب النظام  
وفي ظم القبور لنا بغير  
يجلى وحشة العيش الجهام  
وما إن أرتجى شيئا ولكن  
هى الأحلام عون قوى السقام

بجدد فيا اقتدى

مبتكر فيا اخذى  
وقد صفا أسلوبه

فليس فيه من قذى  
وهى خطرة من خطرات الشاعر ، لم يلبث  
لتاريخ أن ردما عليه ، وصحح وضعه بين  
الشعراء في مجلة الباقى .

ولقد عاش الناس مستهل هذا القرن وهم  
في حيرة وشك لما أصاب الحياة من اضطراب  
فلا جرم يظهر ذلك في شعر الذين يدعون  
إلى الصدق في التعبير عن أنفسهم ، ولا جرم  
يبدو زمان للشاعر في طوايا نفسه ، رفقيا  
يصدر عن هذه الطوايا من شعر  
لأن المرء في نفسه يرى زمنه ، كما يقول  
المازني في بعض مقطوعاته . ولا معابة على  
شاعر ينقل عن عصره التردد والاستياء .  
إذا كان التردد والاستياء سمعة تطلب على ذلك  
العصر ، ولا بد لهذا الاستياء — كما يقول  
المقاد — أن يأخذ مداه ، ويطلع على كل  
نقص في أحوالنا ، حتى إذا تمكن من  
التفرض لحركها إلى العمل ، وعاد عليها العمل  
بالرضا فلا يفتنى الناس — يومئذ — فضل  
شعر الضجر والاستياء .

على أن الشكرى مما يؤلم ، والضجر  
مما يضجر منه ليس أمرين غريبين جيبين  
ولكنهما الواجب الذى لا يقبضى سواء عند

معاني شعراء الغرب ، والإغارة على قصائدهم  
وأدعائهم ، ولقد رماه بهذه التهمة بعض  
أصدقائه من شئت به مثلى - المذهب العتيق -  
وهذه عبارة المازني بنصها ، ويعنى بذلك  
أصحاب الشعر الذى يعور فى فلك القصداء  
ويجرى فى غبارهم .

ويعترف المازني - فى بساطته المعروفة -  
بأن بعض قصائده فى الجزء الأول فيها ممان  
من بعض شعراء الغرب ، ولكنه يمثل ذلك  
بأنه « علق بخاطره من شعرهم وهو لا يعلم ،  
يقول المازني :

« أما ما اتهمنا بسرقة فى الجزء الأول من  
ديواننا ، فقصيدته فى سياق الموت ، وهى  
ثمانية أبيات ، ولقد راجعنا قصيدة الشاعر  
« هود » فوجدنا فى قصيدتنا أياتا ليس  
له ، ونحن نزل عن القصيدة كلها راضين  
ونسباً إلى الله من تعدد أخذها والإغارة  
عليها ، وقصيدته قبر الشعر وهى خمسة أبيات  
نكلمها إلى حظ أختها .

ولقد راجعنا الجزء الأول قصيدة قصيدة  
لنبيط عنه هذا الأذى ، وراجعنا دواوين  
الشعراء التى عندنا زائدة منا فبما عسى أن يكون  
قد علق بخاطرنا من شعرهم ونحن لا نعلم ،  
فلم نعتز على شئ . يجوز من أجل اتهامنا بالسرقة  
إلا أياتنا فى « رقية حسناء » وهى ثليل  
والجزء الأخير من قصيدة « أمانى وذكر ،

ويقول فى مطلع قصيدة بلغت مائة بيت :  
بعض بنضائكم أولى البنضاء  
إنما الشتم شيمة السفهاء  
وهو يعارض بها - فى حدة وشدة وعنف -  
قصيدة ابن الرواس التى يقول فى مطلعها :  
يا أنسى أين عهد ذاك الإغاء  
أين ما كلن بيتنا من صفاء  
ويبرز معنى المعارضة فى ختام قصيدته  
فيجمله هكذا :

قضى الأمر بيتنا فسلام  
وسقى الله عهد ذاك الإغاء  
وصور المازني فى ديوانه ذات دقة وقوة ،  
فهو يصور صديقه الغادر بصورة القرد  
السكران ، فيجمع القردية وما فيها من غرابة  
وقبح إلى السكر ، يقول :

لو نراه بالليل يحطّر عجباً  
فى موكب الفرنجة السوداء  
قلت قرد من آل دويرن ناش  
أخذت منه سورة الصباء

وكتب المازني مقدمة الجزء الثانى من  
ديوانه ، فتحدث عن الشعر ، وعن التجديد  
فيه ، وجرى العقاد فى الحديث عن الصدق  
والتميز عن النفس ، ولكن أهم ما فى المقدمة  
ليس هو هذا الحديث ، فإن العقاد قد أتى فيه  
بما لا حاجة معه إلى زيادة مستزيد ، ولكنه  
الحديث مما رى به المازني من السطو على

وهو ليس هو وأول هذا الجزء . ياليت  
حي وردة .

ولو أن ما أخذ علينا في الجزء الأول  
وما نهينا إليه القراء من نلقاء ألقنا حذف  
لما ألقص ذلك من قيمة شعرنا فإن في ديواننا  
الأول نحو ألف بيت وليس ما أخذ  
علينا غيرها .

وإن كان هذا دليلا على شيء ، فهو دليل

المعرضي الوكيل

### ( بقية المنشور على صفحة ١٩٩ )

والشرط الثاني هو الاستعداد الفطري ، كما هو  
واضح في كلامه .

وبعيد جدا أن يظن ظان أن العربي كان في  
حاجة إلى قواعد النحر أو قواعد الصرف  
أو قواعد البلاغة والعروض لينطق نطقا  
صحيحا فصيحاً .

عل أن بعض أصحاب الحواشي تنبه لهذه

الفكرة فأراد أن يحلل التعريف بما يخرج  
العربي ، قال الترمذي : علم العرب خرج بقوله

على محمد صمد السمره

(٩) هروس الافراح ج ١ - ١٦١ .



## دور العقيدة في شخصية الفرد والأمة

للدكتور سعد الدين المجيزاوي

قوة ، واستطاعوا بفضل قوة شخصياتهم ، وتمسكهم بعقيدتهم ، أن يسيطروا سلطانهم على أم كانت ذات سطوة وسلطان ، وأن ينشروا عقائدهم ويعلموا شعوب الأرض مبادئ الحياة الكريمة .

لقد خلقت العقيدة الإسلامية شخصية أولئك المسلمين الأولين ، فكانت هذه الشخصية مبعث تلك القوة التي اندكت أمامها صروح الظلم والظلمانيان ، وفتحت أمامها أبواب الممالك ، ولا تظن أيها القارئ الكريم أن ذلك ضرب من الخيال ، أو أن ذلك الصف من المسلمين لم يعد له وجود في زماننا .

إن معركة بورسعيد في عام ١٩٥٦ تبين بوضوح ما كان لقوة العقيدة من أثر في مبعث روح النضال التي تحمّل ذلك العدوان الأثيم على صخرتها ، فعندما ذهب الرئيس جمال عبد الناصر إلى الأزهر الشريف في بدء المعركة وصاح في جموع المحتشدين صيحته المدوية : ( ستقاتل ، ستقاتل . ) كان يعلم تفوق الأعداء في العدد والعتاد ، ولكنه كان يعلم كذلك علم اليقين أن الروح المعنوية التي تنبعث من أعماق العقيدة والإيمان بالنصر ،

انتقل الرسول الأمين صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى ، بعد أن عا حباة الأوثان التي كان العرب يقدسونها ، ويعفرون أمامها ساجدين ، زاعمين أنها تقربهم إلى الله زلفى ، وأن جهودهم لها وإشراكهم إياها في العبادة مع الله إنما كان بإرادة الله ؛ ثم أرسى مكان تلك العقائد الفاسدة ، عقيدة التوحيد الخالص ، والإيمان بأن لهذا الكون إلها واحدا قادرا على كل شيء ، وأنه قريب من عباده يستجيب لمطالبهم إذا ما أخلصوا له العبادة ، دون حاجة إلى وسيط يقربهم إليه . كذلك قد بين قناص أهل مثل لنظم الاجتماعية ، وتقلهم من دور القوضى في المعاملات حين كان الحكم لقوة الذراع ، والخضوع لأشنع الماديات ، إلى دور التهذيب ومحاسبة الضمير .

وقد كانت غاية المبادئ التي جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام من لدن رب العالمين ، هي الوصول بالبشرية إلى أسمى غاية ، والبعدها عن مظاهر الانحطاط ، وقد رسمت هذه المبادئ الصورة الكاملة للعقيدة الإسلامية ، التي دان بها العرب فأصبحوا أمة موحدة ،

نزلت بهم نازلة ، ومنه كانت تنبعث صيحات إعلان الجهاد ضد كل غزو تقصد به الأمة الإسلامية ، وهناك صاحب الرئيس صيحه المدوية ، وأعلن الجهاد لاستجابة القلوب ، وتجمعت ، وكان النصر المبين . وهكذا برز أثر العقيدة في شخصية الأمة العربية جمعاء حين انفضت شعوبها ، ووقفت صفاً واحداً أرباب الأعداء المغيرين .

وبيننا في كلتنا هذه أن نوضح مقومات هذه العقيدة التي كانت مصدر القوة في شخصية المسلمين الأولين ، ومن اقتدى بهم إلى يومنا هذا ، ثم بمن سوف يقتدى بهم إلى أن يرد الله الأرض ومن عليها .

إن كلمة عقيدة ، من الألفاظ الكلية ، التي لا يحدد مدلولها إلا بما نضاف إليه . غير أنها من حيث اشتقاقها ، تدل على مفهوم عام لكل ما يعقد المرء عليه هزمه ، ويحمله مناط تصميمه مهما كلفه من من أمر .

وأقرب ما ينحدر إليه هذا المدلول العام لهذه الكلمة من سائر المفاهيم التي تستفاد منها إنما هو الوجه الديني .

وسيتناول حديثنا في هذا المقال « العقيدة الإسلامية » على ضوء فهمها عند الرعيل الأول من المسلمين الذين عاصروا نشأتها وتطورها واستكمالها . فيوم أن نزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت

والصديق الكامل بوعد الله في تأييد المؤمنين ونصرهم مهما قل عددهم وعنادهم في قوله تعالى : « ولكن حقا علينا نصر المؤمنين » . وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » . « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » . والله مع الصابرين » ... كان يعلم أن تلك الروح كفيّة أن تعرض كل نقص في العدد أو العناد .

لم يكن ذهاب الرئيس إلى الأزهر يومذاك ليتمسح بالجهنوان ، أو ليتبرك بقبر ولي ، وإنما برزت أمامه صورة المجاهدين من أبطال بدر ، وكيف نصرهم الله على قتلهم ، لأنهم على الحق وأبدى بروح من عنده ، ثم صور أولئك الأبطال من الرعيل الأول ، حين وقفوا أمام حصون كسرى ، ولم ترهبهم الدروع ولا الأفيال ، وحين وقفوا أمام حصون قيصر ولم يرهبهم ارتفاعها ، ولا ضخامتها ، ولا بريق السلاح في يد أضخم الأجناد ، لأن أولئك الأبرار كانوا ينشدون انتفال شعوب قد غمرها الظلم ، وينشرون مبادئ العدالة ، والحرية ، والمساواة ، ويردون للإنسانية اعتبارها الذي اغتات أياذى الطغاة الظالمين .

تذكر الرئيس كل ذلك ، فأسرع إلى الأزهر باعتباره قبة المسلمين في مختلف العصور الإسلامية منذ إنشائه كلها حزبه أسر أو

ورسخت في القلوب، وحدانية الله، الذي هو وحده المجدد بأن يخشى وأن يعبد وأن يرجى في الملأ .

وثاني الأمرين : هو الإيمان الراسخ بالمسئولية الشخصية : فكل إنسان مسئول مسئولية كاملة عن أعماله في يوم البعث والنشور .

فلا ينفع الاحتجاج بأن العبد مجبور على ما عمل : « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت ، وهم لا يظلمون » . و « كل امرئ بما كسب رهين » . و « كل نفس بما كسبت رهينة » . « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » . « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وإن كان مثقال حبة من خردل أثمنا بها ، وكفى بنا حاسبين » . إلى غير ذلك من الصور المديدة التي أشاعتها آيات الوحي حول تحديد المسئولية للشخصية وتحصيل الفرد نتيجة أعماله .

ولا ينفع الاحتجاج بالافتداء بالغير : « ولا تزد وازدة وذر أخرى » ، ولو ترى إذا الظالمون موفون هدرهم ، يرجع بعضهم إلى بعض القول : يقول الذين استخفوا الذين استكبروا : « لولا أنتم لكنا مؤمنين » . قال الذين استكبروا الذين استخفوا أنهن صدقناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟ بل

عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، في عصر معرفة من حجة الوداع ، كانت هناك صورة كاملة واضحة في أذهان المسلمين لما أراد الله أن يكون عليه المسلم الحق ، بعد ذلك الصراع العنيف الذي دارت رحاه بين عقائد الجاهليين ، وبين العقيدة الإسلامية . وعندما نبحت عن مقومات تلك العقيدة - كما فهمت في عهدنا الأول - نجد ما تلخص في أمرين كبيرين :

أولهما : توحيد الإله ، والإيمان بقدرته وعظمته ، وأنه ليس في حاجة إلى شريك أو معين . « لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

ثقت ترك ذلك الهدى المائل الذي أحدثته آيات الوحي ، وما تضمنته من صور تهكية بالآوثان وعابديها ، وما أبرزته من هجر هذه الآوثان من كل حركة فضلا عن أنها تقسمو على خلق ، أو نفع أو غير ، ثم ما في المكوف عليها اقتداء بالسالفين من دلالة على ضعف الشخصية ، وإعداد للكرامة الإنسانية ، وما أثارته تلك الآيات من حجاج منطقي سليم حول وحدانية الله تعالى ، وأنه وحده القادر على الحق ... كل ذلك قد هتق على آثار الوثنية ، وأزال فكرة إشراك الأصنام المنحوتة ، الصماء ، العاجزة كل العجز - في العبادة ، أو التعرب إليها ، أو خشيتها ،

يعملون سوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ؛  
 فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليا  
 حكيما . . . وهو الذي يقبل التوبة عن عباده  
 ويعفو عن السيئات . . . قل يا عبادي الذين  
 أسرفوا على أنفسهم لا تقنطروا من رحمة الله ،  
 إن الله بغفر التوب جيبا ، إنه هو الغفور  
 الرحيم . واتيوا إلى ربكم ، وأسلوا له .  
 من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تصرون .  
 واتيوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم ، من  
 قبل أن يأتيكم العذاب بفتنة وأنتم لا تشعرون .  
 أن تقول نقص : يا حسرتنا هل ما فرطت  
 في جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين .  
 أو تقول : لو أن الله هدانا لنكنس  
 من المقتين . أو تقول حين ترى العذاب :  
 لو أن لي كرة فأكون من المحسنين . بل :  
 قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت  
 وكنت من الكافرين . إلى غير ذلك من الصور  
 التي رسمتها الآيات ليوم القيامة ، وما يدور فيه  
 من حوار بين مرتكبي الجرائم ومن أغوهم  
 مثل : « وبرزوا لله جميعا » فقال الضعفاء  
 للذين استكبروا : إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم  
 مغنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا :  
 لو هدانا الله لهديناكم . سواء علينا : أجزعنا  
 أم صبرنا ما لنا من محيص . وقال الشيطان  
 لما قضى الأمر : إن الله وعدكم وعد الحق ،  
 ووعدتكم فأخلفتكم . وما كنز عليكم من سلطان

كنتم مجرمين . وقال الذين استضعفوا الذين  
 استكبروا : بل مكر الليل والنهار ، إذ تأمرونا  
 أن نكفر بالله ونجعل له أندادا . وأمرنا  
 للندامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا الأغلال  
 في أعناق الذين كفروا . هل يحسرون إلا  
 ما كانوا يعملون . . . إذ تبرا الذين اتبعوا  
 من الذين اتبعوا ، ورأوا العذاب ، وتعلمت  
 بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا : لو أن  
 لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرا منا ؟ كذلك  
 يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم . وما هم  
 بخارجين من النار .

إلى غير ذلك من الآيات التي نثرت ذلك  
 الوعي العظيم بالمسئولية الشخصية ، وأن  
 لا طاعة إلا لله ، وإلا في حدود ما أمر به  
 الله . ثم ما كل من أعمال النبي الكريم ،  
 وأقواله الكريمة : فهو دائما متجه إلى الله ،  
 يحرص على أداء ما فرض الله ، ويذكر أصحابه  
 بيوم لقاء الله يوم ( يحشر الناس حفاة هراة  
 غولا ) . حتى قالت السيدة عائشة رضي الله  
 عنها ( أو يرى بعضنا سوء بعض ) ؟ فأجاب  
 الرسول الكريم ( يا عائشة : لكل امرئ  
 يومئذ شأن يغنيه ) .

ولا ينفع الاحتجاج بالانسياق في تيار  
 النفس الأمارة بالسوء ، أو الاندفاع وراء  
 وسوسة الشيطان ؛ فإن باب التوبة مفتوح  
 أمام الخطائين : « إنما التوبة على الله للذين

وشعور كريم بالمساواة بين المسلمين ،  
فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ،  
ولا خضوع أمام ذي جلد من أجل جلده :  
بل الحق يسيطر على الجميع ؛ لا أحساب ،  
ولا أنساب ؛ فالتناس جميعا لآدم ، وآدم  
من تراب .

واستعداد تام للبذل والفساد في نصرة  
الحق ، ونشر رواية مبادئ الإسلام ، فإن نال  
المراء بنفيه ، وانصرف بالشعور بالرضا  
لما آداه من خدمة نحو رفع الإنسانية ،  
ثم العزة والسيادة وإن هو قتل دون غايته ،  
فإنما هي إحدى الحسينين : الشهادة ، والجنة ؛  
ورضوان من الله أكبر .

تلك هي معالم الصورة العامة للعقيدة  
الإسلامية كما فهمها المسلمون الأولون ،  
فשמروا عن ساعد الجدل لشرها ، حتى ذلك  
لهم الصعاب ، ودافعت لمبادئهم السامية  
الرقاب : « فإصروا لما أصابهم في سبيل  
الله ، وما ضعفوا ، وما استكانوا ، والله  
يحب الصابرين » .

وبعد : فإن تلك الصورة باقية هي ، هي ،  
إلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله الأرض  
ومن عليها ، لم يزل لونها ، ولن يلبس الزمان .  
بل إن ذكر الأيام يزيدنا وضوحا وقوة .  
ولكن هل المرء أن يسأل نفسه : أين هو  
من هذه الصورة ؟

إلا أن دعوتكم فاستجيت لي ، فلا تلموني  
ولموا أنفسكم . ما أنا بمصرخكم ، وما أنتم  
بمصرخي ؛ إني كفرت بما أشركتكم  
من قبل ؛ إن الظالمين لهم عذاب أليم .

خرج المسلمون بعد ذلك الصراع العنيف  
بين الشرك والإسلام بتلك الصورة الرائعة  
للعقيدة الإسلامية :

إيمان عميق بوجود إله واحد ، كامل  
القدرة ؛ فلا نصب ترتعى ، ولا حاجة  
إلى وساطة بين العبد وربّه . وإنما هو ميزان  
المطاعة ، وإمثال ما أمر به ، والبعد  
عما نهى عنه .

وشعور كامل بالمسئولية الشخصية ، فإذا  
استوت المراء نفسه إلى فعل شر بعيد عن أعين  
الرقباء ، فسرطان ما يتذكر الكرام الحافظين  
يكتبون ويسجلون كل كبيرة وصغيرة ،  
وسرطان ما تمثل أمامه صورة يوم القيامة ،  
والميزان ، والصراط ، ونطق الجوارح ...  
وإذا بعزيمته تقوى ، ثم تقوى ؛ فإن تغلب  
الشیطان مرة ، فسرطان ما يتذكر باب التوبة ،  
فيندم على ما فرط منه ، ثم يتدم ويأسف ،  
ويستغفر ، ثم يستغفر . وهكذا خلق هذا  
الشعور بالمسئولية من شخصية المسلم إنسانا  
قد جعل بينه وبين المحرمات حجابا ، وحاش  
بين الخوف والرجاء . فكان الإنسان المهذب  
الذي يتقدم المجتمع الرافق .

والصالحين... ثم ما نراه في زماننا هذا من انحياز بعض الملوك والرؤساء من أبناء الأمة الإسلامية إلى جانب أعداء الإسلام والعروبة، يستجدون وغد العيش من يد من يستغلونهم ويسخرونهم لمآربهم الاستعمارية. كأن لم يسمع هؤلاء السادة ما قد جاء في كتاب الله عن أمثالهم إن كانوا حقاً من المؤمنين: «يأياها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولم منهم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين». فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم، يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة. فحسب الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين».

نعم!! لنسأل أنفسنا أولاً، ثم لنسأل التاريخ بعد ذلك، ثم نحكم على مدى ما للفرد أو البعد من هذه الصودة من أثر في شخصية الفرد، وما يترتب على ذلك من شخصية الأمة.

وفقنا الله جميعاً إلى السداد، وهذا صراطه المستقيم

دكتور سعد الدين الجيزاوي

لنسأل التاريخ في مختلف العصور الإسلامية من أمثال أبطال بدر وفتح مكة إبان حياة الرسول الأمين، وعن أبطال الفتح الإسلامية في العراق والفرس والشام وشمال إفريقيا، زمان الخلفاء الراشدين ثم بنو أمية، ثم عن الأبطال الذين تصدوا بعد ذلك لرد عدوان الروم وغيرهم طوال العصر العباسي، ثم عن صلاح الدين الأيوبي، وحطين، وأخيراً عن أبطال بوسعيد في عام ١٩٥٦. وغير أولئك من أبطال القتال في سبيل الدفاع عن العقيدة ونشر الحق.

ثم لنسأل التاريخ أيضاً عن لون آخر من أبطال المبادئ من أمثال أحمد بن حنبل، وابن تيمية، ولعز بن عبد السلام، ثم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم ممن استمسكوا بعقائدهم ومبادئهم غير مباليين بما كان يصيبهم من مكروه؛ لأنهم قد استمدوا قوة شخصيتهم من تلك العقيدة الإسلامية التي طاشوا بها ولها.

ثم لنسأل في الطرف الآخر عن الزمن الذي كان يصيب الأمة الإسلامية في مثل العصر العثماني حين شاعت عقائد الجبر، والقطبانية، والتمثال في التوسل بالأولياء

## مفردات قرآنية : التجارة في القرآن للأستاذ أحمد الشراصي

- ٣ -

ولقد روى ابن كثير في تفسيره هذا الحديث : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلاق : سيعلم أهل الجمع من أولي الكرم ليقيم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل ، ثم يحاسب سائر الخلاق » .

وقال مطر الوداعي : « كانوا يبيعون ويشتررون ، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خففته وأقبل إلى الصلاة <sup>(١)</sup> . ونلاحظ هنا أن الآية قاله : « تجارة ولا بيع ، مع أن التجارة تشمل البيع والشراء ، ولكنه نص على البيع بخصوصه لأن البيع فيه انتظار الربح بمجرد تمام الصفقة بخلاف الشراء فإنه قد يكون لغير الربح ، ولو أريد منه الربح فإن الربح فيه غير عاجل ويقول الزعزعي في تفسير الآية : « فإما أن يريد : لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة ، ثم خص البيع لأنه في الإلهاء

من الملاح الغامرة في حديث القرآن الكريم عن التجارة الخفض على ذكر الله في أثناء الاشتغال بالتجارة ، حتى يكون هذا الذكر عاصماً من الزلل فيها ، ومذكراً بإقامتها على أساس الصدق والفضيلة ، وقد جاء في سورة النور قوله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » .

وقد جاء في تفسير الرازي أن هؤلاء الرجال تجار وباعة ، ومع ذلك لا تشغلهم التجارة عن ربهم ، وقال الحسن : « أما والله إن كانوا ليتجروا ، ولكن إذا جلت فرائض الله لم يلهيهم عنها شيء » ، فقاموا بالصلاة والزكاة . ونظر سالم بن عبد الله إلى قوم من أهل السوق تركوا متاجرهم وذهبوا إلى الصلاة فقال : « هم الذين قال الله تعالى فهم لا تلهيهم تجارة ، وعن ابن مسعود مثله <sup>(٢)</sup> .

(١) تفسير الرازي ، ج ٦ ص ٢٧٧ . وانظر تفسير الطبري ، ج ١٨ ص ١٥٦ طبعة الحلبي .

(٢) تصحيح ابن كثير ، ج ٣ ص ٢٩٦ .

بالمُرصَاد، فيوفيه حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وبمجازيه عليها جزاءه الذي يستحقه (١).

وتفهم من روح الهدى القرآني في هذا المذام أن التاجر عليه أن يستحضر ذكر ربه وهو يباشر تجارته في سوقه، لأن السوق حماتها المعاملات المالية، وهذه الصق بالدنيا وأدعى إلى الانفعال بها، فإذا لم يستحضر التاجر ذكر ربه وسوس إليه الشيطان بكثير مما يحق الدين أو يذهب بالمرودة، ولذلك روى أن الرسول قال: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة». وإنما تتحقق ثمرة هذا الدعاء إذا أثر في قائله تأثيراً حلياً فهداه إلى الخير، وصده عن الشر، وحال بينه وبين مالا يرطاه الله جل جلاله، وأقام تجارته على الحق والصدق والأمانة والتقوى. ومن كلام الحسن: «ذاكر الله في السوق يحيى. يوم القيامة له ضوء كضوء القمر، وبرهان كبرهان الشمس، ومن استغفر الله في السوق غفر الله له بعد أهلها».

وفي ضوء الهدى القرآني للتاجر تعارف الفقهاء والعلماء على طائفة من الآداب التي

أدخل من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بعة رابحة، وهي طلبته الكلية من صناعته ألته مالا يلبيه شراء شيء يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني، لأن هذا يقين، وذلك مظهر؛ وإما أن يسمى الشراء تجارة إطلاقاً لاسم الجنس على النوع، كما تقول: رُزِقَ فلان تجارة رابحة، إذا اتجه له بيع صالح أو شراء (٢).

والقرآن الكريم في سورة النور بعد أن ذكر الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أبان ثوابهم العظيم بقوله: «ليجزينهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب». ثم غضب على هذا بمرض الصورة المتعاقبة، وهي صورة الخاسرين في تجارتهم، فقال: «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظن أن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوداه حياه والله مريب الحساب».

والمعنى أن الظن يأتي نحو السراب ملتصقا ماء يستغيث به من عطشه فلا يجده شيئاً، وكذلك الكافرون، يحسبون أن أعمالهم الفضالة تنجيهم من عذاب الله، حتى إذا هلكوا وصاروا إلى الله لم يجدوا أعمالهم نافعة لهم شيئاً، وهناك يجد الكافر ربه

(١) انظر تفسير ابن جرير، ج ١٨ ص ١٥٨.

(٢) تفسير الكشاف، ج ٣ ص ٧٥.



ولقد قال بعض السابقين : ( أتى على الناس زمان كان الرجل يدخل السوق ويقول : من ترون له أن أحامل من الناس ؟ فيقال له : حامل من شئت ، ثم أتى زمان آخر كثرا يقولون : حامل من شئت إلا فلانا وفلانا ، ثم أتى زمان آخر فكان يقال : لا تعامل إلا فلانا وفلانا ، وأخشى أن يأتي زمان يذهب هذا أيضا ) ١ .

ويطلق الغزالي على هذا الكلام بقوله : ( وكأنه قد كان الذي يحذر أن يكون ، إنما قد وُلِّدَ إليه راجعون ) ١١ .

وإذا كان الغزالي قد قال هذا — وهو قد مات سنة خمس وخمسة — فإذا يقول الذين أتوا بعده عن أدركوا جهود الظلم والمظالم ؟ ما أخرجنا هنا أن نذكر على الدوام ذلك التعريض النبوي البليغ الموجع الذي يقول فيها يرويه البخاري والقسائي : ( يأتي على الإنسان زمان لا يبالي بمأخذ المال : أم حلال أم من حرام ) ١ .

ومن الواضح وضوح الشمس أن القرآن يجمعه بين التجارة وذكر الله ، وبمجه على تجنب التلوي بالتجارة مهما كانت مفيدة عن أداء واجبات الله عز وجل ، يريد ألا يجعل التجارة عملية مادية دنوية خالصة ، بل يريد أن يعمرها بالفضل الأخلاقي والوازع الديني ، حتى لا تكون مجال ظم

يفنى التاجر أن يحرص عليها ، ومن هذه الآداب أن يقصد بالتجارة إغناء النفس والأهل والاستغناء عن الحاجة ومعاونة الغير وبذلك يكون ساعيا في سبيل الله ، وأن يفضل الاتجار في السلعة الهامة التي يحتاج إليها الناس ، حتى ييسر لهم أسباب الحياة ، والرسول يقول : « الجانب مرزوق » ، ويقول الغزالي في حق التاجر : « ليعتغل بصناعة مهمة ليكون في قيامها كافيا عن المسلمين مهما في الدين » ( ٣ ) .

ومن آداب التجارة في الإسلام ألا يستغل التاجر فرص الاضطراب عند الناس ، فيتعمد فيهم أو يستبد بهم أو يقتطع معهم ، وقد قال الإمام علي محذرا من ذلك : « سيأتى على الناس زمان ضوض ، يعض الظالم على حاف يديه ولم يؤمر بذلك ، قال تعالى : « ولا تنسوا الفضل بينكم ، ويباع المضطرون وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر » .

ومن آدابها المياسرة والسهولة والسباحة ، والحديث يقول : ( رحم الله امرءا سهل البيع سهل الشراء ، سهل القضاء ، سهل الاقتضاء ، ويقول : ( اسمح بسمح لك ) .

ومن آدابها الأمانة ، وهذه صفة غالية نادرة ، يتلصقها القيور على سعادة المجتمع ،

والميامرة في البيع والشراء ، فليس معنى هذا أن يتقف الإنسان نفسه موقف المغبون في الاتجار ، بل له أن يحقق ويدقق ، وكلا لا تحب أن تظلم غيرك ، ينبغي ألا تقبل أن يظلمك غيرك .

ولقد وصف بعضهم مهارة عمر بن الخطاب في أمور البيع والشراء فقال : « كان أكرم من أن يندع ، وكان أحقل من أن يندع ، ١ » وكان الحسن والحسين وغيرهما من السلف الصالح يدققون في الشراء ، ولا يرضون أنه يغبهم أحد فيه ، ولو كان موطن الغبن قليلا ، وكانوا مع ذلك يعطون الجزيل طواعية واختيارا .

وقيل لبعض السلف : تستعصى في شرائك على البسر ، ثم تهب الكثير ولا تبال ؟ فقال : « إن الواهب يعطى نفسه ، وإن المغبون يغبن عقله » ١ .

وعلى التاجر أن يتجنب معاملة الظلة والآمين والمرايين والخوة . يقول الغزالي : « الواجب أن ينظر التاجر إلى من يعامله ، فكل منسوب إلى ظلم أو خيانة أو سرقة أو ربا فلا يعامله ، وكذلك الأجناد الظلة لا يعاملهم البتة ، ولا يعامل أصحابهم وأهواتهم ، لأنه معين بذلك على الظلم » .

ولا يكتفى حجة الإسلام في هذا الباب بأن يتجنب التاجر ما هو واضح الإثم أو ظاهر

أو خيانة أو تصير أو سوء استغلال ، وإذا كانت القاعدة الإسلامية تقول : « الدين المعاملة » ، فمعنى ذلك أن المعاملة يجب أن تكون مهتدية بهدى الدين الداعي إلى الأمانة والسهولة والبسر ، والمحرص على الورع وتجنب الآثام والشبهات ؛ ولقد قال عمر لرجل في قضية : اتقني بمن يعرفك . فأناه بـرجل فأتني عليه خيرا . فقال له عمر : أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه ؟ قال : لا . فقال عمر كنهه رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ فقال : لا . قال : فصامته بالدينار والدرهم الذي يستبين به روح الرجل ؟ فقال : لا . قال عمر : أظنك وأيته فأنا في المسجد يهيمهم بالقرآن ، يخفض رأسه مرة ويرفعه أخرى ؟ قال نعم . قال عمر اذهب فلسه تعرفه . ثم قال الرجل صاحب القضية : اذهب فأتني بمن يعرفك . وقال بعض الأولين : « إذا أتني على الرجل جيرانه في الحضر ، وأصحابه في السفر ، ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه » . وقال أحد الشعراء :

لا يفرئك من المراء قيص رفته  
أو إذا رفوق كعب الساق منه رفته  
أوجبت لاح فيه أثر قد أظلمه  
ولهى الدرهم فانظر غيه أو ورعه  
وإذا كن الهدى الإسلامي يدهو إلى السهولة

الإحسان ، ثم فقه التزام وظائف الدين والاعتصام بروحه ونوره ، فن اقتصر على العدل في معاملته كل من الصالحين ، وإن أضاف إليه الإحسان كان من المقربين ؛ وإن واعي مع ذلك وظائف الدين كان من الصديقين (١) وما بين من العنصر الأخلاقي أو الرافع الديني الذي يجب أن يتوافر باسم الإسلام في التجارة أن يقرر الفقهاء أنه يلزم للشغل بالتجارة العلم بأحكام الإسلام في المسائل التي يتعرض لها في التجارة كالبيع والربا والإجارة والسلم والقراض والشركة ، وفي هذا يقول الفزالي عن التاجر : « اعلم أن تحصيل علم الباب - باب علم الكسب - واجب على كل مسلم مكنته ، لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وإنما هو طلب المحتاج إليه والمكنته - بطريق البيع والشراء - يحتاج إلى علم الكسب ، ومهما حصل علم هذا الباب وقف على منسبات المعاملة فيتحققها ، وما شذ عنه من للفروع المشكلة فيقف على سبب إشكالها ، فيتوقف فيها إلى أن يسأل ؛ فإنه إذا لم يعلم أسباب الفساد يعلم جلي ، فلا يدري متى يجب عليه التوقف والسؤال ، وله قال : لا أقدم العلم ، ولكنني أصبر إلى أن تقع لي الواقعة ، فعندما أعلم وأستفي ؛ فيقال له : وبيم تعلم وقوع

الظلم ، بل يطالب بالابتعاد عن مواطن الشبهات والأمور التي تتضمن الريبة أو احتمال الإثم والانحراف ، فراه حينما يمدد الأمور التي تم بمرعاتها ، شفقة التاجر على دينه ، يقول في الأمر السادس منها : السادس ألا يقتصر على اجتناب الحرام ، بل يتق مواقع الشبهات ومواطن الريب ، ولا ينظر إلى الفتاوى ، بل يستفي قلبه ، فإذا وجد فيه حزاذا اجتنبه ، وإذا حصل إليه سلعة رابها أمرها سأل عنها حتى يعرف ، وإلا أكل الشبهة وقد حمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبن ، فقال : من أين لكم هذا ؟ فقالوا : من الفاء ؛ فقال : ومن أين لكم هذه الفاء ؟ فقيل : من موضع كذا فشرب منه ، ثم قال : إنا معاشر الأنبياء أمرنا ألا نأكل إلا طيبا ، ولا فعل إلا صالحا (٢) ، وقال : إن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصل الثمن ، وأصل أصله ، ولم يرد ، لأن ما وراء ذلك يصحده (٣) .

ولا ينسج حجة الإسلام في غائمة اللطاف أن يخص على أن المقام هنا ذو درجات بعضها فوق بعض ، وأولها العدل ، ثم فوقها

(١) ذكر الإمام العراقي أن هذا الحديث من حديث أم عبد الله أخت عبيد بن أوس يستدعي

(٢) إحياء علوم الدين ج ٢ ص ٧٨ .

(٣) المرجع السابق ص ٧٩ .

الانحراف عن العدل والأمانة ، وحينما صور القرآن عباد الرحمن بأنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، أراد أنهم في تجارتهم ومعاملاتهم يكونون دائماً موصولين بأسباب عالمهم وبارئهم الذي يوجب عليهم أن يكونوا أخياراً أطهاراً ، والرسول يقول : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » .

وإذا كان القرآن قد قال عقب هذا في وصف عباد الرحمن المتاجرين : « يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار » ففنى هذا أنهم يراقبون ربهم في كل كبيرة وصغيرة من معاملاتهم ، وليس وراء ذلك تأكيد للعصر الأخلاقي والوازع الديني في مجال التجارة كما يرسم حدودها القرآن الكريم .

أهمهم الشرباوى

الواقعة إذا لم تعلم بحمل مفردات العقود ؟ فإنه يستمر في التصرفات ويظنها صحيحة مباحة فلا بد له من هذا القدر من علم التجارة ، لينتبه له المباح من المحظور ، وموضع الإشكال عن موضع الوضوح ؛ ولذلك دوى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يطوف السوق ويضرب بعض التجار بالجرة ، ويقول : لا يبيع في سوقنا إلا من يفقه ، وإلا أكل الربا شاء أم أبى ، (١) .

ولا شك أن الفرض الأول والأخير من الوقوف على أحكام الدين في العقود والمعاملات هو أن توضع هذه العقود والمعاملات تلك الأحكام ، فتقزم بحدودها ، وتتقيد بقيودها ، وجوه هذه الأحكام قائم على تصفية المعاملات من كل ما يشوبها بشائبة

(١) المرجع ، السابق ، ص ٥٩ .

من الشعر الجيد لحديد بن الصمة قوله :

أمرتهم أمرى بمنعرج القوى      فلما عصوني كسنتهم وقد رأى  
فلم يستقينوا الرشداً إلا غيى الغد      وهل أنا إلا من غرية إن غوت  
غوايتهم وأنى غير مهتدى      غويت وإن ترشه غزية أرشد

# الإسلام في بورما

للأستاذ عطيته صقر

وأساس السعادة عنده هي المحافظة على تزاميس ، وأهمها عدم القتل ، وعدم الزنا ، وعدم الكذب ، وعدم تناول المسكرات القديسة وأساس الآداب هو تجنب كل شر ، وحمل كل خير ، ورياضة الفكر تكون بالتأمل في براهما خالق الكون ، وبيع الدين البوذي تعدد الزوجات بدون حد ، وإن كان أغلب البوذيين يقتصرون على زوجة واحدة ، والزواج سهل الإجراءات ، وإذا حدث شقاق يفرق الزوجان ، غير أن هذا الافتراق لا يحد طلاقاً إلا إذا مرت عليه ثلاث سنوات دون أن يحدث بينهما مخاطب حتى بالرسائل ، ومع ذلك فالطلاق نادر جداً ، لأن معظم حالات الزواج ناجحة .

ومن العادات الشائعة في بورما والتي هي ظل لدين البوذي كثرة الأعياد، ومن أهمها .  
١ - عيد رأس السنة البوذية ، وهو يحل عادة في شهر أبريل ويستمر أربعة أيام ، يرقص فيها الشعب في الشوارع ، ويرشون المياه الممطرة بعضهم على بعض .

٢ - عيد بوذا ، ويبدأ في منتصف شهر يونيو وينتهي في أكتوبر ، ومظاهره عظيمة

في الجنوب الشرق انارة آسيا وفي الجزء الذي كان يسمى قديماً بالهند الصينية تقع جمهورية بورما Burma التي تحدها شمالاً بالصين واثبت ، وشرقاً ببنام وبعض الممالك ، وجنوباً بخليج البنغال ، وغرباً بباكستان ، وتبلغ مساحتها ٧٨٩ و ٢٦١ ميلاً مربعاً ، يسكنها حوالي عشرين مليوناً ٧٠ ٪ منهم برميون المنحدرون من قبائل المغول ، التي هاجرت إليها منذ زمن بعيد من غرب الصين واثبت ، كما هاجر إليها كثير من الهنود والصينيين ، ويميش فيها حوالي عشرة آلاف أوربي .

والدين الرسمي في هذه الجمهورية هو البوذية ويتبعه نحو ٨٥ ٪ من السكان .

وهذا الدين منسوب إلى مؤسسه ( بوذا ) الذي ولد بشمال الهند في القرن السادس قبل الميلاد ، وقد نشأ في بيت ملك ولكنه هرب من حياة الترف وآثر الخلوة والزهد والتفكير على مبادئ الدين البرهمي ، الذي عمل على تهذيبه ، واجتهد في نشره حتى توفي حوالي ٤٨٨ قبل الميلاد ، وهذا الدين يقول بخلود الأرواح والتناسخ ، والجوار بعد الموت ،

مديقي ، مندلاي ، وداكياب ، ٧٠٪ من المسلمين برمويون يتبعون طادات السكان الأصليين في ملايهم ومساكنهم ولقنتهم البرموية وهي لغة سهلة بقول الخبراء إنه يمكن تعلمها في مدة قصيرة لقلة حروفها . ومن المسلمين أيضا جاليات هندية وأخرى صينية . وهم على العموم يقسمون أنفسهم إلى أربع مجموعات حسب أصولهم ومنهم التي يزاولونها في بورما . وهذه المجموعات هي :

١ - Souratias وهم المهاجرون من Surat بالهند . وهؤلاء هم ملاك الأراضي وأصحاب المصانع وتجار الجبل في بورما .

٢ - Memans ، وهم المهاجرون من Mathlawar ، وهؤلاء يشتغلون بالاستيراد والتصدير .

٣ - Cholyas ، وهم المهاجرون من Madras . وهؤلاء نشاط كبير في تجارة التمر .

٤ - Zair Badi وهؤلاء هم الذين استوطنوا بورما ، واعتبروا أنفسهم كأهلها الأصليين . وتلعب العنصرية بين هذه المجموعات دوراً كبيراً فالهنود في جانب ، والبرمويون المسلمون في جانب آخر يشعرون بصلّة أشد نحو البرمويين البوذيين ، وليس هؤلاء الآخرين من النفوذ والسلطان ولأمن التعليم مالهينود الذين نجحوا نجاحاً كبيراً في الميادين الاقتصادية والسياسية

خصوصاً في المعبد الأثري الضخم الذي شيّد في ( رانجون ) عاصمة البلاد ، منذ ألفي سنة ، ويبلغ ارتفاعه ٩٦ متراً ، تغطيه قشرة سميكه من الذهب .

٣ - عيد الصواريخ ، ومن تقاليد أن يتبع الأهل في بلادهم ، لا يغادرونها لمدة ثلاثة أشهر .

وإلى جانب الدين البوذي توجد الوثنية التي تقوم على عبادة الآباء والأجداد ، وتبتمها نحو ٥٠٪ من السكان ، كما توجد الهندوسية ، التي يدين بها نحو ٥٠٪ أيضاً ، وهي أشبه بالذهب الفلسفي ، حيث لا يوجد لها نبي معين ولا كتاب مقدس ، ومن مبادئها القول بظهور الروح وحرية الفرد في اختيار سبيله في الحياة .

أما الإسلام فيدين به ٥٠٪ من السكان أي حوالي مليون نسمة . وقد دخل الإسلام إلى هذه البلاد كما دخل « تايلاند » والمالايك المجاورة عن طريق الدول الإسلامية المحيطة بالمنطقة وأخصها الهند . وقد انتشر الإسلام في أيام الحكم المغولي الذي سيطر على الهند من سنة ١٥٢٦ - ١٨٥٧ م .

ولست هناك إحصاءات دقيقة تبين نسبة توزيع المسلمين في البلاد ، ويوجد نحو ١٥٠ ألف مسلم في رانجون ، العاصمة ، التي يسكنها نصف مليون نسمة . كما يوجد كثير منهم في

جميع الطوائف يسمى: Religious Affairs Council وهو تحت إشراف وزير العدل بحكم منصبه. وفي المسلمين عدد لا بأس به ارتق مناصب عليا في الدولة، كما سذكره بعد. والتعليم العام في الفتوة مجاني ومختلط في جميع المراحل، وبها جامعتان إحداهما في «وانجون» والأخرى في «متدلاي»، وتضم الجامعتان كل أنواع الكليات المعروفة. غير أن التعليم الديني غير موجود في مدارس الحكومة، ولهذا اضطر المسلمون إلى إنشاء مدارس لتعليم الدين الإسلامي، غير أن أكثرها يشبه «الكتاتيب» وهي ملحقة بالمساجد، ويوجد نحو ٥٠٠ مدرسة ابتدائية وثانوية، ومدرسة خاصة للبنات.

وقد أنشئت مدرسة «دار العلوم» سنة ١٩٣٦، وكانت بها نحو ٥٠٠ تلميذ سنة ١٩٥٨، نصفهم داخل، وهم يحفظون بعض القرآن دون أن يفهموا معناه، وتعتبر هذه المدرسة مرحلة دراسية إسرائيلية عالية، وهي تقوم في ضواحي «وانجون» ويرأس مجلس إدارتها المفتي الأعظم للمسلمين، ولها مدير أو شيخ كما يقبلونه، ويلتحق البنات بهذه المدرسة، ولكنهن ينادرنها عندما يبلغن سن التاسعة، ويدرس بها القرآن وتفسيره والحديث والأدب وأصول الفقه، والمنطق والمنهضة واللغات الأوردية والإنجليزية.

والاجتهادية. ومن أهم أسباب النزاع بين المسلمين والبوذيين ذبح الحيوان، فهو محرم عند البوذيين، وبشت هذا النزاع بنوع خاص في المواسم والأعياد حيث يكثّر ذبح الحيوان. وفي الهند طبقة مثقفة وافية، فهم الأطباء والمحامون وأعضاء البرلمان والأحزاب المختلفة، ومنهم أساتذة في جامعة وانجون، في الطيعة والكيمياء، وفي الرياضة وعلم النفس، ودرجته قسم الأتروفلوجي في هذه الجامعة سيدة مسلمة، وهناك مجموعة كبيرة من الطلبة المسلمين والمسلمات، وعدد كبير من خريجي الجامعة من النساء يشتغلن بالطب وغيره.

وغير الهندو مستوأم المادي كالبوذيين تماما. يقل عن الهندو بكثير، وأهم أعمالهم الزراعة والحرف البسيطة، وإن كان منهم عدد من أعضاء البرلمان.

والحكومة متسامحة مع المسلمين، ولهذا يؤثرون ألا يكونوا حزبا سياسيا خاصا، حتى لا يعتبروا متفصلين عن الغالبية. وهم ياملون بالقانون الإسلامي في الأحوال الشخصية، وهناك حالات من تعدد الزوجات ولكنها قليلة، كما أن الطلاق نادر أيضا تدونه بين البوذيين. والمرأة المسلمة على العموم تنال حظا وافيا من التعليم. وفي الحكومة قسم خاص يرعى الشؤون الدينية

في «دائجون» ، ٣٦٥ سجدا كما يوجد في «أكياب» ، ٥٠ سجدا ، ومن أشهر الجمعيات هناك :

١ - الجمعية الإسلامية ، ويرأسها السيد / محمد رشيد ، وكان وزيراً للتجارة ، والجمعية تشرف على ترجمة القرآن بمعاونة الحكومة ، كما تشرف على ملجأ للأيتام بضم نحو ٦٠ تلميذاً ، نصفهم من مدرسة «بورما الإسلامية العليا» .

٢ - جمعية الطلبة المسلمين ، ولها مجلة سنوية ، وأهدافها ثقافية محضة وتلقى عاضرات أسبوعية .

٣ - جهة العلماء وهدها ، نشر الدعوة الإسلامية بين المسلمين .

وهناك مستشفى إسلامي في «دائجون» ساعدت الحكومة المصرية في بنائه .

ومن أبرز الشخصيات الإسلامية :

١ - السيد / محمد رشيد ، رئيس الجمعية الإسلامية ، وعضو جهة العلماء ، وثقافته قانونية .

٢ - السيد / موسى ماذا ، وهو من سرة المسلمين ويحرص على النهوض بالتعليم .

٣ - السيد / مولانا هاشم ، سكرتير الجمعية الإسلامية ، وهو من التقدميين ؛ ويشرف على ترجمة القرآن ، كما يشارك في جميع المؤسسات الإسلامية .

وقد اتجه المسلمون أخيراً إلى إعادة فتح الكتائب التي أغلقت أكثرها لفلة مواردنا المالية وضعف مستوى القائمين على التعليم فيها ، كما اتجهوا إلى إنشاء مدارس إسلامية تدريس البرامج التي تضعها الدولة لمدارسها ، ثم تدريس الدين في غير أوقات الدراسة العادية . ومن هذه المدارس مدرسة خاصة للبنات ، كما توجد مدرسة في «أكياب» تسمى «تكميل العلوم» ومدرسة في «بوتشي دنج» يؤمها الطلبة من أقصى البلاد ، ومدرسة «إشاعت إسلام» في «نول» ، وعلى العموم مستوى التعليم الديني ضعيف جداً .

وجميع المسلمين في بورما من أهل السنة ، ويعتبدون على مذهب الإمام أبي حنيفة بما يقوى الصلة بينهم وبين الهند ، التي تصدر لهم ثقافتهم خصوصاً من المنطقة الجنوبية . وهم شارهون في ترجمة القرآن إلى اللغة البرمية . والمسلمون فريقان : رجميون وتقدميون ، ويتزعم الأولين من نعلوا في جنوب الهند في «شهرانفور» وهم متشددون في المظاهر ، يعارضون التجديد كالأكل بالملاق وحلى الموائد ، وكاستعمال مكبرات الصوت في المساجد ، والآخرين يثبون روح التقدم بين الشباب عن طريق الثقافة والمعارضة بين الفريقين شديدة .

في بورما مساجد كثيرة يوجد منها



ووفدت أول بعثة من طلاب بورما إلى الأزهر سنة ١٩٥٦، وكانت مكونة من طالين تخرجاً من مدرسة دار العلوم التي أشرنا إليها ويبلغ عدد الطلاب اليوم في الأزهر ٦ ، يتقاضى كل منهم ٨ جنيهات شهرياً إلى جانب الرعاية الطبية والثقافية والاجتماعية .  
هذه لمحة يسيرة عن المسلمين في بورما أودع أن تلقى بعض الضوء على إخواننا في هذه المنطقة التي تفصلنا عنها المسافات الطويلة ، لزيد صلتنا بهم عن طريق الرابطة الروحية إلى جانب الرابطة السياسية ، والأمل كبير في الأزهر بعد تطوره أن يزد من عنايته بالمسلمين في هذه المناطق التي تتجاذبها التيارات السياسية والفكرية ، والتي نشطت فيها الدعاية الصهيونية لتشويه سمعة البلاد والمسلمين بالمقدمات الإسلامية بخاصة ، والله هو الموفق والمعين ؟

### ملحة مصر

٤ - السيد / يوسف ، رئيس الفرقة التجارية الإسلامية في بورما .  
٥ - السيد / لطيف ، وزير الشؤون الشرعية في رانجون ، وقد زار مصر .  
٦ - شيخ الإسلام توان سوناس ، وقد اشترك في مؤتمر الدراسات الإسلامية في لاهاور سنة ١٩٥٧ بكلمة عن الاجتهاد .  
٧ - الشيخ عبد الله رشيد ، وكان خطيباً لمسجد رانجون سنة ١٩٣٧ ، وقد أرسل طلباً إلى الأزهر لإيفاد بعثة تزور بورما ، على غرار البعثة التي زارت الهند .  
٨ - الأستاذ عبد المعين ، وله نشاط في نشر الدعوة الإسلامية ، وترجم بعض كتب الشيخ أشرف على النهاوى إلى اللغة البرموية .  
وجمهوريتنا على صلة طيبة ببورما ، وقد أرسل الأزهر اثنين من علمائه إلى الملايو وقد زارا هذه البلاد وتفقدوا الشؤون الدينية والطبية فيها .

من شعر ابن بسير الرياشي الذي سار له في العرب والعجم قوله :

لولا البنية لم أجزع من العدم	ولم أجب في الليالي حنّس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرقه	ذل اليتيمة يحفوها ذرو الرحم
أخشى فظافة هم أو جفاء أخ	وكنت أخشى عليها من أنى الكلم
إذا تذكرت بقي حين تدينني	جرت لسيرة بقي عبرتي بهم

# دراسات في علم المعنى

## «التيمنيك»

للدكتور كمال بشر

(تمة ما نشر)

التفريق أو الفصل بين هذين المنصرين ، بحيث يجوز النظر إلى كل منهما منفصلاً عن صاحبه ، إن صح هذا التفريق أو الفصل في بعض العلوم فإنه لا يصح في الدراسات اللغوية بحال من الأحوال ، ألم تقرر من قبل أن اللغة نتاج عقل الإنسان وجسمه معاً ؟ إذا ثبت هذا ، فأنت أن تفرق بين عناصر صاحب اللغة وهو الإنسان ؟

٤ - يلزم من كل ما تقدم أن الأحداث اللغوية - كلمات كانت أو عبارات أو جمل - هي الأخرى وحدات متكاملة الأجزاء ، ومن ثم لا يجوز لنا أن نفصل عناصرها الصوتية أو اللفظية من عناصر المعنى أو المضمون فيها ، وعلى هذا ليس لنا أن نخصص قروفا معينة من علم اللغة لدراسة الجانب الأول ، وقروفا أخرى للنظر في الجانب الثاني ، كما فعل بعض الدارسين من اللغويين .

٥ - « الإنسان » جزء من بيئته التي يعيش فيها ، وهو مثل صحيح لها ؛ إذ تنعكس فيه كل خصائصها من عادات وتقاليده ومن هذه العادات لغة القومية التي يراعى فيها - بطريق الشعور أو اللاشعور - كل النماذج

بتحدد الإطار العام الذي رسمه فبرث للبحث اللغوي بمجموعة من الخطوط العريضة التي يهتما منها في هذا المقام ما يلي :

١ - اللغة ظاهرة اجتماعية ، شأنها في ذلك شأن العادات والتقاليد ، وهي من صنع الإنسان وابتكاره ، ومن ثم فهي لصيقة به وقريبة إليه ، بل هي جزء من معناه الذي لا تدرك حقيقته إلا بها . فأنت عربي ، لا بالدم والجنس ، وإنما بمجموعة من الخصائص والمميزات ، منها أنك تتكلم اللغة العربية .

٢ - اللغة بهذا المعنى هي نتاج الإنسان وعصوه الأمضى في المجتمع المعين ، ولكنها نتاج عقله وجسمه معاً ، وليست نتاج عقله فقط كما يظن البعض ، إن كل جزء فيك له دوره المعين ووظيفته الخاصة في إصدار هذه الأصوات التي نسميها لغة ، والتي ندركها - أول ما ندرك - عن طريق الفم وغيره من الأعضاء التي سميت تجاوزاً أعضاء النطق .

٣ - هذا الإنسان في نظرنا وحدة متكاملة للعناصر والجوانب ، إن تكوينه من عنصرى المادة والروح أو الجسم والعقل لا يعنى

٦ - ثبوت وحدة العناصر وتكاملها للإنسان ولكل ما يصدر عنه من أصوات لغوية - سواء أحييتها أحياناً أم لغة أم كلاماً - يقتضى أن منهج البحث في اللغة هو الآخر ذو وحدة متكاملة الجوانب والمبادئ. ومن ثم قد اشترطنا منذ البداية - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - أن يكون طريقنا في الدراسة طريقاً لغوياً معضاً ، لا نقوياً أية شائبة من التفكير المنطقي أو الفلسفي أو النفساني أو غير ذلك من أنواع التفكير التي قد تؤدي إلى الازدواج أو الثنائية في مبادئ هذا المنهج وأساسه .

أما جوانب هذا المنهج المتكامل فتتمثل في مجموعة من الخطوات الرئيسية التي يؤدي بعضها إلى بعض والتي يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً من نوع ما . هذه الخطوات هي ما اصطلاح عن تسميتها بفروع علم اللغة . وهذه الفروع في نظرنا هي :

- ١ - علم الأصوات العام phonetics .
- ٢ - علم الأصوات التنظيمي phonology .
- ٣ - علم الصرف morphology .
- ٤ - علم النحو syntax .
- ٥ - المعجم أو الدراسة المعجمية .

lexicography أو lexican

٦ - علم المعنى ( الاجتماعي ) semantics وواضح من هذا التقسيم أن علم المعنى ليس إلا قرناً واحداً أو خطوة واحدة من خطوات

والقواعد التي تعارف عليها هذه البيئة ، والتي أصبحت جزءاً من مقوماتها الاجتماعية ، ومعنى هذا أنه لا فرق من الناحية العملية بين لغة الفرد ولغة الجماعة التي ينتمى إليها ، وإن صح القول بوجود فروق فهي فروق ثانوية ترجع إلى خصائص الفرد وميذاته الجسمية والعقلية ، ولكنها لا تمس من قريب أو بعيد جوهر اللغة أو خصائصها الأساسية التي جعلت منها لغة عربية أو إنجليزية أو فرنسية أو أية لغة أخرى ، على حسب ما تكون الحالة المعينة . وهذه الحقيقة نقودنا إلى القول بعدم التفريق بين ما سماه البعض « اللغة » language وما سماه « الكلام » speech ، قاصدين باللغة تلك القواعد والنظم اللغوية المخزونة في ذهن الجماعة المعينة ، وبالكلام تلك الأحداث والأصوات الفعلية الصادرة من المتكلم الفرد . بل إننا - كما سبق أن ذكرنا أكثر من مرة - نسكر هذا التفريق ، لأنه - بالإضافة إلى عدم اعتداده على أسس حقيقية - يتضمن فكرة « الثنائية » في الكلام الإنساني ، تلك الثنائية التي تعني أن أحد جانبي هذا الكلام جانب عقل أو نفسي وأن الجانب الآخر جانب مادي أو ميكانيكي . إننا ننظر إلى الكلام الإنساني على أنه وحدة متكاملة العناصر ، وليس من الجائز لنا أن نقصص هذه العناصر بعضها عن بعض في الدراسات اللغوية .

للحدث اللغوي ، وهو بهذا الكشف يكون قد بين في الوقت نفسه جزءا من المعنى اللغوي العام لهذا الحدث ، ثم يأتي من بعده علم الصرف فيبنى دواسته على نتائج سابقة ، ويضيف إليها حقائق جديدة تقرب الشقة بينه وبين العلم الذي يليه ، وهكذا يقوم كل علم بدوره المميز في هذا الشأن حتى نصل إلى علم المعنى أو السيماتيك الذي تكون وظيفته حينئذ البحث في الجزء الباقي من المعنى ، وهذا الجزء - وهو ما نطلق عليه المعنى الاجتماعي - يستخلص ويستفاد من الحدث اللغوي بطريق الاستعمال الحلي في السياقات المختلفة ، ولا بد لنا عند استخلاص هذا المعنى الاجتماعي من مراعاة ظروف الموقف وملابساته ، وما يرتبط بذلك من أحوال المتكلمين والسامعين وعلاقتهم بعضهم ببعض كما ينبغي علينا أن نوجه اهتمامنا إلى ما يتميز به الكلام من صفات صوتية كالنغم والنبر ، وإلى ما يصحبه هذا الكلام من إشارات جسمية كتشريك اليدين أو العين أو من الرأس إلخ . كل هذه الاعتبارات ضرورية وحتمية في دواسته المعنى على مستوى اجتماعي ، وكلها عوامل ذات أهمية بالغة في تحديد المعنى المراد بدقة ووضوح فالعبارة الدارجة يا سيدي ، مثلا ، حين تؤخذ منعرة عن سياقها ومقامها قد لا تعني شيئا أو قد تعني معاني كثيرة غامضة غير محددة . ولكنها حين تدرس في سياقها

يبحث في اللغة ، وأن العلاقة بينه وبين غيره من الفروع ليست إلا علاقة التند بالتند ، وبهذا يتقن كونه أصلا لهذا الغير أو قابعا له على ما يزعم بعض اللغويين . إن هذه الفروع جميعا تتصارى من حيث الأهمية والمكانة ، وليس أحدها بأولى ولا أهم من الآخر في الدراسة ، إذ أن لكل منها وظيفته الخاصة ودوره المميز في البحث اللغوي ، وهذا الترتيب الذي وضعه فيه ليس ترتيب رتبة أو منزلة ، وإنما هو ترتيب روحي فيه التيسر على الباحثين ، حيث إن كل فرع منها يمد خطوة مهيمة لما يأتي بعده من فروع ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الفروع - بالرغم من انفراد كل منها بدور معين - تعمل كلها في سبيل الوصول إلى هدف عام واحد ، ذلك الهدف هو بيان حقائق اللغة المدروسة أو هو - حل أحد تعبير قيرث - بيان المعنى اللغوي للأحداث الكلامية ، والمعنى اللغوي عنده ليس شيئا غموضا في الذهن أو في العقل أو علاقة بين الشيء وفكرته ، وإنما هو عبارة عن مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية ، وهذه الخصائص والمميزات لا يمكن النظر فيها دفعة واحدة ، ولا يقوى حل دراستها علم واحد من علوم اللغة ، وحل هذا كان من الضروري أن نسمي الدراسة على مراحل أو خطوات يسلم بعضها إلى البعض الآخر ، فلم الأصوات بنوعيه مثلا يتولى الكشف عن الخصائص والمميزات الصوتية

وفي هذا ما يدل على أن فيرث يرى أن كل فرع من فروع علم اللغة يصبح أن يسمى « علم معنى » بدون أداة التعريف ، وهذا بالطبع يطبق على لسانياتيك ، الذي تقلنا إلى العربية باسم : « علم المعنى » بذكر الأداة . فذكر أداة التعريف في المصطلح العربي إذن إنما جاء ليقابل المفهوم المشهور من المصطلح العربي « السيميائيك » Semantics عند المدارس الأخرى التي ترى أنه هو العلم الوحيد الذي يدرس المعنى ، أي بالمدلول الذي ارتضوه ، ومن ثم رأينا - عند الكلام هل رأى فيرث في هذه القضية - أن تمتص المصطلح العربي بالامتصاص : « الاجتماعي » ، للتفريق بينه وبين غيره من الفروع . ولبيان دوره المخصص له في دراسة المعنى .

الحقيقة الثالثة : إن دراسة المعنى على مستوى علم المعنى الاجتماعي أو السيميائيك تختلف عن دراسته على مستوى المعجم فالعلاقة بين المعنى الاجتماعي وبين مرحلة المعجم إذن ليست علاقة الترادف ، كما يظن بعض الدارسين ، وليست علاقة المصطلح والخصوص كما يرى البعض الآخر ، على ما ستبينه بشيء من التفصيل في فرصة أخرى .

دكتور كمال بشر

مدرس علم اللغة العام

بكلية دار العلوم

ومقامها قد نعني هرد النداء ، أو الإعجاب أو الاشتزاز أو غير ذلك من المعاني المحددة الدقيقة . ولا شك أن دراسة المعنى على مستوى السيميائيك - بهذا المفهوم الذي المعنا إليه - يختلف عن دراسته على مستوى المعجم ، فالمعجم كما هو معروف - إنما يعنى بالمعاني العامة للكلمات ، ولا يهتم عادة بالمعاني الدقيقة والألوان الأخرى التي تستفاد من المواقف الحية . لذا نذكر أن بعض المعاني التي يسجلها المعجم قد تكون مستخلصة من سياقات معينة ، ولكنها بمرور الزمن وتطور الاستعمال تتحول إلى التعميم والإبهام لال إلى التحصيل والوضوح . من كل ما تقدم تبرز لنا ثلاث حقائق مهمة . أولاً : إن علم المعنى ( الاجتماعي ) أو السيميائيك عند فيرث لا يمدو أن يكون جزءاً من كل وله صفات هذا الجزء من حيث التسمية والاستقلال .

الحقيقة الثانية : إن كل علوم اللغة بلا استثناء هدفها الوصول إلى المعنى اللغوي ، ولكن بالمفهوم الذي يتناهى فيها تقدم ، وهو أنه مجموعة الخصائص والمميزات اللغوية للكلام المدروس . وكل علم من هذه العلوم يتولى بيان جزء من هذا المعنى ، على حسب وظيفته والهدف المخصص له في الدراسات اللغوية . وحصة الدراسات التي تقوم بها كل هذه العلوم مجتمعة ، هي المعنى الكلي لموضوع هذه الدراسات

# بين الشريعة والفلسفة

للأستاذ عباس طه

وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام تهدف كلها إلى هدف واحد ومرمى واحد هو العمل لخير الإنسانية والتواصي بالصبر والمرحمة وتجنب الظلم والمأثمه وبمسافة الشرور في أقل صورها حتى تكبر فتتفاقم ولا تنمو فتعاظم .

قالوا للناس أيها الناس عليكم أن تطرحوا الكذب في معاملة بعضكم لبعض وتطفيئ المكايل وبخس الموازين وتقدير السلع الذي ينفى الغبن عنها فينال كل ذي حق حقه ، وتطهير القلوب من أوجاس الفس والحق والرياء والآثرة والعدوان والظفانيان والإفك والبهتان ، والسير بالفضائل قدما إلى المستوى الذي يضي على الإنسانية المثل الخيرة وينهض بها إلى ما أعد لها من مؤدد ومجد ، بهذا كله وأكثر منه تواصت الرسل والأنبياء ، ثم جاء من يدمم القادة والزعماء فساروا على هدى ما بقيهم وأمعنوا في الدعوة إلى الرفق بروابط المجتمع أن تنفكك أوصاله وتمحل حراه وتمسأ قوائمه ، ولبثوا آلاف السنين يطالبون أبناء البشرية بالعمل لخير البشرية . لكن ما كان أسرع هؤلاء وأولئك من

بما لا مربة فيه أن الشريعة الغراء كانت ولا تزال مصدراً لسعادة البشرية منذ تواضع الناس على أن تكون لهم شرائع ، وما من أمة غلكت من الأمم إلا كانت لها شريعة تربط أفرادها برابط وثيق وتحكم صلة المرد بالمجموع وصلة المجموع بالفرد ، لتكون ملاك الفضائل كلها إذا تعاضلت فيها المصالح وتناصرت عليها المرافق ، فأحكام الدنيا التي تؤولف روابط المجتمع من يسع وشراء ووصية وهبة وما إلى ذلك من التصرفات التي تنظم المجتمع وتجعله متعاضدا بعضه مع بعض حتى إذا خرج هذا المجتمع عن الطريق المستقيم كان أحرى به أن يتخلف عن مواكب الطبيعة التي أودعها الله في خلقه منذ القدم .

من أجل ذلك بعثت الرسل والأنبياء فرسموا لأنهم الحدود والمعالم ، وعبدوا للفضائل السامية طرقها حتى بلغوا بها القمة . ثم قالوا للناس هذا حلال وهذا حرام ، هذا واجب الترك وهذا واجب الفعل ، هذا يخطو بالبشرية إلى دنيا قاضية ويخط لبني الإنسان سبيلا إلى السعادة المثل والطريقة التي لا عوج فيها فشريعة آدم البدائية إلى شريعة إبراهيم وموسى

في جيل سابق لا يصلح للعمل به في جيل لاحق كشف أولياء الكلمة عن الدواء فاستأصلوا به الداء .

لكن بقي بعد ذلك أن كل هذه الحلول لم تكن عن منازعات طاحنة وشاكيات بعيدة الغور . وهذا بطبيعته ضروري البقاء ما فتئت المصالح في تشابك وتفاعل وما ظلت المنافع في طغيان بعضها على بعض .

على أن علماء الفروع وقد استنفدوا الجهد وكبدوا قرائحهم في استنباط أمثل الوسائل لتحير البشرية لا يزالون في افتقار إلى مزيد من الجهد في سد مرافق الناس وكفائتهم . عرف جمهور من الشافعية والخنفية علم الفقه : بأنه اعم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية . وعرفه أكثر الخنفية بأنه معرفة النفس ما لها وما عليها وإن كان هذا الأكثر لا يخالف جمهور الشافعية بأن الحكم في اصطلاح الأصوليين خطاب الله المتعلق بأحوال المكلفين بالافتضاء أو التحريم ، أى بالطلب أو الإباحة . والطلب إما طلب الفعل وهو الأمر أو طلب الترك وهو النهي والأمر إن كان جازماً فهو إيجاب ، وإلا فهو نهي ، والنهي إن كان جازماً فهو تحريم ، وإلا فهو كراهة . وهذه هي الأحكام الخمسة للتكليفية وهذه هي التي تفرعت عنها فطريات الفقه الإسلامي التي ألفت فيها مئات المجلدات ومئات

ذعبي في أحقاب التاريخ الغابر أن تنكروا لهذه المبادئ الصالحة ، بل ما أسرعهم إلى أن أحالوها إلى تقاضها وجعلوا منها مرتعاً لتقضاء شهواتهم في سائر أنحائها .

حدث بعد ذلك أن تطورت تلك النظريات لا إلى الخير المطلق بل إلى طور أكثره شرور وآثام فمدا القوى على الضعيف يسلبه حقه ويفلبه على أمره في كل ما يصدر عنه ، فالتصرفات الصادرة عن الإنسان من بيع وشراء وهبة ووصية وما إليها عرض لها الاتكاس فانقلبت أوضاعها رأساً على عقب ، وتفاعلت عوامل الشر بين أطراف الخصومة والأحوال الشخصية المتعلقة بذات الإنسان اتسمت بسمة الضراوة والاستهراء ، ولبست ثوب الفرد على حياة مثالية نضع لكل فرد حدوده اللاتقة به حتى لا يمتنع إلى حدود شاذة تنساب به في جو من التهلكة تنهوى به إلى قرار محيق .

لذلك قامت المحاكم القضائية نائبة عن ولي الأمر في البلاد الإسلامية ترسم الحدود وتوضع المعالم وتدعو الناس إلى التحول عن الحكم بالسياسة إلى شرعة عادلة وحق مبين . لجأت المحاكم بأوضاعها وقوانينها ولوائحها تحدد الطريق لكل فرد وتبين له سبيل الهدى وتحنيه طريق الردى ، فإذا ما كشفت التطورات في مستقبل الأزمان أن ما جرى به التعامل

آفاق الدنيا كنظريات غالبة مستظلمة أبقى من الزمن .

يبقى بعد ذلك موضوع جم الفروع كثير النظريات قد تداركه العلماء بالبحث والتحصيل في قديم الزمن وجديده وهو أن الأصول الأربعة ومنها الكتاب والسنة اعتبرت ناموساً عاماً ومورداً عذياً تهل منه البشرية الصالحة للبقاء فزاد بإذن الله حياة وقوة ونماء وقد رسم الاصلان ( الأولان ) وهما الكتاب والسنة شق الفضائل لهذا الوجود

وقد اعتبر العلماء النظريات المنفرعة من دينك الأصول نظريات فقهية مع أنها كما تشملها نهى تشمل تهذيب الوجدانيات والمقائد وإصلاح ما بين المخلوق وخالفه وإحكام الروابط بين الابن وأبيه وذويه وصاحبه وفصيلته التي تؤويه وتوثق الروابط بين المعلم ومعلمه وبين العبد وسيدته وما إلى ذلك من الأشباه والنظائر ومع ذلك فلا تعتبر هذه القضايا من الفقه .

قال صاحب إحياء العلوم هذا كلام وارد على مصبه ولا يوجد له دفع إلا إذا أريد به أن الفقه في معناه القوي : هو عبارة عن فهم الأمر الدقيق سواء كان متعلقاً بالبحث عن ذات الإنسان أو بالبحث عن متعلقاته والمراد بمتعلقاته ما يصدر عنه والمراد

بما يصدر عنه عمل القلوب وعمل الجوارح . فعلم القلوب يشمل علم الكلام وقد سمي إمام الحرمين علم الكلام بالفقه الأكبر لكن يبقى بعد ذلك أن الوجدانيات والمقائد ليست من الفقه المصطلح عليه بين علماء الفروع ، وهو العلم بالأحكام المكتسب من أدلتها التفصيلية فقصر الفقه في العبادات والمعاملات على هذه التسمية باعتبارها مظاناً للجهتين الذين استنبطوا فروعها من الأصول الأربعة لا يقوم حجة على تلك التسمية إلا إذا أطلق الفقه أيضاً على علمي التوحيد والتصوف قال صاحب كتاب (صيد الخاطر) : إذ أطلق الفقه عند العلماء المتقدمين من السلف انصرف إلى الفقه المعارف عليه عند المقهاء بشقيه : وهما العبادات والمعاملات وإلى علم التوحيد الذي هو علم المقائد ، وإلى علم التصوف الذي هو علم تهذيب الوجدان ، والظاهر أن المتأولين من العلماء في المصنوع المتأخرة أدركوا أن علم الفقه بشقيه هو لإحكام الصلة بين العبد وربه في عمل الجوارح فلا بد أن يكون لهذا العبد رهبة في قلبه تنأى به عن مسايرة الهوى ومتابعة الشهوات والتردى في الخسيس من المذلات . وإذن فالفقه يشمل العلوم الثلاثة التي هي الفقه بمعناه الاصطلاحي وعلم الكلام وعلم التصوف .

عباس ط



# المسلمون السود في أمريكا

للاستاذ عباس محمود العقاد

The Black Muslims in America

( بقية ما نشر في العدد السابق )

مظالمها ما لم تكن هناك حقوق مهددة ومظالم منكرة وانفاق على الشعور بالخطر والتضرع من الضم ، تخلفه الحاجة إلى التضامن حيث لاغنى عنه ولا مناص منه ؛ لآله الوسيلة الوحيدة لحفظ البقاء واجتناب الفناء .

وليس أعلم من هذا المؤلف بأحوال الأقليات على اختلافها ، لأنه يقتضى إلى أكثر من ( أقلية ) واحدة بين السود والبيض ، فضلا عن قلة القساوسة السود بين زملائهم البيض ، وقلة هؤلاء القساوسة جميعا على مذهب الكنيسة ( المنهجية ) بين رجال الدين من أتباع الكنائس الكبرى .

والقارىء يدرك من المفارقات الكثيرة بين أحوال الأقليات أن المسلمين السود في موقف خاص مع الأمريكيين السود والبيض على السواء ، وأن هذا الموقف قد يمرضهم للأحرج بينهم وبين أنفسهم إذا أرادوا ( تصحيح الوضع ) من الوجهة الاجتماعية التى ترتبط بأحكام القانون و ( ظروف ) السياسة القومية ، ومن حولها السياسة العالمية .

حديث المؤلف من الأقليات حديث يذهب عليه الصدق والإنصاف ، ومنه حديث عن المسلمين السود ، وهم أقلية دينية ، بين أقلية قومية ، بين السود المنتصرين أو الوثنين .

ومؤلف هذا الكتاب — كما علمنا من المقال السابق — هو القس الأمريكى الأسود الدكتور أريك لتكولن ، وهو من أتباع الكنيسة المنهجية Methodist التى تعتبر — هى نفسها — فئة صغيرة بين الكنائس الغربية ، تقوم برسالة جديدة كرسالة الثورة على التقاليد وعلى البدع المستعصية فى وقت واحد .

وقد جنح بالمؤلف موضعه هذا بين الأقليات المتداخلة إلى الصدق فى تصوير أحوالها وشرح أزماتها وبسط أسباب الشكاية من جانبها ، وهو — فى جملة آرائه وعواطفه — أقرب إلى تسوية مواقف الأقليات بإزاء الكثرة الغالبة بين الأمم البيضاء ، لآله يرى أن الأقلية من مبدئها لا توجد ولا تقوم ولا تقاسم للدفاع عن حقوقها والتمرد على

ثقافيا يتمتعون به إذا قفروا من البيت الاجتماعية البيضاء أو تفرقت منهم هذه البيئة ، لأنهم يجهلون في المجتمع الإسلامي ثقافة روحية تعوضهم عن ثقافة الأكثرية الغالبة ، ويعتمدون على هذا المجتمع لإيواء اللاجئين إليه من أبناء جلدتهم الذين يتقبلهم المجتمع ولا يرفضهم كترفضهم الكنائس المسيحية ، وقد تبين من المقال السابق أن المجتمع الإسلامي لا يضيّق باللاجئين به من ثقافات المجتمع الأمريكي الموصوفين برسومات العار والذيلة ؛ لأن هؤلاء اللاجئين لا يلبثون أن يسمروا بالنعاطف الصادق بينهم وبين إخوانهم عن سبقهم إلى الإسلام فلا يطول بهم الأمد أن يقلعوا عن عادات السود التي وصمتهم في حياتهم الأولى ، ويتوب الأكترون منهم مزدانل المقارسة والمماثلة ومقارعة الأوزار .

فإذا استطاع المسلم الأسود أن يتصمم بمجتمعه الإسلامي فإذا يكون موقفه في هذه الحالة من المجتمع الأكبر مجتمع الأمة الأمريكية ، أو الدولة الأمريكية ، في أوسع نطاق ؟

لقد كان زعيم الدعوة الإسلامية في الولايات المتحدة يستنص السود بنخوة القومية والعصية للاستقلال بعقائدهم وهواطفهم عن الأكثرية البيض .

فاليهود - مثلاً - قلة في الولايات المتحدة ، لأن هدفهم على أكبر تقدير لا تزيد على خمسة ملايين ، ولكنهم لا يسمرون بالحسرة التي تشعر بها الأقليات الوطنية إذا اضطرتهم النفرة بينهم وبين المسيحيين البيض إلى اجتناب الأندية والجامع المشتركة ومواضع المراحة الملحوظة في الحياة العامة ، لأنهم أصحاب ثقافة دينية وتربية فكرية تجمعهم معاً عند الحاجة إليها ويتمسكون بها في عزلتهم المتخافة أو عزلتهم الاضطرابية ، وكثير منهم من يختلط بأبناء الأكثرية اختلاطاً نصيب التفرة فيه ؛ لأنه اختلاط في المصالح والأعمال .

أما الأمريكي الأسود فليس له عصمة ثقافية يأوى إليها إذا اضطرت النفرة منه إلى احتزال المجتمع الأبيض ، لأنه حالة في ثقافته المصرية على أولئك الذين يعزلونه ويدفعونه على الرغم منه إلى الاعتزال ، فهو يتعلم منهم ويدن أحياا بدينهم ، وملاذه من التفكير ومن الآداب الاجتماعية يعود به إلى مجتمع يداني في غير القارة الأمريكية ، وليس له قوام اجتماعي في بلاد هذه القارة .

وهنا تنشأ بين الأقليات حالة خاصة لا تشبه حالة الأقلية اليهودية ولا حالة الأقلية النيجية ؛ وهي حالة السود المسلمين .

إن هؤلاء السود المسلمين هم فون لهم ملاذا

عن عقيدته المسيحية إلى العقيدة الإسلامية ، ولكن المشكلة ( الواقعية ) تبدأ حين يتصل الأمر بحكم من أحكام القانون تتعارض فيه الحقوق وإجراءات القضاء ، وبخاصة مسائل الزواج والميراث .

فإذا يكون الحكم في قضية تلجأ فيها زوجة من زوجتين إلى المحكمة للطالبة بحضنها في الميراث ؟ وماذا يكون الحكم في قضية يتنازع الخصوم فيها على المسائل الشرعية التي لاتنص عليها قوانين الدول الأوربية أو الأمريكية ؟ عند الاعتراف بالإسلام مذهباً رسمياً من مذاهب الدولة يجوز أن تكون لهذه القضايا جهات نظر مستقلة يحكم إليها مختلفون ، وهذه هي الوجهة التي يتجه إليها زعماء الدعوة الإسلامية ويعتبرونها حقاً من حقوق المواطن الأمريكي ينبغي أن يعترف به الدستور والقانون .

ولا يخفى أن القانون الأمريكي يحرم تعدد الزوجات ويحرم المذاهب المسيحية التي اعتمدت في إباحة تعدد الزوجات على نصوص العهد القديم ، ومنها مذهب المورمون ... ولكن المشكلة تزول من ناحيتها القضائية إذا بطل الاحتكام فيها إلى محاكم البلاد وتراضى الطرفان على حلها بينهما أو على اختيار الحكم الذي يفصل فيها ، ولو لم يكن هذا الحكم

فهل تفضي الأقلية الإسلامية على هذه الخطة فتتمثل الأمة التي تعيش فيها أحوال الأعداء وترفض الولاء ، القانوني ، الوطن الذي تنتمي إليه ؟

إن هذه الخطة أخرجت كثيراً من زعماء المسلمين السود ومكنت منهم خصومهم الدينيين والسياسيين ، فحاربهم باسم القانون واستعانوا عليهم بتهمة الخيانة الوطنية ، وأوشكوا أن يتدعوا بهذه التهمة لحرمانهم من حقوق المساواة في الانتخاب ووظائف الحكومة ، فرفض من هؤلاء الزعماء المسلمين أناس يحملون أبناء دينهم من جرائم الانهزام بخيانة الوطن ويعتبرون الدعوة إلى الإسلام دعوة مفتوحة للبيض والسود على السواء ، ولا يرون الدعوة الآن نقماً كبيراً في قصرها على استشارة ( المعصية ) الجنسية واعتبارها ثورة على البيض في الدين وفي الوطن وفي آداب الإجماع .

وهؤلاء الزعماء السكفاء يتوسلون بشيخهم الوجهة على هذا النحو إلى غاية أخرى أصعب مرأى من الأولى . وهي الاعتراف بالإسلام مذهباً من المذاهب الدينية الرسمية في دستور الولايات المتحدة ، وهو مطلب كبير غير مطلب الحرية الدينية ، لمن يشاء من السود أو البيض أن يدين بالإسلام ، فليس في نصوص القوانين ما يمنع أحداً أن يتحول

أن المسلم الأمريكي الأسود يزاحم البعث  
التبشيرية مزاحمة شديدة في القارة الإفريقية  
بمد استقلال شعوبها عن سلطان الدول  
الغربية ، ويتنظر أن يكون — في تقدير  
المبشرين قبل غيرهم — أوفر نصيباً من النجاح  
والقبول من إخوانهم السود في تلك البعث  
التبشيرية ، وأشد ما يكون الاهتمام بهذه  
المسألة في هذه الأيام ، فإننا نفتح الصحف  
التي نقرأها عندهم فلا نكاد نطلع على صحيفة  
منها تخطو من أخبار ( ترقية ) المبشرين السود  
إلى كراسي الأساقفة ، بل المطارنة ، من  
رجال الكهنيسة الكاثوليكية والبروتستنتية  
المقيمين بالديار الإفريقية أو الزنوج إليها  
من ديار العالم الجديد ، ويزداد عدد هؤلاء  
الأساقفة والمطارنة كل يوم في البلاد التي  
يكثر فيها المسلمون ؟

عباس محمود العقاد

مفوضاً في وظيفته من جانب الدولة بالمظر  
في هذه الأمور .

وقد عهدنا من مؤلف الكتاب أنه لا  
يكشف عن نية صريحة في مقاومة الدعوة  
الإسلامية . ولكنه صرح كل الصراحة في  
بيان المواقف التي توجب هذه المقاومة أو  
تبررها لمن يريد .

ويبدو من بين السطور أن تحويل الدعوة  
الإسلامية من حركة مقصورة على السود  
إلى حركة تفتح ذراعيها للسود والبيض من  
الأمريكيين وغير الأمريكيين ، هي موضع  
الاهتمام الكبير في دوائر التبشير ، لأن المبشر  
الإسلامي من الأمريكيين السود يعاون  
الدعوة إلى الإسلام في بلاده كلها اتجهت هذه  
الدعوة إلى أبناء البلاد جميعاً من قبل المسلمين  
الآسيويين والإفريقيين ، وهم اليوم في  
أمريكا طليعة ناجحة قديماً غداً عدد كبير .  
وأدعى من ذلك إلى اهتمام دوائر التبشير

# مَحْنًا فَرَّ الشَّجَرُ الْقَائِدَ وَالْحَدِيثَ

## الحسن العارِي

امؤنسانه على الجندي

وكانت حارية الصدور والظهور والأطراف ١١  
فكان منظرها يشير الاشتمال في نفوس الفضلاء ،  
وإن راق الذكورة الجمائة والشهرة الطامئة  
في نفوس الخلقاء والمجان ١١ .

قلع : يا حناء هذا الح	من بالستر قين
بات نبياً مستباحاً	لعيون الناظرين
كان قبل اليوم في حص	من من الصون حصين
بضرع الصب إليه	وهو قاس لا يلين
وله يمنو الأشم الآن	ف ، والساي الجين
فشي منهم الس	يرة ، بالإفك طمين
وغدا مبتذل العز	ة ، لذل قرين

\*\*\*

كيف هان الحسن والحس	ن عزيز لا يهون
رعت فيه عيون	ورعت فيه عيون
نهمات تعرب الشهب	وة عنها ، وتبين
كميون الوحش إن لا	ح لها صيد سمين

\*\*\*

ما على الحسن إذا حبه	ب كالدر الكنين
وتواري خطب متري	خلق عف ودين
بجمال الروح لا يلب	مع إلا بالظنون

( البنية على صفحة ٢٢٤ )

## في ظلال الاسلام كل الرجاء

بعضنا محمد عادل سليمان

و العالم اليوم يعيش حياة قلقه مضطربة ، ويحيا في صراع دائم ولن يفيق من هذا القلق وذلك للصراع إلا عندما ينبثق في روحه شعاع الإسلام الهادي بين مدف المادة إلى روحانية النور .

و فرقات الضياء في عالم الطين	كروح مصذب الكبرياء
وانتماض الأمواج في شاطئ الحزن	كقلب يمزق بالشقاء
وصلاة الهمسات في هدأة الليل	ككلم على جناح المساء
أنا في عالم تموت به الروح	ويحيا على ضفاف الفناء
أنا في عالم الظلام ضمير	صب فيه الإسلام كل الضياء

• • •

أسكب الحب والسلام لدنيا	مزقوها بالحرب والبغضاء
عمقوا الطين في النفوس فراحوا	ينهاون في حنبصر السماء
ينسجون الدمار للناس ثوبا	هاري الجحيمات والأشلاء
والخراب الكبير يبتلع الدنيا	يا ويضي بعالم الأحياء
يوشك الحرب أن تعذب روح الأرض	في ذلة الردى السوداء
أطبق الليل والخراب . . ولكن	في ظلال الإسلام كل الرجاء

( بقية المنشور على صفحة ٢٣٣ )

لا يحسن الشرق للشه	س بشوق ، أو حين
وهي للغرب جمال	، وهما ، وقتون
يتنى أن يراها	سافراً في كل حين
حجبت عنه فأضنا	لها الحب الدين

على الجندي

إنه النور في ظلام الليالي عبقى الأنداء والأصواء  
فطرة الله رشت الأرض بالنور فكانت على صراط سواء  
أحييت الروح بالسنا ثم راحت تتجدى نوازع الأهواء

• • •

نحن في روحنا انبثاقه لجر غزله أنامل الصحراء  
غير أننا نزل في طريق القصور نمتى بعومة الأنبياء  
نحن قنا نخرق الليل بالنور ونمضي إلى طريق البناء  
ودفعنا من الميوت غشاء طالما لفها ظلام الغشاء  
وسمنا على الأثرى مستقر الطين بين القواقع الصياء  
إن يمكن صبرنا - مع الحق لبا طل قاطلم قائل الرجاء

• • •

من وراء الأسوار كان عذاب السوط يدي لحيه أشماني  
كلما فاض في الحنين إلى الحق وأطلقت بالحنين نداني  
بكتم الظلم صرختي وحنيني فأصب الحنين في أحشائي

• • •

وهنا ... حطم الفيود آخر القيود وهو الفضبان بالأصداء  
طالما كبل التراب خطاه طالما شد خطوه للوراء  
ثار فوق التراب حين أفاقت روحه : روحه لنهر الصياء

• • •

إنما الدين صيحة الحق للدين يا ولحن الإلهام والكبرياء  
ما لهذا العملاق يجثم في الأرض ويمشي على ثرى الضعفاء ؟  
آن للبارد الكبير انتفاض أبدي في عالم الأقوياء

محمد عادل سليمان

المدرس بالأزهر

# الكتاب

نقد وتعریف

للأستاذ محمد عبد الله السنان

١ - نظم الهوى :

للإمام ابن الجوزي

نشرت دار الكتب الحديثة بمبشرين هذا الكتاب وقام بتحقيقه فضيلة الشيخ مصطفى عبد الواحد ، كما قام بالمراجعة فضيلة الشيخ محمد الغزالي .

لهذا الكتاب قصة لحصا المحقق في مقدمته له ، إنه حين أراد تحقيق الكتاب وتقديمه للطبع لأول مرة ، لم يصدر إلا على نسخة مخطوطة في المكتبة التيمورية بدار الكتب ، ولكنها كانت مشوهة صفحاتها وممسوخة إلا القليل ، وعلم أن هناك مخطوطتين في مكتبتين بباريس الأهلية ، وبرلين ، فسمى إلى طلب صورة منهما وتم له ذلك ، وعليهما اعتمد في إخراج هذا الكتاب ، واستطاع أن يحفظ قطعة من تراثنا ، كالمخطوطات النسيان في مكتبات أوروبا ، وغيرها .

فضيلة الشيخ مصطفى عبد الواحد كتب

مقدمة مسببة ، توجم فيها للؤلف الإمام ابن الجوزي ، معتمدا على بعض المراجع القديمة المشهورة ، عرض فيها لابن الجوزي واعظا ومحدثا ، وطالبا متبعا ، وزاهدا عفا ، كما عرض الكتاب من حيث قيمته الأدبية . والمنهج الذي اتزمه في تحقيقه . ولقد جاءت المقدمة وافية وجديرة بالتقدير . أما الكتاب نفسه فهو موسوعة أخلاقية اجتماعية أدبية شاملة ، يعتبر وثيق الصلة بشقيقه صيد الحاطر ألم فيه ابن الجوزي بكل شيء ، حتى بلغت صفحاته أكثر من ستائة وخمسين صفحة أكثر من الثلاثين في العشق .

الباب الأول : منه في ذكر العقل وفضله ومأمية وآراء العلماء والحكماء فيه ، والباب الثاني : منه ، في ذم الهوى والشبهات ، ونقول عن الصحابة والتابعين والسلف من رجال التصوف وغيرهم ، والباب الثالث : منه في ذكر مجاهدة النفس ومحاسبتها ،



لم يعتمد في كتابه على منهج محدود ، ولا على مناقشة مدروسة ، بل اعتمد على سرد القصص دون ما تحقيق لها أو تمحيص لستلها وروايتها ، أو تسليط أشعة الإسلام عليها لإقرارها أو رفضها ...

المحقق في الواقع - بذل جهوداً قياسية لإخراج الكتاب ، وهو لم يحاول - كما ذكر - أن يتوسع في التعليق والتفريغ ، فقد كانت ضخامة الأصل لا تقبل أن تزام بتوسع آخر ، وأما أهم - كما أن ضبط الأصل في الكتاب من العناصر الأساسية للتحقيق - فإن من العناصر الأساسية أيضاً إن لم يكن أهمها تحقيق مادة هذا الأصل ، ولا يمكن أن نكون للمحقق فضيحة بدون إبداء رأي في مادة الكتاب ومدى انحرافها عن الفكر الإسلامي الصحيح ، فإن الجوزي حشا كتابه بفحص لا يعبأ بها الإسلام في قليل أو كثير ، حيث امتزج بالإنشائيات التي لا طعم لها . رجل من عباد بني إسرائيل نظر إلى امرأة جميلة نظرة شهوة فعمد إلى هينه فقلعها . وواحد من السلف أقسم أن يحرم نفسه بقية حياته الماء البارد لينفص عليها الحياة ، لأنه حانت منه فطرة مرة إلى امرأة ، وأن آخر في بعض المغازي لم علم عينه حتى تفرق لأنه نظر إلى جارية ، وأن راعياً في صومته املع منها ذات يوم على شاب جميل فاهتز قلبه

والباب الرابع : منه في مدح الصبر والحث عليه ، والأبواب الستة التالية منه في ذكر القلب ، كيف فصورته وغمسه ، ما يصدأ به ، وما ينق عنه الصدأ ، قلب القلوب والرغبة إلى الله في إصلاحها ، الواظ من القلب ، تفريقه من غير محبة الرب ، والأبواب العشرة التالية بعد ذلك في فضيل البصر ، وما يترتب من فضول النظر ، وفي فتنة النساء والاختلاط بهن ، ثم توالي الأبواب التي بلغت خمسين باباً ، في ذكر العشق : ماهيته وحقيقته ، دأبه ودوائه ، أسبابه ودوافعه ... وبعد - فالمحقق يرى أن الكتاب كتاب أدب بما اشتمل عليه من نصوص وأخبار وأشعار ، وأنه كتاب حديث بما حواه من متون كثيرة للأحاديث ، ونحن لا اعتراض لنا على هذين الرأيين ، أما الذي نعارضه فيه ، أن يرى أن الكتاب من كتب الفكر الإسلامي أو التوجيه الإسلامي الاجتماعي يحتاج بوضوح الفكرة ، أما موضوع العشق الذي استهلك معظم صفحات الكتاب ، فلم يكن دراسة لمشكلة الحب - كما يرى المحقق - بل كان مجموعة لا حدود لها من القصص المصنوعة التي تهتز لها مدار العامة من السذج والبسطاء ... والذي يحملنا على أن لا نقر المحقق في أن الكتاب من كتب الفكر أو التوجيه الإسلامي ، هو أن ابن الجوزي

## ٢ — ارجع تيمية :

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
هذا هو العدد الخامس من سلسلة أعلام  
العرب ، التي تنشرها مكتبة مصر بالعجالة ،  
وتسهم فيها وزارة الثقافة والإرشاد القومي ،  
بمعاونتها المادية الأديسة ، نشرًا للثقافة  
في المحيط العربي .

أستاذنا الدكتور يقدم ترجمة عن العلامة  
ابن تيمية في أكثر من ثلثمائة صفحة ، قسمها  
قسمين :

القسم الأول : عرض فيه عصر ابن تيمية  
في النواحي السياسية والاجتماعية والعقلية  
والعملية ، كما عرض حياة ابن تيمية نشأته  
ودراساته ومكانته العلمية ، وجهاده الثناري ،  
وخصومه ومحنه ومنهجه العلمي ...

والقسم الثاني : عرض فيه الدكتور آراء  
ابن تيمية في الدين والحياة ، ونظرة عامة  
في فقهه ، آرائه في السياسة والاجتماع .

الدكتور يقدم لنا نموذجاً حياً لعالم الدين  
الحق الذي فهم الإسلام عقيدة وعملاً ، فلم  
يكذب تلصّب الأنبياء إلى دمشق بأن التتار  
في طريقهم إلى الشام ، حتى شمر عن ساعده  
يدعو إلى الجهاد ، ويستحث في المسلمين  
الغيرة على عقائدهم وأوطانهم وحضاراتهم ،  
وحين بدأت المعركة حمل العالم الجليل سيفه  
وتقدم الصفوف ليقرن الذول مع العمل ...

فأقيم منذ عشرين عاماً على ألا ينظر إلى  
إنسان بعد ذلك .

من هذه القصص الكثيرة بل هي معظم  
عادة الكتاب ، الذي يقرؤه العامة فيتأثرون  
به . وكنا نود أن يكون دور المحقق في تجميع  
هذه القصص ، وفتحها عن أن تكون مادة  
للتوجيه الإسلامي ، وقد يصلح الكتاب  
لواضع يقوى على التجميع ، يستعين في مهمته  
بالتحري منه ، ولكنه لا يصلح للعامة يتخذون  
منه مادة للقلبية والشعوبية . أما المسلم المثقف  
فلا يرى في الكتاب إلا صدمة لنفسه ،  
ومفهوم الإسلام عنده .

كنت أود مرة أخرى أن يتصدى المحقق  
لإبداء رأي الإسلام في هذا الفث الذي يحدث  
أرباباً في المفاهيم الإسلامية ، بغض النظر  
عن مكانة عالم جليل كابن الجوزي ، فهو لم يقدم  
في الغالب نصوصاً إسلامية ، وإنما قدم  
تخصصاً إسرائيلياً وغير إسرائيلياً ، استولت  
على أكثر من نصف صفحات الكتاب  
في مجال العشق والمشايق .

إن قيمة الكتاب في أنه من تراث علمائنا  
الذين نقدرهم ، وأن تقدير المحقق يرتبط  
بالجهد الذي بذله في ضبط هذا الأثر ،  
ولا نكران أن في الكتاب مغلطات وتوجيهات  
تهيب النفوس ، ولكنها ضاعت وسط هذا  
الحضم من القصص المصنوعة ، التي لا مكان  
لها إلا في مجال التسلية وقتل أوقات الفراغ .

الكتاب وما صح من السنة ، وأقوال الصحابة والتابعين أحيانا ، وهو في نفس الوقت لا يهمل العقل وتفكيره حين يعول أساسا على الكتاب والسنة وآثار الصحابة ، وهو يخلع عن عنته وبقة التقليد الغير ، تقديرأ لا يقل نفسه .

وهذا المنهج طبقه ابن تيمية في ما ترك لنا من تراث فكري ، والضمير . وعلم الكلام والفقه والأصول ... وهو إذ يقر الإجماع والقياس من أصول الفقه ، إلا أنه يرددها إلى الكتاب والسنة أيضا ...

أبرز شيء في حياة ابن تيمية ، موقفه من الجود ، وتحطيمه أسوار التوسك ، وفتح باب الاجتهاد على مصراعيه ، والذي كنا نوده من أستاذ الدكتور أن يعطى هذه المسألة نصيبا أوفى من صفحات الكتاب فلا زال لهذا الجود أثر في حياتنا ، ولا زال للتقليد مكان رحب في قمتها ...

### ٣ - الأسرة في الإسلام :

للأستاذ مصطفى عبد الواحد هذا الكتاب الذي نشرته دار العروبة بالقاهرة لفضيلة الشيخ مصطفى عبد الواحد عرض عام لنظام الأسرة في ضوء الكتاب والسنة كما أراده المؤلف . .

وإذا ما ظالم لناس يتصدى ابن تيمية لرد المظالم ، ولو كان الظالم سلطانا أو أميرا ، وإذا المنكرات يتصدى لتغييرها ولو كانت العلة هي التي أقرتها ...

إننا افتقدنا اليوم هذا النموذج الحى من عالم الدين ، فالعالم الإسلامى في حالة حرب دائمة مع الاستثمار الملبى والاستثمار الإلحادى ، فلا نجد عالم الدين الذى يصيح : أن حى على الجهاد ...

والمنكر والباطل اليوم يتناولان على المعروف والحق ، فلا نجد عالم الدين الذى يعلى كلنى المعروف والحق ، ولا يثلرغ بالسلبية المطلقة . مكتفيا بأضعف الإيمان . وبقدم الدكتور لنا ابن تيمية إذا خصومه بسبب عنته ، وهكذا كان الخصومة والدم والوقية يجب أن تعقب عالم الدين الحق ، فالإمام الجهاد أعلن الحرب على الفجمل والخراقة لخاصمه المنتصرون ، كما أعلن الحرب على الجود الدينى ، لخاصمه الفقهاء الجامدون ، ونمازنت المجهنن معا على الشيخ وزجنا به إلى السجن جرسائل إثارة الجماهير المتدبنة في سذاجة تارة ، وبوسائل الدس عليه لدى السلطات تارة أخرى ...

وبقدم لنا الدكتور ابن تيمية العالم ، ومهجه في البحث ، فهو يعتمد أولا على

الإسلام فيها مصلحة المجتمع ، فهل يتركون  
وشرائعهم وحسابهم على الله ؟

والمؤلف يعرض بعض بنو آجندة على الحديث  
المعروف ؛ تناكحوا تأسلوا فإني مباه بكم  
الأمم يوم القيامة ، وحتى إذا صح الحديث ونعم  
أن الحافظ العراقي ضعف الحديث في تعليقه  
على أحاديث الإحياء ، والذي قاله الرسول  
والمسلمون يومئذ قلة ، حتى يصلح هذا  
الحديث مبرراً ؛ والمبررة ليست بالكم ،  
وإلا فقد استعمرت هولاءه وتمدادها  
عشرة ملايين أندونيسيا وتمدادها فوق  
سبعين مليوناً من المسلمين . .

والمؤلف يناقش قضيتي الطلاق وتمدد  
الزوجات ، يدافع وحسب عن الإسلام في  
إباحته للطلاق وتمدد الزوجات ، وكنا نود  
أن يعرض حيثيات الحكم الداعية إلى تقيدهما  
ليناقشها وينقدها . .

وإذا كان الإسلام قد اعتبر الطلاق وتمدد  
الزوجات رخصة للسلم ، ووكله إلى ضميره  
في طريقة الإفادة منها إذا مادته الحاجة ،  
فهل يترك الإسلام حراً طليقاً يتخذ من رخصة  
الطلاق وتمدد الزوجات مسلة له ؟

هذا استفسار كنا نود أن يجيب عنه  
فضيلة المؤلف . .

المؤلف في الواقع عرض الأسرة في ضوء

جاه الكتاب في أربعة أبواب :

أولاً - بناء الأسرة : حيث تحدث عن  
ضرورة الأسرة ، كوضع فطري ، وصورة  
طبيعية للحياة المستقيمة وتحدث عن وظائفها  
وتكوينها ، وصورتها كما تحدث عن حق  
الفرقة وأركان الزواج الشرعي ومظاهر  
الزفاف .

ثانياً - نحو السعادة والسلام : حيث  
تحدث عن العلاقة بين الزوجين ، وحسن  
المشورة ، علاقة الفرقة حقوق الزوج والفرقة  
والأبناء ، وحماية الأسرة وقوامه الرجل  
وتحديد النسل .

ثالثاً - هند للمصداق : تحدث عن واقعية  
الإسلام في بناء الأسرة ، شوزكل من الزوجين ،  
الشقاق ، حق كل من الزوجين بعد الطلاق ،  
وأبياً : من شبهات المفترين : ناقش تعدد  
الزوجات والطلاق ، وبحث الطاعة .

والمؤلف في حديثه عن تحديد النسل ، يقرر  
أن الإسلام أباح للأفراد توقي النسل بطرق  
سليمة في بعض الأحوال دفعا للضرر عن  
الوالدين أو عن الأولاد ، ولم يذكر لنا هذا  
البعض من الأحوال . أليس العصر الاقتصادي  
من الأحوال الضرورية التي تلحق الضرر  
بوالدين والأولاد معا ؟ . .

ولم يذكر المؤلف لنا إذا تنكب المسلمون  
طريق الإسلام ، فلم يعملوا رخصة وخصها

التجارة والصناعة يضع الإسلام حدودا لحرية الدوافع الذاتية في نفس الفرد ، وذلك لأن الملكية الخاصة والصالح الاجتماعي أمران متداخلان مرتبطان ارتباطا وثيقا حيويًا . وهما يتحققان في دولة يسودها الانسجام المتبادل .

ثم عرض المؤلف للدين الإسلامي تجاه الاقتصاد ، ففند آراء الذين يمجزون عن إيجاد أي انفجاف بين الاقتصاديات والدين ، فالإسلام يقدم أساسا صحيحا للحياة الدنيوية والروحية ، والذين تعمقوا في دراسته يعلنون بلا خوف ، أنه يعمل على هداية أتباعه في شئون المادة والروح على السواء .

إن بحث المؤلف يتم بعمق الدراسة وأصالة التفكير ، وقصافته الرفيعة أسهمت إسهاما كبيرا في تقديم دراسة إسلامية عن الاقتصاد ، تجردت من السطحية والإسفاف اللذين تميزا بهما كثير من مؤلفات الذين يزجون بأقلامهم في موضوعات لا صلة لتفانهم بها ؟

٥ - الطريق إلى اتحاد إسلامي :

للككتور نجيب الكيلاني

نشرت هذا الكتاب مكتبة النور بطرابلس ليبيا ، والمؤلف أديب مصري معروف بتخصصه التاريخي الإسلامية ودراسته الدينية .

الإسلام عرضا طيبا مركزا ، وإن لم يلم إلهاما شاملا بكل مسائلها ، ولكننا افتدنا في هذا العرض الطيب المركز آراء أئمة العقهاء قديما وحديثا والمذاهب الاجتماعية المعاصرة فإن المسلم المندين يلبى هذا العرض حاجته ، أما المسلم المثقف الذي درس الفلسفة والاجتماع البشري إنما يحتاج إلى مناقشات . . وليس إلى مجرد عرض طيب .

ونحن بعد ذلك قدور في المؤلف غيره الإسلامية التي طالما أطلت علينا من بين سطور كتابه . .

٤ - الإسلام ونوازله المجتمع :

تأليف ميرزا محمد حسين :

طبع هذا البحث في العدد الأخير من سلسلة الثقافة الإسلامية ، وقلم بترجمته الأديب الأستاذ فتحى عثمان من الانجليزية . .

المؤلف من مفكرى الباكستان ، ومن المتخصصين في الاقتصاد ، الذين نهلوا من الثقافة الغربية ، ونأثروا بالثقافة الإسلامية .

ناقش المؤلف الملكية الخاصة تجاه الصالح العام ، فهي أولا - دعاء الحياة لرأسمالية ، والقضاء عليها هو الأصل البراق للاشتراكية .

ويرى أن الإسلام يدع الفرد ينهض بأعماله إلى النهاية ما دام لا يزهد التوازن الاجتماعي ، ومن أجل ضمان النمو السليم

الموضوع يحمل العناصر البارزة التي يجب أن يبنى عليها حيثياته ، فالكلام السائح من غير حدود ، قد يعطى مفهوما شاعرا ، ولكنه لا يعطى قواعد تدريس ، وهو في المقدمة يكتب تمهيدا لبعثه ودراسه ، تمهيدا قام على إبراز العناصر لمكرته ، ونحن في عصر السرعة نحاجون إلى عناصر محددة ، وموجزة لإيجازا مركزا . لكي نبلغ الهدف من أقصر طريق ، وقد ناقش المؤلف أفكارا وموضوعات جاءت عرضا في موضوعه ، وكانت تحتاج إلى دراسات مستقلة .

ولقد حل المؤلف في معظم موضوعاته على الاستمرار باعتباره المصوق الأساسي للإسلام ، وفات المؤلف أن الاستمرار لم يعتمد إلا على عملاء ، وأين كان وعي الشعب المسلم من هؤلاء العملاء . إن المسؤولية أولا وأخرا تقع على عاتق الشعب المسلم ، ويوم أن يوجد الشعب المسلم الواهي يمكن للإسلام أن يأخذ مكانه . هذا الشعب المسلم الواهي الذي نريده . يجب أن يكون بداية الطريق ، وإلا فإننا سنقطع كل طريق نحو الإسلام لنعود من حيث أتينا .

وهنوان الكتاب له تقديره وخطورته مما ، وإن لم يكن جديدا في موضوعه ، وإنما يعتبر جديدا بالنسبة لهذا الوقت الذي أصبح الحديث فيه عن وحدة المسلمين غريب كل الغرابة في عصر أصبح للتقنيات مكانها وأهميتها .

تحدث المؤلف عن هذا العصر ، حيث يجتاز العالم أخطر مراحل حياته ، ويتعرض لتجارب مريرة ، وتوزعه أجواء شتى ، ولكنه يهد كل الزهد في القيم الدينية ، ثم يتساءل المؤلف : لماذا انحصر ظل الإسلام ؟ وما دورنا نحن المسلمين إزاء هذا الصراع الفكري ؟ وما الطريق لخلق رأي عام إسلامي ؟ وما أسس الاتحاد الإسلامي ؟ وما صورته ؟ وما العلاقات الخارجية بالنسبة له . ويجب المؤلف عن هذا التساؤل إجابة الدارس الواهي .

نراه يقترح أن نكون أسس الاتحاد الإسلامي : العقيدة والشريعة والإعلاء الإسلامي . والنهضة العلمية ، ثم يشرح هذه الأسس شرحا موجزا تارة ، ومطنبا تارة أخرى . . كما نراه عند تناول غير هذا

# بريد المجتلة

ومن صور الهو والتسلي ، وعن البيت في المقابر ، وانتهازها فرصة لما لا ينبغي - إذا خلت من كل ذلك وخلصت للدعاء والعبادة ، واتخذت فيها الآداب الشرعية . كانت مشروعة للرجال والنساء ... وإذن ، فما يفعله كثير منا في زيارة أصحاب الأضرحة الكاسية ، المزدكفة ، ذات المقامير المنفضة ، والقباب المزخرفة . تجاوز الحد المشروع في زيارة القبور ، وانتعاش نصير المشروع باسم المشروع ، فواقفة الاستئذان على باب الضريح ، واستقباله مع رفع الأكف بالضراعة والمناجاة ، والطواف حوله مع تقبيل جوانبه والتمسح بحديدته أو خضبه ، وشرح القضايا والمهام ، وتقديم المرائض وطلب الفصل فيها ، كل ذلك عمل غير مشروع ، يأباه الله ، ويأباه الرسول ، وبغضب منه أصحاب الأضرحة أنفسهم ، وأولياء الله ، وهم - بنص كتاب الله - الذين آمنوا وكانوا يتقون ، كانوا في حياتهم لله عبادا مخلصين ، لم يتجهوا بقلوبهم إلى غير الله ، ولم يقفوا بباب أحد سواء ولم يرفقوا أكف الضراعة إلا إليه ،

حكم التوسل بالأولياء وما يصحبه :  
نشرنا في العدد الماضي فتوى موجزة للجنة الفتوى بالأزهر في موضوع التوسل بالأولياء . وقد اطلعنا على فتوى مفصلة للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت في هذا الموضوع رأينا من الخير أن نشرها هنا نقلا عن كتابه الفتاوى ليحيط القارئ علما بما يجوز وما لا يجوز في زيارة القبور .

قال فضيلك ما ملخصه :

ينبغي أن يعلم ، أن زيارة المقابر كانت في أول الإسلام محرمة على الرجال والنساء ، وأنه حينما استقرت عقيدة الإسلام في القلوب ، وصرفت أحكامه وأهدافه أبيضت الزيارة ، وجاءت فيها جملة من الأحاديث الصحيحة ، تضمنت مشروعيتها وكيفيةها وحكمتها ... والذي يؤخذ من هذه الأحاديث ، أنه متى قصدت زيارة القبور الإحسان إلى الميت بالدعاء ، وإلى النفس بالعبادة والاعتبار ، وخلصت عن تعبدية الأحران ومظاهر الجور وعن التجمعات الساخرة التي تراها في الأعياد والمواسم ،

ما استلغتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .

وقال شيخنا الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسير تلك الآيات الكريمة في سورة المعاديات : « فاقسم بالخيل متصفة بصفاتنا التي ذكرها ، آتية بالأهمال التي سردها لينوه بشأنا ويعمل من قدرها ، في نفوس المؤمنين أهل العمل والجد ، وكان في هذه الآيات الفارعات وفي تخصيص الخيل بالذكر في قوله : « وأعدوا لهم ، الآية » وفيما ورد من الأحاديث التي لا تكاد تحصى ما يحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون في مقدمة فرسان الأرض مهارة في ركوب الخيل ، أفليس من أعجب العجب أن ترى أما هذا كتابها قد أهملت شأن الخيل والفروسية إلى أن صار يشار إلى راعيها بالهزؤ والسخرية ؟

أليس من أغرب ما يستغرب أن أنايا يزعمون أن هذا الكتاب كتابهم يكون طلاب العلوم الدينية منهم أشد الناس رهبة من ركوب الخيل وأبعدهم عن صفات الرجولية ، حتى وقع من أحد أساتذتهم المشار إليهم بالبيان عند ما كنت أكله في منافع بعض العلوم وفوائدها في علم الدين أن قال : « إذا كان كل ما يفيد في الدين نفعه لطلبة العلم كان علينا إذن أن نعلمهم ركوب

كانوا يدعون الناس إلى هدى الله وشرعه وهم يحبون من الناس أن يسلكوا سبيلهم ، يعبدون الله كما عبدوا ، ويتقربون إليه بما تقربوا ، فإذا ما سلكننا في ذيارتهم ما سلكوا في زيارة أسلافهم ، طابعت نفوسهم واطمأننت أرواحهم ، وإذا ما انخرقنا عن طريقهم ، فوجهنا وجوهنا في عبادة الله إليهم ، واتخذنا قبورهم مطافاً غالبية الحرام ، ومسلماً كالخمر الأسود ، ومصل كسقام إبراهيم ، وعاطبناهم بالدعاء والرجاء ، فقد جافينا طريقهم وجفوناهم ، وصرنا إلى ما يحزنهم ، لا إلى ما يرضيهم .

### والعاديات ضحبا :

قرأت للرحوم الدكتور ذكي مبارك قوله في مقال وجهه إلى أدباء لبنان :

( مجد مصر اليوم هو مجد أقلامها ، وهو المجد الجدير بالخلود ، وقد أقسم الله بالقلم ولم يقسم بالسيف ) .

وإن من حفظ كتاب الله معنا قد سماه عن قوله تعالى : « والعاديات ضحبا ، فالعديرات قدسا ، فالعديرات ضحبا ، فأثرون به تقعا ، فرسطن به جمعا ، إن الإنسان لربه لكنود » والقسمة بالخيل هو مثل القسم بالسيف . والخيل من العدد التي أمرنا الله في ( الكتاب ) بإعدادها للدفاع والجهاد بقوله : « وأعدوا لهم



ويسموننا لام الجسود وقد ورد القرآن الكريم بهذا الاستعمال قال تعالى : « لم يكن الله ليخسر لهم » .

محمد صابر

مدرس بالمدارس الثانوية

...

### جميع بحث على أبحاث :

طال الأخذ والرد بين الأدباء في جمع بحث على أبحاث والكثيرون على أنه خطأ لا يجيزه القياس وكتب اللغة لم تذكره إلا ( أقرب الموارد ) وأرى من المفيد أن أذكر قاعدة النحاة الكوفيين العامة ومنهجهم في القياس هل المسموع من كلام العرب . وهي تتلخص في جواز القياس على ما ثبت ورود نوحه عن العرب ولو كان هذا الوارد قليلا ، بينما يترتب للنحاة البصريون ويتشددون في أمر القياس فلا يقبسون إلا على المسموع الكثير سواء في ذلك التراكيب والمفردات .

وقد ثبت أن العرب جمعت وزن فعل المفتوح الفاء الساكن العين على أفعال من ذلك حمل وأحال ، وفرخ وأفراخ ، وزند وأزناد . قال الله تعالى : « وأولات الأحمال » وقال الخطيب :

ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ

زغب الحواصل لا ماء ولا شجر  
وقال الأعشى :

الخيال ، يقول ذلك ليفحنى وتقوم له  
الحجة على ، كأن تعلم ركوب الخيل بما لا يليق  
ولا ينبغي لطلبة العلم .

وبعد ، فقول الدكتور المرحوم : محمد مصر  
اليوم هو محمد أقلامها قول حق . وإنها  
لنظافة . وهناك تلك المزائيم والمعم بالمجدين  
العظمين والعلم منذ كان محتاج إلى العلم كما قال  
عمارة النبي في ميمته العبقريّة . وقد كان محمد  
وإنه ليعود ، ومن ساد في القديم ورام العلا  
فلا بد أن يسود ، وألف سنة في المز والسلطان  
لن يذهب سدى . وكتاب الله تلوّه كل يوم ،  
وفيه تحريض ، وفيه تحضيض ، وفيه تذكير ،  
وفيه تبشير ، وفيه الضياء وفيه الهدى .  
« فن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم  
يحرزون » .

أنهري قريش

...

### لم يكن يعرف :

قرأت في جريدة الأخبار مقالا لأحد  
الكتاب جاء فيه من قوله لم يكن يعرف ،  
ولم تكن نتيج ، وهذا الاستعمال ظاهر الخطأ  
وصوابه على حسب استعمال العرب : « لم يكن  
ليعرف ، ولم تكن لنتيج » ، لأن كان المنفية  
بما ويمكن المنفية لم لا يرد بعدها الفعل  
المضارع إلا مسبوقا باللام المؤكدة التي

وجدت إذا أصلحوا خيبر  
وزندك أنقب أزمانا  
المفرد المفتوح الفاء الساكن العين الصحيحها ،  
ولكن هذا لا يمنع من القياس على ما سمع  
منه كما ذهب إليه نخاعة الكوفة .

بفرد مصطفى جواد

آيات يفتننا هربا الشرى والفرب

هي الآيات التي أولها :

وقانا لفحة الرمضاء واد  
سقاء مضاعف الفيث العميم  
نزلنا دوحه خفا علينا  
خنو المرضعات على الفطيم  
وأرشفنا حل ظبا ذلالا  
ألا من المدامة للنديم  
يصد الشمس أنى واجهتنا

فيحبها وبأذن النسيم  
تروع حماء حالية العذارى  
قتلس جانب العقيد النظيم  
فقد أجمع أدباء المشرق كما يقول ياقوت  
في معجم الأدباء على نسبة هذه الآيات إلى  
أبي نصر أحمد بن يوسف المناذري المتوفى  
سنة ٤٣٧ هـ ونسبها أدباء الأندلس ومؤرخوها  
إلى حمدة بنت زياد الأندلسية قالها في وادي  
آسن . وفي وفيات الأعيان لابن خلكان أن  
المناذري اجتاز في بعض أسفاره بواي  
( بزا ) قرية بين منبج وحلب فأعجبه حسن  
هذا الوادي وقال في وصفه هذه الآيات .

يرى البصريون أن هذه الجموع ونحوها  
بما شذ عن القياس فهي من النادر الذي  
لا يجوز القياس عليه ، فأبحاث ونحوه جمع  
خطأ ، لأن العرب لم تنطق به بذاته .

ويرى الكوفيون احترام المسموع وإن  
كان قليلا . فأبحاث ونحوه عند جمع صحيح  
لا غبار عليه لأن العرب نطقوا بتوابعه وإن  
كان قليلا .

ولعل هذا الرأي هو المصدر الذي استقى  
منه صاحب أقرب الموارد ما أورده وأغلب  
الظن أن ليس له مصدر سوى هذا .

أما ترجيح أحد الرأيين على الآخر فالذي  
أميل إليه هو رأي الكوفيين ، إذ ورد في  
اللغة الفصحى مع ما ذكرت أولا أفراد  
وآلاف وآراء وأنجاد وأنحاء ،  
وكثر هذا الجمع في وادي الفاء ومضعف  
اللام مثل أرفاف وأرفات وأوصاف وأوكر  
وأوطار وأوفاد . وقل أجداد وأعمال  
وأبرار وأفذاذ . وربما كان في اللغة غيرها  
وهي طائفة سالحة للقياس عليها . وهذا يدل  
على أن العرب طردوا هذا الوزن ( أفعال )  
في جميع أوزان الاسم الثلاثي المجرد بلا قيد  
ولا شرط . نعم إنهم لم يكثروا منه في جمع

والمفسرين .. وأستاذ فضيلة أن يذكر لي من هم هؤلاء الفقهاء والمحدثون الذين هنأهم فالبحت العلى يحتاج إلى وضع النقط فوق الحروف وتحديد أسماء لكاتب وكاتبين ..

حتى يمكن أن أقصد في الجدل كما أشرت في ردكم .. أما ما ذكرتموه من رأى لبعض المفسرين في قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك » فإنه رأى يقابله سبعة آراء مخالفة في تفسير الآية نفسها ، فضلا عن أن هذا الرأى مرجوح بالعدم الرواية بالبسملة في قراءة القرآن من أثنائه - وهذا عمل إجماع .. وهو أيضا العمدة في استهلال .. فلم يرو عن الرسول صلى الله عليه وسلم رواية واحدة ولو ضعيفة تدل على أنه بسم الله حين قرأ قرآنا من أواسط السور .. فكنت أدجو أن تكون هذه النقطة بالذات هي محور حديثنا ، ومركز اهتمامنا .. لا نقول : المفسرين ، والفقهاء ، والقراء .. وأنا لم أرجع رأى من استأذ فقط .. إلا اعتادا على ما نسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام .

وبعد : فكنت أود ألا أثقل على مجلتنا « القراء » بهذا الرد .. بعد أن طال في هذا الموضوع الأخذ والرد .. ولكن ما الحيلة ؟ وحق الدفاع مكفول لكل من هوجم ، ونسب إليه ما لم يقله ، ومن جهة أخرى فإن البيان

فهل في تقادنا اليوم من يقضى في هذا النوع ، ويبين الرأى الذى هو أولى بالاتباع ؟

جعل الربيع الراهنتاني

• • •

الاستعاذة جوع بنلى القرآن من أواسط : أكبر الظن أن فضيلة الأستاذ الشيخ عبد القليل السبكي .. لو راجع ما كتبه في عدد شعبان سنة ١٣٨١ هـ بشأن الاستعاذة حين بنلى القرآن من أواسط سورة - لا عذر لما نسب إليه من إنكار التسمية في أول القراءة مطلقا .. سواء أكانت القراءة من أوائل السور أو من أثنائها .. فقد جاء بصحيفة ٩٧٧ من العدد السابق ( وما ينبغي أن يعلم أنه لا خلاف بين القراء في الإتيان بالبسملة لمن يثلو من بداية السور - صدا براءة - ... ) فافتتاح السور من أوائلها بالبسملة لا خلاف فيه .. إنما عمل الخلاف قراءة القرآن من أواسطه ...

.. هذا ما كتبه واضحا لا غموض فيه ، ومنه يظهر أنى لا أعالف في الإتيان بالبسملة حين بنلى القرآن من أوائل السور . لقد جاء في مقالى السابق قولى : إتنا فى أوائل السور تتبع رسم المصحف ، ونوافق الإجماع . وقد رأى فضيلته أن القراء بإجماعهم أقل من أن يواجهوا إجماع الفقهاء والمحدثين

الإسلامي للدراسة أن تبقى على المركز الثقافي الإسلامي يباشر مهمته الإسلامية التي يقوم بها الآن ثم تزيد في أعماله وفروعه بإنشاء المعهد الدراسي ويكون تحت إشراف المركز وشعبة من أعماله فتتحقق أغراضا سامية مجتمعة في آن واحد وأملنا كبير في تحقيق ذلك من السيد / وزير الأزهر والمسؤولين واهل الموقف .

الحسيني هاشم

المدرس بمعهد الرقازيق

• • •

إلى السادة القراء :

اعتادت هذه المجلة أن تصدر عشرة أشهر في السنة ثم تحتجب شهرين اختارتهما ذا القعدة وذا الحجة ، ولكن هذين الشهرين قد بقمان في غير الصيف حين يشتد النشاط ويكثر العمل ولذلك اختارته أن تكون عطلتها في شهرى الصيف يوليو وأغسطس وهما بوافقتنا في هذا العام شهرى ربيع الأول وريبع الآخر ومتسأتف الصدود إن شاء الله في شهر جمادى الاول .

واجب ، والسالك عن الحق شيطان أخرس ، والاتباع خير من الابتداع .

محمد محمد الشرقاوى

المدرس بمعهد الإسكندرية الدينى

• • •

المركز الثقافى الاسلامى بواشنطن :

قرأت في جريدة الأهرام الصادرة في ٣ يونيو سنة ١٩٦٢ أن المركز الإسلامى بواشنطن دارت من أجله اتصالات بين سفارة مصر بواشنطن وبين السيد نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف والأزهر الأستاذ حسين الشافعى وكان الغرض من هذه الاتصالات بث الثقافة العربية والإسلامية بجعل المركز الإسلامى وتحويله إلى معهد على يدرس فيه أساتذة من العالم العربى والإسلامى ويخرج هذا المعهد الأمريكيين الطلبة في مدة ثلاث سنوات مزودين بالثقافة العربية الإسلامية ويعطى الطالب شهادة رسمية وهى فكرة جميلة طيبة ونهضة مباركة ، ولكنى أرى أن خير طريق لتنفيذ فكرة إنشاء المعهد العلمى

## مِنْ ضَائِرِ لَجْنَةِ الْفَتَوَى

بشرف عليه : إبراهيم محمد الاصيل

حكم شركة من يجد المال مع من يجيد العمل :

السؤال :

اشترى أحد الأشخاص ما كينة خياطة من  
ماله الخاص ثم أقر بمامل وتعاقد معه على  
أن يخطط على هذه الماكينة وما نتج من ذلك  
يقسم بينهما بالسوية فهل يجوز ذلك ؟  
محمد عبد الله الشنقيطي

الجواب :

ذلك العقد جائز شرعا كما هو مذهب الإمام  
أحمد رضي الله عنه وهو ما اختارته لجنة الفتوى.

تحديد الرقيق ، وحكم ضرب الرق على بعض  
الناس لفهم سبب شرعي مع التجارة فيهم :

السؤال :

ما حكم التجارة في الرقيق ، وهل هو محرم  
بمن شرعي أو بقانون مدني ؟  
حسين محمود شيرازي

الجواب :

الرق مبيح المحاربة بين المسلمين  
والكافرين وأسر المسلمين لبعض الكفار

حكم شراء الحب قبل أن يحصد بأقل من

ثمنه عند الحصاد :

السؤال :

تاجر يشتري أرعب القمح قبل أن يحصد  
بـ ٢٠٠ قرش مع أنه في وقت الحصاد  
يساوي ٥٠٠ قرش ويشتري طرية الأرز  
بـ ١٠ جنياث مع أنها في زمن الحصاد  
تساوي ٥٠٠ ر ١٦٠ فهل يجوز ذلك ؟  
عبد الهادي حسين عفيف

الجواب :

هذا يعرف في الشرع بالسلم وهو جائز  
شرعا متى استوفيت شروطه التي منها قبض  
البائع الثمن جميعه عند العقد والاتفاق على  
التسليم والنظافة والجودة والرداءة إلى غير  
ذلك من الشروط التي تمنع التنازع بينهما في  
المستقبل وكان هذا الراجح مما جرت به العادة  
في البلد بحيث لا يكون فيه غبن أو استغلال  
حاجة المحتاج .

## الجواب :

يقول الله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين » .

ويقول عليه الصلاة والسلام في أهل الذمة ( لم ما لنا وعليهم ما علينا ) .

فيجوز السير في جنازة أهل الكتاب حيث يراد المجاملة دون التعظيم ، ويجوز حمل نعش السكتاني إذا لم يوجد من أهله من يحمله وتجاوز المساعدة في الدفن إذا احتج إليها ، وتجاوز تهنئتهم بالعيد ، وزيارة مرضاهم ، ويجوز مدوهم بالنحية ، ومواساتهم في جميع الأحوال ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : ( إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ) .

## حكم انتفاع المرتن بالرهن :

## السؤال :

لى قريب قد وهن شقة من منزل فهل يجوز للمرتن استغلال هذه الشقة ؟  
السيد / عبد الرحيم عبد المجيد

## الجواب :

شرح الرهن لتوثيق الدائن على دينه الذي له في ذمة الرهن فإذا انتفع المرتن بالعين المرهونة مدة الرهن كان ذلك من باب الربا فيكون استيلاؤه على المنفعة زيادة من مقدار دينه حراما يجب تركه .

والإمام غير في الأسرى بين الفداء والمن والقتل والاسترقاق — ومن ضرب عليه الإمام الرق صار رقيقا يحل بيعه وشراؤه وهبه باعتبار أنه مملوك ، والرق بهذا المعنى مشروع ، ولا يشرع بغير هذا السبب بمقتضى النصوص الشرعية ، كما أنه لا يشرع الآن بهذا السبب ولا بغيره بمقتضى القانون المدني .

وأما ما يوجد الآن من جلب أناس من أماكن محمولة وضرب الرق عليهم بغير السبب السالف فقل دولاه لا يجوز بيعهم ولا شراؤهم بل يحرم ذلك شرعا وقانونا لأنهم أحرار والمهر لا يجوز بيعه .

السيد / حيدر محمود شيرازي

## حكم مجاملة أهل الذمة ومداهما :

## السؤال :

يقطن بقريننا بعض القبط وهم يوادون المسلمين ويحاملونهم في أفراحهم وأتراحهم وقد مات أحدهم فاختلعت آراء مسلمي الناحية في :  
١ - جواز السير في الجنازة .

٢ - حمل النعش .

٣ - المساعدة في الدفن .

٤ - البدء بالنحية .

٥ - تهنئتهم بالعيد .

السيد / محمد عثمان النمر

الشيكة تبع سلوة قبل

حكم شرب البيرة وبيعها :

السؤال :

ما حكم شرب البيرة وبيعها ؟

عبد الدين فراج

الجواب :

شراب البيرة الكثير منه مسكر وما أسكر  
كثيره فالقليل والكثير منه حرام وعلى  
ذلك فنشرب البيرة حرام وبيعها حرام .

حكم المقد العرفي :

السؤال :

رجل يريد الزواج بامرأة بمقد عرفي فهل  
هذا جائز شرعا وما طريقة إجراء هذا المقد  
ليكون شرعيا ؟

عبد علي إبراهيم

الجواب :

يجب أن يتوفر في عقد الزواج الإيجاب  
والقبول بشرط حضور الشاهدين ، والتوثيق  
في الوثائق الرسمية أصبح واجبا قانونا وله  
آثاره وهذا ما تجب به اللجنة على هذا  
وتمنع بعدم إجراء هذه العقود .

حكم الرضاع المحرم :

السؤال :

شاب يريد الزواج من ابنتي مع العلم بأن

أمه أخبرني بأنها أرضعت الفتاة ولا تعلم عدد  
الرضعات فما الحكم ؟

عبد محمود إبراهيم

الجواب :

الشك في عدد الرضعات إذا كان يدور  
بين خمسة أو أكثر حرمت الفتاة بيقين  
الحنة فلا يحصل لابنك أن يتزوجها ؛ لأنها  
تعتبر أختا له من الرضاع نظرا لأنها رضعت  
من أمه فأمه لها من الرضاع وابنتك أخت  
لها من الرضاع والرضاع يحرم به ما يحرم  
من النسب .

أما إذا دار الشك بين خمسة أو أقل فلا  
يحرم على ابنك الزواج بهذه الفتاة لأن الحنة  
ظهر متيقنة والمحرم هو خمس رضعات متيقنات  
متفرقات كما هو مذهب الإمامين الشافعي وأحمد  
رضي الله عنهما وهو الذي نفى به اللجنة .

أحكام عامة في الهبة والوصية :

السؤال :

(١) وهب لابنته الفاصلة نصيبها في  
الميراث وقبل لها وقبض منها واشترط لذلك  
شروطا هي : —

١ — أن تصبح الهبة نافذة ومطلقة قبل  
وفاته بثلاثة أيام .

٢ — أن يحتفظ لنفسه بالفوائد والمناقع  
إلى أن تصبح الهبة نافذة أى إلى ما قبل وفاته  
بثلاثة أيام .

الشرعي بشتراك فيها جميع الورثة حسب  
الفريضة الشرعية .

السؤال :

مات الرجل ولم يوص إلى أحد بالقيام  
على ابنته في تربيتها والحفاظة على مالها فن  
الذي يتولى ذلك ؟ .

الجواب :

الأصح في مذهب الشافعية أن ولاية المال  
لن يقيمه القاضي حيث لا جد ولا وصي من  
جهة الأب ولا من جهة الجد وحيث أقام  
القاضي الأم كانت هي المصرفة ولا حق  
لغيرها معها في إدارة ممتلكات الصغيرة وإذا  
رأى القاضي أن يشارك معها غيرها كالآخ  
أو غيره ، أو رأى تنحيتها لثقة في تصرفها  
 وإقامة غيرها مقامها كان له ذلك إذ له أن  
يتصرف حسب المصلحة .

حكم ميراث ابن أخ شقيق مع أخوين  
شقيقين :

السؤال :

توفي رجل عن أخوين شقيقين وابن أخ  
شقيق فن يرث وما نصيبه ؟ .

عمود عيد

الجواب :

الميراث كله للأخوين الشقيقين نصيباً  
بالسوية بينهما ولا شيء لابن الأخ الشقيق  
لأنه محجوب بالأخوين الشقيقين .

٣ - أن تكون له القدرة على أن يبيع  
ويتصرف في النصيب المذكور إلى ما قبل  
وفاته بثلاثة أيام فما الحكم ؟

الجواب :

هذه الهبة قد شرط فيها شروط الأول  
منها معناه تعليق الهبة إلى ما قبل وفاته بثلاثة  
أيام وهذا يمنع انعقاد الهبة إذ الهبة تملك  
منجر والثاني والثالث معناهما الرجوع في  
الهبة ، وهذا يتناقض مع مقتضى العقد فإن  
الهبة تملك مطلق أيضاً فضلاً عن أن نصيبها  
في الميراث مجهول الآن والهبة لا بد أن يكون  
الموهوب فيها معلوماً وقت الهبة . فهي  
هبة باطلة .

السؤال :

وهب لزوجته نصف نصيبها في الميراث  
ولم يذكر أنها قبلت عقب الهبة ولا أنها  
قبضت ما وهب لها في حال حياة الواهب ،  
واشترط لهذه الهبة أنه إذا حصل طلاق أو  
انفصال عادت إليه الهبة .

الجواب :

هذه الهبة لم تتم بالقبول والقبض وأيضاً  
قد اشترط فيها ما يناقض مقتضاها والموهوب  
مجهول وقت الهبة فهي باطلة .

وعليه فهذه الهبة بقسمها الهبة البت والهبة  
للزوجة تركه للتوفى تورث عنه بالميراث



# بين الصحيف والكتاب

اختيار وتعليق عبد الرحيم فودة

نبي الإسلام :

منذ وجد الإنسان على الأرض وهو مشوق إلى تعرف ما في الكون المحيط به من صن وخصائص ، وكلما أمعن في المعرفة ظهرت له عظمة الكون أكثر من ذي قبل ، وظهر له ضعفه وتضائل غروره . ونبي الإسلام صلوات الله عليه شبيه بالوجود ، فقد جد الملباء منذ أشرقت الأرض بنوره يتلصصون نواحي العظمة الإنسانية فيه ، ويتلصصون مظاهر أسما الله جللت قدرته في عقله وخلقه وعمله ، ومع أنهم استطاعوا الوصول إلى شيء من المعرفة ، فقد فاتهم حتى الآن كمال المعرفة ، وأمامهم جهاد طويل وبعد شاسع وطريق لا نهاية له .

والنبوة هبة الله لا تقال بالكسب ، لكن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن تمتع للستعد لها ، والقدور على حملها . « الله أعلم حيث يجعل رسالته » . ومحمد صلى الله عليه وسلم أعد لأن يجعل الرسالة للعالم أجمع ، أحره وأسوده ، إنسه وجنه ، وأعه لأن يجعل أكل رسالة وأكل دين ، ولأن يجتم به الأنبياء والرسل ،

ولا يكون شمس الهداية وحده إلى أن تنفطر السماء . وتنكسر النجوم . وتبدل الأرض غير الأرض والسموات .

للرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغي ، من مقدمة كتاب محمد : للدكتور هيكل دح ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحافيه واحكم فان قدر رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناماق بنم « البوصري »

محموم رسالة الإسلام :

ولم تكن رسالة الإسلام رسالة موضعية محددة ، يختص بها جيل من الناس دون جيل . أو قبيل دون قبيل ، شأن الرسالات التي تقدمتها ، بل كانت رسالة عامة للناس جميعا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لا يختص بها مصر دون مصر ، ولا عصر دون عصر ، قال الله تعالى : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » ، وقال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا » ، وقال تعالى : « قل يا أيها الناس إني رسول الله

به حفظ الدين ، وحفظ النفس وحفظ العقل ،  
وحفظ النسل ، وحفظ المال ، وبه يهتدى  
أن هذا يناسب الفطر ويسير العقول ،  
وبجاري التطور ، ويصلح لكل زمان ومكان .  
من كتاب فقه السنة للأستاذ الشيخ السيد سابق

ليلة ٢٣ يوليو

عناية الله كانت معنا

في نحو الساعة العاشرة من مساء ٢٣ يوليو  
جاء إلى بيتي ضابط من ضباط المخابرات  
وعضو من جماعة وإن كنا لم نخطره بما  
اعتزمنا القيام به — التحذير بأن القصر  
قد تسرب إليه نأ استمداد الضباط الأحرار  
للتحرك ، وأنه قد اتصل برئيس أركان حرب  
الجيش فدعا إلى عقد اجتماع عاجل في الساعة  
الحادية عشرة لاتخاذ الإجراءات عندنا .  
وكان لابد من اتخاذ قرار فوري .

فلو أننا تركنا كل شيء ليم في ساعة الصفر  
المتفق عليها وهي الواحدة صباحاً — فقد  
يدركوننا قبل أن ندركهم ومن ناحية أخرى  
كانت الأوامر قد وزعت ، وكان من أصعب  
الأمور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع .  
وانضم إلينا ضابط المخابرات . وخرجت  
مع عبد الحكيم عامر لتجتمع بعض القوات  
من ثكنات العباسية ... وصلنا متأخرين .  
فقد وجدنا أن البوليس الحربي قد أغلق

إليك جميعا الذي له ملك السموات والأرض  
لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بآية ورسوله  
النبي الأمي الذي يؤمن بآية وكتابه واتبعوه  
لعلكم تهتدون ، وفي الحديث الصحيح :  
( كان كل نبي يبعث في قومه خاصة ، وبشت  
إلى كل أحر وأسود ) .

وبما يؤكد عموم الرسالة وشمولها ما يأتي :  
١ - أنه ليس فيها ما يصعب على الناس  
اعتقاده أو يثقل عليهم العمل به ؛ قال الله تعالى  
ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وقال تعالى  
ولا يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ،  
وقال تعالى ، وما جعل عليكم في الدين من حرج ،  
وفي البخاري من حديث أبي سعيد المقبري  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إن  
هذا يسر ، وإن يشاد الدين أحد إلا غلبه )  
وفي مسلم مرغوما : ( وأحب الدين إلى الله  
الحنيفية السمحة )

٢ - أن ما لا يختلف باختلاف الزمان  
والمكان - كالعقائد والعبادات - جاء مفصلاً  
تفصيلاً كاملاً ، وموضحاً بالتصريح المحيطة به ،  
فليس لأحد أن يزيد فيه أو ينقص منه ،  
وما يختلف باختلاف الزمان والمكان كالمصالح  
المدنية ، والأمور السياسية والحربية جاء مجعلاً  
ليتنفق مع مصالح الناس في جميع العصور ،  
ويهتدى به أولو الأمر في إقامة الحق والعدل .  
٣ - أن كل ما فيها من تعاليم إنما يقصد

الشككات ... فضينا إلى شككات الفرسان  
والمصفحات فوجدنا - أيضا - أنهم  
سبقونا ، وكان البوليس الحربي يحرس  
كل الداخل ...

وبدا - لحظات - أن خططنا كلها في خطر .  
ولم يبق على ساعة الصفر إلا تسعون دقيقة .  
وبدا أن خطة الثورة كلها تدخل في مرحلة  
من تلك المراحل الخطيرة في التاريخ . عندما  
تدخل قوى أكبر منا لتوجيه الحوادث .  
ولقد تأكد لي من تطورات الأمور  
أن ضاية الله كانت تلك الليلة معنا ...

الرئيس

جمال عبد الناصر

من حديث له مع صحفي أجنبي

لأننا نؤمنه منذ ...

كان ذلك قبيل فجر الثورة بقليل ...  
الظلام يغمر العقول بالحيرة والنفوس  
بالأس .

وسمة مصر في الداخل والخارج ملوثة  
بالافذار .

وجهاز الحكم قد تحول إلى بورصة ،  
تقوم فيها الأخلاق مقام الأوراق .

وللبرلمان بجمعية المتصفين بالقناة التي  
ألفتها حكومة « إيدن » من دول تماثلها  
وتدور في فلك سياستها . وتضع بما  
تجود به عليها .

وجلس مع الأستاذ جلال الدين الخمسي  
تحدث في بعض هذه الشؤون ...  
وسألني « جلال » بعد فترة من الصمت  
الكثيب هذا السؤال ...

هل الله موجود ... ١٩

وقمت عيني في دهشة بالغة ... ولم أرد .  
قال : قل : نعم .

قلت : وماذا بعد نعم ... ١٩

قال : أليس حاكما عادلا ... ؟

قلت : بلى ... وماذا بعد ... ؟

قال : والله ... لا يمكن أن تكون نهاية  
هؤلاء المستهترين طبيعية .

وبعد ذلك بأسبوع كنت مع الأستاذ  
« الباقوري » بعد منتصف الليل نهد في  
شارع الجلاء .

وجري الحديث في بعض هذه الشؤون ...  
في الملك . والحاشية . والظلام الذي كان  
يسيش فيه الحكام .

وقال الباقوري هذه العبارة التي لازلت  
أذكرها : تصور جماعة من السكارى في هربة  
يقودها مخور ... الركاب مخورون والسائق  
مخور . والنتيجة التي لا ممدى عنها أن ترتطم  
هذه العربة . وتتحطم مع من فيها ...

ونظمت إلى السماء في صمت أسأل الله  
أن يصون مصر . وينقذها من هذا البلاء .  
ثم نشاء العناية الإلهية أن تبدأ حركة  
الجيش في مثل هذه الساعة من ليلة ٢٣ يوليو .

الفتى .. انتقد الذى لا يحكمه تعزيب و الشلل ،  
التي تمثل الإقطاع الثقافى فى بلادنا .

تلك الشلل التي توجد فى كل صحيفة وفى كل  
جهاز ثقافى لها ناس بعينهم تحمى إنتاجهم ،  
وتنشر أعمالهم وتنتدبهم لكل ما يطلب من  
إنتاج فكرى .. لا يحكم أعمالهم تقدير ،  
ولكن تحكمه صلتهم ، بالسلطة ، ، إذا كانوا  
منها فهم مقربون ، وإذا لم يكونوا منها فهم  
مبعدون ، مصدودون ، مزور عنهم

وأعتقد أن هذا واضح لكل ذى عين ..  
يلسه عند ما يتغير الأشخاص المهيمنون ، فإنه  
يتغير بالتالى الأشخاص المنتجون .

ولقد صدق الأستاذ محمد مصطفى هطلا  
عند ما قال فى كتابه : « الحركة العاقلة » ، إنتاج  
نميش الآن وسط إقطاع ثقافى . حيث يحتكر  
الفكر أفراد معدودون ، فالناشر لا يرحب  
إلا بآثارهم أو بالآثار التي يقدمونها إليه  
من غيرهم .

ولقد آن الآوان لأن يتغير ذلك ، ويكون  
إنتاجنا الأدبى تحكمه مبادئ ثلاثة :

١ - الجودة .. لا القرب من السلطة ،  
ولا لمة الاسم .

٢ - الحرية .. لا عبودية الدوران ،  
فى دائرة مدرسة المهيمنين .

٣ - تكافؤ الفرص .. لا مذهب وشيلى  
وشيك .. عبد المقصود حبيب

من جريدة الأهرام ١٩٦٢/٦/٢٢

وأن يثب الأحرار ليوقفوا العربية ،  
ويوقفوا السكاري . ويضيئوا الأنوار ..  
أيها العرب المكافون فى كل مكان .

اصبروا فإن الله مع الصابرين .  
واذكروا أن الله موجود ، وأنه عادل ،  
وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم ، وأنه كما قال  
رسوله ( يلى الظالم حتى إذا أخذ لم يفلته ) .

ح . ف  
من جريدة الشعب

### الإقطاع الثقافى

فى هذه الآونة من تاريخنا وهو يسجل  
انتصاراتنا .. علينا أن نكشف الغطاء عن  
كل الأخطاء التي نميش فيها ونعيش معنا من  
ذمن تحت ضغط ظروف معينة .

ومن هذه الأخطاء فى ميدان الإنتاج  
الفكرى ما يمكن أن نسميه « الإقطاع الثقافى » ،  
وأعتقد أننا فى حاجة ماسة إلى ثورة كبيرة  
هل القيود الموضوعة على إنتاجنا الفكرى ،  
والتي خلقت هذا الإقطاع .. تلك القيود التي  
ليست من وضع الدولة ولكنها - للأسف -  
من وضع أناس مفكرين لأناس مفكرين  
مثلهم .

وهذه الثورة لا يحققها إلا وجود التقدير  
التقدير الصحيح للإنتاج . ووجود النقد ..  
النقد المجرد البعيد عن الهوى والأغراض  
الشخصية والملاحظات الخارجة عن حدود العمل

works or fields. The same is with the other different professional people. They will never be arabic socialists, unless they produce better and perfect work. The Muslim learned man who is of a spiritual message, will not be so an arabic socialist, unless he becomes adaptable with the society in which he lives, and be of a better production which can be realized by looking to the whole society as a unit and to the religion as a system of life. By these two looks, he can promulgate his ideas and judgments in the religious affairs of the people, as he can bear the message of pioneering and directs peoples towards the correct way of life.

The Journalist will not be also

an arabic socialist by means of his long or abundant article, but by betterness and perfection of what he writes about the arabic socialism : its significance and its performance without neglecting the historical events which led to the revolution and liberation and which urge people to keep that socialism and so on.

From what we above mentioned, we conclude that what the national Charter mentioned is surely a definition of the socialism in its significance and utilization in the different aspects of life. Lastly, the Charter is a covenant on ourselves to be believers in God, ourselves and our humanity in the great Arab emho-land in which we live.

---

the perfect production, it also welcomes the spiritual power which causes motivation and removes the obstacles from the way of the producer and the worker.

The valuation of the arabic socialism for the spiritual power is not only because our history held and raised it through all its periods, and because the egyptian people used it as an arm — through our arabic frame — against the invisible and the visible colonialism, but also because the spiritual power keeps in — as we mentioned before — motivation and going forward, and every thing help in going forward, has been encouraged by the arabic socialism. Therefore, it encourages knowledge, as the way of knowledge is the nearest to the object and the safest one to it. The spiritual power is a motive one and the knowledge is a discovering power. So, one who wants to be of a perfect production — the arabic socialist one — should have both of the two power : The spiritual power and the powers of knowledge.

The duality of these two powers is an inevitable and an important matter in our arabic socialist society. And those who bear the spiritual message have to understand the knowledge and to behave not in a theoretical supposed circle without

looking to the actual life, because this will lead them to be in a permanent loneliness, and by turn they will create a group of people who has no ability to discover the actual life. The same will be with those of the scientific message, when they neglect their spiritual power. This is because they, in fact, neglect a great power of motivation towards perfection and better production.

#### Al-Azhar University :

Although that dualism between the spiritual power and the scientific one is not yet gathered in one circle in our society, the prospective hope is concentrated on the new university of Al-Azhar to realize that. In this university, science and the spiritual values will not only walk side by side, but they will form a unit which causes progress and motivation towards better production and work. Hence, we are the workers, farmers, officers, national capitalists and soldiers have no right to call ourselves arabic socialists, except when we are of a perfect production in every field. Therefore, the worker who his wage had been increased and who took a share in the profits of the factory in which he works, and the farmer who had been given land to be his own, are not arabic socialists as long as they do not produce better production in their

production, it only expresses the inevitable result of the arabic socialism utilization,

When we come to the field of work or farming and try to distinguish the arabic socialist from the other, we shall find that the criterion is very obvious. It is the supremacy in production, quality before quantity, but if they gather, the supremacy in production will be very evident.

It is The same when we go to the other fields such as the intellect teacher and the employers, the supremacy in production is the matter which distinguishes the arabic socialism from the other whether it is in quality, quantity or in both of them.

To clarify that supremacy, the worker in his factory when he produces perfect goods and when he keeps the machine in a good condition in order to stay in its perfect state, that is a methodical supremacy. Also, the farmer, when he produces a good production and fertilizes permanently his land, this is also another picture of the methodical supremacy. The same is with the teacher, the professor and the officer, when every one perfectly carries out his work to save people a complete welfare, that is a third picture of that supremacy.

Keeping out of the field of the

material production and going to the field of the human production in " family ", the perfect production which represents in the sons and in the material, spiritual and convincing power is a forth picture of that supremacy.

Going to the spending field, moderation and non-extravagance, whether in the private or in the common side is a fifth picture of that supremacy. This is because moderation in spending will cause an indirect favour can be saved, and this of course is a production which can be used in covering the private and the common expenses.

The arabic Socialism, being a restoration of the human consideration and removing the obstacles from the way of man to go forward in his work and production. And the arabic socialist, being the man of the perfect production, arabic socialism undoubtedly will be a principle which leads to the betterness. As a matter of fact, the man of the best work is the clement one who uses all his abilities to realize the human objectives as a human being.

#### The spiritual power :

As arabic socialism helps in the free motivation towards work and production and by turn helps in

its significance on the arabic socialism. Undoubtedly, arabic socialism is equal to the restoration of the human consideration to the whole individuals of the human consideration to the individuals of the Arab home-land.

The restoration of the human consideration is a beginning and in the same time it is a purpose. It is the beginning of the egyptian Revolution of 23rd July 1952, and the purpose of the arabic socialism which emanated from the successive events which passed over the egyptian people through the arabic circle.

As a matter of fact, the laws of July 1961, are nothing but an expression of the restoration of the human consideration for those who lost it in the past. They are also one of the results of the arabic socialism. Therefore, it is clear that these laws are not the socialism itself, but they are a feature which illustrates a picture of that socialism.

#### The field of work and production :

The main purpose of the arabic socialism — or rather of the restoration of the human consideration for those who lost it under the colonialism and the exploitation reign whether it was through the feudal or the capital system — is to widen the way for work and production, or in other words to remove the obstacles

and hindrances from the way of work and production. This is because man when he restores his human consideration and feels that he is an individual equal to the other ones in his society; equal to them in the human nature, values and consideration — though he may differ from them in ability and comprehension —. Then, he will not find any thing which may hinder his way towards work and production. So, Arabic Socialism is the factor which paves the way for work. And the arabic socialist is the productive work who produces without any spirituals obstacles which hinder him on his motive and freedom,

#### Towards a better production :

The work of the individuals under the arabic socialist system, being equal to their work before the 23rd July Revolution, this surely means that the arabic socialism is only in the mental imagination circle, as well as on the lips of mouth without going deeper to reach the heart and to become a belief and conviction. Therefore, the arab socialist is the one who produces better production during the time of the arabic socialism than what he produced before the 23rd July Revolution. Also, arabic socialism is equal to the supreme production. Consequently, when the national charter asks the workers to increase and improve their



# AN IDEA AND UT ZATION

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The chancellor of Al-Azhar University

The national progress cannot  
at all be realized by means of a  
loud recitative words :

From the study of the draft of the national charter, the reader can conclude that this draft is really based upon an indigenous idea, and that its extension is the utilization of this idea. The indigenous idea is the arabic socialism, and its extension — which is the utilization of that idea — is the different aspects of the society, such as the political, economical and the social ones.

The arabic Socialism :

Concerning the idea, the draft does not try to define its significance from a linguistic origin, as it never tries to transfer that significance from another philosophy or a strange orientation away from the arabic limits; but it purifies that understanding from the historical even's which passed over the egyptian people in the frame of the arabic nation's circle. These events which defined the

arabic Socialism significance, and which successively passed over the egyptian people through the arabic nation's circle, aimed at the spiritual and the material exploitation. So, people lost their human consideration and consequently, the society divided into two groups : The exploiters who were representing the minority, and the humiliated people who were representing the greatest majority.

Since the Tartar and the crusades era till the Naboleon's campaign and the British occupation, these events were very evident. Then they extended till the time of the internal exploitation in the shade of the independence which the colonialists made it as an extension to their indirect exploitation and handling the human consideration.

These historical events which passed over the egyptian people through the arabic circle, being the cause of the 23 July 1952 Revolution, and being the factor which dictated

other people towards the good and happiness. But a long time after them, other people inherited the Book and led their life according to the dictation of their lusts and desires and they forgot God, so He made them forget their own souls. Those people also subjected themselves to the others and imitated them in every thing : such as education, economic, civilization and the system of life. Hence, they lost their personality as a nation and lost their existence as human beings of a private system of life.

O Muslims : I call you to come back to your heavenly personality which God had completed for you. Come back to it to be linked to each other and to be a strong nation. Surely, the personality in the past is the same one in the present time. It still very clear in the holy Book. Also, the world is the same one and still have the readiness to take its way through good deeds and right path. So, be as your fathers were and be sure that God will not change the condition of a people until they change it themselves with their own souls.

---

defective one. And if the persons have the sensory personalities which realize the tangible existence for them, they have also other spiritual personalities which achieve for them the spiritual ones, the sensory personality of the individuals may be represented in their behaviour, movement, act of eating, drinking and stability. Also, the spiritual personality can be represented in their unity, separation, strength, weakness, interests and harm. As a matter of fact, without souls, the individuals will be like shade of the others. So, they will move when the others move, and stop when they stop. They will think through the others minds and consequently, nothing of the human deeds can be related to them at all.

The heavenly personality :

Indeed, no peace will be spread among mankind except when the nations of the tyrant personalities take off their personalities and replace them with the spiritual ones which the Almighty God have created in the human nature and makes them as a way which leads to stability and happiness. Then, these nations should undertake to cultivate this kind of personality in the other nations which are only of sensory ones and which are deviated from

the good life in that universe, and their peoples are prohibited from being vicegerent and leaders on their land. The Qur'an says : " but if, as is sure there comes to you guidance from Me, whosoever follows My guidance, will not lose his way, nor fall into misery. But whosoever turns away from My message, verily for him is a life narrowed down, and we shall raise him up blind on the Day of Judgement. He will say : "O my God ! why hast thou raised me up blind, while I had sight before ?". God will say : " Thus didst thou, when our signs came unto thee, disregard them : so wilt thou This Day, be disregarded. And thus do we recompense him who transgresses beyond bounds and believes not in the signs of his God : and the penalty of the Hereafter is far more grievous and more enduring." [ S Taha. Vs. 123 : 127. ]

This is the heavenly personality which revealed in the holy Qur'an " Verily, this is My way, leading straight : follow it follow not other paths, they will scatter you about from His great path : Thus doth He command you, that ye may be righteous." [ S. The cattle, V. 153. ]

In fact, some people believed in that personality during one time and built their life on its foundation. So, they directed themselves and the

the descendant of the prophet and that he is the follower of a certain holy book. Some of them said to the others : our prophet came before your one and our Book revealed before your book, so we are nearer to God than you. The latter said : no, but we are very nearer to God than you. This is because our prophet is the last ring in the chain of prophets, he is the only intercessor before God on the Day of Judgment. And also because our Book appropiates all the books which were revealed before it. But God guided them all to the right path, telling them that following of any prophet or book is not the way which leads to honour and greatness. The Qur'an says in this respect : " Not your desires, nor those of the people of the Book ( can prevail ) : whoever works evil, will be requited accordingly. Nor will he find, besides God any protector or helper. If any do deeds of righteousness, be they male or female and have faith, they will enter heaven, and not the least injustice will be done to them. Who can be better in religion than one who submits his whole self to God, does good, and follows the way of Abraham the true in faith ? "

[ S. The women, Vs. 123 : 125. ]

*O Muslim, come back to your personalities :*

I call you to come back to the

full meaning of the word "Muslims" and to realize its meaning in your hearts and souls as it is the will of the Almighty God. And consequently, your past glory will come back again to you, then you will lead a happy life in both this world and the Hereafter, in this respect the holy Qur'an says : "Has not the time arrived for the believers that their hearts in all humility should engage in the remembrance of God and of the Truth which has been revealed ( to them ), and that they should not become like those to whom was given revelation aforetime, but long ages passed over them and their hearts grew hard ? For many among them are rebellious transgressors, Know ye ( all ) that God giveth life to the earth after its death ! Already have we shown the signs plainly to you, that ye may learn wisdom." [ S. The Iron, vs. 16—17. ]

The personality of a thing is what distinguishes it from the other things. And if we imagin that there is a thing without personality, we shall not be able to decide its existence, as it will take its place in the minds as a picture of no actuality. The existence is divided into two sections : Tangible existence of sensory Personalities and intangible one of the spiritual personalities. So, unless the thing has both of the two personalities, its existence will be a

their faces towards the sacred mosque at Mecca (Al-Kaabah). Hence, people started to speak about that matter. But people were divided into two groups. The first group prefer to direct faces towards the sacred Mosque of Jerusalem, while the other one prefer to direct their faces towards the holy shrine of Mecca. And every group presumed that their preferable direction (Keblah) is the true religiosity which might make him nearer to his creator. Accordingly, the discussion had occupied the people about the matter of (Keblah). So, they became far away from the way of God which is the guidance that was revealed in the holy Qur'an and conveyed to people through His prophets. Consequently, God lightened His prophet and informed him about the condition and the obstinate attitude of those people. It is not the attitude of those who seek truth and look for it. So, He guided him not to give them any attention, but to follow what is revealed to him. In this respect, the Qur'an says : "The truth is from thy God; so be not in doubt." [S. The Cow, V. 147.]

The Qur'an also denies the attitude of those who occupy themselves and the other people in such matter which is concerning God who surely have the will to select what He wants and do what He wishes according to His Knowledge and

wisdom. The Qur'an says: "To God belong the East and the west: Whithersoever ye turn, there is the presence of God". [S. The Cow, V. 115]. Furthermore, God directs His bondmen to east or west according to His will. To carry out what God "exalted be He" ordered, this is the good which leads to happiness. The rock of the sacred Mosque of Jerusalem is not better than any other rock. And also, the building of the sacred mosque of Mecca is not better than any other building. But this and that are only places. And people had been ordered to direct their faces towards them during the performance of their prayers for nothing but to realize the sensory unity, as to achieve the spiritual unity by worshipping God and carrying out His teachings. So, we come to conclude that the matter of (Keblah) is not intended for itself. And consequently, one should not be fanatic for this or that place, but he should seek the useful facts and the pure essence which is: true faith, virtuous character and good deeds. These surely are the source of piety and the sign of the true religiosity before God.

#### Islam is a belief and a work :

In olden times, the followers of the religions declared their pride by saying one to another that he is

The Qur'an says : "Be not like those who are divided amongst themselves and fall into disputations after receiving clear signs : for them is a dreadful penalty," [S. The family of Imran, V. 105.] And in other verse it says : "As for those who divide their religion and break up into sects, thou hast no part in them in the least : Their affair is with God : He will in the end tell them the truth of all that they did." [S. The cattle, V. 159.]

In fact, the true religiosity before God is to follow and carry out the instructions of the holy Qur'an which join the Muslim's hearts to each other and directs them towards united aims which are the happiness in both this world and the Here after. It is the duty of the Muslim leaders and learned men - if they wish to spend a good life - to clarify the Muslim life of the wrong religiosity and to build the life of the individuals and societies on the correct foundation of the glorious Qur'an. By means of that, the Muslim nation will take its part among the other nations, and will be considered as one of the powerful personality in the world. Also, it is the nation which enjoins what is right and forbids what is wrong and does its utmost to spread equality and justice among all mankind.

The sign of the true religiosity :

The Qur'an says : " It is not righteousness that ye turn your faces towards east or west; but it is righteousness to believe in God and the last Day, and the angels, and the Book, and the messengers; to spend your substance out of love for him for your Kin, for orphans, for the needy, for the wayfarer, for those who ask, and for the ransom of slaves; to be steadfast in prayer, and practise regular charity; to fulfil the contracts which ye have made; and to be firm and patient, in pain ( or suffering ) and adversity, and throughout all periods of panic. Such are the people of truth, the God fearing." [ S. The Cow, V: 177.

In fact, the intellectual trends of the ancient and the modern human being are similar. So, the inclination of man in olden times towards good and useful things has its similar in our modern times, and as well as the need to guidance was found in the olden times it is found also in the people of to-day.

The Almighty God had ordered Muslims to direct their faces, through the performance of prayers, towards the sacred mosque at Jerusalem. Then He turned them afterwards to direct

wouldst see them turning away their faces in arrogance" (S. the hypocrites, V. 5.)

The formal religiosity :

While, another group of people claims that religiosity is the movements of the prayers, the performance of fasting, the praise of God, speaking in a lower voice, declaring sadness for religion and morals and the repeated visits to the sacred mosque whatever is the source of the expenses of going and coming back.

With these unuseful pictures, they limited their practical religiosity. But with regard to their scientific one which springs from the opinions of their fathers and grand-fathers, the Faith in their sight is that which related to Al-Ashary only, not what related to Al-Maturidy or Al-Mautazily. Also, the indictment in their opinions is that which was decided by Abi Haniefah and conveyed to people by means of his followers, neither that which was decided by Al-Shafie, Al-Maliky, nor what is supported by the Qur'an and the prophetic traditions. Moreover, the full meaning of the quranic verse is that which is written in the kurtuby explanation and related to Kaabu Al-Ahbar and Wahb Ben Monabbek. The opinion of any one other than what we

mentioned above is in their sight nonsense whatever it is supported by the proofs and actuality.

The bad results :

With their symbolistic religiosity, the former had opened the door for the latter to abandon the guidance and the instructions of the Qur'an. Hence, a great plenty numbers of the youngmen denied the Faith and preferred the legislation and the laws of the western people than the laws and the teachings of God. Moreover, they said that the modern laws are more suitable to the present time, fitting the recent civilization and feeding the human emotions.

With their formal religiosity whether in scientific or practical affairs-the other group made diversity in religion. So, people considered that every Muslim state has its religious nature. Hence, separation among the Muslims appeared, though they pretend that they are the followers of one religion (Islam), one book (The Qur'an), and one Prophet "Mohamed peace be upon him". This separation was followed by differentiation in the affairs of the Muslim life as it was the fate of every state to be dominated by those who made and still making their utmost to harness us for their own benefits.

people through the prophets and messengers " Hence, both the false and the right religiosity will be obviously clear before all the the sights. The glorious Qur'an says : " Then, he whose balance (of good deeds) will be found heavy, will be in a life of good pleasure and satisfaction. But he whose balance (of good deeds) will be found light, will have his home in a (bottomless) pit. And what will explain to thee what this is ? It is a Fire blazing fiercely ! " [ S. The day of noise and clamour, Vs. 6 — 11 ].

### The symbolistic Religiosity :

In the light of this general balance, we find that there is a group of people who satisfied only by calling themselves Muslims. They only perform the first Islamic statement which is to pronounce that " there is no God but Allah and Mohamad is his prophet ". But on the other side, we find that they are far away from : the virtuous meanings, the righteous deeds and the scientific subjects which were conveyed by those whom the Almighty God had chosen for that task. As a matter of fact, we observe that this kind of people are leading their life according to the demands of their lusts and desires : The right in their sight is that which they consider right, and the virtue before them is

that which they consider it so. In short, they have no guide except their lusts and desires which dictate them and turn their dictation into actions.

Indeed, rejection of Faith is better than this kind of religiosity. This is because the weak minded people may follow that false religiosity, as they may also be deceived by it as a righteous way. This kind of religiosity has spread among people who claimed that they have a certain kind of culture which takes them far away from the Islamic duties and the laws that are revealed by God to be a base for the religiosity and a foundation for the construction of a good family and a protection for the society as a whole. The glorious Qur'an says : " Yet there is among men such a one as disputes about God, without knowledge, without guidance and without a book of enlightenment. ( disdainfully ) bending his side, in order to lead ( men ) astray from the path of God. For him there is disgrace in this life, and on the Day of Judgement, we shall make him taste the penalty of burning fire. " ( S. the pilgrimage, V. 8 — 9. ) And as a sign to know those people God says : " And when it is said to them " come, the prophet of God will pray for your forgiveness ", they turn aside their heads, and thou



Undoubtedly, it is impossible to be a believer unless you believe in God's message. This is because God had created both universe and the human beings whom he supplied with the power of thinking and work. So, it is not reasonable to let them going astray or to lead their way through darkness as the beasts which take their lairs in the desert and eat what appears before them. The Qur'an says: "Behold! thy God said to the angels: 'I will create a vicegerent on earth.' They said: 'wilt thou place therein one who will make mischief therein and shed blood? whilst we do celebrate thy praise and glorify thy holy (name) he said: 'I know what ye know not' [S. The cow, V. 30]. and says: "Did you then think that we had created you in jest, and that you would not be brought back to us (for account)? [S. The believer, V. 115].

#### The Religiosity before God:

As God created the universe, controlled and looked after it, he also created the human beings, controlled them by his guidance and constitutions, the Qur'an says: "our God is he who gave each (created) thing its form and nature, and further, gave (it) guidance". [S. Taha, V. 50]. The human being, when he carries out the instructions of God,

that is the religiosity, as the creator wants it to be. The basis of that is to confess that there is no God but Allah "Ye only we worship and ye alone we ask for help", and to obey Him, the Qur'an says: "Follow (O men) the revelation given unto you from your God, and follow not as friends or protectors, other than Him". [S. The Heights, V. 3.], and to fear of him in external and internal feeling beside the permanent remembrance of His greatness.

Hence, man will be a pious one who apprehend his God is emanating from his conscience, and not be one of these whom the glorious Qur'an speaks about in his saying "They may hide (their crimes) from men, but they can not hide (them) from God, seeing that He is in their midst when they plot by night, in words that He cannot approve: and God doth compass round all that they do". [S. The women, V. 108].

The Religiosity which is approved by God, if we compare between it and the other religiosity which people turn to its different actions, we shall find that some of these actions are very light in the balance of comparative, while we shall observe that others are nearly equal in that balance to the former religiosity which had been mentioned in God's revelations and conveyed to the

## THE RELIGIOSITY OF THE PEOPLE

by

His eminence shaykh Mahmoud Shaltout

The greatest Imam of Al-Azhar

---

The Qur'an says " Verily those who say our God is Allah " and remain firm (on that path), on them shall be no fear, nor shall they grieve [S. winding sand tracts, V. 13]. " Who is better in speech than one who calls (men) to God, works righteousness, and says I am of those who bow in Islam " [ S. Abbreviated letters, V. 33 ].

The belief in God — the one who had created both the universe and the people whom He provided with His bounties and whom He guided to use their talents for their own happiness — is a distinctive matter which souls always are being very keen to it in case of they are pure and far away from fanaticism. This is very clear in the quranic verses especially these which speak about the non-Muslims who worship stones, moon and the sun in order that they might be nearer to God. The Qur'an says: " If indeed thou ask them who has created the heavens and the earth and subjected the sun and the moon (to His law),

they will certainly reply, ( God ) " and also says : " And if indeed thou ask them who it is that sends down rain from the sky, and gives life therewith to the earth after its death, they will certainly reply ( God ) " [ S. The spider, V, 61 - 63 ].

### The belief in the heavenly guidance :

To believe in God, one should believe in his message, for which he selects one of his bondmen to convey it to the people and calls them to believe in it and to carry out its instructions, either by calling them to follow the way that leads them to happiness, or by forbidding them to do the unlawful and wrong deeds which surely will cause them much troubles. In this respect the holy Qur'an says: " And if as is sure there comes to you guidance from Me, whosoever follows my guidance, on them shall be no fear, nor shall they grieve ". [ S. The cow, V. 38 ].

who repent (the offence) are companions of the fire: They will abide therein (for ever)" [S. The cow, V. 275]. The Qur'an also declared that those who refuse to respond its call theirs will be the fire for ever "O ye who believe! fear God, and give up, what remains of your demand for usury, if ye are indeed believers. If ye do it not, take notice of war from God and His Prophet".

It also put the foundation on which the usury can be obliterated completely, God said "But if ye turn back, ye shall have your capital sum: deal not unjustly, and ye shall not be dealt with unjust by. If the debtor is in a difficulty, grant him time till it is easy for him to repay, but if you remit it by way of charity, that is best for you if you only knew". [S. The cow, Vs. 279 — 280].

It is very obvious that the conduct of the owner of money towards the debtor is wisely treated by this quranic verse "If the debtor is in a difficulty, grant him time till it is easy for him to repay, but if you remit it by way of charity, that is best for you if you only knew". [S. cow, V. 280].

God recommends us to treat the debtor one kindly and not to be hurry in charging his debt in case of his difficulty. But it is a human ideal that which is mentioned in the previous verse "But if you remit it

by way of charity, that is best for you if you only knew". It links people to each other for the sake of reformation of the society. In this verse God shows the high standard of humanity. That is the owner of money who not only gives a time to the debtor who is in a difficulty, but also who gives him the debt as a charity.

A society like that one in which there is full mercy and kindness among its individuals, should spend its life in security, fraternity and peace.

On these principles which lead to mutual cooperation and brotherhood among the members of the society and between them and the State, the holy Qur'an urges people by many of its verses to spend money in the cause of God and to satisfy the needs of the needy people for fear of they may commit crimes against the rich ones, especially if they notice that they are living in a complete welfare.

On these bases, Islam built the islamic society to be like the one body which feels pain because of the complaint of one of its organs.

No doubt that money will not be a mean of exploitation, if the human relations — which are regulated by Islam — taken into consideration. Surely, the society which carries out these instructions is the one that God wills it to be.

barren rock, on which is a little soil: on it falls heavy rain, which leaves it (just) a bare stone. They will be able to do nothing with aught they have earned. And God guideth not those who reject faith. And the likeness of those who spend their substance, seeking to please God and to strengthen their souls is a garden, high and fertile: heavy rain falls on it but makes it yield a double increase of harvest, and if it receives not heavy rain, light moisture sufficeth it. God seeth well whatever ye do."

The verses go on like that till the saying of God "God will deprive usury of all blessing, but will give increase for deeds of charity: For He loveth not creatures ungrateful and wicked". [S. The cow, V. 276]. You can read also the following verse from the chapter of the family of Imran which reads "O ye who believe! Devour not usury doubled and multiplied; but fear God; that ye may (really) prosper". [V. 130].

On the opposit side, you can read the saying of God "Be quick in the race for forgiveness from your God, and for a garden whose width is that (of the whole) of the heavens and of the earth, prepared for the righteous, those who spend (freely) whether in prosperity or in adversity; who restrain anger, and pardon (all)

men; — for God love'h those who do good". [S. The family of Imran, Vs. 133 — 134]. And from the chapter of Rooman empire you can read "So give what is due to kindred, the needy, and the way farer, that is best for those who seek the countenance, of God, and it is they who will prosper. That which you lay out for increase through the property of (other) people, will have no increase with God: But that which you lay out for charity, seeking the countenance of God (will increase): It these who will get recompense multiplied". [Vs. 38-39].

Read all that verses and think in their meanings with a faithful heart, then you will find out the aim for which the Qur'an prohibits usury and to usurp the money of the others unlegally, and for which it dispraises those who are usurers when it says "Those who devour usury will not stand except as stands one whom the evil one by his touch has driven to madness. That is because they say: "Trade is like usury, but God hath permitted trade and forbidden usury" [S. The cow, V. 275]. Then the Qur'an warned them to go on with treatment of usury when it said: "Those who after receiving direction from their God, desist, shall be pardoned for the past; their case is for God (to judge); but those

Islam treated all people equally. It made no difference between one and another. It wanted them to spend a good life where among them there would be mercy and cooperation. It also put the principles which related individuals to each other, to the society and to the State. Hence, the treatments in Islam are represented in, giving every one his rights, kindness for the weak people, and charging the right of the society from the rich people.

*Secondly, from the negative aspect :*

Islam prohibited usury, bribery, miserliness, extravagance and to prevent the rights of the poor people. To clarify the dissimilarity between the positive and the negative aspects, holy Qur'an compares the two sides through many of its verses. In front of the sights, it put a light picture which is the one of kindness, sympathy and co-operation as it made giving charity as its motto. On the other side, it put the dark picture which is the one of avidity, cruelty and the hateful selfishness. This is to look into the two pictures and to compare the result of each. Consequently, this will lead people to respect the picture of kindness, sympathy and cooperation, while at the same time, they will dislike the one of cupidity, cruelty and selfishness.

Hence, their humanity will be realized and they will lead a smooth life and construct their glory and greatness on a solid foundation.

It is rarely to find the holy Qur'an mentions a verse which appreciates sympathy, charity and cooperation, without another verse following to it in which the Qur'an warns people of Greed and selfishness. In this respect, you can read through the chapter of the Cow verse, number 261 — 265 which says " The parable of those who spend their substance in the way of God is that of a grain of corn : it groweth seven ears, and each ear hath a hundred grains. God giveth manifold increase to whom He pleaseth : and God careth for all and He knoweth all things. Those who spend their substance in the cause of God, and follow not up their gifts with reminders of their generosity or with injury, — for them their reward is with their God : on them shall be no fear, nor shall they grieve. Kind words and the covering of faults are better than charity followed by injury, God is free of all wants and He is most forbearing. O ye who believe ! cancel not your charity by reminders of your generosity or by injury, — like those who spend their substance to be seen of men, but believe neither in God nor in the last Day. They are in parable like a hard

by money and properties to impose his will upon the people, sometimes by frightening them and another time by selling their conscience. He forgot that he is a human being and that he will depart from this world. Moreover, he imitated Karun when he declared his false pride and said "This has been given to me because of a certain knowledge which, I have" when God gave him that their very keys would have been a burden to a body of strong men. The poor man waited patiently a lot of time but in vain. Then he repeated many times his question: "where is the justice of God?"

5 — Because of the domination of money and the need of the poor people, the families disintegrated.

6 — The fear prevailed among all classes. The poor people were living with hearts full of fear as there was no mercy or justice. Also, the rich people were afraid for the others whom they usurped their money and exploited their properties for their own benefits.

7 — The plantation of the crime, the poor man hated the rich one while the latter treated the former badly for fear of the revolution against him.

How Islam faces the requirements of the needy :

While people were living in that bad condition, Islam came and

its leaders made their utmost - with the guidance of its instructions - to kill the sources of evil. The wise teachings of Islam obliterated the enmity and the separation which were existed among the people and replaced them with charity, fraternity and co-operation. Hence, the society changed into a new one which is similar to the bricks that form one building, every one co-operates with the others.

As a matter of fact, Islam treated that bad condition from two aspects :

Firstly, from the positive aspect :

(A) It put the legislations of the social welfare and ordered peoples to carry them out through their practical life.

(B) It asked every one to strive hard to gain his own living and to spend his life calmly and smoothly.

(C) It made the rich people feel that money and properties are not theirs, but their benefits should be for all people especially the poor ones.

(D) As a result of that, Islam ordered rich Muslims to help.

1 — The poor and the needy people, whether by giving them a share of their money or by supplying them with work to earn their living.

2 — The government to be able to erect the establishments for the common welfare.

their life to be continuously obedient to him.

(C) The monopolist made his utmost to gather goods in his own possession to be far away from the people's hands. Therefore, the shown goods will be disappeared from markets, then monopolist offers his goods to be sold of high prices. These exploiters take it an opportunity to increase illegally their fortunes. Hence, the cursed capitalism appeared and cut the human relations among people and also led them to be equal to the wild animals which live inside the forests: The richman tries to usurp the properties of the poor one, the strong one takes it an opportunity to harness the weak person in order to gain personal benefits, while both the poor and the weak man envy that rich and strong one and wait the opportunity to get revenge of them. Consequently, in the pre-Islamic society, the following evils appeared:

1 — The rich man exploited the poor one and increased his poverty more than it was before.

2 — The wide fortune led the rich man or the capitalistic group to make their utmost trying to usurp the authority of the legal governors of the people. And this by turn threatened the security and stability of the nation, The glorious Qur'an says " Nay, but man doth transgress

all bounds. In that he looketh upon himself as self sufficient ". [ S. proclamation, Vs. 6 — 7 ].

How great is the expression " in that he looketh upon himself as self-sufficient " which clarifies the cause of the tyranny. This is because richness is a proportional matter: differs from time to time and from an environment to another. Also, man may be comparatively a rich one but, however, he does not consider himself so. Hence, he will be of a good conduct till he raise the degree of richness at which he feels that he has become a richman. So the signs of tyranny, pride and haughty behaviour will take their way to his deeds and step by step, he will reach the top of tyranny and haughtiness.

Therefore, the glorious Qur'an states that, man when he imagines that he becomes a rich one, he in the same time takes his position among the tyrant people. In the sayings of the human beings, there is no complete discription of the bad influences of richness on the human soul as that of the holy Qur'an.

3 — The exploitation of the needy people, though they are the majority of the nation, led to the weakness of the people as it shook the economical building of the society.

4 — The rich man was induced



# The attitude of Islam towards the exploiters

By

His eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

The greatest Imam of Al-Azhar

## The pre-Islamic society :

Islam regulates the social welfare to satisfy all the individuals of the nation. It embodies the rules which control all the aspects of life. And to clarify the picture which Islam paints for the virtuous and the perfect society, it is our duty to state that Islam — in its early days — had faced a big problem. That is the exploitation on which no social welfare can be realized. And in order to conceive the influence of Islam towards obliterating this social disease which leads to the destruction of societies and nations, I shall explain the condition which prevailed in the society before the advent of Islam. Then I shall interpret, how Islam treated this social disease and how it — by the grace of the belief and faithfulness of the first Muslims — defeated it.

As a matter of fact, Islam came while people became of merciless hearts. They had no knowledge about co-operation : The strong man

humiliated the weak one for nothing but because he had money and health. The rich person exploited the poor one for nothing but because he had some kind of influence or an upper hand over him for his richness. Through these dark days, the greedy rich people made their utmost to usurp the properties of the poor ones, and consequently, there was no way in front of the weak people except to subdue themselves to the tyrant rich people, or to revolt against them. But the latter way was difficult, because the exploitation had weakened them and the exploiters had usurped all their capabilities. For instance :

( A ) The loan shark charged from the needy one more than he gave because of delay in paying what he had received before.

( B ) The master of the work gave the workers wages less than their rights, beside those who were harnessed by him and for his own benefits. Those were the slaves who were forbidden the necessities of



# مجلة الأنهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن جامعة الأنهر في ذوق كل شهر عربي

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المستشار

إدارة الجامعة الأزهر

بالقاهرة

ت ١ ١٦٤١٤

تفكر في العبد

عبدنا من محبة العقاد

بدل الأثر فيك

في المحور العربي المتحدة

غفران الممثلة

والدكتور والطلاب في مصر

الجزء الثالث - السنة الرابعة والثلاثون - جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ - أكتوبر ١٩٦٢ م



١٤  
٢٤٤٤٤  
٢٤٤٤٤

للسنة الرابعة والثلاثون

## أدبنا بين الواقعية والكليّة

بفهم : أحمد حسن الزيات

الكليّة كما فهمها (ديوجين) ، والواقعية كما فهمها (بلازك) ، والطبيعية كما فهمها (زولا) ، تتفق جميعاً في تنظيم حياة الإنسان أو الفن على مقتضى الطبيعة . فالكليون كانوا يرون الحكمة في رفض الثراء ونسب الفضول ، والعزوف عن اللذة ، والرهف في الرفاهية ، والتحلل من كل قيد للاجتماع ، والخروج على كل نظام للسلوك . وكان زعيمهم يسكن في برميل ويمشي حافياً ويعترف الماء يده ، ويستتر برداء واحد

الواقعية مذهب من مذاهب الأدب عند الإفرنج في القرن التاسع عشر بعد الميلاد ، والكليّة مذهب من مذاهب الفلسفة عند الإغريق في القرن الرابع قبله . فالجدة الجامعة بين المذهبين لا تتمثل في الزمن ، لامن الزمن ولا من الموضوع ولا من الغاية . فما الذي حملني لأخذ على أن أجمع بينهما في هذه الكلمة ؟ استمر على كل حال في القراءة فلعلك واجد فيما قرأ علة هذا الجمع وطبيعة هذه العلاقة .

عرفت الشر لا للشر  
لكن لتوقيه  
فمن لا يعرف الشر  
من الناس يقع فيه  
ويقول في القبح :

قلبي وثاب إلى ذا وذا  
ليس يرى شيئاً فياًباه  
يهم بالحسن كما يذبحي  
ويرحم القبح فبهواه  
عل أن هذه البذرة الضائعة في حقول شعره  
كانت أضعف من أن تشر المذهب الواقعي  
في الأدب العربي ، لأنها خاطرة من خواطر  
شاعر ، لا فكرة من فكر فيلسوف ،  
والواقعية بجبالها القصص والمسرح لا الشعر  
والقصيدة .

والطبيعيون يشاركون الواقعيين في تصوير  
الواقع ، ولكنهم ، ينفردون عنهم بطريقة  
تفسيره ، فالواقعي يكتبني بالملاحظة والتسجيل  
والتعليل ، والطبيعي يزيد على ذلك التجربة  
والوراثة والعلم . وهؤلاء وأولئك يشترطون  
( الفنية ) في المذهب . فلا يخرجون على  
قواعد اللغة ولا يتمرّدون على قوانين البلاغة ،  
ولا ينقلون عن الطبيعة نقل المصور  
الفوتوغرافي يقف عند حدود الآلة ولا يضيف  
إلى الصورة نوراً من فكره ولا لوناً من خياله

على اللحم ، وينام تحت السماء في أروقة المعابد  
طول العام . وسحرا بالنكبين لأنهم كانوا  
يحملون على عابري السبيل بالتهكم اللاذع  
فشبهوهم بالنكبات العقور .

والواقعيون كانوا يرون البلاغة في تصوير  
الطبيعة على الواقع المحسوس ، وتفسير  
غوامضها على المعنى الحق . والواقع يكون  
خيراً كما يكون شراً ، والمعنى يكون حسناً  
كما يكون قبيحاً ، ولكنهم يجعلون بالهم إلى  
دقائق الحياة المبتذلة القبيحة أكثر مما يجعلونه  
إلى دقائقها المصونة الجميلة ، لاعتقادهم أن  
الشر في الناس هو الأصل ، وأن القبح  
في الطبيعة هو الجوهر .

شق الطربوش الذهبي في قم الإنسان تجعد  
الناب ، واخضع القفاز الحريري عن يده  
تجعد الخلب .

فالواقعية تلاحظ الطبيعة وتنقبها نقلاً  
موضوعياً محايداً أميناً لا تدخل الفنان بشعوره  
الشخصي فيه ، ولا تحفل بإظهار السهات  
الجمالية به ، ولا تقصد إلى استنباط المغزى  
الخلق منه .

والواقعية في معنى من معانيها بذرة في شعر  
عبد الله بن المعتز ، فقد كان يعرف الشر ويرر  
هذه المعرفة ، ويهوى القبح ويعلل هذا  
الهمى . فهو في الشر يقول :

النزوح إلى الإصلاح في نفوس الخاصة ،  
كان هذا الفهم خطأ لا جدال فيه .

• • •

أما إذا فهمناها على أنها الانطلاق من كل  
قيد ، والتذكر لكل عرف ، والاستغناء  
بكل قيمة ، والنزول بالفن نفسه إلى مستوى  
إدراك الرجل العاى وذوقه ، فتكتب له الأدب  
بقلم ( المرصالحى ) ، ونعزف له الموسيقى  
بزمارة الراعى ، ونرسم له الجبل والمحمل  
بفرشة النقاش ، فتلك هى السكسية لا الواقعية .

أنا أميل بطبعى إلى الواقعية بمعناها الفنى  
الصحيح ، ولكنى أكره لنفسى ولنفسى  
غلو الغائبين فيها بنقل الطبيعة والحقيقة قلا  
آيا . قبحاً بقبح ، وعرباً بعربى ، وغشاء  
بنشاء ، دون أن يسمعوأ للذوق أن يهلب  
ولا للفن أن يحمل . وأرجو أن تظل  
الواقعية كسائر المذاهب الجديدة محدودة  
بمحدود الفن محكومة بأحكامه ، وحيثما يكن  
الفن يكن الجمال .

إن الفن كما أعتقد لا تطلب منه الحقيقة  
التي تطلب من العلم ، إنما يطلب منه أن  
يعرض شهبها بمحلا بألوانه مزينا بوشيه ،  
وكأنما وضع بين الفن والنفس ميثاق  
ترخص له الخواس بمقتضاه أن يزور الحقيقة ،  
وهو فى مقابل تلك الرخصة يحقق لها  
السرور واللذة .

صحيح أن الواقعية من حيث الفكرة تعتمد  
على الحقائق والوثائق لا على الفروض  
والأخيلة ، ولكن من الصحيح أيضا أنها  
من حيث الصورة لا تقص أجنحة الخيال  
ولا تطفى ألوان الحسن . أليس من زعماء  
الواقعية وأساطينها ( فلوير ) صاحب ( مدام  
بوفارى ) ؟ إن واقعيته فى الموضوع  
لا فى الشكل ، وإن شعبيته فى الفكرة لا فى  
الصورة ، وإن أسلوبه آية فى البلاغة والدقة ،  
وعاية فى الأناقة والجمال .

كتب قصته الجنية ( سلامبو ) عن الحضارة  
الفينيقية فى قرطاجنة ، فاقصته واقعيته التى  
تعتمد على الوثائق أن يقرأ فى موضوعها  
ثلاثة وخمسين كتابا ، وأن يور أطلال  
هذه المدينة فيستنطق الآثار ، ويستوحى  
المنازل ، ويجمع الأسانيد ، ويرصد  
الاحاسيس ، ويصور المناظر . واقصته  
( فنيته ) التى تعتمد على الألوان أن يوصفها  
فى نظام من البلاغة موق باللفظة المختارة ،  
مشرق بالعبارة العذبة .

وقل مثل ذلك فى سائر زعماء المذهب  
كبلزاك ، وموباسان ، وذولا .

فإذا فهمنا الواقعية فى أدبنا المعاصر على  
أنها تصوير للناحية الدنيا من حياة الشعب  
الكادح بما فيها من عناء وشقاء وألم ،  
وما بها من شذوذ وصعوج وقص ، لنوقط  
الطموح إلى الكمال فى شعور العامة ، ونحرك

على أجسام الخليفة هذا التمثال . وعلى نحو من ذلك نقول في الشاعر الذي ينظم من الأحاسيس الذاتية والمناظر الطبيعية قصيدة ، وفي الكاتب الذي يؤلف من الوقائع الفردية والطبائع الإنسانية قصة . ومن الجاز ألا يكون لهذه القصيدة مثال في الكون ، ولا لهذه القصة وجود في المجتمع ، ولكن العبرة في الفن الحدوث الممكن لا الحدوث المحقق . ذكرت العلاقة بين الفن والطبيعة لأقول إن الواقعيين الضالة الذين يتوخون الحقيقة ويشعرون الواقع ، ويؤثرون اللون وينكرون الذات إنما يكفرون بأثر الفن في رفع النفوس ودفع البؤس وتجميل الحياة .

\*\*\*

ربما كان الخلاف بين الواقعية العربية والواقعية الأوروبية ، أو بين الواقعية المتطرفة والواقعية المعتدلة ، أن من الواقعيين العرب من يريد أن يهبط باللفظة والأسلوب إلى مستوى الأميين فيكتب لهم بالعامية ويدني المعاني من أذهانهم بتجريد الأسلوب من خصائصه البلاغية وسماته الجمالية حتى لا يكون الأدب في ذاته غاية يصغوبه الذوق وتسعوبه الروح وتجميل به الحياة ، والواقع الذي تحققت من اختلاطى بالشعب في حياة القرية وتحرير الرسالة أن القارئ من الرراع

فرخصة الشعر أن يشكلم بالوزن والقافية ، ويعبر بالجاز والاستعارة ، ويرتفع بالقصيدة أو المسرحية إلى مستوى لا يكون في الحقيقة . ورخصة التصوير أن ينفع الواقع كما يحب ، ويغير الوضع كما يشاء ، ويرتفع بالصورة أو المثال إلى مستوى لا يوجد في الطبيعة . ورخصة الموسيقى أن تذهب في الإيقاع مذهب الإبداع فتؤلف من اختلاف الأصوات وتنوع النبرات وتعدد الطبقات لحنا متكاملا متلائما لا يطرئ الآذان له مثل في الواقع . وهذه الرخص التي تسمو الحقيقة لا بد منها للفن على اختلافه ليدع ما لم تبدعه الطبيعة من الجمال الذي يبعث الإحساس ويحدث اللذة .

إن في الفن شيئا أكثر من التقيد المحض . استمع إلى آلة تقلد تغريد البلبل كما هو بسناجته ورتابته فلا تجد فيها تسمع جمالا يعجب ولا لحنا يطرب ، ولكنك إذا استمعت إلى الآلات الموسيقية تعبر عنه في سمفونية أعجبت كل الإعجاب وعطرت غاية الطرب ، لأن الفن قد دخل التقليد في هذه الحال فتفتح وصحح وزاد . لم توجد في الطبيعة سمفونية ( بهوفن ) ، ولم توجد في الخليفة فينوس ميديتشي . وإنما الفن وحده هو الذي ألفت من النبرات الرخيمة المتفرقة في أصوات الطبيعة هذه السمفونية ، وصاغ من الملاح الجميلة الموزعة

إن الواقعية بمعناها العام مذهب من مذاهب الأدب ، والأدب عند الأمم جميعا فكرة سليمة في صورة جميلة ، وجمال الصورة في كل لغة لا يتحقق أولا وبالذات إلا بسلامة العبارة من الخطأ والفثالة .

والواقعية كما قلت لا تعادي الفن ولا تنافيه ، والواقعيون أجمعون هم من الكتاب الأفاضل الذين أوتوا ملكة البيان وقهوا أسرار البلاغة ، وما نعرف أحدا منهم تعاطى الكتابة في لغته وهو ينكرها كل الإنكار ويتنكر لأدبها كل التنكر ، فهل يريد الواقعيون العرب أن يكونوا بدعا من سائر الكتاب فيفصلوا بين الواقعية والفن وبين الكتابة واللغة ؟

إن كانوا يريدون ذلك فهو الخلاف الذي لا ينتهي بيننا وبينهم ، وإن كانوا يدعون إلى واقعية عربية تفبش من حياة الشعب ، وتحرص على تقاليد العروبة ، فتؤثر الفصحى وتقدس الخير وترعى الجمال فإننا ولناهم على كلمة سواء .

أحمد حسن الزيات

والصناع يفضلون الشعر على الرجل ، ويتأثرون بالمقال البليغ أكثر مما يتأثرون بالقول الساذج . والأدب هو الجزء السامى في الإنسان يزرع به دائما إلى ما هو أهلى وأكل ، فهو له كالجناتحين للبك ، يرفضه من كثافة المادة إلى لطافة الروح . ومن واجب الأديب أن يقوى هذا النزوع في نفوس الشعب بتصوير المثل العليا للجمال والفضيلة وحله بطريق التثقيف على أن ينظر إليها من فوق رأسه لا من تحت قدميه .

إن الحياة فيها المسجد والسوق ، وفيها المدرسة والمصنع ، وفيها الحديقة والمطعم ، وفيها الإستديو والورشة ، وكل جهة من الجهات المعنية تعدل الجهة التي تقابلها من الجهات الحسية ، فلماذا نكره الأدب على أن يتقلب في الجهات الدنيا لا في الجهات العليا وأن يعيش مع ابن آدم في حيوانيته لا في إنسانيته ؟

إن الأدب للشعب كله ما في ذلك خلاف ، ولكنه إذا نزل إلى عامته فإنما ينزل ليرفعهم إلى السطح لا ليغوص معهم إلى القاع . وقول من يقول إن الأدب للأدب يدخل بهذا المعنى في قول من يقول إن الأدب للحياة .

## الإيمان والاستقامة طريق الأمن والسلام لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شبوت

سبل الباطل للإعراض عنها ، ثم اعتقاد المحاسبة والجزاء يوم الدين ، يوم لا تمك نفس لنفس شيئاً . وبذلك يكمل في الإنسان الجانب العلى بإدراك الحق والإيمان به .

### الإقرار والعمل :

أما الاستقامة : فهي الإقرار بالحق ، والاستمرار في العمل على مقتضاه بالتزام الطريق المستقيم الذي رسمه الله في كتبه ، وبينه على السنة رسله ، وبها يكمل في الإنسان جانبه العملي بفعل الخير والصالح . فمن حاد عن شيء في العقيدة أو في عمل الخير ، فقد أخرج ومال عن الصراط المستقيم .

وكثيراً ما تحدث ، القرآن الكريم ، عن الاستقامة ، فسورة الفاتحة ، التي هي أم الكتاب ، والتي هي أول سورة كاملة نزلت من القرآن ، والتي طلب قراءتها من المؤمنين في كل صلاة ، تهتم — بعد إثبات الحمد والربوبية وملك يوم الدين — بتوجيه المؤمنين إلى الهدى ، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم ، وترشدكم إلى أن طريق

قال الله تعالى : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وجهه في الأربعين النووية ، في رواية لمسلم . أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم قال : قلت : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك . قال : ( قل آمنت بالله ، ثم استقم ) .

كلمات عظيمنتان : الإيمان والاستقامة . هما أساس السعادة ، وهما طريق الأمن والسلامة ، يجمعان عناصر الإسلام ، ويضمنان جميع وسائل الخير ، وخصال البر .

كلمات : هما الإسلام كله . بهما يتحقق الإسلام ، فليس الإسلام نسبة يعرف بها تعداد السكان ، وليس الإسلام كلمة التوحيد مجردة تجرى على اللسان ، إنما هو تعبير صادق عما استقر في قلب وملك على الإنسان الحس والنفس من اعتقاد وحدانية الله في الربوبية العامة للعالم كله : أرضه وسماؤه ، مائه وهوائه ، نباته وحيوانه . . أجساما بالخلق والتنمية ، ونفوساً بالهداية والإرشاد وتوضيح سبل الحق للسير فيها ، وكشف

أصلها ، والبعد بها عن مظاهر الشرك ،  
تتناول المحافظة على العبادة من جهة البعد بها  
في أصلها وكيفياتها عن وجوه الابتداع فيها ،  
وتتناول المحافظة على المعاملة من حيث  
تحرى الخير فيها ، وعدم الإضرار بها ،  
والاحتياط عليها ، وتتناول المحافظة على  
التشريع بحيث لا ينتقض أصل من الأصول  
التي نص عليها في كتابه ، وألا يخرج بها عن  
دائرة العدل الذي يريده الله .

#### وسط في كل شيء :

وهي — بعد ذلك — الحد الوسط الذي  
لا إفراط فيه ولا تقربط ، وسط في العقيدة  
بين الذين ينكرون الإله ، ويذعنون أن هذه  
الحياة الدنيا وليدة المصادفات والتفاعلات  
المادية ، وبين الذين يقولون بالتمسك  
ويتخذون مع الله أندا .  
وسط في الأخلاق بين الذين يتحللون من  
كل الفضائل ، وبين الذين يشتطون في تصور  
الفضيلة واتزام طرق التشدد فيها .

وسط بين المادية البحت ، وبين الروحية  
البحت ، وسط في طريقة التشريع ووضع  
قوانين الحياة للناس ، وسط في تحديد علاقة  
الفرد بالجماعة .

أما منهاج الاستقامة الذي تضمنته سورة  
« هود » فهو في قوله تعالى من أو آخر السورة :  
« فاستقم كما أمرت ومن تاب معك  
ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير . ولا تركنوا

الحصول على نعمة الله المطلقة : نعمتي الدنيا  
والآخرة » وهذا الصراط المستقيم ، صراط  
الذين أنعمت عليهم .

وسورة « الأنعام » تذكر أن اتباع شرع  
الله في التوحيد والخلق والمعاملة هو ما يأمر  
الله به ويحذر الإعراض عنه . ثم يقول  
« وأن هذا صراطي مستقيماً ، فاتبعوه ،  
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

#### المستقيمون والمعرفون :

وسورة « هود » ترسم المنهاج الكامل  
للاستقامة في الحصول على السعادة والفلاح  
والسلامة ، وقد جاء ذلك المنهاج بعد أن  
صورت السورة الدعوة ، وذكرت دلالتها ،  
وقدمت صورة تاريخية واضحة عن عاقبة الذين  
استقاموا على أمر الله ، والذين انحرفوا  
عنه . أما الذين استقاموا فهم الأنبياء  
الداعون ، وأما الذين انحرفوا فهم الأقوام  
المدعوون .

والاستقامة كما أمر الله ، هي التزام الخط  
المستقيم الذي لا عوج فيه ولا تنواء ، وبه  
شبه طريق الحق الذي يدمج الأنبياء في العقائد  
والعبادات والأخلاق ، والأصول العامة  
للعاملات ، وأطلق عليه « القرآن الكريم »  
« الصراط المستقيم » .

فهو يتناول المحافظة على العقيدة ، والمحافظة  
على العبادة ، والمحافظة على المعاملة ، والمحافظة  
على التشريع ، تتناول المحافظة على العقيدة في

في هذه الآيات طلب الله إلى رسوله والمؤمنين معه أن يستقيموا على الطريقة كما أمر ، ثم عاد يؤكد هذا الأمر ، يوضح حدوده و يبين مہجه .

فنهى عن الطغيان « ولا تطغوا » والطغيان مجاوزة الحد بالإفراط أو التفريط في العقيدة وفي العبادة .

فالطغيان في العقيدة أن يظن المرء بالله عجزاً ، أو يزعم أن لغيره في الأمر شيئاً .

والطغيان في العبادة بالإعراض عن طاعة الله ودمائه ، والتوجه بهما إلى غيره ، وباختراع عبادة لم ترد عنه ، وتحليل الحرام أو تحريم الحلال ، والاعتداء على الحقوق ، وكفر النعمة والاعتزاز بالقوة .

وقد بين القرآن في أكثر من موضع عاقبة الطغيان ، وضرب لنا الأمثال بالذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب .

### كيف تتم الاستقامة ؟

ولم يكف في نظر الإسلام أن يستقيم المرء في نفسه ، وإنما تتم الاستقامة بتجنب الطغيان والظلم وعدم الميل إلى الظالمين أملاً في خير أو خشية من شره . ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون ، فإن السكن إلى الظالم يغيره نظله ، قموت الفضيلة وتسخرى الرذيلة وينهار المجتمع .

إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون ، وأتم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين . واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

وأول ما تلح في هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى سوى فيها بين الحاكم والمحكوم ، وبين الراعي والرعية بالخطاب والأمر ، وكان ذلك أصلاً من أصول المساواة في الإسلام تفضي به على أثر من آثار التميز والطبقية ، فالحاكم كالمحكوم في نظر الإسلام ، يقام عليه الحد إذا ارتكب ما يوجب الحد . . . إذا قتل قتل ، وإذا ذنب ذنب أو جلد ، وإذا شرب الخمر عزر .

### القصص من النبي

لذلك خطب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ماخطبت به أمته ، وكان أول المنفذين على نفسه وفي نفسه . . . مكن من ضربه ليقص منه ، وقال لا بته كته الحاسمة : يا فاطمة لا أعنى عنك من الله شيئاً .

لم يخصه ربه بشيء من الأحكام ذات الأثر العام في الأمة وإنما كانت خصوصياته فيما يتصل بشخصه ، كالتباعد وحرمة الزوج بغير من تزوجهن ، وحرمة زواجه على أمته بعد موته .



عن الفساد وترك المترفين يعبثون ويبغون .  
فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية  
ينبون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن  
أنجينا منهم ، واتبع الذين ظلموا ما أتفوا  
فيه وكانوا مجرمين .

كما أعقبه بيان عاقبة الظالمين وما كان ربك  
ليهلك القري يظلم وأهلها مصلحون .

### العقل والتكليف :

وأزهم الحجة بما أودع فيهم من عقل  
يميزون به الخير من الشر والنافع من الضار  
تركهم إلى اختيارهم تحقيقا للابتلاء والتكليف  
« ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ،  
ولا يزالون محتجين إلا من رحم ربك ولذلك  
خلقهم » .

فالاختلاف قوام الحياة والباحث على  
التنافس ، والله جعلت حكمته لم يرد الحياة  
صامتة جامدة وإنما أرادها متفاعلة متجددة  
ولن تحقق هذه الحكمة إلا إذا ترك الناس  
وتصوراتهم وعقائدهم وخططهم التي رسموها  
لأنفسهم في الحياة .

وحسب الحكمة الإلهية أن ترشد بالآيات  
إلى طريق الحق وسبيل السعادة ، ثم يكون  
للحسن إحسانه وللسيء إساءته .

هذا هو منهاج الاستقامة كما جاء به القرآن  
الكريم هدى وموعظة وذكرى للمؤمنين .

محمد مشهور

وإنما يستهدف هذا الأصل العظيم من  
أصول الاستقامة كسر شوكة الطغاة وتقليم  
أظفار الظلمة حتى تضيق عليهم الأرض بما  
رحبت ، ولا يجدوا ملجأ من الله إلا إليه  
بتطهير أنفسهم والرجوع إلى الدين الحق .  
وقد حذر القرآن من اتخاذ البطانة والولاية  
من المفسدين حتى لقد جعل أولياء الطلبة في  
منزلهم « ومن يتولم منكم فإنه منهم » .

فالبعد عن الطغيان واجتناب الطغاة إعلان  
متكاملان تتحقق بهما الاستقامة التي أمر الله  
بها وهدى المؤمنين إليها وللوقاية من الطغيان  
أمر الله عباده بالصلاة والصبر .

« وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل  
إن الحسنات يذهبهن السيئات ذلك ذكرى  
لذاكرين ، واصبر فإن الله لا يضيع أجر  
المحسنين » .

فالصلاة تربط الإنسان بربه عن طريق  
المناجاة والدعاء وإسلام النفس وتهذيب  
الخلق ، وتبديل غرائز الخير بغرائز الشر .  
والصبر يحصم الإنسان من الزلل في مواقف  
الفرح والجزع . فرح النفس عند النعمة  
والجزع عند النقمة « واستمينا بالصبر  
والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » .  
إن الإنسان خلق هلوغا ، إذا مسه الشر  
جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين .  
ثم أعقب القرآن هذا المنهاج بآيات التحسر

والتندم على تقصير القرون الأولى في النهي

# المقامة

## بين المحافظه والتجديد

### للأستاذ عباس محمود العقاد

والعاطفة والنكتة النادرة والتلقين أو التعاليم ، ويسبق هذه الأغراض جميعا غرض شامل تشترك فيه جميع المقامات على اختلاف أغراضها الأخرى ، وهو ما نسميه غرض الزينة أو غرض الجمال إلى جانب الفهم والإفادة ، وذلك غرض مقصود في كل صناعة من الصناعات ، يتحراه المجددون في كل صناعة كما يتحرون وجه الفائدة منها ، فلا تخلو صناعات البناء والكساء والطعام ، بل الدواء والدراسة ، من جهود تبذل لإقامة الصرح الرائع وتطوير الحلة الرائقة وتهيئة الصفاة المشتهة وإعداد العقاقير والكتب في شكلها المستحب ووعائها المقبول .

ففي المقامة الوصفية نقرأ أوصاف المناظر والأشياء وأوصاف الإنسان والحيوان ، وأوصاف المدن العامرة والآية الفاخرة ، وغيرها من الأوصاف العارضة ، كلما تناولها الحديث ، أو كلما شاء الكاتب أن يجعل الوصف غرضاً مقصوداً لمناسبة يختارها ولا يعمن كثيراً في بحثه عن هذه المناسبة .

وفي المقامة التحليلية يعرض لنا الكاتب

المقامة فن من الكتابة الثرية لا يعرف له مثيل في غير اللغة العربية .

ولعله أسلوب من الكتابة الفنية لا تصلح له لغة غيرها ، لأنه يقوم على تنسيق الفواصل والقوافي وتجميل اللفظ والمعنى بالمحسنات الظاهرة والمضمرة ، وليس أنسب لهذا الأسلوب من لغة توزن فيها الألفاظ وتطرد فيها أوزان الاشتقاق ويكثر فيها استخدام الجناس والتورية كما يكثر فيها التوفيق والتفريق على حسب مواقع الإعراب والإيجام .

وقد وجدت للمقامة أغراضها التي تناسبها وتميزها من المقالة ومن القصة كما تميزها في الشعر من القصيدة والمقطوعة ، وتحري المقاميون هذه الأغراض ، بسليقتهم وعلى وفاق ذوقهم ، منذ نشأت المقامة في القرن الرابع الهجري إلى أن أحيأها الكتاب المنشئون في أواخر القرن الثاني عشر ، على مثالها الأول بغير تعديل كبير في موضوعها وأسلوبها .

فن أغراض المقامة الوصف والتحليل ،

فيها حقيقة عليّة في قالب من البيان والبلاغة ولا يشترط أن يكون العلم بالحقيقة وفقاً على المقامة البليغة لأنها قد تكون من الحقائق التي يتعلّمها من شاء في كتب الدراسة، ولكن يشترط في المقامة، أن تجعل تلك الحقيقة ميسرة الحفظ والرواية في مقام المساجلة والمناداة، ووسيلة من وسائل الفهم مع تهذيب اللسان والقدرة على حسن البيان.

• • •

فالمقامة يوضعها وموضوعها قد أُنشأت في اللغة فناً مستقلاً من فنون الكتابة لا ينفى عنه فن المنثور أو المنظوم.

لأنها وسط في موضوعها بين موضوعات الفهم والدرس وموضوعات الذوق والخيال. وهي وسط بين الشعر والنثر، وبين الحكاية والصورة، وبين التعليم والتجميل، وبين الفن للفن من حيث القالب والصياغة، والفن لمعانيه ومطالبه من حيث النظر إلى الحياة النفسية أو الحياة الاجتماعية.

وحق البقاء مكفول لكل فن جميل نافع يصلح لرسالة في عالم الثقافة الإنسانية لا ينفى غيره مثل غنائه فيها.

فلماذا وجدت المقامة عندنا ثم فقدت مكانها؟ وكيف تعود إلى ذلك المكان إذا كل من حقها أن تعود إليه؟

• • •

« صورة شخصية » لمن يتحدث بأسمائهم أو يتحدث عن أحوالهم وأخبارهم، تمثل فيها جوانب المجد منه وجوانب الفكاهة، وجوانب الواقع أحياناً إلى جوانب التخيل والتقدير، ويقلب عليها أن تكون من قبيل الصور المرحّة التي شاعت في الصحف الفكاهية واقتربت بالموضوعات الهزلية، وإن كان موضوع المقامة لا يأبى المجد في تصوير الشخصيات، التي تذكر بمفاخرها وآثرها، وعظائم أخلاقها وأفكارها.

وفي المقامة العاطفية يوصف الشعور الإنساني بكلام يحفظ جماله ويروى لمعانيه من موضع الشاهد والعظة، وتلحق فيه الكتابة المنثورة بالكتابة المنظومة على غاية ما يستطاع من مشابة النثر والنظم ومقارنة الكاتب الفنان للشاعر الفنان.

وليس أبلغ، ولا أدعى إلى الإعجاب، من النكتة الزائفة في السكّرم الراق، أو من النادرة الشائقة في اللفظ الشائق، فالمقامة في موضوع النكتة والنادرة قصة وزيادة، إذ يراد فيها الأسلوب من أجل القصة وتراد فيها القصة من أجل الأسلوب، وتتمشى القصة وأسلوبها مع موضوعين اثنين في قالب واحد.

أما مقامة التقين والتعليم فتلك هي المقامة التي يتعلم فيها القارئ، فكرة ولغة، أو يتعلم

نعم يحق للجدد أن ينكر استخدام أسلوب المقامة في موضوعات شرح العلوم أو تفصيل مسائل القانون والسياسة ، أو بيان وجوه النقد في المسائل الأدبية كغيرها من مسائل الكتابة المرسلة في لغتنا العربية وفي جميع اللغات ، ولكن تحريم أسلوب المقامة في الموضوعات التي تصلح لها وتعمل بها هو منهج التجديد الذي لا فرق بينه وبين التقليد ؛ لأن إنكار القديم لغير سبب كإنكار الجديد لغير سبب ، كلاهما مجازاة على سنة المحاكاة ، لا تستند إلى فكر ولا ذوق .

والمجددون المقادون هم آفة النقد في كل حركة فنية أو فكرية ، وهم - على ما نرى - أصل الإضرار على أسلوب المقامة في موضع وفي غير موضع ، ولو أنهم خصوا هذا الأسلوب بالنقد في غير موضعه لكانوا مجددين غير مقلدين .

ففي عصر البعث اللعوى - منذ قرن مضى - كان الاحتفال بالكتابة علامة الغيرة على اللغة والقدرة على مجازاة الأقدمين فيها ، وكانت المقامة بأجاعيها وعسنتها مثالا لكلام المحتفل به ودليلا على العناية بإحياء القديم في الوقت الذي كان لإحياء القديم فيه هدف النهضة وغاية القدرة التي تؤهل صاحب القلم لحل أمانة الكتابة في العصر الحديث ، فشاع أسلوب المقامة في مقالات الصحف وفي مراسيم

إن المقامة ضاعت في معركة المحافظة والتجديد ، ولكنها لم تضع على أيدي المحافظين العارفين بما يحافظون عليه ولا على أيدي المجددين العارفين بما ينكرون من القديم وما يستحسنون من الجديد ، ولو كان لها قارى خاص كقراء القصيدة والمقالة والقصة لا تفرد بها الكاتب الخاص الذي يجيدها ويترقى بها ويتوسع فيها ، ولكنها ليست من القراءة التي تتطلب فيستجاب الطلب ، وإنما هي زينة حسنة توجد فيوجد من يستحسنها ، وقلبا يلح في طلبها إلحاحا يفرضها على من يستطيعها ، من زمرة المحافظين كان أو من زمرة المجددين .

فالمحافظون لا يضيعون المقامة لأنها وصلت إليهم مع التراث القديم الذي يحافظون عليه . والمجددون لا يستقيمون على نهجهم في نقد البلاغة إذا تعلوا لنقد المقامة بعلة الوزن والقافية التي يميزونها في العصر أو بعلة التجميل الفني التي يقبلونها أو يطلبونها في النثر .

أما إن كان التجديد عندهم إنكاراً للوزن والقافية والتجميل الفني جميعاً فذلك هدم وليس بتجديد ، وهو هدم للأدب بمنظومه ومشوره من أساسه ، وليست المقامة وحدها محصورة فيه بالإنكار .

الكلام المرسل ؛ لأنه لا يفصل هنا بين غرض الإفادة وغرض التجميل .

وما أكثر الموضوعات التي تقبلها المقامة في العصر الحاضر ولا تقبلها القصيدة ولا القصة ولا المقالة بمثل هذا الترحيب .

مناظر السياحة في الفضاء ، أسرار العلم التي تقرب من التخمين ، وأسرار الخيال التي تحرب من العلم في أوصاف سكان الكواكب وعوالم الأفلاك ، خطاب يلقى له إنسان مريخي أو نبوءة يملها إنسان أرضي على كائنات المستقبل في عالم الحس والشهادة أو عالم الغيب والظنون ، بحث من بحوث التنجيم يتعاون فيه العالم والفيلسوف والشاعر والصوفي ورجل الدين .

أليس للمقامة عملها في هذه المقاصد هذه الشقة الحرام على ملتقى العلم والشعر ، والتحقيق والتخمين ، والجد والفكاهة ، والحلم والعيان ؟ . . . إن للمقامة لعملاً كبيراً ينتظر من المجددين قبل المحافظين ، وإنه لعمل ينتظره المخلصون من يزحون تحرير الشعر بإلغاء البحور والأوزان ، فإن المقامة أوفى بالغرض في هذا المقام من شعر بلا بحور أو نثر مهمل يلبس الحلية في كم من كين ، ويحمل الإيقاع بقدم من قدمين ، ولا يقنع بالمسخ في نفسه حتى يشترط معه الشروط ههنا للشعر وتغريباً للتغريب في عالم النفع وعالم الجمال .

عجاس محمود العقاد

الحكومة وفي كتب التاريخ والجغرافيا وفي نقل الكلام المترجم وشرح الكلام المنقول .

لا جرم كان من التجديد أن يقبض رواد التجديد إلى خطأ هذا الرأي وأن يختاروا الأسلوب المرسل لموضوعات الكتابة المرسلة التي تطلب لفائدة وتحقيق العلم والفهم ولا تحتاج من تجميل البلاغة إلى مقصد غير مقصد الإبانة والإقناع وصحة اللغة وما تنطوي عليه من صدق التعبير وسلامة لفظه ومعناه .

ويقضى حق التجديد عند نقد الأسلوب في غير موضعه ، فإذا تجاوزته إلى نقد أسلوب من الأساليب في كل موضع ولغير سبب من أسباب الفن الجميل أو أسباب الزينة البليغة المطلوبة في كل صناعة ، فذلك هو ابتداء التقليد عند نهاية التجديد .

ويعاب التقليد في هذا الفن من فنون اللغة العربية لأنه حرمان لها من عزيتها بين اللغات ، وهي مزينة توفر فيها أسباب الجمال الفني في الكتابة النثرية على مثال يضارع هذا الجمال في الكتابة المنظومة ، من غير إخلال بمطالب الذوق السليم في الأغراض التي تنفصل فيها مواضع الشعر والنثر ، ولا تسمح باللقاء السائع بين الفكر والواقع وبين العاطفة والخيال .

والمقامة هي القالب الذي ينتظر منه القارئ مقالة وقصيدة وقصة ودوساً من دروس التعليم ، ولا يستغرب شيئاً من ذلك كما يستغرب منظوماً في القصيدة أو مشوراً في

# صياغة مشروع لجامعة إسلامية

للفقيه الكبير، أبي الأعلى المودودي

ذلك الذي ستقرأه في هذا المقال هو ما وقع لي خاطر الأستاذ الكبير أبي الأعلى من تطوير التعليم الديني، ليمود الإسلام كما شرعه الله، دستوراً لهيأه ونظاماً لهدياً، ومعروع الأستاذ هو بتفصيل أدق وأكمل ما انطوى عليه قانون الأحرار الجديد الذي أصدرته حكومة الثورة بالجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٦١ - فلأن الأستاذ قرأ منشوراً في عدد سبتمبر سنة ١٩٥١ من مجلة الأحرار لأطمان قلبه على ما فنى للإسلام من تجديد، والمسلمين من تقدم، ولقد الله على أن أتيح للأحرار وهو حسن الإسلام للنبي، أن يكون مهبطاً للإسلام للتطور وللتنوير الصالح لقيادة الأمم في متاعة النظم الوضعية للتمارضة للتنافس التي توشك أن تمنى بين آدم جميعاً على المحاوية.

المحرر

على الطراز القديم ولا إلى جامعة عصرية تخرج ماهرين في العلوم الغربية على الطراز الحديث، بل هي تعدو هذا وذلك إلى جامعة تكون حلة لقواء الإسلام كنظام الحياة في هذا العصر.

إن العالم الإسلامي - من أندونيسيا شرقاً إلى مراکش غرباً - إنما يجري فيه منهجان للتعليم والتربية.

منهج لا يخرج إلا الأفراد المتحججين بمقلية الغرب، المصطبغين بصبغة ثقافته حدود القنعة بالقنعة. وهؤلاء هم الذين يسرون اليوم دقة الحكومات في معظم الدول الإسلامية الحاضرة وفي أيديهم أزمة أمور الاقتصاد والسياسة والمدنية فيها. ومن دواعي الأسف أن أغلبيةهم جاهلون كل الجهل بما للدين الإسلامي من الهدى والتعاليم في أمور الحياة البشرية،

نرى رجال العلم والفكر في مختلف أقطار العالم الإسلامي ينادون بين يوم وآخر بضرورة إدخال تغيير أساسي على نظم التعليم والتربية التي يترقى عليها المسلمون في العصر الحاضر، ويدعون إلى إلزام مؤسسات تعليمية، على الطراز الحديث، بنحى الشباب الإسلامي بمؤهلات تكفله مهمة إرشاد الدنيا وتوجيهها في هذا العصر وفق وجهة نظر الإسلام، وأما ما أسس في الآونة الأخيرة من المعاهد لهذا الغرض في مختلف البلاد الإسلامية، فلا نكاد نرى أحداً من ذوى العلم والرأي يطمئن بها قلبه إذا ألقي نظره على أوضاعها ومنهجها للتعليم وما أتت به من النتائج. فمن الواضح، وضوح الشمس في رابعة النهار، أن الحاجة التي تمس العالم الإسلامي كله في هذا الزمان ليست هي إلى كلية للثريّة تعد علماء

علماء يجمعون بين العلوم الدينية والمدنية معاً، ولا يكونون بمنزلة الحواجز، بل يقبضون مكان السابق في قطار حياة المسلمين، ويتفوقون على المتخرجين تحت منح التعليم الغربي في أخلاقهم وصفاتهم في جانب، وفي مؤهلاتهم وكفاءاتهم العلمية في الجانب الآخر.

وهذه حاجة ملوسة لا نرى مؤسسة تربوية تقوم بتحقيقها في العالم الإسلامي، إن القلق يعض على جميع أهل العلم والرأي مضاجعهم وهم يتفكرون أي معجزة يمكن أن تحفظ على هذه الأمة دينها من الفساد النهائي، وأخلاقها من الانحلال التام، لو لم يبرز إلى الوجود نظام للتعليم والتربية يحمل في طياته المزايا المذكورة آنفاً. وما لا يرتاب فيه أحد أن وضع منهج للتعليم كهذا، يتطلب من الوسائل ما لا يقدر على تمييزه إلا الحكومات. وأكثر الحكومات الحاضرة في العالم الإسلامي قد تربح على كراسيها رجال لا يفتني على أحد عقلياتهم واتجاهاتهم.

ولهذا - والحالة كما قالت - لم أجد بداً، أمام هذه الحاجة الملحة، من أن أقدم إلى العالم الإسلامي ما أجد في ذهني من مشروع لمؤسسة تعليمية منشودة آملاً أن يتفكر فيه أهل العلم، وأن يقيض الله للحكومة من الحكومات المسألة الحاضرة إخراجاً إلى

مستقنون بالحياة الغربية، مهزومون أمام الثقافة المصرية الخلافة، فهم يقودون قطار الأمة الإسلامية إلى جهة مخالف جهة الإسلام ولا يأتي يوم إلا وهم فيه أسرع سيرا إلى تلك الجهة.

ومنهج لا يخرج إلا علماء اللغز الدينية يفقدون معرفة العلوم الدينية الحديثة. فلذا تقتصر دائرتهم في القيام بواجب المحافظة على ناحية دينية من نواحي حياة المسلمين العديدة، ولا يتطحنون في أي مكان في الدنيا، بالصفات والكفاءات التي تؤهلهم لقيادة قطار المسلمين في هذا الزمان، وإنما وظيفتهم في كل مكان وظيفه الفرمة Brake في جهاز القطار، أو بعبارة أخرى أن وظيفتهم تقتصر على إتاحة الحواجز أمام سير القطار الذي تقوده الفضة الأولى حتى تبدأ سرعته. غير أني أرى بأم عين أن هذه الحواجز طراً عليها الضعف بل قد كسرهما في بعض الدول الإسلامية الساهون المتمردون الشرسون وبدوا يسوقون قطار بلادهم على خط الإلحاد والفسوق والخلاعة والجمون غير عابئين بشيء في ذلك. فيجب علينا، قبل أن يستفحل الأمر ويستشري الفساد ويأتي يوم تتحطم فيه تلك الفرمة التي لا تزال تعمل بعض عملها في بقية الدول الإسلامية، أن نعمل الفكر والزوية في وضع منهج للتعليم يخرج

٤ - ينبغي أن يكون بابها مفتوحا لمسلى الدنيا جميعا حتى يقصدها الطلاب من جميع نواحي الأرض إذا شاؤوا .

٥ - ينبغي أن يكون وسطها وسطا إسلاميا بكل معنى الكلمة حيث يتحلى الطلاب بالتقوى والأخلاق الفاضلة ويفرس فيهم الولوع بالثقافة الإسلامية ، ويجب أن يعمل كذلك على حفظها من تأثيرات الثقافة الغربية ونفوذها حتى لا ينشأ في طلابها تلك العقيدة المهزومة التي نرى يوادرها نفثو بكل سرعة في الأمم المغلوبة المفتتنة بمحضارة الغرب وثقافته في كل مكان . ومن الواجب - لهذا الغرض - أن يكون استعمال اللباس الغربي غير مسموح به في حدود هذه الجامعة وأن تروج فيها لتربية الطلاب تربية رياضية ركوب الخيل والسباحة والرمي واستعمال الأسلحة والتمرن على سوق السيارة والدراجة النارية وما إليها من الألعاب الرياضية الجديدة الأخرى بدلا من الألعاب الغربية . كما أنه من المستحسن أن يدرب فيها الطلاب على التربية العسكرية إلى جانب هذه الألعاب .

٦ - يجب ألا يكون اختيار الأساتذة للتدريس فيها على أساس الخبرة والكفاءة العلمية لحسب ، بل يجب أن يكون أساساقتها - قبل كل شيء - آخر - متحنيين بصفات الصلاح والتقوى من حيث عقائدهم ومن

الوجود أو أن يشرح صدور بعض أهل الثراء والأبادي البيضاء في الدنيا لهذا الغرض وما ذلك على الله بعزيز .

• • •

وفيا ليلى أذكر على وجه الاختصار ما أجد في ذهني من الاقتراحات بخصوص جامعة إسلامية على الطراز الجديد :

١ - إن أول شيء وأهمه بالنسبة لهذه الجامعة ، هو أن يحدد غايتها وتحديدًا واضحًا حتى لا يوضع كل فظاها إلا على حسب هذه الغاية ، ولا يعمل فيها العاملون إلا واضعين هذه الغاية نصب أعينهم ، ولا ينظر إليها طامة المسلمين إلا من ناحيتها ، ولا يعتبرون نجاحها في أداء رسالتها إلا على مدى نجاحها فيها ، وعندئذ أن جامعة كهذه يجب أن تكون غايتها : « إعداد علماء صالحين يتولون مهمة إرشاد الدنيا وتوجيهها في هذا العصر الجديد وفق أحكام دين الحق ومبادئه » .

٢ - يجب أن تكون دائرة هذه الجامعة محدودة بالمعلوم الإسلامية . أما العلوم الأخرى فإنما تدرس فيها باعتبار أنها مساعدة للعلوم الإسلامية الأخرى لا باعتبار أن الجامعة تهدف إلى إعداد الماهرين فيها .

٣ - يجب أن تكون هذه الجامعة سكنية لا تكون سكنى الطلاب ولا سكنى الأساتذة إلا في داخلها .



(هـ) المؤهلات الكافية للكتابة والخطابة والمناقشة والكفاءات المناسبة لقيام بحملة تبليغ الدين والدعوة إليه .

(و) التعود على الجهد والمشقة والنشاط وخشونة العيش والاعتماد على النفس في الإنجاز بجميع الأعمال .

(ز) الاستعدادات اللازمة للتنظيم والإدارة والقيادة .

٨ - يجب ألا يقبل للالتحاق بها إلا الطلبة الحاصلون على شهادة أقسام الدراسة الثانوية . أما الطلاب من البلاد العربية فيمكن لهم أن يلتحقوا بها رأساً . وأما الطلبة من البلاد غير العربية فإن لم يكن لهم إلمام كاف باللغة العربية ، يجب أن يكون هناك قسم خاص لتعليم اللغة العربية مدة سنة واحدة حتى يتأهلوا للاستفادة من الدروس باللغة العربية قبل التحاقهم بالجامعة .

٩ - يجب أن تكون مدة الدراسة فيها ٩ سنوات بتوزيعها على ثلاث مراحل :

أما المرحلة الأولى فيدرس فيها الطلاب ما يأتي من العلوم ( على أن تهم دراستها على أربع سنوات بطريقة متناسبة وبنال الطالب إذا نجح شهادة « البكالوريوس » ) .

(١) العقائد الإسلامية بالتفصيل الآتي : عقائد الإسلام بموجب الكتاب والسنة والدلائل العقلية والعقلية التي تقوم عليها هذه العقائد ، كما أنه من اللازم أن يدرس الطالب

حيث حياتهم العملية معا . كما يجب أن يختار الأساتذة من مختلف أقطار العالم الإسلامي بعد إجراء الفحص الدقيق وإعمال الروية البالغة ، عن لا تتوفر فيهم شروط الكفاءة العلمية فحسب ، بل يجب أن يكونوا ، قبل كل شيء ، آخر مسلمين بكل معنى الكلمة من حيث عقائدهم وأفكارهم وميولهم ، متمسكين بأحكام الدين غير مفتقنين بالحضارة الغربية . بل أرى كذلك من اللازم أن نكون على اطمئنان كامل وثقة وافر بأهل يشتم حق لا يكونوا أحراراً من النفس بأحكام الشريعة وآدابها ومتعدين لحدودها . وذلك أن الأساتذة إذا كانوا يسكنون في دائرة الجامعة مع زوجاتهم ومن مترجات سافرات وترتفع من بيوتهم أصداء الأغنية الخليعة ، فن المستحيل أن يتربى الطلاب على أيديهم تربية حسنة تتفق وأغراض الإسلام السامية .

٧ - يجب أن يربى فيها الطلاب تربية تحلهم بالصفات الآتية بوجه خاص :

(١) الاعتزاز بالإسلام وثقافته والعزيمة على إصلاؤه كله في الدنيا .

(ب) التخلق بالأخلاق الإسلامية والمحافظة على الأحكام والشرائع الإسلامية .

(ج) التفقه والبصيرة الاجتهادية في الدين .

(د) النزاهة من الطائفية وضييق النظر في أمور الدين .

(د) الحديث : وفي هذه المادة ، بعد أن يعرف الطالب إلى الحد الضروري بتاريخ علم الحديث وأصول الحديث والبراهين على الاحتجاج بالحديث ، يدرس أحد مجاميع السنن كستى الأخبار أو بلوغ المرام أو مشكاة المصابيح مثلا .

(هـ) الفقه : وفي هذه المادة أيضا بعد أن يدرس الطالب كتابا مختصرا في تاريخ الفقه يلحق تعليم الفقه بأسلوب يعرفه بمذاهب مختلف الفقهاء في جانب ، وكيف استنبط الأئمة المجتهدون المسائل من أدلتها الشرعية في الجانب الآخر .

(و) التاريخ الإسلامى : وفي هذه المادة يدرس الطالب أولا تاريخ الأنبياء عليهم السلام ثم يدرس السيرة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام ، وسيرة الخلفاء الراشدين بما يمكن من البسط والشرح ثم يدرس التاريخ الإسلامى إلى الزمن الحاضر على الوجه المختصر .

(ز) العلوم العمرانية . ( ولا سيما المتعلقة منها بالاقتصاد والاجتماع ) ومن الواجب بالنسبة للأساتذة الذين يختارون لتدريس هذه المادة أن يكونوا ممن يستطيعون تدريسها مع تقنها بوجهة نظر الإسلام حتى لا يفرغوا الأفكار والنظريات الغربية في أذهان الطلاب كما هي .

بهذا الصدد . كيف وبأى ترتيب ظهر ما ظهر بين المسلمين من الخلافات في العقائد ؟ وكيف يوجد في الدنيا اليوم من المذاهب على أساسها ؟ وينبئ ألا تكون هذه الدراسة للعقائد متجاوزة لحدود البيان العلمى الجرد مع الابتعاد - بقدر الإمكان - عن المحاربة في العقائد .

(ب) النظام الإسلامى للحياة : يعرف الطالب في هذه المادة بنظام الإسلام المتكامل للحياة البشرية حتى يكون على معرفة تامة بالتصورات الأساسية التى ينمض عليها بناء الإسلام وكيف أنه يشكل على أساس هذه العقائد الأخلاق والسلوك الإنسانى وما هى المبادئ التى ينظم عليها فى المجتمع مختلف شئون البشر من الحياة العائلية إلى الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية وما هى الصورة التى تبرز عليها حضارة الإسلام .

(ج) القرآن : يدرس الطالب فى هذه المرحلة القرآن من أوله إلى آخره مع تفسيره الموجز ، والأفضل عندي لهذا الغرض أن لا يقرر لتدريس فى هذه المادة كتاب خاص فى التفسير ، بل على الأستاذ أن يراجع بنفسه مختلف كتب التفسير ، ثم يلقى دروسه على الطلاب على ضوء استمداده منها بحيث يدرك الطلاب غاية كتاب الله تعالى ومقصوده ويرفع عن أذهانهم ما يجهلون فيها من الشبهات حول تعاليمه وأحكامه .

- (ح) الإلمام على الوجه الإجمالي بأديان العالم ولا سيما اليهودية والمسيحية والبوذية والهندوكية .
- (ط) التاريخ الموجز للأفكار والمذاهب الجديدة ولا سيما الديمقراطية الفرنسية والشيوعية والفاشية وما إليها .
- (ي) إحدى اللغات الثلاث الآتية : الانكليزية والألمانية والفرنسية .
- (ك) اللغة العربية وآدابها .
- أما المرحلة الثانية فتكون الدراسة فيها ثلاث سنوات منقسمة على خمسة أقسام .
- التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام والتاريخ : بحيث يكون لكل طالب إذا نال شهادة إتمام الدراسة في المرحلة الأولى أن يدخل في أحد هذه الأقسام الخمسة ، وينال إذا نجح شهادة الماجستير .
- (١) أما قسم التفسير فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) تاريخ القرآن .
- (ب) تاريخ علم التفسير ومختلف مذاهب المفسرين مع الإلمام بمزاياها وخصائصها .
- (ج) الاختلاف في وجوه القراءة .
- (د) أصول التفسير .
- (هـ) الدراسة الوافية العميقة للقرآن الحكيم .
- (و) الاستعراض الدقيق لما وجه إلى القرآن من الاعتراضات من المعاندين وأجوبتها .
- (ز) الفقه على المذاهب الأربعة وعلى
- (ز) أحكام القرآن .
- (٢) أما قسم الحديث فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) تاريخ تدوين الحديث .
- (ب) علوم الحديث بكل شعبها .
- (ج) أحد أمهات الكتب في الحديث مع النقد التفصيلي لمؤونه وأسانيده حتى يتمكن الطالب على نقد الأحاديث على طريق أئمة الحديث .
- (د) نظرة شاملة في الصحاح .
- (هـ) الاستعراض الدقيق لما وجه إلى الحديث من الاعتراضات من المعاندين وأجوبتها .
- ٣ - أما قسم الفقه فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :
- (أ) أصول الفقه .
- (ب) تاريخ الفقه .
- (ج) فلسفة القانون الجديد .
- (د) المقارنة بين القوانين الرومية والفارسية والشرعية اليهودية والقوانين الوضعية الجديدة والشرعية الإسلامية .
- (هـ) المذاهب المختلفة لفقهاء الإسلام وقواعدها .
- (و) التمرن على استنباط المسائل من القرآن والسنة مباشرة .
- (ز) الفقه على المذاهب الأربعة وعلى

مذاهب الفقهية والزيدية والاثنا عشرية .  
٤ - أما قسم علم الكلام فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

( أ ) مبادئ المنطق .

( ب ) الفلسفة القديمة والجديدة .

( ج ) تاريخ علم الكلام عند المسلمين وتفصيل المذاهب الكلامية الناشئة بينهم للعوامل الخارجية والداخلية .

( د ) مسائل علم الكلام وما للقرآن والسنة من الهدى في بابها .

( هـ ) الاستعراض الدقيق لما وجه إلى الإسلام من الاعتراضات من المعاندين وأجوبتها .

( و ) المقارنة بين الأديان ولاسيما الدراسة التفصيلية لتاريخ المسيحية وفرقها وعقائدها .  
( ز ) جهود المبشرين المسيحيين وطرائق عملهم .

٥ - أما قسم تاريخ الإسلام فتكون الدراسة فيه للعلوم الآتية :

( أ ) فلسفة التاريخ وغاية دراسته وأسلوب دراسته بموجب القرآن .

( ب ) المذاهب المختلفة في فلسفة التاريخ منذ ابن خلدون إلى العصر الحاضر .

( ج ) تاريخ الجزيرة العربية والشرق الأوسط قبل الإسلام .

( د ) تاريخ الإسلام منذ العهد النبوي

إلى العصر الحاضر من جهة تطور الأفكار والأخلاق والعلوم المدنية والسياسة .

( هـ ) الحركات لتجديد الدين وإحياء دعوته في مختلف العصور .

( و ) تاريخ الاستعمار الغربي في بلاد المسلمين وآثاره فيها .

أما المرحلة الثالثة فيكون فيها لكل طالب - إذا نال شهادة إتمام دراسته في المرحلة الثانية، وأراد التدرب على البحث والتحقيق على الطريق العلمي - أن يختار أى موضوع من الأقسام الخمسة المذكورة، ويدرسه دراسة صحيحة تحت إشراف الأساتذة، ثم يقدم فيه أطروحته بعد سنتين، فعندئذ يمنح الشهادة بعد ما ينظر في أطروحته أصحاب العلم . وتكون هذه الشهادة شهادة الدكتوراه .

١٠ - يجب أن تزود هذه الجامعة بمكتبة من النوع الأعلى زاخرة بمجموعة عريقة من كتب الدراسة والمراجعة على قدر حاجات الجامعة المذكورة .

١١ - ويجب كذلك أن تولى لجنة من أصحاب العلم لاختيار الكتب المناسبة لمختلف مراحل الدراسة في الجامعة ولتختلف شعبها الأخرى .

١٢ - ويجب كذلك أن يؤسس مجمع علمي ( أكاديمي ) لتأليف الكتب الجديدة على قدر حاجات الجامعة خاصة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أبراهيم علي المروسي

## صفحات من تاريخ المرأة في الإسلام للاستاذ محمد محمد المدني

في حله وترحاله ، واختبرت أخلاقه في صبره  
ويسره ، ودرست نفسه فاقتهت إلى وصفه  
بهذه الصفات العالية التي يرجع أغلبها إلى خلق  
التضحية والإيثار والتخلص من الأنانية  
وشح النفس .

عرفت فيه هذه الأخلاق ، فبشرته بالنجاح  
وأن الله تعالى لن ينجزيه ولن يتركه ،  
وبذلك ثبتت فتواده ، ووقفت وراءه  
في أخرج أوقاته ، وآمنت به ، وآدوته  
طول حياتها بما لها ورأيها وعظمتها وحنانها ؛  
بما جعله يقول لزوجته عائشة حين ذكرتها  
( آمنت في حين كفر الناس ، وصدقتني إذ  
كذبني الناس ، وواستني بما لها إذ حرمني  
الناس ) .

وهذه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها  
تمت حياة الرسول أنساً و بهجة ، وتمت حياة  
المسلمين علماً ورواية ، وتشاؤك في الأحداث  
برأيها وجهادها ، وتضرب المثل الأعلى للنساء  
الدنيا فيما يمكن أن تقوم به المرأة في مجتمعا  
حين تفقه الدين ، وتعلم العلم ، وتعرف  
حقوق الزوج والأهل والوطن والمجتمع .

إن في التاريخ لصفحات مشرقة متألثة  
بما سطر فيها من غر للبرأة المسلمة ، في ميادين  
العلم والرأى والأدب والتوجيه والتربية  
إن التاريخ لا ينسى مثلاً موقف الزوجة  
الأولى في الإسلام خديجة بنت خويلد حين  
جاء إليها زوجها محمد صلوات الله عليه  
يرجف قوده وقد رأى الملك ليسة الرسالة  
وهو يوحى إليه في غار حراء قوله تعالى :  
« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان  
من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم  
بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم » .

إنه ذهب بها إلى خديجة يرجف فتواده ،  
وأخبرها خبر الملك الذي نزل عليه بها ،  
وقال لها : مالي يا خديجة مالي ، لقد خشيت  
على نفسي ! فقالت له خديجة : كلا والله  
لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ،  
وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب  
المعنوم ، وتقري الضيف ، وتعين على  
نوائب الحق .

فهذه سيدة من كرائم السيدات ، خبيرة  
مجيبة ، عرفت أحبار محمد صلى الله عليه وسلم

وكان لها موقف آخر في كهولتها ، إذ كانت أما لعبد الله بن الزبير ، لجاء إليها وقد أحاط به أعداؤه ، وعلم أنه مقتول لا محالة ، فاستشارها فيما يفعل ، فقالت له : إن كنت تعلم أنك على الحق فامض في سبيلك غير هيب ولا وجل ، فقال لها : يا أماء والله ما أهاب الموت ، ولكني أخشى إذا مت أن يمثلوا بي ، وكان يريد أن يعرف بذلك مدى احتمالها وصبرها على الكارثة ، فقالت له يا بني إن شاء لا تنال بعد الذبح بالسيف .

وهكذا غطت بالعقل والإيثار والتضحية على عاطفة الأمومة من الشفقة والرحمة والجزع واللهفة ، فكانت خير مثل للجاهدات الأبيات الواقفات في جانب الحق مهما كلفهن هذا الوقوف من مشاق وتضحيات .

ويذكرنا هذا الموقف بموقف للنفساء الشاعرة المشهورة بقصائدها التي ترقى بها أعماها صخرا ، فتقول في بعضها :

يذكرني طلوع الشمس صخراً

وأذكره بكل مغيب شمس

ولولا كثرة الباكين حولي

على موتاهم لقلت نفسي

هذه المرأة كان لها أربعة بنين ، فلما تجهز جيش المسلمين لفتح فارس في السنة السادسة عشرة من الهجرة سارت هي وأبنائها الأربعة

ولا عجب فهي بنت أبي بكر ، وخريجة البيت النبوي فيه اكتمل نموها ، ونضجت شخصيتها ، وتلقت دراستها ، واتفعت بما يتلى فيه من آيات الله والحكمة ، وعاصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبة منه قرب الزوجة الحبيبة إلى قلبه ، الأثيرة عنده ، فعرفت أهداف الإسلام ، وعاشت في أحداثه ، وظل ذلك طابع حياتها حتى لقيت ربها كأطهر ما يكون النساء ، وأكملهن عقلا ، وأسبهن فضلا .

وهذه اختبأ أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين التي قامت في شبابها بدور الفدائية في أحلك ساعة من ساعات رسول الله صلى الله عليه وسلم وساعات أميها رفيقه في الغار ، إذ كانت تحمل إليهما الطعام والشراب كل مساء ، مقللة تحت جناح الغلام حتى لا تراها حيون المشركين المتربصين بهما ، واليهول يومئذ شديد ، والخطر عتيق ، وقد علمت قریش بما كانت تفعل ، فأنى إليها نفر منهم بينهم أبو جهل بن هشام ، وسألوها في غلظة : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ فقالت : والله ما أدرى أين أبي ، وكانت صادقة في هذا القسم إذ كان هذا السؤال لها من المشركين بعد أن غادر الصحابان مكانهما في الغار ، وسارا متجهين إلى المدينة ، ويومئذ لطمها أبو جهل لطمه قاسية على خدها طار من شدتها قرطها .

فوجدتها، فصبها، فصبها يا معاشر المهاجرين والأنصار  
على النخصر ، وأقبلوا على الحرب عندما  
غير ناكسين ولا مقشاكسين .

وقد أقدمها معاوية بعد أن ولي الخلافة ،  
وقال لها يعانينا ويلومنا : يا ذرقاء لقد  
شركت عليا في كل دم سفك ، قالت له :  
أحسن الله بشارتك ! فذلك من بشر بخير  
وسرجليه ! قال : أو يترك ذلك ؟ قالت :  
نعم ، فضحك معاوية وقال : لو فارقك له بعد  
موته أعجب عندي من حبكم له في حياته !

وهكذا لم تنصل من حبها لعلی ونضالها عنه ،  
فدلت على ما تتحلى به من الشجاعة والوفاء .  
ودخلت عكرشة بنت الأطرش على معاوية

بعد أن تولى الخلافة — وكانت من ألد  
أعدائه يوم كان على حيا — فقالت له : السلام

عليك يا أمير المؤمنين ، فقال معاوية : الآن  
صرت عندك أمير المؤمنين ؟ قالت نعم ،

إذ لا على حى ! قال : ألسنت المتقلبة حامل  
السيف وأنت واقفة بين الصفيين بصفيين

تمرضين المحاربين على ، والله لقد كنت  
يومئذ تغلين أهل الشام لولا قدر الله ، فما  
الذى حملك على ذلك ؟ قالت يا أمير المؤمنين

يقول الله جل ذكره : « يا أيها الذين آمنوا  
لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » ،  
وإن اللبيب إذا كره أمرا لا يحب إعادته !

قال : صدقت وسكت عنها .

وحضرت وقعة القادسية ، وأوصتهم من  
أول الليل قائلة لهم : « يا بني إنكم أسلتم  
طائعين ، وهاجرتهم عتارين ، والله الذي  
لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما  
أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أبائكم ،  
ولا فضحت عائلكم ، وقد تعلمون ما أهد الله من  
الثواب الجزيل للمجاهدين في حرب الكافرين ،  
فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبشرين ، وبالله  
على أعدائه مستقصرين ، تظفروا بالمغنم  
والكرامة في دار المقامة » .

فخرج بنوها قابين لنصحها فقاتلوا حتى  
قتلوا جميعاً ، فلما بلغها الخبر قالت : الحمد لله  
الذي شرفني بقتلهم ، وأدجو من ربى أن  
يجمعني بهم في مستقر رحته .

فأى طراز من الأمهات هذا الطراز ؟  
وقد كان النساء في صدر الإسلام يفتشين  
الحروب ، ويحضرن الغزوات مع الرجال ،  
وكان لمن أثمر عظيم في إثارة الحماسة في النفوس  
وبعث المحاربين على الإقدام .

وقد احتفظ التاريخ بأخبار الكثيرات  
منهن : كالذرعاء بنت عدى بن قيس الهمدانية التي  
كانت تركب الجمل الأحمر وتقف بين الصفيين  
في موقعة صفين التي كانت بين علي بن أبي  
طالب ومعاوية بن أبي سفيان وتقول في  
متاصرة أمير المؤمنين على :

أيها الناس : إن الحق كان يطلب ضالته

قالت : يا أمير المؤمنين أنت للناس سيد  
ولأمورهم مقلد . والله سأعذك عما اقترض  
عليك من حقنا . ولا تزال تقدم علينا من  
ينقض بعزك ويبسط بسططناك فيحصدنا  
حصاد السنبل ويدوسنا دياس البقر ويسومنا  
الحسياسة ويسألنا الجلييلة . هذا ابن أوطاة  
قدم بلادى وقتل رجلى وأخذ مالى ، ولولا  
الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فإما لو عزته  
فشكرناك وإما لا نفرناك . فقال معاوية :  
أياي تهديدن بقومك ؟ والله لقد هممت أن  
أردك إليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك .  
فسكتت ثم قالت :

صلى الإله على روح قصمه  
قبر فأصبح فيه العدل مدفونا  
قد حائف الحق لا يبقى به ثمنا  
فصار بالحق والإيمان مقرونا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : على بن أبي طالب  
رحمه الله . قال : ما أرى عليك منه أثرا .  
قالت : بلى ، آتيت يوما فى رجل ولاء  
صدقاتنا فكان بيننا وبينه ما بين الغث  
والسمين . فوجدته قائما يصلى فانفتل عن  
الصلاة ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟  
فأخبرته خبر الرجل فبكى ثم دفع يديه إلى  
السما فقال : اللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك

ووفيت سودة بنت عمار بن الأشتر  
المعدانية على معاوية بن أبي سفيان ،  
فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه  
سالت ، فقال لها . كيف أنت يا ابنة الأشتر ؟  
قالت : بخير يا أمير المؤمنين . قال لها :  
أنت القائلة لأخيك :

شمر كفعل أهلك يا بن حمارة  
يوم الطعان وملتقى الأقران  
وافضر عليا والحسين ورمعه  
واقصد لهند وابنها بهوان  
إن الإمام أعا النبي محمد  
علم الهدى ومنارة الإيمان  
فقد الجيوش وسر أمام لوائه  
قدما بأبيض صارم وسمان

قالت : يا أمير المؤمنين . مات الرأس ،  
وبتر الذنب ، فدع عنك تذكرا ما قد نسى .  
قال : هيئات ، ليس مثل مقام أخيك نسي .  
قالت : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ما كان  
أخى خفى المقام ، ذليل المكان ، ولكن كان  
كما قالت الخنساء :

وإن صخرًا لتأتم الهداة به  
كأنه علم فى رأسه نار  
وباقه أسالك يا أمير المؤمنين إعفائى عما  
استعفيت . قال : قد فعلت فعولى حاجتك .



ولا ترك حقك ، ثم أخرج من جيبيه قطعة  
من جراب ، فكتب فيه :  
بسم الله الرحمن الرحيم . « قد جاءكم  
بينه من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان » (١)  
« ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا  
في الأرض مفسدين . بقية الله خير لكم إن كنتم  
مؤمنين . وما أنا عليكم بمغيظ » (٢) إذا أتاك  
كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من  
يقبضه منك والسلام . فعزله يا أمير المؤمنين  
ما خزمه بخرام ولا ختمه بختم ، فقال  
معاوية : اكتبوا إليها بالإصاف لها والعدل  
عليها . فقالت : إلى عاصدة أم لقوى عامة ؟  
قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله  
إذن الفحشاء واللؤم ؛ إن كان عدلا شاملا ،  
وإلا يسقى ما يسع قومي . قال هبات ،

لمظكم ابن أبي طالب المرأة ، وغركم قوله  
فلو كنت بوابا على باب جنة  
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام  
وقوله :  
ناديت همدان والأبواب مغلقة  
ومثل همدان سقى فتحة الباب  
كالهندواني لم تغلق مضاربه  
وجه جميل وقب غير وجاب  
اكتبوا لها بحاجتها .  
. . .  
ألا إن هذه المرأة ومثلها لجديرات  
بقول المتنبي :  
ولو كان النساء كمثل هذى  
لفضلت النساء على الرجال

محمد بن العربي

عميد كلية الشريعة

[١] ٨٥ - الامراء .

[٢] ٨٥ - ٨٦ هـ

قال ابن الأعرابي :

قال معاوية بن أبي سفيان لصحار بن عياش العبدى : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال :  
شيء تيمش به صدورنا فتقده على ألسنتنا . فقال له وجعل من عرض القوم : يا أمير  
المؤمنين ، هؤلاء باليسر والطلب أبصر منهم بالخطب فقال له صحار : أجل والله ، إنما نعلم  
أن الريح لتلقحه ، وإن البرد ليعقده ، وإن القمر ليصبغه ، وإن الحر لينضجه .

# فتح الباري في تفسیر القرآن

## خيانة العهود من خصال الكافرين

للأستاذ محمد عبد اللطيف السبكي

(أ) دبراة من الله ورسوله إلى الدين عاهدتم من المشركين . . .  
(ب) وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر  
أن الله يرى من المشركين ، ورسوله .

وقد وصف الله تعالى — نفسه بالوفاء بالعهدي في تمدح واعتزاز — ومن أوفى بعهده من الله ، ولا يضل في استيعاب ما ذكر القرآن ، أو السنة في شأن العهود ، والموفين بها ، والنافذين لها ، وما أعد من الجزاء لكل من الفريقين حسبما استوجب لنفسه ، وحسبما يقتضيه عدل الله .

(٢) ونحن أمام آيات — في صدر الموضوع — تعتبر مطلعا رهيبا لسورة من سور القرآن . وقد بلغ مطلعها من الرهبة أن الله أنزلها دون افتتاحها بالبسملة كغيرها من السور ؛ لأن البسملة فيها وصف الله بالرحمة ، وذكر الرحمة يوحى بالتفاؤل ، والاطمئنان .

وهذه سورة نزلت في مقام التهيب ، وإعلان التمهيد من جانب الله ، وإظهار غضبه ومقته على المشركين ، النافذين للعهود مع المسلمين ، فكان المناسب في سياقها أن

(١) التواعد على السلام ، والمنافع ، وتوثيق الإخاء الإنساني من أسباب الإصلاح للفرد ، وللجماعة .  
ولذلك ينظر الإسلام إلى احترام العهد ، والوفاء به نظره إلى غاية من غاياته المرموقة ، وركن من أركان البناء الاجتماعي في الأسرة ، وفي المحيط العام ، ضائق أو اتساع ، ولهذا أذن الله في عقد المعاهدات المهادنة إلى الخير حتى مع المشركين .

ونادى القرآن كثيرا بالوفاء بالعهود ، وبالعقود — وهي جانب من العهود — وحذر من الغدر بها ، أو التحيف منها ، حتى اعتبر هذا التحيف خروجاً عن الإيمان فيما يقتضيه ، واعتبر عهد الأمان من مسلم لتكافر لازماً لجميع المسلمين حتى يبلغ الكافر مأمنه ، أو ينتهي زمن عهده وبما قاله النبي في ذلك « إن ديننا لا يصلح فيه الغدر » .

وجمل من أمارات النفاق في المنافق « أنه إذا عاهد غدر » .

تقصيرهم وتخلفهم عن المساعدة ، ولكن الله عفا عنهم ، وقبل توبتهم ، وتعلموا من هذا وتعلم غيرهم ألا يسودوا إلى مثل هذا التباطؤ كما هو ديدن غيرهم من المنافقين .  
وهي السورة الفاضحة ، لكشفها عن محاولات المنافقين والكافرين ، ونقض العهد الذي كان مثار غضب الله ، وسخطه على الناقضين ، وهكذا من تسميات كثيرة ، ولكل منها مناسبة في سياق السورة .

٣- وفي السورة عجب ، وهبر ، وفيها بيان لجانب كبير من سياسة الإسلام والمسلمين مع سوام في السلم وفي الحروب .

وموضوعها أن قريشاً كانت على عهد مع الرسول والمؤمنين منذ السنة السادسة للهجرة ، وهو عهد الحديبية على المسالمة وعدم تجاوز ما تعاهدوا عليه لعشر سنوات قابلة .

وما لبثت قريش أن غدوت بعهدا قبل تمام الستين ، إذ ناصر حلفاءها من بني بكر على خراعة حلفاء الرسول ، وكان العهد يمنع من مناصرة حليف على حليف ، ومع أن عهد الحديبية كان رحياً بالكفار ، وملائماً لرغبتهم ، ومثيراً لاعتراض عمر وغيره على سماحة العهد ، وهراوة الرسول في قبول ما رغب الكفار من بنوده ، ومع امتداد الأمان فيه إلى زمن غير قصير ، فقد تعجلت قريش بفنائها ، وسعت إلى شؤمها

تبدأ بالبراءة من أولئك ، ومن عهدهم . وأن تكون بهذه البراءة من جانب الله ورسوله صادقة لاسماهم ، ومثيرة لخوفهم ، أو على الأقل من عجة لآمنهم ، ومبعدة لاطمئنانهم وكان من أثر هذا التفريع المقصود أن الصحابة تأسوا بالقرآن ، فلم يقرءوا البسملة فيها مع جواز ذلك تبركاً بالتسمية ، كما نقل الألويسي الاتفاق على جواز التسمية عند كل قراءة ، ولو كانت من أواسط الآيات ، كما تكون في أوائل السور .

ونظراً لما اشتملت عليه سورة براءة هذه من فنون القول ، سميت عند الصحابة بكثير من الأسماء المناسبة لموضوعاتها .

فهي براءة ، كما بدت به من نبد عهد المشركين ، وتحقيرهم بإهدار دمائهم ، وأموالهم ، بعد أن كانوا آمنين في طلال عهد وثيق أذن الله فيه لرسوله وللمؤمنين واستمرموه ، ونقضه غيرهم .

وهي سورة التوبة ؛ لأن الله أشاد فيها بتوبته على المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع الرسول في غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة ، ثم اضطرب الكثير منهم لحوال الموقف ، ولما تخوفوه على الرسول وعلى أنفسهم ، حتى غرم الله بفضلهم ، وأبدلهم من صرهم يسرا ، كما تاب الله على الثلاثة المسلمين الذين تريثوا في الخروج مع الرسول حتى فاتهم فرصة الجهاد الآن ، فغدموا على

بأنفسها ، وكانت كالحقارة التي تنقض غزوها  
بيدها من بعد تسجده ، وإحكامه في قوة .  
مع أن الرسول لم يكن متساعفاً في عهده  
عن ذلة وهوان ، ولا من خوف عما يكون ،  
ولا لآي مخدور يخطر بالبال كما خشي عمر  
ومن معه أن يدور شيء من ذلك بخلد الكفار .  
وإنما هي مسألة يجتمع إليها الرسول ،  
وهوادة في السياسة يأخذ بها الإسلام أهله  
حين لا يوجد ما يمنع من المؤادة ، وهو  
جنوح إلى الاستقرار ، والتماس الهداية من  
أقرب طرقها ، دون مشاقة ، أو نفور من  
التفاهم ، أو هو من مظاهر الحكمة التي تعتبر  
أجندى وسيلة في الدعوة .  
لهذه الاعتبارات كان العهد سمياً ، وكانت  
حكمة الله التي يطمئن إليها رسوله ضمنية بذلك  
حتى لم يكف عمر عن امتناعه إلا بتوجيه  
النبي له إلى أن هذا شأن من شئون الرسالة .  
وحيث بدأ عمر ومن كانوا على رأيه .  
بل يعود عمر على نفسه باللائمة ؛ لأنه ناقش  
الرسول ، واضطره أن يحتج لسياسته بأنه  
رسول يبلغ ، وينفذ ما يوحى إليه من ربه .  
وعندما يكون الدين والمرونة وسيلة غير  
مجدية مع الجاهدين لم تبق إلا الشدة علاجاً ،  
ولم يعد من الحزم أن يوضع الحلم موضع  
السيف مع من لا يقدر على الحلم ، وهنا نزلت  
الآيات بما فيها من قوارع السمع .

٤ — نزلت بالبراءة من العهد ونزلت  
بأنفسها ، وكانت كالحقارة التي تنقض غزوها  
بيدها من بعد تسجده ، وإحكامه في قوة .  
مع أن الرسول لم يكن متساعفاً في عهده  
عن ذلة وهوان ، ولا من خوف عما يكون ،  
ولا لآي مخدور يخطر بالبال كما خشي عمر  
ومن معه أن يدور شيء من ذلك بخلد الكفار .  
وإنما هي مسألة يجتمع إليها الرسول ،  
وهوادة في السياسة يأخذ بها الإسلام أهله  
حين لا يوجد ما يمنع من المؤادة ، وهو  
جنوح إلى الاستقرار ، والتماس الهداية من  
أقرب طرقها ، دون مشاقة ، أو نفور من  
التفاهم ، أو هو من مظاهر الحكمة التي تعتبر  
أجندى وسيلة في الدعوة .  
لهذه الاعتبارات كان العهد سمياً ، وكانت  
حكمة الله التي يطمئن إليها رسوله ضمنية بذلك  
حتى لم يكف عمر عن امتناعه إلا بتوجيه  
النبي له إلى أن هذا شأن من شئون الرسالة .  
وحيث بدأ عمر ومن كانوا على رأيه .  
بل يعود عمر على نفسه باللائمة ؛ لأنه ناقش  
الرسول ، واضطره أن يحتج لسياسته بأنه  
رسول يبلغ ، وينفذ ما يوحى إليه من ربه .  
وعندما يكون الدين والمرونة وسيلة غير  
مجدية مع الجاهدين لم تبق إلا الشدة علاجاً ،  
ولم يعد من الحزم أن يوضع الحلم موضع  
السيف مع من لا يقدر على الحلم ، وهنا نزلت  
الآيات بما فيها من قوارع السمع .  
٥ — ونزلت الآيات كذلك بأن تعلن هذه  
البراءة يوم الحج الأكبر في مكة ، وهذا مقام  
انبثقت فيه الدعوة الإسلامية ، والحجيج  
هناك من كل فج ، فلتكن البراءة علانية كما  
هو شأن الإسلام في صراحته وعلانيته ...

ولا يتجاوز الرق إلا عندما يأبى الإنسان  
أن يترفق بنفسه . .

وأنت ترى من مظاهر ذلك قوله تعالى في  
سياق هذا القصص المرعب لأولئك الناكثين .  
« فإن تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا  
أنكم غير معجزى الله . . »

وترى القرآن يستثنى من هذا الوعيد كله  
أولئك الكفار الذين لم ينقضوا عهدهم مع  
المسلمين ، فيأمر الله رسوله وأُمَّته أن تحفظ  
عهدهم إلى نهاية زمنه .

« إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم  
يثبتاً ولم يظاهروا عليكم أحداً ، فاتوا  
إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين . . »  
ومن ملاح الآيات وأسلوبها يبين أن العداة  
القائم في هذه القصة ليس عداة قائماً مجرد بقائهم  
على الكفر وحقيقة الشرك ، فإن الكفر عائق  
بالناقضين ، وغير الناقضين من هذا الفريق .  
وإنما هو عداة في شأن ينشده الإسلام  
في أهله ، وغير أهله ، هو خلق الوفاء بالعهد ،  
فقد ألزمه قوم يدينون به ، وبقتضيه إسلامهم  
وأهدوه قومه بسبب حقدهم ، وضلالتهم .

ولو ألزموه لكان كفرهم مسكوتاً عنه  
إلى نهاية العهد ، وإلى أن يقضى الله أمراً كان  
مفعولاً ، كما سكوت عن غير الناقضين .

ولكن القوم نكثوا ، فدارت عليهم  
دائرة بينهم بالخسران ، وفاتهم أعضاف  
ما كانوا يتعجلونه من آمال ، وصاروا حديثاً

وفي هذا المسلك شيوخ لرسول المسلمين ،  
وتصاعد لراية الإسلام ، بعد الذي سلف من  
غلبة المشركين عليهم ، وطردهم الرسول  
وأصحابه من هذا البلد الأمين ، فليشهد البلد  
الأمين منة كبرائه اليوم .

وماذا يكون الشأن في قوم يركبون  
رموسهم ، ويهلون عقولهم ، والحق بين واضح  
أمامهم ، ولكن الباطل يحب إليهم ؟ ؟

إن الأمر أمر بناء للمجتمع الإسلامي على  
أقاص الباطل ، وغرس لشجرة الهدى في  
أرض الضلال

وأمر انتصار لدين الله على مغاليه الذين  
يريدون أن يطفئوا نوره ، والله يريد أن يتم  
هذا النور على أوسع مدى ، وأرحب أفق ١١  
هم لن يعجزوا الله ، وهم الذين يهزأ الله بهم ،  
ويشرهم بعذابه الأليم ، وكذا الأمر أمر  
مقاصه ؛ وجزاء سيئة بسيئة ، والشر بالشر  
والبادي أظلم لنفسه

على أن المعاملة بالمثل - وهي سنة فطرية -  
لا تجعل الجزاء سوءاً ، كما كل البدء سوءاً  
فإن العدوان شيء ، والقصاص شيء يضاهيه ،  
ولكن وضع القصاص معتبر عقلاً في موازين  
العدالة ، بعد أن كان العدوان في كفة الشيطان  
ولن يستوى في العقل هذا بذاك ١١

فإذا ثبت الجرم فقد حل الجزاء .  
٦ - ولكن الإسلام لا يتهاфт على الشدة

من الهجرة تتعلق بالمهد وقضه ،  
وبقية آثاره .

وفي هذه السنة احتار النبي أبا بكر أميرا على  
الحج ، ولم يخرج هو صلى الله عليه وسلم حتى تنفذ  
تلك الأحكام الجديدة التي نزلت بها الآيات .  
ثم بعث علياً بعد قيام الصديق ليعلن هناك  
في الناس آيات الله وأحكامه ، براءة من الله  
ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، ...  
( الناقضين ) . . . وآذن من الله ورسوله إلى  
الناس يوم الحج الأكبر أن الله يرى من  
المشركين ، ورسوله ... إلا الذين عاهدتم  
من المشركين ، ثم لم ينقصكم شيئا ، ولم  
يظهروا عليكم أحدا ، فأتوا إليهم عهدهم  
إلى مدتهم ، إن الله يحب المتقين ، إلخ .

قام على رضى الله عنه برسالته ، وأعلن  
في الناس أمورا أربعة - براءة الله ورسوله  
من عهد الناقضين للعهد - لا يحجب بعد هذا  
العام مشرك - لا يطوفن بالبيت حريان -  
لا يدخل الجنة إلا من كان مؤمنا - وفي السنة  
العاشرة كانت حجة النبي صلى الله عليه وسلم  
وهي حجة الوداع ، بعد أن تركزت راية  
الإسلام في مكة ، وصار المشركون مطرودين  
عنها ، وأقلت نجومهم ، حتى اقرضوا ،  
والشر بالشر والبادي أظلم لنفسه ؟

عبد اللطيف السبكي

تقدم به الدنيا ، ويرويه التاريخ إلى نهاية  
التاريخ .

٧ - وافطر إلى دورة الأحداث بهم  
في فترة متلاحقة طوام الزمن في أعقابها ،  
وصدق فيهم وعيد الله :

١ - عقدوا عهدهم مع الرسول ومحبه  
هند الحديبية - قريبا من مكة - سنة ست من  
الهجرة ، ثم تحلل الرسول ومن معه من  
حمرتهم ، وعادوا فقصوها سنة سبع ، والعهد  
قائم لم ينقض .

٢ - نقضت قريش عهدها سنة ثمان ،  
غرج إليهم النبي على جيشه في رمضان ،  
وقع مكة ، وطهرها من الأصنام ، وأعاد  
إليها حرمتها التي كانت لها قبل أن يعطى  
عليها طغيان الوثنية ، وعادوا إلى المدينة .

وهذا الحادث الذي سبب المشركين بأسهم ،  
ودحرهم في مدتهم هو أول نتيجة مباشرة  
لنقض العهد .

وهو الحادث الذي بشر الله به رسوله  
عقب توثيق عهد الحديبية ، وقبل حصول  
الفتح : « إنا فتحنا لك فتحا مبينا ، إلخ الآيات  
من سورة الفتح ، وقد حققها الله تعالى . .  
وبقي الحج سنة ثمان على ما كان معمودا ،  
في عهدة قريش ، ولكنه بهاء موقوت  
وإلى أيام .

٣ - بعد ذلك نزلت آيات في سنة تسع

## مسالك الاسلام الى القارة الإفريقية

للأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن  
أستاذ الحضارة الإسلامية بجامعة الزنات

وأبا الحسن الجزائى فى كتابه زهرة الآس  
فى بناء مدينة فاس ، وابن أبى زرع فى كتابه  
الأنيس المطرب فى أخبار ملوك المغرب ،  
وتاريخ مدينة فاس ، وعرب فقيه فى كتابه  
فتوح الحبشة ، والشريف الإدريس فى كتابه  
زهوة المشتاق ، وابن بطوطة فى كتابه تحفة  
النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار  
المعروف برحلة ابن بطوطة ، وابن خلدون  
فى كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر ، وابن  
زيدان فى كتابه إتحاف أعلام الناس بجمال  
حاضرة مكناس ، وابن عدارى فى كتابه  
البيان المغرب فى أخبار المغرب ، وأبا الحسن  
الوزان ( ليو الإفريقى ) فى كتابه وصف  
إفريقية Description de l'Afrique  
والقنشى فى كتابه صبح الأعشى فى صناعة  
الإنشا ، وتقى الدين المصرى فى كتابه  
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطوط والآثار  
المعروف باسم الخطوط . ونعيم شقرى فى  
كتاب تاريخ الإسلام القديم والحديث .

ومن أهم المصادر الإفريقية جيعاً كتاب  
الدعوة إلى الإسلام ، تأليف سيرة توماس

أخنت شعوب القارة الإفريقية تفتيق من  
سباتها وتعمل على نيل استقلالها ، الأمر الذى  
عده السياسيون أعظم أحداث القرن العشرين ،  
بل لقد عده بعضهم أعظم أحداثه على الإطلاق  
وذلك نتيجة حتمية للوعى القومى الذى أنبعث  
بين شعوب آسيا وإفريقية فى الشرق الأوسط  
فى القرن التاسع عشر ، وكان من أثر انبثاق  
هذا الوعى أن نال كثير من الدول الإفريقية  
استقلالها ، وفى ١٩ مارس الماضى أبرم  
اتفاق وقف إطلاق النار بين الجزائر وفرنسا ،  
الأمر الذى يعد بحق من أعظم أحداث هذا  
العام ، كما عملت الدول الإفريقية على إنشاء  
اتحاد إفريقى يقوم على دعم العلاقات السياسية  
والاقتصادية والثقافية وغيرها وتأسيس  
اتحاد يضم الشعوب الحرة فى هذه القارة .

### مؤرخو إفريقيا :

وقد تناول كثير من المؤرخين والكتاب  
تاريخ القارة الإفريقية ، نخص بالذكر منهم  
على سبيل المثال : عبد الرحمن السعدى  
التزكى فى كتابه تاريخ السودان ،

الإسلام باعتباره ديناً وحضارة ، وتبحث التراث الثقافي وحالة البلاد الإسلامية ، وعلاقة العرب بالحضارة الإسلامية . ويتضمن هذا الكتاب فصلين كتبنا عن شمال إفريقيا ، وعن إفريقيا الاستوائية ، وعن تأثير الشريعة الإسلامية ، وكيف تطبق في إفريقيا ، كما تضمن فصلاً آخر عن المؤثرات الإسلامية في شرق إفريقيا وغربها .

وهناك كثير من المصادر التي كتبت عن أجزاء معينة من القارة الإفريقية ، نخص بالذكر منها كتاب تاريخ نيجيريا (History of Nigeria) تأليف سير آلان بيرنز (Sir Alan Burns) الذي شغل منصب الحاكم العام لهذه البلاد سنين عديدة ، وكتاب الإسلام في السودان .

(Islam in the Sudan) وكتاب الإسلام في أثيوبيا (Islam in Ethiopia) تأليف سبنسر ترمينجهام (Spencer Trimingham) وكتاب المهديّة (The Mahdiya) تأليف ثيوبولد (Theobald) وكتاب الإسلام والمسيحية في الحبشة (Islam and Christianity in Abyssinia) تأليف سيدر كويست (Cederquist)

ومن هذه المصادر الهامة كتاب وصف بلاد المغرب (Description du Maghreb) تأليف جرونبول ودي غريه (Juyrboli et De Goeje) وكتاب البربر : دراسة عن

أرنولد (Sir Thomas Arnold) الذي تلبذت له بجامعة لندن . وقد ترجم إلى كثير من اللغات الحية ، ووصفه الأستاذ رينولد نيكلسون (Reynold Nicholson) المعروف بقوله : إنه يفوق حد الوصف من كل ناحية وقد خصص سير توماس أرنولد للقارة الإفريقية بايين متمعين : فتكلم في الباب الرابع عن انتشار الإسلام بين مسيحيي إفريقيا ، ولا سيما مصر والمغرب والحبشة ، وبحث في الباب الحادى عشر تحول البربر إلى الإسلام ودخول هذا الدين إلى المغرب ، وقيام الممالك الإسلامية في القارة الإفريقية ، كما تناول في هذا الباب الكلام على الطرق الصوفية وانتشار الإسلام في إفريقيا الغربية والشرقية .

وقد اهتم الأوروبيون والأمريكيون في العصر الحديث ببحث القارة الإفريقية من جميع نواحيها نخص بالذكر من بين هذه البحوث كتاب (إفريقية اليوم) Africa To-Day الذي قام على نشره جروف هينز (Grovo Heinz) ويشتمل على ستة أبواب أو مقالات دونها طائفة من الكتاب المحدثين . ومن المراجع الهامة كتاب الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية (Unity and Variety in Islamic civilisation) وقد نشره الأستاذ جرونبول (Grunebourn) وطبع بمطبعة جامعة شيكاغو . ويشتمل هذا الكتاب على مقالات تعالج



وسأحاول في هذا المقال أن أبين في شيء من الإيجاز أهمية القارة الإفريقية لنشر الإسلام والطرق التي سلكها هذا الدين الحنيف إلى إفريقيا ، وأرجو أن أتناول في مقال آخر الكلام على أثر انتشار الإسلام عن طريق الفتح وعن طريق الفرق الصوفية ، ثم على أيدي الدعاة والعلماء والتجارة والرحالة ، ثم على العنصرية ومبدأ المساواة وأثر ذلك في نشر الإسلام بين سكان أواسط هذه القارة . كما أرجو أن أتكلم في مقال آخر على الممالك الإسلامية التي قامت في غربي وأواسط وشرقي إفريقيا .

### إفريقيا ممة أغنى القارات :

يقتظم الإسلام أكثر من ثلث القارة الإفريقية التي تبلغ مساحتها ١١٢٦٢٠٠٠ من الأميال المربعة ، أي خمس مساحة الكرة الأرضية ، ويبلغ عدد سكانها أكثر من مائة مليون نسمة ، وهم يكونون ٨ ٪ من سكان الكرة الأرضية . وبين هؤلاء السكان خمسة ملايين من البيض .

وموارد هذه القارة الاقتصادية بالغة الأهمية لتتنوع هذه الموارد بتنوع البيئات واختلاف الموقع والمناخ . وهي تتجلى نحو ٩٨ ٪ من مساحات العالم ، ٥٥ ٪ من ذهبه ، ٢٢ ٪ من نحاسه ، كما تتجلى نحو ثلثي محصول الكاكاو العالمي ، وثلاثة أخماس إنتاج زيت

فتح العرب لإفريقية (les Berberes, Etude Sur la conquête de l'Afrique par les Arabes )

وكتاب الجمعيات الإسلامية والحركة المرابطية الدينية في بلاد السنغال والنيجير .

Les contrées musulmanes et le maraboutisme dans les pays du Sénégal et le Niger.

وكتاب الإسلام والمسيحية في إفريقيا تأليف فورجييه ( Forget ) .

ومن المصادر الهامة كتاب الحركات الاستقلالية في المغرب العربي الأستاذ الرئيس حلال الفاسي . وقد ترجم إلى اللغة الإنجليزية بعنوان :

The independence Movements in Arab North Africa.

ومن هذه المصادر الحديثة كتابا : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى جنوبا وفي شرقي القارة الإفريقية وغربها ، ويتضمن المحاضرات التي ألقيتها على طلبة معهد الدراسات العربية العالية المنعقد بجامعة الدول العربية . هذا بالإضافة إلى المادة التاريخية المتواضعة التي تناولت بعض أطراف هذا الموضوع في كتابي تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي بأجزائه الثلاثة ، ولا سيما ما يتعلق منها ببلاد المغرب والنوبة والسودان .

- التنزيل . هذا عدا معادنها الأخرى كالمنجيز والكروم ، واليورانيوم ، بالإضافة إلى إمكانياتها العظيمة في القوى المائية . وبالقارة الإفريقية أكثر من ستين مليوناً من المسلمين وفق الإحصائيات التي أوردتها الأستاذ ماسينيرو في كتابه التقويم السنوي <sup>(١)</sup> .
- وهذه القارة مورد اقتصادي عظيم في المعادن والزراعة والمواد الخام ، وقد أدركت الدول الغربية هذه الحقائق ، فسأقت إلى استثمارها للاستفاح بثرواتها الطبيعية ، وأدركت الولايات المتحدة الأمريكية هذه الحقائق في السنين الأخيرة فاهتمت باقتصاديات إفريقية اهتماماً بالغاً ، وعملت على الاحتفاظ بأسواقها ، وضاعفت رؤوس أموالها المستثمرة فيها . أضف إلى ذلك أهمية موقع هذه القارة الاستراتيجي ، كما قرر ذلك الأميرال ريتشارد كونولي في الفصل الذي عقده لبيان أهمية إفريقية من الوجهة الاستراتيجية . فقد ذكر الأهمية الكبرى للأماكن الآتية <sup>(٢)</sup> :
- ١ - طنجة .
  - ٢ - قاعدة مراکش الجوية وتعدة الدار البيضاء البحرية .

- ٣ - شمال غربي إفريقيا .
- ٤ - ليبيا .
- ٥ - أرتيريا - الحبشة - الصومال - مرآي مصوع وجيبوتي ومقدشيو .
- ٦ - جزيرة مدغشقر وأهميتها في حاية مسالك المحيط الهندي .
- ٧ - رأس الرجاء الصالح ولاسيا قاعدة سيموتز تلون البحرية .
- ٨ - قاعدة دكار التي تحرس طرق المواصلات في غربي إفريقيا .

### كيف انتشر الإسلام في إفريقيا :

ويرجع انتشار الإسلام في القارة الإفريقية إلى عاملين أساسيين :

الأول : طبيعة الشعوب التي قامت بنشر الإسلام ، وكانت في الغالب شعوباً بدوية رحوية أو شبه رحوية . ولم تكن لها خبرة بركوب البحر أول الأمر ، بل كانت تتمتع بطور الإبل والحمل ، ولا يستطيع أهلها التقدم إلا في السهول المكشوفة .

الثاني : طبيعة الأرض التي انتشر فيها الإسلام وتسرعت إليها جموع البدو . وكانت هذه البلاد الإسلامية تحيط بالصحراء الكبرى شمالاً في المنطقة الممتدة من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي ، وجنوباً عبر وادي النيل حتى حدود النوبة . وفي

(1) Annuaire musulmane, pp. 228 390

(2) Richard Conolly, At ica To-D ay, Africa's Strategic Significance, p. 55.

٢ — الطريق من تونس إلى المنطقة الواقعة بين نهر النيجر وبحيرة شاد .

٣ — الطريق من طرابلس إلى المنطقة المحيطة بحيرة شاد كذلك .

وقد انتشر الإسلام في دربع القارة الإفريقية فيما بعد فاخترق نطاق الغابات في غربي هذه القارة ، وانتشر على طول الساحل الشرقي ، ودخل مع بعض المهاجرين إلى الكونغو . ومن الشرق نفذ إلى جنوبي السودان وهضبة البحيرات ، وقب الهضبة الحبشية ، وتخطى الساحل الشرقي في المناطق الداخلية إلى كينيا وتنجانيقا . كما نفذ إلى جنوبي إفريقية مع المهاجرين من سكان شبه القارة الهندية ، وما زال ينتشر إلى اليوم .

وهناك نهضة مباركة في نشر الدين الحنيف انبثت بين مسلمي القارة الإفريقية في جميع النواحي . فقد قطعوا عن أنفسهم تراب الماضي وشاركوا في الحركات التحررية ، وتسنموا أعلى المناصب ، وقاموا بدور ملحوظ في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . ولم ينسوا تحاليدهم الإسلامية ، وحرصوا عليها جسد الحرس وتجاربوا مع إخوانهم في الدين في كافة أرجاء العالم الإسلامي ، ولتأخذ في الكلام عن تلك المسالك الهامة في شيء من التفصيل فنقول : إن الإسلام قد نفذ إلى القارة الإفريقية عن ثلاث طرق رئيسية هي :

النطاق الرعوي الذي يحيط بهذه الصحراء من الجنوب من مصب نهر السنغال حتى السودان .

على أن الإسلام لم يستطع أن يتخطى الحواجز الطبيعية الكبرى ، وهي شلالات النيل ، وهضبة الحبشة ، ومنطقة البحيرات الكبرى وما يكتنفها من أدغال وغابات .

### الطرق التي سلكها الإسلام

ويلاحظ أن الإسلام قد نفذ إلى غربي القارة الإفريقية عن طريقين هما :

الأول : الطريق الساحلي عبر حوض السنغال ، وهو الطريق الذي سلكه المرابطون .

الثاني : طريق التجارة الذي يبدأ من مدن إفريقية الشمالية متجها صوب الجنوب عبر واحات الصحراء إلى المدن الكبرى في السودان .

وأهم المراكز التجارية في غربي إفريقية بلاد غانة ، ومالي ، وجني ، وتمبكتو ( أو تمبكت ) ، وكانو ، ومن أهم مراكز التجارة في شمالي إفريقية في المصور الوسطى : القيروان ، وتونس وطرابلس .

وكانت هذه التجارة تسلك ثلاثة طرق رئيسية هي :

١ — الطريق من مراکش إلى منحنى نهر النيجر والمناطق الواقعة جنوبا .

إلى داخل القارة الإفريقية ، حيث شق الإسلام طريقه إلى بلاد الحبشة والصومال على أيدي الدعاة والتجار كما نفذا إسلام إلى أوغنده في القرن التاسع عشر ، وإلى نياسلاند في القرن العشرين .

والطريق الثاني الذي سلكه الإسلام إلى القارة الإفريقية هو طريق النوبة ودنفلة ، وذلك بعد الفتح الإسلامي لمصر ، ولم تكن السودان بلداً مجهزة للعرب ، فقد كان نهر النيل الطريق التجاري لهم ، على الرغم من وقوف مملكة النوبة المسيحية حائلاً دون هؤلاء الفاتحين والمهاجرين ، ولم يكن كل العرب المهاجرين تجاراً ، بل كان فيهم المستقل سعيًا وراء المراعي الخصبة والماء والكلا ، فوجدوا في لحاج السودان المتزامية ما يفتقدونه ، وتخلصوا من دفع الخراج ، كما وجدوا في تجارة الرقيق والذهب والجواهر ضائتهم المنشودة وساعدتهم على ذلك أن طبيعة السودان تشابه طبيعة بلادهم .

#### العرب ونشر الإسلام في إفريقيا :

ولما ظهر الإسلام وامتدت فتوحه إلى فارس والشام وفتح العرب مصر في عهد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، انتشر الإسلام في القارة الإفريقية حتى بلغ مدينة أسوان جنسوبا .

ويرجع النجاح السريع الذي أحرزه غزاة المسلمين إلى مالا قوة من ترحيب المسيحيين وعلى الأخص من القبط ، وهم

الطريق الأول : طريق بلاد اليمن وحضرموت والبحرين والأحساء إلى الساحل الإفريقي الشرق ومصوع وبربرة ، حيث أخذت هجرات المسلمين تندفق على طول هذا الساحل الشرقي من خليج عدن حتى مدار الجدي على حافة المنطقة التي كان جغرافيو العرب يطلقون عليها اسم بر الزنج . على أن أول هجرة العرب ترجع إلى زمن أبعد من هذا ، إذ يرجح بعض الباحثين أن استيطان العرب لإفريقية الشرقية امتد في العصور القديمة حتى سواً لا جنوبي نهر زمبيزي . وقد بنى المسلمون مدينة مقدشيو على ساحل المحيط الهندي ببلاد الصومال ، وذهب جماعة منهم إلى زنجبار ، حيث نشروا الإسلام بين أهلها الذين يطلق عليهم اسم السواحلية ، كما أسسوا مدينة كلوا ببلاد تنجانيقا الآن ، وفي الساحل الشرقي من مدينة مدغشقر ، بل لقد نفذوا إلى كينيا فأوغنده وإلى أقصى جنوبي القارة الإفريقية ، أي إلى مستعمرة الرأس ، حيث نجد مسلمي هذه البلاد من سلالة أهل الملايو الذين جاء بهم الهولنديون في القرن السابع عشر أو الثامن عشر ، كما يذكر سير توماس أرنولد (١) .

ولم تكن جهود العرب مقصورة على الساحل الشرقي أول الأمر ، بل لقد نفذوا

وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي كان قد قسرب إلى أهالي مدن النوبة السفلى . وكان لزواج العرب بالنوبيات أثر كبير في إسلام النوبيين .

**دور المغرب في نشر الإسلام بأفريقيا**  
والطريق الثالث الذي منحه الإسلام إلى القارة الإفريقية هو إفريقية الشمالية والغربية . ذلك أن العرب بعد أن تم لهم فتح مصر ، مدوا فتوحهم إلى بلاد المغرب . وقد هباً تأسيس مدينة القيروان في إفريقية ( وهي القطر التونسي الآن ) على يد عقبة ابن نافع سنة ٥٥ هـ . العرب مركزاً حصيناً اتخذوه قاعدة لنشر الإسلام في شمال القارة الإفريقية وغربها .

ومن أهم طبقات المجتمع الإسلامي في شمال إفريقية شعوب البربر ، وهم أهل البلاد الأصليون . وكان وقوع المغرب على ساحل البحر الأبيض المتوسط تجناه أوروبا سبباً في تبادل سكانه حضارة الأمم المجاورة إلى جانب حضارتهم وتقاليدهم العريقة التي يرجع تاريخها إلى أيام الفينيقيين الذين عرفوا المغرب قبل ميلاد المسيح بنحو ألف سنة . وكان نجاح عقبة بن نافع في نشر الإسلام بين البربر بطيئاً ، لانشغاله بحروب الروم الذين أرسل بهم الهزائم المتتالية وكان ذلك سبباً أصيلاً في أن دبروا له مكيدة قتله في موقعة تهودا التي لعب فيها كسيلة دوراً قتل

أهل مصر الأصليون الذين كرهوا الحكم البيزنطي بسبب فداحة الضرائب واستبداد الكنيسة البيزنطية بهم .

وفي عهد عمر بن الخطاب حاول العرب فتح بلاد النوبة ، فقد حاول عقبة بن نافع فتحها على غير جدوى ، فهاذن أهلها وعقد معهم صلحاً أشبه بمعاهدة اقتصادية ، على أن تقدم مصر بالحبوب والعدس ، وتمتد النوبة مصر لقاء هذا بالزيتون لعلها الأرض . ثم حاول المسلمون فتح بلاد السودان ونشر الإسلام فيه ، وإن كان هذا قد كفهم ثمناً حالياً ، ومع ذلك فقد عرف المسلمون أرض النوبة واختلّفوا إليها لأعراض تجارية خاصة . كما عرفوا أرض البجة ( أو البجاة ) الذين كانوا يقيمون على مقربة من عيذاب على البحر وينتشرون بين النيل النوبي والبحر الأحمر في الأراضي الممتدة بين أسوان ودقة تقريباً .

وقد اتصل العرب بالبجة في القرن الثاني الهجري ( الثامن الميلادي ) بطريق البحر الأحمر وبطريق وادي النيل ، وخاصة من إقليم أسوان ، فرحلوا إليهم تجاراً واجتازوا مصر إلى بلادهم حاجين ، وهاجروا إلى مفاوز الذهب والرمرد منقنين ومستخرجين . كما استقرت جماعة منهم هنالك ، وبنوا المساجد والدور . وكان ذلك من العوامل التي ساعدت على دخول هؤلاء البجة في الإسلام وتعريبهم

وكلدت تفتح على يده صفحة جديدة في تاريخ المغرب الإسلامي . ولكن القدر عانده ، خلع من منصبه وخلفه موسى بن نصير الذي أتم فتح الأندلس سنة ٩٢ هـ مساهما في ذلك مع مولاة طارق بن زياد الذي كان ينوب عنه في ولاية المغرب الأقصى ، متخذاً طنجة حاضرة لولايته .

وكان فتح بلاد الأندلس فتحاً للإسلام في المغرب والأندلس معا ، ذلك أن معظم الجيش الذي فتح هذه البلاد كان من البربر بقيادة طارق بن زياد ، وقد شعر المغاربة لأول مرة بمساواتهم بالعرب ، وبدأت شخصية المغرب الإسلامية تدخل في دورها الفعال ، إذ شعر البربر بعد فتحهم الأندلس ، أنهم أصبحوا حماة الإسلام في هذه البلاد ، وأن عليهم مهمة نشر هذا الدين ومناهضة المسيحيين .

وقد حرص الخلفاء على اختيار طائفة من الفقهاء ليعلموا البربر فرائض الإسلام ويفسروا لهم آيات القرآن الكريم ، وأظهر بعض ولاية المسلمين ، ولا سيما الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، حماسة في إعلاء شأن الإسلام ، فقد أرسل مع واليه على شمال إفريقيا عشرة من الفقهاء ليفقهوا مسلمي المغرب على أن ثقة البربر بالدولة الأموية بالمشرق قد تزعزعت ، بسبب تسرب بعض فرق الخوارج ، كالأباضية والصغرية بينهم ، رقيامهم بنشر الدعاية ضد الحكم الأموي ،

بسبب استيائه لمعاملة عقبة بن نافع السيئة له ولصديقه ابن أبي المهاجر . وقيل - وهو الأرجح - إن الروم قد دفعوه إلى الإيقاع بالقائد العربي . ودليل ذلك أنهودا كان يجانبها حصن رومي كبير .

ثم خلف عقبة زهير بن قيس البلوي الذي استطاع أن يقتصر لقتل سلفه قتل كسيلة وحطم مقاومة الروم ، ولكن الروم دبروا له مكيدة شنيعة بتلك التي دبروها لعقبة حيث اشتبك مع الأسطول الرومي على ساحل طرابلس وكانت نهايته أن استشهد في تلك المعركة . وكذلك لم يتمكن زهير بدوره من نشر الإسلام ، ثم خلف زهيراً حسان بن النعمان ، وكان حريصاً على نشر الدين ، فحسّر شوكة الروم الذين قويت عزيمتهم وأثبت فيهم الأمل في استرداد بلاد المغرب من أيدي المسلمين ، فقاتلهم حسان قتالاً مريراً وأزلهم المهزيمة ، ثم اتجه لمحاربة الكاهنة دامية وقومها جراوة<sup>(١)</sup> . ولكن الكاهنة هزمت حسانا الذي أنهكت جنده الحروب مع الروم ، فانسحب إلى طرابلس وظل بها خمس سنوات ، عاد بعدها إلى المغرب وهرم الكاهنة ، وبدأت مواهبه تظهر في نشر الإسلام وفي تدوين الدواوين باللغة العربية . وقد ساءى بين العرب والبربر .

(١) السلاوي ، الاستقواء ، الدار البيضاء ١٩٥٤

دعوته . واتى المولى إدريس من هذه القبيلة المغربية كل العون والتأييد في تأسيس دولة الإدارة التي كانت أول دولة مستقلة حملت جهدها على نشر الإسلام في ربوع هذه البلاد.

### المرابطون ونشر الإسلام :

وما هو جدير بالملاحظة أن الدولة المرابطية تعتبر أول دولة وحدت المغرب الأقصى والأوسط وقامت بدور خطير في نشر الإسلام على الساحل الإفريقي الغربي وبلاد السودان ، ويجمع المرابطون في المغرب بين الجهاد والثقافة الدينية معا ، كما يتجلى ما فطروا عليه من نزعة دينية عارضة وحب للجهاد فيما ذكره عبد الواحد المراكشي (١) عن حضور المعتمد بن عباد صاحب أشبيلية إلى أمير المسامين يوسف ابن تاشفين مستغيثا به في حربه مع الفونس السادس ملك قشتالة ، فأجاب ابن تاشفين المعتمد إلى ما دعاه إليه قائلا : « أنا أول منتدب لنصرة هذا الدين ولا يتولى هذا الأمر أحد إلا أنا بنفسى » ، وعبر ابن تاشفين البحر من سبتة في أسطول مغربي يتألف من مائة سفينة ميمما شطر الجزيرة الخضراء ، وأوقعت جيوش ابن تاشفين بجيوش الفونس في موقعة الزلاقة المشهورة ، التي تعد بحق من المواقع الحاسمة في التاريخ

وفي العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) غدا شمال إفريقيا مسرحا للفتن والفتلات ، ويعزى خروج البربر على ولايتهم من العرب إلى بعد هذه البلاد وفرضهم ضرائب ظن البربر أن الدين لم ينص عليها ، يضاف إلى ذلك استفحال حركات الخوارج والشيعية ، حتى حمل بعض زعمائهم على الاستقلال عن الدولة العباسية وانضم بعض زعماء من العرب النازحين في هذه البلاد إلى البربر ، وخلعوا طاعة العباسيين ، وتأسست في المغرب ولايات مغربية مستقلة ، منها ولاية تافرت التي أسسها عبد الرحمن بن رستم من الخوارج الإباضية ، وولاية بلماسة (تانيلا الحالية) التي أسسها بنو مدرار بمساعدة الصفيرية الزناتيين ، وولاية تلمسان التي أسسها بنو قررة الصنهاجيون ، ودولة برغواطية في تامسنا (الشاوية الحالية) على ساحل المحيط الأطلسي . من ذلك نرى أن أهل الشمال الإفريقي قد قاموا بدور ملحوظ في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية.

وفي سنة ١٧٢ هـ قامت دولة الإدارة على يد المولى إدريس بن عبد الله العلوي الذي سار إلى بلاد المغرب الأقصى مع موله راشد بعد أن بطش العباسيون بأهل البيت العلوي في موقعة فح المشهورة سنة ١٦٩ هـ . وقد استقبلته قبيلة أوربة البرنسية ونشرت

(١) المعجبون بفتح أخبار المغرب ص ١٣٠ - ١٣٣ .

المخلصين إلى جزيرة بنهر السنغال<sup>(١)</sup> بنوا بها  
رباطاً اتخذوه مركزاً لعبادتهم ، وأخذوا  
يعلمون الناس التفقه في دينهم والمحافظة على  
شعائرهم وإيقلاع عن عاداتهم المخالفة للدين .  
وسرعان ما تجسعت حول عبد الله بن ياسين  
طائفة من تلاميذه ، وخاصة من جدالة  
ومسوقة وملتونة أخذت في الريادة حتى بلغت  
نحو ألف شخص قاموا على نشر مبادئ  
الإسلام . وقد ذكر ابن أبي زرع<sup>(٢)</sup> أن  
عبد الله بن ياسين قال لتلاميذه :

« اخرجوا على بركة الله ، وأنذروا قومكم  
وخوفوهم عقاب الله ، وأبلغوهم حجته . فإن  
تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلموا عما هم عليه  
نظروا سيئتهم ، وإن أبوا ذلك وتنادوا  
في غيهم ولجوا في طغيانهم . استعنا بالله تعالى  
عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا » .

وأخيراً قاد عبد الله بن ياسين أتباعه  
وسامع المرابطين .

وهذا الاسم مأخوذ من الرباط ، أي الخلوة

فقد طال حكم المسلمين للأندلس أربعة قرون  
أخرى بفصل انتصار يوسف بن تاشفين  
في هذه الموقعة ،

ويرجع انتشار الإسلام في الصحراء وفي  
حوض السنغال إلى عبد الله بن ياسين ، فقد  
ذكر ابن أبي زرع<sup>(١)</sup> أن يحيى بن إبراهيم  
شيخ قبيلة جدالة إحدى بطون صنهاجة  
استعان بعبد الله بن ياسين الذي عارف  
بالتقوى والتفقه في الدين<sup>(٢)</sup> ولما مات يحيى  
ابن إبراهيم ، خلفه في زعامة صنهاجة يحيى بن  
عمر اللثوني . وقد ذكر ابن خلدون أن جدالة  
وملتونة تتحدران من قبيلة صنهاجة الكبرى<sup>(٣)</sup>  
وقد وجد عبد الله بن ياسين أن البربر في ذلك  
الوقت كانوا يهملون شعائرهم الدينية ، فأخذ  
يحثهم على إصلاح سلوكهم ، وسار مع تلاميذه

(١) الأيبس للطرب (الرباط ١٩٣٦) ج ٢  
ص ١١ - ١٦ .

(٢) راجع ابن خلدون : العبر : طبعة بولاق  
١٢٨٤ هـ ج ٦ ص ١٨٢ .

(٣) قال ابن خلدون : ( العبر : ج ٦ ص ١٥٢ )  
إن بطون صنهاجة كثيرة : فهم بلكالة وأنجدة ،  
وسرطة وملتونة ومسوقة ، وجدالة . وقال  
ابن خلدون ( ج ٦ ص ١٨٢ ) كان هؤلاء المائتون  
في صحاريهم . وكانوا على دين المجوسية إلى أن  
ظهر فيهم الإسلام لهدى المائة الثالثة . وجاهدوا  
جيرانهم من السودان عليه ( أي على الدين ) فدانوا  
لهم واستثنى لهم ( أي للثنتين ) للثلاث ثم ائتمروا ،  
وكانت رياسة كل بيت مهم في بيت مخصوص .

(١) ويذكر ابن خلدون ( العبر ج ٦ ص ١٨٢ )  
عند كلامه على هذه الجزيرة : « وأخذ أبو بكر  
فبذلوا من الناس في دوة بمحيط بحر النيل من جهاتها  
محصلاً . في الصيف وغراً في الشتاء » .  
ولعل ابن خلدون قد وقع في هذا الخطأ الذي وقع  
فيه القريب الإدريسي ( كتاب الله - رب وأرض  
السودان ومصر والأندلس ص ٥ ) إذ كان يطلق  
اسم النيل على نهو النيجر .

(٢) الأيبس للطرب ص ١٤ - ١٦ .



أن الأمير أبا بكر بن عمر قلد ابن عمه يوسف ابن تاشفين في سنة ٤٦٢ هـ حكم بلاد المغرب الأقصى شمالا ، فاستطاع يوسف بفضل مواهب الفذة أن يؤسس في سنة ٤٦٦ هـ (١) الدولة المرابطية العظيمة التي خدمت الإسلام في الأندلس ولم نأل جهدا في نشره في كثير من ربوع القارة الإفريقية .

ثم جاء الموحدون فشر الإمام المهدي محمد بن عبد الله بن تومرت عقيدة التوحيد بين الناس بعد أن مهد لها طويلا بالأمم بالمعروف والنهي عن المنكر ابتداء من مكة المكرمة وهو عائد من الشرق ، وانتهاء ببلاد المغرب ، وقد ألف لاتباعه كتابا في عقيدته التوحيدية التي قام بشرحها بنفسه باللغة البربرية . وكان للمرابطين فضل عظيم في نشر الدعوة الإسلامية في أجزاء واسعة من القارة الإفريقية والأندلس ، كذلك كان للوحديين أثر محمود في الجهاد ضد الصنيينيين بالأندلس ، كما كان من مآثرهم نشر دعوتهم التي كانت تقوم على التوحيد ، وقد ذكر صاحب الاستبصار أن دعوة التوحيد امتدت من طرابلس شرقا حتى غانة وإلى قلب القارة الإفريقية ، وكان للوحديين الفضل العظيم في نشر الثقافة عامة والإسلامية منها خاصة .  
(البيته — الرباط)

المركنور محمد إبراهيم محمد

(١) المصدر نفسه ١٤٥ - ١٤٦ .

التي اتخدها عبد الله بن ياسين في جزيرته بنهر السنغال . هذا ما ذكره صاحب القوطاس أما ابن عذارى فإنه يرى رأيا آخر في هذه التسمية حيث يذكر أن تسمية المرابطين بهذا الاسم ترجع إلى موقعة حربية استبسلت فيها قبيلة لتونة الصنهاجية ، فأطلق عليهم عبد الله بن ياسين اسم المرابطين لصبرهم وحسن بلائهم ورباطة جأشهم (١) . ويرجع استعمال لفظ رباط إلى زمن أبعد من هذا ، ومعنى المرابطين : الأتقياء المجاهدون في سبيل الله ، وهذا اللفظ مأخوذ من الرباط وهو حراسة الحدود ، حيث كان يذهب المخلصون للدين لمساعدة حامياتها ، وقد ورد لفظ رباط في القرآن الكريم حين أذن الله سبحانه وتعالى المسلمين بالجهاد ، أي القتال في سبيل الله ، وذلك لتأمين الدعوة الإسلامية والدفاع عنها ضد من يقف في سبيلها ، قال جل شأنه في سورة الأنفال (٢٢ - ٢٩ - ٤٠) :  
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوك ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون » .

وقد قام المرابطون بدور هام في نشر الإسلام في القارة الإفريقية ، ومن المعروف

(١) أحمد مختار العبادي : مجلة تطوان ،

العدد الخامس ١٩٦٠ ص ١٤٦ - ١٤٧ .

## نظرة في أحاديث "إحياء علوم الدين" للغزالي للأستاذ محمد محمد الشرفاوي

العقل المجرد ، لأن تصرفات العقل دائرة في إطار المحسّات ، فهو لا يفكر ولا يتخيّل ولا يتوهم إلا ضمن تلك الدائرة المحددة .. على حين أن ما وراء الطبيعة ليس من قبيل ما يتخضع لحواسنا ومداركنا القاصرة . وكانت تلك الفكرة هي التي اختتمت أخيراً في عقلية الفيلسوف الألماني الشهير وكانت ، والذي اعتبره قومه الألمان من أجها .. نعمة من أجل نعم الله عليهم .. بيد أن كانت ، حين أثبت قصور العقل عن إدراك كل شيء لم يصل بعد ذلك إلى إثبات شيء في عالم العقيدة وألحد ... أما الغزالي فإنه استنرف معالم الغيب عن طريق السلوك في دروب الصوفية ، والترقى في سلم الوصول .. حتى أشرق عليه الفيض بالأمل المنشود .

.. وقد شغف الغزالي - رحمه الله تعالى - الشغف كله بهذا اللون من التفكير ، الدائر في قلب الإيمان والتكفير ، وصال فيه وصال ، حتى بيع شأوا عزيز المثال .. فقيل إنه أنظر أهل عصره ، وإنه بحر مبدق .. أو مفرق ، ومن هنا نشأ لقبه المشهور ، حجة الإسلام .

قبل أن تناول الأحاديث النبوية الشريفة التي انطوى عليها كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي - بالنظر والتحليل .. نود أن نقرر بادئ ذي بدء أن ذلك الإمام الجليل قد بلغ القمة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري .. وذلك حين اقترع بعقله الجبار ، وعزمه الثوار ، آفاق الفلسفة والمنطق ، وعلم الكلام والمقائيد ، وأن كتابه "تهافت الفلاسفة" كان معولاً تهاوت تحت دعائم الفلسفة العقلية التي شادها الفلاسفة على التفكير العقل المجرد ، منذ عهد "أرسطو" .. صاحب أضخم عقلية فلسفية انبثق عنها التاريخ - في رأي الفلاسفة - فقد أبطل الغزالي مذهبهم المادي الذي كان يرصد عالم الغيب من خلال المفقولات ، حتى إذا استعجم عليهم إدراك ما وراء الطبيعة بالعقل ، كفروا بعالم الروح ، وصدوا عنه ، فهاجمهم الغزالي بسلاح الجدول المنطقي الذي داخوا به .. حتى حصمهم ، وغاصمهم بالدليل البرهاني .. حتى حصمهم ، وكشف لهم حقيقة غابت عنهم ، وهي أن عالم الغيب فوق مدارك

في نصابها وإصطفاها ما قاله الله ، وما لقيصر ،  
 لقيصر ، والحكم بالحق على الأشخاص ،  
 لا الحكم بالأشخاص على الحق ، والتمتع بمقتنا  
 المشروع في الحرية الكاملة لمناقشة الآثار  
 والمخلفات الطيبة — مهما كان مصدرها —  
 مع تحرى الأمانة والصدق في إصدار الحكم  
 لها أو عليها ... وذلك على الرغم مما دمجته  
 أقلام المعجبين بهذا الكتاب الشهير ، من  
 عبارات المدح العريض ، والثناء المستطاب ،  
 فقد جاء في دائرة المعارف الوجدية في معرض  
 التنويه بذكره ، « إنه آية من آيات التأليف ،  
 وعناية من الغايات التي تقصر عنها المهم » ،  
 ومن ذلك قول الإمام النووي فيما نقله عنه  
 ابن السبكي في طبقاته : « كاد الإحياء يكون  
 قرآنا » ، ومن هذا القليل أيضا ما ذكره  
 التاج السبكي في الطبقات من قول بعض  
 المحققين : « لو لم يكن للناس في الكتب التي  
 صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين  
 النقل والنظر ، والفكر والآراء ... غير  
 إحياء علوم الدين - لكانت » .

ونرى أن تلك الأقاويل قد استبد بها  
 الإعجاب - إلى درجة المبالغة الفجة ... وذلك  
 نتيجة لسبق الكتاب فيما عالج من موضوعات ،  
 وما تناول من قيم ، وما حلل من مفاهيم ...  
 على نحو لم يعرف من قبل في تاريخ الكتابة  
 الإسلامية .

.. كما نود أن نشير إلى أن هذا الإمام  
 العبقري قد كتب في علم الخلاف والفقه  
 بطريقة تكاد تكون جديدة في بابها ، وقد  
 زاوج بين الحقيقة كما يعرفها الصوفية ،  
 والشريعة كما يفهمها الفقهاء ، وربط بين  
 أحمال الظاهر ، وأحكام الباطن ، ولم يسلك  
 مسلك الفقهاء الذين اعتمدوا في استنباطهم  
 على الأدلة التفصيلية ، في ضوء قواعد فقهية  
 مقررة ، ومبادئ أصولية مسلمة .. بقدر  
 ما سلك في ذلك مسلك أهل الطريق  
 من ذوي الكشف والإلهام .. الذين يرون  
 للمعرفة بابا آخر ، غير باب الأدلة والقواعد .  
 ونحن لا نعرض للغزالي من هذه الناحية ،  
 ولا من تلك : إلا بالقدر الذي يحفظ له أثره  
 وخطره في محيط المدارك الإسلامية العليا .

وهنا من هذا البحث ، أن تناول أشهر  
 كتبه « إحياء علوم الدين » الذي شاع ذكره  
 وذاع ، وطبقت سمته البقاع والأصقاع ..  
 وذلك بالتحليل العلمي لما تضمنه من أحاديث  
 نسبت إلى صاحب الرسالة صلى الله عليه  
 وسلم ، لننظر ... إلى أي مدى بلغت جهود  
 الإمام في هذا السبيل ... بالنسبة لما بلغه في  
 مجال الفلسفة والمنطق والعقائد ، والعقود  
 والأصول

وهدفنا الذي نرنو إليه ... وضع الأمور

بالتأويل ، والحق بالباطل ، وهز على الناس التمييز بين تألق الأصيل ، وبريق الزائف الدخيل ، ولو لم يكن قد هز عليهم هذا التمييز — لكان من غير المرغوب فيه وجود هذا اللون من المؤلفات التي تنتمي إلى الإسلام في مثل هذا الثوب المهلهل ، ويكفي أن أشير إلى أني طالعت الخمسة حديث الأولى من كتاب ( الإحياء ) مستعيناً بالإمام الحافظ العراقي — طيب الله ثراه — الذي تعقب كل حديث في الكتاب مبنياً ما له وما عليه ؛ فلاحظت أن الربع الأول من الكتاب المسمى بربع العبادات ، قد بدأ بحديث ضعيف وانتهى بحديث ضعيف : فأما حديث البدء فهو : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعباده » ، وأما حديث النهاية فهو : « إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام » ، وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة ، فقد عده ابن حبان في الضعفاء ، ورواه أبو نعيم في الخلية من حديث عائشة وهو ضعيف . وفيما بين هذه البداية وتلك النهاية أحصيت ضمن الخمسة حديث المشار إليها : ١٩٤ حديثاً صحيحاً ، ١٣٥ حديثاً ضعيفاً ، ١٠٤ حديثاً حسناً ، ٢٤ حديثاً لم يعرف أصله ، ٢٢ حديثاً موضوعاً ، ١٧ حديثاً مرسلًا ، ٤ أحاديث غريبة .

وإذا أنعمت النظر في النسبة المفقودة بين

ولعل ما ذكره الشيخ محمد الخضر حسين في هذا المقام أدنى إلى القصد ، وأدخل في الصواب حين يقول : « وإذا وجد العلماء في كتاب الإحياء مأخذ معدودة ، فإنه من صنع بشر غير معصوم من الزلل » .

ومركز الاهتمام والخطورة في هذا البحث أنه زخر بمشود هائلة من الأحاديث النبوية الكريمة ، فيها الصحيح وغيره ... ولو أنها كانت ضمن كتاب لا يؤبه له ، ولا يلتفت إليه ... لو سمعنا أن تضرب عنها صفها ، وأن نقض دونها بصراً ؛ لسكنها في أشهر موسوعة علمية إسلامية ، اعتبرت في نظر الطليعة من رواد الهداية مورداً فياضاً ، ومنهلاً عذب الورد ، تتسلسل في جموده المترقق عبارات الوعظ والتأثير الديني طيبة للذين يتصدون لتلك المهمة في معترك الحياة ... ثم سرعان ما تشق طريقها إلى العقول والقلوب في مشارق الأرض ومغاربها لتعمل عملها ... وتؤتي أكلها .

والواقع أن الإمام الغزالي — رحمه الله تعالى — حين ألف كتابه ( إحياء علوم الدين ) وجمع فيه من الأحاديث ما جمع ، كان كحاطب الليل ، أو كمن يحيط بحيط عشواء فقد جمع الصحيح إلى جانب الضعيف ، وسوى بين المسموح والموضوع ، وزاوح بين المنقول والمدخول ، حتى اختلط الحابل

لكان لأحاديث إحياء العلوم شأن غير ما هي عليه الآن . . . وأكبر القائل أن الإمام لم تواته ظروفه لكي يراجع ما كتب من أحاديث .  
 إثر عكوفه على مطالعة الصحاح من كتب السنة .

وأنه لو أسعفته تلك الظروف . . . لكان له إحياء جديد بعد إحيائه القديم . . . كما ظهر ذلك في فقه الشافعي على اختلاف في زاوية الوضع والمراجعة . . .

جاء في كتاب ( جواب أهل الإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من آن ) لابن تيمية : ( وأما الطريق الخبرية النبوية فلم يكن للغزالي فيها خبرة بما صح من ألفاظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبطريق دلالة ألفاظه على مقاصده ، وظن بما شارك به بعض أهل الكلام والفلسفة أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين مراده بألفاظه ، فتركب من هذا وهذا سبب الطريق العقل والسمي وظن أن المطلوب يحصل بطريق التصنية والعمل ، فسلك ذلك فلم يحصل له المقصود أيضاً ، فرجع في آخر عمره إلى قراءة البخاري ومسلم ) .

ويقول ابن التجار في ترجمته للإمام الغزالي : ( ولم يكن للغزالي أستاذ ولا طلب شيئاً من الحديث ، ولم أر له إلا حديثاً واحداً ) .

هذه الأحاديث وجدت أن نسبة الحديث الصحيح نحو ٠.٣٨ / وهي نفس النسبة للأحاديث الضعيفة والموضوعة والغريبة والمرسلة والتي لا أصل لها معاً ، بينما تتوزع النسب الباقية ما بين الحسن والمتكر والمضطرب والمختلف في صحته والموقوف إلخ .

ومعنى هذا أن نحو نصف أحاديث هذا الكتاب الشهير ذي الخطر الكبير صحيح والنصف الآخر يفتقد مقومات الصحة . وهذا يفتقر إلى جهود صادقة من المشتغلين بالحديث لحصر الصحيح والحسن في إطار خاص ، وتنقيتها من الثوابت ، ليسهل العلم ، ويصح العمل ، مع المحافظة على الأصل التاريخي للكتاب قياماً بواجب الأمانة العلمية

ومحل العجب هنا . . . أن الغزالي كان كثيراً ما يعيب على المحدثين من أهل عصره إسفافهم في رواية الحديث ، وإغراقهم في النقول عن صاحب الرسالة . . . ومع ذلك فلا ندري . . . هل كان الغزالي يدري أنه تورط فيما عابه على غيره ، وقد ذكر الإمام أبو العباس بن تيمية ، أن الغزالي عكف في آخر أيامه على قراءة البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة ، ولقد تمعنا على التاريخ . . . أن لو كان عكوف الإمام هذا على قراءة الصحيحين نقطة البدء في حياة الإمام العلمية . . . إذن

من قد في أحاديث هذا الكتاب منها ما يمت  
إلى السياسة ، أو الخرازة الشخصية بصفة ..  
وليس هذا مقام تفصيله والإفاضة فيه  
إلا أن الواقع التاريخي لهذا الكتاب لم يسل  
من القيل والقال ، والتصحيح والإعلال ..  
وقد اعترف الإمام الغزالي نفسه في كتابه  
« جواهر القرآن » ، بأنه لم يكن ممن عنوا  
بالحديث والخلافات في مسائل الفروع ،  
وإذا كان الاعتراف سيد الأدلة ، فإننا في هذا  
البحث نبرأ من التجنى على الإمام الغزالي بغير  
مادان به نفسه من تقصير في معالجة الأحاديث  
الشريفة .. ومن المعقول أن الإقلال مع  
الإجادة والإحكام ، حير من الإسفاف دون  
بلوغ المرام ، ولا شك أن الحديث من أوائل  
ما يعتمد عليه المجتهد في الفروع الفقهية ،  
فبالك من يتصدى لمسائل العقيدة الأساسية ،  
وقد يكون من أسباب ذلك أن عصر الإمام  
كان عصر جدل في العقيدة ، وكان الفقه قد  
استقرت أصوله ، وكثرت مؤلفاته ،  
وتعددت تفريعاته ، إلا أن هذا لا يمتنع  
عاملا يبرر الإكثار من الأحاديث على النحو  
الذي سلكه الغزالي ، فالواقع أن الإسلام  
لم يهاجم عن طريق القرآن الكريم الذي تعهد  
الله بحفظه وصيافته من الدخيل والدجل ،  
وإنما اعتدى على الإسلام عن طريق الشغرات  
التي انصدعت في نطاق الأحاديث الشريفة ،  
ووجد فيها أعداء الملة مرعى مرمعا للفتن

وقد أخسبر أبو عبد الله الحافظ بواحد  
من أحاديثه — كما جاء في الطبقات الكبرى —  
وفي الطبقات لابن أبي شيبة : أن الإمام أبا بكر  
الطرمطشي تعرض لكتاب ( إحياء علوم  
الدين ) في رسالته لابن مظفر بقوله : —  
( فلما عمل الإحياء عمد يتكلم في علوم  
الأحوال ، ومرامن الصوفية ، وكان غير  
أنيس بها ، ولا خبير بمعقتها ، فسقط على  
أم رأسه ، وشن كتابه بالموضوعات ، ولقد  
بدا له الانصراف عن طريق العلماء ، ودخل  
في غمار المال ، ثم تصوف ، فحجر العلوم  
وأهلها ، ودخل في علوم الخواطر ، وأرباب  
القلوب ، ووساوس الشيطان ، ثم شابها  
بآراء الفلاسفة ، ورموز الحلاج ، وجعل  
يظعن على الفقهاء والمتكلمين ) .

وقديماً اندلعت نار ثورة عارمة من فقهاء  
الدولة التاشفينية في المغرب على عهد علي ابن  
يوسف بن تاشفين — ضد كتاب ( الإحياء )  
وقد عاصرها الإمام الغزالي ودعا على قاذفها  
فقد جمع من نسخ الإحياء الشيء الكثير  
في بلاد الأندلس والمغرب ، ووضع ما جمع  
من الأندلسيين في صحن جامع قرطبة ، وما جمع  
من بلاد مراکش في صحن مسجد الجامع ،  
وهكذا في سائر الأقطار المغربية ، ثم أشعلت  
فيها النيران .

وقد يكون لذلك أسباب آخر غير ما ذكرنا

يشير إلى هذا ، ولهذا عكف في أخريات أيامه على قراءة الصحيحين ليكمل في النهاية نقصاته في البداية ، وحينئذ ما كان ينبغي له أن يقدم على عمل خطير كهذا دون أن يستوثق من الحديث رواية ودراية .

وأما أنه كان على علم بالحديث ضعيف وصحيحه ، ومسموعه وموضوعه ، ثم أخذ بالفكرة القائلة : « إن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال » ، وثمن صح هذا في ضعاف الأحاديث . فهو لا يصح في موضوعها . على أننا لا نسلم تلك الفكرة لقائلها رغم ذبوعها وشيوعها ؛ لأننا لا نعرف لها أصلا عليها ، ولا سندا تاريخيا ، ولا ندري كيف ، ومتى نشأت ، ولا عن قنات .

ولأن نفى بتلك الفكرة في زوايا النسيان خير من أن نردها في مجال المرفان .

فالإسلام — والحديث — أغنى بصحيحه وصحاحه من أن يستعين بالضعيف من الروايات ، أو يستجدي المعلول من الأسانيد . ومهما يكن من أمر فإن اللائق بمناخ هذا الإمام الألعى ، ومرواقه الخافضة بأجناد الكفاح الفكري ، ومفاخر الدفاع عن عقائد الإسلام ضد هجمات الفلاسفة ، وأهل البدع والزنادقة — أيجملنا نردد ما ذكره الشيخ محمد الخضر حسين من أنه إذا وجد

والدسائس ، مما حدا بأهل الجند والفيرة إلى التشهير عن ساعد العمل لتخليص الإسلام من الطفيليات الضارة التي عاشت عالة على حساب الصحيح من مبادئه وقصائمه ، والصحاح من أحاديثه .

وكنا نرجو من مضمين أن يكون إيماننا الغزالي من هذا الطراز الذي قرعت أسماعه أجراس الخطر منذرة بتلك السموم التي تنفث في جسم الإسلام بين ضباب الشك ، وظلام الاحقاد والإلحاح الموروثة .

فكان ينبغي له أن يعيد النظر مرتين قبل أن يسطر حديثا واحدا . ولا سيما أن خصيصة الغزالي أنه مفكر نادر ، لا يؤمن حتى يفهم ، ولا يفهم حتى يدرس ، ولا يدرس حتى يتشكك ، ولقد درس الغزالي وفهم ، وحصل كل ما وعته العقول والأفكار في عصره الذي كان أجمع المصور للعلم وأحفظها بالمعركة ، وأنه بلغ من ذلك مبلغا ليس بعده زيادة لمستزيد ، ولا وراءه غاية لمزيد . فما معنى ما حدث إذن في « إحياء علوم الدين » ؟ .

إن الغزالي بنعته السابق واحد من اثنين : إما أنه رجل تشبع حتى تضاعف في علوم الفلسفة والعقائد والجدل . ثم تقاصرت همته أو بالأحرى ضاق وقته عن العناية بالحديث ، ولعل اعترافه السابق في « جواهر القرآن »

فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتذية على أمر يخصه ، ويفعل عنه وقفاؤه ، أولا يفعل عن التذية ، ولكن يسهو عن إirاده في الكتب ، أو لا يسهو ، ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف . وبعد :

فقد تبين من دراسة هذا الموضوع : أن الإمام الغزالي مع احتفاظه بالإمامة في علوم الفلسفة والمنطق والعقائد - لم تكن له عناية فائقة بالحديث ، ولذلك فإن نصف الأحاديث تقريباً التي انطوى عليها كتابه « إحياء علوم الدين » ، هي التي يصح الاعتماد عليها علماً وعملاً ، بينما النصف الآخر قد جمع أشتاتاً من ضعيف وموضوع ومنكر ومضطرب ونحوه ، مما لا تتوافر معه الثقة للاحتجاج به ، أو الاستناد إليه ، وأنه حق على كل قارئ لكتاب الإحياء أن يسترشد بالإمام الحافظ العراقي في تخريجه لأحاديث الكتاب ، فلا يتقبل منها إلا ما حسن كلام الحافظ فيه ، وأنه تغلب فيه النزعة الصوفية أكثر مما يظهر فيه الروح الفقهي القائم على الاستنباط من الأدلة المتداولة بين الفقهاء . وأن مراجعته الأساسية - كما يبدو - هي كتب التصوف لا كتب الأحاديث المعتمدة ، ولا كتب الأصول الفقهية . ٩

محمد محمد الشرفاوي

العلماء في كتاب الإحياء مأخذ معدودة ، فإنه من صنع بشر غير معصوم من الزلل . والنظر في كتاب الإحياء تحت ضوء ما جمع في كتب أئمة التصوف الأربعة : المحاسبي والخوارزمي وأبي طالب المكي والقشيري ، وهم الذين قيدوا مذهب الصوفية بعد تبديده ، وضبطوه بعد انتشاره - يرى أن كتاب الغزالي كلن مرآة انعكست عليها أفكار هؤلاء الأئمة وآراؤهم ، وأن مسحة المتصوفة هي الطابع المميز ، والعنصر الغالب في تصنيف هذا الكتاب ومن الممكن أن يقال : إن تلك الكتب كانت مراجع للإمام في تأليف الإحياء إلى جانب عمله الغزير ، وعقله الكبير .

ولقد حدد الإمام الغزالي الخطوط العريضة التي تميز كتابه الإحياء عن أشباهه من الكتب التي شاركت في موضوعه ، ولم ينكر أن الناس صنفوا في بعض معانيه ولكنه يذكر ، أن كتابه يمتاز عن أمثاله بخمسة أمور :

أولاً : حل ما عقده ، وكشف ما أجلاه .  
ثانياً : ترتيب ما بددوه ، ونظم ما فرقوه .  
ثالثاً : إيجاز ما طولوه ، وضبط ما قرروه .  
رابعاً : حذف ما كرروه ، وإثبات ما حرروه .  
خامساً : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام ، ولم يتعرض لها في الكتب أصلاً ؛ إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد ،



# مع القرآن في الآفاق

للاستاذ الحسني عبد المجيد هاشم

وأنا معهم في أن القرآن يدعو إلى العلم والعمل ولكنني أرى أن هذه الدعوة واضحة جلية في آيات كثيرة غير هذه الآية مثل : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ، ، إنما يحشى الله من عباده العلماء ، . » وأتينا إذا رجعنا إلى معنى السلطان نجد أنه بمعنى الأمر والحجة والولاية والقدرة . وإذا كانت الحجة نوعاً من العلم فهي علم يغير علم التركيب والاختراع ، ومن الممكن أن يكون السلطان بمعنى القدرة ، ويطلق على مسببها مجازاً وهو الاختراعات .

ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فأى معنى للتحدى بهذه الصيغة القوية لفريق الجن والإنس معاً ؟

على هذا التفسير الذي اختاره العلماء يكون المعنى يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا ؛ إنكم لن تستطيعوا ذلك إلا بعلمكم . وعلى هذا النقط من التفكير لا داعي للتحدى فكل شيء لا يستطيع الإنسان أن

اقتضت نهضة التسابق العلى في غزو الفضاء ونجاح الرواد من الشرق والغرب أن تنجح الأبحاث حول الآيات الكونية في القرآن ، وكتب العلماء والباحثون في معنى الآية القرآنية : « يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ، . »

وكانت مهمتهم أن يوفقوا بين الحقائق العلمية الثابتة ، وبين القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إنه من عند الله الذي يعلم السر في السموات والأرض وعمال أن يصطلم مع نظرية علمية حقيقية . ولقد صدر رواد الفضاء وداروا حول الأرض وارتفعوا في السماء ، وأصبح ذلك حقيقة علمية لا يتطرق إليها الرب ، فكيف يتفق هذا مع التحدى في الآية ؟

رأى العلماء خروجاً من هذا المخرج أن يفسروا السلطان ، بالعلم الاختراعي ، فهم لم يصعدوا إلا بعلمهم الناتج عن أبحاث وكفاح ، وبذلك فالقرآن يدعو للعلم والعمل .

السلوية إليها فلا يبعد عنها سوى ٢٤٠ ألف ميل تقريباً .

ونحن لا نريد بذلك أن نتنى بأنهم سيصلون إلى القمر . بل ولا مهيئتنا أن نتنى أنهم لن يصلوا إلى مدى أبعد من ذلك بكثير وكثير . ولكن كما قلنا نقرر بأن هذا لا يسمى نفاذاً فلا تعارض مع الآية حتى تقصر السلطان بالعلم البشرى الاختراعى مما يفقده الآية معنى التحدى .

وإذا كان النفاذ لم يتحقق للرواد وليس في مقدور البشر وعلمهم ذلك فإن سلطان الله وحده هو المحقق لهذا النفاذ . إنها القدرة الخارقة العاتقة ، من معاني السلطان : الولي ، والله ولي الذين آمنوا ، وكانت ولاية الله واضحة لرسولنا صلى الله عليه وسلم . ولكن النفاذ لا يعلمه ولا باختراعه ، ولكن برعاية الله .

اخترق السموات وأقطارها ووصل إلى الآفاق الأعلى ورأى الآيات الكبرى : سدرة المنتهى جنة المأوى ، الكرسي الذى وسع السموات والأرض ، وكان ذلك في ليلة المعراج من غير صواريخ ولا مخترعات وإنما كان بأمر صاحب الإبداع والسلطان . وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . . . وكان ذلك حقيقة في مأمن من خداع الحواس .

يفعله إلا على علم فالإنسان مثلاً لا يستطيع الكتابة ما لم يكن على علم بمعرفة الحروف وقواعد الخط والإملاء . وهكذا في كل أعماله لا يستطيعها ما لم يكن على علم بها . ولا يقال له أنت لا تستطيع أن تعمل ذلك إلا بعلمك .

وإننا لو سلطنا أضواء البحث على معنى النفاذ ، الذى هو موضوع التحدى لاستبان الأمر ؛ ففي القاموس المحيط : النفاذ جواز الشيء عن الشيء وخلوصه منه كأننفوذ ، ويقال نفذ السهم من الرمية . إذا حالط السهم جوف الرمية وخرج طرفه من الشق الآخر ، وهل يتحقق النفاذ بهذا المعنى لرجل الفضاء فاخترق أقطار السموات كلها وجاوزها إلى عالم آخر فوقها غير عالمها حتى يذهب ، نطن أننا أمام مشكلة تعارض الحقائق العلمية مع النصوص القرآنية ، ونختي نؤول النصوص تأويلاً غير سائغ يذهب من روعتها ويغير معناها . لم يحصل النفاذ فلا تعارض ، والتحدى قائم لا محالة ، بل إن هذا النفاذ لم يفكر فيه المكرون حتى فنظر إلى التأويل غير المناسب باسم التحرد مع العلم الحديث . إن رجل الفضاء لم يخبر بأنه نفذ من أقطار السموات إلى عالم آخر . إن كل هدف القسابق أن يصل إلى القمر ، والقمر حفيد الأرض كما يقول علماء الجغرافيا وأقرب الأجرام

أصبحنا بعد قوله كل من عليها فان يازاء  
التحدث عن الآخرة فالباقي هو الله يغير ولا  
يتغير، كل يوم هو في شأن. في هذا الوقت ستفقد  
القدر الاختيارية أو الصورية ويظهر الأمر  
لصاحب الأمر ( لمن الملك اليوم لله الواحد  
الواحد القهار ) . منفرغ لكم أيها الثقلان .  
وسيكون الحساب ، وفي ذلك الوقت لا قوة لنا  
على اكتساب الثواب ولا على اجتناب العذاب  
ولا اختيار ولا تكليف . بل حساب : اليوم  
تجزى كل نفس بما كسبت ، ولا مهرب ،  
ولا ملجأ من الله إلا إليه . . . إن  
استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات  
والأرض فاعدوا وانجوا من الحساب :  
لا تنفذون إلا بسلطان الله ، بأمره سبحانه  
وتعالى ، تنجون أو تعذبون تساقون إلى النار  
أو الجنة . . . فبأي آلا ربكما تكذبان ،  
يا معشر الجن ويا معشر الإنس . قال كلام  
القرآن السابق للآية إنما هو في الحياة  
الآخرة ، والكلام اللاحق للآية في الحياة  
الآخرة . بعد الآية : بين الله نوع العذاب  
للعبدية يقول تعالى : يرسل عاصفك شواط  
من نار ونحاس فلا تقتصران . فبأي آلا  
ربكما تكذبان . فإذا انشقت السماء فكانت  
وردة كالدخان . فبأي آلا ربكما تكذبان .  
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان . .  
واستمرت الآيات بأن الجرمين يعرفون  
( البقية على صفحة ٢١٢ )

«إن هو إلا وحى يوحى . عليه شديد القوى .  
ذو مرة فاستوى . وهو بالآفاق الأعلى . ثم دنا  
قتلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . » إلى  
قوله تعالى : « إذ ينفث الندرة ما ينفث . ما رخ  
البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى . »  
هذا إذا فهمنا الآية مستقلة عن جوها  
القرآني مما قبلها وما بعدها . أما إذا فهمناها  
في جوها بالربط بين سابقها ولاحقها فأیضا  
لا اعتراض أيضا بل لا علاقة لها من قريب  
أو بعيد بفرد الفضاء . إنما يتناسب البحث  
مع غزو الفضاء في الآية : « سنريهم آياتنا  
في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق . »  
فالغزو وتحقيق لهذه الآية ، أما آية التمحيص بعدم  
النفاذ فهي من سورة الرحمن . وابتدأت  
السورة بذكر الرحمن الذي من رحمته علم  
القرآن ، خلق الإنسان ، ومن عليه بالعلم عليه  
البيان : فاقه هو الرحمن والمعلم وخالق الشمس  
والقمر وعالق الكون بسماؤه وأرضه ،  
وفاكهته ونخله ، وعالق الإنسان من صلصال  
كالصفار ، وعالق الجن لجعل أصله من مارج  
من نار ، ومرج البحرين وجعل بينهما  
برزخا لا يبينان ، كما أخرج منهما اللؤلؤ  
والمرجان ، وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام .  
ولكن كل هذا الكون بحقه ونعيمه إلى  
فناء . كل من عليها فان . والباقي الحق هو الله  
ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

## فضيلة اليوم : كتابة التاريخ المعاصر للأستاذ محمد رجب البيومي

ارتفعت أصوات عليّة في الدوائر الجامعية تنادي بوجوب التريث في كتابة تاريخنا المعاصر ، وتعلن أن التاريخ الزيه المنصف لا يمكن تحريره بريثا من عناصر التأثير والتأثر إلا بعد خمسين عاما من وقوعه ولكن أصواتا عليّة أخرى تصدت لمناهضة هذا الرأي ، وأسفقت أن يطول بنا التثبت والانتظار حتى تنقضي المدة المعلومّة ، وإذا ذاك نرجع إلى ما كتبه الأجانب عنا ، فيكون المصدر الأول للرصد والتسجيل ، وتصبح أقوال الأبعد وحدها مصدرا دافقا يحمل في تياره مئات الوثائق والأسانيد - وأكثرها يمثل وجهة نظر معينة - مشفوعة بما يفسرها من تحليل يخطئ مرماة تارة ، ويصيبه أخرى ، وفي ذلك خرج خطير .

وقد انتقلت هذه الصيحات المتعارضة من أهباء الجامعات إلى ميادين الصحافة ، فطلعت علينا جريدة الأهرام الصادرة في ٢٦ مارس سنة ١٩٦٢ بخلاصة مبتورة لما يدور في المضمار الجامعي من اتجاهات ، كما قامت بأسئلة متعددة دفعت بها إلى كبار مؤلفي التاريخ في عصرنا الزاهن ، ليبدوا آراءهم الحرة في هذا

النقاش المتضارب ، وقد جاءت أجوبة الأساتذة السلامة ساطع الحصري ، والبهاثة المؤرخ عبد الرحمن الرافعي ، والدكتور الجامعي محمد أنيس مؤكدة ضرورة الإسراع في تسجيل الحوادث الزاهنة دون إبطاء ، وكنا نطمح أن نجد من التحليل والتحليل لهذه الوجهة المحترمة ما يرضى حاجة النفس ، ولكن طبيعة الحال الصحفي لا تنسح للبسط المنشود ، ولعل ما نشر من آراء هؤلاء الأقطاب بالأهرام قد اجتزى اجتزاء قاهرا دون أن تكون لهم يد في هذا الاقتضاب الجائر إذ لا يعقل أن يبسط عالم متمرس رأيه الهام في هذه القضية في حدود لا تكاد تخرج عن نعم أو لا ، مما يدفعني إلى إبداء الرأي هنا دون تقييد ، عاتبا على الصحافة المتهرة أن تعنيق بأمثال هذه البحوث الجادة ، وهي تفسح المجال للمريض لأبواب القسيلة والتشويق .

ونحن نعلم بادي ذي بدء أن الغرض الشخصي قد ظهر بوضوح في بعض مؤلفاتنا القديمة ، فأنت تعرف نزعة المؤرخ وانجماه من خلال ما يسطر من الأنباء ، وما يبيده

وقد انتقلت هذه الصيحات المتعارضة من أهباء الجامعات إلى ميادين الصحافة ، فطلعت علينا جريدة الأهرام الصادرة في ٢٦ مارس سنة ١٩٦٢ بخلاصة مبتورة لما يدور في المضمار الجامعي من اتجاهات ، كما قامت بأسئلة متعددة دفعت بها إلى كبار مؤلفي التاريخ في عصرنا الزاهن ، ليبدوا آراءهم الحرة في هذا

والمبول ، فلم تعد أية دولة من دول الأرض بمحزول عن الأضواء الكاشفة في شق بقاع العالم ، بل أصبح الحادث اليسير في بقعة نائية يحد من التفسير في أمهات الصحف والإذاعات شرقية وغربية ما يشرحه على وجه المعقول ، ومهما حاول بعض المفرضين تزيفه فالكثرة الكاثرة لن تنخدع بتفصيل

نعرف مثلاً أن ألمانيا النازية قد حتمت على المؤرخين من الألمان أن يمحوا الهتلرية الفردية والآرية الجنسية في مكان التنزيه والارتقاء ، وفرضت على أجهزة النشر من إذاعة وصحافة ومؤلفات وجامعات ومدارس أن تطرى أعمال الحاكين إطراراً لا يلم به النقد - وإن كان مخاضاً ضيقاً - حتى أصبح الشعب الألماني يشعر بارتقائه النوعي بين الشعوب المختلفة من ناحية ، ويعتقد في حكمائه من الإخلاص والكفاية والنزاهة ما لا تدركه الشبهات من ناحية ثانية ، نعرف ذلك جيداً ، ونعرف معه أن الدول المحايدة للنازية - فضلاً عن المعادية لها - قد تقبعت أدوار الحكم النازي تدبّعاً مستقرتاً دقيقاً ، ثم أصدرت عليه حكمها الحيادي ، حتى إذا انتهت الحرب العالمية الثانية رأينا من مؤرخي الألمان أنفسهم من يبرأ مما كتب ، ومن يبدأ في تسجيل صفحات جديدة تعتمد على التحيص والتدقيق ، وتعرض وجهات النظر في العالم

من الأحكام ، حتى اشتهر الكثيرون منهم بميولهم العباسية أو العلوية أو الاعترالية أو السنية بما لا مجال لإنكاره ، وحتى رأينا بعض هؤلاء يعيش في كنف دولة خاصة فتسبغ عليه من عطاياها الثمينة ، ومناصبها الفاخرة ما يجعل عين الرضا كليلة عن كل عيب ، حتى اشترط بعض المنصفين في كتابة التاريخ أن تكون المعاصرة متفية بين الكاتب والمكتوب ، كيلا تتحكم العوامل النفسية ، من رضا أو غضب ، أو منافسة ومعاداة في تسجيل آراء ناشرة تكتب على غير وجهها الصحيح .

أجل ، نعم ذلك ولا تنكوه ، بل نجزم بوقوعه فيما أهدف مؤرخو الزمن القديم من بحوث محبقة تتطلب النقد الدقيق ، ولكننا نعم مع ذلك أن الزمن قد تغير ، وأن ما كان محتملاً من التريب والتمويه في عهود الاعتزال والانكماش أصبح من غير المستطاع في النصف الأخير من القرن العشرين ، حيث يتناقل الأنباء مُسرعة في كل مكان ، وتجد من المحللين والمفسرين ، من يزنها في كل دولة بمرآته الراسد ، ومهما اختلفت وجهات النظر في الفهم والتدليل فإن مجموعة هذه الموازين ستؤدي إلى رأى قريب من الواقع وستحمل من بواعث النقد ما ينفي تدليس المفرض ، ويفضح تمويه ذوي الأهواء

المتهمين ، دون أن يكون لما كتب من تاريخ النازية في حياة هتلر تأثير ما في الجرح والتعديل .  
ومالنا تذهب بعيداً ، وأمامنا العدوان الثلاثي على مصر ١١ فقد حاولت بعض الأقلام الغربية في إنجلترا وفرنسا أن تفسره على غير وجهه العدوانى وأن تحتلق من التبريرات المحترقة ما يشفع لحدوثه معتددة في تدليس ظاهر على مادونه مجرموا الاعتداء من اقترارات كاذبة تدفع عنهم معرة الحق والرمية وقصر النظر ، واندفعت الصحف الحاققة تنسح هؤلاء مكان الصدارة في القوية والخذاع ، تحتلق رأيا عما يرحم المهزوم ويرثى لكبوته المفضوحة ، ولكن أشعة الحق قد تلاحقت من كل مكان لتكشف ظلام الخداع ، حتى رأينا من المحافظين العتاة أنفسهم من يفضح إيدن ويكشف دعوتته ، ويعلم أنه فقد كياسته البصيرة حين قام بمؤامرة خاسرة طردته من مركزه السياسى ، وفرضت عليه المعزلة الباردة المؤسسية في زاوية الخيبة والإخفاق ، وقد يعجب القارئ حين يعلم أن أحد هؤلاء الناقدين المتحررين نجم الداهية الاستعماري المستر تشرشل وراعيه الأمين ١١

هذه ناحية أولى ، وهناك ناحية ثانية جديرة بالاثقات وهي أن كتابة التاريخ في عصرنا الراهن ، لم تعد مجرد روايات عن أعمال ترصد في نطاق الشهور والأعصام حتى يجوز التدليس في خلق مكرمة ذاتقة ، أو افتراء بطولة كاذبة ، أو التحدث بأريحية موهومة ، بل إنها تخضع الآن إلى منطق منهجي يربط الأسباب بالمدىات ، ويسير علوم الاجتماع والنفس والاقتصاد بقواعدها الثابتة ونظرياتها المستحدثة في ركاب هذا التاريخ ، تفحص رواياته وتعمل لجذاته ، وتنق زائفه ، وتنسب حياة المؤلفات قفهم عوامل تكوينه ، وتفسر مختلف اتجاهاته ، وتعمل ما يتورط فيه من انحرافات ، فهو في هذا النطاق العلى الدقيق مضطر إلى لزوم الحيطة فإذا اندفع إلى العرص الشخصى كشفه البحث العلى ببصيرته النفاذة ، وقامت القرآن والملاسات بما يؤيد منطق الأشياء ومجريات الحوادث في تيار واضح مفهوم ، ثم إنه ليس وحده في الميدان ، فدينا ما قاله غيره عن موضوعه ، وهناك المقارنة الحادة بين قول وقول ، واتجاه واتجاه ١١ .

لا حرج إذن من كتابة التاريخ المعاصر ولا حرج إطلاقاً من الفرض الشخصى في عصر تعددت به أساليب النقد وقنون التيقن ، بل لا حرج علينا في قراءة ما كتبه المؤرخون قديماً بما يحمله الهوى المفرض من محاسن وعقل عن رصد من سموات ؛ لأن في تقصى

جديرة بالاثقات وهي أن كتابة التاريخ في

جناية ، ولا أظهر محبة لإثابة ، ولا استنجى من حدث ، ولا أشجى قواده بتوار في جذب ، ولا أقر يبارته ومصوره ، ولا قر يباريه في ميدان تهوره ، الإساءة إليه أجدى من الإحسان ، والبهيمة عنده أهدى من الإنسان ، نظر في تلك التعاليم ، وفكر في أجزام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفض كتاب الله الحكيم ، واقصر على الهيئة ، وحكم للكواكب بالتدبير ، واجترأ عند سماع النهى والإيعاد ، واستهزأ بقوله تعالى : إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد... إلى آخر ما انحدر إليه من إسفاف .

فهل استطاع الفتح بن خاتن أن يزيج ابن باجة الفيلسوف عن قته الشاغرة قيدا نامة إنه دفع العفلاء إلى التفكير في أسباب هذا الهجوم الظالم ، فعرفوا من تاريخ الفتح أنه يتكسب بكتابات ، وأنه كان يطرق أبواب الأعيان من الفقهاء والرؤساء مسترفدا سائلا فإذا منحوه الكثير أطال المدح وأجرل الثناء ، فأعاد بذلك في مجال الترشيد الوصوليين من الشعراء حين يرسلون مدائحهم وأهائجهم وفق ما يرون من بذل وحرمان ، عرفوا ذلك فأنكروه ، ثم اتجهوا إلى مسلكه الدحصى فرأوا لديه من التبذل والسقوط ما لا يمنع التزيد والاقراء ، ثم نظروا من جهة ثانية إلى الفيلسوف النابغة فرأوه عبقرياً

الأسباب ، ومعارضة النصوص ، وتحليل المواقف ، وتوضيح الملابسات ما يكفل رد الحق إلى نصابه وتمييز الطليب من الخبيث . وسأضرب مثالين من مزائق المؤرخين أحدهما إيجابى والآخر سلبى ، ليؤكد بوضوح أن الفرض المائل عن الحق لا يحول دون الواقع الصريح ، وأن ذوى الأمواء المنحرفة في طيات العصور العابرة لم يثبتوا أمام التحقيق العلوى ، فعرف معاصروهم ما ارتبطوا فيه من جور شائن وإذا كان المعاصرون أنفسهم قد مازوا الجيد من الردى ، فإن من تلامذ من الأجيال المتتابعة قد نظروا إلى الموضوع من زاوية منفردة ، فأوسعوه بحثا وتحليلا وأدركوا فوق ما أدركه أسلافهم الغابرون كثيرا من بواعث الاختلاق وطلل الذنوب ، وبقى أليف سافرا خجلا ينادى بتمويه الخداع .

نحن نحن الفتح بن خاتن الكاتب الأندلسي الشهير على معاصره الفيلسوف النابغة أبى بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة مجوما جارحا أراد به أن ينال من مكاتبه وموجهته ، إذ قال عنه في فرائد المقيان : هو رمد عين الدين ، وكند نفوس المهتدين ، اشتهر بخفا ومجوناً وترك مفروضا ومسئونا ، فسا بفسخ ، ولا يأخذ في غير الأصايل ولا يشرع ، فاهيك من رجل ما تطهر من

صاحب القلائد من ساحته بصفحة المغبون ،  
وطفق يكتب عنه ما هبط بالناقد دون المنقود  
وتذيع مقالة السوء عن الرجل فتجد بعض  
الصدى عند من يحاربون الحكمة والمنطق  
من الفقهاء وحدهم دون من يعرفون بواطن  
الأمور ، ثم تمنى الأيام ويطلع الخلف  
ما قاله الفتح ، ثم يقرءون ما قاله سواء ،  
فيواذنون بين ما يتعارض ويتناقض ،  
ويهدون إلى مقلع الصواب دون تضليل !!  
بل إنهم ليضحكون ملء أفواههم حين يرون  
صاحب القلائد يعدل عن هجائه الفيلسوف  
في كتابه ( مطمح الأنفس ) . ويتلسون  
التعليل لذلك ، فيعرفون أن بريق المال  
يجذب الكاتب إليه دون اهتمام برصاة  
الحلق وزهارة الضمير .

هذا مثال لإيجابي مؤرخ ذى غرض ، أما  
المثال السلبى فتجده عند صاحب الأغاني  
أبى الفرج الأصمهانى فقد تعرض فى موسوعته  
الضخمة لمئات من المشهورين والمغمورين ،  
وترك ابن الروى الجهر ظنا منه أنه بتجاهله  
السلبى سيسحق تاريخه ، ويعنى على شعره ،  
وإذا كانت تراجم الأغاني قد وضعت وقفا  
للأصوات المختارة فإننا نجزم أن لابن الروى  
بما غنى به من الشعر أضاع ما نصيره ،  
فقد كان ذا حس مرهف نائف وأذن موسيقية  
لا فظة ، وشعره فى المغنيات والمغنين وبجالت

فى مضامره ، فهو أول المشتغلين بالفلسفة فى  
الأندلس فى عصر سيطرت فيه طبقات الفقهاء  
من المتشددين ، فتقيدوا بالنقل الظاهر ،  
وحاربوا كل تجديد يستند إلى عقل أو طار ،  
وزاد من خطورتهم المؤثرة ما حباهم به أمير  
المسلمين يوسف بن تاشفين من نفوذ زاهر  
لا يقف أمامه معارض ، فهم أولو الكلمة  
المسموعة ، وأهل الحل والعقد فيما يحللون  
ويحرمون ، ومع تومت هذا الجو الفاسم  
فقد جهر الفيلسوف بمعتقده ، وكان أول  
هؤلاء الذين حاولوا أن يبحثوا شئون الفلسفة  
مستقلة عن قواعد الدين وأعلن أن فى مكنة  
العقل الإنسانى أن يصل إلى ما ينشده من  
من المعرفة الحقيقية بالنظر والتفكير دون  
حاجة إلى التصوف الجاهل والشطح البعيد !!  
هكذا المفكر الأريب لا يتأتى له أن  
يعجب بكتابة الفتح وجماعته ، وكلها من  
وجهة نظره الفلسفى سطور فارغة ينمقها  
التسكف النافر دون أن تهدف إلى جلاء  
حقيقة معلومة ، أو تساعد على فهم ظاهرة  
مستعصية ، وهو بهذا الاعتبار لا يمبأ  
بتأليفه ولا يجه أن يكون بين هؤلاء الذين  
يسبغ عليهم باطل الأمداح وزائف الحسانات  
فإذا قصده الفتح ليسلب من ماله ما يدفعه  
إلى الإطراء المموه ، فهذا ما لا يقع موقع  
الارتياح من الفيلسوف الرصين ، لذلك رجع



بما يشير حفاظ ذوي الأرحام ، والمدهش أنه تعرض لابن الرومي عرضاً في موضعين اثنين من موسوعته الخافتة ليثبه ويتقدمه ، فكشف بذلك عن دخيلة نفسه وحقائق ميوله ، هذا التحامل السابي لم يغير شيئاً من حقيقة الشاعر ، بل عاد باللائمة الجارحة على الأصغري ودفع القراء إلى مزيد من القيل والقال .

نستطيع أن نقول في ضوء هذين الشاهدين أن على المؤرخ المصاصر أن يكتب عن حوادث عصره ما شاء ، وعلى الناقد أن يتبع المؤرخ ولن يسجره أن يفصح ما استتر من ملق معرض أو تحامل بغيره ؟

### محمد رجب البيومي

الطرب والنشوة على كثرتهم يؤكد أن الشاعر قد أسهم في ميدان الغناء بشعر كثير .

ولكن تغافل أبي الفرج عنه قد كن مدعاة لتساؤل كبير من الناقدين ، حتى اهتموا إلى السر الأصل ، ذلك أن أبا الفرج تليذ الاخفش تربي على يده ، وتشرب ميوله وأهواءه وبين الاخفش وابن الرومي من الأهاجي المقذعة ما اشتهر بين الأدباء ، وبجمله ديوان الشاعر في صفحات كثيرة ، فلا عجب أن ينشأ أبو الفرج مفلطراً على كراهية الشاعر اتقانا لأستاذه وغيره عليه ، ومن يدري لعل أبا الفرج من فاحية ثانية قد رأى أن يمالئ الوسط الاجتماعي ياغضبه ابن الرومي كما يقول الأستاذ كامل كيلاني ، إذ أنه مما كثيرا من آباء أعيان العصر وأجدادهم

( بقية المنشور على صفحة ٣٠٧ )

فإننا نجد في كلتا الحالتين في تفسير الآية أنه لا تعارض مع الواقع والقرآن ، ولاداعي للتأويل البعيد . وسيظل كتاب الله لسان صدق لا يأباه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسبب في ذلك أنه تنزيل من حكيم حميد .

الحسين عبد المجيد هاشم

المدرس بمحمد الزقازيق

بسيام ويؤخنون بالنواصي والأقدام . ويقال لم هذه جهنم التي يكذب بها الجرمون ، إلى آخر أنواع العذاب المعدة للجرمين ثم بينت الآيات نوع النعيم الخقيم لمن عاف مقام ربه ، فله الجنان وما فيها من كل فاكهة زوجان ، وقاصرات الطرف ، والياقوت والمرجان ، والحدود ، والاتسكاء على رفرف خضر وعبرى حسان .

## بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للأستاذ محمد أبو شهبه

مستعمله من الأوساخ الحسية، وقال الراغب: سمي الدين شريعة تشبها بشريعة الماء من حيث إن من شرع في ذلك روى وتطهر، وأعني بالرى ما قاله بعض الحكماء: كنت أشرب فلا أروى، فلما عرفت الله تعالى رويت بلا شرب. وبالتطهر ما قاله تعالى: «ويطهركم تطهيرا» والمنهاج الطريق الواضح في الدين والعطف<sup>(١)</sup> باعتبار جمع الأوصاف.

وقال الإمام العيون في «المصباح المنير»: مادة «شرح» «الشرعة بالكسر الدين، والشرع، والشرعية مثله مأخوذ من الشريعة وهي مورد الناس للاستقاء؛ سميت بذلك لوضوحها وطهورها وجمعها شرائع، وشرع الله لنا كذا يشرعه: أظهره وأوضحه، والمشرعة بفتح الميم والراء شريعة الماء.

قال الأزهري: ولا تسميها العرب مشرعة حتى يكون الماء عذبا لا اقتطاع له كماء الأنهار، ويكون ظاهرا مميئا لا يستقى منه برشاء، فإن كان من ماء الأمطار فهو الكرع بفتح الخاء،

في المقال السابق وعدت القراء بالمقارنة بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية وها أنذا أفى بما وعدت، وسأقدم بين يدي البحث التعريف بالشريعة الإسلامية، والمراد بالقوانين الوضعية فأقول ومن الله أستمد العون والتوفيق: «معنى الشريعة» قال الإمام القرطبي في تفسيره<sup>(٢)</sup>: «والشرعة والشريعة الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة، والشريعة في اللغة: الطريق الذي يتوصل منه إلى الماء. والشريعة: ما شرعه الله لعباده من الدين، وقد شرع لهم يشرع شرعا أي سن والشارع الطريق الأعظم».

وقال الإمام الألوسي في تفسيره<sup>(٣)</sup>: (والشرعة بكسر الشين: الشريعة وهي في الأصل الطريق الطاهر الذي يوصل منه إلى الماء والمراد بها الدين، واستعمالها فيه لكونه سبيلا موصلا إلى ما هو سبب للحياة الأبدية، كما أن الماء سبب للحياة الفانية أو لأنه طريق إلى العمل الذي يطهر العامل من الأوساخ المصنوية كما أن الشريعة طريق إلى الماء الذي يطهر

(١) يعني في قوله تعالى «لاكل جملنا مذكم شرعه

ومنهاجا».

(١) ج ٦ ص ٢١١

(٢) ج ٦ ص ١٥٣

الشريعة الإسلامية التي هي خاتمة الشرائع والأديان .

ولفظ الشريعة وإن كان يجوز إطلاقه على جميع الشرائع السالوية إلا أنه عند الإطلاق ينصرف إلى الشريعة الإسلامية .

والشرائع السالوية كلها تتفق في المقاصد والأصول كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والضروريات الخمس وهي حفظ الدين والنفس ، والعقل ، والنسب ، والمال ، وعلى هذا يتنزل قوله سبحانه : « أولئك الذين هدى الله فبهم اهتدوا » (١) . وقوله : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٢) .

وتختلف في الفروع على حسب الأزمان والأحوال ، وعلى هذا يتنزل قوله سبحانه : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٣) .

والإسلامية نسبة إلى « الإسلام » وهو في اللغة بمعنى الانقياد والاستسلام والإذعان والخضوع ، والمراد به في لسان الشرع : الدين العام الخالد الذي جاء به نبينا محمد - صلوات الله وسلامه عليه - وهو الدين الذي ارتضاه

والناس في هذا الأمر شرع بفتحين وتسكين الراء أي سواء ، .

وبما عرضناه يتبين لنا أن الشريعة في العرف اللغوي إما الماء الذي يرد الناس والدواب فيشربون منه ويهملون ، وإما الطريق الواضح الموصل إلى هذا الماء ، وإما بمعنى التوضيح والبيان .

وأما معناها في الاصطلاح الشرعي فتعلق على ما شرعه الله لعباده من الأحكام ، وهي بهذا المعنى الاصطلاحي لا تطلق إلا على التشريعات السالوية المنزلة من الله سبحانه وتعالى .

والمناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة بينة ؛ إذ الشرائع السالوية مورد عذب ولكل الناس منها شرب ، وهي الطريق المستقيم ، الموصل إلى السعادتين الدنيوية والأخروية ، وهي ظاهرة واضحة لا غموض فيها ولا التواء .

وفي المعنى الدقيق الذي أشار إليه الإمام اللغوي الأزهرى ما يليق ضوءا على خصائص التشريعات السالوية من كونها مستساغة مقبولة وظاهرة واضحة ، ولا حرج فيها ولا مشقة ، بل هي سهلة ميسرة للطلابين ، وحفظ الشرائع السالوية من هذه المعاني يختلف قوة وكثرة ، وظهورا وخفاء ، وأحظ الشرائع السالوية وأوفاهها وأصلها في هذه الخصائص

(١) الإسام ٩٠ .

(٢) الشوى ١٣ .

(٣) لا ئدة ٤٨ .

ما يعرف بالأحوال الشخصية ، ومنه ما كان متعلقا بالأموال والتصرف فيها من بيع وإجارة ، ورهن ، وسلم ، ودين ، وشركة ونحوها وهو ما يسمى بالمعاملات ، ومنه ما كان متعلقا بالجرائم وما يترتب عليها من عقوبات وآثار ، وهو ما يسمى بالحدود والتعازير أو العقوبات وما كان منه متعلقا بالقضاء وقضاه والدعوى وأنواعها ، وأدلة الإثبات وما إلى ذلك يسمى بالمرافعات ، وما كان منه متعلقا بالحروب وآدابها والمعاهدات والصلح والأمان وعلاقة الأمة الإسلامية بغيرها هو ما يعرف بالسير وهذا الجانب الفقهي العملي من الشريعة هو ما استدور حوله المقارنات ولم يقسم الفقهاء القضاى الفقه هذه التفسيرات بالفعل وإنما هذا من عمل الفقهاء المحدثين نهجوا فيه منهج علماء القوانين إذ قسموها إلى ما يشبه هذه القسمة تيسيرا لدراستها والكتابة فيها (١) والذي يعيننا في المقارنة ما صعدا العبادات ؛ إذ القوانين لم تعرض لجانب العبادات أما القوانين الرضعية ، فالصانون هو القاعدة الكلية التي يتعرف منها أحكام جزئياتها والمراد بها النظم التي وضعها الواضعون لتنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض وبين آثار التصرفات سواء منها

الله سبحانه للبشرية جمعا وللناس جميعا ، وهذا هو الذى صدح به الوحى فى قوله سبحانه : « إن الدين عند الله الإسلام » (١) وقوله : « ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (٢) . وإذن فالشريعة الإسلام ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده من التكاليف والأحكام على لسان خاتم أنبيائه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذه الشريعة منها ما يتعلق بالعقائد كالإيمان بالله تعالى وصفاته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحوها ، والعلم الذى يبحث فيها هو علم « التوحيد » أو « الكلام » ، ومنها ما يتعلق بهذيب النفوس وتربيتها على الفضائل والآداب والعلم الذى يبحث فيها هو علم « الأخلاق » ، ومنها ما يتعلق بأفعال المكلفين وتصرفاتهم والعلم الذى يبحث فيها من الأحكام العملية واستخراجها من أدلتها التفصيلية وينقسم علم الفقه إلى عدة أقسام ؛ فنه ما يقصد به التقرب إلى الله سبحانه وتركية النفوس وتطهيرها كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج وهو ما يعرف بالعبادات ومنه ما يتعلق بالأسرة وسكونها ونظامها من زواج ، وطلاق ، ونفقات ، وعدة ، ونسب وحضانة وما إليها وهو

(١) أحكام المعاملات الشرعية للأستاذ على الحنيف من ٤ .

الاعتقادية والتشريعات والآداب التي لا تختلف باختلاف الزمان، كالتوحيد والأمر بالعدل والصدق والنهي عن الظلم والكذب وحل البيع وحرمة الربا وأحكام النكاح والطلاق، وحرمة الخمر والميسر، والزنا، والسرقه، وقطع الطريق، وحرمة التعدى على الدماء والأعراض كالقتل والقذف إلى غير ذلك من الأحكام التي نص عليها في الكتاب.

كما جاءت بعض أحكامه غير مصرح بها إما لجيئتها في ضمن غيرها وإما لفهمها بطريق الفحوى والإشارة، وذلك مثل استنباط وجوب النفقة للولد على أبيه من قوله تعالى: «وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف» (١) فإن إيجاب رزق الوالدات وكسوتهن على الوالد لأجل الولد يدل على وجوب رزق الولد نفسه وكسوته على أبيه بطريق الأولوية ومثل أخذ حرمة سب الوالدين أو ضربهما من قوله تعالى: «ولا تقل لها أف ولا تنهرهما» (٢)، بطريق الأولى بل أخذ الأئمة ببعض الأحكام من القصص القرآني وذلك مثل قصة الزرع الذي أفسده الغنم لصاحبه وهي المذكورة في قوله تعالى: «وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرت إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين».

(١) البقرة ٢٣٣.

(٢) الإسراء ٢٣.

ما يتعلق بالمعاملات والمدنيات، أو العقوبات أو بنظام الأسرة أو علاقات الأمم بعضها ببعض في السلم والحرب وسميت بالوضعية تمييزاً لها عن التشريعات السلوية، والقوانين الوضعية متعددة بتعدد واضعها، وقد تفتق، وقد تفرق، ومنها ما هو مكتوب مدون، ومنها ما ليس بمدون. وبعض الكتابين قد يطلق عليها تشريعات الأولى والأجل ألا يطلق ذلك وأن يقصر انفظ الشريعة أو التشريعات على الشرائع السلوية وإذ قد اتفينا إلى هذا فلنأخذ في المقارنات.

(١) من ناحية الأصل والمصدر. وهو أهم وجوه المقارنة وأصلها.

#### مصادر الشريعة الإسلامية:

ترجع الشريعة الإسلامية إلى مصدرين أصليين وأساسين شريفيين:

(١) القرآن الكريم: وهو الكتاب الإلهي المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الخلق، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتراتب المفيد للقطع واليقين المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الباس، أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعشرين سنة؛ كفاء لحاجات الخلق، ومصالح البشر في أمور دينهم ودنياهم. وقد نص في القرآن على كثير من الأحكام والتكاليف الشرعية ولا سيما في الأمور

## (ب) السنة :

وهي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته وإذا كان القرآن هو الأصل الأول للتشريع فالسنة هي الأصل الثاني وهي مبينة للقرآن ومفسرة له ، تبين بحمله وتفسر مبهمه ، وتزيل إشكاله ، وتفيد مطلقه ، وتخصص عامه إلى غير ذلك قال عز شأنه : « وأزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » فكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين تارة بالقول وتارة بالفعل وتارة بهما معا وقد ثبت أنه قال : « صلوا كما رأيتموني أصلي » وقال : « خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا » رواه مسلم . والسنة كما تأتي للبيان تأتي مستقلة بالتشريع في بعض الأحيان وذلك كما في تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وعخالها ، وتحريم كل ذي ناب من السباع وغلب من الطير وتحريم لحوم الخمر الإلهية . والسنة منها ما هو بالوحي وهو كثير سواء أكان ذلك بالوحي الخفي أو الجلي كما في قصة الرجل الذي أحرم بعمرة وهو متضمنح بطيب رواها البخاري ، ومنها ما هو بالاجتهاد وهو ما عليه المحققون وإقرار الله لنتيجه في حكم اجتهاد فيه تصديق له وتأيد ؛ إذ محال أن يسكت الوحي عن النبي في أمر اجتهاد فيه ولم يوافق

فقهناهما سليمان وكلا آتينا حكما وعلما (٢) .  
 فقد حكم فيها داود بالغم لصاحب الزرع وأما سليمان فقد حكم لصاحب الزرع بالغم يقتفع بها وأمر صاحب الغم بزرع الأرض حتى يعود الحرث كما كان فإذا عاد ترادا فكان أرفق ، ومع أن هذه القصة في شريعة غير شريعتنا فقد استفاد منها بعض الفقهاء في شريعتنا واستأسسوا بها فيما ذهبوا إليه ، وهو يدل على مبلغ ما وصل إليه الفقهاء المسلمون من مرونة وسعة أفق في فقههم واجتهادهم .

كما اشتمل القرآن على بعض القواعد العامة التي يعول عليها الفقيه في الاجتهاد في الأمور التي لم يرد فيها نص كقاعدة « اليس ورفع الحرج » ، وقاعدة « لا تكليف إلا بما يطاق » ، وإحلال الطيبات وتحريم الخبائث وقد شاء الله سبحانه أن يجمي القرآن الكريم على هذا الوضع الدقيق الفائق ليكون ذلك سبيلا إلى استنباط ما يسائر العصور والأحوال ويبقى بأحكام ما يجد للناس من منافع وأحداث تتجدد بتجدد الأزمان وبذلك تتحقق مصالح الناس ويقوم البرهان على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان .

(١) الأنبياء ٧٨ ، ٧٩ ومعنى فقهنا أي رمته  
 بلا بلاواع .

رواه أبو داود، ولما قال رجل لمطرف بن عبد الله لا تحذرونا إلا بالقرآن فقال : « والله ما نريد بالقرآن بدلا ولكننا نريد من هو أعلم بالقرآن منا » وقال الإمام الأوزاعي : الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب .

وقد فتح النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه باب النظر والاجتهاد ، فيما لم يرد فيه قرآن أو سنة ، فقد روى أنه لما ولي معاذ بن جبل قضاء اليمن قال له : يم قضى ؟ قال : بكتاب الله قال : فإن لم تجد قال : أقضى بسنة رسول الله قال : فإن لم تجد قال : فأني أجتهد رأيي ولا آلو - أي أقصر - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذي وفق رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله .

وقد اجتهد بعض الصحابة في عهد الرسول إلا أن اجتهدهم لا يكون حجة إلا إذا أقرهم عليه وبهذا التقرير اكتسبت أحكامهم الصبغة التشريعية .

### بمعصر الرسول :

وعلى هذا الدرب سار الخلفاء الراشون فقد كان أبو بكر رضى الله عنه إذا عرضت عليه قضية نظر في كتاب الله ، فإن لم يجد نظر فيما يحفظ من سنة رسول الله ، فإن لم يجد سأل الناس هل فيكم من يحفظ في هذا

فيه الصواب والحق فن ثم كان ما اجتهد فيه النبي وأقر عليه بمنزلة الموحى إليه في الصدق وإصابة الصواب .

### « مهية السنة » :

وقد أجمع المسلمون على أن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ثبتت فهي حجة في الدين ودليل من أدلة الأحكام بل حجيتها ضرورة دينية كما قال الثوكاني ، وقد دل على ذلك القرآن نفسه قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (١) ، وقال : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » (٢) وقال : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك فيما همهر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٣) ، وغير ذلك كثير . وفي السنة الثابتة عن المقدم بن معد يكرب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ألا وأني أوتيت الكتاب ومثله معه - يعني السنة - ألا يوشك رجل شبعان مشكى على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحطوه ، وما وجدتم من حرام فحرّموه ، ألا لا يحمل لكم الخمار الأهل ، ولا كل ذى ناب من السباع ، ولا فطة معاهد إلا أن يستغنى عنها صاحبها ... »

(١) المشر ٧

(٢) النساء ٨٠ .

(٣) النساء ٦٥ .

وفي الحقيفة الآخران يرجعان إلى الأولين ؛ لأن الإجماع لا بد له من دليل وإن لم نطلع عليه ، وهو إما قرآن أو سنة ، والقياس لا بد فيه من مقيس عليه وهو إما قرآن أو سنة فعند التحقيق يكون مرجع الشريعة الإسلامية إلى القرآن والسنة وقد جاء وأقن بجميع ما يحتاج إليه البشر في دينهم ودنياهم على نحو ما أسلفنا .

أما مصادر القوانين الوضعية فسواء أكانت وضعت مستقلة أو أخذت من غيرها كعظم القوانين الأوروبية التي أخذت من القانون الروماني فرجعها إلى عقول البشر وتفكيرهم وهذا أمر من المسلمات إذ لم يردم أحد أن هذه القوانين ترجع إلى أصل سواي . ويرتب على هذا الفرق الأصيل في المصدر بالنسبة إلى الشريعة الإسلامية النتائج الآتية :  
 (١) القداسة (٢) الموازنة للفطر والطبائع (٣) الموافقة للصواب والحق وعدم احتمال الخطأ والغلط واتباع الأهواء وقد طال الحديث اليوم فلنرجى الحديث عنها إلى المقالات الآتية إن شاء الله تعالى ،  
 ، الحديث بقية ،

محمد محمد أبو رية  
 الأستاذ بكلية أصول الدين

الأمر سنة ؟ فإن لم يجد جمع رموس الناس وخيارهم واستشارهم فيجتهنون ، وكذلك كان أمر رضى الله تعالى عنه إذا لم يجد في المسألة كتاباً ولا سنة ولا قضاء لآبى بكر جمع وجهوه المسلمين واستشارهم ، وقد يجمعون على الأمر وقد يحتفنون ، فإذا أجمعوا كان الحكم المجمع عليه قاطعاً في النزاع المعروف عليهم ؛ لأنهم لا يجمعون على ضلالة ، وهذا هو أساس الإجماع الذي عد مصدراً ثالثاً من مصادر التشريع في الإسلام وإذا اختلفوا فلاختلاف الأدلة ، وتفاوت وجهوه النظر والاستدلال ، وكل مجتهد منهم يظن ظناً راجحاً أن ما وصل إليه هو حكم الله فيه ، وحين اختلافهم لا يكون رأيهم ملزماً للخليفة فله أن يختار ما تطمئن إليه نفسه ويراه أصح ، كما أنه لا يكون قول أحد من حجة على الآخر ، وفي باب النظر والاجتهاد كانوا يقيسون الأمور بأشباهها ، ويلحقون الفرع بالأصل ، وقد يتجهون إلى تطبيق قواعد الشريعة العامة التي عرفوها من الرسول واستخلصوها من النصوص ، واستوحوها من روح الشرع ، فكان ذلك طريقاً من طرق التعرف إلى الحكم ، وهكذا صارت مصادر الشريعة وأداتها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والنظر والقياس .



## مفردات قرآنيّة : التجارة في القرآن للأستاذ أحمد الشراصي

— ٤ —

وقال مقاتل : نزلت في عثمان بن مظعون ، وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أذنت لي فطلعت خولة ( زوجته ) وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ، ولا أنام بليل أبدا ، ولا أفطر بنهار أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من سقى النكاح ولا رهبانية في الإسلام ، إنما رهبانية أمي الجهاد في سبيل الله ، وخصاء أمي الصوم ، ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ومن سقى : أنام وأقوم ، وأفطر وأصوم ، فن رغب عن سقى فليس مني » .

فقال عثمان : والله لو ددت يا نبي الله ، أي التجارات أحب إلى الله فأنتجر فيها . فزلت الآيات (١) .

والتجارة هنا هي التجارة بين أهل الإيمان وحضرة الله تبارك وتعالى ، وهي التصديق بالجنان ، والإقرار باللسان ، والقيام بالأركان فمن آمن وأقر وعمل صالحا فله الأجر والرجح الوافر واليسار المبين ، ومن أعرض عن العمل الصالح فله الحسرة والخسران .

تحدثنا فيما مضى عن تجارة الإنسان مع الإنسان ، والآن نتقل إلى تجارة الإنسان مع الرحمن تبارك وتعالى ، وفي هذا النوع من التجارة يقول القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وقبح قريب وبشر المؤمنين » (١) .

وقد روى في سبب نزول هذه الآية أن الصحابة رضی الله عليهم أرادوا أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه ، فأ نزل الله تعالى سورة الصف ، وفيها الآيات السابقة (٢) .

[١] سورة الصف الآيات ١٠ - ٣ .

[٢] تهذيب ابن كثير ، ج ٤ ص ٣٦١ .

[١] تفسير القرطبي ج ١٨ - ص ٨٧ .

وكأنما ينتهي هنا حساب التجارة الربحية ، وإنه لربح ضخم هائل أن يعطى المؤمن الدنيا ويأخذ الآخرة ، فالذى يتجر بالدرهم فيكسب عشرة يغبطه كل من في السوق ، فكيف بمن يتجر في أيام قتيمة ، معدودة في هذه الأرض ، ومتاع محدود في هذه الحياة الدنيا ، فيكسب به خلوداً لا يعلم له نهاية إلا ما شاء الله ، ومتاعاً غير مقطوع ولا منوع ؟ .

لقد تمت المباينة على هذه الصنفقة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه ، ليلة العقبة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
اشترط لنفسك ولربك ما شئت . فقال صلى الله عليه وسلم : ( أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسى أن تمنعوني عما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم .  
قال : فالتنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : الجنة .  
قالوا . ربح البيع ولا نقيل ولا نستقيل <sup>(١)</sup> .

وهذه المحاورة السابقة بين الرسول وابن رواحة كانت سبباً في نزول قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بمعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو

ومن التجارة هنا الجهاد في سبيل الله وهو ثلاثة ألوان : جهاد فيما بين العبد ونفسه ، وهو قهر النفس ، ومنعها من اللذات والشهوات ، وجهاد فيما بينه وبين الخلق ، وهو أن يدع الطمع فيهم ، ويشفق عليهم ويرحمهم ، وجهاد فيما بينه وبين الدنيا ، وهو أن يتخذ زاداً لمعادته وللقاء ربه <sup>(٢)</sup> .

وثواب هذه التجارة هو غفران الزلات ودخول الجنات ، والمساكن الطيبة في جنات عدن ، أى جنات الإقامة التى لا طعن فيها ، والدرجات العالية ، ويزيدهم الله على ذلك زيادة يحبونها وهى النصر منه إذا قاتلوا في سبيله ، ونصروا دينه ، لأنه يتكفل حينئذ بنصرهم : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، وهناك فوق هذا فتح قريب عاجل ، وخير الدنيا موصول لهم بنعيم الآخرة الذى يتطرح ، ولذلك قال : « وشر المؤمنين <sup>(٣)</sup> » . يقول صاحب ( فى ظلال القرآن ) :

« إنها لأدريج تجارة أن يجاهد المؤمن في حياته القصيرة — حتى حين يفقد هذه الحياة كلها — ثم يعوض عنها تلك الجنات . وهذه المساكن فى نعيم مقيم ، وحقاً ذلك الفوز العظيم .

[ ١ ] اظهر تفسير الرازى ج ٨ ص ١١٧ .

[ ٢ ] اظهر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٦١ .

[ ٣ ] فى ظلال القرآن ، ج ٢ ص ٨٧ .

من حصوله ، ويرجون بفعلهم ذلك تجارة  
ان تكسب ، ولن تهلك ، وسيوفهم الله ثواب  
ما عملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم ،  
وهو فوق هذا غفور لذنوبهم ، شكور للقليل  
من أعمالهم ، فكيف بالكثير<sup>(١)</sup> .

وفي تلاوة الكتاب المذكور في الآية  
السابعة إشارة إلى ذكر الله عز وجل ، وفي  
وفي إتمام الصلاة إشارة إلى العبادة البدنية ،  
وفي الإنفاق إشارة إلى العبادة المالية ،  
ومعنى ذلك أنهم يجمعون بين العبادات كلها :  
القلبية والبدنية والمالية ، وهم يعملون  
لوجه الله تعالى ، وما كان لله دام واتصل ،  
وما كان لغيره زال وانفصل ، والتجارة مع  
غير الله بآخرة مهما كانت ، ولكن تجارة  
هؤلاء مع ربهم لا تبور .

• • •

ونلاحظ أن الآيات التي تعرضت لذكر  
تجارة الإنسان مع الرحمن قد ذكرت صفات  
المتاجرين مع ربهم ، وإذا نظرنا إلى هذه  
الصفات نجد أنها في بعض الآيات صفات كلية  
عامة ، كما في آية : « يا أيها الذين آمنوا هل  
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » .  
وهذه الصفات هي الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله  
الواسعة المتعددة الجوانب بالأفئدة والأموال .

الفوز العظيم : الثابتون العابدون الحامدون  
السائحون الراكعون الساجدون الآمرون  
بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون  
لحدود الله وبشر المؤمنين<sup>(٢)</sup> .

قال ابن كثير : « يغير تعالى أنه عاوض  
من عبادة المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم -  
إذا بذلوها في سبيله - الجنة ، وهذا من فضله  
وإحسانه ، فإنه قبل العوض مما يملكه بما  
تفضل به على عبده المطيعين له »<sup>(٣)</sup> .

وقال الحسن البصري : « يا أيهم والله  
فأغلى ثمنهم » ١ .

وهناك آية ثالثة تشير إلى تجارة الإنسان  
مع ربه ، وهي قوله تعالى : « إن الذين يتلون  
كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم  
سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور -  
ليوفهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور  
شكور »<sup>(٤)</sup> .

والله تبارك وتعالى يخبر في هذه الآية بأن  
عبادة المؤمنين الذين يتلون كتابه القرآن ،  
ويؤمنون به ، ويعملون بما فيه من إتمام  
الصلاة والإنفاق بما رزقهم الله تعالى  
في الأوقات المختلفة : ليلاً ونهاراً ، وسراً  
وإعلاناً ، يرجون ثواباً عند الله لا يبد

(١) سورة التوبة آية ١١١ و ١١٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ص ٣٩١ .

(٣) سورة فاطر ، آية ٢٩ ، ٣٠ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ٥٥٤ .

وتفسير الطبري ج ٢٨ ص ١٢٢ ، طبعة المطبوع .

وانتداء هذا الكتاب فأقيم الصلاة وأنفق  
بما رزقه الله سرّاً وعلانية .

ومن هنا نفهم أن أساس التجارة مع الله  
أمران : الإيمان والجهاد . والإيمان هو  
الاعتقاد الصحيح الصادق المطابق للواقع ،  
الذى لا يتزلزل ولا يقبل ، والجهاد واسع  
المدلول فسيح المفهوم ، فليس مقصوراً على  
الجهاد في الميدان ، بل إن المؤمن يجاهد في  
سبيل ربه بفكرته وكتبه ونصيحته ، ونفسه  
وماله ، وكل مجهود يقدمه في أى مجال من  
مجالات سبيل الله ، وهى سبيل الحق والعدل  
والخير والإصلاح .

ونستطيع أن نعتبره المباينة الدينية ،  
لونا من ألوان التجارة مع الله ؛ لأن المباينة  
فيها معنى المتاجرة والمعاقدة ، وفي الحديث  
« ألا تباعون على الإسلام » ؟ والمباينة في  
الحديث — كما يقول ابن الأثير — عبارة  
عن المعاقدة عليه والمعاهدة ، كأن كل واحد  
منهما باع ما عنده من صاحبه ، وأعطاه  
خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره<sup>(١)</sup> .

وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :  
« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله »<sup>(٢)</sup>  
وقوله : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ  
يبايعونك تحت الشجرة »<sup>(٣)</sup> وقوله : « يا أيها

وفي بعض الآيات نجد هذه الصفات فيها  
صبغة التوحيد والتجربة كآية التوبة : « إن الله  
اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن  
لمن الجنة » . إلخ فقد ذكرت الآيات صفات  
التوبة والحمد ، والسياسة ( الرحلة أو الصوم )  
والركوع ، والسجود ، والأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر ، والحفظ لحدود الله .

وكآية فاطر : « إن الذين يتلون كتاب الله  
وأقاموا الصلاة » إلخ فقد ذكرت التلاوة ،  
 وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة سرّاً وعلانية .

ولو دققنا النظر لوجدنا أن هذه الصفات  
الجزئية المحدودة تعود في الحقيقة والواقع إلى  
الأمرين السكّين الأساسيين وهما : الإيمان  
بالله والجهاد في سبيله ، أو بتعبير آخر :  
الاعتقاد والعمل ، والإيمان هو حافز  
الجهاد . فهو أساس الأسس ، ولذلك بدأت  
آية سورة الصف بقوله : « يا أيها الذين آمنوا »  
وقالت بعد ذلك : « تؤمنون بالله » وجاء  
في نهاية الآيات : « وبشر المؤمنين » .

وفي آية التوبة جاء في صدرها : « إن الله  
اشتري من المؤمنين » فذكرت صفة الإيمان  
وفي النهاية جاء قوله تعالى « وبشر المؤمنين » .  
وحق آية سورة فاطر فيها معنى الابتداء  
بالإيمان ، لأن الذى يتلو كتاب الله تلاوة  
المنتفع به إنما هو المؤمن الذى آمن بالله  
وكتابه ، ولذلك استجاب لمقتضى هذا الإيمان

(١) النهاية لابن الأثير ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) سورة الفتح آية ١٠ .

(٣) سورة الفتح آية ١٨ .

من طاعة الله وطاعة رسوله ، ومن الجاهدة في سبيل الله فتربصوا بما يحبون حتى يأتي الله بأمره ، أى بعقوبة عاجلة أو آجلة .

والمقصود منه الوعيد ، ثم قال الله تعالى : « والله لا يهدي القوم الفاسقين ، أى الخارجين عن طاعته إلى معصيته ، وهذا أيضاً تهديد (١) .

وفي تفسير المنار أن (حب التجارة التي يخشى كسادها يراد به والله أعلم — عروض التجارة التي يخشى كسادها في حالة الحرب ، وقد كان بعض المسلمين من أهل مكة تجاراً كما ورد ، وكان لدى بعضهم شئ من عروض التجارة يخشى كسادها في أوقات الحرب ، لأن أكثر مستهلكها كانوا من المشركين ، وكانت أسواقها تنصب في أيام موسم الحج ، وقد منع منه المشركون بمقتضى الآيات السابقة واللاحقة من هذه السورة ) يعنى سورة التوبة (٢) .

وروى أن الآية نزلت بعد الأمر بالهجرة ، إذ قال العباس : أنا أسقى الحاج ، وقال طلحة ابن عبد الدار أنا صاحب الكعبة فلانهاجر فأنزل الله الآية (٣) .

• • •

التي إذا جاءك المؤمنين يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم (١) .

والقرآن الكريم يحذرنا من تفضيل تجارة الدنيا على التجارة مع الله تعالى ، فيقول : « قل إن كان آبائكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترمتموها (أصبتموها) وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره (٢) والله لا يهدي القوم الفاسقين (٣) ، جاء في تفسير الرازي أن جماعة قالت : كيف يمكن البراءة منهم بالكلية ، وإن هذه البراءة توجب انقطاعنا عن آبائنا وإخواننا وعشيرتنا وذهاب تجارتنا وهلاك أموالنا وخراب ديارنا ، وإبقاءنا ضائعين ، فبين تعالى أنه يجب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليقى الدين سليماً ، وذكر أنه إن كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم أولى

(١) سورة النحلة ، آية ١٢

(٢) روى أبو اللراد بالأمر هنا فقع مكة .  
أظهر تفسير ابن جرير ج ١ ص ٩٩ طبعة الحلبي .  
وروى غير ذلك

(٣) سورة التوبة ، آية ٢٤

(١) تفسير الرازي ج ١ ص ٤١٢ .

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٢٢٧

(٣) تفسير الطبري ، ج ١ ص ٩٨ .

الله التي فطر الناس عليها ، فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة .

وقد تعود لسأل فتقول : فما معنى قوله :

« فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » ؟

ويعود الزمخشري إلى الإجابة : « معناه

أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان :

سلامة رأس المال والربح ، وهؤلاء قد

أضاعوا الطلين مما ؛ لأن رأس مالهم كنى

هو الهدى ، فلم يبق لهم مع الضلالة ، وحين

لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة

الربح ، ولم يظفروا بما ظفروا به من

الأغراض الدنيوية ؛ لأن الضال عاسر داسر ،

ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس مال قد

ربح ، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما

يكون التجار المتصرفون العالمون بما يرجح فيه

ويخسر » (١) .

وقد جاءت إشارات إلى التجارة مع

الشیطان في الآيات التالية : يقول الله تعالى :

« ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا » ، ويقول :

« أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة .

ويقول : « ثم يقولون هذا من عند الله

ليشتروا به ثمنا قليلا » ، إلى غير ذلك

من الآيات .

ومن الآيات التي تعرض لنا صورة من

من صور التجارة مع الشيطان قوله تعالى

أما النورح الثالث والأخير من أنواع

التجارة التي تحدث عنها القرآن ، فهي تجارة

الإنسان مع الشيطان ، وبقت التجارة ؛

لأنها تجارة النفاق والضلال والإصلال ،

ومحاربة الحق والعدل باللهو والباطل .

وفي هذه التجارة يقول القرآن عن المنافقين :

« أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ،

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ،

وذلك بعد قوله عنهم : « وإذا خلوا إلى

شياطينهم قالوا إنا معكم » .

والمعنى أنهم أخذوا الضلالة وتركوا

الهدى ، كما قال ابن مسعود ، أو أخذوا

الكفر وتركوا الإيمان كما قال ابن عباس ،

أو آمنوا ثم كفروا كما قال مجاهد ، ويقول

قتادة : « قد والله رأيتهم خرجوا من

الهدى إلى الضلالة ، ومن الجماعة إلى الفرقة .

ومن الأمن إلى الخسوف ، ومن السنة

إلى البدعة » (١) .

وقد تسأل فتقول : كيف اشتروا الضلالة

بالهدى ، وما كانوا على هدى ؟ . ويجيبك

الزمخشري على سؤالك هذا بقوله :

« جعلوا تمسكهم من الإيمان كأنه في

أيديهم ، فإذا تركوه إلى الضلالة ، فقد عطلوه

واستبدلوهما به ، ولأن الدين القيم هو فطرة

(١) تفسير الكشاف ، ج ١ ص ٢٦ و ٢٧ .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٥٢ .

الذى هو بالثمن ، لأن ذلك هو أظهر معنيه ، (١) .

والمعنى الثانى هو أن المراد بالمشتري هنا من يختار هو الحديث ويستجبه ، قال قتادة : « والله لعمله لا ينفع فيه مالا ، ولكن اشتراؤه استجابته » بحسب امرى من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع .

نسأل الله أن يجعلنا صادقين فى التجارة مع الرحمن ، موفقين فى التجارة من أجل الحياة ، بعيدين عن التجارة مع الشيطان ، وسبعان من لوشاء لهدى الناس جميعا إلى سواء السبيل ؟

أحمد الشرباصى

تم البحث

فى سورة لقمان : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لم عذاب مهين ، وإذا تلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم » .

قيل إن المراد بالشراء هنا الشراء المعروف بالثمن ، وتكون الآية قد نزلت فيمن اشترى بالفعل شيئا من لهو الحديث وباطله ليصرف به الناس عن كتاب الله وذكره ، وقد اختار الإمام العليزى هذا قال : وأولى التأويلين هذى بالصواب تأويل من قال : معناه الشراء

## من أمثال أكرم بن صيفى ، وبزرجمهر الفارسى

الغريب من لم يكن له حبيب . القريب من قرب نفعه . الأخ امرأة أخيه . إذا عز أخوك فمن . كما تدين تدان . من مأمنه يؤتى الخذر . خير النفع غنى النفس . لكل مقام مقال . عند الصباح يحمد القوم السرى . الصدق منجاة والكذب مهواة . خير العلم ما نفع . الصحة داعية السقم . الشباب داعية الهرم . الدال على الخير كفاعله . أنفك منك وإن كان أجذع .

# أبو هلال العسكري<sup>[١]</sup>

للأستاذ علي محمد حسن العارفي

وانتهت إليه رئاسة التحديث والإملاء للآداب والتدريس بقطر خوزستان، ورحل الأجلاء إليه للأخذ عنه والقراءة عليه، وهذا ما نقله ياقوت من كتاب أبي طاهر السلفي الذي أرشد إليه حين لقي الحافظ تقي الدين الذي تقدم ذكره. ولكن يظهر أن طول العهد بين القرن الرابع الذي عاش فيه العسكريان، وبين القرن السابع الذي تحدث فيه ياقوت هذا الحديث، مع بعد الديار، عني على ذكر العسكريين.

وقد كان أبو أحمد أبي النفس، لا يجب الاتصال بالولاء والوزراء، ولذلك ثقل حين طلب إليه الصاحب بن عباد أن يلقاه، وكان هذا الأخير شديد الرغبة في لقاء أبي أحمد حتى احتال على مؤيد الدولة بن بويه وأوممه أن عسكر مكرم قد اختلت أحوالها وفي حاجة إلى أن يكشفها الصاحب بنفسه، فأذن له في ذلك، فلما قرب من عسكر مكرم كتب إلى أبي أحمد كتابا يتضمن علو نظما وثرا، ومما جاء في هذا الكتاب:

ولما أيتم أن تزوروا وقتلتم  
ضعفنا فاقوى على الوخذ أن

أتيناكم من بعد أرض زوركم  
وكم منزل بكر لنا وعوان

هو الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري نسبة إلى عسكر مكرم، وهي بلدة بالأهواز نسبت إلى مكرم الباهلي، وهو الذي اختطها. وهو تلميذ أبي أحمد العسكري، ويقال إن أبا أحمد عال أبي هلال، وقد اتفقا في الاسم واسم الأب، لكن إذا قيل الحسن ابن عبد الله العسكري الأديب فهو أبو هلال. ويبدو أن شهرة هذين العالمين لم تظهر في الآفاق إلا بعد القرن السادس، لأن ياقوت الحموي صاحب معجم الأدباء يقول، وطال تطوافي، وكثر تسالي عن العسكريين أبي أحمد وأبي هلال فلم ألق من يجبرني عنهما بجملة خبر، حتى وردت دمشق في سنة اثنتي عشرة وستمائة في جمادى الآخرة ففاوضت الحافظ تقي الدين. إلخ

مع أن أبا أحمد كان عالما جليلا وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع الفنون والتبحر في فنون الفهوم، ومن المشهورين بجودة التأليف، وحسن التصنيف، ومن كتبه كتاب (صناعة الشعر) يقول ياقوت إنه رآه، ثم يقول ياقوت إنه بقي حتى علا به السن واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان،

(١) من كتابنا (تاريخ اللغة العربية)

الذي صدر قريبا



ولكل شاعر جيد وردى ، ولكنه سلك  
خطا واحدة هي النص على السخيف من شعر  
المتنبي مع التعاضد عن معانيه الجيدة ، وخياله  
الوثاب فاعظم بذلك إلى النقاد المعرضين الذين  
كلفوا بالبحث عن عيوب المتنبي ابتغاء  
مرضاة الوزير ابن عباد ، وما أحط الأدب  
إذا سحر لاهل الملك والسلطان .

هذا ما يقوله الدكتور ذكي مبارك في  
ص ٩٩ - ٢٨ من النثر الفني ، مع أنه قال في  
ص ٩٦ من هذا الجزء أي قبل ذلك بصفتين  
ما نصه : كان أبو هلال أتي النفس ، قوى  
القلب ، يرفع عن الدنيا ، وينأى بنفسه  
عما يرتطم فيه أدعياء الأدب من كسب العيش  
عن طريق التزلف إلى الأمراء والرؤساء ،  
وقد رأينا أن أستاذه وعاه أبا أحمد العسكري  
كان قدوة له في ذلك ، إذ كان صاحب  
يستدعيه إلى حضرته فيعتذر بالضعف  
والشيخوخة فرارا من أن يحشر في زمرة  
الأتباع وطلاب الخانم وأرباب الغايات .

والذي يبدو للتأمل أن أبا هلال كان  
يعيب المتنبي لعقيدة في نفسه لا لجمالة  
الصاحب ، وذلك أن رأيه في الشعر الجيد  
يدلنا على رأيه في شعر المتنبي ، فهو يرى  
أن : أجود الكلام ما يكون جولا سهلا ،  
لا يخلق معناه ، ولا يستقيم مغزاه ، ولا  
يكون مكثورا مستكرها ، ومتوعرا متعمرا ،  
ويكون بريئا من الغثاثة ، عاريا من الرثاثة .

نسائلكم هل من قرى لتريلكم  
بملء جفون لا بملء جفان  
فرد عليه أبو أحمد معتذرا ، ثم بدا له  
فذهب إليه وتابله بعسكر مكرم فربه  
الصاحب وعرف له حقه ، ولما مات واثا  
بشعر ذكر فيه أنه لم يمت شيخ من الشيوخ  
وإنما فقدت ( فنون الأدب ) .

وإذا تذكرنا سيرة الصاحب ، وكبريائه ،  
عرفنا أي مكانة كانت لأبي أحمد ، وإنما  
قدمنا بذكر أبي أحمد لنقول إن أبا هلال  
أخذ عنه علمه وخلقه ، وإن كان ضلع مع  
الصاحب بن عباد . ولذلك - كما لاحظ الدكتور  
ذكي مبارك - مظهران :

الأول : إشارات بأدب الصاحب ، والثاني  
تحمله على المتنبي ، وكان ابن عباد يكره  
المتنبي كرها شديدا ترفعه عن مدحه ، فكان  
لذلك يدفع النقاد إلى النيل منه والوقوع فيه  
والفض من شعره .

أما إشارات بأدب الصاحب فتظهر في  
استشهاده بكلامه ، وامتداحه لهذا الكلام ،  
فيصف معناه بأنه بدیع ، ولفظه بأنه شريف .  
وأما تحمله على المتنبي فيظهر في مواطن كثيرة  
من كتابه ، فهو لا يذكره باسمه ولا يتحدث  
عن شعره إلا حين يريد التمثيل للشعر القبيح .  
وتحامل أبي هلال على المتنبي هو المظن  
الظاهر في أخلاقه ، فقد كان يستطيع أن  
ينقد شعر المتنبي فيظهر الجيد منه والردى ،

الإغداق على من يصطنعهم من العلماء ، وقد  
كان أبو هلال جديراً لعله وأدبه بكل  
تكرمة ، ولكنه يقول كما روى ياقوت :

جلوسى في سوق أبيع واشترى  
دليل على أن الأناهم قروء  
ولا خير في قوم تدل كرامهم  
ويعظم فيهم نذلهم ويسود  
ويجسوم عنى رثائهم كسوى  
هجا قبيحاً ما عليه مزيد  
ويقول أيضاً :

إذا كان مالى مال من يلقط العجم  
وحالى فيكم حال من حاك أو حجم  
فأين اتفاعى بالأصالة والحمى  
وما دجيت كنى من العلم والحكم  
ومن ذا الذى فى الناس يبصر حائى

فلا يلحن القرطاس والخبر والقلم  
وأعتقد أن هذا ليس كلام من يتصل  
بالصاحب ، ويتسخر من أجله رأيه وعلمه ،  
ويظال يظن على المتنبي دون أن ينال من  
الصاحب شيئاً يكون كفاء لذلك الانحراف .  
وقد اختلف الرأى فى ذوق أبى هلال ،  
فالدكتور محمد مندور فى كتابه ( النقد  
المنهجى ) يرى أن ذوق أبى هلال كان فاسداً  
ويستشهد على ذلك ببعض رسائله ، فى حين يرى  
الدكتور زكى مبارك أن ذوق أبى هلال يعد  
من الطبقة العالية ، والتعبير المشرق الفصيح من  
أظهر عجزاته ، ويستشهد - أيضاً - ببعض كلامه .

ولا خير فى المعانى إذا استكرهت قهراً ،  
والألفاظ إذا اجتزت قهراً ، ولا خير فيما  
أجيد لفظه إذا سحفت معناه ، ولا فى غرابية  
المعنى إلا إذا شرف لفظه مع وضوح المنزى  
وظهور المقصد .

وقد غلب الجهل على قوم فصاروا  
يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه  
إلا بكى ، ويستفصحوه إذا وجدوا ألفاظه  
كثرة غليظة وجاسية ضريبة ، ويستحقرون  
الكلام إذا رأوه سلساً عذياً ، وسهلاً حلواً ،  
ولم يعلموا أن السبل أمتع جانباً ، وأعز مطلباً ،  
وهو أحسن موقفاً ، وأعذب مستمعا ،  
ولهذا قيل : أجود الكلام السبل المستمع .  
هذا رأى أبى هلال ، ووضح أننا لو  
وضعنا شعر المتنبي فى هذا الميزان لثالث  
كفته ، فهذا سر تحامل العسكرى على المتنبي ،  
وإنما سميت تحاملاً لأنه أسرف فى الطعن  
عليه ، ولم أسمه تحاملاً بمجازاة لوكى مبارك ،  
فأرى فى ذلك الموضع رأيه .

أما إعجابه بأدب صاحب ، فلأنهما على  
منهجه واحد ، وذلك أن شعر أبى هلال  
يمحى على نفس الطريقة التى يكتب بها صاحب .  
ولعل أقوى دليل على أن أباه هلال كان  
أبى النفس ، وأنه لم يحامل صاحب ، أن  
حاله ظلت سيئة ، كما تحدثنا فى بعض شعره  
ولو كان اتصل بالصاحب لحسنت حاله ،  
وتأمل مالا ، إذ كان رجلاً معطاء ، كثير

غماماته الممتلئة بالماء تروى السطاش ، وأنه لا ينسى فيه تلبد الغيوم في السماء ثم فضايرة الصحو التي تعقب ذلك المنظر ، ولا الريح الجنوبية التي تبشر الأرض بالقطر ، كما يبشر الليل بالشفاء . ولا الغيوم المطررات الحواشي بوميض البروق ، وكلما هطلت أعطتكم ماء بارداً وجواً رقيقاً ، ثم يصور هذه الصورة البديعة :

وترى الأرض في ملأه نلح

مثل رطل لبسته فوق فرو

كما يفرح بالشتاء لأن ليايه طويلة تتمكنه  
من الدرس المتأني ، واللهو الكثير :

وليل أطلن مدة درسي

مثلاً قد مددن في حر طوى

مر لي بعضها بفقه وبعض

بين شعر أخذت فيه ونحو

فلا يمكن أن يوصف شعر أبي هلال بأنه جيد ، وإن كان هو يضمه في طبقة أشعار المفلقين ، فكل إنسان معجب بعمله ، ويعظم ذلك الإعجاب بالنفس في ثنايا كتاب الصناعتين قرى أبا هلال يقول - مثلاً - : « ذكرت في هذا الباب - وهو ثلاثة فصول - من نعوت البلاغة ، ووجوه البيان والفصاحة ما فيه كفاية ، وأتيت من تفسير مشكلها على ما فيه مفتح ولم يسبقني إلى تفسير هذه الأبواب وشرح وجوهها أحد ، وإنما أقصر من كل قبلي على ذكر تلك النعوت

وقد طلت النظر في هذه المسألة ، فتبين لي أن أبا هلال يجيد القول حين يترك نفسه على سميتها ، ويترك التكلف والتصنع وذلك يظهر في تدوينه لآرائه العلمية والأدبية ، أما حين يكتب رسالة فإنه يلجأ إلى المحسنات البديعية ، ويجرى على طريقة ابن العميد في التكلف والتصنع فيجىء ثره غثاً بارداً .

وأما حين ينقد فإنه - عندى - صاحب ذوق دقيق ، وحس مرهف .

وقد أخطأ الدكتور زكي مبارك حين عد شعر أبي هلال من الشعر الجيد ، وقد تقدم لنا مثالان منه ، وهما لا يدلان على طبع في الشعر ، ولا على الحولة في الصياغة .

وله في الشتاء قصيدة لا بأس بها لولا أن قافيتها فائرة والفاتر شر من البارد كما يقول أبو هلال نفسه - ابتدأ القصيدة بقوله :

فرت صبوتى وأقصر شجوى

وأتاني السرور من كل نحو  
إن روح الشتاء خلص دوحى

من حرور تشوى الوجوه وتكوى  
برد الماء والهواء كأن قد

سرق البرد من جوانح خلو  
وهذا التشبيه جيد ؛ لأنه جعل الرجل الذى يخلو قلبه من الحب ولا تفتح حرارة الهوى أبرد من الشتاء .

ثم يعضى في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة فيقول إن ريحه الباردة تشنى الصدور وإن

قلت : هي يتبرز ، ولكن ليس معناها كما فهم هذا المعلق ، وإنما معناها أنه كان يتجر في الثياب ؛ ثلثا يضطر للسؤال أو للارتقاء في أحضان أحد من ذوى الجاه واليسار فيوصف بالطمع والدناءة والتبذل . وكيف يتفق فهم هذا القائل مع قول أبي هلال : ( ويهجوم عن رثانة هيثق ) ؟ وقد ترك أبو هلال من الكتب غير

الصناعتين : ديوان المعاني . جهرة الأمثال التبصرة . قال ياقوت : وهو كتاب مفيد ، كتاب شرح الحاشية ، كتاب الدرهم والدينار ، كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب العمدة ، كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ما تسع فيه الخاصة ، كتاب أصلام المعاني في معاني الشعر ، كتاب الأوائل ، كتاب ديوان شعر ، كتاب الفرق بين المعاني كتاب نواذر الواحد والجمع ، رسالة في العزلة والاستئناس بالوحدة ، كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة ، كتاب التلخيص . أما وفاته فالمشهور أنه توفي سنة ٣٩٥ هـ ولكن الخوى يقول : وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء . غير أنني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إسماء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة .

### كتاب الصناعتين :

الكتاب كما يؤخذ من عنوانه كان الغرض

طارية عما هي مفترقة إليه من إيضاح غامضها وإنارة مظلها (١) .

ويقول : ، ولا أعلم أحداً من صنف في سرق الشعر قتل بين قول المبتدى . وقول التالى وبين فضل الأول على الآخر ، والآخر على الأول غيرى ، وإنما كانت العلماء قبل ينهبون على مواضع السرق فقط تقس بما أوردته على ما تركته (٢) .

وهذا حق ، فإننا لا نعلم أحداً قبله أطال في شرح السرقات الشعرية إطالته ، وإنما ذكرنا هذا لتدل على أن أبا هلال كان يفخر بعمله ، ولم يرد أن يخس نفسه ، لحين يضع شعره مع شعر الفحول من أمثال أبي تمام والبحرئى لا يكون ذلك دليلاً على أنه من الشعراء الجيدين .

وكان أبو هلال يتجر في الثياب ، وقد وردت في معجم الأدباء عبارة : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأيوبرى - رحمه الله - بهمان عنه ، فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه معا ، وقال : كان يبرز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل .

وقد قال المعلق على ( يبرز ) لعله ( يتبرز ) من البر وهو الثياب يعنى أنه يتجمل ويظهر للناس ذابذة حسنة ولبسة تدفع عنه التبذل ، فلا يزال الناس في كل عصر يكرمون الرجل ويحلوته لحسن برته وهيئته وجمال شارته ولبسته .

(١) الصناعتين ص ٥٤ ط - المطبوع

(٢) ص ٢٢٢ .

ضالة بين الأمثلة ، ومن هنا قال أحد النقاد المحدثين إن كتاب الصناعتين هو قطعة تحول النقد إلى بلاغة (١) ولعل هذا القول فيه كثير من الصواب ، وفيه بعض الحيد عن الجادة ، وذلك أن هناك عالين آخرين سبقا أبا هلال إلى هذه المحاولة هما عبد الله بن المعتز وقدامة بن جعفر وقد علت عملهما في البلاغة ويمكنك أن تدرك أنهما جريا شوطا غير قصير في هذا الشأن .

وقد زادت في البديع على ما أورده المتقدمون ستة أنواع وهي : التشطير والمحاوراة والتطريز والمضاعف والاستشهاد والتلطف .

وجعل الاستعارة ، والكناية والتعريض من أنواع البديع - كما فعل من سبقوه - في حين أخرج السجع منه . أما التشبيه فإنه أخرجه من البديع .

وذكر المطابقة فمررها ومثل لها بما يدخل فيها النوع الذي سماه المتأخرون المقابلة أما هذه عنده فهي إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة ، فأما ما كان منها في المعنى فهو مقابلة الفعل بالفعل ، مثاله قول الله تعالى : « قتلتم بيوتهم غاوية بما طلبوا » فخروا بيوتهم وخربوها بالعذاب مقابلة لظلمهم ، ونحو قوله تعالى : « ومكروا مكرا ومكرنا

منه تعليم الكتاب صناعتى النثر والنظم وهو يقول في ختامه : « على أن هذا الكتاب جمع من فنون ما يحتاج إليه صناع الكلام ما لم يجمعه كتاب أعله » .

وقد بدأه بالحديث عن فنون القول فذكر البلاغة والفصاحة وفرق بينهما وسرد بعض أقوال العرب والفرس ثم تسكلم عن التشبيه والاستعارة ، والإيجاز والإطناب ، وذكر من البديع خمسة وثلاثين نوعا .

ويبدو أنه قرأ ما كتب العلماء قبله في البلاغة والنقد ، وأنه استفاد من كل ما كتب غير أنه يذكر في نهاية الكتاب أن كل شيء استعاره من كتاب ووضع في كتابه لم يحله من زيادة تبين ، واختصار ألفاظ وغير ذلك مما يزيد في قيمته ويرفع من قدره .

ولعل أشهر الكتب التي طالعها واعتمد عليها كتاب ( البيان والتبيين ) للجاحظ فقد ذكره في المقدمة وقال : إنه كتاب كثير الفوائد جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر الطليفة والخطب الرائعة والأخبار الباردة . لكن عابه بأن الإنبات عن حدود البلاغة ، وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة في أثنائه ، فهي ضالة بين الأمثلة ، لا توجد إلا بالتأمل الطويل ، والتصفح الكثير .

فتصميم أبي هلال - كما يفهم من كلامه هذا - كان على أن ينظف المسائل البلاغية ولا يجعلها

(١) هو الدكتور محمد مندور في كتابه النقد للنهجي عند العرب ص ٣٢٤ .

له أبطالا ظلي ، وسافا نعاما  
وراءه سرحان وتقريب تتفل  
وبقول للرقش الأكبر :  
النسر مسك والوجوه دنانير

وأطراف الأكف عثم  
ويجعل منه التشبيه الذي يكون المشبه به  
فيه مصدراً مبنياً للنوع كقول امرئ القيس :  
سموت إليها بعد ما قام أهلها  
سمتو حجاب الماء حالا على حال  
غير أن أكثر أمثلة التشبيه التي ذكرها  
وهي كثيرة مذكورة الأداة .

كما أدخل في التشبيه بعض أمثلة الاستعارة  
ومن ذلك .

وأسلت أولوا من نرجس وسفت  
وردا وعصت على العناب بالبرد  
قال : فشب خمسة أشياء بخمسة أشياء في  
بيت واحد ، الدمع بالزؤل والعين بالزرجس  
والحد بالورد والأنامل بالعناب لما فيهن  
من الخضاب ، والثغر بالبرد . ثم قال :  
ولا أعرف لهذا البيت ثانيا .

وبيت امرئ القيس ( أبطالا ظلي ) من  
باب الاستعارة ، لا التشبيه ونستخرج من كل  
ذلك أن هذه الأنواع لم تكن واضحة كل  
الوضوح في ذهن أبي هلال .

ومما لا شك فيه أن العسكري استفاد  
من كل ما كتب قبله وأتيح له أن يطلع عليه  
فالكاتب التي ذكرها في كتابه ، أو ذكر  
أصحابها لها أثر ظاهر في الكتاب لا شك

مكرا ، فالمكر من الله تعالى العذاب جعله الله  
عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل  
طاعته . . . وهكذا . فهي غير المقابلة  
المعروفة في كتب المتأخرين .

وهو يذكر اللون من ألوان الكلام ،  
ويعبره ، ثم يذكر العرض منه ، ويجيء .  
بعد ذلك بأمثلة يبين في بعضها وجه روعة  
هذا اللون ، فتلا بدأ باب الاستعارة بقوله :  
الاستعارة : نقل العبارة عن موضع استعمالها  
في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، وذلك  
الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفصل  
الإبانة عنه أو تأكيد والمبالغة فيه ،  
أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين  
المعرض الذي يبرز فيه ، وهذه الأوصاف  
موجودة في الاستعارة المصيبة ، ولولا أن  
الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه  
الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى  
منها استعمالا .

ثم يذكر بعد ذلك فصل الاستعارة في بعض  
روائع الكلام . وقد يند عن الرسم الذي  
وسمه ، فهو يذكر في باب الاستعارة التشبيه  
المحدوف الأداة من مثل قوله تعالى :  
وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ ، وقول سيدنا علي : السفر  
ميزان القوم ، وقول معاوية : العيال أرضة  
المال . في حين أنه ذكر في باب التشبيه أن  
الأداة قد تحذف ، ومثل لذلك بقول  
امرئ القيس .

في إلفاده منها ومن ذلك - بعد كتب الجاحظ - كتاب ( النكت ) للرماني فإنه ( يعتبر أحد الزوافد المهمة التي مدت كتاب الصناعتين فلا يكاد يخلو باب من أبواب كتاب الرماني إلا أنه أثر في الصناعتين ) (١) وكتاب

( مشكل القرآن ) لابن قتيبة فقد نقل عنه في كتابه ، وكتاب ( البديع ) لابن المعتز وكتاب ( نقد الشعر ) لقدامة . غير أن العسكري لم ينص على ما أخذه من هذه الكتب ، ويبدو أن هذه طريقة القدماء ، فإن الشيخ عبد القاهر - مثلاً - يشير إلى اعتراضات كثيرة ويجب عنها ولا يذكر أصحابها ، والسكاكي يقول : إن القسم الثالث من كتابه المفتاح هو ما أمكن تلخيصه من كلام السلف ، ولا يكاد يذكر إلا النزول اليسير من هؤلاء السلف .

ومع إفادة العسكري عن سبقه من العلماء اعتبر ما كتبه في البلاغة غير ذي بال ، وذلك حيث يقول في مقدمة الصناعتين بعد أن نبه على خطأ كثير من علماء العربية في الاختيار ورمى بعض ما استحسناه بأنه كلام فج غليظ ووخم ثقيل ، وبعضاً آخر بدنامة اللفظ وخصاسته ، وخطوة المعرض وقبحته ، قال بعد ذلك : « فلما رأيت تخليط هؤلاء الأعلام

وقد اتفق الذين ترجوا لأبي هلال على أنه كثير الحفظ ، وقد ظهر أثر ذلك في كتابه فإنه يذكر النوع البلاغي ثم يفرقه بفيض من الأمثلة من القرآن ومن الحديث ، ومن أثر العرب وشعرهم .

ثم يأتي عقب كل باب فيذكر الرديء من هذا النوع ، ويبين موضع الرذالة فيه . وله نظرات صائبة في النقد الأدبي ، وقد تلبه أبو هلال إلى أثر البيهقي في تقارب الأفكار ، فقد ذكر أن عمر بن أبي ربيعة أنشد ابن عباس رضي الله عنه :

تشط غدا جار جيراننا

قال ابن عباس :

وللدار بعد غد أبعد

فقال عمر : والله ما قلت إلا كذلك ثم قال أبو هلال : وإذا كان القوم في قبيلة واحدة وفي أرض واحدة فإن خواطرهم تقع متقاربة ، كما أن أخلاقهم وشمائمهم تكون متضاربة .

(١) أثر القرآن في تلويح النند العربي للأستاذ زغلول سلام ص ٣١٣ .

## عالم من أعلام الأدب العربي : أبو بكر الخوارزمي للأستاذ عباس طه

### نشأته وسيرته :

هو الأستاذ الكبير والعلامة الخطير قيس الحق وظهيره ، وظهير الأدب وظهيره ، ومن علق ذكره بمناط الجوزاء وحف اسمه بأبواب السهله أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر الذي لا يحاول ولا يطاول والنائر الذي لا يبارى ولا يحارى ، يلقب أيضاً بالطبرخزى ؛ لأن أباه من خوارزم وأمه من طبرستان وهو ابن أخت العلامة الثبت الثقة أبو جعفر بن جرير الطبرى إمام المبرزين فى علوم القرآن والتاريخ .

ولد أبو بكر الخوارزمي سنة ٣١٦ هـ بخوارزم ، فلما اشتد ساعده نزع إلى الشام وأقام فى حلب فترة طويلة من الزمن ثم طفق يحسب الأقطار ويتشم الأمصار ويطوف الديار من الشام إلى أقصى خراسان .

كان أبو بكر الخوارزمي رجلاً مبرزاً فى حليات الأدب العربى ، إن شئت فقل إنه من ذواتها .

كتب الكتاب ونشروا فى قوم أشادوا بهم ورفعهم من مساجع الاسماك إلى مدار

الأفلاك بل من التراب إلى السحاب بل من مقر الرغام إلى مجرى النهم وليسوا على قدم المساواة لأبى بكر الخوارزمي .

ومن العجب أن يكتب الكتوبون من إخواننا رسائل متفرقة فى أدباء هم أقل من أبى بكر شأناً ، ويهملوا أبابكر الخوارزمي فلا يكتب عنه كاتب من المحدثين ، أو يفتحوا له صفحات من المجد أحرز طيلة حياته ، وقد أغفله حساده ومناجزوه ؛ ليظل فى التاريخ مجهولاً وفى عالم الأدب مضموراً .

كان صاحب الترجمة معروفاً بقوة الحفظ فى النثر والقريض ، يقص علينا الأدب العربى أنه قصد ذات يوم صاحب بن عباد بأرجان فلما وصل إلى يابه قال لأحد حجاجه : أبلغ صاحب أن بالبواب أحد الأدباء وهو يستأذن فى الدخول عليك فدخل الحاجب فأعلمه . فقال صاحب قل له : قد أُرِمت نفسى ألا يدخل على من الأدباء إلا من يستظهر عشرين ألف بيت من شعر العرب . فخرج إليه الحاجب فأعلمه . فقال له أبو بكر : أرجع إليه وقل له هذا القدر من شعر الرجال



ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ويتكلم بكل تادرة ، ويأتى بكل فقرة ودرة ، ويبلغ في ع الحسن الأدب كل مبلغ ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته ، وملاحة عبارته ونعومة نعمته وبراعة جسده وحلاوة هزله ، انتهى .

ظاهر من كل ذلك أن أبا بكر الخوارزمي قد بلغ رتبة شباب الزمان ومجدها قتي ، وأخلق العالم وذكرها طري ، إن حاضر أرفق الأذان واقتم القلوب بلا استئذان ، ألفاظ كغمزات اللحاظ ومعان كأنها فك عان ، وعبارات كأنها في عيون السكاوب هبرات ، وقرات تستزل البلاغة من سماها ، والمعاني من صياصياها ، قد تحفرت للوثاب ثم انقضت للاختلاب ، غلبت العقول من هواها ، ووقفت بالنفوس الجامعة دون مرماها ، تسابق النظر إلى مواطن العلم فلا يكاد يلحظها الوم إلا وهي من النفس في مكان الإلهام .

يزدهى المنبر مجبا حين يرقاء خطيبا

أترى ضم خطيبا أم ترى صمخ طيبا  
ولا واقه ما اليوث الضواري أزجها  
الطوى من آجالها ، وأثارها على الفريسة ضنى  
أشباهها بأسرع عدوا ولا بأعنف ضراوة  
وقسما من قلم هذا الرجل إذا خشي على الأدب  
أن تسباج حرمانه أو أشفق من زائف  
القول أن تعشو الأبصار ظلماته .

أم من شعر النساء . فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال . فقال صاحب : هذا لا يكون إلا أبا بكر الخوارزمي ، فأذن له في الدخول ، فدخل عليه وانقرجت له أسارير وجهه .

كان معروفا بحسن الصياغة وأداء الأمانة فيما يكتب وجزالة العبارة . كانت له مدرسة واسعة الاكتشاف مترامية الأطراف ، له رواد وله حساد ، وكان في مدرسته يتحير الانجباب من أبناء الميسير ويلتقم أطرافا من العلم والأدب الرفيع حتى نبه ذكره بين معاصريه وضربت إلى شهرته آباط المطلى ، يلس ذلك كل من يقرأ رسائله إلى الأمراء في عصره ، وإلى أبنائه التوابع في قرنه ، وإلى أصحاب المكانة السامية في جيله ، وإلى من يقرأ حكمه وأمثاله التي ارتفعت فوق مستوى أهل عصره وبلغت من السمو مكانا قصيا .

وأي رجل دارت لمقالاته أفلاك البلاغة ، وهتفت به العرائك في خدورهن ، وسرى ذكره مسرى الهواء العليل أكثر من أبي بكر الخوارزمي ، حتى قال عنه العلامة الكبير وحيددهره ، وفريد عصره الأستاذ أبو منصور الثعالبي في كتابه بقيمة الدهر : « أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي باقعة الدهر وبحر الأدب وعلم النثر والنظم وعالم الفضل والظرف كان يجمع بين الفصاحة العجيبة ، والبلاغة المفيدة ويحاضر بأخبار العرب وآيامها ودواوينها

لله القلم الأعلى الذي يشابه

تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

وكان رجلاً محضوباً لكرامته ، معترأ

بهيمته إن وضى متع فأروى وإن غضب

قدح وأورى .

حدث أنه ذهب ذات يوم إلى صاحب بن

عباد لزيارته فقال له حاجبه : إنه خارج بيته

الآن فارتأب أبو بكر الخوارزمي في هذا النبأ

ثم سلبه بطاقة ليرفعها إلى صاحب وقد

جاء فيها :

وذا تركم يشكو وقد جلدكم

غلظت بوابكم الخادم

أنكركم عني على زعمه

فياله من عجب دائم

لأننى بين بنى آدم

مذ خلقوا أشهر من آدم

كان واقه السهم المسند إذا غضب ، وحلاوة

العسل المصفى إذا رغب ، إن شاء فهو العسل

حلاوة أو الديباج لينا وطرواة ، وإن شاء

فهو النمر إستشراء وضراوة ، إن شاء فهو

الماء نميرا أو الزهر عيرا ، وإن شاء فهو

الجمر سعيرا أو النار توهجا وذفيرا ، إن شاء

فهو اللبن خالصاً سائغاً يخرج من بين فرت

ودم ، وإن شاء فهو المر النقيع والمقم ،

وكذلك كل من يشعر بالكريم من الحياة

يحمل بين فكيه لسانا إن سلمته سال عذبا ،

وإن صارته سل عضبا ، كالطبيب الحاذق

يكلم يده ويأسو بأخرى ، أو كالنحل إن

رضيت حملت العسل ، وإن غضبت أعملت

الأسل ، أو كالبحر إن صدم أغرق ، وإن جاد

بحوامره أغدق ، فأحيانا يقذف راكب

متمته درأ وأحيانا يفتح له الموت فيه بين كل

موجتين قبراً ، أو كالطير فيه خير وشر وفيه

تضع وضر يشرب منه الصدف فيعقب ثؤثراً ،

وتشرب منه الأفاعى فيعقب سماً ، إن هطل

على الوادى الجديب أجاده ، وإن زخ على

الوادى الخصب أباده

ولى فرس بالحلم الحلم ملجم

ولى فرس بالجهل للجهل مسرج

فرن شاء تقوى فإني مقوم

ومن شاء تعمى فإني معوج

وبالجهل لا أرضى ولا هو شينى

ولكننى أرضى به حين أخرج

وكان أبو بكر الخوارزمي يستكثر من

الأصدقاء حتى وإن انقلبوا له أعداء ، ويفر

من الحق الجهلاء حتى وإن كانوا عليه أضياء

هاجم المتنبي في صولته ، وناجزه في دولته ،

وانفق أن وجد له حامين لظهره من مكائده

أبى الطيب فتألبه ثم غلبه ، وكان يسخر من

تومت أبى العلاء واقتباسه عن الدنيا في يأس

الطمع في جعر فأر لدخله ، ولو أتاه الدرهم  
من إست كلب لما غسله ، فلا جرم أن الناس  
كما استحسنا قوله استهجنوا غسله ، وكما أعجبوا  
بشعره تعجبوا من غدره ، يشكر ثم يشكو  
ويمنح ثم يهجو ، ويشهد ثم يجرح شهادة ،  
ويعطي ثم يسترجع عطيته ، وكم من حرفضه  
ثم ثلثه ، وكم من عرض كسائه ثم سلبه ، وكم  
من صفته أكل منها ثم بصق فيها .

ثم أشاد أبو بكر بنفسه ليوازن بينه  
وبين المتنبى فقال :

ولكن في قيس أبي بكر رجل إذا أعطى  
لم يرتجع ، وإذا طلق لم يراجع ، وإذا بنى  
لم يعد على بناءه بالهدم ، وإذا مدح لم يعلأ  
على عقب مديحه بالذم ، وإذا طيب فكه  
بالمدح الكريم لم يلطخها بمدح اللئيم ، وإذا  
زوج كرائمه كفؤا حجبوا أن تبرجن إلا  
لديه ويحتلن غير عينيته ، وإنما القدر من  
أخلاق النساء لمن تعلق بطرف منه فقد رغب  
بنفسه عن كمال النكران وجذبها إلى شق  
النسوان ، انتهى .

فالإمام الخوارزمي يعتب ثم يعزى ثم  
يهجو ثم يكافئ على صفاته بالممدح ويلوم  
على قبائح غيره بالقدح .

كان له تلميذ من أنجب تلاميذه وأنبيهم  
ذكرا وقد اتفق أن جمعه مجلس بأحد الأدباء  
فجرى بينهما حوار وكان لهذا الأديب في  
(البقية على صفحة ٣٤٤)

وقنوط ، ونظره إليها في جانبها المعتم ، وإعراضه  
عنها في جانبها المشرق المضيء . وكان يتجهم  
للشريف الرضى مجاه يوم ذهب إلى الوالي في  
عصره ، وكان يملك ضيعة صغيرة فطلب إلى  
الوالي أن يشتريها منه للنافع العامة للسبلين  
وأن ينقده ثمنًا مبها فأطلق الألسنة فيه بمقالة  
السوء فأحفظ عليه صدور الأدباء .

وإلى القناري ملحة من ملحه صاغها في  
تصوير المتنبى ، ثم قارن بين قوله وحمله ، وبين  
طبعه وأدبه في شعره ، وبين جزالة قصائده  
والاعتنان بالنفى وما في يده ، قال : « ونظرت  
إلى أبي الطيب المتنبى وإلى تناقض حكمته ،  
وتفاوت طرفي فعلته حيث قال في سيف الدولة  
لا تطلبن كريما بعد رؤيته

إن الكرام بأسمهم بدأ ختموا  
ثم قال في كافور الأحشيد :

قواصد كافور توارك غيره  
ومن قصد البحر استقل السواقيا

ففقد باع من الوفاء حلقا خطيرا ، واعتاض  
من الطمع ثمنًا يسيرا ، وحال ضباب  
الحرص والرجاء بينه وبين العهد والوفاء ،  
وكان يضابق نفسه في اختبار المتاع ويساعها  
في إختيار المبتاع ، ويخلع خلعته من نظمه  
تساوى بدرة على عرض من لا يساوى بكرة  
ويهب كريمة من كرائم شوره إلى من لم تهم  
عنده كريمة ، ولم تعرف له قيمة ، لو رأى

# كرامة العقل ، وقداصة الحرية من رسالة الإسلام للأستاذ فتحى عثمان

« ملا أيك إرميم هو سماكم لاله من قبل ، وفي هذا ليسكون  
الرسول مهيذا عليكم ، وتكونوا شهداء على الناس » .

للطريق أن تعرض أخطر المقدسات على  
الإرادة الإنسانية وتكون لها حرية  
الاختيار .

وقد كان دين الله بوجه عام والإسلام  
بوجه خاص مقرا لكرامة العقل ولقداسة  
الحرية في وضوح ، وقد سلك الطريق  
الصحيح لهذا التقرير .

فغير أن الدين مظلوم عند الناس بالنسبة  
لحرية الفكر . . . أفليس الإيمان إذعاب  
واقتياد وتسليم ؟ أفليس الإيمان : استهواء  
وإسحاء وتقليد وإكراه كما يقال في بعض  
الآحايين ، والدين الحق براء من هذا الافتراء .  
إنه يقرر كرامة الإنسان بآيات من وحى  
الله ذي الجلال والجبروت :

« ولقد كرّمنا بنى آدم ، وجعلناهم في البر  
والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم  
على كثير من خلقنا تفضيلا » .

« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » .

لم يعد جديدا أن يقال : إن الإسلام هو  
رسالة الحرية ، وإن محمدا عليه الصلاة والسلام  
هو رسول الحرية . . . والكثيرون يعرفون  
عن الإسلام : أنه رسالة الحرية السياسية  
للأفراد والشعوب ، وقد يعرفون أنه رسالة  
الحرية الاجتماعية للأفراد والشعوب .

غير أن هذه الحريات جميعا تناس على  
حرية أخرى أجمل وأخطر ، هي حرية  
الفكر . . وهيئات لمن لم يتعود من ( داخله )  
أن تتحقق حريته ، ولو خلص من أية  
ضغوط من ( الخارج ) عليه ، فستجلب  
عليه ( هيئته الداخلية ) مزيدا من الضغوط .  
ومن هنا كان لا بد أن تتقرر أساسا  
كرامة ( الإنسان ) ، في ( العقل ) الإنساني  
وبالدابة الصحيحة للطريق أن يعامل هذا  
العقل بالتكريم .

وكان لا بد أن تتقرر أساسا قداسة الحرية  
في ( العقل ) الإنساني . . وبالدابة الصحيحة

و لا إكراه في الدين قد تبين الرشد  
من النى . . .

• • •

ومن روائع الدين في هذا المجال ، هذا  
الخط الفذ من العرض العقلى لقضية الإيمان  
على لسان إبراهيم أبى الأنبياء ، عليه وعليهم  
الصلاة والسلام . . .

ومن روائع ابن حزم ، أنه يقرر في كتابه  
( الأحكام ) اتصافاً للجدال والحاجة في  
قضايا الدين ، أن الله علما كيف لمجادل  
ونحاج ، وعلما الحجة على ( الثبوت ) وعلى  
( الدهرية ) وغيرهما . . . وساق لنا مثلاً  
للحاجة على لسان إبراهيم ، وأزمننا الاقتداء  
به إذ كنا على ملته . . . « ملة أبيكم إبراهيم » .  
ولإبراهيم أبو الأنبياء ، هو داعية « عقيدة  
التوحيد » ، وداعية « العقل والحرية » ، في  
الوقت نفسه . . .

إنه من أول العاريق . . . يفكر ، ويقلب  
الأمور أمام ( العقل ) :

« وإذا قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ  
أصناماً آلهة؟ إنى أراك وقومك في ضلال مبين .  
وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات  
والأرض ، وليكون من الموقنين . »

فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال :  
هذا ربى . . . فلما أفل ، قال لا أحب الآفدين !  
فلما رأى القمر بازغاً قال : هذا ربى

ويقرر كرامة العقل الإنسانى بجملة مناط  
الحكم والتقدير في أى قضية ، ولو كانت  
قضية الألوهية والدين : « قل هاتوا برهانكم  
إن كنتم صادقين . »

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين  
لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب . »  
« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة  
الحسنة ، وجلدلم باقى هى أحسن . »

« أفلا يتذكرون . . . أفلا يعقلون . . . إلخ .  
ويعرض الدين قضية الإيمان بالله واليوم  
الآخر وهى أقدم وأخطر قضايا على العقل  
الإنسانى ، وعلى الإرادة الإنسانية ، وفى  
هذا تقرير حريتها فى الاختيار ، وتقديس  
لحريتها فى الاختيار :

« أم خلقوا من غير شئ ، أم هم الخالقون ؟ »  
« ألحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ، وأنكم  
إلينا لا ترجعون ؟ » .

« لو كان فيها آلهة إلا الله ، لفسدتا . »  
وهو ينهى عن العقل الإنسانى أى ضغط ،  
وعن الاختيار الإنسانى أى تأثير :

« قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة  
من ربى ، وأتاني رحمة من عنده فعميت  
عليكم ، أنزلتموها وأنتم لها كارهون ، ؟ »  
« فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم  
بمسيطر . »

« إن عليك إلا البلاغ . »

التي أنتم لها عاكفون ، ٢٩  
قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين .

قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين  
قالوا : أجبنا بالحق ، أم أنت من اللاعبين .  
قال : بل ربكم رب السموات والأرض  
الذي فطرهن ، وأنا على ذلكم من الشاهدين .  
ونافقه لا يكذب أصدانكم بعد أن تولوا  
مدبرين لجليلهم حمداً إلا كبيراً لهم ،  
لعلمهم إليه يرجعون ١١

قالوا : من فعل هذا بأهلنا ؟ إنهم الظالمين .  
قالوا : سمعنا قتي يذكركم ، يقال له إبراهيم .  
قالوا : فأتوا به على آهين الناس لعلمهم يشهدون .  
قالوا : أأنت فعلت هذا بأهلنا يا إبراهيم ؟  
قال : بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم إن كانوا  
ينطقون ١٢ فرجعوا إلى أنفسهم ، فقالوا :  
إنكم أنتم الظالمون ١١

ثم نكسوا على رؤوسهم : لقد علمت  
ما هؤلاء ينطقون ١٢

قال : أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم  
شيئاً ، ولا يضركم . . أف لكم ولما تعبدون .  
من دون الله ، أفلا تعقلون ؟ قالوا : حررقوه ،  
وانصروا آلهمكم إن كنتم فاعلين . قلنا :  
يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم .  
وأرادوا به كيداً ، فجعلناهم الآخرين ، ١٤  
وفراخ عليهم ضرباً باليمين . فأقبلوا إليه  
يزفون . قال أتعبدون ما نتحتون ؟ والله

قلنا أفل ، قال : إن لم يهدي ربى لأكون  
من القوم الضالين ؟

قلنا رأى الشمس بازغة ، قال هذا ربى ،  
هذا أكبر قلنا أفلت ، قال : يا قوم إني  
برىء مما تشركون ١٥ .

إني وجهت وجهي للذي فطر السموات  
والأرض حنيفاً ، وما أنا من المشركين .  
وحاجه قومه .

قال أتخافونني في الله وقد هداني ، ولا  
أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئاً ،  
وسع ربى كل شيء علماً ، أفلا تتذكرون ؟ .  
وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا يخافون  
أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ؟  
فأى الفريقين أحق بالأمن ، إن كنتم تعلمون ؟  
الذين آمنوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ،  
أولئك لهم الأمن وهم مهتدون .

وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على  
قومه ، ورفع دجات من نشاء ، إن ربك  
حكيم عليم ، ١٦

عرض رائع

ومنطق سليم

وإبراهيم لا يلجأ إلى ( اليد ) إلا  
ليستثير ( العقل ) :

ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل  
وكننا به عاقلين .

إذ قال لآلئيه وقومه : ما هذه التماثيل

ودوب عقله على الفروض والاحتمالات ،  
قبل أن يواجه عقول الناس ، وتقرر على  
ذلك الإقرار والتأييد !! إنه يناقش ( ملكا )  
متنفذاً بالسلطان والطفيان ، وتقرر في ذهنه  
حقه المقدس في أن يطلب البرهان ، وتلقى من  
الله حقه : ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم  
في ربه — أن آتاه الله الملك ( ١١ ) ،

إذ قال إبراهيم : ربني الذي يحيي ويميت  
قال : أنا أحيي وأميت !

قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس  
من المشرق ، فأنت بها من المغرب  
فبنت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم  
الظالمين ، !!

إن إبراهيم يسحق بقوة المنطق قوة  
الطفيان .

ويخبر من الذي ينصب نفسه ليجرد أنه يترج  
على كرسي العرش ويستطيع أن يقيم المشائق  
أو يشدخ الروس بالسيوف !! يسخر  
إبراهيم من هذا الملك الصغير ، الذي يزعم  
أنه يحيي ويميت في عالمه الضئيل ، بأن ينقل  
محور الجدول إلى العالم الكبير . . الكون  
الفسيح بأجرامه وأفعاله ، بهيئته  
وحركته . هنا يتهاك الأقوام !!

• • •

ينبغي أن نفخر حقاً ، بأن كنا على  
ملة إبراهيم . .

خلفكم وما تعملون ! قالوا : ابتروا له بنياناً  
فألقوه في الجحيم ، فأرادوا به كيداً لجعلناهم  
الأسفلين ، !!

إنها تجربة مثيرة . . دلائلها كثيرة .  
في مجال دراسة السلوك الاجتماعي

وهي محاولة نيسية . . لإبراز التناقض  
الثائم ، واستثارة العقل من الرضوح والتسليم  
للتناقضات وهي ( حركة يد ) . . غابتها  
( حركة المنطق ) .

فلما تحركت الأذهان ، أوجمها للدرس  
وأخضعها الكبر . . ففزعت إلى اليد ، يد  
العدوان والتحريك ، لا يد الاختبار  
والتجريب !!

ولإبراهيم يحاج ربه . . كما يحاج الناس  
ويطلب منه الدليل والبرهان !

والله يسوق إليه المثل . . في تجربة :

« وإذا قال إبراهيم : يجب أن أتى كيف  
يحيي الموتى ؟

قال : أولم تؤمن ؟

قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي

قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ،  
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم  
ادعهن يأتينك سعيًا ، واعلم أن الله  
عز وجل حكيم ، !

ومن هنا كانت حجة إبراهيم قارعة قاطعة  
أمام الناس . . إنه اقتنع قبل أن يقتنع ،

ويطالب بإلغاء كل تبعية . . . بالتفكير  
في كل علاقة وارتباط . . . ولو كانت العلاقة  
بالكبير المتعال :

« قل إنما أعظكم بواحدة .

أب تقوموا لله شئني ، وفرادي  
ثم تفكروا ،

هذا هو الدين . . . في تكريمه للعقل ،  
وتقديسه للحرية !

وهذه هي ملة أبينا إبراهيم . . . بها  
نفخر وتليه :

« إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه  
وهذا النبي

والذين آمنوا

واقه ولي المؤمنين ، »

فهم عثمان

وينبغي أن نعتبر الدين ، هو المحرر الأصيل  
للعقل البشري . لقد هزه من الأعماق ،  
وانتزعجه من كل استرقاق :

« إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ،  
ورأوا العذاب ، وقطعت بهم الأسباب .

وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ  
منهم كما تبرأوا منا .

كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ،  
ومأم بخارجين من النار ، !

« وقالوا : ربنا إنما أطعنا ساداتنا وكبراءنا ،  
فأضلونا السبيلا .

ربنا آثمهم ضعفين من العذاب ، والعنهم  
لعنا كبيرا ! !

« وبرزوا لله جميعاً ، فقال الضعفاء للذين  
استكبروا : إنا كنا لكم تبعاً ، فهل أنتم

مضنون عنا من عذاب الله من شيء ؟ قالوا :  
لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا

أم صبرنا ما لنا من محيص ، ! !

( بقية المنشور على صفحة ٩٢٣ )

ناطق بالعجز ، وأن وجه الظلم مبرقع بالقبح  
وأنتك إذا استدركت على تعد الصياغة  
وتنبعت خطأ الحكماء والفلاسفة ، فقد أضفت  
عيها إلى عائبك وما كنت لمناصبك ونصرت  
عدوك على صاحبك ، وقد عجبت من حسن  
ظنك بل وأنتك إنسان والله المستعان ، اهـ .

عباس طه

الجلس أنصار ، فكتب الخوارزمي إلى  
تليذه يقول :

« أي بني ، بلغني أنك ناظرت فلان  
توجهت إليك الحجة كاهوت ، ولما وضع

غير الحق على عنقك ضجرت أو تضاجرت ،  
وكنت أحسب أنك أعرف بالحق من أن

تعه ، وأهيب لحجاب العدل والإنصاف من  
أن تشقه ، وكأنك لم تعلم أن لسان الضجر



# مَائِقَاتُ الْعَمَلِ فِي الْإِسْلَامِ

## دور الإسلام في مستقبل القارة الإفريقية

للاستاذ عباس محمود العقاد

المؤلفين ، وأصبحت إرادة الأجنبي تبعا لإرادة الوطنية في تحصيل المعلومات والتعليق عليها بعد قيام الحكومات المستقلة وتركيز السلطان فيها على العوامل النفسية والاجتماعية التي ترجع إلى أبناء البلاد أولا ثم ترجع بعد ذلك لمن يحسن فهمها والاتقاع بها من أصحاب السياسات الأجنبية .

وقد أسفر هذا التنويع في موضوعات التأليف عن وجهتين من وجهات البحث المخصص للسائل الإسلامية ، وهما :

أولا : دور الإسلام المنتظر في إنعاش نظم الحكم بعد استقلال الأمم الإفريقية .

ثانيا : معنى انتشار الإسلام قديما وحديثا بين الإفريقيين باعتباره حركة من حركات التاريخ ، والاستطراد من ذلك إلى استطلاع مصير هذه الحركة بين حركات الحضارة أو الحضارات العصرية .

وفي أكثر من بحث هام يميل المؤلفون إلى ترجيح فرص الإسلام على فرص العقائد الأخرى - دينية كانت أو اجتماعية - في توجيه

للإسلام حصة بارزة - لا تزال - في كل كتاب حديث يصدر من المطابع الأوربية أو الأمريكية عن القارة الإفريقية . وقد تنوعت موضوعات هذه الكتب على الزمن وتنوعت معها وجهة البحث في المسائل الإسلامية .

ففي الفترة الأولى منذ ابتداء العناية بهذه القارة قبل نحو العشر سنوات العشر كانت الموضوعات كلها - أو أكثرها - متجهة إلى الإحصاء وجمع المعلومات العامة عن السكان وموارد الرزق ونباتات الثروة وتقسيمات المواقع وتسجيل الظواهر الجغرافية والاستعمارية ، وكأنها كل المؤلفون يفكرون في الناحية التي يستفيد منها المسيطرون من الخارج وهم يديرون حكومات البلاد أو يكون أدمة الحكم ووسائل السيطرة والاستغلال فيها .

فلما هزرت في الأذهان فكرة الاستقلال الوطني أصبحت إرادة الإفريقيين - من حاكين ومحكومين - هي الناحية التي توجه إليها أنظار

بما قد هو إليه من الدقة وما تشتمل عليه من الكهنوتية المعقدة والاعتراف بالفوارق الكثيرة فضلا عن الارتباط بين وجودها ووجود الطبقات الحاكمة والعلم بأنها تكون في موضعها صحيحة مألوفة كلما تسربت بسرها الفضايف الذي لا يضيق حتى يشبه كسوة الشغل في المصنع ، وهي على هذا — تصر على التثبت ببعض القيم التي احتواها النظام الاجتماعي القديم بروابطه العائنية وشعائره المتبعة وإجراءاته القضائية وسائر فنونه التي لا يعمل عليها ويكاد الرجل الأبيض نفسه ألا يرتفع إلى أوجها .

يقول المؤلف ذلك في الصفحة (٤٣٦) من الجلد الثاني ، ولكنه يقرر في الصفحة (٢٧٦) من الجلد نفسه كلاما ينقض هذا الكلام في الحواء إذ يقول : إنه على قيصر الحالة بالنسبة إلى المسيحية يشاهد أن الإسلام كان له أثر ضعيف في الوطنية الإفريقية وهو مع ضعفه الشديد سلبى لا إيجاب فيه ؛ لأن المثال المميز للحكومة الإسلامية ، كما يقول جورج كاربتر إنما هو مثال الحكم الشخصي المطلق مسقدا إلى ولاء الجماهير قائما على قواعد الدين ، وعلى الخوف والرهبة ، وسلطان الحكم العسكري ، ولا ملامة بين هذا المثال وبين تركيب النظام الإداري المتشايك وتعدد الكفايات الفنية التي تتطلبها

دفة الحكم واتخاذ السند الموافق للأنظمة الإدارية أو الدستورية التي يختارها الإفريقيون حينما توقف الأمر على تقاليد المسلمين أو قواعد الإسلام كما يفهمونها هناك .

ففي كتاب إفريقيا الاستوائية ، وهو كتاب ضخيم في مجلدين تزيد صفحاتهما على مائة وألف صفحة - يقول الأستاذ جورج كبل Kimble رئيس قسم الجغرافية بجامعة أنديانا - إنه من المشكوك فيه أن تكون الأطلمة الغربية القائمة على النفاذ والجد ، ملائمة لمطالب الثقافة في بيئة يغلب فيها أن يكون السبق للباكر لا للسريع ، والفوز في المعركة للحصيف في العمل لا للقوى في الخلق ، حيث لا معنى لكلمة الفساد والرشوة لأن كل خدمة تعطى تقبها فائدة تؤخذ ، ويسود الشك على الصوم في جدوى المطابقة بين النظم المحلية والنظم الغربية ، ولا يخلو مكان من فكرة الحيدة بين السكتتين الغربية والشرقية ، إذ يعتقدون أن الأمة يستحيل أن تحكم نفسها إذا هي كانت متعلقة بأخلاق الأمم الأخرى ولغاتها وحقائدها ، ولا يقتصر النفور هنا على كرامة السير على المنهج الغربي ، بل يمتد إلى وجوب البحث عن منهاج آخر أو فني للعقل الإفريقي والظروف الأفريقية ، مع تفضيل الإسلام - لتسليمه بمواطن الضعف الإنساني وإغضائه عن فوارق الألوان - على المسيحية

عن أواسط إفريقيا أن انتشار الإسلام بين الإفريقيين - إذا رجعت أسبابه جميعا - إنما هو نتيجة لا محيد عنها لانتشار حضارة إنسانية ممتازة لم تكن في العالم حضارة تضارعها أو تهوي على مغالبتها وأن وصول الإسلام إلى القارة الإفريقية كان ملازما لوصوله إلى القارة الأوربية نفسها وامتداده إلى الأقطار البعيدة من القارة الآسيوية وقد كان امتياز حضارته سببا كافيا لسيادته على العالم المعمر والعالم المجهول الذي يصل إليه العربي المطبوع على الترحل والسياسة، يعينه على مطاوعة هذه النزعة أنه اقتبس كل ما يقتبس من اليونان والأمم القديمة من علوم الجغرافية والفلك وزاد عليها حب الكشف الذي سرى إلى جميع المسلمين مع سريان الشوق إلى زيارة مكة ومعاهد الإسلام الأولى. وبينما كان الأوربيون يعولون على السحر كان أطباء العرب يمحرون عمليات الجراحة الصعبة ويحسنون الانتفاع بكثير من العقاقير ولا تزال طرق العلاج عندهم مما يستفيد منه الأطباء في علاج بعض الأمراض إلى هذه الأيام. ...

ومثل هذه الحضارة لا سبيل إلى حصرها في بقعة محدودة من العالم مع إقدام العربي على احتمال الجهد والخطر ورغبته في الرحلة والارتياح. فانتشار الإسلام إنما هو في

الأعمال المتنوعة في الأمم العصرية، إذ ليس في وسع هذا المثال أن يخلق ولاء للوطن يرتفع به فوق منازعات العقيدة والأفكار المختلفة، ولا أن يبيئ الجمال لقضاء الزعماء المنتظرين وضمان الأمان للأكفاء من الموظفين. .

\*\*\*

ويرد هذا البحث في كتاب ضخم آخر عن شبه جزيرة سيرايلون، يقع في أكثر من سبعمائة صفحة ويقول مؤلفه كريستفور فايف Cristopher Pyfe في متفرقاته : « إن تعاليم البحوث التبشيرية المسيحية على خلاف تعاليم الإسلام - تهدم الاستقلال الذاتي في الإفريقي وتعطل تصرفه المطبوع والحل الذي يقترحه بلايدن Blyden هو إقامة جامعة خاصة بإفريقية الغربية تسند فيها وظائف التعليم إلى إفريقيين من نصفي الكرة ومعههم إفريقيون مسلمون من داخل القارة لتثنية الطلاب على سليقتهم والابتعاد بهم عن محاكاة المثل الغربية. .

\*\*\*

أما البحوث التي تعرض لتفسير معنى انتشار الإسلام في القارة الإفريقية باعتباره حركة من حركات الأمم في التاريخ العالمي فهذه أمثلة منها :

يرى باتين Batten في سلسلة كتبه ،

جنوب الصحراء ممالك من أعظم الدول التي  
كل للإسلام هناك شأن في إنعاشها .

وكأنما ابتدأت مرحلة الامتداد إلى داخل  
القارة الإفريقية في تقدير المؤلفين ، بعد  
انتهاء مرحلة الاستقرار في شمال إفريقيا  
وجنوب أوروبا ، على أثر انحلال الدول  
الإسلامية القوية في كلتا القارتين .

• • •

ويتخطى جاك بولن Bulin مراحل  
الماضى في كتابه عن دور العرب في إفريقيا،  
ليسأل عن دور الإسلام في المستقبل القريب  
بين القوى التي يمكن أن تعمل في توجيه  
القارة ، وهي قوة التبشير وقوة السياسة  
الدولية وقوة الوطنية غير الإسلامية .

ويقول المؤلف — وهو صهيوني فرنسي —  
يعرف العربية والانجليزية — إن الكنائس  
تتخاضى عن الإسلام ولا تشتد في مقاومته  
لأنها لا تنزله منزلة العدو الأول مع ما تحذره  
من خطر الشيوعية ، ولهذا لم تعقب صحيفة  
الفاتيكان بشيء على البيان الصريح الذي أعلن  
فيه شيخ الأزهر في مستهل سنة ١٩٦١ م  
وجوب محاربة البعثات التبشيرية لأنها أداة  
من أخطر أدوات الاستعمار ، ولا يلوح من  
مسلك الوطنيين الإفريقيين غير المسلمين أن  
الدول الغربية التي كانت تستعمر بلادهم  
ستلحق منهم عوناً في السياسة التي قد تدبها  
( البقية على صفحة ٣٥٢ )

حقيقته انتشار حضارة جديدة بالانتشار  
وهو حركة من حركات التوسع الأعمى تبعها  
دواعي النشاط التي تمهدا المعرفة وتشعدها  
المقيدة التي تسود الدنيا لأنها لا تبالي أن  
تتحمها ولا تكترث لفرافها .

• • •

ومن أحدث المؤلفات عن إفريقية تاريخ  
موجز للقارة ألّفه كاتبان لها خبرة حسنة  
بالشرق من طريق الدراسة ومن طريق  
السياحة والمعايشة ، وهما رولاند أوليفر  
وجون فاج Fage وهما ي فصلان بين دور  
الفتح الإسلامي ودور التغلغل الإسلامي إلى  
بجاءل القارة الإفريقية ، فإن الإسلام لم يسلك  
طريقه إلى ما وراء الصحراء إلا بعد زوال  
دولته الكبرى في المغرب ، ولكن الشعوب  
الإفريقية إلى الشمال لم تكن لتجتاز الصحراء  
التي لم تجاوزها قبل ذلك لولا دفعة من الحضارة  
يعززها إيمان العقيدة ... وإن الفترة بين  
سنتي ( ٨٠٠ و ١٣٠٠ ميلادية ) هي الفترة  
التي ازدهرت فيها حضارة الإسلام لم تشمل  
حضارة أخرى على مثل ما اشتملت عليه  
من ثمرات الفكر والفن والعلم والسياسة ،  
وهي كذلك فترة نمت فيها دول من أهم دول  
القارة الإفريقية ، إذ قامت شعوب البربر  
بدور تاريخي كبير في العالم الغربي والبلاد  
الآسيوية القريبة ، وتامت من خلفها إلى

## مَحْنًا مِنْ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

### إلى التي شرب عقلها الشراب

الأستاذ على الجندي

إلى التي شرب عقلها الشراب

كانت حصاناً رزاناً تبدو في حلتها الشوكاء البيضاء كأنها ملك  
كريم !! حتى إذا رشت رشفات من دُمِّ أم الحبائث ، صلب  
وجهاً الحبي ، واطلق لسانها بالقول البسدي ، وجعلت تلتفت  
يميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً كمن يرقب إنساناً أو يبحث عن  
إنسان ، وسط صحكات ماجنة ترن رفين الكشوش التي بين يديها !

ماذا بقيت من الشراب يا ذين أتراب الشباب  
قد كنت كالمالك الكريم يضيء في بيض الثياب  
ففتوت شيطاناً رجيساً ، كل ما فيه يصاب

\*\*\*

هناك ، والحن البديع — على وداعية — يهاب  
حتى إذا لعب الشراب بمعطف الورد الكعاب  
وتبخر الخضر الرقيق ، وكنت منه في يقاب  
وزها بخمديك التماس ، والسلاف لها التهاب  
وهذيت والمخمور كالمسموم مسلوب الصواب  
وأدرت عيناً في المضمور كأنها عين العقاب

براقه اللحظات كالمسدى سل من القرباب  
تفرى بك النهم الدنسى كأنه بعض الذباب  
قلنا - ولم - صدورنا غضب ، وغيط ، واكتئاب  
ويح الجبال هوى من الأوج الرفيع إلى التراب  
لن الشراب ، فإنه أصل الخنى ! لن الشراب

• • •

يا بنت مصباح السبا ، سنا ، ويا أخت الشهاب  
يا توم الرمر النضسير ، وصو أرياق السحاب (١)  
يا وبة العبق الشسلى ، كأنه ويا الملاب  
يا من لها صوت المزار على الأفانين الرطاب  
و أم الحباث ، - طبت نفسا - تفرس الأسد الصعاب  
ما الفان بالظبي الأغن الأليف ، المعن ، الإهاب  
ما يعصم الغيد الفرا ، عز ، والحبا عني عاب (٢)  
قال الحكيم ، ولم يكن ما قال بالقول الكذاب (٣)  
نصف النساء - إذا رقصن - هوى إلى درك الخراب  
وإذا شربن فنصفهن يروح نهباً للذئاب

(١) أرياق : جمع ريق ، ولأراه به ماء المطر من التنبيه

(٢) يقول بعض حكماء العرب - وهو العليم ببيته - : إن نصف النساء يقطع في الرقص ، والنصف

الآخر يقطع ل القرباب .

## خواطِر عانس

للشاعر محمد أحمد العرب

ربما يأتي .. إذا صليت في جنح المساء  
أو إذا أشعلت في ليل الخزانى ضوء شمع  
ليدق الباب دقات رقيقات الصدى  
وجدارى السام الظلمآن كم يهفو إليه  
عندى الباكي . إناؤه الزهر . أحلامى وظلى  
تطر الليل نسيباً من حنين .. وحنان  
مثل ما بالحن من شوق إلى بوح الوتر  
من لحث الشوق للشاطئ . في ليل البحار  
تزرع الفجر على دروب جراسى . لا أراه  
ألف غصن يحرق الجذب براعم صباها  
أحزن اللاشئ .. أمتص عذاباً حيرى  
مثل في طير واسف في القيد مجروح الأنين  
تحت كرم هارب خلف متاهات الفضاء  
وهو يدعونى إلى دنيا انطلاقات غريبة  
أدعى تدعوك من خلف الضباب المعتم  
كن كما شئت إذا أقبلت .. صليداً أو سحياً  
باحثاً عنى .. عن الكرم الذى أوشك يذبل  
فأنا ما زلت أشتاق سؤالاً عن وجودى  
فأنا أتى عشقت الحب لكنى حرمت  
وأنا ليلي رياح . وجراح . ونواح  
يملا الأفق حوالها أغاريداً وشعراً  
فوق حلم هارب الأطياف يمتص شذاها  
كم زوعت الغيب والجهول بحثاً عن قتايا

ربما يأتي .. إذا صليت في جنح المساء  
ربما يأتي إذا رجرجت في عيني دمنة  
ربما ينسل من خلف مجاهيل المسدى  
آه .. كم يشتاق بأنى قرات من يديه  
كل ما في البيت مشدود الزايعين يصل  
حزمة من أغنيات الشوق في صدر اليبان  
مثل ما بالزمل من توق إلى سيب المطر  
مثل ما بالزورق المروح من حب القرار  
في إليه .. غير أنى لا أرى يوماً خطاه  
خلف بابى .. ألف حلم يمتنى الوهم صداها  
وسريرى . كم على صدر سريرى بتعبرى  
أمتنع الآهات في صمت خمر لا يبين  
أتمنى في ظلال الصمت أطياف نساء  
أرتنى تحت خطاه طفلة الشوق سلبية  
فارسي الموهود . يا حلى . وبالجري الظمى  
أدعى المطلوبة العذراء تدعوك فيها  
الذى اشتاقه أن تطرق الباب . وتدخل  
آه كم أهد أن تسأل عنى من شرودى  
لا تدعى أقطع العمر سؤالاً ما سئلت  
فارسي : ليلي رقيقات مراح وصداها  
كل سوسانة حفل صادفت في الحفل طيرا  
وشبابى وردة عذراء . نامت مفتاحها  
كم على صدر ظنوني البيض تقلت خطايا

قصة مجنونة الأشواق ترجح بقلبي  
يزرع النجاة في صيني . وفي ليلى الوحيد  
وعلى أهدابه لوني . وإيمامة ذوق  
وحنيئكم مشى في التيه يستجدي حنينه  
فارعا كالسرو . عشوقا . وسيا . كإله  
وغدير فوق شطيه تصلي الأغنيات  
يتراءى فيه عصفوران في رعدة صحت  
لا . ولا شالك ستارى كفه عبر المساء  
وبقايا وردة في حجرتى ماتت وحيدة  
ربما صادفت فيه فارسا . شهما نبيلا  
ليدق الباب . . دقات رقيقات الصدى

محمد اسعد العزب

كم تراءى لي رواء الليل . . . أسطورة حب  
عاشقا بفنسل كالأعصار يحتاج جليدي  
فارسا يأتى وفي عينيه إطلالة شوق  
كم تراءى لي . وكما قبأت في الصمت جبينه  
وبعين اليأس والحرمات . في ليلى أراه  
مقلناه خيمتا سحر . . ونجا ذكريات  
وعلى كفيه عش مثلاً أشتاق يبقى  
ويدق الصبح شبا كي . ولا الفارس جاء  
الفراخ الجهم من حول . وأحلام الشهيدة  
غير أنى خفف قنصاني سأدعوه طويلا  
ربما بفنسل من خلف مجاهيل الصدى

( بقية المنشور على صفحة ٢٤٨ )

يجمعون عن الجواب النافع إذا قابلوا بين  
العدة التي استمد بها الإسلام أمس للإيفال  
في قلب القارة الإفريقية وبين عدته التي قد  
يستعد بها اليوم للثبات والمزيد من التقدم ،  
ولا يبدو على أكثرهم أنه ينتظر من القارىء  
جواباً إلى الإيجاب إذا سألوا عن القوة  
السكامة في المسلمين ؛ هل هي كفو لرسالتها  
الجديدة في القارة الإفريقية ؟ ١٩٤٢

عباسي محمود العقاد

لمقاومة الإسلام ، فلم يأت المستقبل بلهاً  
جديد عن علاقات الوطنيين الإفريقيين بهذه  
القوى المتعاقبة فهناك دور هام للعرب أو  
للإسلام في القارة الإفريقية يحسب له حسابه  
الكبير في توجيه مستقبلها القريب .

وهذا جواب معلق على سؤال المؤلف  
عن المصير ، ولكنه يخرج بمجوابه المعلق  
من تردد الشك والإيهام إلى بعض الوضوح  
حين يشير تلك الإشارة إلى النور الإسلامي  
المحتمل ؛ لأن الفريق الأكبر من الباحثين



# الكتب

نظرات في كتاب :

## فلسفة تاريخ محمد

للأستاذ محمد جميل بيهم

بفهم : الأستاذ محمود الشراوي

قرأت له في الأسابيع الأخيرة كتابين ،  
تفضل فأهداهما إلي ، هما : « أسرار ما وراء  
الستار : الإجماع السوفييتي والصين الشعبية  
كأنك تراهما » ، وهي دراسة مفصلة قام بها  
لهذين الجمهوريتين بعد دعوة رسمية له منهما .  
والكتاب الثاني : « فلسفة تاريخ محمد »  
وهو الذي أكتب هذه الكلمة عنه وعن آراء  
فيه ذات قيمة وملاحظات لها خطر ووزن :  
أول ما نجد للؤلف منهجه الذي رسمه  
لنفسه في تأليف الكتاب وتناول موضوعه  
يقول في رسم هذا المنهج إن كتابه هذا :  
« دراسات عليية وتاريخية في السواحي  
السياسية والاقتصادية والاجتماعية حول  
الظروف العالمية والأحداث التي تقدمت عهد  
النبي أو عاصرته » سواء أكان ذلك في جزيرة

مؤلف هذا الكتاب ، الأستاذ محمد جميل  
بيهم - لبنان - له في حياتنا الثقافية مكانة  
مرموقة ، وله في الدراسات التاريخية  
والإسلامية مباحث وآراء ذات قيمة ، صدر  
له خمسة عشر كتاباً في السنين الأربعين  
الأخيرة عن المرأة في التاريخ والشرائع ،  
وفلسفة التاريخ العثماني والانتدابيات في  
فلسطين وسوريا ، وقوافل العروبة ومواكبها  
خلال العصور - جزآن - والعروبة  
والشعوبيات الحديثة ، والعرب والترك في  
الصراع بين الشرق والغرب ، وله دراسة  
موجهة في موقف الشرق العربي من أحداث  
العالم الكبرى الحاضرة هي : « واشنطن تعبد  
الطريق لموسكو في بلاد العرب والمسلمين »  
وغير هذا من الكتب والدراسات .

يقول الأستاذ بهم في ذلك : « ونحن وإن كنا لا نعبأ بالتفاوت سواء أتت من الغرب أم من الشرق ونعتبرها مأجورة لهذا أو لذلك إلا أن أمراً واحداً آثار اهتمامنا ... وهو استمرار بعض المؤلفين الأجانب على النيل من محمد استناداً إلى الصورة المزوقة التي وضعها له بعض أصحاب السير على شكل لا يتفق مع صورته الحقيقية .

إن هذا الأمر كان حافزاً لي على تأليف هذا الكتاب الذي أتوخى فيه وضع سيرة نبينا على حقيقتها البشرية دون زيادة أو نقصان ، بغية ألا يبقى ل هؤلاء الأجانب مبرر للنيل منه استناداً إلى صورته المهيئة بالخوارق ص ٦

والأستاذ المؤلف يعتمد طبعاً ويستشهد بآيات القرآن الكريم والحديث الصحيح - كما فعل غيره من كتاب السيرة - غير أنه

يزيد عليهم ، وينفرد عن أكثرهم بأنه يضع «سيرة الرسول بأسلوب يعتمد على التواميس الطبيعية التي تربط الأسباب بالمسببات ، وترتب النتائج على المقدمات ... ولأن محمداً ،

ذلك الكائن العظيم الذي أصاب ما أصاب من نجاح ، إنما يعود نجاح رسالته إلى أسباب متصلة بالتواميس الطبيعية ، كما يعود إلى صلاح هذه الرسالة ومجيئها في الوقت المناسب ،

- ص ٦ -

العرب أم في غيرها من أنحاء العالم ، تلك الظروف والأحداث التي مهدت لرسالته ، وأمنت نجاحها بمقتضى التواميس الطبيعية .

وهذه السطور القليلة في رسم المنهج تدلنا على قيمة الكتاب وإدراك الحاجة إليه بعد أن رأينا ، وما زال نرى في بعض البلاد ، من تلك الكتب الكثيرة في «السيرة النبوية» التي ملأها أصحابها بالقصص والأساطير والإسرائيليات والأحاديث الموضوعة ، تلك الكتب التي لا تكتب : «سيرة النبي محمد ، أو : «محمد الإنسان ، وإنما تروى ، «مأثورات ، عن أشياء يرضى عنها «إيمان الصالحين» ، كتلك التي نجدناها عند القاضي عياض وأمثاله ، ولكن العصر وثقافته لم يعودا يميلانها ولا يتأثران بها ، وقد نتج أثراً عكسياً .

وهذا بعض الأسباب لاهتمامي بهذا الكتاب وإثاري إياه بالنقد .

• • •

منهج الكتاب هذا جعل المؤلف يدرك وفيه القارىء إلى الخطأ الذي يوجد في تلك المبالغات الكاذبة من جعل المعجزات والخوارق الساموية هي عمدة السيرة النبوية وقوامها وأساسها .

## المعجزات والخوارق :

يقول الأستاذ بهم : « وقد اقتبس بعض المسلمين طريقة التزييق في عرض سيرة الرسول حينما تناول الأعاجم منهم تدوين التاريخ : ذلك بأن فريقا من هؤلاء كانوا يشتهون أن لا تنق سيرة النبي مجردة عن الخوارق والمعجزات التي تحفل بها سير أُنبيائهم في أديانهم السابقة ، فراحوا ينسبون لمحمد معجزات لم يرد ذكرها في القرآن ، ولم يشر إليها الحديث . وعلى ما روى كتاب : « مفيد العلوم ومبيد المعلوم ص ٢٦ ، فإن معجزات الرسول بلغ عددها ٤٠٥٠ معجزة جمعت في مجلدين . ولما وصعوا سيرة مولد النبي استنسخ بعض الفرس الذين أسلموا أن يزوجوا فيها تلك الخرافات التي كانت تحفل بها سيرة نبيهم السابق زرا دشت . لجأت قصة المولد على شكل ملي\* بالخوارق التي لا تتفق مع مصادر الإسلام وملي\* بما لا يلائم مع عظمة محمد ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥

فالاستاذ المؤلف يجعل حياة النبي محمد - في جملتها - حياة طبيعية خالية من المعجزات والخوارق - صدى القرآن المنزل طبعا - ويجعل انتشار الدعوة المحمدية كذلك أمرا طبيعيا قائما على أسباب عادية من فساد الحكم

على هذا المنهج العلى الطبيعي البعيد عن التأثير بالعاطفة النخسية وعن الإيمان بالخوارق يسير المؤلف في دراسته فيحدث عن الأديان وتدرج الإيمان بها من الوثنية البدائية إلى التوحيد المطلق : « مله إبراهيم حنيفا ، . ويتحدث عن تلك الخصومات الحاقدة الشريرة التي جعلت كثيرين من الفريين يتناولون سيرة محمد بألوان من الإنفك والسخيمة ، كما فعل كيكون وبراديه وفوستر ورينان وجولد تسير ودروتي . ثم تحول كثيرين منهم إلى الحق والإنصاف وإكبار محمد النبي والإنسان كما فعل كارليل الإنجليزي وربلاند الهولندي وكاثيريه الفرنسى وجوته - شاعر ألمانيا الأكبر - وغيرهم من الإيطاليين والأمريكيين .

وفي هذه الدراسة وهذا التسجيل لا ينسى المؤلف دعوة الكتاب وأهل الأديان عامة إلى المحبة والتفاهم والأخوة البعيدة عن التعصب والسطط .

وكلمة التسامح والمحبة والفهم أعتقد أن الفاقرين المخلصين من رجال الفكر الدينى عليهم واجب الدعوة - بل الإلحاح في الدعوة لها - بين أصحاب المذاهب والفرق الإسلامية المختلفة وهذا حديث قدس وفيناه حقه في كتابنا « تقويم الفكر الدينى » .

ومؤازرة اليهود<sup>(١)</sup> - أول الأمر - الدعوة للإسلام ، وغزح أهل مكة المشركين من هجرة المسلمين للدينة خوف المنافسة الاقتصادية ، وخشية أن تتفوق المدينة على مكة في الميزة والمال والتجارة - ص ٩٤ - ٩٧ .

كما يذكر أسباباً اقتصادية أخرى لحرب النبي عليه السلام الروم - ص ١٢٧ وما بعدها

### قضايا هامة :

ويشير الأستاذ بهم في كتابه هذا طائفة من القضايا الهامة بعضها من التاريخ وبعضها من الأدب وبعضها من الدين : من ذلك قوله إن العرب في الجاهلية كل لم أدب وكانت لهم ثروة . ولم يكونوا أهل فقر وجهل ، كما يخيل لعامة الناس ، - على حد تعبيره - وإنما كل الفقر والجهل محصورين بين الأعراب من أهل البادية ، وليس ذلك صادقا على « أهل الحضارة في اليمن والشام والعراق ، ولا أهل المدن في الحجاز ، مكة والطائف ويثرب » ، ص ٤٢ .

وهي قضية فصلها المؤلف وأقام عليها من الأدلة ما يكفي لإثباتها ( الفصل الثالث ) .

(١) محمداً باحث هامة عن موقف اليهود من النبي محمد في كتاب « تاريخ اليهود في بلاد العرب للكثير من إسرائيل ولقنسون » لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

في الدولتين القويتين المعارضتين للدعوة : يزنطة وفارس ، وانصراف أهلها وحكامها للخصومة المذهبية والجدل البيزنطي المشهور . فليس في تاريخ محمد - على رأى المؤلف - خوارق ولا معجزات ، وليس في انتشار دعوته خوارق ولا معجزات - أنظر الفصل الرابع ، ص ٧٠ - ٩٧ - وأيضا الصفحات ١١٤ و ١٥١ .

ونحن نستطيع أن نقول : إن اختيار الزمن الذي ولد فيه محمد وبعث برسالة الإسلام في وقت ضعفت فيه الدولتان القويتان المعاصرتان : يزنطة وفارس هما مظهران من أبرز مظاهر العناية الإلهية وتوفيقها لنجاح الدعوة المحمدية ، ولو لم يكن معجزة بالمعنى العلى لها .

### أسباب اقتصادية :

ومن الآراء الهامة التي قد تكون جديدة في المؤلفات العربية عن سيرة النبي عليه السلام إبراز المؤلف للناحية الاقتصادية وأثرها في محاربة الدعوة المحمدية وانتشارها . فهو يذكر الأسباب الاقتصادية في موقف الخصومة التي اتخذته قريش حيال صاحب الدعوة

معروفة في تاريخ المسلمين ، وما يزال لها  
إلى الآن آثار .

ومن هذه القضايا ما « يستقده » المؤلف  
من أن « الصابئة » الذين ذكروهم القرآن  
الكريم كانوا فرقة من الفرق النصرانية عاصرت  
محمداً ، وكانت تحمل هذا الاسم ، وهذا  
الاعتقاد قد يكون صحيحا ، ولكن الاستدلال  
الذي ساقه المؤلف لصحته بما ذكره معجم  
لاروس الفرنسى عن كلمة : " Sadéisme " وما  
ذكره صاحب تفسير « الجلالين » من  
أنها « طائفة اليهود أو النصارى » : هذان  
الاستدلالات لا يكفيان ، في اعتقادي ،  
لصحة القضية ( ص ٢٨ - ٢٩ ) .

وكذلك يقول المؤلف إن « اليهود ما إن  
رأوا الإسلام بدأ ينتشر في يثرب حتى رحبوا  
به على اعتباره فرقا من اليهودية مفروضا  
أن يكون مؤيدا لهم على الوثنية فيها ، وحتى  
شجعوا ، بطرقهم الخاصة ، المسلمين من أهلها  
على إقناع محمد بأن ينتقل إلى يثرب ويهجر  
مكة » : ص ٩٤

وهاتان دعويان ساقها المؤلف بلا دليل ،  
ونحن نعرف أن الهجرة من مكة إلى المدينة  
كانت بوحى من الله . لا شأن لليهود ولا  
« تشجيعهم المسلمين » بها . ولا شأن  
« لإقناع » المسلمين للنبي بها أيضا .  
وعندما ذكر المؤلف « الصابئة » :

ومن هذه القضايا الهامة ما قاله المؤلف من  
أن أكاسرة الفرس أظهروا من الجفاء للنبي  
محمد ما هو معروف مشهور لاسيلا إلى الشك  
فيه . ولكن الجوس من أهل فارس وجدوا  
أنهم يلتقون ورسالة محمد « في صعيد واحد  
عند حامل مشعل الوحشانية الأول ،  
فلم يظهروا له جفاء دينيا مثلبا أظهر أكاسرتهم  
له من الجفاء السياسى ، إذ رأوه يحول جزيرة  
العرب إلى الإمبراطورية البيزنطية دونهم ،  
حتى إذا استغل الإسلام من بعد انحلال  
البيوسية ، وانحلال السلطة الفارسية وتمكن  
من استئصال دولة الأكاسرة ، أقبل الجوس  
عليه مسلمين » .

والشق الثانى من القضية - أى دخول  
الجوس فى الإسلام راضين غير كارهين  
وشعورهم « بالافتاء » مع رساله النبي محمد  
فى صعيد واحد - هذه الدعوى لم يقم عليها  
من المؤلف دليل وهى يمكن أن تكون  
مثار شك وجدل شديد ، فأين عبدة النار  
من يؤمنون بواحد قهار ؟ وأين إدلال الفرس  
بمجدهم وتاريخهم ، وإحاسهم الراسخ حيال  
الشعوب الأخرى وما رشح فى نفوسهم من  
الشموخ والتعالى عليهم - وبخاصة العرب -  
ذلك الشموخ الذى بقيت منه مخلفات راسخة  
عميقة بعد الإسلام أيضا ، كان لها آثار كبيرة

قديلة ، بعضها في اللغة وبعضها في رواية النصوص ونقها ، وكثير منها في الطباعة : فهو يكتب كلمة : « النمام » مثلاً الزمام : « حفظ العهد والصلح » ص ٤٢ و ٢٠٦

وكذلك يقول : الزود عن الحياض - ص ٦٢ وصحتها « الذود » وفي ص ٦٣ يقول : « ذبيبة الجارية » وهي « ذبيبة » وكذلك كلمة « مزدييه » يكتبها « مذريه » - ص : ٦٧ - وفي هذه الصفحة نفسها نجد كلمة « الزر » وهو يريد « النذر » ويضع الواو بعده بل « ص ١٤٦ - وهو خطأ فاش يقع فيه كثير من الكتاب . ويضع أيضا بعدها حرف الفاء - ص ٨٠ - وفي ص ١٣٧ نجد تعبيراً معناه في العامية هو : « لما عدا عما بدا .. الخ » كما نجد - في ص ٤٨ - تعبيراً غير مستقيم عربياً ، يدرك ذلك من يتأمل السطور : ١١ ١٧ من هذه الصفحة .

هذه أمثلة من الخطأ في الكلمات ، وفي الصياغة . وهناك أخطاء في نصوص القرآن الكريم ورواية الحديث الشريف ، هذا بعضها :

ص ٨٥ : الآية الكريمة : « وإن يسلمهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه » منه . كتبت الكلمة : « يستنفذوه » .

« ص ٢٩ و ١١٨ » أورد الآية الكريمة من سورة البقرة : ( إن الذين آمنوا والذين هادوا والتصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) : ٦٢ أورد المؤلف هذه الآية الكريمة ثم قال إنها وردت : « في مجال تطمين المؤمنين منهم عن المصير » - ص ٣٩ -

وهذه ، كما اعتقد ، إشارة إلى تفسير للآية لمج له الإمام محمد عبده <sup>(١)</sup> ولكن المفسرين والعلماء ورجال الفكر الديني عامة يشكرونه ويسخطون عليه أعنف السخط .

وكذلك ما ذكره الأستاذ عن النسخ في القرآن : ص ٢١٩ — ٢٢١ يحتاج ، من الناحية العلمية ، إلى تحرير ، كما يقول العلماء .

### ملاحظات ومآخذ:

الكتاب جيد الورق حسن الطباعة ، له غلاف ملون مرسوم برسوم عربية جميلة . ولكن هذا الرقيق لم يعف من أخطاء غير

(١) انظر : ص ٣٢٤ من تفسير الأستاذ الإمام للشيخ رشيد رضا الطائفة الثالثة : تفسير الآية ٦٢ البقرة . و ص ١٦١ - ١٦٤ من تفسير الشيخ الإمام لجره م : الأميرة ١٣٢٢ .

وكما نزل بها القرآن هي : « قلنا يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم » الأنبياء : ٦٩ . والآية ، كما رأينا ، في سورة الأنبياء . لاني سورتي الأنعام والصفات .

وفي الكتاب ملاحظات أرى من الخير ألا تمر من غير تعليق : من ذلك أنه أورد خطبة قس بن ساعدة المشهورة التي ألقاها في سوق عكاظ : « إن في السماء لحبراً ، وفي الأرض - وصحتها وإن في الأرض - لغيراً . الخ » ويقول المؤلف إن النبي عليه السلام « سمع هذه الخطبة قبل البعثة » ثم « جاءت عبارات منها في القرآن » ص ٥٠ .

ودعوى أن النبي عليه السلام سمع خطبة قس قد تكون صحيحة ، ولكنها تحتاج إلى دليل ، ولكن المؤلف الكريم لم يدلنا على هذه «المبارات» التي جاءت في القرآن الكريم من هذه الخطبة .

ثم : هذه القصة التي أوردتها المؤلف ونسب فيها قس ما نسب من بشارة بنى جديد ، هذه القصة أجدها ما يبرر الشك فيها ، ولو أن المؤلف نقلها عن « السيرة النبوية » ولم يقل لنا في أي سيرة هي من السير - ص ٥٠ أيضاً - .

وأورد المؤلف - ص ١٦٦ و ٢٢٢ - قصة وفد ثقيف ودخوله الإسلام ، وأنهم

ص : ١٠٢ الآية الكريمة : « وأنذر عشيرتَكِ الْأَقْرَبِينَ ، كُتِبَتْ الْكَلِمَةُ » . وانظر ص : ١٤٣ الآية : « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » كُتِبَتْ : « فقد » . وفي رواية الحديث أخطاء ، منها الحديث المشهور : « إعمل لدينك كما أنك تعيش أبداً ، وإعمل لآخرتك كما أنك تموت غداً » وردت كلمة : « أحرث » بدلا من : « إعمل » ص ٢٣٧ والحديث الشريف : « والله ما نالت من قريش شيء » أكرمه حق مات أبو طالب ، والخطأ في كلمة « شيء » واضح - ص ١٠٧ وفي كتاب النبي عليه السلام إلى قيصر الروم وردت كلمة « الأريسين » خطأ - ص ١٤٤ -

وهناك أمر لا أستطيع الجزم بأنه خطأ أو ليس ، فقد جاء في ص ٢٨ هذا التمييز : « وفي القرآن حوار - أي إبراهيم - مهم وكسره أصنامهم ، ومحاوتهم إحراقه ، فكانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم كما جاء في سورتي الأنعام والصفات » .

ووضع كلمات : « فكانت النار . الخ » وما بعدها بين قوسين بالحرف الأسود الكبير الذي يميزها عن سابقها ولاحقها ، وتمقيها بجملة : كما جاء في سورتي الأنعام والصفات ، يوم بأن ما بين القوسين هو نص الآية ، وليس الأمر كذلك ، فالآية كما نحفظها

إذا أسلوا<sup>(١)</sup> .

ومن هنا نعرف وجه الصواب فيما ذكره المؤلف من أن النبي عليه السلام : «أبي عليهم إلا أن يسلبوا دون قيد أو شرط» فإنه قبل بعض شروطهم وعلل ذلك ، عليه السلام ، بأنهم سيفعلون ما يجب على كل مسلم أن يفعله من بذل الزكاة والخروج للحرب ، إذا أسلوا وأشربوا حب الدين .

وقد تحدث المؤلف ، في الفصل العاشر ، عما ساء بالحظ أو القدر السعيد الذي رافق محمداً عليه السلام ، ثم ذكر - في ص ١٩٨ - ١٩٩ - قصة الغار والعنكبوت التي يعرفها قراء ، المولود النبوي ، وسامعوه ، ويقول بعد ذلك إن الحظ ، أو القدر ، إن شئت أن تقول ، هو الذي صرف المطاردين عن ملاحقة النبي وصاحبه ومنهم من دخول الغار .

وما دام الأستاذ المؤلف يؤمن بصدق هذه القصة عن الحمايتين والعنكبوت - على خلاف منهجه في الكتاب - فالأمر عندئذ أمر معجزة إلهية ، لا أمر حظ وقدر وتوفيق ومصادفة سعيدة .

وفي ص ١٧٥ نجد تعبيراً غامضاً التوفيق ،

شرطوا لإسلامهم بعض الشروط ، ثم يقول «ورغم ما يعرف من بأس ثقيف» ورغم ما يعلق على إسلامها من فوائد ، فإنه أبي عليهم إلا أن يسلبوا دون قيد ولا شرط» . وقصة إسلام ثقيف - كما سجلتها كتب السيرة والحديث - تختلف عن ذلك ، فقد ( قدم وقد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله المسجد ، ليكون أدق لقلوبهم ، فاشتروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ألا يحشروا<sup>(٢)</sup> ، ولا يشربوا<sup>(٣)</sup> ، ولا يجربوا<sup>(٤)</sup> ، ولا يستعمل عليهم غيرهم . فقال عليه السلام : إن لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم ، ثم قال عليه السلام : لا خير في دين لا ركوع فيه<sup>(٥)</sup> .

وروى أبو داود : ( عن وهب قال : سألت جابر عن شأن ثقيف إذ بايعت قال : اشترطت على النبي صلى الله عليه وسلم الأصدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يقول : سيصدقون ويجاهدون

(١) لا يجاهدوا ولا يحاربوا

(٢) لا يدفعوا عشر الزكاة .

(٣) لا يسلبوا .

(٤) مستند أحمد ، ج ٤ - ص ٢١٨ .

(١) أبو داود ، كتاب المراجع والإمارة والعهد ، باب : ما جاء في خبر الطائف .



## إشارات وتوجيهات :

وليس : « فلسفة تاريخ محمد » كتابا يتحدث عن التاريخ وفسمته في حياة محمد فقط ، بل يتضمن إلى ذلك إشارات ذات قيمة لحاضر المسلمين اليوم ، كهذه الإشارة إلى وحدة عربية قائمة على الألفة والتفاهم والمحبة والمنفعة - ص ١٦٠ - ويتضمن توجيهات مغلصة صادقة ، كذلك الحديث المؤثر المفيد من « الإخلاص » الذي قال فيه المؤلف : ( . . . بهذا الإيمان الصحيح الثابت المزمع عن الأغراض الدنيوية ، وبهذا الإخلاص في إبلاغ رسالته ، استطاع محمد أن ينقل إيمانه إلى قلوب المؤمنين ، وأن يدل كل عقبة كانت تعترض سير الإسلام وانتشاره ) ص ١٦٧ - وأيضا : ٢٤٧ .

وهذه دعوة نرجو أن يصفى إليها ويستوحيا ويعمل بها المسلمون اليوم ، وأن يتأملها ، على وجه خاص ، بعض المشتغلين بالفكر الديني اليوم بين المسلمين في بلادهم جميعا .

محمد الشرفاء

فهو يتحدث عن ثياب النبي عليه السلام ؛ وتواضعه في ملبسه ومأكله ومسكنه ، ثم يقول « أمايته فكان من البيوت الوضيعة » والسياق لا يدفع بجالا للشك في أنه يريد بالبيت « المسكن » ولكن التعبير - كما قلنا - خافه التوفيق . فهو يريد أن يقول إن النبي عليه السلام كان يسكن بيتا متواضعا .

وهناك خطأ في الشعر ، فالبيت المشهور - وهو للثقي - الذي يقول :

ورضع الندى في موضع السيف بالعلاء  
مضر ، كوضع السيف في موضع الندى  
هذا البيت وضعت فيه كلمة « العدا » بدلا من كلمة « بالعلاء » ص ١٦٨ .

\*\*\*

على أن هذه الملاحظات والمآخذ الهينة لم تنقص من قيمة هذا الكتاب الجيد الذي أفدت منه واستمتعت به وتعلت عليه أشياء كثيرة ، والذي أنصح المشتغلين بدراسة السيرة النبوية الكريمة ، والثقافة الإسلامية بعامة أن يطالعوه وأن يفيدوا منه مثل ما أفدت ويستمتعوا .

## لفت نظر ..

فأديا وإن كان أعظم مصلح ولم يعتمد على معجزات وخوارق كما اعتمد الأنبياء قبله ، وقد نسب الكاتب للأستاذ الإمام محمد عبده

يلاحظ القراء أن المؤلف - كما ذكر الكاتب الأستاذ محمود الشرفاء - جرى على اعتبار محمد صلى الله عليه وسلم مصلحا

بعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سيلا .  
أو لك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين  
عذابا مهينا .

أما الخوارق لحسبنا أن نشير إليها بقصة  
الإسراء ويقول الله : « وما كنت تتلو من قبله  
من كتاب ولا تحطه يمينك » ، وقوله « هو  
الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم  
آياته ويُرَكِّمهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » ،  
وإن كانوا من قبل لي ضلال مبين ، وقول  
الشاعر الحكيم العالم شوقي :

جاء النيون بالآيات فاصرمت  
وجتفتا بحكيم غير منصرم  
آياته كلما طال المدى جدد  
يزينهن بجلال الحق والقدم  
ويكفي الآن هذه الإشارة العابرة أو اللبحة  
الطائرة والسلام على من أتبع الهدى ؟

عبد الرحيم فوده

وأيا أنكره عليه العلماء في فهم قول الله :  
« إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل  
صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون » .

وقد عرض الكاتب بكتاب ( الشفاء )  
للقاضى عياض على ماله من قيمة عظيمة ،  
والمعروف الذى لا يحله عالم أن الإيمان بالله  
لا يفهم على معنى الإيمان بذاته لأن ذاته تعالى  
فوق أن يحدها الكشف والوصف ، ولأن  
متعلق الإيمان لا يكون إلا نسبة ، فالإيمان به  
معناه الإيمان بوجوده وقدرته وكتبه ورسله  
وكل ما ينسب إليه من صفات الكمال ، وما  
يصدر عنه من أقوال ، فعنى « من آمن بالله »  
بعبارة واضحة صريحة - من أسلم ودخل في  
دين الله بدليل قوله تعالى « إن الذين يكفرون  
بالله ورسله يريدون أن يفرقوا بين الله  
ورسله ويقولون ثؤمن ببعض ونكفر

### تعريف طريف للشعر

حلم الشاعر إغفاءة في صحوة الضمير ورقابة  
العقل ، فلا هو رؤيا ولا هو رؤية . هو نتيجة  
روحية سابقة لا تداء العقل ، وقضايا منطقية  
سابقة لقياس المنطق ، إدراك خالص للتصور  
والضمير في وقت واحد ، يكون فيه الشاعر  
وهو ذاهل في تأمله ، مستغرق في تخيله آمنا  
من الضلال بعيدا عن الخطأ . وكذلك القول  
في كل فن وفنان .

قرأت في كتاب « دراسة الشعر » لأدريان  
تلجر تعريفا للشعر أعجبني للأب اكسفايه  
يبتلى اليسوى وذلك قوله : « الشعر حلم يتجلى  
في بقطة العقل ، والمعنى الذى فهمته من هذا  
التعريف أن الشعر أو الفن على الجملة نشاط  
روحي يقسم بالفكر والمنطق . فالشاعر يحلم  
ولكنه يدرك ما يترأى له . . يحلم وعيناه  
مفتوحتان . وما يحلم به في بقطته ، يختلف  
في طبيعته وفي نتيجته عما يحلم به النائم في نومه .

دراسة في ديوان :  
**أيام من عُمري**  
 للشاعر : إبراهيم محمد نجا  
 بقلم الأستاذ محمد عبد النعم فغابى

— ١ —

من الأعماق ، ثم يتجلى في صورة فنية وإطار جميل ، ولكنه يصح خطراً على روح الشعر وجوهر الفن ، حين يأتي من الخارج لحسب فيصبح ضريبة مفروضة تجعل الفن أقرب ما يكون إلى مجموعة من القوائم والقوانين ، والتوجيهات والإرشادات ، مع أنه من البدهى أن الفن لا يعالج المشكلات ولكنه يصورها ، ولا يحلها وإنما يكتبني بالإيماء بها ومن البدهى أيضاً أن لغة الفن لغة رمزية ، لغة ترقص الباليه فكيف تريد من راقصة الباليه هذه أن تترك رقصتها الموحية ، لتقف خطيبة أمام الجماهير .

أسائل نفسي ، وقد انتهيت من قراءة هذا الديوان الجديد : أيام من عُمري ، للشاعر محمد إبراهيم نجا .

أولاً : ما الصلة الفكرية بين الشاعر ومجتمعه الجديد ؟ وبعبارة أخرى : ماذا يؤديه هذا الديوان من رسالة لتفكيرنا المعاصر ؟

ثانياً : ما الرسالة الفنية التي يدعو إليها هذا الديوان ؟

— ٢ —

رأى مقبول ، أميل إليه ونحن لانستطيع أن نحاسب الشاعر برأى تفرضه عليه ، وإنما يجب أولاً أن نطلى الشاعر حريته ، ونستمع إلى رأيه ، ثم نحاسبه وفق هذا الذي رآه ...

الالتزام ينبع من الأعماق ولا يفرض من الخارج ، هذا هو رأى الشاعر نجا في الموضوع ، وهو رأى له قيمته ، ونحن

وللإجابة على السؤال الأول نفرد إلى مذهب الالتزام في الشعر الذي يدعو إليه بعض النقاد في مجتمعنا لحاجتنا إلى بناء نهضتنا الجديدة على أسس روحية تتجمع في دعمها كل طاقات الروح والفن . ويرفضه آخرون لأن الفن يأتي الالتزام ويؤمن بالحرية والشاعر نجا رأى وسط في هذا الجانب كتبه في مقدمة الديوان ، قال إن الالتزام في الشعر لا بأس به حين ينبع

يدافع الشاعر عن الحرية والثورة ، وعن مبادئ الأحرار الثوار من العدالة وغيرها فيقول على لسان عصام مخاطباً أمه :

وتذكرى الأحرار من أبطالنا

وبهم حزنا بعد طول هوان  
حملوا على راحتهم أرواحهم  
وتسلحوا بالزم والإيمان  
وأثروا إلى الدنيا بأكرم ثروة  
هتفت صروح الظلم والظلمانيان  
عنوانها حرية وعدالة  
أكرم بما اتخذته من عنوان  
ويقول كذلك على لسان العليّ مخاطباً أم عصام :

هو من شباب عش أروع حقبة  
من عمره مع ثورة الأبطال  
لنا ندافع عن مبادئنا التي  
نبى بها حرية الأجيال  
أشخاصنا تفتى ويسعد بعدها

بخلوده الوطن العزيز الضال  
ومن هذا نسقين مدى التجارب بين  
الشاعر ومجتمعه الثائر ، وبين شعره والثورة في وطنه وعصره .

وفي مطلع الديوان قصيدة جديدة عنوانها « بين ربح وشجيرة » . في صدرها دعوة نبيلة إلى الحرية .. يقول الشاعر على لسان الربح مخاطب الشجيرة :

نحاسب شاعرنا بيزان نضع في إحدى كفتيه هذا الأصل الذي قرره الشاعر ، ونضع في الكفة الأخرى شعر الشاعر نفسه في ديوانه الذي تناقشه هنا .

إننا وإن كنا لا نعرف تاريخ نظم الشاعر قصائد الديوان ، لأنه لم يذكر في آخر كل قصيدة العلم الذي نظمت فيه ، كما يفعل كثير من الشعراء وإن كان هذا الديوان لا يحتوي كل شعر الشاعر ، لأنه لا يزال لديه مجموعات أخرى مخطوطة من شعره .. لكن الحكم من أجل ذلك لا يختلف في كثير ولا في قليل ؛ لأن الديوان قد طهر هذا العلم ، ونحن لا نعرض على الشاعر أن يكون ملتزماً ، بل قول ونحن تناقش هذا الديوان : إننا سوف ننظر بعين الاعتبار إلى مذهبك في الالتزام ، وإنه لا بأس به حين ينبع من الإحسان ، ثم يتجلى في صورة فنية وإطار جميل .

فيماذا شارك الشاعر نجما مجتمعه في تفكيره المعاصر ، الذي نستطيع أن نلخصه في الحرية والاشتراكية والقومية العربية ؟ .

للشاعر في آخر الديوان مسرحية شعرية وطنية ، عنوانها « في سبيل الوطن » ، سجل فيها بالحوار الشعرى قصة أم ضحت في سبيل الوطن بآبن لها ، ثم ضحت في سبيل هذه الغاية نفسها بآبن آخر كذلك . وفي هذه المسرحية

أنا أعلى منك شأنًا      هذه حياتى .. لفحة  
 أنا أسى منك قدرا      حبرى ووجد وانطلاق  
 هل يساوى العبد من عا      والحرية هى أساس كل دعوة من دعوات  
 ش مع الأيام حرا ؟      مجتمعا التأثير ؛ والشاعر إذا آمن بالحرية  
 والذى عاش اختيارا      فقد آمن بكل شيء وإذا دعا إلى الحرية  
 دونه من عاش قسرا      فقد دعا إلى الاشتراكية والقومية ، وإلى كل  
 ولقصيدة نزعها الفلسفية ، التى تأثر فيها      نبيل من الدعوات .  
 الشاعر بشعر المهجر عامة ، ويأيليا أبى ماضى      ومن الصور الشاعرة التى كتبها الشاعر  
 بصفة خاصة ، كما تأثر بذلك كله فى قصيدته      عن مجتمعه قصيدته « ليالى الحصاد » ، التى  
 الأخرى « وبقيت وحدى » التى تتطوى      صور فيها جمال هذه الليالى فى الريف تصويرا  
 على نفس النزعة ، والقصيدتان من أروع      رائعا نادرا ، وفيها يقول :  
 شعر الديوان .      يا عذارى الحقول يا منية الأثر  
 وإذا كان الجانب الرومانسى قد طغى على      واح رفقا بهذه الأصوات  
 الديوان ، فإنه لم يمح شخصية الشاعر وتفكيره      ويريد الشاعر أعواد القمح وسنبله :  
 الموصول بتفكير مجتمعه ، وإن كان ما كتبه      إنها منبع الحياة لشعب  
 الشاعر فى ذلك الجانب قليلا من كثير .      ما تربى إلا على الأجداد  
 ويترأى إيمان الشاعر بالحرية فى كثير      قد غداها بروحه نيل مصر  
 من قصائده الوجدانية ، يقول من قصيدته      وسقتها روائح وضواى  
 « أحزان المساء » يصور أن سعادته فى أن      ورعتها الشمس المنيرة حتى  
 يحيا مليقا حرا :      هيأتها لمنجل الحصاد  
 لأننى أشتاق أن أحيا سعيدا      حبها أنها تمتد عروقا  
 أترك السجن وأجتاز القيودا      فى ترى مصر كعبة القصاد  
 وأرى عمرى وقد صار نشيدا      كل نبت وكل شيء عزيز  
 هاتما فى الكون يرتاد الوجودا      حين ينميه موطن الأجداد  
 ويقول الشاعر من قصيدته « عذراء »      يا عذارى الحقول أين غدا الر  
 يصور حبه للحرية ، للانطلاق :      روح بعد الغداء للأجساد

وهذراء ، وصلوات روح ، خاصة .  
والحب عميق الجذور في نفس الشاعر  
إبراهيم نجما ، ومن روائحه قصيدته « اذكرني »  
وصلة الحب الوثيقة بقلب الشاعر يؤكدها  
قوله من قصيدته « ضراعات » ...  
لولا الهوى ماتت الأشعار في خلدي  
ولم أكن لأذوق الحب لولاها  
ويقول من قصيدته « بلا أمل » يتحدث  
عن الحب وفلسفه :

وأحسسته نورا يماثل مهجتي  
وفلسفه في قلبي انسياب الجداول  
ولأن لاهوى الحب حق لو أنه  
يعذب قلبي بالشقاء المواصل  
عرفت به معنى الحياة وروحها  
وأدركت سر الكائنات الأوائل  
والطبيعة سحرها عند الرومانسيين عامة ،  
و « نجما » من بينهم ، فهو يكثر من  
الحديث عنها في كل قصائده ، يصور فيها  
الحقل ، والحيلة والزهرة والبحر والماء  
والموج والهواء وغيرها من مظاهر الطبيعة ،  
ويتحدث عن الربيع في قصيدة مفردة  
عنوانها « جاء الربيع » . وقصائده : ليالي  
الحصاد ، وعلى الشاطئ ، وسواها ، صور  
جميلة لشعر الطبيعة الذي ينبع من أعماق  
نفس الشاعر ، إذ تبرز مرآتي الطبيعة بنفسه  
ووجدانه وخياله امتزاجا قويا .

إن تقدمه تقدم مجدا  
وسناء وعزة للبلاد  
إنما الكون ساحة لمباري  
قوة الروح منه خير الجياد  
والقصيدة عالية النمط والأسلوب والتفكير  
وفها مشاركة ظاهرة بين الشاعر ومجتمعه ،  
وإن كان تعبيره بكمية القصد جاء مفعما على  
الصور الشعرية التي يؤديها الشاعر . .

— ٢ —

وللإجابة على السؤال الثاني وهو الرسالة  
الفنية التي يدعو إليها الديوان ، أقول :  
إن الشاعر نجما ، يؤمن بالاتجاه الرومانسي  
في الشعر ، هذا الاتجاه الذي دعيت إليه  
مدارس : شعراء المهجر ، وشعراء الديوان ،  
وشعراء مدرسة أبولو . ومن قبلهم دعا إليه  
الشاعر مطران . . وديوان « أيام من حمري » ،  
ملوه بقصائد الحنين والشوق والحب والهيام  
التي يفنى الشاعر فيها ، إذ تتأجج هذه العواطف  
النبيلة في صدره ووجدانه وخواطره  
ومشاعره في شتى قصائد الديوان . والتي  
يبدو فيها تأثر الشاعر إبراهيم نجما بالشاعر  
الكبير إبراهيم ناجي .

وكقرب اسمي الشعارين بعضهما من  
الآخر تقارب الاتجاه الشعري بينهما ، أو قل  
على الأصح : تأثر نجما . بناجي تأثرا واضحاً  
في شعره عامة ، وفي قصائده : أحزان الوجود ،

في بناء القصيدة ، كما فعل في قصيدته « قصة شريد » . والقصائد ذات القافية الواحدة قليلة في الديوان ، ومنها قصائد : ليالى الحصاد - بلا أمل - صارحيني - ضراعات - صلوات روح .

وفي شتى قصائد الديوان تحدث الشاعر عن نفسه وحياته وفلسفته في الحياة أحداث حائلة هامة رومانسية .

— ٤ —

وفي إجمال شديد أقول : إن رسالة الديوان الفنية تنحصر في أنه بنهج الفن دعوة قوية إلى بساطة التعبير وصدق ، وإلى صدق الشعور ، وإلى التجديد في بناء القصيدة العربية ، التجديد الذي لا يقتنى مع تقليد الشعر ، ولا تأباه أصوله وأسس الفنية .

إن إبراهيم نجا الشاعر قد وهب لغة الشعر طاقات جديدة ، ومنحها قوة وقدرة على إمكان متابعة الشعر للحياة وتأثيره فيها ، وتأثيرها به ، وذلك عمل كبير ، ورسالة جليلة ، نحمد من أجلها الشاعر وديوانه ، ونرجو لها التوفيق في نشر هذه الرسالة وإذاعتها بين الناس .

محمد عبد المنعم غفاني

ويؤمن « نجا » بضرورة تعبير الشاعر عن ذاته ، وتعبير الشعر عن نفس صاحبه لإيمانه ببساطه الأداء وصدق التعبير .. ومن ثم يؤكد في مقدمته لديوانه أن الشعر يجب أن يكون صادق الشعور ، صادق التعبير .

ولغة إبراهيم نجا الشعرية لغة رقيقة عذبة يؤدي بها أضخم المعاني وأبسطها على السواء ويجعلك وأنت تقرأها تؤمن بجمال البساطة في الأسلوب والتعبير والأداء .

ويلتزم نجا الوزن الشعري في قصيدته ، وإن كان يجيز تعدد البحور في القصيدة ، كما فعل في قصيدته الوجدانية الرائعة « رسائل ضائعة » ، إذ نظم مقطعها الأول والثاني من بحر الطويل ، ومقطعها الثالث من بحر المتقارب . والقصيدة مع كلاسيكيتها في الأسلوب ورومانسية الصور والأخيلة والمعاني الشعرية . وكذلك عدد الشاعر البحر الشعري في مسرحيته الأخيرة ..

أما القافية فالشاعر في أغلب قصائده ينوع فيها ، فيجعل قصيدته على نمط الرباعيات أحيانا كثيرة ، وقد يجعلها حماسية المقامع أو سدسيتها أو ثمانية ، ولكل مقطع منها قافية خاصة ، وقد تختلف أبيات كل مقطع عن الآخر ، وقد يسلك نهج الموشحات

# بريد المجلة

الماتى يكتب عن الإسلام :

نشرت مجلة الأدب والحقيقة التي تصدر في فرايبرج بألمانيا مقالات تحت عنوان (إسلام والتيارات العالمية، للمستشرق (أرنست باثير) والمستشرق ليس غربيا عن الإسلام ، فلقد دار الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت وقد تفضل فضيلة الإمام الأكبر وأهدى إليه كتابه المشهور (الإسلام عقيدة وشريعة) . والمستشرق له كتاب الإسلام اليوم وغدا، ونشرت له المجلات الألمانية عدة مقالات عن الإسلام .

وألقى ثلاثين محاضرة عن الإسلام في جامعات فيينا ، كما ترجم حياة فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت من العربية إلى الإنجليزية ، وله كتب أخرى عن الإسلام ، وهو مشغول الآن بمعالجة كتاب منهاج العابدين . والمرجع الأول له في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) .

ولقد تناول في مقاله السالف عصر النهضة الروحية التي قادها الشيخ جمال الدين الأفغاني وحمل لواءها الشيخ محمد عبده ، وكيف تكونت مدرسة لها قيمتها يقودها اليوم الإمام الأكبر فضيلة الشيخ محمود شلتوت .

وتسلك عن الإيمان باقه وملائكتهم وكتبه ورسله واليوم الآخر والجن والإنسان ورسائله في الحياة طبقا لما يقول أهل السنة . وتسلك عن أركان الإسلام والنهضات الدينية التي قامت في بلاد الإسلام ، وأشاد بالزكاة وقيمتها في الحياة الاجتماعية وأنها طريق وسط بين إلغاء الملكية وطفيان الرأسمالية . ورأيه في القومية العربية أنها تخالف القوميات الأوربية وأنه لا يمكن البعد بها عن التراث الروحي للأمة العربية .

ثم تسلك عن الاشتراكية العربية كما وضع أصولها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . وفي نهاية مقاله تحدث عن حيلة المسلمين القوية بدينهم ، وأعجب بالروح الدينية العالية التي تسود بلاد الجمهورية العربية المتحدة وروح التسامح العظيمة التي تظهر في تبادل الزيارات بين رجال الإسلام والمسيحية .

والمقال مراجعته من الكتب العربية الحديثة لكبار الكتاب المسلمين وهو جهد يشكر عليه من قراء اللغة الألمانية فقد جعل همه إزالة كل الشبهات التي يقع فيها كل قارئ عن الإسلام في أوروبا .

عبد العزيز عبد المعطي عوف  
بإدارة الثقافة



### خطأ في قصيدة ( لا تكذبني )

جاء في قصيدة ( لا تكذبني ) للأستاذ الشاعر كامل الشناوي قوله :

ماذا أقول لأدمع

سفحتها أشواق إليك

ماذا أقول لأضلع

مزقتها خوفا عليك

والوزن في ( سفحتها ) لا يستقيم إلا إذا

حذفت الألف من الضمير ( ها ) فنقول

( سفحت ) فهل هذا يجوز ؟

د. عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

( المجلة ) حذف الألف من الضمير ( ها )

لا يجوز صرفا ولا عروضا ، وكان من الممكن أن يقول الأستاذ الشاعر مثلا .

ماذا أقول لأدمع

أهرقتها شوقا إليك

ماذا أقول لأضلع

مزقتها خوفا عليك

فيسلم من هذا الخطأ ويأرجح في الألفاظ

بين البيتين .

لفت نظر :

جاء في عدد شوال سنة ١٣٨١ هـ في مجلة

الأزهر في مقال الدكتور سعد الدين

الجزاوي صحيفة ١٢٢٠ من العمود الثاني

سطر ١٤ في معرض قصة المتخلفين الثلاثة قال :  
إنهم ربطوا أنفسهم في أعمدة المسجد  
والصحيح أنهم لم يربطوا أنفسهم ولم يربطهم  
أحد .

يقول أحد الثلاثة : فأما صاحبنا فاستكانوا  
وقعدوا في بيوتهم يكيان ، وأما أنا فكنت  
أشد القوم وأجدم فكنت أشهد الصلاة  
مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمني  
أحد ... إلخ حتى إذا مضت أربعون ليلة  
من الحنين إذا برسول رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يأتيني يقول - يا أمرك رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أن تعزل امرأتك .. إلخ ..  
قال ثم صليت صلاة الصبح صباح خمسين  
ليلة على ظهر بيت من بيوتنا .. إلخ .. وكان  
الفرج . أقول - ظهر من هذا أنهم لم يربطوا  
أنفسهم في أعمدة المسجد .

وأما الذي ربط نفسه في سارية المسجد  
فهو أبو لبابة حين بعث رسول الله صلى الله  
عليه وسلم إلى بني قريظة لينزلوا على حكم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه  
في ذلك فأشار بيده إلى حلقه أي أنه الذبح  
فقطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله  
ورسوله فخلف لا يذوق ذواقا حتى يموت  
أو يتوب الله عليه ، وانطلق إلى مسجد المدينة  
فربط نفسه في سارية منه فكك كذلك  
تسعة أيام حتى كاد يخر مغشيا عليه من الجهد

ولأن كل يشتمل على ذم الهوى مطلقاً، (ص ١٦٠) بل هو يقول في مقدمته التي ذكر فيها سبب تأليف الكتاب أنه نصيحة لمبتلى بالهوى قد أتى بها على أبلغ ترتيب (ص ١) والرجل قد جعل وسيلته في تناول موضوعه سرد الأحاديث والأخبار والأشعار ثم التعليق عليها، وأحياناً يكون الخبر وحده مغنياً عنه، باب من الشرح والتحليل ١.

فلا نستطيع أن نسلّم أن ابن الجوزي عالم لم يكن له منهج محدود، ولا نرى في سرد القصص والأخبار عيباً يشين الكتاب، بل هي مادة نافعة زدنا بها المؤلف ربما كانت أنفع من تناوله وبيانه، وهي طريقة متبعة في تأليف الأقدمين، وهي في حد ذاتها منهج معترف به.

ثم تأتي مسألة الإسرائيليات في الكتاب، أو الأخبار الواهية فيه على وجه العموم. فيرى الأستاذ أن ابن الجوزي حذا كتابه بقصر لا يعبأ بها الإسلام في قليل أو كثير، ويرى أنني لم أبين رأي الإسلام في هذا الفن الذي يحدث ارتباكاً في المفاهيم الإسلامية. والواضح لمن يقرأ الكتاب أنني تعقبت المؤلف في مواضع كثيرة؛ ألقت النظر إلى نبوها عن الحقيقة أو ومن قواها. ففي هامش ص ٢٢ عقت على مجموعة قصص خرافية مستبعداً لها ومتمنياً لو أن ابن الجوزي لم يكثر بها.

فلما أنزل الله توبته وأرادوا أن يحلوه من السارية خلف لا يحله منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حله، فظهر من هذا أن هذه واقعة غير تلك، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

### نقد محمد العربي الفقيه المصري

#### تعقيب على نقد:

في عند صفر من مجلة الأزهر تفضل الأستاذ محمد عبد الله السمان بنقد كتاب ذم الهوى، لابن الجوزي الذي قت بنشره. ومع أن الأستاذ كان حسن الظن بي حيث أطرى بعض عمل وقدره، فقد أحببت أن أجيب بإيجاز عن استفسارات وأرد على وجهات نظر أئامها الناقد.

قد رفض الأستاذ أن يكون الكتاب من كتب الفكر أو التوجيه الإسلامي بحجة أن ابن الجوزي لم يعتمد في كتابه على منهج محدود ولا مناقشة مدروسة بل اعتمد على سرد القصص إلخ.

ونحن لا نرى أن ابن الجوزي لم يعتمد على منهج محدود، بل هو حدد منهجه من بداية الأمر أو قسم كتابه خمسين باباً تناولت كل جوانب موضوعه، وهو ذم الهوى، الذي قال عنه في بداية الفصل الثاني: وكتابنا هذا لزم الهوى في شهوات الحس،

وهو ليس في مجال تشريع أو أحكام ، بل في مجال موضوع نفسى محتاج لكل المؤثرات ، وهو يضع هذا الخلد من التراث ليوزن بموازين العلم وليفحص على مناهجه ، أما أن تنسب على كل ما نستغربه أو نستبعد فمضى هذا إحراق كل الموسوعات الحافلة بأخبار الأقدمين وآثار العصور .

وهذا التراث كل مادة التصوف ووسيلة التربية النفسية في عصر المؤلف وقبلة . وأخيراً يرى الأستاذ أن المسلم المثقف لا يرى في الكتاب إلا صدمة لنفسه ومفهوم الإسلام عنده .

وهذا عجيب ، فالكتاب لم يتناول مفهوم الإسلام ولا هو من كتب العقيدة أو الشريعة ، وليس إلا رحلة خلال العصور تجمع تراثها في ناحية الهوى والعشق من زاوية الإيمان والطهر ، ونهايته فصل رائع في أدوية العشق فيها ذروة التحليل وأمانة الخبرة ، وفيه ألوان جديدة ورائعة من الأدب الإسلامى فإذا بصدم المسلم المثقف ، إلا أن يكون عنى بثقافة شيئاً آخر .

وأغلب الظن أن الأستاذ السلمان لم يمنح هذا الكتاب من وقته إلا لحظات قليلة ولعله قلب بعض صفحاته في نظرات عابرة جعلته لا يقين حقيقته ولا يدرك مرماه . ولالأستاذ شكرى وتقديرى ؟

مصطفى عبد الواسع

( البقية في صفحة ٣٨٤ )

ثم في هامش ص ٥٧ استبعاد الخبر ذكره عن عمر . وفي هامش ص ١٠٥ و ص ١٠٦ بيان لوضع حديثين ذكرهما ، بل إننى استنكرت ما يحكيه عن الإمام مالك وغيرهم من تشديدهم في مجالسة الأحداث ولو في ساحات العلم . وكذلك أخبار عن عمر ص ٩٨ ، وخبر منسوب إلى الرسول عن يوم الغيمياء ص ٥٠ . وغير ذلك مما قضيت أو استبعدته .

وقد ذكرت في المقدمة أن فكرة الإحاطة والجمع في موضوع الهوى استولت على ابن الجوزى فألهته في بعض الأحيان عن نقد ما يورده ولخص ما ذكره من أحاديث وأخبار . وضربت لذلك مثلاً بأخبار يحيى ابن أكثم التى رواها بدون تحفظ وذكرت رد ابن خلدون وقلت : فإكن ينتظر من ابن الجوزى أن ينزلق إلى رواية كل ما قيل ، والعجب أن الأستاذ السلمان ذكر في نقده مثلاً للإسرائيليات قصة عابد بنى إسرائيل الذى نظر إلى امرأة فقلع عينه .

مع أن ابن الجوزى علق على هذه القصة بقوله : إن قال قائل : هذا قد فعل معصية بقلع عين نفسه ، فكيف صارت طاعة يتوسل بها ؟ وأجاب : إذا صح النقل عنه حمل على أنه كان ذلك في شرعهم جائزاً ، أما في شرعنا فذلك حرام .

ثم إن ابن الجوزى في كتابه ينقل تراثاً بلغه وانتهى إليه ، فيه الحق وفيه الباطل ،

## فِي أَصَابِيرِ الْجَنَةِ الْفَتَوَى

بشراف عليه : **ابراهيم محمد الاصيل**

أصل المذهب عدم التعدد مطلقا فتندب صلاة الظهر مراعاة لذلك وطلباً لتبرئة الذمة ما أمكن .  
فإن كان التعدد لغير حاجة أو زائدة على الحاجة فالجمعة لمن سبق ، فإذا لم يعلم السابق وجبت صلاة الظهر على تفصيل طويل يكفيها هذا منه .

### السؤال :

في البلد مسجدان يصل في كل منهما الجمعة وعلم البلدة يوجب صلاة الظهر ؛ لأن الجمعة لمن سبق ولا يدري من السابق ، فما الحكم في مذهب الإمام الشافعي ؟  
فريد المتولى حلالة

### السؤال :

ما حكم تعدد الجماعات في وقت واحد في مسجد واحد ؟  
الشيخ محمد عثمان  
إدارة الدعوة والمؤتمرات بوزارة الأوقاف

### الجواب :

حكم التعدد وعدمه منوط بخوف الفتنة وعدمه ، فإذا خيف الفتنة كأن كان المسجد غير مطروق وله إمام راتب ولم يأذن الإمام الراتب في التعدد ، كان التعدد مكروها . قبل جماعة الإمام الراتب أو بعدها أو معها ، لما فيه من الإشعار بالطمع في الإمام الراتب وقد يؤدي إلى تعطيل جماعته ، فإذا تحققت الفتنة وأن القصد الكياد

### الجواب :

أصل مذهب الشافعي عدم تعدد الجمعة في المدة الواحدة مطلقاً ؛ أي لحاجة أو لغير حاجة ، لأنها لم تفعل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده إلا الجمعة واحدة .  
غير أن معتمد المذهب جواز التعدد لحاجة وبقدر تلك الحاجة ، فإذا كانت الجمعتان في البلد لحاجة التعدد ، كانت الجمعتان صحيحتين السابقة والمسبوقة ، ومعنى الحاجة ألا يكون في العمران مكان يسع المصلين ، أو كانت هناك دواع ودوافع نفسية كضغائن بين العائلات يخاف من اجتماعهم بسببها في المكان الواحد أن تحصل الفتنة ، وعندئذ لا تجب صلاة الظهر ، إلا أن رعاية الخلاف مندوبة ، ونظراً إلى أن

أخوها من والدته معه ورضع أخوه الأصغر  
من زوجة خاله مع شخص آخر فما الحكم ؟  
السعيد محمد الحلبي - القاهرة - مصر الجديدة

### الجواب :

لا مانع من زواجه بهذه الفتاة ؛ لأنها  
أخت أخيه من الرضاع وأخت الأخ من  
الرضاع لا تحرم .

### السؤال :

يريد شخص أن يأخذ طفلة شخص آخر  
ويتولى تربيتها، وينسبها إليه : فهل يجوز  
ذلك شرعا ؟

### الجواب :

نفيد بأن التبني ونسب الطفلة لغير أبيها  
الشرعي منوع شرعا قال تعالى : « وما جعل  
أدعياءكم أبناءكم » ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله  
يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعواهم لأبائهم  
هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آبائهم  
فأخوانكم في الدين ومواليكم . .

وحيث إن والد الطفلة معلوم لنا وهو  
موجود فهي بقتة ، ويجب عليه تربيتها إن كان  
قادرا على ذلك ، فإن عجز فلن قام بتربيتها نيابة  
عنه ثواب عمله . فن يعمل مثقال  
ذرة خيرا يره . .

ويجب مع هذا المحافظة على نسب الطفلة ،  
حتى لا يختلط بغيره ، ويقع من جراء ذلك  
مخالفات دينية لا نعلم مداها الآن . وأما مع

للإمام الراتب والإفساد عليه ، كان التعدد  
حراما ، وإن اتفق حصول ذلك ، لعذر فلا  
كراهة ، وإذا لم تخف الفتنة كأن كان المسجد  
مطلوفا أو ليس له إمام راتب أو أذن  
الإمام الراتب في التعدد ، فلا كراهة ، قبل أو بعد  
أو مع جماعة الإمام الراتب ، بشرطين : الأول  
ألا يقترن بالتعدد محظور كتشويش على  
مصل أو تخليط في صلاتهم أو أقوالهم  
أو أفعالهم . فإن اقترن به شيء من ذلك بسبب  
التعدد كان حراما . الثاني اتقاء خوف الفتنة  
من جهة أخرى غير جهة الإمام الراتب ، وإلا  
كان التعدد مأمورا كراهه أو تحريما على حسب  
تفاوت الأحوال المقتضية للنفع ضعفا وقوة ؛  
فقد يكون التعدد مكروها ، وقد يكون حراما  
تبعا لذلك . كما أنه إذا أُلِف التعدد في المسجد  
المطلوق بمن علم من حاله أنه يقصد الكياد  
للإمام الراتب والإفساد عليه كان حراما .  
فإذا اتبني احتمال الفتنة رأسا فالتعدد جائز  
بصوره الثلاث ، بشرط ألا يقترن به محظور  
كما تقدم . وعلى ذلك إذا رأى ولي الأمر أن  
يرتب في بعض المساجد إمامين أو أكثر  
لأمر مصلحي يقتضيه فلا مانع منه ، بل هو  
من التيسير على المسلمين .  
وهذا ما اختارته لجنة الفتوى من بين  
أقوال الفقهاء .

### السؤال :

يريد الزواج من بنت خاله ، وقد رضع

عنها ، وتنقضى العدة ويعقد عليها عقداً جديداً بمهر جديد برضاها .

وليس مما يوجب حلها للزوج الأول ما يفعله المحلل من نكاحها بقصد التحليل ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المحلل والمحلل له ، واللعن يقتضى الطرد عن رحمة الله ، وما كان طريقاً للطرد والإبعاد لا يصح أن يكون طريقاً للودة والوفاق .

أما إن قصد التأكيد أو لم يقصد شيئاً ، فلا يقع بذلك الإطالة واحدة رجعية ، إن لم يسبق ذلك طلقان . وحيفئذ فله مراجعة الزوجة ما دامت في العدة ، فإن انقضت العدة قبل المراجعة عقد عليها عقداً جديداً بمهر جديد برضاها .

#### السؤال :

مات والدي في حياة جدى ولّى أعمام وقد صدر قانون الوصية في حياة الجد ولكن الأعمام يدعون أنه لا ينطبق على هذا القانون فما نصيب ذلك من الصحة ؟

عبد المتمم عبد الفتاح بسيوني  
السنبلاوين / إسماعيل الحبر

#### الجواب :

المعتبر إنما هو الوقت الذي مات فيه الجد ، فإن كانت وفاة الجد بعد صدور القانون ثبتت الوصية لابن الابن أو البنت المتوفى في حياة والده بمقدار نصيب والده في حدود الثلث ؛ عملاً بالقانون المذكور . وعلى ذلك فالوصية ثابتة لك وعليك أن تتخذ الإجراءات اللازمة نحو مطالبتك بهذا الحق .

نسبتها لغير أبيها على أن تأخذ حكم أولاد هذا الغير في الميراث وغيره فذلك محرم وغير جائز لما تقدم .

#### السؤال :

هل يجوز الجمع بين المرأة وخالها في النكاح ؟

هيام إبراهيم عبد الحميد - القاهرة

#### الجواب :

نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها ، والمرأة وخالها ، والنهى التحريم ؛ لأنه ليس هناك ما يصرفه عن الحرمة . وبذلك يكون الجمع بين المرأة وخالها حراماً .

#### السؤال :

كتب لزوجته يقول لها : أنت طالق ! أنت طالق ! أنت طالق ! فهل يقع ذلك ثلاثاً أو يقع واحدة ؟ وإذا كان الطلاق ثلاثاً فما هو الطريق الذى يقع لإعادة الزوجة ؟

ودأ على كتاب إدارة الثقافة رقم ٦٨٤ في ٢/٢/١٩٦١ .

#### الجواب :

كتابة هذا اللفظ ثلاثاً كالنطق به إذا قصد به معناه ، فإن قصد بأن يقع بكل لفظ طلاق فقد بانت الزوجة بذلك بينونة كبرى ، لا تحل إلا بعد أن تزوج غيره ذواجا صحيحاً ، ويدخل بها دخولاً حقيقياً ، ثم يطلقها أو يموت

## بين الصحف والكتب

السياسة العامة ، تارة مؤيدة وتارة معارضة  
حق عاضد معركة الجبل ومعها عديد من  
الصحابه فيهم ، طلحة والزبير ، وحقى قال  
على عنها : لو كانت امرأة خليفة لكانت  
عائشة .

وقد شاركت نفيسة بنت كعب أم حمارة  
إحدى نساء بنى مازن بن النجار وأسماء بنت  
عدي بن عمرو بن نافي وأم منيع إحدى  
نساء بنى سليمة فى بيعة العقبة الثانية (١) ،  
وكانت البيعة على أن يمنعوا رسول الله بما  
يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى أن يرسل  
الرسول إليهم .

وتلك مبايعة المؤمنين الأولين لرئيسهم  
ورسولهم .

وشارك النساء أيضاً فى بيعة الرضوان تحت  
الشجرة على الموت وعدم الفرار حين توجه  
عليه السلام إلى مكة وأجرى صلح الحديبية .  
وكانت بيعة الرجال على بيعة النساء  
المخصوص عليها فى القرآن على « ألا يشركن  
بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن

### المرأة والشورى فى الإسلام :

ليس فى الإسلام ما يمنع من اعتبار  
المرأة مشاركة فى الشورى ، ولا من مشاورتها  
والعمل برأيها إن أصابت ؛ وذلك لأنها  
من يباح لها الاجتهاد فى الأحكام ويؤخذ  
بفتواها ، وقد كانت عائشة أم المؤمنين من  
أعلم الناس بالفقه وأقوام اجتهاداً فيه حتى  
قال ابن حزم : يمكن أن يجمع من قتها  
عائشة سفر منعم ، وقال عروة : ما رأيت  
أحدأ أعلم بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا  
بفقه من عائشة ، وقال عطاء : كانت عائشة  
أفقه الناس وأعلم الناس .

ومن المفتيات المجتهدات غير عائشة  
من أمهات المؤمنين أم سلة وحفصة وصفية  
وجوهرية ، وحبيبة ، وميمونة ، ومنهن  
كما صند ابن حزم أم أيمن وأم يوسف  
الغامدية ، وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه  
وسلم وغيرهن ، وكانت عائشة ذات رأى قوى  
فى الشئون العامة يرجع إليها فى ذلك ، حتى قال  
عطاء : كانت عائشة أحسن الناس رأياً فى العامة .

ولم تتخل عائشة زمن خليفة من الخلفاء  
الذين كانوا فى عصرها عن التدخل فى الشئون

(١) انظر سيرة الكلاعى وما نقله فى ذلك من  
ابن إسحاق .

عليه ، فقالت له : إن خرجت لإحياء كتاب الله وسنة رسول الله ، فإن الشاة لا تعذب بالسليخ فت على الحق ، وإن كنت إنما خرجت على طلب الدنيا فلا خير فيك حيا وميتا ، يا بني مت كريما ولا تسلم . فإذا كانت المرأة قد شاركت في مبايعة الرسول الرئيس الأول للدولة الإسلامية ، وشاركت في التشريع عن طريق الاجتهاد والفتوى وإبداء المشورة فذلك ما يبين أن لها الحق في أن تكون نائبة عن فريق من الأمة ، وأن تشارك في انتخاب النواب والمستشارين والأصل في ذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون أقرضهم الله ، إن الله عزيز حكيم » . فقد أثبتت هذه الآية الولاية المطلقة للمؤمنات كما أثبتتها للمؤمنين وتدخل فيها ولاية النصرة كما تدخل فيها ولاية الحضور في المساجد والمشاهد ومعارك الجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد نص القرآن على التشاور بين الرجل وبين زوجته في شئون الزوجية فقال : « فإن أرادا فصلا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » . وإذا كانت الشورى مطلوبة لهذا الحد من أمر الأسرة ، فبالك

أولادهم ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصينك في معروف » . وذلك ميثاق واثق به الرسول عليه السلام .

وقد استشار النبي أم سلمة أم المؤمنين في غزوة الحديبية حينما أمر أصحابه بالنحر والهدى والخلق والإحلال ثلاث مرات قتلكأوا في تنفيذه فطلب عليه السلام رأيها فأشارت عليه أن يعطيهم القدوة من نفسه فيخرج ، ويصنع هو ما طمعه منهم ، قلنا فعل ، استجابوا واقتدوا به ، وأكب بعضهم يحلق بعضا حتى كادوا أن يغفوا بعضهم من شدة الزحام .

واستشار النبي عليه السلام بريرة في شأن طائفة لما هلك في أمرها عبد الله بن أبي ومن معه ، فقالت له : لا نعلم عنها إلا خيرا ، وإنما هي جارية حديثة السن تنام عن العجين فتأني الداجن فتأكله .

وأراد عمر بن الخطاب أن يحد من صدقات النساء فقالت له امرأة في المسجد ليس لك ذلك يا أمير المؤمنين ؛ لأن الله يقول : « وآتيتهم إحداهن قطارا فلا تأخذوا منه شيئا » . ولولم يكن يصح إعطاء المرأة القنطار في صدقاتها لما ذكره الله في كتابه ، فقال عمر : امرأة أصابت ورجل أخطأ .

واستشار عبد الله بن الزبير أمه أسماء في حرب عبد الملك والحجاج ومن خرج معهما



ثلاثة لا رابع لها: الحب والصداقة والمطالعة .  
تستطيع أن تحب الكتاب لأنه صديق وفي  
صدوق . وإن الكتب أشد حكمة وأبلغ عظة  
من واضعها لأنهم يودعون كتبهم خير  
ما عندهم .

إن الكتب تحدثنا حديث من هم فوقنا  
شأنا حديث من تألموا وسعوا وبحشوا كما  
تألم ونسعى ونبحث فهي أبواب مفتوحة  
نظل منها على الغير من النفوس والشعوب .  
فتحن قرأ وطلاع للسمو قليلا فوق  
واقع الحياة ولنندرك أكثر فأكثر واقع  
الحياة في الآخرين ، ولكن للكتاب غير  
هذه من المتع والدلائل ، فهو لا يترك مطالعته  
كما كان قبل قراءته له فهو يسكب فيه من  
طابه ويجعله أحسن وأكمل .

إننا الآن في عصر نجد فيه الناس في كثير  
من البلدان يزدادون يوما بعد يوم استمعا  
بالمساواة في الحقوق ، ويشاركون أكثر فأكثر  
في عملية الحكم ، ويؤلفون رأيا له من الحول  
والشأن على الحكومات القائمة الكلمة الفصل ،  
في حائى السلم والحرب وتقسيم المدالة  
ورفع الظلم . وبكلمة أخرى في حياة الشعوب  
في العالم أجمع . وقوة الشعب هذه التي نعتبر  
عنها بالديمقراطية تقتضى بأن يتم للجماهير التي  
أصبحت مصدر السلطات ، الوقوف على  
المشكلات الكبرى التي تسببها بقاء العالم ،

بأمر الأسرة الكبرى وهي الأمة والدولة ،  
وكأن الشارع لم يحرم نصف الأسرة الذي  
هو المرأة من حق التشاور ، فلامعنى لأن يحرم  
نصف الأمة الذي هو المرأة من حق الشورى .

**عمر الفاسي** من مقال له في ( البيئة )

**المكتبات العامة ورسالتها في المجتمع :**

كلفت منظمة اليونسكو الأديب الفرنسى  
أندريه مورو بكتابة دراسة مسببة تتضمن  
أهم ما يجب أن يعرضه القارئ العادى عن  
( المكتبات العامة ورسالتها في المجتمع )  
والدور الذى يؤديه في تغذية الثقافة ، وقد  
قدم الأديب المذكور هذا البحث الذى  
استغرق ٣٣ صفحة تناول فيها (١) المطالعة  
(٢) المكتبة (٣) المكتبة العامة وخدماتها  
(٤) مكتبة الأطفال (٥) أمين المكتبة  
(٦) اليونسكو والمكتبات (٧) مستقبل  
المكتبات العامة .

يقول أندريه مورو : « حضارتنا  
الإنسانية بمجموعة من المعلومات والذكريات  
خلفتها تباها الأجيال التي تقدمتنا لذا لا يمكن  
الإسهام بإنمائها إلا عن طريق الاتصال  
بالأفكار التي بلغت على الدهور ولكي يتم  
لنا ذلك ويصح الواحد منا متقنا أو مهذبا  
علينا أن نقرأ أى أن نطلع فليس ما يقتينا  
عن المطالعة أو القراءة سيلا .

إن الكتاب سبق وحده رفيق الحياة ...

### مؤلف «قصة الحضارة» في أيامه الأخيرة:

كان «ول ديورانت» مؤلف كتاب (قصة الحضارة) في السابعة والعشرين من عمره عندما قرر أن يحقق حلمه الكبير في تأليف هذا الكتاب وشرح في القراءة والاستعداد لإصدار هذه الموسوعة الضخمة، وكان قبل ذلك يعام واحد قد أصدر أجل وأروع كتبه «قصة فلسفة» وقد باع من هذا الكتاب أكثر من ستة ملايين نسخة في أمريكا وحدها وكان هذا الكتاب هو المظلة الواقية الذهبية التي عاش بها وتحتها حتى يومنا هذا ... وفي ظل هذا الكتاب الذي باع كل صفحة منه بألوف الدولارات، عكف المؤرخ الأمريكي الفرنسي الكندي المولد، ول ديورانت على تحقيق الحلم الكبير «قصة الحضارة».

لقد صدر أخيراً الجزء الأول من المجلد السابع لهذا السجل الضخم، وكان عنوانه: بدأ عصر العقل والجزء الثاني سيصدر سنة ١٩٦٣ بعنوان «عصر لويس الرابع عشر» والجزء الثالث سيصدر سنة ١٩٦٥ بعنوان «عصر فولتير» ويعتقد المؤرخ ول ديورانت، أنه بهذا الجزء يكون قد حقق حلمه الكبير، فيكون قد بلغ الثمانين من عمره، وفي السن التي لا يقوى بعدها على أن يدفع «قصته» إلى ما بعد عصر نابليون.

وقد ترجمت معظم مؤلفاته إلى العربية

والذي أخصيه بذلك: هو أن تنال هذه الجماهير أكثر فأكثر تعليماً يبقى أبداً ناقصاً مجزواً ما لم توازر المكتبة عمل المدرسة وتتمه.

ليست المطالعة رياضة موصوفة بقيمة للعقل لحسب فهي تكشف للأذهان الغضة الفتية الخصائص الخفية الحقائق التي سيتلقونها الطالب لقمة سائفة بل يتعمق عليه تكوينها بنفسه على أساس من الجهد الشخصي والأسلوب الواضح والنية الحسنة. فالمكتبة هي تمة لازمة للمدرسة أو الجامعة، ولا أعدو حقيقة إذا ما قلت هنا: إن التعليم هو المفتاح الذي يفتح أمامك باب هيكل العلم مثلاً في المكتبة.

فرسالة المكتبة في العصر الحديث أنها منظمة تنبض بالحياة وتجيش بالنشاط فهي تتجه من القارئ وتسمى إليه وكلها رغبة بأن تشبع فهمه إلى المعرفة وتروى عطشه إلى العلم.

إننا إذا ما نمينا في الإنسان الذوق إلى المطالعة وأمناله ما يشبع نهمة منها لا نلبث أن نجعل منه رجلاً سعيداً هائلاً إذ نجعله دوماً في كل عطلة من عطفات التاريخ وجهها لوجه مع حكام البشرية وذوى الحجب وبذلك نجعل منه مواظناً في كل أمة ومعاصراً لكل جيل.

مجلة المكتبة

### التفاهة في حياتنا الفكرية :

و التفاهة - ويا للأسف - هي ما يلون حياتنا الأدبية في الوقت الحاضر . وطبيعي ألا يرضى الناقضون من الأدباء أن يقرأوا بذلك بل لعل ضيعة الدفاع عن النفس قد آل بهم إلى أن يقولوا في أنفسهم من المديح والإطراء ما ينجعل النفس الكريمة . فن قائل منهم أن ما يكتبون يستحق الخلود ومن شاتم يقول إن مادون الخلود إنما هو قصير في حق ما يكتبون ، وهم وما يكتبون لا يساوون قلامة طمر .

تجلى التفاهة في حياتنا الفكرية عن طريق الصحافة أولاً ، وعن طريق الأدب ثانياً . فالصحافة تنحدر من الأوطأ إلى الأوطأ . . . ولو رجعنا إلى ربيع قرن مضى لوجدنا أن المقالة والخبر مثلاً - وهما عماد الصحافة - كانا في مستوى لا يمكن أن نصلا إليه اليوم حتى ولا بعد ربيع قرن من السكد والتعب . لقد كانت المقالة محبوكة مفسلة الآراء خالية من الخشوع والاحشاء . أما اليوم فأكثر كتابنا إنتاجاً في الصحافة هم الذين يبدون المقالة ذات السمودين بمقدمة سمجة تستغرق ثلث المقال لكي يبدأ الكاتب المفضل بعدها ببيدات صحفية مكتوبة بأسلوب مهمل غارق في التفاهة والزكّة ، الخطأ الذي لا يرنكه المبتدئون .

فترجم الدكتور أحمد فؤاد الأهواني : مباحث الفلسفة ، في مجلدين ، وترجم المرحوم محمد بدران معظم أجزاء « قصة الحضارة » . وقد تفرغ المؤرخ ديورانت تماماً للبحث العلمي فلم يلبث في حالة « سجن إرادي » ... فهو يصحو في السادسة ويقرأ ويكتب في السابعة حتى الظهر ويتناول غداءه ويستريح ساعة ويعود إلى العمل حتى العاشرة مساءً ... سبعة أيام في الأسبوع ... وهو يقرأ لكل مجلد صدر أكثر من ... كتاب ، ويكمل مذكراته وملاحظاته في ألوف الصفحات ويختصرها إلى بضع مئات ، ثم يعيد كتابتها ثلاث مرات قبل نشرها وهو نباتي لا يأكل كل ما هو حي ، ولذلك فصحته سليمة ومزاجه معتدل ، على حد قوله .

وإذا كن فيكتور هيجو شاعر فرنسا له شعار هو : اكتب سطرًا كل يوم .. فشعار ديورانت هو : ألق كلمة أنيقة على ورق أبيض لامع وقلم جاف ، كل يوم . أما النتيجة التي انتهى إليها ديورانت من قراءته لآلوف الكتب ، واستعراضه لكل أحداث التاريخ فهي ، أن الدنيا لم تكن في صفاء أبداً ، وأن العقل لم يحكم التاريخ أبداً ، وإنما التاريخ يتدفق في قبالب نظرية ، ثم يعود يهدمها ويسخر من أفكارنا وعقائدنا ، ولا أمل في تغييره ولا حكمه في أن تفعل ذلك .

محمد المسكنة

بصورة عامة ، بل لقد وجدنا في بعض ما يخرج من المطبعة العربية نوعا من الأدب الموجه يستخدم الضعف البشري في سبيل نشر الدعاوى العقائدية ، وهذا انحدار خلقي لا ندرى إلى أين يتجه بالذهن العربي في هذا المترك العظيم الذي يجتازه البشرية بعد الحرب الكونية الأخيرة التي يتوقعها الكثيرون .

- لقد حمت القوضى - بمعناها المفهوم لا بمعناها القاموسي حياتنا وأصبح كل من يستطيع أن يكتب بضعة أسطر أدبيا ، وكل مهرج قصصيا ، وكل ناظم شاعرا .

### عبد الوهاب الأميري

الأخبار البغدادية

### سوريا وصورية :

شاع في الدوائر الرسمية وعند كثير من الكتاب خطأ في كتابة اسم ( سورية ) فجعلوا يكتبونه ويلفظونه ياء مشددة وألف أي ( سوريا ) على حين أن بعض الأمهات من معجمات لساننا ، وبعض المراجع التاريخية الموثوق بها قد أجمعت على كتابة ( سورية ) ياء مخففة بعدها تاء . ومن هذه المعجمات والمراجع : القاموس المحيط ، وتاج العروس ، ومعجم البلدان ، وتقويع البلدان ، وزبدة الحلب في تاريخ حلب ، والتسكلة في حديث لكعب وغيرها . ولم نر الاسم المشار إليه مكتوبا بالياء المشددة والألف في كتاب قديم يعول عليه .

ومع ذلك فإن أمثال هؤلاء الكتاب هم الذين لا يخطئون من تصدر الحركة الفكرية في البلاد .

وفي الأدب يتضح وجه القضية بصورة أجلى . ففي وسعك أن تقول : إن الإنتاج الأدبي في حكم المهدوم عندنا بصورة تكاد تكون مطلقة . وفيما عدا بعض التنف والقصائد التي لا تبلغ الدرجة المتوسطة ، تستطيع القول مستقرا بأن لا إنتاج أدبي لدينا في هذه البلاد يمكن ضمه إلى الباقية الياقنة التي تأتينا من البلاد العربية الأخرى - كلبان - مثلا .

وإني أتحدى من يقول إن لدينا إنتاجا أدبيا يعتر به ويستحق التحلي بهذه التسمية . وإذا ما خالفني مخالف فسأرضى لفرض المناقشة بنموذج واحد لكاتب واحد أو أديب واحد من كتابنا وأدبائنا يوضع تحت المشرحة الأدبية . وإيكن الحكم أي ناقد محايد .

ولا عجب بعد هذا أن تمتد التفاهة إلى الدوافع التي تدفع بالأديب إلى الكتابة . فالواقع أن حركة التأليف والترجمة قد انضوت تحت لواء السياسة بصورة عامة . ولا تكاد تجد ثقافة غير موجبة توجيهها عقائديا إلا في إنتاج المطبعة اللبنانية على نطاق ملحوظ ، ولذلك فقد ترك النحال يقوم على دغدغة الفئران دون الاهتمام بالثقافة الفكرية

الأمريكية ، على خطبة قصيرة للسيدة عائشة ، خطبتها الناس إذ علت أن فئة منهم تنال من أبيها . فأبانت عن مناقبه ، وذكرت محاسنه ، وما كان له من ساجدة في الجاهلية والإسلام ، وما كان لإخضاعه المرتدة وحياطته الدين ومن شأن في تثبيتته وانتشاره .

هذه الخطبة تصل بجانب من جوانب شخصية عائشة : هو جانب فصاحتها وبلاغتها . فقد أوتيت فيها البلاغة والإيجاز والشمول في المعنى الذي قصدت الإيابة عنه . ونصها جدير بأن يقرأ ويدرس ويحفظ . وإذ كنا نرى أن النصوص التي خلفتها القرون الثلاثة الأولى ، هي مصادر ثقافتنا وبنائنا حضارتنا وأنه لا بد من نشرها . فقد استحسننا أن نقدم نص هذه الخطبة في هذه المجلة .

ولقد عني الأنباري - أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار المتوفى سنة ٣٢٧ هـ - بهذه الخطبة فأملأها ، وشرح ألفاظها . وعنايته بها ، وهو العالم اللغوي الثقة ، دليل على شأنها . لقد أورد الخطبة ثم شرح معاني ألفاظها . فهي تساعد ، على تاريخ تطور اللغة العربية ، وعرفان الألفاظ التي كانت تحتاج إلى شرح في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم . والأنباري كان من كبار علماء اللغة . وكان أوسع الكوفيين حفظاً ، ألف العديد من الكتب اللغوية . فليس غريباً أن يعني بهذه الخطبة ويشرح ألفاظها ويدل على معانيها .

ومن المعلوم أن كثيراً من الكلمات الأجنبية التي حُرِّبت قديماً أو التي فُضطر إلى تعريبها حديثاً تنتهي بالحرف [A] أو بالكلمة [GIE] الدالة على العلم . فالتقدم لم يتخذوا قاعدة معتمدة في إنهاء هذه التعربات بالتاء أو بالألف ، ولكن السليقة العربية جعلتهم ينهون معظمها بالتاء فقالوا مثلاً لإفريقية وصقلية وأرمينية وسيلقية وأشيلية وغير ناطة إلخ .

وبناء على اقتراحى كان مؤتمراً مجمع اللغة العربية في القاهرة اتخذ قراراً مؤرخاً في الخامس من يناير ( كانون الثاني ) سنة ١٩٥٦ بقبول إنهاء أشباه هذه الكلمات بالتاء ترجيحاً على إنهاؤها بالألف فيقال مثلاً جيولوجية وبيولوجية وألمانية وإيطالية ترجيحاً على جيولوجيا وبيولوجيا وألمانيا وإيطاليا وهكذا .

ومع هذا فالمرحوم فيا يختص بكلمة (سورية) لا يقبل التأويل مع وجود النص الصريح . ولذلك أعتقد أنه من المفيد ، أو من الواجب ، إذاعة بيان على الدوائر الرسمية والمعاهد العلمية في الدولة ، لكي تكتب اسم (سورية) وفقاً لما جاء في الكتب القديمة المفعول عليها ، أى بياء مخففة وتاء .

مصطفى الشرباشي ( مجلة المجمع العربي )

خطبة مبهمة للسيدة عائشة في أبيها :  
عثرنا ، أثناء تطوافنا في الولايات المتحدة

كلن والله عزيز السمعة وقيد (١)  
الجوانح (٢) شجي (٣) النشيج (٤) ،  
فأقصفت (٥) عليه نسوان أهل مكة  
وولدانهم يسخرون منه ويستهنئون به ،  
والله يستهزئ بهم ويمدحهم في طغيانهم  
يممهمون ، وأكبرت ذلك رجالات قريش  
لخنت قسيها وفوقت سهامها وامثلته (٦)  
غرضنا (٧) فافلوا (٨) له صفاة (٩) ،  
ولا قصفوا له قناة، ومضى على سياسته (١٠)  
حتى إذا ضرب الدين بحمراته (١١) ،  
ورست (١٢) أطواره ، ودخل الناس فيه  
أفواجا ، ومن كل فرقة أرسالا وأشياطا ،  
اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه

بلغ عائشة رضى الله عنها أن قوما ينالون  
من أبيها رضى الله عنه، فأرسلت إلى أذفة (١)  
من الناس ، فلما حضروا أسدلت ستارها  
وهلت وسادها ثم قالت :

أبي وما أبيه ! أبي والله لا تعطوه (٢)  
الأيدي ، ذاك طود (٣) منيف (٤) ، وظل  
مديد ، هيات بصدت الظنون ! أنجح والله  
لذا أكديتم (٥) ، وسبق لاذ ونيتم (٦) سبق  
الجواد إذا استولى على الأمد (٧) .

ففي قريش ناشتا، وكفها كهلا ، يرش (٨)  
معلقها (٩) ويرأب (١٠) شعبا (١١) ويلم (١٢)  
شعما ، ثم استشرى (١٣) في دينه . فإ  
برحت (١٤) شكيمته (١٥) في ذات الله حتى  
اتخذ بفنائه مسجداً يحيى فيه ما أمات المبطلون.

- (١) الوليد : العليل .  
(٢) الجوانح : الملوغ القصاد التي ترهب من الفؤاد  
(٣) النشجي : الخزين (٤) النشيج : صوت البكاء .  
(٥) أقصفت : أقتبت .  
(٦) امثلت : مثلته ونصته .  
(٧) العرض : ما يتصد بلزى .  
(٨) فلوا : كسروا .  
(٩) الصفاة : الصخرة للامساء .  
(١٠) مضى على سياسته : مضاه على شدته ،  
والسياة عظم الظهور وحده ، فخر به العرب . فلا  
في حدة الأمر .  
قال الشاعر :

لقد حملت نيس بن حيلان حربنا  
على يابس السياء عهوده والظفر  
(١١) الجران : المصدر ، يقال للمهر الجران والبرك .  
(١٢) رست : ثبتت

- (١) الأذفة : الجافة . (٢) ونطوه : تناوله .  
(٣) الطود : الجبل . (٤) المنيف : المرف .  
(٥) أكديتم : ختم .  
(٦) ونيتم : فترم وضطم ، يقال : وني بني  
ووني يوني بمعنى واحد .  
(٧) الأمد : القاية ، وفي الحديث ليس لمذاب  
للكافر أمد أي غاية وآخر .  
(٨) يرش : يسطى ويفضل .  
(٩) المعلق : الفقير .  
(١٠) يرأب : يجمع ويلثم .  
(١١) الشعبا : المتفرق .  
(١٢) يلّم : يضم .  
(١٣) استشرى : احتد واستكش .  
(١٤) فإ برحت : فإ زالت .  
(١٥) الشكيمة : الأفة والحجة .

أوده (١) بشافه (٢) ، حق امدقر (٣)  
النفاق بوطه ، قلسا اتاش الدين (٤)  
فتمشه (٥) ، وأراح الحق على أهله (٦) ،  
وقرر الزروس على كواهلها (٧) ، وحقق  
الدعاء في أمها (٨) .

فلما حضرته منيته فسد ثلثه بنظيره  
في المعدلة وشقيقه في السيرة والمرحة ، ذاك  
ابن الخطاب لله در أم حلفت له (٩) ووددت

صلى الله عليه وسلم اضطرب جبل الدين ،  
ومرج (١) عهده ، وماج (٢) أهله وبني  
الغوائل (٣) ونصبت الحياتل ، وظنت وجمال  
أن قد أكثب نهزها (٤) ، ولات حين الذي  
يظنون (٥) ، وأنى والصدق بين أظهرهم .

فقام حاسراً مشمراً أرفع حاشيته (٦) وجمع  
قطريه (٦) ولم شعث بطله (٧) ، وأقام

(١) مرج : اختلط .

(٢) ماج أهله : اضطربوا وتنازعوا .

قال : حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا الكديمي ، قال :  
حدثنا يحيى بن عمر الهيثمي ، قال : حدثنا مسلم بن قتيبة ،  
عن وهب بن حبيب ، عن أبي حمزة ، عن عطاء ،  
عن ابن عباس ، في قوله تعالى :

« فهم في أمر مرج »

قال : مختلط ، أما سمعت قول الشاعر :

حجالت والنمست به حشاماً فخر كأت الخوط مرج  
الخوط : النمنم ، وجمه خيطان .

(٣) وفسولها . وبني الغوائل : معناه طليق له  
البلايا التي تمنعه .

(٤) وقولها : أن قد أكثب نهزها : معناه  
حرب ، والنمير : الاختلاس المعنى : كيانته بعبادة

(٥) وقولها : ولات حين الذي يظنون ، معناه :  
ولست الساعة حين ظنهم

(٦) وقولها : أرفع حاشيته وجمع قطريه ، معناه  
في الأمور وجهد ، وأذهب وقشراً نصرة  
الدين ، والقطر : الناحية .

(٧) والطب الدواء .

(١) والأود ، العوج .

(٢) والثفاف : هجوم الريح وغيرها .

(٣) وامدقر : تخرق ، وفي رواية غير إسماعيل  
القاسم : وأبذر النفاق : يقال : أبذر  
الشيء ، وامدقر أي تخرق .

(٤) وقولها : اتاش الدين ، أزال عنه ما يخالف عليه

(٥) ونفسه : رفته .

(٦) أراح الحق على أهله : أي أراح الزكاة التي  
منعها العرب ثم ردت إلى حكم الله وسنة  
رسوله في أهلها لما ظلمهم .

(٧) وقولها : وقرر الزروس على كواهلها :  
أي وفي المسكين القتل . والكامل : أهل  
الظهر وما يتصل به .

(٨) وحقق الدعاء في أمها : معناه رفع القتال  
عن المسلمين ، والأهب جمع إهاب ، وهو  
الجلد ، كنت به عن الجسد .

(٩) وقولها : لله در أم حلفت له : معناه جئت  
البن لرضاعه ، والشاة المحقة : التي يجمع  
لبنها في ضرعها .



عبيه وأوحى به (١) ، ففتح الكفرة (٢) ودنحها (٣) ، وشرذ الشرك شذر منذر (٤) ،

ويجمع الأرض فننحها (١) ، حتى قامت أكلها (٢) ، ولغظت خبيها ، ترأمة (٣) ويصلد حنبا ، وتصدى (٤) له وبأبها ، ثم ظعن عنها على ذلك ، فأروني ما ترتنون ، وأى يومى أبى تنقمون ؟ أيوم مقامه إذ عدل فيكم ؟ أم يوم ظعنه إذ نظر لكم ؟ أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت : أنشدكم الله هل أنكرتم بما قلت شيئا ؟ قالوا : اللهم لا .

(١) ونولها : يجمع الأرض أى شقها ، ونحها استلقى عليها وفى غير هذه الرواية وبج الأرض أى شقها

(٢) ونولها : حتى قامت أكلها ، فنى جى خراجها وأخرجت خيراتها وتمراتها .

(٣) ونولها : ترأمة أى تعطف عليه .

(٤) نولها : تصدى له أى تمرس له

(١) ونولها ، أوحى به : أى جاء به مفرداً لا طبر له فى زمانه .

(٢) قولها : ففتح الكفرة : أى غم بلاد الكفار .

(٣) ودنحها : أذلها وصغرها ، وفى غير هذه الرواية فدبحها بإلياء أى دوحها ، كما يقال : تصوح الليل وتصيح أى تشق .

(٤) ونولها ، شرذ الشرك شذر منذر أى أبده قال الله تعالى : « مفردهم من خلقهم »

سورة الأفعال ، ٨ ، الآية ٥٧ ، أى أوقع بهؤلاء ليسمع من خلقهم من الكفار فيفزع يهرب فيباعد عنك ، ويقال شرذت القوم شذوذهم أى فرقهم فم أنزك منهم أحداً ، وحمله يفرقوا شرير بمر جيماً ببنى واحد .

( بقية المنشور على صفحة ٣٧١ )

هذه البعثة لتدعو إلى الإعجاب والتقدير ، وإننى إذ أيجل لأفراد هذه البعثة لإخلاصهم وتفانيهم فى أداء واجبهم وتفهمهم الصحيح لحالة المنطقة ونفسية سكانها لأرجو أن تفضلوا بقبول خالص شكرنا وتقديرنا على ما يبذله الأزهر الشريف ورجالاته من خدمات لأبناء هذا القطاع .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

فريق - يوسف العبرودى

الحاكم العام لقطاع غزة

ماكم غزة بشكر الأزهر :

السيد / مدير الثقافة الإسلامية

الأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدنى أن أنهى لفصليتكم أن بعثة الوعظ والإرشاد بقطاع غزة تقوم بأداء واجبها فى الوعظ والإرشاد بين جميع السكان فى هذا القطاع بما يرضى الضمير وترتاح له النفوس .

وأن الجهودات المختصة التى يبذلها أفراد



# مجلة الانوار

## مجلة شهرية جامعية

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
المسئول  
إدارة اجتماع الأزهر  
بالقاهرة

ت ١ ٤٦١٤

بصدور عن شيخنا الأستاذ في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير  
عبد الرحمن محمد الوائلي  
بدا لا يشترك  
في الشؤون الإدارية المتعددة  
فلازم المندوبة  
والمتدربين والطالبات في نفس علم

الجزء الرابع — السنة الرابعة والثلاثون — جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ هـ - نوفمبر ١٩٦٢ م



١٩  
٢٠٠٤٦

الانوار

## الجزيرة تنفض ميرة أخرى بقلم : أحمد حسن الزيات

المقول بالرأى الحكيم ، وأرطب القلوب  
بالإيمان الصادق، وأثبت الأيدي بالسيف الراح  
وهؤلاء هم أصحاب محمد الدين بسطوا ظلال الله  
على صحارى الجزيرة، فنبضت بالحياة، ورنعت  
في النعيم، وأطمأنت بالأمن. ثم انتقل منها طلوعها  
الخصب مع الرياح الواقع إلى كل أرض ! ...

تلك كانت الانتفاضة الأولى للجزيرة التي  
وضع فيها أول بيت للناس، وبعث بها آخر  
رسول لله ، انتفضت بروح من عند الله  
ما شاء أن تنفض ، ثم انقبضت عن صحاريها  
الظل ، وخبا في أرجائها النور، فصادت

تنفض الجزيرة العربية اليوم انتفاضتها  
الأخرى ، وكانت الأولى منذ أربعة عشر قرنا  
حين شاء الله أن تخفق على الجبال الصهب ،  
وفوق الرمال الصفراء ، أجنحة الوحي نازلة بنور  
السلم، وصير الجنة وسلام الروح، ووحدانية  
الله وسرية الإنسان ، وعدالة الحق ، على بلد  
أو بقية الوثنية ، وأهلكته العصية ، وأكلته  
الحروب ، واستعبده الطغيان ، واستذله الحرمان  
وهان على الدنيا حتى أكل القدر ، وشرب  
الكدر، وحصد الحمر، وشرد عن ركب الحياة .  
فلما أصابه الغيث الإلهي اهتز القفر ، وربا  
الصخر ، وأنبت هذا البلد الجديد أخصب

صاح بالنائم أن يستيقظ ، وبالنافل أن يعي ،  
وبالمتخلف أن يلحق .

وهبت على العالم العربي هبة من جانب  
مصر فيها ريح النبوة ، ولها صوت الحق ، يقول  
الشعوب الخافعة : إنكم مسلمون والمسلم  
لا يدين إلا لله ، وإنكم حرب والعربي  
لا يستكين للذل ، وإنكم أصحاب الأرض  
وما فوقها من زرع وضرع ، وما تحتها من  
بتول وركاز ، فليس من شامة العربي ،  
ولا من كرامة المسلم ، أن تدعوا هؤلاء  
الطفيليين الفضوليين يستأثرون بخيرها  
دونكم ، وما قوتهم إلا منكم ، ولا سطوتهم  
إلا بكم .

فإذا جردوا عن الألقاب المزيفة ، وأزيلوا  
عن العروش المستعارة ، عادوا ناساً أقل من  
الناس ؛ لأنهم كما قلت أصنام ينطق في أفواههم  
الشیطان ، ويوسوس في صدورهم المستعمر .  
ورحم الله شاعرنا الذي قال :

عجبت لقوم يخضعون لدولة  
يسوسهم في الموبقات حميدها

وأعجب من ذا أنهم يهربونها  
وأموالها منهم ومنهم جنودها

هنالك استعجاب المستضعفون في الأرض  
والمعذبون في الناس لبقاء عبد الناصر إلى  
المبادئ الخالدة ، التي نزلت من عند  
الله على محمد رسوله ، وأدركوا بعد لآي  
أن الأمر شورى ، والرق شركة ،

كما كانت بالأمس قطعة منبثة متروكة ، لا هي  
في عداد الناس ولا هي في حساب الزمن !

جذبت الجبال فلا توحى ، وصحنت الرمال  
فلا تهمس ، واستجمل الإسلام فلم تعد له  
في النفوس معاني الوحي ، واستعجم العرب  
فلم يعودوا يتدبرون آي القرآن . وقصت  
الجزيرة شمالها وجنوبها ألفاً وماتى سنة  
في ردة عامة ورقدة شاملة ، لا يسى فيها  
إلا ملك يطفي ، وإمام يحور ، وفاتك ينهر ،  
وشارد يهيم ، وجائع يتضور . وانطمست  
آثار العرین والحالدين<sup>(١)</sup> تحت أقدام الطغاة  
الفجرة من آل الحسين وآل سعود  
وآل حميد الدين ، وتحطمت أصنام الشرك  
في مكة لتعود حية ناطقة في قصور الحجاز  
ونجد واليمن .

جشمت هذه الأصنام الثلاثة بصدورها  
الحجرية على إنسانية الشعب العربي وكرامته ،  
وإرادته وثروته ، لا تحلحل ولا تريم ،  
يشربون ويسكى انجلقوا وهو يشرب أبوال  
الإبل ، ويأكلون خنازير أمريكا وهو يأكل  
دواب الأرض ، وينفقون أمواله على حسان  
الترك والانجليز ، وهو عارى الجسد عاوى  
الجوف ، لا يشعر بالحياة ولا تقصر به الحياة ؛  
حق جاء عصر الذرة الذي راد السماء ، وزلزل  
الأرض ، وليلل الأنفس ، وزحزح العروش ،

(١) المران : أبو بكر وهرم . والحالدين :  
ولدهما سعد .

الشمال ، والتطوانية في الجنوب على موعد من مواعيد الحق ؛ ليضعوا الأضلال التي عليهم في أصناق من استبدوهم باسم الدين ، واستدلوهم بقوة الجهل ، لينطقوا خفافاً إلى حياة أفضل ، ومكان أكرم ، يليقان بالجيل الجديد في الوجود الجديد .

• • •

ظلت اليمن حقبا طويلا معرة العالم المتحضر المتحور ، تجري عليها حركات الدهر وهي ساكنة - ككون الجناد لا تشعر بالفلك وهو دائر ، ولا بالعالم وهو سائر ، لأن ( الأئمة ) - أخضعوا الله بما صنعوا - استعانوا على عوالمنا عن الوجود بالفقر والجهل والمرض والقات والترهات والشعوذة ، فإكان يظن ظان أن من ألح عليه الخدر يفيق ، ولا أن من استبد به الضرر يطيق .. ولكن حدثت المعجزة وانفتحت أرض صنعاء وتمز عن أبناء التبابعة والأخوان ، يتساءلون في تباشير الفجر : من الذي أطبق على نفوسنا الليل ، وأطفأ في عيوننا النهار ، حتى حسبنا أن الظلام مرمد ؟ . وكلت الجواب دويا كنفخة الصور انبعث من مصر يقول : ومن غير الأئمة من آل حميد الدين يستطيع أن يجعل آية النهار حياء ولسان الحق أبكم ؟ وتكافقت الثورتان : ثورة السلال وثورة عبد الناصر على أن تحطما

والحكم عدالة ، فتحرك الأردن فصرخ الطفل ، وتمردت السعودية فكش الملك ، وثارت اليمن فطاح الإمام .

وهي هرب الجزيرة أن بواديهم لم تعد رملا ولا صخرأ ، ولا آباراً تبض بالماء ، ولا مراحي تفض بالشب ، وإنما أصبحت بفضل الأبحر السود التي تجمع من تحتها بالنفط ، ومناجم تقذف بالتبر ، وقصوراً تفضج بالجوارى ، وجنانا تفيض بالنعيم . ولكنهم رأوا أن أولئك كله : أحشوشته فتنة باقية لتكززه في مصارف سويسرا ولندن ، وتنفقه في مواخير كبرى وباريس ، فقالوا للبارق السارق : حسبك ! إن الراعي الفرد يستطيع أن يسوق القطيع الضخم بعصاه ، فيجز صوفه ، ويبرز لبنه ، ويحجز رأسه ؛ مادام لا يعرف أن له قروا تبقر البطون ، وتنفق الرءوس ، فإذا عرف ذلك - ولا بد أن يعرف - انقلبت قروته دبابات تحطم ، وحوافره مقدوقات تقيد .

بهذا الوحي الذي أبطلته سورة تاريخ ، وأنضجته صبرية جنس ، وأكلته عقيدة دين ، سرت في العالم العربي روح من قلق الروح ، لا يصبر على المسون ، ولا يرضى بالدون ولا يرضى وجهه لغير وجه .

وهذا الروح القلق الذي ملك الجزيرة كلها رأسها وقلبها وأطرافها ، تلاقت العدائية في

الداعية إلى هذه البطانية ، فإذا اقتنع بالأسباب - وقليل ما كان يقتنع - أخرج مفتاح الخزن من سلسلة في عنقه ، ودفعه إلى أمينه الخاص فيخرج المطلوب إلى المتعهد ثم يعود به إليه والإمام قد دخل عنده الآن فلا سبيل إلى الدخول عليه ١١

بماذا تريد أن أعلق على هذه الواقعة ، واستبداد الإمام قد تغفل إلى غيظ الإبرة وشرك النحل وسير اللجام ؟ أليس هذا الفرعون الصغير واقفاً في مرمى قول الله تعالى : « إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين . » وتريد أن تمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجملهم ( أئمة ) ونجملهم الوارثين ، . صدق الله العظيم .

أحمد حسن الزيات

السد الذي حجز الماء والنماء والتقدم من اليمن السعيدة . وألقى الملكان الضيلان سعود وحسين بحثهما النخريتين أمام السد المنهار ليؤخرا ساعة انقضاؤه ، فما زاده إلا ضعفاً على ضعف ١

أعلت كيف كانت تحكم اليمن ؟ . إليك مثالا واحداً من آلاف : حدثني المغفور له صديقي الدكتور عبد الوهاب هزام وكان سفيراً لنا في السعودية واليمن ، أنه بات ليلة من ليالي الشتاء في ضيافة الإمام يحيى هو وبعض صحبه ، وكان البرد قارساً ، وكانوا قد وضوا على كل سرير بطانية واحدة من غير لحاف . فاستعان كل منهم على الدفء بمعطفه إلا واحداً لم يكن عليه معطف ، فطلب السفير من القيم على دار الضيافة بطانية أخرى اللينيف المقرور ، حك القيم فقاء وقال إن في هذه المسألة مشكلة : لا بد أن يرفع إلى الإمام طلب بهذا الطلب تشرح فيه الحال

قال الله تعالى في سورة الحجرات :

« وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . »

« صدق الله العظيم »

# الإسلام دين الحجة والبرهان

لقضية الإمام الأكبر الشيخ محمود شبلي

## السلام دين الحجة والبرهان

وما كان للإسلام وهو دين حملي واقفي أن يتجاهل سنة الاجتماع النشري التي كثير أماندفع بها الناس إلى التنازع وارتكاب المظالم والتسكع للحق والاعتداء على الحريات ، إن الإنسان ليطغى أن رأه استغنى ، على هذا اعترف الإسلام بالحرب واتخذها حيث لا تنفع الحجة والبرهان وسيلة عملية لمكافحة البغي ، ورد العدوان ، وإزالة العقبات ، والقضاء على المعاصد والظلمين ، وقاتل في سبيل الله ، لا تسكف إلا نفسك وحرص المؤمنين على الله أن يكف بأس الذين كفروا ، ، فإن لم يعتزلوكم وبلغوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم لخصومهم واقتلوا حيث تقتلهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً .

اعترف الإسلام بالحرب في تلك الدائرة وجعلها ذروة سنامه ، وأفرغ عليها صبغة الجهاد في سبيل الله ، يقيم بها العدل والميزان ويمهد بها سبيل الحياة الطيبة السعيدة ، وحينما يصل المسلمون بالحرب إلى هذه الغاية أوجب أن تضع الحرب أوزارها ، وأوجب الكف

الإسلام دين الحجة والبرهان ، دين الأمن والسلام ، دين التعاون والتآخي ودين التعمير والبناء . وهو لا يعدل عن الحجة ما وجد منها سبيلاً إلى هدفه ، وهو إقرار الحق في نصابه وتمتع الناس بحريتهم الطبيعية ، وتمتع العدل والمساواة . فإذا ما التوت بالعقول السبل ، واختلس الإنسان من سكان الكهوف والمناور أخلاقهم وطبيعتهم ، فصبك بالحياة ، وأراق الدماء ، وسحر الضمائر ، وتمكك بجهروته في الحقوق ، وانقض على المهادنين فزول عليهم أمنهم ، وعلى المالكين فاغتصب حقوقهم : وانتزع منهم أوطانهم وقتلهم في دينهم ودنياهم .

فنهنا ، وهنا فقط - حفظاً لمرض الإنسانية من أن يثلم ، ولحكمة الله في خلق الإنسان أن تذهب - لا يجد بدا من ارتكاب الصعب وهو خوض معامع الحرب والقتال ؛ فيأذن بها لأمله حتى يرد أهل البغي والعناد ، وليحرموا حقوق الإنسانية المكرمة ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض .

أو يلتبسوا طريقاً للحلاص من هول ما هم فيه سوى المويل والسياح ، والاستغاثة من الخطر الذي دهمهم ، وحل بهم وبدارهم إلى أن تخمد أنفاسهم ويصبروا جثا هامدة تحت أقباض البيوت وعروش العاتر ١ .

#### حرب المروية :

هذه هي مدينة القرن العشرين : مدينة العلم الذي أنعم الله به على الإنسان ليسعد به الإنسانية فأشقاها ، ويحببها فأماها . هذا هو حربها وهذا هو سلامها الذي يتفق به الحراصون الأفاكون ، والذي نسجوا من اسمه أحبولة يكيدون بها للسلام الحق بها ، يفسدون حكمة الله في خلق الإنسان ، هذا هو السلام الذي يحتفل الأفاكون بعيده كل عام ، ويدعون أنهم ينسبون إلى رسوله الذي جاء عنه قوله تعالى : « إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً . وبرأ بوالدي ولم يجعلني جباراً شقياً . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً . »

#### عناصر الانتصار :

أقر الإسلام الحرب طريقاً للسلام ، وتحقيقاً لهذا الهدف السامي أرشد القرآن الكريم إلى عناصر النصر الذي يرد العدوان ، ويكافح الظلم والطغيان . أرشد إلى القوة المادية ، وإلى جملة من أصول التنظيم لعملية الحرب ، وأرشد

عنها « فإن اتبوا ، فلا عدوان إلا على الظالمين » ، « فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً » . وهو إذ يقررها ويدعو إليها وسيلة لإقامة العدل والميزان ، يحوطها بالقضريع الذي من شأنه أن يحقق هدفها ، وهو إخضاع قوى الشر والفساد ، والذي من شأنه في الوقت نفسه أن يخفف من ويلاتها ، ويضمد من جراحها ، ولا يترك أهلها يفتحون بابها على الناس : أبواب الجحيم من كل جانب ، لا يترك لهم أن يبقروا فيها بطون الجبال ، ولا أن يمثلوا بجثث الشيوخ والرحم .

هذا الجحيم الذي نرى دعاة الحضارة والمدنية يدقون ناقوسه بسبب ولغير سبب ، ويوقدون ناره في جميع الآفاق ، فلا تلبث أن تلتهم المشرق والمغرب ، ويصير الناس فيها كمثل قوم في سفينة ، أخذتها الأعاصير من كل جانب ، واضطربت بهم في بحر لجي ، يغشاه موج من فوقه موج ، من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض . يكاد اليم يبتلعها بمن فيها ، أو كمثل قوم حوصروا بالنار ذات الوقود في بيت مغلق التوافد ، وقد تقطعت بهم أسباب النجاة فجمدوا في أماكنهم ، شاخصة أبصارهم ، يشهدون ألتام النار مناعهم ونفائسهم وأموالهم وأبنائهم وأنفسهم ثم لا يستطيعون أن يحركوا ساكنًا ،

تحول بينهم وبين القيام بهذا الواجب؛ وفي ذلك يقول : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله . . . » ولكن المسلمين فيما اتسبهم من عصور الضعف والانحلال تحلوا من هذا الواجب ، وعولوا على حماية غيرهم لم فوجدوا فيهم لقمة سهلة لينة ، فضغوا وحضروها وكانت أثراً بعد عين . أهلوا الجندية وجعلوها صورة هزلية ، ومظهراً من مظاهر السلطان الفاسد ، ولوناً من ألوان الخدمة لكبار الدولة المأجورين ، قصروها على الفقراء الذين لا يستطيعون دفع البدل النقدي ، وأخرجوا من صفوف المجاهدين حملة القرآن والعلم وأبناء الأغنياء والوزراء وأرباب الوظائف الإدارية ؛ وبذلك صارت الجندية في أذهانتنا وفي أوضاعنا عنوان الذلة والضعف .

ولإني لأحمد الله الذي هيا لهذه الأمة من وضع الجندية في مكاتها ، ورفع من شأنها . وأحمد مرة أخرى إذ تلت الأمة هذا الوضع الجديد بإيمان قوى . وصدر بمثلتي بمعنى العزة والكرامة ، وستسير أمتنا في طريق المجد إن شاء الله بعد هذه البقعة الواضعية . مستلهمة أحكام الله وشرعه . وبه يكون النصر المؤزر ، والكلمة العالية .

محمد سلوات

إلى الروح المعنوية الذي به تعمل الحرب عملها وتصل إلى أهدافها .

### القوة المادية :

أرشد إلى القوة المادية ونزلت فيها آية حكمة : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، والقوة كلمة تنفع لكل ما عرف ويعرف من آلات الحرب برية وبحرية وجوية . والرباط كلمة تنفع لكل ما عرف ويعرف في تحصين الثغور ومداخل الأعداء وقوى الدفاع الظاهرة والكامنة . » ويعلم في الآية أن فائدة هذا الإعداد العام الشامل ليست هي النصر في المواقع الحربية فقط ، وإنما هي قل ذلك وسيلة قوية لإفراد الحق وضع الأعداء من التفكير في زلزلته والظناني عليه « ترهبون به عدو الله وعدوكم ، ومن هذا الجانب تكون القوة المادية عاملاً من عوامل السلم ، تحفظ الحقوق وتقيها شر الاعتداء وينشر على العالم ظلال الأمن والاستقرار .

وكا يرشد القرآن إلى القوة المادية من جهة العدد والآلات ، يرشد أيضاً في دائرة القوة المادية أن تكون الأمة كلها جنوداً مدرباً على السلاح ، مدافعة عن الحوزة ولا يستثنى القرآن من ذلك سوى أبواب الأعداء التي

## الأبجدية العربية أكمل الأبجديات للأستاذ عباس محمود العقاد

و (ثانيا) لأن بعض علامات الحروف  
عندهم يكتب حرفين متلاصقين لأداء الخارج  
الصوتي المتنبه .

و (ثالثا) لأن حروف المد عندهم تتكرر  
بعلاماتها لتؤدي حركات الألف والواو  
والياء عندنا ، وهي مصوطة أو صامتة بتغير  
نطقها بتغير حركات الضم والفتح والكسر  
أو الكون عليها .

و (رابعا) لأن بعض الحروف عندهم  
تمثل أصواتا متنبهة بين مخرجين ولا تمثل  
حرفا عاصما من مخرج واحد .

وكل هذه الحروف ليست بالناقصة في اللغة  
العربية ، ولكنها موجودة في لهجات القبائل  
وعليها زيادة من قبيلها ، وهي جميعا تدل  
على طور من أطوار النطق تحفظه العرب  
في سبيل سلامة النطق التي انتهت إليها قبائلهم  
الفصحى وخلص فيها النطق السليم من لبس  
الخارج ولبس الحروف ، فلا يسيغون حرفا  
واحدا يختلط فيه مخرجان ولا يسيغون  
مخرجا واحدا يتعثر فيه اللسان بين حرفين ،  
ولا يقعون في إهمال الخارج الصوتية المهمة  
التي يستقيم بها نطق الإنسان ، وأهمها مخرج

في أيام البحث في كتابة اللغة العربية  
بالحروف اللاتينية كل أحد الزملاء - أعضاء  
بجمع اللغة العربية - يروى أن الأبجدية الروسية  
تتضمن على نحو أربعة وثلاثين حرفا وتزيد  
نحو ثلاثة حروف على الأبجدية العربية ،  
مع حسابان حروف المد في الأبجديتين .

وكان يلوح لذلك أننا قد نستفيد من  
مقابلة تلك الأحرف الزائدة بما يناسب  
النطق العربي لأداء الأحرف التي لا توجد  
في لغة الصاد .

وقد رجعنا - لهذه المناسبة - إلى مرجع  
وإلى أصول الأبجديات فوجدنا أن الأبجدية  
الروسية التي ذكرها الزميل أتقص حروفا  
من الأبجدية العربية ، وإن زادت علامات  
الأحرف بها من علامات الأحرف عندنا .  
(أولا) لأن الأبجدية الروسية لا توجد  
بها حروف تمثل أصوات الحاء والذال  
والصاد والضاد والطاء والظاء ، فهذه  
الأصوات ناقصة فيها يعوضونها إذا كتبوا  
الاسماء العربية بوضع قطع تحت الحروف  
التي تؤدي عندهم أصوات الحاء والذال  
والسين والذال والتاء .



تحرى مواضعها القويمة من حروفها الخاصة ، إلى أن استقرت على حروف لا التباس بها وخارج واقية من النطق الإنسانى لا يهمل بعضها ولا تتداخل الحروف على اختلاط واشتباء بعضها الآخر . وقوام النطق الإنسانى الفصيح أن فيه جميع مخارج الأصوات ، وأن تخلص فيه مواقع الحروف بغير لبس ولا اختلاط ، وهذه هى مزية ، الابجدية ، العربية التى يحق لنا من أجلها أن نحسبها أكل الابجديات ، وأن نستشهد لذلك بالشواهد المعنوية الحيوية أو الشواهد البيولوجية الفزيولوجية كما قول فى مصطلحات العلم الحديث ؛ لأن جهاز النطق الإنسانى وتوزيع مخارج النطق عليه حقيقة من حقائق العلم والحياة لا تزيد عليها ولا تنقص منها مفاخر الأجاس والأنساب ، ولا دعوى اللغات واللغويين .

وقد تقدمت اللغة العربية فى هذه الأطوار وانتقلت من طور اللبس والاختلاط إلى طور الفصاحة والتبوير السليم لأسباب متعددة تخصها ولا تم ، العائلات ، اللغوية الأخرى ، وأكبرها أثرا فيما نحن بصدد أن التطور بين لهجاتها قد كان تطورا بين لهجات لغة واحدة فى جزيرة واحدة ، ولم يكن تطورا تنازعه اللغات المختلفة من عائلة لغوية واحدة أو عائلات شتى .

الحروف الخفية التى تلبس الحروف عند الأمم غير العربية لإعماله فى تقسيم حروف الكلمات .

وفى أبواب الإبدال والحروف المتفرعة التى تستوفى كتب النحو والصرف والقراءات بيان مفصل من هذه الحروف الكثيرة التى تبلغ بها الابجدية العربية فوق الأربعين ، لو أضيفت إليها .

فمن هذه الحروف حرف الباء القريبة من الجيم فى بعض لهجات قصاعة .

وحرف الكاف القريبة من الشين فى بعض لهجات ربيعة .

وحرف الباء القريبة من الميم فى بعض لهجات مازن .

وحرف الكاف القريبة من الجيم القاهرية فى بعض لهجات اليمن .

وحرف بين الصاد والسين ، وحرف بين الطاء والطاء ، وحرف بين الظاء والطاء ،

وحرف بين الباء والفاء ، وحرف بين الفين والجيم فى بعض لهجات قيس وبنى أسد وبعض لهجات المتحدثين من تنحرف ألسنتهم عن النطق السوى المتفق عليه بين قبائلهم التى اصططحت على النطق الفصيح .

فهذه الأصوات لم تكن ناقصة فى لهجات اللغة العربية ، ولكنها كانت فى هذه القليلة أو تلك أصواتا مضطربة بين مخارج النطق

مفاخر قومية ؛ لأننا أخرى أن نفنى أنفسنا من دعوى الفخر في أمر نستغنى فيه بتقرير الواقع عن اتحال الدعوى ، وما من زمن هو أولى بإبراز هذه المعلومات من زمن كثرت فيه أحداث التطوير والتجديد في قواعد الرسم وأصول الكتابة ومزايا الضبط في التعبير والآداء .

وخصلة أخرى تدعونا إلى إبراز تلك المعلومات والإبانة عن أسرارها وظواهرها ، وهي وجوب الانتهاء من طور الاتهام وسوء الظن بالنفس أمام الفضائل الأجنبية ما ثبت منها وما هو من قبيل المفاخر المشكوك فيها ، فقد كان طور الاتهام وسوء الظن بالنفس حميد المغيبة من بعض جهاته ، يوم كان الشعور بالفضائل الأجنبية في عالم الثقافة والصناعة لازما للتنبيه إلى مواطن ضعفنا وقصورنا والهوض بنا إلى تصحيح أخطائنا وعبوبنا وابتعات عزائنا وأفكارنا ، ولكن الجانب الخيد منه قد ينقلب إلى قبيض ذميم إذا انتهينا إلى طور العمل ووجب علينا أن ندرك الحقائق على جليتها وأن نعطي كل شيء حقه من الجهد عندنا وعند غيرنا .

وثمة جانب آخر من جوانب الاتهام وسوء الظن لم يكن حميد المغيبة من قبل وليس هو بالخيد المغيبة في وقت من الأوقات .

وذلك أن الإصرار إلى قبول التهم التي

فإذا تنازعت لهجتان فالغالب المستحسن منهما باق في اللغة العربية ، والفرق بين المختار منهما والمتروك معروف بمقياس واحد في تلك اللغة مردود إلى أصل واحد من أصولها ، باق فيها على أنه مزينة من مزاياها تهدي إلى الاقتداء بها في مزايا أخرى . وقد يرجع استيفاء النطق بمخارج الحروف الحلقية إلى مزينة جوية في الجزيرة ، تاريخية في أهلها ؛ لأن مناخ الجزيرة لا يحول دون استخدام الحلق في الكلام ، واشتغال أهلها برعى الإبل والشاة يودهم سماع الأصوات التي تقارب حروف القاف والعين والحاء ، ولكن الفضل في الاختيار والتمييز لا يزال بعد وجود الحروف لأي سبب من الأسباب الجزرية أو التاريخية حقا خالصا للتسكلمين المعساقين في تجويد النطق ونحر البيان .

\*\*\*

وهذه معلومات واقعية عن لغتنا نحونا أن فتنه برسم الكتابة عندنا وأن نقيم على أساسه كل تنقيح أو توسع نحتاج إليه . فإن هذا الرسم تحط رفيع بين الأبجديات في لغات الأمم التي لم تسلم بعد من العجمة أو اللبكتة ولم تخصص في تجربة المخارج الصوتية من الإعمال والاختلاط إلى فصاحة النطق السليم .

ونسميها معلومات واقعية ، ولا نسميها

التي فتحت أبواب الإنكار على الثقافة الأجنبية من جهة، وفتحت أبواب التعصب لها والمباهاة بها من جهة أخرى... فليس منا من يحق له أن يعتبر الثقافة الأوروبية غزاة له دون غيره بين أبناء قومه، وليس منا من يحق له أن يتنادى مع التقليد الأعمى فيخيل إليه أن كل مزية تنسبها إلى لغتنا إنما هي نعمة نثار ونحوة صنية، ولو كانت لها حقيقة واضحة كحقائق الأرقام ؟

عباس محمود العقاد

تسكال لنا جزافاً قد كان إحدى الشهوات الخفاء في نفوس المفرودين من ذمة المتفرجين، إذ غلب فهم حب الظهور على حب الحقيقة بل على حب الكرامة، فلم يكن أجمل منهم إلى الترحيب بكل قيصرة تنسب إلى لغتنا وكل مزية تنسب إلى اللغات الأخرى اغتراراً منهم بسمعة العلم الذي اتفردوا بتحصيله من الغرب ولم يشاركهم فيه إخوانهم من فاتهم تحصيله هناك كما حصلوه، وليس لهذا الغرور محل في ذمتنا هذا لانتفاء المفاجأة

## الحجاج والأعرابي الحكيم

قال الأصمعي : خرج الحجاج ذات يوم فأحمر، وحضر غداؤه، فقال : اطلبوا من يتغدى معنا، فطلبوا فلم يجدوا إلا أعرابياً في شملة، فأثوه به، فقال له : هلم . قال له : قد دعاني من هو أكرم منك فأجيبته . قال : ومن هو ؟ قال : الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصوم فأنا صائم . قال : صوم في مثل هذا اليوم على حرام ! قال : صمت ليوم هو أحر منه . قال : فافطر اليوم وصم غداً . قال : ويعضن لي الأمير أن أحيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إلي . قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل ليس إليهِ سبيل . قال : لأنه طعام طيب . قال والله ما طيبه خبازك، ولا طباخك، لكن طيبته العافية . قال الحجاج : والله ما رأيت كالיום أخرجوه هني .

# فتح القلعة

## الإخاء منيَّشود والفرقة بغيضة

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

(١) « يا أيها الذين آمنوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،  
ظفروا سيبلهم إن الله غفور رحيم » - « التوبة » .  
(٢) « يا أيها الذين آمنوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،  
فلأخوانكم في الدين ، ونفصل الآيات لكم  
يملكون » - « التوبة » .

دهوته فيعلمهم - أولا - أن يحترموا جهودهم  
التي ينفقونها مع الغير ، يا أيها الذين آمنوا  
أوفوا بالعقود ، - « وأوفوا بالعهد ، إن العهد  
كان مسئولا » .

ويعلمهم - ثانيا - أن يصارحوا بالعزم على  
التحلل من اليهود قبل حلها ، وإذا رأوا غيرهم  
يحاول تقضيها ، وإما تخافن من قوم خيانة  
فانذروهم على سواء ، إن الله لا يحب الخائنين .  
ثم يعلمهم - ثالثا - بعد التحلل من العهد :  
الآية التي فرقوا بالعدو الغادر في حرب ، وألا  
يهادونه في حصار ، أو يتنظروا عنه في مرصد  
حتى لا يجد سبيلا إلى مهرب يحتمى فيه .

« فاقبلوا المشركين حيث وجدتموهم ،  
وخذلوا ، واحصروهم ، واقعدوا لهم كل مرصد .  
و غاية هذه التوجيهات : إذلال الناكثين  
للعهد المتجربين على الله ، وكبتهم فظير ما بدأوا  
من الكيد لدين الله .

لم تكن خصومة بين الناس أعنف من  
خصومتهم في العقيدة منذ وجدت أديان ،  
ولا أطاح بالرقاب ، وأهدر الحمرات والأموال  
مثل ما كان ذلك أو أكثر ذلك ناشئا عن جموح  
في الرأي ، وانسلاخ عن الحق ، وإثاب للجهالة .  
وطالما كان المجال الديني معترك الفكر  
كان هذا المجال منزعجة الشيطان لوقود الفتنة  
بين الناس حول تدينهم ، وتصحيح إيمانهم ،  
أو تكاذبهم فيما يدعون . وكما كان الباطل يصاغ  
في هذا الغالب ، ثم يساق إلى الناس في أساليب  
الغيرة على الدين .

وما نسينا مما قلنا أن الحياة الإسلامية  
حينما بدأت تتخذ في إطارها الجديد وضعا  
مستقرا تارت في وجهها الجدليات ، ثم الملاحم  
بين ما في الدنيا من ضلال قديم ، وما أشرق  
عليها من إصلاح جديد غير مألوف .

وفي هذا الاتجاه الناشئ يلحظ الله جنود

وعندئذ انحسم الشر كله ، واتحد التقصد ،  
 وانتظم الشمل بعد تقاطع ، وتقاتل . وكان  
 السيل إلى هذا ، أنهم تلاقوا على دين الله ،  
 وانخلعوا من الكفر إلى الإيمان ، ومتى توافر  
 الإيمان استقام الأمر ، وانتشمت الضلالات ،  
 وتبين الرشده ... ذلك تقدير الله في تشريعه ،  
 وهو ما جرت به الأقدار على مسارح دنيانا :  
 في عروش الملوك ، وعلى كراسي الحكم ،  
 وفي دوائر النفوذ على اختلافها : سعة وضيقا .  
 وكل نزعة تبين مارسم لعباده في مسالكهم  
 لن تكون لها عاية مرجوة ، ولا عاقبة مأمونة  
 وإذا كان غيرنا يلتمس هذه التوجيهات في كلام  
 النصحاء : لحسبنا حوز زيادة أنها من قصص الله .  
 فليس ترددها غريبا على مسامع المسلمين  
 ولا بعيدا عن واقعهم ، وقد صقلتهم  
 الأحداث ، وصبرتهم التجارب ، وذكرهم  
 القرآن بهذا في كثير من آياته .

فإن يكن الدين هو الجامع بين الاشتات  
 المتنافرة ، وهو الذي ألف بين الوحدة  
 الأولى في تجميع هذه الأمة من قريش ومن  
 الأوس والخزرج على ما كان لديهم من شقاق  
 فلا يزال الدين - والحمد لله - قائما على أركانه  
 الشداد ، ومكفولا بكتاب الله المحفوظ .

الإسلام هو الإسلام ، وهو الرباط القوي  
 الوثيق بين أمته ثم بينهم وبين الداخلين فيهم  
 حتى ليعتبرهم إخوانا ، غير ناظر فيهم إلى  
 اختلاف لون ، أو لسان ، أو جنس فإذا

وفي هذا المقام يتمثل العداء سافرا ، والقسوة  
 بالغة ، والنكال شديدا من جانب المسلمين ،  
 لأن عدوم كان في عهد معهم ، والإسلام  
 يأخذ أهله بالترام الوفاء حتى مع خصومه .  
 فحارلة العدو أن يغدر بعهد المسلمين تعتبر  
 خدعة ماكرة ، لجزاؤه أديا أن يذوق وبال  
 أمره ، والجزاء من جنس العمل ، وذلك  
 قسطاس في العدل .

ومع ما يبدو من هذا التضيق والتحريض  
 على الكفار لم يترك الله لجنود دعوته أن  
 تغريهم نشوة النصر فيسرفوا في القسوة ،  
 ويتجاوزوا الغاية المروقة من الجهاد ، بل  
 وضع أمام المجاهدين حاجزا يكفهم عن التمادى  
 ويكلفهم أن يكونوا على هودة مع عدوم ،  
 وأن يطلقوا حرية المكبوتة .

« فإن تابوا ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة  
 خلوا سبيهم ، إن الله غفور رحيم » .

لحين تتحقق توبة المشركين بالتوحيد ،  
 وفعل الصلاة والزكاة ، لم تعد بين الجانبين  
 عدوة مشبوبة ، ولا دعاء مهددة ، وإنما  
 في كفالة الله ، وحرمتهم موفورة عليهم .

بل يضع الله أمام المجاهدين ذلك الحاجز  
 توجيهيا شاخصا إلى تبدل الحال أكثر من ذلك  
 بمقتضى الإيمان الذي دخلوا فيه وصاروا به  
 إخوة متساوين « فإن تابوا وأقاموا الصلاة  
 وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين وتفصل  
 الآيات قوم يعلمون » .

١ - أما التوبة منهم فإعلان التوحيد بالشهادتين .

٢ - وأما الصلاة فلأنها رأس العبادة البدنية وأصلها بالدعوات والخشية لله .

٣ - وأما الزكاة فلأنها مأساة الفقراء، ومحجب إلى القلوب، وتعاون على النفع العام وهذه الثلاث جميعا - يتضح - غالبا من حالها عليها أنه آمن ، وأطمأن ، وسار على المنهج الإسلامى كله .

وما بعد هذا من شئون دينية يكون مفروضا حصوله . . لأن المعلن للتوحيد وهو المتردد على فعل الصلوات والبذل لماله

في الزكاة لا يفتق عليه إن فعلها أن يستجيب فإعدادها لأن هذه الثلاث هي التي تجرده أكثر من سواها . وهذه هي الوجهة في اشتراطها لتحقيق الإيمان من أولئك المعاندين

وهنا وقفة عليّة تحتاج إلى تمحيص موجز .

١ - إذا وقف المرء عند هذه الثلاث، ولم يفعل سواها أيمكن أن يكون قد تم إيمانه ؟؟

ظاهر الإطلاق في الآية يوم ذلك . . ولكنه فهم لا يستقيم في نظام التثريب ، لأن أركان الإسلام فيها صوم وحج ، ولا بد من الإيمان بهما ، ومن أدائها عند القدرة ، كما تطابقت النصوص الفاصحة .

ولمّا اكتفت الآية بذكر الثلاثة من المشرِك في أول إيمانه ، حتى تلح له فرصة العمل بما بقي ، فإذا أنكر بعضها لم يكن مؤمنا حقا .

٢ - وتوجد أحاديث معتمدة فيها رواه البخارى ومسلم ، تدل على كفاية التصريح

كانت هذه طبيعته ودعوته ، وسياسته ، وهذه ظاهريته التي تمتث في أمته أينما كانت في مراحل زمنها .

فإذا جد فيه حتى نرى من أهله صفوفا تتحلف وجماعات تصدح ، وسياسات تتمزق ورايات تتهاوى ؟؟

ماذا لحق بالجماعة الإسلامية حتى أصبح شأنها على غير ما بدأت ، وبات أمرها في ظلام ؟ إن الله - سبحانه - لا يعطى النعمة جزاها ، ولا يقبل الملك احتياطا .

ولمّا هي اختبارات في العطاء أو مطالبة في الحكم والنفوذ ، وامتحان في الرحمة والعدل ، فإذا بدل الناس نعمة الله كفرانا ، وصيروا الملك طغيانا ، استرد الله نعمته ، وسلب من ذوى الطغيان سلطته ، وأقام البرهان من جانبه على أن الأمر إليه - أولا وأخيرا - وأنه لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بأنفسهم ونعود فنقول :

دين الله كما وضعه الله ، والتاكثون عن الدين هم التاكثون على أنفسهم وصنة الله تجري على أوضاعها دون تبديل فيها . وقد جعل الله تلاق الناس على دينه مثابة إلى الخير ، وأمانا من سوء .

وجعل ذلك مع الكفار - على عهد الرسول - بأمور ثلاثة ، ذكرتها الآية :

تابوا ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة . بهذه الثلاثة تنفجر أزمة العداوة بينهم ، وهذه الثلاثة يصيرون إخوة في الإيمان .

— ٢ — مرة لا يكتفى النبي بكلمة التوحيد إذا صدرت مثلا من يهودى كان يقولها بحكم دينه .. بل لابد فى تحقق إسلامه من شهادته لله ولمحمد بالرسالة عامة لئلا يعترف بالرسالة ، وهو يحصها بالمربوحهم .

٣ — مرة يطلب الرسول مع الشهادتين أداء الصلاة والزكاة فى مواعدهما وهذا فى حالات تقتضى مزيد التأكد من إسلام من لم يكن مسلما وهذا ما وردت فيه آيات الموضوع ، وأحاديث تؤيدها فى المراد وعلى أى حال : فالإذعان بالشهادة أو بالشهادتين أو ببعض العبادات كالصلاة والزكاة لا يغنى عن بقية عناصر الدين المفروضة فى تشريع الله ، والدين لا يتجزأ ، ولا يغنى فيه شأن ، عن شأن . ونجزة الدين تعتبر إيمانا ببعض الكتاب دون بعض ، وهذا ضرب من الكفر يأباه الله سبحانه .

والقرآن : يتجه بالناس إلى التلاقى على تدين صحيح ، وإخاء ناصح ، ويحذرهم دائما أن يخدعوا أنفسهم بالأمل الكاذب دون حل محال كما يحذرهم دائما أن يتخذوا لأنفسهم بطانة من عدو دينهم ويعلمهم أن عدوهم مهما تصانق لهم لا يريد بهم خيرا ، ولا يزيدهم إلا خيالا ، ولعل الله يحفظ بيضة الإسلام وشعبه من مكر الماكرين بها من طريق الأغترار المتحلفين عن التلاقى على الدين .

هو اللطيف السلي

عضو جماعة كبار العلماء

بالشهادتين فى تحقق الإيمان ، مثل ( أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلخ ) ، فلم يشترط فى الإيمان صلاة ولا زكاة كما ذكرت الآيات والأحاديث المرافقة لها .

٣ — بل توجد أحاديث معتمدة كذلك تنكتفى بقول ( لا إله إلا الله .. فقط ) ويقولها وحدها يكون الكافر مسلما ويدخل الجنة . وليس مشروطا أن يشهد لمحمد بالرسالة كأبدل تلك الروايات وخلاصة هذه الشبهة - أننا نرى توبة الكافر تكون بكلمة التوحيد فقط . وعلى هذه النصوص يكون التلاقى على دين الله يمكننا بين الناس بمجرد كلمة لا إله إلا الله وهذا أسرما يقال ، دون التزام لاكثر منها . والتحقق :

أن جميع النصوص فى كتاب الله وسنة رسوله داعية إلى مقصد واحد : هو ترك الكفر ، والدخول فى دين الله على أكل وجهه : عقيدة ، وعملا وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم - يتحدث فى كل حالة بما يناسبها .

١ — مرة يكتفى من المشرك بقوله ( لا إله إلا الله ) لأنه حين يقولها تكون أمانة على تخليبه عن الشرك كله ، ودخوله فى التوحيد فترك قتاله إذا كنا فى شمار معه ولا نفقد عليه أمر الدين ، ونعطيه الفرصة فسيحة لإظهار دينه فى رفق .

## من معاني القرآن

« قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى  
واقه غنى حلیم ، (قرآن كريم)

(القول المعروف يصدق على كل كلام يقسم بالرفق والخير والإحسان.  
(والمغفرة ستر الذنوب بالعمو والصفح عن مآله .  
(والمراد بالصدقة هنا ما يبذله المنفق أو المتصدق للسائل أو المحتاج.  
(والأذى يطلق على المكروه الذي يؤلم ، والشئ الذي يستقذر .

ومعنى الآية - واقه أعلم بمراده - أن رد  
السائل بقول حسن أو كلمة طيبة خير  
من إعطائه ما يطلب من صدقة إذا كان يتبعها  
كلام يؤذيه ويؤله . أو اعتداد بها من المنفق  
أو المتصدق يثقل عليه ، ويدخل في ذلك  
إظهار الضيق به . والتبرم منه ، والتجهم  
في وجهه ، واقه غنى لا يحتاج لغیره .  
بل كل ما سواه محتاج إليه ، وهو حلیم  
لا يعاجل بالعقاب من يبخل بماله . أو يبذله  
ويقبض البذل بما يبطئه من أذى السائل  
بالقول أو الفعل . فلا يغرنكم ذلك . وخافوا  
عذابه وعقابه . فإنكم لا محالة محاسبون أمامه .  
ويظهر من مقابلة القول المعروف بالصدقة  
أن المراد بها صدقة التطوع والتبرع . وقد  
شاع استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى في كلام  
الناس حتى فهم خطأ أنها فاصدة عليه . مع أنها  
في وضعها الإسلامي السليم - وقبل أن يضيق  
العرف الفاسد معناها الواسع - تطلق على كل  
قول وكل فعل يتم على صدق الإيمان . وإحساس  
المؤمن بما يجب عليه نحو الله ونحو الناس .

فالزكاة وهي ضريبة لازمة وحق مفروض  
في مال الأغنياء . تسمى صدقة ، كما يفهم  
من قول الله : إنما الصدقات للفقراء  
والمساكين الخ ، والعامل على الزكاة كل يسمى  
عاملًا على الصدقة ، بل كل عضو في جسم  
الإنسان عليه - كل يوم تطلع فيه الشمس -  
صدقة ، كما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم  
« كل سلامى من عضو من الناس عليه صدقة »  
كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين  
صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها  
أو تحمله له عليها متاعه صدقة ، والكلمة  
الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة  
صدقة . وتعيط الأذى عن الطريق صدقة » .  
ومن ثم يقين أن معنى الصدقة يسع كل خير  
وبر ، وأن صدقة التبرع أو التطوع . يجب  
ألا يشوبها جور على كرامة السائل والمحتاج ،  
فلي الدين يرون في الصدقة غضا من قيمة  
الإنسان وكرامته أن يفهموا الإسلام على  
سلامته واستقامته ، فيسجدون فيه اشتراكية  
أوسع وأدفع . هبة الرحمن خروقة



## بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية

للأستاذ محمد محمد أبو شنبه

غفلة الحاكم الذي ينفذ الشريعة ، وقيم الحدود والعزيرات ، ويفضي بين الناس ؛ لأنه إن غفل الحاكم وأصواته ولم يصل إلى عليهم المخالفة أو الجريمة فلن يغفل الرقيب الأعلى العالم بكل شيء والخير بما تهجس به النفوس ، وهو الله تبارك وتعالى ، وهذه المراقبة للحق تبارك وتعالى إنما تربها وتنمها الشرائع السماوية ، ولا تزال تنمو وترسخ حتى تصبح ملكة نفسية ولن تجد أصلح للجماعات من سيطرة ملكة المراقبة في النفوس .

وإنك لتلبس هذا المعنى واحدا في مسلك بعض الأغنياء الذين يخرجون زكاة أموالهم طائعين محتارين عن طيب نفس ومع التحري والتمحيط بالغبين في التقدير والإخراج ، بينما يجهلون يتقاعسون عن دفع بعض الضرائب التي تفرضها الدولة مع أنها تنفق في الخير والمصلحة العامة بل ويتحايلون على التخلص منها ، وإذا دفعوها دفعوها مكرمين ، وذلك لأن الزكاة تكليف من الشارع الحكيم ، أما الضرائب فتكليف باقانون .

بينت في المقال السابق أن مرجع الشريعة الإسلامية إلى القرآن والسنة المحمدية يعني أنها من عند الله سبحانه وأنه ليس للبشر فيها إلا فهم النصوص والاجتهاد فيما لم يرد فيه نص صريح بقياس الشيء على الشيء ، وتخرج الفروع على الأصول ؛ واستخراج أحكام الجزئيات من السكليات ، والنظر والاستدلال في حدود القواعد العامة ، ومراعاة روح التشريع الإسلامي ومقاصده وأهدافه ، وأن القوانين الوضعية مرجعها إلى عقول البشر فهي بشرية بحتة ويرتب على هذا الفرق الأصيل في المصدر النتائج الآتية :

١ - أن تكون للتشريعات الإسلامية القداسة والتقدير والاحترام في النفوس وذلك لأن واضعها هو الله سبحانه وتعالى وله في النفوس القداسة العظمى ، والخضوع المطلق ، وليست القوانين الوضعية كذلك فهي طارية عن هذا التقديس مهما كانت منزلة واضعها ، ولهذا التقديس أثره الكبير في التزام الشريعة والعمل بها في السر والعلن ، والرضا والنضوب ، حتى ولو أمن العامل بها

وطبائهم ، وما يمرض لهم من صحة ومرض وغنى وفقر ، وسفر وحضر ، ولذلك جاءت التشريعات الإسلامية متفقة مع الفطرة وفيها كفاء لكل هذه الأحوال والملازمات .

وسأقتصر على ضرب مثل لهذا ، وليكن ذلك بمقربة القصاص في النفس فقد جهلت الشريعة القصاص حقاً لولى الدم ولم يجعله الله سبحانه حقاً لازماً كالحدود لا يجوز التنازل عنه ولكنه شرع لولى الدم العفو إلى بدل وهي الدية ، أو العفو المطلق قال سبحانه : يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والآثى بالآثى ، فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم القصاص حياة بأولى الأبواب لعلمكم تنقون ، (١) وقال : « وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والآثى بالآثى ، والأذن بالأذن ، والسن بالسن ، والجروح قصاص ، فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (٢) .

والآية وإن كانت في شريعة التوراة فهو في شريعتنا كذلك ، وقد دلت الآية على أن

وتلوه أيضاً في هذا المشهد العظيم - موسم الحج - حيث يجتمع الألوف الموقوفة من كل جنس ولون ، ومن كل قطر وصقع ، ومع هذا يكاد يكون التمدي على السماء والأعراض والأموال في حكم العدم ، ولم نسمع أن أحداً قتل ، أو عرضاً انتهك ، أو مالا انتقل ، إلا في القليل النادر جداً ، ولو رأيت الناس وهم يطوفون حول البيت رجالاً ونساء ، وشباباً وشيباً ، ويراحون بالمناكب حتى لا تكاد تجد منفذا لإبرة ، لمعجب ألا تجد أحداً سرق قوده ، أو مجهوزاً وطنى تحت الأقدام ، أو امرأة عرض لها أحد بسوء ، أو خدش حياءها بلسة مريبة ، أو كلة نائية ، ولأمنت حتى الإيمان بسلطان الشريعة على النفوس وقداستها في القلوب ، ولو أن مجتمعا دنيوياً لا يصل تعداده عشر معشار هذا الحشد الحاشد من الجميع لما سلم من الجرائم والمظالم التي لا يحصيها العدد ولكنه الوازع الدينى الذى هو من ملازمات التشريع السورى ولا سيما الإسلام .

(٢) موامة التشريعات الإسلامية للفطر وصلاحيتهما لكل زمان ومكان ولكل الأمم والشعوب على اختلاف طبائسها ، واتجاهاتها وبيئاتها ، وذلك لأن واضعها ومرسها هو الله سبحانه وتعالى وهو عالم بما كان وما يكون ، وعالم بالبشر وفطرهم ، وغرائزهم

(١) البقرة ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢) المائدة الآية ٤٥ .

أن يقتصر بنفسه لترضى بذلك نزع الانتقام الكامنة في أغواره ، ولتحول بينه وبين أن يأخذ حقه يسره قبل المحاكمة أو قبل الموعد المحدد لتنفيذ العقوبة ، أو أن يرى العقوبة التي تنفذها السلطات العامة غير كافية لشفاء نفسه فيحاول أن ينتقم من أهل القاتل ، وحينما جعل لولى الدم أن يقتصر أو أن يعفو إلى بدل أو يعفو عفواً مطلقاً ، فبعد أن مكنته من القصاص كل التمكين وسلطته على الجاني إلى هذا الحد ، حببت إليه العفو وأغرته به من الناحية المادية لمجملت له أن يعفو على مال ، وأغرته به من الناحية المعنوية فوعدته رضا الله والثواب الجزيل في الآخرة ، فن عفا وأصلح فأجره على الله (١) ، فن تصدق به فهو كفارة له ، والكاملين الفيض والعافين عن الناس (٢) ، حتى إذا عفا بعد هذا كله فقد عفا بنية صحيحة ، وانمحيت السخائم والخزازات ، وحل الوثام محل الخصام ، وهو العامل الفعال في حفظ الأمن وإقرار النظام بين الجماعات (٣) .

وليس ثمة من يجادل في أن الإنسان بطبعه يكون أقرب للعفو عن حقه بنية صادقة كلما كان قادراً على الوصول لحقه ، لا يمنعه عنه

شريعة التوراة كان فيها القصاص والعفو المطلق ، أما شريعتنا فجاءت بالقصاص والدية والعفو المطلق ، وبذلك تميزت عن الشرائع السلفية السابقة والقوانين الوضعية ، وجاءت أوفى وأتم ، وأشد مواءمة للفطر والنفوس . ولذلك سر ؛ ذلك أن بعض الناس كالتبائل البدوية وأهل الريف بمصر مثلاً ومن في حكمهم ممن يستحكم فيه حب الأخذ بالثأر والقتل والانتقام لا يرضون إلا بإراقة الدم وذلك بالقصاص وبغيره لانتذهب الخزازات من النفوس وذلك أمر معروف ومحس به أكثر المتصدرون للقضاء بين الناس ، وبعض الورثة وأولياء الدم قد يرون أن الدية أنفع لهم من القصاص ولا سيما إذا كان القاتل هو عصمتهم وليس لهم عائل سواء ويرون أنهم في حاجة إلى المال للإتفاق على الأرامل والصغار أو لاعتبارات أخرى ككون القاتل له صلة قربي بهم ، وأمثال هؤلاء يميلون غالباً إلى الدية بدل القصاص وبعض أولياء الدم قد يرون العفو المطلق . إما لسمو في نفوسهم أو تسامح في غلظتهم ، أو قوة في دينهم فهم يلتسمون الأجر من الله . وإما لظروف تدعوهم إلى العفو عن القاتل كقراة ونحوها ، فن ثم جاءت الشريعة بالأمور الثلاثة وقد كان الخارج حكماً أيضاً حينما جعل القصاص حقاً للولى وجعل للولى

(١) التورى ٤٠ .

(٢) آل عمران ١٣٤ .

(٣) التفريع الجنائى الإسلامى - ١٩٩٠ ج ١ .

مثلاً أفسد ولم يصلح ، وقبح باب شر كبير على مجتمعاتنا الإسلامية ؛ وذلك لأنه وضع لبئنة غير يثبتنا ولقوم دينهم غير ديننا ، وطبيعتهم غير طبيعتنا ، وتقاليدهم غير تقاليدنا ، بل قد أثبت الواقع عدم صلاحية هذه القوانين للبيئة التي وضعت لها ، وليس أدل على ذلك من فشر الفساد والانحلال الخلقي والاجتماعي في كثير من البلاد الغربية ، التي تحكم بالقوانين الوضعية ، ولن يجادل في هذا إلا مكابر .

٣ - موافقة التشريعات الإسلامية للصواب والحق والعدل وذلك لعدم احتمال الخطأ أو الغلط أو الجور أو الظلم من واضعها أو الخشوع للأهواء والشهوات والتأثر ببعض المؤثرات وعدم احتمال الهابطة أو المجاعة أو النفاق والمداينة ، إذ الحق سبحانه وتعالى منزّه عن كل ذلك ، وكذا الرسل صلوات الله وسلامه معصوم عن ذلك ، وقد قامت الدلائل العقلية والنقلية على كل ذلك ، وقد بين الحق تبارك وتعالى هذا المعنى بقوله : « وامت كلسه وبك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » (١) ، وقال : « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (البقية على صفحة ٤١٠)

مانع ، ومن هذا العرض الموجز يتبين لنا موافقة الشريعة الإسلامية لطبائع البشر وضرورتهم ، وفضلها على غيرها في هذا ، وهذا المعنى هو الذي عناء الحق تبارك وتعالى بقوله : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٢) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : ( ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ) رواه البخاري ومسلم والفطرة هي الدين الحق ، دين الإسلام ، الذي يوائم الفطر والطبائع وقوله : ( تركتكم على الحنيفية السمحة التي ليلها كنهارها ) .

أما القوانين الوضعية فواضعها البشر وهم مهما بلغوا من العلم فعلهم تاصر لأنهم إن علموا ما في أنفسهم ويومهم قلن يعلموا ما في الفد ، وإن علموا بعض الطبائع قلن يعلموا كلها ، وإن علموا بعض البينات قلن يحيطوا بها كلها علماً ومن ثم كانت بعض القوانين الوضعية لا توائم كل الفطر ولا جميع البينات ، ولا تحقق مصلحة الناس ولا صلاح المجتمعات .

وليس أدل على هذا من أن القانون الذي نحكم به في بعض الجرائم والعقوبات كالزنا

## التضمين، أو نيابة حرف بمكان آخر للأستاذ عمر لطفي السيد

هذه الحروف بحث الأخذ والرد وجب البت في أمرها وبيان حقيقة الموضوع أو توضيحه فأقول :

الفعل في اللغة يراد به معناه الأصلي ، والحروف المتعلقة به أو حروف الجر لا تتغير أبدا بالنظر إليه وهذا مما يؤيد أرباب الرأي الأول . وإذا تخلف ذلك ووضعنا حرفا مكان آخر عد ذلك غلطا قطعاً . وهذه قاعدة أصلية مقتبسة من كتب اللغة . ومن كلام العرب الفصحاء ، ولا تخرج هذه عن قاعدتها إلا إذا أردنا ( الجواز المرسل ) وهذا يقال له في مصطلح النحويين ( التضمين ) أو أن يراد باللفظ ( الحقيقة العرفية ) ومن ثم يقولون : إن حروف الجر ينوب بعضها مناب البعض الآخر . بأن يبقى اللفظ على حاله لا يتغير ، وإنما يتغير حرف الجر للدلالة على أن الفعل تبدل معناه إلى ما يقاربه من وجه في التوسع أو التقيد لمعناه .

والعلاقة في الغالب سببية ولا تذكر لمعوماتها أو أنها صارت ( حرفاً لغوياً ) ولا ينكر أن التضمين في اللغة العربية كثير

من أمد بعيد كنا نسمع في مجالسنا الأدبية فيما يجرى من مباحث ومطالب تتعارض فيها الآراء أحياناً ومن جهة ما كان يجرى بحثه أن ( حروف الجر ينوب بعضها مناب البعض الآخر ) فكان من رأى جماعة أنه لا يجوز أن ينوب حرف جر مناب آخر . وقال بعضهم إذن لا نستطيع أن نضبط أحداً فقلت له : فهل التخليط مقصود ؟ وإذا كان التوجيه يمكننا من الضروري أن يحمل القول على عمل صحيح . ويصرون على أن مرجع ذلك اللفظ ومدوناتها ... وشاركتهم من شاركتهم من لا يؤم المجالس الأدبية . ومن رأى جماعة آخرين أن هذه الحروف ينوب منابها غيرها وقد طالت المباحثات في هذا الموضوع .

وهذه المسألة لا تحمل بإبداء الآراء وإنما تحقق من ناحية التبدل المشهود في الكلمات ومشاهدة التفسير فيها عند التركيب أى من ناحية النحو . ومن جهة أخرى نلاحظ علاقتها باللغة وبمحيطها النطق العربي من جهة البلاغة ومواقفها أو مخالفتها . ولما دخلت

عد منه المرحوم الأستاذ (مصطفى صادق الرافعي) المتوفى سنة ١٩٢٧م عشرة آلاف كلمة فمجر عن الإحصاء (والنحو في هذه الحالة يراعى تحول الحروف ظاهرا) .

وغالب النقد من جهة مطابقة اللغة أو مخالفتها دون التفات إلى مراعاة التضمين أى المجاز ومن هنا عد أنه حصل بصورة غير صحيحة وهناك التهميل فى التأويل ليلتئم . وإلا فاللزمة غير قطعية ولا سيما عند تغير المعنى بصرف الفعل إلى معنى آخر يستدعى تبديل الحرف لعلاقة السببية أو لتغيرها وعمل النزاع ما ورد فى (المغنى) من أن الحروف لا ينوب بعضها مناب البعض الآخر إلا بتحوطات .

### وهذا نفسه :

« مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض ، بقياس ، كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك ، وما أوم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ كما قيل فى قوله تعالى : « ولا صلبنكم فى جذوع النخل » وإن ( فى ) ليست بمعنى على ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال فى الشيء ، وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف كما ضمن بعضهم ( شرين ) فى قوله :

شرين بماء البحر ثم تروفت  
مق لجج خضر لمن تبيج  
وشرين معنى روين (وأحسن) فى « وقد أحسن فى إذا أخرجنى من السجن » معنى لطف وإما على شنوذ إنابة كلمة عن أخرى وهذا الأخير هو يحمل الباب كله عند أكثر الكوفيين ، وبعض المتأخرين لا يجعلون ذلك شاذا ومنهم أقل تصفا « ١ » وجاء فى التصريح (٢) :

« والصحيح عند البصريين أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس كما لا تنوب أحرف الجزم وأحرف النصب وما أوم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلا يقبله اللفظ وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف وإما على شنوذ إنابة كلمة عن أخرى وهذا الأخير هو يحمل الباب كله عند الكوفيين ، وبعض المتأخرين لا يجعلون ذلك شاذا ومنهم أقل تصفا على ما قال صاحب المغنى « ١ » .

وهذا الإجمال هو موضوع المناقشة ويرضح هذا :

١ - أن أصل اللغة مبناها ( الحقيقة ) وأن الأفعال منها ما تتعلق بها حروف

[١] المغنى ج ١ ص ١١١ طعة الأستاذ محمد يحيى المين عبد الحميد .  
[٢] شرح التصريح ج ٢ ص ١ - ٧ (لبن) طبع سنة ١٩٢٥ .

مرسل ، أ و «تضمنين» وهؤلاء من جرماء كثرة توغلهم في المعاصم لم يكتفوا أهل سعة في مدلولات اللفظة ، ولذا كانوا في تغليبهم على خطأ وإن كان في حقيقة اللفظة صوابا ، هذا مع أن اللفظة لا تخلو من ضروب بيان سواء في الألفاظ أو في الجمل وهي عوارض تزول بزوال علاقتها ويزيد بعضهم بأنه لو راعينا هذه القاعدة لم يبق مجال في تغليب أحد من حيث اللفظة ؛ فظنوا لهذا الاحتمال أو لهذا السبب . في حين أن الكلام إذا كان له وجه صحيح ، فلا يجوز لنا التغليب إذا كان له مخرج في اللفظة ولا تقبل التحولات أو التقطعات .

وكان ذلك يضيع عليهم مكانتهم اللغوية وموقعهم الممتاز فيها . واثقل هذا الأمر على آخرين أمثالهم أو المقلدين لهم على العمياء ، وما ذلك إلا لأن هؤلاء توغلوا في معاصم اللفظة توغلا صرفهم عن أن يدركوا بجاريها وجمدوا على أصل اللفظة دون مراعاة ما يلامسها في تصرفاتها في غير معاصمها ، واعتبار ذلك تجاوزا على حدود اللفظة ولم ينظروا إلى المجازات المرسلة والاستعارات ، ولا إلى المجاز العقلي والكنائيات .

وهذا مادام التاحة أن يقولوا : « الحروف ينوب بعضها مناب البعض » وما ذلك إلا لأن المعنى قد يقبض فيتحول المقصود من الفعل بإرادة معنى آخر ، ومن ثم يحول الحرف

الجر الخاصة بها فلا تتجاوزها وهذا الاعتبار لا ينوب بعضها مناب البعض الآخر على الإطلاق إلا بتحويلات وهذه عندها صاحب التصريح إجمالا عند البصريين ، وذلك بأن تقول الكلمة أو أن يراعى ( فيها التضمنين ) إلى آخر ما جاء ، فهذه القاعدة عامة في حقيقة اللفظة وأما التجوز فإنه تابع لمراعى الكلام تبعاً لمساواة مجازية وهو موضوع ( علم البيان ) إلا أن التبدل قد يكون باستعارة كلمة أو صرف معاصها عن حقيقة ، فإذا زال السبب عاد الكلام إلى ما كان عليه من حقيقة وإلا لم يكن الأمر كيفياً أو حسب الأهواء بأمر تتصرف به حسب ما نريد وبدون مراعاة عوارض اللفظة أي تتصرف بلا قياس .

٢ - التضمنين أمر مجازي في الحقيقة وذلك بأن نستعمل فعلا في معنى آخر مجازا لعلاقة السببية فيظهر التحول في معنى الفعل فتغير له حروف الجر ، والنحويون ليس من مباحثهم المجاز وإنما ينظرون إلى تبدل حروف الجر نظرا لتبدل المعنى ويقولون « تضمنينا » .

٣ - تغليب النحويين وأهل البلاغة ؛ مبناه التوغل في كتب اللغة ومشاهدة أن الحروف ثابتة لا تتغير بالنظر للأفعال في حقيقة ، استعمالها ولذا يخطئون النحويين وعلماء البلاغة فيها ذهبوا إليه من « مجاز

نسكرها أو نغلط الناطقين بها ليجرد أنها تخالف أصل اللغة ، وهذا التغليب ناجم عن التوغل في المعاجم ( أصول اللغة ) كما تقدم ، أو عدم إدراك اللغة الناجمة ، ومن ثم صار يعد كل خروج انحرافا عن اللغة وشذوذا عنها . وأكبر سبب هو أن الاستعمال مرتبط بعلاقات حالية أو مجازية يزول حكمها بزوال تلك العلاقات وتبعاً لها فلا تبقى مستقرة كاللغة الأصلية .

فإذا كانت المعاجم تسكلم عن أصل وضع اللغة أو ما جرى في زمان ، وبعد المرء ذلك هو اللغة وحدها كن عطفنا من جهة أنه ضيق على اللغة فلم يتعرض للجازات ونصرفت الألفاظ وما مائل من ضروب التغير . فالمصردات مبنية في المعاجم على حقيقتها وكذا الأفعال ومتعلقاتها ، أما المجازات فهي تابعة للعلاقات وفيها مؤلفات كثيرة فلا تدخل في أصل اللغة وإنما ذلك تابع للاستعمال ومن أجل مباحته ( التضمن ) .

وكذلك ( الجمل ) فهي متحولة وقد يراد بها غير ما وضعت له في تكون اللغة وذلك مثل ( الجاز العقلي ) فيصرف عن أصل المعنى كتشبيه جملة بجملة أو معنى تام بمعنى آخر مثله أو يكون ذلك كما قلنا ( مجازاً ) وأطلق عليه علماءنا لفظ ( الجاز العقلي ) وهذا أيضاً من ضروب البيان وضروب البيان

الذي هو من متعلقاته تبعاً للمعنى المقصود من الفعل وإرادة معنى آخر ، أو أن الحرف شاع تبدله تبعاً للمعنى المطلوب وإطراده في الاستعمال وشيوعه ، وكان الفعل متداول في المعنيين فصح أن يستعمل الحرف محل الآخر ، وهذا هو الاستعمال ( العرفي ) أو ما يقال : إنه ( حقيقة عرفية ) وقد يسمى به ( التضمن ) أيضاً من جراء عدم ظهور العلاقة أو فقدانها .

وأما التخصيص فيراد به الحرف المقصود قطعاً كأن استعملنا فعلاً بمعنى فعل آخر إن اضطررنا أن نراعي الحرف المؤدى لمعنى ذلك الفعل وما يحتاج إليه من حروف وهذا من أوضح ضروب التضمن .

ولا شك في أن اللغة كائن حي ، وفي تبدل مستمر وتغير لا نهاية له يمثل هذه الاستعمالات وهي لغوية أيضاً ولكن اللفظ الأصلي يحافظ على وضعه وعلاقته بالحرف الملازم له في الأصل قبل أن يحدث تبدل طارئ ، فإذا أردنا أن نفرق في أغراضنا المتحولة المتبدلة دائماً وجب أن نجعلها مرتبطة بتلك الأغراض لعلاقات مجازية أو تضمينات .. باستخدام الحروف للمعنى المقصود دون ( المعنى الحقيقي ) وهكذا شيوع الاستعمال أو ( الحقيقة العرفية ) .

وهذه ظواهر ليس من الصواب أن



وهذه القاعدة أقرها علماء اللغة والنحو معا فالنصدي إلى أنها غير صحيحة لا يستند إلى دليل ونحن نستدل بكتب النحو ونصوصها ونستدل بالاستعمال فلا ندري وجها للإنكار ولكن أرباب هذا الرأي لا يسمعون دليلا ويريدون أن يفرضوا آراءهم فرضا وصفوة القول : إن اللغة حوت ( الحقيقة ) أو ما هو شائع في عصر التدوين كحقيقة ولم يلتفت إلى استعمال الناس استعمالا مطردا في ألفاظها مجازا أو استعارة أو كناية أو إشارة أو رمزا أو حقيقة عرفية ، ولا إلى الخل واستعمالها بما هو قريب من هذا عما يعبر عنه بالجاز العقلي ، وهذه الاستعمالات زادت في ضروب البيان كما خرجت بمعاني الألفاظ الأولى إلى ما يقرب منها أو ما يمد مقاربا من وجه أو متباعدة بمقدار ضعف العلاقة أو قوتها ، وأكد ذلك الكتاب الكريم والحديث الشريف وضرور المدونات في الأدب العربي . . . وقد قيل ( استعمال الناس حجة ) في اللغة وفي غيرها . . . و ( الحقيقة العرفية ) من أمثلة ذلك فلا نجد بين حقيقة اللغة وبين الحقيقة العرفية حدودا سوى الاستعمال . هذا والتضمنين في مصطلح البيانين الإشارة إلى آية أو مثل أو بيت شعر وتصمينه . وهذا لم يكن من موضوعنا .

والثقتن في التعبير تجعل لفظة ثروة عظيمة والمجاز لا يرجع فيه إلى كتب اللغة ومثله الحقيقة العرفية .

والتضمنين مجاز علاقته غير ظاهرة وربما وجدنا أن كثرة الاستعمال في مثل هذه تقطع ( العلاقة ) قصير ( حقيقة عرفية ) ... والتلاعب في البيان لا حدود له ، وإن ضروب المعاني لا ينكر وجودها ، وتشكون لأدنى علاقة ظاهرة أو خفية أو غير مدركة بسهولة كالإشارة والكناية .

نعلم أن اللغة ( مادية ) في الأصل وأن تصرف الناس خرج بألفاظها إلى الأمور المعنوية ، أو معان أخرى غير مقصودة لأدنى ملائمة من أصل اللفظ ، وقد ننسى وجهة الملائمة أو المناسبة فيبقى الاستعمال وهو حجة ، ومثل هذا ضروري لضيق اللغة مهما بلغت من المكانة في السعة ؛ فإنها مقيدة للناطقين بها وحاجاتهم ، وضرورة بيانهم تدعو إلى ذلك ولا تختلف اللغة العربية عن غيرها من اللغات ، وإن كانت واسعة النطاق فإن الناطقين بها لغتهم محدودة فيضطرون إلى استعمال المجاز في اللغة كأنها لا يوجد منها غير ما يعملون للتصرف بألفاظها وجعلها فيميلون إلى محامل كثيرة ، وإن المعارضين استبعدوا في الحروف أن ينوب بعضها مناب البعض الآخر .

٣ - الدر الثمين في محاسن التضمين ،  
تأليف العلامة الشيخ عبد الله بن سلامة  
الإذكارى نزيل القاهرة ولد سنة ١١٠٤ هـ -  
١٦٩٢ م والمتوفى في ٥ جمادى الأولى سنة  
١١٨٤ هـ - ١٧٧١ م فرغ من تأليفه سنة  
١١٧٥ هـ منه نسخة بدار الكتب المصرية .  
٤ - رسالة المرحوم الأستاذ محمود  
شكرى الألوسى .

وهذه الرسائل تعين بجارى الآراء في  
الموضوع سواء كان للسيد الشريف الجرجاني  
أو لسعد الدين التفتازانى أو لغيرهما من تلامذة  
من علماء البلاغة ؟ **هـم لألفى السبر**  
من خريجي الأزهر

وأما مصطلح التحوين فهو ما تقدم  
الكلام عليه .

والتضمين النحوى تعرض له علماء البلاغة  
في بحث الجاز .

ومن الرسائل المدونة فيه :

١ - رسالة ابن كال باشا ومؤلفها توفى  
سنة ٩٤٠ هـ - ١٥٢٢ م .

٢ - رسالة ياسين بن زين الدين أبى بكر  
ابن محمد بن الشيخ عليم ( بالتصغير ) الحصى  
الشافعى نزيل مصر الشهير بالعيسى ويعرف  
بالسنوشى ( عنى كتاب التصريح عنى  
التوضيح ) وله رسالة أخرى في التضمين  
أيضا . توفى سنة ١٠٦١ هـ - ١٦٥٠ م .

( بقية المذخور على صفحة ٤٠٤ )

الشريعة الإسلامية ، مضى عليها قرابة أربعة  
عشر قرنا وقد بلغت من الجدة كأن هدها  
بالحياة أمس ، ومن الأحكام ما جعلها تفوق  
كل تشريع كما بينا وكما سنبين ، وإذا كانت  
لم تسلم من الطعون ، فما ذلك إلا إرضاء  
لتعصب ذميم ، أو حقد دفين ، أو استجابة  
لهوى نفسى من المبشرين والقساوسة ومن  
ألف لفهم ، والمنصفون من الغربيين  
قد وصفوها بما همى له أهل ، وقد بينا طرفا  
من ذلك في المقال الأسبق وبحسبنا هذا اليوم ،  
فإلى المقال الآتى إن شاء الله ؟

**محمد محمد أبو شهبة**

نزىل من حكيم حميد ،<sup>(١)</sup> وقال : « أفلا  
يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله  
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا »<sup>(٢)</sup> .

أما القوانين البشرية ، فإن واضعها عرضة  
للغلط والسهو والخطأ واتباع الأهواء  
والشهوات ، وقصد المحاباة أو النفاق وتعلق  
الإنهايم بل احتمال ذلك أمر قريب محتمل ،  
ولذلك نجد القوانين الوضعية لا تسلم من  
التحطئة والنقص والإبطال ، والتغيير  
والتبديل ، وما من قانون وضعى قديم  
أو حديث إلا وفيه ثغرات كثيرة ، نفذ  
منها الناقدون المنصفون ، على حين نجد

(١) فصلت ٤٢ : ١ . (٢) النساء ٨٢

عالم جري وبوجه الطغيان :

## يحيى بن يعمر العدواني

للاستاذ محمد رجب البزوي

شجرة في غرس بذور النحر ، مع أبي الأسود  
الدؤلي ، ثم إنه كان كاتباً لا يتلقى العلم مشافهة  
لحسب ، بل يدون ويسجل ، وقد عثر على  
بعض الصحف الأثرية مبهورة باسمه ، كما أنه  
المخترع الأول لنقط الحروف بعد أن خاف  
اللبس من الإهمال ، فابتكر الإيحاء ، هذا  
إلى تصنع واسع في اللغة إذ كان لا يسأل  
عن كلمة ينطق بها بأوى مصر إلا شرحها  
واستشهد عليها من محفوظه ، وقد دنا هذا  
التذرع الواسع لمهجور الكلام في بطون  
القبائل ، وأخذ البداية أن ينطق في بعض  
حديثه بالغريب ، حتى اشتط بعض الكنايين  
فعده بين المتعقرين ، وما أظن هذا صحيحاً ،  
لأن المتعقر هو الذي يجمع الخوشى من هنا  
ومن هناك ليتشدد به عن عمد على سبيل المباهاة .  
أما العالم الأخرى المتمكن ، فلا بد أن يحى  
على لسانه ما لا يتعمده من الغريب ، كما نرى  
اليوم بعض الاصطلاحات العلمية في كتابات  
العلماء وأحاديثهم دون أن يقصدوا إلى تعالم  
شخصي ، إنما يتحكم فيهم تخصصهم الضائع  
تمكناً لا يقرون على الاقتلات منه ، وهكذا  
كان يحيى بن يعمر فيما نطق به من الغريب  
حتى اشتهر به وتوقلت عنه طرائق وأفاكيه .

لو ازدهر التأليف في القرن الأول من  
الهجرة كما ازدهر فيما تلاء من العصور انضمت  
الثقافة الإسلامية خيراً كثيراً منه ، إذ أن  
هذا القرن الجليل قد حفل بعلماء أمثال  
من أجلة الصحابة ، وأهله التابعين ، وإذا  
كنا نرى اليوم آراءهم العلمية متفرقة  
في مطاوي الكتب تتقف على الرائع من  
اجتهادهم الحافل واستنباطهم الدقيق ، فإذا  
كنا نفهم من المعرفة لو عكف هؤلاء الأعلام  
على تدوين آرائهم في كتب خاصة بهم كما فعل  
الخلف عن تلام على مد العصور ، وإن سماء  
ساطعة يتألق في أفقها الثاسع كواكب  
وضاءة من أمثال علي وابن عباس وابن عمر  
وريد ومعاذ وابن مسعود من مشيخة  
الصحابة ، ومن طراز الزهري وابن المسيب  
وابن جبير وعطاء والشعبي وربيعة وحماد  
والحسن من أعيان التابعين ، إن سماء تسطع  
بهذه الكواكب لجديرة أن تبعث الضوء  
في ظلمات الأحقاب ، ودياجي العصور ،  
فتهدي إلى التي هي أحسن . . .

ولقد كان يحيى بن يعمر العدواني أحد  
هؤلاء المتضلعين في علوم الشريعة والعربية  
من أفاضل التابعين ، وقد شارك مشاركة

عزيمه على أن يقوم السيف بواجب الطاعة والخضوع ، مهما امتلأت منه القلوب موجدة وغيظاً ، وإنه ليجلس على العراق عالماً أن حاشيته الخاصة قبل رعيته يضيقون به ، ويسعون للتخلص من شره ، ثم هو لا يعبأ بما يعلم ، ما دام السيف في يده

والسجن من ورائه ، فليغضب الغاضبون كما يشاءون ، فالقوة الباغية تقيه كل سوء ، وقد تغافل اعتقاده هذا في نفسه ، حتى سرى إلى أسرته الخاصة ، فكان يجبر المرأة على الاقتران به ثم يعاملها معاملة من لا يستميل ودماً ، أو يحرص على حنائها ، بل معاملة المسلط المتحكم ، ولما أن تضيق فيها بينها وبين نفسها بزوجها ومنزلها وحياتهما فليس بمنجيتها منه نهرم أو ضيق ، وإذا كان هذا سلوكه مع أحب الناس إليه فاعلم أنك بالجانب البعيد ؟ ! هذا المتحكم القاهرة قد ابتلى يحيى ابن يعمر فيمن ابتلى بهم من خيار العلماء فأنهضوا لما أصابهم بل نأوشوه وقادروهم ، وانتصروا عليه بالمنطق المفعم في يوم مجموع له الناس .

لقد رأى الحجاج أن الكوفة تهم حياً بالحسين بن علي ، وتجعل من ذكره العاطرة المؤسسية منحدرأ للدمع ومصعداً للزفير ، وقد كافح وجاهد في تبديد هذا الحب الوثيق فما استطاع ، وكان يعلم أن قرابة السبط الشهيد من رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى أن يزيد بن المهلب كتب إلى الحجاج لقد لقينا العدو ففعلنا وفعلنا حتى اضطررناه إلى عرعره الجبل ، فقال الحجاج : ما لابن المهلب وهذه العرعره ؟ فقيل له إن يحيى ابن يعمر لديه ، فابقسم يقول : هو ذاك .

هذا بعض ما يشير إلى مكاته في علوم العربية ، أما آراؤه العلمية في الفقه والتفسير والحديث فأكثر من أن يل بها ملم في نطاق وجيز ، ولنا هنا بصدد إيضاح مركزه العلمي وتحديدته ، ولكننا نحمد لإيضاح عظمتة النفسية ، وعزته الخلقية ، فقد كان من الشجاعة الأدبية في الحق ، والجرأة الحقيقية في مواجهة الباطل بالمكان الأعلى ، والمنزل المرموق ، وقد شاء له القدر أن يتلى بالحجاج أو يتلى الحجاج به ، فواجهه وكابر ، وأدى دوره مرفوع الرأس على الجبين .

كان الحجاج طاغية العراق يدين بفلسفة القوة والإرهاب ، فليس من عهه أن يستميل القنوب بمسول القول وجميل الفعل ، إذ أن ظروف حياته ، وفتن يئنته ، وكوارث عصره قد جعلته جميعها لا يعبأ بمهادنة واستمالة ، وإنما يرى القمع الرادع سبيل الهدوء والاستقرار ، وقد اختاره عبد الملك ابن مروان ليردع ويقمع لانيؤلف ويكتب ، ووجد بصد التجربة أن القمع الزاجر يذوق من مأربه ، ويرفع من مكاته لدى الخلافة ، فهادى فيه تمادياً جائراً ، ووطد

مسموح الكلمة ، محترم الراى ، فإذا ألقى  
بما يعارض الحجاج ، فقد تمكن رأيه من  
قلوب الناس ، وذهبت دعوى الطاغية فى  
الحسن والحسين أبديت ، ماذا صي أن يصنع به  
وقد اصطدم منه بداهية دمية . ؟ لا بد  
أن يتمكن من إسكاته عن طريق الادعاء  
وانتمت ، فيلزمه بنصر واضح من القرآن  
يؤيد دعواه ، وليس فى القرآن الكريم فى  
منطق الحجاج ما يثبت ذلك ، فإذا أعلن  
يحيى مجزه عن الاستشهاد بالقرآن ، فقد قامت  
عديه المحجة فى رأى الجبهة من العامة والطاغية  
بعد ذلك أن يتناول عليه مستكثراً بالسلطان  
والجبروت حتى يحمله خذلاناً لا ينجح من بعده  
هكذا قدر الحجاج وأراد ثم تمجيد لخصمه جليلاً  
خاصاً بأعوانه ووجهاء الكوفة ، ودعا معهم  
شيعة يحيى ومقدري فضله من الزملاء والتلاميذ ،  
لينكشف أمامهم المصمة فيضيق ما ينتسب إليه  
من علم وثبات ، ثم أرسل من يحضر يحيى ابن  
يعمر ليتجرح كأس الهزيمة فى انكسار .

وحانت الساعة المرتقة ، لحضر الرجل  
ليرى حفلاً غاصاً بالجوع ، وقد تصدده  
الحجاج بن يوسف التفتى كالجرح ، مقطب  
الجبين ، فامتدت العيون ترى العالم الوقور  
بتقدم فى الطمئنان ، فيلقى تحية الإسلام ،  
ثم يهم بالعودة فيصيح به الحجاج عاصباً :

لا تقعد يا يحيى ، وأوضح لنا رأيك فى  
صلة الحسين برسول الله ؟ .

تجمع عليه القلوب ، وتضعه بين الجوانح  
والشغاف ، ففكر وقدر ، ثم رأى أن يدعى  
أن الحسين رضى الله عنه هو ابن على بن أبى  
طالب بن عبد المطلب وليس من ذرية محمد  
ابن عبد الله ، لأن انقسابه لفاطمة الزهراء  
لا يغير من الأمر شيئاً ، فالأب هو المعتبر  
فى النسب دون الأم على قول من قال :

بنوا بنو أبنائنا وبنائنا

بنوه بنو أبناء الرجال الأباعد

وقد خطب فى ذلك وأعلن ، وأخذ يتبع  
محالفه بمنأى وتشريداً ، ويرسل عيونهم  
فى الكوفة ليأتوه بمعارض يصدر عن غير  
رأيه ، فيجمل من عقابه مثلاً رادعاً لغيره ،  
وسرعان ما جاء الخبر أن يحيى بن يعمر  
مثل عن الحسين وانقسابه لذريرة رسول الله  
فأجاب فى المسجد الجامع بأنه من ذريته ،  
وزاد لحكم بأن الحجاج يحكم ولا يفتى  
فإذا ألقى فمن غير علم وإطلاع .

لم يدهش الطاغية لما بلغه فهو يعرف  
فى يحيى جرأة وشجاعة ، وكثيراً ما اصطدم  
معه فى جدل مذهبي فكان صاحب الحجة  
الفاصلة ، والمنطق الراجح دون أن تعصف به  
رهبة أو يميل بلبائنه لإيماد ثم هو بعد يتشيع  
لآل البيت فى اعتدال فلا يوازن بين الصحابة  
ليضع علياً فوقهم ولكن ليعرف لكل  
بمجاهد مكانه الصحيح ، مستعملاً بالعروة  
الوقتية من الإيمان ، على أنه من وراء ذلك

قوات من ضيق الحجاج وانتهاره ، ثم رأى  
أن يتراجع في مآزق ضائق يضغط عليه  
بأصابعه فابتسم في تصنع ، وقال : اجلس  
يا يحيى فقد فاتني هذا الاستنباط .

ولم يشأ أن يصرف القوم بعد  
ما لحقه من خزي فاشل ، فرأى أن ينهض  
فيعرف بأن القرآن بحر لا ساحل له ، وأن  
العرية الفصيحة لا تسلم قيادها لضير من  
يحفظ كتاب الله ، وأنه - أي الحجاج - هو  
الذي أمر يحيى بن يعمر أن يضع النقط على  
حروف المصحف ، لتسهيل سبيل الحفظ  
الدقيق ، والاستظهار الصحيح ، ورأى أن  
يجامل يحيى فالتفت إليه سائلا :

أتجدني ألحن في قول يابن يعمر ؟

فابتسم يحيى ابتسامة المتكلم ، وقال في لهجة  
ذات مغزى خاص : الأمير أفصح من ذلك .  
فاغتاط الطاغية وصاح قائلا : عزمت  
عليك ، أتجدني ألحن ؟

فقال يحيى بملء فيه : نعم أيها الأمير .

فظهر منهرا وقال : ألحن في أى شيء ؟  
فصاح يحيى : في كتاب الله !! فمنض الحجاج  
مرتبكا وهو يصيح : ذلك أسوأ لو كان !  
ففي أى حرف لحنتم ؟ .

فرد يحيى في تحد بين : لقد قرأت في المسجد  
الجامع : « قل إن كل آياتكم وأهناؤكم  
ولإخوانكم ، وأزواجكم ، وعشيرتكم وأموال  
أهريقتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن

فريد يحيى في كبرياء : الحسين من ذرية  
محمد صلى الله عليه وسلم وإن غضب الحجاج .  
فيقتنر الطاغية متحفزا ويصيح ألدبك دليل  
من كتاب الله ؟ فيرد العالم الضجاع في ثقة بالغة  
معى الدليل من القرآن !!

فيضرب الحجاج كفا بكف ، ويقول  
متكما : ما شاء الله : أفي القرآن أن الحسين  
من ذرية رسول الله ؟ لقد قرأته مئات  
المرات فما وجدت ما تقول يا رجل !! .

فيتطلع يحيى إلى الحاضرين ثم يصيح  
بصوت مجادل وإيمان وثاب : قال الله تعالى  
« وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه  
نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم  
ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحا  
هدينا من قبل ، ومن ذريته داود وسليمان  
وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك  
نجزي المحسنين . وذكرنا ويحيى وعيسى  
وإلياس كل من الصالحين ، ثم يلتفت إلى  
الجمهور قائلا : أليكون عيسى بن مريم من  
ذرية إبراهيم بنص القرآن ولا يكون الحسين  
من ذرية رسول الله ، وبينهما من القرابة  
الدانية أكثر مما بين عيسى وإبراهيم عليهما  
السلام !! .

جاء الدليل صاعقا قاصما ، وقد اعتصم  
الحجاج بذكائه ليسمعه برد مضلل فاستطاع  
وبدات الفرحة والشهامة في عيون الجالسين ،

إليه ، فزادت من حرج الحجاج وتورطه ،  
فأعاد السؤال مغيظا ، وأخذ يتطلع ، فقال  
يحيى فى غير اكترات : أيها الأمير ماذا أقول  
عن واسط ، وقد شيدتها من غير مالك  
وسيسكنها غير أهلك !!

فلم يعد فى قوس الصبر لدى الطاغية من  
منزع ، وتلهب البحر فى عينيه بقدر بالشر ،  
ثم صاح فى أنفعال ، ما حلك على هذا ؟  
فقال يحيى فى اعتداد : ما أخذ الله تعالى  
على العباد فى عليهم ألا يكتبوا الناس حديثا .  
فأطرق الحجاج منهذلا ، وساد صمت  
حائر غير المكان لحظات ، ورأى الطاغية  
أن يقوم بعمل أو قول ينقذ خشيته فصاح  
يحيى : أيها الرجل ، لا تساكى ببلد  
أنا فيه !! فأذهب منفيا إلى خراسان  
ثم نهض من مكانه متضايقا ، فتفرق  
المجتمعون . كل إلى شواء .

• • •

قال الراوى : وذهب يحيى بن يعمر إلى  
خراسان ، فوجد صيته الطائر قد سبقه إلى  
هناك ، ورأى الناس يتحدثون عن مجاہته  
الحجاج معجبين مقدرين ، ودنا خراسانى  
فسأله فى تعجب :

ألم تخش سيف الحجاج ؟

فرد فى إيمان الواثق : لقد ملأتى خشية  
الله ، فلم تدع مجالا لخشية إنسان ؟

فرد رجب البيومى

ترضونها أحب إليكم من الله ، ا فاضمت  
الباء وهى مفتوحة ا

فتغير وجه الرجل ، وحدثته نفسه أن  
يهم بصاحبه ، ولكن انهياره النفس أورثه  
ترددا لا عهد له به ، ثم إنه خشى أن يصيبه  
بسوء فيتناقل الناس فى الأمصار قصة حجاجه  
فى نسب الحسين ، ويقتضى إلى قصر الخلافة  
ما كان من تهوره حين جادل فى أمر لا يقبل  
الجدل ، فكان لخصوم بنى أمية من الانتصار  
وأضاف إلى حججهم الكبيرة حجة بالغة ،  
فرأى أن يستكين .

وشاء بعض الحاضرين أن يصرف الحديث  
إلى موضوع آخر ، فأحد يسأل الحجاج عن  
مدينة واسط التى شيدها بأذلا جهده الجماهد  
فى التعمير والتشجير ، وكان الطاغية قد ارتاح  
إلى هذا الانتقال المنقذ ، فأخذ يسهب فى  
تقدير كفايته الشخصية ، وبين حسن اختياره  
للمكان ، وسماه فى الإتفاق والتشديد ، ويصغى  
عداد من قاموا بالبناء من الفعلة والعمال ،  
وما استخدم من الماشية والحيوان ، وما  
أنفق من الذهب والفضة ، ثم رأى أن  
يصانع يحيى بن يعمر ليظهر أمام الناس أن  
هزيمته لم تنل من نفسه ، وأن الأمر لا يخرج  
عن مجرد رأى يخطئ ويصيب ، فريت على  
كتفه برفق ، ثم قال : لم تذكر لنا رأيك فى  
مدينة واسط يا يحيى .

فسكت الرجل ولم يرد ، وتوجهت العيون

# المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية في نظر الإسلام للدكتور عبد العظيم شرف الدين

وعلى هذا السنن القويم سار الخلفاء الراشدون ؛ فقد أعلن أبو بكر يوم أن تولى أمر هذه الأمة : « الضعيف عندي قوى حتى آخذ الحق له ، والقوى عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه » .

وكذلك أمر الآخرة لا يفترق عن أمر الدنيا في هذا المبدأ ، فكل امرئ منكم بما اكتسب ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ، ولو كان ذا قربى ، ولقد حمل الرسول عشيرته الأقربين المسئولية ، وأبان لهم أنه لن يغني عنهم من الله شيئا : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله : « وأندر عشيرتك الأقربين » ، قال : « يا معشر قريش ، اشترُوا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب ، لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله ، لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة

لا يستقيم أمر هذه الحياة إلا إذا عرف كل إنسان واجبه ، وحرص على تنفيذه حرصه على نيل ما له من حقوق ، وتفاني في أداء واجبه ، تفانيا ملك عليه إحساسه وشعوره ، فلم يدخر وسما في أداء الواجب والنهوض بأعبائه ، يدفعه إلى هذا رغبة صادقة ، وضمير حي يقظ يحاسبه على ما يأتي وما يدع من الأمور ؛ لهذا قرر الإسلام مبدأ المسئولية الفردية ، فكل إنسان في نظر الإسلام - محاسب على ما عمل ، إن خيراً أو غير ، وإن شراً فشر ، لا فرق في هذا بين أمر الدنيا ، وأمر الآخرة .

فلا ينفع المرء في دنياه إلا ما قدمت يده ، ولا ينفع له إلا عمله الصالح ، فالكل أمام القانون سواء ، ولا أمر ما لم يقبل الرسول عليه السلام شفاعته أسامة قاتلاً : « إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، فوالذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .



فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجحت ونهوا جميعاً) . فالرسول عليه السلام شبه جماعة المسلمين بجماعة أقسموا سفينة ، فأخذ بعضهم أسفلها ، وبعضهم أعلاها ، وكان الذين بأسفلها إذا أرادوا ماء مروا على الذين بأعلاها ، فربما تأذوا بهم ، فهم الذين بأسفلها أن يخرقوا في نصيبهم خرقاً ليأخذوا منه الماء ، فإن تركهم الذين بأعلاها وما يريدون كان مصيرهم جميعاً الهلاك ، وإن وقفوا في سبيلهم نجح الجميع . وإنما يهلك هؤلاء الذين لم يباشروا الجريمة لأنهم قصروا في أداء واجبهم ، وتركوا الجريمة تفيض وتفرخ حتى شب فيها الصغير ، وهرم عليها الكبير ، ولم يصحوا من سبائهم العميق إلا بعد فوات الأوان ، فنجوا ثمرة هذا التراخي والإهمال ندماً وحسرة ، ومتى يهدى الندم ؟ ومتى تنفع الحشرات ؟ وكذلك إقامة الحدود يترتب عليها سلامة المجتمع ، والتهاون في أمرها ينشأ عنه الهلاك والدمار ، وإن الكوارث — عند ما تحمل بالآدم ، وتنتاب الشعوب — لا تتخير من تصيبه ، وإنما هي حمياء لا تبصر ، وكمن كوارث حلت بالآدم ، فأكلت الأخضر واليابس ، وقضت على الصغير والكبير

فلت محمد ، سلبني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من آفة شيئا .

وإلى جانب هذه المسئولية الفردية هناك مسئولية جماعية لا تقل خطراً — إن لم تزد — عن المسئولية الفردية ، فعلى جماعة المسلمين أن تأخذ على يد الظالم ، وأن تحارب الجريمة قبل أن يستفحل خطرها ، ويستند أمرها ، وإلا كانت مسئولة عن هذا التهاون ، واعتبرت مسئولة عما يقتاب الجماعة من تدهور ، وما يعترها من انقياد ، وقد حدد القرآن الكريم هذه المسئولية الجماعية بقوله : « واعتصموا حبله لئلا تنقضوا آياته » ، وقد عاقب الله من سبق من الأمم بالهلاك والدمار لأنهم تسبوا على الجرائم التي كانت يرتكبها أشراؤهم ، ولم يكبحوا جماحهم : ( وإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ) . وقد ضرب الرسول عليه السلام مثلاً يحدد العلاقة بين القاصدين على الحق المهيمنين عليه ، والموجهين لمجتمعاتهم توجهاً سلبياً ، وبين هؤلاء الذين يقعون في الخطيئة ، فإن حال الفريق الأول دون وقوع الطائفة الثانية في الجريمة نجماً للجميع ، وإن تركوهم وما يريدون كانوا متعاونين معهم على وقوع الجريمة فهلكوا جميعاً : روى الثعالب بن بشير — رضي الله عنهما — عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( مثل القائم على حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ،

لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ولا يد لها فيها ، اللهم إلا اتفاق مشوم ناشئ عن خطأ فهم ، وقصر نظر : « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » . هذا ، وقد يبدو لبعض قصار النظر أن مبدأ المسؤولية الجماعية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتعارض مع قوله تعالى : « يأيا الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ؛ وذلك لأن هذه الآية تعني المؤمنين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتطالبهم أن يعنوا بأمورهم الخاصة ، ولن يضيرهم ضلال من ضل ماداموا هم قد اهتدوا ، وآمنوا بالله ولسكني أقول رداً على هؤلاء : إن الدافع إلى هذا الفهم القاصر هو تفسير الاهتداء بمجرد الإيمان ، دون أن يدخل في مفهومه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ ولكن سياق الآية يدل على أن الاهتداء يراد به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ وذلك لأن الآية مخاطبة للمؤمنين ، فأى فائدة في تقييد الحكم بالإيمان مع أن المفروض أنهم مؤمنون ، وإنما تظهر الفائدة في تقييد الحكم بأمر آخر أكثر من مجرد الإيمان ، وهو ما يكمل به الإيمان من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وغير هذا من صفات المؤمنين الذين كل إيمانهم ، وصدقت عزائمهم ، وبناء على هذا أقول : إن الآية تهيب بالمؤمنين

لهذا نذب القرآن الكريم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : « ولكنكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر » . وإن هؤلاء الداعين إلى الخير ، والناهين عن المنكر في الأمة بمثابة صمام الأمان ، وهم الرقباء والحراس الذين يعشون كل القوى لمحاربة تيارات الإلحاد والزندقة ، ويدعون الأغنياء إلى الإسهام في الأعمال الإنشائية البناءة التي تسير ركب الإنسانية الصاعد نحو الجدد والتحرر والعزة والكرامة ، لهذا كانت مسئوليتهم أتم لبصرهم بالأمور وعواقبها ، ولأمر ما أدببط مصير الأمم بتاريخ قادتها وزعمائها ، وإن القائد المظفر هو الذي رسم لأمة طريق النجاح ، ويقودها من نصر إلى نصر ويحمل الناس على محبته واحترامه وتقديره . وقد طلب الإسلام من جماعة المسلمين أن تعد طائفة من أبنائها كي يقوموا بالمستقل بمنصب التوجيه السليم : يرسمون للأمة سياستها ، ويحددون لها أهدافها ، ويصنعونها بعواقب الأمور ، فلا تخبط في سياستها خبط عشواء ، وإنما تسير في ضوء سياسة مرسومة ، وتوجه نحو هدف معين ، وترسم لنفسها خطة بعيدة المدى ، تقسم بعق القور ، وبعد النظر ، فلا تتورط في سياستها باتفاقات دولية ، أو أحلاف استعمارية قد تبحر عليها الحراب ، وتلزمتها التزامات تضحي من أجلها بأعر أبنائها ، تقدمهم وقوداً للحرب ،

كانوا لا يقتاهون عن منكركم فعلوه  
لبئس ما كانوا يفعلون» ، ثم قال : « كلا ،  
والله لتأمر بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر  
ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق  
أطراً (١) ، ولتقصرنه على الحق قصراً ،  
أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ،  
ثم ليلعنكم كما لعنهم ) وإذ إتباعا الشعور  
بالمسئولية الفردية في نفوس الأفراد ،  
وشعرت الجماعة بما عليها من مسئوليات  
جماعية مشتركة توفر للجمتمع ما يصبو إليه  
من رقي وأمن وسعادة في حاضره ومستقبله ،  
وأصبح جديراً بالبقاء ، واستطاع أن يفرد  
غيره من المجتمعات الإنسانية نحو المثل العليا  
والمبادئ القويمة التي يعيش في ظلها أفرادها ،  
ويتفانون في سبيلها .

فعلى رب الأسرة أن ينشئ أبناءه على  
حب الفضيلة ، والتفاني في سبيل الواجب ،  
وينمي فيهم الشعور بما عليهم من مسئوليات  
فردية كانت أم جماعية ، فإنما تحيا الأمم ،  
وتنهض الشعوب بكفاح أبنائها المخلصين الذين  
عرفوا واجبهم ، فقاموا به عن طواعية وطيب  
خاطر ، يمدحهم الأمل ، ويدفعهم الرجاء .

وعلياً أن نستفيد من التجارب التي مرت  
وتمر بالأمم ؛ فإن فيها دروساً وعبراً نستفيد  
منها في حاضرنا لنعمل فيه لمستقبلنا ، والله

الموفق **دكتور عبد العظيم شرف الدين**

أن يتعهدوا أنفسهم بالإصلاح بأداء ما أمر  
الله به ، واجتناب ما نهى عنه ، وأن يأمروا  
بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ويسكلوا  
لزعائنهم بغير هذا من الصفات التي تجلو القلوب ،  
وتسمو بالأرواح . ولا يضرهم بعد هذا  
ما يصادفونه من إصرار من يدعونهم على الضلال  
ماداموا قد اهتمدوا ، وأدوما يتطلبه الاعتداء  
من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،  
فالآية إذا لا تعني الناس من المسئولية الجماعية  
كما قد يتبادر لقصار النظر لأول وهلة .

وليس مبدأ الأمر بالمعروف ، والنهي  
عن المنكر ، وبمعنى آخر ليس مبدأ المسئولية  
الجماعية مبدأ خاصاً بأمة دون أخرى ؛ فهو  
مبدأ فطري تقتضيه القوانين الاجتماعية  
التي تنظم علاقة الناس بعضهم مع بعض ،  
ويستزمه النهوض بالجماعة ؛ ولهذا كان من  
المبادئ الإلهية التي طالب الله بها الأمم  
السابقين ، ويوم أن تخلوا عنه وقع بهم  
العذاب ، عن علي - رضي الله عنه - نحن النبي  
صلى الله عليه وسلم : ( إن أول ما دخل  
النقص على نبي إسرائيل - كان الرجل يلقى  
الرجل ، فيقول : يا هذا ، اتق الله ، ودع  
ما تصنع ؛ فإنه لا يعمل لك ، ثم يلقاه من الغد  
فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه  
وقميده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب  
بعضهم ببعض ، ثم قال : ولعن الذين كفروا  
من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن  
مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .

(١) يقال : أطدرا الورد إذا عطته وثناه .  
فالص : لتطهنه على الحق عطفاً ، ولتصلته عليه حلا .

# الأزهر والتطوّر

للأستاذ محمود الشرفاوى

هذه اليد الباطشة ، يد الثورة ، التي تستطيع  
هي وحدها ، أن تكسر هذه التقاليد وتخرج  
بالأزهر والفكر الدينى من هذه المعوقات .  
وهكذا صدر في السنة الماضية قانون ( تطوير  
الأزهر ) الذي بدأ تطبيقه في السنة الدراسية  
القائمة .

وإذا أردنا أن ندرج الأثر السريع الخامس  
لهذه الثورة وقانونها لتطوير الأزهر نذكر  
أن الحاصلين على الشهادة الثانوية من الأزهر  
يقبلون الآن في معهد التمثيل والفنون الجميلة  
و ( الكونسرتوار ) ، بعد أن أشرنا إلى  
إنشاء كلية البنات ومعهد الفتيات ، كما نذكر  
ما نشرته صحف القاهرة من أن ( فاطمة )  
أى ( فاطمة ) جاءت من ليبيا لتعلم في الأزهر ،  
وأنها تقضى وقتها — كما قالت الصحف —  
في تعلم اللغة العربية والرقص والغناء ، وقبلها  
الأزهر ضمن طالباته لتعلم فيه الدين واللغة .

٢ — ولكي ندرك مدى التطور وأهدافه  
يجب أن نحيط أولاً بالحال التي كان عليها الفكر  
الدينى وكانت عليها الحياة التعليمية في الأزهر ،  
وهي حال ، أو مماحلان ، ما يزال كثير  
من مظهرهما وجوهرهما موجوداً في أعنان  
كثير من المتصلين بهذا الفكر وهذا المهد .

١ — قالت جريدة التيمس ، وهي تعلق  
على قانون تطوير الأزهر : إن دخول الفتاة  
العربية الأزهر أمر ( يكاد ألا يتصوره  
العقل ) .

وهذا التعليق من كبرى الصحف الانجليزية  
دليل على أمرين : أولهما كثافة التقاليد  
التي كانت ، وما يزال شيء منها ، تحيط  
بالأزهر والفكر الدينى ومحاولة إصلاح ذلك ،  
ثانيهما قوة تلك اليد ، يد الثورة ، التي شمرت  
سيفها الصارم لكسر هذه التقاليد والمعوقات ،  
بعد طول المعاناة وكثرة المحاولات .

ونحن حين نذكر ما لقيه قاسم أمين ،  
في حياته وبعد موته ، من الصد والاحكام  
بسبب دعوته المتواضعة لتعليم المرأة وكشف  
وجهاها ، وما لقيه الإمام الشيخ محمد عبده  
من مثل ذلك بسبب دعوته المتواضعة أيضاً  
لتصحيح الأسلوب وتحرير الفهم وتحرير  
شيء من الحرية للفكر الدينى ، حين نذكر  
هذا وذلك ندرك صدق هذا التعليق الذي  
علقت به التيمس على قانون تطوير الأزهر .

ونحن الذين قضينا ثلاثين سنة متوالية  
ندعو ونجهر بمثل ذلك ، ونلقى من  
الخصومات والشر والهمة ما نلقى ، ندرك قوة

أقل لغيره مثلاً واحداً من كتاب درسه في الأزهر ، وهذا المثل هو ... أو ثوب موصوف بصفات السلم فهو يبيع للدعاة من المدعى لغيره أو لإجارة لها بغيرها منه لغيره أو لغيرها بها من غيره له ، (١) .

يقول بعض القوم إن القوس على هذا الأسلوب ومعالجة هذه المشكلات والمعميات بما يكسب الذهن صفلاً وبصراً وحسن تدقيق . ولكن العناية في فهمها عناء كبير ، وهو عناء ينتهي إلى فهم الصياغة والأسلوب والعناية بهما دون العناية بالجواهر والموضوع .

أما أن الزمن والناس قد سبقا الفكر الديني وثقافة الأزهر التقليدية ، فهذا أمر بين لا يحتاج لدليل ، وهذا القانون لتطوير الأزهر ، الذي تحدث عنه في هذا المقال ، هو الدليل الأول على سبق من جانب والتخلف من جانب آخر .

٢ - والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لكل أمة ، ونوع الحكم فيها ، بين ذلك كله وبين نواحي الحياة الأخرى ، كالحياة العقلية والأدبية والدينية ، من الروابط ما يجعل كل واحدة منها مرتبطة بالأخرى أكمل ارتباط ومتأثرة بها أتم التأثر . والحوادث التي تواجه أمة من الأمم ، كالحروب والاتصارات والمزائم ، لا بد أن

وموجوداً أيضاً في عواطفهم وخواطرهم وآمالهم ، كما يوجد أيضاً في واقع الفكر الديني وواقع الحياة التعليمية لكثير من المعاهد الدينية في بلادنا العربية والإسلامية ، وهي بيئات ومعاهد تطلب لها ما تطلب لأنفسنا من الإصلاح والخير .

كان الفكر الديني قائماً على التسليم والمتابعة ، وكانت الحياة التعليمية في الأزهر قائمة على التلقين والتلقي والحفظ . كانت هذه الحياة ، متابعة منها لعصر خاص من عصور التفكير العلمي ، تصف العالم (بالحافظ) لأنه يحفظ وينقل . بدلاً من وصفه (بالباحث) لأنه يفهم ويبحث ويناقش ويتصدى .

كانت حياة تناول طائفة من الكتب والآراء وضعت في العصر المملوكي ، أو في العصور التي كانت فيها الثقافة الإسلامية محملة ضعيفة ، سقيمة الأسلوب ، ضيقة الأفق ، لا تخرج عالماً مدركاً لروح عصره ولا منجهاً مع البيئة والناس ، لأنها تناول جزئيات من العلم على طريقة خاصة ، وقد أبعد تطور الحياة وسير الزمن بين هذه الجزئيات وبين واقع الناس حتى أصبحت لا تلي شيئاً من هذا الواقع (١) .

والأزهريون ، مثلي ، الذين كابدوا هذه الحياة ودرسوا كتبها يعرفون جيداً ما فيها من الأسلوب والفكرة على السواء ، ولكنني (١) مدلتنا في جريدة الأهرام : ٢٠ يناير ١٩٥١ .

(١) حاشية البجيري على شرح النرج في فقه الإمام الغاضي : الجزء ٢ ص ١ باب الصلح - الأميرة ١٣٠٩ .

وقد خرجنا - ونحمد الله - من مؤثرات هذه العصور التي وقفت عندها ثقافة الأزهر ووجدت بسببها الفكر الديني ، فكان من الختم أن يخرج منها أيضا هذا الفكر وهذه الثقافة إلى نور جديد .

خرجنا من نظم الحكم وحدود العقول العثماني والمملوكي ومن سطوة الحياة فيهما ، فكان من الختم أن يخرج من هذه النظم وهذه الحدود التفكير الديني ورجاله وأهله .

وأعتقد أن هذا هو ما قصده المشترون الذين وضعوا قانون تطوير الأزهر ، حين قالوا في مذكرته التفسيرية : « يعمل أى الأزهر - على تجديد الثقافة الإسلامية وتجديدها من الفضول والشوائب وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة ، وبيان الرأي فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة ، وحمل تبعات الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

٤ - ولئن كنا ندعوها ، وندعو على الدوام ، لتجديد الفكر الديني والخروج به عن القيود والسدود الذي جذبه وتجنبه إلى تفكير القرون الوسطى من عصر المماليك والعثمانيين ، فنحن ندعو إلى إبقاء الصالح الطيب من تقاليد الأزهر القديم ، بل إلى تجديد ما قد يوشك أن يتدرس منها .

يقع منها كلها ظل على الحياة العقلية والإنتاج الفكري والثقافي - بأنواعه جميعها - لهذه الأمة ، بحيث تكون عاملا كبيرا الأثر في ذلك كله <sup>(١)</sup> ، فكيف « بالثورة ، وما يكون لها من أثر حاسم فاطح ... ؟

وقد جرت من قبل محاولات ، بعضها متردد وبعضها كان سابقا لزمته ، حكم عليها وزير الأوقاف والأزهر بقوله : « إن المحاولات السابقة لإصلاح الأزهر لم تتجاوز الاحتفاظ بأسلوب معين في البحث والدراسة والتحصيل وبكتب معينة ذات طابع خاص في الجدل الفكري . وكانت الكتب الأزهرية لذلك صورا مكررة لا فرق بينها إلا من حيث التطويل والاختصار <sup>(٢)</sup> ،

وهذا الحكم ، كما هو واضح ، يتناول المحاولات السابقة لإصلاح الأزهر كما يتناول وصف الكتب الأزهرية القديمة وصف الحق الذي ذكرنا من قبل .

ولكن هناك طائفة أخرى من كتبنا هذه - لم يكن يدرسها الأزهر ولا يعرفها من أهلها إلا الأقلون - وهي النبع الأصيل لثقافتنا الإسلامية والعربية . والحديث عن هذه الكتب أوثر أن أتركه لمكانه من هذا المقال .

(١) مقالنا في جريدة الأهرام : ١ مارس ١٩٥٠ .

(٢) حديث السيد الوزير الدكتور محمد البهي : جريدة الأهرام : أول أكتوبر ١٩٦٢ .

الجديد : ( ... ) وتعمل على تزويد العالم الإسلامي والوطن العربي بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى الإيمان بالله ، والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه في العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك .

هـ - جمعت عنوان مقال هذا : « الأزهر والتطور » ، لأنى طالما دعوت وأردت للأزهر أن يتطور . ثم جاء قانون « التطوير » وكل جديد لا بد أن يشير شيئاً قليلاً أو كثيراً من اختلاف وجهات النظر ، ومن الخير أن يكون ذلك ، وأن يقع في « تطوير الأزهر » أيضاً . فبيننا - ولا بأس في ذلك بل لا بد منه - المؤمنون بالقديم والداعون والمؤمنون بالجديد . ولكننا نريد من الذي يمتدح القديم ويؤمن به ، على قدمه ، أن يقف أمام رأيه مدافعاً مناحاً ، ولا يتم . ونريد من الذي يمتدح الجديد ويؤمن بالتطور أن يقف أمام رأيه مدافعاً مناحاً ، ولا يجرى .

نريد الإيمان الثابت الراسخ المطمئن ، ولا نريد المتابعة المسارعة المهرولة المحذولة . نريد اليقين لا التيقن ، ذلك هو الإخلاص للأزهر وتلك هي أمانة الدين ؟  
( البقية في العدد القادم )

محمد الشرفاوى

كل الأزهر القديم « جامعا » ، ولكنه لا يخلو من معاني كثيرة تمثل « الحياة الجامعية » وتوحى بها وتدل عليها . بل هي تمثل خيراً ما في هذه الحياة الجامعية الصحيحة : كل الطالب - ومن قبله العالم - يجلس كل منهما إلى درسه ليس لأحد منهما غاية سوى العلم ، والاستزادة منه والإفادة به و « التعبد » بملازمته .

كانت غاية الشرف عندهم أن يضع العالم والمتعلم فوق توقيعه تشريفاً وتكريماً لاسمه وشخصه لقب : « خادم العلم الشريف » . وكان طالب العلم ، شيخاً وتلميذاً ، يلزم الأزهر باحثاً دارساً الشهور والسنين لا يرحله ولا يشغله عنه شأن ولا أمر ولا سعى ولا معاش ، فهو له مدرسة ومسكن ومعلم ومرح ومغذ . وكانت الدولة تكفيهم مؤنة الحياة والعيش ، والناس تعطيهم صدارة المجتمع وحق التكريم والسيادة والتعظيم ، وطلاب الآخرة يكفونهم بما يقفون عليهم ، مؤنة التفكير في الدنيا .

وكانت الملاقى بين الشيوخ وطلابهم أصنى ما تكون لقاء وطهارة ومودة ، وأقوى ما تكون الوشائج من المحبة والبر والتعاطف والتوقير .

فهل فطرح في أن تبقى للأزهر - أو تعود - تقاليد الصالحة تلك ... ؟ وهل نستطيع أن نقم ذلك بما قاله قانون « التطوير » ،

## من زعماء المسلمين بالهند : مولانا محمد حفظ الرحمن للأستاذ عبد المنعم النمر

ولد مولانا حفظ الرحمن سنة ١٩٠١ م . في بلدة ( سهورا ) بشمال الهند وتلقى علومه في دار العلوم ( ديوبند ) أكبر مدرسة دينية عربية في الهند وتخرج فيها . . . وناداه الوطن ليشارك مع المجاهدين من أجل تحريرهم فلبى نداءه وتحمل نصيبه في صلب الجهاد حتى وصل إلى الصفوف الأولى للجهاديين حيث صار عضواً لحزب المؤتمر الهندي سنة ١٩٢٦ وسبق إلى السجون عدة مرات كان آخرها أثناء الحرب العالمية الثانية مع مولانا آزاد ونهر و غيرهما من زعماء الهند الذين زوجت بهم حكومة الهند في السجن من سنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٤٤ م حيث أطلق سراحهم وبدأ الانجليز يفادونهم للجللاء عن الهند .

وكان مولانا حفظ الرحمن يشغل منصب السكرتير العام لجمعية علماء الهند ، ويمثل العنصر الحيوي المتحرك في كل نشاط لها . . عرفه أهل الهند جميعاً — المسلمون والهندوس والسيح — بجهاده وإخلاصه تمضية حرية الهند ووحدتها فأجله الجميع وهاجروه ، حتى

كان آخر لقاء لي معه في دار جمعية العلماء بدلهي وهو يحمل معه ملفاً ويتأهب للذهاب إلى البرلمان ، وسألته إلى أين وصلت قضية اللغة الأوردية وتقريرها لغة رسمية ثانية ؟ فقال : إنني ذاهب الآن إلى اجتماع لشكل البحث في هذا الموضوع ، وودعته وأنا أتمنى له النجاح في مهمته وفي كل المهام العظيمة التي يحمله المسلمون عيها .

ودعته ولم تغب عني صورته بجسده الذي يغالب المرض وتبدو عليه ملامح الإرهاق من كثرة العمل ، وبشيبته المرسلة وقامته المنصوبة تتحدى المرض والضعف والإرهاق ، وكنت كلما تذكرته أشفق على عليه وأشفقت على مصالح المسلمين التي يتحملها وينوء بحملها ولا يرسم نفسه في سبيل العمل على تحقيقها بعد أن تجمعت عليه آمال المسلمين ، وانجذبت أ نظارهم إليه بعد وفاة شيخ الإسلام مولانا حسين أحمد مدني . ومولانا أبي الكلام آزاد وكان ركناً عظيماً للمسلمين في الوزارة الهندية .



تقدير الخدمات ومواقفه الوطنية، ومع ذلك كان ينازله بعض الهندوس والمسلمين في دائرته فيتلعب عليهم بالآلاف الأصوات بالرغم من أن أكثرية الدائرة من الهندوس...

كان يمتاز بعقلية إسلامية متتورة متحررة من التقليد والحرس على القديم لأنه قديم كما يفعل كثير من علماء الهند... حينئذ وصلت إلى دار العلوم - ديوبند... ووقفت على مناهجها وطرق التدريس فيها أحسست أن فيها نقصا كبيرا وتحتاج إلى تعديل وإدخال بعض المواد الجديدة التي لا تعنى عنها لطالب العلم في هذا الزمان... وبدأت أتحسس آراء القائمين على الدار والمدرسين فيها فوجدت في الكثير منهم جمودا على هذا المنهج الذي ظلت الدار عليه نحو ستين سنة وأكثر، ونقتدى بها كل المدارس الدينية في الهند فأجأت إلى مولانا حفظ الرحمن وكان عضوا بارزا في المجلس الأعلى للدار وحدثته في هذا الأمر، فوجدت عنده تجاوبا كاملا وكان هو والأستاذ أبو الحسن الندوي عضو المجلس كذلك... بقودان معى حركة التجديد في البراج وإن شئت قل معركة التجديد؛ لأنها كانت معركة فلا بين القديم والجديد... حتى قال لي الأستاذ أبو الحسن إذا نجحت في هذه الحركة فيسكون لها أثرها أقوى في اتجاه التعليم في المدارس الدينية في كل أنحاء الهند وسيكون

كل يلقى بنفسه وسط المصارك الدامية التي كان يشنها الهندوس والسيخ على المسلمين عند التقسيم ويعملون فيهم التقتيل والتدبيح فلا يجرؤ هندوسي أو سيخي على أن يجسه بسوء... ويكون لمواقفه الجريئة هذه أثرها في تخفيف حدة هذه الاعتمادات المتوالية على المسلمين.

كان رأيه - كراي جمعية علماء الهند - ضد التقسيم وضد قيام باكستان كان يرى أن تبقى الهند كلها دولة واحدة تضم المسلمين والهندوس وغيرهما ويعمل مع ذلك على تقرير حقوق المسلمين كاملة في الوطن الهندي الكبير، فلما تم التقسيم عمل على أن يبقى المسلمون في الهند في دورهم ومتاجرم ومزارعهم ومناصبهم فلا يتركوها إلى باكستان حتى يظل المسلمون عددا كبيرا وأقلية كبيرة لها صوتها وحق يظلوا حراسا لمساجدهم ومدارسهم وآثارهم الإسلامية التي تملأ الهند وتعد ماثرا غر لها بين العالمين... وحق يحولوا دون تحويل هذه المساجد الفخمة إلى معابد هندوسية، وأندثار هذه المدارس الدينية وذوال الثقافة الإسلامية من ربوع الهند.

انتخب عضوا في البرلمان المركزي منذ إنشائه عن دائرة «مراد آباد» وكان حزب المؤتمر يترك له دائرته فلا يرشح فيها أحدا

إخوانهم في بورسعيد، فاستجاب سريعاً وعمل على أن يصدر مدير الجمعية وشيخ الإسلام مولانا حسين مدني نداء لأهل الهند مسلمين وغيرهم يهيب بهم أن يناصروا لإخوانهم في مصر، ويعدوا لهم يد المعونة في محتهم. وقامت فروع الجمعية في كل مكان بجمع التبرعات التي تولى السفير المصري الدكتور مصطفى كامل في ذلك الوقت من إرسالها للقاهرة...

وكنت كلما ذهبت لدار جمعية العلماء ووجئت مولانا حفظ الرحمن وجئت حوله كثيراً من أصحاب المصالح من المسلمين والهندوس يطلبون منه أن يتوسط لقضاء مصالحهم ورعايتها وكان لا يرد أحداً بل يمنح الجميع من برة وعطفه ومساعدته ما يستطيع بل وفوق ما يستطيع جسمه الضعيف وبالرغم من كل هذه المشاغل التي كانت تحيط به فإنه لم ينس واجبه العلمي الديني إذ كان يقطع من وقته ما يفرغ فيه للكتب ويعكف على التأليف فأخرج عدة مؤلفات قيمة باللغة الأوردية منها: «قصص القرآن»، «الأخلاق وفلسفتها»، «النظام الاقتصادي في الإسلام»، وكان مع ثقافته الدينية متقناً كذلك اللغة الانجليزية على غير عادة العلماء في الهند.

لقد كان أمة في جهاده وعلمه وبه يدينه

تطوروا لم تشهده هذه المدارس منذ ستين أو سبعين عاماً واستطعنا بعد جهاد سنتين أن نظفر بالتعديل، وطلبت الدار الكتب الخاصة بالمواد الجديدة من الأزهر والمؤتمر الإسلامي وللأسف لم تصل لها هذه الكتب الآن...

كان خطيباً من الطراز الأول باللغة الأوردية، يشترك في كل اجتماع أو حفل إسلامي في أي بلد من بلاد الهند على سعتها ولذلك لم تكن دهملي - مقروء - تحظى بوجوده كثيراً فيها. كان برغم تقدم سنه يطنى عليه الخماس لمصالح المسلمين وقضاياهم داخل الهند وعارجها... أقامت جمعية العلماء مؤتمرها الإسلامي السنوي في أكتوبر سنة ١٩٥٦ في مدينة «سورت» شمالي بومباي وكنت أمثل الأزهر في هذا الاجتماع وحضره الأستاذ أمين الخولي والدكتور محمد عبد الله العربي مندوبين عن المؤتمر الإسلامي... وأثناء إلقاء كلمتي أخذ الخماس بهجوع الحاضرين وأخذوا يهتفون من كل ناحية لمصر والهند ولناصر ونهرو فتقدم هو من الميكروفون في حماس ظاهر وقاد موجة الهتاف وحينما ألقى كلمته كانت تفيض بالحماس لمصر ولتأمين القناة وتنفجر بالثقة على المستعمرين، وبعد أن وقع العدوان على مصر تحدثت معه فيما يحسن بمسلي الهند أن يفعلوه تجاه الضحايا من

شيخ الإسلام مولانا شاه ولي الله الدهلوي صاحب الكتب والمؤلفات العديدة التي نعرف منها هنا « حجة الله البالغة » .

ولقد رثاه « نهرو » في كلمات مؤثرة وكان قد زاره الزيارة الأخيرة له قبيل وفاته بساعات قليلة . . وقال عنه « إنه كان زعيماً : ممتازاً من زعماء الحركة الوطنية الذين أخلصوا لبلادهم ولحريتها إخلاصاً لا يرقى إليه شك » ، وقال رئيس وزراء مقاطعة « أوتر برديش » بالهند : إن المفيد قيم لوطنه ومواطنيه أمحالا مجيدة ، ولا سيما في سبيل الوحدة الوطنية ، وسيظل التاريخ والوطن يحفظها له بالفضل والشكر .

لأنني هنا أتصور المسلمين هناك يتلفتون حولهم ليجدوا من يملأ فراغ هذا الراحل العظيم فيطول تلفتهم ، ويعيونهم تفيض من الدمع حزناً وقلوبهم تنفطر أسى وحسرة .

رحم الله الفقيد وجزاه خير ما يجزى به المجاهدين المخلصين ولطف يا أخواتنا المسلمين في الهند ، وهياً لهن من أمرهم رشداً ؟

عبد النعم العنبر

وطنه وإخوانه ، حتى خلع عليه مواطنته لقب « مجاهد الملة » .

ذلكم هو مولانا محمد حفظ الرحمن الذي كتب إلى صديقي الأستاذ محي الدين الألواني ينهأه إلى وإلى المسلمين في كلمة مؤثرة تفيض تقديراً ووفاء للراحل الكريم الذي ظل يغالب المرض سنين ، وسافر إلى أمريكا في محاولة لاقتضاء حليته ، وعاد وقلوب الذين عرفوه وقدروه تحيط به وترجو له تمام الشفاء ليظل في مكانه حارساً أميناً وخادماً مخلصاً للإسلام والمسلمين ، ولكنه كان على موعد مع قضاء الله الذي وافاه في الثاني من ربيع الأول سنة ١٣٨٢ هـ - الثاني من أغسطس سنة ١٩٦٢ م ، وبكته الملايين الذين عرفوه وقدروا له إخلاصه وجهاده الطويل في سبيل دينه ووطنه .

ومنى خلف جنازته أكثر من خمسين ألفاً ، في مقدمتهم نهرو وجميع رجال الدولة جاؤوا من جميع أنحاء الهند ليودعوا الرجل الذي ظل طول حياته رمز الإخلاص والجهاد ويواروه التراب بجانب ضريح المغفور له

قال مروان بن أبي حفصة يمدح معمر بن زائدة ، ويصف مفاخر قومه ومنهم من استجار بهم :

هم القوم إن قالوا أصابوا ، وإن دعوا  
هم ينعون الجار حتى كأنما

أجابوا ، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا  
لجارهم بين السماكين منزل

## نظرية التعسف في استعمال الحق للأستاذ أحمد مصطفى أبو شنة

تقديم :

الحياة ومطالبها على اختلاف ألوان المجتمعات  
في كل عصر ومصر .

ونظرة واحدة إلى تطور الكتب العقبية  
من زمن كبار الأئمة المجتهدين ترىنا مبلغ  
الرقى المتزايد والفكر المطرد الذي وصل  
إليه طالما كان يجلس مع القضاء على كراسي  
القضاء ويقعد مع المفتين في الجامع  
والمسجد .

النظرية :

ونظرية التعسف في استعمال الحق تسميتها  
بهذا الاسم منقولة عن رجال الحقوق الغربيين  
ولكن هذه النظرية عرفها الإسلام منذ  
أرسل الله رسوله وأنزل عليه قرآنه واعتنقه  
الناس ديناً وطبقوه في قضاياهم وسائر علاقاتهم  
شريعة محكمة ، بين الحق كما بين مصادره  
 وأنواع التمدي عليه مباشرة وتسبباً وعمداً  
 وخطأً وعن طريق التحايل والذريعة ، فلم  
 يترك قانونه قضية من غير حكم .

ولكن الذين يقرءون لرجال القانون من  
الغرب ولا يقرءون الفقه الإسلامى دأبوا  
على أن يعجبوا بكل ما نقلوه عن الغرب على

الفقه الإسلامى أظلت رايته بلاد المسلمين  
في أكبر بقعة عرفها التاريخ على وجه الأرض  
صارت فيها حقوق الناس وحفظ مصالحهم  
فنعموا بمداقة التشريع ومداقة القضاء :  
ذلك العدل الذي من أجله أرسل الله الرسل  
وأُنزل الكتب ، لقد أرسلنا رسلنا بالبينات  
وأُنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس  
بالقسط .

جهد القضاء والمفتون من الفقهاء في  
استنباط الأحكام من مصادر الشريعة كما  
نزلت بهم قضية أو حزمهم أمر : فكانوا  
يحدثون الناس قضية بقدر ما أحدثوا ،  
ويصونون فيهم المصلحة التي أرادها الله من  
هذا الدين كما يقول تعالى : وما أرسلناك إلا  
رحمة للعالمين : فقامت بذلك الحجة البالغة  
على كمال هذا الدين وعلى أنه شريعة الناس  
كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ،  
وقامت بذلك الآية البينة على أن الفقه كائن  
حتى يتم ويؤتى أكله بإذن الله لتلبية حاجات

آخر كائن المؤجل ومنفعة الأجير والامتناع عن الانتفاع بالرهون أو الوديعة ، والحق العيني هو علاقة اختصاص لشخص على شيء في مواجهة الناس جميعا كحق الملك وحل التعسف في المملوك وحق الارتفاق بالشرب والطريق ووضع الجندوع على حائط الجار ، وأسباب اكتساب هذه الحقوق إما اختيارية وإما جبرية فالأولى العقد والعمل النافع كالمضالة ومنها ما إذا أنفق على القبط بغير إذن القاضي عند المالكية ، والعمل الضار كارتكاب الجرائم والامتناع الضار .

والسبب الجبري أمران : الأول أوامر الشارع كالإتفاق على الأولاد والضرائب من المشر والحراج والزكاة ، والثاني هو الإرث .  
معنى التعسف : التعسف في استعمال الحق تعبير وارد إلينا عن الحقوقيين الغربيين فيجمل بنا أن تفرق بما أرادوا منه ثم تسلك مما يقابله في الفقه الإسلامي .

فالتعسف في استعمال الحق عديم : هو استعمال الحق على وجه غير مشروع — فالمفروض أن الحق أمر مشروع ومباح الاستخدام ولكن الذي استعمله بما في ذلك نحو غير مشروع كما سيتبين هذا فيما بعد .

و الفرق بين التعسف وبين الفعل الضار أو الامتناع الضار ؛ لأن الأخيرين أمر غير مشروع أي ممنوع ومحرم من أول الأمر .

حين يهتمون الفقه بقصر نظرياته وجمود أحكامه .

معنى التعسف في استعمال الحق :

الحق : قسم علماء الشريعة الحقوق إلى ما هو حق العامة ، وضابطه ما يتعلق به النفع العام للجمهور من غير اختصاص بأحد ، كالانتفاع بالطريق العام والأنهار العامة والمساجد وهذا يثبت للناس جميعا حق الانتفاع به والدفاع عنه : الثاني الحق الخاص وهو ما يتعلق به مصلحة خاصة للفرد وكيفية في ملكه أو في ولايته على ولده ، وميزوا بين الحقين بأن الأول لا يمكن تملكه ولا إسقاطه والثاني يمكن تملكه وإسقاطه .

ويمكن إدماجها في تعريف واحد نستخلصه من الاستعمالات المختلفة — للفقهاء — وهو ما يثبت للإنسان استيفاءه . سواء أكان عاما أم خاصا ، وسواء أكان حقا متعلقا بالمال كحق الملك في الأعيان وحق الانتفاع بالعين المستأجرة أم المستعارة وحق الحبس في المرهون أم كان حقا غير مالي كحق الولاية للشخص على أولاده وحق الزوجية ومنه حق الطاعة لولي الأمر وحق الشورى للأفراد الذين يتأهلون لذلك وغيرهما من الحقوق السياسية .

ولا يأتي الفقه الإسلامي تقسيم فقهاء القانون له إلى شخصي وعيني . فالأول دين أو عمل أو امتناع عن عمل لشخص على

مرحوهين بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا  
تعتدوا .

سبب نزول هذه الآية كما أخرج ابن جرير  
وابن المنذر أن رجلا من الأنصار يدعى  
ثابت بن يسار طلق زوجته حتى انقضت  
عدتها إلا يومين أو ثلاثا راجعها ثم طلقها  
ففعل ذلك بها حتى مضت لها تسعة أشهر  
يضارها : فأُزيل الله تعالى الآية .

يعنى والله أعلم : إذا طلقتم النساء فظاربن  
انقضاء عدتهن فأمسكوهن بالرجعة : بما هو  
متعارف في الشرع من حسن العشرة أو  
اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ، ولا تراجموهن  
مضارين لمن بهذه الرجعة فيتحقق بذلك  
عدوانكم عليهن .

وجه دلالة الآية : أن الإمساك حق للزوج ،  
وقد نذب الله تعالى إلى استعماله على نحو  
مشروع وهو الإمساك مع المعاشرة الحسنة  
ونهى عن استعماله على نحو غير مشروع  
وهو استعماله على وجه المضادة على النحو  
الذي فعله ثابت بن يسار وهذا بعينه هو  
إساءة استعمال الحق لأنه استعمال حق الإمساك  
على وجه غير مشروع .

الدليل الثاني : قال الله تعالى بعد بيان نصيب  
الأخوات لأم من الميراث : « من بعد وصية  
يوصى بها أو دين غير مضار وصية  
من الله » .

أما التعسف فهو استعمال الحق المشروع  
على وجه غير مشروع .

أحوال التعسف في القوانين الحديثة :  
ذكرت التفتينات الحديثة ثلاثة أحوال  
للتعسف في استعمال الحق :

الأول أن يأتي الإنسان بعمل مشروع  
ويقصد به الإضرار بالغير من غير أن تكون  
له مصلحة فيه .

الثاني أن يأتي بعمل مشروع للحصول على  
مصلحة ضئيلة له لا تتناسب مع الضرر  
العظيم الذي لحق الغير من جراء هذا العمل .

الثالث أن يأتي بعمل مشروع يقصد به  
تحقيق مصلحة غير مشروعة وقد نص على  
هذا القانون المصري في المادة ٤ ، ٥  
والقانون السوري ٥ ، ٦ .

### النظريه والفقه المعاصرين :

هذه النظرية مسطورة في ميمم الفقه  
الإسلامي وبارزة في آيات الكتاب وأحاديث  
السنة بأوسع من معناها في القانون ، وهي  
من المبادئ الكبرى التي حفظت بها الحقوق  
منذ كان الإسلام .

الأدلة عليها إجمالا :

الدليل عليها من القرآن

أولا قول الله تعالى : « وإذا طلقتم النساء  
فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو

الزواج والبيع عمل مشروع والزواج لأجل التحليل والبيع لأجل الربا عمل غير مشروع فلما قصد بالمشروع غير المشروع نهى عنه الشارع، وحكم بفساده لأنه تعاون على الإثم وقد قال تعالى: «ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»، ووجه الدلالة من الحديث الثالث أن الذين في أسفل السفينة يستعملون نصيبهم وحكم لكن لما أرادوا أن يستعملوه على وجه غير مشروع؛ لأنه يضر الجماعة ضرراً عظيماً لا يتكافأ مع مصلحة شربهم، وترك إيذاء الفريق الأعلى اعتبره الشارع منكراً يجب أن يمنعوا عنه. إلى غير ذلك من أدلة يأتي بعضها إن شاء الله (١).

### اشتراكية الحق في الإسراع

الحقوق الشخصية والعينية ليست مختصة بأصحابها في الإسلام اختصاصاً مطلقاً وليسوا مستبدين في التمتع بمرأياتها استبداداً كما قد يبادر من وصفها بالحقوق الخاصة. بل الواقع أن للجماعة حقاً عاماً مشتركاً بينهم وذلك من ناحيتين.

الأولى: أن تصرف الشخص فيها مشروع بشرط سلامة الجماعة من ضرر ينشأ عن

(١) انظر تفسير الأئمة ج ٢ ص ٤٤٢ - أحكام الجصاص ص ١٠ - صحيح البخاري في كتاب الحدود - ليل الأوطار في كتاب البيع - باب الباب لابن راشد المالكي في كتاب النكاح - الفتاوى الحنبلي في نكاح التحليل.

يعنى والله أصل لكل من الأخوات لأم نصيبه بعد أداء دين المورث وإخراج وصيته، على أن يكون المورث قد أقر بالدين وأوصى من غير ضرار بورثته بأن يكون الدين صحيحاً والوصية لا ضرار فيها.

وجه الدلالة: أن الوصية حق للمورث وله استعماله على وجه مشروع بأن يكون فيه بر بالورثة ولا يجوز استعماله على وجه غير مشروع بأن يكون إضراراً بالورثة كأن يوصى بأكثر من الثلث أو يوصى لأحد الورثة فالوصية مع الإضرار هي بعينها إساءة استعمال الحق.

الدليل الثالث: ما أخرج أحمد بسنده إلى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم (لئن ألقاه المحلل والمحلل له) - وما روى عن الأوزاعي عنه صلى الله عليه وسلم (يأتي على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع).

وما أخرج البخاري عن الثمان بن بشير أنه صلى الله عليه وسلم قال: (مثل الفاسم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً).

وجه الدلالة من هذه الأحاديث: أن

يجب أن يشعر بأن تغيره فيه نصيب لا يصح  
الاعتداء عليه .

**تعصلي الكلام على النصف في**

**الحق في الفقه الإسلامي :**

**تعريف :**

تبين من دراستنا لأحكام التصرفات  
وما يعتبر منها مخالفة وما لا يعتبر أنه يمكن  
تعريفه بما يأتي :

هو تصرف الإنسان في حقه تصرفاً غير  
معتاد شرعاً .

ولشرح هذا نقول :

الأصل الفقهي العام في المسؤولية إذا  
تصرف الإنسان في حقه :

قرر الفقهاء كما في الفقه العنقي وغيره  
أن للإنسان أن يتصرف في ملكه تصرفاً  
معتاداً ولا يسأل عما يترتب عليه من ضرر  
حينئذ ؛ وإنما يسأل عن الضرر إذا كان  
التصرف في ملكه غير معتاد .

ويقصدون بالملك هنا : الحق بدليل أنهم  
ذكروا من فروع هذا الأصل ما لو سقى  
أرضه من الأنهار العظام التي ليست مملوكة  
للأفراد كائليل والفراة أوساق منها نهراً إلى  
أرضه - قالوا يجوز ذلك إلا إذا أضر بالعامه .

**تفريع :**

وفرعوا على هذا الأصل أموراً منها ما إذا  
سقى زرعه فزت أرض جاره ، وتلف بذلك

استعمال هذا الحق كما يشير إلى ذلك حديث  
الواقع في حدود الله : ولهذا أذن للجماعة  
في منعه عن استعماله للحق استعمالاً ضاراً بهم ؛  
فصاحب الحق يجب أن ينظر إلى النتائج  
الناجمة عن استعماله إن قصد الضرر أو ترك  
الاحتباس أو أراد تحقيق مصلحة لا تكافئ  
مع ضرر الغير أو مصلحة غير مشروعة .

**الناحية الثانية :** أن الحق كما جعل الله فيه  
مصلحة فردية لصاحبه جعل فيه مصلحة  
اجتماعية لصالح الجماعة ؛ لأنه من ثروة الأمة  
التي تعتمد عليها - ولهذا نهى الشخص عن  
إتلاف ماله ؛ لأنه إن لم يصبه هو بالخسارة  
أصاب الجماعة ، ولأن الله جعل فيه نصيباً  
معلوماً للجماعة كما في الزكاة والعشر والخراج  
ويدل على هذا النهي عن الاحتكار والنهي  
عن رفع الأسعار وحق الجماعة في بيع المال  
المحتاج إليه على صاحبه عند الفلاء الشديد  
أو الجماعة .

ويشير إلى هذا الأصل العظيم قول الله  
تعالى : « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي  
جعل الله لكم قياماً » . وبهذا تبين أن الحق  
الخاص فيه جهة عموم نظراً للوظيفة الاجتماعية  
التي رتبها الشارع من الناحيتين السابقتين .

ولهذا المبدأ ارتباط وثيق بنظرية  
التعسف في استعمال الحق من جهة أن صاحبه



زروع أو بناء إن سقاها سقيا معتاداً بأن سقاها قدر ما تحتمله عادة لم يضمن وإن سقاها قدراً لا تحتمله ضمن .  
ومنها ما إذا أحرق حصانك في أرض مملوكة أو مستأجرة فاحترق بذلك شيء لجاره لم يضمن لأنه تصرف في حقه تصرفاً معتاداً وإن كانت الرياح مضطربة عند الإحراق فأحترقت شيئاً لغيره ضمن ؛ لأنه يعلم أن النار لا تستقر فكان مستعملاً لحقه استعمالاً غير معتاد أى فكان متعدياً .  
ومن هذا يقين حكم الفقه فيما لو حفر بئرًا في ملكه فغاص الماء من بئر جاره أو أدار آلة إدارة معتادة ، فتأذى السكان بضوضائها وهو ألا يضمن الضرر لأنه تصرف معتاد .  
وحكم هذا الأصل يسرى على من قام بعمل لغيره بناء على عقد أو إذن كالطبيب والقاضي ومنفذ الأحكام إذا سلك الطريق المعتاد في عمله فتختلف عن ذلك ضرر لا يضمن .

وإن جاوزه ضمن ، ولهذا قالوا إن الختان والقصادة إذا هلك الغلام والمرضى بجرهما المعتاد لا يضمنان وإن جاوزاه صمناً<sup>(١)</sup> وكذلك القاضي إذا ظهر أنه حكم بغير الحق والمنفذ للعقوبة كالسحان والجلاد إذا تخلف عن قيامه بعمله المعتاد ضرر ، ويشير إلى هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون إلي ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو مما أسمع فن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه ، الحديث .. حيث لم يعتبر خطأ القاضي تعدياً بعد ما تحرى في عمله وجه الصواب وتصرف الإنسان في حقه تصرفاً غير معتاد هو جراح مسائل التعسف في استعمال الحق .

( البحث بقية )

أحمد فهمي أبو سنه

(١) الدر وابن مابدين - الزيلعي ٦٠ صفحة ٤٣  
الزيلعي ج ٥ ص ١٢٧ وابن مابدين ج ٥ ص ٥٥ .

من شعر الحكمة قول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها

وإذا ترد إلى قليل تنقع

## المازني شاعراً

للاستاذ العوضي الوكيل

- ٢ -

تعريف محدود لكن يريد أن يحصر الحياة  
نفسها في تعريف محدود .

وصح كذلك ما قاله في مقدمة ديوانه  
« عابر سبيل » - وقد أصدره قبل نحو ربع  
قرن - : « كل ما نخلع عليه من إحسانا  
ونقيض عليه من خيالاتنا ، وتخلله بوعينا ،  
ونبت فيه هواجسنا وأحلامنا وغاوقنا هو  
شعر ، وموضوع للشعر ، لأنه حياة ،  
وموضوع للحياة » .

وأحس الأوزان والقوافي أنها أضيق -  
كما يقول العقاد في مقدمة ديوان المازني -  
من أن تنفسح لأغراض شاعر « تفتحت  
مغاليق نفسه ، وقرأ الشعر العربي فرأى كيف  
ترحب أوزانهم بالأفانيس المطولة ،  
والمقاصد المختلفة ، وكيف تلين في أيديهم  
القوالب الشعرية ، فيودعونها مالا قدرة  
لشاعر عربي على وضعه في غير الثرة » .

ومن ثم ظهرت القوافي المرسلة والمزدوجة ،  
والمقابلة ، في ديوان عبد الرحمن شكري  
الأول ، ثم جاء المازني فضمن ديوانه نماذج  
من تلك القوافي .

سلك الشعر العربي في أوائل هذا القرن  
مرحلة من مراحل تطوره ، وأثمرت حركة  
الاتصال الأدبي بين الشرق والغرب ثمراتها ،  
وكلن تطور الشعر ، إحدى تلك الثمرات .  
وكانت دعوة الصلق ، والتصير عن الشعور  
الصحيح ، بما أخذ الشعراء به أنفسهم ،  
فزعوا إلى الاستقلال ، ورفع غشاوة  
الرياء ، والتحرر من القيود الصناعية ،  
ومن ثم اقترضوا أو كاد ، شعر الزخرفة  
البديئية ، وشعر التاني بالمناسبات والتعزية  
المستكلفة ، التي لا تتصل بشعور القائل  
ولا بعاطفته .

وانفتحت نفوس الشعراء لمؤثرات  
الكون ، التي يعرض عنها غير الشعراء  
وامتزجت طواياهم بطواياها ، فعمقوا  
بأشعارهم معنى الحياة في نفوس الأحياء ،  
واتسعت بواعث الشعر ، وانقرجت  
نوافذ الحياة أمام أعين الشعراء عن موضوعات  
له لا تقنى ، إلا إذا فئيت الحياة ، وصح بذلك  
ما قاله العقاد في مقدمة ديوانه : « وحى الأربعين » ،  
الذي صدر في نهاية الثلث الأول من هذا  
القرن : « إن من أراد أن يحصر الشعر في

بالمثني والشريف والأخطل وجبر ، تتألق  
في ثناياها روح مشرقة :  
وفي قصيدة - أوموشة - الدارالمهجورة -  
يقف المازني بها ، كما وقف قبله آلاف  
من شعراء العرب ، على رأسهم نابغة بني  
كندة امرؤ القيس ، ولكنه يسلك في وقوفه  
بها مسلكاً يفاير مسالكهم جميعاً ، فإنه  
يتمثل الدار وقد علاها المشيب ، وأدركها  
البلى ، فبقيت متهدمة قائمة كالمرء بين الحياة  
والموت ، أما حديث الواقف بها فأمره  
عجيب . فإنه لا يجد فيها قراراً ، ولا يستطيع  
أوهو لا يستطيع لها حواراً ، ولا تلبث  
أصداء الحديث أن ترتد إلى المتحدث .

يقول المازني :

لم يدع منها البلى ، إلا كما

ترك القسعون من غض الشباب

• • •

ومى في سكونها كأنما

فارتقا روحها إلا ذما

• • •

ليس يلقي عندنا الصوت قراراً

كلما أرسلته مل الجوارا

واسترد المرء منها ما أطارا

ثب الأصداء عنها مثلاً

طارت العقبان طيراً عن عقاب

في هذا الجو الأدبي الشعري الجديد نشأ  
المازني وعاش ، وصدر ديوان شعره ،  
كما صدرت قبله دواوين زميليه في الجهاد  
الأدبي العقاد وشكري ، وجاء ديوان المازني  
كما ينبغي أن يحى ، حياً أصداق التعبير  
عن صاحبه وعن زمنه جميعاً ، وجاء شعر  
المازني وصاحبه ، نمطاً جديداً لا يحاكي  
القديم ولا ينكره ولا يداريه ، وإذا كان  
نمت نضال بين مذهب قديم ، ومذهب جديد  
فهو نضال انتهى الأمر فيه إلى أن « نزع  
الظافر أسلاب المخول ، ولكنه لبسها ،  
فكان طافرم وعذولم أقرب الناس زياً ،  
وأشبههم بزة » .

وأنت حين تقرأ للمازني قوله في مقطوعة  
الإهداء بالجزء الأول من ديوانه :

إلى الذي نلم عن ليل وأسهرني

ومن إليه على الأيام تحناني

ومن أكاثمه وجدى ، وأوممه

أن اقترابى وبعدى عنه سيات

ومن غذائى ذكراه ، وإن بعدت

أوطانه ونأت بي عنه أوطاني

أذكيت في الصدر ناراً لا تخود لها

فأقبس ثوائر ألقاسى وأشجاني

هدية لك فيها الفضل أجمه

وليس لي غير إنصافى وعرفاني

تجد صياغة عربية مشرقة ، يتصل نسبها

فالشاعر إذن في فترة مراوحة فنية وإنسانية،  
فلا جرم يحس شعره في الحب ذا حرارة،  
يقول :

إن وجها رأيت ليلة السبد  
تد رماني بحبه وتولى  
عجب كيف يرتضى البمد هنا  
من عبدنا في حسنه الله ههنا  
هل حباك الإله بالحسن إلا  
لنرى فيك آية تتجلى  
أنت أفدتى وعلقتى المح  
ب، فهلا أصلحت منى ههنا !

ويقول المازنى :  
ودعته والليل يخفركنا  
والليل يرمقنى ويرمقه  
ولرب خدبت أنثى  
والسمع يطنى ما أحرقه  
ويقول من قصيدته لحفل الحبيب :

يا قرة العين أنت حسبي  
لولاك ما أثمرت غصونى  
لولاك لم أحتمل حيانى  
ولم أطلق صفقة الغين  
وددت لو تنفخ الأمانى  
لو كنت لدنا من النخون  
وليتنى صيدح يغنى  
فى ظلك الوارف الأمين

والغاب الأخيرة جمع عقبة وهى المكان  
المرتفع فى جبل أو نحوه، ويقول فى الإخوان  
ص ٣٢، الجزء الأول، وتأمل إشراق  
الديباجة، وصفاءها :

سل الخلاء ما صنعوا بهدى  
أضاعوه، وكم هزلوا بهدى  
ركبت إليهم طهر الأمانى  
على ثقة فعدت أدم وحدى  
وصلت بحبهم حبلى قلبا  
نأوا عني قطعت جبال ودى  
وكانوا حقيق فعدت منها

وعمدى، فالجسام بغير عمد  
وفى الجزء الأول من الديوان سمتان  
ظاهرتان، أولاهما أن شعر الحب به فيه  
حرارة، والثانية الجروح فى مجاه بعض من  
كانوا أصدقاءه.

أما الأولى فنحن نعلم أن المازنى نظم هذا  
الديوان وهو بعيد العشرين بقليل، وفى الثانية  
والعشرين على التحديد، يقول فى قصيدته  
ثورة النفس - ص ٤٢ - ردأ على أبيات  
كان قد بعث إليه بها صديقه الشاعر  
عبد الرحمن شكرى :

لبست رداء الدهر عشرين حبة  
وثقتين، ياشوق إلى خلع ذا البرد  
عزوفاً عن الدنيا، ومن لم يجد بها  
مراداً لآمال، تعلل بالزهد

بالبنى التي نشأت بين يثثة شعاء ، وبأنه  
دفعه الإسفاف والكبرياء ، وفاسق يظهر  
العفاف ، وحمار أومعه الشيطان أمراً فصاح .  
وفي القصيدة بعض الصور الفكاهية - التي  
تلائم طبع المأزني - ولكنها كما قلنا قليلة ،  
ومن أمثلتها صورة القرد السكران ، وصورة  
الحمار المتكبر ، والمجهونا - كما يظهر من  
الآيات ، وكما يحدثنا من عاصر هذه الحقبة  
من حياة المأزني - شاعر كان صديقاً للمأزني  
ثم تخاصماً ، يقول المأزني :

يا قطيع اللسان مالك والله

و وصوغ الكلام جم العناء

وثمة قصيدة أخرى تجري هذا الجرى  
في ديوان المأزني ، وهي قصيدة الإخوان  
- ص ٣٢ - وفيها يقول :

وفر ماضغ بالغيث لحي

خلاء النمل إذ جمدنا محمد

صفوت له على العلات دهر

ففرق بالسفاهة ماء وردى

\*\*\*

مضى زمن التسامح والتغاضي

وذا زمن الترامي والتحدى

لئن أصلى خبيثهم سكوني

فسوف يحطها بدقي وعودي

وإن أئتمرت لم ذما كثيراً

فهم غرسوا بذور النمل عندي

ونلاحظ أنه كرر كلمة الفصون ولم يحض  
عليها في القافية غير بيت واحد .

واقراً كذلك مقدمة قصيدته « السلوى » :

أبليت فيك العمر وهو جديد

وعرفت فيك الصبر كيف يبيد

وهذوت - أجلك في الحياة محسداً

تف - لي على ضغائن وحقد

وتركتني مثلاً شروداً في الهوى

يوسى إلى الإصبع الممدود

لي كل يوم منك موقف ذلة

صعب على الطبع الخفى شديد

وأما السمة الثانية فتتمثلها قصيدة مزجية طويلة

يعارض بها ابن الرومي في قصيدته التي مطلعها :

يا أخى أين رجع ذاك الإغاء

أين ما كلن يبتنا من صفاء

وطالبت قصيدة المأزني حتى بلغت

مائة وستة من الآيات ، لتتم معارضة ابن

الرومي في كافة النواحي ، فإنه كان طويل

النفس جداً ، بدأها المأزني بقوله :

بعض بنضائكم أولى البغضاء

إنما أفتن شيمة السفهاء

ليس يشقي السباب غل حسود

قد طوى صدره على الشجاء

وتمتلى القصيدة بالسباب ، وتقل فيها

الصور ، ويقسو السباب أحياناً حتى يصل

إلى درجة غير مقبولة ، كأن يصف خصمه

وتعاود المازني طبيعة الهجاء في الجزء الثالث - الذي نشر بعد موته - يقول في قصيدة عنوانها اللص :

لحاك الله من لصوص رقيق  
يفاجر بالعضية والفجور  
أتذكر حين كان أبوك يمشي  
وما في كفه شروى تقير  
يدلل يومه في السوق طورا  
وطورا في الأزقة والكفور  
ويوقظ ظهره مولاه حتى  
كان أباك كان من الخير  
وله كذلك في هذا الجزء الثالث قصيدة من الهجاء عنوانها الحمار المستأسد اضطر ناشر الديوان ومراجعته إلى حذف تسعة أبيات منها فيها نبوغا وشدة وإن عالف بذلك أمانة النقل ، ولعله كان أمام كلام شديد البذاءة ، والملاحظ أن ابن الرومي يسيطر على الشاعر حتى في قوالب صياغته يقول ابن الرومي :

ويمينا لأهلون بأشلا  
تلك بين الإشواء والإحشاء  
ما دعا حاجيا ومتخذنا ليا  
ك ملهى وعرضة استهزاء  
ويقول المازني :

ويمينا لأجملتك أحسو  
ثة كل الركبان والاملاء  
ناشرا كل سوءة لك تظو  
يها دويا وفضة نكراء  
حتى القافية الحمزية لم تسلم من المازني حين عارض ابن الرومي .

وإلى مقال آخر نعالج فيه فن المازني الشعرى وأسلوب صوره وتفكيره ٩

### الموضع الوكيل

## عهد أبي بكر لعمر بن الخطاب

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر خليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، في الحال التي يؤمن فيها الكافر ، ويتق فيها الفاجر .

لأن استعملت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن برّ وعدك فذلك على به ورأي فيه ، وإن جاز وبدل فلا علم لي بالغيب ، والخير أردت ، ولكل امرئ ما اكتسب ، وسيملم الذين ظلموا أي متقلب ينقلبون .

## ثورة التوحيد الفلسفي على التعدد الوثني للدكتور محمد غلاب

أنه يقبل التقاليد الدينية الإغريقية ، ولكنه يرفض في حزم أن يقر ذلك الضعف البشري الشائن الذي عزاه هو ميروس إلى الآلهة ، وبعد أن أنحى بانداروس باللائمة على الصور الأدبية والمادية الشائنة التي رسمها هو ميروس للآلهة ، صرح بأنهم يمتلكون القوة والجمال والخلود ، وعلى الأخص الخيرية والعلم المنزه عن الخطأ والانخداع في أي شيء ، وأنهم متصفون بأسمى الفضائل التي تأسست عليها ديانتهم عنصرها ، ثم انتزعت من هذه الديانة تطبيقها .

وعلى هذا النحو نفسه كل الشاعران المأساويان : اسكيلوس ، وسوفوكليس ، وقد امتازا باحترامهما التقى الفائق للتقاليد الدينية ، فالآلهة عندهما قوى غامضة رهبة لا يقيدهم سوى قانون القدر الذي يستحيل الفرار منه أو التمرد عليه ، وهم متصفون بالقدر والعدالة ، بل هم حماة الفضائل المالية . ومعنى هذا أن ذنبك المأساويين قد خطا على الآلهة من الأوصاف المالية والنموت الرفيعة مالم يظفروا بمشر مشارة في ملحق هو ميروس .

عما لا سبيل إلى الرب فيه أن الأدب الهيليني قد ترك في تكوين العالم الحديث أثرا روحيا وخلقيا وفتيا لا يصحده اليوم أحد من المثقفين في الغرب والشرق وأن هذا الأدب قد اقتبس أروح موضوعاته من تلك الأساطير الشيقة التي لا تزال إلى اليوم منبعافياض من منابع الشعر الساهر ، والفن الفائن .

هذه الأساطير هي أساس الدين الهيليني ، بل لقد بقيت زمنا طويلا ينظر إليها على أنها هي التاريخ المعتمد لذلك الدين الذي هو نموذج للتعدد وتحديد الاختصاص ، والذي كان الشعب يؤمن به إيمانا عميقا ، وعلى رأسه شعراؤه وكتابه ومؤلفوه منذأ بعد عصورهم ضربا في القدم ، ومن أوضح الآيات على ذلك الإلياذة والأوديسا اللتان أبدع فيها هو ميروس في تصوير آلهة الإغريق أينما إبداع .

بيد أن الزمن قد عمل عمله في تطور هذه العقيدة ، وقد ظهر فيها ذلك التطور قويا بارزا حين تلاأ نجم الشاعر الرسمي العظيم بانداروس وأعلن في أول القرن الخامس

النهضة العلمية الإيونية ، وكانت تقيده هذا التأمل أن الديانة الإغريقية باطلة من أساسها لأن الآلهة الحقيقيين لا يمكن أن يكونوا كما صورتهم الأساطير من الناحية المادية ولا من الناحية الأدبية ، فأما منقأ صف التصوير المادى للآلهة وطلاته ، فهو أننا نلاحظ أن تماثيل آلهة الإغريق ذرق العيون ، بيض الوجوه ، صفر الشعور ، وتماثيل الإنيوبيين سود الوجوه ، فطس الأنوف ، جمع الشعور إلى غير ذلك مما يحملنا على الاعتقاد بأنه لو أتبع للأسود أن تصنع تماثيل آلهتها لصنعتها ذات غلاب وأنياب ، ولو قدر للثيران أن تفعل ، لرأينا تماثيل آلهتها ذات قرون طويلة وأذيال متدلية ، وأما ما في فساد التصوير الأدبي الذي ورد في الشعر الإغريق القديم للآلهة ، فهو أننا نشاهد أن آلهة (هوميروس) و (هيزيودوس) يتناسلون وينامون ويشتهون ويمشون ويمخدعون ويمخونون ، وبالإجمال يقرءون أكبر الموبقات الإنسانية ، وهذا كله يحملنا على اليقين بأن جميع هذه الآلهة من صنع البشر وكما شامت لهم أهواؤهم وبيئاتهم ، ولا ريب أن كل ذى عقل سليم يحتقر هذا ويسخر منه سخرية تامة .

ثم إن (أكسينوفانيس) بعد أن هدم الديانة الأرسطورية التي كان يعتقد بطلاتها ، شرح يؤسس على أقاضها عقيدته الفلسفية

غير أن هذا الطابع الإجلالى لم يلبث أيضا أن لحقه التطور الذى لا يدع كبيرة ولا صغيرة في الكون إلا أخضعها لقاموسه القاهر الجارف ، وما في ذلك التطور هو الأورفية ثم الفيثاغورية اللتان تأثرتا بالمبادئ الشرقية عامة ، والهندية خاصة ، ومن الأسس الجوهرية لهذه المبادئ : التوحيد أو دين الفطرة ، ولكن لما كانت هذه التعاليم الأورفية والفيثاغورية تدرس سرا بين الصفوة والعلية من المفكرين ، وكانت من (المعتنون به على غير أهله) ولهذا بقيت بعيدة عن الشعب ، مصونة عن الدماء ، مقصورة على الخاصة الممتازين .

### توحيد أكسينوفانيس

على أنه من الأمور الطبيعية أيضا أن الحنى يصير حلياً في يوم ما ، وقد كان ذلك بالفعل ، إذ لم تلبث أن ظهرت تلك الحملة الهائلة التي سدد الفيلسوف الإلهي أكسينوفانيس سهامها إلى عقيدة التعدد والمشابهة في إغريقيا فأصابها في الصميم ، وإليك البيان :

كان أول ما شغل أكسينوفانيس في حياته الفكرية هو النظر في التراث الإغريق القديم المؤلف من الأساطير الدينية الممثلة في قصائد الشعراء وتماثيل الفنانين ، فبسطها أمامه ثم تأمل فيها على ضوء النضوج الذي أحدثته



الآخر من القرن الخامس وهو أزهر عصور هذه العاصمة على الإطلاق ، إذ كانت أمتاء على رأس إغريقيا كلها لاسيا بعد أن أقتتها من الفرو الفارسي بفضل ثجاعتها واستعدادها ، ومن أسباب ذلك التفوق أبعنا أنه كان على رأسها ذلك الحاكم العظيم بيريكليس . ولهذا لا نستطيع أن نمر هنا بتلك الحقبة التاريخية الخالدة دون أن نقف عندها هنية . ولما لم يكن من الميسور أن نقف هذه الوقفة دون الإلماع إلى حياة بطل الساعة في ذلك الحين ورافع لواء المجد فيه ، وهو بيريكليس ، فإليك هذه الإلماعة :

انحدر بيريكليس من أسرة عريقة ماجدة ، ولكنه لم يكذب يشب حق وضع نفسه على رأس حزب الشعب ، وقد أدهش هذا المسالك المؤرخين ؛ لأنه غير طبيعي ، ففرض فريق منهم أنه لا بد أن يكون في هذا التصرف قد خضع لدافع الميل الشديد إلى الخطابة ، ولبي في نفسه نداء الفصاحة والبلاغة اللتين بلغتا لديه أقصى حدود الإعجاب . ولم يكن يستطيع لإرضاء الرغبة التي ملكت عليه أحاسيسه إلا إذا كان زعيما سياسياً وقائداً شعبياً من أولئك القادة النادرين الذين تقتصر إليهم الشعوب في عنفها أو في حركاتها التحريرية التي تقوم بها لتخلص من اليأس أو من المظالم الاجتماعية .

الصحيحة المؤسسة على النظر المنطقي السليم ، فأخذ يسائل نفسه قائلاً : ولكن مع ذلك ، هل كان الكون من غير إله ؟ كلا ، بل إن هناك إلهاً واحداً بعيداً كل البعد عن جميع نعوت البشرية من غير استثناء ، وهو يرى بكيته كل مرقى ويسمع بكيته كل مسموع ، ويدرك بكيته كل مدرك ، وأنه ثابت كل الثبات ، منزّه عن الحركة بأنواعها ، وأنه يدبر كل شيء في الكون بقدرته الإدراكية التي لا نظير لها .

وصنّده أن إثبات وحدانية الإله ليس مفتقراً إلى أدلة حسية ، أو براهين تجريبية ، بل هو ظاهر بالدليل النظري لدى كل عقل مستقيم ، وهذا الدليل هو أن القوة غير المحدودة هي أولى خصائص الإله ، فلو كان له شريك لما استطاع أن يفعل كل ما يريد . وهذا المجرّد حدّ لقوة التي لا تتحقق الألوهية إلا بتخطيها كل حد وبلوغها أعلى درجات الكمال . وقد برهن على أزلية الإله وأبدية . يمثل هذه البراهين النظرية .

### توحيد أناكساغوراس :

كان إكسينوفانيس ينادي بهذه الآراء في إيطاليا الجنوبية في القرن السادس قبل المسيح ، ولكن التوحيد الواضح قد ظهر في أثينا على يدي أناكساغوراس في النصف

أثينا بقايا مبادئ الديانات الفطرية الآسيوية فكان الأول من جروق على أن يتحدث في أثينا الوثنية عن إله واحد مجرد حكيم مدبر للكون ولا يشبه من عداه ، وقد وجه إليه سؤال كان بمثابة حفاصل بين المدارس الإيوانية والإليائية والفردية أو بمباراة أدق كان حدا فاصلا بين مدارس الإلهاد التي تعلن أن الحركة الكونية لا يحرك لها البتة وإنما هي سائرة بالمصادفة أو مدفوعة بقانون الثقل ومدارس التأليه التي تقرر أن لكل حركة محركا إلى أن ينتهي الأمر إلى المحرك الأزلي الذي يحرك ولا يتحرك ، وبجمل هذا السؤال هو ، ثم نشأت هذه الحركة الدائمة التي لا تكاد تجمع شيئا حتى تفرقه ، ولا تفرقه حتى تجمعها ولم كانت ؟ ، ولم يتردد أنا كساغوراس في أن يجيب سائليه بقوله : إن هذه الحركة ميكانيكية متأثرة بقوة منصفة عليها من الخارج ، وهي لازمة لزوماً لامناص منه لنظام الكون ، إذ لو لم توجد لانعدم كل شيء في العالم ، ولهو الكون كله إلى وجود محقق ، فبالحركة يحدث الكون والفساد أو ما يسمى بالحياة والموت وبها يوجد النهار والليل ، وبهوى الرطب والثقيل نحو المركز ، ويصعد اليابس والخفيف نحو الخارج ، وبها يحصل التعقل والإدراك . وبالإجمال هي أولى الضرورات وأقواها من غير استثناء . أما قائلها فهو

وبما هو جدير بالملاحظة أن هذه الشخصية الفريدة النظيفة كان لها كثير من الخصوم المخرضين المهاجين ظلياً وعدواناً ، لا لشيء إلا لأنه لم يسايرهم في أهوائهم ومطالبهم . ولا غرو فإن الشاعر العربي يقول :  
إن نصف الناس أعداء لمن

ولي الأحكام هذا إن عدل  
ولكن بيريكليس لم يكن يستشيط غضبا من الهجوم ، ولا يهت طربوا للثناء ، لأنه كان يعيش في ذاته . وقد خلق لنفسه حياة شخصية مستقلة عن حياته السياسية التي كانت مع ذلك مثالية . وكان يفضل مرافقة الفلاسفة على مرافقة المتسقين من رجال الحكم وذوى المطامع والأهواء . وكان منزله أشبه بمنزل فيلسوف غريب فكان مفتوحا على مصراعيه للصفوة المختارين .

وكان صقراط الشاب وأنا كساغوراس الشيخ من بين رفاقه المفضلين ، وإذا كان اختيار المرء قطعة من عقله كما يقولون ، فإن اصطفاء بيريكليس هذين الحكيمين دليل على سداد الرأي ونفاذ البصيرة ؛ لأن أنا كساغوراس كان يمثل جانين عظيمين من جواب المعرفة البشرية ، أولها أنه كان دارسا متاريا للعارف الطبيعية اليونانية التي كانت تحاول أن تشرح الكون بواسطة النظريات المادية وثانيهما أنه قد حمل إلى

برهاننا على وجوده ، إذ لو أنه اتخذ خيريته التي نضر بجذبها إيانا نحو الخير في داخل نفوسنا برهاننا على ذلك الوجود ، لكان أقرب إلى الصواب ؛ لأن ما نذكره في داخل نفوسنا أثبت وجوداً وأقوى يقيناً مما نحسه بحواسنا .

ولا شك أن في هذا التصريح من سقراط دليلاً قويا على عظمة أناكساغوراس وضربة في الفلسفة العالية بسهم نفاذة .

ولقد هزت تلك التصريحات من جانب أناكساغوراس كل العقليات الممتازة في أثينا وعلى رأسها بيريكليس وسقراط وزلزلت عقيدتها في التعدد الأسطوري ، ولا ريب أن هذا الجانب من أناكساغوراس كان له أهمق الأثر في تكوين سقراط أولاً ثم أفلاطون وأرسطو من بعده . ولم لا ؟ أليس سقراط هو الذي يقول عنه إنه : « الصاحي بين السكارى » كما أسلفنا ، وإن كان ذلك لم يمنعه من أن يخافه في الجانب المادى من شرح الكون وأن يعارضه في عبارته المشهورة وهي قوله : « ليس في هذه المظاهر ثابت إلا الفكرة ، وما لا يخفى أن هذه العبارة هي أساس المثل الأفلاطونية .

إلى جانب هذا التأثير القوى الذي تركه أناكساغوراس في سلسلة عظماء فلاسفة الإغريق الروحيين والعقليين في التوحيد

« النواميس » ، أو تلك القوة الحكيمية التي لا يقبل العقل السليم أن تكون مثناة كما رأى أمينوكليس ، وإنما هي واحدة من جميع الوجوه ، وهذه القوة العاقلة مستقلة تبرز بالأمور ، وهي بأكملها في نفسها . إنها ألطف وأنقى الموجودات جميعها . وقد قل عنه ساميلسيوس في كتابه « عن السماء » ما يأتي : إن النوس أو القوة العاقلة لها قدرة قاهرة على كل شيء ، ولها علم غير محدود . وعنده أن كل كائن حي حتى النبات ، مشتمل على جزء يتناسب معه من ذلك الإدراك السكلي الأعلى . وبهذا الجزء يدبر كل كائن حي حياته تديراً خاصاً مستقلاً وهو يرى أنه لولا وجود تلك القوة الحكيمية المدبرة لما سلت تلك الأجرام الكثيرة العدد من الاصطدام أثناء هذه الحركة الفاتحة في السرعة ، والتي لا تنفّر لحظة واحدة . ولا ريب أن هذا يشف عن أنه كان عالماً طبيعياً مبدعاً ، وفيلسوفاً مؤلفاً جليلاً . وأن نتائج نظرياته إن لم تكن قد طهرت في حياته ، فإنها كانت بارزة الأثر بعد موته حتى لقد شهد له سقراط بأنه كان مثله في البيئة التي يعيش فيها مثل : « الصاحي بين السكارى » ، على حد تعبيره ، وليس هذا لحسب ، بل إنه قد اعترف له بأنه مؤله موحد حيث قال : إني آخذ على أناكساغوراس اتخاذ حكمة الإله الممثلة في نظام الكون

سامية انتزعها من مبادئ أستاذة أناكساغوراس . ولكن حظ هذا الداعي للتأليه العقلي الجديد كان في أثينا أحسن من حظ زميله سقراط ، إذ شاعت له الآقدار أن يغادر تلك المدينة إلى مقدونيا وأن يبقى بها حتى يتوفى في بلاط الملك أركيلاوس .

وأياماً كان فعلى أثر اشتهار أناكساغوراس بهذه المبادئ ، وذبح أستاذه بيريكليس ، انتهز خصومه المفضون هذه الفرصة فأطلقوا ألسنتهم في المدينة أن بيريكليس قد أصبح ملحداً . وهك عبارة الكاتب الإغريق القديم أبقليوس في هذا إذ يقول : ( لقد اعتبر الرأي العام بيريكليس ملحداً منذ اللحظة الأولى التي نثق فيها بدروس أناكساغوراس ) بينما جعل أفلاطون وشيشيرون على العكس من ذلك أن بيريكليس مدين لهذا الفيلسوف بكل ما كان لديه من الحكمة .

على أن هذه الحجة الآتية التي وجهها خصوم أناكساغوراس إلى مبادئه ، لم تلبث أن أنتجت نتائجها المشئومة التي كان من صوابها ذلك الفيلسوف الجليل الذي انتهى الأمر بأولئك الخصوم إلى اتهامهم ببحود الآلهة وإقامة قضية ضد منعبه ، ولم لا ؟ أليس هو الذي تجرأ على التصريح بوجود إله واحد مجرد عن المادة ، أو ليس هو الذي كان يتقرب بعقله في السبيل ليسقط منها الألوهية الوثنية

الراق الذي بدأ بسقراط وجعل يسوحي بلغ الأوج عند الأفلاطونية الحديثة في الإسكندرية ، إلى جانب هذا التأثير الفلسفي ففاحد أناكساغوراس تأثيراً آخر أدنى إلى الشعب وألصق بالجمهور ، فقد كان من بين تلاميذه المعتازين ذلك المأساوي الموهوب أوريبديس ، وما لا يخفى على أحد أن المأساة كانت قد أنشئت أول أمرها لتشريف الآلهة وتمجيدهم ، وقد ظلت تؤدي مهمتها على أكمل الوجوه منذ نشأتها حتى تلك الحقة التي بدا فيها القرد على الآلهة ، ونما الثمور بنقا نصهم ورذاثلهم وتناقصهم وعدائهم للمبادئ السامية واستهتارهم بالقيم الروحية إلى غير ذلك مما لا ينطبق على الألوهية الصحيحة . وقد تمثل ذلك النقد اللاذع في مسرحيات أوريبديس التي جعلت تصور آلهة الإغريق متغصين في الكذب والتفاق والغرور وحب الانتقام والحداد والحياة والغدر والتوحش وعدم الاتساق حتى في توحشهم . وبالإجمال كانت منتجاته كأنها هرائض اتهام مفعمة بالمهجوم والسخرية ، ولكنها لم تكن سخرية من العقيدة الدينية من حيث ذاتها ، وإنما كانت متجهة إلى الديانة الإغريقية بالذات وعلى صورتها الراهنة . ولم يكن ذلك الهجوم هداماً لحسب ، بل كان مطهراً يزيل أنقاض التخريف ليثبدي في مواضعها للألوهية صورة

كثله شيء ولا يحصره مكان ولا زمان ، وقد كان من نتائج هذه التعاليم الأناكساغورية أن اقترح دوقيلاس الخطيب التصويت على قانون يعاقب كل الذين يساهمون في زلزلة عقيدة الدولة ، أو يحاولون أن يشرحوا الظواهر السماوية عن طريق العلم ، قم له ما أراد ، وفي نفس تلك السنة وهي سنة ٤٣٣ ق . م حكم على أناكساغوراس بالنفي ، ولما لم يكن بيريكليس يستطيع دفع الضر عن أستاذه وصديقه فقد تألم لما نزل به تألماً شديداً واكتفى على مضض بأن يرافقه إلى أبعد مدى يمكن في طريق منفاه بمدينة لانساخيه التي بقي بها حتى توفي في سنة ٤٢٨ ق . م ، وهي نفس السنة التي ولد فيها أفلاطون .

الدكتور محمد غنوب

التديعة ، أو ليس هو الذي بذل جهده في إحداث انقلاب علم في العلوم الطبيعية المقررة التي كانت بمثابة عقيدة ثابتة ، فأعلن في دروسه أن الشمس هي كتلة من النار ، وأن القمر كوكب أهل بالسكان ، وأن الرعد ليس سوى نتيجة اصطكاك السحب ، وإذا كان الأمر كما يقرر أناكساغوراس فإذا هي أن يصير زوس قاذف الصواعق ، وأبولون إله الشمس وأرتميس آلهة القمر ذات الوجه الأبيض ؟ بل ماذا هي أن يصير جميع آلهة الأولامبوس يازاء تعاليم هذا الفيلسوف الذي تجرأ - بإعلان هذه المبادئ الجديدة - على اكتساح آلهة الإغريق وعقيدتهم التي توارثوها من قديم الزمن جيلا بعد جيل ، وإحلاله محلها ذلك الإله الواحد البجرد الذي لا يشبه أي موجود من هذه ، والذي ليس

## من رسالة عمر في القضاء

إلى أبي موسى الأشعري

المسلمون عندول بعضهم على بعض ، إلا مجلدا في حد ، أو مجريا عليه شهادة زور ، أو ظنيئا في ولاء أو نسب ، فإن الله تولى منكم السرائر . ودرأ بالبينات والإيمان . إياك والخلق والعنجر والتأذي بالخصوم ، والتشكر عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يعظم الله به الآخر ، ويحسن به النحر ، فمن صحت نيته ، وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله . فإظنك بشواب عند الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام .

من تاريخ الأدب العربي الحديث :  
بكريّة عبد الحليم المصري  
للدكتور سعد الدين الجيزاوي

قد حولوا مجرى التاريخ ، ولم تقف أمامهم  
أفبال كسرى ولا حصون قيصر .  
ولقد كان موقف الشعراء - الذين حاصروا  
تلك الفترة - من تأجيج الشعور العام موقف  
الحائز المضطرب !! إنهم أرادوا أن يمجّدوا  
البطولة كما مجّدها أسلافهم من أمثال أبي تمام حين  
خلد بطولة الجيوش العربية في معارك حمورية  
والمتنبي حين خلّد بطولة سيف الدولة الذي  
أذل كبرياء الروم وحلم عالي حصونهم ...  
غير أن هؤلاء الشعراء لم يمجّدوا من بنى  
جنسهم من يستحق التمجيد ، فقد كانت  
الاتصارات في الحروب ، لأسماء أجنبية  
بغضنة إلى نفوس الشعراء كما هي بغضنة إلى  
نفوس الآءة جميعا .

وكان لابد للشعراء أن يعبروا عن  
أحاسيسهم ، ويعصروا الشعور الصام ،  
ويسجلوا الأحداث ، ويوجهوا النفوس  
إلى ما فيه رفع الروح المعنوية في الأمة  
بعمامة ، وفي الشباب بحاجة . ولكن ماذا  
يقولون ؟

إننا نحمد آياتنا في شعر حافظ إبراهيم  
وأحمد محرم وغيرهما في وصف أحوال

بكريّة ، الشاعر عبد الحليم المصري (١)  
هي إحدى قصائد طوال ظهرت في أخريات  
الحرب العالمية الأولى ، عندما تأجج الشعور  
العربي العام ، وثار النفوس في مصر ،  
وسئم الناس رؤية الجند الأعراب من الانجليز  
وحلفاء الانجليز يطوفون البلاد بسلاحهم  
في صور من الرعب والتهديد ، ويمثلون  
الجو بأذير طائراتهم ، ويدكون الأرض  
بضخام مدافعهم ودباباتهم ، وقد ضاق الناس  
في مصر أشد الضيق ؛ لأنهم لم يروا في تلك  
الآونة بين قادة الحرب أو المسيطرين على  
زمام الأمور أبطالاً من بنى جنسهم ،  
وبرموا لذلك أشد البرم ، ولم يمجّدوا  
ما يسرى عنهم ما قد آلمهم من الضيق والبرم  
إلا تذكروا لأبطال هذه الأمة في ماضيها  
الغابر المجيد ، أولئك الأبطال الذين كانوا

(١) هو من الشعراء الضباط ، وأصله من  
مديرة البحيرة قرية فيضا . بد أن يخرج في  
للدعوة الحرية للتحقق بخدمة الجيش بالسودان .  
وله ديوان من ثلاثة أجزاء ، والبكريّة التي نحن  
بصددها منقورة بحريّة الأفكار - العدد ٢٥٢٠  
ل ١٩١٨/٥/٢٤ - تولى سنة ١٩٢١ .

ثم يأخذ في وصف الجيش التركى الإسلامى:  
منع الخلافة أن تضام ، وصانها  
حامى الحجيج وناصر القرآن  
جيش يسير به النجى ، وحوله  
جند الملائك ، بينه العمران  
يهتز دحرور ، فى القواء ودخالد ،  
ويممور دحيدة ، بكل عنان  
ولقد بهل محرم فى هذه القصيدة أسفه  
على ما كان بين الشريف حسين العربى الذى  
كان يمثلا الدنيا بدعوته إلى سيادة العرب ، إذ  
انخدع بوعود الإنجليز ، واستسلم لمطاليم  
ضاربا بالعرب ومصلحهم عرض الحائط  
قال محرم :

نبئت ما زعم الشريف وقومه  
فسمعت ما لم تسمع الأذنان  
خدعوه إذ ضاق السيل بمكرهم  
ورموا بآمال إليه حسان  
فأباح ما منعت غوارس هاشم  
وحمت ولاية البيت من عدنان  
ياذا الجلالة : لاسعدت بتاجه

ملكاً ، سواك به السيد الهانى  
ومن خلال حيرة الثمراء ، وشدة رغبته  
فى إبراز البطولة العربية الإسلامية التى لم  
يمجدوها مائة فى زمانهم ، لاح لهم خاطر  
أخرجهم من حيرتهم ، وقح لهم باباً واسعاً  
يشبعون فيه رغباتهم فى تمجيد تلك البطولة

الحرب ، ولم يكن من الأسماء الإسلامية بين  
قادة الحرب إلا أسماء بعض الضباط الأتراك ،  
إذ كانت تركيا التى تمثل الخلافة الإسلامية  
قد حالفت الألمان فى تلك الحرب التى انتهت  
بانتصار الإنجليز وحلفائهم .

وفى إبان اشتعال تلك الحرب الضروس  
وجهت كفة الألمان وحلفائهم الأتراك  
قوة من الوقت ، واستبشرت حينذاك الأمم  
الإسلامية ، وظنت أن أبطال الخلافة  
سيحرزون النصر فيحفظون بذلك للخلافة  
هيبتها ، وهنا تنفس الشاعر الكبير - المرحوم  
أحمد محرم - الصعداء فأثبا قصيدة كبرى من  
من تسعة وعشرين وماتى بيت يمجدها فيها  
بطولة الجيش الإسلامى جيش الخلافة ،  
ويشيد بموقف الخلافة من حماية الدين  
وأوطان المسلمين ...

ومما جاء فى هذه القصيدة (١) :

طرب الحليم ، وكبر الحرمان  
واعتر دين الله بعد هوان  
قامت سيوف الفاتحين بأمره  
والنصر بين مهنته وسان  
ظلمت جوارحه إلى حر الوغى

فسقته شتوب النجيع الضالى

(١) مخطوطة من بين مخطوطات محرم المديدة ،  
وله قصيدة أخرى من ٦٠٠ بيت فى وصف حرب  
الترك واليونان بين ١٩٢١ و ١٩٢٢ فيها  
صور بارعة .

حتى ترى بعض ما شادت أوائلها  
من الصروح ، وما عاناه بانيتها  
وحسبها أن ترى ما كان من عمر  
حتى يبه منها عيين غافيا  
وبعد حوالى ثلاثة شهور (١) من إذاعة  
قصيدة حافظ ، نشر المرحوم عبد الحليم  
المصرى بكرته يمرض فيها صورة كاملة  
لرجل آخر من الرعيل الأول من المسلمين ،  
كان أول الخلفاء الراشدين ، وله في إرساء  
دائم قواعد الإسلام والدولة الإسلامية  
فضل بارز ، وقد أخذت تخضع للعرب في  
عهد دولته دولتا الظلم والظلمانيان : فارس  
والروم ، وارتفعت الراية الإسلامية العربية  
تعلن العدل ، والمساواة ، وذوال عهد  
العبودية والاستبداد .

وإذن فقد ظهرت هذه القصيدة الكبرى -  
مع سابقتها ثم ما تلاهما (٢) - في وقت كانت

المحبة إلى نفوسهم ، ذلك أنهم اتجهوا إلى تاريخ  
هذه الأمة المجيد ، واتخذوا من بطولات  
السالفين صورا يشيدون بها ويمرضونها على  
شباب الأمة ، لتكون لهم قنطرة ، وتخلق  
في نفوسهم معاني العزة والكرامة ، وتدفع  
عنهم اليأس ، وتبعث عندهم الأمل في مستقبل  
كريم . وكل هذا الانجم من شعراء تلك  
الفترة محموداً مشكوراً ، وقد برزت فيه  
رسالة الشعر جليلة واضحة ، وأدى فيه أولئك  
الشعراء رسالتهم لآمتهم خير الأداء .

وكانت أولى هذه القصائد الطوال هي هجرية  
حافظ إبراهيم (٣) التي ألقاها في حفل عام ،  
وقد أبرز فيها صورا فاضرة من حياة  
عمر بن الخطاب كحاكم عادل ، وسياسي بارع ،  
ومصلح اجتماعي ، وقد بين في ختامها هدفه  
من إنشادها . قال :

هذى مناقبه في عهد دولته

لشاهدين وللأعقاب أحكيها (٤)

في كل واحدة منهن نافلة

من الطبايع تضدو نفس واعيا

لعل في أمة الإسلام نابتة

تحلو لحاضرها مرآة ماصيا

(١) ألقاها في ٨ فبراير ١٩١٨ بمدرج وزارة  
للأوقاف (٢) من الديوان - ٧٧ - وأيانتها  
(٣) مطبعة دار الكتب .

(٤) الديوان - ٩٧ - ١ - نابتة : صفة شريفة .  
نابتة : يقصد الناشئ . لذلك : التام .

(١) التي حافظ قصيدته في ٨ فبراير ١٩١٨  
وانصرفت العسكرية في ٢٤ مايو سنة ١٩١٨ ومن  
من أحد عصر وماتق بيت .

(٢) ظهرت المدحوبة الكبرى من ٢٠٧  
( سبعة وثلاثون بيت ) في عام ١٩١٩ ترم  
صورة للظيفة الرابع على بن أبي طالب ، وحوالي  
تلك الفترة كان شوقي قد نظم « أرجوزة العرب  
الكبرى » وهو مثنى بالأندلس - من ١٧٢٩  
( ستة وعشرين وسبعمائة وألف بيت ) بعنوان :  
« دول العرب وعظماء الإسلام » وصف فيها  
الأم الإسلامية وعظماء الأبطال للسنين من لقد  
ظهور الإسلام إلى نهاية دولة الفاطميين بمصر .



ماجز عن بلوغ ذلك المقام السامى لا مقصر :  
 أنضى أبابكر عليهم قسوافيا  
 وأمطر لسانى حكمة ومعانيا  
 وقل رسول الله : لا يجز زلتى  
 إذا لم أكن فيه بقولى بإدبا  
 مقام رسول الله فوق قصائدى  
 وهل شر والنبيراس يمدى الدرارياء ؟  
 وبعد أبيات يأخذ فى بيان الهدف الذى  
 جعله يتجه إلى اختيار أبى بكر :  
 فآمنت بالإلهام فىك ، وإن أفل :  
 تصدىنى وحى ، فلت مغاليا  
 بأول صديق ، وأول مؤمن  
 وأول شورى أشد وجانيا  
 وأضرب أمثالا لقوى تهميتهم  
 بصورة شيخ المسلمين كما هيا  
 صى أن يعيدوا ما أضاعوا من الهدى  
 وأن يتلافوا منه ما كان باقيا  
 وحق يروا أن الخلافة لم تكن  
 مظاهر فى إبانها ومرائيا  
 وأنت لم ترق الخلافة بالنسب  
 ولا السن . لكن بالتهى كنت راقيا

• • •

أولئك قسوم لا يحابون سيذا  
 ولا عرفوا فى جانب الحق عاليا  
 بهذه المقدمة التى رسم فيها صورة الحاكم

نفوس الناس فى مصر وسائر البلاد العربية  
 أشد ما تكون قلقا واضطرابا بسبب ما  
 وصلت إليه الأحوال العامة فى هذه البلاد  
 الإسلامية من النكسة والضعف وسيطرة  
 المستعمر ... لجماعات كشعاع ضوء فى وسط  
 ظلام دامس تطمئن النفوس ، وتفتح  
 أبواب الأمل

تضمنت البكرية سبعة عشر مضمنا وهى :  
 مقدمة إجمالية - تصديقه بالإسراء - شراء  
 الموالى فى الفار - شجاعته يوم بدر - رأيه فى  
 صلح الحديبية - رأى النبى فى أبى بكر -  
 بصد وفاة النبى تسير جيش أسامة - حرب  
 أهل الردة - غزو الروم والفرس - أبو بكر  
 وذو الكلاع - انجازه فى الخلافة وهو عمر -  
 وفاة ابنه عبد الله - يوم وفاته - الخاتمة .

ونرى من هذا التقسيم أن الشاعر قد جعل  
 أكبر اهتمامه فى إبراز شخصية أبى بكر ، وقوة  
 إيمانه ، وعدالته ، وهو يهدف من خلال  
 ذلك إلى رسم الصورة المثالية للحاكم المؤمن  
 الساهر على صالح رعيته ... دون أن يتعرض  
 للحسب والنسب وكرم المحدث ..

والمقدمة فى أربعة عشر بيتاً ، وقد بدأها  
 بلفظة مهذبة اعتذر فيها إلى مقام رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم إذ لم يبدأه بحمده وعلل  
 ذلك تعليلا طريفاً إذ اعتبر أن شعره  
 لا يسمو إلى مقام الرسول ، ومن ثم فهو

وبعد أن صور شجاعة أبي بكر في غزوة بدر ، وقيامه حارساً ساهراً على عريش النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار إلى بعد نظر أبي بكر في صلح الحديبية ، وما كان من رأى النبي في أبي بكر حين استخلفه في إمامة الناس قبيل وفاته ، وما كان من موقف أبي بكر حين انتقل الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى وارتجح مسكر المسلمين ، وأظهر أبو بكر من الشجاعة والثبات وتذكير الناس بآيات من الكتاب الكريم ما أعاد إلى الناس صوابهم ... انتقل بعد ذلك إلى ذكر تسيير جيش أسامة ، وما كان من تواضع أبي بكر حين مشى إلى جانب فرس أسامة . وهنا اتهم الفرصة وصف الجيش وأدب الحرب ، وكأني به يعرض بقيادة الحرب التي كانت دائرة .

وقفت أمام الجيش ترعد أسمة  
وتعظم من تلك العواطف غاليا  
يكاد يثنى النار إن صحت أمرا  
ويرتدخوف الظل إن صحت ناهيا  
تقول لهم : لا تحملوا غير زادكم  
ولا تقسوا عذابا من الماء جاريا  
ولا تهلكوا زرعاً ولا تهتكوا حيا  
ولا تستبيحوا نسوة وذراريا  
ولا تحرقوا باللائنين كنائسا  
ولا تهدموا باللاجئين مغانيا

وطريقة اختياره بدأ قصيدته ، ونلس هنا تعريضا بما كان عليه اختيار الحاكم في مصر حينذاك عن طريق الوراثة وإشارة المستعمر . ثم انتقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف نكران قریش لما سمعوه من الرسول الأمين عن الإسراء ثم ما كان من تصديق أبي بكر لكل ما سمع وأكثر ما سمع في ستة عشر يوما انتقل بعدها إلى الحديث عن رقة قلب أبي بكر حين رأى بلالا يمدب بالسياط في حر الظهيرة فأسرع إلى شرائه وعتقه :

قلبا أفاض النفس إلا صبابة  
إذا ما رآها الموت لم يدرك ما هيا  
أطلك عليه رحمة الله من يد  
ترى البرق في ديباجة الفيت وانيا  
رأى نور عيش في ظلام منية  
يلوح أبو بكر به متباديا  
تعرض ما بين الحمام وبينه  
وكان له في الله بالمال قاديا  
كريم يرى ما في يد الناس قانيا  
وليس يرى ما في يد الله قانيا  
وأخذ بعد ذلك يصور موقف أبي بكر في غار ثور وكيف اقتدى النبي عليه الصلاة والسلام :

إذا لدغتك الجن ألفتك صابرا  
على السم ، تخشى أن تروح غافيا  
ولم يبق منك الوهن إلا أصابعا  
فألقمتها دون النبي الأفاعيا

ولا ترمقوا الأسرى، قرب عارب

كفيتم أبا بكر ، فردوا تجارتي

إلى الحرب يسعى مكرها لامعاديا  
ثم أخذ يصور موقف أبي بكر من مانعي  
الزكاة واعتبارهم مرتدين عن الإسلام ثم  
قتلهم وثبت ركن من أركان الإسلام ...  
واتقل بعد ذلك تسير الجيوش تلوا الجيوش  
لفزو الروم وفارس ، وكيف ألف أبو بكر  
بين قلوب العرب ليغفوا صفا واحدا ضد  
الطامة الطامنين :

إلى بيت مال المسلمين وماليا  
كأصور هيئة أبي بكر حين قدم عليه  
« ذوالكلاع » بموكبه الفخم وخدمه وحشمه ،  
وزهبه وجواهره ، وكبره وعجبه ، فرأى  
خليفة المسلمين العظيم في ثياب متواضعة :  
لا خدم ولا حشم ، ولا عبيد ولا إماء ،  
ولا زينة ولا جوهر ...

لأنتم هدأة الناس ، والأمة التي  
إذا افرقت في الأرض عادت كماها  
فيا حرب : اشتدوا ، فإني لرافع  
صبيكم إلى يوم الحساب لوأثيا  
ثم انتقل إلى الحديث عن عفة الحاكم  
وزايمته بما رسمه لأبي بكر من صورة الخليفة  
الذي يأكل من كسب يده بالاجار ، فلما  
خو طلب في ذلك لم يطلع فيا في بيت المال  
بل اكتفى بما يكفيه :

فلما رأى من نسج تيم بحاسدا  
يكاد يرى فيها الخليفة عاريا  
تولته من أسر الخلاقة دهشة  
فألقى الحلي والحز ، وارند حافيا  
وقال : كدادين المساواة ، فلتكن  
خلاقته حرية وتأخيا  
ومن ضمن الإجلال في كل بردة  
رأى ما وقاه الحر والبرد كافيا  
وقد عرض قصة طريفة عن سبقة لعمر  
بن الخطاب في غميانه بيوت العجائز صحرا  
لإصلاح شئونهم ، وتقصيه في حاجاتهم ...  
ثم تحدث بعد ذلك عن موقفه من تركه ابن  
عبد الله على ضآلتها ووردها إلى بيت المال  
ثم وصيته أبي بكر قبيل وفاته برد ما يملك  
لبيت المال :

فقل له : أهلك هنا تجارة  
إذا عدت بزا فلا تك راعيا  
فقال : أيرجى وصيكم في خلافتي  
إذا كنت فيها ليس أرحى حياليا ؟  
فقالوا له : نعطيك « فرض مهاجر »  
ونأخذ من ثوبيك ما كان باليا  
فقال : لقد أغنيتموني بفرضكم  
وحسبي ما سد الطوى وكسانيا

وقال - وقد حان الفراق - لبته :  
إذا مت ردى عيهم وردا يا

وفاء وتحننا إلى الزمن الذي  
تضوع من عطر الخلاقة ذا كيا  
ليالي كان الناس : لا المال ذخرم  
وما هو إلا مال من جاء عافيا  
وما فضل مولود على مال والد  
وما ذنب مولود من المال خاليا  
ولا فرق فيهم بين مولى وعبيده  
إذا جاءهم عبد لمولاه شاكيا  
وما الحق إلا حائط بين قوة  
وصعف ، وليس العدل إلا تقاضيا  
أرب أبي بكر : مستخلق مثله  
فيسدرك من بنيانه متراميا  
ذكرت أبا بكر نفوسى ، وليتقى  
بلغت به فى القول ما كنت راجيا  
لعل سراً الدهر تدرك لجره  
فإني أرى الأصباح تنل الدياجيا  
ورحم الله شاعرنا الكبير ، فقد حقق الله  
أمنيته وخلق من يحيى سياسة أبي بكر ، فقد  
رأينا الدياجى تنقش ، وتحمل مكانها  
الأصباح ، ورأينا رائد العروبة جمال عبد الناصر  
فى زماننا هذا لا يألو جهداً فى قصص سيرة  
أبي بكر ورفع راية العروبة والإسلام ،  
وجمع العرب فى صف واحد حتى تعود لهذه  
الأمة المجيدة مكاتها اللاتقة بها .

ولا تدفونى فى الجديد ؛ فإنما  
أحق به من كان فى الناس عاريا  
وردى عليهم حائطى فى دراهم  
تقاضيتها منهم ، وردوا صحافيا  
خرجت من الدنيا بنفسى ، وليتقى  
خرجت معافى ، لا على ولا ليا  
ومات ، ولم يترك تليداً نوارث  
يقوم به فى الوارثين مباحيا  
وما نال أبناء الخليفة ضيعة  
ولا ظم منهم من يقول : تراثيا  
هذه هو أبو بكر خليفة المسلمين الأول ،  
والحاكم الساهر على مصالح رعيته ، يخرج  
من الدنيا لا مال ولا نجب ، ولا قصور  
ولا ضياع كتلك التى كل يتمتع بها سلاطين  
مصر وحكامها .  
أما الخاتمة ، فقد أفرغ الشاعر فيها كل  
مضامره ، وركز فيها ما تكنه نفسه من  
آلام على الماضى الزاهر ، وسخط على الحاضر  
القاسى المظلم ، وتمنى لو أن المسلمين تفقهوا  
سيرة أبي بكر وساروا على نهجها :  
فذكرك فى الأحياء سال مدانحاً  
وذكرك فى الأموات حال مرانيا  
فنى لى بدمع المسلمين الذى جرى  
وما سوف يغدو للأجنة جاريا  
صنبدل من تلك العمون كراثما  
ونرخس من تلك الدموع عواليا

وبعد :

قتلك هى بكرية الشاعر عبد الحليم المصرى عرضناها فى إيجاز يتناسب وصفحات المقال . وقد رأينا أن هذه القصيدة الكبرى كانت قد ظهرت فى وقتها المناسب ، متضمنة صفحة ناضرة من التاريخ الإسلامى فى أرمي قراته ، وجاء أن تنعكس ما فيها من صور على أهل الزمن الذى أنشدت فيه ، فتسير لم الطريق إلى المسالى ، وتأخذ يسيرهم إلى سرائق العزة والكرامة .

وقد سار الشاعر على الأسلوب المألوف فى الشعر العربى من حيث الوزن والقافية والعناية بذكر الحقائق ... وقد سرد الأحداث سلسلة ، ولم يعمد إلى غريب الألفاظ بل إنه توخى السهل الميسور ولعله أراد بذلك أن يعم نفع القصيدة فى يسر .

وبحكم طبيعة الموضوع ، والدقة فى تلخيص الإشارات التاريخية ، لم يطلق الشاعر العنان للخيال ، بل كان السرد يظل عليه أحيانا فى بعض الآيات مثل قوله عند الحديث عن الإسراء :

أتى المسجد الأقصى ، ورد براقه

إلى الطبقات السبع لم يخش عاذا

فصلى بمن فيها ، وكلم ربه

وأصبح فى بطحاء مكة داعيا

وجلت بعض الآيات كأنها حكم مرسله :

ومن ضمن الإجلال فى كل برقة  
رأى ما وقاه الحر والبرد كافيا

وما فضل مولود على مال والد  
وما ذنب مولود من المسال غاليا

وما الحق إلا حائط بين قوة

وضعف ، وليس العدل إلا تقاضيا  
وقبل أن أختم حديثى عن بكرية هذا  
الشاعر العظيم عبد الحليم المصرى أقول :

إن هذا الشاعر من أولئك الشعراء الذين عاصروا فترة طويلة من زمن الخلافة العثمانية وفترة الاحتلال البغيض . وله فى ديوانه ، وفى طيات الصحف كثير من الشعر الإسلامى والوطنى ، ولم يلق بعد ما يستحقه من رعاية بالدراسة والمرض . وإنى أعتبر شعراء تلك الفترة من أمثال عبد الحليم ونسيم وصبرى ومحرم وحافظ وشوق وغيرهم من المصورين البارعين الذين سجلوا أحداث ذلك الزمن ، وما كان فيها من صراع دائم . وأرجو أن يلقى عبد الحليم المصرى مثل ما لقي بعض زملائه من دراسة وتكريم

وقتنا الله جميعاً إلى ما فيه الصواب .

دكتور

سعد الدين الجيزاوى

# نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

- ٩ -

ولا تقدمهم على هذا الوفاء ، فنادى عمر في الناس : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة : أفرأى من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قلنا يا أبا عبيدة ؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله ! أرايت لو كان لك إبل فبطلت وأديا له عدوتان إحداهما غنصبة ، والآخرى جدبة ، أليس إن رحيت الغنصبة رحيتها بقدر الله ، وإن رحيت الجدبة رحيتها بقدر الله ؟ لجاء عبد الرحمن بن صوف - وكان غائبا في بعض حاجته - فقال : إن عندى من هذا عليا : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأتم بها فلا تفرجوا فرارا منه . قال : الحمد لله عمر ، ثم انصرف .

\*\*\*

وفي هذا الحديث أمور تصور لنا بعض الجوانب من فقه عمر .

(١) روى مالك بسنده في الموطأ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام ، حتى إذا كان يسرع (٢) : لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوفاء قد وقع بالشام قال ابن عباس : فقال عمر بن الخطاب : ادع لي المهاجرين الأولين بالشام ، فاختفوا فقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه ، وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوفاء ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي الأنصار ، فدعاهم فاستشارهم فسلخوا سيبل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عني ، ثم قال : ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة النخع ، فدعاهم فلم يختلف عليه منهم رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس

(١) تأخر هذا الكلام عن موضعه لأنه تأخر من موعده .

(٢) قرية يراى تبوك في طريق العام .

وحمل إليهم بعد ثلاث ليال ، وسأله : هل يدخلهم في القسم معهم بما آتاه الله عليهم ، فكان من فقه عمر أن أمره بأن يدخلهم معهم في الغنيمة ، فإن الصدور إنما ضعف ، وإنما انشمر عنه المدد من خوفهم منهم .

وذكروا أن عمر كان قد عزم على أن يطوف البلدان ، ويوزر الأمراء ، وينظر فيما اعتدوه وما أثروا من الخير ، فاختلف عليه الصحابة ، فن قاتل يقول : ابدأ بالعراق ومن قاتل يقول بالشام ، فعزم عمر على قدم الشام لأجسل قسم مواريث من ملئت من المسلمين في طاعون حمّاس ، فإنه أشكل قسمها على المسلمين بالشام ، فعزم على ذلك ، وهذا يقتضي أن عمر عزم على قدوم الشام بعد طاعون حمّاس ، وقد كان الطاعون في سنة ثمانى عشرة من الهجرة .

وذكروا أن عمر أتى الشام أربع مرات مرتين في سنة ست عشرة ، ومرتين في سنة سبع عشرة ، ولم يدخلها في الأولى من الآخرين .

٢ - ومن ذلك أن عمر رضى الله عنه كان على قوته وكأله فقهه بنفسه ، وعلو كعبه في الحكم والسياسة ، يحب الثورى ولا يكاد يرم أمرا إلا بعد أن يجمع له أهل الرأى ، ويظل يراجعهم فيه ويراجعونه ، مستمعا إلى مختلف الحجج ووجوه النظر ، حتى يحيط

١ - فن ذلك أن عمر رضى الله عنه كان قادما إلى الشام ، ليطلع أحوالها ، ويتعرف شئون أهلها ، وتلك سنة كان عمر أول من سنها في الإسلام ، وسار عليها من بعده الخدّاق من الولاة والحكام : أن يزورا البلاد والأقاليم النائية كلما دعت إلى ذلك حاجة ، بل يزورها ليتفقد شئونها ، ويتعرف على أهلها ، ويتهدّها عن كسب ، ولولم تدع حاجة خاصة إلى ذلك ، فإن من شأن هذه الزيارات أن توثق الصلات بين الحاكمين والمحكومين ، ولذلك يقول الفقهاء : إن على الإمام إذا بعد عهده بالتفقد أن يتطلعها بالمشاهدة ، ألا يكتفى بما يرد إليه عنها من خبر ، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، وقد عرفت لعمر رحلات منها هذه الرحلة ، ومنها رحلته إلى بيت المقدس ، ومنها رحلته التي أنجدها أبا عبيدة حين حصره الروم بمصر ، إذ خرج عمر بنفسه لينصر أبا عبيدة فبلغ ( الجابية ) فلما سمعت الروم بقدومه أصابهم رعب شديد وضعفوا جدّا في حصارهم ، فأشار خالد بن الوليد على أبي عبيدة بأن يبرز إليهم لينقاتلهم ، ففعل ذلك أبو عبيدة ، ففتح الله عليه ونصره ، وهزمت الروم هزيمة فظيعة ، وذلك قبل ورود عمر عليهم ، وقبل وصول الإمداد إليهم بثلاث ليال ، فكتب أبو عبيدة إلى عمر وهو بالجابية يخبره بالفتح وأن المدد

بترك الفرصة للتأطرين ، حتى يتسبب الرأى في أعماقهم . فلا يكون رأيا فطوريا ، وحتى يكون لديه هو أيضا فرصة التأمل في مختلف الآراء ، والتعمق في لحصها والموازنة بينها . وهناك عامل فدى لا بد أن يكون عمر قد لاحظته ، وهو مما تجرى به عادة الجماعات دائما ، فالتناس إذا كانوا سائرين في اتجاه معين ، كهؤلاء القادمين إلى الشام مع أمير المؤمنين ، لا يسهل عليهم أن يردوا عنه دفعة واحدة ، فإنهم يذهبون في تفسير هذا الرد مذاهب شتى ، وربما أدركت كثيرا منهم بلبلة الشك أو حيرة الوم ، لذلك كان من حكمة عمر أن توقف ، ثم استشار فريقا من الناس بعد فريق ، فترك الأمر يحتمل بينهم ، وترك الرأى يشتجر ، ثم اعتزم الرجوع عن هذه الرحلة متوكلا على الله في هذه المزمة ، غير عاقل أن تدرك أحدا من رجاله حيرة أو بلبلة ، فنادى في الناس : إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه يريد السفر ووصفه بذلك ؛ لأن المسافرين متاهة يصير على ظهر الخيل والإبل والبواب وكان السفر هو سفر الآوبة والرجوع . ومن مواقف عمر في الشورى موقفه يوم أراد الخروج إلى العراق ليشهد الفتوح مع جند المسلمين ، فقد كان عمر رضى الله عنه بين أمرين : إما أن يخرج كما يخرج سائر

بأطرافه ثم يحكم حكمه فيه عن بينة ، وذلك كله تحقيقا لقوله تعالى وأمرم شورى بينهم ، وانتفاعا بالنهج القويم الذى سنه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله » .

ويبدو هذا النهج القويم في الأمر الذى ذكره هذا الحديث ، فإن عمر رضى الله عنه فوجى . بنبا الوباء ، فأدرك بفطرته الصافية أن من واجبه التريث والتوقف عن إتمام الرحلة فليس من الرأى أن يزعج بنفسه وهو أمير المؤمنين الذى يجب عليه أن يحتفظ بحياته الغالية لأمة ، أو أن يرج بمن معه من وجوه الصحابة رضوان الله عليهم ، في هذا الخطر ، فإن الله تعالى يقول : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ويقول : « ولا تقتلوا أنفسكم ، فإني عن بذل النفس في غير جهاد أو قصد لإعلاء كلمة الله تعالى ، أو تحقيق لمصلحة من مصالح المسلمين .

ولقد كان هذا الأمر واضحا لدى عمر ، وليس من شأنه أن يلبس على مثله ، ولكنه مع ذلك رأى أن يشرك منه أهل الشورى فلا يعزم على الرجوع حتى يستبين الأمر لهم كما هو بين أمامه ، ومن ثم دعا المهاجرين ثم دعا الأنصار ، ثم دعا شيوخ قريش من مهاجرة الفتح ، واستشارهم فريقا بعد فريق وإنما لم يجمعهم دفعة واحدة لأنه أراد أن



على المسلمين قذاك ، وإلا ألد رجلاً وذب رجلاً آخر ، وفي ذلك ما يفيظ العدو .

وقام عبد الرحمن بن عوف فأبد هذا الرأي ، وتسابق إليه الناس واجتمعوا عليه ، فزل عمر على رأيهم ، وقال : أيها الناس . إني كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج ، فقد رأيت أن أقيم وأبث رجلاً .

وهكذا تتجلى حكمة عمر وحسن سياسته ، فإنه لم يحمل الناس على ما اعتقد أنه الرأي قسراً ، ولو شاء لفعل فهو أمير المؤمنين المطاع فيهم ، ولكنه شاورهم وبدأ بعائمتهم وسائر هؤلاء العامة فيما رأوا ، ثم شاور الخاصة فأشاروا بالرأي فزل عليه .

ولعمري إن هذا في السياسة وفق الحكم لفقه عظيم .

وقد يبدو أن عمر رضي الله عنه كلن في حرصه على الشورى متأسيماً بصاحبه الصديق رضي الله عنه :

فقد أخرج البخاري عن ميمون بن مهران قال : ( كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياء خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا

الجاهدين ، فهو رجل منهم ، ولا يحق له أن يأمرهم بالجهاد ويقعد عنه ، وإما أن يبقى فلا يخرج حتى يكون هو مرجع الجيش ومستنده الذي يستند إليه ، يمدد إذا أراد الممدد ويبحث إليه بالقائد إذا احتاج إلى ضير قائده .

وكان عمر لا يخفى عليه أن الخطوة الأخيرة هي الرأي السديد ، الذي لا رأى سواه ، فإنه رئيس الدولة ، ولا بد له من أن يكون هو الموجه لها ، والمدير لأمورها ، فلا يصلح أن يذهب بنفسه لقتال الأعداء ، وقيادة الجيوش ، ولكنه مع ذلك طرح الأمر على الناس طالباً المشورة ، لجمعهم في المسجد وأخبرهم الخبر ، فقال العامة : سر وسر بنا ملك ، فدخل معهم في رأيهم وكره أن يكون هو الذي يبين لهم فساد هذا الرأي ، حرصاً على صلاح نفوسهم وألا تراود أحداً منهم الظنون ، وقال لهم : استعدوا وأعدوا فإنني سائر إلا أن يحى رأي هو أمثل من ذلك ، ثم بحث إلى أهل الرأي ، فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أحضروني للرأي ، فأجمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقبضه بالجنود ، ويقبضه أمام العدو ، ويمدده بالمدد فإن كان الذي يرجي من الفتح

كانت الاستشارة فيما يحكم به في هذه الجزئية بمثابة استنباط المجتهد للحكم ليقضى به .  
وينبغي أن يلاحظ أيضاً أن هذه الرواية تقرر أن كلام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ما كانا يمكن ، إذا استشارا رموس الناس ، إلا بما يجمعون عليه .

ويؤيد ذلك ما رواه السرخسي في المبسوط إذ يقول : ( كان عمر يستشير الصحابة مع فقهاء ، حتى كان إذا رفضت إليه حادثة قال : ادعوا لي علياً ، وادعوا لي زيداً . . فكان يستشيرهم ثم يفصل بما اتفقوا عليه ) .

وهذا كله إنما هو في مجال القضاء ، واستقصاء الوسائل التي تعرف بالحكم المشروع ، أو تستنبطه ليكون قانوناً يحكم به .

وكلامنا حين أثبتنا لعمر رضي الله عنه خاصية الشورى إنما هو في حكمة السياسي العالم ، فإنه ملابح انفراد به ، ولم يكن يلتزم فيه أن يقع الإجماع على أمر فيأخذ به ، أو يختلف الناس فيقف من خلافهم موقفاً سليماً ، بل كان ربما رأى الكثرة في جانب ، والقلة في جانب ، فأخذ برأي القلة لأنه اتقدح في نفسه صوابه وصلاحيته ، وأكثر ما كانت استشاراته التي من هذا القبيل في المبادئ العامة ، لا في الأحكام الجزئية .

وكذا ، فهل علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء ، فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر فيه عن رسول الله قضاء ، فإن أعياء أن يجد فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رموس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع رأيهم على شيء قضى به ، وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك ، فإن أعياء أن يجد في القرآن والسنة نظر دل كان فيه لأبي بكر قضاء ، فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلا دعا رموس الناس فإذا اجتمعوا على أمر قضى به ) .

لكن لا ينبغي أن يفوتنا أن هذا منوذج قضائي جزئي ، لا منهج حكمي سياسي ، فالقضاء مجال يجب فيه التأني والتماس ما هو مشروع بالفعل مسطوراً كان أو مستنبطاً ، إذ الفرض أن الخصوم مرتطون في قضاياهم بقانون معين ، وأن تصرفهم محكوم بمواده التشريعية ولو لم يطلبوها ، فن واجب القاضي أن يبحث عن مواد هذا القانون ويطبقها على الخصوم في قضاياهم الجزئية ، ولا يعتبر سؤال الناس من أبي بكر أو من عمر رضي الله عنهما في هذا المجال إلا استطلاعا للحكم المقرر إن كان في الأمر حكم مقرر من الشرع ، فإن لم يعلم في ذلك حكم مقرر

الأمر الثاني: أن الإسلام أمر بالشورى، وامتدح المؤمنين بقوله: « وأمرهم شورى بينهم »، ولكنه لم يحدد للشورى نظاماً معيناً، ولم يبين من الذين يستشارون، وهل يؤخذ رأي الكثرة كائناً ما كان، إلى غير ذلك مما اقتضته النظم الحكيمة والسياسية فيما بعد.

والسر في ذلك أن الإسلام لا يريد تهديد المسلمين بأوضاع معينة، بل يريد لهم أن يكونوا مرتين في اختيار ما تقتضيه المصلحة والتطور الزمني والسياسي مع الاحتفاظ بجمهور الشورى.

وإذن فالصورة التي اختارها عمر ابن الخطاب إنما هي وجه من وجوه الشورى، لنا أن نحفظ به، ولنا أن نعدل فيه، وقد عرف التاريخ للأندلسيين أنهم كانوا مجلساً للشورى يعين أعضاؤه من قبل الخليفة ويمثل فيه مختلف أهل الرأي والتفكير.

**عمر محمد المصطفى**

عميد كلية الشريعة

وأمر آخر يختلف فيه الجالان: هو أن مجال التشريع القضائي فيما روى عن أبي بكر وعمر، كان يستشار فيه رؤوس الناس، أما مجال الشورى في الحكم العلم والمبادئ فلم يكن قاصراً على رؤوس الناس، إنما كان شاملاً للعامة والخاصة كليهما، ولعل ذلك المنهج العمري هو الأصل فيما نعرفه الآن من أن الشورى ليست حكراً على الخاصة دون سواهم من عامة الشعب، بل هي حق للجميع.

وبهذا قبل أن تترك الحديث عن المهج العمري في الشورى أن تقرر أمرين:

أحدهما: أن الشورى في المبادئ العامة وفي سياسة الحكم قد تكون وقعت على عهد أبي بكر، ولكننا لم نقسها إلى عهده رضي الله عنه، لقلة حوادثها، ولاشتراكهم نفساً فيها، فقد كان من أبي بكر بمثابة الوزير والمشير، ولم يكن أبو بكر مستقل من دونه بشئ.

## بين العلم والعمل للأستاذ محمود النواوي

إذا كان لفظ ( العلم ) معان مختلفة باختلاف الأوضاع والمصطلحات . فإنما يعنيني هنا ما يعنى المنتسب إلى الدين والذي يتخاطب باصطلاحاته فيما يورده من ألفاظ . فالعلم إذا هو تلك المجموعة من المعادن التي أساسها ما تنزلت به الأديان السماوية لهداية البشر في صفاتهم وعباداتهم لخلائقهم وتعاملهم فيما بينهم وفي صفاتهم وأخلاقهم التي يحق عليهم أن يكونوا عليها حتى تتم عمارة الأرض على وجه يرضى الرب ، وينشر السلام والحب ، وحتى يتحقق المعنى الذي من أجلهم خلقوا . وهو عبادته وشكره على خيره وجه يقوم نفوسهم ويعطى قلوبهم بما يشير إليه القرآن الكريم بيانا لإرسال الرسل ، وما يحققه ذلك الإرسال ، في مثل قوله سبحانه ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز . ثم قمينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين

اتبعوه رافة ورحمة ، ورهبانية ابتدعوها ) الآية . والميزان كما نقل ابن كثير عن مجاهد وقادة وغيرهما هو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السفينة ومساق على ذلك عدة أدلة وشواهد من القرآن الكريم .

فالعلم هنا هو معادن تلك الأديان المصلحة للبشر وهو الذي أردت أن أبين الصلة بين إدراكه ومحصيته . وبين العمل به ، أهنك لروم بين الأمرين . أم هناك انشكاك يحول دون ذلك الزوم ؟ وهذه المسألة في ذاتها بما تناوله الناس قديما بالنظر فوق الخلاف بينهم في صلة العلم في ذاته بالعمل به . وقال قائلون إن العلم الصحيح يلزمه العمل فإذا تخلف العمل بالعلم عنه لم يكن علما وكان صاحبه غير عالم . وإلا كان عبثا وفعل العاقل يسان عنه ومحال أن ترى أمي محمول أن تهلكك ، أو عدوا يريد أن يفتك بك ، ثم تعرض عن مقاومة ذلك ، إلا إذا لم تكن على علم بما يراد بك وإلا لم تكن من أهل العقل ! ويستدل لذلك بعض الإسلاميين

المهدي والعلم بالغيب الكثير أصاب أرضاً  
مكانت منها بقعة تقيت قبلت الماء فأبقت  
العشب والكلأ وكان منها أجلب أمسكت  
الماء للناس فشربوا وسقوا وملثوا أسقيتهم  
وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان  
لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ... فهذا وأمثاله  
يدل دلالة واضحة على أن العلماء متفاوتون  
بتفاوت استعدادهم وتوفيق الله لهم ، وأن  
المهدي يختلف الاتِّفاح به باختلاف من يوجه  
إليه ، وتدل الأخبار على أن العلم نارة يكون  
حجة على صاحبه ( والقرآن حجة لك  
أو عليك ) كما أن هناك آيات كثيرة وأحاديث  
صحيحة تدل على شقاء من لا يعمل بالعلم وعظم  
جرمه فكيف يقال إن العلم يلزمه العمل به  
لو كان كذلك لم ينسج القرآن والسنة والحكماء  
على العالم المخدول غير العامل ، واللازم باطل  
قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم  
« واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ  
منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ،  
ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض  
واتبع هواه ، الآية .

وقال سبحانه : « ونزل من القرآن ما هو  
شفاء ورحمة للؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا  
خساراً » ، ولست هذه الآية الكريمة على أن  
أم العلم وأصله والتي تصدع الجبال من  
خشية الله لو وجه إليها ، وهو القرآن الكريم

بما يدل على أن من وقع في الخطيئة فهو  
جاهل وأن من يقارنها فهو مجرد عن العلم  
كقوله سبحانه ( إنما التوبة على الله للذين  
يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب )  
الآية فمن عمل السوء فهو جاهل غير عالم وإن  
كان اسمه عالماً غير جاهل . وقد نقل هذا المعنى  
عن مجاهد وغيره من أئمة الصحابة والتابعين  
قالوا كل من عصى الله خطأ أو عمداً فهو  
جاهل حتى يزرع عن معصيته ويستدل  
بعضهم بما ثبت عن أبي الدرداء وهو  
مرفوع في بعض الروايات إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم « لا يكون المرء عالماً حتى يكون  
بعله عاملاً » .

فإنه يدل على أن من لا يعمل بالعلم لا يكون  
متصفاً به .

ويقول بعض الناس : إن العلم إنما يرفع  
تقيته وهو الجهل وهو لا يستلزم العمل  
بمقتضاه ولا ينافي عدم العمل به فهو لا يرفع  
ضلالاً ولا مائماً ، وكل من عالم فزير المسادة  
واسع الإطلاع والأخذ ، وهو متورط في  
الموجبات دائب الاقياد للشهوات ومنهم دون  
ذلك ، فالعلماء متفاوتون بين عامل صادق  
وعامل خاطئ ، وغير عامل ولا موفق  
« فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم  
سابق بالخيرات يا أذن الله » ، ويؤيد ذلك أن  
النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثه الله به من

« قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الأبواب » ومن ذلك الاعتد بـشهادتهم على ما يختلف فيه بعض الناس كوحداية الله سبحانه في قوله : « شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم » الآية : وكرسالة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « قل كفى باقة شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب » وكنزول القرآن عليه في قوله : « أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل » .

وأما السنة النبوية فما أكثر ما مجتد العلماء وحفلت بأمرهم كافي قوله صلى الله عليه وسلم « من يرد الله به خيراً يفقه في الدين »<sup>(١)</sup> وقوله « العلماء ورثة الأنبياء »<sup>(٢)</sup> وحديث « فضل العالم على العابد كفضل على أدنى رجل من أصحابي »<sup>(٣)</sup> وما إلى ذلك وما أكثره وهو كله يفيد أن العلم لا بد أن يصحبه العمل وإلا لم يكن هناك معنى لكل هذا التنويه وذلك الإطراء وإذا فلا بد من كشف النطاء عن اللبس في هذا الموضع وبيان حقيقة أمره والواقع أن العلم على مراتب بعضها يستوجب العمل في الجلسة ويأتي على صاحبه أن يرتكب المخالفة إلا فله لا بد منها للبشر

(١) رواه الشيخان :

(٢) أبو داود والترمذي وابن صاحب وابن حبان

في صحيحه .

(٣) الترمذي وقال حسن صحيح .

قد لا يقتنع به من يوجه إليه فكيف بغيره من المعارف ؟ . وفي السنة الكريمة من ذلك الشيء الكثير مثل حديث العالم الذي تتدلى أقطابه في جهنم لأنه كلن يأمر الناس بالخير ولا يأتية . وحديث خوف النبي صلى الله عليه وسلم من المضللين أكثر من خوفه من الرجال وحديث : العلم علان علم على اللسان فذلك حجة الله على عباده وعلم في القرب فذلك النافع وما أكثر ما جاء في كلام الصحابة والتابعين والحكام من ذم من لا يعمل بعلمه ، والتنديد به ، بما يدل على دلالة واضحة على أنه لا تلازم بين الأمرين . وهو أمر مشاهد ملموس وقد كنت ناصرت هذا المنهج في بعض دراساتى قديما<sup>(١)</sup> ولكن ما ورد من مدح العلماء مطلقا والثناء عليهم غير مقيد بالعمل ، يؤيد المنهج الأول وينصره فإن العالم لا يمدح بمجرد علمه مالم يكن لهذا العلم ثمرة هي استنباعه للعمل وأداؤه إليه ومقتضى ذلك أن العالم لا يكون عالما حتى يعمل بعلمه . أما مدح العلماء مطلقا والتنويه بشأنهم فقد دلت عليه دلائل بينات من القرآن الكريم والسنة النبوية والحكم والآداب . ومن ذلك قول الله سبحانه : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقوله سبحانه :

(١) راجع كتاب جولات السلامة للكاتب

المقال ص ٨٥ ما بعدها .

بلغ في التمسك بما يعلم والاستقامة في تنفيذ مطالب الدين ورغائبه المرتبة الثالثة التي هي أرق هذه المراتب . إلا أن مرتبته الأصيلة هي مرتبة التقليد التي لا تستلزم الرسوخ في العلم والتزام العمل به .

المرتبة الثانية ، مرتبة العلم الاستدلالي الذي يرتفع صاحبه من حضيض التقليد المجرد بالاعتماد وعلى شاهد العقل الذي يؤيده النقل كما في علم الكلام السبرهاني المعروف أو النقل الذي يؤيده شاهد العقل كما في علم الفقه الاجتهادي المبني على تعرف الدليل من أجل الاعتماد عليه في الحكم الشرعي وكما في علم التوحيد لدى السلفيين من العلماء الذين يحدون كل مطالبهم من عقائد وغيرها في الأدلة الشرعية فيؤثرونها على كل ما سواها

وهذه المرتبة يتفاوت أصحابها كذلك تفاوتاً كبيراً بعد اشتراكهم في أن إدراكهم للعلم إنما سبيله العقل لا القلب فليس العلم فيهم كالوصف الثابت وإنما هو كالأشياء المكتسبة والمدونات المحفوظة التي يحكم عليها العقل وحده وتكون في جملة مودعاته .

وأصحاب هذه المرتبة في منتصف الطريق التي من أجلها يطلب العلم ، وهم علماء اللسان والعقل غير المجرد عن الهوى والشهوات وهم على خطر ما لم يجوزوا هذه المرحلة

غير المعصوم وبمضاها لا يستوجب العمل ولا يصون صاحبه من التورط في الزلل .

وهذه المراتب ترجع في جعلتها إلى ثلاث لا رابع لها لأن كل ما تفرق من الجزئيات مندمج تحت كلياتها ، وإليك بيانها على التدرج من الضعيف إلى القوي بحسب تدرجها في الوجود .

المرتبة الأولى مرتبة العلم التقليدي الذي لم ترتفع عنه أصحابه إلى تصرف أسسه وأدله ، لأن لديهم ما يشغلهم من تكاليف الحياة ومطالب العيش وغير ذلك ، وهؤلاء يعملون بالعلم بمقتضى الحمل التكليفي والحسب الديني بالترغيب تارة والترهيب أخرى .

وهذه المرتبة والدرجة مطردة في العامة الذين يأخذون من العلماء أو بالوراثة عن الآباء وفي طلبة العلم الذين لم يطل أمدهم فيتوسموا إلى درجة البحث والنظر وتنبع المسائل بالاجتهاد وربما خبط بعضهم أو خبط لقلة إحاطتهم وعدم درايتهم وقد يضلون أو يضلون . على أن بعضهم قد تقوى فطرته فيكون أكثر انبعاثاً للعمل من العلماء الباحثين وتسلم عقيدته من تشكيكات البحث والجدل . وقد يفتح الله لبعض هؤلاء أبواباً من الفقه في الدين ثمرة تقوى الله والاستعمال بالرياضة والجهاد فربما

نفسه حتى يصون عليه ويصح وضعه ، وأن يقوم هوأ حتى يكون العلم له وصفا ثابتا ، وأن يطهر قلبه حتى يستقر فيه العلم فلا يجد الشيطان سبيلا إلى إضلاله وإفساده وإلا كان من الخاسرين الذين يقول الله سبحانه فيهم ( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ) الآية . وأريت من اتخذ إلهه هوأ وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره عشاوة فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون ، ونسأل الله العافية .

وأما المرتبة الثالثة فهي مرتبة أولئك الراسلين الذين صار علم الدين وصفا ثابتا لهم بموامل اقتضت ذلك كحسن الاستعداد وقوة التمييز وخضوع القلب من الأمراض المفسدة كالخسد والحقد والنفاق وحب الدنيا وإثارة ما مع مقاومة الهوى ، وإخضاعه للحق وهم الذين وقعت الإشارة إليهم في القسم الأول من الحديث الصحيح ومثل ما بعث الله به من الهدى والعلم . . . ) منهم الصنف الذي نفعه الله بما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من ذلك والمشبهون بالبقعة النقية التي قبلت الماء فأثبتت العشب والكلأ وهذا هو العلم المعتبر في الدين ، والمحنوح على ألسنة النبيين والموصوف أصحابه بأن الله يرفعهم درجات وبأنهم شهداء لله على الوجدانية

إلى مرحلة الرسوخ في العلم وهم إذا زاولوا العمل بالعلم كانوا أقوى من أصحاب المرتبة الأولى وأكثر في الخلة انبعاثا إلى العمل لأنهم تجاوزوا مرحلتهم إلى تعقل العلم بدليله الذي يحمل على العمل ، وصارت المعاهيم معقولة المعاني عندهم فلا جرم تحملهم الأدلة التي عقلوها على العمل ، وتحول بينهم وبين مخالفة فإن المخالفة بين العلم والعمل في حقيقة تكذيب خفي إلا أنهم قد تغلبهم الأوصاف الأصلية الراسخة في الإنسان كالهوى والشهوة والأصيل أقوى من المكتسب ولا بد لهم من أسر زائد يساعد الوصف المكتسب كحكم التقاليد واللباقات والفرار من التبعات والمسئوليات ، على أن هذه في الحقيقة ليست أوضاع العلماء الذين كرمهم الله ورضى عنهم . فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه ومن هنا كان الخطر على هؤلاء ؛ فهم الصنف الذين لا يلزم فيهم العمل بالعلم والذين وردت فيهم أخبار التشنيع والنم كقوله صلى الله عليه وسلم « ويل لجماع القول ويل للصرين » ومنهم الأئمة المضطرون الذين يقولون ما لا يفعلون فتندلق أفتابهم ( أمعاؤهم ) في جهنم ويشبههم في ذلك أصحاب العلم التقليدي فإن كل ما عليه المرء من شئون الدين فهو حجة عليه حتى يعمل به . وجدير بهذا الصنف أن يجاهد



ولكون العلم وصفاً ثابتاً لهم . استطاع أن يقاوم الهوى والشهوات فيغلب عليها ويكون الظفر للحق والانتصار للعلم مصداقاً لقول الله سبحانه : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين » .

ولكون العلم وصفاً ثابتاً لهم مسيطراً على جميع مظاهرهم استطاعوا أن يكونوا خير أمة للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصبرون على ما أصابهم في الله فلا يخافون فيه لومة لائم . وما أكثر ما تنسكت الدنيا لكثير منهم واضطهدهم البني محاولة لصرف الواحد منهم عن مواقفه الكريمة لله فيأبى إلا ثباتاً على الحق وانتصاراً له « ولينصرن الله من ينصره » ، إن الله تقوى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور .

وحقاً إن أصحاب هذه المرتبة هم الذين لا يخالف قولهم فعلهم ولا يأمرون الناس بالبر ويفنون أنفسهم .

إلا أن هناك ناحية ينبغي الالتفات إليها في هذا الوضع وهي أنه لا عصمة لغير الأنبياء من هؤلاء العلماء ، وإن الزلة قد تقع منهم كما تقع من غيرهم ولكن هناك فارقاً كبيراً بين هؤلاء وغيرهم إذا ارتكبوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم

مع الملائكة في ( شهد الله أنه لا إله إلا هو ) الآية كما أنهم الموصوفون بأنهم هم الذين يخشون الله في قوله : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » . وبأنهم لا يستون مع غيرهم من الآخرين في قوله : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وهذا هو العلم النافع المستقر في القلوب والذي لم يقف عند حد العقل والنظر كما ميز النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين ما سواه بقوله العلم علان : علم على اللسان فذلك حجة الله على عباده ، وعلم في القلب فذلك العلم النافع فالذي على اللسان هو الذي ذكر في المرتبتين المذكورتين من قبل ( العلم التقليدي ، العلم النظري ) ما لم يرتفع واحد منها إلى المرتبة الثالثة .

حقاً إن أصحاب هذه المرتبة هم العلماء حقاً والعقلاء الحكياء الذين قدروا الدنيا قدرها ووضعوها في وضعها فلا يميل بهم الهوى ولا يستهويهم الشيطان إلى ما دون المباح منها بل إنهم ليتركون أبواباً من الحلال خشية الوقوع في الحرام حفاظاً على حق الله وإشفاقاً من مواقفه الحمى ألا وإن حمى الله عماره ، وهم الذين حققوا أخلاقاً الله وعصمهم العلم عن العبث بشيء من حقوق الله أو حقوق عباده .

إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا  
الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب  
إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون .  
الآيات قبلها وبعدها .

ومثل هذا الوجه لا يعترض أصل المسألة  
فهو معنى جاء في كل الأوصاف الجبلية فقد لا  
تبصر العين وقد لا تسمع الأذن لمروض  
ما يمنع ذلك كفكر أو غفلة أو نحوهما  
ولا يقتضى ذلك أن يكون صاحب الحرمان  
وقت غفلته أو فكره غير مجبول على السمع  
أو الإبصار فكذلك العالم الراسخ المتصف  
بالحلم وصفا ثابتا كما بينا ، فأما المعتاد للذنوب  
الواقع فيه الذى لا يبالي به فلا يمكن أن  
يكون من أهل هذه الرتبة .

هذا هو ما أمكن لى به الفصل بين تلك  
المراتب والتوفيق بين ذلك التضارب ،  
وأسأل الله سبحانه أن يجعلنى وإخوانى  
وأساتذتى وأبنائى فى مراتب العلماء الراسخين  
الدين هم خير وسلام وبركت على الأرض  
وهم إشراف ورضوان فى السماء . وأوثق  
عند الله هم الفازون . ٤

محمد النورى

فإن غيرهم تقع منه المعصية مع الإصرار  
ويرتكب الذنب مستهيناً بأمره . ويعمل  
السوء ثم لا يعود إلى ربه ، فهم الذين ران  
على قلوبهم ما كانوا يكسبون ، وظلوا فى طغيانهم  
يعصون ؛ كأنهم لا يرجون رحمة الله ولا  
يخافون عذابه ؛ ولهذا فإن طاعتهم إذا عملوها  
صورية من قلب مريض أو هتته سيناته  
أو أوبقته متابعة المظالم واستمراء الشهوات .  
فأما هؤلاء العلماء العاملين فإن المعصية تقع  
من أحدهم - إذا وقعت - فلتة لا يسلم منها  
إلا المصوم . وغفلة هى من لوازم البشر  
وفى هذه اللحظة التى يقارف فيها قد يكون  
غير عالم وينطبق عليه أنه عمل السوء بحالة  
ثم يعود إليه العلم وتدركه اليقظة . وقد وصف  
الله سبحانه هؤلاء بالتقوى لأنهم من التوابين  
الذين يغسلون قلوبهم فلا يجعلونها مأوى  
لشياطين إذ يقول سبحانه : « إن الذين اتقوا  
إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا  
هم مبصرون » .

ولما ذكر أوصاف المتقين لم يقل لأنهم  
معصومون لا يقارفون ، ولكن ذكر سبحانه  
أنهم يذكرون الله على إثر الذنب فيستغفرون  
ثم لا يصرون ، إذ يقول جل شأنه : « والذين

# الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

ضريبة العبد وهي غلته ، وفي حديث الحجام : كم ضريبك ؟ . الضريبة ما يؤدي العبد إلى سيده . من الخراج المقرر عليه ، وهي فعيلة بمعنى مفعولة ، وتجمع على ضرائب ، ومنه حديث الإمام اللآثي كان عيين لمواليهين ضرائب . يقال : كم ضريبة عبدك في كل شهر ؟ والضرائب ضرائب الأرضين ، وهي وظائف الخراج عليها ، (١) .

وفي كلمة « الضريبة » من الناحية اللغوية معنى الإلزام وعدم الفسكالك ، ولذلك تقول المعجمات : أصرب فلان في بيته — وما زال مضرباً فيه — إذا لم يبرح . وضرب فلان على الكرم ، أي طبع عليه فصار ملازماً له ، وأصرب فلان جأشاً لأمر كذا ، إذا وطن عليه نفسه ، وضرب فلان الود في مكان كذا : أقام فيه (٢) ، وهذا كله فيه معنى اللزوم والالتزام ، وهو معنى ملحوظ في الضريبة المالية ؛ لأنها تلزم صاحبها فلا يبرأ ذمته إلا بأدائها .

والضرب هو إيقاع شيء على شيء ، وهذا

أصبحت الضرائب تحتل مركزاً جليلاً خطيراً في النظام الاقتصادي المعاصر ، ولا تستطيع أمة اليوم أن تدير شئونها ، وتنفذ مشروعاتها ، وتضمن المستوى اللائق من المعيشة لأفرادها ، دون ضرائب تفرضها وتجبها وتنفق منها ، ولذلك كان من حقنا — إن لم يكن من واجبنا — أن نعرف شأن هذه الضرائب في فطر الإسلام ، لننتبين حكم العقيدة التي ندين الله عليها في هذا النظام الاقتصادي الذي يتغلغل بطريقة المباشرة وغير المباشرة في أحماق الأوضاع المادية للأفراد والجماعات .

ولو رجعنا إلى كتب اللغة لوجدناها تحدثنا بأن السجية والطبيعة يقال لها ضريبة ، كأن الإنسان قد ضرب عليها ضرباً ، وصيغ صياغة ، والضريبة ما يضرب على الإنسان من جزية وغيرها (٣) .

وفي « القاموس » أن الضريبة واحدة الضرائب التي تؤخذ في الجزية ونحوها ، وغلة العبد ؛ وجاء في « لسان العرب » هذا النص : « الضريبة واحدة الضرائب التي تؤخذ في الأرصاد والجزية ونحوها ، ومنه

(١) لسان العرب ج ١ ص ٥٥٠ طبعة بيروت .

(٢) أحاسن البلاغة ، ج ٢ ص ٤٥ .

(٣) معجم مقاييس اللغة ج ٣ ص ٣٩٨ .

على الأفراد ؟ وقد يقول قائل : إنه لا محل لهذا السؤال ولا موجب له لأنه ما دام المال المأخوذ سيرد على أصحابه في صورة خدمات ومنافع فالعقل السليم لا يمنع ذلك .

ولكننا فطرح هذا السؤال لأن هناك من يقول : إن الإسلام لا يبيح فرض ضريبة ، لأن فيه نظم الزكاة والجزية والحراج . ونحب أن نجعل الجواب صادراً عن رجل معروف بقشدته في الأمور الدينية ، وهو الباحث الإسلامي الباكستاني أبو الأعلى المودودي ، فقد سئل نحوه من هذا السؤال السابق ، فقبل له :

« ما هي وسائل الدخل للحكومة الإسلامية والمعروف عامة أن لا ضريبة في الإسلام إلا الزكاة والجزية والحراج ، فإن صح ذلك فكيف للحكومة من حكومات هذا الزمان أن تستوفي نفقاتها من الحدود الإسلامية ؟ وأجاب الباحث على هذا السؤال بقوله : « من الخطأ القول : إنه لا يجوز في الإسلام أن تفرض ضريبة لسد نفقات الحكومة ، وكذلك لا يصح أن يقال إن الزكاة هي ضريبة توضع على الناس لتسديدها نفقات الحكومة ، إنما الزكاة هي مال من أموال التأمين الاجتماعي يؤخذ من الأغنياء ليرد إلى من يستحقه من الفقراء .

أما حاجات الحكومة فإما هي إلا حاجات

معنى ملحوظ أيضا في الضريبة ، إذ كانتنا أوقفنا الضريبة على رقبة المطالب بها (١) .

وفي مادة « الضريبة » معنى تبادل النفع والتعاون ، ومن هنا جاءت « المضاربة » ، وهي أن تعطى إنساناً من مالك ما يتجر فيه ، على أن يكون الربح بينهما ، أو يكون له سهم معلوم من الربح ، وكأنه مأخوذ من الضرب في الأرض لطلب الرزق ، قال الله تعالى : « وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله » (٢) .

وفي حديث الزهري : لا تصلح مضاربة من طعمته حرام . قال : المضاربة أن تعطى مالا لغيرك يتجر فيه ، فيكون له سهم معلوم من الربح ، وهي مفاعلة من الضرب في الأرض والسير فيها للتجارة (٣) .

وهذا المعنى - وهو تبادل النفع والتعاون - ملحوظ في الضريبة المادية ، بل هو حمادها وأساسها عند استقامة الأمور واعتدال الأوضاع ؛ لأن الضريبة تجبي من جهة ، لتردها إلى دافعيها منافع وخدمات مباشرة أو غير مباشرة من جهة أخرى .

وما دنا ففهم معنى الضريبة على هذا النحو ، فهل يميز الإسلام فرض الضرائب

(١) مفردات الفرقان ، ص ٢٩٩ .

(٢) لسان العرب ، ج ١ ص ٥٤٤ .

(٣) لسان العرب ، ج ١ ص ٤٤٥ .

تلك الثروات ، لتحقيق التكافل الاجتماعي وغيره مما تحتاجه الدولة .<sup>(١)</sup>

والضرائب إنما تفرض عند الحاجة إليها ، وهي تزيد إذا زادت هذه الحاجة ، وتقل إذا قلت الحاجة ، وقد قبل على الأمة حالات طوارئ تحتاج فيها إلى مضاعفة الضرائب أو الزيادة فيها ، وهذا حين يتم لوجود مقتضيه ، وحين يجمع بيدولي الأمر الشرعي ، وحين ينفق في الوجوه المشروعة اللازمة التي اقتضته يكون عملا مشروعا لا غبار عليه ، وقد يكون واجبا وليس جائزا فقط .

ولذلك ذكر القرطبي أنه إذا أصابت المسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها ، وقال الإمام مالك : يجب على الناس فداء أسراهم وإن استغرق ذلك أموالهم ، وهذا إجماع .<sup>(٢)</sup>

وقال الشافعي : « إنما إذا قررنا إماما مطلاعا مفتقرا إلى تكثير الجنود لسد حاجة الثغور ، وحماية الملك المتسع الأقطار ، وخلايت المال ، وارتفعت حاجات الجند إلى مالا يكفيهم ، فلإمام إذا كان عدلا أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم ( أي الجنود ) في الحال ، إلى أن يظهر مال بيت المال ، ثم إليه النظر في توظيف ذلك على الغلات والثمار وغير ذلك .

الجمهور أنفسهم ، فكل ما يطالبون به الحكومة من واجبهم أن يكتبوا لها من الأموال ما تحقق به مطالبهم ؛ فكلما أنه يكتب بالمال لمختلف الشؤون الاجتماعية ، فكذلك يجب على الناس أن يكتبوا بالمال ويمكنوا الحكومة من القيام بكل ما هم في حاجة إليه ؛ وما الضريبة في الواقع إلا مال يكتبه الناس لمصالحهم .

أما الضرائب التي قد دمت دما شديدا في كتبنا الفقهية القديمة فإكانت من نوع ضرائب اليوم ، وبينهما فرق أساسي مهم ، فإكانت الضريبة في ذلك الزمان بمثابة مال الاكتتاب يجمعه الناس لمصلحة أنفسهم ، وإنما كانت مال الغرامة تأخذه الحكومات الملكية من الناس وتصرفه على حسب مرضاة الملوك ، وما كان على هذه الحكومات الملكية شيء من التبعة إذا لم تنفق هذا المال على الجمهور ، ولمصلحة الناس أنفسهم ، ولا كانت مسئولة عنه أمام أحد ، ومن أجل ذلك قد شدد الإسلام في تحريم هذه الضرائب ، أما الآن وقد تغيرت حقيقة الضريبة ، فقد تغير حكمها أيضا .<sup>(٣)</sup>

وهذا باحث آخر هو الدكتور مصطفى السباعي يقول : « ومع احترام الإسلام للملكية الشخصية ، فقد جعل في الثروات الخاصة حقوقا للشعب تأخذها الدولة من

(١) اشتراكية الإسلام ، ص ١٣٦ الطبعة الثانية .

(٢) تيسير القرطبي ، ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٣) كتاب نحو الدستور الإسلامي ، ص ١١٠

المكر ، وخيف من ذلك دخول العدو بلاد  
إسلام ، أو ثوران الفتنة من قبل أهل الشر  
جاء للإمام أن يوظف ( أى يفرض ) على  
الأغنياء مقدار كفاية الجند ، لأننا نعلم أنه  
إذا تعارض شران أو ضرران قصد الشارع  
دفع أشد الضررين وأعظم الشرين ،  
وما يؤديه كل واحد منهم ( أى من الأغنياء )  
قليل بالإضافة إلى ما يخاطر به من نفسه  
وماله لو خلت خطة الإسلام ( أى بلاد  
الإسلام ) من ذى شوكة ( قوة ) يحفظ  
نظام الأمور ، ويقطع مادة الشرور <sup>(١)</sup> .  
ثم نسال سؤالا آخر فنقول : هل يصح  
إطلاق كلمة « الضريبة » على الحقوق الشرعية  
المحددة اللازمة في المال شرعا ؟ وبعبارة  
أخرى نقول : هل يمكن مثلا أن نسمى  
الزكاة ضريبة ؟

ولاشك أن إطلاق كلمة « الزكاة » على  
مسئلتها هو الأصل وهو الأفضل ، ولكن  
هل يجوز هذا الإطلاق الآخر في مجال  
النقاش والتوضيح والمقارنة بين ما تلقيناه  
من تراث فقهي وما استحدثه الناس من  
أوضاع ونظم اقتصادية ؟ ...

إذا نظرنا إلى معنى الضريبة العام - لا إلى  
معناها العرفي - فتذكرنا أن هذا المعنى العام  
يتضمن الإلزام بمعنى يؤدي إلى جهة مختصة ،  
استطعنا ولو بشئ من التجوز أو الحجاز أن  
نسمى الزكاة ضريبة إلهية دينية ، لأنها حق

وإنما لم ينقل مثل هذا عن الأولين  
لانتساع بيت المال في زمانهم ، بخلاف  
زماننا ، فإن القضية فيه أخرى ، ووجه  
المصلحة هنا ظاهر ، فإنه لو لم يفعل الإمام  
ذلك بطلت شوكة الإمام ، وصارت ديارنا  
عرضة لاستيلاء الكفار ، وإنما نظام ذلك  
كله شوكة الإمام ، فالذين يحذرون من الدواهي  
لو ينقطع عنهم الشوكة يستحقرون بالإضافة  
إليها أموالهم كلها ، فضلا عن اليسير منها ،  
فإذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر  
اللاحق بهم يأخذ البعض من أموالهم ،  
فلا يتأذى في ترجيح الثاني عن الأول ؛  
وهو مما يعلم من مقصود الشرع قبل النظر  
من الشواهد <sup>(٢)</sup> .

ويلاحظنا أن نلاحظ هنا أن المستند القوي  
الذي يستند إليه تشريع الضرائب هو المصلحة  
العامية التي يعطيها الإسلام أهمية كبرى ،  
حتى يقول الشاطبي في شأنها : « إنا وجدنا  
الشارع قاصدا لمصالح العباد ، والأحكام  
العادية تدور معه حيث دار ، فترى الشيء  
الواحد يمنع في حال لا تكون فيه مصلحة ،  
فإذا كان فيه مصلحة جاز » <sup>(٣)</sup> .

ولذلك يقول الفراءى عن الجنود : « إذا  
خلت الأيدي من الأموال ، ولم يكن من مال  
المصاح ( مال بيت المال ) ما يبنى بمخرجات

(١) الاعتماد ج ٢ ص ١٠٤ .

(٢) المواهب ج ٣ ص ٣٠٦ .

(٣) الفتاوى ج ١ ص ٣٠٣ .

للسال وهو النقد ، بل يراد بالمال هنا كل متقوم فيه معنى التنمية والكسب والربح . وإذا اتفقنا على أن الحقوق المالية المحددة شرعا الواجبة في الأموال يمكن إطلاق اسم « الضرائب » عليها ، أمكننا بعد ذلك أن نستعرض هذه الحقوق ، فنجد أنها هي : الزكاة : وهي نصيب معلوم يؤخذ من الأغنياء ليرد على الفقراء : « والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم » . وخمس الغنائم ، وهي كل مال وصل إلى المسلمين من أعدائهم المحاربين لهم ، ويكون وصوله بطريق القهر والغلبة . والجزية ، أي ضريبة الرؤوس ، وهي مقدار مالي يعطيه الرجل الفادر غير المسلم للدولة المسلمة في مقابل الحماية وتحقيق الأمن . والخراج ، وهو ضريبة موضوعة على رقبة الأرض المفتوحة . والعشور ، وهي مقدار مفروض على أموال التجارة المتنقلة التي تدخل بلاد الإسلام أو تخرج منها ، وهذه العشور أشبه الأشياء بالضرائب الجركية المعروفة الآن .

هذه خمسة أنواع من الحقوق الشرعية اللازمة المتعلقة بالمال ، وفي كل نوع منها أكثر من مظهر لحكمة التشريع ، وعدالة التوزيع ، وروعة الإصلاح ، ومن مجموعها يتكون نظام ضرائبي إسلامي محكم ، يتحقق به روح التضامن والتكافل بين أبناء الإسلام .

أحمد الترابي

شرعي لازم ثابت يطالب الإنسان بأدائه لحكمة ومصلحة أرادها الشارع . ومثل هذا أو قريب منه يمكن أن يقال في بقية الحقوق اللازمة شرعا في الأموال ، وستحدث عنها .

وحينما نتحدث عن الضرائب بصفة عامة تكون أمامنا نقط رئيسية في البحث ، هي أولا : أوعية الضريبة ، ويراد بالأوعية هنا المصادر التي تؤخذ منها الضريبة ، أو المنابع التي تنبع منها ، ثانيا : أغراض الضريبة ، وهي الأهداف التي نريد تحقيقها ، وهذه تشمل المصارف التي تصرف فيها الضريبة وثالثا : مبادئ الضريبة ويراد بها القواعد والأصول التي تستند إليها وتعتمد عليها في التسويغ والتشريع ، ورابعا : ضمانات الضريبة ، ويراد بها الحواظ التي تحيط بها لتجعلها مصلحة غير ضارة ، ولتحقق الغاية التي تنشأ منها . ومن الممكن لنا أن نتعرف إلى هذه النقط الأساسية المتعلقة بالضرائب في ضوء الإسلام .

أما واء الضريبة في الإسلام - وتقصده المحل الذي تتعلق به الضريبة فهو « الأموال » عابا ، ونلاحظ في هذا الوعاء صفة العموم والشمول ، لأنه يشمل الأرض والحصاد والتجارة والماشية والذهب والفضة ، ويشمل بالقياس العمارات والمصانع الإنتاجية ، فلا يقتصر واء الضريبة هنا على المعنى المألوف

# الإسلام في زنجبار

## للأستاذ عطية صقر

كما يوجد بعض الإيرانيين وأكثرهم من  
شيراز . وكذلك يعيش هناك بعض الهنود  
والأوربيين

وعاصمة الدولة هي مدينة زنجبار ، التي  
وضع أساسها البرتغاليون في القرن السادس  
عشر ببناء كنيسة ذات أهداف سياسية كما  
هي عادة المستعمرين الذين يستغلون رجال  
الدين في التمهيد لأربهم الاستعمارية . ويسكن  
هذه المدينة نحو ٣٠ ألفا ، وهي ميناء دائم  
الحركة بالتجارة مع الموانئ الإفريقية  
والآسيوية ، حيث تروج تجارة القرفة  
والبن والآناس والقطن والعاج وغيرها .

عرف العرب هذه الجزيرة كما عرفوا  
غيرها من مدن إفريقية وبلادها منذ ألف سنة  
وهاجر إليها كثيرون أيام التنازع على الخلافة  
في القرن العاشر الميلادي . ولم يعرفها  
الغريبيون إلا عندما مر عليها د فاسكودي  
جاما ، الرحالة البرتغالي المعروف عند عودته  
من الهند سنة ١٤٩٩ م . ووقعت تحت حكم  
البرتغال سنة ١٥٠٣ م . وبعد ٢٠٠ سنة  
دخلها جيش من العرب من قبل سلطان عمان  
ومستقط ، فطرد البرتغاليين ، وأصبحت

في المحيط الهندي وعلى بعد نحو ٢٠ ميلا  
من الساحل الإفريقي ، وبين خطي العرض  
٦ جنوبا والطول ٢٩ شرقا ، تقع جزيرة  
زنجبار التي تعتبر الثانية في المحيط الهندي  
بعد جزيرة مدغشقر .

وتبلغ مساحتها نحو ٦٤٠ ميلا مربعا ،  
وتقعها جزيرة د بمبا ، التي تبلغ مساحتها  
٢٨٠ ميلا مربعا ، كما يتبعها شريط على  
ساحل كينيا يمتد نحو ٥٢ ميلا طولا  
و ١٠ أميال عرضا ، بما في ذلك جزيرة  
د بمبا ، أو الجزيرة الخضراء .

يبلغ سكان زنجبار نحو مليون وربع على  
أقصى تقدير وجدناه في عدة مصادر ، وذلك  
مراعى فيه مجموعة الجزر والساحل الإفريقي .  
والسكان الأصليون خليط من القبائل  
أهمها : واهاديمو ، وأتومباتو . وإيمسا .  
وهي تنحدر من قبائل الباتو التي تعيش على  
سواحل إفريقيا الشرقية وبلادها الداخلية .  
وإلى جانب هؤلاء يوجد نحو ٤٠ ألف عربي  
وهم السواحليون الذين هاجروا إلى إفريقيا  
من جنوبي الجزيرة العربية ، وعاشوا على  
السواحل وأصبحت لهم لغتهم الخاصة ،



الإسلام هو الدين السائد في الدولة ويتبعه ٩٠٪ من السكان ، وهم طوائف ، فنيهم أهل السنة ، ومنهم الشيعة الإسماعيليون والإماميون والداوديون ، ومنهم الإباضية وهم فرقة من الخوارج جلبوا معهم هذا المذهب من موطن هجرتهم في عمان ومسقط . والسنيون من المسلمين يتبعون على مذهب الإمام الشافعي ، وهناك بعض من الأصفاف ، وفي كل من زنجبار وبمبا محكمة شرعية ، لكل منهما قاضيان ، أحدهما سني والآخر أباضي ، ومن المؤسف أن حكمهما ليس نهائيا إلا إذا رضيه طرفا الخصومة ، وإلا فإن لها أو لأحدهما أن يرفع قضيته إلى رئيس القضاء الانجليزي ، وله وحده حق النقض والإبرام . ويقول المراقبون للأمور هناك : يبدو أن الحكومة ترمي إلى التخلص من القضاء الشرعي في زنجبار كما تخلصت منه في بمباسا وكينيا ودار السلام وأوغنده ، أما الطوائف الأخرى فترجع في قضاياها إلى شيوخها .

والمساجد هناك كثيرة ، ولكل طائفة من الطوائف مساجدها الخاصة بها ، وجمعياتها التي ترعى شئونها ، ويلاحظ أن الجمعيات الشيعية تهتم بذكرى أئمتها خصوصا ذكرى الإمام الحسين على الصورة المعهودة في هذا الاحتفال ، والملاحظ أيضا أن الجمعيات

قسما من سلطنة عمان ومسقط ، ولما تولى الحكم سعيد بن سلطان سنة ١٨٠٤ م نقل البلاط من مسقط إلى زنجبار سنة ١٨٣٢ م ، وتم انفصالها عن سلطنة عمان . وبعد وفاة السلطان سعيد سنة ١٨٥٦ م انقسمت السلطة إلى قسمين ، وأصبح القسم الإفريقي محمية بريطانية سنة ١٨٩٠ م . وآخر خليفة حكم البلاد هو السيد / خليفة بن حاروب من سنة ١٩١١ م حين توفي في أكتوبر سنة ١٩٦٠ وخلفه على الحكم الأمير عبد الله الذي يزيد عمره الآن على الحسين . وبعد وضع البلاد تحت الوصاية البريطانية أجرى السلطان سنة ١٨٩٥ المنطقة الساحلية في إفريقيا إلى حكومة كينيا نظير إبحار اسمي قدره ١١ ألف جنيه سنويا

السلطان في زنجبار يلقب برئيس الدولة ، والمقيم البريطاني يلقب برئيس الحكومة ، التي تتكون من مجلسين ، تشريعي وتنفيذي ، ورئيس المجلس التشريعي هو المقيم البريطاني ، أما المجلس التنفيذي فيرأسه السلطان وينوب عنه المقيم البريطاني ، وأعضاء المجلس كلهم من الانجليز بحكم وظائفهم الرسمية ، أما المجلس التشريعي فكان عدد أعضائه ١٧ في سنة ١٩٥٧ منهم ٩ انجليز بحكم وظائفهم الرسمية ، والباقيون يعينهم السلطان بمشاوره المقيم .

والدراسة في المدارس الابتدائية مدتها ست سنوات وهي باللغة السواحلية ، أما التعليم في المدارس الثانوية فهو بالإنجليزية وليس هناك تعليم عال ، وأغلب الراغبين فيه يلحقون بكلية ما كيرى في أوغندا - مدني أو إحدى جامعات لندن .

وتعليم الدين لا يتبع طريقة منهجية يرجى منها الخير ، فهو لا يعدو سرد أحكام الإسلام وقراءة بعض سور القرآن في المصحف مرة كل أسبوع . وذلك كله في المراحل الابتدائية أما المرحلة الثانوية فلا يدرس الدين فيها مطلقاً ولا تلقى دروس في المساجد إلا في رمضان ويقوم بها دجالون مستجدون ، ومؤملات العالم عندهم لإجادة قراءة مولد النبي الذي ألفه « البرنجي » وخطبة الجمعة من ديوان ابن نباتة . ومولد البرنجي مقدس عند الجميع ويشيدون به كالقرآن .

والمعهد الديني هناك مدة الدراسة فيه خمس سنوات تؤهل لنيل الشهادة الثانوية ثم يسافر الطالب بعدها ليكمل دراسته في معاهد الجمهورية العربية ، والمعهد لا يتلقى إعانات خارجية من الدول الإسلامية أو العربية ، فكل نفقاته على الحكومة .

واللغة الشائعة في البلاد هي السواحلية ، وهي تكتب بحروف لاتينية وبحروف عربية ، وبعض العرب يتكلم العربية ولكن

العربية دائماً منقسمة ويؤكد بعضها لبعض ، ولا تضم بين أعضائها أحدًا من الإفريقيين ، ذلك في الوقت الذي نرى فيه تكاتف الجمعيات الأخرى ، وقد أثر تفرق العرب على المساجد فأغلق أكثرها لعدم وجود المصلين والمهتمين بعبارتها .

ومن الصحف العربية هناك جريدة « الفلق » ، التي يشرف عليها الحزب الوطني ، وله أيضاً نشرة تسمى « الطليعة » لخدمة أغراضه ، وهي تصدر بالإنجليزية والسواحلية مرتين في كل شهر وتوزع بالجمان وتحدث باسم سياسة الشعب التحررية .

وكان في البلاد سنة ١٩٥٦ نحو ٢٢ مدرسة ابتدائية حكومية يتعلم فيها نحو ٢٦١٤ تلميذاً ، وفي جزيرة « بمبا » ١٢ مدرسة بها نحو ١٥٥٠ تلميذاً ، وهناك أربع مدارس للبنات في زنجبار واثنان في بمبا ، بها ١٠٣٩ تلميذة ، في توجد ثلاث مدارس ثانوية منها اثنتان للبنين يدرس بها ٩١٠ من التلاميذ ، إحداهما في مستوى التعليم في الجمهورية العربية المتحدة ، وتوجد مدرسة للبنات بها ١٢٥ فتاة ، كما يوجد معهدان : أحدهما لإعداد المعلمين وبه ٥٤ طالباً والثاني لإعداد المعلمات وبه ١٤ طالبة ، كما توجد مدارس طائفة ابتدائية ، ومكاتب لحفظ القرآن الكريم ، وكل طائفة لها مدارسها التي تقوم هي بإدارتها والإنفاق عليها ، أما مدارس العرب والإفريقيين فنفقاتها على الحكومة .

وعلوم الدين واللغة ، ولكن المستعمر يحارب ذلك بكل قوته . وعندما زار الدكتور محمود حب الله هذه البلاد سنة ١٩٤٧ طالب زعماء الجمعية العربية الحكومة بإنشاء معهد للدين واللغة ليمسك البلد برجال القضاء والفتوى والتدريس ، فشرعت الخلافة في إصلاح بيت قديم ليكون مقراً للمعهد ، وأنشأ المعهد مدرسة لإعداديه تهيئه له الطلبة ، ولكن المعهد ودور التعميم عامة في أشد الحاجة إلى المدرسين الأكفاء والكتب الدراسية ، والمشاهد أن نصف طلاب المعهد يدينون بالمذهب الأباضي ، ولكن ليس هناك من يحسن دراسة الفقه لهم .

وفي زنجبار مؤسستان للتدبير تطمان الطبقة الراقية بالمصاريف وتعلبان الفقراء مجاناً ، وتشجعهما الحكومة على مواصلة رسالتهما . ومعظم الأهالي يشتغلون بالزراعة ، وأهم محصول عندهم هو القرنفل الذي يصدر منه ٧٠ ٪ من محصول العالم كله . والتجارة هناك تكاد تكون محتكرة للهنود والشيعة الإسماعيليين ، الذين هم أغنى الطوائف وأعظمها جاهاً ونشاطاً .

والطائفية تلعب دوراً هاماً في تفريق الصغوف ، وهي سياسة الاستعمار التي يعيش في ظلها ، والتي وضع غططها « ديزرائيل » القائل : إن بريطانيا لا تستطيع أن يكون

في فضايق ضيق ، وهم يحاولون تعلم اللغة العربية ، ولكن تنقصهم الكفايات من المعلمين العرب ، فمستوى العربية هابط جداً بالرغم من أنها تدرس بالمدارس ، إلا أن حظها من الحصص قليل ، فلها حصتان وثلاثة في السنتين الخامسة والسادسة الابتدائيتين ، وتدرس في المدارس الثانوية اختيارياً وطلابها نحو ١٠ فقط .

وإلى جانب نقص الكفاية العلمية تنقصهم الكتب والمراجع ، والانجليز يحاربون المدرسين الوافدين من البلاد العربية ومن مصر ، على الخصوص . ولهذا أنشأ الحزب الوطني مدارس خاصة به تركز اهتمامها على اللغة العربية . وقد جاهد الحزب حتى قررت الحكومة إنشاء مدرسة تسمى « المدرسة العربية » لهذا الغرض حتى تحمل اللغة العربية محل اللغة السواحيلية . ولضعف اللغة العربية يقرأ المسلمون هناك القرآن ولا يفهمون معناه ، والفساد يحرص على قراءة بعضه عقب القيام من النوم .

وقد حرص سلاطين عمان أثناء حكمهم لزنجبار على تعليم اللغة العربية والدين وجلبوا من أجل ذلك مدرسين من عمان وحضرموت وجزائر القمر وغيرها . وكان لذلك أثره إلى حد ما في حفظ اللغة وحفظ الدين ، ووجدت المؤلفات في المكتبة العربية في الفقه الأباضي

أوغندة للتعليم الزراعي ، وبعد عودته مهندسا ترك العمل وتفرغ السياسة ، وعين سنة ١٩٥١ ممثلا للعرب في المجلس التشريعي ، وألف الحزب الوطني سنة ١٩٥٦ ، والانجليز يخشون نفوذ هذه الشخصية ، وقد حاولوا دون حضوره المؤتمر الآسيوي الإفريقي في القاهرة . ومن الشخصيات البارزة في ميدان الأدب كاتب القصة الشيخ محمد بن علي بن نخيس ، والشاعر الشيخ برهان بن محمد كلا ، ومن الكتاب أيضا الشيخ عبد الله صالح ، والسيد أحمد ناصر السكلي الذي تعلم بمصر وبجانبها ستين ، ومن النساء المجاهدات : عالية محسن أخت الوصي علي محسن .

وفي سنة ١٩٥١ أرسل الأزهر مبعوثا إلى زنجبار قلم ب نشاط ملحوظ في ميدان التعليم الديني ونشر الدعوة الإسلامية الصحيحة ، وفي عهده نشط المعهد الديني الذي ما يزال أثرا بارزا يرفع صوت الأزهر والجمهورية العربية هناك ، ويوجد بمعهد البعث في الأزهر طلاب من زنجبار تبلغ عددهم ١٦ كما هو وارد في إحصاء ١٩٦٢/٦١ ، كما توجد بعثات من الفتيات جئن لحمل اللغة العربية والعلوم الحديثة في الجمهورية العربية ، حضر منهن ١٧ سنة ١٩٥٨ ، وقد طلب الحاج زكي بليبا عمرو القمري رئيس الجالية القمرية

لها أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون ، بل لها فقط مصالح دائمة .

والناس هناك يحرصون على الزواج من الأفارب ، ويندرفيهم من يزوح غير قريبته ، وتعدد الزوجات منتشرة بين العرب وبين الوطنيين بصفة خاصة ، كما توجد تقاليد عند الزواج لا يقرها الدين كالعادات المنتشرة في البيئات الإسلامية . وهم لا يعرفون شم النسيم ولكنهم يحتفلون بيوم « عيد النيروز » في بقعة خاصة جنوبي الجزيرة ، معظم سكانها من الشيعة الإيرانيين المستوطنين هناك ، وهم يظنون في صرح طول اليوم الذي يسمونه يوم الحرية ، حيث يستمر الرقص واللهو حتى مطلع الفجر ، ثم يستحم الجميع في البحر قبل طلوع الشمس ، والنساء هناك لا يزينن المفابر في المناسبات كالعيد ، ولا يلبسن السواد الحداد ، فلابسه عندهم رياض . والحجاب الشرعي ما زال متمسكا به بين المسلمين إلى حد كبير ، وإن كان التطور بدأ يأخذ مجراه في هذه الناحية وبخاصة في الأوساط المتعلمة . من الشخصيات البارزة في الكفاح السياسي والوطني السيد / علي بن محسن البرواني زعيم الحزب الوطني ، وقد ولد سنة ١٩١٦ وبعد إتمام دراسته الابتدائية والثانوية أراد والده أن يلحقه بالأزهر ، غير أن الحكومة أرسلته مع طالب آخر إلى كلية ( ماكريزي ) في

زنجبار ، من الأزهر مدرسين للشريعة واللغة العربية .

هذا والصفة الانجليزية واضحة في البلد إلى حد كبير ، فالحاكم العام انجليزي ، والسكرتير العام للحكومة انجليزي أيضا ، ونظام القضاء انجليزي ، والعملة هي الشلن الانجليزي المستند إلى لجنة شرق إفريقيا المالية الانجليزية ، وأحكام السلطان لا تكون نافذة إلا إذا وافق عليها المقيم الانجليزي ، وهذا النفوذ الانجليزي يبق معارضة تمثل في الحركات الثورية والتنظيمات السياسية التي تعمل لتخلص من هذا الحكم وإنهاء عقد إجماع الساحل الإفريقي ، ومن أقوى الأحزاب السياسية هناك الحزب الوطني وزعيمه السيد علي بن محسن البرواني ، وثلاث أعضائه إفريقيون ، ولكن المسيطر عليه عقول عربية ، وهذا الحزب هو حزب الأغلبية ، وإن كانت الصحافة البريطانية تصر على تسميته حزب الأقلية ، وهو أكثر الأحزاب قلما ولا يعتمد على اللون والجنس كبقية الأحزاب بل يدعو إلى تحرير الفرد والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ، ويتميز عن غيره بأنه يؤمن بمبدأ الجهاد ، وله الآن ١٢ فرعا ، ١٢٠ مدرسة تضم ٨ آلاف طالب ، ١٢٠ مركزا اجتماعيا ، وله ١٠ مقاعد في البرلمان ويؤيد هذا الحزب حزب سياسي آخر يسمى

حزب شعوب يما ، وله ٣ مقاعد في البرلمان وتوجد اتحادات العمال أقواها اتحاد عمال السفن والبحر ، وبريطانيا تضرب الحزب الوطني بهذه الاتحادات ، وفي اتحادات العمال ٩٩ ٪ من الإفريقيين ، وزعيمهم صيد كروم ، وهو موال للانجليز ويمجد بقاءهم وسيطرتهم على الساحل بحجة أن الأهالي لم ينضجوا بعد سياسيا أو دستوريا ، ويشاركه هذا الرأي الشريف شاطري رئيس الاتحاد العربي في ممباسا ، وهناك اتحاد إفريقيا الشيرازي وهو يحظى بمطغ الانجليز . والبلاد في أمس الحاجة إلى أساندة أكفاء في اللغة والدين ، وإلى مبعوثين على درجة كافية من اللياقة والنفوذ المنظم ، لينفذوا الأهالي من التيار الاستعماري الجارف ، ويصروهم بواجبهم من الوحدة والعمل الخالص للصلحة العامة ، ولوقاية المناطق المجاورة من السوم التي ينفضها المستعمرون هناك ، فقد اتخذوا من ممباسا والساحل وزنجبار نقطة تمركز لهم ، وهم يخشون الإشعاع العربي الذي ينبعث من النهضة النائرة في الجمهورية العربية المتحدة ، سواء في ذلك الإشعاع الوطني والثقافي والاجتماعي . وقد أفضحت الدلي تفراف هن مخاوف الانجليز من هذا الإشعاع حين كتبت معلقة على هزيمة الحزب الوطني في انتخاب سنة ( البقية على الصفحة التالية )

## من أعلام اليمن : طاووس بن كيسان للأستاذ يوسف القرضاوي

اسمه طاووس بن كيسان ، وكنيته أبو عبد الرحمن .  
ولد باليمن السعيد ونشأ به ، ونشر به علم الإسلام ، فلا غرو أن ينسب إليه ويعرف « بطاووس اليمن » ويسجل تاريخ الرجال أنه فقيه اليمن خير منازع .  
أدرك نحو خمسين من الصحابة ، وتلقى عنهم ما وسعه من العلم والهدى الذي بحث

الله به رسوله ، فروى عن أبي هريرة وعائشة وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله ، وابن عمر ، وأكثر الرواية والصحبة لابن عباس ، وكان من أجل تلامذته وخاصة أصحابه .  
وقال فيه : « إني لأظن طاووساً من أهل الجنة » وقال سفيان بن عيينة : قلت لعبد الله ابن أبي يزيد : مع من كنت تدخل على ابن عباس ؟ قال : مع عطاء والسامة وكان طاووس يدخل مع الخاصة .

( بقية المنشور على صفحة ٤٧٧ )

١٩٥٧ تقول : إن انهزامه انهزام لمصر ، لأن سياسته تقوم على تقوية العلاقة معها .  
وإذا كان السيد الرئيس جمال عبد الناصر قد قرر أنه لا يمكن لمصر أن تتخلى عن إفريقيا أو تنزل عنها بحكم الصلات الكثيرة فالواجب علينا أن نتعقب الاستعمار في كل بقعة ووطنها قدمه في هذه القارة وغيرها وأن نلبي رغبات هذه الدول التي تتطلع إلى يوم الخلاص من نير الاستعمار ، خصوصاً في الميدان الثقافي الذي توجه به الأفكار وترسم الخطوط الموصلة إلى الغاية .

وإذا كانت اللغة العربية والدين الإسلامي هما العاملان القويان في التوجيه الثقافي ، وفي دعم صلاتنا بهذه البلاد فالأزهر بما يضطلع به من مهام جسيمة في هذا الميدان هو أولى الهيئات برعاية هذه القضية خصوصاً في عهده الجديد الذي ألقي الزمام فيه إلى من يقدرُون هذا الأمر قدره ، ونحن منتظرون خطواته الإيجابية في هذا المقام ، وأملنا فيه كبير ، والله ولي التوفيق .

عظيم صفر  
مفتش الوعظ بالأزهر

ودق بعضهم بعضاً من الفزع ، فلما كان السحر ذهب عنهم الأسد فزل الناس يميناً وشمالاً يبتغون النوم والراحة ، وقام طاووس من بينهم يصلي ، فقال له ابنه : ألا تنام فإنك قد سهرت ونصبت الليلة ؟ فقال : ما كنت أظن أحداً ينام في السحر ، وكان رقيق القلب مرهف الوجدان دقيق الحس ، حتى روى عنه أنه إذا مر برواس ( بائع الروس ) فرأى الروس المشوية لم يتم تلك الليلة .

وكان كثير الحج إلى بيت الله الحرام ، في حصر ما كان الحج فيه من العين إلى مكة سفرأ قاصداً ، ولا نومة تستروح فيها النفس ، كان يسير شهراً ذاهباً ، وشهراً راجعاً ، لكن هذا الصناء كان يسيراً عليه حبباً إليه ما دام من ورائه شرف الغاية وحسن الثواب فهو يقول لابنه : إن الرجل إذا خرج في طاعة ، لا يزال في سبيل الله حتى يرجع إلى أهله .

والحق أن الحج لم يكن لطاووس ونظرائه عبادة ووحية لحسب ، بل كان — فوق ذلك — مجماً لعلاء الإسلام من كل الأقاليم ، في ساحته يلتقون ، ويقسمون ويتذكرون ويتعاونون ، فيأخذ بعضهم عن بعض ، ويراجع بعضهم بعضاً قبل أن تعرف الدنيا معنى التعاون العلى على هذا النطاق الفسيح .

وتلقى عنه العلم جم غفير من التابعين وأتباعهم ( منهم ابنه عبدالله ) وأما فيه ثبتاً أميناً فيما يروى ، ففيها مسنداً فيما يرى قال عمرو بن دينار : ما رأيت مثله ، وقال الزهري : لو رأيت طاووساً علمت أنه لا يكذب . وقال هو لأحد تلاميذه : إذا حدثتك حديثاً قد أثبت فلا تسأل عنه غيري ومثل هذا لا يقول إلا واثق من نفسه ، مطمئن إلى علمه وأمانته .

وذكر في تاريخ صنعاء أنه ولى قضاء صنعاء والجند ... إلى جانب ما يقوم به من رواية وإفتاء وتعليم وتذكير .

### علم وحرص :

ولكن شخصية هذا الإمام لم يبرزها العلم وحده — وإن له فضلاً — وإنما أبرزها الإيمان الصادق والعمل الصالح ، والخلق العظيم .

كان وثيق الصلة بالله ، قائماً آناء الليل ساجداً وتامناً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه يحمد في قيام ليله قرّة لعينه وزاداً لقلبه ، وأنساً بمولاه ، لا يشغله عنه عذاب السفر ولا نصب البدن .

كان في قافلة الحجاج مرة ، فمرض للناس أسد حبسهم في الطريق ليلة مروعين ،

## الدرء عن الإجماع :

وكلن الإسلام في رأسه وقلبه واهضاً مستقيماً ، بعيداً عن الضعف والصلية ، دافعاً إلى البناء والإيجابية ، متكاملاً بروح القوة وقوة الروح .

لم يكن كإسلام المتكلمين - فيما بعد - بما غلب عليه من جدل ونظريات ، ولا كإسلام المتصوفة بما فيه من سلبية وانعزالية ، ولا كإسلام أتباع المذاهب الفقهية بما طغى عليه من جفاف وتفريع وتفتيد .

فليس كل صحت خير ؛ ولا كل كلام شراً كما يدعى بعض الورعين المتزمتين ؛ بل كما قال طاووس لابن نجيح . ( من قال ، واتق الله خير من صحت واتق ) .

والدعاء خير ، ولكن لا يكن همك تسول الدعاء من غيرك ، وباب الله مفتوح لك على مصراعيه ، فلا عجب أن يرد الذين يعتقدون فيه الزنى إلى الله ، ويسألون الدعاء لهم . وقد عرف بين الناس أنه مستجاب الدعوة - قال له رجل : ادع الله فقال : ادع لنفسك فإنه يجيب المصطر إذا دعاه .

وقال آخر : لا أجد قلبى حسبة فأدعوك . والمؤمن يرضى بالقضاء ، ويصبر على البأس والضراء ، ولكن الفقر والبأس شيء ، وإهمال النظافة والزينة شيء آخر ،

وقد رأى رجلاً مسكيناً في عينه عشم ، وفي ثوبه مسخة فقال له : يا هذا إن كان الفقر من الله فأين أنت من المساء ؟

والزينة وحسن الهندام مندوب إليه ولكن الترف والتعومة والطراوة - وبخاصة في الشباب - مفسدة الرجولة ، وقتل لروح الجهاد . رأى قتيانا من قریش يرطلون في مشيتهم فقال : إنكم تلبسون لبسة ما كانت آباؤكم تلبسها ، وتمشون مشية ما يحسن الزفانون (١) أن يمشوها .

كان قوى الفكر مؤمناً بسنن الله في الأسباب والمسببات ، ينفر من الخرافات ويكفر بالأوهام ، وكان رجل يسير معه فسمع غراباً ينعب فقال : خيراً ! فقال طاووس أى خير في هذا أو شر ؟ لا تصحبنى ولا تمش معى .

ولم يكن كأولئك الذين سموا فيما بعد بالصوفية ، الذين دعوا إلى الرهبة وخوفوا مرديهم من الزواج ، بل كل يقول : لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج ، وقال إبراهيم ابن ميسرة أحد تلامذته : لتزوجن أو لأقولن لك ما قال عمر لابن الزوائد : ما يمنعك عن النكاح إلا عجز أو لجور .

عجز أو لجور ذلك هو المانع من الزواج وكلاهما مما يستعاض بالله منه ، فالإنسان بطبيعته ضعيف أمام الغريزة ، فإذا لم يغلها - (١) الزفن : هو الرفس .



هو وأبوه أن لله عبادا يهدون فيهم وفيما في أيديهم !

وقال الصدق بن راشد : كنا عند طاووس لجاءه مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ، فسأله عن شيء فأتهمه طاووس ، فقلت : هذا مسلم بن قتيبة بن مسلم صاحب خراسان ! فقال : ذاك أهون له علي !

وروى الزهري أن سليمان بن عبد الملك في حجه رأى رجلاً يطوف بالبيت له جمال وكال ، فقال : من هذا يا زهري ؟ قال : هذا طاووس ، وقد أدرك عدة من الصحابة ، فأرسل إليه سليمان فأتاه ، فدخل عليه في قوة المؤمن ، وإيمان القوى ، لم ينحلع قلبه فزعاً ، ولم يسئل لعابه طمعاً .

فقال له : لو ما حدثتنا ؟ وقال طاووس في نفسه : هذا مقام يسألني الله عنه ، فلم يكن حديثه إلى الخليفة حديث الخائف أو المادح ، لم المدح والإطراء بضاعة الشعراء ، لا بضاعة العلما ، ومهمة العالم أن يوجه وينذر لا أن يحرق البخور ؛ فإذا قال طاووس ؟ قال : حدثني أبو موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( إن أهون الخلق على الله عز وجل من ولي من أمور المسلمين شيئاً فلم يعدل فيهم ) والحديث ناطق ناصع لا يحتاج إلى تعليق .

بالخلال غلبته بالحرام ، وكان طاووس يفسر قوله تعالى : « وخلق الإنسان ضعيفاً » فيقول في أمور النساء ، ليس يكون في شيء أضعف منه في النساء .

### مدرسة أمهوفية :

وكان مجلس طاووس - إذا جلس للتدريس - مدرسة تربوية عملية ، يتلقى الناس فيها معارف الإسلام وأخلاق الإسلام معاً . فالتاس عنده سواسية : الأمراء إذا حضروا حلقتهم كالعوام أو أدنى ، لا يوجه إليهم فضل عناية ولا مزيد اهتمام ؛ كان يعلم الناس بسلوكه أن العلم أرفع قدراً من المال والجاه ، وأن العالم العامل أحر من الأمير والخليفة المطامع ، وأن العلما أمراء الأمراء .

قال سفيان بن عيينة : حلف لنا إبراهيم بن ميسرة - وهو مستقبل الكعبة - : ورب هذا البيت ، ما رأيت أحداً ، الشريف والوضيع عنده بمنزلة واحدة إلا طاووساً .

وجاء ابن سليمان بن عبد الملك - وهو خليفة - فجلس إلى جنب طاووس فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه قال : أدت أن يعلم

أن ليس في أيديهم من أمرها شيء ، حتى يأمل منهم الزيادة ، أو يخشى منهم النقصان .  
التحرر من الخوف والطمع ، والرغبة في وجه الله وحده هما مفتاح تلك الشخصية الفارعة ، وقد قيل : إن العالم إذا أراد بعلمه الناس والدنيا غاف من كل شيء ، وإذا أراد بعلمه وجه الله خوف الله منه كل شيء .

قدم طاووس بمكة ، وقدم إليها أمير المؤمنين فضيل لطاووس : إن من فضله ومن . . . ومن . . . فلو أتيته ؟ قال مالى إليه من حاجه ، فقالوا : إنا نخافه عليك ! قال : فإهو إذن كما تقولون ! وصدق طاووس .  
فأى فضل لحاكم يخشى الناس بطشه وأذاه أن يمتد إلى العلماء والهداة ! !

وكان يقول لعطاء بن أبي رباح فقيه مكة : يا عطاء ! إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه ، وجعل دونه حجابيه ، وعليك بطلب من بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة ، طلب منك أن تدعو ، ووعدك الإجابة ! .

### إلى المصاهرة :

عمر طاووس طويلا حتى ومن العظم منه ، واشتعل الرأس شيبا ، بيد أن قلبه لم يهن وعقله لم يشخ ، بل ظل متأق الفكر ، حاضر

تغيير وجه سليمان وأطرق طويلا ثم رفع رأسه إليه فقال : لوما حدثتنا ؟ .

قال : حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعام في مجلس من مجالس قريش ، ثم قال : إن لكم على قريش حقا ، ولهم على الناس حق ، ما إذا استرحوا رحموا ، وإذا حكموا عدلوا ، وإذا اتسموا أدوا ، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ؛ لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

وتغير وجه سليمان للمرة الثانية وأطرق طويلا ثم رفع رأسه إليه وقال : لوما حدثتنا ؟ .

فقال : حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله : ، واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، .

وكذلك يكبر العالم بعلمه وإيمانه ويرتفع حتى يصير كالجبل ، ويتضاءل أمامه الأمراء والخلفاء حتى يصيروا كالذباب .

ولنما جراه على هؤلاء أنه لم يكن يطمع في شيء عندهم ، ولا يخافهم على شيء عنده ، وفيهم يطمع ؟ وعلام يخاف ؟ الناس يطعمون في دنيا الأمراء وهو استدبرها وراء ظهره ، ويخافونهم على الرزق والأجل ، وهو يعلم

لهذا السراج الوهاج أن ينطق به ، فأدركه الموت على خير ما يدرك عليه المسلم : أدركه محرما ملييا طائفا قاتنا لله . . في البلد الحرام والشهر الحرام ، في السابع من ذى الحجة ، من سنة ست ومائة من الهجرة بمسجد بضع وتسعين سنة مباركة حافلة بالعلم والعمل والنسوة إلى سبيل الله .

وكان هشام بن عبد الملك قد حج تلك السنة - وهو خليفة - فصر على طاووس ، وسار في جنازته خلق كثير حرصوا على تشييعه إلى مثواه الأخير ، منهم عبد الله بن الحسن ابن علي ، الذي أخذ بقائمة سريره فاذا به حتى بلغ القبر ، وقد سقطت فلنسوة كانت عليه ومزق رداءه من خلفه ، من كثرة الزحام ، والناس يسترحمون ويقولون : رحم الله أبا عبد الرحمن ؛ حج أربعين حجة . أجل ، رحم الله أبا عبد الرحمن في الأولين ونفع بعلمه في الآخرين ؟

### برسف الفرساوي

الذهن ، قائما بشعائر العبادة لربه ، حتى آخر عمره .

روى ابن سعد عن ليث قال : وأيت طاووسا في مرضه الذي مات فيه يصلي قائما على فراشه ويسجد عليه .

وقال أبو عبد الله الشامي : أيت طاووسا فاستأذنت عليه ، فخرج إلى شيخ كبير ، فقلت أنت طاووس ؟ قال : لا ، أنا ابنه . قلت : إن كنت أنت ابنه فإن الشيخ قد خرف ! فقال : إن الصالم لا يخرف . فدخلت عليه . فقال طاووس : سل فأوجز ، فقلت : إن أوجزت أقتلت - فقال : تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والإنجيل والفرقان فقلت : نعم . قال خف الله عفاة لا يكون عندك شيء أخوف منه ، وأرجه وجاء أشد من خوفك إياه ، وأحب للناس ما تحب نفسك .

وما أصدقها وصية جامعة في معاملة الله والناس !

وفي إحدى حجاته إلى مكة المكرمة ، آن

يروى في الاستدلال على جود حاتم قوله له لامة يسار :

أوقد فإن الليل ليل فر والريح يا موقد ريح صر  
عسى يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فأنت حر

بمناسبة افتتاح كلية البنات الإسلامية :

## طاقة جديدة في مجالات العمل للإسلام

للأستاذ فنحي عثمان

( فإن قالوا : أوجب علينا التفقه في الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ قلنا : نعم ، هذا واجب علينا كوجوبه على الرجال . وفرض على كل امرأة التفقه في كل ما يخصها ، كما أن ذلك فرض على الرجال ، ففرض على ذات المال منهن معرفة أحكام الزكاة ، وفرض عليهن كلن معرفة أحكام الطهارة والصلاة والصوم وما يحرم من المآكل والمشارب والملابس وغير ذلك - كالرجال ولا فرق ...

ولو تفقحت امرأة في علوم الديانة للزمن الأخذ عنها ، وقد كان ذلك . لهؤلاء أزواج النبي وصواحبهم قد قل عنهن أحكام الدين وقامت الحاجة بتقلن ، ولا خلاف بين أصحابنا وجميع أهل نحلتنا في ذلك ) .

وهكذا أبرز ابن حزم مكانة المرأة ودورها في مجتمع الإسلام ... في صورة صريحة جلية قوية .

\*\*\*

وجاء تطوير الأزهر ... قامت الآفاق وانطلقت الطاقات .

• إن المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، أهد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً ...

• فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضهم من بعض ...

هذه مجالات العمل في الإسلام ، يوجه فيها تعاليمه إلى الرجال والنساء على حد سواء ... وقد كان من أسباب القوة في المجتمع المؤمن في عهد النبوة ، أنه سار رجاله ونسائه في سبيل تحقيق رسالته ، فكانت جهود خديجة وعائشة وأسماء تظاهر جهود أبي بكر و عمر وعلي ، وغير هؤلاء . وأولئك من صواحب الرسول وأصحابه على السواء ١ .

لقد جاء القرآن يسوق المثل للمؤمنين في امرأة فرعون ... ويفرد للنساء سورة وأحكاما .. ويخصص لهم الرسول مجالس .

إن المرأة في ديننا، وتاريخنا، ومجتمعنا ...  
قد أعطيت حقوقها من قرون !  
والمرأة إنما استبعدت من واقعنا  
أو اعتبارنا أخيراً - يوم تأرجحت أماننا  
الموازين ، ووفد علينا الدخيل من التقاليد  
والآراء !

على أن دهشة « التيمس » لها دلالتها على  
أية حال ... دلالتها على أهمية هذا الحدث  
الكبير ! ولقد زارني محني بريطاني هو  
مستر پول ويستر مندوب الدليل لتلجرف  
الندنية ، وسألني عن معالم التطوير الجديد  
للأزهر ... وتقع أبناء كلية البنات الإسلامية  
بجامعة الأزهر باهتمام ، أى اهتمام !

• • •

ولقد جاء إنشاء هذه الكلية موقفاً  
في كثير . .  
فهي تشمل شعباً أربعة للدراسة العلمية ؛  
الشعب : الإسلامي ، والعربية ، والاجتماعية ،  
بجانب شعبة المعاملات والإدارة .  
وسوف تشمل في المستقبل بالطبع شعباً للطب  
والهندسة والزراعة ، فهي جامعة إسلامية  
شاملة للفتيات .

ولم تكف كلية البنات الإسلامية  
برساتها العلمية البحتة ، ورأت أن تذهب  
مذهب بعض جامعات الغرب في الاضطلاع  
ببعض الأعباء في الثقافة والخدمة العامة .

• فالدراسة الجديدة قد امتدت طولا  
فتمت مختلف ألوان المعرفة : من طب  
وهندسة وزراعة ، بجانب المعاملات  
والإدارة ، وبجانب العقيدة والشريعة واللغة  
والحضارة والتاريخ .

• والدراسة الجديدة قد امتدت عمقا  
فتمت دراسة مقارنة في العقائد والشرائع  
والآداب والحضارات .

• ثم امتدت الدراسة الجديدة عرضا  
فتمت الطلاب والطالبات . على حد سواء !  
وهكذا صحح هذا التطوير وضع المرأة في  
فلسفة الإسلام وواقع مجتمعه ، إذ طلب العلم  
فريضة على كل مسلم ومسلمة ...

وأطلق هذا التطوير طاقة كانت معطلة في  
مجتمع الإسلام ، وكانت لا توجه إلى الانطلاق  
إلا بدعوى ونزعات غير إسلامية ...  
واستعاد هذا التطوير أجماع المجتمع  
الإسلامي الأول ، كما استكمل كيان الأزهر  
كجامعة .

• • •

وشده هذا التطوير محيفة « التيمس »  
الندنية ...

لقد قالت صراحة : إن إنشاء كلية للبنات  
في فضاء جامعة الأزهر ، شيء لا يمكن  
تصديقه ! تراه لماذا لا يصدق ؟؟

وقرة الانتقال ... هي الخيط الحاد الرفيع الذي علينا أن نجتازه سعياً إلى المستقبل السعيد المرموق !

والرجال أولو العزم ، هم الذين يكونون معبراً يحتمل أثقال التغيير ، حتى لا يتهم تحت وطأة القديم أو دفعه الجديد ... وعلى هذه ( القنطرة ) البشرية ، كم تغير مجرى التاريخ ، وكم تبدلت أوضاع المجتمعات ! وإن أحكم النظم وأكملها في حاجة إلى هذه ( القنطرة ) للمبور عليها . قنطرة فيها ثبات ومرونة في الوقت نفسه ...

فهل ترى يتاح للجيل الحاضر من الأزهرين أن يحقق معجزة التغيير ، بعد أن شهد قانون التطوير ؟ ؟

د ألم تر كيف ضرب الله مثلاً

كلية طيبة كحجرة طيبة

أصلها ثابت وفرعها في السماء

توقى أكلها كل حين بإذن ربها

ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم

يتذكرون . .

« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ،

في الحياة الدنيا وفي الآخرة

ويضل الله الظالمين

ويفعل الله ما يشاء . .

فتمى عثمان

فتضمنت شعبة عامة : للثقافة الأسرية والإسلامية ، تعد الفتاة لتكون زوجاً وأماً وربة بيت صالحة ، بصرف النظر عن التخصص العلمى الدقيق والإعداد الملقى .

وجاء قرار السيد / الدكتور وزير شؤون الأزهر بقبول الطالبات الحاصلات على الشهادة الثانوية النسوية ضمن هذه الشعبة تأكيداً لطابع هذه الشعبة العامة ، ودورها ورسالتها كما جاء خطوة جريئة في فتح المجال في كلية جامعية لأصحاب الدراسة الفنية ، ولو في مثل هذه الشعبة العامة .

ويعين على أن تؤدي مثل هذه الشعبة العامة دورها على أوسع مدى ، أن يفتح باب « الاستماع » المقرر بمقتضى اللائحة التنفيذية حين تصدر ، للطالبات الذين قد وقف أمامهم هوائى للاتحاق والاندماج ... بعد أن تتوفر إمكانيات « الأمكنة » ، و « هيئة التدريس » .

\* \* \*

على أن الإحداثيات التاريخية الكبرى ، تدعو دائماً إلى الحرص والتدقيق ...

وأنا أشفق على هذه التجربة الخطيرة ... التجربة التي ظالمنا أملت فيها منذ سنين ، والتي عشت بتحقيقها والسعى في طريق هذا التحقيق ...

أشفق عليها من رواجب نفسية وفكرية تراكت مع الأجيال ثير المتأصب خلال فترة الانتقال !

# الملكية في الإسلام

للأستاذ أحمد حمد

ملكية الدولة أو ملكية الأمة إذ الدولة نابعة عن الأمة في تصريف أمورها وإدارة شئونها ، والواقع أن هناك ملكيات لا يستطيع الفرد القيام بها ولا العناية بأمرها ، وهناك من الجمعيات ما لا تستطيع أداء مهمتها إلا إذا كانت تمتلك عدداً كبيراً أو صغير من الأموال والممتلكات . فكان لابد من وجود هذه الملكيات الجماعية بصورها المختلفة في كل مجتمع .

## الملكية الفردية :

أما الملكية الفردية فهي غريزة وقانون أزلي وليست مجرد نظام اقتصادي يفضل بعض المجتمعات ويرفضه البعض الآخر ، لأنها طبيعة تتغلغل في النفس وتمتدح بالميل والعواطف والمشاعر والأحاسيس ، وتعمل عملها لتحقيق وجودها في مجال صاحبها الواقعي الاقتصادي بما لها من قوة الإغراء والتوجيه فإن ما يحوز المرء في غزواته أو يمينه هو التعبير العملي عن هذه الغريزة والانعكاس الخارجي لهذه القطرة .

## أنواع الملكية :

الملكية نوعان : ملكية مواهب وملكية اكتساب . أما ملكية المواهب فلا دخل للدولة فيها بتأميم ولا تهديد ولا نزوع ولا إلغاء ؛ لأن المواهب التي يهبها الله لعباده مواهب لا يستطيع الإنسان أن يتدخل فيها بأي نوع من أنواع التدخل ، فوهبة العقل اللبيب أو الصوت الطرب وموهبة اللسان الفصيح أو الجسم الصحيح كيف يتسنى لأحد أن يتدخل فيها بنزع أو إلغاء إلا الذي وهبها ومنحها وهو الله جل شأنه . أما ملكية الاكتساب فهي مجال هذا التدخل ولأن الملكية عرفاً واستعمالاً لا تطلق إلا على ملكية الاكتساب فقد أصبح المتبادر ذهنياً عند إطلاعها هو هذا المعنى وحده ، وملكية الاكتساب هي كذلك نوعان ملكية فردية وملكية جماعية .

## الملكية الجماعية :

أما الملكية الجماعية فلها مظاهر متعددة ، منها ملكية العائلة وملكية النقابة وملكية الجمعية وملكية الشركة وأبرزها جميعاً

## مقدمة منه الأول :

وقد ابتدأت جميع حقوق الملكية في الأرض عندما استعمر الله فيها الناس ، وكان الأساس الفطري الذي يقوم عليه بناء الشؤون الاقتصادية أن من حاز شيئاً وأصلح شأنه وجعله قابلاً للارتفاع والاستعمال أصبح صاحبه ومالكه ، أي صار من حقه أن يخص استعماله لنفسه دون غيره ، ويطلب الأجر من أراد استعماله والارتفاع به .

والملكية الفردية وإن كانت في نظر الفرد غاية اقتصادية له فهي في حقيقتها قانون أذلى خطير يعمل عمله في تطوير الحياة وترقية العمران وزيادة الموارد ، ولعل أعظم ما في ذلك وأخطر على الإطلاق أن يكشف الإنسان عناصر وجوده المعنوي ويحققها معالم واضحة في أفق عمله وإنتاجه ، ويحقق وجوده المكري في مجال التنظيم والابتكار والتطوير والإكثار ويحقق وجوده الأدبي في إرادة الإنتاج واختيار طريقته وكيفية سيطرته على عمله وإنتاجه ويحقق وجوده الروحي في محيط المجتمع بما يحقق من مبادئ الإيمان والسلوك وتعارف على المثل العليا .

## الحكمة منه خلق هذه الفطرة :

وقد أراد الله سبحانه ذلك ليحقق به

مقاصد سامية وراء ما يريد الإنسان من حيازة وما يسعى إليه من ملكية ، لقد أراده ليربط بين قوى الحياة ومواهب الفطرة في كيان المرء وبين ثمار الطبيعة الظاهرة وكنوزها الباطنة فيقوم التفاعل التام بين الطرفين وتكون الحضارة الصالحة والعبارة المنشودة بما في الإنسان من مواهب العقل والروح وما في الكون من أسرار الحقائق وكنوز المال والثروة .

والأفراد حينما يشعرون بسلطانهم الحقيقي الحر على أملاكهم يشعرون معه بدافع قوى وحافز يسوقهم إلى تحصين معاشهم والرفق بها ومن هنا تتعدد الحرف وتتفرع الصناعات وتكثر الأعمال التي تعود على الأمة جميعها بالخير والثناء .

## إفاء الملكية منافعى للفطرة :

ومن هنا ندرك مدى ما يحدثه تحريم الملكية وإلغاؤها من فساد العمران وإفساد للفطرة البشرية وقضاء على طاقات الإنسان وكبت لها وانقلاب الإبداع الذاتي المنبعث عن فطرة وموهبة من الله تعالى إلى آليسة في التنفيذ وإجراء أعمال الاقتصاد والصناعات ومن ثم فإن الخير إنما في مسيرة الفطرة مع إزالة أسباب سوء استغلال الملكية وما تنفض إليه من كوارث ونكبات .



### الطرح - مرسوم بقررة الملكية الفردية :

وقد جاء الإسلام بقررة ذلك كله وحققه وأرسى قواعد الملكية الفردية على أسس مكيئة واسعة فقد قررهما في نطاقها الفطري العادل الذي يرضى طموح البشر ويحترم مشيئة الله في تحقيق المقاصد الحكيمة ، فقد روى أن عروة رضى الله عنه قال : (أشهد أن رسول الله عليه السلام قضى : أن الأرض أرض الله والعباد عباد الله ، ومن أحياء مواتها فهو أحق به ) وفي كتاب الأموال أحاديث في إحياء الموات يروى معظمها عروة هنا رضى الله عنه ، وقد قرر رسول الله في هذه الأحاديث صور حياة المرء ثمرة عمله وجعله نتيجة لجهده وكده ، وفي ذلك ما يتجاوب مع العدالة في الإنتاج والطمأنينة إلى مغبة السعى ، والرضا بما يؤتية العمل والكفاح ، وإذا تعمقنا فيها وراء هذه الأحاديث فستظهر لنا جليا حقيقة مقاصد الحق سبحانه في العبادة والتعمير ، فهو نداء إلى تمييز وإحياء الأرض الميتة لينمو العمران ويزداد الخصب وتوسع رقعة الأرض ، وهذه الأحاديث تحمل الدولة كذلك على تشجيع الأفراد على الملكية وإثارة ضريرتها فيهم فهي ليست دعوة إلى التمييز وحسب بل دعوة إلى ملكيات جديدة باستحداث عامر جديد ، يؤيد ذلك ما رواه

أسير بن مضر من إذ قال : ( أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فقال عليه السلام من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له . قال أسير فخرج الناس يتعادون ويتخاطون أى يسارع بعضهم بعضا ويضع كل منهم خطوطا على الأرض تميز نصيبه عن الآخرين ) .

وليس أبلغ من امتنان القرآن بالملكية واعتبارها من النعم ، فقد جاء القرآن يمتن على بني إسرائيل بما منحهم من نعمة الحياة وبما قرر لهم من حق الملكية ، فقال جل شأنه : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين » .

### تشريع محكم لحماية الملكية الفردية :

ولتأمين الملكية الفردية من العدوان وتحصى من السطو قرر الإسلام عقوبة صارمة حدا للجريمة السرقة « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » ونهى عن النصب والنهب والرشوة والجبابة الظالمة ونحوها من كل طريق باطل للاستيلاء على أموال الناس « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ،

وكان لعظم جريمة العدوان على الملكية ومبلغ حرمتها عند الله ورسوله أن قررهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع

وتحت قانون الخير يجب أن يكون التصرف في المال وحيازته وشميره أما إذا تعدى المال هذا النطاق واستخدم للإفساد وإشاعة السوء فهذا يجب أن يعمل قانون المصلحة العامة عمله لوقف تيار الفساد واستئصال نوازع السوء ، بل إن الإسلام لم يرض لصاحب المال أن يكون مجانياً للحكمة والسداد ، حين يتصرف في ماله فأمر المسئولين أن يسكفوا عنه يده وأن يتولوا هم التصرف فيه بحكمة وسداد لأن هذا المال هو حق الأمة وسبيل خيرها ورفاهية حياتها ورفادة عيشها : « ولا تقوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لم قولاً معروفاً » .

### قبره مختلف: على الملكية في الإسلام

ولم يبح الإسلام الملكية في جميع الأشياء بل حرم ملكية المعادن ظاهرة أو باطنة قال ابن قدامة في المغنى : ( وجعل ذلك أن المعادن التي يقاتها الناس ويتفنون بها من غير مثونة كاللحم والماء والكبريت والقار والمومياء — نوع من الدواء — والنفط والياقوت وأشباه ذلك لا يجوز احتجازها دون المسلمين ؛ لأن فيه ضرراً بهم وتضييقاً عليهم ) .

وقد جاء في كتب السنة أن الرسول عليه

بقوله : « إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص فلا يمس ملكية ساجدة فيقول : « من ظلم قيد شبر من أرض طوقه من سبع أرضين » ، ويقول كذلك : ( من أحيا أرضاً ميتة ليست لأحد فهي له ) . ويقول للظالم الذي يزرع في أرض غيره بدون إذن منه : ( من أحيا أرضاً ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق . والعرق الظالم هو عرق الشجر أو الزرع أو جذورها إذا غرسها صاحبها ظالماً في أرض غيره ) .

وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم - في مثل هذه الحالة - لصاحب الأرض بأرضه وأمر صاحب النخل بنزع نخله منها .

وقد بلغ من حرص الإسلام على الملكية وصيانتها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الرجل أن يأخذ متاع أخيه ولو على سبيل المداعبة فيقول : ( لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جاداً ولا لاعباً ، وإذا أخذ أحدكم حصاً أخيه فليردها إليه ) .

### هل الملكية الفردية مطلقة في الإسلام

إن المال في الإسلام محكوم بقانون الإصلاح والإفادة ، ولذلك سمي المال في القرآن بالخير ، ولأنه لحب الخير لشديد ، فالخير يجب أن يكون سمة المال وهدفه ،

( تقصد ضرر غيرك ) ثم قال لصاحب البستان ( اذهب فاخلع نخله ) . وشكا الضحاك بن خليفة الأنصاري إلى عمر بن الخطاب محمد بن مسلمة لأنه رفض أن يمر الماء من أرضه إلى أرض الضحاك ولا يمكن غير هذا — فاستدعى عمر محمد بن مسلمة وقال له : أهلك ضرر في ذلك؟ قال : لا ، فرجاه في أن يمر بأرضه الماء فأبى ، قال : ( إن فلين من ولوعلى بطنك ) وشرع كذلك حتى الشفعة على الملكية تحقيقاً لمبدأ عدم المضارة وإقراراً للقاعدة المصلحة .

### حكم الميراث في التأميم :

والتأميم ( وهو لفظ مستحدث ) يعتبر كذلك نظاماً من النظم التي ترد على الملكية الفردية ، فقد عرفنا أن قانون الملكية هو المصلحة العامة ، وإذا كان هناك مرفق من المرافق يستفيد به مجموع الأمة وتضرر الأمة لو ظل بيد فرد واحد أو أكثر ، وكذلك إذا تطورت خدمة من الخدمات من فظانها المحدود إلى فظان المرفق الذي تتعلق به مصالح المجموع كتطور سقاية الماء بالقرب إلى شركات كبيرة للياه ، وتطور استجار الدواب للتنقل إلى شركات كبيرة للنقل ومرفق ضخ السكك الحديدية وخطوط الطيران ، أقول إذا حدث ذلك فيجب حينئذ الأخذ

سلام الله أتزع ملاحه من أبيض بن حمال — وهو رجل من اليمن — كان الرسول قد أقطعها له حين جاء يسأله لإيادها ، وعندما أخبر أن الملح يستخرج منها دون عناء قال فلا ، إذن وأتزع الملاحه منه . وقد قال ابن قدامة تعليقاً على هذا الخبر : ولأن هذا الملح يتعلق به مصالح المسلمين العامة فلم يجر إقطاعه كشارع الماء وطرق المسلمين ، والملكية مقيدة بالطيبات والمباحات ، أما المحرمات كالخنزير والخنزير وما جاء عن طريق الرشوة أو الغش أو الربا أو التطفيف في الكيل والميزان أو الاحتكار أو استغلال النفوذ والسلطات وما إلى ذلك من الطرق غير المشروعة للكسب فهذه كلها تسقط عنها الملكية الفردية ولا يجوز تملكها بأي حال ، وكذلك قيدت الملكية في الإسلام بعدم الإضرار وإساءة الاستعمال إذا لم يقبل المالك نصيحة الناصح ولا رجاء الراعي ولا حكم الحاكم ، فقد روى أن سمرة بن جندب كان يملك نخلاً في بستان رجل من الأنصار وكان يكثر من دخول البستان هو وأهله حتى تأذى صاحبه من ذلك وشكاه إلى الرسول فاستدعى سمرة وقال له : بيع نخلك فأبى ، فقال : هبها له فأبى ، فقال : هبها لي ولك مثلها في الجنة ، فأبى فقال له : أنت مضار

ابن عفان ونعم ابن عوف فإنهما إن هلكتا ماشيتهما رجعا إلى نخل وزرع ، وإن هذا المسكين إن هلك ماشيته جاء يصرخ : يا أمير المؤمنين . أفا لكلا أهون على أم غرم الذهب والورق ؟ وإنما لأرضهم قاتلوا عليها الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام وإنهم ليرون أنا نفلهم ، ولولا النعم التي يحمل عليها في سبيل الله ما حيت على الناس شيئا أبدا . قال أسلم : فسمعت رجلا من بني ثعلبة يقول له : يا أمير المؤمنين ، حيت بلادنا ، قاتلنا عليها في الجاهلية وأسلمنا عليها في الإسلام (يرددها عليه مرارا وعمر واضع رأسه) . ثم إنه رفع رأسه إليه فقال : البلاد بسلام الله ، والنعم مال الله ، يحمل عليها في سبيل الله . وقد استولى كذلك على ما حول المسجد الحرام من دور عندما أراد توسعته وعوض أهلها عنها .

ومن هنا نص الفقهاء على جواز نزع الملكية الفردية إذا اقتضت ذلك حاجة الرافق العامة أو اقتضاء صالح الأمة ، ولا شك أن الدولة وهي تقوم بمشروعات عمرانية من شق الطرق وإقامة السدود وبناء المنشآت تضطر إلى الاستيلاء على بعض ممتلكات الأفراد فمن ذا الذي يحرم عليها هذا ويمنعها منه .

بمبدأ التأميم ، وقتل ملكية هذه المرافق من يد مستغلبها إلى ملكية الأمة لصوم النفع بها وعدم الاستغناء عنها ، وقد روى الإمام أحمد وأبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حى أرضا بالمدينة ليرمى خيل المسلمين - أى جعلها لصامة الناس - وجعل قنائمها من المسكيات الجماعية . والصحابي الذي حدث بهذا هو ابن عمر رضي الله عنه ، والأرض تسمى بالتقيع ، وحى عمر رضي الله عنه كذلك أرضا بالربذة ، وجعل كلاها لجميع المسلمين ، فجاء أهلها يشكون قائلين : (يا أمير المؤمنين إنها أرضنا قاتلنا عليها في الجاهلية ، وأسلمنا عليها ، علام تحمينا ؟ فأجاب عمر الحال مال الله ، والعباد عباد الله ، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حيت من الأرض شبرا في شبر ) . وتنتقل هنا القصة كاملة من كتاب الأموال لأبي عبيدة (حدثنا عبد الله بن صالح عن أبيك عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : سمعت عمر وهو يقول لحق - حين استعمله على حى الربذة - يا هنى : اختم جناحك عن الناس ، واتق دعوة المظلوم فإنها حجارة وأدخل رب الصريمة والغنيمة (١) ، ودعنى من نعم

(١) الصريمة : تصدير الصرمة وهي القطيع من الإبل ، يريد صاحب الإبل القلبة والتم القليلة .

### تحريم الملكية لأهل البيت :

وكما يرد التأميم على الملكية الصلحة العامة كذلك يرد عليها التحديد بل هو أولى ؛ لأن التأميم قتل ملكية الفرد كلها إلى ملكية الأمة ؛ أما التحديد فهو قتل جزء منها فقط إلى مالك آخر دون الباقي أو وقف الملكية عند حد معين لا تتعداه ، وإذا كان التضخم في الملكيات يدفع إلى الشرور ويوقع في حمة الرذيلة والفساد ويخلق سوقا رائجة للبهذخ والترف أو سوقا أخرى تبيع بالمعوز والشظف فلا بد من عملية سريعة تخفف من هذا الورم أن تستأصله وتحد من هذا التضخم إن لم تزله .

إن مبدأ سد الذرائع الذي اتفق عليه جميع الفقهاء يؤيد جواز التحديد ، وقد حد عمر وضى الله عنه من حرية كبار الصحابة في الانتقال من المدينة إلى غيرها من الأمصار ، مع أن الانتقال حق طبيعي للإنسان ؛ وذلك لأن انتقالهم من المدينة إلى غيرها من البلاد سيجمعه وحده دون معارفيه من أهل الرأي والمشورة في سياسة شئون الدولة وتولى أمر المسلمين ، وهذا أمر خطير ومسئولية عظيمة تتطلب حزم عمر وتقديره لمصالح الأمة وقته لمبادئ الدين ، فإذا كان عمر قد حدد من حرية الانتقال وهو حق طبيعي ؛ سدا للذرائع فالحده من حرية التملك جائز كذلك سدا للذرائع ،

بل إن السنوات الطوال العجاف التي نالت فيها جماهير الفلاحين ظلم الإقطاع وذاتت ألوان العبودية والسخرة ، وصبت عليهم سيئات العذاب والموان تحمل هذا التحديد واجبا من أهم واجبات الدولة لا سيما أن الاستعمار كان يقطع عملاءه وأعوانه أجزءا كبيرة من الأرض مقابل الخيانة للوطن والسير في دكاب المستعمرين .

### القرآن ضد التضخم في الملكية :

لقد ذكر القرآن أن التضخم في المال مقرون في مبدئه بالبنى المظنى وفي متناه بالحسف المهلك ، وقص علينا قصة قارون مثلا من الأمثلة ترونها الأجيال لعلظة والاعتبار « إن قارون كان من قوم موسى فبنى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيها آتاك الله الدار الآخرة ولا نفس نسيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين . قال إنما أوتيته على علم عندي ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه في زينته ( البقية على صفحة ٣٩٤ )

## مُعْتَرِكُ الْمَذَاهِبِ الْفَلَسَفِيَّةِ لِلْأَسْتَاذِ عَسَّاسٍ طَه

الضمير الأدبي شعور باطنى فى الإنسان يشهد على ما يفعله هو أو يفعله غيره إن كان خيراً أو شراً ، وهو الذى عبر عنه فى القرآن الكريم بالقلب ، والضمير والقلب لغة بمعنى واحد . قال الله تعالى : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد » وقال : « فإنها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور » أى تقصد بقلبة

الأهواء عليها فيستوى عندها الحسن والقيح ، والخير الشر و . وبناء على هذا فوظيفة الضمير هى ما يحسه كل إنسان فى نفسه عندما يشرع فى قول أو عمل من الحكم على ما هو شائع فيه ، إن كان خيراً موافقاً للقانون الأدبى ، والعرف الإنسانى ، أم مخالفاً لهما . والمشاهد أن هذا الحكم لا يتجاوز حد الشهادة ، فليس فيه صفة

( بقية المنشور على صفحة ٤٩٣ )

نعم والمستقبل :

إن مستقبلنا مرتبط بما نخططه من خطط وما نقرره من نظم . ومادامنا نخطط حياتنا على ضوء ما رسمه القرآن من مبادئ ونقروا نظمنا على أساس ما قرره من نظم ، فنحن سنصل بعون الله إلى غايتنا ، وسنحقق أهدافنا وسيكون مستقبلنا مشرق القسبات رخى القسبات « من حل صالها من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

أحمد محمد

قال الذين يريدون الحياة الدنيا : يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لئو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون . فحسبنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كل من المتصمين » .

بل إن القرآن قد قرر ذلك مبدأ ثابتاً فى طبيعة البشر فى أكثر من آية حيث يقول : « ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء » . « كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى » . « وكلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

تدفننا لإيثار الحلو النافع على المر الضار ،  
كذلك تلازم الضمير الإنسانى عوامل تسوقنا  
لتفضيل الأفعال الطيبة على الأفعال السيئة .

بناء على هذا المذهب يكون حكم الإنسان  
على ما هو خير وما هو شر ليس منزلاً  
عن تعقل سابق ، أو عن تجربة متقدمة ،  
بل من شعور اضطرارى طبيعى ، موجود  
فى النوع البشرى من أول وجوده .

يعزى هذا رأى إلى الفيلسوف الانجليزى  
شيفتسبورى المتوفى سنة ١٧١٣ .

٢ - مؤدى مذهب العقلين أن الضمير  
الإنسانى نفحة من نفحات العقل فإن الإنسان  
مق عقل أن فعلا من الأفعال سيئ الأثر  
على فاعله وعلى مجتمعه ، سقطت منزلته  
فى نفسه وكرهه ، وأن فعلا آخر حسن الأثر  
فى نفسه وفى جماعته التى ينتمى إليها ، ارتفعت  
قيمتها فى نظره وأحبه ، فيتألف من مجموع  
هذه المدركات شعور قوى فى نفسه يعبر عنه  
بالضمير الأدبى .

وبناء على هذا فيكون الضمير الأدبى  
فى الإنسان مجموع أحكام عقلية مستفادة  
من الشئون الحيوية .

٣ - أما مذهب الذين يقولون بأن الضمير  
الإنسانى ثمرة التجربة والتمرس بأمور الحياة ،  
فإن له ثلاثة أشكال :

الإكرام . فقد يشهد عليه ضميره بأن ما يتولى  
حملة شرفياته ، وأن يقيضه خيراً فيمتنع عنه ،  
مصرأ على الإساءة . فالضمير الأدبى والحالة  
هذه فى حاجة إلى قوة تنفيذ تكبج الإنسان  
عن حصيان ضميره ، وهى لا توجد  
إلا فى النفوس العالية التى يقوم فيها مجرد  
الشعور بخسة الإساءة مقام الوازع المادى ،  
فلا يصدر عنها إلا ما يشهد بحسنه ضميرها  
الأدبى .

ماهو الضمير الأدبى وكيف نشأ فى الإنسان ؟

انقسم علماء النفس فى كنهه ، وفى كيفية  
نشوئه فى الإنسان إلى ثلاثة مذاهب :

أولها : أنه شعور غريزى فى النفس البشرية ،  
أى موهوب وليس مكتسب .

ثانها : أنه وجه من وجوه العقل .

ثالثها : أنه ثمرة التجربة والتمرس بشئون  
الحياة .

١ - مؤدى المذهب الأول أن الحكم  
الأدبى الذى يشعر به كل إنسان فى ضمير نفسه ،  
أمرأ إياه بالمعروف ، وناهياً له عن المنكر ،  
ومشيراً عليه بما يجب أن يفعله ، هو صوت  
حاسة غريزية فى النفس ، نشأت ملازمة لها  
بالمطرة ، مثلها كمثل ما منحناه من خاصية  
التفرقة بين العلوم المختلفة ، والتمييز بين الخير  
والشر . وكما تلازم حواسنا الجثمانية دوافع

بالفضائل ، ولا تألوا جهداً في معاقبة المجرمين  
ومكافأة المحسنين .

ولا تنس ما تصادفه الرذيلة من ذم الناس  
وتسليمهم ، والقبح في أهلها وتحقيرهم ،  
وما تجده الفضيلة من ثناء الناس وتقديرهم  
وتبجيلهم . كل هذه المؤثرات ولدت في قلوب  
الناس إكباراً للفضيلة ، واحتقاراً للرذيلة ،  
أصبح بالقرص به طبيعة ثانية في النفوس  
البشرية يتوهمها الخياليون منزلة من العالم  
العلوي ، وما هي إلا ثمرة ما ذكرناه هنا  
من العوامل .

أما مؤدى الشكل الثالث : فهو أن الضمير  
الإنساني ثمرة من ثمرات قاموس التطور  
والوراثة ، فبعد هؤلاء العلماء وعلى رأسهم  
دارون وبرنخر وهلسكي أن العالم وما فيه  
من النواميس قائم على نظام آلي محض ،  
وكل ما فيه خاضع لهذا النظام لا يشذ عنه ،  
لجميع الكائنات البسيطة والمركبة ، حتى  
الحياة والفترة العاقلة ، من صنمها ، وقد  
صدرت لا عن تدبير وقصد سابقين عليها ،  
ولكن عن الاتفاق المحض ، وإنما جاءت  
حكمة ومتناسبة ؛ لأنها نشأت عن قوى  
متظمة لا يقرب إليها أقل اختلال ،  
وما كان كذلك فلا يعقل أن يصدر منه إلا  
كائنات متظمة .

أولها : أن الضمير الأدبي ثمرة التربية  
والعرف .

ثانيها : أنه نتيجة تضارب الأفكار  
والتعود .

ثالثها : أنه أثر من آثار تاموس التطور  
والدراسة .

مؤدى الشكل الأول : أن الضمير الإنساني  
يميز بين الخير من الشر على مقتضى ما لقنه  
من أبويه ، ومن المجتمع الذي يعيش فيه .  
ودليل القائلين بهذا الرأي من أمثال  
الفيلسوف الإنجليزي هوبز وهلفتيوس ،  
أن الحيور والشرور كثيراً ما تختلف عند  
الأمم . فلو كانت صادرة عن غريزة طبيعية ،  
أو عن حكم عقلي ثابت ، لما اختلفت  
إلى هذا الحد .

ومؤدى الشكل الثاني : أن الضمير نتيجة  
تضارب الأفكار والتعود ، والعامل الرئيس  
فيه هي قيمة النفع العائد على الإنسان من أعماله ،  
وتأثيرها في تحسين أحواله .

وقد فسّر القائلون بهذه النظرية ، وعلى رأسهم  
الفيلسوف الإنجليزي ( ستيوارت ميل ) ،  
كيف ينشأ الضمير الأدبي في الأفراد ، فقالوا :  
لا يخلو أى مجتمع من قوة وازعة تسهر  
على الأمن العام ، وعلى الفصل بين المتنازعين ،  
وعلى الهيمنة على حفظ كيان الجماعة ، فهي  
لا تقى في النهى عن الرذائل ، وعن الأمر



يجب علينا أن ندحض شبهات أصحاب نظرية التطور والآلية الوجودية ، فإن هذا المذهب وإن خدع بسهولة بعض العقول ، فإنه قد تبين لأهل العلم فسادُه بأدلة لا تقبل النقص ، ولزم أشياعه السكوت .

يسهل على الباحث العرضي أن يشبه العالم وما فيه من القوى بأداة مولدة للكائنات على سبيل الاتفاق ، وتحليلها بكل ما هي في حاجة إليه تحت تأثير الضرورة القاهرة ، ولكنه يصعب بل يستحيل عليه أن يعقل ذلك أو يفهم عليه شبه دليل ، لاقتناء جميع عناصره على اقتراحات .

قد كفانا الماء مثة دحض هذا لأن الاتجاه العلمي تحول إلى مذهب السلامة الهولندي دوفريس ، الذي أثبت علميا في العهد الحديث ظهور الأنواع الحية الجديدة ، حاصلة على جميع مقوماتها وراثتها ، طفرة ، فسقط بذلك قولهم بضرورة التطور في الآماد الطويلة ، وبنشوء الغرائز بالعود وتوريثها للأخلاف ، وبزوال هذين الأصلين ماذا بقي من نظرية التطور التدريجي ، ومن معنى الانتخاب الطبيعي ، ومن رأيهم في نشوء الغرائز ، وفي وراثة الصفات المكتسبة .  
الهم لم يبق شيء أصلا .

وبثبوت حدوث الغرائز المحيرة للعقل

والضمير الأدبي لا يشذ عن هذه القاعدة ، فليس هو بشيء قائم بنفسه ، ولا بمنزلة من عالم أرفع من هذا العالم ، ولكنه من متولداته كل روح والعقل وما نشأ فيهما من العلم والحكمة والعبقرية .

والضمير الأدبي في نظرهم بدأ تولده في الحيوان ، فإن الحاجة الحيوية حتمت عليه القيام على نظام خاص في معيشته ، وأورث هذا النظام أخلاقه ، وكلما ترقوا فيه وصار فهم صفات راحته ، أورثوه ذرايعهم حتى نشأ الإنسان فكان حاصله على ما ورثه من آبائه الحيوانيين .

وبما أنه أوثق حظاً من انتظام الجمجمة ، وتناسب الأعضاء ، وتابع طريقه في الارتقاء تحت عوامل التواميس ، فوصل إلى معقولات أولية ، وأصول أدبيية اضطرابية لا اختيارية ، وأورثها أخلاقه ، وما زال يترقى ويورثهم صفاته المكتسبة ، حتى تكون لهم ضمير أدبي ظنه الفلاسفة هبة سماوية ، وهو في الواقع من إملاء الحاجات عليه في آماد لا تحصى ، فنظروا إليه في حالته الراقية ، ولم ينظروا إليه أيام كان لا يفرق عن صمائر القردة وما دونهم من العجاوات .

تحليل هذه المذاهب والنظر في أدلتها :

قبل أن نكتب كلمة واحدة فيما نحن بصدد

جرماً ، وما تعدده الأول حسناً تعدده الثانية قبيحاً . فهو يتطور في كل منها على حسب تغير الزمان والمكان والاختيار .

ثالثاً : أن الضمير الأدبي متناقض عند الأمم المتمدينة .

ونحن نناقش كل شبهة من هذه الشبهات بنية الوصول إلى حقيقة ثابتة يشج الصدر عليها فنقول :

١ - إن عدم وجود الضمير الأدبي عند الجماعات المنحلة التي لا تمتاز كثيراً عن الحيوان الانجم ، لا يدل على أنه ليس موجوداً فيها بالقوة ، كما لا يدل عدم وجود الفلسفة لديها على أنها ليست موجودة لديها بالقوة وإذا كن لا يجرؤ على القول الأخير إنسان يمتد بعقله ، فكان يجب ألا يجرؤ أحد على القول الأول ، وإلا فهل كان يريد أن يكون الرجل الذي لا يفرق عن العجوانات إلا في التلفظ يضع عشرات من السككات الساذجة ، ومضطر لأن ينقل عنها ما تصنعه من بيوتها التي تأوى إليها ، ووسائلها التي تستخدمها للحصول على فرائسها إلخ ، وهو مع ذلك مهدى في كل آونة من وجوده بغارات الوحوش ، وعاديات الطبيعة ، وهل كان يريد المعارض أن يكون لمثل هذا الرجل ضمير أدبي كالذي عند من آمن على نفسه وذويه ، وبلغ

للحيوانات الحقيرة ، هبة من غير كسب ، يسهل تصور أن يمنح الإنسان ضميراً أدبياً هبة من مبدعه من غير كسب ؛ لأنه من ضروراته في درجة حواسه الخمس .

لا جرم أنه يصعب جداً على الإنسان أن يستقد بأن الصانع جل شأنه يلهم الحشرات الدنيا بوسائل يستحيل عليها تحصيلها لحفظ ذواتها وأنواعها ، ولا يودع في قلب الإنسان غريزة أدبية يميز بها الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، فالفلاسفة الذين قالوا بهذا الرأي هم في نظرنا على حق ، ولكن هل لدينا من دليل على ذلك تكافح به في سبيل تثبيت هذه العقيدة في النفس ؟

نعم ، وهو دليل محس لا يترك ريباً في النفس ، ولا طريق إليه إلا بعد إيراد المناقشات التي شورعادة حول هذا الموضوع . مناقشات فلسفية حول الضمير الأدبي للإنسان : تنحصر شبهات الماديين على فطرة الضمير الأدبي للإنسان في ثلاثة أمور :

أولها : أن ليس للجماعات المنحلة ضمير أدبي على الإطلاق .

ثانيها : أن الضمير الأدبي في الجماعات التي اجتازت أدوار الاجتماع الأولى يوجد مناسباً لحالتها الأدبية ، وهو يخالف في كل منها ما عليه في غيرها . فاستعده جماعة واجباته الأخرى

مدنى بطبعه ، أرادوا بذلك أن توجد الجماعات الساذجة على أرقى الأصول الاجتماعية ، من الدرجة التي تشاهد لدى أرق الأمم الأوربية وهل قدح في هذا الأصل العلمى وجود جماعات أولية في مثل ما عليه الحيوانات العجم من الفرة والقشقت بحيث ظنهم كثير من العلماء من أنواع القرود المرتقية .

٣ - كما أن ما يشاهد من الخلافات في الضمير الأدبى لدى الأمم المتقدمة ، لا يقدر في وجوده فطرياً في النفس البشرية ، كما لا يقدر اختلافها في أصول الاجتماع ، وأصول الحكم ولا تؤثر خلافاتها في الضمير الأدبى في أن الإنسان مجبول عليه من أصل الخلق . هذا ولقد قام في العالم الإنسانى في العهد الأخير غلاة من الاشتراكيين ، إرتأوا أن أصحاب العاهات أسباب وهن في المجتمعات ، فيجب إبدانهم وإبادة من يحد منهم حتى لا يكونوا عبئاً ثقيلاً عليها . وهذا رأى من الوجهة العلمية البحت صحيح ، ولكنه من الوجهة الإنسانية التي يتحكم فيها الضمير الأدبى لا يمكن إيساعته ، ولذلك عدت الإنسانية هذا القول هراء محضاً ، وأذرت بقائمه واعتبرتهم غير جديرين بالاحترام ، فصمتوا في وسط سخط العالم وسخريته .

هياس طر

غاية بعيدة من العلم والوسائل الحيوية ، وماذا يفيد ذلك الضمير لو كان له وهو في تلك الحالة المزججة والحياة المضطربة ؟ .

ولكن قد يكون لهذه الشبهة وزن إن ثبت عن هذا الرجل أنه لبث على حاله الأول مجرداً عن الضمير الأدبى بعد أن أمن شر العواذى عليه وعلى أهله ومجتمعه ، وبعد أن وصل إلى حالة من الرعاء والنظام الاجتماعى تسمح له بالارتفاع بما أودع في جبلته من المواهب الأدبية ، والصفات العلوية ، وهذا لم يحدث قط .

٢ - أما ما يشاهد من الخلافات بين الأمم في الضمير الأدبى لكل منها ، على حسب تباينها في البيئات، ومخالفها في شئون الحياة ، فهذا أمر طبيعى لا يمكن أن يحدث سواء ، فن الذى قال إن الإنسان خلق حاصلاً على جميع ما هو في حاجة إليه من علم وأدب وصناعة وفن؟ أما رأيت أن كل هذه الشئون الضرورية لوجوده قد نشأت فيه نشوءاً تدريجياً واختلفت في كل منها عما هي عليه في غيرها على حسب اختلافات بيئاتها ، وتباينات أحوالها؟ فهل يسوغ لمن يرى الشعوب على هذه الحالة من الخلافات العلمية والأدبية والصناعية والفنية أن يقول إنها مجردة من الأصول الجبلية التي تولدها .

وهل عندما قال الاجتماعيون إن الإنسان

## تأثير الإسلام في العبادة اليهودية للأستاذ عباس محمود العقاد

وإن كل قول لا يستند إلى البحث ولا يستند  
البحث فيه إلى الدليل فهو حديث من أحاديث  
الإشاعات ، إن لم تقل أحاديث الخرافات .  
والبحث الذي كان من الواجب أن يستقصيه  
« الباحث » المقارن بين اليهودية والإسلام  
إنما يقوم على دراسة الموضوع والأمة  
لا على دراسة الزعم التاريخي وحده والوقوف  
لديه بعيداً من موضوعه ومن أهله .

ولا يتم هذا البحث إلا إذا تناول أصالة  
اليهود فيما نقلوه من العقائد والأخبار ،  
ثم تناول السبق عامة ولم يتناول في ناحية  
واحدة من نواحيه ، وتناول جوهر الدين  
ولم يقتنع منه بأسماء العناوين .

واليهود ليسوا بالأصلاء فيما تدنوا به  
من العقائد ونقلوه من الأخبار ؛ لأنهم  
لم يعرفوا أكثر هذه العقائد والأخبار قبل  
عهد عبوديتهم في بابل ، وكل ما كان مفتوح  
الباب لليهود فيما بين النهرين فقد كان مفتوح  
الباب أيضاً لعرب الجزيرتين : جزيرة الدجلة  
والفرات وما يليها من أرجاء الجزيرة العربية .  
والسبق إلى النبوة عامة لم يثبت لليهود ،  
بل ثبت من كتب اليهود أنفسهم أن أنبياءهم

هذا اسم كتاب ألفه تفنالي فيدر  
Naphtali Wieder باللغة العبرية ونشرته  
مكتبة الشرق والغرب بأكسفورد وجمعت  
عنوانه بالإنجليزية :

Islamic Influences on the Jewish  
Worship.

وعنوان الكتاب يغري بهذا السؤال :  
كيف يكون هذا التأثير اليهودية سابقة  
للإسلام ؟

وقد يتعرض القارئ المسلم أيضاً لهذا  
الإغراء ؛ لأن تقدم اليهودية في تاريخ  
الدعوة يميل إلى الكثيرين أن السابقي  
في التاريخ أولى بالتأثير فيما يليه ، أو بسبقه  
إلى الشرائع التي يتشابهان فيها .

وهذا الخاطر « العرضي » هو مصدر تلك  
« الإشاعة » التي راجت في الغرب وكادت  
أن تثبت عندهم ثبوت المقررات العلمية ،  
فقال بعضهم : إن الإسلام نسخة مصحفة من  
اليهودية ، وزاد آخرون فقالوا : بل نسخة  
مشوهة من اليهودية والمسيحية ؛ ولم يبرأ  
من هذه العجلة رجل في طبقة الدكتور  
« شويتزر » في الثقافة والخلق ، كان من  
واجبه أن يعصم عقله أمام الإشاعة الرائجة ،

فوق تلك السماء العليا التي ارتفع إليها الإسلام. فإذا كاف الباحث عقله أن ينظر إلى السبق التاريخي نظرة الإنصاف فليس لليهودية سبق على الإسلام ، وقد يكون السبق على خلاف ذلك للمسلمين على اليهود ، كلما نظرنا إلى أهل الدين في الزمن القديم أو في الزمن الحديث . ولقد بدأ البحث على هذا الأساس ثبت الثبوت الذي لا شك فيه أن اليهود تعلموا من المسلمين في لغتهم وأدينتهم وحكمتهم ، وأن المسلمين لم يأخذوا من اليهود شيئاً غير تلك « الإسرائيلية » التي تناقلها الجهاد وأفلق المصلحون — أو كادوا — أن يفلحوا أخيراً في تطهير العقول منها والرجوع بها إلى الجادة الإسلامية في نظائرها من شعائر الدعوة المحمدية .

فلم تكن اللغة العبرية قواعد نحو أو بلاغة قبل القرن العاشر لليلاد ، وهو القرن الذي تعمم فيه ( الرباني سعديا جاوون ) ثقافة العرب بمصر ووضع أول كتاب للقواعد العبرية وقواعد الفصحى فيها ، وتلاه ( الرباني آودنيم بني تميم البابل ) فألف كتابه بالعبرية مقرونة بالعربية ، مفسرة بشواهد وأمثلة . ولم يكن في اللغة العبرية فن العروض قطع شعراء اليهود هذا الفن من العرب بالاندلس ومصر وفظموا في لغتهم وفي لغتنا على الأوزان العربية .

الأول تلقوا علم الدين وشعائر العبادة من « ملكي صادق » ، وبلغام وأيوب ويثرون ... ويثرون كما جاء في العهد القديم هو الذي علم موسى عليه السلام علم التبليغ وإقامة الشريعة ، وهو الذي أمه وأم قومه لصلاة القرين ... وفي تاريخ العرب من أخبار الأنبياء ما ليس في تاريخ اليهود ، ومنهم صالح وهود وذو الكفل عليهم السلام ، وكلمة « النبي » نفسها لم تكن معروفة عند اليهود قبل دخولهم أرض كنعان ، وإنما كانوا يسمون النبي بالرائي ورجل الرب على رواية العهد القديم .

أما المقارنة في جوهر الدين فالمعول فيها على المقارنة بين الفكرة التي توحى الديانة في العقائد الجوهرية : وهي عقيدة الإله وعقيدة النبوة وعقيدة التكليف .

والمقارنة بين هذه العقائد في الديانتين الإسلامية واليهودية هي بالإيجاز مقارنة بين « يهوا » والإله الواحد الصمد رب العالمين ، ومقارنة بين نبي التنجيم والخوارق وبين نبي الهداية والبلاغ المبين ، ومقارنة بين الحساب على ستة المحاسبة والاختصاص بالخطوة وبين حساب العمل والنية واستقلال الإنسان بما كسب وبما أراد .

ولم يعرف التوح الإنسان ديناً رفع هذه العقائد إلى سماء من التزييه والرشد والصدق

ولما نادى الرجعيون من وجال الدين اليهود  
ثورتهم على هذه البدع المستعصية سرت  
الثورة إلى الشعب في هذه المرة فقال الرئيس  
فنجاس نبي مشولم شيع الطائفة بالإسكندرية :  
( هب الناس من جميع الأنحاء قاتلين : نحن  
لا نحصل أفعالكم التي ينقض بعضها بعضاً ،  
لأنكم تحلون ما تشاءون وتحرمون ما تشاءون .  
أليست هناك تقاليد أثرت عن أسلافنا  
ومن تقدمونا تحرم على الإسرائيل الصلاة  
وهو بحال الجنابة حتى يغتسل في الحمام أو  
يتطهر في البحر وينظف نفسه ؟ فكيف تميزون  
الصلاة ودخول الكنيس وتلاوة التوراة دون  
اغتنسال ؟ ... إذا كان الدين كذلك فنحن  
ذاهبون لنرفع أمرنا إلى القضاء ( ١٤ ) .

والقضاء هنا هو القضاء الإسلامي في غير  
الشئون المالية التي يتولاها رئيس الطائفة ،  
مما يدل على اعتبار قضاء الشرع المسلمين  
مرجعاً للشعب ورجال الدين في هذه الأمور .  
وقد سئل موسى بن ميمون كثيراً في هذا  
الخلاف فكان يقول إنه لا يرى في كتب  
السلف الأولين ما يوجب غسل الجنابة ،  
ولكنه يغتسل بحكم العادة حيث عاش ونشأ  
في بلاد المسلمين .

وتقينا أقوال الأخبار بأقلامهم وألسنتهم  
عن بيان أطوار الرق الاجتماعي والخلق  
الذي سرى إلى عبادات القوم وعاداتهم بعد  
الافتداء بأدب الصلاة الجامعة عند المسلمين

وكان فيلسوفهم موسى بن ميمون تلميذ  
فلاسفة المسلمين في المغرب أول من كتب  
عندهم في حكمة ( التوحيد ) واستثنى المسلمين  
من الأمم التي تنهى التوراة عن التعمد  
بعاداتهم ؛ لأنهم مؤمنون يمسكون بالإله  
الأحد ولا يشركون به إلهاً آخر .

وكتاب اليوم يتقدم بالبحث خطوة أخرى  
فيقال بل بين عبادات اليهود قبل اتصالهم بالمسلمين  
وعباداتهم بعد هذا الاتصال ببضعة أجيال ،  
فيثبت المؤلف أن القدوة بالمسلمين عادت باليهود  
إلى إحياء السنن التي هجروها من عباداتهم الأولى  
وعلمتهم سنناً أخرى لم يعملوها ، ومنها شعائر  
في صميم العبادة كشعائر الوضوء والغسل ونظام  
الصلاة الجامعة وغيرها من الصلوات .

وينقل المؤلف فصوص التلويح التي لم يرد  
فيها ذكر للوضوء أكثر من غسل اليدين ،  
ثم ينقل وصايا الأئمة المتأخرين ووصايا  
الشعراء الذين تبعوهم بنظم القصيد لترغيب  
الشعب في هذه النظافة المستحبة ، وأشهرهم  
( مناحيم دي لوزان ) الذي قال في بعض  
شعره : ( تطهر من رجس المتعاطع ووقائع  
الليل الجسدية ولا يكن العرب والقييون  
والليديون أكثر منك طهارة وهم يغسلون  
أيديهم وأرجلهم وروءهم بالماء وفي الفجر  
وظهراً وعشية ، وكذلك ليلا حين يشتد  
البرد ويسقط الثلج )

وكل من يعرف الصلاة يصلي معه في خمس والأحداث يسمعون ويركعون جميعهم مع الإمام والشعب كله متجه إلى الهيكل ينجز كل منهم فريضة ويسير الأمر على ما يرام ويتمتع التكرار الطويل ويروى تدينس اسم الله ، وقد شاع بين الأمم إل اليهود يصقون ويثرثرون في صلاتهم لأنهم يشاهدون ذلك أبنا رأوم يؤدون الصلاة ، وهذا هو الصحيح على الأكثر ، كما أرى ، لما ذكرت من أسباب ) .

قال المؤلف : ( ولما كان الميموني قد نظر إلى الحالة في الكنيس من خلال مرآة المسلمين وكان يخطئ بما قوله الشعوب قد رأى نفسه يوصى ويعمل عمله للقضاء على هذه الحالة ) . وكانت غير وسيلة للقضاء عليها في تقديره أن يسلك قومه في صلواتهم الجامعة مسلك المسلمين ، بعد الاقتداء بهم في فرائض الوضوء والتطهر ورواية أدب المسجد من جميع الوجوه .

ومن الكلام على الوضوء والصلاة يستطرد المؤلف إلى الكلام على سائر الفرائض وعلى العقائد الروحية التي لا تدخل في باب الشعائر الحسية ، مما يضيق عنه هذا المقال ونظم به إن شاء الله في مقال تال ؟

هــبـاسـى محمود العقاد

في المغرب والمشرق ، فزلف الكتاب العبرى ينقل عن الرياني الفيلسوف موسى بن ميمون إنه فصل علة الوصية التي دعا فيها إلى إلغاء صلاة الخمس في المعابد الإسرائيلية فقال :

( إن الذي دعا إلى هذا النظام هو إصراف الشعب إلى النظر أمامه أثناء الصلاة ، فيتحدث كل منهم إلى جاره أو يخرج من الصف والكاهن يتلو تسيحاته وتبريكاته على غير جدوى ، إذ ليس هناك من يستمع إليه ، وإذا رأى الشعب الأحداث من المتعلمين وغيرهم يتحاذبون أطراف الحديث ويصقون ويسلكون أثناء الصلاة سلوك من لا يشتركون فيها يفعل مثلهم ويدخل في روعهم أن الصلاة مقصورة على ما يهمس به الكاهن ولا يسمعون ... ) .

ويقول ابن ميمون في موضع آخر : ( وإن الإمام إذا عاد إلى الصلاة بصوت مرتفع نرى كل من فرغ من صلاته يستدير ليثرثر مع رفيقه ويناجيه في خاصة أمره ، ويحول وجهه عن الشرق ويبقى ويتشبه به الأحداث فيفعلون فعله ، ويظنون أن ما قاله الإمام لا يعتمد عليه أو عاجهم ، ومن ثم يخرج جميع الأحداث وهم لم ينجزوا واجبهم ويبطل الغرض الذي من أجله يرتل الإمام صلاته ... وفي الحق لا يصل الجمهور في خمس أبدا بل يصل الجميع بعد الإمام صلاة واحدة في قدسية وخشوع ،

## مَحْنَا فِي الشَّجَرِ الْقَيْدَ وَالْحَدِيدِ

الذَّيْبَاجُ الْخُسْرَوَانِي

لَحْمِ عَبْدِ بَنِي الْحَسَّاسِ

قال لحم عبد بن الحساس وكان المفضل الضبي يقول : قصيدة الأسود - يعني  
سحيا - ذياباج خسرواني :

حميرة ودع إن تجهزت غاديا	كفى الشيب والإسلام للبرء ناهيا
ليالي تصطاد الرجال بفاحم	تراه أثينا ناعم التبت عافيا
وجيد كجيد الزيم ليس بعاطل	من الدرد والياقوت والشذر حاليا
كأن الثريا خلقت فوق لمصرها	وجمر غصنا عبت له الريح ذاكيا
أرئك غداة البين كفا ومعصا	ووجه كدينار المرقلي صافيا
فما بيضة بات الظلم يحفها	ويرفع عنها جوجوا متعاليا
ويجعلها بين الجناح ودفه	ويفرشها وحفا من الرن وافيا
بأحسن منها يوم قالت : أراحل	مع الركب أم ثلو لدينا لياليا
فإن شو لا تمل وإن تك غاديا	تزد وترجع عن حميرة راضيا
ألكني إليها عمرك الله يا فقي	بآية ما جات إلينا تهاديا
تهادي سيل في أباطح سهلة	إذا ما صلا صمدا تفرع واديا
ففات ولم تقض الذي أقبلت به	ومن حاجة الإنسان ما ليس قاضيا
وبتنا وسادانا إلى حلجانة	وحقف تهاده الرياح تهاديا
تو مدني كفا وثني بمعصم	على وتحنو رجلها من وراثيا
أميل بها ميل الزيف وأتقى	بها البرد والشفان من عن شماليا
فما زال بردي طيبا من ثيابها	إلى الحول حتى أنهج البرد باليا
وقلن لمصرامن أنت أحقنا	بطرح الرداء إن أردت التباهيا
تمارين حتى غاب نجم مكبد	وحق بدا النجم الذي كان قاليا



وحق أنار الفجر أبيض ساطعا      كأن على أعلامه ريمًا شاميا  
فأدبرن يمحضن الحديث كأنما      قتلن قتيلًا أو أتين الدواهيًا  
وأصبحن صرعى في الحجال كأنما      شربن مدامًا أو سرين لياليًا

قال المفضل : كان عبد بنى الحساس أسود طمطانيا إلا أنه كان حسن الشعر وفني  
الالفاظ وأتى به أول ما قال الشعر عثمان بن عفان فقبل له : اشتريه فإنه شاعر ، فقال :  
لا حاجة لي فيه ؛ لأن العبد الأسود إذا كان شاعراً وجاع مجاهدين ، وإذا شبع شيب بنسائهم ،  
وهو آخر أمره مقتول ، وكان الأمر كما قال ، وسأل عمر بن الخطاب يوماً أهل مجلسه  
عن الذي يقول : « كنى الشيب والإسلام للبرء ناهياً » ، فقبل : عبد بنى الحساس ، فقال :  
لو قدم الإسلام على الشيب لقرضت له .

## الإيجاز

قال أبو العباس :

من كلام العرب الاختصار المفهم ، والإطناب المضم . وقد يقع الإيحاء إلى الشيء فيغنى  
عند ذوى الألباب عن كشفه كما قيل : لمح دالة .

وقد يضطر الشاعر المعنى والخطيب المصنع والكاتب البليغ ، فيقع في كلام أحدهم  
المعنى المستغرق والمفرد المستكره . فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام غطتا على عوارده .  
وسترتا من شينه . وإن شاء قائل أن يقول : بل الكلام القبيح في الكلام الحسن أظهر ،  
ومجاورته له أشهر ؛ كان ذلك له . ولكن يعتفر السي للحسن ، والبعيد القريب .

فمن ألماظ العرب البيئة القريبة المفهمة ، الحسنة الوصف ، الجميلة الرصف  
قول الخطيب :  
وذاك فتى إن تأته في ضيعة      إلى ماله لا تأته بشيعة

وكذلك قول عنتره :

يخبرك من شهد الواقعة أنني      أعشى الوغى وأعف عند المغنم

# الكتاب

في بلادى الجميلة  
للدكتورة نemat أحمد فؤاد

والطبع أكثر مما ترجع إلى الاستبداد والجهالة . . . وفعل المقاربة ( تكاد ) يمنع من إطلاق الحكم على شاعرية المرأة ؛ لأن المفهوم الشائع أنها انفعال مجسد وإحساس مرهف وتصير بارز . وربما يصحح هذا المفهوم أنها على الجملة لم ترزق الخيال المنح ولا التأمل العميق ولا التصوير المجرد ولا التفكير المستقل . إنها منذ خلقها الله من ضلع آدم مصابة بالتبعية للرجل . فالحب مثلاً وهو أخص صفاتها الطبيعية تشع به أشد الشعور ، ولكن حيائها الذى تأصل في طبيعتها من حيطة الرجل لها ورقايتها عليها يمنعها من التعبير الحر عن هذا الحب فتتركه للرجل . ولو أنها تغلبت يوماً على هذا الحياء بجمرة الحرية وضعف الوازع ففعلت ما فعلته الكاتبة الفرنسية فرنسواز ساجان ، أو الكاتبة العربية خولة الخورى (١) لكان ذلك بدعا في المجتمع يسترعى النظر ويستدعى الفضول .

(١) سماها جدها فارس الخورى ( خولة ) وأبى إلا أن تسمى نفسها ( كوليت ) ١ .

١ - أصدرت الكاتبة البليغة الدكتور نemat أحمد فؤاد كتابين في هذا الشهر أحدهما ( النيل في الأدب المصرى ) والآخر ( في بلادى الجميلة ) وسنقدم هذا الكتاب بالمقال الذى قدمه به إلى القراء الأستاذ رئيس التحرير . أما الأول فلنا إليه عودة .

الأدب العربى - وإن شئت قلت الأدب العالمى - فقير في أدب المرأة . ومعنى الفقر هنا يقترب كثيراً من معنى الخلو ، لأنك إذا عدت إلى مرآة التاريخ تراقب منها سموات الأدب في الشرق والغرب لا تجد في آفاقها الرشح إلا نجمة تلعب من حبة إلى حبة لمعان السها تظهر من بعيد لتختفي من قريب ١ . وهذه الأنجم النوادر يلعب في الأدب لافى العلم ، وفي النظم لافى النثر ، وفي فن الرجل لافى فن المرأة ١ .

تستطيع إذن أن تضرب الأمثال على مسألة الأدب الحوائى بجانب الأدب الآدى من كل أدب في كل بلد وفي كل زمن ؛ لأن هذه الظاهرة عامة تكاد ترجع إلى الاستعداد

في الشرق ، وإذا تذكرت أن هذه الندرة ملحوظة في أدب اليونان والرومان وفي أدب الهند والفرس ، وفي أدب اللاتين والسكسون أدركت أن هذه الظاهرة المبهمة أعمق من أن تحمل في كلمة موجزة ، وأوسع من أن ترد إلى سبب واحد

خذ الأدب العربي مثلاً : شغل هذا الأدب العريق الزمن من منتصف القرن الخامس إلى منتصف القرن العشرين ، وطبق الأرض من أقصى بلاد الشرق إلى أقصى بلاد الغرب ووسع آداب الخليفة منذ طفولة الإنسان إلى اصطلاح الحضارة العربية . وأنت مع ذلك إذا عرضت عصوره الخفة على ذاكرتك لا تجد فيها من نواحي النساء في الأدب إلا الخفاء وتوابعها من غمرك بنت بدر ، وليلى بنت لكيز وجلييلة بنت مرة في العصر الجاهلي ، وإلا سكينه وليلى الأخيلية بين تسعين شاعراً في العصر الأموي ، وإلا عليّة بنت المهدي في العصر العباسي ، وإلا ولادة بنت المستكفي وحمدونة في العصر الأندلسي ثم تنتظر طويلاً لتعثر في طوايا ذاكرتك على السيدة عائشة الباعونية تنتقل بين دمشق والقاهرة في أوائل القرن العاشر الهجري ! نعم أوافقك على أن في الآفاق السحيقة نجيمات دافقة لا يدرك ضوءها المرصد ، ولكن ذلك على صحته لا ينفي الندرة ولا يغير

والبنض أيضاً يسائر الحب في طبيعة المرأة ، فهي تبغض ولكن بغضها من نوع خاص لا يطلب التعبير العلني وإنما يكتفي بزفرة في الصدر أو بصبرة في العين . وهي لا تخطر ببالها أن تمدح لتستجدي أو تهجو لتستجدي ، فإن الرجل قد آمنها من الجوع والخوف بكفه وسيفه .

دنيا المرأة هي عش الزوجية الذي تحمل به وهي في رعاية الأب ثم تستكن فيه وهي في حماية الزوج ، وكل آلتها لهذا العش جمال وحب تمسك بهما الرجل ، وحنان وحطف ترأم بهما على الولد . والتعبير عن هذه المواضع الطبيعية يكون بالفعل لا بالقول ، وبالشعر لا بالشعر ، فإذا خرجت عن دنياها الخاصة إلى الدنيا العامة فتفاعلت مع الأحداث ، وتأثرت بأحوال الناس حملت نصيبها من أمانة الأدب ورسالة الفكر .

في هذه النواحي العضوية والنفسية والاجتماعية يجب أن تلبس الأسباب الجوهريّة لندرة الأدب النحوي في العالم قديمه وحديثه وشرقيه وغربيه ، فإن تلبس هذه الأسباب في حرمان المرأة من الحرية وتحلفها في الثقافة وانزاعها عن المجتمع لا يعلل هذه الندرة في الغرب ، وإن تلبسها في انكسارها على العمل وانغماسها في المادة وانطلاقها من القيد لا يعلل هذه الندرة

المسكنون في كل نفس وهو الأدب فعبث به عن مشاعر شعب أو أحاسيس عالم ، مصداق ذلك تجده في أدبنا القسوى في هذا القرن على تفاوت شديد فيه بين ربه الأول وربيه الثاني . تيقظت المرأة المصرية على صيحة قاسم أمين ، ولم تكده تمنح عن جفنها فتور الكرى الثقيل الطويل حتى ضاقت بالحجاب وبرمت بالقييد وتطلعت من خصائص الأبواب وثقوب النوافذ إلى المراد الرحب والفضاء الفسيح والشارع اللجج ، فقررت أن تحطم القيد وتكسر الباب وتهصر الستار وتخرج إلى الدنيا لتشارك الرجل في العلم والعمل والأمل ، تفعل كما يفعل وتقول كما يقول وترجو كما يرجو . وساعدها على هذه الانطلاقة حدوث الهبة العامة في مصر عقب الحرب العالمية الأولى ، وسهولة النشر والإعلام بالطباعة والصحافة والإذاعة . وكانت البواكير الأدبية بالحقل النسائي قد أخذت أكامها تتشقق عنها في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، فظهرت وردة الميماجية وعائشة التيمورية وزينب فواز وأئيسة وعفيفة الشرتونيتان وليدة هاشم وملك ناصف ومى زيلة .

ثم اكتمل شباب الربيع واكتمل غراس النهضة فظهرت الطبقة الثانية من الأدبيات وكانت أنضر عوداً وأذكى أرجاء وأعلى ثمرأ

الفبة ، فإن في الرجال أيضاً آلافاً غسرم الخول فلم يقفوا في سمع الرمان وبصره لا بالرواية ولا بالرؤية .

أما ما روى عن أبي نواس من أنه لم يقل الشعر إلا بعد أن حفظ شعر ستين امرأة ، وما روى عن الخوارزمي من أنه قصد صاحب بن عباد بأرجان . فلما وقف ببابه ذهب الحاجب إلى صاحب وقال : إن بالباب أدبياً يستأذن في الدخول فقال الوزير : قل له قد أزممت نفسي ألا يدخل علي إلا أدب يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب . فقال أبو بكر للحاجب ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أو من شعر النساء ؟ فلما أخبر بذلك صاحب قال هذا أبو بكر الخوارزمي ، فإن ذلك وشبهه إذا أطفأت لمعة التوبة والتهويل فيه لا يبق تحت النظر منه إلا تلك المقطعات التي جمعها الرواة والغويون من شعر أعرايات مجهولات كن ينشدنه إلهاء لأنفسهن ومن يهدن الطفل أو يدرن المفلول أو يرعين القطيع .

• • •

قلت إن المرأة الموهوبة إذا خرجت من نفسها إلى الناس ، ومن بيتها إلى المجتمع ، فشعرت بالشعور العام وأسهمت في الوجود المشترك ، فتفتحت قريحتها عن الجزء الإلهي

لقد كتبت نيات في البحث والتقد والوصف والتراجم ، ولكن هذه الفنون المختلفة يؤلف بينها أسلوب واحد إذا عرّفه عرفت طريقها في هذه الفنون وحقيقتها من هذه المعاني .

إن الأسلوب مركب فني من عناصر مختلفة يستمدّها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه ، تلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف ، ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة والموسيقية المعبرة ، والمراد بالصورة إبراز المعنى العقلي في صورة محسنة ، وبالعاطفة تحريك النفس لتقبل إلى المعنى المعبر عنه أو لتنفّر منه . والأسلوب بهذا المعنى لا يكتسب بالتعليم ولا بالتقليد . وإنما هو هندسة روحية وملكية ذهنية تتمثلان في قالب معنوي غير موصوف ولا معروف تخرج منه الفكرة والعاطفة والخيال والصورة منسقة على الوضع الذي ارتضاه الذوق الرفيع في الإنسان الذي عليه ألقه البيان وآتاه الحكمة .

ولعلنا إذا استثنينا النساء الفواصر في القديم والحديث لا نجد في الكاتبات العربيات من ينطبق على أسلوبهن هذا الوصف إلا كاتبتين اثنتين في هاتين الطبقتين : الأولى في الأولى هي زيادة ، والأخرى في الأخرى نيات فؤاد . ذلك لأن أسلوبهما يتميز من سائر الأساليب السوية بالشاعرية والناقضة والتنويع والتلون والحركة . وتزيد نيات على صاحبها

وأعلى فائدة . طبقة سهر القلاوى وعائشة عبد الرحمن ونيات فؤاد ووداد مسكاكيتي وفدوى طوفان وملك عبد العزيز ونازك الملائكة وروحية القليبي ثم جاذية صدقي . وقد تضمن الفنّون الأدبية على حسب استعدادهن واجتهادهن ، فهن الناقدة البصيرة والباحثة المحققة والكاتبة البليغة والأديبة الموقفة والشاعرة الرقيقة والقصصية المجيدة . ولكل واحدة منهن أسلوب في النشر أو النظم صاغته من طبيعتها ونشأتها وثقافتها واستعدادها ، فيه الغموض والاختلاط ، وفيه الوضوح والتميز ومنه الوصف الرصين السليم . ومنه التفرير السقيم المهلهل . ولست هنا بسيل البحث الموضوعي في هاتين الطبقتين فأبى العوامل المؤثرة فيهما ، والخصائص المميزة بينهما ، وأحلل الأعمال الصادرة عنهما فإن ذلك هو وضعه تاريخ الأدب . وإنما أنا في هذه الكلمة بسيل كاتبة وكتاب . الكاتبة هي الدكتورة نيات فؤاد ، والكتاب هو كتابها الحادى عشر ( في بلادى الجيلة ) ، وما أريد أن أعرض لنيات هنا إلا من جهة الفن ، ولا لفنها اليوم إلا من جهة الأسلوب . ومن يمرض لفن الكاتب وأسلوبه بالكشف والوصف والتحليل فقد عرض لكل شئ فيه . وهل الأسلوب كما قيل بحق إلا الكاتب أو الكاتبة في صورة مؤتلفة من عقله وفكره وشعوره وخلقه وذوقه وطامه ؟

إلى غيره . إن أسلوب نحات أصيل صادق ، لأنه يتم عن طبيعة المرأة ويكشف عن جوهر الأنوثة . ولا يشاركها في هذه الخصيصة إلا الآنسة حى . أما غيرهما من الكاتبات التوابغ فقد قرأ لمن الأسلوب الجزل والبيان المحكم والرأى النضيج ، ولكنك تستشف من وراء ذلك عاكاة الرجل في غرلة منطقته وطريقة فنه .

أنت من نحات بين روح وفية وأم روم وأخت مواسية ومواطنة مخلصه وعاشقة للنيل تنشد على ضفافه الحضر أناشيدها المؤلفة من عبرات إرييس ، وضحكات كليوباتره ، وصلوات همر وغزوات صلاح الدين .

ونحات منك بمثابة يياتريس من داتى تطوف بك في مجالى الطبيعة ومشاهد الكون ( فى الورد ) و ( فى الزيف ) و ( فى الليل ) و ( فى المقطم ) و ( فى الحرم ) و ( فى الفرج ) كما طافت بالشاعر الإيطالى حبيبته الروحية الملهمة بجالى الفردوس ومشاهد عدن .

حاشاك أن تحمل كلامى من نحات على المجاملة والمهاوأة لأنها امرأة . وللنساء على الرجال لين القول وحسن المصانة ، لى أقول وبين يذى الدليل وأحكم وأمام عينى السند . اقرأ على سبيل المثال مقالها فى ( البيت ) أو فى ( الزيف ) أو فى ( المدرسة ) أو فى ( الطريق ) أو أى مقال شئت ، ثم حاول من طريق الفن أو من طريق النوق أن تطبق

بالعق والدقة والسلامة وتوليد المعنى من المعنى ومزاوجة اللفظ اللفظ واستبطان دعائل الموضوع واستقصاء أطرافه حتى لا تدع فيه معنى يخطر على بال . وكل ذلك فى غير تكرار ولا إملال ولا سقط ، وكل ذلك فى حسن نسق وجمال إيقاع من غير تسكف ولا شطط .

وموسيقى نحات ألحان من المعنى وأنغام من اللفظ لا يبلغ بدونها الكلام ، ولا يقوى بغيرها الأثر . وهى موسيقى معبرة لأنها من بنية الأسلوب فى باطنه ، لا من حلية التركيب فى ظاهره . وهى فى بعض الكتاب والكواكب سجية وطبيع ، فكما لا يستطيع البلب أن يكون غراباً ينبى ولا ضفدعاً تنق كذلك لا يستطيع الفنان الصادق أن يكون نجاً على النوق ولا قبيلاً على الأذن .

أذكر أن نحات كانت فى بعض أهمالها أمانة للجنة النشر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، فكانت تكتب محاضر الجلسات بالأسلوب الرفيع تختار له اللفظ الملائم ، وتتق له التعبير المؤدى ، ولكن أعضاء اللجنة وهم من أقطاب الكتاب أنكروا عليها أن تستبدل بأسلوب الدواوين أسلوب البيان والتبيين . فآثرت أن تظل بلبلا يطرب على أن تصير غراباً ينبى ، وانصرفت عن هذا العمل

## ٢ - المحمود في الزمان :

للأستاذ أبي الحسن الندوي .

هذا كتاب جديد للأستاذ الندوي عضو  
الجمع العلمي العربي بدمشق ، ومعتمد دار  
العلوم ، ندوة العلماء بالهند نشرته مكتبة  
دار الفتح بدمشق .

الكتاب دراسة اشتملت على دور المسلمين  
في حضارة الهند وتراث العلماء المسلمين  
العلمي وعنايتهم باللغة العربية ، ومدى  
تأثيرها في اللغات الهندية ، ومراكز العلم  
والثقافة ، والدور الذي قام به مسلمو الهند  
في تحريرها ، ثم تناولت الدراسة مشكلاتهم ،  
وأثر الصوفية في المجتمع الهندي .

إن هذه الدراسة عرضت تاريخاً مضى  
للمسلمين بالهند ويهنا منه ما يلفت الأنظار  
إلى الدور الرئيسي الذي قام على عواتقهم ،  
والأستاذ الندوي يقرر أن مركزهم كان القائد  
في الحركة التحررية ، وهذا طبيعي لأنهم  
هم ولادة البلاد وسادتها حين احتل الانجليز  
الهند ، ولا يفسى التاريخ فضال السلطان تيمور  
( فتح على خان ) المتواصل وتعبئة المجاهدين  
للقتال حتى سقط شهيداً في الميدان ، ولم ينقطع  
فضال المسلمين حتى نالت الهند استقلالها وزعيم  
الهند الإسلامي الكبير مولانا ( أبو الكلام  
آزاد ) يومئذ رئيس المؤتمر الوطني الهندي .  
كما عرضت هذه الدراسة لحاضر المسلمين  
في الهند اليوم وهم أكثر من أربعين مليوناً ،  
قتناولت مشكلاتهم التي يعانيها ويحاول

ما وصفت لك من أسلوبها على ما قرأت  
أنت من كلامها ، فإذا لم تخرج من التصور  
إلى التصديق ، ومن التطبيق إلى التحقيق  
جاز لك أن تقول إن رجل يقول على الأدب  
بغير علم ، وبمحكم على الأدباء من غير خبرة .

• • •

ذلك بعض القول في الكاتبة ، أما الكلام  
عن الكتاب فقد تضمنته الكلام عن أمه .  
وإن الثمره فيها سر الشجرة كله ، فهمها أقل  
لك إن الشجرة ريانة الأصول فينانة الفروع  
ورقاة الورق واردة الظل حلو الجنى ، لا تجد  
في هذا القول على صدقه من الكفاية والرضا  
ما تجد في الشرحين تطفها يديك ، وترمقها  
طويلاً بعينيك ، ثم تدسها في فلك ، فتدوق  
من حلاوة العصور ، وتشم من فوحه العبير  
ما يقنعك أن النبتة كريمة وأن الشجرة مباركة :

لقد حدثك عن الكاتبة لأنها لا تحدث  
عن نفسها ، أما الكتاب فسأدعه وإياك  
ليحدثك عن نفسه .

أحمد حسن الزيات

كنت أود أن يكون كتاب الأستاذ الندوى معنياً بعناية أكبر بمشكلات المسلمين في الهند ، بل قاصراً على هذه المشكلات ، وقد ذكر أنه إنما قدم رموس المشكلات ، ونفهم من هذا أن هناك مشكلات أخرى لم يتعرض لها ، ولست أدري لم لم يتعرض أستاذنا المشكلة الكبرى (الدعوة الإسلامية) عرضاً واضحاً يضع فيه النقط على الحروف كما فعل في غيرها ، لاسيما وأن التمصب وحده اليوم هو الذي يتعقب الدعوة الإسلامية ويقف لها بالمرصاد .

\*\*\*

### ٣ - الفكر العربي ومكانه في التاريخ للمستر ديبلاس أوليري

هذا الكتاب من كتب وزارة الثقافة والإرشاد، نشرته مكتبة عالم الكتب بالقاهرة وقام بالترجمة والتعليق الدكتور تمام حسان وقام بالمراجعة الدكتور محمد مصطفى حلى رئيس قسم الفلسفة الإسلامية بجامعة القاهرة كلية الآداب .

المؤلف مستشرق نمساوي ومؤلف الحضارة الإسلامية ، والكتاب دراسة عميقة وعلى جانب من الخطورة أيضاً ، قسمه اثني عشر فصلاً : تناولت الصورة السريانية الهيدنية ، المهدين العربي والعباسي : دور الترجمة ، المعتزلة ، فلاسفة الشرق والمغرب ، التصوف الإسلام السلفي ، النقلة اليهود ، ثم أثر الفلسفة العربية في المدرسة اللاتينية .

في هذه الجولة ( الممتعة ) يقرر المؤلف :

التغلب عليها ، بعضها نتيجة أخطائه ، وبعضها نتيجة رواسب الماضي ومخلفاته الفكرية والسياسية ، وبعضها نتيجة وضع الأحوال والحوادث التي مرت بها الهند في العهد الماضي .

ويرى الأستاذ الندوى أن المشكلة الكبرى هي مشكلة الدعوة الإسلامية التي تتعثر اليوم وتقف مشلولة الحركة ، وأن المشكلة الثانية تتصل بالانحراف المقصود عن الدستور الهندي الذي يكفل حرية العقيدة لكل طائفة ، وهذه القاعدة اليوم أصبحت حبراً على ورق كما يقولون ، ويتضح هذا في المناهج الدراسية التي لا تعنى

إلا بالهندوكية ديانة الأكثرية على ما فيها من تحد للعقيدة الإسلامية ، لاسيما وأن هذه المناهج إجبارية على كافة الطلاب ، أما المشكلة الثالثة فهي مشكلة اللغة ، وهذه المشكلة تتمثل في انحراف آخر عن الدستور ، فقد تفرقت لفظة ( أردو ) لغة قومية رسمية ، ولكن المسؤولين استطاعوا أن يفرضوا اللغة الهندية إجبارياً كأداة للتعليم ، وأثر ذلك في ثقافة المسلمين ، حيث كانت لغة أردو الوسيلة الوحيدة التي تربطهم بالثقافة الإسلامية ، فحرفوها عربية تسهل بها قراءة القرآن ودراسة اللغة العربية ، وفيها آدابهم وحضارتهم . وهناك المشكلة الاقتصادية ، فقد بدأ قط المسلمين - بعد التقسيم - في الوظائف الحكومية يضعف ويقل حتى أصبحت نسبة هزيلة تنذر بتطور خطير في أوضاع المسلمين الاقتصادية والاجتماعية على السواء .



في القرن الثاني الهجري كإبراهيم بن آدم والكرخي والعاثي ، الذين يراهم المؤلف فريفا ذا نمو على بين العرب تطورت به مؤثرات مسيحية ، ما قبل الإسلام حيث كانت الرهبانية المسيحية معروفة لدى العرب على نحوهم الصحراء السورية وفي صحراء سيناء .

في الكتاب دراسة دسمة لها تقديرها ، وفيه مفتريات وأضاليل أبرزها المؤلف عن قصد ، وقد أدى الدكتور تلمح حسان جانباً من الواجب حين كشف في مقدمته عن سوء المؤلف ، ولكن التعليق لم يكن متكافئاً مع المفتريات التي دست بين السطور .

إتنا لا تنكر الإقدام على ترجمة دراسات المستشرقين المتصلة بالإسلام لدسامتها وتحققها وسعة الاطلاع الواضحة فيها ، ما دامت لا تنقصنا القدرة على رد المفتريات على أعقابها ، وهي مفتريات يدفع إليها التفكير الصليبي الذي لا يتورع عن أن يلبس الحق بالباطل .

وهناك مسألة جديرة بالنظر ، فالمؤلف كثيره من المستشرقين ، يعتمد كثيراً على كتب التراث الإسلامي القديم ، ولعل من الخير أن نعيد النظر في هذا التراث ، وأن تكون هذه المهمة الأولى لمجمع البحوث الإسلامي بالأزهر إن شاء الله ، هذا وإن مؤتمر التوجيه لعلماء الأزهر برئاسة الأستاذ الأكبر الذي افتقد في الأسبوع الأول من

أن الثقافة الأوروبية الحديثة مشتقة من الثقافة الرومانية التي كانت هي بنفسها مجموعة من النتائج التي تمحضت عنها مؤثرات متعددة . كانت الحياة العقلية الهلينية أقواها ، ولكن هذه النتائج تفاعلت فأسفرت عن نظام متباسك عن طريق القدرة الرائعة على التنظيم . أما الثقافة الإسلامية فهي في أساسها وجوهرها جزء من الحضارة الهلينية الرومانية ، حتى علم التوحيد الإسلامي قد تمجد وتطور بواسطة منابع هيلينية .

ونرى هذا المستشرق في الفصل الأول يضرب على هذا الوتر ، ويحاول أن يدخل على ذهن القارئ أن محمداً - صلوات الله عليه - كان على صلة بمعلمين من النساطرة (المسيحيين) وأن رهبان أولئك النساطرة ومبشرهم كانوا على صلة بأوائل المسلمين ، وهذا كلام بالطبع لا يقوم على دليل على ، وإنما هو نعمة يضرب عليها دائماً غلاة المستشرقين كلمستر ديلاس أوليري .

والأحاديث النبوية في رأى هذا المستشرق صنعت في العصر الأموي لتكيف أى وضع جديد مع الإسلام ، ويمنح الغلو بالمؤلف إلى حد يقرر فيه أن المسلمين حين عرفوا فلسفة أرسطو تلقوها كما يتلقى الوحي ، وأن هذه الفلسفة كانت القرآن بقرآن جنباً إلى جنب ، وأن الرهبانية المسيحية تركت أثرها في التصوف الإسلامي وزهاد المسلمين الأوائل

رسول الله إليهم ، وهو في كل ما يخبر به الرسول من أمور يجعل شعاره مثلاً أعلى للتصديق المدعم باليقين ( إن كان قال فقد صدق ) وتجلى عظمة الصديق بعد ذلك في ثباته وقوة إرادته النابعة من إيمانه بالله وثقته فيه ، فهو في مواقفه في أزمة السقيفة على أثر وفاة الرسول ، ومشكلة حرب الردة ، ومسألة قيادة أسامة الصغير السن لجيش المسلمين في وقت عصيب ، في هذه المواقف وغيرها تجلت شخصية أبي بكر الفذة التي لم تعرف الضعف ولا التردد حيال تحمل التبعات والمسئوليات .

ويكشف الأستاذ خالد عن شخصية الحاكم المثالي تحت عنوان ( ولست بخيركم ) فيضعه داخل دائرة من الدقة والنزاهة والأمانة ، ويتخذ من أول خطبته للخليفة نموذجاً للحاكم المثالي .

( إني وليت عليكم ولست بخيركم . إن أحسنتم فأعينوني . وإن أسأت فقوموني ) وفي الفصل الخامس والأخير يعرض الأستاذ خالد الصديق أبا بكر الحاكم البسيط الذي لم تفته مظاهر الحكم ، ولا عظمة السلطان ، فهو قبل الحكم يحلب للأرامل الشياه ، ويقضى لمن الجواج ، وظل كذلك بعد الخلافة . الترجمة للعظماء شيء سهل ، ولكن الجديد في كتابات الأستاذ خالد ، هو تجسيم المعاني الكبيرة وإبراز المثل الرفيعة في أسلوب تحليل جميل

شهر سبتمبر بالإسكندرية ، قد أصدر قرارات منها إعادة النظر في منهج التاريخ الإسلامي ، ونحن نأمل أن يعاد النظر في كتب التراث الإسلامي بأسره .

• • •

#### ٤ - وجاء أبو بكر :

للاستاذ خالد محمد خالد

هذا الكتاب الذي نشرته دار الكتب الحديثة بعابدين ، حلقة ثانية لحلقة سبقت تحت عنوان ( بين يدي هجر ) والأستاذ خالد لا يهدف إلى ترجمته عن كبار الصحابة ، وإنما يهدف إلى دراسة تحليلية ، ومنهجه أن يلتقط من حياتهم مثلاً رفيعة ، وقياً عليها ويضمها في إطار تبرز داخله عظمتهم وعبقريتهم .

فهو تحت عنوان ( ليلنن الكتاب أجله ) يحلى استعداد أبي بكر النفس والقلبي والعقلي لعقيدة الألوهية الحق ، والوحدانية الخالصة لأنه لم ير ضراً - رضى غيره - من شباب العرب ، ألوهية حجارة صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تفنى من الحق شيئاً ، وإن عقله ونفسه وقلبه لتحن إلى عارلات المتنددين بوثنية الجاهلية ، عن أرمعوا بالتوحيد الحاصل قبيل الرسالة المحمدية ، كقس بن ساعدة ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وورقة ابن نفيل .

ويتجلى استعداد أبي بكر أيضاً للإيمان ، فهو يتجاوب مع الرسول حين يعلن أنه

# بريد المجلة

أدعوا الله مخلصاً أن يبارك في حياتكم وقلوبكم  
ليظل - كالعهد به دائماً - حذاء العروبة  
والإيمان .  
والسلام عليكم ورحمة الله .

وزير الأوقاف  
وشئون الأزهر  
( دكتور محمد البهي )

استدراك وتغيب :

في مقال : ( نظرات في كتاب فلسفة  
تاريخ محمد ) المنشور في العدد الماضي ذكرت  
حديث : « اعمل لديناك كأنك تعيش أبداً ،  
واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »  
وتعرضت للرواية التي ذكرها الأستاذ  
مؤلف الكتاب وهي وضع كلمة : ( احث )  
بدلاً من اعمل في أول الحديث .

ومن الإنصاف للأستاذ محمد جميل بهم  
أن أقول إن هذه الصيغة وردت في ( النهاية  
في غريب الحديث والأثر لابن قتيبة ، الجزء  
١ - ص ٣١٢ ، الثمانية ١٣١١ ) .

على أن من العلماء من يصف هذا الحديث  
بأنه ضعيف أو موقوف وبعضهم يقول  
إنه : لا أصل له .

من الأستاذ الدكتور محمد البهي :

كتبت هذه المجلة كلفة ترحيب في عددها  
الماضي هنأت فيها المعنيين بالإصلاح الديني  
والتطوير الأزهرى بتولى الدكتور محمد البهي  
وزارة الأوقاف وشئون الأزهر فلما اطلع  
عليها فضيلته بعث بهذه الرسالة الرقيقة البليغة  
إلى رئاسة تحرير هذه المجلة وهذا نصها :

أخى الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات  
رئيس تحرير مجلة الأزهر .

سلام الله عليكم ورحمته

وأشكر لكم تحيتكم الكريمة على صفحات  
مجلة « الأزهر » وهي تحية أعز بها ، إذ تأتي  
من أديب كبير ، وصديق عزيز . ورائد  
أصيل للفكر العربي والإسلامي الحديث .  
وإن « مدرسة الرسالة » تمثل في تاريخنا المعاصر  
تجديداً أدبياً فكرياً وروحياً قومياً ، تلتهم  
جذوره وأصوله في « مدرسة الإمام » وتبرز  
ثماره وآثاره في انطلاقنا القومية الكبرى  
في هذه الأيام التاريخية الكبرى التي قدر لنا  
أن نحياها منذ ثورة « جمال عبد الناصر »  
الوثابة البناءة .

ولتي إذ أكرد شكري وتقديري ،

التي تلقتها الأمة بالقبول كنيع الماء بين أصابعه صلى الله عليه وسلم . وكالأحاديث التي تعين مدلول قوله انشق القمر على أنه حصل فعلا وليس مؤولا بيوم القيامة ...

هذا ما قاله الصديق الشيخ محمد سعاد جلال في تعقيب الشفوي السريع على هذا التعقيب المكتوب ، وأضيف إليه ما قاله العلماء من أن التحدى يكون بالقوة كما يكون بالفعل . وليس من اللائق بأستاذ كان سكرتيراً لتحرير هذه المجلة أن يتصيد الآراء النافذة المرفوضة عند جبهة العلماء . ويعتمد عليها في التدليل لترويج ما لا يحل ترويجه من الآراء ..

**عبد الرحيم فودة**

**حول لفت نظر :**

قرأت بالمجلة في عدد جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ . صفحة ٣٦٩ تحت عنوان ( لفت نظر ) ملاحظة الأستاذ عبد الرحيم فودة على كلية الأستاذ محمود الشرفاوى . نظرات في كتاب فلسفة تاريخ محمد . فوجدت في ملاحظة الأستاذ فودة نقطتين لم أستطع فهمهما . هما قوله : إن الأنبياء كانوا يعتمدون على معجزات وخوارق ، وعد من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم حادث الإسراء . والثانية هي قوله : إن الإيمان بالله معناه

أما ما ذكره فضيلة الشيخ عبد الرحيم فودة في ( لفت نظره ) عن قصة الإسراء ، في صدد الكلام عن المعجزات ، فإن المعجزة — كما يعرفها العلماء ، هي ( العمل الخارق للعادة المقرون بالتحدى ) ، ولا كذلك الإسراء .

ومن العلماء من قال إن الإسراء كان ( رؤيا منامية ) ، ومع أن الأستاذ جميل بهم لم يتعرض في كتابه للإسراء ، فإن من حقه أن يقول مقالة مؤلاء العلماء ، وله أن يقول — كما قال قبله علماء آخرون — إن معجزة النبي عليه السلام هي القرآن الذي تحدى الله العرب أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ، أو آية ، فصجروا .

**محمود الشرفاوى**

**لفت نظر ... أيضا**

قال الشيخ محمد سعاد جلال يعقب على هذا التعقيب : إنما تكون المعجزة مقرونة بالتحدى عند قصد التحدى . أما تحقق مفهوم المعجزة في حد ذاته فهو ثابت وإن لم تقترن بالتحدى كاتفلاق البحر لموسى ونبع الماء بين أصابع النبي صلى الله عليه وسلم . وانشقاق القمر فهذه كلها معجزات ثابت بعضها بالقطع كاتفلاق البحر وبعضها بالأحاديث المستفيضة

تعالى ( وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ) آية ١٠٦ يوسف وقوله تعالى ( الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ) آية ٨٢ الأنعام ومعنى ذلك أن الإنسان قد يكون مؤمناً بالله وبوجوده وقدرته وكلامه ومع ذلك يكون مشركاً به تعالى .

فدعوا أن توضح لنا المجلة في عددتها القادم ما يرزق هذا اللبس . والسلام عليكم ورحمة الله .

**محمد عبد الفتاح**

كلية الحقوق بعين شمس

**للبس :**

لو قرأ الكاتب الفاضل الآيات السابقة والآية اللاحقة للآية التي ذكرها لزال من ذهنه ما توهمه لبساً ؛ فليقرأ قبلها قوله تعالى : وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . وما تسألم عليه من أجر إن هو إلا ذكر لقائلين . وكان من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، وليقرأ بعدها قوله : أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون ، فيسحرج بعد قليل من التأمل أنه لا يكفي في الإيمان مجرد التصديق بوجود الله ، فقد يكون مع التصديق بوجوده شرك يوقع في شرك

الإيمان بوجوده وقدرته وكتبه ورسله وكل ما ينسب إليه من صفات الكمال وما يصدر عنه من أقوال . فعلى من آمن بالله بعبارة واضحة صريحة من أسلم ودخل في دين الله .

ولما رجعت لأحد علماء الأزهر أرشدني إلى كتاب من كتب التوحيد التي تدرس بالأزهر وإلى بعض كتب التفسير عرجت منها بما يأتي :

أن الأمر الخارق للعادة إنما يسمى معجزة إذا صدر على يدي نبي يتحدى به قومه . ويكون إظهار الله لهذا الأمر الخارق على يدي النبي المتحدى به حجة على قومه .

وأما الخارق الذي يجري لا على سبيل التحدي فهو مجرد كرامة . كما يظهر على يدي النبي يظهر أيضاً لولي من أولياء الله . ولا دخل له في التحدي ولا في إقامة الحجة على الغير .

وعلى ذلك لحادث الإسراء . لم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم قومه لأنه حصل في الليل وهم نيام . وعلى ذلك فهو ليس بمعجزة .

على أن بعض كبار الصحابة قال إنه كان مناماً بروحه الشريفة . ولم يكن في اليقظة . وأما أن الإيمان بالله معناه الإيمان بكل ما ذكره الأستاذ فهذا لا يتفق مع قوله

وسوريا والعراق، والكويت، والبحرين. وقد احتشد في مسرح كلية الحقوق أكثر من أثنى شاعر وزائر وحج الشعر. واقتنع حمدي عاشور محافظ الإسكندرية المهرجان الكبير بكلمة عن دور الإسكندرية الطلائع في الثورات، والمعارك الوطنية، وبجالات العلم والثقافة. وقال الشعراء: أتم حلقة المشاعل أرجو أن تشقوا طريقنا للسلام على أصواتها. تشجيع الشعراء:

وتحدث يوسف السباعي سكرتير المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون عن المجهودات التي يقوم بها الشعراء الفرحين للسلام والمحبة وسط دعاء الحرب الذرية التي تهدد بفتنة العالم. وأضاف قائلا: «وأقدم شكرى للرئيس جمال عبد الناصر الذي يرعى أقلام الشعراء بضائته. وإن المجلس، سيمثل هن مسابقات شعرية جديدة وطبع دواوين الشعراء الجدد، والاهتمام بنشر التراث الشعري القديم لربط حاضرنا بماضيها.

وألقى عبد المنعم الصاوى وكيل وزارة الثقافة كلمة نيابة عن الدكتور عبد القادر حاتم قال فيها: إن الشعر لم يكن في يوم من الأيام ترفاً، وإنما كان إحساساً وتعبيراً عن كيان الأمة. والشعر هو القسمة الجميلة التي هبته من دول عدم الانحياز، كلها أمل، وحب وسلام.

الهلاك والعياذ بالله، فلا يكون لهذا الإيمان قيمة، بدليل قوله تعالى: «أقاموا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة». صحيح أن مجرد التصديق بوجوده تعالى يسمى في اللغة إيماناً لأن الإيمان قد تعلق بنسبة وهي ثبوت الوجود لله، ولكنه ليس الإيمان المطلوب، بدليل الآية التي ذكرها الكاتب: الذين آمنوا ولم يلبسوا لإيمانهم بظلم. فلا شك أن الشرك ظلم كما يقول الله: «إن الشرك لظلم عظيم».

أما ما ذكره عن المعجزة فقد عقبنا على مثله في نفس هذا العدد فليرجع إليه.

### عبد الرحيم قودة

#### مهرجان للشعر في الإسكندرية:

بالرغم من التناقض الذي يسود العالم بسبب أزمة كوبا، والخوف من قيام حرب ذرية تهدد بفتنة البشرية وتفضي على الحضارة في بضع لحظات، انبعثت من الإسكندرية ألحان عذبة رقيقة تحمل كلمات الحب والسلام.

ففي مهرجان الشعر الرابع الذي افتتح بالإسكندرية أول أمس، اجتمع لأول مرة شعراء من ١٩ محافظة من جميع أنحاء جمهوريةنا. واجتمع كذلك ممثلو البلاد العربية من اليمن والجزائر وفلسطين ولبنان

### الشعراء الشباب :

وسلم محافظ الإسكندرية ، جائزة التفوق للشعراء الشباب الذين فازوا في مسابقة المجلس الأعلى للفنون والآداب ، وقد فاز أحمد داود عن قصيدته ( ترنيمة نهد ) بسبعين جنيا ، ومحمد أمل دقتل عن قصيدة ( طفلها ) بخمسين جنيا ، ومحمد عادل سليمان بثلاثين جنيا عن قصيدته ( حكاية أجير إقطاعي والأورة ) .

### شاعرات المهرجان :

وقد اشتركت في المهرجان ست شاعرات من : جليلة رضا ، نجاة شاو ، روحية القليبي ، نرين عبد الحى ، شريفة قنحى ، لورا الأسبوطى .

وتحدثت الدكتورة سهير القناوى عن التجديد في الشعر العربى ، والدكتورة نemat غزاد عن المازنى .

وانتهى المهرجان بحفل شاي أقامته الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب بالإسكندرية في نادى الضباط .

وأعلن عبد المنعم الصاوى قائلا : إن وزارة الثقافة ، قررت تشجيع جميع الشعراء ليزداد صوت السلام وليرتفع صوت المحبة حاليا .

### المقاد بهاجم :

ثم أقيمت كلمة المقاد ، وكانت رائعة ، حلت في ملياتها هجوما على الشعر الحديث ، قال إن الإنسان المادى يستطيع أن يمشى وأن يتحدث بسهولة وأن يرفع صوته بالصياح ، ولكنه إذا رقص أو غنى أو ألح بين الأصوات ليخرج موسيقى متناسقة ، أصبح فتانا والقواعد الفنية ليست قيودا على الفنان ولكنها الحرية الكاملة ، التي تساعد الفنان على إيصال فنه إلى الجماهير .

وتتابع الشعراء في إلقاء قصائدهم ، فلقى هزير أباطة قصيدته عن ( شوقى ) وإبراهيم المريق ( مندوب البحرين ) وهارون هاشم رشيد ( مندوب فلسطين ) ، وعبد الله العلوى ( مندوب اليمن ) وأقيمت قصيدة للشاعر محمود حماد معهم وكانت عن ( القمر المجرى ) الذى أصابه العاروخ .

## باب الفتاوى :

## فِي أَصَابِيرِ الْجَنَّةِ الْفَتَوَى

ابراهيم محمد الاصيل

يشرف عليه :

هذه الشبكة ، ولورثة الزوج استردادها  
كافي المهر .

حكم المهر والشبكة قبل العقد .

## السؤال :

حكم سن الزواج شرعا وقضاء .

## السؤال :

على أى نص من النصوص الشرعية  
اعتمد قانون الجمهورية العربية المتحدة  
زواج للبنت التي لم تلح سنها السادسة عشرة  
والصبي الذي لم يبلغ سنه الثمانية عشرة  
وما الحكم الذي يترتب على مخالفة هذا  
التشريع ، وهل هذا التشريع خاص بالجمهورية  
العربية المتحدة أم يسرى على جميع البلاد  
الإسلامية ؟

محمد الحضري - حضرموت

## الجواب :

صححة النكاح شرعا لا تنقيد بسن معينة  
للزوج أو الزوجة فيصح النكاح شرعا  
ويترتب عليه جميع آثاره الشرعية من مهر

خطب رجل فتاة ودفع لها مهرأ وشبكة،  
ثم توفي قبل أن يعقد العقد عليها ، ما الحكم  
في ما دفع للخطوبة وهل يرد كله أو بعضه ؟  
محمد علي شمس : بالفرنسية

## الجواب :

ما دام الحال كما ذكر ، من أنه لم يتم عقد  
الزواج على الفتاة المذكورة ، فلا حق لها في  
شيء من المهر ، ولورثة المتوفي الرجوع  
على هذه الخطوبة بما دفع لها من ذلك ،  
وكذلك لا حق لها في الشبكة ؛ لجرىان  
العرف على أن هذه الشبكة لم تدفع على أنها  
هدية بحتة ، وإنما دفعت لها على أساس أن  
يتم الزواج ، وما دام الزواج لم يتم بسبب  
موت الزوج قبل العقد ، فلا حق لها في



الزوجية قد انتهت - وإذا توفيت بعد ما يقرب من ستة أشهر من الطلقة الأولى هل يرث الزوج شرعاً في تركتها ؟  
مهندس حامد عبده معيط

### الجواب :

صينة العصمة تملكها الزوجة طلقة واحدة في أى وقت شئت دون أن تفيد تكرار التطليق ، وقد طلقت نفسها طلقة رجعية فزوجها مراجعتها ، وقد راجعها فلا فليس لها بعد ذلك تطليق نفسها ، وما صدر منها من الطلاق بعد ذلك لا اعتبار له ؛ لأنها لا تملكه وعلى هذا فقد ماتت وهي زوجة لزوجها وله ميراثها شرعاً .

تقل الدم وهل يبطل الزوجية والمصاهرة ؟

### السؤال :

أولاً : مرضت إحدى النساء وأدخلت المستشفى وأصبحت حالتها الصحية خطيرة جداً ، فاقترح الطبيب المالح حقنها بالدم مقطوع وزوجها بتقديم الدم لها ، ثم شفيت المريضة في هذه الحالة هل تبقى الزوجية قائمة بينهما أم تصبح الزوجة محرمة عليه ؟

ثانياً : امرأة حامل احتاجت إلى دم

وحل استئجاع ونفقة وطاعة . لكن إذا حصل خلاف بين الزوجين في شيء من ذلك وترافعا إلى المحكمة ، فإنها لا تسمع دعوى الزوجية إلا إذا كان للزوج قد بلغ سنه ثمانى عشرة سنة ؛ وكانت الزوجة قد بلغت ست عشرة سنة فإن الجمهورية العربية المتحدة لما رأت أن في الزواج قبل هذه السن ضرراً أرادت منع ذلك تجنباً للضرر الناتج من هذا الزواج ، ولم تعتمد إلى وضع ذلك مباشرة بل قصدت إلى منعه عن طريق تقرير عدم سماح الدعوى ، وبنت ذلك على القاعدة العقوبة التي تقرر أن القضاء يتخصص بالزمان والمكان والحادثة . فلولا الأمر أن يمنع القضاء من سماح الدعوى في بعض الحوادث ، وله أن يفيد سماحها بشروط يراها . وهذا القانون خاص بريايا الجمهورية العربية المتحدة .

عصمة المرأة بيدها ، وهل حكمها فيها

### حكم الرجل ؟

### السؤال :

تزوجت على أن تكون العصمة بيدها تطلق نفسها متى شئت وفي أى وقت شئت وطلقت نفسها طلقة رجعية فهل ، لزوجها أن يراجعها دون موافقتها ، وإذا تمكن من ردها يوثيقة فهل تكون هذه الوثيقة قانونية ، وإذا طلقت بعد ذلك مرتين فهل تكون العلاقة

## الجواب :

١ - هذه الاحتفالات لا تقرها الشريعة الإسلامية بحال لما فيها من المفاصد العظمى والمنافاة للفضيلة ولما يجب على المرأة من ستر جسمها ومواضع الرينة منها :

وما هذه الاحتفالات إلا تقليد سيء لما يجرى في البلاد الغربية التي لا تدين بالإسلام. وقد حرص الإسلام على صيانة المرأة من هذا التبذل وهذه المواقف المنكرة ، وفي الاشتراك فيها وتمضيدها إثم كبير .

٢ - إن مجرد الذهاب إلى المصايف دون أن يقترن به ما يخالف الآداب الشرعية لا جناح فيه ، وأما ما يأتي به أكثر الناس في هذه المصايف مما يفنى العلم به عن وصفه فهو منكراً أشد الإنكار شرعاً وعرفاً ولاخفاء في ذلك .

٣ - في البانصيب يدفع الناس أموالهم للجهة التي أصدرته على أمل الكسب ، وقليل ما يكسبون وكثيراً ما يخسرون ودفع المال على هذا الوجه غير جائز شرعاً وهو إحدى صور الميسر .

والمشروطات الخيرية يجب أن تقوم على الأساس المشروع وأن تكون بوازع نفس من الدين والرغبة في الخير ولا يحمل الناس على التبرع لما يما يوقعهم في الإثم .

فأعطاهما أحد الأشخاص كمية من دمه لإنقاذ حياتها ، ثم شفيت المرأة ووضعت بنتاً فهل يحمل لمعطى الدم الزواج بهذه المرأة أم لا ؟ وهل يجوز له الزواج بالבת عند بلوغها ؟ وهل يجوز زواج ابنه من بنت المرأة المذكورة ؟  
الحاج عبد الله داود الدركزلي

## الجواب :

الحق بالدم لا يمنع بقاء الزوجية المذكورة في السؤال الأول . ولا يوجب تهريم المصاهرة بين صاحب الدم أو ابنه وبين المحقونة به أو بنتها كما في السؤال الثاني .

رأى الشريعة الإسلامية في احتفالات ملكات جمال . والمصايف ، والبانصيب .

## السؤال :

١ - ما رأى الشريعة الإسلامية في احتفالات ملكات جمال التي تقام في أنحاء الدنيا ؟  
٢ - ما رأى الشريعة الإسلامية في المصايف وهل يوضعها الحالي يخالف الشريعة وما هو الإصلاح الذي تقترحه لتتلاءم مع الشريعة ؟

٣ - ما رأى الشريعة الإسلامية في البانصيب الذي تزاوله بعض الهيئات الخيرية والأفراد ؟

إبراهيم الطحاوي

## تشریح الأجسام في رأى الدين .

### السؤال :

ما هو حكم الله في أمر تشریح جثث الإنسان بغية التعليم الطبى لتخرج الأطباء ؟  
محمد سليمان غازى - حماة - سورية

### الجواب :

من مقدمات فن الطب بل من مقوماته تشریح الأجسام ، فلا يمكن الطبيب أن يقوم بطب الأجسام وعلاج الأمراض بأنواعها المختلفة إلا إذا أحاط خبراً بتشریح جسم الإنسان علماً وعملاً . وعرف أعضائه الداخلية وأجزاءه المكونة لنيته واتصالاتها ومواضعها وغير ذلك ، فهو من الأمور التي لا بد منها لمن يراول الطب حتى يقوم بما أوجب الله عليه من تطبيب المرضى وعلاج الأمراض . ولا يمتري في ذلك أحد ولا يقال قد كان فيما سلف طب ، ولم يكن هناك تشریح ؛ لأنه كان طباً بدائياً لعل ظاهراً . وكلامنا في الطب لثنى الأمراض والعلل ، والصوم تزايد ، والوسائل تنمو وتكثر .

وإذا كان التشریح كما ذكر ، كان واجباً بالأدلة التي أوجبت تعلم الطب وتعليمه ، ومباشرته واجبة على طائفة من الأمة ؛ فإن من القواعد الأصولية أن الشارع إذا أوجب شيئاً يتضمن ذلك إيجاب ما يتوقف عليه

ذلك الشيء . فإذا أوجب الصلاة كل ذلك إيجاباً للطهارة التي تتوقف الصلاة عليها . وإذا أوجب بما أو ماناً إليه من الأدلة على فريق من الأمة تعلم الطب وتعليمه ومباشرته ، فقد أوجب بذلك عليها تعلم التشریح وتعليمه ومنزاولته عملاً

هذا دليل جواز التشریح من حيث كونه علماً يدرس ، وعملاً يمارس ، بل دليل وجوب التخصص في مهنة الطب البشرى وعلاج الأمراض .

أما التشریح لأغراض أخرى كتشریح جثث القتل لمعرفة سبب الوفاة وتحقيق ظروفها وملابساتها ، والاستناد به على ثبوت الجناية على القاتل أو نفيها عن متهم ، فلا شبهة في جوازه أيضاً إذا توقف عليه الوصول إلى الفصل في أمر الجناية ؛ للأدلة الدالة على وجوب العدل في الأحكام حتى لا يظلم برىء ولا يجلت من العقاب مجرم أثم .  
حكم نقل أعضاء جسم ميت إلى حي :

### السؤال :

تلقينا من مستشارنا الثغافى في جاكرتا استفسار الدكتور هيث طيب العيون ، الذي يقوم بإعداد رسالة جامعية في طب العيون عن مشكلة طبية دينية ، هذه المشكلة كانت قد أثيرت في مؤتمر طبي عقد بالقاهرة ، وهي تتعلق بنقل أعضاء جثة الميت إلى جسم حي

الكريم بالحروف اللاتينية المعروفة ؟

عن الهيئة المركزية للرابطة العلوية

الرئيس الثاني

السيد أبو بكر بن محمد الحبشى العلو

وكيل الكاتب الاول

السيد عبد الله بن أبي بكر بن سالم الحبشى العلو

الجواب :

لا شك أن الحروف اللاتينية المعروفة عالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدي جميع ما تؤديه الحروف العربية ، فلو كتب القرآن الكريم بها على طريقة العظم العربي كما يفهم من الاستفتاء لوقع الإخلال والتحريف في لفظه ، وتبعهما تغير المعنى وفساده .

وقد قضت نصوص الشريعة بأن يسان القرآن الكريم من كل ما يعرضه للتبديل أو التحريف .

وأجمع علماء الإسلام سلفاً وخلفاً على أن كل تصرف في القرآن الكريم يؤدي إلى تحريف في لفظه ، أو تغير في معناه - ممنوع منعا باتاً ومحرم محرماً فاطعاً .

وقد ألزم الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية .

ومن هذا تبين أن كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة لا تجوز .

بقصد علاجه ، والذي يهيمه كطبيب عيون هو نقل جزء من عين الميت لاستخدامه في ترقيع القرنية ، فما حكم الشرع ؟

مستأرج . ع . م . في جاكرونا

الجواب :

يتأذى الميت مما يتأذى منه الحي ، فأخذ جزء منه يؤذييه وقد يتأذى أهله كذلك . وعدم إحصار الحي مثلاً وتعتل قعره ضرر يفوق ضرر الميت إذا قورن به ؛ لأنه إذا ترك جزء الميت للميت فإنه يبلى ولا يتنفع به أحد . وإذا نقل لغيره من الأحياء فإنه سيؤدي وظيفته ويتنفع به الحي وقد يتعدى قعره لغيره من الأحياء كذلك فيعود نقماً عاماً - ولا يقف دون هذا ضرر الميت بأخذ جزئه منه ؛ فإن الضرر الأخف يحتمل لدفع الضرر الأعظم ولا شك أن ضرر الحي أكثر فانتقل إليه أولى أن يسلك سبيله ويتبع ، على أن الإنسان اجتماعي لم يخلق لنفسه وإنما خلق له وللجتم . فإذا أمكن أن تبقى منفعة بعض أجزائه ولو لغيره بعد وفاته فلا مانع منه ، ولا يقف الدين في سبيل ذلك بشرط ألا يكون في ذلك مثله بالميت وأن يستأذن أهله في ذلك حتى لا يترتب على ذلك مفسدة .

كتابة القرآن الكريم بالحروف اللاتينية :

السؤال :

وما قول ساداتنا - أيهم اتفقوا كتابة القرآن

# بين الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق عبد الرحيم فوده

وفاء...

سأل عن قرابتها لينالهم بما كان ينالها به من المعروف ، فأتيتُ بأنها لم تترك أحدا .

وحياة أهل البادية مملوءة بالصنك حافلة بالشفاء ، فانظر إلى « حليلة » تهبط مكة تستعين بابنها على أثقال الحياة ، فيكلم لها خديجة فتمنعها بعيرا وأربعين شاة ، وانظر إليها تستأذن عليه مرة أخرى فإذا أدخلت عليه ورآها قال : أمي أمي اثم بسط رداءه فأجلسها عليه ، ثم أدخل يده من دون ثيابها فس صدرها مساً ، ثم قضى حاجتها .

ثم انظر إليه بعد أن عظم وارتفع شأنه ودانت له العرب كلها . وقد نصرده الله يوم « حنين » على هوازن ، فحزم الجند ، واحتوى المال ، وسبي الذرية والنساء ، وقسم الغنائم بين المسلمين ، وإنه بالجرانة (موضع) صباح يوم وإذا وفد من هوازن يقبل عليه مسلماً ، متبئاً بإسلام من وراءه من الناس ، وفي هذا الوفد عنه من الرضاة ، وإذا عنه يتحدث إليه فيقول : يا رسول الله ، إنما في هذه الحظائر من كان يكفلك من عماتك وغالاتك وحواضنك ، وقد حضناك في حجورنا ، وأرضعناك بشدينا ، لقد رأيتك

... ولست أعرف صبياً تأثر بحياة الصبا ، واحتفظ بمحادثه وذكرياته ، ما أقام في هذه الدنيا ، ووفى للذين بروا به وأحسنوا إليه كذا الصبي .

لم يكند يقدر على البر وإسداء المعروف وإظهار شكره للنعمة ، واعتزافه بالجميل حتى ضرب للناس في ذلك أدروع الأمثال وأبلغها تأثيراً في القلوب .

أرضعته أمة لآبي لب يقال لها « ثوية » ، أياما قبل أن تأخذه « حليلة » ، فلما علم ذلك من أمرها حفظ لها هذه النعمة ، وحرف لها هذا الجليل ، فلم يكند يقدر على شكرها والبر بها حتى جهد في ذلك ، وإذا هو يحمل زوجه خديجة على أن تسمى عند أبي لب في أن تشتري منه هذه الأمة لتعتقها ، فيأتي أبو لب ، فيتصل معروف الرضيع بأمه هذه ما أقام بمكة ، حتى إذا هاجر إلى المدينة لم ينس أمه ولم يهملها ، وإنما يرسل إليها الصلات والسكوة من حين إلى حين ، حتى إذا جاد من خير وقيل له إن ثوبة قد ماتت

والحمد، وتبينتها لقبول الإسلام والنصح  
للمسلمين في صدق وإخلاص .

قال محدثي : فم ! ولكن له وفاة آخر  
يملا القلوب رحمة ويمزقها لوعة وأسى ، لأنه  
وفاة المحب الصادق في الحب ، والمجازع عن  
النفع الذي لا يملك لمن يحب خيرا .

قلت : وكيف يجد العجز إلى هذا القلب  
العظيم سيلا . ؟ قال : إن الله قدراً مهما تعظم  
القلوب فلن تغيره أو تبدله .. لقد كان أشد  
الناس تعلقاً بأمه ووفاء لعمه : مربي قبر أمه  
عام الحديبية فاستأذن ربه في أن يزور القبر  
فأذن له ، فزاره وأصلحه ومكث عنده حيناً ،  
ثم استأذن ربه في أن يستغفر لأمه فأذن عليه  
فانصرف عن القبر باكياً كثيلاً . وبكى  
المسلمون لبكائه . واكتأب المسلمون  
لاكتأبه .

ودخل مكة عام الفتح ، ظافراً منتصراً  
وبينا هو في بعض مواضعها رأى أصل قبر  
فعطف عليه وأقام عنده ، واستأذن في  
الاستغفار لصاحب القبر فلم يؤذن له . فانصرف  
محزوناً كثيلاً . وبكى فبكى الناس . وما رأى  
الناس يوماً أكثر باكياً من ذلك اليوم واختلط  
أمر هذا القبر على الرواة . فظنوه قبر أمه  
وقبر أمه في « الأبواء » ومن يدري ؟ لعله  
قبر جده الشيخ .

وعرض الإسلام على عمه وأخ عليه .

مرضعاً فـا رأيتك مرضعاً خيراً منك ،  
ورأيتك فطماً فـا رأيت فطماً خيراً منك ،  
ثم رأيتك شاباً فـا رأيت شاباً خيراً منك ،  
وقد تكاملت فيك خلال الخير ، ونحن مع  
ذلك أصلك وعشيرتك ، فامنن علينا من الله  
صليكَ ، فيجيبه : لقد استأنيت بكم حق  
ظننت أنكم لا تدمون ، وقد قسمت السبي  
وجرت فيه السهمان (جمع سهم وهو النصيب)  
فـا كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ،  
وأسأل لكم الناس ، فإذا صليت بالناس  
الظهر فقولوا : نستشفع برسول الله إلى  
المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ، فإني  
سأقول لكم ، ما كان لي ولبنى عبد المطلب  
فهو لكم ، وسأطلب لكم إلى الناس .

فلما صلى الظهر قام الوفد ، فأتهم ما أمر به ،  
ووفى لهم بوعده ، وشفع لهم عند الناس  
فردت عليهم نساؤهم وأبنائهم لم يأت ذلك  
إلا نقر من الأعراب اشترى منهم ما كان  
في أيديهم من السبي ورد على أهله .

قلت محدثي : فإن هذا الوفاء بليغ التأثير  
في النفوس ، وأبلغ منه هذه ( الحيلة . ! )  
الطاهرة البريئة في استخلاص السبي من الذين  
ملكوه ، فيها وفاء ، وفيها رد للحرية على  
آلاف من الناس ، وفيها إقرار للأمن والسلام  
في قبيلة ضخمة قريبة من العرب ، وفيها  
تخليص القلوب من الضغينة والموجدة

الدعاية إذن ليست هي مصدر هذا الإقبال الشديد على أقراص تحديد النسل ، فإذا يكون السبب . ؟

إن الظاهرة الثانية التي صاحبت الإقبال الشديد على هذه الأقراص تشير إلى أن استجابة المدن كانت أبعد بكثير من استجابة سكان الريف ، وهذا يعني أمرين .

أولاً : أن الأقراص قد ضلّت طريقها إلى الفلاحين أصحاب المشكلة الحقيقية الذين تنقشر بينهم ظاهرة تعدد الزوجات وكثرة النسل ، وفشل الدعاية لتحديد النسل بين صفوف الفلاحين ليس بدعة فينا ، بل هي ظاهرة طبيعية جداً اعترفت بها أكثر بلاد العالم وخاصة الصين عندما شنت حملتها الكبرى لإقناع الشعب الصيني بأضرار الإسراف في النسل .

ولعل أطرف ما روى وقها عن عناد الفلاحين هذه القصة . فقد شكّا أحد المشرفين الحكوميين من أنه رأى ذات مرة مجموعة من الفلاحين ملتفين حول إحدى لوحات الدعاية التي ملأت كل مكان . وكانت اللوحة تمثل عائلتين . إحداهما تضم مجموعة ضخمة من الأطفال العراة الجماعين وأخرى تضم طفلين فقط . وقد ارتدى ملابس نظيفة وظهرا في أتم صحة .

وأسرع الموظف يندس بين جموعهم ليدير

وكاد الرجل أن يقبل لولا حجة الجاهلية فلما مات قال ابن أخيه لا استغفرون لك . فلامه القرآن في ذلك لوماً عنيفاً .

تبارك الله . ١٠ رجل يخرج الله به أمة كاملة من الظلمات إلى النور . ويفتح لها أبواب الخير على مصاريعها إلى آخر الدهر . ثم يأتي الله عليه أن يستغفر لأمه وحمه وأن يتخذ أهله الأقربين الذين أدوه إلى الناس وحموه حتى أدى الإمامة وبلغ الرسالة .

قلت لمحدثي : وماذا تسكر من ذلك وعدل الله محموم لا يقبل أخذاً ولا رداً ، ولا يجوز عليه المصانعة ولا المحاباة . ؟

من كتاب على هامش السيرة

المعكثور له صبي

**أقراص منع الحمل . . . لمن ؟**

اختفت أقراص منع الحمل . أو هي لا تكاد تطرح في السوق حتى تختفي ، وهذه ظاهرة تسترعى الانتباه وتثير الفلق معاً . ١

فليس من السهل التسليم بأن امتصاص السوق لهذه الأقراص واجع للدعاية التي أحيطت بها ، لأن هذه الدعاية اصطدمت من أول يوم بالتاحية الدينية .

والذين يضعون أصابعهم على نبض الرأي العام في بلادنا يطلون حتى العلم أننا شعب متدين متشبث إلى أبعد مدى بعقيدته ، ومن ثم لا مجال للزعم بأن فكرة تحديد النسل قد فزت رهوس ملايين المتدينين بهذه السرعة رغم تعارضها مع مبادئهم .

## التعليق...

لقد قيل - غير ما قاله الكاتب - إن أساس التفكير في اختراع هذه الأقراص يرجع إلى الإحساس بضرورة الحد من كثرة عدد القضاة في أوروبا إلى الرغبة في تحديد النسل، وهذا وحده يكفي في تصور مدى الخطر الدائم علينا وعلى أخلاقنا. إذا لم نبادر باتخاذ الوسائل التي تحمي مجتمعنا وأخلاقنا منه، والآن كما قال شوقي :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هو ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
وكما قال :

وليس بعامر بنيان قوم  
إذا أخلاقهم كانت حرابا  
مائة ألف صه بني نجيم :

لما استرأ الأمر لمعاوية دخل عليه الأحنف ابن قيس فقال له معاوية : والله يا أحنف ما أذكر يوم دفين ، إلا كانت حزارة في قلبي إلى يوم القيامة ، فقال الأحنف : والله يا معاوية إن القلوب التي أبغضناك بها لن ي صدورنا ، وإن السيوف التي قاتلناك بها لن ي أعماقها ، وإن نदन من الحرب فترا نदन منها شبرا ، وإن نمنش إليها نهول ، ثم قام وخرج ، وكانت أحت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامه ، فقالت لأخيها : من هذا يتهدد ويتوعد . قال : هذا الذي إذا غضب غضب لنفسه مائة ألف من بني تميم لا يدرون فيم غضب .

من كتاب هبة الإمام فيما يتعلق بأبي تمام .  
شرح وتعليق الأستاذ محمود مصطفى

المنافسة بينهم لصالح المشروع . فإذا به يفتاجا بأنهم وقفوا ليبدوا أسفهم على الزوجة التي لم تنجب غير طفلين ...

الأقراص إذن قد ضلت طريقها إلى من هم في حاجة إليها ، وانجحت إلى أوساط المتعلمين وسكان المدن .

ولكن إلى أي مدى ذهبت هذه الأقراص في ضلالها .. ؟ ومن هم المستفيدون من نتيجة تعاطي هذه الأقراص ؟ .

هل هم المتزوجون وحدهم ..

أخشى أن تكون الإجابة على هذا السؤال في ظل النظام الذي يجري فيه توزيع هذه الأقراص مستحيلة ، فليس ثمة ضمان واحد في نظام التوزيع الحالي لأن يقتصر تعاطي هذه الأقراص على المتزوجين فقط .

إذن . لا مفر والامر كذلك من الاعتراف بأن هذه الأقراص - وقد ضلت طريقها - تمضي في ضلالها بلا قيود ..

وهذا خطر داهم يجب أن تدق له الأجراس فنقد أثبت إحصاء آخر في أمريكا أن أكثر

من ٦٠ ٪ ممن يتعاطون أقراص الحمل من المراهقات ، وهي ظاهرة مفرقة لا أحسب أحدا من المتحمسين لتحديد النسل عن طريق إغراق السوق بالأقراص يستريح ضميره لتجاهلها إقتالا نريد أن نشيد بناءا اقتصادي على أتماض كياننا الاجتماعي ...

عبد السلام داود

من جريدة الأخبار





# مجلة الأنهر

## مجلة شهرية جامعية

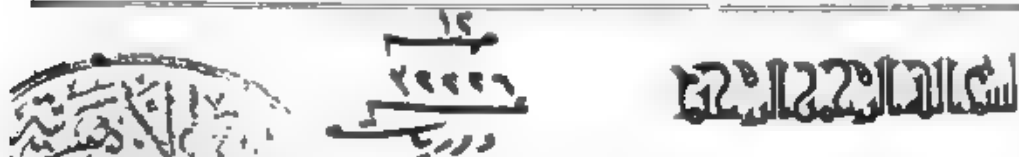
مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
المستشار  
إدارة إخراج الأهرام  
بالقاهرة

ت ١ ٤٦٤٤

تجديد عن شيخنا الأنهر في أول كل شهر عربي

يشارك في التحرير  
عبد العزيز محمد العقاد  
بذل الأشتر  
في المحرر العربي المتحدة  
فارس المبرور  
والمدقق والطابع محمد علي

الجزء الخامس — السنة الرابعة والثلاثون — رجب سنة ١٣٨٢ هـ - ديسمبر ١٩٦٢ م



## إلى العالم الإسلامي شعوبه وزعمائه

من صاحب الفضيلة  
الإمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت

هذا بيان للناس وهدى وموعظة للفتين . ( لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم  
أيها العرب ... رقاب بعض ) .

أيها المسلمون ... اذكروا أيها العرب والمسلمون : أن  
قوتكم في توحيدكم ، وأن عزتكم في جمعكم ،  
واذكروا تربص الأعداء بكم ، وتداعى الأمم  
عليكم : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب  
ريحكم » .

اذكروا أيها العرب والمسلمون ما أمركم  
الله به من كتابه ، وآراكم من آياته ، وأمركم به  
ثم أفضى بعد ذلك إلى ربه وهو يقول :

اذكروا نعمة الله عليكم ، حين بعث فيكم  
« محمداً » صلى الله عليه وسلم فألف به بين  
القلوب المتنافرة ، ووحّد به الصفوف  
المتقاطعة ، وجمع عليه كلة العرب بعد أن  
كانوا شقاً تتناوشهم رماح الفرقة والخطوب ،  
ثم أفضى بعد ذلك إلى ربه وهو يقول :

وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين  
تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات  
وأولئك لهم عذاب عظيم .

أيها العرب ...

أيها المسلمون ...

تقد يئس الاستعمار أن يبقى في بلادكم ،  
فأشعل نار العدواة والكراهية بينكم ،  
وبث بذور التفرقة والبغضاء بين صفوفكم ،  
فلا توالوا عدواة وعدوكم . وتعالوا إلى كلمة  
سواء بيننا وبينكم ...

ليكن بأسمكم على أعدائكم ، إن الاستعمار  
يجد في تفرق كلتكم والقضاء على وحدتكم  
وإتحادكم ، فلا تمكنوه من وقايتكم ،  
واحذروا ما يقوم به الآن بين صفوفكم ،  
ولا تتخذوا بطانة من دونكم .

قد بدت البغضاء من أفواههم . وما تخفي  
صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات إن  
كنتم تعقلون .

أيها العرب والمسلمون .

الله في دينكم .

أيها العرب والمسلمون .

الله في إخوانكم ووحدتكم ..

أيها العرب والمسلمون .

الله في بلادكم وأوطانكم ..

أيها العرب والمسلمون .

( البقية على الصفحة التالية )

بعد ذلة ، فاستمسكوا به يرضى ربكم عنكم .  
وأبلاؤكم في هذه المواطن أماً تستوجبوا  
الذي وعدكم به من رحمة ومغفرة . فإن  
الاختلاف والتنازع والتبطل من أمر العجز  
والضعف ، وهو مما لا يحب الله ولا يعطى  
عليه الظفر والنصر .

اذكروا أيها العرب والمسلمون .

أن المسلم أخو المسلم لا يسله ولا يظله  
ولا يخذله ، وأن المسلم على المسلم حرام كله :  
دمه ، وماله ، وعرضه . وأن المسلمين يدو واحدة  
يسعى بدمتهم أذنانهم ويد على من سوام .

اذكروا أيها العرب والمسلمون حرمة  
الدماء المراقبة على أرض اليمين ، وخشونة القتال  
الدائر في بقعة عزيزة من الوطن . فكفوا  
عن الشريد الطغاة . وقال تعالى : فقاتلوا التي  
تبني حتى تقي . إلى أمر الله ، فإن قامت فأصلحوا  
بينها بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين .

إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم  
واقفوا الله لعلكم ترحمون .

اذكروا أيها العرب والمسلمون أنكم بهذا  
التخادل تعرضون أوطانكم للضيعة ، وتقيمون  
عليكم الدليل والحجة ، وتظهرون للعالم أنكم  
غير جديرين بالسيادة والعزة .

« وتسكن منكم أمة يدهون إلى الخير ،  
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »

# أسباب الفصاحة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

اليونان والرومان أبناء المدنية والارتقاء ،  
على البرابرة ، الذين تدل وطائهم على  
جلاقتهم وتخلّفهم في مراتب العمران .

أما العربي فقد يسلّم للأمة بحضارتها  
وصناعاتها أو يسلّم لها بحكمتها وعلومها ،  
ولكنه يحتفظ لنفسه بمزية الإنصاح ويجعل  
« العجّة » صفة لكل من هداه ، وقد أصبح  
الإعراب عنده مرادفا للإبانة وحسن  
التفصيل والتوضيح ، من حيث تدلّ العجّة  
على تقيض ذلك في صفات اللسان .

وقد حضرت مناقشات كثيرة عن أصول  
القبائل والعشائر في السودان أثناء رحلي

من خصائص العرب أنهم معترفون بلغتهم  
بين لغات الأمم ولو كانت من الأمم التي  
يشهدون لها بالحكمة وجودة الصناعة ،  
كما شهدوا قديما للهند والصين .

وهذه خاصية عربية لا نظير لها بين الخواص  
القومية التي تميز بين الأقوام في تقديرها  
لأنفسها .

فكل أمة من أمم التاريخ المعروف تفخر  
بالقومية التي تنتمي إليها ، ولكنه غفر  
يرجع في أكثر أسبابه إلى العزة والمنعة  
أو إلى التمدن والتّذيب وما يقابلها من  
صفات الهمجية والجلافة ، وهكذا كان غر

## بقية نداء الإمام الأكبر

لكم آياته لعلكم تهتدون .  
« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين  
يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل  
السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور  
بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم . .  
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته  
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا  
بمحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة  
الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم  
فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا  
حفرة من النار فأتقوا الله ، كذلك يبين الله

لأن مسألة المخارج الصوتية مسألة  
« بيولوجية » ودلائل القلم فيها أو النقص  
مسألة حسية تحكم فيها الآذان ولا حاجة بها  
إلى تحكيم العقول والأذواق .

فإذا كان سر الفخر العربي باللسان أن  
فصاحة اللسان العربي حقيقة لا مرء فيها ،  
فقد يحق للسائل أن يعود فيسأل : وما هو  
سر هذا الاختصاص بالفصاحة في لغة  
الجزيرة العربية ؟ .

إن بعض الباحثين الأوروبيين يعلل ظهور  
حروف الحلق في اللغة العربية بدلة غريبة  
ولكنها تقال كما تقال جميع الأسباب المحتملة  
في مقام التعليل .

فهم يقولون إن العرب قوم رعاة إبل  
وشاء ، وأنهم تعودوا أن يسمعوا من  
أصواتها ما يشبه الحناء والعين والقفاف ،  
فأصبحت تسرى إلى ألسنتهم بعد أن وردت  
على أسماعهم وتعودوا النطق بالحروف التي  
أهملها غيرهم لأنه لا يتعلق بها ولا يسمعا .

قالوا : وربما تبسر لم النطق بها ولم  
يتبسر لغيرهم لأنهم أقاموا في الجزيرة العربية  
في جو معتدل لا يتعسر فيه قبح الأفواه  
بالنداء ، فاستخدموا الحلق في أداء الحروف  
لأنهم لا يخشون أن تتفتح حلوقهم للهواء البارد  
أيام الشتاء ، كما يخشى المتكلمون ذلك ولا سيما  
الصائحون بالكلام من أمم الأقاليم الباردة .

إليه ، فكانت العلامة الحاسمة على صحة  
انتساب العشرة إلى الأصول العربية أنها  
تشعر « بفخر اللسان » ومزية الإبانة بالقول ،  
ولم تكن هذه العلامة تخطئ مرة في كل عشر  
مرات ، إلا أن يرجع الأمر إلى اختلاط  
الأنساب مع وجود النسب العربي في النهاية ،  
صريحاً أو غير صريح .

ما سر هذه الخاصة النادرة التي لا نعرف  
لها نظيراً بين خواص الأمم بهذا التحديد  
في مسألة اللغة دون سواها ، أو قبل سواها ؟  
سرهما في الحقيقة أن اللغة العربية أفصح  
لغات العالم بغير مرء .

ولاختفاء بمعنى الفصاحة اللغوية بين الناس ،  
فلأنما اللغة الفصيحة هي اللغة التي تم فيها جهاز  
النطق الإنساني فلم تهمل أداة من أدواته ،  
وهي التي امتنع فيها القلب بين حروف  
اللفظ ومخارج الصوت فلم يلتبس فيها حرفان  
في مخرج واحد ولم يلتبس فيها مخرجان  
في حرف واحد ، بل جاء كل حرف من  
حروفها فصيحا من مخرجه الذي يؤديه على  
ملتبس بسائر الحروف ، ولو كانت مقاربة له  
في الأداء .

هذا هو معنى الفصاحة الذي قصدنا إليه  
غير مرة فيما نثبته من مزايا اللغة العربية  
المقروءة ، ولا محل فيه للجدل ولا للاتهام  
بدعوى المناظرة والمفاخرة بين الشعوب ،

النطق بين حرفين في مخرج واحد ولا بين مخرجين في حرف واحد ، وقد يكون ذلك أدل على الفصاحة من زيادة عدد الحروف في الأبجدية العربية .

والذي نرجحه أن الفصاحة العربية قد تعزى إلى أسباب كثيرة غير تلك الأسباب المحدودة أو الفرعية .

وأول أسبابها — على ما نعتقد — أن تطور اللغة العربية قد تم بالمشاركة بين كثير من القبائل التي تسكنها وتنطق بلهجاتها ، وقد تم بين العرب وهم منعزلون في جزيرتهم عن الأمم الأجنبية .

وقد وجدت في الجزيرة البريطانية لهجات متعددة وقبائل شتى على طول الزمن ، ولكنها كانت لهجات واردة على الجزيرة مع لغات الأمم المغيرة عليها ، فلم تكن لغة واحدة تتطور وتنبى مزية التطور في نطاقها ، ولكنها كانت لهجات شتى من لغات شتى ، فلم تخلص مزايا التطور فيها على قاعدة واحدة . ومن أهم الأسباب التي عملت في استقرار مزايا التطور أن الكتابة تأخرت زمناً طويلاً عن الخطابة بين قبائل جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها ، ولو تقدمت الكتابة بضعة قرون بين القبائل لاستقرت في اللغة تلك اللهجات المعيبة التي تسلم بها أبناء القبائل زمناً طويلاً قبل أن تغلب عليها

ومهما يبلغ من شأن هذه العلل في تفسير الخاصة العربية فليس في وسع أحد أن يزعم لها أنها تفسيرات جامعة مانعة لتلك الخاصة ، فضاية ما يدعيه لها المدعون أنها تفسيرات محدودة فرعية لا يستغنى الباحث بعدها عن أسباب أخرى أحق منها وأهم وأوفى .

فالرعاة — رعاة الإبل والشاة — قد أقاموا في بلاد كثيرة غير البلاد العربية . والأقاليم المعتدلة غير جزيرة العرب كثيرة في أقطار العالم .

والبلاد الباردة لا يتمتع فيها فتح الخلق طوال العام ، وتكفي فيها شهور الربيع والصيف والحريف لتعود النطق بالحروف الخلقية ثم اتباع هذه العادة في سائر الشهور . وحروف الخلق لا تنحصر في الخاء والعين والقاف التي تسمع أحياناً في أصوات الإبل والشاة . واللغة العربية تتميز بحروف أخرى غير حروف الخلق لا توجد في معظم اللغات ، ومنها حروف الصاد والطاء والغين .

فهناك إذن أسباب اتقام لحروف العربية غير الاشتغال برعى الإبل والشاة وغير الإقامة في الأقاليم المعتدلة .

وإذا صلحت هذه الأسباب لتفسير تمام الحروف فهي لا تصلح لتفسير المزية الأخرى من مزايا الفصاحة ، وهي تقسيم الحروف ومخارج النطق بحيث لا يلتبس

والهضاب ، حذراً من هوائى الحيوان  
والإنسان ومن خلال الطريق بين الأهوية  
والأنواء ، فاكثبوا مزية السمع المرهف  
وما يصح من مزية التفرقة بين الأصوات  
بل بين الهمسات والأصدا ، وتلك مزية  
لا محل فيها لدعوى المكابرة بالفخار الكاذب  
لأنها مزية حسية يكتسبها الحيوان كما يكتسبها  
الإنسان ، وليس أقدر على السماع المرهف  
من حيوان الصحراء .

فهذه الحاسة المرهفة هي التي عودت السامع  
العربى أن يميز بين درجات الصوت المتقارب  
في الزاى والذال والظاء والجيم المعطشة ،  
وهي التي عودته أن يميز بينها في السين والصاد  
والثاء والشين ، وهي ولا شك تلك الحاسة  
التي يعرفها الموسيقيون وينسبون إليها وجود  
ربع المقام في الأنغام العربية حيث يحتجى  
من أنغام الموسيقى الأوربية ، ولا حاجة  
باللغة في سبيل التطور والتصفيه إلى حاسة  
أوفى بهذا الغرض من حسن النطق وحسن  
الاستماع . .

• • •

وكل أولئك من الأسباب العلمية الطبيعية  
التي تعنى المتفرجين بيننا من مؤنة هذ الكتفين  
إذا سمعوا يوماً أن لغتهم العربية  
أفصح اللغات .

عباس محمود المصطفى

لمجات التصفيه والتهديب التي واقتت شيوخ  
الكتابة بعد ذلك ، فلم يثبت من الكلام  
المنطوق غير ما حسن تدوينه بالكلام  
المكتوب

ومما أعان على تصفيه اللغة العربية أنها  
استقلت بمزايا اللغات السامية كلها في عزلتها  
بعد أن تفرقت الشعوب السامية من  
الكلدانيين والآراميين والعبرانيين ،  
والأشباش حيث اختلطت في الأقطار  
الآسيوية والإفريقية المتباعدة ، فظلت  
على حالة النقص التي توقفت بها عن التطور  
المستقل بمجارات غيرها من لغات الأمم التي  
أحاطت بها وأثرت فيها .

فالتطور في اللغة العربية سلسلة لم تنقطع ولم  
تتفرق في جهات متشعبة لا تلتقى بعد افتراقها ،  
فخلصت لها مزايا التطور قبل انفصالها عن  
آخراتها السامية وبعد انفصالها عنها .

ولا نهمل الأسباب الجغرافية التي كان لها  
أثر في اختصاص العرب بمزايا النطق الفصح  
ومزايا التفسيق والتوفيق بين المخارج  
والحروف .

فمن تلك الأسباب ما أفاد اللغة من جانب  
حسن الاستماع كما استفادت من جانب حسن  
النطق وحسن الأداء .

فقد عاش العرب في الصحراء أحوج  
ما يكونون إلى السمع الدقيق بين الأودية

# المثالية في نظر الإسلام

للأستاذ محمد محمد المدني

قول : لا إله إلا الله ، وكأن هذا المفسر يريد أن يقول : ( إن لا إله إلا الله ) هي الحقيقة الكبرى التي لا تعلوها حقيقة ، وهي التي يجب أن تكون المرجع والمقياس الذي يقاس به كل شيء ليُعرف ، فما كان متمشياً معها ، ملائماً لها من الأفعال والأحوال فهو حق وخير ونجى سوى ، وما كان منافراً لها ، غير متسق معها فهو باطل وشر والتواء عن الصراط المستقيم . وهذا معنى صحيح ، ولكنه إجمال يحتاج إلى تفصيل .

وعندى أن المثل الذي ذكر في هذه الآية مرتين ، هو ما يحتذى ويقاس عليه <sup>(١)</sup> ، وهو نوعان متقابلان :

أحدهما المثل السيئ ، وهو عبارة جامعة لكل معنى من معاني الشر والفساد ، كأنه قالب لكل ما هو سوء ، فحق يقاس عليه شيء من الأشياء وطبع به لم يأت إلا خيالا وخساراً وضلالاً وفساداً ، وقد عبر عنه بعبارة فيها تركيب إضافي ، فقيل : مثل السوء ، لأنه : مقياسه وقالبه فكان : السوء .

(١) انظر التعليق على هذا في باب النبأ واره .

من معاني المثل والمثل في اللغة ما جعل مثالا أي مقداراً لغيره يحتذى عليه .

وبعبارة أخرى هو في الماديات : القالب الذي يقدر عليه مثله .

ويقال : هذا الرجل مثال أو مثل يحتذى أي أسوة وقدوة .

وقد اعتاد الناس في عصرنا الحاضر أن يفسبوا إليه فيقولوا : المثالية ، يريد التزام أمثل الأشياء وأفضلها وأشرفها ويقابلون به : الواقعية ، أي : التزام الواقع والرضا به كيفما كان .

ولذلك يقولون : فلان مثالي ، أي يرسم في قوله وفعله المثل العليا ، أي الصور الأنفصل ، و فلان واقعي أي : من خلقه مجادة الواقع دون أن يعبا بما عسى أن يكون فيه مما يفسز أو يعاب .

• • •

وفي القرآن الكريم :

« للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء »  
« وفيه المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم »  
قال بعض العلماء في تفسير : المثل الأعلى :

الذي أثبت في هذه الآية لله عز وجل : هو

يشق اللحد فيميل به إلى جانب الحفرة لا إلى وسطها وسواها .

وقد وصف القرآن الكريم رب العزة بأن له الأسماء الحسنى ، ومعنى ذلك أنه تعالى هو المبدأ الأكل ، والمثل الأعلى في كل ما هو سمو وفضل وجلال وجمال ، وأن كل ما في الكون من ذلك صادر عنه وقس منه . وقد قرب هذا المعنى حيث يقول : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار ، نور على نور ، يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » .

فالسموات والأرض تعبیر عن الكون كله ، علويه وسفليه ، وما خلق الله من شيء . والله نورها ، والنور هو روح كل موجود وسره ، فلو تصورنا موجودا مظلما لا نور له لما كان في المعنى إلا صورة مساوية للعدم . وقد أثبت العلم أن كل موجود لا بد له من النور على نحو من الانحاء ، وأن انقطاع النور انقطاعا تاما عن الموجود إنما هو مرحلة نهايته وفنائه ، وهذا المعنى قد أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في بعض دعائه الذي توجه به إلى ربه ، حيث يقول : ( أعوذ بنور

الذي هو جماع كل شر وفساد وضلال شيء له قالب يطبع عليه ، ويمثل به . ونسبته إلى « الذين لا يؤمنون بالآخرة » سببا أن هؤلاء هم الذين لا يرجون ثوابا ، ولا يخشون حسابا ولا عقابا ، فهم لذلك يستبشرون كل إثم ، وكل شر ، وكل ضلال أما الذين يؤمنون بالآخرة فن شأنهم أن يتسمر ما ينجم من حسابها وعذابها ويدخلهم في رحمة الله ورضوانه .

وفي القرآن الكريم : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

والنوع الثاني من المثل هو « المثل الأعلى » الذي يقاس عليه فعل الخير والصلاح وكل ما هو رشاد واستقامة ، وذلك هو الفضائل والصفات الحيدة والأعمال الصالحة ، فكل ذلك مرجعه ومقياسه وتقديره هو الله ، لأن الله تعالى هو مجمع المثل العليا - إذا جاز لنا أن نصبر بهذا التعبير - وهذا شبيه بقوله عز وجل في موضع آخر : « والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون في أسمائهم » .

ففي هذه الآية مقابلة بين « الأسماء الحسنى » التي أثبتها الله لنفسه جل وعلا ، والأسماء التي يلحد فيها الملحدون ، أي يميلون في شأنها عن النهج القويم ، والوسط السوي ، كمن



التأمل فيها ، ويعرف أخلاقه تعالى  
أوصافه بها ، وترسم ما توحى به من المثل  
العليا في أبوابها ومواطنها ؛ من شأنه أن  
يعرفنا بالفضيلة والكمال وكل ما هو محمود  
وخير وجمال .

ذلك هو ، المثل الأعلى ، الذي أنبت فيه  
جل جلاله ، وتلك هي ، الأسماء الحسنى ؛ :  
كلاهما يوجه إلى الرجوع إلى الله تعالى  
وترسم مقاييسه ومناهج حكمه وتشريعـه ،  
وصفات علوه وكأله .

• • •

و ، المثالية ، في نظر الإسلام ليست  
هي الوصول الفعلي إلى هذه المثل ، حتى لو أن  
إنسانا قصر عنها خطوة ، أو حاد عنها قيد  
شمرة ؛ لما كان في نظر الإسلام « مثاليا » .  
كلا ، ولكن الله تعالى إنما يكلفنا بأن  
نهتمها ونتمسقها ونجملها نصب أعيننا ،  
نهدف إليها بقدر استطاعتنا ، ونذود  
في فلكها غير نادين عنها عناداً واستكباراً  
ورفضاً وتخلصا .

إن الله تعالى فطر بني آدم على نوع معين  
من الفرائز والطباع والوظائف الجسمية  
والعقلية ، ومن شأن هذا النوع أن يجرم  
إلى ارتكاب ما يعد خطأ أو انحرافاً  
أو ذنباً ، ولم يشأ جل جلاله أن يخلفهم  
على النوع الذي خلق عليه الملائكة الذين  
( لا يعصون الله ما أمروهم ويفعلون ما يؤمرون ) .

وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، واصلح  
عليه أمر الدنيا والآخرة أن تنزل في غضبك ،  
أو تحمل على سخطك ) .

وقد وصفت الآية الكريمة هذا النور  
بوصف تمثيل مداره على إثبات قوته وصفائه ،  
وتكامله وتتمام بهامه ، فبلغت من ذلك الغاية ،  
وقربت الأمر أعظم قريب .

وقد جاء القرآن الكريم بكثير من أسماء  
الله الحسنى التي اشتهر أنها تسعة وتسعون  
استناداً إلى ما روى في الصحيحين وغيرهما  
من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
( إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً -  
من أحصاها دخل الجنة ) .

وذلك مثل : الرحمن ، الرحيم ، الصبور ،  
الشكور ، الملك ، القدوس ، الباري ،  
المصور ، القدير ، العظيم ، الخليم ، الغفور ،  
الودود ، الخيد ، النجيد ، الوهاب ، الباسط ،  
القابض ، الرقيب ، الحسيب ، وغير ذلك .

والمؤمن البصير بربه ، يتعلق بأسمائه  
ويتعشقها ، ويرسمها ، ويجعل منها مثله  
ومقاييس أفعاله وأخلاقه ، ويرى فيها سلواه  
وهداه ، ويستمد منها قوة في حياته ،  
تيسر له الصواب ، وتتهون عليه الشدائد ،  
وتدفعه إلى القيام بما أقامه الله فيه دون  
تبرم أو ضعف .

وذكر الله تعالى بهذه الأسماء عن طريق

هذه هي نظرة الإسلام إلى «المثالية» ولو أنه نظر إليها نظرة تشديد ، وألزم بها الناس على معنى أنه أوجب عليهم تحقيقها كاملة غير منقوصة ، لما استطاعوا أن يحققوها ، ولكانوا كلهم خارجين عن أمر الله ، مستحقين لعقابه . ولو أنه تعالى خلق الناس جميعا على طبيعة الملائكة ، فلم يعص في الأرض ولا في السماء ؛ لما تحقق وحد «الفسو» ، ولا وصف «الغفور» ، تحقيقا عمليا .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن «المثالية» التي يقرها الإسلام ، إنما هي الانجاء إلى مثل الفضيلة والخير والحق والجمال ، وتعشق ذلك كله ، وأن تهوى إليه أفئدة الناس مؤمنين به ، مصدقين «بالحسن» ، أي بأن لهم مثلا عمليا يحجب عليهم أن يعملوا على احتذائها ولا يكونوا كالذين يكذبون «بالحسن» ، ويعتقدون أن كل شيء في الحياة مباح ومستباح ، وهم الإباحيون الانحلاليون الذين لا يؤمنون بالآخرة ، والذين لهم ( مثل السوء ) كما يقول القرآن الكريم .

وبذلك يكون للمثالية نظر إلى الواقعية ويكون للواقعية نظر إلى المثالية . أو بعبارة أخرى . يكون الإسلام واقيا في مثاليته ، ومثاليا في واقعيته .

محمد محمد المدني

عميد كلية الشريعة

ولهذا لا نستطيع أن نقول : إن الله تعالى يتظر من عباده أن يكونوا طائعين طاعة تامة ، متجنزين لا قراوب أي لائم ، بعيدين عن ملابسة أي نواح من أنواع الشرور والمفاسد . لا نستطيع أن نقول ذلك ، لأن الله تعالى هو الذي خلقهم وغرس فيهم طبائعهم وملكاتهم ، وركب فيهم الشهوات والرغبات والحاجات ، فلا يمكن أن يتطلب منهم جمابا الملائكة وقد خلقهم بشرا .

ولذلك نجد القرآن الكريم يرسم للمثالية خطوطا فيها رحمة بالإنسان .

فهو يقول : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ويقول مع ذلك : فاقبوا الله ما استطعتم ، ويقول أيضا : وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، ثم يصف هؤلاء المتقين بأوصاف تدل على اتجامهم إلى فعل الخيرات ، واجتناب الإصرار على المعاصي إذا وقصوا فيها ، فيقول : والذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الفيط ، والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين إذا فصلوا فاحشة أو طلبوا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم . ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين .

## من معاني القرآن

وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله ،  
وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ،  
(قرآن كريم)

والطوية ، قلباً بزيادة تؤخذ بالباطل ، ودون  
عمل مقابل وهو لذلك ضرر وشر ، والزكاة  
زيادة تعطى للمستحقين من الأغنياء والموسرين  
وهي لذلك بر وخير ، الربا زيادة يأخذها  
الغنى من الفقير أو المحتاج ، والزكاة زيادة  
يدفعها الغنى للفقير أو المحتاج ، وبين الأمرين  
من الفوارق ما بين الرذيلة والفضيحة ، والباطل  
والحق ، والحديث والطيب ، والحرام والحلال ،  
وفي ضوء هذا التوجيه الإلهي ندين معالم  
الاعتقاد الموجه ، كما يريد الإسلام ؛  
فالل مال يجب أن يوجه إلى طريق الخير والبر .  
فلا ينمى بالاستغلال الآثم الظالم كما هو الشأن  
في مسلك اليهود ونظام الائمان الذي ابتدعوه  
وأشاعوه ، وعاشوا عليه . كما يقول الله :  
« وأكلهم الربا وقد نهوا عنه . » وإنما ينمى  
بما شرع الله من وجوه السعى النافع والنشاط  
الشريف ، وبما ينفق منه في وجوه الخير  
والبر ومصلحة الناس واجتماع كما هو الشأن  
في النظام الذي جاء به الإسلام وأشار إليه  
قول الله سبحانه : « ولأنأكلوا أموالكم يفسدكم  
الباطل وتدلوا بها إلى الأحكام لتأكلوا فربما  
من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون . »

عبد الرحمن فودة

الربا كلة تطلق على الزيادة والنماء وعلى المال  
الزائد ، يقال ربا المال يربو بمعنى نمى وزاد .  
ومضعف الشيء مثله ، ويقال أضعف فلان  
إذا صار ذا أضعاف . بفتح الهمزة - كما يسر  
بمعنى صار ذا يسر .

والزكاة تطلق على معنى الزيادة والنماء ،  
والطهارة ، والصالح . وصفوة الشيء ، وهي  
بالمعنى الشرعي حصّة من المال ونحوه يوجب  
الشرح بذلك للفقراء ونحوهم بشروط خاصة .  
المعنى

ما أعطيتم من مال تلتزمون بإعطائه أن  
يزيد وينمو في أموال الناس لقاء انتفاعهم به  
أو حاجتهم إليه ، فهو لا يزيد عند الله ،  
ولا يبارك الله لكم فيه ، وما أعطيتم من مال  
تريدون بذلك إرضاء الله وامثال أمره . فهو  
ينمى أموالكم ويصاعفها ، ويجزل الله لكم  
الأجر والثواب عليه ، والذين يبذلون بعض  
ما يملكون من المال على هذا الوجه الذي  
يرضاه الله هم دون غيرهم أصحاب اليسر والبركة  
والنماء . يحق الله الربا ويربى الصدقات .

والتأمل في هذه الآية الكريمة يجد مقابلة  
بين أمرين كلاهما بمعنى الزيادة . وهما الربا  
مع قصد الاستغلال وزيادة المال ، والزكاة  
مع الإخلاص لله في النية ، وسلامة القلب ،

# الأزهر والتطور

للأستاذ محمود الشرقاوى

- ٢ -

تفاقتنا الإسلامية عندما نعود بها إلى عصور السيادة والأصالة : عصورها الأولى .

ولست أريد أن أطيل في رسم هذا المنهج لأنى أجد كلمات قليلة لإمام من أئمة الشريعة الإسلامية ، هو أبو حنيفة ، تحدد هذا المنهج أصدق تحديد وأعظمه دقة وشجاعة ، يقول أبو حنيفة : « إن ما كان من عند الله ورسوله قبلناه على العين والرأس ، وما كان من عند غيرهما فهم ناس ونحن ناس » .

ولا أزيد على كلمة أبو حنيفة هذه سوى أن « ما كان من عند الله ورسوله » من الأوامر الصريحة والتكليف المطلوبة قبلناه كما يقبله المؤمنون على العين والرأس . ولنا في غير ذلك أن نفهم وأن نقارن وأن نجتهد . فقد أصبح من نافذة الحديث أن نقول إن باب الاجتهاد لم يقفل . وأصبح من المكابرة الصرامة القول بعير ذلك .

٧ — وما يجب أن يدخل فيه الفكر الدينى ، الذى يمثله الأزهر المتطور ، القصد والاعتدال فى الأحكام الجازمة فى الشريعة ، ونأهيك بالاتهام والتكفير ، ونحن نحفظ

٦ — « خرجنا من نظم الحكم وحدود التفكير العثماني والمملوكي ومن سطوة الحياة فيهما ، فكان من الختم أن يخرج من هذه النظم وهذه الحدود التفكير الدينى ورجاله وأهله » .

« كذا قلنا في مقالنا السابق من هذه الجملة (١) »  
قال أين يدخل الفكر الدينى - الذى يمثله الأزهر المتطور - بعد خروجه الختمى من نظم الحكم العثماني والمملوكي وحدوده فى التفكير ... ؟

أول ما يجب أن يدخل فيه الفكر الدينى - الذى يمثله الأزهر المتطور - هو : « المنهج الحر » فى البحث وفى التفكير وفى الأداء . وبعض المجددين المفتونين بالثقافة الأوروبية يسمونه المنهج « الأوربي » أو « الغربى » لأن سمات هذا التفكير القائم على الشجاعة والشك والتفكير قدمت لنا فى هذا العصر من الغرب . ولكن هذه السمات نفسها ، وخصائص هذا التفكير نفسه نجدها فى

(١) ص : ٢٧٧ من عدد جادى الآخرة سنة ١٣٨٧ و رجب سنة ١٣٩٢ .

وليجعلوا — قبل ذلك — رائدهم وإمامهم  
نهي النبي الكريم أميره (بريدة) « أن يزل  
عدوه إذا حاصره على حكم الله . وقوله ،  
عليه السلام في ذلك : فإنك لا تدري أتصيب  
حكم الله فيهم أم لا ، ولكن أنزلهم على  
حكمك وحكم أصحابك » ، وبذلك نهى  
رسول الله أميره ، والعلاء من بعده ،  
أن يسمي حكمه واجتهاده « حكم الله » .

وأما وأنا أكتب هذا المقال حديث  
تحدث به شيخ معاصر كبير يقول فيه : إن  
إعطاء المرأة حق الانتخاب ( حرام ) وكان  
ذلك قبل سنة ١٩٥٢ ، ونحن الآن لم نعط  
المرأة حق الانتخاب فقط ، بل أعطيناها  
— بعلم رجال الفكر الديني وإقرارهم —  
حق التمثيل النيابي وحق الاشتراك في الحكم ،  
الوزارة ، وديما عن قريب حق تولية القضاء .  
وليس شيء من ذلك خارجا على ( عموم  
الشريعة ) وإن يكن خارجا عن رأى ( بعض  
العلاء ) فيها .

ولو أن شيخنا الذي أفتى بأن إعطاء حق  
الانتخاب للمرأة « حرام » ، جنح إلى الله «  
والحيطة ولم يهزم بكلمة ( التحريم ) لجنب  
نفسه وجنب الشريعة نفسها هذا الحرج الكبير  
الذي لا موجب له ولا مبرر .

٨ — « هذا الموقف من بعض رجال  
الفكر الديني والماضي — أو من أكثرهم —

قول النبي الكريم : « الدين يسر لا عسر ،  
وما شاذ الدين أحد إلا غلبه » ، ونعرف  
أن النبي عليه السلام ، كما وصفته عائشة ،  
ماخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما .

وفي هذا القصد وهذه الحيطة نجد التابعي  
الجليل « ابن وهب » يقول راويا عن الإمام  
مالك : « سمعت مالكا يقول : لم يكن من أمر  
الناس ولا من مضي من سلفنا ولا أدركت  
أحدا أقننى به يقول في شيء « هذا حلال  
وهذا حرام » ، وإنما كانوا يقولون نكروه  
كذا ونرى هذا حسنا ، فينبى هذا  
ولا يرى هذا (١) » .

وفي ذلك أيضاً يقول ابن القيم إن الأئمة  
تورعوا عن إطلاق لفظ التحريم على كثير  
من الأشياء واختاروا لها وصف الكراهة ،  
تهدأ وورعاً وحيطة .

ليحصل الذين يبادرون إلى التحليل  
والتحريم نصب أعينهم كلمة عظيمة زاجرة  
تألفها مالك ( في بعض ما كان يزل به فيسأل  
حنه فيجتهد فيه ) رأيه (٢) « فقد كان مالك  
يقول : « إن نظن إلا ظننا ، وما نحن  
بمستيقنين » (٣) .

(١) ص : ٣٩ « من إمام للوفيين » الجزء ١  
« محمد بن عبد الله بن عبد الحميد » .

(٢) ، (٣) ص : ٤٤ من : « إمام للوفيين » ( الجزء  
١ — العلية سابقة الذكر ) .

في الحرية التشريعية في رسالة ابن المقفع المعروفة برسالة الصحابة ، فقد ذكر فيها ما يفهم منه أن الحرية الشخصية في الفقه الإسلامي كانت في ذلك العهد مطلقة حتى وجدها في نظيره قد انتهت إلى فوضى ، فهو يقول إن القضاء «مترك لرأى القاضي واجتهاده حتى تصدر عن ذلك أحكام متناقضة حتى في البلدة الواحدة ، فتمسحت دماء وفروج وأموال في ناحية من نواحي الكوفة ونحوم في ناحية أخرى ، تبعاً لحكم القاضي»<sup>(١)</sup> ثم يذكر ابن المقفع أصحاب الرأي وأصحاب الأثر من القضاة وأن بعض هؤلاء يفضي بما شاء ، ثم إذا قيل له : إن مثل هذا الأمر لم يرق فيه دم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أئمة الهدى من بعده قال : فعل ذلك عبد الملك بن مروان وأمير من بعض أولئك الأمراء<sup>(٢)</sup> وأن بعض هؤلاء يزعم أنه من أهل الرأي ، فيقول في الأمر الجسيم قولاً لا يوافق عليه أحد ، ثم لا يستوحش لانفراده بذلك وإمضائه الحكم عليه ، وهو مقر أنه رأى منه<sup>(٣)</sup> .

وقد أكون أطلت في هذه الناحية الخاصة التي أريدها أن تكون أثراً من آثاره تطور

هو الذي جعل الثورة الكالية في تركيا قبل أربعين سنة تتسم القدسية العظيمة التي كانت لم فيها ، وتجترى ، مع ذلك ، على الشريعة نفسها فتعمل بها ما علنا من المحر والتحدى أو الإيابة في بلاد ( الخلافة الإسلامية ) نفسها . وهذا الموقف نفسه هو الذي جعل مصلحاً عظيماً ، هو الشيخ المراغي<sup>(١)</sup> ، يعلو صوته بهذه النصيحة قبل خمس وثلاثين سنة فيقول : ( ... وكما حصل في الأمة المصرية نفسها إذ تركت الفقه الإسلامي لأنها وجدته ، بحالته التي أوصله إليها العلماء ، غير ملائم . ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من جازى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة وراعى الضرورات والمخرج ، لما تركته إلى غيره . لأنه يرتكز إلى الدين الذي هو عزيز عليها ... ) . وهذا بحث قد وفيناه في بعض كتبنا .

٩ - وعلى النقيض من ذلك نجد الأمر في عصر من أزهى عصور الفكر الإسلامي وأزهر أيام الحضارة الإسلامية ، نجد فيها الشكوى من الإفلاق في الحرية لا من تقيدها والمحر عليها ، وكان الأجدر أن يكون العكس هو الواقع .

نجد مظهراً من مظاهر هذا الإفراط

(١) (٢) رسالة الصحابة لأن المقفع

(٣) ص ٩٥ - من كتابنا - تفويم الفكر الديني - البيان العربي .

(١) مدكره الشيخ المراغي الإسلامية للمهدورة التي صمدنا إلى ذلك مؤاد سنة ١٩٢٨ .

في الشريعة وفي علوم عصرهم أيضا . حتى في أشد عصور الفكر الإسلامي ظلة وتختلفا نجد عالما مثل الشيخ حسن الجبرتي - والد الشيخ عبد الرحمن المؤرخ الكبير - في القرن الثامن عشر يقبح في قبه الحنفية ورتق علوم الطب والهندسة والحساب ويرى موازين الناس قد ، فنى فيها الغش ، كما يقول ولده - فيقومها لهم . ولكن هذه السكليات الجديدة التي أنشئت أو تنشأ في الأزهر لابد أن تبقى عليه طابعه وخصائصه وميزاته .

١٠ - والأزهر ، قبل تطويره وبمعد تطويره ، له رسالة نحو اللغة العربية وتجديد دراستها على منهج جديد . وهذه الملاح التي وصفناها في مقالنا هذا وسابقه ، عن دراسة الشريعة ، نجد أسبابها لها في دراسة اللغة العربية ، فقد جددت وفسدت عندما جمحت وفسدت الحياة الفكرية والسياسية للأمة العربية كلها . فكانت دراسة الآفة ، مثل دراسة الفقه والشريعة ، قائمة على التلقين والتلقي والمتابعة والجمود والتقليد والتعقيد ، وبقيت على هذا الحال حتى عصر قريب : نرى الشيخ ناصيف اليازجي ، مثلا ، يؤلف في منتصف القرن التاسع عشر ، في لبنان ، كتابه : « مجمع البحرين » ، على نسق « مقامات الحريري » ، ونرى أمير الشعراء شوقي يؤلف بعد ذلك كتابه : « أسواق الذهب »

الأزهر : فاحية القصد والاعتدال في الحكم وفاحية التيسير في الحرية ، على أساس من الدليل والفهم للشريعة وروح العصر معا ، قد أكون أطلت في ذلك ، عن قصد ؛ لأنني أعتقد أن الأزهر مهما أضيفت له أو أُنشئت فيه من كليات مدنية ، فسيبقى هو الأمين على شريعة الإسلام في العالم كله ، على الشرائط التي ذكرناها وتذكرها وعلى المستوى الذي نريده وندعو إليه . واعتقد أن هذا أيضا هو ما يريده المشترون لتطوير الأزهر في حديث وزير الأوقاف وشئون الأزهر الذي يقول : « جامعة الأزهر أن تكون صورة من الجامعات الأخرى » ، وليس للأزهر من خصيصة تفرده عن الجامعات الأخرى إلا أنه الأمين المهيمن على شريعة الإسلام ، وسيبقى بهذه المثابة على الدوام مادام كفوا لها وقادراً عليها .

لا بأس أن تنشأ في الأزهر وفي غيره كلية أو كليات للطب والهندسة والزراعة وغيرها . فاعلم ، الذي قال النبي عليه السلام إنه « فريضة على كل مسلم ومسلمة » ليس هو علم الدين والشريعة وحدهما ، بل كل علم من علوم الحياة ، وقد كان ابن رشد وابن سينا والغزالي وغيرهم علماء من كبار الأئمة

(١) حديث السيد الدكتور محمد البهي ، جريدة الجمهورية في ١١ أكتوبر ١٩٦٢ .

ويتعمقها ، وهي ، في مجلتها ، تهدف إلى زيادة فهم للحياة العقيدية والسياسية والاجتماعية التي تحيط بجماعة المسلمين في العالم المعاصر بخاصة ، والتي تحيط بالفائد والأديان ووصفها القائم في العالم المعاصر ، وفي المستقبل القريب ، بعامة . ولنضرب أمثلة على ذلك : عند جماعة المسلمين في العالم المعاصر جملة من « المشاكل » أو « المسائل » التي تؤثر تأثيراً كبيراً عليهم جميعاً وعلى مستقبلهم كأصحاب عقيدة بأمرهم دينهم بالمساندة والموازرة . وهما نتيجة للفهم والمعرفة . من ذلك مثلاً وضع « باكستان » القائم ومستقبلها والحال التي يعيشها المسلمون فيها ، وأهلها كلهم مسلمون ، هذه الجماعة الإسلامية الكبيرة يجب على رجل الفكر الديني الذي يريد أن يشارك مشاركة فاعلة في خدمة جماعة المسلمين أن يدرس أوضاعها ومشاكلها واحتمالات مستقبلها القريب ، حتى يشارك في معونتها .

البقية في العدد القادم

محمد الشرفاوي

على نسق كتابي : « أطواق الذهب » للرخشري و « أطباق الذهب » للأصفهاني . والتقليد من الأخير واضح ، حتى في التسمية . وكما ترى في « ليالى سطوح » لحافظ إبراهيم « وحديث حمى ابن هشام » للويلى . وهذه الكتب وأشباهاها بما ألف في تصور الظلام قائمة على المحاكاة والمحسنة وأدب اللفظ والصياغة . والتفصح والتصويب وإبراز القدرة اللفظية والتزييق .

وقد وجدت وأنا ألقى دروسى في كلية اللغة العربية قبل سنين أن هذه « المدرسة » لا يزال لها رجالها ونفوذها ومتابعوها وهذا الذى نريده من « الفكر الديني » الذى يمثله الأزهر المتطور ، نريده أيضاً في دراسة اللغة والأدب من كلية الدراسات العربية الجديدة في الأزهر .

١١ - وهناك ألوان من الثقافة ليست تعليمية ولا جامعية - ويمكن أن تكون كذلك - ولكن رجل الفكر الديني ، الذى يمثله الأزهر المتطور ، يجب أن يعرفها وأن يحيط بها ، بل يجب أن يدرسها

قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوماً : يا أبت ، إنك تنام نوم القاتلة ، وذو الحاجة على بابك غير نائم : فقال له : يا بني ، إن نفسى مطيق ، فإن حملت عليها في التعب حشرتها .



## فن الصورة في أدب المازني

### للدكتورة نعام أحمد رفود

وفضل المازني في الصورة يظهر إذا رجعنا خطوات وراجعنا إطار الصورة في الأدب العربي . كان هذا الإطار يأخذ شكل المقامة أو الرسالة أو القصيدة . وكانت الصورة داخل هذا الإطار تؤدي على اختلاف ، في ظل الصناعة اللغوية ، فتخرج مثقلة بالمحسنات ، والسجع خاصة ، وتجمعت أشكالها حتى أخذت شكل القوالب .

وجاء في بشائر عصر النهضة جيل حاول التجديد كالمويلحي وحديث عيسى بن هشام فشمنا ربح التجديد في الموضوع ، ولكنه لم يتخلص من ( القوالب ) بصفة نهائية فحدثه شبه مقامة في بحره و ( القفلات ) و ( الخطابية ) .

وهنا يظهر عمل الرواد من حيث الشكل والمضمون . وتفصيل هذا كثيرة ولها امتدادات تخرج بنا عن الموضوع . يكفي أن نقول إن الإطار والصورة ، على أيدي

الرواد ، تجددت حتى وصلا إلى المفهوم الحديث لهما . فكانت القصة والمسرحية عند توفيق الحكيم ، والمقالة والقصة عند المازني ، والمقال والقصيدة عند الأستاذين : العقاد وشكري .. هذا على سبيل المثال لا الحصر .

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني في طليعة كتاب المقالة في أدبنا الحديث إن لم يكن كاتبها الأول ، وهو يقف في هذه الطليعة بين كتاب القصة أيضا ، فالصورة عنده لها مجالات متعددة غنية وسامة . وفي هذه المجالات تستمد الصورة من ملكاته الخاصة وقدراته الفنية . تستمد من طبيعته المتفككة الساهرة ، تستمد من قراءاته الأصيلة المترعة ، فقد كان رواد الأدب وثيق الصلة بالأعمال الأدبية الكبيرة في الأدب الغربي إلى جانب خلائعهم في الأدب العربي . من هذه الينابيع كلها تستمد الصورة في أدب المازني ، فتروح بالملاحظة النافذة والتفاصيل الممتعة ، والفكاهة العذبة ، والسخرية الصاحكة .. ويمد المازني لهذا كله بمبالغاته المستمرة . والتجسيم فن طبع في يده ، يطارف به ويروق ، فتغدو الصور كاريكاتورية تبلغ بالدعابة ما لا تبلغه صور أخرى بالجد والتقنين .

والصورة عند المازني فن يستوى . وكلنا نذكر مقدمته لكتابه ( صندوق الدنيا ) الذي يشبه به أدبه ، والحقيقة أن قراءه معه كأطفال الصندوق الذين رسم لهم المازني صورة ملونة استوقفت الكثيرين .

صورة الولد وصورة البنت - أعنى بنوة الولد وبنوة البنت .

صورة المرأة وهذه لها معرض من الصور في كتبه كلها : متكلمة ، وصامتة .

إذا صح أنها تطبق الصمت في رأى الرجل على الأقل - ومتدلة وزوجة وصديقة .. أما وبنتا ... إلخ .

وأخيراً صورة نفسه التي استغرقت كتابين من كتبه ، ولعل كاتباً لم يصف نفسه وصفاً دقيقاً مقنعاً محيطاً كما فعل المازنى . لأنه لم يدع أدنى شيء يتصل بها أو حمل آتته إلا تناوله بقلبه ، وأمله كان يعرف هذا فقد كتب في وصف إبراهيم الكاتب وهو يعنى نفسه ( وكان يرص العبارة فوق الأخرى ويكفلها جميعاً بشخصيته ) - لتحس أن ألفاظه ملأى بمعانيه هو ، ومثقلة بغواليه هو ، وأنه لاسيلاً لك إلى رأى أو إحساس قياوراء هذا الكوم المكس من الآراء والإحساسات وأن عليك أن تتبلع بلا تردد ولا مضغ ) . إبراهيم الكاتب ص ٢٢٩ / ٣٠٠ .

وكتاب المازنى ( من النافذة ) يكشف عن مادة الصورة عنده ، فهذا الكتاب مجموعة صور التقطتها عين المازنى وكونتها من مجموعة أشياء ذكر بنفسه منها : ( ثيابهم ومبلغ عنايتهم بها وما يراه عندهم من ضروبها وحركاتهم ومشياتهم وطريقتهم في الكلام

وليس معنى هذا أن المقال والتقصيدة بل والمرحلية كانت غير معروفة قبلهم ولكنها كلها بالصورة الحديثة لها أو الصورة المتكاملة المفهوم والشكل إنما ولدت على أيديهم ... أيدي الزميل الأول وأحد أعلامه الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى .

وقد صور المازنى بيته ومعاملة أهله له طفلاً وبافماً ، كما صور ملاعب طفولته ورفاق حداته ومعابد هواه . صور هذا كله وصفاً دقيقاً بارعاً في حصاد الحشيم ، ود قبض الزيج ، و صندوق الدنيا ، ودع الماشى ، وبمجموع وصفه يعد تاريخاً مصوراً للجيل الماضى ، والبيت المصرى القديم ، والمجتمع المصرى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . فأدبه التصويرى من هذه الناحية لون من الأدب الموضوعى . ومن صور المازنى البارزة وأستطيع أن أقول الخالدة :

- صورة «حياة» (مقدمة كتابه فى الطريق) .
- « صندوق الدنيا » .
- « البيت المصرى (بيت الطبقة الوسطى فى عصره) .
- صورة المدرسة القديمة مدرستها ونظاراتها .
- « ( ابن البلد ) .
- « ( الخاوى ) .
- « أو لوحة الأبوة والأمومة .

حشد من التفاصيل كما ترى لا يخطئ\*  
حرفين من خيط ... لا يخطئ\* من إيهام  
القدم ولون الظفر ..

ويخدم فيما يخدم ، الاسم . فيسمى أحد  
الأشخاص عبد المنعم ، ولو من باب إطلاق  
اللفظ على صده كما يقول ..

وصورته تمتد إلى التحليل النفسى في رسم

الشخصية من نظرات العيون أو المشية  
أو وجوه السلوك . وأغلى قسيت الوجه

عنده ( العين ) كل القيمة فيها أو كل قوة  
النفس كما يقول تتدفق من العين . وهنا كانت

العين أداة التنويم المغناطيسى . . . حق

الابتسامة سرها فى العين وفى هذا يقول :

( نعم يسمنى أن أفتح فى وأوسع حنكى

ولكن عيني .. كيف أقرأها على الاتباع

الذى لا يكون الابتسام ابتساما إلا به ) .

وأحيانا تتركز الشخصية على ( الكفين )

كما فعل مع « عبد المنعم » فى كتابه

« مع النافذة » .

والمازنى مثل الجاحظ فى قصص الخواج

النفسية حتى ما خفى منها ، وتفسير الحركات

والسكبات على هديها فأدبه من هذه الناحية

أدب إنسان له شأن ..

وأحيانا يرسم المازنى خلفية للصورة

Background فإذا رسم صورة لإنسان

مكيوت النشأة ناقص الأهلية ، رسم صورة

جاننية لأمه وأبيه بل محبيه أيضا .

وشماتلهم وسكونهم أو ضجروهم إذا أبطل  
عليهم الترام أو حال الزحام بينهم وبين ركوبه ) .

ونستطيع أن نضيف له مما يعنى به من

أوصافهم ، قسبان وجسومهم وأشكال

أجسامهم ثم تدخل الصورة عناصر أخرى

منها خياله واستطراده الذى قد يحسبه البعض

من حواشى الموضوع ولكنه كثيراً

ما يكون تشويقاً يشد المشاهد إلى الصورة

ولا يحول بينه وبينها ...

ثم سريره وفكاهته وتجسيمه وأخيراً

سره ... روحه الخاص .

وفى أثناء تخطيط الصورة يخدم لها

تفاصيل كثيرة يعطيها أحيانا من الأهمية

ما يعيش على رسم الشخصية المرسومة فيركز تارة

على الثياب ويعتق معناها بما ظاهره الاستطراد

وهو مقصود لتعمق خطوط الصورة .

وثيابها أيضا تقيسه ناعمة ، وكأنها الغلالة

الرفيقة التى تلبس تحت الثياب ، وهى قطعتان

كذلك : صدر أبيض قصير الكمين ، وفوق

موضع القلب منه ، أو أصلاً قليلاً ، حرفان

يرمزبان إلى اسمها بخطوط حمراء ، واثانية

حجول أزرق هفهاف يخفف مع الريح ،

والخذاء سيور بيض وزرق ، وإيهام القدم

بارز والظفر أحمر . أما الشعر ففتتان

مسترسل وقد لفت عليه دون أن تغطيه

متديلاً أذاته كطرف الحمامة ... إلخ ) .

لا يطابق حتى لكأنك تلتق في حضرة البابا) .

أحاديث المازني ص ١٢٠ .

وتحت العنوان البسيط يصف القط فيأخذ في حديث السياسة فالقط حذر متردد (ولو كان الانجليز قد خفقوا قبل القطط وسبقوها إلى الدنيا والحياة لقلت أن القطط أخذت ذلك عنهم وقلدهم فيه فإنهم مثلاً يقدمون على الشيء متحريين ويخطون خطوة ثم يقومون ينظرون ما يكون فإذا جرت الأمور على غير ما يحبون أو يتوقعون ارتدوا بخفة وبسرعة وإلا تقلوا رجلاً أخرى وهكذا فيظهر أنهم هم الذين يفلدون القطط ويحماكونهم في هذا والله أعلم) .

وللبازني صور بعيدة أو غريبة منها تلك التي رسمها للمصا ولا تفل وما فضل المعاصلي غيرها من سائر الجملادات فإن المازني يقول : (العصى معروضة في دكان ، أو على أيدي بائعي الطوافين بها ، أو تحت آباطهم لا يبدلون أكثر من أعواد من خشب منجور ومدهون مصقول ولكنها في أيدي متخذها أو حاملها أو المتوكئين عليها تدب فيها الحياة ، وتكتسب شخصية ، وتقلب أشبه بالعنوان أو الشارة أو الزاية .

ثم يمتضي في التحليل ومن غريب وصفه لها قوله : (والعصا كاللحية تكون أليق في سن منها في سن أخرى . وكذلك ألوانها وزينتها أو عطلها وحجمها) .

والعناوين عند المازني بسيطة مشوقة .

والبساطة نفسها ومن كاتب قبة ، تشويق . . على أنه وراء هذه العناوين البسيطة يتسلل إلى معان ليست بسيطة . فالمازني تحت هذه العناوين البسيطة يبتث الصور ما يشاء من أفكار وسخرية تتناول الأشياء . . تتناول ما تواضعنا عليه بسيطاً وغير بسيط . فصورة القط مثلاً أو قل صورة القط منها هذه اللفظة له يصيد قاراً ( ويخالبه في لجة الطرى فيدرك الفأر اليأس ويستسلم ويضول في سره وهو يؤكل عسى الله أن يعوضني يوم الثبور داراً أخرى لا قطط فيها . . ويلفظ أنفاسه الأخيرة وهو يحلم بحنة الفيران) .

وصورة أخرى لقط لا تخلو من سخرية (ومن غرور القطط أنه لا يستأس أبداً - يسكن بيتك ويأكل طعامك برضاك أو على الرغم منك ومع ذلك لا يكون معك إلا على حرف تمسح له شعره فيثنى أرجله تحته وروخي جفنيه ويروح يزوم أو يقرأ ، كما يقول العوام فكأنك تستلم حجراً مقدساً من فرط ما يكون من انصراف هذا الحيوان المتكبر عنك ، وتدغدغه فلا يعني بأن ينظر إليك ليرى من أنت - أغرب أم صاحبه الذي يعلمه ويؤويه - بل ينحن عليك بأظافر يده ويقمه في آن معا . وتقدم له اللقمة فينظر إليها شزراً ويعرض عنها محتقراً ويحول رأسه عنك بكبر دونه كل كبر وترفع

خفيف دقيق لا أثقل أرضا ولا أسد قضا ،  
ولا فى الجلد فإن جلدى شفى رقيق كثياب  
النساء فى الصيف ، فهو لا يحجب شيئا مما  
فى جوفى ، ولا يحوج الأطباء إلى الأشعة  
ليروا بها ما تحت . وكل إنسان يستطيع أن  
يرى قلبى . حق من فوق الثياب . ولكنى  
كالفيل فى شئ . واحد هو كرمه لوطاويط  
ص ٣٥) . فوصف الجلد هنا صورة كاريكاتورية  
أو يصف ابتسامته عرضة فيقول إنها  
( وصلت فـه بأذنيه ا ) .

والمازنى مولع بالمبالغة من غلبة الروح  
الفنى عليه . والمبالغة فى التصوير تودى عنده  
إلى المبالغة فى التعبير . وعلى هذه المبالغة  
بنوعها تقوم سحرته ففى كعبة الكاريكاتير  
الذى يبحث عن الشيء الظاهر ويمضى به إلى  
أقصاء فى نفس اتجاهه الطبيعى من غير أن  
يبدل شكله . والتجسيم عند المازنى فن  
مبالغة كما هى الحال فى فن الكاريكاتير وإن لم  
تكن المبالغة غاية وإنما هى وسيلة إلى  
ما يريد التعبير عنه

ووصف المازنى ليته يكف عن أسلوبه  
فى المبالغة والسحرية وطواعية السخرية فى  
يده حتى تفقد « مفاجأة قنية » .

( كانت بوابته كبوابة المتولى كبيرة هائلة  
تقطعها المسامير العنخمة التى تعدل رأس الواحد  
منها رأس طفل وكان له رتاج غليظ يدخل  
فى جدار عظيم السمك ، أما المدخل مما إلى البوابة

هنا تعتمد الصورة على الهيئة وعنصر خارجى  
هو حامل العصا .

وأحيانا يدخل الحوار والحديث فى رسم  
الصورة عند المازنى وقد اتبع هذا الأسلوب  
فى رسم صورة ( أمه ) فخرجت الصورة لأم  
فى نحتها الأعلى رءوما حاذقة كيسة بقطعة هادئة  
الأعصاب جليلة متفائلة راجعة الشخصية  
ذات أسر تكتفى بالنظرة الأولى إذا أمكن  
أن تستغنى عن الكلمة ويوثق صلتنا بالصورة  
فى اللسة الأخيرة حين يقول ( وانى لجليد  
فى العادة ولكن موتها هدنى فقد كانت لى أما  
وأبا ، وأخا ، وصديقا ) .

وعلى ذكر الحوار نقول إن المازنى فى رسم  
الصورة يعتمد على العامية فى رسم الصورة كما فى  
كتابه « يبدو وشركاه » و « مع الماشى » .  
ويستخدم المازنى للصورة مواهب أسلوبه  
وقدراته من تفصيل فى التصوير والتعبير فى  
بساطة وواقعية وشعبية أيضا مع بصر  
بالأوصاف المتنوعة وفهم كامل للترادف  
والتضاد وفكاهة وسخرية ومبالغة .

والمبالغة والتجسيم عند المازنى عنصر من  
عناصر فكاهته تعتمد عليه فى ناحيته كما تركز  
فى ناحية أخرى على مدد من طبيعة الروح  
المصرى وجهه الفطرى للدعابة والتندر .

هذه إحدى صورته لنفسه فى كتابه « فى  
الطريق » : ( أنا كالفيل - لافى الجسم فى

كأسلوبها متفككة ساخرة ضاحكة لأنها تستمد عناصرها من تفسين مستخفيتين بالحياة من طول ممارستها لها ، والنقد لما رأيا فيها والعطف مع هذا على الناس ، ومن ثم نزعا في تقديم مزج السخرية حازفين عن الصرامة والجد حتى لا يخفى حبها ، وإن اختلفت سخرية المازني عن سخرية الجاحظ بقدر ما بين البيتين والعصرين والثقافتين من خلاف ولكن السخرية عندهما بامة وبالتالي « الصورة » قائمة على الملاحظة المنتخبة ، فهما يلاحظان كل شيء أو معظم ما تقع عليه أعينهما ويتخبان منه ما يصلح مدارا للسخرية وعنصرا للصورة .

وصور المازني ترفدها بتأنيب أصيلة للصورة الجيدة منها غزارة الشعور وقوة الخيلة ، قتلك الصور التي رسمها لطفولته وحباء في ( صندوق الدنيا ) و ( خيوط العنكبوت ) مليئة بالاحاسيس والمشاهد وهي تنبض بالحياة وال عاطفة والحرارة وشعور الفنان .

وأحيانا يركز المازني على الزوايا لتؤكد الصورة الأصلية فصورة ( الحاوي ) ترى الأطفال المذعورين في وصف المازني لهم عناصر جانبية لإبراز صورة الحاوي وتعميق خطوطها .

( كنا نلعب وإذا بالساحر بيننا ، ولم يقل أحد أنه هو ولا كنا رأيناه من قبل ، ولكن

فطريق ملتو يتعطف بئمة ويسرة ، وفيه غاي وصكان متصل بها دهايز خفية ، والمرء لا يستطيع في النهار أن يصر كفه من شدة الظلمة وكنا نضع مصباحا ولكنه لم يكن يضيء شيئا ، بل كان كل ماله من النفع هو أن يربنا شدة السواد ، ويزيده وقعا في النفوس . وفي الصحن الواسع شجرة جبر عتيقة كثيفة النصوص تسد النوافذ وتمنع الفسيم أن يروح من نفوسنا في الصيف . وكنا نعرف أن الجو جميل والهواء عليل من خضرة ثمة الأوراق ومن مصالحة الهواء لوجوهنا ، وقد يكون اليوم حارا والهواء في الغرف راكدا ونحن نكاد نمحرق ، ثم نسمع صوت الأوراق فيلتفت بعضنا إلى بعض ونبتسم ونشهد ونقول ( الله لقد رقى الهواء وطاب الجو ، ونمسخ هرقنا مع ذلك . ) خيوط العنكبوت ص ٤٦ - ٤٧ .

فهذه الصورة أو الجزء من الصورة يظهر فيه سبلر الباب كراس طفل ، والمصباح بلغ من ضآلته بل من لاشيئته أنه يزيد شدة السواد وقعا في النفوس .

وفيها الإنسان الذي يمسح عرقه وهو يقول الله لقد رقى الهواء وطاب الجو ! .

إنه الإنسان يخدع نفسه فيتمثل ما يحب وإن كان واقعه خلاف ما يزرعه .

ومرة أخرى أعود إلى المقارنة بين المازني والجاحظ في الطابع العام للصورة . فصورهما

سخرته المعروفة التي ترى البلغة العتيقة يزداد  
لونها على الأيام - لا شعوباً كبنى آدم بل  
قوة وعنفاً وامتلاءً فيقلب صفارها احمراراً  
وكثير ما تحول سخرية المازني « الصورة »

إلى نقد اجتماعي وتكسبها قبا إنسانية وأنا  
هنا أتمثل صورة (سلطان الرجل ممثلاً  
في أيه الذي يجعله فيها مركز الثقل أو نقطة  
الانطلاق بقاءً فيقلب السكون ضجة أو تشتت  
حركة الصورة في سرعة وجلبة حين ( يعتمد  
كل إنسان أن يسمعه صوته ويثبت له أنه  
يتحرك في خدمته ) ... وعندى أن اللمة  
الفنية في هذه الصورة قول المازني ( كل من  
في البيت يخدمه حق أي ، بل حق أمه هو )  
في هذه العبارة شحنة من الرأي والنقد  
والمرارة والسخرية .

وكما صور المازني ، الأشخاص ، صور  
الطبيعة . ومن أجمل صوره في هذا الباب ،  
صورة عصفور ود المازني لو كانه وإن حكى  
أن ( شوشو ) هي التي ودت ( لو أنها كانت  
عصفوراً يذهب إلى حيث يشاء ويحلق  
في الجوزاء ، ويسبح في الفضاء ، ويصر  
وهو تاشر جناحيه كل ما بين الأرض والسماء  
عصفوراً ينحدر على شعاع من نور الشمس  
أو خيط من ضوء القمر - عصفوراً يرفع  
منقاره وهو طائر ويتلقى في فمه الدقيق قطرة  
من المطر - عصفوراً يحط على أعلى فن في

حينه الحادتين الفائرتين دلتانا عليه ، ولحيته  
الكثة المائجة وشث به ، والخيزرانة التي  
في يمينه تحت عنقه ، وكلن في ما هذا ذلك كسائر  
خلق الله ، على قدميه - وهما أول ما رأينا  
ونحن مشيون ننظر إلى البيات المتصادمة -  
« بنفة » عتيقة كانت في أيام جدتها صفراء ،  
ثم ازداد لونها على الأيام لا شعوباً - كما هو  
حالتنا نحن بني آدم - بل قوة وعنفاً وامتلاءً ،  
أو انقلت حمراء ثم أخذت حوافها  
ولا سيما حيث تحف بالأصابع - تسود وفوق  
ذلك سافلت طاريتان عليهما غابة كثيفة من  
الشعر ، وفيها بلى الركبتين خيوط وهلاهل  
من نسج قيص أذرق باهت مشدود إلى  
وسطه بحزام من الليف فوقه حب متفتخ  
لم نشك - ونحن ننظر إليه - أن فيه غلاماً  
محبواً ، فارتفعنا بعيوننا عنه بسرعة فلفيتنا  
عينه بنظرة سمسرتنا حيث كنا فتراخت  
أصابعنا قفلك « البلى » من بين أصابعنا  
إلى الأرض ولم يعد بيننا واحداً ريج  
وآخر خسر .

خيوط المنكبوت ص ٣٥ .

ووصف المازني له ظلال يمددها على  
الحياة والناس في صورة الساحر أو الحاوي  
التي ختم فيها الألوان تخديماً بارعا ترى « البلغة »  
وحدها ( صورة ) . تغير اللون فيها وتطوراته  
وحوافها ولا سيما حيث تحف بالأصابع . .  
وهنا يسلط المازني على الصورة ، كالشعاع

فشق على التقليدين . ولكن صور المازنى - ويدخل في باب الصور عندى قصصه ، - هذه الصور التى طوع لها اللفظ لتؤدى دقاتها وترسم فى سهولة أبعادها وأعماقها ، هذه الصور لها شخصية واضحة فى الأدب المصرى الحديث أثرت فى جيل القصاصين بعده كمبد الحيد جوده السحار ونجيب محفوظ وأضرابهما .

ومازنى المصور فى كل إنتاجه إنما يعبر عن روح عصره ، ويصور ساخر أحيانا ، وجادا حيناً آخر ، البيئة التى عاش فيها وانفعاله بها . فإنتاجه القصصى ومقالاته وفكاهاته ما هى إلا صورة لمصر ومن مصر التى قوى إحساسه بها فعبّر عنها وأحسن التعبير .

لقد كتب كثيرون من معاصريه وصوروا وبعض هذا الذى كتبوه يلتقى معه فى العنوان أو زاوية من الروايات ، وقد أغفلت عائدة المقارنة حتى لا يتشعب البحث ويطل الخلاف فى الرأى والتفضيل ، كما تعمدت ألا أتناول بالبحث الدور الذى لعبته ثقافته الانجليزية فى اتجاهات أدبية مؤثرة لدراسة الموضوعية ؛ لأن المقام لا يحتمل الإطالة أو مناقشة التفاصيل . إننا نكرم رجلا ، فى أدبه الغنى الإنسانى ، الكثير عما ينهض بهضه بتأهيل صاحبه لإعزاز الأدب وتكريم الأدياء .

نعمات أحمد قنوا

أسبق شجرة ، أو يهوى إلى الأرض ويخطو بين أغصان البرسيم فتعجبه ويضع بيضه الصغير فى حيث يروقه أن يؤلف عشه ، ويمد متفاده إلى الماء حيث يجده ويمص قطره ويتلفت - مصفورا لا يغير ثيابه ولا يبدل أفراف ريشه ولا يكون فى رأى العين مع ذلك إلا جيلا ) .

وبعد أن رسم المازنى هذه الصورة النابضة المناسبة الخطوط السريعة الحركة الكثيرة الفتات وجاء دور اللسة الأخيرة بثأ عاجلة نفسه تأكيذا لشخصية الفنان ، عاجلة تنسرب هادئة إلى الصورة فتعطىها قيمة وتعدها فى الاستمرار .

يقول المازنى بعد أن فرغ من رسم المصفور ( الذى لا يغير ثيابه ومع هذا يبدو جيلا ) .

آه لأنه روح الكون ولا شك فى العصفير والسحب سابعة نجوب الآفاق - وفى الأزاهر والأشجار التى لا تكون إلا عطرة ، ولا تبدو إلا حالية موقفة ولا يورها قلق ولا يساورها اضطراب . ( إبراهيم الكائب )

• • •

كل المازنى ، سام صور وهو من هذه الناحية صاحب مدرسة . إن أدب المازنى المصور له شخصيا وله مدرسة وإن سلم أسلوبه التعبيرى على التقليد لعق أصالته



## منهج القرآن في تربية الفرد للأستاذ خليل البرقوق

أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ،  
وبهذا المبدأ القويم استطاع القرآن الكريم ،  
أن يستل من النفوس عوامل القلق ،  
ورواسب الخوف ، المنبئة من اختلاف  
اللون والجنس ، وأن يستميلها إلى دعوته .  
ولم يهمل القرآن مبدأ الفروق الفردية  
بين البشر ، بل أولاه عناية خاصة ، فقرر  
في أكثر من موضع أن الناس متفاوتون  
في قدرتهم على التفكير والعمل ، ولذلك  
لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وأن  
الظروف المحيطة بالإنسان قد تؤثر في قدرته ،  
فتحدد منها أو تزيد ، فللسافر حكم ، وللقيم  
حكم ، وكذلك الصحيح والمريض ، والسليم  
والأعرج ، والأعمى والمبصر ، ليس على  
الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ،  
ولا على المريض حرج ... ، وبمراعاة هذه  
الفروق عالج القرآن الكثير من العقد النفسية ،  
التي يسببها الشعور بالنقص أو الضعف .

ولقد أشبع القرآن في النفوس حاجة كل  
منها إلى العبادة والتأليه ، والخضوع للقوة  
القاهرة المسيطرة على عناصر هذا الكون ،  
ولكنه حرر الأفراد من كل سلطان ،  
سوى سلطان الله جل شأنه ، ونمى شخصياتهم

سلك القرآن الكريم في تربية أبنائه منجها  
عليها دقيقا ، تقوم دعائمه على معرفة تامة  
بأغوار النفس البشرية ، واستعداداتها  
الفطرية ، وقدراتها الخاصة ، فلم يترك وسيلة  
من الوسائل تؤدي إلى استغلال الطاقات  
الكامنة في نفوس البشر ، وتسخيرها فيما  
يعود على الجماعة بالخير إلا طرقتها ، من أجل  
تكوين مجتمع مثالي ، يعمر العالم .

والدروس للقرآن الكريم يرى لأول  
وهلة أنه يلتزم في خطته التربوية ، الحقائق  
العلمية التي كشفت عنها البحوث النفسية  
الحديثة ، قبل أن تعرف هذه البحوث بآماد  
طويلة ، مما يدل دلالة قاطعة على أنه جاء من  
لدى حكيم عليم .

ومن الأسس النفسية التي راعاها القرآن  
في اجتذاب الناس إلى مبادئه السامية ، إشعار  
الخلق جميعا بالأمن والعدالة المطلقة ، عن  
طريق إقرار مبدأ المساواة في نفوسهم ،  
فلا تفرقة عنصرية ، ولا امتياز لجنس على  
آخر ، بل الكل سواء أمام الله ، وميزان  
التفاضل بينهم هو التقوى ، والعمل المثمر  
« يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ،  
وجعلناكم شعوبا وقبائل ؛ لتعارفوا إن

منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، وبالاستهواء . إنما يخشى الله من عباده العلماء .

أما العمل فقد جعله شرطاً أساسياً لأهلية الناس للدعوة العامة واستحقاقهم الأكل من تلك المأدبة الجامعة التي دعاهم إليها رب المباد حين قال : هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه . فالأرض ملك لله بحكم الإيجاد والإنشاء ، وهي حافلة بالخيرات والكنوز ولكل فرد الحق في أن يأكل منها بموجب تلك الدعوة ، ولكن بشرط واحد ، هو العمل وأقل العمل هو السعي فيها بحثاً عن الرزق . ولما كان الإنسان قد يتحول إلى حيوان مفترس ، ووحش ضار ، إذا ترك لغرائزه دون أن تحاط بسياسات متينة يحميها من الانحراف ، ويوجهها الوجهة السليمة ، فإن القرآن الكريم يقرر مبدأ المسؤولية والجزاء ، ليشتيع في النفس حاجتين ، الحاجة إلى الزاجر والرقب ، والحاجة إلى التشجيع والثواب والتقدير . من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، كل نفس بما كسبت رهينة ، ولا تزوروا زورا أخرى ، وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله . والامل واليأس أثر كبير على نفس الإنسان وإنتاجه ، فقد يدفعه الأمل إلى

بنى الوسايط بينه وبينهم ، فالتاس جميعا ، ضئيلهم وفقيرهم ، قويمهم وضعيفهم محتاجون إلى رعاية الله وحده ، يأبى الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الخبير .

ولكي يعد أبنائه إعدادا سليما ، ويوجههم إلى العمل البناء ، بين لهم أن النجاح وليد الرغبة والميل ، وأنه متى توغر الميل النفسى وضح الطريق ، وهانت المتاعب ؛ لأن الرغبة في الشيء تذلل المتاعب التي تعترض طريقه ، وتهون من أمرها ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

إن القرآن الكريم يريد للناس عالما مزدهرا متطورا ، يسوده الحب ، ويرفرف عليه السلام ، وينهض به العلم والعمل ، ولهذا نادى بالتعاون والتعايش السلي حتى يعيش الناس في أخوة ووثم . وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان . ولا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، ودعا إلى العلم والعمل ، لأنهما وسيلة الإنسان إلى السعادة والرفق ، وتطوير الحياة من حسن إلى أحسن ، فأحاطتهما بهالة من القداسة ، ثم أخذ يستثير حوافز الناس إليهما بكل وسيلة ممكنة ، بالإقناع بأيسر السبل . هل يستوى الذين يعملون والذين لا يعملون ، وبالبحث القوي على المعرفة . أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، فقلوا نفر من كل فرقة

ولقد عرف القرآن الكريم أثر الشعور بالهزة والكرامة في نفس الإنسان ، ومدى ما للثقة بالنفس على سلوكه ، فدعم ذلك الإحساس في نفوس أتباعه عن طريق الإيحاء بقوله : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، ولكنه لمعرفته التامة بالنفس وتقلباتها ، ونظراً لما بين الثقة بالنفس والغرور من تقارب ، احتاط للأمر ، ورسم الحدود والمعايير التي تكفل للطبيعة البشرية السلامة من الانحراف ، والبعد عن الغرور ، والانصباب في دروب السلوك السوى ، فساق قصة آدم وإبليس لتكون للناس عظة وعبرة فلا يندفعوا بالمظاهر الجوفاء ، ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا لللائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ، قال أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين . قال فاهبط منها فما يكون لك أن تسكبر فيها ، فاخرج إنك من الصاغرين . وهذا سلم القرآن الكريم من النقد الذي وجه إلى أسلوب التربية المبنية على نظرية « السوبرمان » أو الإنسان الممتاز عند نيتشه فيما بعد .

ويؤكد القرآن كرامة الإنسان لإنسانيته لا لمنزته أو جاهه أو سلطانه ، ويحذر من إهدار آدميته ولو كان ذلك لمصلحة

التفوق حتى يسلك في عداد الأفذاذ وقد يقعد به اليأس حتى يعد من الأموات ولو كان حياً ، فبالأمل واليأس ، تزدهر الحياة أو تقفر . ولذا فتح القرآن باب الأمل على مصراعيه أمام الناس ، ليلجوا منه إلى رحمة الله ، إلى النجاح والفلاح ، إلى تدارك الأخطاء ، وإصلاح ما فسد ، إلى الإنتاج السليم القائم على الخبرات المكتسبة ، عن طريق المحاولة والخطأ حيناً ، والنجاح والفوز حيناً آخر ، ويقدر ما أفسح المجال للأمل نراه يوصد باب اليأس في وجوه الأفراد ، ويحارب به حرباً عنيفة لا هوادة فيها حتى لا تقفر النفوس من حوافز العمل ، فتوقف عن الإنتاج المثمر أو تسلك طريق الشر والزيلة ، فتندثر الحياة ، وتزول معالمها ، ودريك الغفور ذو الرحمة ، « فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً » وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان » « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك » « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ، لا تقنطوا من رحمة الله إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . « ولقد جعل الحسنه بعشر أمثالها ، وجعل جزاء السيئة سيئة مثلها ، إمعاناً في فتح باب الأمل ، وتشجيع الناس ، وإغلاق نوافذ اليأس حتى لا يتسرب إلى النفوس قصرح في حباله .

كبرى في فطر القرآن ، ليتخذ الناس من الماضي عبراً تنفعهم في حاضرهم ، ودروساً تؤمن مستقبلهم ، وتحجبهم من الانحراف كما تنشئ في أساليبه التربوية مع الفطرة البشرية فأمر الناس بأن يأخذوا ديتهم عند كل مسجد ، وأن يأكلوا ويشربوا ولكن دون صفة أو إسراف ، ورسوم صوراً رائعة للجنة وما فيها من متاع ، وأخرى بخيفة النار وما فيها من آلام ومتاعب ، لترسب في أعماق البشر ، وتكون منها ضمائرهم عالمة قية فتكون نعم الرقيب لهم ، تصرفهم عن الشر حبا لله ، واستئالا لأوامره ، وتحببها لعقابه وتدفعهم للخير استجابة لتعلقها به ، وأملا في أكتساب رضوان الله والاستمتاع بما في الجنة من نعم .

حقاً إن القرآن كتاب فصلت آياته من لدن حكيم عليم ، وإنه لمن الواجب على المسلمين جميعاً دراسة هذا الكتاب دراسة جديدة منهجية ، مبنية على أسس علمية ، تحشد لها الطوائف المتعددة من رجال الدين ومن غيرهم من المتخصصين في كل علم وفن حتى يخرجوا للناس تفسيراً عصرياً يجمع بين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية والعلمية المتوفرة فيه ، وبذلك وحده يؤدون واجبهم نحو الله والوطن ؟

خليل البرقوقي

المعلمش بمنطقة الفيوم التعليمية

يغنيها ، ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم .

والإنسان مولع بالتقليد والمحاكاة ، ولهذا أمده الله جل شأنه بكون عامر بنماذج رائعة الجمال ، مدسفة الجوانب ، لا أثر فيه للاضطراب حتى يصل وجدانه ، بعد أن يتطبع بها ، ويشب على منوالها ، ولم يكف بذلك بل بعث إليه صفوة ممتازة في السلوك والطبع ليفتدي بهم ، ولما كانت الكلمة الطيبة تفتح مغاليق القلوب ، والمعاملة الحسنة تأسر النفوس ، والقدوة الصالحة تجتذب الجماهير ، فإن القرآن الكريم يخاطب الرسول عليه السلام قائلاً : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ، « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا انهضوا من حولك » ، ويخاطب أنبأه قائلاً : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » .

وعنى القرآن الكريم بالقصة كأسلوب ناجح من أساليب التربية ، فقرأ لها لها من تأثير قوى على الوجدان ، ولأنها تنقل إلى القراء الأثر المطلوب بطريقة غير مباشرة ، فتطبعهم بانطباعات قوية حين تنقل إليهم التجربة المبررة أو الأثر المحمود الذي مر به أصحابها ، وكان للقصة التاريخية الذي يمحكي أخبار الماضين ، وما آل إليه أمرهم أهمية

## الموسوعات والمعاجم اللغوية للأستاذ عمر لطفي السيد

ما يظهر ، وقد ذكر المؤرخون أن الخليل لم يتمه بل أتمه غيره من علماء اللغة ، ثم أتى بعده من صنف في اللغة ، وكان من أشهرهم إسماعيل ابن حماد الجوهري الذي عاش في المائة الرابعة فإنه ألف الصحاح في اللغة ، ولكنه لما أشرف على نهايته أصابه هوس وغفل في عقله فسقط من سطح داره متريدا ، وترك كتابه في مسوداته فأكمله بعض تلاميذه . لهذا السبب وقعت فيه أغلاط وأوهام ، تتبعها العلماء من بعده كالعلامة أبي محمد عبد الله ابن بري في حواشيه على الصحاح وابن بري من رجال القرن السادس ، هذا ومن الذين تتبعوا هفوات وأغلاط صاحب الصحاح العلامة مجد الدين الفيروز أبادي أحد أعلام القرن التاسع ، فإنه كثيراً ما يبه على أوهام الجوهري في القاموس المحيط ، والفيروز أبادي من أبرز رجال القرنين الثامن والتاسع ، وهو صاحب المعجم الكبير المحسى ، باللامع المعلم الصواب الجامع بين المحكم والعيان ، في ستين مجلداً ، وقد جمع في كتابه هذا بين المحكم لملي ابن سيده المرسي الأندلسي ، وبين العباب الزاخر واللباب الفاخر

لا يخفى على المعلمين على تراث أسلافنا من علماء الإسلام ، أن اللغة العربية غنية بمعاجمها وموسوعاتها في شتى العلوم والفنون ، وذلك بما تركه علماءنا من آثار علمية في مختلف القرون الإسلامية الزاهرة ، ولقد احتوت كتب التراجم والطبقات على كثير من تراجم العلماء الذين صنفوا معاجم لغوية أو موسوعات علمية ، مما بقي مخلداً على صفحات التاريخ بتوارثه الخلف عن السلف ، ويستقي من معينه رجال العلم والأدب على توالي الأيام وكر الشهور والأعوام ، وما لا ريب فيه أن الأمة العربية هي في الرعيل الأول من الأمم التي اهتمت بتدوين العلوم في موسوعات كبرى وتصنيف المعاجم اللغوية ، وهذا يتضح جلياً لكل من يتصفح كتب التراجم والطبقات ، كوفيات الأعيان ومعجم الأدباء والوفاء بالوفيات ونفع الطيب وغيرها من المؤلفات المخصصة لطبقات العلماء والمؤرخين والأدباء ، ولقد شرع العلماء في وضع معاجمهم منذ القرن الثاني للهجرة ، ففي هذا القرن نجد الخليل بن أحمد الفراهيدي وضع كتابه المحسى ، بالعين ، وهو أول معجم صنف على

رضى الدين الصاغاني أحد أعلام القرن السابع ، وقد أثنى كثير من العلماء على مؤلفات الفيروزابادى ووصفوها بالتحقيق والاستيفاء والاستيعاب .

هذا وقد ذكر مجد الدين الفيروزابادى فى خطبة قاموسه المحيط ، أن كتابه هذا هو خلاصة ألفى كتاب من كتب اللغة التى ألفها أسلافنا من العلماء ، اطلع عليها المجد الفيروزابادى واستخرج منها الخلاصة المدرجة فى قاموسه ؛ الذى يحتوى على ستين ألف مادة حسب تحقيق العلماء ، وهذا من فضل الله ، إن الله ذو الفضل العظيم ، وليس بالامر الهين الاطلاع على المظان العلية ، وإنما ذلك موهبة خصها الله بطائفة من العلماء وكان فى مقدمتهم صاحب القاموس المحيط ، ولا أعتقد أن أحدا من العلماء فى العصر الحاضر مهما بلغ من العلم والاطلاع على تراثنا الإسلامى ، يستطيع أن يلم بأسماء ألفى كتاب فى اللغة ، فضلا عن الاطلاع عليها ودراستها واستخراج خلاصات منها ، ولا يخفى على المطلعين أن الإمكانات فى القرون الأولى كانت غير متوفرة وأن طلاب العلم كانت تشد الرحال فى سبيل استنساخ الكتب ، وتقطع المسافات الطويلة لدراسة كتب العلم على مشاهير الشيوخ ، وربما كان ذلك فى

دمهر الشتاء ، أو حمارة القيظ ، مثلما حدث للعلامة أبى زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى وهو من رجال القرن السادس فإنه وجد نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة لأبى منصور الأزهرى فى عشرة مجلدات ، وجدها فى سوق الوراقين بمدينة تبريز فاشترها ثم سأل عن شيخ قدير حتى يدرس عليه ذلك الكتاب القيم ، فدلوه على العلامة أحمد ابن سليمان المعرى فى معرة النعمان ، فشد إليه الرحال ووضع الكتاب فى غلاة ، وسافر بحبة قافلة من تبريز إلى معرة النعمان .

والكتاب كان محمولا على ظهره فى تلك الرحلة الطويلة ، وكان ذلك فى زمن الصيف مما سبب خروج العرق من جسم الخطيب التبريزى إلى أن نفذ على غلاف ذلك الكتاب .

وقد بقي أثر العرق على تلك النسخة إلى أن اطلع عليها العلامة شمس الدين أحمد ابن خلكان وقال : عنها ولقد رأيت نسخة من كتاب التهذيب فى اللغة وعليها عرق الخطيب التبريزى ، وكأ أن صاحب القاموس المحيط تتبع هفوات صاحب الصحاح فى مواضع كثيرة ، فكذلك تعقبه كثير من العلماء بالاستدراك والتحقيق والتصحيح مثل العلامة الشريف السيد محمد مرتضى الزبيدى الحسينى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ فإنه تعقبه فى شرحه

قاطع على نقصان العقول البشرية ، مهما بلغت من درجات العلوم والثقافة ، وفوق كل ذي علم عليم ، والله يعلم وأتم لا تعلمون .

هذا ومن أشهر المعاجم العربية المحكم والمحيط الأعظم تصنيف على بن سيدة الأندلسي من أعلام القرن الخامس الهجري ، وله كتاب المخصص وهو كبير أيضا ومرتب على الأبواب ، لا على ترتيب المعاجم المتداولة ، ثم أتى بعده رضى الدين الصاعاني وكان من رجال القرن السابع فألف العباب الزاخر والباب الفاخر ، وقد اعتمد في تأليف كتابه هذا على المحكم لابن سيدة وعلى غيره ، إلا أنه لم يتمه ، بل وصل فيه إلى مادة بكم ، ثم قضى نحبه وفيه يقول بعض الشعراء .

إن الصفاني الذي حاز العلوم والحكم  
كان قصارى أمره أن انتهى إلى بكم  
هذا ، ومن التوائغ الذين تزين بهم جيد الزمان ، العلامة محمد جمال الدين بن منظور من أعلام القرن الثامن ، وهو صاحب لسان العرب الذي يعد أوسع معاجم العربية من حيث الاستيعاب والتبسط في العبادة ولقد اعتمد مؤلفه في كتابه هذا على الصحاح والتهذيب والمعجم والنهاية وحواشي بن برى على الصحاح وجمهرة ابن دريد . ولسان العرب في ٢٠ مجلدا ، وهو يحتوي على علوم شتى كال تفسير

الكبير على القاموس ، وبين المأخذ عليه وما زل به قلبه من أوهم وأغلط ، وفي كثير من المواضع يتصرف فيها للجوهري صاحب الصحاح ، وشرح السيد مرتضى على القاموس ، وهو المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس ، كتاب جليل جمع فأوعى وهو لعمري بنية الأديب والمنهل الصافي لرواد العلم وطلاب الثقافة .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر العلامة أبا عبد الله محمد بن الطيب القاسي من رجال القرن الثاني عشر ، فإنه ألف حاشية على القاموس في ثلاثة مجلدات ، تتبع فيها ما عفا به قلم الفيروز آبادي من أوهم وأغلط في قاموسه وهكذا نرى العلماء يواصلون دراساتهم وملاحظاتهم على القاموس المحيط وكان من أواخرهم العلامة أبو زيد عبد الرحمن ابن عبد العزيز ، فإنه صنف الوشاح وتثقيف الرماح في رد توم الجند الصحاح وهو كما يتضح من اسمه يتصرف فيه للجوهري على الجند ، ومن المتأخرين الذين لاحظوا على القاموس وبيّنوا هفواته وزلاته ، العلامة أحمد فادس الشدياق فإنه ألف الجاسوس على القاموس ، واسمه يدل على بيان ما يحتوي عليه القاموس من أوهم وأغلط ، وهكذا نرى هؤلاء العلماء بعضهم يتتبع هفوات من قبلهم من العلماء ، وهذا دليل

فهذه الدلائل تدل على أن صاحب اللسان  
ليبي الأصل والمنشأ والدراسة ، ويقول  
المؤرخون كالصفدي وابن حجر وجلال  
الدين السيوطي : أن ابن مكرم تولى رئاسة  
ديوان الإنشاء بمصر ، ولم يذكر هؤلاء  
المؤرخون الوطن الذي توفي فيه ، غير أنهم  
يحددون تاريخ وفاته سنة ٧١١ هـ ولابن مكرم  
مؤلفات أخرى غير لسان العرب ذكرها  
الصفدي الذي قال عنه : إن مؤلفات ابن  
مكرم بلغت خمسمائة مجلد ، حتى إنه من كثرة  
الانهماك في التأليف ومراجعة المظان فقد  
بصره في آخر عمره ، ورحم الله القائل :

أفنت همرك في صلا ومآثر

وإفادة العلم أو تصنيف  
وسبحته في بحر العلوم مضامرا

أواجه والناس دون سيوف

• • •

### الموسوعات :

اشتهرت طائفة من كبار علماء الإسلام  
بوضع مؤلفات جامعة للعلوم المختلفة ، فريق  
من هؤلاء من المشرق وفريق من الأندلس ،  
فمن رجال المشرق الذين حدثنا عنهم  
المؤرخون ، العلامة محمد بن الحسين البنجدي  
الزاغولي ، مصنف قيد الأوابد في أربعمئة  
مجلد ، يشتمل على التفسير والحديث والفقه  
واللغة ، وهو من علماء القرن السادس ،

والحديث واللغة والنحو والصرف والاشتقاق  
وأيام العرب وأمثالها ، وغير ذلك من  
المواضيع التي تهتم العلماء ، وهو لعمري  
ضالة الأديب وبضية الأريب ومقياس الأدباء  
ومرجع العلماء ، وابن منظور يتصل نسبه  
بالسيد رافع بن ثابت الأنصاري دفين مدينة  
البيضاء ببلييا ، كما ذكره مؤلف اللسان  
في مادة ح ر ب ، والسيد رافع بن ثابت  
الأنصاري كان واليا على ليبييا في خلافة  
معاوية بن أبي سفيان ، وتوفي في منتصف  
القرن الأول من الهجرة ، وقد ذكر شارح  
القاموس بأن لسان العرب يحتوى على ثمانين  
ألف مادة من كلام العرب ، بينما القاموس  
الحديث لا يحتوى إلا على ستين ألف مادة ،  
والصحيح على أربعين ألف فقط .

وهذا يدلنا على اتساع اطلاع مؤلف  
اللسان واجتهاده وتبحره لشوارد اللغزة  
في مظانها ، ولقد تبصنا في المظان التاريخية  
حتى نستطيع أن نعلم مسقط رأسه ، فلم نجد  
لذلك أثرا ، غير أن المرجح أن ميلاده كان  
بمدينة طرابلس الغرب « بلييا » ودليلنا  
على ذلك وجود أسرة بها ، تدعى أسرة  
« ابن مكرم » ، وهي بلا شبهة من سلالة ذلك  
الجهنم الكبير ، فضلا عن ذلك فإنه تولى  
قضاء طرابلس الغرب ، وجده الأعلى رافع  
ابن ثابت الأنصاري دفين البيضاء « بلييا » .



وعلى كل حال فالإمام السيوطي مؤلفاته كثيرة جداً ، وما سلم مكثار ولا أقيل له عثار ، كفى المرء بلا أن تعد معايبه .

هذا وفي القرن الثالث هجرى نبغ العلامة السيد محمد صديق خان القنوجي أحد أسراء الهند ، وألف مؤلفات كثيرة في شتى العلوم ، ومن أشهرها أجمد العلوم في ثلاثة مجلدات ، جعل القسم الأول منه لمبادئ العلوم ، والقسم الثاني لأشهر مؤلفات علماء الإسلام ، والثالث في تراجم مشاهير العلماء وهو مطبوع في الهند ، والكتاب قيم من حيث غزارة المادة والنقل ، إلا أنه ينقصه الترتيب العلمي والتنسيق الفني .

وبما لا شك فيه أن المؤلف رحمه الله بذل مجهوداً جباراً في جمع شوارده كتابه من مئات المجلدات ، وهذا عمل عظيم يشكر عليه من الهيئات العلمية — وفي الأقطار الأندلسية نشأ في القرن الرابع العلامة أحمد بن أبان اللغوي ، وألف موسوعة كبرى أسماها « العالم والفضة » ، في مائة مجلد ، رتبها على الأجناس ، بدأ فيها بالفلك لكونه أعظم الأجسام وختمها بالذرة ، هذه الموسوعة لعبت بها طوارق الحدثنان ونواب الزمان ، وأصبحت أثراً بعد عين مثل غيرها من آثار أسلافنا في المشرق وفي الغرب وسالمفقود ، وأصبحنا لانعرف عن تلك الآثار

ثم أتى بعده التويري فألف نهاية الأرب في فنون الأدب وهو كتاب كبير متداول بين العلماء ومؤلفه من أقطاب القرن الثامن الهجري ، ولا يخفى على المحققين من العلماء ما في هذا الكتاب من بحوث ينفعها العقل السليم ولا يقبلها التحقيق العلمي ، وكان صاحبه جارف سيل وحاطب ليل ، ومهما يكن من الأمر ، فالكتاب كبير جداً وفيه كثير من الفوائد المتنوعة ثم أتى بعد التويري ، شهاب الدين أحمد الممرى المعروف بابن فضل الله ، فألف موسوعة كبيرة في ٢٠ مجلداً ، أسماها مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار ، وقد طبع منها على ما يظهر المجلد الأول باقتناء المحرم شيخ العروبة أحمد زكي باشا ، وبحوث الكتاب أكثرها في التاريخ وتكوين البلدان ، وفي القرن التاسع نبغ العلامة جلال الدين السيوطي وألف موسوعة كبرى في خمسين مجلداً ، هذا مؤلفاته التي تجاوزت ٣٠٠ تأليف ، وقد نعتها بالفلك المشحون ؛ لأنها مشحونة بأنواع العلوم ومختلف الفنون ، ومؤلفات السيوطي رحمه الله ينقصها التحقيق والتحجير في بعض الحالات ، وكل من يطلع على بعض مؤلفاته مثل حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، يجد فيه مبحثاً بعيداً كل البعد عن المفهوم العقلي والتدقيق العلمي ،

على العلوم البشرى، لذلك أرى لزاما علينا نحن العرب، ونحن في جحر النهضة العربية المباركة، أن نتدارك الأمر وذلك بأن يسعى مجمع اللغة العربية الموقر، في تشكيل لجان عليية ذات اختصاصات حتى تضع في أول الأمر قاموساً<sup>(١)</sup> في مجلد واحد على غرار لاروس الصغير وقاموس «ملى» الجديد الإيطالي، ثم بعد فترات من السنين تقوم تلك اللجان بوضع القاموس المتوسط، وربما بعد فترة أخرى تضع القاموس العلى الكبير، وبذلك يكون مجتمعنا خطأ خطوات كبيرة إلى الأمام، ويستغنى عن المراجع الإفرنجية التى نحن الآن عالة عليها، وقد در القائل :

لسنا وإن أحسابنا كرم

يوما على الأحساب تسكل

نبى كما كانت أوائنا

تبى ونفعل مثما فصلوا

سدد الله خطانا لما فيه مصلحة هذه الأمة

العربية، وجهلنا من الذين يستمعون القول  
فیه بھون أحسنه .

عمر لطفى السبر

من خريجي الأزهر

الجملة : صدر أخيراً للجمع للمجم الوسيط .

القيمة إلا أسماءها في كتب التاريخ ، والله الأمر من قبل ومن بعد ، ومن المتأخرين الذين اعتنوا بهذا الأمر بطرس البستاني الذى اعترم على تأليف دائرة المعارف وأصدر منها ثمانية مجلدات ، ثم اتفق ولداه نجيب ونسيب بعد وفاته مع ابن عمهما العلامة سليمان البستاني على إصدار بقية الأجزاء ، فأصدروا التاسع والعاشر والحادى عشر ، ولم يواصلوا سير العمل فيها فبقيت مبتورة لغاية الآن ، ودائرة معارف البستاني جمل مواضعها تاريخية وجغرافية ، ثم أتى بعد البستاني العلامة المحرم محمد فريد وجدى فألف دائرة معارف القرن العشرين في عشرة مجلدات ، نحا فيها طريقة الغربيين في قواميسهم العلية واللغوية ؛ فأجاد وأفاد - هذا وإذا نظرنا إلى ما تنتجه الجامع العلية في أوروبا من موسوعات ضخمة مثل لاروس للقرن العشرين ولاروس العام ولاروس الطبي والتجارى والزراعى ، ومثل دائرة معارف « تريفانى » الإيطالية وغيرها ، أقول إذا نظرنا إلى تلك الآثار الثقافية الجبارة ذات التنسيق البديع والطبع الأنيق وغزارة المادة العلية ، يستولى علينا الذهول والحجل وترى أنفسنا في مؤخرة الأمم المتقدمة، لأننا لا نملك ما تملك تلك الأمم من قواميس ضخمة تحتوى

## نظرية التعسف في استعمال الحق للأستاذ أحمد فضي أبوشنة

- ٢ -

لتضييقوا عليهم . . . يعني لا تضاروا المعتدات في السكنى : فالزوجة أولى ألا تضاروهن .  
والأصل في مسائل هذا الباب تحريم إمساك المعتدة بقصد الإضرار بها ، وتحريم وصية الضرار وبطلانها ، وتحريم خلل المريض ليفر به من ميراث زوجته ، فتقاس سائر مسائله عليهما لانحداد الملة وهي قصد الإضرار .

الأصل الثاني : أن يستعمل الإنسان حقا بقصد به تحقيق مصلحة له ، فتترتب عليه مفساد وأضرار لاحقة بالغير هي أعظم من هذه المصلحة أو مساوية لها ، وذلك كاحتكار ما يحتاج إليه الناس في أوقات الفلاء ، أو القحط بقصد به البيع بثمان مرتفع : فإن المحتكر يريد من ذلك مصلحة الربح الكثير ، لكن يترتب على هذا ضرر عظيم يلحق الجماعة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « الجالب مرزوق والمحتكر ماعون » .

ومن هنا يمنع من الاحتكار ويباح عليه ما احتكره بثمان المثل إن امتنع من البيع .

ومن ذلك إغلاء التجار السعر على الناس

يمكن حصر أصول مسائل التعسف في استعمال الحق بالاستقراء في أربعة :

الأصل الأول : ما إذا استعمل حقه لا يقصد من ذلك إلا الإضرار بغيره وليس له مصلحة فيه ( وذلك كمن يدعى على آخر جريمة أو عملا غير لائق لا يقصد بذلك إلا الإضرار به هذه الدعوى لا تسمع ويعذر المدعى إذا ثبت ذلك باقتران ) - وفي فقه المالكية كما في التبصرة لو ادعى الصعاليك على أهل الفضل دعوى باطلة وليس غرضهم من هذا إلا أن يشهروا بهم ، ويوقعوم أمام القضاء للإبلام والامتهان ، لا تسمع الدعوى ويؤدب المدعى .

ومن ذلك ما إذا أراد الزوج أن يسافر بزوجه إلى بلد بعيد وهو غير مأمون عليها ، لا يريد بذلك إلا الإضرار بها وإيذاها ، أو سلب مالها : فيقتضى بمنعه من السفر بها للإضرار<sup>(١)</sup> وقد قال تعالى : ولا تضاروهن

(١) انظر ابن عابدين ص ١٩٥ وما بعدها .

الحاضر للبادي<sup>(١)</sup> حيث قال الإمام أحمد  
ببطلان هذه العقود لرجحان المفسدة .

والمسائل المنصوص على حكمها مما قدمنا  
أصل في هذا النوع فيثبت الحكم لنظائرها  
بالقياس وإن شئت أثبتة بالمصلحة إن تعذر  
القياس<sup>(٢)</sup>

الأصل الثالث : أن يستعمل حقه المشروع  
عقداً أو غيره بقصد به تحقيق غرض غير  
مشروع منافع للغرض الذي وضعه له الشارع  
وهذا كالبيع الذي يقصد به الربا ومن  
هنا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع  
وسلف لأنه يؤدي إلى الربا كأن يبيع سواراً  
يساوي أربعين بمخمسائه على أن يقرض  
البائع أربعين فإن هذا العقد يشول إلى ربا  
النسيئة وهو أخذ تسعائه ليردها ألفاً .

وكبيع العينة لأنه يؤدي إلى الربا أيضاً  
وهو شراء ما يباع بشئ أقل من الثمن الذي  
يبيع به قبل قبض الثمن حيث تكون زيادة  
الثمن المؤجل ربا .

ومنه زواج التحليل فإن الزواج موضوع

(١) قال صلى الله عليه وسلم « لا يبيع حاضر  
لبادى دعوا الناس يوزق الله بعضهم من بعض » .

(٢) انظر في هذا الأصل معنى ابن قدامة في  
البيع ج ٤ للزلي في كتاب الكراهية فصل في البيع  
الدر وابن عابدين في كتاب الوقف . الطرق الحسكية  
في التسمير والاحتكار .

بحيث يصل إلى ضعف قيمة السلع فإن تقدير  
البائع ثمن مبيع حق له ولكن استعماله على  
هذا النحو وإن حقق مصلحة له فقد نشأت  
عنه مفسد عظيمة بالجماعة ولذلك قال الحنفية  
والمالكية إذا مجزولى الأمر عن رد التجار  
إلى الأسعار العادية بكل الوسائل أزال هذا  
الضرر بالتسمير بمشورة أهل الخبرة وقد  
ثبت هذا بالمصلحة المرسلة لدفع الضرر عن  
الجماعة فإن امتنع التاجر من البيع  
بالسعر المحدد يبيع عليه كما يبيع المال على  
المدين وفاء لدين .

وقال الشافعية وبعض الحنابلة يمنع التسمير  
واستدلوا بما روى أنه قيل للنبي صلى الله  
عليه وسلم « ألا تسمر لنا فقال إن الله  
هو المسعر القابض الباسط وأجاب القائلون  
بالتسمير بأن الحديث كان قنوى في واقعة  
خاصة بسبب خاص فلا تدل على عموم الحكم .  
ومنه تلقى التاجر للوافدين إلى السوق من  
أهل الريف والبادية وشراء ما جلبوه بالثمن  
الرخيص لبقية لأهل المدينة غالباً حيث يضر  
ذلك بأهل المدينة والوافدين وقد نهى عنه  
النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ولا تلقوا  
الركبان لبيع » .

ومنه بيع السلاح في أيام الفتنة أو لقطاع  
الطريق وبيع العصور عن يتخذة سحراً وبيع

منها قوله تعالى : « ولا تقبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » :

فإن مفسدة سبهم للإله الحق أعظم من مصلحة سب الأصنام المباح فتح السب المباح لذلك ومنها قوله تعالى : « ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » ، حيث حرم الضرب المباح لما فيه من إثارة الميل الحمسية ومنها تحريم البيع عند نداء الجمعة ؛ لأن مفسدة الانشغال عن الصلاة أعظم من مصلحة البيع ومنها تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها لأن مفسدة قطيعة الرحم أعظم من مصلحة الزواج ومنها امتناعه صلى الله عليه وسلم من قتل المنافقين حيث عبر عن ذلك بقوله : ( ولا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ) مفسدة لأن تفتير الناس من الإسلام أعظم من مصلحة القتل .

وقد أطلنا بعض الشيء في ذكر الأدلة ليظهر ظهور النهار أن ما يخالفه الناس قواعد قانونية مبتكرة لأهل الغرب هو من ضروريات الشريعة المحمكة .

وهذه الأنواع كذلك مبنية على أصل آخر وهو أن الخيل التي تؤدي إلى إسقاط واجب أو إحلال محرم تقع باطلة .

وندل عليه كثرة الأدلة منها قول النبي صلى الله عليه وسلم . ( لمن آله اليهود إن آله

العشرة الدائمة وتكرين الأسرة وقصد به عمل مؤقت مذموم عند الله وقد تقدم تحريمه بالحديث الكريم .

ومنه البيع الذي قصد به إسقاط الشفعة ووجه المال التي قصد بها الواهب إسقاط فريضة الزكاة أو الحج - فاقبت بالنصر في هذا الباب يعتبر أصلا وغيره يقاس عليه (١) .

هذه الأنواع الثلاثة مبنية على قاعدة سد الذرائع فوق ما تقدم من الأدلة نذكر أن الأنواع السابقة للتعسف في استعمال الحق مبنية على أصل عظيم من أصول الشريعة وهو سد ذرائع الفساد .

وخطأها أن الشارع إذا حرم شيئا حرم وسائله المقضية إليه وهذا يتحقق فيما إذا أفضت الوسيلة إلى ضرر مقصود أو إلى مصلحة معها مفسدة تساويها أو ترجع عليها أو إلى ضرر حرمه الشارع كالزنا أو الرنا وبالجملة إذا أفضت إلى إسقاط الواجبات وإحلال المحرمات .

وهذا الأصل شبه أدلة كثيرة في الشريعة

(١) انظر في هذا الأصل المفني لابن قدامة في البيع - نيل الأوطار في البيع والمهر وابن عابدين في الشفعة .

إلى ضرر فإنه يضمنه - وفي الدر وابن  
عابدين<sup>(١)</sup> المرأة إذا أريدت بسوء الزوج  
إذا وجد وجلا مع امرأته وأمكن الدفع  
بالصياح أو بالضرب بما دون السلاح  
فاستعمل السلاح ضمن الضرر المترتب عليه .

لكن محل ضمان الضرر في هذا الأصل  
إذا أمكن الاحتراس عنه عادة أما إذا  
لم يمكن فلا ضمان كالطبيب إذا أجرى جراحة  
على النحو المعتاد بين الأطباء قتلت بها  
إنسان وذلك لاختلاف طبائع الناس واحتمالهم  
للجراحات .

أما إذا أمكن الاحتراس فإنه يكون  
مقتصراً كالحمال إذا دقت رجله فأُتلف  
ما يحمله والكواء إذا أحرق الثوب  
الذي يكره .

وقاعدة الحنفية في هذه المسألة أن الإنسان  
إذا أتى بمباح قرتب عليه ضرر بالغير  
ضمن لأن استعمال المباح مشروط بالسلامة  
والضرر دليل عدم الاحتراس ، وذلك  
كالرور في الطريق وضرب الزوجة لترك  
الطاعة وإن فعل واجباً عليه قرتب  
ضرر لا يضمن كنفذ الأحكام والفصائد  
الذي يعمل بالأجرة لأنه مسلط على ذلك  
إلا إذا تجاوز ما أمر به أو أمكن الاحتراس  
عن الضرر حينئذ يضمن . وقال الشافعي

لما حرم عليهم شوم الميتة جملها أي إذا بومها  
قباعوها وأكلوا ثمنها<sup>(٢)</sup> .

### الأصل الرابع :-

أن يستعمل الإنسان حقه لكن دون  
احتراس وثبت فيما يمكن فيه الاحتراس  
فيفضي هذا إلى الإضرار بالغير .

وذلك كما إذا أراد أن يصيد طيراً فطاش سهمه  
وأصاب إنساناً أو حيواناً بضرر فإن الصيد  
حق مباح ولكنه لم يحترس في استعماله له  
ولم يثبت فأدى إلى ضرر الغير وهو المعروف  
بالخطأ في الفعل ، وكما إذا ضرب دابة غيره  
يظن أنها دابته فأعطبها أو قطف ثمرة غيره  
يظن أنها ثمرة وهو المعروف بالخطأ في القصد  
وهذا تصف في استعمال الحق .

وحكمه ضمان هذا الضرر إنساناً أو حيواناً  
لأن القرآن يدل على تضمين الخطي كافي قوله  
تعالى « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة  
مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله » .

ومن ذلك سائق السيارة إذا صدمت  
إنساناً فقتله أو أتلفته لأنه استعمل حقه  
في قيادتها لكنه لم يحترس .

ومن ذلك مالو استعمل في الدفاع الشرعي  
سلاحاً لا تدعو إليه ضرورة الدفاع فأدى

(١) انظر في هذا البحث المواضع ج ١ في بحث  
الحبل ، ج ٤ في حد القرائع وتنقيح الفصول لفران  
في آخر الكتاب « إعلام القوقن » في بحث سد  
القرائع ج ٣ .

(٢) ج ٣ - ٢٤٨ باب الضرر .

أبي وقاص لما شكاه أهل الكوفة ومن أجل ذلك أنشئت محاكم المظالم في خلافة عبد الملك ابن مروان لإنصاف أفراد الشعب من ظلم الحاكمين (١).

ولهذا نرى أن تقنين العقوبات في البلاد الإسلامية هو احتياط لدرء مفساد التعسف في استعمال الحق الذي قد يقع من القضاة لأن العقوبات على الجرائم في ما حدا الحدود والقصاص كلها راجعة إلى التعزير — والعقوبات التعزيرية متفاوتة كما أن الجرائم متفاوتة، فالقاضي ما لم يكن خبيراً بأحوال الناس وما يصلحهم متشعباً بالعدالة بعيداً عن الأغراض والغايات كثيراً ما يقع منه الشطط في تقدير الجريمة وتحديد العقوبة فكان التقنين هو الضمان الصحيح للعدل بين الناس، وقد اتخذت الوسائل قديماً للبتع من التعسف كالحجر على الطبيب الجاهل والمفتي الذي يفتي الناس بالحيل الباطلة والحجر على المديان (٢).

### أحمد فخرى أبو سنة

يضمن في تنفيذ الأحكام. من الزيلعي ج ٣ ص ٢١٦ وابن عابدين في الإجارة (١).

وقد يبدو غريباً ذكر الأصل الرابع في أنواع التعسف ولكننا رأينا هذا لأنه ينطبق عليه تعريفه وإلا فالكل في نظر العقه من باب التعدي على سبيل السبب.

### التعسف في استعمال السلطة :

رجال السلطة التنفيذية يتصرفون بالوكالة عن ولي الأمر في حدود الأحكام المشروعة لذلك لا يجوز لهم أن يفعلوا ما يخالف الشريعة ولا أن يفعلوا ما لم يفوضوا فيه : فإن فعلوا شيئاً من هذين اعتبر ذلك إساءة في استعمال حقوقهم وترتب عليه إزالة ما لزمه من الضرر فإذا اغتصبوا مال الأفراد وضموه إلى ملك الدولة أو حصلوا ضرائب ظالمة لبيت المال ردت إلى أصحابها وإذا حاقبوا أحداً بغير جريمة أدبوا ما لم يكن ترتب الضرر من اجتهاد؛ كاجتهاد القاضي وفي ذلك يقول هجرين الخطاب رضي الله عنه: إذا رأيت في أحوالنا قومون. وكان رضي الله عنه يرسل المفتشين إلى الولايات لمراقبة عماله وصح عنه أنه عزل سعد بن

(١) انظر الأحكام السلطانية لابن أبي بلى ص ٥٢.  
(٢) انظر في هذا البحث فتح القدير وابن عابدين في باب التعزير والنقض، رسالة العرف للباحث - وتاريخ الكامل لابن الأثير في تاريخ عمر.

(١) انظر في هذا الأصل شرح الزيلعي وحاشية ابن عابدين في كتاب الجنائيات وفتى المحتاج في كتاب الجراح والحد وابن عابدين في باب صحت الأحكام.

## من أعلام المسلمين في الهند ، مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

« خير الدين » أن يرحل إلى بلاد يحد فيها متنفساً حراً ، فغادر الهند في نفس السنة التي فشلت فيها الثورة ، وكان شاباً في مقتبل العمر ، واستقر في « مكة » ببلاده الحرام ، واشتري فيها داراً ، وتزوج من ابنة عالم كبير من علماء المدينة ، هو الشيخ محمد طاهر الوطري ، واشتغل بالمعلم والحياة ، ونشط في خدمة المسلمين ، فشارك في إصلاح « عين زبيدة » بما جمعه من أموال كثيرة من إخوانه ، في الهند والبلاد الإسلامية ، بلغت نحو مليوني روبية . وكان لهذا الجهد المشكور أثره محمود ، في نفس السلطان عبد الحميد ، فنحه أعلى الأوسمة المجيدية تقديرًا لخدماته . وفي مكة المكرمة ولد ابنه « يحيى الدين أحمد » وهذا هو الاسم الأصلي لمولانا آزاد وكان ميلاده سنة ١٨٨٨ م ولكن بعد ولادته بقليل أصاب الوالد كسر في ساقه ، ورأى أحبائه وإخوانه في الهند وفي المهجرات أن يسافر إلى « كلكتا » للعلاج فسافر ، وهناك ألح عليه إخوانه ومريده ، أن يبقى معهم فأقام وكان ذلك سنة ١٨٩٠ م أي بعد ولادة ابنه المرموق بستين ..

اسم ملا الأسماع والقلوب في الهند وخارج الهند ، وشخصية نادرة قل أن يجود بمثلهما الرومان ، جمع بين الإمامة والزعامة في العلم والأدب والدين والسياسة حتى كان لقبه الغالب عليه بين الطبقة العليا من رجال السياسة والأدب والدين بل وعامة الشعب لقب « الإمام » .

وهب حياته منذ صغره لدينه ووطنه الصغير الهند ، ووطنه الأكبر : العالم الإسلامي ، ولم يكن يبالي بالصعاب ولا بالسجون في سبيل هدفه ، وشاء الله له أن يعيش حتى يرى ثمرات جهاده وتضحياته فنالت الهند استقلالها وتولى قيادتها مع زملائه المجاهدين في عهد الحرية كإقادها معهم في الجهاد من أجل الاستقلال .

كان والده « خير الدين » من المسلمين ذوي الفيرة على دينهم ووطنهم ، فلم يطق المقام في الهند بعد أن فشلت ثورة المسلمين على الانجليز لإيقاد الحكم الإسلامي من قبضتهم سنة ١٨٥٧ م ، وتمكنت قبضة المستعمر من عنق البلاد وأخذ يكيد للمسلمين بوجه خاص ويطاردتهم في دينهم وأرزاقهم .. فرأى



إلى مطالعة مقالات « السير سيد أحمد خان » وتأثرت بها تأثراً بالغاً وأدركت أنه ليس لأحد أن يصبح عالماً بمعناه الحقيقي في العالم الحاضر إلا بعد أن يدرس العلم الحديث والفلسفة والآداب الجديدة .<sup>(١)</sup>

وقد دفعه هذا الشعور ، إلى أن يبدأ في تعلم اللغة الانجليزية ، السائدة في الهند ، قتلها سرياً ، ثم عكف على دراسة كتب التاريخ والفلسفة .. وقد أتاحت له هذه المعرفة الحديثة ، أن يطل على آفاق جديدة من الثقافة ، تعلق بها قلبه وعقله ، ولكنه وقع في أزمة عقلية كبيرة ، كان لا بد لأمثاله الذين تربوا في بيئة محافظة ، وتلقوا علوماً خاصة تتفق وهذه البيئة ثم ألقوا بأنفسهم في تيار العلم الحديث ، كان لا بد لم أن يصادفوها .. ويتحدث هو بنفسه عن هذه الأزمة وسببها فيقول : -

« ولدت في أسرة متمسكة بالتقاليد الدينية إلى آخر حد ، فلا تقبل أن ينحرف أحد أعضائها ، عن العادات الموروثة أى انحراف ، في الوقت الذي لم أعد أقدر فيه على الانسجام من هذه العادات السائدة ، بل كان قلبي مغماً بشوة فكرية عليها ، مندفعاً إلى البحث عن الحقيقة أينما كانت ، لاسيما بعد ما رأيت

ونفاً مولانا آزاد في كلكتا وتعلم كما كان يتعلم أمثاله من أبناء الأسر المسلمة المحافظة التي تنأى بأبنائها أن يتعلموا في مدارس الحكومة التي تلقنهم ما يتصادم أحياناً مع عقائدهم .. فتعلم مناهج المدارس الدينية العربية كي يشب محافظاً على دينه وتقاليده ، بعيداً عن التأثير بمساوى التعاليم الغربية .. فدرس الفارسية والعربية والفلسفة والحساب والفلك والجبر بجانب مواد الدراسة الدينية وتلقى كل ذلك على يد مدرسين خصوصيين في بيت والده بما أتاح له الانتهاء من دراسة هذه المناهج في سن مبكرة وبدأ يدرس هذه المواد للطلاب .. وقد كانت نشأته بين أبيه وأمه الدان يجيدان العربية خير مساعد له على إتقانها حديثاً وكتابة .. وتلك ميزة قلباً تتوفر للعلماء الذين يدرسون المناهج الدينية العربية في الهند .. وكان لذلك أثره بلا شك ، في منهج حياته وتشكيلها ، وفي ثقافته الدينية العربية بوجه خاص ..

ولم يقتنع الشاب الصغير بما حصل من علوم يفتن بها كثير من أمثاله بل أخذ يستزيد من المعارف ويقرأ الكتب والمقالات وتفتح نفسه على آفاق جديدة لم يألّفها من قبل . فشرع بضآلة ما درس من علوم حتى وجدناه يقول في مذكراته عن تاريخ حياته « لم يمض كثير من الزمن حتى اهتمت

(١) من مذكرات « حياتي » المنقورة في مجلة نقادة الهند عدد سبتمبر ١٩٥٥ .

على إلهاب نفوس المسلمين وبعثها من رقادها حتى تتخلص من مستعبدتها وتعتمد في ذلك اعتماداً كبيراً على تعريف المسلمين بدينهم بعيداً عن الخلافات والخرافات ، وسقيهم من مذهب الصافي ؛ ليتلاقوا إخواناً في ميدان العمل على كلمة التوحيد ، والجهاد من أجل الوطن جهاداً دينياً في سبيل الله وتخليص الإسلام من المتحكم الظالم .. ولذا نراه يقول في مرافعته الكبرى أمام المحكمة حين محاكته سنة ١٩٢١ م « إن ما يعمل به المهاتما غاندي » .

الآن من بث الروح الدينية في الهندوس ، كانت الهلال ، قد فرغت منه سنة ١٩١٤ م .. ويقول في مذكراته : رأيت من الواجب الحثي إنشاء حركة جديدة بين المسلمين الهنود ، وازددت حماساً لذلك ، وقر عزمي على الاعتناء بالأعمال السياسية بعد عودتي للهند ، وفكرت بعض الوقت فيما يكون عليه مناهجي للمستقبل ، وانتهيت إلى ضرورة تربية الرأي العام ، وتحقيقاً لهذه الغاية لم يكن بد من إصدار مجلة « أنيقة الطباعة ، قوية الدعوة ليست على غرار ما يصدر من الصحف والمجلات الأوروبية المحرومة من ميراث الصحافة الحديثة ، ونتيجة لهذا أصدرت مجلة « الهلال » وأسست لها مطبعة خاصة ، وصدر العدد الأول منها في شهر يونيو سنة ١٩١٢ م ، وكان صدور « الهلال » نقطة تحول في تاريخ

من اختلافات رجال الدين المسلمين ، وتكثير بعضهم لبعض ، مع زعمهم أنهم جميعاً يستقون من منبع واحد .. وطلت ثلاث سنوات مضطرباً حائراً ، نهياً للشكوك ، باحثاً عن حل لها يرعني ، ولم أجده بدا من أن أحل نفسي من التقيد بالتقاليد القديمة الموروثة ، وأترك لها حرية البحث عن الحقيقة واتخذت لنفسى لقب « أراد » أي الحر ، تعبيراً عن الحطة التي اخترتها لنفسى في المباحث الدينية .

وقد دفعه فضجه المبكر ، ورغبته في التزود من الثقافات المختلفة ، والإلمام بأحوال الأمم على الطبيعة ، إلى السفر خارج الهند فزار العراق وسوريا وتركيا ومصر وهو في العشرين من عمره ، ومن مصر سافر إلى فرنسا ليسافر منها إلى إنجلترا ولكنه اضطر للرجوع إلى الهند حينما علم بمرض والده ، وكانت هذه الجولة سنة ١٩٠٨ م .

وفي أسفاره هذه اتصل بالاحرار في الأمم التي رارها ، وارتبطت نفسه بالثائرة نفوسهم ، وتلاقوا جميعاً على وجوب العمل لإزالة الروح الدينية وتمبثها في نفوس المسلمين في كل مكان حتى يتخلصوا من الاستعمار ، وينفضوا عنهم غبار التأخر والانحلال ، والرضوخ للأمر الواقع . فساد للهند وهو أكثر من ذي قبل إيماناً بوجوب العمل

الصحافة الأوردية، حيث نالت إقبالا منقطع النظير، وأعجب بها الشعب لا من ناحية طباعتها بل من ناحية دورها الوطنية القوية التي تأثروا بها تأثراً بالغا، بحيث خلقت بين عامة المسلمين حركة ثورية جديدة، وبلغ من تلهفهم عليها أن اضطرونا خلال الأشهر الثلاثة الأولى إلى طبع الأعداد السابقة مرة ثانية.

اتخذ الشاب «أزاد» من الروح الدينية نقطة ارتكاز لتحريك نفوس المسلمين، وبث الحياة فيها، وإثارتها على المستعمر، وتعریفها بواجبها الوطني، فكانت غاية مزدوجة: إحياء الروح الدينية السليمة في المسلمين، ودفعهم للثورة على المحتل. وكانت «اللال»، تصدر في ظل هذه الغاية حتى قال شيخ الهند الزعيم السياسي الديني «مولانا محمود الحسن»، متحدنا عن اللال وأثرها في النفوس: «كدنا نفس مهماتنا فذكرتنا اللال بها»، وكان شيخ الهند فوق الحسين من حمرة ويدير الحركة السرية ضد الانجليز وأبو الكلام آزاد في مقتل الشباب.. وشهادته هذه شهادة بحرب مجاهد عظيم لشاب مجاهد فاضح في أوان مبكر..

وهي تدلنا على مقدار الطاقة القوية التي اندفع بها مولانا آزاد إلى ميدان العمل والجهاد في بدء حياته وجهاده..

كان كأنه على موعد مع القدر، الذي أعده لإفناذ أمته من براثن الانجليز، فزوده بالانضاح المبكر، مع الصلابة في الحق والهداية في الفكر، والرشد في التوجيه الديني والسياسي معا، عرفه الناس من كتابته إنسانا من طراز جديد لم يمهده من قبل بين العلماء والكتاب والساسة، وقرءوا له فأكبروه، ولمسوا فيها يكتبه فضجا حملهم على أن يظنوه رجلا مجريا كبير السن، وسعى الكبار إلى معرفته ولقائه.. وهو شاب.. كما يسعون إلى رجل كبير أهله كبر سنه وجليل عمله لتعلقهم به وحبهم له وثقتهم عليه..

لقيه مرة أحد الزعماء المسلمين الكبار وهو السيد أظاف حسين وكان شاعراً كبيراً اتخذ لنفسه لقب «حالي»، على عادة شعراء الهند وكتابها.. فظنه ابن ذلك الكاتب الكبير الذي يقرأ له ويعجب به ويكبره، فاحتفل به، وأخذ يثني على آية الكاتب الممتاز.. إل.. إل.. ولكن الزعيم كانت مفاجأته كبيرة حين عرف أن أبا الكلام الكاتب هو ذلك الشاب الصغير الذي أمامه فكانت دهشته بالغة وإعجابه مضاعفا.. وكان نواب حسن الملك أحد الزعماء المسلمين يقول عنه «صغير السن عظيم العمل»، وهكذا كانت تحف به في شبابه عظمة تمهد له أن يحتل مكانه المرموق في مستقبل أيامه.

هيم المنعم الخمر

النبأ الأربعة :

## بَلال بن رباح

للاستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

• أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا ،  
هر بن الخطاب  
ترميم بمجارة من بحيل ، لجهلهم كعصف  
مأكول .

وعادت فلول الجيش المنهزم تجر أذيال  
العار والهزيمة ، وأما أبرهة ذلك القائد  
المتنطرس الجبار ، فقد نهكته العلة حتى صار  
ينتظر الموت في كل خطوة يخطوها .  
وأشد الغضب سحرية المكين منها .

وفي مسيره من اليمن إلى مكة لم تحاول قبيلة  
من قبائل العرب أن تعترض طريقه أو تصده  
عن قصده فقد رآوه في جيش لجب ، يسمى  
في قوة وعدة .

وأما من حدثته نفسه بالتمرض له  
أو مناوأة ، فقد أقسم أبرهة في نفسه أنه  
سوف يؤدبهم عند هودته .

وبلغ الجيش مكة والتقى أبرهة بسيد قريش  
عبد المطلب ، وكان يظن أنه سيطلب منه أن  
يترك البيت ويأخذ من المال ما يريد ،  
ولم يدركه أبرهة أن عبد المطلب يعتقد  
اعتقاداً راسخاً أن البيت ربا يحميه ، وقد حماه  
الله فأرسل على أبرهة وجيشه طيراً أبابيل ،

ونظر عربي كان يبحث عن غنيمة له ،  
فرأى عبداً حبشياً غليظاً يقود ناقة وهو يمشي  
متحاذلاً ، قد أنهكه التعب وأضناه الجهد ،  
وكان على الناقة هودج نفيس ، يستهوى الناظر  
إليه ، فأسرع إلى العبد يأمره أن يتبعه ،  
فانصاع لأمر العربي ، ثم أخذ يسأله حتى

مع غيرها من العبيد . ثم زوجها لأحد غلمانه الذين ينتمون إلى الحبشة بسبب ، وكان قد أعتقه لإعجابه به . إنه غلام أمه من عامة الشعب الحبشى ، وفى زواجه من مثل هذه الأميرة إذلال لها وحط من كرامتها فليس من المعقول أن مثل هذا الغلام يرقى إلى مرتبة الخدم لهذه الأميرة فما بالك بزواجه منها .

وأصبحت الأميرة الحبشية زوجا لرباح غلام خلف ، فأكرمها غاية الإكرام ، إذا رأى فيها رائحة قومه الذين لم يرم من قبل ، وقد أقبلت أمه ذات يوم فالتفتها بعض العرب أمة له وأنجب منها رباحا هذا ، وعمل رباح على أن ينسبها ما هو فيه من ذل وهوان وأن يشعرها أنها سيده المطاعة ، كما عمل على أن يدخل السعادة على نفسها ، فكان يطعمها ويسهر على راحتها ، وقد عرفت له ذلك فامتلت قلبا غبطة وفرحا ورضيت به زوجا لها ، بل إنها اعتبرت زواجها منه نعمة من نعم الله عليها .

ومرت الأيام وأنجبت الأميرة من رباح ابنا فرحت به ولكن آياه قد أمه أمره إذ تخيله وقد صار فى المستقبل عبدا لخلف أو لابن من أبناء خلف .

• • •

ويقبل خلف ذات يوم على ضيعته ليرى كيف تسير فيها الأمور ، ويلقى غلامه رباحا

حرف أن هذا المودج يحمل أميرة من أميرات الحبشة ، كانت تتبع الجيش .

ولما وصل إلى مضارب قومه ، أنماخ الراحلة ومد بصره داخل المودج فإذا هو بفتاة رائقة الحسن يظهر عليها الخوف والوجل فأخذ يطمئنها ويحدثها حديثا يبحث بعض الأمن والهدوء فى نفسها الخائفة المضطربة ...

ومضت الأيام وأحس العربى أن زوجته أخذت تنظر إلى هذه الحبشية الحسنة نظرة الغريم إلى غريمه ، إنها لا تطيق أن تقيم معها فى البيت ، وفكر وعدها تفكيكه أن يقدمها هدية لأحد سادات العرب ، وكان بينه وبين خوف صلة ومودة ، لحملها إلى مكة ، وهناك أطرف بها صاحبه ، وذكر له أنها إحدى أميرات الجيش الذى أراد أن يهدم بيت الله الحرام .

وقضى ذلك العربى فى مكة ما شاء الله أن يقضى ، ثم عاد إلى قبيلته ، أما خلف فقد تجمل حقه على الجيش الذى غزا مكة فى معاملته لهذه الفتاة الأسيرة ، فقد أقسم ليزيقها الذل والهوان . وأرادت زوجته أن تتخذها خادما ، ولكنه رأى أن خدمة زوجته لا تحقق له ما يريد بها ويقومها من إذلال .

وكان لخلف هذا ضيقة خارج مكة ، فمزم على أن يرسلها إليها لترعى الإبل والنشاء

إلى زوجك حررتها ولجعت ابنك حراً  
مثلك (١) .

وعاش رباح وزوجه يعملان في خدمة  
خلف ويقومان على تربية من أنجبا من أبناء .  
سعيدين بما يفتق عليهما سيدهما من خير  
موفور وما يحبهما به من رعاية خاصة .

ثم مات رباح وزوجته ، وتبعهما بعد  
ذلك سيدهما خلف ولم يقدر لأحد منهم أن  
يرى ما كان يتحدث به رباح .

واقسم أبناء خلف ما ترك لهم أبوم  
وأصبح بلال بن رباح خن نصيب أمية  
ابن خلف .

وكان في أمية صلف وكبر فعال بلالا  
أسوأ معاملة ، وكرح بلال من الكأس التي  
خشي أبوه أن يكرح منها فقد سخره سيده في جمع  
الحطب وحمل المتاع وخدمة الحيوان ، وحرم  
عليه غشيان مجالس السادة إلا أن يكون غادما  
مأموراً منكس الرأس ، خافض الطرف .

• • •

وذات يوم سمع شباب قريش بلالا يغنى  
ليعين نفسه على العمل المكلف به ، وليس  
في عمرة الغناء ما يلقي من هوان ، فوجدوا في  
صوته حلاوة وجمالا ، فأقصوا إليه وطربوا  
لصوته وما فيه من رغامة ، وأعجبوا بخلفه  
حيثما تعاملوا معه ، وسرعان ما أصبح له منهم

(١) طه حين ( الوعد الحق ) .

فيسأله ، ألم ينجب أطفالا بعد؟ ، فيذكر له  
رباح أنه قد أنجب غلاما وهو متألم له أشد  
الآلم ؛ لأنه سيصبح عبداً يذوق ما ذاقه أبوه  
من قبل ، ويتمنى أن ينقض هذا الليل المظلم  
ويشرق الصبح قبل أن يشب طفله عن  
الطريق فيسأله خلف .

( ويحك ! ماذا تقول ؟ أى ليل رأى  
صبح ؟ قال رباح : الليل هو هذا الدهر  
الذي نعيش فيه والذي يسوى فيه الرق بين  
الأرقاء ، وتفرق فيه الحرية بين الأحرار .

والصبح هو الزمن المقبل الذي يسوى فيه  
بين الأحرار والعبيد ، ويتأيز الناس فيه  
بأعمالهم وبلاتهم لا بمنازلهم وحظوظهم من  
الآراء . قال خلف وقد أغرق في الضحك :  
لقد تكهنت يا رباح منذ اليوم ! دع ليك  
المظلم وصبحك المشرق ، وحدثنى عن صبيك  
هذا الذي كنت تريد أن تشده منذ حين ،  
ما اسمه ؟ وما شكله ؟ قال رباح : إنك لتسخر

من ليل وصباحي ، وإن ليل المنجل ، وعسى  
أن تشهد إسفاره ، فإن لم تدركه فسيذكره  
ابنك أمية وسيذكره ابني بلال . فخر خلف  
رأسه ورفع كتفيه وقال : حسبك يا رباح  
نحدث بهذا إلى غيري ، أما أنا فإني زائد في  
عطائك لمكان هذا الصبي من أسرتك ،  
ولولا أن قبلنا عظيمنا قد سبق مني لرددت

الصلة بينه وبينهم ، فرضوا عن صحبتهم وحذوا رأيه وسيرته .

وفي أحد الأيام خرجت إحدى قوافل التجارة من قريش قاصدة الشام ، وكان فيها جماعة من أشرف قريش وأثريائها ، يصحبون معهم أخلاقهم ومواليهم ، وكان محمد بن عبد الله أحد الذين رافقوا القافلة وقبل أن تبلغ القافلة حدود الشام طرأ لمحمد ماضة إلى العودة إلى مكة ، ولم يكن من السهل أن يعود منفردا ولم يرض رفاقه أن يتركوه وحيدا ، فطلبوا منه أن يختار له رفيقا يؤنس في عودته ، ونظر محمد إلى من معه واستعرض رفاقه فلم يجد منهم أحدا أقرب إلى قلبه من بلال بن رباح ، وطأوا معا ، ولا إغلاها إلا قد تذكر كثيرا من الأمور ، وإن بلالا ذكر لمحمد ما كان يسمعه من أبيه رباح عن قرب انحصار الظلام وانبلاج نور الصباح .

فلما آن لظلام الليل أن يبده نور الصباح ولقوة الظلم أن تمحوها شريعة العمل ، أرسل الله محمدا يدعو الناس إلى الدين الجديد وأوحى إليه بشريعة الإسلام ليخرج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ولينقذ الضعفاء المضطهدين من سلطة السادة الظالمين .

• • •

وعرف أبو بكر أمر صاحبه قائم به ،

أصدقاء ومحبون كانوا كلما أقبل الليل وخرجوا إلى شعاب مكة يسمرون ويلهون ، طلبوا بلالا وكلفوه أن يغنيهم ، فيغنيهم غناء عذبا جميلا يتردد صداه في شعاب الوادي وسفوح الجبال .

وكثيرا ما يستغف الطرف المستمعين فينسبون أن من يغنيهم إن هو إلا عبد رقيق فيفرونه ويشركونه في سمرهم ولعبهم ، فيرون منه أكثر من جمال الصوت عفتا راجعا وبيا ناعسا وحديثا حلوا طليا ، قمتلى قلوبهم إعجابا به وإكبارا له .

ولا يزال أمر بلال يعلو وينتشر حتى رفع عن أعمال العبيد وندب لأنبل حرفة يشتغل بها أهل قريش ، وأشرف أهل يهودهم به ، ألا وهو التجارة بين الشام والحجاز . وبين اليمن والحجاز

وقد كانت الحياة الجديدة خليفة أن ترضى بلالا فيفتبط بها ويعرف لسيدته يده عنده ، ولكنه لم يرض بتلك الحياة الظالمة ، وضجر بما حول من فساد وظلم وذلك لأنه نبيل النفس نقي السريرة . ورغم ما كان يلقى فإنه عاش متطلعا إلى اليوم الذي كثيرا ما تحدث عنه أبوه . وأصل بكثيرين من عقلاء مكة وأصحاب الرأي فيها ، وكان ممن اتصل بهم بلال ، أبو بكر الصديق واتخذ منهم أصدقاء قلبه وأصفياء نفسه وتوثقت

فنظر إليه أمية وقد ملأ الحق قلبه وقال :  
 ولم يبق إلا أن تهكن أيها العبد الآبق ، لقد  
 غلبك محمد كما غلب غيرك فلا قلبك ضللا  
 وكفرا كما أضل غيرك من أراذلنا الذين  
 اتبعوه ، لقد كنت غططنا عندما رفعتك من  
 خدمة المتساع وقطع الشجر وجمع الحطب ،  
 إلى التجارة والرحمة والتصرف في المال ،  
 فدهاك سوء طبعك ولوم نفسك أن محمد  
 نعمق وتنسى فضلي ، وسولت لك نفسك  
 الشريرة أن تتخير الأرباب وتمايز بين  
 الأديان ، فواللآلة والعزى إن لم تعبد ما أعبد  
 من آلهة ، فأني سأريق دمك كما يراق دم الفداء ،  
 فقال له بلال : « لا بأس بالموت يا مولاي  
 فهو غاية كل حي ونهاية كل حياة ، وإنه  
 لأحب إلى من العودة إلى الضلالة والكفر ،  
 وحياة الفل والهوان ،

فتارت نائرة أمية وغل مرجل غضبه ،  
 فأمر أن يؤخذ العبد إلى الموت وأن يذوق  
 ألوان العذاب .

**عبد الموجود عبد الحافظ**

وسمع بلال بما نخص الله به صاحبه محمد فاتبعه  
 فكانا هما الاثنان أول المؤمنين .

ولقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 بمن آمن به عندما كان يدعو الناس سرا : «  
 من أتبعك على هذا الدين ؟ » فقال عليه السلام  
 « رجلان : حر وعبد ، أما الحر فأبوبكر ،  
 وأما العبد فبلال ثم استمر بلال بعد إيمانه ،  
 في عمله يؤديه لسيده على أكل ما يؤدى العمل .  
 وبجانب ذلك كان يجتمع بالرسول في دار  
 الأرقم بن الأرقم يسمع من صاحبه آيات الله  
 التي يجلو بها قلبه ، ولم تطل سرية أمر بلال  
 فقد رضى به واش لدى سيده ، وعلم أمية  
 أن عبده قد آمن بدعوة محمد ، ودخل في دينه ،  
 فركبه الهم واشتد به الكرب ، فاستقدمه إليه  
 وسأله في غضب : أحميا بلال قد استخفك  
 محمد فاتبعته ودخلت في دعوته وكفرت باللات  
 والعزى ؟ وكيف تتبع محمدا الذي سفه ديننا  
 وطاب ألفتنا ؟ » .

فقال بلال : « ما استخفني محمد وما حبات ،  
 وإنما رأيت الحق فاتبعت وأرشدني محمد  
 الأمين إلى أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له  
 لا يبد سواه ، فصدقته وآمنت به ولأن النصر  
 سيكون له مهما طال الزمن » .

قيل لعنرة صف لنا الحرب : فقال :  
 أولها شكوى ، وأوسطها نجوى ، وآخرها بلوى .



# الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٢ -

اصطنعنا على أن الحقوق المالية الواجبة في مال المسلم شرعا يمكن تسميتها بشئ من الجاز - ضرائب إلهية ، لأنها حق ثابت لازم ، يطالب به الشارع صاحب المال ، ولا يتخلص من تبعته إلا بأدائه .

وأول هذه الحقوق المالية هو : الزكاة ، التي جعلها الإسلام ركنا من أركانه الأساسية الخمسة ، وأوجبها القرآن بقوله : « وآتوا الزكاة » في آيات كثيرة (١) ، وأوجبها الحديث في وصية الرسول لمعاذ حين بعثه واليا على اليمن وقال له : « ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بيها وبين الله حجاب » . وقال الفقهاء : إن الزكاة شرط لصحة الإسلام (٢) ، وهي حق المال المعلوم الواجب للسائل والمحروم .

والأموال المزكاة ضربان : ظاهرة وباطنة ، فالأموال الظاهرة مالا يمكن إخفاؤه . كالزروع والثمار والمواشي . والأموال الباطنة ما يمكن إخفاؤه ، كالذهب والفضة وعروض التجارة (٣) .

وزكاة الأموال الباطنة يؤديها أصحابها ويخرجونها بأنفسهم في الأصل ، ولم أن يعطوها لولي الأمر وهو يتولى توزيعها ، ولكن الزكاة في الأموال الظاهرة يؤمر أصحابها بدفعها لولي الأمر ، وليس لهم أن يتفردوا بإخراجها ، وإن امتنعوا حاربهم عليها كما فعل أبو بكر مع مانئ الزكاة ، وهم يصيرون بذلك المنع من البغاة ، ودوح التعاليم الإسلامية توحى بأن المسلم إذا ثبت عليه أنه لم يترك أمواله الباطنة كان على ولي الأمر أن يحمله على دفع هذه الزكاة .

وأشكال الأموال المزكاة هي أولا الذهب والفضة ، وثانيا الزروع والثمار ، وثالثا المواشي وهي الإبل والبقر والغنم ، ويضم المعز إلى الغنم ، والجاموس إلى البقر وإنما

(١) البقرة آية ٤٣ و٨٣ و١١٠ والمحل ٧٨

والنور ٥٦ والمجادة ٩٣ والزم ٢٠

(٢) انظر تفسير المنار ، ج ١٠ ص ٢٠٦ .

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٩٩ .

أو دالية ( دولات ) ففيه نصف العشر ، .  
والنصاب الواجب فيه الزكاة هو أربعة  
أرانب وكيستان فأكثر (١) .

أما زكاة الذهب والفضة فقدرها اثنان  
ونصف في المائة ، إذا كان الذهب يساوي  
اثنى عشر جنها مصريا - إلا اثنى عشر  
قرشا ونصف - فأكثر ، أو كانت الفضة  
تساوي خميسة وتسعة وعشرين قرشا وثلاثين  
فأكثر (٢) . وبشرط أن يمر عام قمرى على  
ملك هذا النصاب .

ويمكن أن نسمى زكاة الذهب والفضة  
بضريبة المال المجدد غير المستثمر ، وكأن  
الحكمة من فرض هذه الضريبة هي الحفز  
على تحريك المال واستثماره وعدم كثره ،  
لأن الشخص إذا لم يفعل ذلك تسبب في ضياع  
رأس المال بتكرار أخذ الزكاة منه كل عام  
وهو يجد غير متحرك ، وأما إذا حركه فهو  
تحقيق هدفين : الأول نمو المال ، ويمكن  
أن يعرض هذا مقدار الزكاة المأخوذ ،  
والهدف الثاني ألا ينقص رأس المال أو يزول .  
ونلاحظ هنا عدة أمور لها حكمتها ،  
فقد اشترط الإسلام النصاب لأن القليل

سميت هذه مواشى لأنها ترمى وهي تمنى ؛  
ورابعا عروض التجارة .

وإنما تجب الزكاة على المسلم البالغ العاقل  
الحر المالك للنصاب : أى المقدار المالى  
الذى تجب فيه الزكاة (٣) .

ولم يترك الإسلام التقدير الواجب في المال  
المركب مبهما ، بل حدده وبينه في كل صنف  
من أصناف المال ، ففي الزروع والثمار  
كالقمح والذرة والأرز والشعير والتمر  
والزبيب حدد عشر المحصول ، إذا كانت  
الأرض المزروعة تسقى مباشرة بماء السماء ،  
أو تسقى بدون آلة أو مجهود ، أو كما يعبر  
أهل الريف « تسقى بالراحة » ، وحدد نصف  
العشر في المحصول إذا سقيت الأرض بآلة  
كساقية أو دلو أو غيرها ، أو بذل صاحبها  
مجهودا في سقيها .

ونلاحظ هنا عدالة التقسيم ، فالأرض  
المسقية ببذل مجهود يزيد زكاتها عن الأرض  
المسقية بلا مجهود ، وفي هذا مراعاة لاختلاف  
الأحوال ، والعمدة في هذا التقسيم هو قول  
الرسول عليه الصلاة والسلام : « ما سقت  
السماء ففيه العشر ، وما سقى غرب (دلو)

(١) في كتاب الفتاوى تعليقات كثيرة على  
الشروط اللازمة لوجوب الزكاة ، والقدر المذكور  
هنا هو ما يكاد ينفذ عليه الإجماع ، ويمكن  
مراجعة باقي التعليقات في كتاب الفتاوى على المذهب  
الأربعين ج ١ ص ٤٧١ وما بعدها .

(٢) نقول الرسول : « ليس في حب ولا تم  
سدة حتى تبلغ خمسة أوقى » ، والوسق ستون صاعا  
مدنيا ، وقدروا الحصة بما ذكرنا .

(٣) راجع لتعدد النصاب هنا كتاب الفقه  
المغريب الأربعة ج ١ ص ١٨١ :

عن طريق التوالد . وما استدلوا به على وجوب هذه الزكاة ما رواه سمرة بن جندب قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الزكاة مما نعدده للبيع » . وقال عمر لأحد التجار في شأن تجارته : « قومها ثم أد زكاتها » .

وأما زكاة المشية أو النعم أو البهائم فتجب فيها الزكاة إذا كانت سائمة ، والسائمة هي التي ترضى في السكلا المباح ، كالموجود في البراري أو الأرض العامة التي لا مالك لها ، وتظل تأكل من هذا ( العلف ) المباح أكثر السنة على الأقل ، وبشروط أيضاً أن تكون هذه المشية مقصودة لدر الثمن أو النسل أو التسمين ، فلو كان المقصود منها العمل كالحرث أو الحمل أو الركوب فلا زكاة فيها ، وإذا انخفضت للتجارة انتقلت زكاتها إلى باب عروض التجارة . والنصاب - أي المقدار الذي لا تجب في أقل منه زكاة هنا - يختلف باختلاف أنواع المشية ، فأول نصاب الإبل خمس ، فإذا بلغت فيها شاة ، وهكذا تؤخذ من كل خمس شاة إلى عشرين ، ثم هناك تفصيل للواجب فيها زاد عن ذلك . راجع في كتب الفقه .

وأول نصاب البقر ثلاثون بقرة ، فإذا بلغت فيها شاة أو تبيعة ، أي عجل أو عجلة بحيث يكون كل منهما قد أوفى سنة

المدخر لحاجة قريبة أو بعيدة لا يؤبه به ، واشترط حولان الحول - أي مرور العام والمال موجود - حتى لا يكون لصاحبه عذر في تجميده بعد هذا الوقت الطويل الذي يستطيع خلاله أن ينفق المال أو يحركه في استثمار .

وأما عروض التجارة - وهي جمع عرض يسكون الزاء ، أي ما ليس بذهب ولا فضة - فزكاتها ربع العشر ، أي اثنان ونصف في المئة ، ويجب هذا المقدار بالنسبة لقيمة السلع بجمعة ، ويضم الربح الناشئ خلال العام إلى أصل المال ، لأن الزكاة في التجارة تجب متى تم الحول أي السنة .

وهذه الزكاة يمكن اعتبارها في مقابل ضريبة الأرباح التجارية المعاصرة ، ونلاحظ أن الإسلام جعل مقدار زكاة التجارة كنزكاة النقد والذهب والفضة ، لأنه ينظر إلى التجارة على أنها رأس مال ، وكأنه يريد أن يقول بطريق غير مباشر : ينبغي أن يكون الذهب والفضة متحركين حركة التجارة للنمو والتشجير ، وأن يكون للتجارة من المكانة والتقدير المادي ما للذهب والفضة ، فيدعو ذلك إلى العناية بها والحرص عليها ، ولذلك قال الفقهاء إن ( عروض التجارة ) مال مقصود به التنمية ، فهو يشبه الزرع في تضاعف المحصول ، ويشبه الأنعام في الزيادة

غالباً ، والفلاحون وأصحاب الأرض عليهم  
زكاة الروح والثمار والأنعام ، والتجار  
عليهم زكاة عروض التجارة ، فإذا أضفنا  
إلى هذا أن الإسلام يأخذ من أهل الغنائم  
خمس الغنيمة ، ومن أهل الذمة يأخذ الجزية ،  
ومن الجميع رجالاً ونساءً ، وكباراً وصغاراً ،  
وعسماً وعقودمين ، يأخذ زكاة الفطر عند  
رمضان من كل عام . وهي المسماة في كتب  
الفقه صدقة الفطر ، وهي واجبة على كل حر  
مسلم قادر ، حتى قال الرسول قبل يوم الفطر  
يوم أو يومين : « أدوا صاعاً من بر أو فح  
أو صاعاً من تمر أو شعير ، عن كل حر وعبد  
صغيراً أو كبيراً » .

إذا أضفنا كل هذا إلى أنواع الزكاة المتقدمة  
أدركنا أن عنصره الشمول ، الذي يعتبر  
سمة من سمات الضريبة العادلة متوافر  
في الحقوق المادية التي أوجبها الإسلام  
في الأموال .

ومما يلزمني تذكره أن فريقاً من الفقهاء  
المعاصرين يرون من فهم روح الإسلام  
في تشريع الزكاة أن الهارات والمنازل المبلية  
السكنى بالإيجار تقاس في الزكاة على الأرض  
المزروعة ، فيكون فيها زكاة كزكاة الزرع ؛  
وذكروا أن الفقهاء القدماء لم يتعرضوا لهذه  
الناحية لأن المساكن في الزمن القديم كانت  
تستعمل في السكنى الشخصية ، ولم تكن تؤجر

ودخل في الثانية ، وإذا بلغت البقر أربعين فما  
فوقها فلها أحكام مفصلة في كتب الفقهاء كذلك  
وأول نصاب الغنم أربعون ، فإذا بلغت  
ففيها شاة أثمت سنة ، فإذا بلغت الغنم  
مائة وإحدى وعشرين ففيها شاتان ، فإذا  
بلغت مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه ، وفي  
أربعمائة أربع شياه ، وما زاد ففي كل مئة شاة ،  
وما بين كل مقدارين معفو عنه فلا زكاة فيه .  
وهناك من الفقهاء من يرى وجوب الزكاة  
في الخيل ، ومن يرى وجوب الزكاة  
في المعدن أو الركاز ، وهو ما يوجد تحت  
الأرض من معادن أو كنوز ، ولكن  
الخلافاً موجود بين الفقهاء في هذين الأمرين ،  
فليراجعه في مصادره من أراد .

ونلاحظ في تشريع الزكاة عنصرى التيسير  
والشمول ، فالتيسير يبدو في اشتراط الإسلام  
قدراً معيناً من المال لا تجب الزكاة في أقل  
منه ، فليس كل مالك يركى هما يملكه ولو كان  
ضئيلاً قليلاً ، والشمول يأتي من ناحية أن  
كل مالك للنصاب تلزمه الزكاة بلا استثناء ،  
ولم يكن هذا النصاب مقصوداً على صنف  
من المال دون صنف ، بل شمل كل أنواع  
المال الثامى بالقوة أو بالفعل ، وشملت الزكاة  
بأنواعها الكثير من مستويات الناس ، فعلى  
الأغنياء زكاة الذهب والفضة بوجه عام ،  
لأنهم هم الذين يدخرون ما يزيد عن النصاب

فالزكاة تدفع إذن إلى الفقراء ، والمفقر هو المحتاج إلى مطالب العيش وضرورات الحياة ، أو الذي لا شيء له ، وتدفع إلى المساكين ، والمسكين هو الذي لا يجد ما يكفيه ، أو هو الذي قد أسكنه العدم ، ومهما يكن من خلاف في تحديد معنى الفقر والمسكنة فالوصفان مشعران بالاحتياج ، فيدفع من الزكاة إلى الفقير والمسكين ما يخرج به كل منهما عن حالة الفقر والمسكنة إلى أول مراتب الاستغناء على الأقل : « وذلك معتبر بحسب حالهم ، ففهم من يصير بالدينار الواحد غنيا إذا كان من أهل الأسواق يرج فيه قدر كفايته ، فلا يجوز أن يزداد عليه ، ومنهم لا يستغنى إلا بمائة دينار ، فيجوز أن يدفع إليه أكثر منه ، ومنهم من يكون ذا جلد يكتسب بضاعة قدر كفايته ، فلا يجوز أن يعطى وإن كان لا يملك درهما » (١) وتدفع الزكاة إلى ( العاملين عليها ) وهم الذين يقومون بجمع الزكوات من الناس وجبايتها ودفعها إلى ولي الأمر ، والذين يقومون بقسمتها وتوزيعها على مستحقيها ، فالعامل في هذا المجال يأخذ أجرته من مال الزكاة ، ويدفع له في هذه الحالة أجر المثل. والمصرف الرابع هو ( المؤلفون لقلوبهم ) وهم الذين كان النبي يتألف قلوبهم ، ويتودد إليهم ، ليقوى إسلامهم ، أو ليكفوا

بالصورة المعروفة الآن ، ولكن العمارات اليوم أصبحت مصدر استئثار كبير واستثمار موصول ، بل إن العمارات تندر من الأرباح أكثر من أرباح الأرض الزراعية الآن ، فلا أقل من أخذ الزكاة فيها كزكاة الأرض ! وكما لاحظنا ملاحح الحكمة والتيسير والرحمة والعدالة والشمول في مصادر الزكاة ومناصبها ينبغي أن نستعرض مصارف الزكاة لعلنا نلاحظ فيها مثل هذا من ألوان الحكم ووجوه الإصلاح .

والمراد بمصارف الزكاة الجهات التي توزع عليها وتصرف فيها ، وقد جاء القرآن الكريم بتحديد هذه المصارف في قوله تعالى من سورة التوبة : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وإذا كانت الآية قد عبرت عن الزكاة بالصدقات فلا فرق بين الكلمتين من ناحية المدلول ، لأن « الصدقة زكاة ، والزكاة صدقة يفرق الاسم ويتفق المسمى » . (٢) وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم حينما نزلت هذه الآية : « إن الله تعالى لم يرخص في قسمة الأموال بملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، حتى تولى قسمتها بنفسه » (٣) .

(١) الأحكام السلطانية للماوردي ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

وفي كتاب ( الإسلام عقيدة وشرعية )  
الشيخ شلتوت جاءت هذه العبارة : ( وليس  
من ريب في أن حاجة المسلمين اليوم في دفع الشر  
عنهم ملحة إلى تقوية ضميرهم ، والاستعانة  
بكل ما ينفع في رد العدوان والبغي .

وإذا كان خصوصنا قد لجأوا إلى هذا ،  
وأعلنوا مشروعات التأليف والمصونة التي  
يخضعون بها المتردين منا ، ويؤوبون بها  
الأعداء علينا ، فنحن لا نسد على أنفسنا  
هذا الباب وقد فتحه القرآن لنا على مصراعيه ،  
وأورده بكلمة واضحة تحمل معناها وتؤدي  
غايته ، وإذن فالذي كان من ضرر الأصحاب  
هو وقف لإعطائهم في زمنهم ، وليس نسخا  
للحكم كاقيل (١) .

ويقول الدكتور بدوي عبد اللطيف :  
( إذا نظرنا إلى الحالة الحاضرة ، وما عليه  
الأمم في العصور الحديثة رأينا الدول تنسابق  
إلى نشر أديانها ومذاهبها ، وتنظيم سبل  
الدعاية لها ، والترغيب بها ، وعجاجة الدين  
الإسلامي بالتشاور المبشرين في الأقاليم الإسلامية  
وغيرها ، ونشاطهم في إلقاء أباطيلهم الزائفة  
وعقائدهم الباطلة ، وشراء عقائد الأفراد  
وخصائهم بالأموال الطائلة ، يؤيدهم في ذلك  
الاستعمار باسم حرية الدين والعقيدة والرأى ،  
ويأنشئ المستشفيات والملاجئ والمعاهد

شرم ، أو ليضعفوا جهودهم ، وهؤلاء  
المؤلفة أصناف ، فصنف تألفهم لمونة  
المسلمين ، وصنف للكف عن المسلمين ،  
وصنف لتوطيد الإسلام في نفوسهم ،  
وصنف لترغيب خصائهم في الإسلام ، فمن  
كان مسلما من هذه الأصناف أخذ .

وهناك من يرى سقوط هذا الصنف من  
دائرة الاستحقاق ، يدعوى أن الإسلام  
استغنى عن تألف الذين تخشى عليهم الردة  
من ضعف الإسلام ، ويدعوى أن  
قال : في حق رجلين من المؤلفة قلوبهم  
( كنا نؤلف حين كان الإسلام في ضعف ،  
أما الآن ، وقد عزز وقويت شوكته - فلا  
حاجة بنا إلى التألف ) أو ما معناه ذلك .

وهذه الرواية لا تقتضي سقوط هذا  
الصنف ، وإنما ذلك اجتهاد من عمر بأنه ليس  
من المصلحة استمرار هذا التأليف لذين  
الرجلين الظالمين وأمثالهما ، بعد الأمن من  
ضرر ارتدادهما لو ارتدا ، لأن الإسلام  
قد ثبت في أقوامهما حتى إنه لا يترتب على  
قتلهما لو ارتدا أدنى فتنة (٢) .

والإمام الشوكاني يرى جواز التأليف  
عند الحاجة ، فإن كان في زمن الإمام قوم  
لا يطيعونه إلا للدين ، ولا يقدر على إدخالهم  
تحت طاعته بالتفسير والغلب ، فله أن يتألفهم  
ولا يكون لنفوس الإسلام تأثير (٣) .

(١) تفسير المنار ج ١٠ ص ٥٢٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧٧ .

(٣) الإسلام عقيدة وشرعية ، ص ٩٥ .

أموالها وسلطانها وحريتها في بلادها ، كان ذلك رزق أفراد يموت بموتهم ، وتبقى دولهم حرة ورشيقة ، لها من الأمور الأهلية ما لساير الأحرار الراشدين . ولكن هذا رزق شعوب وأمم ، تلد شعوبا وأممهم في الرزق كأبائهم ، فهو رزق عام دائم ، يفرض على الأمة بقسوة ظالمة غاشية .

وأذن فما أجدر هذا الرزق بالمكافأة والعمل على التخلص منه ، ورفع ذله عن الشعوب ، لا بمال الصدقات فقط . بل بكل الأموال والأرواح (١) .

والمصرف السادس يتعلق بالفارمين ، وهم الذين استدانوا لمصالح أنفسهم ، ثم عجزوا عن الوفاء ، أو استدانوا لمصالح المسلمين وعجزوا ، ف هؤلاء وهؤلاء يأخذون من مال الزكاة سهمهم لقضاء ديونهم .

والمصرف السابع هو « سبيل الله » وقد قصر السابقون معنى هذه الكلمة على الفزاة والمرايطين ، ولكن سبيل الله واسمة شاملة ، وهي سبيل الحق والعدل والحرية والإصلاح والتعمير والتعاون وهي سبيل كل خير ، والتحقيق أن سبيل الله هنا مصالح المسلمين العامة التي بها قوام أمر الدين والدولة دون الأفراد (٢) .

التي أقاموها بين ظهراني المسلمين في ربوع الأقطار الإسلامية لتضليل أبناء المسلمين ، وردم عن دينهم بأشنع الوسائل وأخبث الطرق التي لا يفرها عقل ولا دين .

إننا إذاً ذلك يجب ألا ننظر بالمال فيما يستدعيه واجب الدين والوطن الإسلامي وما تتطلبه مصلحة المسلمين ، وذلك بالدعوة إلى الإسلام ومقوماتنا بالموعظة الحسنة والإرشاد وباللهي هي أحسن ، وإرسال البعث من العلماء المتنورين الفاهمين إلى الآفاق والأصقاع لإذاعة كلمة الدين وبيان أسرارها وعماسته (٣) .

والمصرف الخامس الزكاة هو المبرر عنه بقول الله تعالى : « وفي الزكاة » أي في تحرير رقاب العبيد ، وللتخلص من الرق الذي حاربته الإسلام وهدف إلى القضاء عليه ، ويكون ذلك بمعاونة المكاتبين ، بأن يدفع إليهم من الزكاة ما يستقدون به رقابهم ، ويكون كذلك بشراء أرقاء وعتقهم .

يقول صاحب ( الإسلام عقيدة وشريعة ) في هذا المقام : ( وهذه الناحية قد اقترض أفرادها بانقراض الرق الذي يتشوف إليه الإسلام ، ولكن فيما أرى قد حل محله الآن رزق هو أشد خطراً منه على الإنسانية ، ذلك هو استرقاق الشعوب في أفكارها وفي

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٧

(٢) تفسير المنار ، ج ٦ ص ٥٨٥ .

(٣) الميزانية الأولى في الإسلام ، ص ٥٥

وإذا راجعنا هذه المصارف وجدناها محقة لعنصر الشمول في الصرف ، فإن هذه الجهات تشمل كل المحتاجين ، وإذا كانت الآية الكريمة قد حددت مصارف ضيقة أجال أو محدودة النطاق كالعلماء على الزكاة والأرقاء ، فإنها تذكر بموارها مصارف يتسع نطاقها وينفخ في كثير من الأحيان كالفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم بمعانهم العصري والغارمين ، ثم هي مع كل هذا تذكر ما يتسع وينفخ ، وينفخ ثم ينفسخ ، وهو سبيل الله ، بالمعنى الذي ارتضيناه ؛ وهكذا نسهم ضريبة الزكاة الإسلامية في وجوه من الخير والإصلاح ، تعمر المجتمع وتسعد الأحياء .

### أحمد الشرباصي

ومن سبيل الله نشر دعوته وإعداد الدعاة لذلك ، والإنفاق على المدارس للعلوم الشرعية وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة ، ومن سبيل الله أيضا : « للتكويين الحربي الذي ترد به الأمة البني وتحفظ الكرامة ، ويشمل العدد والعدد على أحدث المخترعات البشرية ، ويشمل المستشفيات عسكرية ومدنية ، ويشمل تعبيد الطرق ، ويشمل الإعداد القوى الناضج لدعاة إسلاميين يظهرون جمال الإسلام وسماحته وينشرون كلمته (١) » .

وهكذا نستطيع أن نفهم المعنى العام لسبيل الله على أنه كل ما يتعلق بمصالح الأمة الدينية والدينية ومناقصها الروحية والمادية . والمصرف الأخير هو ابن السبيل ، وهو المسافر لغرض ، مشروع وينقطع به الطريق نقصة الزاد أو المال ، فيأخذ من الزكاة ما يبلغ به داره .

(١) الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩٧

### العناية قبل السؤال

قال سعيد بن العاصي : فتح الله المعروف إن لم يكن ابتدىء من غير مسألة ، فالعروف عرض عن مسألة الرجل إذا بذل وجهه وقلبه خائف ، وفرائضه ترتعد ، وجبينه يرشح ، لا يدري أيرجع بنجح المطلب أم بسوء المقلب . قد انتقم لوته ، وذهب دم وجهه .

اللهم فإن كانت الدنيا لها عندي حظ فلا تجعل لي حظا في الآخرة .



# الحصانات الدبلوماسية في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

مقدم :

تعنى كلمة دبلوماسية في أصلها الإغريقي القديم الوثيقة أو المكتابة التي تطوى كما يطوى الخطاب ويبيع بها أصحاب السلطة بعضهم إلى بعض في علاقاتهم الرسمية ، وتجعل لحاملها امتيازاً معيناً .

وقد انتقلت هذه الكلمة من اليونانية إلى اللاتينية ومنها إلى اللغات الأوروبية الحية كالإنجليزية والفرنسية ثم إلى اللغة العربية ، واستخدمت للدلالة على أكثر من معنى . فقد استعملها الرومان بمعنى الشهادة الرسمية أو الوثيقة التي تتضمن صفة المبعوث أو السفير والمهمة الموقفة بها ، فكانت بمثابة جواز سفر ، ويعنى ما ينبغي على المبعوث أن يتحلى به من الأدب الجم واصطناع المودة وتجنب أسباب النقد .

وتطور استعمال كلمة دبلوماسية حتى أصبحت في القرن السابع عشر تعنى دراسة الوثائق القديمة . ولم تستخدم في معناها المتعارف عليه الآن إلا منذ نهاية القرن الثامن عشر . وتعنى الدبلوماسية في العصر الحديث ممارسة

الدولة لسياستها الخارجية عن طريق المفاوضات وغيرها من الوسائل السلية . وهناك معان أخرى متنوعة تستعمل فيها الكلمة جوازاً ، إلا أن المدلول الذي أشرنا إليه هو المعنى المألوف والأكثر شيوعاً .

وثمة تعريفات مختلفة للدبلوماسية وردت في الموسوعات والمعاجم وفي مؤلفات فقهاء القانون الدولي ورجال الدبلوماسية وعلماؤها تخلص منها إلى أن الدبلوماسية هي من إدارة العلاقات الخارجية للدولة ، أو بتعبير آخر هي أسلوب مباشرة العلاقات بين الدول .

وبما يجدر ذكره في هذا الصدد ذلك التعريف الذي ورد على لسان معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية وأدهى الحكام العرب ، فقد عبر عن فن سياسة الحكم وإدارة شئون الدولة في علاقاتها العامة بقوله : لو أن بيني وبين الناس شعرة ما اقتطعت ، كنت إذا أرخواها شدتها ، وإن شدوها أرختها .

وهو تعريف بالغ الدلالة على ما ينبغي أن يتوافر في الدبلوماسي من مرونة وحكمة في تدبير علاقاته وتنفيذ خطته . كما يدل هذا التعريف

حميدة في العالم المعروف إذ ذاك . وتحفل كتب التاريخ بأخبار مسلمهم إلى الملوك وسفاراتهم ومفاوضاتهم ، بل لقد قدمت إليهم بعثات من هذه الممالك ، والبلاد تخطب ودم وتطلب مؤازرتهم .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم اقتضته طبيعة الرسالة أن يسلك سبيل الدبلوماسية لنشر دعوته في الجزيرة العربية ومنها إلى أرجاء العالم الذي كان قائما في ذلك الحين . وهكذا تطورت النظم الدبلوماسية لتتبنى هذه الحاجة الجديدة ودخلت في مرحلة أكثر تقدما في شكلها ومحتواها وتعنى بها الدبلوماسية الإسلامية في نشأتها . وتختلف حلقات هذه المرحلة بحسب ظروف الدعوة وأغراضها وتطورها المرتقب في المستقبل . فقد كانت العلاقات الدبلوماسية التي أقامها الرسول قاصرة في بداية الأمر على المحادثات الشخصية وإرسال الكتب وإيفاد البعثات إلى القبائل العربية وإلى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها لتعرف بالإسلام والدعوة إليه . ومن أجل هذا الفرض كانت سفارات الصحابة إلى مختلف القبائل . وكانت المؤتمرات التي عقدت في الجزيرة العربية لشرح مبادئ الإسلام والإقناع بها فيما بعد .

وهكذا تعددت وسائل الاتصال في الدبلوماسية الإسلامية من محادثات شخصية

على وعى مستتير وفهم لأصول الدبلوماسية وما يتخلق به وجاها من حضانة نادرة وذكاء نافذ ومهارة خاصة في معالجة الأمور .

### المبحث الأول

#### الدبلوماسية الإسلامية

عرف العرب الأسلوب الدبلوماسي في علاقاتهم ومعاملاتهم ، وكانت لهم نظم وتقاليد دبلوماسية حتى في جاهليتهم . فقد نشأت منذ القدم علاقات تجارية وثيقة بين القبائل العربية وبين جيرانها من الأمم والشعوب . وقد اقتضت تلك العلاقات أن يتبادل العرب فيما بينهم وبين غيرهم المراسلات والبعثات ، وأن يصبح لهم بتواتر هذه السفارات أسلوب دبلوماسي تقليدي يصرفون به شئونهم ويديرون به مصالحهم التجارية وغيرها . والعرب تطيعتهم قوم رحل جوابو آفاق ، تشهد بذلك أسفارهم وقوافلهم التجارية وندواتهم في سوق عكاظ وغيرها من الأسواق ، واجتماعاتهم في مواسم الحج ، ووفادات شعرائهم وحكائهم إلى ملوك فارس والحيرة وغسان وحير .

وقد ساعد على قيام العلاقات الدبلوماسية بين العرب والبلاد المجاورة وتوثيق صلاتهم بها موقع جزيرتهم بينها منذ كانت معبرا للقوافل التجارية قبل الإسلام . وقد أتاح لهم ذلك مركزا تجاريا ممتازا وعلاقات ودية

للإسلام بعقد المعاهدات مع ممثلي المدن والأمصار التي فتحها المسلمون .

ثم كان عصر العباسيين الذي اشتهر فيه ساعد الدولة الإسلامية فأصبحت في طليعة القوى السياسية الدولية - إذ امتدت رقعتها من أطراف الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، فضلاً عن اتساع أرجائها شمالاً وجنوباً ، كان لذلك أثره البالغ في الدبلوماسية ، فازداد النشاط الدبلوماسي باتساع نطاق العلاقات الدولية بين العباسيين في بغداد والبيزنطيين في القسطنطينية ، وتعددت أغراض السفارات ووظائفها بحيث أصبح تبادل الممثلين السياسيين وسيلة لتوثيق الصلات التجارية وتبادل الأسرى وتبادل العطايا . وفرض المنازعات وعقد المعاهدات وغير ذلك من الأغراض السياسية والعسكرية . كما استحدثت غرض آخر للسفارات وهو تعزيز الروابط العلمية والثقافية بين الدول لما يحققه ذلك من إقرار علاقات المودة والسلام بينها ودعم الحركة الثقافية في البلاد .

ومن ثم كان اتهاج الدولة الإسلامية الأسلوب الدبلوماسي في علاقاتها السياسية مع الدول الأخرى ضرورة حيوية لمباشرة نشاطها ودعم قوتها من دعايم نموها وتطورها ، فلا غرو أن تغدو الدبلوماسية في الإسلام فناً جديراً باهتمام الدولة ورعايتها ،

ومراسلات إلى سفارات ومؤتمرات حسبما كانت تتطلب الظروف . وكان الغرض الأول الذي تستهدفه دبلوماسية هو الدعوة إلى الإسلام ونشر رسالته .

ولما أثمرت الدعوة وتحققت للعرب - لأول مرة - وحدتهم السياسية ، قامت أول دولة إسلامية في المدينة برياسة النبي ، أصبح اتهاج الدبلوماسية ضرورة جوهرية لدعم أركان الدولة الناشئة ، فانسع نطاقها وتعددت وسائلها وأغراضها وتطورت دعايمها ، فلم تعد علاقات المسلمين بغيراتهم قاصرة على التبادل التجاري ، بل امتدت إلى مختلف النواحي الأخرى لشدة حاجة الدولة الجديدة إلى الاتصال بالدول المحيطة لتنفيذ السياسة الخارجية الإسلامية بالطرق الدبلوماسية . وكان عهد الخلفاء الراشدين امتداداً لهذا النبي الكريم ، فظلت الدبلوماسية تسعى لتوطيد أركان الدولة بالإفادة من الأسلوب الدبلوماسي كبديل للحرب أو مساعد لها في تنفيذ الخطط السياسية إذ كان ذلك من طبيعة بث الدعوة إلى الإسلام والدع عنها . ولم تختلف الدبلوماسية الإسلامية كثيراً من حيث أغراضها في العصر الأموي وإن جدد تطور عليها في أسلوبها وطابعها وتنظيمها ، فاستمرت تستخدم في نشر العقيدة وإعلان الحرب دفاعاً عن حريتها وتمكين

كسب مودته حتى إذا عاد إلى قومه كلن  
للعرب خير سفير يبلغ عنهم ماله من طيب  
خلالهم وما استقر في نفسه من فضلهم ونبيلهم ،  
وكسبت الدولة الإسلامية عن طريقه حسن  
منزلة في بلده فأعانها ذلك على تحقيق مقاصدها  
ونيل مبتغاها ودعم علاقاتها الودية بمحلفاتها  
في المحيط الدولي .

وهكذا انعكست التقاليد العربية السمحة  
على النظم الدبلوماسية وأضافت رصيداً جديداً  
إليها ، فأحاط المسلمون السفراء الوافدين  
إلى ديارهم بضروب العناية والرعاية ، وأعلوا  
من شأنهم ورفعوا من منزلتهم شأنهم في ذلك  
شأن سائر الشعوب منذ فجر التاريخ ،  
وزادوا عليها بما ابتدعوه في سبيل تأمين  
المبعوثين والرفية عنهم من مراسم الإجلال  
ومظاهر الحفاوة والإكبار .

ويجدر بنا قبل البحث في الحصانات التي  
منعتها القواعد الشرعية الإسلامية للسفراء  
أن نبين مدلول الحصانات والامتيازات  
الدبلوماسية وأنواعها بحسب العرف والقانون  
الدوليين وما استقرت عليه آراء الفقهاء  
وأحكام القضاء في شأنها حتى يتسنى لنا في ضوء  
هذه الدراسة التمهيدية أن نتالح موضوع  
الحصانات الدبلوماسية في ظل الدولة الإسلامية .

### المبحث الثاني

الحصانات والامتيازات الدبلوماسية  
يعني مصطلح الحصانات الدبلوماسية تلك

وأن يكون الدبلوماسيون الأجانب في الديار  
الإسلامية موضع الحفاوة والتقدير ، فتسبب  
عليهم الدولة حمايتها تيسيراً لمهامهم ودعمها  
للعلاقات الودية مع الدول التي يمثلونها .

إن المروءة والسخاء ورعاية الجار من  
أعظم المناقب التي عرف بها العرب منذ  
الجاهلية ، لا تكاد تدانيهم في هذا المضمار  
أمة من الأمم على مر العصور ، وقد حفلت  
كتب السير والتاريخ بأذهى الصفحات في  
ذكر كريم شمائلهم وشريف خصالهم حتى  
كانوا مضرب الأمثال في إكرام الضيف  
وغوث الملهوف وإيواء المستجير والبر  
بأصحاب الحاجة . وقد أسرفوا في كرم  
الوفادة وحسن استقبال الغرباء وجارزوا في  
ذلك حد الاعتدال . فكيف وقد صفت  
طبائعهم ودفقت شمائلهم في ظل الإسلام ،  
وصقلت حضارته أذواقهم وأخلاقهم  
وتقاليدهم . والسفير القادم إلى ديارهم له في  
ذمتهم حقوق لا مفر من الوفاء بها ، فله حق  
الغريب في النزول أكرم منزل ، وحق  
الرسول في حسن استقباله وتسهيل مهمته .  
وهو بعد ذلك من صفوة قومه وقد تحشم  
مشاق السفر والترحال ليثقل رئيس دولته  
في البلاد الإسلامية ، فيأكرامه إعزاز  
اشخصه ولمسه مما .

وفضلا عن ذلك ، فإن شعور السفير  
الأجنبي برعاية الدولة الإسلامية أدعى إلى

من يملكون بيلاده من مهامهم ، بل كان يقدم لإيهم الطعام أحياناً . وهذه العادات قد عرفتها كثير من المجتمعات القديمة كالحند وجنوب نيجيريا حيث كان السفراء يضعون عصاية حمراء على جباههم .

على أنه كان للتمتع بالحصانات لدى بعض هذه القبائل شروط وحدود ، فيشترطون على السفير مثلاً ألا يحيد عن الطريق المحدد له ولا لاقد حصاته .

وتطورت الحصانات الدبلوماسية بتطور المجتمع الدولي وخروجه من مرحلته البدائية إلى صوره العلم والمعرفة ، فأصبحت تلك الحصانات حقوقاً مكتسبة منظمة يتمتع بها أرباب التمثيل الدبلوماسي على اختلاف جنسياتهم وتباين مراتبهم ، وتعددت أنواعها بما ينفي بحاجات التبادل الدولي والحرص على تحقيق الأغراض الدبلوماسية .

ومن ثم يترتب على تبادل العلاقات السياسية بين دولة وأخرى إقرار هذه الحقوق والامتيازات للممثلين المعتمدين لدى كل منهما ، ويؤدي الإخلال أو المساس بها إلى تمكيد صفو هذه العلاقات وربما إلى قطعها .

والحكمة في تقرير هذه الحصانات هي تهيئة أفضل الظروف والضمانات لأعضاء البعثات الدبلوماسية والتيسير عليهم في ممارسة وظائفهم تقديرأ لدورهم الجليل في إنشاء العلاقات السياسية الدولية ودعمها ومن

الامتيازات التي يخلفها القانون الدبلوماسي على الممثلين السياسيين دون غيرهم من الأفراد والجماعات . وقد استقرت تلك الحصانات بتأثير العرف والتقاليد الدولية منذ أقدم العصور ؛ إذ أدركت القبائل والأمم القديمة جلال المهام التي يضطلع بها المبعوثون والسفراء ، فأحاطتهم بهالة من القداسة لتمسك لهم من القيام بها على خير وجه . وبالرغم من أن القدماء بوجه عام كانوا يبتذون الغريب ويكرهونه أو يعدونه هدواً يستحلون دمه ، فإن تمتع السفير بالحصانة في أثناء تأديته لمهمته قد أصبح عرفاً مستقراً منذ قيام العلاقات الدبلوماسية في مراحلها الأولى قبل فجر التاريخ . وأصبحت الحصانة الشخصية منذ ذلك الحين من مستلزمات تحقيق المهمة الدبلوماسية .

وكما كان قتل السفير أو إلحاق الضرر أو الإهانة به سبباً في بدء القتال من جانب قبيلته ، فإن بعض القبائل كانت تعاقب بالقتل كل من يقتل المبعوث إليها أو يهينه .

ولهذه الأسباب ، كان على المبعوث أن يميز نفسه لدى مروره بين معسكرات العدو ، أو في أثناء سفره بين القبائل الأخرى في طريقه لتأدية مهمته من ذلك أن الرسل كانوا ينقلون بين جبال مراكش ووهادها في العصور الأولى ، وقد حلوا حربة في رأسها خرقه من القطن الأبيض ، حتى يبين الأعداء شخصيتهم فلا يعتدوا عليهم . ولا يسألهم

يقرر الوجود القانوني لبعض الحصانات مبدئياً ، إلا أنه لا يستطيع أن يضمن احترامها وحمايتها بشكل محدد . ومن رأى بعض فقهاء القانون الدبلوماسي أن صدور تشريعات داخلية لضمان الحصانات الدبلوماسية ، وإلزام المحاكم الوطنية بمراعاة استثناء الدبلوماسيين من القضاء المحلي ، على أساس تمييزها وتحديدتها في القانون الداخلي ، هو أمر ضروري .

وثمة إجراء آخر لضمان احترام حصانات الدبلوماسيين وهو الاتفاق عليها في معاهدة دولية تعد جزءاً من القانون الداخلي لكل طرف من أطرافها بمجرد التصديق عليها من قبل السلطات المختصة دستورياً .

وقد ابتدع الفقهاء عدة نظريات بنوا عليها أساس الحصانات ، فكانت بمثابة سند فكري يسد حاجة الدول إلى تبرير هذه الامتيازات التي استقرت بالعرف والقانون الدوليين ، إذ أنها في جوهرها قيد على سيادة الدولة ، يحول بينها وبين ممارسة سلطتها وتطبيق قوانينها على بعض الفئات ، ونعني بهم أعضاء السلك الدبلوماسي من رعايا الدول الأخرى .

وتستند أولى هذه النظريات على فكرة امتداد إقليم دولة الممثل الدبلوماسي في الدولة المعتمد لديها . وتعد دار السفارة أو المفوضية - بحسب هذا الافتراض - جزءاً من الدولة

أجل هذا الفرض فرضت لم حقوق يمثل بعضها إعفاءات معينة من بعض الالتزامات التي يكلفها المواطنون ، ويمثل البعض الآخر حصانات خاصة تنصر على هؤلاء المبعوثين . وإن كانت هذه الامتيازات تشكل قيوداً على سيادة الدولة التي تقضي بامتداد سلطتها على إقليمها ومن يقيمون فيه ، فإن الدولة لا تقصر من هذه الاستثناءات مادام يمثلوها يتمتعون بهذه الحصانات في الدول الأخرى ذلك أن مبدأ المعاملة بالمثل هو القاعدة المتبعة في مجال الامتيازات الدبلوماسية .

وقد بلغ من اهتمام الدول بتقرير هذه الحصانات اهتماماً يبلغ حد التقديس أن ضمتها نصوص القوانين الداخلية التي تصدرها بل عندت بعض الدول إلى النص في دستورها على ما يقع على كاهلها من التزامات دولية في شأن الحصانات . وبينما تعترف بعض البلاد في قانونها العام بقواعد القانون الدولي بالنسبة لمركز الممثل الدبلوماسي ووضعه ، تسن بلاد أخرى أحكاماً تشريعية صريحة في قانونها الداخلي تسجل بها القواعد المقررة في القانون الدولي بشأن مركز الممثل الدبلوماسي .

ومن ثم لا خلاف بين الدول في المبادئ العامة للحصانات الدبلوماسية ، وإن كانت تنشأ أحياناً منازعات بينها حول مدى شمول هذه الحصانات . فالقانون الدولي ، وإن كان

رعايا موطنه ومصالحهم . ولا سبيل له إلى حسن الاضطلاع بمهامه والتمتع باستقلاله في القيام بها إلا إذا أمن جانب السلطات المحلية ، ولا يتحقق ذلك إلا بمنحه تلك الامتيازات .

وقد اتفق فقهاء القانون الدبلوماسي على أن الامتيازات الدبلوماسية تتجلى في صور أربع هي : الحرية الشخصية ، وحسرة المسكن ، والإعفاء من القضاء الإقليمي ، والإعفاءات من الضرائب .

### (١) الحرية الشخصية :

ومدلولها أن تكون ذات الممثل الدبلوماسي مصونة ، فتأزم الحكومة المعتمد لديها بحمايته من كل عدوان يوجه إليه ، ومن كل فعل ينطوي على مساس بشخصه أو امتنان لصفته .

وتفرض القوانين الجنائية في معظم الدول عقوبات خاصة على ارتكاب أفعال الاعتداء التي تقع على مبعوثي الدول الأجنبية ، وعلى الأخص الأفعال التي يكون من شأنها المساس بكرامتهم أو صفتهم التمثيلية . غير أنه يشترط لتمتع الممثل الدبلوماسي بالحصانة الشخصية ألا يتسبب بخطئه أو سوء تصرفه في وقوع الاعتداء عليه ، وأن تكون العلاقات بين دولته والدولة المعتمد لديها قائمة فعلا ، وأن تكون تلك الدولة قد اعترفت

التي يمثلها السفير أو الوزير المفوض ويمتد ذلك إلى الذين يسكنونها وأتباعهم ، فهم لا يخضعون للسلطات المحلية ما داموا مقيمين في قطاع تمتد من بلادهم .

أما أرباب النظرية الثانية فيرون أن امتيازات الممثل الدبلوماسي ترجع في أصلها إلى سيادة الدولة التي يمثلها . وبمجل هذا الرأي أن رؤساء الدول متساوون ، فلا خضوع من رئيس دولة لمثله ، وبالتالي لا يجوز أن يكون مندوب هذا الرئيس خاضعا لرئيس آخر . فالممثلون الدبلوماسيون يمثلون رؤساء دولهم فهم لذلك لا يخضعون للسلطات المحلية في الدول التي يعتمدون لديها إذ تمثل فيهم سيادة دولهم .

وقد وجه كثير من النقد إلى كلتا النظريتين بما أدى إلى أطراحهما والاختد بالنظرية الحديثة التي يطلق عليها نظرية الوظيفة . وهي تبرر منح الممثل الدبلوماسي امتيازات خاصة بحاجته إليها للنهوض بأعباء وظيفته على الوجه المنتود وضمنان استمراره في أدائها . فهذا الممثل هو الذي يوثق العلاقات بين دولته والدولة التي يعين فيها ، وهو الذي يدير دقة المفاوضات بينهما ، ويراقب سير الأمور في الدولة التي يعتمد لديها وينقل إلى دولته أم الأحداث التي تنصل بالآوضاع الدولية ، وهو الذي يحمي

أو الإعدام وإلا سقطت حرمتها ، كما لا يجوز استغلال هذه الحصانة بإيواء المجرمين وتكبيرهم من الاختفاء عن أعين العدالة إذ ينبغي تسليم من يحتمى بالسفارة من هؤلاء الأشخاص إلى السلطات المحلية لتتخذ من جانبها الإجراءات القانونية التي تستلزمها تلك الحالة .

### (م) الحصانة القضائية :

تفنى الامتيازات الممنوحة للوظفين الدبلوماسيين بإعفائهم من القضاء المحلي ، فلا يمنحون للقضاء الجنائي أو المدني في البلاد التي يؤديون فيها وظائفهم ، ويلحق بتلك الحصانة الإعفاء من أداء الشهادة أمام المحاكم المحلية .

والإجماع منعقد بين الفقهاء والقضاة على أن رجال السلك الدبلوماسي يتمتعون بحصانة مطلقة من حيث الخضوع للقضاء الإقليمي في الشؤون الجنائية ، سواء تعلق ذلك بأعمالهم الرسمية أو لم يتعلق بها .

وهذا الإعفاء إنما هو نتيجة الحصانة الشخصية التي يتمتع بها الممثل الدبلوماسي ، إذ يترتب على عدم جواز التعرض له بالقبض عليه أو دخول منزله وتفتيشه بسبب ما قد يصدر عنه من أفعال تخل بالقانون الجنائي ، عدم خضوعه للقضاء الجنائي الإقليمي .

على أن هذه الحصانة لا تخل بحق السلطات المحلية في اتخاذ التدابير اللازمة لمنع الممثل

بدولته اعترافاً قانونياً ، وفي هذا الاعتراف لإقرار بالصفة القضائية للبعوث الدبلوماسية ، وتمتد الحصانة الشخصية إلى جميع الأنبياء المتعلقين بالممثل الدبلوماسي ، فلا يجوز التعرض لمقتولاته وسياراته وحفائه ، كما لا يجوز التعرض لأوراقه ومراسلاته الخاصة أو تلك التي يتبادلها مع حكومة دولته في شأن وظيفته .

### (ب) حرمة المسكن :

وهي من أهم مظاهر الامتيازات الدبلوماسية ، فلا يجوز التعرض لدار الوكالة الدبلوماسية سواء بدخولها أو اتخاذ أي إجراء فيها كتفتيش أو تفتيش أو إعلان دون إذن من رئيس البعثة الدبلوماسية . ذلك أن التعرض لدار السفارة يعد إخلالاً بطمأنينة المثل وتعطيلاً لأعماله ووظيفته ، وواجب السلطات المحلية أن تعينه على أداء هذه الوظيفة .

ومن رأى أكثر الفقهاء أن هذه الحصانة تمتد إلى مساكن سائر الأعضاء في البعثة الدبلوماسية على اختلاف درجاتهم . ويرى قليل منهم أنها لا تسري إلا على دار الوكالة الدبلوماسية . على أنه يشترط للتمتع بهذه الحصانة ألا يسوء أربابها استعمالها وأن يستخدموها في العرض الذي شرعت لتحقيقه ، فلا يجوز استخدام دار السفارة مكاناً للسجن



على هذا العمل . فطبقت مبدأ الحصانة في الحالة الأولى ، ولم تأخذ بها في الحالة الثانية . وثمة رأى ثالث في هذا الصدد يحل جمع الممثل الدبلوماسي بالحصانة القضائية في جميع الدعاوى المدنية باستثناء تلك التي تتعلق بأموال عقارية يملكها الممثل في إقليم الدولة المعتمد لديها أو الناشئة عن أعمال تجارية قام بها الممثل لحسابه الخاص دون أن يكون لها علاقة بمهام وظيفته أو المتفرعة عن دعوى أصلية تقدم بها الممثل نفسه إلى القضاء بصفته مدعياً .

#### ( د ) الإحفاء عن الضرائب :

جرت الدول على إعفاء المبعوثين من أداء الضرائب الشخصية المستحقة عليهم كضريبة الدخل وما شابهها .

أما الضرائب العينية المرتبطة على الأموال العقارية فلا بد أن يؤديها الممثل إذا كان يملك أموالاً عقارية في إقليم الدولة المعتمد لديها ، ويستثنى من ذلك العقار الذي تملكه حكومة الممثل وتتخذ داراً لسفارتها أو مفوضيتها .

وكذلك استقر العرف على إعفاء الممثلين الدبلوماسيين من الرسوم الجركية ، فتعفى المنقولات التي ترد إليهم سواء أكانت خاصة بهم أم يدار الوكالة من رفع الرسوم المقررة .

#### مسمه فتح الباب

[٥]

من الاستثمار في ارتكاب جرائم تهدد نظامها الداخلي أو تهمس الأمن فيها ، وبخاصة تلك الجرائم الخطيرة كتدبير المؤامرات أو إشعال الفتن . فالسلطات الإقليمية في هذه الأحوال أن تحاصر دار الوكالة الدبلوماسية برجال الشرطة ، وأن تحيطها برقابة دقيقة . كما يجوز لها أن تطلب من حكومة الممثل استدعاءه في الحال ، فإذا لم تجد استجابة جاز لها أن تطرده وترسله مخفوراً بحرس إلى حدود بلاده . بل يجوز لها أيضاً أن تطلب من دولته أن تتولى محاكمته . فإذا كانت الجريمة التي ارتكبها الممثل الدبلوماسي إحدى الجرائم العادية ، فإن الحكومة المحلية تكتفى بتثنيه حكومة الممثل إلى ذلك بصفة سرية لتقوم باتخاذ ما تراه لزاماً هذه الحالة .

أما في شأن الإحفاء من القضاء المدني فنجد اختلافاً بين الآراء في مداه ، وبخاصة في الدعاوى العينية العقارية التي يكون الممثل الدبلوماسي طرفاً في الخصومة الناشئة حولها . فقد أخفت بعض المحاكم مبدأ الحصانة المطلقة في القضاء المدني أسوة بالقضاء الجنائي . ومن ثم شمل الإحفاء جميع الدعاوى المدنية بما في ذلك التجارية سواء كانت متصلة بالعمل الرسمي للممثل أو لم تكن .

وفرقت أحكام أخرى بين الدعاوى المدنية الناتجة عن العمل الرسمي وتلك التي لا ترتب

فقيه كبير نخبى الظاهر بيرس :

## محيى الدين النوى

للمستاذ محمد رجب البيهقى

« وتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ، ( قرآن كريم )

التي زلزلت هذا الكيان الباغى فارتد  
ناكصا على أعقابها في ذمور ، كما استطاع  
أن يسهم إسهاما جادا في اندحار السيل التترى  
المتوحش حين تدفقت أمواجه على المسلمين  
ولم يجد من يثبت أمامه غير الحاصل المؤمن  
الصابر في عين جالوت بقيادة الملك المظفر  
قطز والبطر المفاخر بيرس ، ومع هذه  
البطولة النادرة فقد كان مسلكه السياسى  
لا يخلو من النفذ الصادم العنيف ، إذ أن  
أنانيته الشخصية كانت تدفعه إلى بعض  
ما يعد جريمة عاثية ، ويكفى أن نذكر  
تأمره الغادر على حياة الملك قطز ، فقد  
اغتاله بعد أن فرحت الدنيا بانتصاره الحاسم  
في عين جالوت ، ولم يكن الظاهر يحسب  
حساب أحد ما ، بعد خيائته الشيمة غير  
العز بن عبد السلام ، فقد امتنع عن مبايعته ،  
حين رأى لون الدم في يده ، وخاف الظاهر  
من تكتل الأمة وراء العز فأخذ يصانع

(١) إن مصباح الهداية الإسلامية ليتقل من  
جيل إلى جيل ، دون أن ينطفى نوره على  
مد الحياة ، فلم يكد العز بن عبد السلام  
يقتل إلى جوار ربه حق نهج نهج في الأمر  
بالمعروف والنهي عن المنكر عالم جليل من  
طرازه ، يشاركه الفهم الصائب ، والعزة  
العالية ، والنجابة المجرئة للظنيان ، ذلكم  
هو الإمام الروح أبو ذكريا محيى النوى  
الشهير بمحيى الدين ١١

عاش الرجل ودحا من حياته في عصر الظاهر  
بيرس ، والظاهر كما نعلم جميعا بطل قاهر من  
أبطال التاريخ ، أسدى للعروبة والإسلام أيادى  
رائعة حين كافع الاستعمار الصليبي في مواقع  
قاصدة ، فقاد الجيوش وراء الجيوش ليرد  
الزحف الأوروبى المتربص بمواطن الإسلام  
ومرايض العروبة ، ضاربا ضرباته الصاعقة

(١) من كتابنا ( عناء بحارون للظنيان )  
وسيدر قريبا .

من الفقهاء لتكون أداة ترجيح بين رأى ورأى ، وقد جرى العامة والخاصة من الناس على اعتقاد الولاية والصلاح فيه ، حتى نرى شيخنا جليلاً كالإمام تقي الدين السبكي ينزل إلى قاعة الحديث الأشرفية بدمشق حيث كان النووى يلقى درسه ، فيمرغ وجهه على بساطه ويقول لمن حوله .

لعل أن أس بحر وجهي  
مكانا منه قدم النووى  
هذا الذى يمرغ وجهه في مواطئ أقدام  
النووى كان رأس الفقهاء والقضاة في عصره  
وقد طارت له شهرة واسعة في التحرير  
والفتيا ووقف من الأمراء والعلماء مواقف  
خالدة نفي عن جرأة مؤمنة ، وعظمة شماء  
ويجئ إلى أن هيام تقي الدين السبكي  
بالنووى يرجع إلى اعتقاده بأن يحيى الدين  
النووى هو محرر المذهب الشافعى في عصره  
بلغ فيه التنافس المذهبي بين العلماء حداً يدفع  
بعضهم إلى التعصب والجحوش ، وآية التوافق  
والتناسب بين الفقيهين الكبيرين أن النووى  
قد شرح جزءاً كبيراً من كتاب المذهب  
للشيرازى في فقه الشافعية أسماء ، بالمجموع ،  
وأدرك الموت دون أن يتمه ، لجاء تقي الدين  
من بعده وعزم على أن يكمل الشرح ، من  
حيث انتهى صاحب المجموع ، فبدأ تصنيفه  
من أول باب الربا إلى آخر الكتاب وأسماء  
تكملة المجموع . ولن يقدم على ذلك إمام

الأمراء ، ويحامل القواد ، ليضم إلى جانبه  
ذوى القوة والسلاح : وقد واجهه  
ابن عبد السلام على دوس الأشهاد بأنه  
عبد البندقدار لم يثبت عتقه للآن ! فأخذ  
يتذلل ويتضرع ، ويحضر شهوداً يثبتون  
خروجه من ملك البندقدار ، وكان الشيخ  
المسن في مرضه الأخير فلم يلبث أن لحق  
بربه ، وتنفس الظاهر الصعداء حين رأى  
جنازته تمر تحت القلعة ، ووراءها آلاف  
الرجال ممن لا يحصون ، حتى قال قوله  
الشهيرة « اليوم قد استقر أمرى ، فإن هذا الشيخ  
لو قال للناس اخرجوه عليه لانتزع منى الملك » .  
قال الظاهر بيبرس قوله تلك ، ولم يدر  
أن الأيمل « يحيى » له علما داعية جريئة من  
طراز المرز ، آلى على نفسه أن يوفى بمهادنة  
على العلماء أن يقفوا مع الحق في كل سبيل ،  
لحمل الراية ، ونزل إلى الميدان .

كان الفقيه المسلمة يحيى الدين النووى  
رضي الله عنه ذا هبة وجلال ، وقد تنقل  
في أكثر العواصم الإسلامية لينهل من حياص  
الثقافة في كل مركز من مراكزها النائية  
ثم رجع إلى دمشق بحر وراءه علما وفقها  
وورعاً ، فقام بالتدريس ، وأخذ في التأليف  
المستوعب الجامع حتى طارت له شهرة واسعة  
في فقه المذهب الشافعى ، ونحن نقرأ آراءه  
الدقيقة حتى في غير كتبه إذ يتناقلها المؤلفون

حتى وصل به الشطط إلى ضروب من العنف والإرهاب ، ودار الشيخ بعينه فرأى كثيرا من التجار يجردون من أموالهم ، ويحيط بهم طائفة من غلاظ الجبابة ، يقتصبون ويسلبون فإذا اعتذر أحدهم بضيق اليد تعرض متجره للتهب وقد تنهاوى عليه السياط المحرقة دون رحمة وإشفاق ، فكتب النورى إلى السلطان بلفته إلى ذلك ، ويوصيه بالعدالة والحق فيما يأخذ ويدع من الأموال ، ويشرح له ما شاهده بنفسه من مآسى تنفطر لها الأكباد ، وقد أغلظ عليه القول فبالع في التهديد والوعيد ، وطار الخطاب إلى الظاهر فرأى أن العزيز بن عبد السلام قد رجع في صورة عالم جديد هو يحيى الدين النورى ، فظن أن المهاجم الثانى ليست له مكانة العزيز ومثله ، ورأى أن يواجهه بالحدة قبل أن تلتف حوله النفوس ، ويصير ذا صدق مسموع يلقى ويهيج ، فرد عليه بكتاب قارص يحمل الإنكار والتوبيخ ، ويشير بالوعيد القاهر لكل من يتدخل فيما ليس يعنيه ، ثم هو لا يقتصر على الشيخ وأتباعه من العلماء بل يقتل إلى الرعية فيصمها بالبخل والشغب ، ويعلن أن أمر الجبابة نافذ الطاعة مهما غلوا في المكوس ، وتهجموا بالسب والضرب ، إذ هم أعوان الدولة ورميلها لدى الناس ، وظن الملك الظاهر أنه بذلك أطفأ الثائرة وكبم الأنواء . وصل الرد إلى الإمام المجاهد ، قرأه

الفقهاء في عصره إلا إذا قدر النورى أكبر التقدير ، وكأنى بهذا الإعجاب وقد انتقل من الأب إلى الابن فكتب نجل تقي الدين السبكي في كتابه «طبقات الشافعية» ، يقول عن النورى متأثراً بروح أبيه .

«كان رحمه الله سيداً وحسوراً ، وليثاً حل نفسه مصوراً ، وزاهداً لم يبال بخراب الدنيا إذا كان ربح أنه مصوراً ، له الزهد والقناعة ، ومتابعه السابقين من أهل السنة والجماعة ، والمصابرة على أنواع الخير ، لا يصرف ساعة في غير طاعة ، هذا مع التفنن في أصناف العلوم ، متون أحاديث وأسماء رجال ولغة وصرفاً إلى غير ذلك اه . وهذا التفنن في التأليف لدى النورى جعلنا نلصق نور قلبه في كثير من مؤلفاته مثل رصاص الصالحين ، والأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، وبستان العارفين في التصوف إذ أن أمثال هذه الكتب تفيض بضياء مشرق يستمد شعاعه من التقوى الخاشعة واليقين الصريح ، أما دقة العلية فتتضح في كتب أخرى مثل التحرير في الفقه وروضة الطالبين ، والمنهاج والمجموع وغيرها مما لا يزال أكثره مخطوطاً إلى اليوم ، ولنا الآن بصدد تحديد مكانة السبكي ولكننا نمهد بذلك إلى الحديث عن شجاعته الأدبية وإيمانه الجرى . لقد اشتط الظاهر في جمع الضرائب والمكوس من العامة ليستعين بها على الجهاد ،

يقوم به إزاء هذا العالم العنيد ، فاستمع إلى كثير مما يتعارض ويتناقض بين داع إلى العقاب ، ومشير بالقساح والإغضاء وكان رأى الظاهر بعد النقاش الطويل أن يمنع إلى التهادن ، إذ لو سارع بإعلان غضبه على الشيخ لجعله بطلا كبيرا في مرأى العامة ، ولأصبح بمحتته هذه رمزاً لدفاع المخلص ، ولواء يلتف حوله الناقدون في كل مكان .

والواقع أن نصيحة الشيخ رغم قسوتها الصريحة قد فعلت فعلها في نفس الحاكم ، فاضطر إلى أن يجمع الجباة فيشير عليهم بالرفق والملاينة ، ويحذروهم غضب العلماء من الخاصة ، والجمهور من العامة ، وإن كان الظاهر في واقعه لا يستطيع أن يتخلص من حقيق مكظوم أثار الشيخ مرارته في نفسه ، وأنى له ، وهو إنسان يحب أن يأمر فيطاع ...

مرت هذه الحادثة لتعقبها حادثة أخرى أشد منها عنفاً وإجحافاً ، فقد تمها الظاهر إلى بعض حروب أعدائه من خصوم الإسلام ، وأراد أن يأخذ من أموال الرعية ما يستظهر به على العدو ، واستفحق العلماء في ذلك فأقتوه بالجواز ، ولكن محي الدين يمتنع عن الفتوى ويعلم ذلك في إصرار .

لو ملك الظاهر زمام عاطفته لتدبر وفكر في وجهة نظر الشيخ ، ولكن تسرعه الناضب أوحى له أن يعتقد اجتماعاً عاجلاً يشهده الجميع

متجنباً ثم دعاه داعي الحق إلى أن ينقض الباطل ويرفع الحق ، فلم تأخذه رهبة من حاكم جبار يعتصم بالقوة والجاء والسلطان ، ودعا من فوره بالدواة والقلم ، ليرد على كل كلمة جائرة تضمنها قول الحاكم الباطش ، وقد غمرته سكرة الإيمان فما أحس بخوف ، أو تريب من دفاع ، وكان فيما قال رضى الله عنه وطيب ثراه : -

( وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا ، وتهديد طائفة من العلماء ، فليس هو المرجو من عدل السلطان وحله ، وأى حيلة لضمفاء المسلمين في التامعين نصيحة للسلطان ولهم ، ولا علم لهم به ، وكيف يؤخذون به لو كان فيه ما يلام عليه ، وأما أنا في نفسي فلا يضرنى التهديد ولا أكثر منه ، ولا يمنعني ذلك من نصيحة السلطان فإنني أعتقد أن ذلك واجب على وعلى غيري ، وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى : « هذه الحياة الدنيا متاع ، وإن الآخرة هي دار القرار » ، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد » . وقد أمرنا رسول الله أن قول الحق حيثما كنا وألا نخشى في الله لومة لائم ) .

وصل الرد القاطع إلى صاحب الأمر ، فأثار في نفسه ضرراً من الاقترالات الناقة وجمع مستشاريه ليأخذ رأيهم فيما يجب أن

في وجه النوى : أخرج من بلدى — يعنى دمشق — إذ لا يجب أن تسكننى فى مكان :  
وتدفع النخوة زملاءه من الفقهاء فينسحبون  
من الحفل محتجين ، ويسود المرح والمرج  
صفوف الناس فيخشى الحاكم سوء المقال  
ويتراجع قائلاً :

ولماذا تخرج ؟ أذنت لك بالمقام !!  
فيجيب النوى فى صرامة : ومن أدراك  
أنى أقبل المقام لديك ، لابد من الرحيل ثم يهيم  
بالخروج فيتفرق الناس خلفه مبهوتين !!  
لو أن ذاكرة الظاهر كانت حادة نافذة  
لتذكر أن المر بن عبد السلام قد وقف  
من الملك قطر هذا الموقف حين هم بجمع  
المال من الرعية قبل موقعة عين جالوت إذ  
أعلن سلطان العلماء أن المال محرم على السلطان  
قبل أن يستنفد ما لدى جواريه وعمايكه من  
ذهب وثؤاؤ ، ولكن الملك الظاهر لم يتذكر  
ذلك إلا حين مثل عبي الدين دوره فى شجاعة  
وليمان ، فاضطرب صاحب الأمر وتخيّل  
الموقف السالف وقد شهد به بينه منذ أهوام !  
ورأى أن المر الذى استراح يفقده قد عاد  
من جديد فى صورة عبي الدين ، فعرض على  
شفتيه يدمدم ذرية بعضها من بعض ، والتفت  
إلى أحد جلسائه ليقول له فى غرابة مريرة :  
ما أشبه الليلة بالبارحة فيما كان ؟

محمد رجب البيومي

الحاشد من الناس ، ويحضره النوى ليظهر  
فى ثوب المخذل عن الحرب ، الصاد عن مجادة  
الكفار ، فيكون موقفه إذ ذاك غير كريم ،  
وتسقط مهابته لدى الناس .

وتم للبلك ما أراد ، فاكتمل الحفل  
بأعيانه ووجوهه وذوى الرأى فى البلاد ،  
وتقدم عبي الدين يقدم ثابتة ليسأله الظاهر  
فى عناد : لماذا لا تجيز أن نجمع الأموال  
من المسلمين لتنفقها فى الجهاد كما ألقى زملاؤك  
من الفقهاء ؟

فرد الشيخ فى حزم أعاذ ، : كلنا يعلم أن  
لديك أهق مملوك ، كل مملوك له حياة  
من ذهب ، وعندك ماتا جارية ، لكل جارية  
نصيب من الحلى والجواهر ، فإذا أنفقت  
ذلك كله ، وبقيت بماليك بالبند الصوف  
بدلاً من الخوافى ، وبقيت الجوارى بشياهن  
دون الحلى والجواهر أقتيتك بأخذ مال الرعية .  
ياقه : فقد دهش الحفل من صراحة الرد ،  
وأشرقت الابتسامات فى الوجوه لتعلن  
اغتيالها بهذه المجابهة الرادعة ، وتطلع الملك  
الظاهر إلى رفاقته متلماً من يسعف برده  
متقن ، يحول دون الإلحاح والإلجام ، فلم يجد  
عبي الدين ينظر إليه فى كبرياء عالية  
من الحق تحتم على الناس أن ينزلوها منزلة  
الإكبار والإعجاب ، حين تجيز لهم أن يشمتوا  
بجبروت السلطان وقسوته فى ابتزاز الأموال :  
فصفت نخوة السلطان بالظاهر وصاح

## بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد أبو شنبه

— ٣ —

كان آئمين وذمت البركة من يمينها . وإن صدق أحدهما ، وغش الآخر ، كان للصادق ثوابه ، وعلى الآخر وزره . روى البخاري في صحيحه عن حكيم بن حزام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال : حتى يتفرقا فإن صدق وبينا يورك لهما في يمينها ، وإن كتما وكذبا محقت بركة يمينها » .

وكذلك القرض الحسن أمر مستحب شرعا وجائز قانونا والقانون ينظر إليه من الناحية الظاهرية والاجتماعية . أما الشرع فنظر إليه من الجانب الروحي أيضا لجعل له ثوابا مضاعفا مدخرا عند الله سبحانه روى ابن ماجه بسنده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت ليلة أسرى بي على باب الجنة مكتوبا : الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض بثمانية عشر فقلت للجهنم : ما بال القرض أفضل من الصدقة

من المقادرات المهمة والفوارق الأصلية بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية أن الشريعة الإسلامية ربطت تشريعاتها بالجانب الروحي أو بمعنى آخر عرضت لظاهر الأعمال وباطنها بخلاف القوانين الوضعية ؛ فإنها صنيت بالظاهر ولم تلم الجانب الروحي أبة ضاية . وإنك تلتس هذا واضحا في التشريعات الإسلامية حينما رتب على الأعمال آثار دينوية وأجربة أخروية بالإثابة والعقوبة فالبيع مثلا يتوقف عليه انتقال الملكية ، ومتى حصل الإيجاب والقبول فقد تمت الصفقة ووقع البيع صحيحا من الناحية الظاهرية حتى ولو كانت في المبيع عيوب خفية أخفاها البائع ولم يتنبه لها المشتري ، ولكن الشريعة لم تقف عند الظاهر بل قالت : إن صدق البائع والمشتري وبينا العيب ولم يكتبا يورك لهما في يمينها وأثيبا في الآخرة ، وإن كتما وغشا

وجريمة السرقة وتب عليها الشارع الحكيم القطع في الدنيا والعذاب في الآخرة قال تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما

جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم . فمن تاب من بعد ظله وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم » (١) والمقصود التوبة بعد تنفيذ الحد ، ولا محل لقبول التوبة وغفران الذنوب إلا إذا كانت هناك عقوبة أخروية وبذلك دلت الآية على العقوبتين هذا عدا الأحاديث الكثيرة الدالة على ذلك .

وقد المخصنات المؤمنات وإذاعة الفاحشة بين الناس له عقوبة دنيوية وهي الحد وعقوبة أخروية وهي عذاب النار قال عز شأنه : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون . إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم » (٢) . فقد بينت الآية العقوبة الأصلية وهي الحد ، والعقوبة التبعية وهي رد الشهادة إلا إذا تاب وحسنت توبته فقبل شهادته

قال : لأن السائل يسأل وعنده ، والمستعرض لا يستعرض إلا من حاجة ، وإنه لتعليل شديد ...

والقتل الممد حرام شرعا ومنوع قانونا ويرتب عليه آثاره الدنيوية في الشريعة والقانون ولكن الشارع رتب عليه إلى العقوبة الدنيوية وهي القصاص عقابا أخرويا قال تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالد فيها ، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » (٣) أما القانون فلم يرتب عليه شيئا زائدا عن العقوبة الدنيوية .

والحرابة وهي قطع الطريق رتب عليها الشارع عقوبة دنيوية وهي القتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف أو النفي ورتب عليها أيضا العقاب الأخروي قال تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم جزاء في الدنيا ولم في الآخرة عذاب عظيم » (٤) ، أما القانون فلم يرتب على هذه الجريمة عقابا أخرويا .

(١) للأنفة ٢٨ : ٣٧ .

(٢) فنور ٤ : ٥٥ .

(٣) النساء الآية ٩٣

(٤) المائدة الآية ٣٣ .



جعل الله لمن سيلا<sup>(١)</sup> ، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ، رواء مسلم وأصحاب السنن . وفي الصحيحين أن عمر رضي الله عنه خطب بمحضر من الصحابة فقال : « إن الله بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل الله عليه آية الرجم<sup>(٢)</sup> قرأناها ووعيناها وعقلناها ، فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجمنا بعده ، فأخشي إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : ما نجد الرجم في كتاب الله ، فيصلوا بترك فريضة أنزلها الله وإن الرجم حق في كتاب الله تعالى على من زنى ، إذا أحسن من الرجال والنساء ، إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف » .

أما العقوبة الأخروية فقد جاءت بها الآيات الكريمة ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً . إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً

عند الجمهور ، وقال سبحانه « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون<sup>(٣)</sup> » وهي نص في العقوبة الأخروية وقال أيضاً : « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ،<sup>(٤)</sup> أما القانون فلم يرتب على هذا إلا عقوبة دنيوية وإن كانت دون عقوبة الشارع الحكيم زجراً وردعاً .

وجريمة الزنا لها عقوبتان : عقوبة دنيوية ، وأخرى أخروية في الكتاب الكريم : الرانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بآله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين<sup>(٥)</sup> » وهذا الحد في حق غير المحصن والمحصنة أما حدهما وهو الرجم فقد جاءت به الأحاديث الصحيحة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « خذوا عني خذوا عني فقد

[١] إشارة إلى قوله تعالى : « أو يجعل الله لمن سيلا » النساء ١٥ فقد نسخ الحكم الأول بالجلد أو الرجم والجمهور على عدم الجمع بين الجلد والرجم في المحصن والاكتفاء بالرجم كما يدل على ذلك قصة ماعز والنامدية .

(٢) كانت قرآناً ثم نسخ لفظها وبقي حكمها أبداً .

(١) النور ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) النور ١٩ .

(٣) النور ٣ .

ولامنان ، إلى غير ذلك من الأحاديث المتكاثرة ، أما القانون فلم يرتب على الخمر والمسكرات عقوبة في حد ذاتها ، ولو دنيوية ، وإنما اعتبر العقوبة على ما يترتب على السكر من عريضة أو إخلال بالأمن والردة عن الإسلام لها عقوبتان : دنيوية وأخروية ، قال تعالى : « ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون »<sup>(١)</sup> وفي الحديث المتفق عليه « من يترك دينه فاقطعه » وذلك بعد الاستتابة والكشف عن شبهته وإمهاله مدة يراجع فيها نفسه حتى أن يرجع إلى صوابه على ما هو مفصل في كتب الفقه .

وكذلك الربا له عقوبتان دنيوية وأخروية ، أما الآخروية فذكرها الله في قوله سبحانه : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فن جاءه موعظة من ربه فاتتهى لله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . يحق الله الربا ويربى الصدقات والله

فألتك بيد الله سيئاتهم حسرات وكلن الله غفوراً رحيماً ، »<sup>(٢)</sup> أما القانون فلم يرتب على جريمة الزنا أى عقاب أخروى .

وجريمة شرب الخمر والمسكرات لها عقوبتان دنيوية وأخروية ، أما الدنيوية فالحد وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة المتكاثرة ، وأما الآخروية فبالعذاب ، قال تعالى : « إنما الخمر والميسر والأصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »<sup>(٣)</sup> والرجس الذى يصد عن الذكر وعن الصلاة والذى هو من عمل الشيطان من أعظم موجبات العقاب الآخروى .

وفي الحديث المتفق عليه « من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يقب منها حرمها في الآخرة ، وهو كناية عن الحرمان من الجنة ، وفي الحديث الذى رواه الإمام أحمد مرفوعاً « لا يدخل الجنة عاق ، ولا مدمن خمر ،

(١) الفرقان ٦٨ - ٧٠ .

(٢) المائدة ٩١ .

(٣) البقرة ٢١٧ .

الأخروي ، ولقد بلغ من أمر الشريعة الإسلامية أن الأمور المباحة إذا نوى بها المكلف الخير والقرية أثيب عليها فالأكل إذا قصد به التقوى على الجهاد ، أو السعي على المعاش فهو مثاب عليه والنوم يقصد به التقوى على التهجّد وقيام الليل مثلاً عبادة يؤجر عليها ، حتى القنعة يضعها الرجل في قم أسرته على صيلل المباسطة معها والمؤانسة لها أمر يؤجر عليه فاعله .

وغير خفي ما لهذا الجانب الروحي في التشريعات من أثر عظيم في إصلاح القلوب ، وتقويم السلوك والحض على فعل الخير والمعروف والكف عن الشرور والآثام ، وفي تروية النفس البشرية على مراقبة الله والخوف منه . وفي إيجاد نوع من الوازع الدنيى يصبر عن تكويته أى قانون وضعى .

وهذا هو السرفى أن بعض المسلمين في العصر الأول كان إذا اقترف ذنباً أو ألم بمعصية جله إلى الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - راعياً في إقامة الحد عليه بصدق وإخلاص وعزيمة وإصرار ، وذلك كما حدث من ماعز والغامديه وغيرهما . روى مسلم في صحيحه عن بريدة أن ماعز بن مالك الأسلى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : إني قد ظلمت نفسي ودينك ،

لا يحب كل كفار أثيم ،<sup>(١)</sup> وأما الدنيوية فقد أشار إليها الحق تبارك وتعالى بقوله : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ،<sup>(٢)</sup> .

روى عن ابن عباس في تفسير هذه الحرب : من كان مقياً على الربا لا يزح عنه كل حقاً على إمام المسلمين أن يستقيه فإن تزح وإلا ضرب عنقه ، وروى عن الحسن وابن سيرين نحوه ذلك<sup>(٣)</sup> .

وفي تفسير الألوسى أن المرابى يحبس حتى تظهر توبته ولا يمكن من التصرفات وما لم يقب لم يسلم له شيء من أمواله<sup>(٤)</sup> ، وإنه لتشريع حكيم فالمرابون عاديرون لله ولرسوله ، ومفسدون في الأرض ومقطعون لأرحام البشرية والروابط الإنسانية .

وهكذا نجد أنه ما من أمر عظيم شرماً إلا ورتب عليه الشارع الحكيم العقاب

(١) البقرة ٢٧٠ - ٢٧٦ .

(٢) البقرة ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٤ القدر ٢ ج ٢ ص ٣٩٣ .

(٤) تفسير الألوسى ج ٣ ص ٥٣ .

توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة  
لوسعتهم . وهل وجدت توبة أفضل من أن  
جلدت بنفسها لله تعالى ؟ وروى قصة ماعز  
والغامدية أيضا الإمام البخاري في صحيحه (١)  
وقد روى أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم  
صار يستوضح ويستفصل منه حتى أن يكون  
اشتباه عليه الزنا الذي يوجب الحد بغيره مما  
يسمى زنا في اللغة فقال له : لعلك قبلت ،  
لعلك لمست ، وكان للرجل مندوحة في الإفلات  
من العقوبة لو أراد ، ولكنه الوازع الديني  
الذي كان مسيطرا على النفوس آنذاك ،  
والذي تربى في النفوس بفضل التشريعات  
الإسلامية الحكيمة التي لم تقتصر في الجرائم  
على العقوبات الدنيوية ، بل رتبت عليها أيضا  
أجزاء أخروية ، ولن نجد في تاريخ الدنيا  
مثيلا لهذه المثل التي سقناها إليك في الاعتراف  
بالذنب والرغبة في التطهر من الإثم عن  
صدق وإخلاص ؟

**محمد أبو شربة**

الأستاذ بكلية أصول الدين

وإني أريد أن تطهرني ، فردته ، فلما كان من  
الغد أتاه فقال : يا رسول الله إني قد زنت  
فردته الثانية ، فأرسل إلى قومه فقال أتعلون  
بعقله بأسا تنكرون منه شيئا ؟ فقالوا ما فعله  
إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى ، فأتاه  
الثالثة فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه فأخبروه  
أنه لا بأس به ، ولا بعقله ، فلما كان الرابعة  
حفر له حفرة ثم أمر به فرجم قال : لجأت  
الغامدية فقالت : يا رسول الله إني قد زنت  
فطهرني وإنه ردها ، فلما كان الغد قالت :  
يا رسول الله لم تردني ؟ لعلك أن تردني  
كما رددت ماعزا فوافقه إني لحبلى ، قال : إما لا  
فاذهبي حتى تلدى ، فلما ولدت ، أتته بالصبي  
في خرقة قالت : هذا قد ولدته قال اذهبي  
فأرضعيه حتى تفتطميه ، فلما قطعت أته  
بالصبي في يده كسرة خبز فقالت : هذا ياتني الله  
قد قطعت وقد أكل الطعام فدفع الصبي إلى  
رجل من المسلمين ثم أمر بها لحفر لها إلى  
صدرها وأمر الناس فرجموها (٢) وفي رواية  
أنه صلى عليها فقال له عمر . تصلى عليها  
يا رسول الله وقد زنت ؟ فقال : لقد تابت

(١) فتح الباري ج ١ ص ١٢٢  
ص ١٠٣ وما بعدها .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ٢٠٢  
ص ٢٠٥ .

# الاسلام في الملايا

بمؤتازة عطية صفر

الملايا مستعمرة سنغافورة Singapore التي يبلغ سكانها مليوناً أو يزيدون ، وأكثرهم من الصين ، ولكل ولاية من ولايات الاتحاد حكومتها الخاصة ويرأسها سلاطين مسلمون ، وهناك حكومة مركزية في عاصمة الاتحاد كوالا لامبور Kuala Lumpur التي يسكنها حوالي ١٥٠ ألف نسمة .

ولم يعرف الغربيون هذه البلاد إلا عندما مر عليها ماركو بولو الرحالة الإيطالي Marco Polo ( ١٢٥٤ - ١٣٢٣ م ) فقال عليها لعاب الاستعمار ، ووقعت تحت حكم البرتغال سنة ١٥١١ م ، ثم الهولنديين سنة ١٦٤٠ م ، ثم استولى الانجليز على جزيرة بنانج في الشمال سنة ١٧٨٦ م ، واحتلوا ملقا سنة ١٨٢٤ م ، واشتروا جزيرة سنغافورة سنة ١٨١٩ م . ثم استقلت البلاد أخيراً ضمن مجموعة الممتلكات البريطانية « كومنولث » في ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٧ م . وذلك بعد كفاح طويل كان للأمير Tunhu عبد الرحمن دور كبير فيه . يسكن الاتحاد حوالي ستة ملايين نسمة

في الجنوب الشرقي من قارة آسيا تقع شبه جزيرة الملايا Malaya بين خطي عرض ١ ، ٧ شمالاً ، وخطي طول ١٠٠ ، ١٠٥ شرقاً . وتحدها شمالاً ملكة تايلاند ، وجنوباً جزيرة سنغافورة ، وشرقاً بحر الصين ، وغرباً مضيق ملقا والمحيط الهندي . وتبلغ مساحتها حوالي ٥٠.٦٨٠ ميلاً مربعاً ، أربعة أخماسها غابات كثيفة ، وهي تفتخر بالمطاط والتصدير والصفائح ، وجوز الهند والأرز والتوابل .

وأول من سكن هذه المنطقة مهاجرون من وسط آسيا منذ سبعة آلاف سنة ، ثم وفدت إليها موجات من الصين والهند وغيرها . والملايا الآن اتحاد يتكون من تسع ولايات هي : جوهور Johor وباهنج Pahang ونيجرى Sembilan وسيلانجور Selangor وقدهج Kedah وكلاتان Kelantan وترينجانو Terengganu وبرليس Perlis وبيرق Perak ، وهناك ولايتان أخريان هما : ملقا Malacca وبنانج Benang . وفي الطرف النائي من جنوب

Pasa حيث كان الإسلام موجودا فيها

وفي سامودرا Samudra .

وفي نهاية القرن الثالث عشر ذهب أحد

كبار جاوة وأنام في قرية ملقا Malacca على

ساحل الملايا وصارت بعد ذلك مأوى التجار

والعاملين في البحار ، وتكونت أول مملكة

فيها سنة ١٤١٤ م ، وكان أول حاكم لها

يدعى ميقات اسكندر شاه Mcgat IS. Shah

وكانت التجارة مزدهرة في ياساي في ذلك

العهد ، فانتقل منها إلى ملقا كثير من التجار

الهنود والعرب ، وكانوا قد أحضروا معهم

من بلادهم كثيرين من الملا Mula

المتفقيين في الإسلام ، وقد سربهم اسكندر

شاه سرورا عظيما ، وكرم العرب فأعطاهم

أرضا يبنون عليها مساكنهم ومساجدهم ،

واجتهد هؤلاء ، فأدخلوا الملك في الإسلام

فأسلم وسنه ثنتان وسبعون ، وتحققت بذلك

رغبة ملك ياساي الذي زوجه بته وسمى

الملك باسم عربي إسلامي محمد اسكندر شاه

وأسلم معه آل بيته وجمع شعب ملقا .

وهذا دخل الإسلام ملقا في الربع الأول

من القرن الخامس عشر ، وكان للتجار

والهنود الوافدين من كجرات Guerat

بالقرب فضل كبير في نشر الإسلام في ربوع

المنطقة ، ومن ملقا انتقل الإسلام إلى جاوة

وفي غضون نصف قرن صارت ملقا مركزا

بمخلاف ستغافورة . وهم يتكونون من

أجناس مختلفة ، فالملايويون وهم السكان

الأصليون يبلغون نحو ثلاثة ملايين ،

والصينيون الذين زادت هجراتهم منذ ١١٠٠

سنة يبلغون نحو مليون ونصف ، وهناك

حوالي مائة ألف من الهند وباكستان

ومائة ألف من الأجناس الأخرى : من

أوروبا أكثرهم انجليز ، ومن المولدين من

أوروبا وآسيا ، أوراسيين ، وفيهم جماعات

من سيلان من السنغال والتاميل ، وجماعات

من تايلاند وإندونيسيا . وبين السكان

نحو أربعة آلاف عربي من حضرموت .

ولا يعرف بالضبط متى دخل الإسلام

هذه البلاد ، فإن الثابت أنها كانت لها

علاقات تجارية قديمة مع الهند التي انتشر

الإسلام فيها في وقت مبكر ، ومع جزر

الأرخبيل الملايوي ، ومن المؤكد أن

الإسلام كان موجودا في سومطرة المواجهة

للإندونيسيا من الجهة الغربية في القرن الثالث عشر

فعندما زارها ماركوبولو الإيطالي سنة

١٢٩٢ م وجد تجارا مسلمين في براك Perlak

وهي ميناء صغير على الساحل الشمالي لسومطرة

ذات الصلة الوثيقة بالملايا ، وقد ثبت أن

بنت حاكم براك تزوجت الملك الصالح المتوفى

سنة ١٢٩٧ م وهو أول سلطان في ياساي

ويلتزم مذهب الإمام أبي حنيفة .

والمأمول أن يكون الإسلام هو الدين الرسمي للاتحاد ، وقد ظهر كلام كثير حول هذا الموضوع ونوقش قبل الاستقلال في المؤتمر الذي عقد بمدرسة الإحياء الشريف في يرق في ٢٤ من مارس سنة ١٩٤٧ ، وقرر فيه إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى الذي يرمز إليه بهذا الرمز « مانا » وكان من أغراضه فصل الدين عن الدولة ، كما هو الحال في بلاد العالم الأخرى ، ذلك لأن الرسميين لا يهتمون بالتعليم الديني ، كما كان من أغراض المجلس مطالبة السلطات الموجودة أصحاب السمو السلاطين ، بالتنازل عن سلطاتهم الزمنية والروحية للمجلس .

هذا ويوجد في كل ولاية قسم للشئون الدينية ، يرعى المساجد ويشرف على القضاء الشرعي . ورؤساء هذه الأقسام من الإداريين الذين لم تسبق لهم دراسة الدين ، ولذلك يوجد لكل ولاية مفت خاص ، مهمته أشبه بمهمة الواعظ في مصر ، وهذه الوظيفة تسمى مشيخة الإسلام في ولاية قندح ، وفي بعض الولايات يحل محل أقسام الشئون الدينية مجلس استشاري دين .

والملاييون - وكلهم مسلمون - يعترفون بدينهم إلى أقصى حد ، ويحج منهم كل عام نحو ستة آلاف ، بالرغم من بعد الشقة ورقة

يشع منه الإسلام على المناطق المجاورة ، فأُسست بها منج و جنوب الملايا ، كما أسست مناطق كثيرة في سومطرة وجاوة وجزر الأرخيبيل . وتقول إحدى الروايات . إن ملقا دخلت في الإسلام في عهد أحد ملوكها سنة ١٢٧٦م فبعد سنوات قليلة من حكمه وست سفينة عربية بالميناء ، وكانت قادمة من جدة تحت قيادة سيدي عبد العزيز ، فاستطاع هو ومن معه أن يدخلوا الملك في الإسلام وسماه سلطان محمد شاه ، وتأسست بذلك مملكة سلطان إسلامية قامت بنشر الإسلام فيما جاورها من البلاد .

ويقول ريفشارد وينستد R. winstedt في كتابه عن الملايا : إن الإسلام وصل إلى شمالي الملايا في وسط القرن الرابع عشر ، كما يدل عليه وجود أول كتاب عربي فارسي في ترينجامو . وأياما كان الأمر فإن الإسلام كانت له قدمه الرائجة في الملايا قبل أن يلوئها الغرب باستقلاله واستعماره .

والدين الغالب في هذه البلاد هو الإسلام فنسبته بين السكان ٥٥ ٪ . ذلك أن الملاييين وهم سكان البلاد الأصليون ويلغون نصف عدد السكان لا يعرفون غير الإسلام .

والصينيون وثنويون أو بوذيون ، وقد أسلم منهم ألف أخيرا ، والهنود ينتشر فيهم الدين البوذي والهندوكي ، وقد تنصر كثير منهم على يد المبشرين ، وقليل منهم أسلم

الدينية ، وعدم صحة الجمعة في مسجد إلا بإذن من السلطان .

والمساجد منتشرة في المدن والقرى ، وصلاة الجمعة مقصورة على المساجد الكبرى إذا أذن السلطان ، وتوجد هناك طائفة الإسماعيلية وفرقة القاديانية ، ولانصار السنة جماعة في هذه البلاد .

هذا والمسلمون عامة بين اتجاهين ؛ اتجاه قديم يترجمه المثقفون على مناهج المجاز وحضرموت ، ويسمون أنفسهم « قوم تواه » واتجاه جديد يترجمه المثقفون على مناهج الأزهر ، ويسمون أنفسهم « قوم مودا » ، ويلاحظ أن التقدميين العصريين في حاجة كبيرة إلى عنق الثقافة الإسلامية الصحيحة ، والمجازيون يتمسكون بالقشور إلى حد كبير ، وهم كثيرون الزواج والطلاق ، ويعتمدون في أكثر أحوالهم على الصدقات ، كما يقول المراقبون الأحوال هناك .

ومن الجمعيات الإسلامية : جمعية الدعوة الإسلامية ورئيسها السيد إبراهيم عمر القاف وجمعية الشبان المسلمين ، واتحاد علماء الدين الإسلامي ، واتحاد الطلبة المسلمين ، وجمعية الإصلاح في كوتا بهارو .

والتعليم في الملايا تابع لتعدد الأجناس واللغات ، وأهم أنواعه أربعة : -

١ - التعليم الانجليزي وهو التعليم الرسمي الحكومي وتدرس فيه العلوم بالانجليزية

حالم المالية بالنسبة إلى الصينيين والهنود ، وإذا عاد الحاج حافظ على هذا القرب واعتز به كما يعتز بالهامة التي يلفها حول رأسه فتكسبه الشرف والاحترام . وهم يبدون بحالهم ويحتمونها دائماً بدطاء طويل ، ويكرمون شهر رمضان ، والأفكار الدينية هناك محتبطة بالحرافات الهندية ، ويبدو ذلك في حفلات الزواج على الخصوص . والمحاكم الشرعية لها قوانين وأحكام تختلف في كل ولاية عن الأخرى ، والقضاء في حاجة ماسة إلى مزيد من التفقه في الدين والدقة في معرفة الأحكام كما تقول التقارير . والمرأة الملايوية معروفة بولائها وطاعتها لزوجها . وهي تساوى الرجل في الحقوق والتعليم والانتخاب ، وفي الأحزاب السياسية شعب للنساء تسمى « قوم أيبو » والطلاق منتشر كتعدد الزوجات ، ولا يشيع بين الملايويين استعمال ألقاب الأسرة ، فالفرد يسمى فلان بن فلان ، وكفى ، ولا ينسب إلى جده ورئيس الأسرة .

والمذهب الشافعي سائد في الملايا ، والهنود يلتزمون المذهب الحنفي ، وهم جميعاً يقدسون المذاهب إلى حد أنهم يعتبرون تقليد غير المذهب أقرب إلى الكفر ، بالرغم من أنهم يأخذون في كثير من المسائل بالمذاهب الأخرى ، وذلك تبعاً لمصالحهم ، كإجبار المسلمين على دفع الزكاة فتورداً لأقسام الشئون



وضالة الموارد المالية . وفي هذا النوع من التعليم ثلاثة اتجاهات ؛ أحدها يحاول تقليد التعليم الديني في الحجاز لأن المشرفين عليه درسوا هناك . وثانيها يحاول تقليد الأزهر ، وثالثها يحاول التجديد والاقتراب من التعليم الأزهرى والتعليم المصرى العام .

وفي الملايا ما يقرب من ستائة مدرسة عربية ضعيفة المستوى إلا قليلا منها فهو شبه منظم لأن بعضها يشرّف عليه قسّيون مصريون كالمدرسة العلوية الإسلامية . ويلتحق بهذه المدارس التلاميذ المسلمون فقط من أبناء الملايو والعرب أما مسلمو الهند وباكستان والصين فيندران يلتحق أبناءهم بهذه المدارس . وخريجوها يكتلون لتعليمهم في مصر أو الحجاز .

هذا وقد أنشئت حديثا كلية إسلامية في العاصمة الاتحادية كوالالمبور ، وتم افتتاحها في فبراير سنة ١٩٥٥ بعد أن انتدب لها اثنان من أساتذة الأزهر ، وكان من أغراض هذه الكلية إصلاح المدارس العربية والإسلامية بعمل دراسات صيفية لمدرسيها . ونشر الثقافة الإسلامية الصحيحة بين المسلمين والقضاء على الخرافات ، وتخرج طائفة ممتازة في دراسة الدين لتوجيه البلاد توجيهها سليما ، ومدة الدراسة فيها خمس سنوات على مرحلتين الأولى عامة لمدة ثلاث سنوات ، والثانية خاصة لمدة سنتين فيها شعب للغة

كما تدوس اللغة الملايوية كلغة ثانية . ويلتحق بهذه المدارس التلاميذ من جميع الأجناس ، ولا يدرس الدين فيها للمسلمين إلا بقدر ضئيل ولا يدخل ضمن مواد الامتحان . وهذا التعليم ابتدائي وثانوي يؤهل لدخول جامعة الملايا التي أنشئت في سنغافورة سنة ١٩٤٩ م .

ب - التعليم الصيني وهو تعليم حر وأهلى ، ومنظم أكثر من التعليم الانجليزي ، وغايته إعداد التلاميذ للحياة العملية وبخاصة التجارة وهذا التعليم خاص بأبناء الصين ولغته الصينية ، وهو منتشر في شق أنحاء الملايا . وهو ابتدائي وثانوي وعال ، ومناهجه كمناهج التعليم الانجليزي مع الاهتمام بالناحية العلمية . ج - التعليم الملايوى ، وهو تعليم حكوى ذو مرحلة أولية ، ويكاد يكون خاصا بالجنس الملايوى ، ولغة التعليم فيه الملايوية ، مع دراسة اللغة الانجليزية ، وتدرس فيه مبادئ الدين الإسلامى إلى جانب المواد الأخرى ، ومستوى التعليم في هذه المدارس منخفض لفظة الكفايات العلمية .

د - التعليم العربى . وهو تعليم حر شعبى بمعنى الكلمة يقوم به الفيودون على الدين ويتكسب به بعض من ثلوا حظا من الثقافة الدينية والعربية ، وقليل من الثقافة العامة . وهذا التعليم منتشر في الملايا ، وهو متأخر ومستواه منخفض إلى حد كبير لفظة الكفايات

والصحافة الدينية حظها قليل في الملايا ، وهناك مجلة شهرية تصدر بالملايوية في سنغافورة واسمها ( مجلة قلم ) ورئيس تحريرها الحاج عيديروس . وتعتمد في كثير من آرائها على ما يصلها من الصحف الإسلامية في العالم ، كما توجد مجلة شهرية أخرى تصدر في العاصمة الاتحادية كولا لامبور واسمها ( سوارا إسلام ) أى صوت الإسلام ، وهي لسان حال حزب ( اتحاد المسلمين في الملايا ) ، وهناك مجلات أخرى غير منتظمة الصدور .

هذا وقد صرح السيد / إبراهيم عمر السقايف بأنه تقرر إنشاء دار الصحافة في الملايا وستصدر مجلة شهرية بالانجليزية تسمى العالم الإسلامى Muslim World ، وأخرى هريية شهرية تسمى ( إسلام ) كما تصدر صحيفة يومية تسمى بالجاوية ( سيمنا 'نحوذج ) تتحدث عن الإسلام .

ولكثرة الأجناس في الملايا أثر واضح في الحياة الاجتماعية ، فهي تتركه بعضها بعضاً ، والملايويون يعتبرون غريم دخيلاً غاصباً حتى لو كان مسلماً وهريياً ، والصينيون ذوو نشاط عجيب في كل شيء ونكاد الصناعة تقصر عليهم لأنهم قتيون فيها ، والمهندود يعملون في التجارة وفي حقول المطاط وهم ناجحون ، والمولدون

الهرية ، ولفقه ، وللتوحيد والفلسفة ، ولعلوم القرآن والحديث .

ومن المعاهد الدينية معهد ديني في الورستار Alor Star بولاية قدح ويديره السيد / عبد المجيد نور من خرجى الأزهر .

واللغات في الملايا متعددة ، فالملايويون يتحدثون لغتهم وفيها من ١٥ إلى ٢٠ ٪ من الكلمات الهريية ، وهم يكتبونها بالحروف الهريية ، وإن كانت الحروف اللاتينية بدأت تزحف ، شأنها شأن كل دخيل جلبه معه الاستعمار . والمهندود والباكستانيون يتكلمون لغة بلادهم ولغة التاميل Tamil ولغة التلجو Telego ، والصينيين لغتهم ذات اللهجات الكثيرة التي أشهرها هناك الهوكية والكاتونية . كما توجد اللغة الانجليزية . ولهذا يقول بعض الكتاب : إنه لا يكاد يوجد واحد من عشرة آلاف من الملايويين يستطيع قراءة اللاقات الموجودة على واجهات المحال التجارية في شارع واحد من البلد . وقد فرضت الحكومة تدريس لغة الملايو في غير المدارس الملايوية تمهيداً لجمعها اللغة الرسمية في مدى عشر سنوات . كما فرضت تدريس الانجليزية في غير المدارس الانجليزية بمحجة الحاجة إليها في التعليم العالي والعلاقات الدولية .

والحاج محمد الحاج أبوبكر واهيل، المحاضران بالسكية . والحاج محمد صالح متقيه قاضي قضاء سنغافورة ، وهيد الجليل حسن نائب مفتي جوهور وغير هؤلاء كثيرون .

ونحن نأمل في الطليعة المثقفة أن ترتفع بالمستوى الثقافي الديني في الملايا وأن يوجهوا المواطنين وجهة عملية بدافع من الدين الذي يحرص على القوة وحمارة البلاد بالخير ، وأن يحاولوا إزالة الجفوة بين الجنسيات ، وبفهمهم إلى الخطر الذي يمكن من وراء هذا الاختلاف وأن تكون سياستهم في جميع أنواع نشاطهم نابعة من أنفسهم وبروح من حاجة وطنهم لأن تستمد من التيارات التي تتدافع من حولهم ، والتي تكاد تجرفهم لو لم يحسنوا تنظيم أنفسهم ، وإذا كانت الاحبار تؤكد أن هناك حركة شيوعية تعتمد على العنصر الصيني وهو غالب بنفوذ ونشاطه ، وعدده يقارب نصف عدد السكان فكيف لو تم لهم الأمر وكيف يكون مصير الإسلام ؟ أم أننا كبير في بعوث الملايا في الأزهر وغيره من معاهد الجمهورية العربية المتحدة أن يؤدوا رسالتهم الدينية الوطنية وعلى أكمل وجه عندما يعودون إلى بلادهم موقنين ، وإنا لمنتظرون .

عطية صفر

مفتش الوعظ بالأزهر

(أوراسيون) قلوبهم مع بلادهم وولادهم للملايا ضعيف . والملاييون حظههم ضئيل من التجارة والصناعة ، وهم يكثرون في القرى ويقفون في المدن ، وأهم عملهم الزراعة ، وفيهم موطفون كثيرون في الأعمال الكتابية وغيرها وهم يكثرون أيضاً في البوليس والبنك .

ويصروا المتحدثون عن أحوالهم الاجتماعية تأخرهم مالياً إلى كثرة خيرات بلادهم وقناعتهم بالقليل ، بينما كانت هجرة الهنود والصينيين للكفاح من أجل العيش في هذه البلاد ، وقيل إن سبب سوء حالة الملاييين عدم فهمهم لمبادئ الإسلام فيها صحيحاً فهم يتلقونها من متوسطي الثقافة في ثوب يجب إليهم الزهد وساعدتهم على ذلك تشجيع المستعمرين لهذه المصاني ، وجاء الانجليز فزحزحهم عن المدن إلى القرى ، فصعب عليهم تعليم أولادهم في المدارس التي تنشأ بكثرة في المدن .

هذا ويدرس من طلبة الملايا في الأزهر بمختلف مراحل التعليم ١١٠ طالب مائة وعشرة في سنة ١٩٦١ ويتنظر زيادة عددهم في السنين المقبلة وقد تخرج عدد كبير منهم وتلقوا مناصب هامة في بلادهم منهم : السيد/ حسن يونس صالح رئيس وزراء في ولاية جوهور ، ومحمد عبي الدين وان وكيل عميد السكية الإسلامية ، وإبراهيم الحاج ياسمين

## السمات الفنية في شعر محرم للأستاذ محمد إبراهيم الجبوشي

ولكنه كان من أكثرهم احتشالا بحسن الصياغة ولطف التخيل<sup>(١)</sup> ولا يستطيع الباحث أن يتجاهل القرابة القوية التي يأنسها بين شعر شوقي وبين شعر محرم لما يحفل به كل منهما من موسيقى بلغت عند شوقي أرقى درجات السمو والسحر لما وشاها به من خياله المخلق الجواب.

وبحق ما يقوله الدكتور شوقي ضيف من أن شعر شوقي يقوم على ركنتين رئيسيتين: هما الموسيقى والخيال، وإن كان يستندهما العاطفة، وإن لم يكن لها وضوحهما ولا قوتها<sup>(٢)</sup>.

وقد كان لهذا التشابه بين شوقي ومحرم صدى بعيد في البيئات الأدبية، وكثيراً ما قامت المفاضلات بين الشاعرين، وكان يتمصب لكل منهما فريق يخلع عليه لقب الإمارة، ويئذل له من حماسه كل ما يستطيع، ولا بأس من أن نستمع في ذلك لما كتبه

لا يلبك الدارس لشعر أحمد محرم أن يسترعى اتقابه ما يفيض به هذا الشعر من موسيقى عذبة ساحرة تنبعث من كل بيت فيه وتترامى في كل لفظ لغوا مشجياً، ثم ما يتفجر خلاله من عاطفة طافية تخلقه بالقوة وتبعث الحياة في نواحيه دافقة زاهرة.

على هذين الأساسين يعتمد شعر محرم. لا يكاد يفترق واحد منهما عنه في كل ما قال، ولكن حظه من الخيال محدود ونصيبه منه قليل.

وبما يسجله الدارس لشعر أحمد محرم أيضاً تلك الديباجة المشرقة، وهذه الجزالة السامية والقافية المحكمة، والنفس الطويل في غير إملال ولا سقط.

ويقول الأستاذ الزيلعي في ذلك: «كان أحمد محرم من الشعراء المطبوعين على الديباجة المشرقة، والقافية المحكمة، وكان يطيل في غير سقط، ويبالغ في غير شطط، ويتأنق في غير تكلف وربما كان أقل معاصريه وقوعاً على المعنى الطريف، والفكرة العميقة،

(١) الرسالة عدد ٦٣-٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥.

(٢) انظر شوقي شاعر العصر الحديث ص ٥١.

تجديده دراسة شعر محرم وصاحبيه شوقي وحافظ ، ويستريح إليه الدارس المتأني والباحث عن الحقيقة لذاتها .

وعلى أى حال ، فإننا نستطيع أن نخرج من دراسة شعر محرم بالخصائص الفنية التالية :-

١ - الموسيقى السارية في بناء أبياته وألفاظه .

٢ - العاطفة المتدفقة التي تريك الألفاظ ذات إحساس وحركة .

٣ - الديباجة المشرقة والأسلوب القوي الرصين .

٤ - طول النفس طولا لا ضعف فيه ولا هبوط .

٥ - براعة التصوير براعة تثير الإعجاب ، لاسيما إذا كانت نتيجة ثوران عاطفته أو هياج مشاعره .

هذه هي السمات الفنية التي تراها في شعر محرم أتينا بها موجزة وسنعرض كلا منها بالتفصيل .

الموسيقى :

لن كل أحد محرم لم يؤت من لطف التخيل ما أوتي شوقي فإن موسيقاه العذبة ،

أحد شعراء جماعة « أبولو » ، إلى لا ذكر أنه منذ أعوام كانت تقوم في البيئات الأدبية مفاضلات بين شعر المرحوم شوقي بك ، وشعر الأستاذ أحمد محرم ، وفي الحق أن أنصار شاعرنا محرم كانوا على كثير من الحق حين أقاموا هذه الدعوى ، فإن بين شوقي ومحرم علاقة قوية وتقاربا بينا ، فقد امتاز شعر شوقي بموسيقيته العذبة الموهوبة ، وهذه الميزة التي نجدتها في شعر محرم ، ولست مقاليا إذا قلت : إنها لن تفارق لفظا من ألفاظه ، فإني لأقرأ البيت من شعر محرم فأحس كأن صدئ أنفاس عذبة تطوف حلى خاطري في حلم جميل ... وإلى جانب هذه الموسيقى التي يتسأل عنها في قصيدته « وجودي » والتي يحس تأثيرها في أنفاس قرائه فيقول :

أمن أدبي نبيت الطير تبكي ؟

فأ أدبي ، أشدوه أم رنين ؟

تجعل تلك الديباجة العالية ، وتلك الجزالة السامية التي يقدرها فيه أدباؤنا ، ولن أكون إلا عفا حين أقول إنه يمتاز على المرحوم حافظ إبراهيم في الرنين العذب الذي صحب شعره الناضج ولازمه (١) .

وعلاشك فيه أن هذا الحكم على وجازته

(١) مجلة « أبولو » سبتمبر سنة ١٩٣٣ م .

من مجد الإسلام الضائع وأيامه الخوالي ،  
وناعمة حائلة إن تحدث عن وجدانه ، وتقنى  
بأشواقه . وحسبنا أن نشير إلى أبيات نجزتها  
من قصيدة قلنا على أثر الدستور العثماني  
سنة ١٩٠٨ م قال فيها :

من يمنع الليث أن يستر أو يثبأ ؟  
ما قيمة السيف إن جردته فنبأ ؟  
من يرفع العرش إن هدت دعائمه  
هوج العظام والأموال فاقطبها ؟  
من يمسك التاج إن عزته عابثة  
من الخطوب تجيد الهوى والعبا ؟

اليوم ينم بالأوطان مغرب  
ما هزه الشوق إلا أن واتعبا  
يفرق النفس في شق مفردة  
من البقاع ويطوى العيش مرتباً  
ووب ناشئة بالقام باكية  
بأرض دأ كولب ، أمارة وأبا  
يا أرض دكولب ، ردى من ودائنا  
تلك النفائس إن الرد قد وجبا  
ويا صيونا أهان الدمع غالبا  
أما كفى من دموح الصحب ما انكبا ؟  
ولقد كنت أعجب بقصيدة شوق التي قالها

وروحة أنغامه لم تقارقه في بيت أشده  
حق حين يتحدث عن تأملاته ، ويصور  
نظراته إلى الحياة من خلال تجاربه ،  
وفي قصيدته ، وجودي ، تتجلى هذه الموسيقى  
حين يقول :

وجودي لست لي ، قلن تكون ؟  
أمر أنت من نفس مصون ؟  
يصيب حقائق الأشياء على  
وتعصف في حوالك الظنون  
أمن نفس على نفس خطاء ؟  
فكيف أنا ؟ أشك أم يقين ؟

\*\*\*

وجودي أين أنت ؟ ألا سليل ؟  
إليك فهدأ العاني الحزين  
ومن أنا في الدنيا ؟ ومالي ؟  
والدنيا وما وعدت القرون  
ظلمت وفي الأدب المصنئ  
وضعت وفي يدى الكثر الثمين  
أمن أدبي تبيت الطير تكدو ؟  
فأ أدبي ؟ أشدو أم رنين ؟  
وموسيقى محرم تجمع إلى حلاوتها الاتساق  
التام مع المعنى الذي يريد أن يسوقه ، فهي  
قوية مصممة ، إن تحدث عن الكفاح ومعارك  
الوطن ، وثائرة مستهضة إن طاف بها طائف

بمناسبة مشروع ٢٨ فبراير والتي يقول  
في مطلعها :  
أعدت الراحة الكبرى لمن تعب  
وقاز بالحق من لم يأله طلبا (١)  
وكانت تأخذني روحها ، وتستولي على قلبي  
براحة شوق وقوة إحكامه فيها وإشراق  
ديباجته ، فلما قرأت قصيدة محرم عدت  
بذاكرتي إلى ما كتبه شوقي ، فوجدت محرما  
قد سبق قصيدته قراءة خمسة عشر عاما .  
وكان محرم ساهر اللفظ متين الأسر صلب  
البيان في سهولة ويسر وإحكام .  
ولقد كنت أطرب كلما رددت قول شوقي :  
ولن ترى صحة ترضى هو اقبحا  
كلحق والصبر في أمر إذا اصطحبا  
ولكن هذا الطرب لم يعد له في نفس ذلك  
الأثر بعد ما قرأت بيت محرم .  
ما أيد الملك ، واستبق نصارته  
كالرفق والعدل ما داما وما اصطحبا  
ولا يحتاج الأمر لكثير من النظر  
كي يدرك القارئ مدى اعتماد شوقي على محرم  
في معناه ، بل في ألفاظه أيضا ، وهذه غائرة  
أثمارها ما بين القصيدةتين من تشابه .

ثم يمضى محرم في قصيدته يتحدث  
عن الشعوب ووثباتها والحكام وحاجتهم  
إلى العدل والمحافظة على مكاسب الشعوب .  
تأتي العناية أن تبقى على دول  
يلقى الخلاق منها الويل والحربا  
تري الشعوب عبداً لاذنام لها  
وتحسب الملك في الدنيا لمن غلبا  
لا بد للشعب مهما لان جانبه  
من وثبة تفزع الأفلاك والسحبا  
ما أيد الملك واستبق نصارته  
كالرفق والعدل ما داما وما اصطحبا  
ما أضيع التاج يرى الشعب صاحبه  
بالمحفظات وبؤذيه بما كتبنا (٢)  
ويمضى محرم في قصيدته في قوة وعذوبة ،  
لا يهبط ولا تغبوه نغمة ، ولعلك لاحظت  
معنى أن محرما يردد ذكر الشعب ، ويرى  
الحكم المتين الأركان الثابت الدائم هو الذي  
يعتمد على إرادة الشعوب ويستمد سلطانه  
منها .

محمد إبراهيم الجيوشي

## نحو منهج رشيد في تطوير الفقه الإسلامي للأستاذ فتح عثمان

على احتياجات الواقع الضخمة ، وعلى دراسات العصر المعينة الملتزمة في الاقتصاد والسياسة ، والنفوس والجماعات وأجفل المسلمون من الفجوات الكبرى التي أحسوها في تكوينهم الفكري وبنيتهم الواقعي .. ١  
لهم من أحس في الدراسات المصرية قريباً من واقعنا ومزاجنا الثقافي ، وأحس في « تراث » الفكر الإسلامي بعداً عن كثير من احتياجاتنا المادية والفكرية والنفسية المعاصرة ، فأقبل ينادي بترك ثقافة الإسلام في أصوله وفروعه على السواء ١١ وكانت هذه هي النغمة السائدة في أوائل هذا القرن العشرين .

ولم يجد الناس في الثقافة « المصرية » القوة السحرية التي تبرى الأكلة والأبرص ، ونحل كل العقدة وتعالج جميع المشكلات ١٢ .. وإن العقل الإنساني لا بد أن يؤدي دوره المفروض الذي لا يعفيه منه فكر دمعياً ، أو دمعلياً سواء كان من صنع الأرض أم من وحى السماء ١٣ فلا بد أن يعالج الفكر بالفكر ، ولا بد أن يعالج الفكر بالتطبيق . وحياء الفكر وحياء المجتمع في هذه الحيوية

أحب أن أقرر أولاً أننا نعرض هنا لتطوير « الفقه » الإسلامي ، وهو الفهم البشري الشريعة ، والفهم متغير متطور بطبيعته ، يتأثر بظروفه وإمكاناته الفكرية والواقعية ، أما الشريعة نفسها فهنا نصوص محكمة ثابتة عتيدة ، لكن يحتفظ العقل لإدائها بمجابهة في الفهم والتطبيق ، ومنها قواعد كلية عامة ، تتعاقب عقول الأفراد والأجيال على فهمها وإعمالها في الجزئيات المتجددة وفق الظروف المتغيرة .

وقد كان للسلف الصالح « فقه » لأحكام الشريعة ، وكان من العوامل المؤثرة فيه واقع ، المسلمين واحتياجاتهم .. فاجتمع البسيط لم يكن محتاجاً لدراسات اقتصادية أو سياسية أو نفسية مثلاً بالقدر الذي يحسه مجتمعنا الحاضر المركب ١٤ ومن هنا كانت دراساتهم في هذه المجالات محدودة أو بجملة ، وإن تخللت دراساتهم الفقهية لمحات وإشارات تكون أحياناً لامعة موقفة إلى حد كبير .

واستيقظت مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة



ونظام ، وقد اكتمل بناؤها الفكرى نتائج  
لاحتياجات متتالية أنبتها بحارب العمل الطويل  
والكفاح المدبر ، حتى تبلورت فى أساسها  
الفلسفى وبنائها التنظيمى . وقد شهد العصر  
الحديث كثيراً من هذه التجارب فى وقت كان  
فيه الإسلام غائبا عن الحكم والتوجيه .  
وكان التطور الاجتماعى الذى يشهده واقع  
الغرب مخالفا للركود القائم فى واقع المسلمين  
فهناك فجوة كبيرة قائمة بيننا وبينهم فى الواقع  
وما يفتق عنه من فكر . . . ولكن تطلب  
المتحمسون أن يعبروا الفجوة ركنا ووثبا  
فليأتوا بخلاصة ما انتهى إليه الفكر الغربى  
نتيجة لاحتياجات واقع المجتمع الغربى ومطالبه  
وليضعوها تحت عنايات ولافتات إسلامية  
تزرع من آيات الله أو أحاديث رسوله  
المتداولة ! فإذا انبج لاحد المتحمسين أن يعرف  
شيئا من أسماء مراجع الفقه الإسلامى ، أو  
يقرأ شيئا مما جاء فيه ، فزع إلى ما عرف فى  
التراث الإسلامى ليقدمه للناس فى ( تعبئة )  
كانت قد راقته أهميتها ومزاياها ورواؤها فى  
الفكر الغربى الحديث !!

ومن هنا عالجنا كثير من الكتابات الفجة  
والعنوانات الخداعة عن الاقتصاد الإسلامى ،  
أو « علم النفس فى الإسلام » . . . وأحيانا  
عن علوم الطبيعة والكيمياء ، والجيولوجيا  
والميتورولوجيا - فى الإسلام !!

— وصرنا نقرأ أن علم الإحصاء مثلا  
مقرر فى القرآن ؛ لأن الله تعالى قال فى حكم  
تزيده « لقد أحصاهم وعدم عدأ » !!

الدافعة ، وهذه الدورات العقلية والواقعية  
المتلاحقة .

« ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ،  
ولذلك خلقهم » « بل تقذف بالحق على الباطل  
فيدمغه فإذا هو زاهق » « وتلك الأيام  
تداولها بين الناس » « ولولا دفع الله الناس  
بعضهم ببعض لفسد الأرض » « فأما الزبد  
فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث  
فى الأرض » .

وإذا التفتёр الذى صادفته الثقافة العصرية  
وجزء كبير من أسباب هذا التفتёр واجع  
إلى المثقفين العصريين أنفسهم فى سطحياتهم  
وتحيزهم ، إذا هذا التفتёр أتيحت الفرصة  
لكى يعود الناس إلى مناقشة قضية « الدين »  
و « الفكر الدينى » ، ما دام دعاة الانصراف  
عن الدين لم يأتوا بالبديل السعيد المرغوب  
ووجد دعاة الدين آذانا صاغية وقلوبا مهينة  
لاستماع دعوتهم فى الرجوع إلى الله ، وكان  
بعض هؤلاء الدعاة بمن آتاهم الله لإخلاصا  
وحاسا ، وآتاهم ذلك عرفوا به طابع العصر  
الفكرى والعلمى ، فأقبلوا بمرضون الإسلام  
بما يوافق هذا الطابع ! فإذا كنا فى عصر  
المذاهب والنظم ( ism ) ، فليعرض  
الإسلام كنظام سياسى اجتماعى اقتصادى  
متكامل ، وليقدم للناس على أنه يحقق لهم  
ملاحقته الديمقراطية أو الاشتراكية .

ولكن ...

ولكن الديمقراطية والاشتراكية فلسفة

قدره ويطوه حقه ، ويعرفوا مكانه بين المذاهب والنظم ١١

فلنخفف من اعتبارنا السائد أن تراثنا قد حوى ما هو كفيل بتعميل الفصل في كل قضية . فلن يشرف الإسلام أن يعرف جيل معني من أجياله كل شيء ، ثم لا يبقى لمن بعده ما يدهول بذل جهد أو طلب علم أو كد ذهن (١) .

ويقتنعنا الإنصاف أن نقرر أن من دعاة الإسلام المتحمسين المعاصرين من « أفادوا في عرضهم المحمل للإسلام وإبراز محاسنه ، وأفادوا في الدعوة إلى المبادئ الأساسية من أحكام القرآن والسنة بعيداً عن الدرامة الهائلة من التعريفات الفقهية والتشقيقات الكلامية ، وأفادوا في محاولة تقديم الإسلام بأسلوب العصر كفلسفة شاملة ونظام متكامل لكن هذا كله يجب أن يعتبر نقطة بدء لا غير ، لا لطلاق إسلامي رشيد ، ١١ (٢)

• • •

كتب جون ديوى في « الحرية والثقافة » يقول :

« يصحب كل حركة اجتماعية تسير في اتجاه

(١) من كتاب : « الفكر الإسلامي والتطور » لكتاب المقال - فصل « النواخذ المفتوحة » • أسلافنا خلال النواخذ »

(٢) من كتاب : « الفكر الإسلامي والتطور » لكتاب المقال - فصل « النواخذ المفتوحة » • أسلافنا خلال النواخذ »

— وأن الطاقة الدرية قد أشار إليها القرآن في قوله تعالى : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين » ١١

— أما مشكلات النفس والمال والحكم فقد فرغ الإسلام من علاجها كلها في كلمات ... أو في جملات ١١

« إن طائفة أخرى وسعت بالقدر الذي صيق به المتزمتون ... وسعت حتى صار الإسلام ثوباً فضفاضاً ، وطالجت القضايا الدقيقة والمشكلات المعقدة بتبسيط شنيع ١١ نحن محتاجون إلى مذاكرة تراثنا ، ومتابعة عصرنا ، ولخص ما عند غيرنا ... وخلال هذه الدراسات ستفاعل في دءوسنا أصول الإسلام مع ثقافة العصر وواقع المجتمع ، فينتج من هذا كله طابع لشخصيتنا أصيل . وهذا كله يستدعي زمناً ، ويقتضى قرة حل ووضع وحضارة ...

علينا أن نكون صرحاء ... فلا تتعجل انقطاع الفكر قبل أوانه ، ولا نصبر عن قهنا المصري للإسلام قبل أن ينضج في دءوسنا ونحن نحتاج إلى أن نحدد لنا خصائص الدين ومقومات شخصيته التي تميزه عن سواء ، بعد هذا التيه من تراحم المبادئ ، والآراء التي كدسها المعاصرون داخل الإسلام ، حتى يستطيع الناس أن يزونا ديننا ويقدروه

ونحن نريد أن تتوق النكسة الفكرية والعقدة النفسية نتيجة رد الفعل ... ونريد أن نسير في تطوير الفقه الإسلامى على علم وهدى ، وكتاب منير ،

وفي هذا السبيل ... نضع هذه المعالم المتواضعة :

• لابد من التفرقة الذهنية الواضحة بين « مبادئ الإسلام » التى تخلف على الفكر المسلم « سمات » أو « مزاجا » فكريا مينا يضرب به فى أهماق المفصلات ودقائق التفاصيل ، وبين « تراث الفقه الإسلامى » الذى هو ثمرة تفاعل مبادئ الإسلام العامة مع واقع اجتماعى وثقافى معين .

فالإسلام يقدم فلسفة عامة ، سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ... أما تفاصيل التنظيم السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى فتترك للعقل البشرى ، وهذا هو دوره الفقه ... وهو دور متجدد لكل جيل وبيئة ، وبجال مفتوح أمام عقل كل فرد ... والفرد هنا يجتهد بخصائصه الفردية ، وبإمكانات يتيته الفكرية والواقعية ، بعد أن يتخلع عليه الإسلام هذا « السمك » ، والمزاج ، الفكرى العام ، ويضع أمامه معالم « فلسفة » ، لينبى بجهده الخلاق تفاصيل « النظام » .

لابد من التفرقة الذهنية الواضحة بين السير فى « التطوير الفقهى » على منهج وأصول

جديد ، تبسيط كبير للأمورا فيتجاهل الخيال كل ما قد يخفى وحيدة الهدف الذى ترمى إليه ، وتغفل الخطط التى توضع لها كل ما قد يقف فى سبيل تركيز الهمة وتعبئة النشاط .

ثم فيما بعد يعود الناس ويلاحظون الأشياء التى سبق أن أغفلوا إدخالها فى تقديرهم ، وعندئذ يقين لم أنها كانت من بين دواعى فشلهم فى تحقيق خططهم الأصلية . فبعد فترة تقيض حماسة وتشتعل حمية بحىء الفشل وخيبة الآمال ، وبعد الرجز يحل دور النقد ومراجعة النفس والمودة إلى التروى .

وكثيراً ما تفتقر الهمة وثبط من حيث القيمة العملية لأية نظرة اجتماعية واسعة ... وليس من شك فى أن التبسيط فائده ما دام يمكننا من أن ندرك بشكل أجلى أثر أى اتجاه حميد فعال فى شئون البشر ، أما الأضرار فتتفشأ من أن النظرية قد صيغت فى عبارات عامة مطلقة كأنها تصدق على كل مكان وزمان ، فإذا تغيرت الأحوال فيما بعد ولم تعد النظرية تعمل عملها وتؤدى وظيفتها حدث رد فعل ، ويكون أيضا عاما مطلقا وعلى نطاق واسع ! وعندئذ ترفض الفكرة الأصلية على أنها مجرد خداع ووهم ، وتقوم حركة جديدة وكثيراً ما تصطبغ هى الأخرى بصيغة عامة مطلقة 111 ،

الإسلامية المتقدمة سوف تكون أكبر وأجل ، إذ ليس العاقل من يعرف الخير من الشر ولكن العاقل من يعرف خير الشرين !! وما أحقق كلمات القائل : « هناك مشكلة الاستمرار في العمل أثناء مراحل التغيرات... وكل تاجر يعرف مبلغ الصعوبة في استمراره في عمله في فترة يعاد فيها بناء عمله ، وإن القارئ بعلمية تجديد عجلة للسكة الحديدية عليهم ، وهم ينجحون مهمتهم ، أن يسمحوا القطارات بالدخول والخروج يوميا ، كثير من الروس تمتلئ بالآفكار الحسنة للمستقبل ولكننا لا نستطيع أن نتوقف عن الحياة إلى أن تحقق هذه التغيرات !! إن الحكومة تواجهها المشكلات اليومية: مشكلات الطعام والعمل والأسواق ورأس المال والأمن ، وإذن فن الحال أن تفكر حكومة في هذه التغيرات دون أن تهتم وزناً للحاجة إلى استمرار الأعمال في حين تنفذ هذه التغيرات ، !!

يجب أن تستبين المصالح... ليتضح الطريق ونحن نحاول في سلسلة من المقالات بعون الله استجلاء المعالم .

وعلى الله قصد السبيل

فتحي عثمان

وبين معالجة الواقع السريع ، الذي لا بد أن نعترف بخلو يدنا لإزائه من وجود نظام مفصل محدد ، يكون ثمرة لتفاعل مبادئ الإسلام العامة مع واقعنا الفكري والعمل ؛ لأن حركة الفقه الإسلامي عانت قرونا من التعتيل والتجميد . فليس أمامنا إزاء هذا الواقع السريع الذي لا يتنظر دراستنا المتعمقة وقضايا المتطور ، إلا دراسة تجارب غيرنا واختيار أقرب ما يكون منها إلينا واقعنا الفكري والعلمي ، ومن التسرع أن تعدى أنظمة فضحت عند غيرنا ، قبل أن تخرج نحن ما عندنا ... إن الصورة التطبيقية للباحث ، والاماني البراعة الساذجة في المستقبل ليست هي البديل الصالح !! إن البديل الصالح جهد ضخم نبذله في التحضير للإسلام في القرن العشرين ، (١) !!

لا بد من التفرقة الواضحة إذن بين الدراسة العلمية المنهجية لإخراج فقه إسلامي جديد وبين علاج مشكلات الواقع التي لا تنتظر فهمنا ، لا بد من دراسة عميقة جادة لتجارب غيرنا الفكرية والعملية ، واختيار الأنسب لتفكيرنا وواقعنا بقدر الإمكان ، ولا جدرى في الانصراف عن ثمار الجهود الإنسانية الكبرى القائمة بدعوى أن ثمار الجهود

(١) من كتاب « الفكر الإسلامي والتطور »

لكتاب المقال .

## النقد الأدبي من خلال تجاربي

للأستاذ محمد عبد المنعم خياحي

الفاصل في الحكم الأدبي<sup>(١)</sup>... ويتحدث عن سمات الناقد وأخلاقه الفكرية والنفسية، وخاصة النزاهة ومحاولة البناء، وذلك في الفصل الرابع من الكتاب<sup>(٢)</sup>. ويفيض في الحديث عن ثقافات الناقد في الفصل الثالث منه<sup>(٣)</sup>، سواء الثقافات الأدبية القديمة، أم الثقافات النقدية الجديدة، مع ضرورة المطالعة الواسعة لكل ما يتصل بالنقد من علوم: كعلم الجمال، والموسيقى، والتصوير، والتاريخ، وعلم النفس، والفلسفة.

ويطلق المؤلف للناقد الحرية في إنارة العمل الأدبي المنقود، فله أن يرجع إلى التاريخ أو الفلسفة أو التحليل النفسي ليفهم العمل الأدبي فهما جيدا<sup>(٤)</sup>، والحرية كذلك في اعتناق المنهج النقدي الذي يروقه، دون تقييد بمنهج معين. وبأخذ هو نفسه

١ - يفصل مصطفى عبد اللطيف السحرتي في كتابه «النقد الأدبي من خلال تجاربي»، أصول النقد، ويتحدث عن منهجه فيه، وتجاربه، خلال حياته النقدية، الطويلة... والكتاب محاضرات ألقاها المؤلف على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية، ونشره المعهد عام ١٩٦٢.

٢ - أما من حيث أصول النقد فالسحرتي يتحدث في كتابه عن التجربة الشعرية، والوحدة الفنية، وموسيقى الشعر، والصورة الشعرية، والمحاكاة والفكر، والخيال الشعري، وثقافة الناقد، والذوق، وغير ذلك من أصول النقد وقضاياها... كما يتحدث عن عملية النقد ذاتها حديثا طويلا.

وأما من حيث منهج المؤلف في النقد، فإنه يوجب توافر الروح الإنساني لدى الناقد، وأن يتحلى بفضيلة التواضع، فليس رأى ناقد مهما كان وأيا كان هو الرأي

[١] راجع ص ١٤ و ١٥ النقد الأدبي من خلال تجاربي.

[٢] ص ١٥١ وما بعدها.

[٣] ٤٦ - ١٥٠ للرجع فيه.

[٤] ١٤٩ للرجع.

ويرى أن في النقد الجديد نزعه نحو التركيز على ناحية معينة من العمل الأدبي لأن النقد المتكاثر العناصر يفقد - كما يقول هاينز - قوته <sup>(١)</sup> ويبدوا أن السحرتي في ذلك ليس متناقضا مع منهجة في النقد ، إذ يقول في موضع آخر : إذا قدرنا العمل الأدبي من حيث جماليته المطلقة أو واقعيته المطلقة فهو تقدير من حيث الدرجة ، مع احتفاظنا بما أخذنا به أنفسنا من معيار نقدي يعتمد الجمالية والواقعية معا <sup>(٢)</sup> ويرى السحرتي أن التجربة أول مقياس للناقد في رحلته الكشفية ، وأن الحكم على القصيدة لا يكون بالصورة ، إنما بالتجربة ومادتها وأدواتها ومن أبرزها الصورة والموسيقى <sup>(٣)</sup> والمقياس الفني العام للحكم على قصيدة في رأيه هو التوفيق في تأدية التجربة الشعرية تأدية حية صادقة <sup>(٤)</sup> ويسير السحرتي في أغلب نقده على نقده على المنهج العام الذي يكشف عن العمل الأدبي في كليته لا المنهج الخاص الذي يسير على تفصيله والفحص عن كل جزء من من أجزائه <sup>(٥)</sup> .

بمعيار نقدي يعتمد الجمالية والواقعية معا <sup>(١)</sup> . ويرى أن العمل الأدبي لا بد أن يجمع بين العنصر الجمالي والعنصر القيمي ، وأن قيمة العمل الأدبي تحسب ثلاثة مقاييس مميزة : المقياس الفني للإبداع الشكلي ، والمقياس المعرفي للحقيقة ، والمقياس المعياري للمحتوى أو المضمون ، وأن النقاد البصراء لا ذوا بالمقياس الجمالي كما اعتمدوا المقياس القيمي في تقويمهم <sup>(٢)</sup> ، ومن ثم رأى أن النقد التفسيري قد نصوري ذاتي ، والنقد التحليلي الخارجي قد كفي قاصر ، والنقد التحليلي الداخلي قد ثانوي لا يتناول روح العمل الأدبي من خلاله ، والنقد الاجتماعي أو المقصور على المحتوى والمضمون قد غير كامل ومع هذا فلا يجوز أن تقلل من أهمية اتجاه من هذه الاتجاهات ، فليس شك في أن النقد التاريخي ركيزة الناقد في نقده ، والنقد الميكولوجي يلقي أضواء على مضمون العمل الأدبي ، والنقد التحليلي الداخلي يكشف عن مدى بناء العمل الأدبي ، والنقد الاجتماعي يكشف عن المضمون <sup>(٣)</sup> . ويؤكد السحرتي منهجه في الرجوع بالنقد إلى الناحيتين الجمالية والقيمية في مواضع متعددة <sup>(٤)</sup> .

(١) ص ١٦٥ المرجع .

(٢) ص ٩ للرجع وقد ذكر ذلك أيضا

في موضع آخر ص ١٥٠ .

(٣) ص ٩٤ للرجع .

(٤) ص ٦٦ المرجع .

(٥) ص ١ المرجع .

[١] ص ٩٠ .

[٢] ص ١٦٤ ١٦٣ للرجع .

[٣] ص ٦٦ للرجع .

[٤] ص ٦٦ ٨٠ للرجع .

والشعر الحر الذي يدهو إليه بعض النقاد ويعيبه لجلتهم ، ومن بينهم العقاد حيث يرى أنه ليس شعرا على الإطلاق <sup>(١)</sup> قول فيه : إنه نوعان : نوع يسير على التفاعيل العربية دون التزام لصدها في البيت ودون حرص على مساواة شطر لشرط فيه ، ومثله الشعر المنظوم هل تفاعيل عروضية لم تنظم عليها العرب قصائدها ؛ ونحن لا نرفض هذا النوع لأنه يجرى على الموسيقى الشعرية عند العرب مع نوع من التجديد فيها ؛ ونوع يسير على موسيقى تنميتها الشاعر الحر ولا قاعدة لها ولا وزن ، ونحن نرفضه ولا نعده شعرا ؛ وليس الشعر التقليدي ملازما للشعر الكلاسيكي وليس الشعر الجديد ملازما للشعر الحر ، فقد يكون الشعر الحر تقليديا لا معنى له ولا تأثير فيه ، وإلا فما الجدة في قول شاعر من شعراء هذا المذهب - الشعر الحر - :

أنا رجعت من بحار الفكر دون فكر  
قابلي الفكر ولكني رجعت دون فكر  
أنا رجعت من بحار الموت دون موت  
حين أتاني الموت لم يجد لدى ما يميت  
وعدت دون موت

أنا الذي أحيأ بلا أبعاد  
د د د د أبعاد  
د د د د آماد <sup>(٢)</sup>

- (١) حرفة للساء عدد ١٢٥ أكتوبر ١٩٦٢ .  
(٢) ديوان أمول الحك لملاح عبد الصبور .

ويدعو إلى علم <sup>(٣)</sup> الحكم على الأثر الأدبي من خلال القراءة الأولى وإلى تناول جميع أعمال المنقود <sup>(٤)</sup> وقد قصر أغلب نقده على الأدب المعاصر ، وعلى الشعر خاصة دون نظر إلى كبير أو صغير بل كانت نظره إلى الأعمال الشعرية في ذاتها ، وكان أكبر اهتمامه موجها إلى إصاف شباب الشعراء الموهوبين <sup>(٥)</sup> . ويحاول بكل وسيلة الوصول إلى حقائق العمل الأدبي وإلى جوهره <sup>(٦)</sup> . ويذكر السحر في ثقافته الأدبية وجهوده في تعليم النقد المعاصر بكثير من الآراء والنظريات الحديثة : كالتجربة الشعرية <sup>(٧)</sup> والوحدة الفنية في القصيدة <sup>(٨)</sup> ومادة التجربة من شعور وعاطفة وفكر <sup>(٩)</sup> والصورة الشعرية وموسيقى الشعر والشعر الحر <sup>(١٠)</sup> الذي يرى أنه من الأساليب التحررية ، وينقد الشعر التقليدي <sup>(١١)</sup> . . .

- (١) ص ١٥ المرجع .  
(٢) ص ٢٩ .  
(٣) ص ٣٠ .  
(٤) ص ٣٤ المرجع .  
(٥) واج ٢١ - ٢٥ الشعر المعاصر للسحر في  
ص ٦١ - ٦٤ النقد الأدبي له أيضا .  
(٦) ٨٢ - ٩١ الشعر المعاصر ٦٥ - ٦٧ النقد .  
(٧) ٩٣ - ٩٨ الشعر المعاصر ٦٥ - ٨٠ النقد .  
(٨) ٩٤ - ١٠٨ النقد ، ويذكره في موضع آخر ( ١٣١ - ١٤١ النقد ) .  
(٩) ص ٩١ النقد

٢ - ويقول : « لا نرى رأى المؤلف في ترك الأعمال غير الجيدة بدون نقد . ومع أن صحة الأسلوب أن يقول « الغير الجيدة » : فإن السحرتي رأيه ، والفنيسى رأيه ، ولا يضيره أن يخالفه أحد في رأيه . »

٣ - وينقد الفنيسى في حدة وانفعال منهج الكتاب ، هذا المنهج الذي جمع بين الموضوعية والذاتية ، وفقا لموضوعه « النقد الأدبي من خلال تجاربي » ، وكلامه في نقد المنهج لم يستطع أن يقيده بدليل واحد بين به خطأ السحرتي في منهجه الذي سار عليه .

٤ - ويقول : إن السحرتي طاف بميادين كثيرة ولم يدخلها . وهذا ولا شك تحامل شخصي ، يخض السحرتي في مسألة إلا وشرحها ؛ دون اكتفاء بالتقرير ، بل اتخذ مع ذلك التطبيق مادة لشرحه .

٥ - ويقول : إن أكثر ما في الفصل الأول مكرر في الفصل الرابع . . . والسبب أنه ليس في الفصل الرابع كلمة واحدة ذكرت من قبل في الفصل الأول الذي تحدث فيه السحرتي عن حقائق النقد ، من حيث وقف الفصل الرابع على سمات الناقد وميزاته .

ويميب الفنيسى الشواهد المتعددة في الكتاب لفكرة الواحدة ؛ ومع أن هذه الشواهد مميزة واضحة للكتاب ، فإن كل

٣ - هذه هي أصول نظريات السحرتي النقدية . ومنهج في النقد في كتابه الذي قدمه إلى القراء في تواضع شديد ، وحياء جم ، والذي تناول فيه بالنقد والتطبيق ، أعمال أكثر من أربعين شاعرا معاصرا . . . ويمتاز السحرتي بالإحاطة بآثار الشعر المعاصر العربي ، وبرهانة ذرة ودقة تطبيقه للشعر على المناهج النقدية ، وتثير آرائه في النقد تقدير الأدباء والقاد والمستشرقين لنزاهته وحيه للإنصاف . ولكن كاتبنا عرض للكتاب ، وللأسف لم يحاول إنصافه ، وهو غنيمي هلال ، فنقده مدفوعا بروح الكراهية والتعصب ، لا شيء إلا لأن السحرتي نقد غنيمي هلال في كتابه « المدخل » ، وذكر في « النقد الأدبي من خلال تجاربي » بعض آرائه وخطأها (١) ، ولتناقش آراء الفنيسى في الكتاب :

١ - يقول غنيمي : « إن هذا الكتاب دون مستوى إنتاج المؤلف في تأليفه السابقة الغزيرة » . ولماذا ؟ لأن هذا الكتاب هو خلاصة آراء المؤلف في كتبه السابقة : الشعر المعاصر - شعراء مجددون - شعر اليوم الفن الأدبي - أدب الطبيعة . وفي محاضراته وكتاباته وتجاربه النقدية ١١

(١) راجع ص ٨٢ ، ٩٠ النقد الأدبي ، ومن أجل ذلك كان نقد الفنيسى للكتاب « راجع المجبة حدد أكتوبر ١٩٦٧ » .



على قصائد عدة . . أما أن السحرتى ذكر أحكاماً عامة دون تحليل ، فهذا ما تنفيه دراسات الكتاب ، فما من حكم إلا هلّل له ، إلا ما كان مرجعه إلى الذوق ، فإن أحكام الذوق تنطوى بنفسها على التحليل .

٨ — ويعيب عليه أنه ذكر قسمين من مذاهب النقد ، وهما المذهب اللغوى والمذهب الفنى . . . وماذا يتكر غنيمى من ذلك ؟ هل أتى برأى ناقد من النقاد يؤيده فى ذلك ؟ ويقول غنيمى هنا مغالطة أخرى فيذكر أن الواقعيين جميعاً يفضون بالتعبير اللغوى والبلاغى .

جميل جداً ذلك ، إن الواقعيين يأسيدى إذا نقدوا الشعر من حيث المضمون كان تقدم وفق المذهب الواقعى فى النقد وإذا نقدوه من حيث اللغة أو البلاغة كان تقدم وفق المذهب اللغوى ، فالجواب مختلفان تماماً .

٩ — ويقول : إن المؤلف كره نفس الفكرة الإجمالية المقتضية حين قسم المذاهب الفلسفية ، ومع أنه ليس هناك تكرير إطلاقاً ، فإن كلام السحرتى الموزج فى عرضه للفلسفة وصلاتها بالنقد كان وافياً بمجاوبات البحث كل الإيفاء .

١٠ — ويقول : كان الأولى أن يعتمد فى عزل الشعر عن الدين والخلق على الجرجاني

شاهد إنما جىء به لمرض خاص ولغائذة معينة .

٦ — ونقد غنيمى قول السحرتى عن التجربة الشعرية : « ومقياسها الفن العام إنها هى التوفيق فى أداء التجربة صادقة حية قوية » . وهذا تحريف للعرض ومحتة كما جاء فى الكتاب : « تحدثنا عن المقياس الفن العام الحكم على القصيدة » ، وهو التوفيق فى تأدية التجربة تأدية حية صادقة » . ويقول غنيمى : إن هذا المقياس عام لا يشرح شيئاً . . لا يأسيدى ، لعلك لو قرأت التطبيق الشعرى الذى أتى به المؤلف لثر ذلك لعرفت أنه شرح كل شئ . ، مع أنه أوضح التجربة أيضاً فى صفحتى ١٤٦ و ١٤٧ من الكتاب .

٧ — ويعيب عليه أنه ذكر أربع قصائد فى كلامه على التجربة مع أحكام عامة لا تقفنا على معنى التجربة وعقب عليها تعقيباً موجزاً ، وأنه قال عن قصيدة منها إن معناها مبتكر لم يسبق إليه شاعر عربى أو غربى . . أما ذكر أربع قصائد لأربع تجارب شعرية مختلفة فلا عيب فيه ، وأما القول عن قصيدة إن معناها مبتكر فما وجه العلمن عليه ، ولم يتقص الكاتب الحكم بدليل . . وأما التعليق على القصائد بإيجاز شديد فإن من الإنصاف أن نذكر أنه جاء بعد التعليق على كل قصيدة على أنه ليس هناك هيب فى تعليق موجز

دليل لم يقرأ الكتاب . ولماذا الرجوع إلى كروتشه ، وقديسبى الثعالبي في كتابه «عاص الحاص» ، إلى كل ذلك ؟ إن الأمر كما يقول العقاد : إن هؤلاء الدكاترة بدأوا كتاباتهم النقدية بترديد شعارات وآراء مستوردة ، ثم انتهى الأمر إلى ما نرى ، حتى المذاهب الأدبية التي لا تكلفهم أكثر من نقلها من لغتها إلى لغتنا يتخطون في غرضها ولا يحسنونه ، لقد بدأوا تدفعهم حماسة الارتجال ، ثم تخلفوا لأنهم تنقصهم الأصالة والصدق والابتكار ، وأخيراً توقفوا وكان لا بد لهم من هذه النهاية (١) .

١٣ - ويعيب غنيمي ملحمة و عنوان النشيد ، للشاعر الكبير محمود أبو الوفا بزعم أنها ليست شعراً ، بل نظم . . وهذا حكم من أحكام ذوق غنيم وحده ، والحمد لله على أنه لا يشاركه في ذلك ذوق آخر . والتغنى بالقيم النبيلة ليس معياراً فنياً في مذهب الواقعيين عند السحرق كما يقول غنيمي ، لأن السحرق لم ترد كلمة الواقعيين في كلامه (٢) ، وإنما تبرع بها الكاتب من عند نفسه ، والسحرق لم يقل أكثر من أن الذين يعتقدون الفلسفة الإنسانية يركزون اهتمامهم على مواقف الإنسان وتجاربهم (٣) .

في الوساطة لا على قدامة ، لأن كلام قدامة في قضية صدق الشاعر ومناقضته لنفسه . . ومع أن كلام قدامة ليس في القضية التي أشار إليها الكاتب ، لأنه يقول : يباح للشاعر أن يتناول المعاني الحميدة والذميمة على السواء فإنه لا عيب على المؤلف في استنساخه بالاثنتين معا .

١١ - ويرى السحرق أنه يجب أن يكون للشاعر خط فكري واحد لا يعيد عنه فينقد ذلك غنيمي بدعوى أنه يتناقض مع إعجابه بالنظرة الجمالية المحضة وأن تحميته على الشاعر أن يختار إما الناحية الاجتماعية أو الذاتية لا مبرر له . . وحديث التناقض عجيب ، وأعجب منه أن تقول إن السحرق معجب بالنظرة الجمالية المحضة ، إذ أن أساس منهجه النظر إلى القيمة الجمالية والقيمة الواقعية معاً ؛ والسحرق لم يقل للشاعر : اختر إحدى الناحيتين كما يزعم الكاتب ، ولكنه قال : إذا كان لك اتجاه معين إلى إحدى النواحي فانظر فيها ولا تظهر زيف مشاركتك بالنظم في ناحية مناقضة لها .

١٢ - ويشك غنيمي في أن يكون السحرق قد قرأ كروتشه ورأيه في كتابه حلم الجبال الذي ذكر فيه أن الأدب إنما يجود في وصف النقا والآمال الجائفة والسحرق الذي قرأ كروتشه ورجع إليه وذكره في كتابه النقد الأدبي يصبح من غير

(١) للساء عدد ٢٨٥ أكتوبر سنة ١٩٦٢

(٢) راجع ص ١١٢ النقد الأدبي .

(٣) ص ١٠٧ المراجع .

١٤ - ويعرض الكاتب لما ذكره

السحرقى من نقد قصيدة لشاعر معاصر .  
مع أن السحرقى قد هدته قصائد لهذا الشاعر  
ويذكر الكاتب أن السام معنى إيجابى ،  
ولا أدرى كيف جعله إيجابيا ، ثم كيف فهم  
أن السحرقى جحد شاعرية القصيدة مع أنه  
لم يصرح بحكم فنى عليها ، ومعيار السحرقى  
في تقويمها أنها تخالف اتجاهه الواقعى لأنها  
تدعو إلى السأم والملل ، وقد قال السحرقى :  
إن المضمون الذى ينبثق منها لا يساير الاتجاه  
البناء ، فأخطأ الكاتب فى فهم ذلك وقال :  
إن المؤلف اعترف بأنها تشف عن المعنى البناء  
بالإيجاز لا بالتصريح ، وفاته أن يعرف  
الفرق بين « ينبثق منها » وتوسى : والسحرقى  
لم يعترف بأنها تشف عن المعنى البناء ،  
ولو قال الكاتب « لغير البناء » لأصاب .

١٥ - ويذكر السحرقى أن ثقافة  
الملاحظ عن الحيوان أفاده حين قرأ كتابه  
« الحيوان » . فيقول غنيمى : إن نفس  
الكتاب يحفل بآراء عميقة فى النقد . وكأنه  
ينبى أن تكون هذه الآراء مما قرأها  
السحرقى وأقادمها .

والسبب أن السحرقى سكت عن آراء  
« الحيوان » النقدية ، والمسكوت عنه لا يحكم  
عليه بنفى ولا إثبات ، وإثباته يجرى من  
قرائن أخرى ، ولكن الكاتب يحكم عليه  
بالتنى قطعا لأن له منطق .

١٦ - وحين أعجب السحرقى برأى  
لصاحب كتاب « سر الفصاحة » فى الاعتداد  
بالحروف ومخارجها فى بلاغة الكلام يقول  
غنيمى : لم يفد السحرقى من الكتاب غير  
ذلك . نصف ما بعده من نصف فى المنطق .  
إذ يحكم على المسكوت عنه بحكم لا يحتمله  
منطق الكلام .

ويذكر السحرقى رأيا العسكرى حول اللفظ  
والمعنى ، فيقول الكاتب : إن أبا هلال ردد  
رأى من قبله . . وماذا فى هذا مادام  
أبو هلال قد آمن بهذا الرأى .

ويجمل السحرقى لنقاد العرب فضل  
الاهتداء إلى الوحدة الفنية فى العمل الأدبى ،  
ولعبد القاهر فضل فهم التجربة الشعرية  
فيكون ذلك خطأ عند غنيمى . وإذا أعجب  
برأى لعبد القاهر فى بلاغة التشبيه فى الحركات  
كان ذلك هند الكاتب هو حيلة قراءاته  
فى عبد القاهر .

وبعد فلاداعى لمناقشة هذه الآراء  
لا تحفل بغير الانفعال والتحامل والعصية :  
وحسب السحرقى فى نظر المنصفين من النقاد  
أن يتوج جهاده الأدبى والنقدى بكتاب مثل  
« النقد الأدبى من خلال تجاربى » الذى  
يستحق كل تقدير وإتصاف .

محمد عبد المنعم خفاجى

عالمٌ من أعلام الأدب العربي :  
**أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِي**  
 للأستاذ عباس طه

- ٢ -

سبق بنا أن كشفنا لقراء هذه المجلة في عهدنا الزاهر وعصرها الفريد العاخر عن حقيقة متغلطة في التاريخ صادرة في بطونه وزواياه وفي شرايينه وخباياه تلك هي سيرة ونشأة العلامة الكبير والأديب الخطير من خلق ذكره بمناط الجوزاء وحف اسمه بأبواب السبل الشاهر الذي لا يحاول ولا يطاول والنائر الذي لا يجارى ولا يبارى هو صاحب الترجمة كان الخوارزمي ولما بمنصرة العرب وزعمائهم وكان قريبا من قلوب الأمراء والوزراء حتى ملأ ذكره الاسماع وعم صيته البقاع فكثرت حساده شأن العظيم في ناحية من نواحي الحياة إذا عظم شأنه ونبه ذكره تألب عليه منافسوه وتجههم قرناؤه ومعاصروه

حدث أن بديع الزمان الهمذاني حين قرعت أسماعه أنباء الخوارزمي وباهة ذكره وعلو شأنه بين معاصريه في الشعر والنثر وروائع الأمثال وبوالع الحكم ونوايج الحصال رحل إلى نيسابور ونزل وشيكا على الخوارزمي

ليكون من بين رواده والناهلين من جنب فراته ، وكان بديع الزمان يمثل الثقافة الفارسية كما كان الخوارزمي يمثل الثقافة العربية - فالخلاف الذي نجم بينهما كان خلافا بين ثقافتين ثقافة الفرس التي يتعصب لها البديع وثقافة العرب التي يتعصب لها الخوارزمي بل خلافا بين سياستين سياسة العرب وسياسة الفرس التي أخذت مظاهر عدة ولا بأس أن نورد هنا لمعانيه منها القارىء الحصيف عن مصدر هذا الخلاف وممكن ذاته .

١ - كان هناك صراع عنيف بين العرب والفرس ، وكان هذا الصراع قبل الإسلام لأن الفرس والروم كاتبا تتنازعان الاستيلاء على أطراف البلاد العربية فقد كانت الحيرة تدين لفرس وسوريا تدين للروم والاحباش حلفاء الروم لم تقوذ على التين .

٢ - حدثت حروب عديدة طاحنة بسبب هذا التنافس في الجزيرة العربية بين أشياخ هذه الدول في الجاهلية ثم ظهرت حركات تحررية في الجاهلية أيضا أظهرها وأبرزها

٥ - ظهر الفرس بضرورة في تاريخ الحكم العربي تلك هي الشعوبية ، ثم نادوا بهذه الدعوة لإظهار أن الفرس أفضل من العرب سواء من ناحية العلم أم من ناحية القيادة ، وظهرت الشعوبية بمظاهر عدة من أبرزها الدعوة الإلحادية ومن زعمائها المقنع الخراساني ثم الدعوة السياسية ومن زعمائها البويهيون وآل سلجوق والديلم ثم نزعة لغوية لمحاربة اللغة العربية واستعادة اللغة الفارسية وقد نجحوا في هذا أخيراً إلى حد ما .

فكل من يرجع إلى الماضي يجد في أبرز صفحاته هذا الخلاف بين البديع الذي كان يشايح الفرس وبين الخوارزمي الذي كان يشايح العرب مع قاذق بعيد الغود بين الرجلين .

وقد وقعت مناظرة بين البديع وبين الخوارزمي أو إن شئت فهي المؤامرة التي دبرها أشياح البديع من الفرس وحاكوا خيوطها ثم أعداء الخوارزمي من منافسيه وجاحدي فضله لخدموا لها الحشود وجمعوا من أجلها الجوع بعد أن وضعوا لها الأسس والقواعد من خلف ظهر الخوارزمي ثم مشى سفراء السوء بينهما بالوقعة حتى حلوا صاحب الترجمة على قبول هذه المناظرة أو المؤامرة فوقعت على استعداد من البديع وترقب منه لها وعلى غفلة عنها من الخوارزمي

الحركة التي كان يقودها هانئ بن مسعود وهزم فيها الفرس في - يوم ذي قار - فلما قام الإسلام استولى على بلاد فارس بأكملها وعلى الأجزاء المهمة من إمبراطورية الروم البيزنطية الشرقية وكان العرب ينظرون إلى الأمم الأخرى نظرة استعلاء وتكبر كما ينظر السكون إلى غيرهم من الشعوب فكانوا يسمون الأمم الأخرى بالأعاجم ( معنى الحيوان الأعجم الذي لا يبين ) ، ومع أن الإسلام قد سوى بين الأجناس والألوان وأخفى بين الشعوب والمذاهب والنزعات إلا أن الحكم الأموي كان متشعباً العرب وبأن أن يعدد بأية ولاية للأعاجم فأنحاز الفرس إلى الشيعة لمقاومة النفوذ الأموي وحكمه ثم انضموا إلى العباسيين وأقاموا دولتهم على أقاض بني أمية بقيادة أبي مسلم الخراساني .

٣ - احتضن العباسيون الفرس لأنهم أسس الدولة ولما رأوا أن نفوذهم بدأ يمتد فوق نفوذهم ويطو ناجزوم ثم نكبهم فبطش أبو جعفر المنصور بأبي مسلم الخراساني ونكل الرشيد بالبرامكة ويروى أن المأمون كان سبياً في اغتيال الفضل بن سهل .

٤ - الخلاف بين الأميين والمأمون فالأميين أمه هانئ والمأمون أمه فارسية فانضم الفرس إلى المأمون ونصروه على الأميين وشوهوا سمعته .

رسالة بديع الزمان الهمداني إلى أستاذه

أبي بكر الخوارزمي

الأستاذ أبو بكر - واقه يطيل بقاءه !  
أزدي بهنيغه (١) أن وجهه يضرب إليه  
أباط القلة في أطوار الغربة ، فأعمل في رتبته  
أنواع المصادقة ، وفي الامتزاز له أنواع  
المضايقة من إجماع بنصف الطرف وإشادة  
بشطر الكف ودفع في صدر القيام عن التمام ،  
ومضغ الكلام ، وتكلف لرد السلام ، ولقد  
قبلت توجيهه صغراً ، واحتملته وزراً ،  
واحتضنته نكراً ، وتأبطته شراً ، ولم آله  
عذراً ، فإن المرء بالمال وثياب الجبال ،  
ولست على هذه الحال وفي هذه الأسماح  
أقرر خف النعال . فلو صدقته العتاب ،  
ونافسته الحساب ، لقلت بوادينا ثاغية صباح ،  
وراغية رواح ، وناس يهرون المطارف  
ولا يمنعون المعارف .

وفيهم مقامات حسان وجوههم

وأندية يتناها القول والفعل  
ولو طوحت بأبي بكر أيده الله طوامح  
الغربة لوجد معنى البشر قريباً ومحيط الرحل  
رحيباً ووجه المضيف خصيباً .

فأجاب الأستاذ الكبير الخوارزمي على رسالة  
تليذه البديع برسالته التالية .

(١) وحل البديع إلى الخوارزمي في أسماح بالية

ببؤه عليه للسكنة .

وإذ ذاك أشاعت السنة الإفك والبهتان  
ملينة بالحدق والسخائم والدد بتفوق البديع  
على أستاذه الخوارزمي .

فليس عجيباً أن يقضى الخوارزمي بعد عام  
واحد متأثراً بنكران الجليل وجحود الفضل  
وتجاهل النبل من أعدائه والمتربصين أولئك  
الذين نهلوا من معين عرفانه وفيض أدبه  
ومعارفه والذين كانوا يجلسون القرفصاء  
في حضرة ويحبسون أنفاسهم خجلاً  
من هيبتة .

ونظرة قاسية من القاري\* الحضيف  
إلى رسالة البديع ورد أبي بكر عليه في رسالته  
البلقاء تكشف عن مدى الغلظة والتحدى  
الذين وردا في رسالة الهمداني إلى أستاذه  
الخوارزمي وعن مدى الملائسة والترفع  
عن الددد والإسفاف الذين وردا في رسالة  
الخوارزمي ودأ على رسالة تليذه وصنيعته  
بديع الزمان الهمداني .

ومن نافلة القول أن الرسالتين المتبادلتين  
بينهما كاتتا فائمة الخصومة والشرارة الأولى  
التي أوسعت رقعتها وشيدت قواعدها وأرستها  
على أسس من الددد كانت غاية في التحدى  
والخرج ولا بأس أن نضع بين رأى القاري\*  
الحضيف صورتين بارزتين للرسالتين  
المتبادلتين بين البديع وأستاذه الخوارزمي .

## رسالة أبي بكر الخوارزمي إلى بديع الزمان

«وصلت وقصتك ، وعرفت من خشن  
خطابه ومؤلم عتابه فصرفت ذلك منه إلى الضجر  
الذي لا يخلو منه من مسه صر ، وبنابه دهر ،  
والحدقة الذي جعلني موضع أنسه ومقلنة  
مشتكى ما في نفسه . أما مشكاه من مضايقي  
إياه في القيام فقد وفيت حقه سلاما وقياما  
على قدر ما قدرت عليه ووصلت إليه ،  
ولم أرفع عليه إلا السيد أبا البركات العلوي  
أدام الله عزه وما كنت لأرفع أحدا  
على من جمده الرسول ، وأمه البتول ،  
وشاهداء التوراة والإنجيل ، وناصره  
التأويل والتزويل ، والبشير به جبرائيل  
وميكايل . فأما القول الذي صور سيدي  
عنهم ، فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقه  
وكال تفصيل وجلة ولقد جاورتهم فأحدث  
المراد ونلت ما يراد .

فإن كنت قد فارقت نجدا وأهله

فأشهد نحمد عندنا بذيهم  
واقفه يعلم نيتي للإخوان كافة ، ولسيدي  
من بينهم عامة ، فإن أطاعني الدهر  
على ما في نفسي بلغت إليه ما في الفكرة ،  
وجاوزت مسافة القعدة ، وإن قطع  
على طريق عسرتي بالمصارعة وسوء  
المؤاخذه صرفت عنائي طريق الاختيار بيد  
الاضطرار .

## فما النفس إلا نطفة بقرارة

إذا لم تكدر كان صفوا مهيئا  
وبعد فهذا عتاب سيدي إذا استوجبنا  
عتبا واقترنا ذنبا ، فأما أن يسلفنا العريضة  
فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا  
عن احتتاله ، ولست أسومه أن يقول  
استغفر لنا إنا كنا غاطئين ، ولكني أسأله  
أن يقول لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم  
وهو أرحم الراحمين .

## الصفات الخلقية لأبي بكر الخوارزمي

كان الخوارزمي رجلا حديد الذكاء ،  
محمود الزوية ، موفور البديهة ، بنى بجانبه  
عن الإسفاف ولنحو الحديث ، فهو يختار  
العفاف ويصاف الإسفاف ، وقد يدع الطعام  
طاويا ويذر الشراب حساديا إن بدا له  
أن في ذلك دفعا لثأته أو بعدا عن لائمه ،  
فقد أبى أن يتجر بشره أو ثمره شأن  
الكتاب والشعراء في حصره أمثال المتنبي  
والبديع وأبي فراس حيث كانت له مدرسة  
يلقن فيها أبناء المياسير ووائع الحكم  
وبوالع المواقظ ويتقاضى منهم على ذلك  
أجرا ، وكذلك الأديب الرفيع لا يتجر  
بلسانه ولا يقامر ببيانه بل يضع نفسه مواضع  
الجوزاء من أديم الغبراء حتى يخطبه أهل  
العلياء وطلاب المجد والثناء .

الذكر في بابها ومنحها والتي يقول فيها  
بحالدا خصوم الشيعة ومناجرا لهم « فإن  
أصابنا نكبة فذلك ما قد تعودناه ، وإن  
رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه ،  
وعندنا بمحمد الله تعالى لكل حالة آله ،  
ولكل مقامه مقالة ، فعند المحن الصبر والأجر ،  
وعند النعم الذكر والشكر » .

مؤلفاته

١ - رسائله إلى أبنائه وأصدقائه والناهلين  
من ذنائبهم .

٢ - مفيد العلوم ومبيد الهرم وهو يشتمل  
على قواعد الشرع وتانون الممالك وفرة  
المذهب ورد الخصم وتذكرة الآخرة وقاعدة  
العدل إلى غير ذلك .

٣ - كشف الظنون .

وفاته

ورد في يتيمة الدهر لابن منصور الثعالبي  
أن قضاء الله تعالى نقد في أبي بكر  
محمد بن العباس الخوارزمي في شوال  
سنة ٣٨٣ هـ .

عباسي ط

ولم يكن هريداً كبحس الشعراء الذين  
اشتهروا في عصره بمعاقرة الطلي والوقوف  
على أبواب الأمراء والعنداء وذوى الكلمة  
النافذة والجلد الأشم بل كان رجلاً مؤمناً بالله  
صبوراً على التواضع إذا غلته ، راضياً  
بالقضاء والقدر وأحداث الدهر إذا نابت .

وكان رجل جليل وفصال إذا حزبه  
الخطوب ونزلت بساحته فوادح الكروب ،  
ولم يكن شيعي المذهب بل كان مدافعاً عنهم  
يوم رأى أن خصوم الشيعة قد علا نجمهم  
وطار في الأنعام ميتهم حيث كانوا من ذوى  
النيسار استطاعوا بالمال أن يكونوا له عصبة  
من الخوارج الذين خرجوا على  
ابن أبي طالب وسفهاوا أحلامه وهجنوا  
رأيه وبسطوا فيه ألسنتهم بالمسدييات  
من بنى القول ومجبن الحديث .

من أجل ذلك بسط الخوارزمي لسانه  
في طائفة منهم ببعض المنوات والمورات  
كان أخفها لذعاً في عقولهم أنهم المهددوا  
من نطف السكارى إلى أرحام القيان .  
فرسالة صاحب الترجمة إلى الشيعة في نيسابور  
تبدو لمن يجيل النظر فيها رفعة القدر جميلة



# فَائِقَاتُ الْعَزَائِلِ

تأثير الديانة الإسلامية في العبادة اليهودية

“ تأليف فضائل فيدر ”

للاستاذ عباس محمود العقاد

من أعلامها البارزين أو أقوال مفكر واحد من أئمة الفكر بين أبنائها المجتهدين ، وربما كان الماسكر الديني الذي ينهج في النسك منها لم يسبقه إليه أحد من أبناء ملته أعظم استقلالاً بالرأى من يتتبع ذلك المنهج لنفسه من غير سابقه ، لأن التغلب على الصيغة المذهبية والتحيز القوي أخرج إلى الاستقلال من ابتدع رأياً لا مقاومة فيه ولا حاجة به إلى التغلب على معارضيه أو منكره .

وقد أراد مؤلف هذا الكتاب - عن تأثير الإسلام في اليهودية أن يتبع أثر التصوف الإسلامي في اليهودية فاختار لذلك سيرة متقدمة من سير الأئمة الصوفيين الذين لم يسبقوا إلى منهجهم بين أبناء عقيدتهم ، والذين عرفتم لهم صلة بالثقافة الإسلامية وأثرت عنهم أقوال منقولة عن العربية ولم تكن لها سابقة في اللغة العبرية ، وقد بدأ المؤلف كتابه ببيان الآداب الإسلامية التي دعا إليها الإمام اليهودي الحكيم موسى بن ميمون ثم لم يخص الشاعر التي قررها ابنه

الآداب الصوفية في الأغلب الأعم آداب فردية يستقل فيها كل عابد متصوف بطريقته في السلوك الديني أو الدنيوي كاستقلاله فيها بما يؤثره من نوافل العبادة وتفسيرات النصوص والمعتقدات التي يجوز فيها الاجتهاد بالرأى لأهل الاجتهاد ، فإذا وجدت الجماعات الصوفية فإنما توجد من قبيل الأخوة التي تنتمي إلى أب روحى واحد ويشارك فيها التابعون جميعاً في اتباع الشيخ والافتداء بمسلكه ومنهج تفكيره وتفسيره ، وهو على جميع حالاته منهج اختصاص يستقل به فرد متبوع أو طائفة تابعة ولم يمهده من قبل ، ولا تلتظر أن يمهده من بعد ، أن يكون منهج عموم يشيع بين جميع الناس شيوع الإيمان بالعقائد والفرائض التي لأهل فيها للاجتهاد بالرأى والاستقلال بالعادة

فإذا أراد المؤرخ أن يبحث عن سريان التصوف من اتباع ديانة إلى اتباع ديانة أخرى فإنما سبيله في هذا البحث أن يتعرف الصوفية المتتلفة من نملة إلى نملة في سيرة علم واحد

منه أن أناسا من أبناء الطريق الإسرائيليين كانوا يلبسون الصوف ويمكفون على الصوامع ويتسمون بالفقراء ؛ لأن الكاتب يفرق بين المتصوف الحق وبين المتصوفين الأدعياء فيقول إن التصوف لا يكون بلبس الصوف ولا بملزمة الصوامع ولا باتخاذ أزياء الفقراء ولكنه طهارة وزهد وإخبات إلى الله .

ويتهى المؤلف من تلخيص هذه التعريفات إلى قوله : « في الختام يتضح التأثير الصوفي أيضا في تنويه الميموني بالبكاء التعبدي ، فإن فزارة الدموع علامة يتميز بها الصوفي العظيم . وقد سعى الزهاد الأوائل في الإسلام بالبكاين ، وإن البكاء كما قال الميموني هو غاية في التهيؤ للصلاة ، وبفضله تلقى صلاة المصل قبل لا حسنا كما قيل لحزقيال : قد سمعت صلاتك . قد رأيت دموعك . »

ولولا الثورة الصاخبة التي أثارها شيعة الجود على هذا التجديد « الأجنبي » كما وصفوه لتعددت الشواهد التاريخية التي يستدل بها على انتفاع اليهود بالقدوة الإسلامية في كل إصلاح من هذا القبيل أدخله حكامهم على آداب الدين وشعائر العبادة عند القوم ، ولكان من الممكن أن يقال إن الأمة اليهودية أخذت بهذا الإصلاح على سنة الأنبياء الأولين من جاءوا في رواية العهد القديم وفي رواية التلمود ببعض الوصايا التي أحيتها

إبراهيم من بعده في الوضوء وفي الصلاة الجامعة وهي السجود والركوع واستقبال القبلة والاصطفاف وسط اليدين ، وانتقل من الشحائر البدنية ، إلى الشحائر الصوفية الروحية فكانت خلاصة بحثه فيها « أن النفسك الشرق تاج مدرسة إبراهيم الميموني وزميله الحبر إبراهيم الحسيد ، وجذوره مستمدة من البيئة الإسلامية ومتأثرة بالمتصوفة المسلمين . »

وتساءل : من هو الحبر إبراهيم الحسيد ؟ فقال إن كتاب كفاية العابدين لإبراهيم الميموني هو مصدر الأخبار التي نعرفها عن ذلك الناسك الذي يكتنف الغموض سيرته والذي يقول عنه الميموني إنه أخوه في سبيل الله ، وما بلغت النظر في هذا التعريف كثير من العبارات التي قلت عن المسلمين وهي الإخوة في سبيل الله وتسمية الله رب العالمين وتسمية المسالك الصوفية بالحالات والمقامات والاقتران بالإمام الفزالي في تعريف المتصوفة كما عرفهم في كتابه المنقذ من الضلال بأنهم هم الذين يسرون في طريق الله ، وإشارة الميموني إلى الحسيد حيث يقول : « سيدنا وحبرنا إبراهيم الحسيد بن أبي الربيع كرم الله وجهه ، وأشباه ذلك من الصيغ التي اقتبسها الحكماء اليهودي من أقوال المسلمين . ويتخلل وصف الإمام الحق كلام يؤخذ

ما يوجب المنع وددنا عليه بأن النصارى أيضا يستقبلون جهة أورشليم في صلاتهم فليس من أجل هذا يحرم علينا استقبال جهة القدس في صلاتنا ... وهو - رأى الحبر الميمون - يوجه هذا الرد إلى معارضيه من الأحبار المقيمين في أقطار النصارى ، وهو نفسه الحكم فيها يختص بمحاكاة القرائن ، فإن اتباع خطاها لا يجوز ، ولكن في البدع الحديثة لا في الأمور التي لها أصولها وجذورها في شريعة إسرائيل .

ولم ينفرد الأحبار المقيمون في الأقطار المسيحية بمعارضة هذا الإصلاح بل كان له معارضون متشددون بين كبار أحبار المشرق ومنهم هودبا الناسى من آل الناس بدمشق وهو الحبر الذي كان الميموني يرد عليه حيث قال : ولست أخشى هذه الأباطيل ، فإذا يمكن أن يقال عني ؟ هل أفرطت في إغافة الجمهور من سلطان أحد غير الله ؟ هل جرت في الحكم ؟ هل قبلت الرشوة ؟ هل ابتغيت الربح ؟ هل أقسمت باطلا ؟ إنهم لا يستطيعون أن يرففوني بشيء من هذه التهم ، اللهم إلا أنني مثاير على عبادة رب إسرائيل تبارك اسمه بكل قلبي وروحي ، وإنني أطيل الركوع والسجود ، وبمثل هذا يتعدون عني ، ولا أخفيه . . . على أن دعوة الحكيم الميموني لم تلبث أن شاعت بين الطوائف اليهودية بالشرق والمغرب

الديانة الإسلامية ، ولكن هذا الإصلاح لم يحض بسلام بين القوم في حينه ، ولم يلبث أكثرهم ومنهم أناس من قادتهم أن قابضوه بالإنكار الشديد مقابلاتهم للبدع الدخيلة التي قصد العقيدة وتبدل السنن وتخالف أمر الإله الذي نهام عن التعمود بعبادات الأمم كما جاء في التوراة .

وكان المصلحون منهم يوافقونهم على تحريم التعمود بعبادات الأمم وإنكار البدع التي يدخلها المقلدون للشعوب الأخرى على جوهر الدين ، ولكنهم يقولون إن عادات المسلمين هي عادات الشريعة الموسوية في لبائها وإن بني إسرائيل هم الذين خالفوا تلك الشريعة الموسوية وهجروها ، ولا يعقل أن تنهى التوراة عن إعادة الأمة الإسرائيلية إلى سنن أنبيائها مجرد ظهور هذه السنن في أمم أخرى تنبع من أوامر الإله ما لم تنبع أمة التوراة ، ويقول المؤلف قولا عن الحكيم الميموني : « إن جبرنا يرفض البتة ادعاء محاكاة الأمم أو القرائن ، لأنه لا وجه لتحريم العادات الإسرائيلية القديمة التي اختفت من اليهودية أثناء النفي ... وإذا شئنا أن نحرم الأمور التي دانت بها الأمم الأخرى فإننا نضطر إلى التخلي عن كثير من وصايا التوراة كالصلاة والزكاة التي أصبحت من أركان الإسلام ... وإذا ادعى أحدهم أن في هذا

أردناه من تنفيد خرافة القائلين بأن الإسلام  
شعبة من اليهودية ، أو أن الإسلام مدين لها  
بشائره وأحكامه .

فالواقع أن اليهودية بعد الإسلام قد استغادت  
من آدابها وشعائرها كما استغادت في ثقافتها في  
علم من الأصول وفي نحو اللغة وعروضها  
وأوزان شعرها .

أما قبل الإسلام فصادر اليهودية في المسائل  
المنفقة عليها هي مصادر الإسلام من الديانات  
التي سبقتها بين النهرين ومنها أخذ اليهود  
صقائهم التي لم يعرفوها قبل منغام إلى العراق  
فإذا اختلفت اليهودية والإسلام فالفضل  
للإسلام في الارتقاء بالمعقيدة الإلهية التي  
جعلها اليهود مشيخة قبيلة ، وفي عقيدة النبوة  
التي جعلوها ضرباً في التنجيم ، وفي المسؤولية  
الإنسانية التي جعلوها ضرباً في عبادة المعصية  
الجهلاء لغير سبب ولا فضيلة ؟

عباسي محمود العقاد

حتى استجاب لها أناس من أحبار اليهودية  
في ثبوتها الأول وهو أرض فلسطين ، ومن  
حافظ على تقاليد الموروثة فإنما كان تأويله  
لذلك أنه يجرى على سنة تغيير الروح وإبقاء  
الجسم ، ويقول المؤلف إنه : إذا كان نساك  
فلسطين أنفسهم قد استمروا يستمسكون  
بصورة إكفاء الوجه التقليدي ، فإن أحبار  
فرنسا الذين أكبروا الحبر إبراهيم الميموني -  
وهم المقيمون في مدينة عكا قد اتبعوا نظامه ،  
وهو ما نفهمه من بضعة سطور بقيت لنا  
في إحدى صفحات كتاب الجنيحة جاء فيها أن  
المقيمين اليوم في عكا حفظهم الله وهم الحبر  
يوسف بن الحبر ستاتيا والحبر يهودا والحبر  
صمويل - هؤلاء يركعون ويسجدون على  
وجوههم وليس جانباً بل على ركبهم وجباههم  
على الأرض ...

• • •

وفيما أردناه من هذا الكتاب كفاية لما

## مَحْذَرُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ

### من روائع الشعر الإسلامي

للأستاذ الصادق علي شعيخان

عهدت المجلة إلى الأستاذ الصادق شعيخان أن يقدم إلى قرائها في كل عدد بعض روائع الشعر الإسلامي مترجماً إلى اللغة العربية . والأستاذ يلم بعدة لغات منها الفارسية وهو من الأزهرين الذي عنان أمير الشعراء أحمد شوقي بقوله :  
واقفة ما عذري لعل كليلهم يوما يكون أبا العلاء للبصرة

### المؤمن الحر في نظر إقبال

كن مخلصاً مثل الكريم نية ونملاً      تسمع نداءه لا تخف إنك أنت الأعلى

( إقبال )

المؤمن الحر هو الذي جرى فيض إيمانه من مورد ( لا تخف إنك أنت الأعلى ) .  
إننا حين نواجه المشكلات ، وقد انطوت منا الزموس في الجيوب ، يقبل المؤمن الحر إلى الميدان ورأسه على كفه !  
قد اشتعلت جنوده بنوره ، لا إله إلا الله !  
وأمام عبودية الله القدير ، لن يقبل الخضوع لسلطان أو أمير ؛ ما أشبه المؤمن الحر بالإبل الصابرة ؛ التي تحمل الأثقال ، وتصبر على قطع المسافات بين الأغوار والأنجاد ؛ تأكل الشوك ؛ وتصبر على وهج الشمس ؛ وسهر الليالي !  
لقد أبقت روح هذا الحر أن يفنح الموت ؛ وإن تكبيره الحى فوق قمير الحرف والصوت !  
إن الذي يحطم بقوة إيمانه أحجار الطريق ، كبقايا الزجاج ، خليق به أن يفرض على القياسرة الضريبة والحراج !  
إن كل فيك حرارة مؤمن فهو قبس من جمرة ؛ وإن جرى نهرك متدفقا فهو من فيض بحره ؛ إن جبابرة المملوك في أقبية الحرير تصفر وجوههم رهبة من سهم ذلك العريان الفقير ! ...  
إن الدين لدى هذا المؤمن الحر بصيرة

- ذلك الأبواب في ثوب قاه  
 أنرم التيجان تقديم الحراج ١١  
 قد جرت أنهارنا من بحر  
 وأضأت نارنا من نحر ١١  
 بسمة الورد شذى من صبر  
 شعلة الجند سنا من فكره ١١  
 شأنا في الدين لا يعدو الخبر  
 وهو في الدين شهود ونظر ١١  
 نحن عند الباب في ظل الشجر  
 وهو في الدار وفي جنى الثمر ١١  
 لبني الإفرنج في الدنيا حديد  
 في قيود من حرير أو جديد ١١  
 كم كفى بسجاياء بايزيد  
 ذو ريد وهو للورد مرید ١١  
 في حديث المصطفى شمس الهدى  
 كل أرض مسجد للؤمنين ١١  
 كيف تنفى فوق أرض معبد  
 إن تركت الأرض للمستعمرين ١١  
 ليس حيا من يرى مستعبدا  
 لسوى من في يديه وزقه ١١  
 سيد من ليس يرضى سيدا  
 ما خلا وبى فكل عبده ١١  
 في ضمير الحر تمكبير الإله  
 في جبين الحر تقدير الأم ١١

ونظر، أما نحن في أمر الدين فإذ لنا نهد  
 الخبر ! وبيننا الصميل يبيع المسجد ، ويتلق  
 المستعمر ! نرى المؤمن الحر ثملا بكأس  
 التوحيد، والثقة والإيمان من معين المصطفى ١١

\*\*\*

### المؤمن الحر

- أقبل الحر على يوم الفدا  
 ومضى يرى على التيم الهدف ١١  
 فكان الوحي لقاء النداء  
 من سماه الله أقدم لا تحف ١١  
 أشرق التوحيد نوراً في هداه  
 وسرى التحرير منه في الضمير ١١  
 أخرى من لم يخف غير الآله  
 يرهب السلطان أو يخشى الأمير ١١  
 روحه تكشف أسرار الخلود  
 عن حياة مالها في الدهر موت ١١  
 يرسل التكبير من قلب الوجود  
 لغة قضيه عن حرف وصوت ١١  
 سل ملوك الأرض عن دنيا الغرور  
 في الملامح خلف أستار الحرير ١١  
 ذللتهم بين أبراج القصور  
 ضربة من سهم صريان فقير ١١  
 ضرب البحر « كوسى » بمصاه  
 ودى الصخر خطاما من زجاج ١١

## إعانة الشتاء

للأستاذ العوضي الوكيل

يا أيها السارى على جموعه	من ذلك السارب تحت الظلام
كفى بكاء بالدموع السجام !	يبحث عن مأوى له أو طعام
...	مهمل الثوب هضم الحشا
الله في أم دهاها الشتاء	يكاد يبدو كومة من عظام
وحولها أطفالها في العراء	ويكتم الآلام في صدره
بكوا من القرم ولكننا	آلام جروح قاتل أو مقام
هل يدفع القرم مرور البكاء ؟	تذهب في الظلاء أناته
من كل طفل مثل وجه الضحى	مخوفة تشبه من الكلام
أحاله الفقر كوجه المساء	بنفحة البرد فلا ينثني
إن ملكك يوما رداء مضت	وحى له من ساهر لا ينام
تكسو بنها حكلهم بالرداء	دوامه الإعصار ترمى به
	حق غداً مثل بقايا الحطام

بقية المنشور على الصفحة السابقة

يتحدى الموت في جلوته	موته أهل مقامات الحياة
أو يتم فيها نصره 11	يرفع النصر لذكره العلم 11
إن غرس الحق في نور القلوب	هو يوم السلم في نهضته
غير شأن الزرع في ماء وطن 11	يد الإصلاح يبقى عصره 11
فالتمس للجد أحرار الشعوب	ويذبح الخير في أمنه
إنهم في الدهر أعلام اليقين 11	مثل ما ينشر روحه صطوره 11
الصاوي على شعوره	وهو يوم الحرب في ساحته
	سيفه يحفر فيها قبره 11

جلست أسوان حليف الشجي  
ورحت تبكي دهرك القلبيا  
يا فسوة الأيام ، يا عنفيا  
حين تصيب الراهن الاشيا  
يعطك فكاك وأوصاله  
حين يلاقى العاصف المرجيا  
كم يبتغي ثوباً يرد الأذى  
لا تخلا بيني ولا مفجيا  
هل راحم شيتة عاطف  
يحبوه بأشوب ، وقل الحبا  
٠٠٠

أخوك من بك على القارعه  
وأختك العريانة الجماعه  
والشارد الضارع بمض الحى  
وبعضه الشارده الضارعه  
أبوك هذا الشيخ ، ما أفلحت  
في رفع ما يكى به الرافعه  
وهذه الأطفال ذخر الحى  
لمقبل أيامه رائعه  
أحل عبوساً في عيامو  
لبسة آفقه صاطعه  
يا غارس الخمر بأرض الحى  
غدا ترى أزمارة يافعه

العوضى الوكيل

تقسمه ما بينهم قسمة  
تعلل الباكي ببعض الرجاء  
والليل مقرر الدجى واجف  
يصف حق بالنجوم الوضاء  
أيتها الأم وأطفالها  
ما نسيتم رحمت السماء  
٠٠٠

يا أيها السارى بأسماله  
يستقبل الليل بأهواله  
يهرأ جنينه نسم الصبا  
وبفصل القدر بأوصاله  
وأما له من شارد في الدجى  
قيد الفجر بأغلاله  
لم يلقى ما يحبه من قره  
فراح ينسى كل آماله  
في فطرة غشى عليها البكا  
تشكو إلى الله بهطاله  
ودمعة منحدر فيضها  
على قيس من حباله  
أشهد لو قد رآه ياغل  
لجاد عن طوع بأمواله  
٠٠٠

يا شيخ ، قد ودعت عهد الصبا  
ما أفضر العهد ، وما أطيبا  
وصرت صفراً من صباياته  
فلم تلك الآمال إلا حبا



# الكتاب

## الحسبة في الإسلام

للدكتور سعد الدين الجيزاوي

تعليق على كتاب للأستاذ إبراهيم دسوقي الشهاوي

الذي يقوم بتدريس مختلف أبواب الفقه الإسلامي لطلاب كلية الشريعة ، وهو بحكم ثقافته ومنصبه متمل أتم الاتصال بمناهل الشريعة الإسلامية ، خبير بمواردها ومصادرها يعرف إذا أراد أن يعرض موضوعا كيف يعرضه ، وقد سبق لي أن قرأت له كتاب «السرقة في التشريع الإسلامي» مقارنا بالقانون الوضعي . . وقد كان لهذا الكتاب أثره في نفوس المهتمين بالدراسات الإسلامية ، المدافعين عن تشريعات الإسلام لنفي ما ألصق بها ظلما وزورا من اتهام بالتصور . وإن قوة تلك المبادئ، ومخولدها قد اضطرت كبار المشرعين الأوروبيين في عصرنا الحديث أن يعترفوا مرغحين في المؤتمر الدولي للقانون المقارن الذي عقد إحدى جلساته في باريس عام ١٩٥١ - بأن مبادئ القانون الإسلامي ذات قيمة لا تقبل الجدل - وأن تعدد المدارس والمذاهب داخل هذا النظام

١ - كنت أزور صديقي الأستاذ إبراهيم محمد الأصيل صباح يوم إدارة مجلة الأزهر الشريف ، غلفت نظري كتاب على مكتبه عنوانه . الحسبة في الإسلام .

تناولت هذا الكتاب مبدئيا إعجابي بهذا الاتجاه الجديد في تغذية المكتبة الإسلامية بموضوعات تبرز ما في تشريعات الإسلام من قوة وحيوية ، وتبين للناس عناية هذه الشريعة الغراء بصيانة حقوق الأفراد والجماعات ، وبالتفنين لقيام مجتمعات سليمة تسودها العدالة والطمأنينة . ثم أخذت أنظر في صفحات الكتاب ، فقال صديقي إبراهيم أما وقد وافق هذا الموضوع ميولك ، فهل لك في أن تقدمه بكلمة إلى المجلة ؟ . حاولت الاعتذار . . . غير أن جلستنا انتهت بأن أقدم الكتاب .

إن مثل هذا الكتاب يقدم نفسه بنفسه لطرافة موضوعه وأهميته ، ولنزلة مؤلفه

والأحاديث الشريفة وما افتقد عليه إجماع الأمة . وذلك لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من دعائم إصلاح المجتمع ، فوجب أن يكون القيام بهما محل اعتبار ، وألا يترك للظروف ، ومن هنا اعتبرت ولاية الحسبة ضمن ولايات القضاء في الإسلام . وتناول الفصل الثالث : « مراتب الحسبة » .

وفي هذا الفصل بين المؤلف أن الحسبة باعتبار المحاسب عليه - ثلاث مراتب ، لأن أصلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو أمر شامل لا يقتصر توجيهه على فريق دون فريق أو فرد دون فرد ، بل إن التكليف به يقتضى - أولا - أن يدعوا المحاسبون سائر الأمم إلى الإسلام وبينوا لهم ما فيه من مزايا ، ويرشدوهم إلى ما فيه الخير باعتبار أن رسالة محمد عليه الصلاة والسلام عامة تشمل البشر جميعا . وقد أشار الأستاذ المؤلف إلى ما ينبغي أن يتصف به من تصدى لدعوة الأجانب بخاصة . ويقتضى - ثانيا - تخصيص طواقم من علماء الأمة ، لفشرتعاليم الإسلام بين المسلمين وتذكيرهم بما أحل الله وما حرم ...

ويقتضى - ثالثا - أن يكون هناك وعى إسلامى عام بين الأفراد حتى يكون بعضهم رقبيا على بعض ، وينصح كل فرد من يماشره من زملائه وأفراد أسرته وعشيرته وغيرهم

القانونى الكبير ، إنما يدل على ضرورة من النظريات القانونية ، والفن البديع ، وأن كل هذا يمكن القانون الإسلامى من تلبية جميع حاجات العصر <sup>(١)</sup> .

والآن : نعرض فصول الكتاب :

تضمن كتاب « الحسبة في الإسلام » عشرة فصول وعامة .

قدم الأستاذ المؤلف كتابه باقتراحية قصيرة بين فيها هدفه من تأليف هذا الكتاب وقد تناول الفصل الأول « تعريف الحسبة » . وقد اکتى سيادته بتعريف الحسبة شرعا ، وأورد في هذا الفصل كثيرا من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الدالة على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مبينا آثار ذلك في وقاية الأفراد والجماعات من الشرور والآثام .

وربما كان الأفضل ألا يقتصر في التعريف - وهو أول ما يطالع مختلف طبقات القارئ - على المصطلح العلمى ، ويأخذوا لو توسع في شرح هذا التعريف في الطبقات التالية إن شاء الله .

وتناول الفصل الثانى : « حكم الحسبة » .

وقد بين في هذا الفصل أن حكم الحسبة هو الوجوب بنص الآيات القرآنية

(١) راجع مجلة « المسلمون » العدد الأول

الفاسق . وقد رجح المؤلف هذا الرأي ، وأنا أوافقه أيضاً ؛ لأن في قبول الحسبة من الفاسق اعترافاً بأدبيته ، ومعاونة له على إبراز ما قد يكون كلفنا في قصه من خلل حميدة ، وفي ذلك استعلاء بنفسه ، وحث له على أن يعتمد عن مواطن النقص ، وفوق ذلك فإن فيه ضمناً لرعاية المجتمع ، إذ لو حررنا قبول حسبة هذا الفاسق لسبنا في تشجيع الجريمة ، إذ يرى من العبث تقويم ما رآه من منكر قد يكون هو ياباه .

وكذلك الخلاف في وجوب الإذن من ولي الأمر ، أو عدمه ، وقد خرج الأستاذ المؤلف بعد عرض الخلاف ومناقشته بأن الأصل العام في الحسبة هو عدم اشتراط الإذن ( وسيشير المؤلف في الفصل الخاص بولاية الحسبة إلى الفرق بين المحتسب المتطوع وفقاً للأصل العام إذ لا يجب اشتراط الإذن والمحتسب المعين المأذون له ) .

وتناول الفصل الخامس آداب المحتسب . وقد شرح المؤلف ما ينبغي أن يتصف به المحتسب سواء أكلن معينا أم متطوعاً من صفات تجعل عمله مشرفاً . وأهم ما في هذا الفصل أن وظيفة المحتسب تخلق منه شخصية قوية تجعله لا يخشى الحق لومة لائم ، لا يبالي إن نصح كبيراً أو صغيراً ، ولا يخشى في الحق قوياً أو عظيماً أو غنياً أو فقيراً بل يسعى

من أفراد الأمة . حتى تم الجميع رحمة الله ، ولا يكونوا مثل بني إسرائيل إذ كانوا لا يقناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون .

وقد فصل الأستاذ طبقات من يوجه إليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأسلوب الذي ينبغي أن يتخذه المحاسبون إزاء كل طبقة ، مؤيداً شرحه من الآيات والأحاديث ، وقد أشار في هذا الفصل إلى نقطة هامة في وظيفة المحتسب ، وهي التدرج في الوعظ وتوجيه الإرشاد ، ومراعاة حال كل طبقة من المخاطبين .

وفي الفصل الرابع تناول : د شروط المحتسب .

وهذا الفصل من الأهمية بمكان إذ كانت تقوم الشروط المطلوبة فيما مضى مقام المؤهل الدراسي في أيامنا هذه مع فارق الصفات الدينية والخلفية التي لم تعد محل اعتبار إلى جانب د الشهادة الدراسية . وقد شرح المؤلف هذه الشروط وبين ما هو متفق عليه منها كالإيمان ، والتسكيف ، والمقدرة ، والملم بأحكام الشرع فيما يقوم به ، ثم ما فيه خلاف بين الفقهاء كاشتراط العدالة في المحتسب هل رأى فريق من العلماء وعدم اشتراطها عند فريق آخر منهم الإمام الغزالي إذ لا مانع عند هؤلاء من وجوب الحسبة على

والاختلاف ، وأهم ما في ذلك أنه يجوز للمحتسب أن يباشر مهمته في إزالة المنكر وردح الظالم . . بنفسه ، ومن غير أن يرفع الأمر إليه ، وأن يظهر بما يرهب ويقوى سلطانه ، بخلاف القاضي .

ومما قيل من أن ولاية الحسبة قد وزعت اختصاصاتها في أيامنا هذه على مصالح كثيرة كالبليدية وإدارة المرور ومراقبة الموازين وغيرها ، فإن شيئاً من ذلك لم يتم بوظيفة المحتسب قياماً كاملاً ؛ لأن سلطة المحتسب تنصدي زملاءه ومرموسيه وطامة الجماهير وأصحاب المصالح الخائفين إلى الرؤساء والمستولين - ثم إن أساس مهمته أن ينظر في كل ما هو محل بأحكام الشرع من منكرات يأبأها الذوق السليم ، ويرى ما يرتكب من محرمات أو يؤدي إلى فساد . . فهل يوجد الآن مثلاً من يحكم على المناظر التي تعرضها دور الخيالة ، وفيها ما فيها من نشر الخلاعة التي كان يقاومها - باسم الشرع - المحتسبون فيما مضى ؟ إلى غير ذلك .

ثم تحدث الأستاذ الفاضل في الفصل السابع من « فتاة الحسبة » .

وقد أوضح أنها نشأت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تولاهما عليه الصلاة والسلام بنفسه ، ثم سار عليه خلفاؤه الراشدون ثم ولاية المسلمين من بعدهم ،

لإرضاء الله تعالى مهما لاقى من معضد الناس . وهذه هي الشخصية التي يتشدها الإسلام . وفي الفصل السادس تناول « الولايات في الإسلام » .

وهنا عرض المؤلف ثلاثاً من تلك الولايات هي : ولاية القضاء ، ولاية الحسبة ولاية المظالم وذلك لما بين هذه الولايات من أوجه الشبه أو الاختلاف .

وقد برهن السيد المؤلف في هذا الفصل على دقة في التفصيل ، وأبرز مهمة وإلى الحسبة وخطورة منصبه ؛ وبين الفرق بين المحتسب المميز بأمرولى الأمر وما يشترط فيه ، وحسرة الإذن له لمباشرة عمله باعتبار أن الحسبة قد صارت من ولايات الدولة العامة كولاية القضاء - وبين المحتسب المنتطوع ، الذي يقوم بمهمة الإرشاد قطعاً دون اشتراط إذن .

وأهم ما في سلطة المحتسب أنه يراعى تطبيق الأحكام الشرعية ويراقب ما هو حلال أو حرام ، وله حق غشيان مجالس الحكم ، ووعظ الحكم ، وتنبيه الرؤساء إلى ما قد يراه من أخطاء في تنفيذ أحكام الشرع إذ إن الرؤساء والحكام والقضاة من البشر ، وهم ليسوا معصومين .

ثم أخذ في الموازنة بين ولاية القاضي وولاية المحتسب وما بينهما من أوجه الاتفاق

وشرح الحسكة في ترك أنواع من المقررات  
بغير حد مقدر تحشيا مع تطور الزمن ،  
واختلاف البيئات . ثم اذكر أنواع التعزير  
وهي : المهجر ، والتوبيخ ، والحبس <sup>(١)</sup> ،  
والنفي ، والضرب ، والقتل <sup>(٢)</sup> ، والفسامة  
المالية ، وقد ذكر أدلة كل نوع ،  
وأغراضه وكيفية .

وفي الفصل العاشر عقد المؤلف « مقارنة  
بين التعزير والحد » أوضح فيها ما بينهما من  
فروق بتفصيل دقيق .  
أما الخاتمة ، فقد اشتملت على ترجمة  
لاثنين من كبار المحققين في الديار المصرية ،  
وهما : المقرئ والميني .

• • •

وبعد : فهذا هو عرض سريع لكتاب  
« الحسبة في الإسلام » ، وإن أم ما يلفت نظر  
القارئ لكتاب ما إنما هو موضوعه ،  
ثم منهجه في البحث .  
وموضوع كتابنا - كما رأينا - يتعلق

(١) ص ١٢٢ « وللاقل يأتين الفاحشة من  
ناسككم .. الآية » قبل إلحائها كان أول هذه  
الإسلام وأنها لم تكن . ( واجمع تصدير الكشاف  
والناسخ والفسوخ لابن حزم ) .

(٢) لماذا لا نقبر « أو لعلنا في الأرض . »  
الواردة في آية الحارية دليلا على جواز القتل  
نمزيلا ؟ قد رأيت المؤلف يقتصر في جوازه على  
السنة والفتوى .

وصارت من ولايات الدولة الرسمية في  
مختلف العصور .

وقد ذكر السيد المؤلف في الفصل الثامن  
عند ما تحدث عن : « نظام الحسبة في مصر  
وتطوره التاريخي » . أن نظام الحسبة ظل  
ساريا في مصر إلى عام ١٨٠٥ م حين قام  
بولاية مصر محمد علي .

وفي هذا الفصل - الثامن - أوضح المؤلف  
ما كان للمحتسب من منزلة في الديار المصرية ،  
وما كان يقوم به من رقابة عامة على الآداب  
الإسلامية ، ومراعاة تعاليم الإسلام .  
وبمراجعة الأمثلة التي أوردها لأعمال  
المحتسب ، يشعر القارئ حقا بفضل هذا  
النظام ، ويتمنى من صميم قواذه لو يعود .

ولما كان لوالى الحسبة أن يميز في  
المنكرات الظاهرة التي ليس فيها حدود  
مقدرة ، ولما كان التعزير هو « عقوبة غير  
مقدرة ، تجب حقا لله تعالى أو لآدمي ، في كل  
معصية ليس فيها حد ولا كفارة » . فقد  
ناسب أن يكمل الأستاذ بحثه ، لجعل التاسع :  
في « التعزير » .

وقد أورد المؤلف في هذا الفصل أدلة  
مشروعية التعزير من الكتاب <sup>(١)</sup> والسنة ،

(١) الآية الواردة بصفحة ١٢٥ منط منها  
« أو كفارة طام مساكين » فتكول « يحكم  
به ذوا عدل منكم ، حتى بلغ للكتابة أو كفارة  
طام مساكين ، أو عدل ذلك ميا . » .

ينتشر بفضل دعوة الإمامين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، ثم ظهور مجلة المنار وما تلاها فيما بعد مثل « الفتح » وغيرها . . .  
تقبة الناس ، وأخذ بعض أفاضل العلماء فى إحياء بعض التراث الإسلامى . . وفى الأيام الأخيرة - بعد قيام الثورة - وبعد جلاء الانجليز . . أطمأنت النفوس وأقبل العلماء على التراث الإسلامى يبحثونه ويذيعونه ، وأخذت المكتبة الإسلامية تعمر بصور من رجال الفقه الإسلامى فى مختلف أبوابه ، وفى فترة وجيزة ظهر الكثير من الكتب التى تحمل الطابع الإسلامى .

بقيت ناحية واحدة هامة ما يزال التأليف فيها قليلا ، هى أبواب المعاملات الإسلامية ونظم الحكم فى الإسلام .

وقد آن الأوان لأن تبرز هذه النواحي ، فإنها خير ما أخرج للناس من قوانين « تقى بجميع الحاجات العصرية ، وتحمل بين طياتها بذور النماء والقوة والمقدرة على التطور .

وموضوع الحسبة كما رأينا من أهم تلك الموضوعات الجديرة بالدراسة والتطبيق العملى إذ لا يوجد فى وظائف الدولة ما يطابقها تمام المطابقة ، مع مسيس الحاجة إليها .

ومادة الموضوع مستوفاة سليمة مستقاة من أوثق المراجع لا غموض فيها .

أما منهج هذا الكتاب : فإنه يدل على صبر

بناحية هامة من النظم الإسلامية التى ظلت محجوبة فترة من الزمن طويلة ، فقد مر بنا أن نظام الحسبة ظل قائما بمصر إلى أول عهد ولاية محمد على ، أى أنه ألغى من أكثر من قرن ونصف قرن .

ومنذ ذلك التاريخ أخذت تشريعات الإسلام بعامة تبتعد رويدا رويدا عن دور الحكم ، ثم كانت الطامة الكبرى عند ما رزئت بلادنا بالاحتلال الانجليزى إذ حاول الانجليز جاهدين أن يمسحوا كل ما هو إسلامى ، غير أنهم ارتدوا فى كل مساعيهم خائبين .

وخلال ذلك الزمن صار أكثر الناس لا يعرفون من الفقه الإسلامى إلا ما يتعلق بالمبادىء التى يمارسونها من صلاة وصوم وحج ، وكأن تشريعات الإسلام لم تأت بغير هذه الأمور ؛ فهى التى يسمعونها فى الدروس بالمساجد ، وهى التى يقرءون عنها إذا أرادوا التنفقه فى الدين ، وقليلا ما كانوا يسمعون من الجهاد فى الإسلام ، أو عن نظام المعاملات والقضاء عند علماء المسلمين ، وأوشكت المكتبة الإسلامية أن تخلو من كل ما يشير إلى أن فى الإسلام قوانين تستطيع أن تحكم ، وأنها خير من القوانين السارية .

ولكن بعد أن أخذ الوعى الإسلامى

من دائرة الإسلام ، وبمزاها المعقّدية التي  
نفّضت نفسها بنفسها .

وبعد أن يمدّ المؤلف لكتابه بتمهيد  
يقع في أكثر من عشرين صفحة ، أوضح  
مظاهر الشرك في هذه النحلة ، وجنبايات  
التصوّف وعلم الكلام والمذهبية في قصّيتها .  
بعد هذا التمهيد المسهب ، قسم دراسته إلى  
فصول ستة :

من السبئية إلى البابية : وهو الفصل الأول ،  
الذي حاول فيه أن يرد البائية إلى السبئية  
التي تزعمها ( عبد الله بن سبأ ) التي وضع  
الخطوط الأولى لفكرة الشيعة وحركتها ،  
والمؤلف يحاول بناجولة تاريخية ، يمرض  
الجمتمع الإسلامي الأول سليم البناء قوى  
الأساس ، ثم كيف استطاعت الأحقاد تتأمر  
عليه ، وكيف أوجسد كل من الشيعة  
والخوارج ، قسّة الحسين ، أسطورة المهدي  
المنتظر ، الدولة العباسية ، البرامكة . .

وفي الفصل الثاني : « الباب والبابية ،  
تناول نشأة الباب ( ميرزا علي محمد ) وحركته  
في أواسط القرن الثالث عشر الهجري ،  
أدعاءه المهديّة ، شريعة حركته ، نهايته  
المؤسفة والأساطير التي ابتدعها الخيال  
حولها بعد أن خر صريع الرصاص ،  
وألقيت بجثته في العراء .

وفي الفصل الثالث : « البهاء والبهاية ،

المؤلف وسعة اطلاعه ودقته في الفهم ودقته  
في الفهم والتلخيص . إن هذا الموضوع قد  
ورد بتفصيلات مستفيضة في مثل كتاب  
الإحياء للإمام الغزالي وبعض مؤلفات ابن  
تيمية وغيرهما ، وتظهر مقدرة المؤلف هنا  
فيما قام به من تلخيص لأهم النقط وتنسيقها ،  
وترتيب فصول الكتاب من غير خلل  
أو قصور ، وهي مهمة ليست باليسيرة .

والقدر الذي استخلصه من هذا الموضوع  
المتسع الجوانب كاف بأن يظهر الكتاب في  
هذا الحجم المناسب لطاقت جمهور القراء  
الذين قصد المؤلف إلى إفاذتهم : فلا هو في  
اختصار غل ، ولا في تطويل مل . وإنه  
بتنسيقه وحسن تبويبه يستهوى القارئ ،  
ويجمله يلم إلصاقاً مفيداً كافياً بهذا الموضوع  
القيم الخطير  
وفتقنا الله جميعاً إلى طريق السداد .

دكتور سعد الدين الجيزاني

٢ — البراءة :

لأستاذ عبد الرحمن الوكيل  
نشرت مكتبة أنصار السنة بعابدين هذا  
الكتاب ، والمؤلف هو فضيلة الشيخ  
عبد الرحمن الوكيل ، الرئيس العام لجماعة  
أنصار السنة المحمدية ، وكتابه دراسة واسعة  
عن البهاية ، تلك الطائفة المعروفة بخروجها

والبهائية آراء على قبة الفساد ، هم يرون الرسول - أى رسون ربا وعبداء ، ويؤمنون بوحدة الوجود ، ويفسرون «ختم النبوة» تفسيراً يحقق أن الوجود لا ولن يتخلو من رسل ، ويكفرون بالمعجزات وياعجاز القرآن ولا يرون معجزة إلا فى النسخ وحده .

والفصل الخامس : «عقيدة البهائية فى البهاء» تؤمن البهائية برؤية البهاء ، وتطمعن على أدلة الرسل ، وبراهين الإسلام ، وتزعم أن نحللتها ناسخة للإسلام .

أما الفصل السادس والآخر «دين البهائية» فهو عرض مسهب لهذا الدين المبتدع ، فالبهائية كفر جبان ، والتوحيد عندها هو : معرفة الأجساد البشرية التى حلت فيها الحقيقة الإلهية ، ولابد من وسائط فى الدين هم شيوخه ، والبهاء وحده يصل البهائيون ، وإلى قبره وحده يحججون ، وقد قال لهم : (من توجه إلى ، فقد توجه إلى المعبود) والصلاة تسع ركعات فقط ، والقبلة هى قصر البهاء ، والزكاة ١٩ % ، وأشهر السنة ١٩ شهراً والشهر ١٩ يوماً ، والميراث تشريع جديد ، والزبا مباح ، والجهاد محرم ، وعقوبة الزنادية مسلمة إلى بيت العدل أى بيت ماله . .

وبعد - فهذا عرض سريع لهذه الدراسة الجيدة ، ولا يجب فى أن الأستاذ عبد الرحمن

يراصل المؤلف دراسته ، فيقدم لنا البهائية كورث للباية ، وامتناد لها ، والبهاء هو (حسين على) ابن الميرزا عباس ، المولود بطهران عام ١٢٢٣ هـ ويكشف عن أساطير هذه النحلة ، وحركاتها ، واستنادها إلى المؤامرات والنسائس الدعوية ، إلى أن هلك البهاء المذكور بمرثومة الحنى ، بعد أن صنع منه الاستعمار الروسى واليهودى لها وبطلا .

وفى الفصل الرابع : «عبد البهاء والبهائية» حدثنا المؤلف عن ابن البهاء ، وكيف استطاع بدراسته لفلسفة اليونانية ، وكتب الباطنية والصوفية المنحرفة ، أن يسيطر على والده سيطرة واسعة ، ثم استمرأ هذه السلطة فى ظل الكفر والإلحاد ، فواصل نشاطه فى خدمة الاستعمار الانجليزى والفرنسى ، وجمع المال والثروات بغير حساب ، إلى أن انتهت حياته عام ١٣٤٠ هـ وخسرت الإمبراطورية الانجليزية أخلص عبيدها .

وفى الفصل الرابع : «الحقيقة الإلهية فى رأى البهائية» مناقشة دقيقة لعقيدة البهائية - إن جاز أن تسمى عقيدة - ويرى المؤلف أنها على ذندقتها مسبوقة بذندقة الفلسفة والصوفية والباطنية والإسماعيلية والدرزية ، وهى ذندقة سحرى بين عبادة صدم وعبادة صنم فالجمرد الصرف ، والكلى البحث ، وجسوده ذهنى لاهينى ، أى لا حقيقة له خارج الأذهان .



وإني لأحمد بهد ذلك المؤلف اتجاها جديدا هو عدم المساس بأقدار على وبقية ، وتأويله لكل ما حدثت في قسنة الحسين وغيرها ، بأن الخطأ في اجتهد الرأي ، وأحد له أيضا ، أن قلبه قد أمتنا بدراسة قيمة عن هذه النحلة الخبيثة التي لا زالت تستوى بعض المأفوتين من الشباب الذي يجد لذة في التحلل والانهلال .

• • •

## ٢ - الدين في موقف الرفع :

للاستاذ قسني عثمان

هذا كتاب جديد للاستاذ قسني عثمان ، نشرته مكتبة ومة بالقاهرة ، قدم لهذه الدراسة بمقدمة جاءت بمثابة تمهيد له . فهو يقرر أن خير دفاع عن الدين أن يكون في موقف الدفاع ، ووقوف الدين موقف الدفاع مشحون بالمعاني الكبيرة منها أن الله جعل الدين موافقا لسنن الكون ، وضرورة الإنسان ، فكما أن كلا من الكون والإنسان في حركته ، كذلك الفكر لابد أن يتحرك . أما فصول الكتاب الرئيسية فهي : الدين والفلسفة المادية ، الدين على فطرته ، الدين في حركته . ولقد تحدثت في الفصل الأول عن الدين والإنسان على الأرض ، البيانات الجديدة ، وناقش « جوليان هكسلي » في كتابه : ( دين بغير وحى ) الذي يحاول

الوكيل بذل جهدا يشكر عليه ، فقد جعلنا نلم لما شاملا بالبهائية ومفترياتها ، في أسلوب فيه روعة البيان ، وإن لم يخل من الحدة التي كنا نود أن يجنب أسلوب منها في هذه الدراسة العلمية الموضوعية . ولست أدري لم أتعجب نفسه وكتب الفصل الأول في حدود أربعين صفحة ، استعرض الإسلام منذ نشأته إلى الخلاقات التي قسنت في أماليب دموية بين الشيعة والأمويين ، ليبرو مسلك الأمويين في كثير من أحوالهم ، وجنوح آل البيت إلى الفتنة والهووى ، كل من الممكن أن يركز لنا في صفحات قليلة محدودة المنايع الأصلية للبهائية ، دون أن يحاول إلصاقها بالحركة السنية والحركة الشيعية والحركة اليهودية منذ ضحى الإسلام .

ولقد استعمل من أول دواسته - وهو يحدثنا عن الفتنة في عهد عثمان - كلمة « الصهيونية » ، وهي كلمة مستحدثة معاصرة ، وكان الأحرى أن يستعمل مكانها « اليهودية » ، مثلا ، والمعروف أن مؤسس البابية التي كانت فيما بعد « البهائية » ولد عام ١٨١٩ م ، فكيف تربط حركته بالسبئية المنتمية إلى عبد الله ابن سبأ المعاصر لعليفة الثالث - رضى الله عنه ، إني أرى بعداً عن المقاييس الصحيحة للدراسة العلمية المنهجية ، وإن كان من السهل مثلا أن نرد هذه النحلة إلى فكرة الشيعة الباطنية في مسألة المهدي المنتظر .

ومقالات بمجلة الأزهر الغراء وسواها . .  
بعد هذا العرض أود أن أقول أو أقرر  
ملاحظات لابد منها .

أولا : الأستاذ المؤلف كتب بحثا عن  
« الإسلام والموسيقى » في حوالي خمس وأربعين  
صفحة ، ولست أدري أى مكان متواضع  
لهذا البحث في هذه الدراسة ، وأخرى به أن  
يكون كتابا مستقلا .

ثانيا : كذلك كتب بحثا عن « الرسول  
الإنسان » ، ولا أرى له مكانا أيضا في هذه  
الدراسة ، لا سيما أنه كتب في حوالي  
تسع صفحات .

ثالثا : ترجم المؤلف عن الإنجليزية مقالا  
في خمس عشرة صفحة عن الحركات الإسلامية  
المعاصرة ، للأستاذ مسعود الندوى ، دون  
التعليق عليه أو ربطه بموضوع الكتاب .

رابعا : اهتم في بحثه عن القومية العربية  
والدين بمناقشة جرت على صفحات  
روزاليوسف دون أن يكون له في هذه  
المناقشة مكان واضح .

خامسا : موضوع الترحيب بالجزائر في  
سبع صفحات خارج عن موضوع الكتاب .  
سادسا : المؤلف المجلد لم يعن عناية  
دقيقة بالتفصيل الداخلى لما أثار من  
موضوعات ، ففي البحث الذى عنوانه  
( أصول الحرية في منهج التفكير الإسلامى )

لإيجاد دين منشود يستمد أصوله من الطبيعة  
الكونية والإنسانية - لا بما وراء الطبيعة ،  
كما ناقش الأستاذ قبحى في هذا الفصل :  
الخصارة والأزمة ، الطاقة الدينية ، الإسلام  
والشيوعية .

وفي الفصل الثانى : قرر أن الدين حرية ،  
وأصول الحرية في منهج التفكير الإسلامى ،  
ورأى أن يمرض الإسلام - كنظام - مرتبطا  
بأساسه العقيدى ، كما ناقش في هذا الفصل :  
إنسانية الرسول ، وموقف الإسلام من  
الموسيقى ، ومباحج الحياة في نظر الإسلام .

وفي الفصل الثالث انحلت المؤلف عن  
مقومات الشخصية الإسلامية الإيجابية الفعالة  
وترجم مقالا لمسعود الندوى عن الحركات  
الإسلامية المعاصرة ، ثم عرض فكرة ( الدين  
والقومية ) فناقش مدلول القومية ، وإلى أى  
مدى يصطدم بالدين ، ولماذا انفصلت  
القومية عن الدين في الغرب ، الدولة القومية ،  
والدولة العقيدية . وختم الفصل بالترحيب  
بالجزائر المناخلة كأمة أسلمت في جسد ،  
ووفت للإسلام في صدق .

وبعد هذا العرض الموجز لدراسة  
الكتاب التى كانت في أكثر من ثلثمائة صفحة  
من القلع المتوسط ، والتى جاءت دراسة على  
مستوى رفيع كما عودنا المؤلف في دراساته  
الإسلامية السابقة التى نشرت في كتب تارة ،

اللفظ والمعنى ، فتحدث عن العلامات والرموز ، والكلام واللفظ وعن أن للكلمة صورتين إحداهما منطوقة والأخرى مكتوبة ، وعن الكلمة والمعنى العاطفي والمشارك اللفظي ، وفي الباب الثاني (المعنى والفهم) تحدث عن المعنى البسيط ، والتفيدية ، والتوليد الصوتي ، والنحوي ، والمعنوي ، والمعنى المتعدى مدلول واحد وألفاظ عدة ، والعكس ، وفي الباب الثالث (حركة الثروة اللفظية) تحدث عن أربعة مصادر خلافة : الابتكار ، أو صوغ الكلمات ، أو الاقتراض أو التفسير في معاني الكلمات الموجودة ، كما تحدث عن أسباب تفسير المعنى اللغوية والاجتماعية والتاريخية ، وعن كيفية تغير المعنى ، وعن اقتراض الكلمات ، وفي الفصل الرابع (الآخر) (الكلمات والأشياء) تحدث عن تأثير الكلمات وقصورها .

ولنا أن نقول بعد ذلك : إن هذه الدراسة العميقة على مستوى رفيع من البحث ، وتدل على أن المؤلف عالم له مكانته الرفيعة في البيئات اللغوية ، وقد استطاع الدكتور كمال بشر الذي قام بالترجمة أن يثبت وجوده في التعليق على الكتاب ونذرعه بالأمانة العلمية ، فهو لم يجمال المؤلف ولم يتجن عليه ، بل استطاع أن يخفف من حدة دسامة البحث بشروحه الكثيرة ، وهو وإن كان يختلف مع المؤلف في بعض جوانب البحث ، إلا

لم يبرز عناصر هذه الأصول لتكون سهلة التناول ، والمفهوم من العنوان التحديد .

سابعاً : موقف الإسلام اللغوي في الإطار السياسي لم يهتم به المؤلف ، وهو وثيق الصلة بموضوع الكتاب .

هذه ملاحظات حارة ، ويبقى بعد ذلك للكتاب تقديره من حيث مناقشة المؤلف للأراء الغربية الاستشراقية وغيرها ، وهي كثيرة في الكتاب ، وقد ناقشنا المؤلف مناقشة جديفة اتسمت بنضوج العقل ، وسعة الأفق .

### ٣ — دور الكلمة في اللفظ :

لستر ستيفن أولمان

قام بنقل الكتاب إلى العربية والتعليق عليه والتقديم له الدكتور كمال محمد بشر المدرس بكلية دار العلوم ، أما المؤلف فهو أستاذ علم اللغة بجامعة ليدز بالإنجلترا .

الكتاب دراسة على جانب من الأهمية ، ويذكر لنا الدكتور بشر في تقديره للكتاب ، أن الحضارة الإنسانية تراث مشترك بين أمم الأرض جميعاً ، وأن الثقافة وعامة هذه الحضارة وركيزتها الأولى — ليست ملكاً لجنس من الناس دون جنس ، وهذه الروح أقدم على ترجمة الكتاب .

وقد جعل المؤلف دراسته القيمة هذه في أربعة أبواب :

قم أخى فالكون حيران المرام  
ضارب في التيه بضيقه الظلام  
فارغ القلب غلىء للصدام  
ماجر للروح مشور النظام  
جعل الله وأسباب الظلام ...

قم هنا فالأرض أوحال وطين  
نفرس الدرب ( يزيتون وتين )  
وتحت عنوان ( شرف ) يعلن الشاعر  
اعتزازه بالإسلام مهما لقي في سبيله وتحت  
عنوان ( التيه ) يتحدث عن حيرة الشرق في  
مناهات الضلال وتحت عنوان ( هولاء )  
يذكرنا بهذا الطاغية الذي دوخ العالم :

لارشد . لا أفكار . لا وحي . لا ثوار بل  
طائش فوان غنى له زمار . قد أنك الآوتار .  
الحق أن الديون تضمن قصائد فيها ثورة  
والم ، وفيها دعوة إلى المبادئ والمثل ، وإن  
كنا نأخذ على الشاعر أنه خرج قليلا على  
قواعد اللغة مما لا تحتمله ضرورة الشعر ،  
ومما لا يخفى كثيرا في قيمة الديوان .  
واعتباره نقلة قوية بمنزلة يؤمن الشاعر  
الأديب .

\*\*\*

• - المربي عبد السلام :

الأستاذ محمد حسن عبد الله  
هذا الكتاب الذي نشرته مكتبته ووجهه  
بالقاهرة - عابدين دراسة شاملة مستفيضة عن

أنه لم يحضه حقه من الإجلال والإكبار ،  
والدكتور بشر يقرر أن الكتاب قدم وجهة  
نظر جديدة في معالجة المعنى اللغوي ، لا يتفق  
مع المؤلف فيها ، ولذلك أفرد بحثا في كتاب  
لمناقشة هذه الوجهة تحت عنوان : ( دراسات  
في علم المعنى ) حتى لا يرحم بحث المؤلف  
بكثير من التعليقات ، وهذه هي الأمانة العلمية ،  
والأفق الواسع ، اللذان تتطلبهما من يتصدون  
لترجمة الدراسات الغربية والتعليق عليها .

٤ - المزيّن :

للاستاذ صالح آدم يلو .

هذا ديوان الأديب السوداني الشاعر  
المتخرج في كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف  
وهو ديوان يهتم بالإسلام ديننا ودولة ، في  
معظم قصائده فالشاعر تترج أحاسيسه ومشاعره  
بكل ما يتصل بالإسلام والقضايا الإنسانية  
والاجتماعية ، ويهدي ديوانه إلى الشباب  
المؤمن الذي روى بدمائه أرض القناة وفلسطين  
والجزائر التي ظلمت زمانا عظمى لسماء الشهداء  
وإلى شباب الإسلام في كل مكان من أرضهم  
المديدة الطاهرة . وقد اقتبس عنوان ديوانه  
من الآية الكريمة ( الله نور السموات والأرض )  
القصيدة الأولى ( أوحال وطين ) أهداها  
إلى روح شاعر الإسلام ( إقبال ) يستحيا  
أن تمض وتعود لتأخذ بيد المعايير والمقاييس  
التي تنسكبها الناس :

## ٦ - الإرشاد والتطير .

اليافى .

هذا الكتاب الذى نشرته مكتبة القاهرة بالأزهر عنوانه ( الإرشاد والتطير فى فضل ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه العزيز ) على الطريقة القديمة فى الإسراف فى العنوان ، مع المحافظة على السجع المعهود ، والمؤلف هو شيخ الحرمين أبو محمد حنيف الدين عبد الله ابن أسعد اليافى المتوفى عام ٧٦٨ هـ وقد راجع الكتاب وقدم له الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد القليل المدرس فى كلية الشريعة .

الكتاب يقدم نماذج من الأذكار والأدعية المأثورة فى الأوقات المختلفة ، وبعض المأثور على بعض رجال التصوف كأبى الحسن الشاذلى ، ثم يعرض منزلة بعض العلماء المعروفين وآثارهم العلمية الدينية ، كالإمام الغزالى والشيرازى والنواوى وبعض كبار المتصوفين كالحواص وابن عربى .

أما مراجع الكتاب الشيخ عبد الوهاب ، فقد قام بواجبه فى تصحيح الكتاب ومراجعته وإن كان قاته التعليق على بعض آرائه لاسيما ما فيه من بعض الشطط ، وهذا التعليق كان ضروريا لشم الفائدة الكتاب .

محمد عبد الله السمانه

هو الدين بن عبد السلام بائع الملوك، جاءت فى ستة فصول : الصور السياسية والاجتماعية والعلمية فى عصر العزيز بن عبد السلام ، وسيرته وحياته ، وشخصية السياسية ، وشخصية العملية ، وشخصية الاجتماعية ، ثم الفصل السادس والآخر ، الدولة الباطنية حيث نتحدث عن العصر المتصوف ، وتصوف العز ، ورأيه فى التصوف .

المؤلف بذل مجهودا مشكورا فى الكتابة عن شخصية إسلامية وعالم فذ لم يبع دينه بدنياه بل واجه طغيان الحكم فى عنفوانه ، وأثبت جدارته بلقب العالم الدينى العالم .

إلا أن المؤلف ، وهو شاب مثقف فى أول مرحلة حياته ، سار فى ترجمة العزيز بن عبد السلام على المنهج القديم فى الترجمة للشخصيات الفذة ، وكأىما السزى المراجع القديمة فى سوق القصص والأحداث ، وكنت أود أن تبرز عظيمة الشيخ فى إبراز مبادئه ومثله الرفيعة .

وهذا هو الهدف الأساس من الترجمة العظيمة . كما أن رأى الكاتب فى الدراسة لم يكن له مكان ملحوظ . وقد أخاف بحثا إلى الكتاب تحت عنوان ( حياة فكر ) عرض الإسلام فيه منذ نشأته ، واستغرق زهاء ثلاثين صفحة . ولكن يكنى الإلمام السريع بالفترة التى سبقت العز ليعطى صورة ناطقة عن عصره .

ولكتاب المؤلف بعد ذلك تقديرنا .

# آراء وأحاديث

سافر إلى بيروت عبر البحر :

يقع مثل هذا التعبير في الصحف بين حين  
وحين ، وقد اختلف أهل اللغة المعاصرون  
في صحة هذا الاستعمال ، ولكنني وقفت على  
شاهد له في ( تاريخ الإسلام وطبقات الأعلام  
للذهبي ج ١ ص ١٢٣ المطبوع حديثاً  
بالقاهرة ) وهو قول سواد ابن قارب :

فشمزت عن ساق الإزار ووسطت

في الذئلب الوجناء ( عبر السباب )  
الذئلب : الناقة السريعة ، السباب جمع  
سبب وهي المفاز . على برهان

ضبط الرصافة :

بتمسك كثير من أولئك بوجوب ضم  
راء ( الرصافة ) واقفين عند نفس الفيروز آبادي  
ولو أنصفوا لحولوا أعينهم إلى ما كتبه  
شارح القاموس على هامش المادة وإذا  
لعلوا أن الفتح والضم سيان ، وفي ظني  
أن الفتح في مثل هذه الكلمة أرق وأجل ،  
وما أحسب ( علي بن الجهم ) طيب الله ثراه  
قد نطق بها إلا مفتوحة آراء حسين قال  
بيته الخالد :

عيون المهاجرين الرصافة والجسر  
جليل الهوى من حيث ندرى ولا ندرى  
عمر لطفي

أسماء غير ممنوعة معه الصرف :

جرى النحاة على اعتبار كلمة ( أشياء )  
ممنوعة من الصرف والتسموا لذلك الحكم  
طلا غريبة ، فتم من اعتبارها أصح مفرداً  
مستثياً بالآلف الممدودة ليبر منها من  
الصرف ، وهذا غريب جداً ؛ لأن قصد  
الجمع واضح كل الوضوح في هذه الكلمة ،  
ومنهم من قرر أنها محولة عن ( شيئاً ) ،  
ومنهم من تصف قاضي أنها جمع ( شيء )  
على وزن ( شيء ) وقال إنها في الأصل  
( أشياء ) على وزن ( أدياء ) ثم حُل  
فيها ما ادعاه من قلب وحذف مما لا محل  
لمرضه على القارئين .

والذي استعظمت أن أهتدى إليه بعد روية  
وتأمل أن الكلمة جمع ( شيء ) ووزنها  
أفعال ومثالها جمع ( فيه ) وهو أقياء وحققها  
أن تكون مصروقة كما صرفت ( أقياء )  
وأمثالها ولا حاجة لمن منعها الصرف بوردوها  
غير متونة في الشعر لأن الضرورة الشعرية

مقطعان من لفظ واحد يحدث منهما شيء واضح من النقل الذي يأباه تآلف النغم في القرآن الكريم . وهذا التآلف من أسرار الإيجاز ، فترثت كلمة ( أشياء ) غير منوثة لأنها مرتبطة بحملة الشرط بعدها ارتباط الموصوف بالصفة وذلك يقتضى وصفها وهذا يوجب تكرار لفظ ( إن ) مرتين متواليتين ، فمن أجل ذلك لم تتون ( أشياء ) ومن هنا جاءت فروض النحاة ، والحق أنها مثل كلمة ( أفياء ) في الوزن والإعراب .  
مصطفى شبل

#### تشرع في اللفظ لا موجب له :

علم الله أنني حريص على سلامة اللفظ ، ولكنني أكره التزمّت فيها ، وأبض شيء إلى نفسي الإيمان في الجدل إلا جدلاً يكشف حقا ، أو يدحض باطلا ، أو يهدي إلى الرشاد وقد ضقت ذرعا بمسائل كثيرة يتعلق بها بعض من حسنت نيتهم أو ضاق أقمعهم ، أو استولى عليهم الغرور ، وأحب أن يتسع نطاق البريد بمجلة الأزهر القراء لشر هذه المسائل ، فها :

١ - يحرص كثير من أهل الفضل والدراية على تغيير لفظ العلم الكنيه المصدر بأب إذا كان مضافا إليه ، فيقولون مدرسة أبي حفص ، ومدرسة أبي المطامير ، جريا

تيسيح صرف الممنوع والعكس ، ولكنهم وجدوها في القرآن الكريم في سورة المائدة غير منوثة .

فقد جاءت في قوله تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤم » ، ويخيل إلى أن عدم تنوينها ليس نتيجة علة من العلة التي أوردوها ولكنه نتيجة القاعدة العامة التي اتفق عليها النحاة وهي جواز صرف الممنوع من الصرف وصرف الممنوع لتناسب والضرورة وما التناسب إلا مراعاة الانسجام في جرس الكلمات واتلاف النغم بين أجزائها ، ولذلك قرئ في المتواتر « سلاسل وأغلالا وسعيرا » وكلمة سلاسل متنوعة من الصرف لأنها صيغة متبهي الجموع ولكنها عرفت لتتجم مع أغلالا وسعيرا ) وقرئ « ولا يفوت ويعوق ونسرا » و ( يفوت ويعوق ) ممنوعان من الصرف للمعية ووزن الفعل ولكنهما صرفا في هذه القراءة المتواترة لينسجم جرسها مع ( نسرا ) وكذلك « كانت قواريرا ، قوارير من فضة قدروها تقديرا ، فإن قوارير الأولى نونت لتناسب فواصل الآيات ، فالمحافظة على حسن الجرس والانسجام من عادة العرب والقرآن الكريم نزل على رسول الله بلسان عربي فلم لا نقول إن كلمة ( أشياء ) لم تتون لظرف خاص في محيطها في الآية الكريمة إذ لو نونت لتوالى

التأنيث في أشهر الموسوعات اللغوية ، وقد غاب عنهم ورودها في (المختصر) للعلامة (ابن سيده) في باب ألوان العيش والنعم (أو كمال قال) ويعلم الله كم جرى قلبهم الأحمر والأزرق على كلمة الهناء شاعرين مزهوين وكم نال (ابن نباته) الشاعر الظريف من الزاوية والاستخفاف حين طرق أسماعهم بيته الرشيقي :

هنا عما ذاك العزاء المقدما  
فا حبس المحزون حتى تبسما  
محمد برهام

### أصح من ذي قبل :

كثيراً ما يعترض القارئ ويمر على ألسنة المتحدثين هذا الأسلوب - ومنهم من يكتب بضخامة وما يقادر إلى الذهن من معناه ، غير باحث فيما بني عليه من أساس لغوي ، أو قاعدة نحوية ، ومنهم من يحرف الكلم عن مواضعه فيزعم أن اللفظ الأخير منه وهو (قبل) بفتح الباء لا يسكونها ، ويقضي أن هذا الضبط يفضي إلى قصور في المعنى وتعمق كبير ، إذ القبل كل شيء في مستهل وجوده على حد تعبير المعجمات ؛ وما زلت أبحث في هذه المسألة وأدير الحوار حولها مع الثقات من أهل البصر باللغة حتى انتهت إلى ما أعتقد فيها . والخلاصة أن كلمة

على قاعدة جر المضاف إليه بالياء إذا كان من الأسماء الحسية ، وقد يقعون بحسن فية فيما يدعوا إلى السخرية فيقولون : مدرسة بني أبي الريش يريدون مدرسة البنين بيطنة أبو الريش ، ولوعلوا أنه يجوز حكاً إثبات الكنية على أشهر أوضاعها ، وهو صيغة الرفع بالوار لأراحوا واستراحوا .

وأظن الإمام الشيخ حمزة فتح الله قد عقد بحثاً لذلك في كتابه (المواهب الفتحية) وقرأ أحد الصحابة (تبت يدا أبو لوب) كما في تفسير العلامة (أبو السعود) .

٢ - يتشبث بعضهم بوجود جر كلمة (أثناء) فيقولون مثلاً (يلج البرق في أثناء السحاب) ، وهم يستمدون في هذا التزم على ورود الكلمة في جميع المراجع اللغوية التي بأيدينا على هذه الصورة ، ويقول النحاة إن اسم المكان لا يقبل النصب على الظرفية إلا مبهماً لا يمحصر حدودها فيما أضيفت إليه وهذا بلا شك كلام صحيح ، ولكن لم لا يكون نصب الكلمة جارياً على نزع المتأخر ، وهو كثير جداً في كلام العرب وجعله بعض العلماء قياساً في المصادر المؤنثة من (أن) وما دخلت عليه بل في غير المصادر من الأسماء الصريحة ؟

٣ - ما زال بعض الأدباء ينكرون كلمة (الهناء) لعدم ورودها بمجردة من تام



هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا) وقوله  
وقوله جل وعلا ( ها أنتم أولاء تحبونهم  
ولا يحبونكم ) وقول الشاعر :

إن الفق من يقول هاتذا

ليس الفق من يقول : كلن أبى  
وقد غلا كثير منهم في تطبيق هذا الحكم  
غلوا كثيراً مع تخلفه في مواطن شتى من  
كلام البلغاء والعلماء الذين يقتدى برأيهم .  
كالعلامة ( ابن هشام ) فإنه أورد هذه القاعدة  
في ( المعنى ) ولكنه جرياً وراء فطرته فرق  
بين ما يجب فيه ذلك وما لا يجب فقال في  
مقدمة الكتاب قوله :

(وها أنا بائح بما أسررت ) بدون أن  
يخبر باسم الإشارة وقال ( البحرى ) وهو  
من هو في صفاء الأسلوب .

ها هو الشيب لأمما فأبقى  
واتركه إن كلن غير مفيد

ولا يمكن وقوع ( البحرى ) في هذا  
الخطأ إن كان الحكم السابق مطرداً في جميع  
الأحوال . والحق أن النحاة لم يوجبوا  
ولكن كثيراً من الواقفين على شاطئ العلوم  
لا يفرقون بين أسلوب وأسلوب ،

ولا يتعمقون المباحث العملية حتى يقفوا على  
أسرارها ، فيقتضوا في الأمور على بينة ،  
ولأنى — ولا أذكرى نفسى — أستطيع أن  
أعرض على القارئ ما أراه ميلاً لتخلف

( قبل ) ظروف مبنى على الضم لمخلف  
المضاف إليه ، ونية منناه كبقية ( الفايات )  
وهي ظروف محصورة في كتب النحاة منها :

بعد ووراء وخلف إلخ . . . وأن كلمة ( ذى )  
ليست بمعنى صاحب كما يتبادر إلى الذهن  
ولكنها اسم لوصول يستعمل في لغة طيء  
للشعر وغيره مذكراً ومؤنثاً كما هو منصوص  
عليه في المصادر النحوية كشرح ( ابن عقيل )  
وحاشية الخضرى ، وأنها قد تأتي مبنية  
بلفظ واحد وهو ( ذو ) رفماً ونصباً وجراً ،  
وقد تصرب بالواو رفماً وبالألف نصباً  
وبالياء جراً عند قوم من طيء فتكون في  
أحوال الإعراب مثل ( ذى ) بمعنى صاحب  
التي هي من الأسماء الخمسة ، وعلى هذا الوجه  
يمكن توجيه الأسلوب ، ويكون الطرف  
المبنى على الضم صلة الموصول باعتباره شبه  
جملة حسب ما شرحه النحاة .

وإذا يكون المعنى : هذا الشيء خير  
من الذى كان قبله ، أو هذه الحالة أحسن  
من التى سبقتها وهكذا . وبذلك يستقيم اللفظ  
وينسجم مع المعنى المراد والسلام .

حسين البشبيشى

### في مجبأ النحر :

اشتهر بين المتأدبين أن الضمير المسبوق  
بها التثنية يخبر عنه وجوباً باسم الإشارة  
الذى يناسبه ومثاله قول الله تعالى ( ها أنتم

## نقيب . وافتراح

الأستاذ المبغى مدير ورئيس تحرير  
مجلة الأزهر .

تحية طيبة مباركة . وبعد فإن المجلة التي  
شرفت برباستكم طلعت علينا في همد  
جمادى الأولى سنة ١٣٨٢ هـ تحمل قدراً  
وتحليلاً لكاتب ( فلسفة تاريخ محمد للأستاذ  
محمد جميل بهم ) بقلم الكاتب الأستاذ محمود  
الشرقاوى وقد عقب عليه الأستاذ الجليل  
عبد الرحيم فوده - ( بلفت نظر ) الكاتب  
إلى بعض منات وقت للؤلؤ ثم جاء في العدد  
الذى يليه - استدراك وتعقيب ، ولفت  
نظر ، وحول ( لفت نظر ) وكلها تدور  
حول تحديد معنى المعجزة ، وكان حرياً  
بهؤلاء جميعاً ألا يعبروا مثل هذه المسألة  
احتكاماً ، لأن الإحاطة بالأسماء علم لا يتفح  
وجمل لا يضر ، والله ذو محمد بن سيرين  
التابى الجليل حيث يقول : ( العلم أكثر  
من أن يحاط به ، غنوا من كل شيء  
أحسنه ) وأحرى بهم أن يطلعوا على تفسير  
الآية : « إن الذين آمنوا والذين هادوا  
والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم  
الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم  
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » - في تفسير  
المنار لتليذ الشيخ محمد عبده السيد رشيد  
رضا ( عليهما الرحمة والرضوان - ص ٣٣٦

هذه القاعدة في بعض الحالات ، يبدو أن  
الأساليب المقررة بالتحدى هي التي لا تخلو  
من أسماء الإشارة ، فالآيتان الكريمتان فيها  
إنكار شديد وعتاب لاذع للؤمنين الذين  
لا يزالون يوادونهم ويحبونهم مع استيانة  
البغضاء في أفواههم ، وتعاديتهم في معاندة  
الإسلام والكيد للسلين ، ولما كان الوم  
شديداً على نفوس المؤمنين ومظنة لمحاولة  
التنصل منه حسن الإخبار باسم الإشارة  
زيادة في تصوير موجب الوم حتى كأنه  
مصور محسن لا يمكن التنصل منه ، وكذلك  
الشأن في البيت فإن معنى التحدى واضح فيه  
كل الوضوح ( وزيادة في الفائدة يحسن  
الإشارة إلى أن بعض المفسرين يعتبر اسم  
الإشارة في الآيتين منادى مع حذف حرف  
النداء ) ثم ترجع إلى صميم البحث فنقول :  
أما إذا خلا الكلام من معنى التحدى فقد  
حسن ( أو جاز على الأقل ) تجديد الكلام  
من اسم الإشارة ، وهذا يكون ( البحرى )  
على المذهب به في تفهم مقتضى الحال ، والإتيان  
بما يطابقه من الكلام فيكون كلامه جارياً  
على محبته : من الجودة والوصانة كما كانت  
الآيتان الكريمتان في الدروة من البلاغة  
لأنهما طابقتا كل المطابقة مقتضى الحال .

الاسكندرية - منصور عامر

يسير مع الحق حيث سارت ركائبه ( أقول بصراحة إن الأزهر قد غطا خطوات في اتساع دائرته ، ولكنه لا يزال في عزلة القديمة بالنسبة لتقليد المذاهب وترك السنة ، أسأل الله أن ينير بصائرنا جميعاً ، وبوفقنا إلى اتباع كتاب الله وسنة رسوله وأن يعصنا من الخطأ والسلام على من اتبع الهدى .

محمد عبد الرحيم القناوى  
جامعى سابقاً

### دخول امتحان الإلهام الأدبية والتأهيلية الأزهرية من الخارج

وافق فضيلة الامام الأكبر على إباحة دخول امتحان الشهادتين الإعدادية والتأهيلية الأزهرية المعادلة من الخارج تيسيراً على الطلاب الذين فصلوا الاستغفار مرات الرسوب وتمكيننا لذين حالت ظروفهم الخاصة دون الاستمرار في الدراسة ، وذلك بشرط أن يكونوا حاصلين على الشهادة السابقة عليها وأن يكون قد مضى على حصولهم على هذه الشهادة مدة الدراسة المقررة للرحلة المراد نيل شهادتها ، وأن يكون امتحانهم في كل مواد هذا القسم .

وافق فضيلة الامام الأكبر على إباحة

جزء أول . هنالك يجدون ما كان يقرره الشيخ محمد عبده لتلامذته في المدرس - أن الكلام في الأمم المؤمنة بأنبيائها واتبعت شرائعهم قبل أن يسدل دينهم وأن يفسخ شرعهم ، فاقه يقول : إن الفوز لا يكون بالجنسيات الدينية ، وإنما يكون بالإيمان صحيح له سلطان على النفوس ، وعمل صالح يصلح به حال الناس . وعلى هذا فلا إشكال في عدم اشتراط الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ، في الآية على أن القرآن حلقات متصل بعضها ببعض ، واقه يقول : (١) « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اعتدوا ، وإن تولوا فإني مقيم في شقاق . . . »

هذا وإن أنصح لرجال الأزهر وخاصة الذين لم مكاتهم الرسمية أن يتقدموا بأقلامهم وجاههم إلى أصحاب السلطان في الأزهر أن يدرسوا كتب السنة بدلاً من المذاهب فإن في هذا تيسيراً للمسلمين وغيرهم كثيراً وحتى تكون الفتوى صادرة من معدنها الصافي .

(٢) إن الفقه قانون الحياة ، والحياة في تطور ، فيجب على الباحث أن يكون حراً في حياته العملية لا يلتزم مذهباً معيناً ، بل يتوخى المعنى الصحيح

(١) سورة البقرة ١٣٧ .

(٢) لابن القيم .

لنعود بالآمة الإسلامية إلى مجدها السابق ،  
وعزها الضارب .

الإمام الأكبر يستقبل سفير النيجر  
في لاوس

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود  
شلتوت شيخ الأزهر السيد / حيدو ليغا  
سفير النيجر في لاوس وضيف السيد الرئيس  
جمال عبد الناصر ، وقد حمل الضيف إلى  
فضيلة الإمام الأكبر تحيات المسلمين في النيجر  
وتقديرهم الكبير للرسالة التي ينهض بها الأزهر  
والجهود التي يبذلها خلال أكثر من عشرة  
قرون في المحافظة على التراث الإسلامي ،  
والدعوة إلى الله في كل مكان .

وقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن الله قد  
ربط بين المسلمين بحبله المتين وأمرهم  
بالاعتصام به ، والتعاون على البر والتقوى ،  
ونحن جميعاً متضامنون في الدعوة إلى الله  
والمحافظة على دينه ، وإن أفريقيا التي تلقت  
الإسلام بقلب عاقل وعزم صادق في العصر  
الأول للإسلام لا تزال في حيويتها الدينية  
وتمسكها بشريعة الله ، وسيكون لها أثره  
الطيب إن شاء الله بعد أن تحرر أكثر دولها  
من نير الاستعمار ، وأن الأزهر ليس له

دخول امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية  
المعادلة هذا العام لطلبة المعاهد الأزهرية  
الذين نجحوا ولم يحصلوا على درجات تؤهلهم  
لدخول الجامعات وعددهم ٥٠٠ طالب .

وسيكون امتحان هؤلاء الطلاب على نظام  
المتقنين كفرصة أمامهم هذا العام .

الإمام الأكبر يستقبل رئيس الشؤون  
الدبلوماسية في تونس :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود  
شلتوت شيخ الأزهر السيد / محمد بل الفوقي  
رئيس الشؤون الإسلامية في تونس ، وقد  
تناول الحديث شئون المسلمين في إفريقيا ،  
وجهود الأزهر في التعريف بالإسلام والدعوة  
إليه ، وإمداد البلاد الإسلامية بالعلماء  
والكتب الدينية والعلمية واستقبال الطلاب  
الوافدين من شتى الأقطار الإسلامية .

ثم قال فضيلة الإمام الأكبر : إن جهود  
الأزهر وقف على الدعوة إلى الله والمحافظة  
على تراث الإسلام ، وإعداد الرواد في العالم  
الإسلامي الذين ينهضون بأوطانهم ويغردون  
حركات التحرير

ثم استطرد سيادته قائلاً : إن الأزهر  
ليضع يده في أيدي زعماء العالم الإسلامي

غض النظر عنها ، ومن ذلك إقحامه آية « وقه المثل الأعلى » في الحديث عن المثالية . ثم تفسيره المثل بأنه ما يحتذى به ويقاس عليه ، فقد أغفل أو أهمل ما ذكره المفسرون من أن المثل هنا بمعنى الصفة ، ونسى أو تناسى قول الله « ليس كمثل شيء » وهو السميع البصير ، ولو ذكر ذلك أو شينا مما قيل في ذلك لاستقام في تقديره ما قاله بعض العلماء في تفسير المثل الأعلى بأنه « لا إله إلا الله ، فإن معناها ينشأ أن يكون الله مثالا أو مثالا . وينبغي أن يكون المثل في الآية بمعنى النظم والمثل ...

وقد ذكر الونشري في تفسير المثل الأعلى أنه الغنى عن العالمين ، والزراعة عن صفات الخلقين على أن كلمة المثالية من الكلمات الواضحة المستوردة ، وهي من المصادر الصناعية التي تشير إلى خصائص جنس ما تدل عليه الكلمة ، وليس بينها وبين الإسلام نسب أو سبب وإنما هي تنسب إلى نظرية المثل وبلاد القبايل ، ولو كان المثل هو الرسول كما يقول الله « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » لكان لنا أن نفتخر عنه تبريرا ما قيل ...

عبد الرحمن فودة

دائما أن يلي مطالب المسلمين وأن يسمى لهم في سبيل نشر الدين .

### استحداث الشهادات العامة

#### بالمعاهد الأزهرية

أصدر فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر قراراً بمواعيد امتحان الشهادات العامة بالمعاهد الأزهرية . وقد تمهد يوم السبت أول يونيو سنة ١٩٦٣ لامتحان الشهادة الإعدادية الأزهرية و امتحان شهادة المرحلة الأولى بمعهد البحوث الإسلامية ، كما تمهد يوم السبت ١٥ يونيو سنة ١٩٦٣ لامتحان الشهادة الثانوية الأزهرية المعادلة وشهادة المرحلة الثانية بمعهد البحوث الإسلامية .

#### المخالفة :

يرى القراء في هذا العدد مقالا عن المثالية في نظر الإسلام لفضيلة الأستاذ محمد المدني وفضيلته من كتاب المحلة ومن عهدها إحدى كليات الجامعة الأزهرية ، ولهذا لم يكن بد من نشر المقال وإلقاء تبعة كلامه عليه دون غيره . غير أن الأمانة العلمية تستوجب لفت النظر إلى ما في هذا المقال من أخطاء لا يمكن

# فِي ضَائِرِ لِحْظِ الْفِتَوَى

أبراهيم محمد الأحصيل

بشرف عليه :

السؤال :

إلا وقد أمنه على دينه، فالمدين موسر في تلك الحالة فلا تنطبق عليه الآية. وبالتالي فلا حرمة على الدائن فيما فعل .

وعن الثاني : نفيد بأنه يجب الزكاة في كل ما جاز استنباته من الأرض ، قليلة وكثيرة ، ومن ذلك الدخان ؛ لأن استجماله لا يحرم إلا إذا أضر بالجسم أو المال

وعن الثالث : نفيد بأنه إذا كانت حشوية فعليه العشر إن كانت الأرض تسقى سبيحا أو بماء الأمطار وعليه نصف العشر إن كانت تسقى بمعالجة وتكاليف .

السؤال :

هل يجوز اعتبار الأموال المدفوعة للحكومة أي ( مصلحة الضرائب ) عن قيمة الأرباح التجارية من أصل المطلوب من زكاة المال أم لا يجوز ؟ .

عوض بيسو في فيوض

تاجر بفيشا - سنهور بحيرة

١ - وجعل له على آخر دين وطالبه بسداده فاقترض المدين من البنك بفائدة وسدد الدين فهل على الدائن حرمة ؟

٢ - هل في الدخان أو الورع زكاة ؟

٣ - وجعل لا تكفيه غلة أرضه فهل عليه في الخارج زكاة ؟

عبد الفتاح يلشن - تركيا

الجواب :

نفيد عن الأول : بأنه إذا كان للدين طريق يوفى بالدين كان موسرا ولا حرمة على الدائن حيثئذ في مطالبته واستيفاء دينه ، أما إذا لم يكن له طريق آخر يسدد منه غير طريق الاستدانة بالربا فإنه في تلك الحالة يعتبر معسرا ، وعلى الدائن حيثئذ أن يمهله إلى ميسرة ( وإن كل ذو عسرة فظفرة إلى ميسرة ) .  
والظاهر في مسألتنا أن البنك لم يقرضه

## الجواب :

لا ينفى دفع الضرائب التي تفرضها الحكومة عن الزكاة الشرعية ؛ لأن الضرائب ليس لها مقدار محدد شرعاً بل يرجع الأمر في تقديرها إلى ما يراه المسئولون في الدولة استجابة لمصالحها ، وليس لها أيضاً مصرف معين شرعاً بل مصرفها مصالح الدولة . أما الزكاة فهي مقدار من المال محدد شرعاً بأنه ربع العشر في التقيدين وعروض التجارة . والعشر أو نصفه في لزروع والثمار ، وفي المواشي من خصوصية في كل عدد منها يجب فيه الزكاة ، وللزكاة مصارف معينة في قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية » والخلاصة أنه لا بد من إخراج الزكاة ولا ينفى عن ذلك دفع ضريبة الأرباح التجارية .

## السؤال :

أولاً : تاجر له أموال عند أناس أصبحوا في حالة عجز عن السداد . هل يجوز اعتبار هذه الأموال أو جزء منها من الزكاة المفروضة عليه شرعاً ؟

ثانياً : لهذا التاجر ابن يعول أسرة . وقد غدا في حالة إملاق بعد أن أفلس تجارته . هل يجوز إعطاؤه من الزكاة التي يخرجها أبوه ؟

محمد محمد عباسي

## الجواب :

يجوز شرعاً احتساب الدين المذكور من الزكاة المفروضة على ما ذهب إليه بعض الأئمة كما جاء في شرح المذهب للإمام النووي رحمه الله في صفحة ٢١٠ ج ٦ ونصه : « إذا كان لرجل على مسردين فأراد أن يحمله من زكاته وقال له جعلته عن زكاتي ، فوجهان حكاهما صاحب البيان أحدهما لا يجوز ، وبه قطع الصيمري ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد ؛ لأن الزكاة في ذمته فلا يبرأ إلا بإقباضها ، والثاني يجوز وهو مذهب الحسن البصري وعطاء لأنه لو دفعه إليه ثم أخذه منه جاز ، فكذلك إذا لم يقبضه ، كما لو كان له عنده دواهم وديعة ودفعها عن الزكاة ، فإنها تجزئه سواء أقبضها أم لا .

وترى اللجنة الأخذ بالقول الثاني تيسيراً على الناس - كما تفيد أن لهذا التاجر أن يعطى ابنه المذكور من زكاة ماله .

## السؤال :

دارت بين بعض المتعلمين مناقشة بخصوص الزكاة وتفرق رأيهم فيها فأردت أن أقدم إلى الجهة التي رأيها القاطع وقولها الفصل للاستئارة في ركن من أركان الإسلام وما هو نص السؤال :

استأجر رجل أرضاً من آخر فأتت

ومذهب الإمامين مالك والشافعي أن  
زكاة الزرع على المستأجر ولا تسقطها  
أجرة الأرض ولا الحراج مهما بلغا  
ولو استغرقت الزرع ، وإذا لم يقدر المستأجر  
على إخراج الزكاة لأي سبب من الأسباب  
تبقى ديناً عليه يخرجها عند المقدرة ،  
ولا عبرة باحتياج الزارع إلى الزكاة ولو في  
قوته وقوت عياله .

ومذهب الإمام أحمد أن زكاة الزرع  
على المستأجر ، وأن الدين يسقطها إذا لم  
يوجد مال آخر للزارع يسد منه الدين ،  
ومن الدين الذي يسد أجرة الأرض  
والنفقات التي أنفقت عليها .

هذه هي آراء الأئمة وترى اللجنة أن  
الأدق بالمعاد في هذا الزمان هو الأخذ  
برأي الإمام أبي حنيفة .

### السؤال .

كثيراً ما نسمع من الناس قسماً (وحياة  
النبي محمد أفضل كذا) فهل هذا قسم له كفارة؟  
وإذا كان ليس له كفارة فما جزاء الحائث  
في هذا القسم ، وهل يعتبر قسماً أو لا؟ .

محمد السيد الخواص

شارع سوق العطارين رقمه اسكندرية

### الجواب .

قال صلى الله عليه وسلم من كان حالفاً فليحلف

زرماً يزيد على النصاب ولكن إيجار الأرض  
يستغفره ولا يبقى للمستأجر شيء ، فهل من  
تجب زكاة الزرع : على المؤجر أو المستأجر؟  
وإذا كان الناتج يزيد على إيجار المقرر ، فهل  
تجب الزكاة في الزائد فقط أم الزرع كله ؟  
وإذا لم يقدر المستأجر على دفع الزكاة فهل  
تصبح ديناً عليه يخرجها عند المقدرة ؟ وهل  
يفنى المال الأميري الذي تجبیه الحكومة عن  
الزكاة ؟ وإذا كان ما ينتج من الأرض  
المستأجرة لا يزيد عن الإيجار وقوت  
الأولاد في العام فهل يخرج الزكاة ؟ وإذا راد  
الناتج عن الإيجار وقوت الأولاد وكان على  
المستأجر دين فما الأفضل دفعه : الزكاة  
أم الدين ؟

محمد محمد النادى

ناظر مدرسة الشيخ درغام الابتدائية للبنين  
بدمياط

### الجواب :

مذهب الإمام أبي حنيفة أن زكاة  
الزرع على مالك الأرض لا على المستأجر ، وأنه  
لا يجمع عنده بين عشر وهو الزكاة وبين  
خراج وهو ضريبة الأرض ، فالزرع في  
الأراضي المصرية المستأجرة لا زكاة فيها على  
منهجه ؛ لأنها لا تجب على المستأجر ولأن  
المالك يدفع الحراج للدولة .



حجة الإسلام، وپراي فيمن يمحج عن غيره  
أن يكون قد أدى فريضة الحج عن نفسه  
وإلا فلا يصح حجه عن غيره .

والأفضل أن يمحج السائل هنا بنفسه عن  
والده ليكون ذلك أضمن في أداء النسك  
على الوجه الأكمل .

بالله أو ليصمت، ومفاد هذا أن القسم بغير الله  
لا يجوز، ولا يلزم به كفارة؛ لأنه ليس يميناً  
شرعية .

فليستغفر الخائف بغير الله وبه سواء برقى  
يمينه أم حنث .

### السؤال :

مجلة شهرية مصورة ترصد جوائز شهرية للفراء  
بعضها مالية والبعض الآخر حق اشتراك سنوي  
بالجنان في المجلة فما حكم هذه الجوائز؟  
سيد أحمد حسنين

### الجواب :

هذه الجوائز مكافآت تشجيعية  
تبرع بها المجلة لأغراض نافعة ليس فيها شيء من  
المفاسد التي يمتنعها الدين فلا مانع من قبولها .

### السؤال :

يريد أن يهب حجة لوالده المتوفى ويسأل  
هل الأفضل أن يمحج بنفسه أم ينيب فقيراً؟  
على أبو سيف

### الجواب :

يجوز شرعاً أن يمحج الإنسان عن غيره  
إذا كان الغير قد توفي إلى رحمة الله ولم يمحج

### السؤال :

أولاً : هل يجوز تربية الكلاب لحراسة  
الدار وغيره أو لا يجوز ؟ .

ثانياً : هل إذا لمس الكلب أحداً أو مسه  
وهو مبلول بالماء أو غيره ، ولم يغسل محل  
اللمس واللمس مقلداً للإمام مالك رضى الله  
عنه في طهارته وطهارة ريقه ، ويتوضأ  
ويصل على منذهب الإمام الشافعى ،  
ويقلد من يجوز التلقيح في القضيتين ،  
هل يجوز ذلك أو لا يجوز ؟ .

ثالثاً : هل قول الإمام مالك بطهارة الكلب  
مخالف لدين الإسلام وعارِج منه أولاً ؟ .  
راج كلتین رئیس المجلس الدينى

### الجواب

عن السؤال الأول : تربية الكلاب  
واتخاذها لمنفعة شرعية كالصيد وحراسة  
الدور وغيرها جائز شرعاً ، فقد جاء في صحيح  
مسلم وسنن ابن ماجه وأبي داود والنسائي

الشیطان فاجتنبوه . وهذا عام في كل ما يخامر العقل أى يغطيه ويحدث به نفوة وطربا . وقد وردت الأحاديث النبوية بما يفيد أن الخمر عام في كل مسكر من ذلك ما جاء : عن النعمان ابن بشير قال : قال رسول الله عليه الصلاة والسلام إن من الخنطة خمرأ ، ومن الشعر خمرأ ، ومن الزبيب خمرأ ، ومن التمر خمرأ ، ومن العسل خمرأ ، وإنما أنهى عن كل مسكر . ورواه أحمد . ومنها ما جاء عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام . ومنها كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ، كما جاءت الأحاديث بتحريم القليل بما يسكر كثيره . من ذلك ما جاء عن سعد ابن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قليل ما أسكر كثيره . وما تقدم يعلم أن كل ما يخامر العقل فهو خمر ، وهو من مشمولات النهى وإن حمله الناس بغير اسم الخمر . فقد جاء عن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليشربن أناس من أمق الخمر ويسمونها بغير اسمها وعن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقتعلن طائفة من أمق الخمر باسم يسومونها إياه .

وخلاصة هذا أن البوطة من الخمر وأنها حرام قليلها وكثيرها إذ من شأنها الإسكار . خصوصا إذا لاحظنا مع هذا أنها مضرة بالصحة تالفة للبال .

أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص في كلب الغنم والصيد والزرع .

عن السؤال الثاني : تليفق المصل في الحادثة المسئول عنها ، وأخذ من كل مذهب شيئا من أحكامه جائز على الراجح من مذهب الإمام مالك رضى الله عنه .

عن السؤال الثالث : مسألة طهارة الكلب من المسائل التي ليس فيها نص قاطع ، بل هي من المسائل الفقهية الاجتهادية التي اختلف فيها الأئمة رضوان الله عليهم ، فمنهم من رأى طهارة الكلب ، ومنهم من رأى نجاسته ، وقد ذهب كل منهم إلى رأيه لدليل توجب عنده ، فلا يصح أن يعتبر قول الإمام مالك بطهارة الكلب خروجاً عن الدين ، أو مخالفا للإسلام .

### السؤال :

ما حكم الشرع في الشراب المعروف بالبوطة ؟

### الجواب :

الشراب المعروف بالبوطة سواء أكلن متخذاً من القمح أو الشعير أو غيرها إذا أسكر كثيره فقليله حرام ؛ إذ هو حيثئذ خمر فإن الخمر ما غامر العقل وهو يشمل كل مسكر من أى نوع كان وقد قال تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل

وتعبد عن ذكر الله وعن الصلاة ولذا فهي داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر والسكر لفظاً أو معنى .

وقد تكلم رحمه الله عنها أيضاً غير مرة في قسواه فقال ما خلاصته ( الحشيشة الملعونة هي وآكلوها ومستحلوها المرجبة لسخط الله تعالى وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين المعرضة صاحبها لعقوبة الله تشتمل على ضرر في دين المرء وعقله وخلقه وطبعه وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً مجانين وتورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه وغير ذلك ما لا تورث الخمر، ففيها من المفاسد ما ليس في الخمر فهي بالتحريم أولى . والكثير والقليل منها حرام أيضاً بالنصوص الواردة على تحريم الخمر وتحريم كل مسكر) انتهى وقد تبعه تلميذه الإمام الحق ابن القيم رحمه الله فقال في زاد المعاد ما خلاصته: ( أن الخمر يدخل معها كل مسكر مائماً كان أو جامداً صميراً أو مطبوخاً فيدخل فيها لقمة الفسق والفجور (هي المعاصي المعروفة الآن بالمنزول) فالحشيشة خمر بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح الصريح الذي لا مطن في مستنده ولا إجمال في سنده ، ( إذ صح عنه قوله كل مسكر خمر ) وصح عن الصحابة رضوا الله عنهم الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومرادهم: أن

### السؤال :

هل شرب الحشيش أو أكله حرام ؟  
إسماعيل مرسى

### الجواب :

لا ينبغي لمسلم أن يفك أو يرتاب في أن تعاطى الحشيش على أى وجه ، حرام لأنه يزدى إلى مضار جسيمة ومفاسد كثيرة فهو يفسد العقل ويفتك بالبدن إلى غير ذلك من المضار والمفاسد فلا يمكن أن تأذن الشريعة التي جاءت بما يحفظ العقل والبدن والدين والعرض والمال بتعاطيه مع تحريمها لما هو أقل منه مفسدة وأخف ضرراً . ولذلك قال بعض علماء الحنفية — إن من قال بحل الحشيش زنديق مبتدع — وهذا دلالة على ظهور حرمة ووضوحها . ولأنه لما كان الكثير من الحشيش يخامر العقل وينطيه ويحدث من الطرب واللذة عند تناوله ما يدعهم إلى تعاطيه والمداومة عليه ، كان داخلها حرمه الله تعالى في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الخمر المسكر . قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب المباهجة الشرعية ما خلاصته : ( إن الحشيشة حرام بحمد تناولها كما يحمد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث

الخير ما خامر العقل - على أنه لو لم يتناول لفظه صلى الله عليه وسلم كل مسكر لكان القياس الصحيح الصريح الذي استوفى فيه الأصل والفرع من كل وجه حاكماً بالقسرية بين أنواع المسكر . فالتعريق بين نوع ونوع تفريق بين المتماثلين من جميع الوجوه انتهى -

وقال صاحب سبل السلام ( يحرم ما أسكر من أى شيء وإن لم يكن مشروباً كالحبيشة ) ونقل عن الحافظ ابن حجر ( أن من قال إن الحبيشة لا تسكر وإنما هى عند مكابر فإنها تحدث ما تحدثه الخمر من الطرب والنشوة ) ونقل عن ابن البيطار من الأطباء ( أن الحبيشة التى توجد فى ممر مسكرة جداً إذا تناول الإنسان منها قدر درهم أو درهمين ومفاسد كثيرة . عد منها بعض العلماء مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية ومفاسد موجودة فى الأفيون وفيه زيادة مضار .

ومما ذكرنا يبين أن الحبيشة قليلا كان أو كثيراً حرام على أى وجه كان ، سواء أكل أو شرباً .

### السؤال :

هل كلمة سيدنا فى شهادة أن رسول الله وأودة بصيغة الأذان الواردة أم لا ؟ .

عبد الفتاح سعد - البدين

### الجواب :

الأذان من الشاثر الدينية التى بين الرسول صلى الله عليه وسلم كيميئتها وصيئتها وليس فى هذه الصيغة كلمة سيدنا ، فى الشهادة بأن محمداً رسول الله ، وقد مضى على ذلك عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين وجميع الصحابة التابعين . لم ينقل مخالف لذلك فى هذه المصود .

وترى بعض الشافعية - مع تسليمه بأن لفظ سيدنا ، فى الأذان لم يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن الأفضل زيادة هذا اللفظ فى الأذان مراعاة للأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام .

والجنة ترى الاقتصار على الوارد من غير زيادة هذه الكلمة ولا غيرها لأن الأذان سنة متبعة لا يزداد عليها ولا ينقص منها شيء .

### بين الباب وقرائه

إلى السادة الآخرة الأفاضل الذين كتبوا الباب يطلبون خاصة على رسالتهم تذكروا أن الردود ستصلهم قريباً إن شاء الله ، وسيقوم الباب بنشر بعض ما تحويه هذه الردود بما له صيغته عامة .

# بين الصِّفِّ والكِتَبِ

إختيار وتعليق

عبد مريم فوره

يحتل مكان القلب منها .

كذلك أنشئت مدينة الفسطاط . فكان جامع عمرو حبر الأساس فيها ، ثم كان ما يحيط به خطاً للقبائل المختلفة تقيم كل قبيلة في الحطة المخصصة لها مساكنها ومتاجرها . وكذلك أنشئت مدينة العسكر بعد أن دالت دولة الأمويين وقامت دولة العباسيين فكان جامع العسكر كذلك حبر الأساس فيها . وكذلك أنشئت مدينة القطائع في عهد الدولة الطولونية فكان جامع ابن طولون في مكان القلب منها أو حبر الأساس فيها . ثم كان إنشاء القاهرة بعد ذلك . فكان الجامع الأزهر كذلك .

وهذه الحطة كانت سنة متعة في كثير من المدن التي قام بإنشائها الخلفاء والولاة والقواد المسلمون ، فإتتا نجدتها في البصرة والكوفة وفي كثير من مدن الشام ، ويرى بعض المؤرخين أن هذه السياسة أو الحطة ترجع إلى عهد عمر رضي الله عنه . بدليل ما كان يكتبه إلى الولاة - ومنهم عمرو بن العاص في هذا الشأن ، ولكن مد النظر إلى ما قبل

الجامع الأزهر

أنشئ أول ما أنشئ ليكون مسجداً جامعاً ، ثم بدأت الدراسة فيه بعد إنشائه بعدة أعوام فصار مسجداً ومهدداً معا ، ثم أقبل عليه العلماء وطلاب العلم من شق أنحاء العالم الإسلامي ، فصار جامعة تدرس فيها علوم الدين والدنيا ، ثم امتحن العرب والمسلمون بالفز والتتري ، والاستثمار الأروبي ، فكان منبر ثورة ، وحصن مقاومة ومقر قيادة . ثم هو من قبل ومن بعد القلعة التي قامت على حراسة علوم الدين واللغة حتى الآن ، وبعد أن حمرت أكثر من ألف عام .

ذلكم هو الأزهر الذي أنشأه جوهر الصقلي عام ١٣٥٩ للهجرة ( ٩٧٠ م ) ، بأمر الخليفة الممولى لدين الله الفاطمي .

ولم يكن لإنشائه في قلب القاهرة استجابة لرغبة طارئة ، أو فكرة عابرة ، وإنما كان تنفيذاً لحطة مرسومة ، وسياسة موضوعة ، جرى عليها الخلفاء والولاة والقواد المسلمون فيما كانوا ينشئون من مدائن وأحصار ، حيث كان يراد إنشاء مدينة كان المسجد الجامع

مدينة إسلامية ، ولا يقلل من أهمية هذا الاتجاه أن بعض المذاهب الأخرى لم تشرط المسجد الجامع ، فإنها مع ذلك تشرط لصحة صلاة الجمعة أن تكون في المصر أو في الأبنية المجتمعة أو قريبا منها ، ولا شك أن الأمثل والأفضل مع هذا أن تكون في المسجد الجامع .  
د . ح . ف .

من بحث في تاريخ الأزهر  
بكتاب الشعب « مساجد ومعاهد »

### بعد المسجدين

واذكره بعد المسجدين (١) معظما  
لمساجد الله الثلاثة مكبرا  
واشجع مليا (٢) واقض حق أئمة  
طلوعها به زهرا (٣) وماجوا أبحرا  
كانوا أجل من الملوك جلالة  
وأمر سلطانا وأظم مظهرا  
زمن الخفاف كن فيه جنابهم (٤)  
حرم الأمان . وكان ظلمهم الغدا (٥)

(١) يريد بالمسجدين . المسجد الحرام والمسجد  
الأقصى .

(٢) مليا . زمانا طويلا .

(٣) زهر . جمع أذهر وهو قنبر ويسمى القنبر  
الأزهر . والأزهران . الشمس والقمر ، فالمراد .  
شيوخه البيض القديرين تألقوا في سماء الشرق كأنهم  
نكوارك .

(٤) الجناب فناء البيت . وماقرب من محلة القنوم .

(٥) الغدا بفتح الغال . للنبأ .

عهد عمر يرينا أن هذه الخطة ترجع إلى أبعد  
من هذا العهد بقرون وأجيال ، فقد كان أول  
بناء أنشئ بمكة هو بيت الله الحرام ، كما يفهم  
من قوله تعالى « إن أول بيت وضع للناس  
للذي بمكة مباركا وهدى للعالمين » ثم كانت  
أول قبيلة نزحت إليه هي « جرم » ثم تبعها  
ولحقها بها قبائل أخرى فأقامت حول هذا  
البيت العتيق ، وأقامت حوله منازلها ومتاجرها  
فكانت مكة ، وكان بيت الله في مكان القلب  
منها ، يحججه الناس من كل صوب وحسب  
« رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج  
حقيق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله »  
فليس من البعيد . بل من المحتمل القريب .  
أن يرى المسلمون في هذه المدينة نموذجا  
لما يلتشون من مدن وأمصار ، ولعل  
مما يرجح ذلك أو يؤكد ما نجمده في الفقه  
الإسلامي ، فإن مذهب الإمام مالك يشترط  
لصحة الجمعة أن تكون في المسجد الجامع ،  
ويشترط في المسجد الجامع أن يكون داخل  
البلدة أو قريبا منها بحيث يمكن أن ينعكس  
عليه دعائها ، كما يشترط لصحة الجمعة فيه أن  
يكون مبنيا ، وأن يكون بناؤه على الأقل  
مساويا لبناء المعتاد ولأهل البلد .

وهذا التفكير يلقى الضوء على هذه الخطة ،  
ويمكن أن ترى فيه التفسير لهذا النظم  
المبارى ومدى أهمية المسجد الجامع في كل

مجلة الاعتصام - من مقال الأستاذ محمد  
على أحمد في المس والافتراء على العلماء .

إله همر يعلم

نهى عمر بن الخطاب رضى الله عنه في  
خلاقته عن مذاق اللبن بالماء ، فخرج ذات  
ليلة في حواشي المدينة . فإذا بامرأة تقول  
لابنة لها : ألا تمذاقين لبنك ، فقد أصبحت ؟  
فقال الجارية : كيف أذاق وقد نهى  
أمير المؤمنين عن المذاق ؟ قالت : قد مذاق  
الناس فامذاق ، فإيدى أمير المؤمنين ،  
فقال : إن كان عمر لا يعلم فإنه عمر يعلم ،  
ما كنت لأفعله وقد نهى عنه .

فوقعت مقاتلتها من عمر ، فلما أصبح دعا  
عاصما ابنه ، فقال : يا حاصم ، اذهب إلى  
موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية -  
ووصفها له - فذهب حاصم ، فإذا جارية من  
بنى حلال : فقال له عمر : اذهب يا بن فتزوجها ،  
فأحراها أن تأتي بفارس يسود العرب ،  
فتزوجها حاصم بن عمر ، فولدت له أم حاصم  
بنت حاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها  
عبد العزيز بن مروان ، فانت بعمر  
ابن عبد العزيز .

من كتاب قصص المسرب تأليف  
الأساتذة محمد جاد المولى بك ، ومحمد  
أبو الفضل إبراهيم ، وعلى محمد البجاري

من كل بحر في الشريعة ذاخر  
ويريك الخلق العظيم فضنفراً (١)  
لاتخذ حذو عصاة مفتونة  
يمجدون كل قديم شيء منكراً  
ولو استطاعوا في الجامع أنفكروا  
من مات من آياتهم أو هرا  
أحدشوق  
من ديوان الشوقيات

عبد شيطانه :

ومن لطائف ما وقع للمارء الشيخ  
عبد القادر الجيلاني ما حكى عنه أنه قال :  
ترأى لي مرة نور عظيم ملا الأفق ، ثم بدت  
لي فيه صورة تناديني يا عبد القادر أنا ربك ،  
وقد أسفطت عنك التكالييف ، فإن شئت  
فاعبدني ، وإن شئت فأترك فقلت له : إخصاً  
يا لعين ، فإذا ذلك النور قد صار ظلاماً ،  
وتلك الصورة صارت دخاناً ، ثم خاطبني  
العين فقال : يا عبد القادر ، نجوت من بملك  
بأحكام ربك . وفهك في أحوال منازل تلك ،  
ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من  
أهل الطريق . فقيل الشيخ عبد القادر من  
أين عرفت أنه شيطان ... ؟ فقال : يا حلاله  
لي ما حرمة الله على لسان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ، فإنه تعالى لا يجرم شيئاً على  
ألسنة رسله ثم يبيحه لأحد في السر أبداً .



### حول معونة الشتاء .

إن لنا إصراضاً على الشكل الذى إنخذته  
حجة الدعوة إلى التبرع . فالتى الذى بلغت  
النظر هو أن القائمين عليها من فرط حماسهم  
لعمل الخير ربطوا المشروع باشتراكيتنا  
وثورتنا وبطاقة قد يثير البلبلة في عقول البعض  
في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى الوضوح  
ذلك أن بعض اللافتات كانت تقول  
« معونة الشتاء قلب الثورة » . والآخرى  
أدعت أن « معونة الشتاء عنوان لا اشتراكيتنا »  
إلى غير ذلك من العبارات المبالغ فيها . ونحن  
قوم لا يزال الميل إلى المبالغة من بعض طباعتنا .  
إن معونة الشتاء لا يمكن أن تكون عنواناً  
لاشتراكيتنا أو رمزاً لها . ولا يمكن أن  
تكون قلب ثورتنا إن الميثاق هو عنوان  
اشتراكيتنا وقلب ثورتنا ، الميثاق بما تضمنه  
من قيم تمجد العمل والحرية والديمقراطية ،  
وبما احتواه من أسس لتنظيم الشعب العامل  
حق يمسك حاضره ومستقبله بيده يصوغها  
كما يجب أن يكون حاضر الإنسان ومستقبله .

الدكتور محمد الخفيف

من جريدة الأهرام

التعليق . . إذا كان القائمون على البداية  
لمعونة الشتاء قد ربطوا المشروع باشتراكيتنا  
وثورتنا فذلك - فيما اعتقد - لاتصال  
اشتراكيتنا وثورتنا بديقتنا ، فإنه الإطار

للاشتراكية التى تؤمن بها . والدستور الذى  
نسير عليه ، والميثاق الذى يتوارى في ظل  
الشتاء عليه الكاتب الذى جدد - عفا الله عنه -  
يمجد مع العمل والحرية والديمقراطية القيم  
الدولية والإنسانية ، وأول دستور طلعت  
به الثورة على الشعب ينص على أن دين الدولة  
الإسلام ، والتقرير الذى انبثق من ضمير  
الشعب واعتبر تفسيراً للميثاق ينص كذلك  
على ذلك ، فربط المشروع باشتراكيتنا  
وثورتنا لا يثير أية بلبلة ، وإنما يثير البلبلة  
ويزعزع الثقة مثل هذا الكلام الذى يخرج  
مسموماً من بعض حلة الأعلام

### ظل إيتاجى

يا صاحبي إن مالى لا يظلقى  
ولا يراعى ولا فأسى . ولا تاجى  
ولا انفساى ولا اسمى حين تذكره  
إن كنت وأظنون ، أو إن كنت « بتاجى »  
كل الظلال إذا ما الموت أدركنى  
نفر منى إلا ظل إيتاجى  
محمد السيد شحاته

شاعر البرادى

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ  
قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم  
أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور .  
قرآن كريم



# مَجَلَّةُ الْإِنْهَارِ

مجلة شهرية جامعية

تصدرها رابطة شيوخنا الإنشائية في أول كل شهر جمادى الأولى

مدير المجلة ورئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المستشار

إدارة الجامعة الأزهرية  
بالقاهرة

١٩٤١

يشترك في التحرير

عبد الرحمن محمد العقاد

عبد الله الأسيوطي

٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة  
٥٠ في مصر العربية

والله المستعان والمطالع يتبعه

الجزء السادس — السنة الرابعة والثلاثون — شعبان سنة ١٣٨٢ هـ — يناير ١٩٦٢ م



١٩٤٤٤٤  
دوريات

لِسَاءِ الْمَاءِ الْمُرْتَمِلِ

## عِصْرُنَا الذَّهَبِيُّ الرَّابِعُ

بقلم : أحمد حسن الزيات

سيرى الرئيس :

(١) إن العصور الذهبية العربية التي تقدم فيها العلم ، وازدهر الأدب ، وارتقت الحضارة ، وقطورت الحياة ، ثلاثة :

عصر الرشيد وابنه المأمون في بغداد ، وعصر الميز و وابنه الحاكم في القاهرة ، وعصر الناصر وابنه الحكم في قرطبة . وهذه الأعمار الثلاثة كانت مراحل لتقدم البشرى في طريق الكمال الممكن ، إلا أنها كانت تقسم بسبات

الأدستقراطية ، فلا يكاد يحيط بها مجاوز الإطلاق الخاص ؛ ففاعات العروش ، وأبهام القصور ، ودواوين الحكم ، كانت تفيض بالراء والنمعة ، وتزخر برجال العلم والأدب والفن والحكمة .

أما الشعوب فكانت قطمانا تستغل ، وموارد تستنزف ، وطبقات يملو بعضها بعضا بحكم النسب أو السلطان أو الثروة ، فساكن ينالم من فضل العصر إلا القدر المحتوم من الرعاء

(١) لس السكلة التي أقيمت في عيد العلم نيابة عن المائتين بجوائز الدولة التقديرية والتشجيعية .

سيدى الرئيس :

إن الأدب الذى تكرمه البيلة فى أهله قد بشر بك ومهد لك ودعا إليك . فى أغسطس من عام ١٩٣٥ قالت مجلة الرسالة : « نحن فى مجموع الناس أوزاع وأتباع ننظر إلى الأمم تعمل وإلى العالم يسير بعين بلهاء لا يمازج بصرها مدى العجب ، وعلتنا أن ساسقنا وقادتنا كلهم من رجال القول لا من رجال الفعل ، ومن أرباب القلم لا من أرباب السيف ، ومن جنود القانون لا من جنود (الأوامر) قفوا على مباحث الكتب . ودرجوا على مكاتب الدواوين وحرّموا القرية العسكرية وهى وحدها القائمة على الخطّة والنظام والأمر والتنفيذ والتضحية والشرف » وفى أبريل من سنة ١٩٤٠ تنبأت الرسالة بالرجل المنتظر فقالت مانعه : « إن الرجل الذى تنتظره الأمة العربية آيات تمهده وتدل عليه . فن الآيات المهيئة لظهوره المحلل الأخلاق فلا تهاك فى قول ولا فعل ، وتقاطع القلوب فلا تتواصل فى وطن ولا دين ، واستشأ النفوس فلا تتعفف فى صداقة ولا نسب ، وجوع الشهوات فلا تنقذ بلين ولا شدة .

ومن آياته المنبشة بوجوده أن يكون لغيره لا لنفسه ، ولأتمته قبل أمرته ، ولإنسانيته بعد وطنيته ، ومصدق

العام والخير المشترك . حتى أراد الله أن يكون العرب عصر ذمى رابع يكمل قصص هذه الأعصر جميعا ، فكان عصرك يا سيدى الرئيس ! عصرك الذى أشرق إشراق الشمس وأقبل إقبال الربيع ؛ فيه الحرارة والنور ، وفيه النضارة والخصب . عصرك الذى طبقت فيه مبادئ الإسلام التى فهمت ولم تعتقد ، أو اعتقدت ولم تطبق ، فالأمر شورى ، والحكم عدل ، والرزق شركة ، والناس مساوية ، والشعب حاكم .

عصرك يا سيدى الرئيس قد انفرد من بين العصور بأنه عصر الإنسان الكريم ، والمواطن الحر ، والعامل الكادح ، والعالم المجتهد ، والأديب المستقل . فكل منهم يشعر اليوم بأن له حقا يناله ، وواجبا يؤديه ، وورقا يكفيه ، ووطنا يعتز به .

عصرك عصر السلام والوئام والوحدة ، فأنت تسعى دائما لسلام الدائم بين الدول ، وللوئام الكامل بين الشعوب ، وللوحدة القائمة بين العرب ، لا تبتنى من وراء أولئك كله إلا ما ابتغاه ذوو الرسائل من قبلك .

وسيتشر حوء ميثاقك المحكم المهادى فى كل نفس ، وفى كل أرض انتشار كلمة الله لأنه الحق الذى وضعه الله فى شرعه ، والمنهج الذى سنه بليغ خلقه .

الراعي الذي يطرد الذئب ، والحيط الذي يجمع الحب ، والدليل الذي يحمل المصباح ، والقائد الذي يرفع العلم ، والأستاذ الذي يعلمنا أن نصنع الإبرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ، ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة . وكل أولئك يارباه بمحبتهم رجل واحد هو أشبه الناس بالمهدي المنتظر والمسيح الموعود . ذلك ياسيدي الرئيس ما تنبأت به الرسالة قبل قيام نورتك المباركة بانتي عشرة سنة ، وقد صدقت النبوة واستجيب الدعاء ، فهل كانت تنتظر إليك بلحظ الغيب ؟

سيدى الرئيس : إذا تفضلت البيلة على رجال العلم والفن والأدب بالتقدير والتشجيع فإنك تقدر سلاحاً من أمضى أسلحتك ، وتضع جنوداً من أخلص جنودك . وإنى أقدم باسمائهم جميعاً وباسمى إلى سيادتك بأصدق الفكر وأعظمه ، ونسأل الله أن يديم صرك ويمز نصرك ويقيم عليك وعلى أصحابك نعمة التوفيق ؟

أحمد حسن الزيات

تلك الآيات أن تموت ( الأنا ) فى لسانه ونحيا فى ضميره ، ويتحد فى ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ، فهو يحس أنه لأنه مجتمع شعوره ، ويدرك نفسه لأنه يحتل عقله ، ويملك قيادته لأنه مظهر إرادته ، وهو فى سمو نفسه ونزاهة هواه قد ارتفع عن أوزار الناس وأقذار الأرض ، فلا يطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من المداوة ، ولا يحب أن يفعل أرفع من العصية ، ولا يقول قولاً ولا يعمل عملاً إلا إذا وافق الدين الذى يعتقده والمبدأ الذى يؤيده والشعب الذى يقره ، ثم هو فى ألمعية ذهنه ورحانة له وصلابة عوده وبعد حتمه يعظم على الأحداث ويصلو على الحوائل ، فلا ينضج رأياً إلا أمضاء ، ولا يرى ضرراً إلا أصابه ، ولا يروم أمداً إلا أدركه .

ثم ختمت الرسالة مقالها بهذا الدعاء :  
رباه : لقد امتد بنا التيه فى مجاهل الأرض إلى قرون ، وفسد فى قفوسنا الإيمان بالحياة حتى تحول إلى ظنون . فنتج نخرج من التيه يارباه خروجه موسى ، وتقبسوا من مصدر الحياة العامة مكان محمد ؟ اللهم إنا نسألك

# الشخصية السماوية للأمة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت

وشخصيتها المعنوية ترجع إلى مقدار ما لها من تماسك وتخلخل، وثبات وتردد، ونفع وضرر، وإذا ما خلعت الأفراد عن الروح الذي يحقق لها مركزاً في الوجود، ويفيض منه آثارها التي هيئت لها، وظلت في وجودها عند شخصيتها الحسية كانت فاقدة للوجود المعنوي، وكانت يفقدها إياه، ظلاً لغيرها، تتحرك بحركته إذا تحرك، وتساكن بسكونه إذا ساكن، وتفكر بعقله إذا فكر وهكذا لا ينسب إليها شيء من آثار الإنسانية التي يقبوا الإنسان مركزها في الحياة.

## شخصية الأمة :

وإذا كان للفرد شخصية حسية، وأخرى معنوية ويتحققهما يتحقق وجوده في ذاته وفي آثاره، وبفقدتها يفقد وجوده الحسي فلا تتحقق ذاته ويفقد وجوده المعنوي فلا يكون له آثار، فإن الأمة كالفرد في ذلك كله لها شخصية حسية، تحفظ عليها وجودها الحسي، وأخرى معنوية تحفظ عليها وجودها المعنوي، وترجع شخصيتها الحسية إلى إقامتها في إقليمها الذي نشأت فيه ونسب إليها

شخصية الشيء هي ما يحقق وجوده، ويميزه عن غيره، ويعرف به في ذاته وآثاره ولو أنصح لنا أن تصور شيئاً ما، دون أن نكون له شخصية لما أمكن الحكم عليه بالوجود، ولظل في الأذهان مجرد صورة ليس لها واقع تتعلق به الأنظار، أو توجه إليه الآمال، أو تصدر عليه الأحكام، أو يدخل به في حساب الأحياء.

والوجود منه حتى لا بد له من شخصية حسية، ومنه معنى لا بد له من شخصية معنوية، والشيء لا يحظى بالوجود الكامل، ولا يستحق عنوان الوجود، إلا إذا نال نصيبه من الشخصيتين : الحسية والمعنوية، وعندئذ يتحقق له الوجدان الحسي والمعنوي ويكمل في صورته ومعناه.

وإذا كان للأفراد كما ترى شخصية حسية، تتحقق لها وجودها الحسي، فلها أيضاً شخصية معنوية تتحقق لها وجودها المعنوي.

وشخصية الأفراد الحسية ترجع إلى ما لها من صورة وشكل، وحركة وسكون وما كل ومشرب، واستقرار وإرتحال.

الإيمان بوحية الخاص ، وشعوره الخاص ،  
ويعمل جهده في تمسك الناس بها ، ونزولهم  
عليها ، وهي لذلك تعدد وتباين ربما لتعدد  
مصدرها وتباين التقدير البشري في أساسها  
وغايتها ، وهي في جميع ألوانها وأهدافها  
تدور حول اعتبارات مادية لا تتصل بالروح ،  
ولا بالفكرة السامية التي تتخذ الوحدة  
الإنسانية أساس شخصيتها المعنوية ، وميدان  
عملها في الحياة .

ومن هنا تختلف بالأمم السبل ، وتزج  
كل أمة إلى البناء على أساسها الخاص ، وتنشأ  
عن ذلك المنافسات وتنبك العداوات ،  
وتوجد الأحقاد والأطعام ، ويكون الاستغلال  
وتكون الفتن المفرقة ، والحروب الطاحنة  
والتفنن في وسائل التحريب والتدمير .

وبذلك يصير العالم ، كما نراه اليوم - وقد  
بعثت عنه عناصر الخير ، وتخلت عنه أرواح  
الآمن والسلم ، على فوهة من الجحيم ، ينتظر  
من آن إلى آخر ، الوقت الذي يسقط فيه  
إلى الهاوية .

وما حديث الذرة وأخواتها ، وما التحكم  
في الشعوب وشد الخناق عليها ، ومحاولة سلب  
حقوقها ، لإتباع صادق عن الحقبة الأخيرة  
من هذه الحلقات المحزنة المخربة ، التي جرت  
ونجر الولايات على العالم بسبب تحكم هذه  
الشخصيات التي ابتدعها الإنسان سيرا مع

أو نسبت إليه ، واقترشت أوصه ، والتحفت  
سماءه ، وضربت في أرجائه ، وتغذت بثماره  
وارتوت بمائه .

وترجع شخصيتها المعنوية إلى وزن شعورها  
بقيمتها في الحياة العامة ، وإلى ما تفترضه  
لنفسها من نصيب في أهواء تلك الحياة ،  
ولإعداد مسالك الخير أو الشر فيها ، وإلى  
مقدار ما تنفع به أو تضر نفسها أو غيرها  
من سلوكها ومن صلتها باتجاهات الخير  
أو منازع الشر .

وإذا ما انعدمت هذه الشخصية المعنوية  
أو ضعفت ، ووقفت الأمة بنفسها على حدود  
شخصيتها الحية ، انعدم وجودها المعنوي  
أو ضعف ، وصارت أمة ذليلة ، وإن كانت  
مقيمة في بيتها ، فقيرة ، وإن كان ينزل عليها  
المن والسلوى ، وتلبس لها قناطير الذهب  
والفضة ، قليلة ، وإن ضاقت وديانها بأفرادها  
فهى كما قال الرسول عليه السلام ، « غناء  
كغناء السيل » تهافت عليها الأمم ذات  
الشخصيات الكادحة ، كما تهافت الأكلة على  
قصمتها ، تملكها الوهن ، وملأها الجبن ،  
وهزبت عنها عناصر العمل .

### الشخصية البشرية :

والشخصية المعنوية للأمم ، منها شخصية  
تستمد خططها من العقل البشري يضعها

شهواته ، ثم أفرغ وسعه في إخضاع الناس لها  
وتسخيرهم بها ، هل يتظنون إلا أن يأتيهم الله  
في ظلل من الغمام والملائكة ، وقضى الأمر  
وإلى الله ترجع الأمور .  
وسيطر العالم يبعد عنه الخير . ويتقرب  
من الشر ، ما دامت أمة تتردد بين أمة فقلت  
شخصيتها المعنوية وسكنت إلى الدلة والضعف  
والفاقة ، وأمة تتخذ لنفسها تبعاً لمواها  
شخصية تجوس بها خلال غيرها من الأمم ذات  
الوهم ، وتسلبها عزها وإرادتها .  
**الشخصية السماوية :**  
ولاسلام العالم من طغيان القوة والجبروت ،  
ولامن ذلة الضعف والهوان ، إلا إذا خلصت  
الأمم ذات الشخصيات البشرية الطاغية ،  
نفسها من إطار تلك الشخصيات ، ودمت بها  
إلى قاع المحيطات ، ورجعت إلى هذه الشخصية  
المعنوية التي رسمها العليم الخبير بطبائع البشر ،  
طريقاً لمعادته ، ونزل بها الروح الأمين  
على رسل الله .  
ثم أخذت على عاتقها غرس تلك الشخصية  
في الأمم الأخرى التي حصرت وجودها  
في دائرة شخصيتها الحسية ، ذات المأكل  
والمشرب ، ذات اللهو والعب والحرمان  
من معنى الحياة الحقبة التي خلق لها الكون  
وجعل الإنسان خليفته يقودها وينظمها  
« فلما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي

فلا يضل ولا يشق . ومن أعرض عن ذكرى  
فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى .  
قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا  
قال كذلك أتتك آياتنا فسينتها وكذلك اليوم  
نفسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن  
بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى .  
وهذه الشخصية السماوية ، نزل بها القرآن ،  
وبين معالمها ، وأوضح عناصرها وهدى  
الناس إليها . « وأن هذا صراطى مستقيما  
فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله  
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ، آمن بها فريق  
من الناس حينما من الدهر ، وبنوا حياتهم  
على أساس منها فوجها أنفسهم ووجهوا  
العالم إلى كثير من آفاق الخير . « خلف  
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون  
عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا  
وإن يأتيهم عرض مثله يأخذوه . حتى ران  
زخرف الحياة على قلوبهم ، وشغلوا بشهواتهم ،  
وغرهم الحياة الدنيا ، نسوا الله فأنساهم  
أنفسهم ، وأسلموا أنفسهم لأرباب الشخصيات  
الأخرى . وتعلقوا بأذيالهم في كل شيء .  
في علمهم إذا طلبوا العلم ، وفي قوتهم إذا طلبوا  
القوة ، وفي اقتصادهم إذا طلبوا الاقتصاد ،  
وفي نظامهم إذا طلبوا النظام ، وفي حضارتهم إذا طلبوا  
الحضارة .

وهكذا نزعوا شخصيتهم ، وتفرقت بهم السبل ، وانحازت كل طائفة منهم إلى أهل شخصية خاصة ، يستقلون بظلمهم ، ويطلبون منهم العون والنصرة وبذلك ذابوا في غيرهم ، وفقدوا وجودهم كأمة لها في الحياة وجود خاص ، ومنهج خاص .

تفرقوا عن رباطهم المقدس الذي يربط قلوبهم بالمة ، وفقدوا جميع الوسائل التي تدفعهم إلى الالتفاف حول ذلك الرباط ، والاعتصام بمجده « وإنا لله وإنا إليه راجعون » .

عودوا إلى شخصيتكم .. عودوا إلى شخصيتكم السالوية إلى أكلها الله لكم ، وربط بها خيركم وفلاحكم .

عودوا إليها وأقيموها فيها بينكم من جميع جوانبها ، لتألف قلوبكم ويقوى سلطانكم ، وتنفذ كلمتكم ، وتصلح عزتكم .

عودوا إلى شخصيتكم وأنقذوا بها أنفسكم من هول ما يحيطكم ويربص بكم . وأنقذوا بها العالم من الجمر الذي يتقلب فيه ، كما أنقذه بها من قبل أسلافكم .

إن الشخصية هي الشخصية ، لا تزال بينة واضحة في كتابها ، والعالم هو العالم لا يزال ينقاد بطبعه إلى الخير متى وجد إليه سبيلا ، ولكن كونوا أنتم كما كان آباؤكم ، وأعلموا أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

محمد سننوت

## البلاغة

قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، واتباع الفرصة ، وحسن الإشارة .

وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة .

ثم قال : ومن البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة ، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها ، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة .

وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ في الدرك ، وأحق بالظفر .

# الأدبُ العربيُّ المعقولُ الذين لا يعقلون !

للأستاذ عباس محمود العقاد

لكذلك مرض لا شك فيه ، تعرف أسبابه وعوارضه من ظواهر هذا العصر التي سبقت لها نظائرها في العصور الغابرة ، كما تعرف من ظواهره التي لم يسبق لها نظير .

والظواهر التي سبقت لها نظائر كثيرة قبل القرن العشرين هي اضطراب الأحوال في ظروف الانتقال ، وأزمات الحروب المتوالية أو الثورات الاجتماعية والعالمية .

أما الظواهر التي اختص بها القرن العشرون منذ نهاية القرن السابق فهي - من جهة - شيوع الكلام على الأطوار النفسية والعوارض العقلية ، وهي - من جهة ثانية - قدرة الجهلاء والمصابين على التحدى والمكابرة بالنقص وهوارض السخف والجهالة ، لحظهم بين الحرية من الطغيان وبين الحرية من الخجل ، وبما يججل الإنسان وينبئ أن يجبطه في كل زمان ، وقد تطورت هذه الحالة بعد فقدانهم الخجل من الحاجة والمالية إلى فقدان الخجل من كل حاجة ولو كانت حاجته إلى المعرفة أو إلى الفطنة أو إلى الذوق ، وبلغ من شطط هذه الحاجة ، أو هذه اللاعقلية ، قياساً على تعبيراتهم المعهودة أن أحدهم واجه الفيلسوف الأسباني د. أنامونو ، في درسه

الذين لا يعقلون يسألون عن حكم العقل الصراح ، وعن الرأي المقنع ، في اللامعقلية واللامعقول !

« واللامعقلية » هي دعوة من دهوات الزمن الأخير ، لحواها - إن صح أن يكون لها معنى - أن الفن عمل لا يعقل ولا يفهم ، وإنما يحس ويقاس ، ولكن بغير مقياس ! وأصحاب هذه الدعوة آخر من يحق لهم أن يفضوا إذا قيل عنهم إنهم سخفاء يستغلون بالسخف الذي لا معنى له ولا محل للإدعاء الرأى فيه ، إذ كان السخف شرطاً من شروط اللامعقول واللامفهوم ، بل هو عنصره الذي لا يتجرد منه بحال لأنه - إذا تجرد منه - كان له معنى ، ودخل في حيز المعقول المفهوم . وأعجب العجب أن يسألوا الناس آراءهم في شيء لا يجوز لهم أن يكون لهم رأى فيه . وأعجب من هذا أن تروج دعوة بغير رأى ، وبغير موافقة أو مخالفة ، تستندان إلى دليل . فإذا كانت « اللامعقلية » دعوة تلقى العقل باختيار أصحابها أو على الرغم منهم ، فهي ضرب من المرض العقلي والمرض النفساني يعالج على هذا الأساس ، وإنه



كما يجهل حقيقة اللغو الذي يدنون فيه ويعيدون .

فالوحي الباطنى عند هؤلاء المتحفظين المتعالمين خلقة جديدة في الدنيا لم تكن مخلوقة فيها قبل أيام « فرويد » وزملائه من أصحاب الدراسات النفسية الحديثة .

والوحي الباطنى إذن قد خلق في هذا العصر ليبنى الحس الظاهر الذى كان نصيب الأقدمين من الوعى كله ولم يكن لهم نصيب سواء ، فلا ترى العين ولا تسمع الأذن ولا يشم الأنف ، ولا يعمل العقل ، ولا يبحر الحواس أن تشعر شعورها ولا للفنون أن تعبر تعبيرها بعد اليوم ، بل يجب أن تلقى الحواس ولا يسمح لها أن تعمل إلا بالمقدار الذى يتناوله التشويه والخلط والإسفاف بجراحة للوحي الباطنى الذى يعمه كل أحد كما يدعيه ، ولا مقياس له ولا سبيل إلى تمييز هذا الذى يدعيه « اللاعقلية » ، هي وليدة واحدة من ولائد كثيرة من هذا الوحي الباطنى الذى بطل الوحي بعده ظهروا وغافيه . وهكذا يفهم المتخطفون المتعالمون ، ولكنه لم يفهم قط هذا الفهم عند أصحابه الذين اختاروا له هذا الاسم بين عشرات الأسماء التي عرفه بها الأقدمون ، ويمكن أن نذكر منها : الضمير والوجدان والطوية والحيلة والسريرة والخلد والروع والمواجس والخيبة والوسواس : عشرة من عشرات تزدحم بها المعجمات .

الآخر بهذا النداء : « لنسقط الثقافة ، ونفقد بندا أقبح منه وهو « ليحي الموت » . . . فأجابه الفيلسوف قائلا : « إذن تمت الحياة » .

ففي المصور الغابرة كان الجاهل الذى يعلم من نفسه قصور العلم والنزق ينجس من إقحام نفسه في مجال الرأى والدراسة ولا يغنى اجتياحه لمشابهة غيره من هم أعلم منه وأدري بمسائل النزق والثقافة ، ولكنه في هذا العصر يسيء فهم الحرية فيخيل إليه أن حريته في إبداء الرأى تحو الفوارق بين الآراء ، وأن قدرته على تحدى المفضلين عليه بالمال والجاه تحوله أن يتحدى المفضلين عليه بالفهم والنزق ومزايا المسواهب والأخلاق ، وربما التفت من فضلات الدراسات النفسية كلة هنا وكلة هناك فلا يمتدح بالمعيب إذا لزمته وتحققت نسبتها إليه ، بل يقول في تسوينها لنفسه وتسوينها لمن حوله : إنها مسألة مزاج ... إنها من الخصائص السيكولوجية ... إنها من عمل الوحي الباطنى . إنها من النقائص المشتركة في الخفاء بين جميع الأحياء من أبناء آدم وحواء . ولا فطن كلة شاعت من هذه الدراسات النفسية بين الدهماء فكان لها أثر أسوأ من أثر هذا « الوحي الباطنى » كما فهمه الذين يسهلون معناه والذين يتخطفون أوائل السكيات فيتعالمون بها على من يجهل حقيقة

وليس غير العامة والبيضاوية معا شيء يسول لأصحابه أن يحسبوا هذا اللغو « مذهبا » عليا أو فنيا تقام له المدارس ويتلذذ عليه الطلاب ويجرى النقاد على حكمة فيما يقيسون وما يقدرون ، وعلى أي مقياس يا ترى ؟ وبأي مقدار يكون التقدير ؟

سبحان الله ! وهل من المعقول أن يسأل هذا السؤال أو ذاك عن مذهب « اللامعقول » .

إن الآداب العربية في جانبها المتبدل قد عرفت هذه « اللامعقولة » ووضعتها في موضعها « المعقول » قبل القرن العشرين ببضعة أجيال ، فأعطت هذه « اللامعقولة » كل ما تستحقه من الثقات الأدباء الفاضل أو الزجال ، وسمتها بالاسم الذي لا يحق بنجاعة « اللامعقولة » أن ينضبوا منه ؛ لأنه اسم الفن أو الدور المجنون .

ومنذ سنوات ثلاث أشرنا إلى ذلك في محاضرة عن تجديد الشعر ألقيناها بمجمع اللغة العربية وختمنناها بهذه الفقرات :

( ... لا نفوتنا في معرض الكلام على

الشلط الفنى ملاحظة وثيقة الصلة بموضوع الخلط الذى يقال عنه إنه هو التعبير الصادق دون غيره من الوعى الباطن والسرورة الإنسانية فى أعماقها اللامنتطقية على حد

تعبيرهم المشهور . فالخلط المأثور لم يخلقه دعاة اللامنتطقية فى القرن العشرين ، ولكنهم خلقوا شيئا واحداً فيه لم يسبقهم

ولمنا فهم علماء الوعى المحققون أن « اللامعقولة » نزوة عارضة تغلب الإنسان على فكره كلما ثقلت عليه مؤنة الجهد والوقار فينتقل من قيود العرف على حدة ، أو مع الناس ، كأنهم فى أجازة عارضة يباح فيها ما لا يباح ، ثم ينتهى الأمر عند هذا ولا يصح أن يتأذى بالناس منفردين أو مجتمعين وراء مداه .

وهكذا كان العقلاء يقولون : « إن اللذة هى أطراح الحشمة ، وهكذا نفأت المسافر والكرفنقات ، وأيحت المهازل للفقير والمتسكين ، وهم لا يبيحونها سافرين .

عارض يمر وحالة لا تدوم ، ولا يريح العقل ولا الا عقل ، أن تدوم .

أما أصحابنا جماعة « اللامعقولة » فكل ما فهموه أنها مرسوم صدر بإلغاء العقل إلى آخر الزمان ؛ فلا يصح التعقل بعد اليوم ولا يكون التعقل إلا ضرباً من الرجعية أو الجسود على القديم ، فلا يليق التعقل « بالعقلاء » فى عصر التقدم والتجديد .

أمتقدمون ومجددون وعقلاء ؟ معاذ الله ... إنما التقدم والتجديد أن تقفز إلى الوراء ، إلى حظيرة البهيمة المعجاء عهد اللامعقولة واللاعجزولة واللاحياء .

وليس غير العامة وأختها البيضاوية يحسبان أن إلغاء العقل شيء يفهم ويجوز أخذ الرى عليه ، وإبداء حكم العقل فيه .

في كل واحدة أربع قوافي خضار

وهذا مثال آخر :

يا ليل يا عين معرفش اكذب

والنصف دعة شائلة مركب

وأبو فصادة ويسها

والقط الأعور حارسها

وغيرها وغيرها مما لا يحصى في صفحات

الجاميع وعلى ألسنة الناس من عامة الرواة

والرجالين .

أناس متواضعون طيبون ، معقولون

وهم ينظّمون الفن المجنون ؛ لأنهم لا يسعون

( باللامعقول ) ولا باللامعقولة ،

ولا يمرضونه بديلا من العقل المحكوم عليه

بالإلقاء ولا للذوق الذي لا موضع فيه للفهم

ولا للحياة ، وكل ما يدهونه لهذه

( اللامعقولة ) منهم أنها تفهيم معقول

في ساعة عارضة وفي أجازة من تكاليف

الجد ومتاعب الحياة ، يؤخذ فيها الرأي

فيقال حيث تقال الآراء ، وبخلاف ذلك

كل سؤال عن ( اللامعقول ) ما الرأي فيه ؟

ولا محل للرأي في مذهب لن يقول

مشكروه في إنكاره أسوأ من قول القائلين

في تأييده :

لأنه شيء غير معقول ، وغير مفهوم !

عباس محمود العقاد

أحد إليه ، وهو إطلاق العناوين العلمية

عليه ... وقد بدأ وجد في الشعراء والفنانين

من يمنع به هواء أحيانا إلى رفع الكلفة

وأطراح الحشمة والابتذال في اللفظ أو المعنى

أو في كليهما ، فيستمرسل في الهذر واللفظ

كأنه في أجازة من نفسه ( الفضل ) كما يقولون

وينسب إلى هذه الزوات شعر المجانة والمزول

وشعر الإباحة والجنوح ، وينسب إليه

كذلك ضرب من الشعر الذي يخيل إلى الناس

أنه محدثهم بالحكم والأمثال وهو في أسلوبه

المازل ساخر بضروب الحكمة والمثل ،

ومنه قصائد ابن سريون الشبغاوي الملقب

بالجنون ، وقد كان ينظمه قبل خمسة

قرون ، قال :

عجب عجب عجب عجب عجب عجب عجب

بقر تمنى ولها ذنب

ولها في برزها لبن

يسد الناس إذا حلبوا

لا تغضب يوما إن شمت

والناس إذا شتموا غضبوا

... ومن أمثلة هذه اللامعقولة في الزجل

منظومات كثيرة وردت في مجاميع الزجل

وأشهرها كتاب ترويح النفوس لحسن

الآلاتي ، وهذا مثال منها :

كسرت بطيخة رأيت العجب

في وسطها أربع مداين كبار

وفي المداين خلق مثل البقر

# نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ١٠ —

عندي من هذا علما : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه — قال الراوى : الحمد لله عمر ، ثم انصرف .

هذه هي القضية التي جعلها عمر موضع الشورى في الحديث الذي أسلمنا ، وهي قضية « القدر » وإنها من القضايا التي حارت فيها العقول قديماً وحديثاً ، وشغلت الناس في مختلف الديانات والفلسفات العقلية . ولقد كان فقه عمر فيها هو فقه العقيدة الإسلامية الصحيحة ، وفقه المنطق السليم في شأن الألوهية وما أقامت عليه العالم من سنن لا تبدل ولا تتحول .

بيان ذلك : أنه كثيراً ما يقع في أذهان الناس أن قضاء الله وقدره مادام قد سبقا ، فلا فائدة في الأعمال ، ولا داعي لتوسيطهما بين ما قضى به الرب ، وما يصير إليه أمر العبد ، فلا بد من وقوع القضاء الذي قضاه الله مهما كان من العبد .

ويقولون : مادامت هذه العقيدة من أركان

أبنتنا في مقالنا السابق من هذه النظرات الحديث الذي رواه مالك في الموطأ عن خروج عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام واستشارته — وهو في الطريق إليها — المهاجرين والانصار ممن كانوا معه في أمر الوباء الذي علم أنه قد وقع بها .

وتحدثنا عن سنة عمر في الشورى وما يوحى به هذا الحديث وغيره في شأنها ومسئولتها .

وقد جاء في آخر هذا الحديث : أن نقاشا وقع بين عمر وأبي عبيدة رضي الله عنهما ، إذ قال أبو عبيدة لعمر حينما قرر الرجوع التماساً لئلا يفتنه بنفسه ويمن معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطر الوباء : أفراراً من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نقر من قدر الله إلى قدر الله . وأريت لو كان لك إبل فمطبت واديا له عدوتان ، إحداهما مخضبة ، والأخرى جدبة . أليس إن رهيت المخضبة رهيتها بقدر الله . وإن رهيت الجدبة رهيتها بقدر الله ؟ لجاء عبد الرحمن بن عوف — وكان غائباً في بعض حاجته — فقال : إن

ويبغى أن نعلم أن هناك فرقا بين المتحيرين والمتحيزين في هذه القضية ، فإن المتحيزين لديهم شبهة يريدون في إخلاص وصدق أن يعالجوها لتنجلي عن قلوبهم فيكمل إيمانهم ، ويكون إيمانا من بصيرة ، على عكس المتحيزين الذين لا يريدون إلا إنارة الشكوك ، وإيقاع الناس في الفتنة عن دينهم وعقائدهم . وقد سبق إيراد هذا السؤال أو التساؤل من الصحابة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجابهم بما فيه الشفاء والهدى ؛ ففى الصحيحين عن علي بن أبي طالب قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمرة فنكس لجمال يتكث بمحضته ثم قال : ما منكم من أحد ، مامن نفس منقوسة إلا كتب مكانها من الجنة أو النار ، وإلا فله كتب شقية أو سعيدة . فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل . فن كان منا من أهل السعادة فيصير إلى عمل السعادة ، ومن كان منا من أهل الشقاوة ، فيصير إلى عمل أصل الشقاوة فقال : اصملوا فكل ميسر ؛ فأما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ : فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسيره لييسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسيره لييسرى . . وعن عبد الله بن عمر أنه قال : نزل فيهم

الإيمان ، وأنه لا يؤمن أحد إلا إذا كان معتقدا بها ، فسوف يتكل عليها الناس ، وسوف ينصرفون عن الأعمال واتقوا بأنهم صائرون إلى ما قدره الله . وبذلك تتمتع القوى ، وتتوقف المصالح ، ويبطل الإيمان بقيمة العمل وماله من أثر في معادة الإنسان أو شقاؤه ، وفي قيمة الأسباب والعوامل المؤدية إلى قوة الأسم أو ضعفها ، وعزتها أو ذلها ، وتقدمها أو تأخرها .

وقد يصل الأمر ببعض الذي يتبعون ما تشابه من آيات الله ابتلاء الفتنة ، إلى أن يقولوا : إن الإيمان بقضية القضاء والقدر هل نحو ما يؤمن المسلمون ؛ هو الذي بحث في شعورهم الاسترخاء ، وذلهم لعوامل القهر والذل التي سلطوا عليهم الاستعمار والظلم ، فقد رضوا بالمقر بأسم القضاء والقدر ، ورضوا بالذل والاضطهاد بأسم القضاء والقدر ، ورضوا بالظلم من الملوك معتقدين أنهم مسيطرون عليهم بقدر من الله ولو شاء ربك ما فعلوه ، إلى غير ذلك من مقتضيات الإيمان بهذه العقيدة .

هكذا يقولون : منهم من يقوله مختاراً ، ومنهم من يقوله إنكاراً ، ومنهم من ينطوي عليه في نفسه ولا يجهر به خوفاً من أن يتهم بالزندقة أو الخروج على تعاليم الدين وعقائده أو تهريباً من الجدال والمصادمات الفكرية التي لا تنفك عند حد .

العبد ينال ما قدر له بالسبب الذي أقدر عليه ،  
ويمكن منه ، وهي "له" ، فإذا أتى بالسبب ؛  
وصله الى القدر الذي سبق له في أم الكتاب ،  
وكذا زاد اجتهادا في تحصيل السبب ؛ كان  
حصول المقدور أدنى إليه . وهذا كما إذا قدر  
له أن يكون من أعلم أهل زمانه ، فإنه لا ينال  
ذلك إلا بالاجتهاد والمحرص على التعلم وأسبابه ،  
وإذا قدر له أن يرزق بالولد ؛ لم ينل ذلك إلا  
بالنكاح أو التزويج والوطء ، وإذا قدر له  
أن يستغل من أرضه من الغل كذا وكذا ؛  
لم ينله إلا بالبذر وقفل أسباب الريح ،  
وإذا قدر الشبع والري ؛ فذلك موقوف على  
الأسباب المحصلة لذلك من الأكل والشرب  
واللبس ، وهذا شأن أمور المعاش والمعاد ،  
فن عطل العمل اتكالا على القدر السابق ،  
فهو بمنزلة من عطل الأكل والشرب والحركة  
في المعاش وسائر أسباب اتكالا على ما قدر له ،  
وقد فطر الله سبحانه عباده على المحرص على  
الأسباب التي بها مرام معاشهم ومصالحهم  
الدنيوية ، بل فطر الله على ذلك سائر  
الحيوانات ، فهكذا الأسباب التي بها مصالحهم  
الآخروية في معادهم . فإنه سبحانه رب الدنيا  
والآخرة ، وهو الحكيم بما نصبه من  
الأسباب في المعاش والمعاد ، وقد يسر كلا  
من خلقه لما خلقه له في الدنيا والآخرة ،  
فهو مهيا له ميسره . فإذا علم العبد أن مصالح

شقي وسعيد ، فقال عمر : يا نبي الله - علام  
نعمل ؟ على أمر قد فرغ منه أم لم يفرغ منه  
قل : لا ، هل أمر قد فرغ منه ، قد جرت به  
الأقلام ، ولكن كل مبسر . وأما من أعطى  
واقفى وصديق بالحسنى ففسيره ليسرى .  
وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى  
فسفسيره ليسرى .

وخلاصة الهدى النبوي في جلاء هذه الشبهة  
أن القدر مرتبط بما سنه الله للعالم من سنن ،  
فإذا كان الله تعالى قدر لفلان أن يرزق بولد  
مثلا ، فإن ذلك مرتبط في التقدير نفسه بأن  
يكون له امرأة على سبيل النكاح أو غيره ،  
يتصل بها فتنجب منه هذا الولد ، فلا يقال  
سيرقه الله الولد الذي قدر له سواء اتصل  
بامرأة أم لم يتصل ؛ لأن التقدير شامل  
للأصل وللوسيلة معا .

ويشرح هذا المعنى ابن القيم في كتابه  
( شفاء العليل ) فيقول : " أتممت هذه  
الأحاديث ونظائرهما على أن القدر السابق لا  
يمنع العمل ولا يوجب الاتكال عليه ، بل  
يوجب الجهد والاجتهاد ، ولهذا لما سمع بعض  
الصحابية ذلك قال : ما كنت أشد اجتهادا -  
في وقت ما - مني الآن ، وهذا مما يدل على  
فقه الصحابة ، ودقة أفهامهم ، وصحة علومهم ،  
فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالقدر  
السابق وجريانه على الخليفة بالأسباب ، فإن

وأما المدعى هو أيضاً قدر ، له سبب أو أسباب ، فربما وقعت بالقرب من المريض والاختلاط به ، وربما لم تقع ، لوجود حصانة في بعض الأشخاص مثلاً ، فعدم الحصانة سبب جملته ، فله تعالى موصلاً إلى المدعى بالمريض ، والحصانة سبب جملته الله موصلاً للنجاة منها ، والمؤمن يجب عليه أن يتبعد عن مظنة الإصابة احتياطاً على نفسه ، وتحرزاً من الأسباب الموصلة إلى الضرر عملاً بقوله تعالى : « ولا تفلحوا بأيديكم إلى التهلكة » ، وحينئذ تكون نجاته بقدر من الله أيضاً ، حيث ربط هذه النجاة بسبب هو الابتعاد والتحرز ، ولذلك كان عمر رضي الله عنه موفقاً تمام التوفيق في قوله : ( نفر من قدر الله ، إلى قدر الله ) كما كان موفقاً تمام التوفيق في المثل الذي ضربه ، حيث يقول : أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وأدبها له عدوان ، إحداهما نخصة . والأخرى جديفة ألبس إن رعيت الخديفة رعيها بقدر الله ، وإن رعيت الجديفة رعيها بقدر الله ؟ يريد عمر أن يعي النخصة يوصل إلى صلاح الإبل ، فصلاح الإبل قدر ، وكونه بسبب وعي النخصة قدر مرتبط به ، وكذلك يقال في وعي الجديفة إن وعاهها ، فرعى الجديفة قدر يوصل إلى فساد الإبل أو هلاكها ، وكلاهما مرتبط بالآخر .

آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها ؛ كان أشد اجتهاداً في فعلها والقيام بها منه في أسباب معاشه ومصالح دنياه ، وقد دمه هذا كل الفقه من قال : ما كنت أشد اجتهاداً مني الآن ... قالني صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة في القدر إلى أمرين هما سبيل الهداية : الإيمان بالأقدار فإنه نظام التوحيد ، والإتيان بالأسباب التي توصل إلى خيرها ، وتحميز عن شره ... والنبي صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على جمع هذين الأمرين للأمة ، وهو القائل : « احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز » - والعاجز من لم يسمع للأمرين (١)

• • •

وهذا هو المعنى الذي دعا عمر بن الخطاب إلى أن يقول في جوابه عن سؤال أبي عبيدة : فلم تقصر من قدر الله إلى قدر الله ، يريد أن المرض والمصحة كلاهما قدر ، ولهذا القدر سبب في كل منهما ، فمن أخذه كان موصلاً إلى ما قدر له ، فتمرضه للوباء يمرضه للمرض لأن المدعى سنة من سنن الله في الخلق ،

(١) ص ٢٥ ، ٢٦ من كتاب ( شفاء الليل في مسائل القضاء والقدر والتمويل ) للإمام العلامة ابن القيم - الطبعة الأولى سنة ١٣٢٣ هـ - المطبعة الحسينية المصرية .

ومن الواضح أن خروج الناس من بلد وقع بها الوباء يؤدي إلى حملهم (الميكروبات) التي هي الأسباب المباشرة بأمر الله وقدره للمدوى والمريض ، فيجب أن يعمل المؤمنون على حصر هذه الأسباب في مكان الوباء كما تحصر النار حتى يقضى عليها فلا تترك فتنتقل إلى أماكن أخرى ، ولا يصح أن يتركوا أسباب المدوى والمريض تنتقل وتنتشر اعتيادا على أن كل شيء بقدره ، كما لا يصح أن تترك النار تسرى اعتيادا على مثل ذلك .

ومن لواضح أيضا أن إقدام الناس على أرض فيها الوباء إنما هو تعرض لأسباب البلاء ، فلا يجوز للتؤمن أن يفعله انفكالا على قدر الله ، فإن الله تعالى هو الذي قدر الأسباب كما قدر المسببات ، وبالله التوفيق ؟

**محمد محمد المديني**  
عميد كلية الشريعة

وهذا لا يتناقى الإيمان بأن الله هو القادر المتصرف وحده ، لأنه في نظر المؤمن هو مسبب الأسباب ، وموفق العاملين إلى الأخذ بها ، وهذا هو الفرق أن الإنسان يجب عليه أن يجمع بين أمرين : هما الأخذ بالأسباب ، ورسول الله التوفيق

• • •

وفي الحديث بعد ذلك : ( أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا سمعتم به - أي بالوباء - بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ) .

وهذا هو قانون الحجر الصحي الذي تأخذ به كل الأمم المتحضرة ، دل عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأدركه عمر بنظرة الثاقب . ثم حمد الله تعالى على أن هداه الله إليه ، وأطمأن لما عرف أن هذا هو هدى الرسول صلى الله عليه وسلم .

من الشعر الجيد قول إبراهيم بن المهدي يرثي ابنه :

فللمين صبح دائم وذنوب  
قلبك ملوب وأنت كئيب  
وأحمد في الغياب ليس يشوب  
سواي وأحداث الزمان تنوب  
على طول أيام المقام غريب  
سقاء الندى قاهر وهو رطيب

نأى آخر الأليم عنك حبيب  
دهته نوى لا يرنمى أوبة لها  
يثوب إلى أوطانه كل غائب  
تبدل داراً غير داري وجيرة  
أقم بها مستوطنا غير أنه  
كأن لم يكن كالتصن في ميعه الضحى



# نفحات القرآن

## العقيدة أولاً ثم العمل

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

ما كان للشركيين أن يعصروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر ، أولئك حبطت أعمالهم ، وفي النار هم خالدون ...

- ١ - لنا في الحياة أعمال ومقاصد ، وأعمالنا وسيلتنا إلى مقاصدنا .  
وابتغاء المقاصد من غير عمل في سبيلها :  
سفه في التفكير ، وحرمان من الرشد .  
كما أن العمل القيم دون مقصد مكفول :  
سفه في التصرف ؛ والبطالة على قبحها خير منه ، وأهون بكثير ..  
وإليك مثلاً - في جانب الدنيا - رجل يطمع في الكسب والراء ، ولكنه لا يأخذ بالوسائل الجدية المشروعة : فكأنه يريد اغتصاب الحسيات دون أسبابها ، وهذا خروج من سنة الله في تنظيم الحياة لنا ، وعدوان كريمة .  
ومن أجل ذلك حرم الله السرقة ، والربا ونحوهما ؛ لأن الكسب فيها من غير طريق العمل المشروع ..  
ومثلاً آخر - في جانب الدين - أناس يعملون خيراً في ظاهره ، ولكنه عمل مبثور عقيم ، لا ينتج ثوابه ؛ لأنه غير مبني على عقيدة من إيمان صادق كما شرط الله على عباده أن يؤمنوا - أولاً - ثم يعملوا على أساس الإيمان .  
وإن الذين آمنوا وعملوا الصالحات - ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ...  
فمن لم يكن على إيمان يملأ قلبه فعله هباءً ومجوده ضائع في هواء ، وهذا كالكافر ، والمرائي في إيمانه ..
- ٢ - ولدينا نبذة من قصص القرآن عن مشركي مكة : فيها نخط لمسح التربة ، وتركيز المبايء الخفة ..  
كانت البيت الحرام قداسة عند العرب منذ عاصروه ..  
ومع انحرافهم عن دين إسماعيل ، وخوضهم في الشرك ، وعبادة الأوثان : فقد ظل البيت الحرام ملء هيونهم ، وقلوبهم ، ودمرهم ..  
حتى كانوا يتزاحمون على خدمته ، واقتراهم في المسكن من مبانيه ، وتنافسهم في إكرام الحبيح إليه من كل حذب .  
فلما جاء الإسلام حبطت قريش أن صلتهم

« إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله ،  
واليوم الآخر ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ،  
ولم يخش إلا الله » .

٣ - فعبادة المساجد من أعمال البر ،  
والبر لا يكون إلا عن إيمان بالله واليوم  
الآخر : إيماناً يتجلى في صالح الأعمال من  
صلاة ، وزكاة ، وخشية لله تقتضى الاستجابة  
له فيما أمر ونهى . .

ثم انظر - أولاً - إلى أن هذا تمجيد  
للمساجد كلها ، لأنها ملتقى العباد من الزاكين  
والساجدين ، فهي خير بقاع الأرض  
كما صرح الرسول بذلك - صلى الله عليه وسلم -  
( خير بقاع الأرض المساجد - ويكون  
في مقدمتها شأنها بيت الله الحرام ، لأنه أول  
بيت وضع للناس مباركاً ، وهدى للعالمين ) .  
والحديث في هذا السياق من سورة التوبة  
متجه إليه ، وقد اتسع لسائر المساجد ،  
لأنها في حيزه ، وتؤدي معظم رسالته ،  
وكلها يرونو إليه ، ومصوب نحوه من كل  
ناحية في الدنيا ، وفي كل صلاة .

وإذا كانت المساجد مركز الإشعاع  
الدينى ، ومشرق الدعوة الهادية ، فأولى بها  
أن تكون الصلة بها لمن يتوافر الإيمان  
عنده ، ويعترف برسالتها .

وهذا التخصيص في ولاية المساجد محمول  
على رعايتها ، وتولى شأنها ، كما كانت قرين  
فيما سبق .

بالبيت مستظل فائمه ولولم يسلبوا ، وأن تعيرهم  
له حق مودوث فهم وإن كفروا برهم .  
ولكن الله سبحانه - بين لهم وللسلمين  
أن الاتصال بالبيت الحرام يقتضى الإيمان ،  
وأن قبيحة الكفر بالقرآن ، أو بشيء  
يساها به النبي - صلى الله عليه وسلم - نزل  
بهم من أهلية القيام على البيت العتيق :  
إذ لا يتفق أن يجتمع في البيت مع  
الكفر برب البيت ، أو برسوله بل صارحهم  
القرآن بأن هذا البر لم يكن معتداً به فيما سبق ،  
فإن عبادتهم للأوثان مناقضة لما أمروا  
واعتروا من أن الله هو الذى خلق  
السموات والأرض .

وهذا هو ظاهر القرآن في غير تكلف  
« ما كن للشركين أن يعمروا مساجد الله  
شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت  
أعمالهم ، وفي النار هم خالدون ، أى : ليس أهل  
الكفر ، أهلاً لعبادة المساجد فلا قيمة لعملهم .  
ولو وقت الأمر عند إحباط هذا البرهان  
الخطيب عليهم ، ولكنهم عاسبون على كفرهم  
هذا بعد أن دعاهم دهم إلى الإيمان فصوا  
رسولهم ، فهم خالدون في النار إذا لم يؤمنوا !  
ومن هذا نعلم أن العقيدة تسبق العمل فهي  
أساسه ، وهو بعدها ، وهي مطوية في القلب ،  
وهو عنوانها ، وتفسيرها ، ومن مجموع العقيدة  
والعمل يكون الدين ، أو الإيمان المطلوب . . .  
وبذلك صرح القرآن في حصر وتأكيد

مثل الإيمان وما يترتب عليه ، ثم يأتي الجواب صريحاً بالنفي : لا يستوون عند الله !! وهنا مقابلة لطيفة بين أصحاب العقيدة والمبدأ ، وبين المجازفين الذين لا يتقيدون بشيء من هذا .

ففي شأن الفريق الأول يحتمل أن الحديث عنهم بقوله سبحانه : فمضى أولئك أن يكونوا من المهتدين ، وفي شأن الفريق المتحلل من الدين والمبدأ يقول تعالى : واهل لا يهدي القوم الظالمين .

هـ - ثم : يا ترى - أليكون حديث الله في كتابه مجرد قصص عما سلف من قريش في شأن المسجد الحرام ... أم يكون هذا القصص توجيهاً مقصوداً لنهايات إنسانية نبيلة ترفع من شأن الإنسان أدبياً كأنهض به دينياً . أفادنا القرآن أن قصصه حبرة لأول الألباب ، وذكرى لمن كان له قلب ، وأن الذكرى تنفع المؤمنين .

فالقصاص بوجه عام كدليل واقعي في التأثير ، والإقناع ، وهذه غاية القرآن ، وبها يمتن الله بأنه يقص علينا أحسن القصص ، وبأنه يقص علينا القصص الحق . ولولم يكن القصص حقائق واقعة ، حسنا في مرماه ، مجدياً لمن أطاعه لما ضرب الله الأمثال في كتابه لعباده ، ولا حفل بها القرآن الحكيم . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا السالمون .

أما القيام بعمل يحتاجه المسجد من طريق الاستئجار عليه كهندسة المسجد ، وبناءه ، وصناعة أبوابه ونحوها فقد أجاز العلماء قديماً أن يقوم بها غير المسلم ؛ لأنها ليست ولاية إشراف ، ولا تحكم ، ولا اعتلاء بها على الغير ، كما كانت ولاية الكفار للمسجد الحرام .

ومن هذا القليل لإقامة المساجد بالبلاد الأوربية بواسطة رجال غير مسلمين .

ب - وانظر - ثانياً - إلى أن السياق هنا لا يقف عند الجانب الديني لحسب ، وإنما هو توطئ للناس على اعتناق المبدأ الحق في شأنهم كله ، وألا نكون مسالكهم في ناسية ، وقلوبهم في ناحية .

وإذا كان بعض السابقين من قريش تخفوا وقتاً ما عن الإسلام ، ثم حسبوا أن صلحتهم بالبيت الحرام قبل أن يسلموا تجبر تقيصتهم ، وترجع كفتهم ، أو تساوى بين ما ضيعهم وماضى من يادر إلى التصديق والطاعة : جاءت الآية الثالثة لحاتين الآيتين فتتلع من نفوسهم تلك الفكرة ، وتؤكد لهم من جديد غفل الإيمان والمؤمنين ، وتنفق أن يكون بين الفريقين تشابه فضلاً عن عدم المساواة . أجمعتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كن آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل الله ؟ لا يستوون عند الله . ففي هذا الحديث استفهام بمعنى النفي : لا تجعلوا ما تخفون به من السقاية وغيرها

غير أن العقيدة وثيقة روحية مع الله تعالى، والمبادئ الخلقية منهج فطري، أو اجتماعي إلى حد ما، ولا يفترق مفهومهما إلا في شخصين في شخص متدين يتلقى من جانب الدين، وفي شخص غير مستمد من دينه ولكنه على خلق كريم... وفي أن المتدين الواعي لا يخطئ في مسلكه، ضرورة أن الدين صواب وحق، فالحطأ يكون في التطبيق.

وأما المتخلف من غير طريق الدين فقد يخطئ في الكثير أو القليل لأن استمداده من أوضاع إنسانية غالباً...

وما نحب أن تتوسع في تحقيق فلسفي له أربابه، ولا حاجة بنا إليه... وعلى أي حال: فالكثير منا يعرف مناهج الخير.

والكثرة من هؤلاء الكثيرين مع معرفتهم لهذا بحاجة إلى التذكير، والذكرى تنفع المؤمنين.

ومن لم تفده الذكرى في دينه، أو خلقه في مجتمعه، فلن يكون على مبدأ، وهو إما شيطان يبعث في يئته وفي الأرض فساداً، أو هو متخلف ومن سقط المتاع، وكلاهما شر في اعتبار الإنسانية وفي اعتبار الدين.

عبد اللطيف البكي

عضو جماعة كبار العلماء

وعلى هذا ضروري أدت إلى أن ما قرأناه من الدين يصلون بلا عقيدة أو يطعمون من دنياهم بلا عمل فهم يطعمون في غير مطمع، ويثبت أنهم ثابتون في طو باطل، ولا جرم أن الله حق في ذاته، وتشريعاته، وفي شأنه كله، وهو لا يشهد لعباده غير الحق، ولا يرضى منهم غير الحق.

٦- وإذا كانت العبرة شائعة في قصص الكتاب العزيز، وكاشفة لنا عما كنا نجهل من شئون سالفه، وموجهة لنا إلى ما ينبغي عن وعينا من تهديدات لما الذي يحجبها هنا وقد طويها من الزمن أسقاباً طويلاً، وخطونا في رحاب الدنيا خطى مترامية، وحصلنا من الثقافة والحضارة على نصيب غير ضئيل.

ذلك أننا لا نستأنس بعقولنا، ولا نستخدم أفهامنا... والنصيحة وحدها لا تضر القلوب غمراً، وإنما هي لأولى الأبواب، وذوى العقول، ولكل من ألقى إليها السمع وهو شهيد: حاضر الوعي متقبه المشاعر، مستعد للاستجابة.

٧- وبقدر ما تكون العقيدة الدينية صواباً في الدين تكون المبادئ الخلقية حصة للشخصية، وقواماً للحياة المجتمع؛ فإن هذه من تلك، وكلاهما يهدي إلى الخير، ويكفل راحة الضمير.

# الإسلام والمسلم

للاستاذ الدكتور محمود حبيب الله

«آسيا، معلنا: أنه في رحلة يقصدها غزو هذه البلاد غزوا فكريا وعقديا، فانهالت عليه الدولارات من كل جانب، لينفذ بها رسالته الدينية والفكرية والسياسية لأن الرجل معروف في مجالات التبشير، وإذا تحرك تحركت معه الملايين من الدولارات التي يتسابق أرباب اليسار في وضعها بين يديه، غزار على وجه خاص مواطن الإسلام في «نيجيريا» و«السنغال» وبعض بلاد شمال إفريقيا، و«الجمهورية العربية المتحدة»، وغير هاتين بلاد الإسلام، وألقى عدة محاضرات في كثير منها، ثم عاد ليرى كرما حائما وحسن ضيافة واستقبال ويعلن أنه لم يجد لما قال أثرا ما في النفوس أو في القلوب.

وبين هذين الحادتين حاضر أحد العلماء من الأمريكيين في «دار المركز الإسلامي» بواشنطن متحدثا عن زيارته الطويلة لكثير من بلاد «إفريقيا» وعن تجاربه فيها، وأحاديثه معهم، وجاء فيما قال: «إن إفريقيا لم تعد بعد زوال ظل الاستعمار الغربي مكانا صالحا للشيوعية، والمستقبل هناك للإسلام أو الشيوعية، فإذا لم يسيطر

(١) الآية أود أن أتحدث عن التراث الجيد للإسلام، الذي غير معالم التاريخ، ولا يزال العالم الحديث ينم بآثاره حتى اليوم، ولكنني سأحدث عن الإسلام وأثره في العالم الحاضر، وحاجة العالم إليه اليوم، وحاجة العلم إلى مسلمين كفأة ورواد، في سبيل إيجاد حياة الكرامة والعزة والطمأنينة.

من بضعة شهور مضت نشرت مجلة أمريكية كبرى مقالا طويلا لكاتب هندي معروف جاء بين سطوره: «إن الإسلام كقوة ذات تأثير في العالم الحديث»، وذات توجيه في تفسير هذه الأمور قد انتهى بالفعل، وأصبح أقل شأوا من أن يدخل في حساب الذين يقررون مصائر الأمور في العالم؛ فينبغي أن يسير العالم في طريقه المرسوم، دون انحناء إلى مبادئ الإسلام، أو إلى توجهات المسلمين». وقيل هذا التاريخ بشهور قام بمشروع أمريكي معروف بزيارة «إفريقيا» وكثير من بلاد

(١) لس المحاضرة التي ألقاها الأستاذ الدكتور محمود حبيب الله الأمين العام لجميع البحوث الإسلامية في قاعة الإمام محمد عبده في مساء يوم الثلاثاء ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ هـ.

وعل يمكن أن يفيد العالم اليوم من العالم الإسلامي ، أو أن الإسلام قد أدى رسالته وانتهى ؟ ذلك كله ما ستحاول الإجابة عليه .  
إن عدد المسلمين اليوم لا يقل عن ستائة مليون من النفوس ولا يدخل في هذا العدد كثير من الأقليات الإسلامية في المناطق التي لم تخضع إلى حصر دقيق حتى اليوم ، أو لم تهتم بعمل حصر دقيق للمسلمين بنوع خاص . وهذا العدد الضخم من البشر الذي يتحد في العقيدة ، وفي الهدف والغاية ، لا يوجد له نظير في العالم على الإطلاق ، كما أنه يتميز عن غيره بالتجاور في المكان ، والتركز في قلب العالم ؛ فحول العالم الإسلامي تتركز في بقعة مستطيلة ، تمتد دون حواجز أو فواصل ، من أواسط آسيا ، إلى المحيط الأطلسي ، ومن روسيا ، في الشمال إلى المحيط الهندي ، وأما في إفريقيا ، فيتضخم حجم الكتلة ، فتتد شمالاً إلى ما وراء البحر الأبيض المتوسط ، وجنوباً إلى ما وراء خط الاستواء .

فوضع المسلمين العددي والجغرافي مكن لهم ولا يزال يمكن لهم من الاتصال بغيرهم من البشر والثقافات في يسر وسهولة فينقلون ما لديهم من مبادئ وقيم إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، فيلقى آذاناً واعية ، وقلوباً متفتحة ، وهكذا انتشر الإسلام بعمل الأفراد دون أن يكون له نفوذ عالٍ

الإسلام - ووسائل سيطرته على هذه القارة سهلة ميسورة - فتسيطر الشيوعية ولاعالة وبهذا تصبح إفريقيا ، التي لا يفصل بينها وبين أمريكا ، سوى المحيط الأطلسي وكرا للشيوعية ، وخطراً جسيماً على أمريكا ، ثقافياً ومادياً ، وأعلن في النهاية : أنه ينبغي على أمريكا ، ألا تقف في سبيل المسلمين في حملهم على نشر راية الإسلام هناك لأنهم ينشرون مع المدين الخلق والفضيلة ، ويباعدون بيننا وبين الشيوعية .

هذا ، وقد سمعنا من ناحية أخرى عالماً غربياً يوصف بأنه من أكبر علماء الاجتماع في العصر الحديث يعلن في مؤتمر إسلامي عقد في باكستان : أن الوحدة بين العالم الإسلامي وحدة شكلية تنهار عند التحليل ، وليس بينهم قدر مشترك في العقائد والتقاليد سوى كلمة : لا إله إلا الله ، ولكن عند التحليل تجد أن مفهومها يختلف باختلاف العلماء ، واختلاف البلاد .

هذه ألوان مختلفة من نظرة رجال من الغرب والشرق إلى الإسلام والمسلمين ؛ فهل حق أن المسلمين قد انتهوا كقوة ذات تأثير سياسي في العالم ؟ وأن الإسلام قد انتهى تأثيره الفكري في العالم ؟ هل حق أن المسلمين مسيروا بعجلة الزمان ، وليس لهم رأى في التوجيه العالمي ؟ وهل حق أن المسلمين لا يجمعهم جامع من العقيدة أو الفكر ؟

تعتبر الآن من أغنى بلاد الله كان لا يمكن أن نرقى إلى هذا الوضع الاقتصادي الفنى مى عليه إذا لم تتحد ولاياتها وتكون كتلة يتضامن جميع أجزائها فى استغلال الموارد الطبيعية جميعها ، فى صالح الجماعة ، والاتحاد هو الذى جعل منها هذه القوة التى يغبطها عليها كل العالم .

وللعالم الإسلامى اليوم من الإمكانيات البشرية والطبيعية ومن القـدر الفكرية والعقلية ما يجعله أكثر غنى ورخاء من أى بلد آخر من بلاد العالم إذا ما أحسن استغلالها ، وأعيد تنظيمها على أساس سليم ، من الإدراك لمصالح الفرد ، ومصالح الجماعة .

هذا ، ويتأهب العالم من ناحية أخرى قلقاً متزايداً لكثير من الأسباب : من الخوف مثلاً من المستقبل والمصدر المجهول ومن بين هذه المخاوف خوف المجاعات فى القريب العاجل ؛ فأمرىكا مثلاً الغنية العنية : تحشى مجاعة تعمل بها وبالعالم فتؤدى إلى كارثة هائلة فى المستقبل القريب ، وقد بدأوا يتخذون العدة لذلك المستقبل ، لمحاولة استغلال أعشاب البحر ونباتاته فى الغذاء ، ومنادين فوق ذلك بتحديد النسل ، ولم يدركوا أن هناك قوة أخرى يمكن أن تكون عاملاً هاماً فى التقليل من أسباب المخاوف وحدتها ، وأن تسهم بنصيب وافر فى بناء عالم جديد ، تسوده الطمأنينة والرخاء ، وتلك القوة هى « العالم الإسلامى » ، وذلك لأنه يملك إمكانيات

أو ضغط سياسى . تجد هذا فى « إفريقيا » وفى « أوروبا » و « أمريكا » وغيرها من بلاد الله ، يشعر فى كلها الفرد المسلم بأنه داعية إلى الله يصرف بالإسلام ، ومبلغ — يشعر بأنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى التبليغ والقيام بالخدمة ؛ فالقيام بها فى نظره فرض عليه ، ينبغى أن يؤديه فى كل الأحوال ؛ لذلك وجدت الحقيقة التى يصرف بها الجميع من أن الإسلام ينتشر كل يوم ، وأن عدد المسلمين يزداد يوماً بعد يوم ، فى جميع الأوساط والهيئات ، وفى الشرق والغرب على السواء ؛ فليس يصبح أن نفوذه الأدبى ينكشف يوماً بعد يوم ، والعكس من هذا هو الصحيح . حقاً فقد ظهر نجم العالم الإسلامى يلمع فى الأفق مؤذناً بفجر جديد وعهد جديد ، تنفث فيه راية الإسلام على العالم فتسوده الطمأنينة ، ويسوده الرخاء . يتضامن المسلمون بما لديهم من مقدورات مادية وأدبية مع محبى السلام من العالم فى تحقيق هذه الغاية النبيلة .

إن الثروات الطبيعية ، والموارد الاقتصادية التى توضع الشعوب فى أسنى درجات الثراء والرخاء موفورة كلها فى بلاد العالم الإسلامى ، وليكنها موزعة على مناطق شتى من مناطقه توزعها يجعل تعاون البلاد التى تنعم بها أمراً ضرورياً وحيوياً إذا ما أرادت لنفسها القوة والنهوض ، وإن الولايات المتحدة ، مثلاً ، التى

والسكان والحرب وغيرها من مواد الغذاء، والبناء الجسمي والعقل للجماعات الإسلامية؛ كل هذه موفرة في موطن العالم الإسلامي وفرة لا نجد لها نظيراً في العالم. فلو نظمت هذه الموارد وهذه الإمكانيات لتخدم المجتمع الإسلامي، ونظمت جهود المسلمين لتخدم الجميع لأصبح المسلمون قوة منتجة، قادة على أن تسهم بنصيب كبير في بناء العالم الحديث، بعد أن يفسح المجال لطاقتها البشرية التي لا تزال حتى اليوم تبحث عن نوافذ للانطلاق، وعندما تنطلق هذه القوى بالتعاون والانحداد، وتستغل إمكانياتها الطبيعية، فسيتبين العالم كله مدى الخسارة المادية التي أصابته من جراء هكبت هذه القوى طويلاً، وسيتبين المسلمون أنفسهم أنهم كانوا مدعوين يوم أن ظنوا أن في الاندالية، تحقيقاً لرغبات أو مصالح.

وإذا كان حقاً أن المسلمين انحسروا من أجناس وأنساب شتى، وجاءوا إلى الإسلام من ثقافات وحضارات شتى، وأن لهم لغات ولهجات متفارقة متباينة، فإنه لحق كذلك أن الإسلام قد جمع بينهم، والإسلام عقيدة وشرعية، مبادئ ومثل، وطريق للسلوك في الحياة - للسلوك في شتى أنواعه ومظاهره، ففرس لذلك بين الأمم والشعوب التي اختلفت عادات وتقاليدها متشابهة في الحياة، وحد بها

صغمة لا يعرف مداها غير الله، ولم تستغل استغلالاً كاملاً بعد، كما أن طاقاته الكامنة لا تزال تتطلب المزيد، من تعاون القوى البشرية حتى تخرج ما اختبأ في بطونها من كنوز؛ فالعالم الإسلامي الذي يسمونه بالغة العصر الحديث، متخلفاً، هذا العالم يمكن أن يكون مصدر خير وبركة على العالم كله، وقادراً على أن يسهم بنصيب وافر في إزالة أسباب المخاوف، وحل الأزمات، إذا قدر لحوارده الطبيعية والبشرية أن تتعاون وتتحد في سبيل الخير والصالح العام، وبذلك يصبح من أوائل الدول المنتجة، ويصبح مميماً ومساعداً.

هذا، ولا شك في أنه يمكن للفرد أو للجماعة أن تعيش في عزلة أو شبه عزلة ولكن إلى حين أولاً، وعيش الضرورة ثانياً، الذي أصبح لا يتناسب مع حاجات الإنسان وكرامته، فالحياة العاصلة التي تمكن الإنسان من تعمير الكون، والتي أرادها الإسلام للمسلمين تستدعي تعاون الإنسان مع أخيه الإنسان، وتعاون القوى والإمكانيات، التي وجدت للتضامن وتنازر في تهيئة الحياة الكريمة للإنسان؛ فلو تمارنت هذه الإمكانيات في الولايات الإسلامية المتحدة، لجعلتها من أغنى، بل أغنى بلاد العالم، فالتبرول فيها، والحديد والصلب، وما إليها من الخامات الطبيعية، والجوت والقطن،



حتى يصبحوا جميعا أحرارا ، في بناء ما يرحمون لأنفسهم من مستقبل في الحياة ، فإذا بعد ذلك ؟ وما الذي سيصنعونه لأنفسهم ، وبالاستقلال الذي حصلوا عليه بعد كفاح مرير ، وجهاد طويل ؟ إن الحياة في وضعها الحاضر تتطلب التكامل والتعاون بين المتشابهات فالمعسكر الشرقي يتكامل ليبقى ، وكذا المعسكر الغربي ، فعلى العالم الإسلامي أن يتكامل كذلك ، إن التكامل هو لغة العلم ، ولغة العصر الحديث ، الذي لا يؤمن بفرد القوة ، وبفرد حجم السكتلة ، ونحن كمسلمين نؤمن بالقوة ونؤمن بالتكامل ، ونؤمن بالفرد كذلك ؛ فلنفرد في فلسفتنا قيمة ، ولكن قيمته لا تعرف إلا في المجتمع ، والفضائل في الإسلام فضائل اجتماعية ؛ لأنها إنما تعبر عن نفسها في المجتمع ، وبين المجتمع .

فإذا أرادت هذه الجماعات أن تحافظ على ما اكتسبته من حقوق واستقلال ، وتبقى ذات أثر فعال ، وتقوم بإيجاب في العالم ؛ فلا بد لها أن تعمل على تدعيم هذا الاستقلال ، وعلى المحافظة عليه بكل الوسائل ؛ فالحقوق التي يكتسبها الإنسان ليست شيئا ما يضمنه بين يديه ، ثم لا يفلت منها أبدا . إن ما يكتسبه من الحرية والكرامة والاستقلال ، وأسباب التطور والعزة والمهوض يحتاج إلى كفاح دائم ، وجهاد مستمر ليبقى في يد الإنسان

بين اتجاهات المسلمين في تصرفاتهم وطرائق سلوكهم في الحياة .

فلو ذهبت إلى أي بلد من بلاد الإسلام لوجدت أن تقاليد وعاداته تتشابه مع تقاليدك وعاداتك إلى حد كبير ، فيما يمت إلى الحياة الإسلامية بسبب ، فلم يوحد الإسلام بين المسلمين في كلمة التوحيد ، لحسب ، أو في النظريات الفلسفية لحسب ، بل وحد بينهم كذلك في قواعد السلوك ، وفي أساليب السلوك في الحياة ، فأصبحت عاداتهم متقاربة متشابهة ، تجد ذلك في « اليابان » وفي « أندونيسيا » وفي « مجاهل إفريقيا » وفي أكثر بلاد العالم تحضرا وثقافة ، وإن كان بعضهم أقل فهما وإدراكا لمفاهيم الإسلام من بعض ؛ فالوحدة بين المسلمين وحدة حقيقية ؛ لأنها وحدة في الإيمان ، وحدة في المثل وفي الأهداف ، وحدة في الشعور ، وحدة في السلوك الأخلاقي ، وفي التقاليد والعادات ، ووحدة فوق ذلك كله « جغرافية » لما يقرب من ثمانين في المائة من مجموع المسلمين ؛ فهل نجد في العالم أسبابا للوحدة والانسجام أكثر تأصلا وعمقا من هذه الأسباب ؟ .

من عشرات سنوات مضت كانت الدول المستقلة من دول العالم الإسلامي استقلالا كاملا لا يتجاوز حدودها اثني عشرة درجة ، وأما الآن فقد قارب هذا العدد الثلاثين ، وسيزيد قريبا

شواطئ في الغرب والجنوب ، تسهل مراقبتها وحمايتها ، وصحراء في الجنوب يحل فيها الخرب ، وتعتبر قاصدا طبيعيا يعمل محاولته العبور فيها عبثة التنفيذ .

هذه الوسائل الضرورية لبقاء موفورة كلها للعالم الإسلامي فما الذي يدفع بعض المجتمعات الإسلامية لأن يمد يده ليلقي شيئا منها من الخارج ، وهي موجودة بين يديه ونحت وجليه ، إنه لا تنقصه غير الرغبة والإرادة ، فالأسباب التي أدت بدول العالم الإسلامي إلى هذا المصير ، الذي لا يريدونه أسباب معروفة ومشهورة وليس من بينها : الإسلام ، ولكن الانحراف عن الإسلام وعن تعاليمه انحرافا ناشئا عن جهل ، أو عن نسلت بعض الرغبات الجامحة ، وهي المسئولة في غالب الأحوال عن تدهور الإنسان والإنسانية إلى المصير المظلم الخيف .

في هذه الظروف القاسية ، وأمام هذا الواقع المألوس الذي نعيش فيه اليوم ، واستجابة لنداء الإسلام بالائتلاف والوحدة ، ومجادة العرف الحديث من ائتلاف المتجانسات وأرباب المصالح المشتركة ينبغي للعالم الإسلامي والعالم العربي أن يفكر من جديد في وضع ربط بعضه ببعض برباط متين ، ليوفرُوا لأنفسهم حياة العزة والكرامة والأمن والأطمأنينة ، وهذا اللون من الاتجاه يحتاج إلى أن ينتشر وعي جديد

ووسائل الكفاح في العصر الحديث معروفة مشهورة ، وأولها حسن التفاهم والاتحاد ، وأسباب القوة ، وأسباب الوحدة موفورة كلها للعالم الإسلامي ، ولا ينقصها في التنفيذ غير الرغبة والإرادة ، فأسس الوحدة بين المسلمين - كما قلنا - موجودة في طبيعة العالم الإسلامي ؛ لأنها من صنع الله ، فأصبحت طبيعة ثانية للمسلمين لا تتخلف عنهم أبدا . ويدعيني في ذلك ما قاله أحد المستشرقين : « إن مثل المسلمين مثل صندوق رنان ، إذا لمس طرفا من أطرافه ظهر الصدى في جميع الجوانب الأخرى » ، وكأنه في هذا كان يشرح الحديث الشريف : « . . . إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسحر والهرم » ، وكذلك هذه المساواة الضرورية للاجتماع ، وبقاء هذا الاجتماع . . موفورة كلها للعالم الإسلامي ، لأن المسلمين يعلمون يقينا أن العدل من صفات الرحمن ، وبه قامت السموات والأرض ، وأن المسلم الحق هو الذي يتخلق بخلق الرحمن ، فيكون العدل والرحمة من أخص خصائصه ، وأن أناس سواسية لا يتفاضلون إلا بصالح الأعمال ، وقد غدا المسلمون في هذا الباب مضرب الأمثال .

هذا ، وللمسلمين قوة اقتصادية لا تضارع ، ويمكن أن تكون لهم قوة عسكرية ضاربة ، لا يقوى عليها أحد ، لتحسب الشغور والحدود التي أراد الله أن تكون حصونا طبيعية من جميع الجهات : جبال ووهاد في الشمال ،

كبير ، فإذا كانت لنا قوة تضر من يريد بنا شرا أننا لقمة مسمومة وقعت المارك ؛ لأنها تصبح غير ذات موضوع . فعليكم أتم — أيها الأزهريون — أن تضرروا هؤلاء الناس أننا جادون في الحياة ، وسائرون إلى الأمام بخطى قسيحة ، وخير لهم أن يحاولوا أن يكونوا أصدقاء لهذه القوى النامضة التي سوف لا تقف أبداً . إن اتحاد العالم الإسلامي آت لا محالة ، وخير للمسكرات الأخرى أن ترحق نفسها ، وترج أعصابنا فلا تحدث عن الفراغ ومناطق النفوذ ، وتوقف تيارات الإغراء والمؤامرات التي تحاك هنا وهناك ، ولا توجد غير العداوة والبغضاء .

هذا ، وفي الجانب الإيجابي والنوجه نحو المسلمين ، ففي مقدور الأزهر ، والأزهريين أن يصنعوا الكثير ، ولديهم من الإمكانيات مالا ييسر أن يبرم في هذا السبيل ، فقد تبين من زياراتي للعالم الإسلامي : أن الحريجين من أزمنا الممورم القادة ، أو أشباه القادة هناك ، وهم الرواد والموجهون في كثير من بلاد إفريقيا ، وآسيا . وهذه ثروة ينبغي أن تستغل في إثارة هذا الوعي الجديد ، وتمكينه في النفوس ، كما أن بالأزهر ثلاثين لعمرات من الدول والجماعات الإسلامية ليست لم غاية إلا لإعداد الزاد لرحلة الدعوة

بين الشعوب والجماعات الإسلامية يحتاج إلى حطة ومبشرين ، يثبون هذه الأفكار في عقل المسلم وقلبه ليفكر فيها ، ويتغنى بها وتكون حله وأمله في الحياة ، وهـ الأزهر ، هو الهيئة القمينة بإثارة هذا الشعور بين المسلمين وتمكينه في نفوسهم .

فليس واجبكم هنا أيها الإخوة والأبناء من رجال الأزهر وشبابه أن تعطوا المسلمين الصلاة والصوم ، وأركان الإسلام وفضائله وحسب ، ولكن إذا أردتم أن يبقى المسلمون فرادى فقفوا عند هذا الحد من التوجيه ، ولكن إذا آمنتم بأن بناء مجد الدولة الإسلامية ليس بأقل خطراً ، بل أكبر مشوبة عند الله من صلاة فرض أو صوم فرض ، إذا علمتم هذا كله فلينتوجه الأزهر ، ولنتوجه صراطاً نحو هذا الصراط السوي من الدعوة ، ينبغي علينا أن نبين للعالم الخارجي الذي يريد أن يحصل مناطق نفوذ ، ونشاطاً حيويًا له أننا جادون في الحياة ، ولا نريد منها غير مواقف العزة والكرامة ، وقد عقدنا النية على استغلال كل طاقاتنا البشرية والمادية حتى نتمكن من الإسهام بقسط كبير في توفير وسائل القوة للعالم الإسلامي ، وقوة هذا العالم كغاية وحدها بتحقيق السلام العالمي ؛ فالمركة بين الغرب والشرق معركة نفوذ إلى حد

يكونوا معلمين ، وينبغي أن يذكروا دائماً أن وحدة المسلمين أصبحت ضرورة تدعو إليها ضرورة البقاء فلا تفسر لهم الحياة الإنسانية الكريمة إلا بها .

إنكم - يا رجال الأزهر - تحملون سلاحاً من أقوى أنواع الأسلحة في القوة ، وإصابة الهدف .. ذلك هو السلاح الفكري الإنساني الذي يرضى العقل والوجدان . والعالم اليوم الذي أغضته المادة ، وشغلته عن نفسه وربه متعطش إلى الجديد ، ويسره أن يجد عندكم بلم التفرس الذي لا يمكن أن يوجد إلا حين توجد مادة يحكمها دين ، وعلم يهذب خلق .. ألا فلتكن هؤلاء الدعاة الذين يكافحون من أجل العمران في ظل الدين ، ومن أجل العلم تحت راية الأخلاق ، ومن أجل وحدة إسلامية تحيا فيها هذه المبادئ الإلهية الإنسانية الكريمة .. ألا فلتذكر أن الإسلام لا عيب فيه ، ولا ينقصه شيء من مقومات الحضارة ، بل هو الموجد لأهل أنواع الحضارات ، فإذا كانت هناك هيوب ، وإذا كل هناك تخلف ، فهو نتيجة لتفكيرنا ولعلنا نحن المسلمين ، وليس نتيجة للإسلام . فدهونا نعمل ونكافح من أجل هذه الغاية النبيلة وتوجه إلى الله أن بكل مسعانا بالنجاح ؟

الدكتور محمود عبد الله

إلى الله ! يمثل الأسلوب الفردي الذي اتقن به الإسلام منا وهناك وفي جميع الأوطان ، ومهمة « الأزهر » أن يكون بنوع خاص هذا الداعية إلى الله ؛ فهدفه تكوين رجال يتمكنون من غزو القلوب قبل العقول بالقوة الحسنة ، من سلامة الصدر ، وحسن القول ، وجمال السلوك ، وبالأسلوب الكريم الذي دعا إليه « القرآن » ؛ فليس « الأزهر » معهداً تعليمياً لحسب ، ولكنه بهوار ذلك دار عقل وتربية وتهذيب ليخرج عالماً تحبه وتحمه ، ولو خالف رأيك ، وتعمل نفسك بخلافه ، كما تتأثر بحكمته وعلمه ؛ فرسالة « الأزهر » الضرورية لتحقيق ما ألقنا إليه من غايات نبيلة ينبغي أن يبدأ بها كل منا ، وكل أزهري في حدوده الضيقة أولاً : « ابدأ بنفسك ثم بمن تعمل » ، أصلح بيتك أولاً ، اتجه إلى الله بسلوك الطريق القويم في الحياة ، وستجده إليك الدنيا صاغرة ، كون مجتمعاً قوياً وسينطلب العالم ودك ، وكل واحد منا يمكن أن يكون جندياً في هذا الميدان ، في نفسه ، وبين أهله وحشده ، وقد سمعنا لا بناء الأزهر الأيام بجمال نصب ينبغي أن يستغل في هذا السبيل ، وأغنى به بعوثنا إلى الخارج ، التي كثرت في هذه الأيام وانتشرت حتى كادت نعم مواطن الإسلام جميعاً ، فالمبعوثون رسل الإسلام ودعاة له ، قبل أن

# المساهمة الإسلامية في الطب

بفلم : نيرواسطى

أستاذ الطب اليونانى والغربى فى باكستان

منمضى الأعين على خطى أسلافهم اليونانيين كما أنهم لم يكتفوا بما خلفه جالينوس وأجراط من تراث قليل ، بل إنهم حصوا هذا التراث وخرجه ثم أخرجوا منه ما هو مفيد لهم ، ورفضوا دون تردد ما اعتبروه هديم القاعدة قليل الأهمية ، فضلا عن النقص الكثير الذى فعلوه فى هذا الميدان ، فإن العلوم الطبية القائمة تبدلت إلى علم جديد بكل معنى الكلمة على أيديهم .

فكتابا « القانون » لابن سينا و « الحاوى » الرازى يصدان شهادتين ناطقتين على مساهمة المسلمين فى هذا العلم .

ولاشك فى أن استعراضا مقولا للمساهمات الإسلامية ستحتاج فى الحقيقة إلى عمل ضخم ، ولكننى سأقتصد فقط بعدد قليل منها .

علم التشريح :

لم يسل المسرب تسليما أهمى بتفسيرات اليونان لعلم التشريح أو بكتاب « علم التشريح » لجالينوس . بل حصوا هذا العلم تحصيلها دقيقا وقد روى عن يوحنا بن ماسويه أنه حين

من المؤلف لدى مؤرخى العلوم والفنون ، ولا سيما أولئك المعنيين بتاريخ الطب أن يتجاهلوا الحقبة الإسلامية فى الفنون والمعرفة بقولهم إنه لم يظهر خلال هذه الفترة أى عمل بناء ، وأن المسلمين حسب رأيهم لم يفعلوا شيئا سوى أنهم حافظوا على التراث اليونانى وأبقوه حيا ، ثم نقلوه إلى العالم الأوروبى ، وإذا سلينا بوجهة النظر هذه فسيكون المزم طازفا عن دراسة العلم الذى ساهم المسلمون به « مساهمة قليلة » .

ومن بين الفترات الثلاث المتميزة لتطور علوم الطب ( وهى اليونانية والإسلامية والأوربية ) نجد أن الفترة الوسطى مستبعدة بحجة أنها عابية من الإنتاج ، ولكن هذا الرأى هو على شئ كثير من الخطأ والضللال .

التراث اليونانى :

ليس هندي أدنى شك فى التسليم بأن العلماء والحكام المسلمين قد أعجبوا بالفنون والمعارف اليونانية ، ولكنهم لم يسيروا

ثمانية عظام، بينما أكد جالينوس أنها تحتوي على سبعة - وفي ما بعد اعتقدوا أن الأذن تحتوي على ثلاثة عظام صغيرة لتسهيل طاقة السمع - الفيزيولوجيا :

يذكر برهان الدين في كتابه « شرح الأسباب » أن الدم يحتوي على عصير العنب ( السكر ) وقال الرازي إن مادة حامضة وجدت في المعدة ، واعتقد حنين أيضاً أن هناك عصيراً حريفاً في المعدة هو الذي يسبب الشعور بالجوع .

وقد شرح علاء الدين أبو الأعلى ، على ابن أبي حزم القرشي من دمشق نظرية الدورة الدموية بالتفصيل قبل ثلاثمائة سنة من السير ويليام هارفي وهو واقع اعتراف به البروفسور دكتور . ج . بلا تام من جامعة مانشستر . وقال حنين بن إسحق إن تركيب الأعصاب هو مماثل للدماغ . ووجد علاء الدين القرشي من دمشق أن الغذاء هو الوقود للحافظة على تدفئة الجسم ، وقد نمت هذه الفكرة في ما بعد ، وقد شرح أبو سهل المسيحي بأن امتصاص الغذاء يجري في الأمعاء أكثر مما هو في المعدة ، وحين وصف ابن سينا عملية الهضم قال إنها تبدأ في الحقيقة عند مضغ الطعام في الفم ، وقال أبو الفرج إن هناك أوعية في الأعصاب تدفق الأساس والحركات عن طريقها .

ألف كتابه في علم التشريح استحضر قرعة من حديقة الخليفة المعتصم باقه لإجراء اختبارات التشريح عليها .

وقد قام بعملات كاملة عليها لجعل معرفته أكثر اتساعاً ، والحصول على المزيد من المعلومات حول الجسم البشري .

ويقول ابن النفطى إن يوحنا كان ينوى في البداية التضحية بأبنة القيام بهذه التجارب ، ولكن الخليفة حال بينه وبين هذه الطريقة وبعث إليه بالقرعة .

انتقاد جالينوس :

إن الجداول البيانية والرسوم التفصيلية لأجزاء الجسم الإنسانى كذلك التى ظهرت في كتاب « تشريح المنصورى » لمؤلفه منصور ابن محمد ( ١٣٩٦ بعد المسيح ) لم يمتز عليها مطلقاً في التراث اليونانى .

وفي هذا الميدان نجد أن العرب قد تفوقوا على اليونانيين وقدموا عدة إضافات . وقد كتب عبد اللطيف البغدادي في القرن الحادى عشر ينتقد جالينوس على تأكيده بأن الفك الأسفل مؤلف من عظم واحد . ويمتبر البغدادي ذلك نقصاً في الملاحظة الدقيقة . كما لاحظ على بن عباس بأن هناك ثلاث طبقات في جدران الأوعية الدموية .

واستنتج علاء التشريح المسلمون على عكس جالينوس بأن الجمجمة البشرية تحتوي على

### البكتريولوجيا ( علم الجراثيم ) :

إن العلم الطبي اليوم هو نتيجة أبحاث الجراثيم وفي هذا الصدد تأتي الأبحاث التي أجراها ابن سينا في الطليعة . وقد ذكر ضمناً أن الإفرازات الجسمية تلوث بحجم أجنبي أرضي غريب قبل أن تصاب بالتهاب . وذكر ابن ختمية ( ١٣٦٩ ميلادية ) أن الإنسان محاط بأجسام دقيقة تدخل الجهاز البشري وتسبب الداء ، وقد استشهد الدكتور غرويفر بهذه الآراء ليعبر عن الرأي القائل إن العرب كانوا مطلعين تعلم الاطلاع على نظرية الجراثيم .

وشرح ابن الخطيب وجود المندوى بالتفصيل وقال إنه توصل إليها بعد التجربة والملاحظة .

### التشخيص والمعالجة :

وصف الجرجاني في ذخيرة خوارزم شاهي ، الفرق بين جحوظ العين والنفوط الذي اكتشفه الدكتور باري سنة ١٨٢٥ أي بعد ٦٠٠ سنة على ذلك ، وكان الرازي أول من ألف كتاباً عن الحصبة والجديري ، وأظهر الفرق بين الاثنين . وفي سنة ١٦٧٩ بدأ المسلمون في تركيا عمليات التلقيح ضد الجدري التي انتقلت إلى أوروبا في القرن الثامن عشر عن طريق القیدی مونتاغو ووجه السفير البريطاني في تركيا ، ولم يكن الأطباء

اليونانيون يقدرون على التفرقة بين الداءين وقد اقترح أبو المنصور سعيد بن بشير ابن عبدوس ، على عكس الأطباء اليونانيين القدماء ، الأطعمة الخفيفة والأدوية التي تسبب البرودة عند معالجة الشلل العمومي وشلل الوجه .

وقد طبق أبو الحسن الذي كان طبيباً عند الدولة طريفة القصد لمعالجة الزيف الدماغي الذي يتبع غالباً عن الضغط الدموي ، وفي تركيا كان الطبيب المسلم شرف الدين سابونكو أوغلو هو أول من جرب الترياق على الديكة قبل إعطائه إلى المرضى .

وقد شرح أبو القاسم الزهراوي ( في القرن العاشر ) أن الجرح في النخاع أو النخاع الفوكي يسبب الشلل .

### قناة المدة :

استخدم الأطباء العرب قبل الجميع قناة المدة لإجراء عملية تطهير المدة في حالات التسمم . وكانوا يعرفون تمام المعرفة مبادئ علاج العضو بالعضو ، وهذه الطريقة في المعالجة نسبت للدكتور براون سيكرارد الذي مارسها منذ خمسين سنة فقط ، بينما كلن العرب «مطلعين عليها تماماً قبل عدة قرون قبله .

وكانوا يستخدمون دماغ الحيوان لمعالجة الخلل العقلي والخصى للضعف الجنسي ، وقد

ورد وصف مفصل في هذا الصدد في كتاب (حياة الحيوان) .

وقد شدد ابن الرافد على المعالجة بواسطة مراقبة الغذاء ( أى الحمية ) وأوصى رضى الدين بالأغذية المفذية لمعالجة الضعف والحوال . ويحمل بها الدولة السعال الديكى لأول مرة سنة ١٥٠٧ ، بينما اكتشفته أوروبا بعد عدة قرون . وكان على بن دبان يعتبر عرق النسا مرضاً عصبياً ويصف السكى لمعالجته . وكان أبو الحسن الطبرى أول شخص أعلن أن السل هو مرض ينتقل بالعدوى ، وأنه لا يصيب الرئتين لحسب بل الأعضاء الأخرى ، أما مرض ورم الكلية الذى أطلق عليه هذا اسم برابت بعد اكتشافه على يد الدكتور ريتشارد برايت في القرن الثامن عشر فقد اكتشف في الحقيقة على يد نعيم الدين السمرقندى منذ عدة قرون قبله . وقد شرح أيضاً أن الرلال الأبيض ينتقل إلى البول ويصبح الجسم متورماً . وكان أبو المنصور الحسن القمى في كتابه (غنى ومنى) قد كشف النقاب قبل عدة قرون عن (قراد الجرب) .

#### الجراحة :

أدخل المسلمون في الجراحة تبديلات جوهرية . وقد اخترع أبو القاسم الزهراوى عدة أدوات جراحية شرحها في كتابه (التصريف) .

وفي القرن الخامس عشر استعان شرف الدين سابونكو أوغلو من تركيا بكتاب التصريف ، ثم زاد عليه من خبرته مستهدداً بصور العمليات التى أجراها والتبديلات التى قام بها على الأدوات الطبية .

وقد قدم ابن زهر ( القرن الحادى عشر ) في كتابه (التيسير) وصفاً كاملاً لعملية قصبة الرئة ، بينما لم يرد أى ذكر لذلك في كتب اليونان . وكان ابن سينا أول من شرح معالجة ناسور المين ( الغرب ) وأدخل المخراف الطبي في مكان الجرح . وقد كان المسلمون أول من طبق طريقة التبريد لوقف النزيف ، وتقليب الجروح بخيوط حريرية ، وقد كانوا هم الذين بدءوا في معالجة الجروح بالسكى .

وكان الرازى أول شخص عهد إلى استخدام الكحول في الأغراض الطبية .

وطبق المسلمون التخدير في العمليات الجراحية . وفي العمليات الرئيسية كانوا يعتمدون إلى جعل المريض فاقداً وعيه حتى لمدة سبعة أيام .

وقد ساهم المسلمون مساهمة قيمة في جراحة العين ، وأجروا جميع العمليات التى تجري في أيامنا الحاضرة . وكانوا يعرفون تمام المعرفة بإطلام عدسة العين الذى يتبع عن السكدة العدمية وقد استخدموا النظارات



اليونان في صدد فن الولادة . وكان العرب هم المخترعين الحقيقيين لهذا الفرع من فن الطب . وكان أبو القاسم الزهراوى أول من وصف في كتابه ( كتاب التصريف ) وضع الجنين . واخترع طريقة تكسير الجمجمة لتخليص الجنين الميت ، وقد أجرى بنفسه مثل هذه العملية . وقد صور كتاب ( الآثار الباقية ) الموجود في مكتبة أدنبرة طبيباً هربياً وهو يقوم بالعملية القيصرية . أما المساهمات التي قام بها المسلمون باكتشافهم أدوية جديدة ووسائل علاجية فهي كثيرة في صددها وفي قيمتها . وقد خصص جورجى زيدان في كتابه ( تاريخ القطن الإسلامى ( الجزء الثالث ) فصلاً كاملاً لهذا الموضوع وما جاء فيه :

« لقد بدأ العرب لأول مرة في استخدام طرق الكي في الجراحة ، ووصفوا حالة أظافر المرضى بالسل ، واكتشفوا معالجة داء البرقان . واقترحوا استخدام كمية معقولة من الأفيون لمعالجة الجنون واقترحوا لمعالجة نزف الدم تبريد الرأس بالماء البارد وكانت طريقة عملية لإطلام العين الأولى التي وصفها العرب . وشرح العرب أيضاً طريقة تفتيت الحصى ، ووضعوا الكتب عن عدة فروع طبية لم يتوصل إليها أسلافهم وفي هذا الصدد يعتبر كتاب يوحنا بن ماسويه

لمعالجة اختلال النظر وكانوا يضعون لها عدسات ذات قوى مختلفة .

وكان الرازى أول من أعطى شرحاً لعملية استئصال إضطلام عدسة العين ولوصف انعكاس القرنية للضوء .

وقد شرح المعلق على كتاب ( الأسباب ) في الفصل المتعلق بإضطلام عدسة العين ، الوصف الكامل لمثل هذه الأمراض التي تصيب العين . ونصح ابن سينا عند بحثه مرض السرطان لأول مرة ، بوجوب استئصال جميع الأجزاء المصابة والأوعية المحيطة به كلها عند إجراء العملية . وقد تحدث الأطباء المسلمون لأول مرة عند وصف عمليات الجمجمة وأجزائها عن عملية القلاء والنواسير الألفية . وقد اخترعوا طريقة لإزالة اللوزتين وإخراج السائل من طبلة الأذن ، ونصحوا في حالة سرطان اللسان استئصال اللسان بكامله . وفي حالة التهاب مخ العظام اقترحوا إزالة العظم المصاب . وكان الجراحون المسلمون هم أول من أجروا عملية غلاف الأحشاء المخاطى ، واستخدموا طريقة آلة تروكان وقصبة كانولا لإخراج المياه . وكان أن طبقت الطريقة نفسها فيما بعد على يد فورل وبوتن . وقد وصفها بهاء الدولة بالتفصيل .

فن الولادة :

لم يصل إلينا سوى السنور اليسير عن

على وصف ٨٥ عتبة فقط . وقد رفع بعده ابن البيطار في كتابه « المفردات » ، هذا العدد إلى ١٤٠٠ . وكان علم الصيدلة متطوراً جداً عند العرب . وقد ألفوا جميع أنواع الأشربة والمعاجين النباتية وبدءوا باستخدام أقراص الطريفلات في المعالجات الطبية وقد طبق العرب استخدام ورق الذهب والفضة عند لف الأقراص . وقد أدخل العرب لأول مرة طريقة دستور الأدوية (الأقرباذين) في العلم الطبي . وكان سابور بن سبل أول طبيب وضع دستور الأدوية الذي لم يكن معروفاً عند اليونانيين .

#### فن الكيمياء :

أولى العرب اهتماماً كبيراً للكيمياء . وفي الحقيقة هم مؤسسوها الحقيقيون . وفي هذا العلم كانوا أول من شرح طرق الترشيح والتصيد ، والتقطير والتبلور والتذويب . وقد حضروا عدة مركبات كيميائية كحامض النتريك ، وحمض الكبريت ، وحمض النتروهيديروكلوريد . وفيرى سولفاس ، وليسكورا مونيا ، وكلوريدات الزئبق ، وأوكسيد الزئبق ونوات البوتاسيوم ... وتقوم الأعمال الطبية المعاصرة على نطاق واسع ، على أساس هذه الكيمائيات فضلاً عن ذلك فإن أنواعاً عديدة أخرى من

عن الجذام ، وكتاب الرازي عن الجدري والحصبه ، وكتاب أبو موسى بن عيسى عن حبوب الأدوية ، وكتاب قسطا بن لوqa عن الوفاة الفجائية ذات قيمة كبرى .

وكان الرازي أول من طبق عملية تبريد الرأس في معالجة داء السقطة ، واستخدام الماء البارد في معالجة الحمى المحرقة (التيفوئيد) وكان ابن سينا أول من أوصى باستخدام فرش الماء للمريض بالتيفوئيد ، وكان أن طورت هذه الطريقة في ما بعد بشكل أنابيب لبتل ، وأكياس الثلج التي تستخدم في أيامنا الحاضرة .

#### فن الصيدلة :

أما في ما يتعلق بفن الصيدلة فقد قدم العرب خدمات قيمة ، فقد اكتشفوا الخواص الصيدلية لأصل الراوند والكافور والسنا ومارسوا استخدام البنج في الطب . واستحضروا السكر واستخدموه في المسل وقد استعملوا بالأعشاب الهندية في علاجاتهم واكتشفوا عدداً من الأعشاب المفيدة التي لم تكن معروفة للأطباء اليونانيين . وقد اخترع الرازي مرهم الوثيق . وقد وضع أول كتاب عن الأعشاب اليونانية على يد ابن الحوق بالفارسية وعنوانه « كتاب الأبلية عن حقائق الأدوية » ، الذي يحتوي

ولكن أسماء اثني عشر طبيباً يونانياً ظلت غير معروفة .

نظام الطب ونظرياته .

اكتشف الأطباء العرب وقائع عديدة ثبت أنها حقيقية في الأبحاث الجرثومية الحاضرة . وأن كل ما يتعلق بالعناصر والأمزجة والاختلاط والطبائع قد حصرت بأربعة وظل حصرها قضية لا يختلف عليها أحد بين العرب . وقد شرح ابن سينا بأن بعض الأمور تتعلق بالنفسيات بدلاً من العلم الطبي ، ويتوقف الأمر على الأطباء لتسليم بذلك أو رفضه . وقد آمن الأطباء العرب بنظرية أن لكل شخص طبعه الخاص وهو يتأثر حسب ذلك . وقد شرح ابن سينا هذه النظرية مفصلاً . قضية « الحساسية » في العصر الحاضر تقوم في الواقع على أساس هذه النظرية .

القوة الدفاعية :

كان العرب عند معالجة أحد المرضى يولون عناية خاصة للقوة الدفاعية عند الشخص . وكانوا يعتقدون - عن حق - أن الطبيب الحقيقي هو القوة الدفاعية الحقيقية للجسم ، وأن مهمة الطبيب هي تقديم المساعدة لهذه القوة . وقد أيد ابن زهر الأندلسي هذه النظرية كل التأييد . وقد كان أهم عمل قام به العرب في علم الطب هو تنظيم الفروع المختلفة لهذا العلم ، وتعتبر كتب فردوس الحكمة ، وكامل

الحوامص والتقليد استحضرها العرب . ومن المهم في هذا الصدد أن نلاحظ أن العرب لم يعضوا فقط أساس الكيمياء العصرية بل أسلحوا عدة نظريات يونانية قديمة . وكان يعقوب بن إسحق الكندي من أحسن من عحصوا الكيمياء اليونانية وابتدعوها .

كتاب الأدوية :

يعتبر « كتاب الأدوية » الذي ألفه دسقوريدوس دليلاً كبيراً على اهتمام العرب بالأبحاث وتشوقهم للمعرفة في الأدوية . ويمتد أن هذا الكتاب قد ترجم لأول مرة على يد استيفن بن باسيل على عهد الخليفة المتوكل بمراجعة حنين بن إسحق . ولكن الأسماء البديعة لمعظم الأدوية اليونانية ما زالت حاضرة . وقد أعيد النظر في هذا الكتاب حين حملت نسخة منه من بغداد إلى أسبانيا على عهد الخليفة الأندلسي الناصر ، وقد حملت نسخة أخرى منه باللغة اليونانية القديمة من مكتبة أباطرة الرومان لتصلح . وظن أنه لا يوجد شخص يستطيع فهمه فطلب إلى الإمبراطور الروماني إرسال عالم لغوي معه أيضاً . وقد أوفدوا بها يدعى نيقولا وهو متضلع في اللغة اليونانية القديمة إلى أسبانيا لهذا الغرض . وكان يعاونه أطباء عرب لإنهاء ترجمة هذا الكتاب .

والرازي في ميدان الطب . وما زال « كتاب الحاوي » الرازي يعتبر من أهم الكتب الذي لا يوازيه كتاب في قيمته الضخمة .

#### حرية التفكير :

كان العرب مشهورين بصورة خاصة في حرية تفكيرهم وبنظامهم التعليمي العملي في علم الطب ، وقد أعلن يوحنا بن ماسويه بصراحة في كتابه « النسوارد الطبية » أنه لا يريد أن يتبع المبادئ القديمة لأسلافه دون وضعها موضع التجربة في الممارسة والخبرة ، وأن كل ما وجدته مخالفا للتجربة والاختبار كان يرفضه . ولاحظ هبة الله ابن ساعد في مقدمة كتابه دستور الأدوية ( القرايين ) أن الوقائع الحقيقية هي التي لخصت عند التجربة . كما أعلن الرازي في كتابه الحاوي وكتاب الفاخر أنه غير متفق مع أسلافه في كثير من المسائل . بل يحمل معظم نظرياته القائمة على الملاحظة الشخصية دون أن يتم بما فكر به اليونانيون ، وقد اتبع الطريقة نفسها ابن سينا في كتابه « فصول المهية في طب الأمة » .

#### التعليم العملي :

والى جانب حرية التفكير كانت المساهمة البارزة التي قام بها العرب هي نظامهم العملي في التعليم . وقد كانوا هم أول من بدأوا التعليم العملي لطلاب الطب في مستشفياتهم .

الصناعة ، والقانون ، والحاوي وعدد كبير من الكتب الماثلة مراجع قيمة في هذا الصدد .

والتراث اليوناني هو خال من ثروة المعرفة التي تتضمنها هذه الكتب .

#### الآثار الأصلية :

لقد قيل إن أهم مساهمة قام بها العرب هي ترجمة الكتب اليونانية على عهد الأمويين والعباسيين ، وفي رأي أن أعمالهم الأصلية التي تشكل الآن جزءاً من مكتبات روما وباريس وانكلترا وتركيا هي مساهمات حقيقية . فقد بدأ العرب في تصنيف كتبهم الأصلية في مطلع العهد العباسي ، بينما كانت ترجمة الكتب اليونانية متقدمة في بغداد بإشراف حنين بن إسحق ، ولكن مؤلفو هذه الكتب يقيمون في معظمهم إلى مدرسة جنديسابور الفكرية ، ومن أبرز هؤلاء المؤلفين سابور بن سهل وعيسى بن موسى ، ومن أهم كتب الأخير « كتاب من لا يحضره طبيب » . وهناك كتاب آخر لابن ماسويه هو « كتاب الحية » المزود بالمجداول والخرائط .

وبعد هذه المرحلة تماماً بدأت فترة طويلة مثمرة من الأعمال الأصلية والتصنيف في علم الطب العربي . وظهرت شخصيات عظيمة كعلي بن عباس الجعفي ، وابن سينا ،

مراجع :  
 كتاب القانون لابن سينا .  
 عيون الأنباء في طبقات الأطباء .  
 معجم الأطباء .  
 طبقات الحكماء لابن جليل .  
 طب العرب .  
 الطب العربي تأليف الدكتور ادوار ج. براون .  
 الطب العربي تأليف الدكتور دونالد كامبل .  
 دراسات في العربية والفارسية .  
 الأدب الطبي تأليف الدكتور محمد زبير صديق .  
 بعض الوقائع المجهولة عن الطب العربي  
 تأليف الحكيم كبير الدين .  
 التاريخ الطبي للفرس تأليف الدكتور النور .  
 أخبار العلماء بأخبار الحكماء لابن القفطي .  
 تاريخ الفتن الإسلامية لجورجي زيدان .  
 شرح القانون لأبي الحسن القريني .  
 الفهرست لابن النديم .  
 وفيات الأعيان .  
 الأنسكلو بيديا البريطانية ( مادة السكر ) .  
 كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون .  
 الحاوي طبعة حيدر آباد .  
 دغني ومعنى ، طبعة لاكنو .  
 كتاب التعريف طبعة لاكنو .  
 شرح الأسباب والعلامات طبعة دلي .  
 فردوس الحكماء طبعة برلين .  
 أصول تاريخ الطب التركي تأليف .  
 البروفيسور سيل أنور .

نيرواسطي

أستاذ الطب اليوناني والعربي في باكستان

ويقول مؤلف « طبقات الأطباء » إن هذه الطرق لم تكن مطبقة مطلقاً في مدارس الإسكندرية الطبية في عهد المسلمين . وكان حضور الطلاب إلزامياً في المستشفيات التي أنشأها المسلمون والتي استخدمت في ما بعد كمنهج لمستشفيات إيطاليا وفرنسا . ويقول الرازي إن الطبيب يجب أن يتمتع بشرطين لاختياره : أولاً يجب أن يكون مطلعاً بمقام الاطلاع على العلوم الطبية القديمة والحديثة . وثانياً يجب أن يكون قد عمل في أحد المستشفيات كطبيب مداوم .

وكان إبراهيم بن بكس أستاذاً منتظماً في مستشفى ضد الدولة . وكان تلامذة الرازي يزورون المرضى في مستشفى الرازي . وكان يوجد مجلس للعلم تم تأليفه في مستشفى مبارقين لبحث حالات وأعراض المرضى ، وكان زاهد الطباء مدير هذا المجلس ، ونتيجة لذلك بدأت التشخيصات السريرية . وكان يجري تسجيل أحوال المرضى وطرق شفائهم بانتظام ، وتحتوي كتب « الحاوي » ، « والفارسي » ، « والفصول » المهمة على وصف كامل لمثل هذه التشخيصات السريرية والمعالجات .

والخلاصة لم يضع المسلمون فقط أساساً متينة لعلم الطب الحديث ، بل وضعوا أيضاً بناءً رائعاً له . فهل نكون شرقاء ومنصفين إذا وصفنا هذه الفترة الجميدة في العصور المظلمة ؟

# الكندى فيلسوف العرب

للأستاذ سعيد زائد

لم يذكر المؤرخون على وجه التحديد تاريخ مولد الكندى ، ويرجحون أن مولده كان سنة ١٨٥ هـ ، أى فى الأيام الأخيرة لحياة أبيه ، وهم إذ كانوا لم يحددوا تاريخ مولده ، فإنهم بالتالى لم يمتدوا إلى تاريخ وفاته ، فقل إنه توفى فى أواسط القرن الثالث الهجرى .

فهو إذن قد شأ بقيا ، وفاته أن يمحرج بين ربوع الجاه والسلطان ، وإن لم يفته أن يعيش فى مجبوحة من المال والزفاهية . كفلته أمه فدرت أمره ومآله ، ورأت فيه محابيل الذكاء وحسب المعرفة فألحقته بدور العلم .

ورفقا للتقاليد المرعية فى تلك الأيام حفظ فيلسوفنا القرآن على يدي معلم ، ثم تعلم الخط والحساب . وأنس فى نفسه ميلا إلى الرياضيات ، فأقبل على العلوم الرياضية والفلك . ولكن لم تقته المشاركة فى علم الكلام ومباحثه ؛ وهذا أمر طبيعى بالنسبة لأى مفكر فى زمانه ، فقد كانت قننة القول بخلق القرآن على أشدها ، وكان لا بد من إبداء الرأى فيها . إلا أن مشاركة الكندى فى ميدان الجدل كان بقدر ؛ فقد كان عفا اللسان ، بعيدا بطبعه عن الفتن والنسائس ،

(١) أن سعى الفارابى بالمعلم الثانى ، وأطلق على ابن سينا لقب المعلم الثالث ، فإن الذين نعتوا الكندى بفيلسوف العرب لم يتعدوا الدقة فى كثير أو قليل .

فإن أوضح برهان لذلك النعت هو هريته الأصيلة ، فهو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن الصباح بن عمران بن محمد بن الأشعث ابن قيس ، من قبيلة كندة التى كانت تستوطن جنوب شبه جزيرة العرب . ولقد ذكر ابن أبى أصيبعة فى «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» من نسب الكندى ما يرجع به إلى قحطان ، وهذا دليل على أنه عربى صميم . ولقد توفى الكندى على دراسة العقليات ، وعد أول من أخذ بمذهب المشائين فى الإسلام ، فى وقت كان فيه أغلب المقبلين على الدراسات العقلية من غير العرب الأصلاء . وبالرغم من هراقة أصل عائلة الكندى وشرف مجدها فقد رحل بعض أفرادها إلى العراق ، وأصابوا فى عهد الدولة العباسية مناصب كبيرة ، وكان أبوه من أصحابهم بعض المناصب ، فقد كان أميراً على الكوفة .

(١) بحسبة مهربان الكندى الذى عهد أخيرا فى بغداد .

مكتبة زاخرة بالكتب النفيسة ، سميت بالخزانة الكندية ، كما يقول ابن أبي أصيبعة .  
وللجاحظ بالنسبة لفيلسوفنا نوادر تصفه بالبخل . والظاهر أن الذي حدا بالجاحظ إلى هذا ، هو - كما يقول أستاذنا المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق في كتابه : « فيلسوف العرب والمعلم الثاني » - « إن نوع الحياة التي كان يحياها الكندي الفيلسوف بحكم ما فيها من عزلة وانقطاع عن مجامع الأدباء والعلماء ، واتصال بالترجمين والفلاسفة وهم غير مسلمين ولا عرب ، لم يكن من شأن ذلك أن يجعل الكندي خفيًا على أرواح من يرون في الحياه غير ما يرى . ولعل هذا هو السر في أن عمر بن بحر الجاحظ جعل من الكندي في كتابه « البخل » موضوع أسماه وفكاهات » .

حاش الكندي إذن عيشة الفيلسوف ، وهي ما نعرف من نظام في المأكل والمشرب ، واقتصاد في الأهواء ، ومجاهدة لشهوات النفس الأمارة بالسوء . فكان شعاره حكمته المأثورة « اعص الهوى ، وأطع ما شئت » ، ونبراسه العبارة التي رواها الشهرزوي في « نزهة الأرواح » : « من ملك نفسه ملك المملكة العظمى ، واستغنى عن المؤن . ومن كان كذلك ارتفع عنه الهم ، وحده كل واحد ، وطاب عيشه . ولو أفسد أحد أحسن أعضائه كل مذموما ،

قلم يشأ أن يخوض بصورة فصالة في معارك أهل الأدب ورجال الدين خوفا من حدوث ما لا محمد عقباء ، وآثر العزلة والبحث العلمي ، والاطلاع .

فإلى جانب مشاركته في علم الكلام وإقباله على الرياضيات ، قرأ في الفلسفة التي نقلها المترجمون عن فلاسفة اليونان والفرس والهند ، بل حاول أن يتعلم اللغة اليونانية ليقرأ بها آثار اليونانيين في منابها الأصيلة ، ويحاول من جهة أخرى أن يترجم منها إلى اللغة العربية والثابت أن الكندي كان يعرف اللغة السريانية وقد نقل منها بعض الكتب إلى اللغة العربية ، كما رواه القفطي في « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » من أنه نقل كتاب بطليموس المسمى كتاب الجغرافيا في المعمور من الأرض ، إلى اللغة العربية قلا جيدا ، عن السريانية . ولقد عده أبو معشر ، كما رواه ابن أبي أصيبعة في « هيون الأنبا » في طبقات الأطباء ، أحد أربعة رجال حذقوا الترجمة في الإسلام ، وهم : حنين بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق الكندي ، وثابت ابن قرة الحراني وعمر بن الفرجان الطبري .

وقد حاش الكندي - كما ذكرنا - مرفها ، فقد كان له ضيعة بالبصرة ، وكانت له في بغداد دور يؤجرها . ورجل هذا شأنه من الفنى وحسب العلم كان من الطيبين أن تكون له

عظيما في معرفتنا له . ولقد نشر هذه الرسائل في جزئين الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة سنة ١٩٥٠ ، ونشر الدكتور أحمد قزاد الأهراني إحداها وهي « كتاب الكندي إلى المعتمد بأقنه في الفلسفة الأولى » سنة ١٩٤٨ .

ورسالة الكندي في الفلسفة الأولى من أطول رسائله ، يقول فيها « بعد الديباجة : إن صناعة الفلسفة من أشرف الصناعات الإنسانية ، مزية ومرتبة ، فهي صناعة حدها علم الأشياء بمخافتها بقدر طاقة الإنسان » . وغرض الفيلسوف إصابة الحق من الناحية النظرية والعمل به في الحياة . وإذا كانت صناعة الفلسفة شريفة ، فإن أشرف أبوابها هو البحث في الفلسفة الأولى أي البحث في معرفة العلة الأولى للكون ، وبالتالي يكون أشرف فيلسوف هو الباحث في حقل الكون أو الباحث في علم الحق الأول الذي هو علة كل حق . فالعلة الأولى أولى بالشرف ، وأولى بالجنس وأولى بالترتيب ، وأولى بالزمان ، فإنها علة الزمان .

والباحثون في الحق - على رأى الكندي - من أتى منهم بيسير منه ، له الشكر العظيم ، فضلا عن أتى بكثير منه ؛ وذلك لأنهم أفادوا الناس من ثمار فكرهم ونوروا لهم الطرق الخفية . وقد ذكر الكندي أن أرسطو قال : إنه ينبغي أن نشكر آباءهم ، إذ كانوا سبب كونهم .

وأشرف الأخصاء الدماغ ، ومنه الحس والحركة وسائر الأفعال الشريفة ، ومستعملو السكر يدخلون الفساد على أدمغتهم ، ومتى توالى السكر على أحد بدون مرض دماغه ، واشتد ادضعفه وبعده عن القوة الممدة للأفعال الإرادية والنفسانية .

هذا ، ولقد كتب الكندي في الفلسفة ، والمنطق ، والرياضيات في أغلب فروعها مثل الحساب والهندسة والملايك والموسيقى ، والطب ، والكيمياء ، والسياسة ، وهو كما يقول ابن النديم في « الفهرست » : « له في أكثر العلوم مؤلفات من المصنفات الطوال والرسائل القصار .

وقبل أن تعرف ، أو بالأصح قبل أن تكتشف كتبه ، كانت الآراء تختلف حول الكندي وقيمه العلمية ، وفيما إذا كان متكلما ومعتزليا ، أو فيلسوفا له مذهبه المتكامل في تفسير مشاكل الكون ، أو هل هو من احتذى حذو أرسطو أم سار على نهج خاص .

واكتشاف كتب الكندي أو على الأصح اكتشاف بعضها لم يأت دفعة واحدة ؛ بل إن بعض رسائله كان معروفا لدى الغربيين ، وترجم إلى اللغة اللاتينية ، وتدارسه محبو الفلسفة . ولكن اكتشاف المشرق الألماني العلامة ريتز لجموعه رسائل الفيلسوف في مكتبة أياصوفيا سنة ١٩٣٢ أحدث أثرا



وفائع مأمونة :

## من شعار الإيمان

للاستاذ محمد رجب البتوي

« ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال  
والانفس والعورات وبشر العابرين ، (قرآن كريم)

أدى عمر بن الخطاب صلاة الفجر ذات مرة ، ثم تطلع إلى من وراءه من الناس ، فوجد المصلين شاذبا يمجج بالرايح والساجد ، والمسبح والمرتل ، ونظر غير بعيد فلح مسم بن نيرة يجلس في زاوية هادئة وقد وضع رأسه بين يديه كمن يفكر في شئ مريع ، فنهض أمير المؤمنين من مكانه ، ودفا منه لحياءه في تواضع ، وأخذ يسأله عن نفسه ومعاشه وبيته ، واستشده آخر ما قال في رثاء أخيه مالك ، فاسترسل الشاعر

( بقية المنشور على صفحة ٦١٢ )

في بغداد . ولعل حكومات العرب تضع في اعتبارها - دائما - إقامة مهرجانات ذكرى للفكرين العرب . فقد أقيم منذ أكثر من عشر سنوات مهرجان ابن سينا . وأقيم منذ ستين مهرجان الغزالي ، ولست أدري لم اهتم المسئولون بمن جاء بعد الفارابي وبمن جاء قبله ولم يهتموا به وهو فيلسوف عظيم أسس مذهباً فلسفياً متكامل الأطراف وله في جميع فروع الفلسفة آراء ، أصيلة ؟ ولستأ هنا نلقت النظر نحو الفارابي وحده ، بل إننا نرجو أن يكون جميع مفكرى الإسلام موضع الاعتبار ، فإن هذا يربطنا بما ضيى التليد .

سعيد زيات

فلم حقائق الأشياء ، هند الكندي ، علم شريف نافع ؛ ذلك لأن فيه « علم الربوبية ، وعلم الوجدانية ، وعلم الفضية ، وجملة علم كل نافع والسبيل إليه ، والبعد عن كل ضار والاحتراز منه ؛ واقتناء هذه جميعا هو الذى أنت به الرسل الصادقة عن الله ، جل ثناؤه . فإن الرسل الصادقة صلوات الله عليها إنما أنت بالإقرار بربوبية الله وحده ، وب لزوم الفضائل المرتضاة عنده ، وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذواتها وإثارها .

وبعد ، فهذه كلفة قصيرة عن حياة الكندي الفيلسوف العربى ، وعن مقدمة رسالته في الفلسفة الأولى ، بمناسبة مهرجان الذكرى

كبيراً ، فصر الصارم الجاد كلن يستجيب  
لمساظفته الرحيمة حين تهب عليه لواقع  
الذكرى المؤسية ، فيستشعر لحيب الحزن  
بندلع في صدره ثم يستروح برد التأسى حين  
يجلس إلى شاعر مفجوع فيسمع أصداق  
الرائاء ، ويريق بين يديه عبرات الشجي  
الصنارح ، حزينة النغم ، دامية الزفن ، وبود  
لو كان شاعراً يفصح عن ذاته لينطق أواره  
الحبيس في قافية مجلجلة ذات تصوير وتمثيل ،  
ولكنه يفاجأ بحقيقة سارة لا يدري كيف  
غابت عنه على وضوحها البارز ، وصدقها  
الأكيد ، فأخوه الشهيد ينم برضوان من  
الله أكبر ، ومهما انسدل بينهما حجاب الغيب  
الآن فسيأتى يوم يرفع فيه الستار ، وسيطلع  
الآخ الصابر ليجد أخاه مع الذين قتلوا في  
سبيل الله حياً يرزق ١ وإذن فقيم الأسف  
الجازع والشجي المرير ، ١١ إن هذا المعنى  
المؤمن يترأى له لجأة فيزل على صدره  
المحروور نزول الندى المساطر على الزهرة  
المتناحة ، قتنبط أساريه بعد اقتباس ،  
ويصيح صوته منطلقاً بعد احتباس ما عزانى  
أحد بمثل ما عزانى متم الحنقة رب العالمين ١٢  
ليس الفاروق وحيداً في باب ، فنحن  
نشاهد عشرات المصاين ، تفجؤم الكارثة  
الصاعقة يطيش لها اللب الحازم ، ويترززل تحتها  
الفؤاد الراسخ ، ولكنهم يشربون إلى نفوسهم

في إبداعه ، وعمر الأديب الراوية يهتز للمنى  
الجيد ، ويشق التعبير الصادق ويلس  
يا حساسه الأديب ما وراء هذه الزفرات  
المنظومة من مشاعر لاهية تذوب أسى وتنتلى  
اضطراباً ، ثم انحدرت دمعتان ساختان  
على خد الخليفة العادل ، فطلع إليه الشاعر  
وسأل متعجباً :

ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟

فقال له عمر في صوت تخنقه المبرة ،  
وتعوقه الزفرة ، وددت أنى كنت شاعراً  
فأرأى أخى زيد بن الخطاب يمثل قولك :

وكنا كندمانى جذيمة حقة  
من المهر حتى قيل لى يتمدا  
فلا تفرقنا كأتى ومالكاً

على طول وصل لم نبت ليلة معا  
فطلع إليه متم متحيراً ، ثم أسعفه  
عاطره المؤمن فقال : هنيئاً لك يا أمير  
المؤمنين أن رزق أخوك الشهادة في سبيل الله ،  
فلق الجنة راحياً مرضياً ، ولومات أخى  
مالك على مثل ما مات عليه زيد بن الخطاب  
مارئيته بيت واحد ، إذ راح ينم  
برضوان الله ١

فانطلق بالبشر وجه الفاروق سريعاً ،  
وزال عنه ما جلله من كآبة الشجن العابر ،  
وصاح مهتلاً ، والله ما عزانى أحد بمثل  
ما عزانى متم ، الحمد لله رب العالمين .

هذه القصة الصغيرة تحمل وراءها معنى

وكن له إحدى عشرة سنة، وقد حفظ القرآن، ولقنه من الفقه والحديث شيئا كثيرا على حداثة عمره ، ثم امتحن بفقده ، لجشت أعزبه ، فقال لي في هدوء : كنت أشتى موته !! فتعجبت كثيرا ، وقلت : يا أبا إسحاق ! أنت عالم الدنيا ، تقول مثل هذا في صبيك وقد نبه ، ولقنته الفقه والحديث ! فأسند رأسه إلى الحائط ، وأطرق قليلا ثم قال : لقد رأيت منذ عام في النوم كأن القيامة قد قامت ، وكان صديانا بأيديهم القلال فيها الماء ، يستقبلون الناس فيسقونهم ، وكان اليوم حار شديد الحرارة ، فقلت لأحدهم : اسقى من هذا الماء ، فنظر إلى ثم قال : لا ، لست أبى ، فسألت أى شيء أتم ؟ فقال قائلهم : نحن الأطفال الذين متنا في الدنيا وخلفنا آباءنا ، تقوم اليوم فنستقبلهم بالماء . قال إبراهيم : فلهذا تمنيت موت الغلام !! ونحن نتساءل في ضوء هذه الحادثة : كم يكون جرح الوالد على ولده الذكى النجيب ، إذا بدت عليه مخايل المبقرية في سن مبكرة ، لحفظ القرآن ، وروى الحديث ، ودرس الفقه ، ثم تخطفه الموت من بين أحضان والده وقد تعهد هوده الناضر بالرى حق كاد أن يورق ، كم يكون جرح هذا الوالد إذا لم يجر الإيمان بالله مجرى الدم في عروقه ، وكم تسود الحياة في عينه فلا يرى في ضياء الشمس ،

المؤمنه فيعلون أن اللقاء قريب ، ويرون في أحلامهم المادئة أطياف الحبيب النازح يفتقر نوره ، ويشرق بجبينه ، فيتأكدون أن قبره روضة من رياض الجنة وأنه فارق موطن البلاء في الحياة ومنطق الشقاء في الدنيا لتهدأ روحه الناعمة بين أشجار وحدائق ، وسور وولدان ، ثم يرسلون إلى روحه هدايا عبقة تفوح في آى من الذكر الحكيم ، ولا يزالون كذلك يرونه في الحلم ليلا ويستمتطرون عليه الزحمة نهاراً ، فهو القريب البعيد ، والغائب الحاضر ، ولن يصعب وحيل إنسان ، يعبده القبر ويدنيه الإيمان !

لن أقف عند هذا الحد ، فأقرر أن الإيمان الصادق يهون المصيبة عند وقوعها ، بل أتجاوز ذلك فأقرر صادقا أن من مزايا هذا الإيمان المخلص أنه يهون المصيبة على نفس الصابر الخاشع قبل أن تقع ، فهو يوطن نفسه يادى ذى بدء على احتمال المكروه ، وتوقعه في دنيا محفوفة بالمكاره الكارثة ، حتى إذا حانت ساعته المحتومة صادفت قناة صلية تهب عليها الريح من كل مكان ، فما تهدر أن تزحزحها قليلا عن مطمأنها الثابت في مستقر الأرض ، وإذا ذاك يصير الكارث المذهل رغم فداحته القاصمة مما لا يكاد يؤبه له من الأشياء !

قال محمد بن خلف : كان لإبراهيم الحربى ابن

وشعرها الدائع لا تملك أن تشك فيما تقذف به من الدليل .

لقد قتلت الشاعرة الودود أغاها ظهرا في الجاهلية ، فلم تتحمل كارثة الموت بفقده ، واندفعت تصل الليل بالنهار في نواح متصل ، وشعر دافع ثم ارتدت ثياب الحداد فألت على نفسها أن تظل عالقة بها ، ما تردد في صدرها نفس ، وكانت ذات إحساس شاعر ، فليست من تهون لدى نفوسهن كارثة تحقيق ، بل تتغلغل في الأعماق ، غائرة اللذع ، مشبوبة الالتئاع ، فهي تذكر قييدها النازح عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، وتلتس العزاء لدى المفجوعات من أترابها ، مع ما تعتقده في قرارتها من بعد الفارق الشاسع بين مصاب ومصاب .

وما يكون مثل أخى ولكن  
أعزى النفس منه بالناسي  
هذا الأخ الفقيد ، كان - هل ما تروى المأثورات بارأ بأخته ، فهو يؤثرها على بيته وأهله ، ولم يكن ذلك مستغربا من بدوى شهم يرعى الأحدة ، ويهز للحد ، وقد وجد من معارضة زوجته ملاما جسه دبر أذنه ، ويظهر أن الأريحية كانت طبعه الأصيل ، فأشعار الحفساء فيه تضعه موضعه البارز فهو صخر الندى ، كثير الرماد ، نحار إذا تشو البادية .

ونور القمر بصيحا من شعاع ، ولكن افه قد لطف به ، فرزقه الأمل وهو شيء كثير . تصور هذه الحادثة بخيالك ، ثم امض في سبحاتك إلى إنسان جاحد بالله ، منكر للغييب ، كافر بالحساب ، ودح الموت يفجحه في نجل عزيز ، أو أخ حبيب ، وقل لي بربك : كيف يستشعر الراحة في مصابه ، ولا أمل عنده في لقاء آجل ، ولا ثقة لديه في رب قادر ، إنه من شجونه الدامة في ليل مطبق ، بطيء الكواكب ، وإن اليأس الجهم ليضاعف عليه نكبته ، ويرمي في أمواج من السخط والقلق والفجعة ، وإذا كنا نعرف أنه لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة ، فلا حياة هادئة لهذا المذهب التمس ، وقد قد الأمل وسدت بعيفيه منافذ الرجاء ! إن كنت في شك من ثمرة الإيمان فأخذت تنكر علاج النفس ، ودواء الروحي ، وتطن موضوعنا هذا كلمات تنمق ، وخيالات ترص ! إن كنت في شك مما أؤكد من القول ، فسأضع أمامك صورة ناطقة لشخصية مشهورة ، ذاع حديثها في الناس وتناقل الدارسون أخبارها المتواترة جيلا بعد جيل ، ثم ضرب بها المثل السائر ، قليل ( أبكى من الحفساء ) هذه الشخصية المشهورة ذات المثل السائر تهض دليلا صادق البرهان لما نقول ، وأنت أمام تاريخها المشهود

هذه الشاعرة الجازعة قد تعرضت في شيخوختها الواهنة إلى نكبة أكثر هولاً ، وأعظم فجعة من نكبتها في صخر ، وكان الظن بها أن تصوغ قصائد الرثاء لاهبة كلوية ، فالتكبة نكبة أربعة من أولادها المغاوير كانوا في ميعة الشباب ، وعنفوان الرجولة ثم تخطفهم السيوف الكافرة في يوم واحد ، وهي نكبة أكبر من أن توصف ، ولكن ظروفها الزمنية جعلتها محتملة ؛ لأن الخنساء المؤمنة في دنيا الإسلام غير الخنساء المشتركة في دنيا الجاهلية ، وتعرض من أقوالها ما يحلو هذه الحقيقة ، لتكون بروعتها المؤثرة أثراً طيباً من آثار اليقين المخلص وثمره شبيهة من ثمار الإيمان .

لقد زحفت الجيوش الإسلامية للحرب الفرس في القادسية ، ونهض الشباب من أشبال العرب وأبطال المسلمين يؤدون ضريبة الدين ، في فتح خالده ، يزلزل عروش البنى ، ويعمل منار العدالة والحرية والمساواة ، وراى الشاعرة المؤمنة أشبالها الفطاريق يتسابقون إلى النصر مستبشرين ، نهزتها أريجية البطولة وسرها أن تسهم بأفلاخها الأربعة في نصرة دين عزيز يجمع الناس على المودة والتعاطف والإيمان ، ثم دفعتها لودعية الأدب وعبقرية الذكاء وجلال اليقين أن تخطفهم خطبة جهرية فتقول :

حال الربة هباط أودية  
شهاد أندية للجيش جرار  
لاجرم ، مثل هذا الرجل الشهم كل يروح  
الغريب بمآثره ، ويبدد البعيد بأياديه ،  
فما ظنك بأخت قريبة تسمع نداء الناس  
عليه ، وتزهي به ألام زوجها وأولادها ،  
وترى الضيفان يؤمون ساحته في السلم ،  
والشجعان يحتمون برأيه في الحرب ،  
فن أي نواحيه جنته وجنت الفتوة الماجدة ،  
والمروءة المهتزة ، والشهم الرفيع

قد يقول قائل : إننا نعتمد في أوصاف صخر على ما ذكرته أخته في معرض الرثاء ، ولعلها اندفعت في مغالاة عاطفية تجعل السطح قة ، والسراب ماء ، ونحن نقول : إن الشاعرة تعرضت إلى فجعة أخرى في أخ شقيق هو معاوية ، فرثته وراثه معقولا دون أن تزيد فلو كان ديدنها المبالغة لوضحت في رثاء الشقيق قبل الابن ، ثم إن الفجر العربي لم يهدأ لم يسلك مسلك الإغراق بل كان في أكثره فطرياً يعكس ما يحول في النفس ، وكفى ، وقد تناقل الرواة حديثها عن صخر فاشفعوه بنقد ، وهي بعد قتاة لها منافسون أقوياء حراس على أن يرتفعوا بأشعارهم عن مستواها دون أن يردقوا عاطفتها الثائرة ، فكان أن غلبت الفحول :

الشيخوخة اليأسه والعنى المظلم ، والضعف  
الراعش ثم تتلس النصير فلا يعين .

لم يكن المصائب القديم أقبح من الرزم  
الطارئ دون جدال ، ولكنه سحب اليأس  
وجفاف الأمل ، فبدت كارتته على احتمالها  
شديدة لا تطاق ، أما مصاب الأبناء فقد  
هونه الإيمان ويسره الرجاء ، فرجعت الأم  
إلى دينها القوي ، فأخبرها أن اللقاء قريب ،  
وأن أفلانها الأبطال فرحون بما آتاهم الله  
من فضله ، يستبشرون بنعمة من الله ، ورأتهم  
يأيمانها الشاعر يطيرون في آفاق الفردوس ،

تبقى دماؤهم الشذية بأريج الاستشهاد ، وتبقى  
أسرتهم الوضيئة بريق المثوية ، وإذ ذاك  
قال في ثقة المؤمن ، وهزيمة الأمل : الحمد لله  
الذي شرفني بقتلهم وإني لأرجو أن أجتمع  
بهم في مستقر واحد .

إن بيت القصيد في هذه العبارة هو كلمة  
أرجو ، وبها وحدها صار البعد قريبا ، والقبر  
جنة ، والمحنة منحة ، وهي وحدها التي دفعت  
لإبراهيم الحارثي أن يحلم بالخوض المشهود ،  
يوم يقوم الناس لرب العالمين ، كما أهابت  
بالقاروق فصاح « والله ما عزاني أحد بمثل  
ما عزاني مسم » .

فيا لحلاوة الرجاء ، ويا لعذوبة الآمال .

**محمد رجب البيومي**

أى بى : إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم  
مختارين ، والله الذى لا إله إلا هو إنكم  
لبنو رجل واحد ، ما خنت أباكم ، ولا  
فضحت خالك ، ولا هجنت حسبكم ، ولا  
غيرت نسبكم ، فاعلموا أن الدار الآخرة خير  
من الدار الفانية ، فاصبروا وصابروا وانتقوا  
الله لعلكم تفلحون ، فإذا رأيت الحرب قد  
شمرت عن ساقها ، فيمموا وطيسها ،  
وجالدوا رئيسها ، تظفروا بالكرامة والغنم  
في دار الخلد والقيامة .

ثم يحضون إلى القتال ... وتمر الأيام ،  
قتلس الأبناء متظلمة ، فيعود الظافرون  
إلى الخنساء فيخبرونها بانتصار الإسلام  
واستشهاد الأبناء ، ما بقى منهم أحد ، فرد  
في صوت خافت تقطعه الشيخوخة الواهنة  
« الحمد لله الذى شرفني بقتلهم وإني لأرجو  
أن أجتمع وإياهم في مستقر رحمة ، ثم لا تزيد .

أى معجزة ندرة قلبت الخنساء من نائمة  
جزوع إلى واثقة صبور ، هل كان خطب  
الأخ مهما عظمت به الكارثة وتضاعف فيه  
الشجن ، أكثر فداحة من نازل بحقيق يصف  
بأربعة من الشباب البلاء أرواحهم دماها ،  
وأطعمتهم حياتها ، ومنحتهم رجاءها ثم غابوا  
مستشهدين وتركوها فريدة وحيدة بمجالد

# الأزهر والتطور

للأستاذ محمود الشقاروى

- ٣ -

و ذات خطر بالغ أيضاً ومطامع بالغة كذلك في توجيه المستقبل لهذه الجماعة الإسلامية توجيهاً خاصاً قد يدبر الحياة العامة لبقية الجماعة الإسلامية ، وقد يدبر الإسلام نفسه ويعمل على جر الجماعة الإسلامية في هذه الدول الجديدة إلى خارج الدائرة كلها .

وعلى رجل الفكر الدينى ، الذى يمثل الأزهر المتطور ، نحو هذه الجماعة الإسلامية واجبات ، أولها فهم أوضاعها ودراسة أحوالها وإدراك مشاكلها ثم المشاركة الإيجابية في توجيهها نحو الحياة الإسلامية والاجتماعية الصحيحة ليقبها (داخل الدائرة) .

وفي السنوات العشرين الأخيرة شهدنا مأساة كبرى لجماعة إسلامية اغتصب بلادها ومحا دينها وقوميتها اغتصب عائق غادر . ولهذا النكبة أسباب بعيدة وقريبة ، واضحة وخفية .

هذه أمثلة نوردتها من مشاكل أو مسائل قائمة في حياة الجماعة الإسلامية المعاصرة التى نعتقد أن لرجل الفكر الدينى حياؤها واجب ،

قبل أربعين سنة قامت ثورة في بلاد المسلمين كان سلطانها يحكم بلادهم جميعاً باسم الخلافة ، وقد هدمت هذه الثورة أساس هذا الحكم وأزالت من الخلافة الاسم والرسم وخرجت بهذه الجماعة من نسبة الإسلام وما يصلها به من سبب وقالت عنه قولة منكرة : إنه ربح الصحراء ، وهذه الحقبة العاتية التى مرت منذ قريب بجماعة المسلمين هذه في (دولة الخلافة) كان لها من الأسباب والنتائج ما يجب على رجل الفكر الدينى أن يعرفه ويدرسه وأن يتأمل ما تبطنه هذه الأسباب من احتمالات أخرى في بلاد أخرى من بلاد الجماعة الإسلامية ، حتى يحذر وينذر ويتطلع ويشير .

وفي هذه السنوات الأخيرة خرجت إلى نور الحياة وكرامه الحرية بلاد كثيرة ، في إفريقيا خاصة ، فيها جماعات كثيرة من المسلمين . وهذه الجماعات التى عاشت دهراً طويلاً أو قصيراً في ظلام العدم وذل العبودية تتطلع إلى المستقبل ، تتناوشها وتتناوش جماعة المسلمين فيها عوامل ذات قوة بالغة

بالعقيدة ، وحمل تبعه الدعوة إلى سبيل الله بالحسكة والموصظة الحسنة .

ثم يجعل القانون ، في المادة ١٦ منه ، تكوين مجمع البحوث هذا من خمسين عضواً من كبار علماء الإسلام يمثلون جميع المذاهب الإسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطني الجمهورية العربية المتحدة .

ونستطيع هنا أن نقول : إن هذا المجمع للبحوث هو امتداد أو تجديد أو تطوير ، بنسبة كبار العلماء . وجماعة كبار العلماء كان الغرض من إنشائها - وهو غرض لم يتحقق مع الأسف ، شيء منه - كان الغرض من إنشائها هو : أن يعود إليه - أي إلى الأزهر أو تلك الفقهاء المحققون والمحدثون الثقات والمفسرون المطلعون والفقهاء البلغاء والمؤرخون الصادقون وأهل الصلاح والتقوى . ... ليكون للأزهر منها أمثال عز الدين ابن عبد السلام والسراج البلقيني وجلال الدين السيوطي والسبكي وابن هشام والشهاب القرطبي ، وكلهم مصريون ، والإمام الأصفهاني وإبراهيم بن عيسى الأندلسي والإمام الزيلعي وأبو حيان محمد بن يوسف الفريابي وتاج الدين التبريزي وعلاء الدين الخوري والحافظ العراقي والرضي الشاطبي وشيخ الإسلام زكريا

وأن التطور الجديد - أو التطوير - يجب أن يعينه على فهمها أو أن يوجب عليه فهمها وتمسك حقائقها وأسرارها والمشاركة الإيجابية المخلصة فيها . وما نريد أن يكون الأزهريون جميعاً من هذا الطراز ، بل نريد منهم قوة واعية قادرة .

\*\*\*

يخرج الأزهر مطلبين للغة ومشرعين وموظفين ، وسيخرج ، عند إنشاء كلياته الجديدة ، أطباء ومهندسين وزراعيين ، ولكن هذه الطائفة ، من رجال الفكر الديني ، التي عليها أن توجه جماعة المسلمين في العالم كله ، هي ما نرجو أن نراه ثمرة لهذا التطوير ، أو التطور : طبقة تكون ، بفهمها وثقافتها وإخلاصها أهلاً للريادة والقيادة .

ونقول المادة ١٥ من مشروع القانون بتطوير الأزهر إن : « مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية وتقوم بالدراسة في كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسي والمذهبي وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفي كل بيئة ، وبيان الرأي فيها يحدد من مشكلات مذهبية أو اجتاهية تتعلق



يتمنى من صميم قلبه ، كما أتمنى أن يحققها ، أو يمد لها ، التطور أو التطوير : هي أن يكون الأزهر الجديد عاملاً من عوامل التقريب ، وأوشك أن أقول التوحيد ، بين المسلمين ، كما يأمرهم دينهم .

والإسلام ، كما نعلم وقول ، يدعو إلى الأخوة الإنسانية والمصافة بين جميع البشر فكيف بذلك بين أهله ومعتقديه ... ؟

ونحن نعلم أن الأزهر مدونة ثقافية علمية إسلامية ويجب أن يبقى كذلك ، وهو - من هذا الطريق وحده - يستطيع أن يصنع شيئاً كثيراً في سبيل هذه القرى - أو الوحدة - التي نريدها بين المسلمين إذا أخلص وصى ، وأجهد جهده .

وفي الباب الثالث من مشروع القانون لتطوير الأزهر إشارة إلى هذا السبيل كنت أود أن تكون أوفى وأوضح (١) . وهذه المادة تقول إن الأزهر ، بمسؤوليه ، يعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجديدها من الفضول والشوائب ، وآثار التحصب السياسي والمذهبي ، وتجليتها في مظهرها الأصلي الخالص .

تجديد الثقافة الإسلامية من الفضول والشوائب وآثار التحصب السياسي والمذهبي

(١) المادة ٤٥ من المشروع .

الأفشاري والحافظ ابن حجر السقلائي وقاسم بن محمد التوتسي ، (١) .

وهؤلاء العلماء الذين تمنى مشروع إصلاح الأزهر قبل خمسين سنة أن يخرج الأزهر الجديد أندادا لهم ، هؤلاء العلماء مازلتنا نرجو من الأزهر المتطور أن يخرج أندادا لهم من السلفيين المتأبين ، وآخرين شعبانا مجتهدين مستقلين من أمثال ابن القيم وابن تيمية وابن حزم والشيخ محمد عبده والمراغي . وهؤلاء وهؤلاء يرجى أن يكون منهم - كما قال مشروع إصلاح الأزهر قبل خمسين سنة وكما لا زال قول - يرجى أن يكون منهم : « تاج الجامعة الأزهرية ، ومن أهلها أن يكونوا أساطين العلم وحفاظ الشريعة ونصوص لغة القرآن ، لتركب الطائر الواجفة إلى علمهم ، وتهدأ النفوس الراجفة بهديهم وإرشادهم وتطمئن قلوب المؤمنين بقيامهم حفاظا لليقين ، وحراسا على شريعة النبي الأمين » (٢) .

وهناك أمنية أعتقد أن كل مسلم مخلص

(٢١) ص ٤٨ من المصلحة الأميرية سنة ١٩٢٨ من مشروع قانون إصلاح الأزهر ، الذي وضعت في سنة ١٩١٠ ، لجنة من الرحومين : عبد الحالقي باشا نروت وإسماعيل صدقي وصفي باشا زغلول ، والتي كان من ثمرته قانون ١٩١١ للرواف بقانون الشيخ شاكر .

يقول أبو بكر الصيرفي ، الفقيه الشافعي الأصولي : « كانت المعتزلة قد رضوا وموسم حتى أظهر الله أبا الحسن الأشعري فجزم في أقاص السسم . ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار علم ما كانوا عليه من العدد والعدة » (١) .

فإذا رجونا من الأزهر ألا يكون نصيراً لمذهب بعينه من بين المذاهب الإسلامية فيتعصب لها . بل أن يكون محيطاً بها جميعاً متخذاً التقريب بينها سبيلاً للخروج بالمسلمين جميعاً من العصبية المذهبية ثم سبيلاً بعد ذلك للتقريب بينهم . إذا رجونا من الأزهر المتطور أن يفعل ذلك فإنه لا نطلب شططا ، بل نجد لذلك كثيرا من الأسباب القائمة والدراية التاريخية والأسناد الثقافية التي لا تحتاج لغير الإقدام والشجاعة والحيلة معاً . ونجد ، قبل ذلك وفوق ذلك ، أن حاضر المسلمين وبلادهم ومستقبلهم يوجبان ذلك ويحتاجانه . وأما ما كثير من النذر .

### محمود الشرفاوي

(١) ص ٤٩ - ٥٠ من كتابنا « هوبم الفكر الديني » - البيان العربي .

هذا التجريد أو تنقية الثقافة الإسلامية من بقايا التعصب السياسي والمذهبي سبيل يجب أن يسلكه الأزهر وأن يسير فيه بكل جهده وإيمانه وإخلاصه . فبين المسلمين الآن من الفرقة المذهبية ما يثير الحزن والشجن . فإذا تأملنا نشأة هذه المذاهب ، التي كانت من أسباب الفرقة بين المسلمين بدل أن تكون من أسباب التيسر عليهم ، وتأملنا كذلك أسباب السيادة التي سودت بعضها منها على الآخر ، إذا تأملنا نشأتها وجسدها ، في الأكثر ، نشأة طيعية ، كما تنشأ المدارس الفكرية ، ثم كانت السيادة لبعضها لأسباب قد يكون للسياسة والحكم مدخل فيها : « هذه السيادة المقررة ، وهذا الشيع والغلبة على بقية المذاهب لم تكن لتفوق الأولى على الثانية من الوجهة العلمية أو الدقة في الفهم ، بل لذلك أسباب هي إلى الساسية أقرب منها إلى العلم ، ونحن نعرف أيضا أن بعض هذه المذاهب - غير الأربعة - كانت له في يوم من الأيام وفي أزهر العصور من دول الإسلام مثل هذه الغلبة ، وهذا التفوق الذين نجدهما الآن للمذاهب الأربعة ، فقد بقيت السيادة في الذهن وفي الحكم لأصحاب مذهب الاعتزال أكثر من خمسين سنة في زمن الدولة العباسية .

## نظرية التعسف في استعمال الحق للأستاذ أحمد فضلي أبو شنة

- ٣ -

امتناع المحتكر عن بيع ما احتكركه والناس بحاجة إليه حيث يجبر على البيع ويعزى ، وامتناع التاجر من الثمن المسموح حيث يجبر عليه ويعزى ، وامتناع العمال الذين تتوقف عليهم إدارة المصانع الضرورية للدولة كصانع الأسلحة ومواد البناء والأطعمة حيث يجبرون على العمل بأجر المثل وامتناع الطبيب الذي تعين لعلاج مرض معين .

### الأمثلة المترتبة على التعسف :

وحكم التعسف إما التعويض إذا أدى إلى إتلاف مال أو نفس كن حفر في ملكه بحوار حائط جاره فانهدمت ، وإما الإبطال إذا كان في التعاقد كوصية الضار وبيع العينة وإما رفع الضرر كبناء المالك ملاصقا لجاره فسد عليه نوافذ الضوء والهواء (١) وكجباية ضرائب ظالمة ومنع المحتكر ، وإما التعزيز كما في دعاوى التشهير وإما المنع من ممارسة الحق المتعسف في استعماله كما في منع الزوج من السفر بزوجته إذا قصد به إيذاءها والحيلولة على المديان والمفتق المحتمل على المحرمات والطبيب الجامل .

عرفنا أن أنواع التعسف أربعة وأن الثلاثة الأولى منها مبنية على قاعدة سد الذرائع التي تقول إن المشروع إذا أدى إلى محذور كان محظورا والمباح إذا أدى إلى حرام كان حراما .

والرابع كفلك استعمال محذور لما جاوره من عدم الاحتراس ، وبناءا عليه يكون المتعسف في استعمال الحق قد تسبب في أمر محذور فيعتبر متصديا بطريق التسبب : لتقصيره عند استعمال حقه : لقصد الضرر أو بالسعي في حصول مفساد غالبية أو في تحقيق أغراض غير مشروعة أو لمسمم الاحتراس : فيكون مسئولا عن هذا التقصير ، والمسئولية في الأصل الأول والرابع عن قصد ، وفي الثاني والثالث عن التقصير ، ويرتب عليه حكم مرتكب المحذور وهو في كل شيء بحسبه كما يأتي : فلا فرق في حكم الشريعة بين من يأتي بما هو محذور من أول الأمر كالضرب والنصب ومن يأتي بمشروع أدى إلى نتيجة تقصير تتعلق به مسئولية المخالفة .

وبهذا يتبين أن التعسف في استعمال الحق في حكم الفقة هو من الفعل الضار أو الامتناع الضار والعقد المحرم . مثال الامتناع الضار

(١) مرشد الميراث مادة ( ٦١ ) .

لأنهم وجدوها فيه تجمع بين الوضوح والوقار بخلاف القانون اللبناني فإن دجران الفرنسي، واضح هذا القانون استمدها من القوانين الغربية<sup>(١)</sup> ولهذا جاءت فيه ناقصة. ملاحظة: ولكن يلاحظ على القانونين المصري والسوري أنهما قد قصرا أحوال التعسف على الثلاثة الأولى وتركوا التعسف بسبب عدم الاحتراس مع أن معنى التعسف فيها أوضح.

**إثبات التعسف في استعمال الحق أمام القضاء**  
يثبت التعسف أمام القضاء بجميع الطرق المثبتة للحق غير أن تكليفه بتوقف إلى حد كبير على ظروف القضية وعلى عرف الجماعات فقد يكون استعمال الحق تعسفا في بيئة دون أخرى وضرراً في حال دون حال وذلك كرفع صوت المذياع إذا كان في السوق العامة أو في الأحياء الآهلة بالسكان وبين سكان البادية أو الحاضرة.

ولما كان سوء النية والتحايل لتحقيق المفاسد والأضرار هما أكثر أسباب التعسف وجب على القاضي أن تكون له خبرة واسعة بقرائن الأحوال وفقه نافذ بأحوال الناس الاجتماعية ليجمع منها أدلة قصد الإضرار ويكتشف التحايل باستعمال المباحات على

### وفاء النظرية في الفقه الإسلامي ووضوحها

لعلنا تبيننا من العرض السابق أن هذه النظرية غدت مستوعبة لجميع حالات التعسف، وامتد العالم لبنائها على أصول مضبوطة لا اضطراب فيها: فإن مبنى الأصل الأول وهو قصد الدار وإن كان أمراً شخصياً لكن يمكن كشفه بالقرائن الظاهرة والأصل مبنى على مقياس مادي، وهو الموازنة بين المصلحة والمفسدة، والأصل الثالث معياره معرفة النظم الإسلامية: والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكل عمل مأذون فيه يراد به تحقيق غرض يخالف هذه الأنظمة يعتبر من التعسف كمن أهدى ويريد الرشوة، أو اشترى ويريد الربا، أو تطوع للجندي ويريد التجسس على أنظمة الجيش والأصل بنى على عدم الاحتراس من الضرر وهو واضح يكاد يدل على نفسه.

أما القوانين الأجنبية التي يقال عنها إنها تقدمية واقية: فإنها لم تعرف هذه النظرية إلا في هذا العصر ومع هذا فهي فيها ناقصة وعامضة: فالقانون السويسري يبنها على سوء النية وكفى، والقانون الروسي يبنها على مخالفة الأغراض الاجتماعية، والاقتصادية لا غير.

ولهذا أحسن واضعو القانونين المصري والسوري في استمدادهما من الفقه الإسلامي<sup>(٢)</sup>

(١) محاضرة الأستاذ زهدي يكن التي ألقاها في مؤتمر المهامين ببنداد سنة ١٩٥٨.

(٢) المذكورة لإيضاحه لقانون المدنى المصرى مادة ٦٤٥.

بالأجر ليس له أن يعزل نفسه قبل إنهاء ما وكل به (١) كما في السمسار فإنه وكيل بالأجر (٢).

## ٢ - من الخطيب في فسخ الخطبة :

الخطبة وعد بالزواج وإخلاؤه وعد بعذر مشروع وعلى هذا ففسخ الخطبة بسبب جائز للمريض المعدي أو المانع له من المعاشرة الزوجية، ويجزى الزوج عن دفع المهر، والخلاف المستحكم بين الخطيبين أو أسرتهما. وإن كان الفسخ من غير سبب كان الإخلاف للوعد من غير عذر إخلالاً صاراً لأن الناس عادة يملكون بالخطبة ويركنون إليها فينصرف عن الخطبة من يفكر في الزواج منها. فإذا فسخ الخطيب من غير سبب فقد فوت عليها فرص الزواج التي كانت سائحة وشر حولها الثائعات من أسباب الرضا، الأمر الذي يثور النفوس وترتكب بسببه الجرائم لاسيما في هذا الزمن الذي فسدت فيه الأخلاق وكثرت الظنون السيئة فتتدخل بذلك مصلحتها الأساسية التي أعدها الله لها - وإخلاف الوعد إذا ترتبت عليه أمثال هذه المفاسد كان منكراً يجب تغييره ومعصية يستحق فاعلها التميزر عليها.

## تكييف الفسخ بهو سبب :

وعليه فللقاضي أن يعاقب الفاسد لا على مبدأ تمويض الضرر بل على مبدأ التميزر على

الوصول إلى المحرمات والأغراض غير المشروعة. فم هناك حالات نصب الشارع عليها علامات ظاهرة كالطلاق في مرض الموت لأجل الفرار من ميراث الزوجة.

## بعض تطبيقات لبراءة الإرساء في

استعمال الحق :

### ١ - حق الوكيل في عزل نفسه :

الوكالة من العقود غير اللازمة فسل من الوكيل والموكل حق العزل، وبناء على هذا قد يستعمل الوكيل حقه : فيفاجأ الموكل بعزل نفسه في وقت يعجز عن القيام بما وكل فيه أو عن التوكيل به كالمرافعة في قضية قرب موعد نظرها وهي محتاجة إلى دراسة واسعة، وكالقيام بعمل ضروري عاجل والموكل غائب.

وهذا في نظر الفقه تصف في استعمال الحق لأنه إضرار عظيم بالموكل بقصد أو بغير قصد وقد رأينا بأختينة يشترط في عزل أحد الطرفين علم الطرف الآخر منعا من الإضرار لجواز أن يكون الوكيل تصرف لصالح الموكل تصرفات فيها تبعات مالية ولجواز أن يكون هناك أعمال في تركها تفرير بالموكل وإضرار به.

وبناء على هذا فتواعد مذهبه تقضى ببقاء الوكالة وإزام الوكيل بإنجاز ما وكل فيه دفعا للضرر وتأديبه إن فرط على أن الوكيل

(١) باب الهباب لابن راعد للماكي

(٢) فتح القدير ج ٧ - ص ٧٨ .

فإذا وقع الطلاق لغير حاجة كل مبغضة إلى الله ولا سيما إذا كانت الزوجة ذات أولاد منه وكانت فقيرة وقد تبت حياتها على العيش معه. وعند هذا لا تنكر أن الزوج قد يسيء استعمال حقه فيه لما يترتب عليه من الإضرار بالزوجة.

**قال مجمر المنع من إيقاعه بغيره القاضي:**

وبعض الناس يريد أن يتخذ من مبدأ التمسك في استعمال الحق سبيلا إلى المنع من إيقاعه إلا يأذن القاضي، وعندنا أن هذا خطأ لأن إثبات التمسك في الطلاق وإثبات أن الزوج أوقعه من غير حاجة مشروعة تدعو إلى إيقاعه، القضاء لا يستطيع إثباته بطريقة المعروفة ومعايره الصحيحة؛ لأن الكثير من أسباب الرخصة في الطلاق التي شرحنا بعضها خفي: لا يستطيع المسلم ذكره لأن الله تعالى يحب السر على عبادته، وفتح هذا الباب قد يؤدي إلى مصارحة بأشياء هي من السرية والخطورة بحيث يضر الزوجة إعلانها، بل قد يضطر الزوج الذي لا أخلاق له إلى احتمال أسباب كاذبة ضارة بالمرأة ولا يستطيع القضاء الوقوف عليها. وماذا يفعل القاضي إذا قال الزوج إنني أكرهها وإن أمكنتها كل على بغير مضارة. والحق: أن عقدة الزواج عاطفية بناها الله على المودة والالفة فمن الطبيعي في الغالب ألا يترك الزوج زوجته التي أحبها وسكن إليها وأنفق في سبيلها إلا لدواع قد يستتبع المقام

الإتيان بهذا المنكر وهو إخلاف الوعد المستتبع للفساد، والتلاعب بمصالح الناس وأعراضهم؛ لأن التعزير ثابت على كل فعل أو قول فيه إيذاء للسلم بغير حق زجراً للناس من ارتكاب المفاسد والمضار واستصلاحاً لهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده) وهو خطاب لأولياء الأمر وهذا مبدأ إذا عمل به حمل الذين يريدون الخطبة على الإمعان في التروي قبل الإقدام عليها وعلى أن يفرقوا بين العدول عن شراء سلعة تم الوعد بشرائها - وفسخ خطبة فتاة كريمة على نفسها وعلى قومها.

### ٣- من الطلوع:

الطلاق أبغض الحلال إلى الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لكنه مشروع عند الحاجة كعدم صفة الزوجة بل قال بعض الفقهاء بوجوبه حيثئذ: خشية أن تقصد فراشه وتدخل عليه من ليس من أولاده، ولئلا يقع تحت طائلة القسمة الواردة في الديوث الذي لا ينار على حرمة. ومن مواضع الحاجة سوء خلقها في معاملة الزوج أو معاملة الناس، وتضرر الزوج بها في الحياة الزوجية العاطفية لمرض بها أو لعدم انسجامه في الطباع، وتفریطها في حقوق الله وهي لا تعطيه في أدائها حتى لا يماشر امرأة عاصية. ومن الأسباب عقمها إذا لم يستطع أن يتزوج بأكثر من واحدة.

تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم .  
والدليل على أن العدل المشروط في الآية ليس  
هو المحبة التي أخبر الله عنها أنها غير مستطاعة  
قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( اللهم إن هذا  
قسمي فيما أملك فلا تأخذني في ما تملك ولا  
أملك ) يعني ميل القلب .

والتعدد مشروع لحاجات اجتماعية وعاطفية  
لايستطيع بنو الإنسان الاستغناء عنها والذين  
صنعوا التعدد بالقانون والقضاء وقعوا فيه  
من طريق الشر والجريمة : وليس هنا بسط  
أسباب التعدد وإنما لإجمال ما نريد أن نقوله  
هنا ، إن الله العليم بأحوال عباده وما يصلحهم  
شرعه لمصالح اجتماعية سامية . وأقلها عند  
المحافظة على العدل الواجب أنه ارتكاب لأخف  
الضررين وهو المتعة من طريق حلال .

ولهذا لا يمكن أن يثبت من طريق القضاء  
في حق التعدد تصف في استعماله متى تحقق العدل  
الواجب .

نعم : قد يتعدى الناس فيفعلون ما ليس  
مشروعا وهو الزوج مع العجز عن تحقيق  
العدل فإذا شاع ذلك بين الناس ولم تكن  
لهم من ضائرم رقابة على أنفسهم في تنفيذ  
أوامر الدين ساخ للقضاء أن يتدخل فيمنع  
من التعدد كل من يثبت بالأدلة أن حالته  
المالية لا يستطيع معها أن يمون نساءه أو  
يعدل بينهم .  
أحمد فهمي أبو سنة

مهما من المضار ما لا يعلمه إلا الله ويشعر  
الزوج عندئذ أن بيتها جميع لا يطاق .  
والمعروف في الشريعة أن المرأة إذا كرهت  
زوجها كان لها أن تفتدى له من مالها ليفارقها  
كما قالت جميلة امرأة ثابت بن يسار لرسول الله  
صلى الله عليه وسلم : ( إنى أخاف الكفر في  
الإسلام لعدة بغضى إياه ) فإذا يكون الحال  
إذا اشتد بغضه لها ومنعه القاضي من تطليقها  
لأنه لم تقم لديه مبررات للطلاق ولئن كان  
البغض من المبررات عند القاضي فلكل واحد  
من الأزواج أن يديه .

وعليه : فأقل حالات الطلاق عندئذ  
ارتكابا لأخف ضرر . والأحوال القليلة التي  
قد يفسد فيها تقدير الزوج ، المجتمع مضطر  
إلى تحملها إذ لا سبيل إلا هذا .

والذي ينبغي تلافيا وإصلاح المجتمع  
وإشاعة مبادئ الإسلام الصحيحة بين أهله  
بجميع الطرق الممكنة .

#### ٤ - من تعدد الزوجات :

تعدد الزوجات مشروع قطعا إلا عند  
خوف الزوج أن يظلم من في عصمته فعندئذ  
لا يكون حلالا .

والظلم المانع هو الظلم في الإنفاق أو في  
الإقامة عند الزوجة أما المحبة وميل القلب  
فأمره إلى الله وقد بين سبحانه وتعالى أنه  
خارج عن استطاعة البشر . قال تعالى : وولن

# الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٣ -

وكذلك روى أن النبي رفع وبرة من الأرض حين وجوعه من غزاة حنين وقال : ( مالي مما آفاه الله عليكم ولا مثل هذه إلا الخنس ، والخنس مردود عليكم . ) ويروي أن بعض المسلمين سألوا النبي الغنائم ، حتى عدلوا ذابته عن الطريق ، وتملقت سمرة ( شجرة ) بردائه ، فقال النبي : أعطوني ردائي ، فوالذي نفسي بيده لا تجردوني كذبوا ولا بخيلا ، لو كانت غنائمكم مثل سمرة تهامة فيما قسمتها بينكم ، ومالي فيها إلا الخنس ، والخنس مردود عليكم <sup>(١)</sup> .

ولنما قال النبي كلمة ( لي ) لأنه هو الذي سيتولى إنفاقها على وجوه الخير التي أمر الله بها وعلى نفسه وأهله واليتامى والمساكين وابن السبيل .

والحكمة في هذا التوزيع أن هناك مصالح عامة لا بد من تحقيقها ورعايتها ، ولما كانت هذه المصالح عامة للجميع ، والله هو رب الجميع ، قيل إن هناك نصيبا من هذا الخنس لله ،

النوع الثاني من الضرائب في الإسلام هو « خمس الغنيمة » . والغنيمة هي ما أخذه المسلمون من المنقولات في حربهم الكفار هنة ، فيؤخذ من هذه الغنيمة خمسها ، يكون لله تبارك وتعالى ، فيصرف فيما يرضيه من أعمال الخير والبر ، ووجوه الإصلاح والتعمير ، والدعوة إلى الإسلام ، وعمارة الكعبة ؛ وكذلك يأخذ النبي عليه الصلاة والسلام من هذا الخنس ما يكفيه ويكفي نساءه وأقاربه الذين حرمت عليهم الصدقة ، وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، ويأخذ من هذا الخنس المحتاجون من المسلمين ، وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل <sup>(١)</sup> .

والدليل على ذلك هو قول الله تعالى في سورة الأنفال : « واعلموا أنما غنمنا من شيء فإن لله خمسة وقرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم اتقى الجعان واه على كل شيء قدير » .

(١) الأموال ، ص ٣٠٦ .

(١) تفسير للنارج ١٠ ص ٧ .



والأمة ، ليكون خير عوض عن نظام المرباع ، فيرضى نفوسهم من جهة ، ويصلح أمرهم من جهة أخرى ؛ لأن هذا الربيع كان لرئيس القوم وعصبته لا يشركهم فيه غيرهم ، لجاء الإسلام ووسع دائرة الانتفاع به .

يقول الدهلوي : « جعل الله الخنس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه عليه السلام مشغول بأمر الناس لا يتفرغ أن يكتسب لأهله ، فوجب أن تكون نفقته في مال المسلمين ، ولأن النصرة حصلت بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم والرعب الذي أعطاه الله إياه فكان كحاضر الوقعة ، ولأنه القربى لأنهم أكثر الناس حمية للإسلام ، حيث اجتمع فيهم الحمية الدينية إلى الحمية النسبية ، فإنه لا غر لهم إلا بعلو دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ولأن في ذلك تنويرها بأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلك مصلحة راجعة إلى الأمة .

وإذا كان العلماء والقراء يكون توقيهم تنويرها بالملة يجب أن يكون توقيهم ذوى القربى كذلك بالأولى (١) .

\*\*\*

وهناك نوع آخر من المكاسب التي ينغمها المسلمون من أعدائهم ، وهو الربح . وقد جاء أكثر من قول في التفرقة بين

(١) عن كتاب الحجة البالغة .

ثم إن الرسول متفرغ لخدمة الأمة ، ولذلك حق له ولأهله أن يأخذوا ما يكفيهم من هذا الخنس ، وكذلك ذوى قرايته لأنهم لا يأخذون من الصدقات ، ثم إن اليتامى والمساكين وبنى السبيل يحتاجون إلى من يماونهم ويدفع الحاجة عنهم ، فسكفل نصيبهم من هذا الخنس بتحقيق ذلك .

ويرى العلامة ولي الدين الدهلوي أن سهم الرسول يوضع بعده في مصاح المسلمين الأمام فالأمام ، وسهم ذوى القربى في بني هاشم وبنى المطلب جميعا ، وأن الإمام يخير في تعيين المقادير ، ويعطى سهم اليتامى للأولاد الصغار الفقراء الذين فقدوا آباءهم ، وأن سهم الفقراء والمساكين لهم ويفوض كل ذلك إلى الإمام ، يجتهد في الفرض ، وتقسيم الأهم فالأهم ، ويفعل ما أدى إليه اجتنامه (١) .

والأصل في الخنس - كما يقول الدهلوي - أنه كان المرباع ( الربيع ) عادة مستمرة في الجاهلية ، يأخذها رئيس القوم وعصبته ، فتمكن ذلك في علومهم ، وما كانوا يمدون في أنفسهم حرجا منه ، وفيه يقول القائل :

وإن لنا المرباع من كل غارة

تكون بنجد أو بأرض التهام  
فشرع الله تعالى الخنس لمواج الدين

(١) خير للنارج ١٠ ص ١٤ .

ويكون من النية ما يستتبع الغلبة على الأرضين وهو الجزية ، وكذا كل مال يحصل عليه من غير المسلمين بدون قتال . فعنى الغنيمة إذ قد انحصر في أنها المال المنقول الذي يحصل عليه نتيجة الحرب ، أما معنى النية فقد اتسع لما يؤخذ عنوة أو بالصلح ، وقد ورد أن حر هرب بالفعل عن الأرضين بالعين ، وهو مرادف العقار ، وهذه التمرة بين المنقول والعقار هي من اجتهد حر رضى الله عنه ، وثمرة فهمه لكتاب الله وروح الشريعة <sup>(١)</sup> .

ولكن نجد صاحب « تفسير المنار » يقول : « والتحقيق أن الغنيمة في الشرع ما أخذه المسلمون من المنقولات في حرب الكفار عنوة ، وهذه هي التي تمس ، فحسبها الله والرسول كإسائتي تفصيله والباقي للثغامين يقسم بينهم ، وأما النية فهو عند الجمهور ما أخذ من مال الكفار المحاربين بغير قهر الحرب لقوله تعالى : « وما أظأ الله على رسوله منهم فإا أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب » الآية ، وهو لمصالح جمهور المسلمين . وقيل كالغنيمة <sup>(٢)</sup> .

وهذا النية الذي وصل من المشركين هفوا من غير قتال ولا استخدام خيل

« الغنيمة » و « النية » ، فقال الحسن بن صالح : « سمعنا أن الغنيمة ما غلب عليه المسلمون بالقتال حتى يأخذوه عنوة ، وأن النية ما صولحوا عليه » يقول من الجزية والخراج <sup>(٣)</sup> .

ويقول الإمام الشافعى : « الغنيمة هي الموجف عليها بالخيال والركاب ، والنية هو ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب <sup>(٤)</sup> » .

وقال الماوردى : « الغنيمة والنية يفرقان في أن مال النية مأخوذ هفوا ، ومال الغنيمة مأخوذ قهراً <sup>(٥)</sup> » .

وهناك من يرى أن الغنيمة هي الأموال المنقولة التي أخذت من المشركين بالقتال ، والنية هو الأرض أو العقار ، وهو في الأصل أخذ عنوة ثم اتفق عليه ، ويجوز أن يؤخذ بالصلح دون قتال ، يقول الدكتور ضياء الدين الرئيس :

« التعريف الحقيقي للغنيمة أنها الأموال ، أى المنقولات التي أخذت من المشركين بالقتال . والنية هو الأرضون أو العقار ، وهي في الأصل أخذت عنوة ثم اتفق عليها ويجوز أن تؤخذ بالصلح بدون قتال ، وهذا هو أكثر استعمال النية ، أو المقصود به في الأغلب :

(١) الخراج ليعى بن آدم ص ١٧ .

(٢) الإام ، ج ٤ ص ٦٤ .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٢١ .

(١) الخراج في الدعوة الإسلامية ، ص ١١٠ .

(٢) تفسير المنار ، ج ١ ص ٤ .

ومال النبي . يقسم على خمسة أسهم متساوية سهم منها كان رسول الله في حياته ، ينفق منه على نفسه وأزواجه ويصرفه في مصالحه ومصالح المسلمين ، ولما كان الرسول قد مات فقد اختلفوا في نصيبه : لمن يكون ؟ أبومر وورثته فيه مقامه ، أم يسقط بموته ، أم يكون ملكا للإمام بعده بقيامه بأمور الأمة مقام النبي ؟ ...

ويمعني رأي الشافعي هنا وهو أنه يكون مصروفا في مصالح المسلمين ، كأرزاق الجيش وإعداد الكراع ( الخيل ) والسلاح ، وبناء الحصون والقناطر ، وأرزاق النضاة والأئمة وما جرى هذا المنهج من وجوه المصالح ؛ والسهم الثاني سهم ذوي القربى ، ويرى أبو حنيفة أن حقه فيه قد سقط ، ولكن الشافعي يرى أن حقه فيه ثابت بلا تفرقة بين غني وفقير ، والنفس أميل إلى رأى أبي حنيفة ومن وجدناه من هؤلاء محتاجا نستطيع إدعائه في المساكين .

والسهم الثالث لليتيم من أصحاب الحاجات فلا يكفي أن يفقد الولد أباه في الصغر — وهو المسمى باليتيم — ليستحق في هذا السهم بل يضم إلى ذلك حاجته إلى المعونة ، والسهم الرابع للمساكين ، وهم الذين لا يجدون ما يكفهم ، والسهم الخامس لبني السبيل ،

أو وكلبه يؤخذ ليصرف على مصارفه التي أشارت إليها الآية : « ما آتاه الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذو القربى واليتيم والمساكين وابن السبيل » . ويروي أنه لما قرأها عمر رضي الله عنه قال : هذه الآية استوعبت المسلمين .

ولكن الماوردي يرى أن مال النبي يؤخذ منه الخمس . يقول : « إن كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ، ولا بإيجاف خيل ولا ركاب فهو كال الهدنة والجزية وأعطى متاجرم ، أو كان أصلا من جهتهم كال الخراج ، ففيه إذا أخذ منهم أداء الخمس لأهل الخمس مقسوما على خمسة ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه : لا خمس في النبي . ونص الكتاب في خمس النبي . يمنع من مخالفته . قال الله تعالى : « ما آتاه الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذو القربى واليتيم والمساكين وابن السبيل ، فيقسم الخمس على خمسة أسهم متساوية (١) » .

وكما نشاهد لا نجد في الآية نصا على خمس النبي ، ولكننا نجد فيها ذكر لمصارف النبي وهي خمسة مصارف ، فكيف ذهب الماوردي إلى هذا مع أنه جاء في « كليات أبي البقاء » أن النبي « حكمه أن يكون لكافة المسلمين ولا يخصص » .

(١) الأحكام السلطانية ص ١١٤ .

بلغه يعيشون بها ، وأما في يد الأغنياء ودولة لهم ،<sup>(١)</sup> والدولة ما يتداول .  
ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية :  
« أى جعلنا هذه المصارف لمال النية كيلا  
يبقى ما كلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون  
فيها بمحض الشهوات والآراء ، ولا يصرفون  
منه شيئا إلى الفقراء » .<sup>(٢)</sup>

ويقول القرطبي : « فأما النية فقسمة  
وقسمة الخس سواء ، والأمر عند مالك فيهما  
إلى الإمام ، فإن رأى حبسهما لنوازل تنزل  
بالمسلمين فعل ، وإن رأى قسمتهما أو قسمة  
أحدهما قسمة كله بين الناس ، وسوى فيه  
بين عريهم ومولاهم ، ويبدأ بالفقراء من  
رجال ونساء حتى ينفوا » .<sup>(٣)</sup>

إذن هناك حكمة اقتصادية اشتراكية  
تكافئية عظيمة جعلت الإسلام يشرح هذا  
الإصلاح الاقتصادي المحقق لتوازن المادى  
بين أبناء الأمة المؤمنة المتضامنة .

وينبغى أن نعرف الفروق بين « الزكاة »  
وأموال النية والغنيمة ، فالزكاة حق معلوم  
واجب مأخوذ من المسلمين المالكين للثواب  
بينما النية والغنيمة مأخوذان من الكفار  
وأعداء المسلمين .

وهم المسافرون الذين لا يجدون ما ينفقون<sup>(٤)</sup>  
ويجب أن لا تنفى تذكر الحكمة في توزيع  
النية بالصورة السابقة فإن الآية الكريمة  
السابقة قد دلت عليها في آخرها ، فهي بتأمرها  
تقول مع التي قبلها : « وما آفاه الله على رسوله  
منهم فسا أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب  
ولكن الله يسلط رسوله على يفاء والله على  
كل شئ قدير . ما آفاه الله على رسوله من  
أهل القرى فله وللرسول ولذئ القربى  
واليتامى والمساكين وابن السبيل ،  
كى لا يكون دولة بن الأغنياء منكم وما آفاكم  
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وانفوا  
الله إن الله شديد العقاب » .

وقد كان هذا النية من « بنى النصير » وكان  
المسلمون يومئذ قسمين : الأنصار والمهاجرون  
فالأنصار في دورهم وعقارهم ، والمهاجرون  
قد أخرجوا من ديارهم بلا عقار وبلا مال ،  
فأراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يقرب  
ما بين القسمين من فروق وتفاوت ، لجعل  
النية هذا للمهاجرين دون الأنصار لإلراجلين  
من الأنصار كانت بهما حاجة .

وإنما فعل ذلك حتى لا يكون المال مقصورا  
على أيدي الأغنياء ممنوعا عن الفقراء ويقول  
الرازي هنا : « ومعنى الآية : كى لا يكون  
النية الذى حقه أن يعطى للفقراء ليكون لهم

(١) تفسير الرازى ، ج ٨ ، ص ١٣٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣٣٦ .

(٣) تفسير القرطبي ، ج ٢٨ ، ص ١٥٠ .

(٤) المرجع السابق ص ١١٣ .

## بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد أبو شبيب

— ٤ —

أن الاعتداء على العرض محل مباح متى جازت المرأة الثامنة عشرة ، وكانت الموافقة برضاها ، ولا تريب عليها لو ظهرت بين الناس تحمل ثمرة الفاحشة في أحشائها ، أو حملت وليدها من سفاح بين يديها ، (١).

وإنك لتلص هذا للفرق وانحازة الوضوح في موقف الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية من جريمة الزنا ، فالشريعة الإسلامية تعاقب على جريمة الزنا في حد ذاتها سواء

(١) من معاصرة فبهة للسند أحد موافق .

من المقارنات والفرق الدقيقة عناية الشريعة الإسلامية بالجانب الخلق والإنساني بخلاف القوانين الوضعية فإنها قد انفصل الجانب الخلق والإنساني ، ولذلك جاءت بعض القوانين الوضعية مادية عن رعاية الأخلاق الكريمة بل جاءت هادمة لها . ويمجني في هذا المقام كلمة قالها أحد قضاتنا الكبار قال : « إن المشرع الذي وضع أحكامها - أي القوانين - كلن فاجرا ، فقد قتل بغير تصرف عن التشريع الفرنسي أحكاما لا تسير البيئة التي نميش فيها ولا تتفق مع تقاليد بلادنا . فعنده

( بقيه المنشور على صفحة ٩٧٢ )

من قبل - أن يجمعها ولي الأمر ، وأما التي والغنية فلا يجوز لأهلها أن ينفردوا بدفعه إلى مستحقه حتى يتولى ذلك أهل الاجتهاد من الولاية (٢) .

وهكذا ترى كيف تعدد أوعية الضريبة في الإسلام بحق وصل ، وكيف تعدد مصارفها لتعمير وإصلاح .

أحمد الترمذي

(١) انظر الأحكام السلطانية ص ١١١ .

والفرق الثاني أن الزكاة عديدة المصارف فقد نص القرآن الكريم على الجهات التي توزع فيها الزكاة ، فليس في هذه المصارف اجتهاد لمجتهد ، وأما أموال التي والغنية ففي مصارفها ما يتناوله اجتهاد الأئمة ، والفرق الثالث متصل بالفرق السابق ، وهو أن مصارف الزكاة مختلفة عن مصارف التي والغنية في بعض المواطن ، والفرق الرابع أن الزكاة يجوز أن يقوم أصحابها بتوزيعها على مستحقها ، وإن كان الأصل - كما ذكرنا

وإذا خول الزوج المجنى عليه وحده الحق في تحريك الدعوى فإن العقاب حينئذ يتوقف على مزاجه ودرجة تأثره ، والجزاء الطبيعي في نظر هذه التشريعات هو الحكم بالطلاق أو الفقرة .

وغالبية القوانين الوضعية لم تعاقب على كل وطء حرام أى على الفعل باعتباره وذية في حد ذاته ، وإنما تحصل العقاب على الفعل الذى يحصل من شخص متزوج على اعتبار أن فيه انتهاكا لحرمية الزوجية ، ولا تجزئ في الوقت نفسه تحريك الدعوى إلا بناء على شكوى من المجنى عليه الذى له أن يتنازل عن الدعوى في أى حالة كانت عليها فتتقضى بهذا التنازل .

ومن هذه القوانين القانون الفرنسى وهو الذى اعتمدت عليه بعض البلاد الإسلامية التى تأخذ فى أحكامها بالقوانين الوضعية ، ومنها بلادنا المصرية ، فهذا القانون وما استمد منه كقانون المقبولات المصرى يعاقب على الرضا إذا حصل من امرأة متزوجة ، أو من رجل متزوج ، ويفرق بين جريمة الزوج ، وجريمة الزوجة من عدة وجوه : فالجريمة لا تقوم بالنسبة إلى الزوج إلا إذا وقع منه الزنا فى منزل الزوجية ، بخلاف الزوجة فإن الجريمة تقوم إذا وقعت منها فى أى مكان ، وتعاقب الزوجة على الزنا بالحبس لعناية سنتين بينما يعاقب الزوج بالحبس مدة لا تزيد على ستة

وقعت من محسن<sup>(١)</sup> أو غير محسن ، وإن فرقت بين العقوبتين فجلت الرجم للأول ، والجلد للثاني من غير فرق عند بعض الأئمة ، ومع الفرق عند البعض الآخر ، ولم تفرق الشريعة بين حالة الرضا من المزنى بها ، وحالة عدم الرضا ، ولا بين من جاوزت الثامنة عشرة ، ومن دونها كما فعل القانون ، فالمعقوبة لازمة كما أن الشريعة اعتبرت المعقوبة حقا لله تعالى صيانة للجماع عن الفساد ، فليس لولى الأمر أو القاضي التصرف فيها بالتخفيف أو الإعفاء منها أو الزيادة فيها ، وليس للمجنى عليها أو عليه حق التنازل ، لأنها حق الله وهو ما يعبر عنه بحق المجتمع .

أما القوانين الوضعية فأمرها في هذا الباب صعب ، فهناك فئة من القوانين لا تعاقب على الزنا ولو وقع من متزوج أو زوجة وذلك كلقانون الانجليزى ووجهتهم في هذا أنه لا فائدة من معاقبة من لا تردعه مبادئ الأخلاق وأن إثارة المضيق قد ينجم عنها ضرر للأسرة أبلغ مما يترتب للمجتمع<sup>(٢)</sup> ،

(١) شروط الإحسان أن يكون حرا بالنا حلالا مسلما متزوجا امرأة زواجا صحيحا ودخل بها .  
(٢) ما سئلوا به من أنظار مكشوفة فواعد الأخلاق أن تعيد إلا مع أصحاب القطر السلية والنفوس الخيرة ، أما النفوس الشريرة التى تستمرى الجريمة فإن يغيب منها إلا المعقوبة الزاجرة الزاهدة ، ولتستر على الأسرة في مثل هذا عدم للأسرة والمجتمع ما .

من شك في أن ترتب العقوبة على الجريمة ذاتها أصلم للجمع وأدعى إلى تطهيره من هذا المرض الخطير الذي يهدد الأسرة والمجتمع لما فيه من اختلاط الأسباب وانتهاك الأعراض، وإفساد الصحة، ونقل الأمراض ولا سيما التناسلية منها .

٢ - أن الشريعة الإسلامية لا تعتبر رضا المزني بها مبرراً لعدم اعتبار الزنا جريمة وبالتالي لعدم العقوبة بخلاف القوانين الوضعية فإنها اعتبرت الرضا عن زادتها عن الثامنة عشرة نافياً للجريمة، ومعنى هذا جعل التشريع قوماً للأهواء والشهوات كما أن فيه المساعدة على تفشي الانحراف والفساد في المجتمع ، إذ الغالب والكثير أن لا تقع هذه الجريمة إلا بالتراضي وصدق الحق تبارك وتعالى حيث يقول : « ولو أنبغ الحق أهواءهم لفسد السموات والأرض » .

٣ - أن الشريعة الإسلامية تجعل العقوبة من حق الله سبحانه أو بمعنى آخر من حق المجتمع كله، لأن معظم الضرر يعود على المجتمع لا على مرتكب الفاحشة لحسب فن ثم لا يعود للحاكم أو القاضي الإغناء أو التخفيف منها ، ولم يعتبر الشارع الحكيم تنازل المجني عليه أو عليها مغفراً من صفة الجريمة ولا رافقاً للعقوبة لأن ذلك ليس حقاً متحصلاً له يتصرف فيه كما يشاء وإنما هو حق الجاهة ،

أشهر ، والزوج أن ينفو عن الزوجة بعد الحكم النهائي عليها ، وأما الزوجة فلا حق لها إلا في التنازل السابق عن الحكم النهائي وبمضى أيضاً بأن الزوجة التي ذنى زوجها في منزل الزوجية الحق في أن تزني مع غيره ولا تريب عليها في هذا لأنها أمت عملاً يقره القانون ، أما إن وقع الزنا بين غير متزوجين وكان برضا المزني بها وقد جاوزت الثامنة عشرة فلا جريمة فيه وبالتالي فلا عقوبة ، فإن وقع بغير وصاها أو كانت دون الثامنة عشرة فهي جريمة اغتصاب وعقوبتها الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة إلا إذا كان الجاني من أصول المجنى عليها أو متولياً تربيتها أو عن لم سلطة عليها فتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة لا غير (١) .

ومن هذا العرض يتبين لنا سمو التشريعات الإسلامية على القوانين الوضعية وأصالتها في إصلاح المجتمعات ، والحفاظ على الأعراض والحرمان من وجوه .

١ - أن الشريعة الإسلامية تعاقب على الجريمة في حد ذاتها أما القوانين الوضعية فيعصها لا يعاقب عليها قط ، وبعضها يعاقب عليها إذا كان فيها انتهاك حرمة الزوجية وليس

(١) شرح قانون العقوبات للدكتور محمود مصطفى من ٢٣٠ ، ٢٣٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٥ - نهج الشريعة والقانون في تحرير الأحكام المستشار أحمد موفى ص ١ - ٦ .

الفساد والفاحشة في المجتمعات التي لا تحكم بالشرعية ، وأكثر الناس الذين يمسكون من الزنا ، ويستصحبون من الوقوع فيه لا تصرفهم عنه عقوبة الحبس ، وإنما يصرفهم عنه الدين وماله من سلطان على النفوس ، أو الأخلاق الفاضلة التي لم يعرفها أهل الأرض إلا عن طريق الدين ، وهذا هو السر في أن البيئات التي لا يقوى فيها وازع الدين ، أو وازع الأخلاق تكثر فيها الفاحشة ، والاستهانة بالأعراض ، ويكثر فيها تبعاً لذلك الأولاد الغير الشرعيين .

٦ - أن عقوبة الزنا في الشريعة الإسلامية لم تجب ارتجالاً ، ولم توضع اعتباطاً ، وإنما جاءت بعد فهم على صحيح بشؤون الإنسان وعقليته ، وتقدير دقيق لفرائده وميوله ، ووضعت لتحفظ مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فهي عقوبات عليية شرعية ، أما كونها عليية فلأنها وضعت على أساس العلم بالإنفس البشرية ، أما كونها تشريعية ، فلأنها شرعت لمحاربة الجريمة وهذه ميزة تمتاز بها العقوبات التي وضعها التشريع لمجرم الحدود ، وجرائم القصاص ، والدية ونحوها ، ولا تكاد توجد هذه الميزة في عقوبة من العقوبات التي تطبقها القوانين الوضعية ، ولا ريب في أن العقوبة التي تقوم على فهم نفسية المجرم هي العقوبة التي يكتب

( البقية على صفحة ٦٨٢ )

والضرب لا يقع على المجنى عليه بقدر ما يقع على الجماعة كلها وهذا - ولا ريب - أصلح للجمع ، وتطهير له من الخنا والفساد ، والتحليل والزوال .

٤ - أن الشريعة الإسلامية تعتبر زنا الزوج جريمة يستحق عليها العقاب سواء أكلن ذلك في منزل الزوجية أم لا بخلاف القوانين الوضعية فلا تعتبره جريمة إلا إذا كان في منزل الزوجية لا غير ، ومعنى هذا حصر قوانين الجريمة في أصيق حدودها وفتح الأبواب لتحايل على القانون ، إذ لا يعدم الزوج أمكنة أخرى كثيرة لإشباع زوائمه وشهوته ، وبذلك لا ينطبق عليه القانون ، وفي ذلك ما فيه من فتح أبواب الفسق والفساد ، وتضييق أبواب العفة والتحصن ، وصيانة الأعراض .

٥ - أن الشريعة الإسلامية تعاقب على الزنا إما بالجلد أو بالرجم ، وهي عقوبة راجعة رادعة لا علة ، أما القوانين الوضعية فلا تعاقب إلا بالحبس وهي عقوبة لا تؤلم الزاني إلا ما يحمله على الزند في المدة التي يتوقعها وراء الجريمة ، ولا تثير فيه من العوامل النفسية المضادة ما يصرف السوائل النفسية الداعية إلى الجريمة أو كبتها ، وليس من ريب في أن عقوبة الحبس أدت إلى إشاعة



## من معاني القرآن

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى  
عن الفحشاء والمنكر والبغى » [نظمكم لسمكم تذكرون] .  
[قرآن كريم]

فإعطاء ذوي القربى حقهم ، وإبراهيم ،  
والإحسان إليهم في القيمة العالية من مراتب  
العدل والإحسان .

والله يطلب منكم أن تبتعدوا عن القبائح  
الشيعة وكبائر الذنوب فلا تفرطوها ،  
وعما ينكره الدين القويم ، والطبع السليم ،  
والعرف الصالح فلا تقدموا عليه ، وعن  
ارتكاب الظلم ، والوقوع في الإثم بالجور  
والاعتداء على الغير ، والكبرياء وحجب  
الاستعلاء ، فلا تطلعوا إليه فتقعوا فيه ،  
والله فيما يأمركم به ، وفيما ينهاكم عنه ،  
ينصحكم بما فيه خيركم ، ويذكركم بما ينفعكم  
وما يضركم ، لكي تذكروا أوامره ،  
وتستحضروا نواحيه ، وتستشهدوا بهما  
وبأحكامهما في ابتغاء الخير ، واتقاء الشر .

والمأمل في هذه الآية الكريمة مجدها  
- على إيجازها - قد جمعت كل ألوان الفضائل  
في « العدل والإحسان وإيتاء ذي القربى » ،  
وكل ألوان الرذائل في « الفحشاء والمنكر  
والبغى » ، ومن ثم كان ابن مسعود رضي الله  
عنه على الصدق فيما نسب إليه إذ قال : إن أجمع  
آية في القرآن في سورة النحل . ويذكر هذه الآية

من معاني العدل والإنصاف والقصد  
في الأمور ، والمثل والنظير والجزاء والفداء .  
وكلمة الإحسان معناها فعل الحسن  
وإيتاء معناها إعطاء ، والقربى القرباة ،  
والفحشاء هي الفاحشة ، وهي القبيح الشنيع  
من القول أو الفعل ، والمنكر ما لا تسيغه  
العقول القويمة والفطر السليمة .

يعظكم ينصحكم ويذكركم مع النصيح  
بالمواقب ، تذكرون تعظون .

المعنى :

تأكدوا أن الله يأمركم في كل أمر من  
أموركم بالتزام القصد ، وتوخي الحق  
والإنصاف ، فلا تتبعوا الهوى فيما يكون  
بينكم وبين أنفسكم وأهلكم ولا فيما يكون  
بينكم وبين غيركم من الناس .

وهو يأمركم مع العدل بالإحسان والفضل ،  
الإحسان في النية بالإخلاص وسلامة القلب  
والطوية ، والإحسان في القول بالكلمة الطيبة  
وبالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر ، والإحسان في الفعل بإتقانه  
والإجادة فيه ، وابتغاء الخير والصلاح لكم  
ولناس منه ، وإذا كان العدل والإحسان  
إلى الناس مما يطلبه الله ويرغبكم فيه ،

عبد الرحيم فوده

في العدد السابق حصة الآية كالاتي : وأخذتم الربا وقد نهوا عنه إلخ . . . [٥]

من أعلام الساميين في الهند :  
**مولانا أبو الكلام آزاد**  
 للأستاذ عبد المنعم النمر

١٨٨٨ - ١٩٥٨ م

- ٢ -

خلاصة ما نشره ، ولد في مكة من أم مدنية عربية وأب هندي  
 ثم حمله أبوه طفلاً إلى كلكتا وعنى بتربيته تربية دينية فدرس  
 المنهج الذي كان يدرسه طلاب المدارس الدينية ثم قرأ وشتف  
 وتعلم الإنجليزية وزار البلاد العربية وكان نضجه مبكراً فاتجه  
 لخدمة الدين والوطن عن طريق القلم فأشأ مجلته « الهلال » لتعبر  
 عن رأيه سنة ١٩١٢ .

مقداره ألفاً روية فدفسه وفوت على  
 الحكومة هدفها ولكنها - كأي حكومة  
 مستعمرة مستبدة - لم تلق السلاح وسارت  
 في طريقها تضيق على هذه النجاة الخناق لتتقضى  
 عليها ، يقول مولانا آزاد في مذكراته : -

« ولكنها سرعان ما طلبت عشرة آلاف  
 روية أخرى فدفستها حتى أحول بينها وبين  
 ما تريد ، وقامت الحرب العالمية الأولى  
 سنة ١٩١٤ م فطالبني الحكومة بتخفيف  
 حدي ، وأرادت أخذ تعهد على بذلك ،  
 فأبيت ، فصدرت « الهلال » ومطبعها  
 سنة ١٩١٥ م ، ولكن بعد أربعة أشهر  
 أصدرت مجلة أخرى باسم « البلاغ »  
 وأنشأت لها مطبعة سميت باسمها وذلك في  
 نوفمبر سنة ١٩١٥ ، فأيقنت الحكومة إنها

كانت مغالاة في الهلال كالمصاعقة تنقض  
 على دوس الإنجليز ومشايعهم من المسلمين ،  
 ولا سيما جماعة « هليكرة » التي تأثرت  
 بسياسة السيد أحمد خان في وجوب ولاء  
 المسلمين لتياج البريطانى ، فما أن وجهت  
 « الهلال » دعوتها الجديدة وتضاعفت  
 شهرتها ، وزاد انتشارها حتى شمرت هذه  
 الجماعة أن زحمتها في خطر ، وكلما عاقت  
 « الهلال » الإعادة القديمة ، كلما ازداد  
 المسلمون إقبالاً عليها حتى بلغ انتشارها ورقم  
 توزيعها ٢٦ ألفاً ، وهذا رقم لم تعده  
 الصحافة الأوروبية من قبل .

أما الحكومة فقد اضطربت بدورها ،  
 وأخذت تلجأ إلى الطرق المستورة للقضاء على  
 « الهلال » ، فطلبت من « مولانا آزاد » ضماناً

لقد أحدث هذا الكاتب والصحن الشاب تأثيراً عظيماً في الأوساط الإسلامية المثقفة ، ووجه الجيل الناشئ المتحمس لقضايا البلاد الإسلامية ، ولم يكن هناك تعارض مطلقاً بين الإسلام والمطالع على البلاد الإسلامية وبين الوطنية الهندية ، مما ساعد على تقريب المصبة الإسلامية للوئمة الهندى الوطنى ، وكان « آزاد » نفسه قد انضم للمصبة - وهو بعد صبي - فى جلستها الأولى سنة ١٩٠٦ م . ولم يكن ممثلاً للسلطات البريطانية راضين « عن الحلال » ، ولذلك طلبوا منها أن تقدم ضمانات ، ثم لم يلبثوا أن صادروها فأنشأ بدلها صحيفة البلاغ ولكنها توقفت كذلك عندما بجمته الحكومة ، ومك فى السجن أربع سنوات ، وعندما خرج من بجمته احتل مكانه فوراً بين زعماء المؤتمر الوطنى ، وهو منذ ذلك الحين يحتل أرفع المناصب التنفيذية فى المؤتمر ، ويصبر رغم حداثة سنه من كبار أعضائه الذين تقدر مشورتهم أعظم التقدير فى الأمور الوطنية والسياسية والمسائل الطائفية ، ومشا كل الأقليات لقد خرج من السجن بعد أربع سنوات قضائها بين جدرانها ، وكأنه اتخذ من ظلمته وبرودته نورا ونارا ... نورا يضىء له طريق الحقيقة فى جهاده وتاراً تلهب عزمه ويلبب بها قسوس مواطنيه لينتفضوا على الاستعمار ويأتوا عليه ..

لن تتمكن من إيقاف نشاطى باسم قانون المطابع فقط ، فلبجات إلى قوانين الدفاع الهندية ، وأخرجتنى من « كلكتا » فى أبريل سنة ١٩١٦ فلم أجد مكاناً أذهب إليه إلا مدينة « راننى » فى ولاية « بهار » لأن الولايات الأخرى قد منعت التصريح لى بدخولها والإقامة فيها ومع ذلك لم تركنى الحكومة فقد قبضت على بعد ستة أشهر وبعيت مستقلاً حتى الحادى والثلاثين من ديسمبر سنة ١٩١٩ (١) .

وقد تحدث الزعيم الهندى « نهرو » عن هذه الفترة من حياة مولانا آزاد فى كتابه « من السجن إلى الزباسة » ، قال (٢) :

« كان شاباً أليماً ، اشتهر وهو فى العقد الثانى من عمره بمعرفة العميقة بالفتن العربية والفارسية إلى جانب إلمامه بمحاضر الصالم الإسلامى وبالحرركات الإصلاحية التى كانت آخذة بجراها فيه ، وبالتطورات الأوربية .

« ولقد تكلم أبو الكلام بلفة جديدة فى صحيفته الأسبوعية « الحلال » ولم تكن جديدة فى الفكر والنظرة لحسب ، بل إن تركيبها كان مختلفاً ، ذلك أن أسلوب « آزاد » كان رجولياً وشديداً ، وكان مؤثراً وقاطعاً .

(١) من مذكراته للنشورة فى مجلة صحافة الهند عدد سبتمبر سنة ١٩٥٨ للترجمة من كتاب « الهند تلوز بحريتها » .

(٢) ص ٢٤١ وما بعدها باختصار .

تقيمها الحكومة له .

وقد اتخذت الحكومة عدة قوانين وإجراءات مشددة للقضاء على حركة المقاطعة وبدأت بتنفيذ هذه الإجراءات في كلكتا ، لقرب زيارة ولي العهد لها ، ولأنها مدينة كبيرة شبه أوربية لكثرة الأوربيين فيها ، فهب مولانا آزاد وأعلن بياناً على الشعب حبه فيها على نبد هذه القوانين الجائرة والإقبال على السجون أفواجا وقرر الأمور الآتية : (١)

١ - أن الخضر لمثل هذه الأحكام معناه النزول عن الحقوق المدنية والإنسانية وليس للحكومة أن تمنع الاجتماعات السلية والأعمال الوطنية المجازة . وإتانا إذا خضنا لها خوفاً من الحبس والإهانة فإننا نكون بمرمين أمام ضمائرنا ، وأمام الإنسانية ، وليس أمام عبي الحرية إلا أن يصوها ويوطنوا أنفسهم على احتمال جميع المصائب التي تصبها الحكومة فوق رؤوسهم دون أن يخضعوا لها طرفة عين .

٢ - يجب أن يوسع نطاق التطوع وأن يثبت المتطوعون في كل شارع وزقاق معلنين مقاطعة الزيادة الملكية .

٣ - تعقد المجالس والمحافل في جميع الأماكن العامة وكل من يذهب إليها يسلم نفسه للسلطة إذا أرادت القبض عليه ...

٤ - كل من يقبض عليه يقطع الحاكم

(١) ثورة الهند السياسية ص ٢ - ٨ .

خرج ليواصل جهاده بعزم حديد ويخوض معركة اللاتعاون ، متأثراً بالروح الإسلامية التي توجب على المسلمين ترك موالاة الأعداء والتعاون معهم ، ويلتقي في ذلك مع جمعية علماء الهند وجمعية الخلافة وحزب المؤتمر الهندي ، وغاندي . . . حيث يضم الجميع ميدان العمل الواسع من أجل الوطن .

وعند ما ظهر لنائب الملك في الهند لورد ريدنج ، أن البلاد مقبلة على حركة اللاتعاون تفتق ذهنه عن حيلة لإحباط هذه الحركة وهي قيام ولي عهد انجلترا بسياحة في البلاد ظناً منه أن الأهالي سوف لا تمتنع عن مقابلته والحفاوة به ، لأن المائة المالكه فوق المنازعات والخلافات السياسية وحينئذ تضعف الحركة وتفشل وتعود المياه إلى مجاريها ... وكانت مقامرة من نائب الملك ظن أنه سيكسب فيها ولكنه تبين له حين بدأ ولي العهد في هذه الزيارة أنه خسر ما خسر معها سمته واحترام منصبه ، وكان لمولانا آزاد جهوده المنتظرة منه في مقاطعة البلاد لهذه الزيارة . .

لقد أعلنت جمعية الخلافة وجمعية علماء الهند - وكان لمولانا آزاد مشاركة وزعامة فيهما - أعلنتا أن هذه السياحة تنوب عن الامبراطورية البريطانية التي تحارب الخلافة والبلاد الإسلامية وتريد استعبادها واستعمارها فلا يجوز لأحد من المسلمين أن يشترك في استقبال ولي العهد ولا في الاحتفالات التي

الإيمان سلاح الإيمان ليجابه القوة الجارحة المستبدة ويقول لها - أمام محكمة - إنك ظالمة ، وأنا ظالم إن لم أقل لك إنك ظالمة ، وقد أجبني تعليق فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ أحمد حسن الباقوري على هذه المرافعة الخالدة وتحليله لموقف مولانا آزاد في كلمته التي ألقاها لينقيا نابعا عن الجمهورية العربية المتحدة في احتفال الهند بميلاد مولانا آزاد ولكن الموت كان أسرع إليه من الاحتفال بميلاده . وقد نشرت هذه الكلمة بعد ذلك في مجلة ثقافة الهند عدد سبتمبر ١٩٥٨ . فكان مما جاء فيها : « وتظهر عظيمة آزاد ويتجلى لإيمانه الوثيق بالله وفهمه الصحيح للإسلام حين قدمه الانجليز للمحاكمة بتهمة التحريض على الثورة وجمعوا لذلك أدلة الاتهام من خطبتين كان قد ألقاهما في مدينة « كلكتا » يدعو المسلمين خاصة والهنود عامة إلى العصيان المدني ، كان ذلك أو آخر عام ١٩٢٢ ، وأزاد في بغية من شباب يحرص المهرص عليها شد الحرص ويضرب بها أن تنهب في مجال الحياة الجافية المظلمة ولو وقف آزاد هذا الموقف قبل ذلك بسنوات لقننا إنها فورة الشباب ، ولو وقف هذا الموقف بعد ذلك بسنوات لقننا إنه يأس الشيخوخة حمله على أن يخرج من الحياة من هذا الباب في صورة بطل من أبطال التاريخ ولكن شاء القدر أن يتخير لأزاد هذا الموقف بالذات في هذا النور من

مقاطعة تامة في القول والعمل لأن الحكومة التي تنوب عنها الحاكم جائرة ومقاطعتها واجبة . - تتوقف هزيمة الحكومة على العدد الذي يدخل منا السجون ، فلنهرول إليها ذواقات ذواقات حتى تنصب الحكومة من حبسنا ولا تقب نحن من الإقدام عليه ... وقد استجاب الشعب في كلكتا لدعوة مولانا آزاد دون خوف من القوانين المشددة التي أعلنتها الحكومة حتى كانت تعتقل ألف متطوع كل يوم .

وضاقت الحكومة ذمعا بما يجري في غير كلكتا كذلك فطبقت هذه القوانين في كل البلاد ، ولما لم تجد لها أثرا إلا ازدياد حركة المقاطعة واستتار الشعب بالحكومة وقوانينها وبهجتها أقدمت على اعتقال الرعاه ظنا منها أن ذلك سيفتح في عضد الشعب ويقضي على الحركة .

فاعتقلت مولانا آزاد في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢١ وقدمته إلى المحاكمة أمام محكمة إنجليزية ، وأمام هذه المحكمة ألقى أروع مرافعة وأجراها وأخطبها على مر الزمن ، صورة نادرة من المظهر بكلمة الحق أمام السلطان الجا ركا أوصى بها الإسلام وكما قالها هذا الرجل المجاهد النادر المثال . صورة يجب أن يعرفها بل يحفظها كل إنسان ولا سيما الشباب ليعرفوا مدى تأثير العقيدة في الإنسان ، وكيف ترفعه إلى مرتبة القديسين حين يقف وهو أعزل

ولمالك - أخى القارىء - بعد هذا في شوق إلى أن تقرأ شيئاً مما ألفاه مولانا آزاد في ساحة المحسنة لتزى إلى أى مدى وصل في الإيمان بالحق وحسم المبالاة بالظلمة الظالمين .

موعدنا معك في المقال الآتى إن شاء الله .

عبد المنعم النمر

حياته ليثبت في سجل الإنسانية آية من آيات السموات البشري ، ومثلاً من أمثلة الإنسانية الرفيعة في الإيمان بالحق والقيام في وجه الظالمين الطغاة .

و تدور المعركة في ساحة المحسنة فيشهد التاريخ أنصف معركة وأعجبها ، يسجل فيها آزاد ، نصراً حاسماً للإنسانية ، به يتقرر مصيرها ويتحدد موقفها لأجيال عديدة مقبلة ،

( بقية المنشور على صفحة ٦٧٦ )

الإسلامية كلها أن تأخذ بالتشريعات الإسلامية ككل لا يتجزأ ، ولا سيما وقد أفلست القوانين الوضعية في عارية الرذيلة والنقض على الفساد في أقطار الغرب والشرق على السواء ، وإن كانت بلاد الشرق الإسلامي لا تزال أحسن حالا من بلاد الغرب فيما يتصل بالأعراض ، والمحافظة على الأنساب وذلك لأنها مهما أخذت بتقاليد الغرب ونظمه فلا تزال فيها بقايا من خلق ومن حياة ، وذلك بفضل ما بقي لها من دين قويم ، ومبادئ موروثة كريهة ، لا يزال يستنعم بها كثير من الناس في هذه الأقطار .

هذا وقد طال الحديث اليوم فلنرجى الكلام من رعاية الشريعة للجانب الانساني إلى مقال آت إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شريفة

لها النجاح ؛ لأنها تحارب الإجرام في نفس المرد وتحفظ مصلحة الجماعة ثم هي بعد ذلك أحدل العقوبات لأنها لا تظلم المجرم ولا تحمله مالا يطبق في سبيل الجماعة ، وهي عادلة أيضاً بالنسبة للجماعة لأنها تحفظ للجميع حقه ولا تضحي به في سبيل الأفراد والعقوبة التي تحاقب الأفراد على حساب الجماعة إنما تضيق مصلحة الفرد والجماعة معا لأنها تؤدي إلى ازدياد الجرائم واختلال الأمن ، ثم توهين النظام وانحلال المجتمع . وإذا دب الاحلال في مجتمع ففل على الأفراد وعلى المجتمع العفا . (١) وهكذا يتبين لنا بعد المقارنة والموازنة سمو التشريعات الإسلامية وعذالتها ودقتها والفرق الكبير بينها وبين القوانين الوضعية ، وأن الواجب على الأمم

(١) التعرير الجنائي الإسلامي مقارنة بالقانون

الوضعي ١٩٣٦ ، ١٩٤٦ .

# التَّفَاوُلُ وَالتَّشَاوُمُ

للأستاذ محمد محمد الشراوى

في غير مطمع .. ومثل هذا لا يعرض صاحبه  
للؤاخذة الدينية .. لأنه من القطرة ..  
ولكن إذا صار عقيدة جازمة .. تصدر  
عنها الأفعال إيجابا وسلبا .. فهذا تكون  
الخطيئة .. وهنا يتوجه التهديد الشديد الذي  
يشتمل في توريد كلمة الشرك فلا تلتصق على مسامع  
قوم حديثي عهد بجاهلية .. كانوا يرون التأثير  
في الأشياء مع الله لغير الله .. وعلى المسلم  
الصادق .. أن يكافح تلك الأوهام الكاذبة  
بالتوكل على الله في صدق وحق وإيجابية ،  
وأن يردده اللهاء المأثور الذي أوصى  
به الرسول صلى الله عليه وسلم حين يستعبد به  
شؤم موهوم ، أو وسوسة عادية . روى  
أحمد وأبو داود : « ذكرت الطيرة عند النبي  
صلى الله عليه وسلم فقال : أحسنها الفأل ،  
ولا ترد مسلما .. فإذا رأى أحدا ما يكره  
فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ،  
ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول  
ولا قوة إلا بك » .

فمقيدة المسلم ينبغي أن تصان عن هذا  
اللغو الذي توارثته العقول الساذجة أن هناك  
أحرا لا تنسجها الصدقة المحمّنة ، ويفضى إليها

.. لا التفاؤل - ولا التشاؤم - حين تنفعل  
به نفس صاحبه - بمنزلة من واقع المقادير -  
حين كانت وحين تكون شيئا .. فقد ارتبطت  
الأسباب بمسبباتها في أحوالها العادية .. ديناً ،  
ودنيا ، وعقلا ونقلا ، وسمعا وطبعا ، ..  
وعلى المرء أن يأتى البيوت من أبوابها ..  
دون أن يتأثر - في مجريات الأمور - بما يخرج  
عن دائرة الأسباب ، .. ومن اعتقد  
أن للأسباب معوقات من دون قدرة الله تعالى ..  
بما يتعكس في الخيال .. من صدفة مقارنة ،  
أو ندرة عابرة .. أو جزم بأن طالع اليمين ،  
ونجم السمود يحالفان عمله كلما تعرض لرؤى  
طيبة ، أو اكتنفت ظروفه وقائع مستحسنة ..  
فقد طوى قلبه على أفكار جاهلية غاطسة ،  
تدنيه من حماة الشرك ، وقباهده عن شاطئ  
الإيمان الصحيح . روى أبو داود عن عبد الله  
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أنه قال : « الطيرة شرك .. الطيرة شرك ..  
الطيرة شرك .. وما منا إلا .. ، ولكن الله  
يذهب بالتوكل » .

.. أى إن كل فرد هدف لتلاعب الأوهام  
به .. قهره في غير مرعب ، أو تطمعه

العلمة والمحلون المقلين الذي لا يتصور في العقل  
اتفكا كهما .. الأمر الذي يتنافى مع توحيد الله  
وجودا وتأثيرا ، وإيجادا وتديرا ..

فالتحوط وفق التأثير عن غير الله كلاهما  
قدرته ويتضح هذا بما رواه مسلم : « أنه كان  
في وفد ثقيف رجل مجنون فأرسل إليه النبي  
صلى الله عليه وسلم : « إنا قد بايعناك فارجع .. »  
مع ما روى عنه صلى الله عليه وسلم : « أنه  
أجلس مجنونا يأكل بحواره وقال له : كل ثقة  
بالله ، وتوكلا عليه .. »

لحديث المبائة يرشد إلى التحصن والمحيطه  
في الأمور كلها احتراما للأسباب ، ودعما لبليلة  
الآل باب ، وحديث المجاورة يضع النقط  
فوق الحروف ، ويبين أن الله - لا غيره -  
هو النصار النافع .

أما الطيرة : فهي توقع المكروه والشر  
لتغير ما سبب ظاهر .. سوى عمل الصدقة .

والهامية طير أو هي اليوم كانوا يتشاءمون  
منه إذا هبط في مكان ، ويرون فيه نذير  
البؤس والحراب .

والصفر : هو شهر صفر كانوا يحملونه عاما ،  
ويحرمونه عاما .

ومن مزاعمهم الزائفة : القول .. وفي رأيهم  
أنه نوع من الجن يتراعى للناس في صود  
شق فيضلمهم ويهلكهم .. والنوء .. وهو  
نجم يأتي بالمطر ، وآخر بالريح .. وهكذا .  
وقد حمل الإسلام حملة شعواء على تلك

الاتفاق المجرد .. يكون لما أثر في نفع مرتضى ،  
أو ضرر متقى ، ومثل هذا لا يخرج عن كونه  
خرافة يمجها العقل القويم ، وينبذ عنها المنطق  
المستقيم ، ونأياها أصول الدين المقررة ،  
وقواعده المحكمة .

ولقد جاء الإسلام فوجد سوق الدجل  
رائجة بتلك السلع النافية ، فسلط عليها نور  
الحكمة ، فكشف خباياها ، وفضح أمرها ..  
فتبدد ضبابها تحت إشراقه الباهرة ، وتهاوت  
هياكلها أمام حجة القاهرة ، .. فن ذلك  
أن الرجل كان إذا أراد سفرا .. أو غيره  
يخرج إلى طير .. أو طباء .. فزجرها .

فإن طارت يمينا تبشئ واستبشر ، وإن طارت  
شمالا تشأم وتكدر ، فهاهم الشرح عن ذلك ..  
وفي هذا أخرج البخاري عن أبي هريرة  
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :  
« لا هدوى ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر ،  
وفر من المجذوم كما تفر من الأسد .. »

والعدوى .. سريان المرض من صاحبه  
إلى غيره .. والمضى : لا مرض يعدى بطبعه  
من غير فعل الله تعالى .. كما كانت تصور  
أوهام الجاهلية ، ولا منافاة بين صدر الحديث ..  
وبين عجزه الذي يدعو إلى الفراد من المجذوم  
خشية المرض لأن هذا احتياط بتقدير  
من الله تعالى .. خوفا من التورط في عقيدة  
مؤداهما : أن العدوى مؤثرة بنفسها على طريق



فياضنا بمعاني الرجاء حتى تظل حيوية الروحانية دافئة لا يمتريها زمن ولا ضعف .

وذلك حين تنعكس على مرآة النفس ألوان ممتعة تشكل جزءاً من طبيعة الأشياء .. ولهذا نحمد الرسول صلى الله عليه وسلم يسائر أحرارياً تملكه التشاؤم من كل أخطاره ، ويدعوه إلى تغيير أوضاعه ، ليعود نور الأمان إلى حنايا أضلعه .. روى أبو داود بسند صالح أن رجلاً قال يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها عددنا ، وكثير فيها أموالنا ، فتحولنا إلى دار أخرى .. فنزل فيها عددنا ، وقلت فيها أموالنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروها ذمية .

ولم يكن هذا التوجيه من الرسول إلا اختصاراً لطريق العلاج النفسي من غير ما مأسس بعقيدة القضاء والتوكل الأساس . وهذا يفسر لنا جواب الإمام مالك رضي الله عنه حين سئل عن شؤم الدار فقال : « كم من دار سكنها ناس فهلكوا ثم سكنها آخرون فهلكوا » .

ويبقى ضوءاً على ما أخرج به أبو داود والترمذي عن بريدة رضي الله عنه قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث رجلاً سأل عن اسمه .. فإذا أعجبه فرح به ، ورؤى بشر ذلك في وجهه ،

الرواسب البالية .. والظنون الطائشة .. التي لا تبقى من الحق شيئاً .

نعم إذا وجدت أسباب الشر ، وتقدمت عوامل التحسن .. كان ذلك دليلاً على النتيجة المشتومة .. كما أنه إذا توافرت وسائل الخير ، وبشائر السعد .. أدى هذا إلى النتيجة الميمونة .. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، وهذا يعطينا التفسير الصحيح لما رواه ابن عمر عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا عدرى ولا طيرة ، وإنما الشؤم في ثلاث . في الفرس ، والمرأة ، والدار » .

فقد قالوا : إن شؤم الفرس جموحها ، وعدم اقيادها .. أو عدم الجهاد عليها ونحوه .. وهذا - كما ترى - مرجعه إلى تقصير في الترويض ، أو تبطل في الواجب ، وأن الشؤم في المرأة سوء خلقها .. أو ثقل مهرها ، أو عقمها ، وهو شؤم له من الأسباب ما يعرده ، وأن شؤم الدار في حقيقتها أو سوء جيرانها ، أو وداعة مراقبها .. أو نحو ذلك مما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه .

ومع أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد نفى نقياً باتاماً انشغلت عليه قلوب الجاهليين من عقيدة التأثير من جانب التشاؤم نجده يحرص كل الحرص على سلامة الشعور الوجداني في سريرة المسلم .. كما يبقى دائماً مشرقاً بنور الأمل ..

يتوب إلى إرشاد الرسول . . ولكنه تصلب  
وتحزن . . حتى صارت الشدة والخشونة  
في طبعه . . ثم في نسله . . بيد أنها كانت  
في سعيد بن المسيب تشدد الحق وفي الحق .

ومن هذا القبيل ما رواه مسلم عن ابن عمر  
قال : « إن ابنة عمر كانت تسمى عامية . .  
فسمها الرسول جميلة ، وما رواه أبو داود  
عن أسامة بن أخطري أن رجلاً يسمى أصرم  
كان في نفر الذين أتوا رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال له ما اسمك ؟ فقال : أصرم  
قال : « بل أنت زرة » والزرة اسم من  
الزروع وهو أطيب لفظاً ، وألطف معنى  
من أصرم الذي ينهى بالقطع والبر .

وما رواه الثلاثة عن ابن عباس قال :  
« كانت أم المؤمنين جيرة وضي الله عنها  
اسمها برة . . فسمها الرسول جيرة وكان  
يكره أن يقال : خرج من عند برة ، أي لما  
يخرج من الخروج من معنى البر .

وهكذا نجد الرسول في أكثر من موقف  
يحب الفأل الحسن ويشجع التفاؤل من أوسع  
أبوابه ، وأقرب أسبابه فيؤثر الأسماء ذات  
الأنس والبهجة ، والمعاني صاحبة العين  
والبركة . حتى تشمل القلوب بمحاني الخير  
والبر . بقدر ما توارى عنها أشباح الاتراح .  
وهذا هو ما حدا بالرسول صلى الله عليه  
وسلم إلى استبدال أسماء العاص ، وعتلة ،

وإن كره اسمه ورؤى ذلك في وجهه ، وإذا  
دخل قرية سأل عن اسمها ، فإن أعجب فرح بها  
ورؤى بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمها  
رؤى ذلك في وجهه .

فمن هذه الزاوية الوجدانية في حياة النفس  
يعالج النبي معنوية المسلم ، ويرفعها من سفاسف  
الآخيلة الكواذب ، والآوهام الموائم . .  
إلى معالي الحقائق التي يستند واقفها على العلم  
والعمل مع العناية بحسبها المرحف وشعورها  
التيقظ . . فقد أعطاهما حقهما من حسن  
التأثير ، وجمال الانعكاس . . روى  
البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن  
جده أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
وجلس فقال : « ما اسمك قال : حزن . . قال :  
بل أنت سهل . فقال : لا أعير اسماً سماه  
أبي » قال ابن المسيب : فما زالت الشدة  
والخزونة فينا بعده

والحزن : ضد السهل ، وهو ما غلظ  
من الأرض ، نجد سعيد وهو حزن بن أبي  
وهب القحشي المخزومي ناقش الرسول  
في صراحة تامة فيما ذهب إليه من إثارة حسن  
الأسماء وكانت وجهة نظر جد سعيد أن  
للسألة جانباً آخر يشعر بهذا التيمن في  
رواية أحمد وأبي داود أنه قال للرسول :  
« . . لا . . السهل يوطأ ويمتن . . ومهما  
يكن من أمر فأويله قد كان الأخرى به أن

أمان في تلك الثغرة المنامية . ويتلخص هذا الصيام في أمرين : أحدهما إيجابي ، والآخر سلبى فأما الإيجابي . فهو أقوال وأذكار يرددها النائم حين تفرغه الرؤيا وأما السلبى فهو الكف عن حكاية ما يترامى له في النوم من صور مزعجة ، وأحوال بغيضة . روى الأربعة عن أبي قتادة رضى الله عنه قال : كنت أرى الرؤيا فتعرضنى . حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الرؤيا الصالحة من الله . فإذا رأى أحدكم ما يجب فلا يحدث بها إلا من يحب ، وإن رأى ما يكره فليبتل عن يساره ثلاثاً ، وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها ، ولا يحدث بها أحداً . فإنها لن تضره ، وفي رواية : فليبتل عن يساره ثلاثاً وليقل : اللهم إني أسألك خيراً وخيراً ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها . . وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال يا رسول الله . رأيت في المنام كأن رأسى ضرب فتدحرج ، فاشتددت على أثره . فقال عليه الصلاة والسلام : لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك . .

وذكرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : . أحسنها الفأل . . ولا ترد مسلماً . فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات

وشيطان ، وغراب ، وحباب ، وشهاب ... بأضدادها ، وقد سمي حرباً ، وسلماً ، والمضجع والمنبت ، وأطلق اسم خضرة على أرض كانت تسمى عفرة ، وشعب الهدى على مكان يعرف بشعب الضلالة ، وبني الرشد على قوم يعرفون ببني الزينة ، وبني مغرية . يروى الثلاثة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا طيرة وخيرها الفأل ، قيل : يا رسول الله . . وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسميها أحدكم ، وفي رواية : لا طيرة ، ويعني الفأل الصالح : الكلمة الحسنة ، والفأل ضد الطيرة وتستعمل في الخير والشر ، والمعنى لا تطير ثابت . . ولكنى أحب أن أسمع الكلمة الصالحة نحو يا سالم . يا عاتم . يا منصور . يا ناصر . .

ولم يدع الإسلام منفذاً يطل منه التشاؤم بشبهه . المعتم إلا ألقى عليه ستاراً كثيفاً من حسن الظن بالله ، وثقة المرء بنفسه ، وقوة اعتياده بعد الله على عمله وكفاحه ، وفور بذلك اليقين والنجاح والأمل ، ولعل الزوى والأحلام التي يراها النائم في المنام تلعب دوراً كبيراً ، وخطيراً فيما يتتاب الإنسان من أوضاع نفسية حسنة أو سيئة ولم يترك الإسلام تيارات النفس والحداع الضارة أن تسترق الخطى في غفلة اللا شعور إلى صدر المسلم . بل بادد إلى وضع صمام

وإنما هو تكلف يتعاطى ما لا أصل له . . .  
إذ لا نطق للطير ، ولا تمييز حتى يستدل  
بفعله على مضمون معنى فيه ، وطلب العلم  
من غير مظانه جهل من فاعله .

ولم يكن العرب وحدهم هم الذين تورطوا  
في هذا اخق العقل ، والسفه العفائدي ، بل  
نجد المعم أيضا قد شاعت فيهم تلك السفافات  
الفكرية ، فن ذلك : أن أحدهم كان إذا رأى  
الصبي ذاهبا إلى المعلم تشام ، وإذا رآه واجعا  
تيمن . أو رأى رجلا موقرا حلا تشام ،  
وإن رآه واضعا حمله تيمن ، إلى غير ذلك  
من نزعات وأباطيل تحالف على بها الجهل  
والسذاجة . . . لجاء الشرع الحكيم وحرر  
الأفكار من هذا الإسار ، وحقق إصلاحا  
جذريا في العقائد ، وقرر . « أن من تمكن  
أو رده عن سفر تطير فليس منا » كما نطق  
الحديث الشريف ، قال الحنفي : « وإنما كان  
صلى الله عليه وسلم يعجبه النقال ؛ لأن التشاؤم  
سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق والتفاؤل  
حسن ظن به ، والمؤمن مأمور بحسن الظن  
بالله تعالى على كل حال .

وقال الطيبي : « معنى الترخص في النقال ،  
والمنع من الطيرة أن الشخص لو رأى شيئا  
فقلنه حسنا ، وعرضا على طلب حاجته . .  
فليفعل ذلك ، وإن رآه بعد ذلك ... فلا  
يقبله . . بل يمضى لسيئه ، فلو قبل وانتهى  
عن المضى . . فهو الطيرة التي اختصت بأن

إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، .  
رواه أحمد وأبو داود .

قال النووي : النقال يستعمل فيما يسوء ،  
وفيما يسر ، وأكثره فيما يسر . . والطيرة  
لا تكون إلا في الشؤم ، وقد تستعمل مجازا  
في السرور ، وفي الشرع . . خصت الطيرة بما  
يسوء ، والنقال بما يسر ، ومن شرطه عدم  
التقصيد إليه ، وإلا كان من الطيرة الذميمة .  
قال ابن بطال : جعل الله في فطر الناس عجة  
الكلمة الطيبة ، والآنس بها ، كما جعل فهم  
الارتياح للنظر الانيق ، والماء الصافي ،  
وإن كان لا يملكه ، ولا يشربه .

وقد ذكر البيهقي أن التطير كان في الجاهلية  
شائعا عند العرب ، وذلك بإزعاج الطير عند  
إرادة الخروج للحاجة ، ثم صاروا يتطرون  
بصوت الغراب ، وجرور الظباء . . فسموا  
الكل تطيرا . لأن أصله الأول . . فكان  
أحدهم إذا خرج لأمر فإن رأى الطير طار  
يمنة تيمن به واستمر ، وإن رآه طار يسرة  
تشام منه ورجع ونفر ، وربما كان أحدهم  
يحيج الطير ليطير فيعتمدها ، ويستند إلى  
قلعها ، وكانوا يسمون الطير المتيامنة (الساخ)  
والمتياسرة ( البارح ) ومن أمثلتهم في هذا  
المقام : من لى بالساخ بعد البارح . .

قال ابن حجر : وليس في صنوح الطير ،  
وبروحها ما يقتضى شيئا مما اعتقدوه ،

ولقد كانت الكثرة المكاثرة من أهل  
الجاهلية يتخذون من نظرية التشاؤم والتفاؤل  
قضية عملة ... يستلمونها بالحكمة ...  
ويقبسون منها الهدى .. وكانت أحيانا تصح  
معهم ، لتزيين الشيطان ذلك ، ومن عجب  
أن تبقى بقية من تلك الرواسب الخرافية ..  
في أحماق قلوب الكثير من أبناء الأمة  
الإسلامية ، وأن تتوالد جراثيمها وتكاثر  
وتظهر في المجتمع في أزياء شق ، وصور  
متباينة ... من ضرب الرمل والحصى ...  
واللعب بالورق ، ومطالعة النجوم ، وقراءة  
الفنجان والكف ، وفتح الكتب .. ونحو  
ذلك مما يتخذ شكل الوباء العقائدى في المجتمع  
الإسلامي ، ويذهب بلالاء العقيدة الصحيحة ،  
ويطمس توهج الحق في معدنها ثم تظهر آثاره  
في الأعمال حمقا وجهالة .. ومخفا وضلالة ..  
وإذا بمننا وجهنا قبالة التفاؤل مرة أخرى .  
نجد أن التوجهيات الإسلامية في هذا الجانب  
تعمل في ثناياها فكرة الإيحاء الحسن الذي  
الذي نوه علماء النفس بآثاره الخيدة في رفع  
معدنات المرء ، ودعم قننه بنفسه ، وتقوية  
أمله في مستقبل أفضل . وهذا يتمثل بأجل  
معانيه في سورة الانشراح حيث يقول الله تعالى  
« فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ،  
وفي هذا يقول علماء البلاغة : - إن النكرة  
إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى ، والمعرفة  
إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى ، وهذا يعني

تستعمل في الشؤم » .. أخرج الطبري عن  
صكرمة قال : كنت عند ابن عباس ... فر  
طائر يصيح .. فقال وجل . خير .. خير ..  
فقال ابن عباس : ما عند هذا لا خير  
ولا شر ، .. وأخرج البيهقي من حديث  
ابن عمر موقوفا من عرض له من هذه  
الطيرة شيء .. فليقل : اللهم لا طير إلا طيرك ،  
ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ، .. وأخرج  
ابن حبان في صحيحه من حديث أنس مرفوعا :  
« لا طيره .. والطيرة على من تطير » ،  
والبيهقي من حديث أبي هريرة : « إذا تطيرتم  
فامضوا ، وعلى الله فتوكلوا » .

وقديما لم تظم حقلات قادة الفكر ، وذوى  
الزعامة من العرب هذا الحرف والحرف ،  
ونادوا بطلانه في تصانيف شعرهم ، وسائر  
أمثلتهم .. واهتدوا إلى ذلك بنظم السليمة ،  
وطبائهم القويمة .. قال شاعرهم : -

ولقد هذوت وكنت لا  
أغزو على واق وحاتم  
فاذا الأشائم كالأيامن  
والأيامن كالأشائم  
وقال آخر : -

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى  
ولا زاجرات الطير ما الله فاهل  
وقال ثالث : -

وما عاجلات الطير تدنى من الفوق  
نجاحا ، ولا من ديهن قصور

للسلبيين قنوجات كثيرة ، وحقوق انتصارات متوالية في قطاعات عظيمة .. ومن وراء ذلك كله يسر هو أعظم شأننا وأجل قدرا : فقل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ، وهما حسنا الظفر وحسنا الثواب .. وهذا ما جعل ابن مسعود رضى الله عنه يقسم خير حائث ويقول : « والذي نفسى بيده لو كان السر في حجره لطلبه اليسر حتى يدخل عليه . » إنه لن يظلب سر يسرين ، وذلك بالرغم من أن مصحفه رضى الله عنه ليس فيه تكرار هذه الآية .. ولكنه .. كما قال صاحب الكشف - تأوله يسر الدارين ، وكأنه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفضيم .

وحق في أشد حالات المؤمن كربة .. يرف الإسلام بمناحين من رحة .. وتناول حول قلبه المهموم وهو يعاني سكرات الموت .. ليربط على نفس المؤمن في أحلك ساعاتها ، ويكفكف من غلواء الفزع والهلع في أخرج موافقها .. فيقول صلى الله عليه وسلم باعنا الأمن والسلام .. في عنة الموت الزوام : « لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » رواه مسلم عن جابر .. أى يعتقد أن الله به رءوف رحيم عفو كريم .. وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال : كيف تمجدك ؟ : فقال : أرجو الله يا رسول الله .. وإني أخاف ذنوبى .. فقال صلى الله عليه وسلم :

أن الآية السكرية تشير إلى أن كل سر واحد يحف به يسرا ، وقد نأكد ذلك من قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما في تفسير تلك الآية : « لن يظلب سر يسرين » .

وجاء في الكشف أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول : « لن يظلب سر يسرين » ، ويقول العنبري بعد ذلك : « سواء كانت الآية الثانية تكريرا للأولى .. كما كرر قوله : « ويل للكاذبين » لثبوت معناها في النفوس ، وتمكينها من القلوب ، أو كانت الآية الأولى وعدا بأن السر مردوف يسر لا محالة ، والثانية وعدا آخر مستأنفا بأن السر متبوع يسر ، فعلى كلا التقديرين مما يسرا وسر واحد . أما على تقدير التكرار فلأنه حمل بالظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن وعد الله لا يحمل إلا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه ، وأما على تقدير الاستئناف .

فلأنه لا يخلو .. إما أن يكون تعريفا لمصدر .. وهو السر الذى كانوا فيه .. فهو هو .. وإما وإما أن يكون الجنس الذى يعلل كل أحد .. فهو هو أيضا ، وأما اليسر فنسب متناول لبعض الجنس .. فإذا كان الكلام الثانى مستأنفا غير مكرر .. فقد تناول بعضا غير البعض الأول بغير إشكال ..

وقد جاء التاريخ مصداقا لوعد القرآن باليسر إثر اليسر إذا عرض سر فقد يسر

وأن الإسلام حارب التشاؤم ونهى عنه ودعا إلى التحلل منه وتنب إلى التماؤل في كل الأمور لما له من أثر حميد في المزاج والسلوك: وأنه عاجل الشوم أحيانا بإزالة أسبابه اختصارا مع عدم المساس بالعقائد المقررة. وأن التشاؤم والتماؤل: كلاهما لا صلة له بالأحوال وإنما أحب الإسلام التماؤل من حيث إنه نوع من حسن الظن بالله ولو تغير سبب، وهو من مستحبات الإسلام في كل حال، وأبغض التشاؤم من حيث إنه مظهر لسوء الظن بالحاقق بدون ما سبب ظاهر. وهو ما يكرمه الإسلام وأن القرآن الكريم قد أيد السنة الشريفة في إشاعة التماؤل وبث روح الطمأنينة في النفوس الواجفة، والقلوب الراجفة.

وهناك آيات أخرى كثيرة خير آية الانشراح تحمل نفس معناها ومغزاها منها قوله تعالى: «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم»، وقوله جل ذكره: «إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء»، وقوله تباركت أسماؤه: «ولا يئسوا من روح الله، إنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون».

**فهم الشرفاوي**

مبعوث الأزهر إلى لبنان

«لا يجتمعان في قلب هبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف»، ويتابع الرسول تزويد المؤمن بطاقات هائلة من قوة الروح، وطمأنينة النفس.. حتى إنه صلى الله عليه وسلم يصرح بأقصى غايات التماؤل، وأبلغ معاني البشر والسعادة وذلك فيما رواه أبو داود والترمذي والحاكم في صحيحه عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

وفي رواية لمسلم بلفظ: «قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي». يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأنيتك بقرابها مغفرة».

ولا أجد أحفل بالمثني العذاب، والآمال الزهر أجمله خاتمة المسك في هذا البحث مما رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والوحوش: منها يتعاطفون، وبها يترحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة: وبعد، فقد تبين بما ذكرنا: أن الأقدار لا تغيرها شؤم سوء ولا فال حسن:

أرن مقارن :

## ذنبٌ عبريٌّ وذنبٌ فرنسي

للأستاذ العوضي الوكيل

تقصد بالذنب العربي ذنب الفرزدق ،  
 همام بن غالب ، وكان قد لقيه مدلجا بلبيل ،  
 فبسط أمامه الطعام ، ودعاه إليه ، ليتمشيا  
 معا ، وأخذ الفرزدق الحذر ، فكانت يد منه  
 ترفع القنفة إلى فم ، وأخرى تمسك بمقبض  
 السيف ، وهو اللقاء الذي سجله الفرزدق في  
 قصيد توى منه :

والذنب الفرنسي ذنب لقيه الشاعر الفرنسي  
 الخالد ألفريد دي فيني ، مع فقر من أصحابه ،  
 وكان معهم كلاب الصيد .

ووقعت بين الفريقين معركة انتهت بقتل  
 الذنب . وجعل الشاعر ذلك في شعره :

ولئن التقي الذنبان الفرنسي والعربي ، في  
 المعركة ، ولقي كل منهما حتفه على يد شاعر  
 فإن الشاعرين لم يلتقيا .

لقد لقي البحري الذنب وحيدا في صحراء  
 قاحلة ، وقد نفذ زاد الشاعر واشتد جوعه  
 فهو يبحث عن طعام ، والذنب يحوس خلال  
 الحفازة لعله يصادف فريسة يسد بها جوعته ،  
 فكلاهما جائع ، وكلاهما يبحث عن طعام ،  
 وسيبعد الحظ أحدهما ويتعس الآخر :

وأطلس حسال وما كان صاحبا

دهوت لناري موهنا فأناي

فلما أتى قلبك ادن دونك ، إنني

ولياك في زادي لمشركان

وبت أقدم الراد بيني وبينه

على ضوء نار مرة ودعان

وقلت له لما تبسم ضاحكا

وقائم سيني من يدي بمكان

تعش فإن طاهدتني لا تخونني

فكن مثل من ياذنب يصطحبان

ليس هذا الذنب الذي أكتنى بالتبسم

والضحك دون الوثوب والمجوم مقصدنا

من هذا الحديث ، وإنما الذنب العربي الذي

نعنيه هو الذي لقيه - في إحدى المغاوير



كلانا بها ذئب يحدث نفسه

بصاحبه والجد يتبعه الجد  
ويقف الجائعان وجها لوجه ، الذئب  
البشرى ، والذئب الحيوانى ، ويجلس الذئب  
مقعباً متعينا من الشاعر فرصة ، ويفزع  
الشاعر ويهرع إلى شعره ، وينشد أبياتا  
حاسية بصوت جهورى لعله أن يخيف  
الذئب ، ولكن الإفناد يحدث عكس  
المطلوب ، فيهبج الوحش ، ويحاول  
الانقضاض على الشاعر :

عوى ثم أفضى فارتجزت فهتة

فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد  
فيعاجله البحرى بهم مریش ، يسدده  
إليه ، فلا يصيب منه مقتلا ، فيشتد هجوم  
الذئب ، ويعاود البحرى الكرة فيرميه بهم  
آخر مریش ، ويحسن التسديد هذه المرة  
فيمنى السهم إلى قلب الذئب أو إلى حيث  
يكون اللب والربع والحقد كما قال البحرى  
وفى ذلك يقول :

فأوجرته خرقاء تحسب ريشها

على كوكب ينقض والليل مسود  
فما ازداد إلا جراءة وصرامة  
وأبقت أن الأمر منه هو الجد  
فأبتمتها أخرى فأضلت فصلها

بحيث يكون اللب والربع والحقد

لخر وقد أوردته منهل الردى

على ظمأ لو أنه عذب الورد  
وبعد أن غر الذئب صريعا ، ووضعت  
المعركة أوزارها ، مضى البحرى لجمع حصي  
واشتوى الذئب ، ثم نال منه خسباً سد به  
الجوع . وعادده ومضى إلى شأنه .

وقد لى الفريدى فينى الذئب ، مع تقر  
من أصحابه - كما قدمنا ، ومع كلام الصيد ،  
خرج البجيع للهو والتسلية وإزجاء الفراغ  
ولم يكن هناك حاجة أن تقوم معركة بين هذا  
الذئب وذلك الجمع الحاشد من الشاعر  
وصحابه ، ولا يمكن أن يكون من الشجاعة  
أن يتكاثر جماعة على ذئب ، وجمل الشاعر  
الفرنسى على نفسه المدوان ، وأقر به إقراراً  
لا يقبل الجدل ، فإن الشاعر وصحبه رأوا  
الذئب من بعيد وحوله صفاره يرقصون في  
مرح وأناء تنظر إلى بنفيا في فرح وإعجاب ،  
ولم نستطع هذه الأمومة الوادعة المانئة  
أن تكف العادين عن المدوان ، إذ ما لبث  
الشاعر وصحبه حتى أحاطوا بالذئب في شكل  
هلال - وما أشأمه من هلال - وكل منهم  
يمشو بندقية بالرصاص ، ولما رأى الذئب  
ما حدث مضى إلى كلب من كلاب الصيد التى  
معهم فهوى على عنقه بأنياه وعناله ، وسمر  
فكبه في قوة المستيت :

ودرسا ، في تحمل الألم ، وفي العزم والجلد .  
وعدم البكاء والنحيب :

إن معنى البكاء حنن وذل  
من هواء العاوى أمر وأشأم  
قتالم مثلى بصمت طويل

عبرى ومث ولا تسكلم ا  
إن البحرى لم يقتل ذنبه لها وهشا ،  
ولكنه المضطر ، ومن اضطر غير باغ  
ولا عاد فلا إثم عليه ، ثم إنه فردى قابل فرداً  
وسلاحه قوس وبمض أسهم لملها لم تكن  
صالحة كل الصلاحية فإن أحدهما أصاب الذئب  
فلم يفعل شيئاً ، ودى فينى يانى الذئب فى جضل  
من أصحابه ، وحشد من كلابه ، وسلاحهم  
البنادق والرصاص ، وهم يلقون الذئب  
للهر والعبث .

وإذا كان البحرى قد ختم قصيدته بالحكمة  
حين تحدث عن جور الليال وشقاء الكريم  
فى الدنيا فإن دى فينى قد ختم قصيدته بقطع  
يكاد يبلغ نصفها عما استخلصه من موقف  
الذئب من العظاى والعبر وكان أكثر توفيقاً  
من البحرى فى هذا المجال .

المعرضى الوكيل

فضى نحو فائك من كلاب الصيب  
سد ضار يهوى على عنق ضار (١)

بهم ساعر وقلب تلتطى  
فى حنايا ضلوعه كالجبار

وحال الشاعر ومحبه أن يتقنوا كلهم  
فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، فأطلقوا  
الرصاص وأبلا على الذئب الذى أهلك الكلب  
قبل أن يهلك ، ووقف ينظر إليهم شامتا  
بهم ، ولم ينطق بصيحة ألم واحدة حتى وقع  
على الأرض :

هلك الكلب قبله وهو يرنو  
نحونا فى علا وفى استكبار (٢)

لم يدعه وقد رمينا حشاه  
ما استلعنا بالنار تلو النار

ورنا نحونا ومال على الآر  
من وضيا أن نال بعض انتصار

ودم الكلب غامر فسه الوا  
مع حتى كساه ثوب احمرار

ويستخلص الشاعر من ذلك كله عبرة

## شخصية ذى القرنين بين قورش والإسكندر المقدوني

للدكتور سعد الدين الجبزاوى

« ويسألونك عن ذى القرنين . قل : سأتلو عليكم منه ذكراً ،  
إنا مكنا له فى الأرض ، وآتيناه من كل شئ سبباً ،  
فأتبع سبباً ... » (١) .  
قرآن كريم

اللغوية بعد أربعة عشر قرناً من نزوله مثلاً ،  
أن لم يمس طراً على كثير من مفردات اللغة  
خلال تلك القرون ، وأن يستفيد من مناهج  
البحث الحديثة فى مقارنات اللغات ومعرفة  
ما بينها من اتفاق أو اختلاف .

وفى كتاب الله الكريم دعوة إلى النظر فى  
ملكوت السموات والأرض ، والتفكير فيما  
خلق الله ، وطبيعى أن هذه الدعوة ليست  
للفرجة ، وإنما هى للبحث والتنقيب لمعرفة  
أسرار النظام البديع الذى يسير عليه هذا  
الكون ، والوقوف على عظمة الخالق  
سبحانه وتعالى ...

ومهما تناهت معارف الناس فى تفسير  
إشارات القرآن الكريم وتليحاته فإنها  
لا تعطى القول الفصل أو الكلمة الأخيرة ،  
بل بقدر ما تقسع له طاقة المعرفة فى العصر  
الذى فسرت فيه ، وهذا بلا شك من دلائل  
عظمة هذا الكتاب الكريم وأسرار

فى كتاب الله الكريم إشارات كثيرة ،  
تحتاج فى تفسيرها إلى سعة اطلاع ، ومعرفة  
شاملة لأحوال الأمم السابقة ، وما كان لها من  
نظم ومعتقدات ، ثم إلى ثقافة خاصة بما يؤدى  
إليه مرور الزمن من تطور فى مدلول كثير  
من المفردات اللغوية ... إلى معرفة متجددة  
بكل ما يستجد فى ميادين الكشوف العلمية  
الحديثة ؛ ذلك لأن هذا الكتاب الكريم ،  
من خصائصه أنه قد ضم بين دفتيه أخباراً  
عن كثير من الأمم السابقة ، ومعتقداتها ،  
تارة تصرحاً ، وتارة تليحاً لحكم الله أعلم  
بها من خلقه ؛ فعلى من يريد تفسير تليحاته  
وإشارات أن يحمّد ويبحث عساه يوفق ،  
وفى هذا فلسفة بعيدة المدى للدعوة إلى  
التعلم المستمر .

ولأن القرآن فى القمة من اللغة الفصحى ،  
فعلى من يريد أن يعرف مدلولات مفرداته

(١) سورة الكهف الآيات من ٨٣ إلى ٩٨ .

الواردة في قوله تعالى : « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها »<sup>(١)</sup> .

وكان فهم هذه الإشارة يحتاج إلى دراسة دقيقة لمعرفة الفكرة في الذبح أمام الوثن كما كان يفعل الوثنيون ...

ومرت القرون حتى كان عصرنا الحديث ، ثم فظمت دراسات عميقة وبحوث مستفيضة في معرفة أصول الأديان والعقائد جميعاً ، وعقد مقارنات بينها ...

وقد فهم أحد المستشرقين الألمان من المصنيين بدراسات القرآن الكريم أن وراء التعبير بكلمة « ولا دماؤها » سرّاً ، وقد هداه بحثه إلى أن منشأ عقيدة الذبح أمام الوثن كان ضد قدماء الصين حين ظنوا أن روحاً سارياً في كل الكائنات هو المسيطر على الكون ، فأرادوا أن يتقربوا إليه ، فاخترها الوثن ونصبوه معتقدين أن ذلك الروح السارى يشم رائحة الدماء ، فيرضى عن العابدين ويقضى لهم حاجاتهم كما كانوا يزعمون .

هكذا حدثنا أستاذنا المرحوم الدكتور علي الصافي ، في إحدى محاضراته بدار العلوم ، وقد ذكر ابن السكيت<sup>(٢)</sup> في كتابه

لعجازه ، فهو أبداً جديد ، يسامر كل زمان ومكان : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزل من حكيم حميد »<sup>(٣)</sup> . ومن إشارات القرآن التي تحتاج في تفسيرها إلى معرفة خاصة بمنشأ الوثنيات وفكرة الذبح تقريباً إلى الأصنام ، ما جاء عن ذبائح الحج التي تعتبر شعيرة من شعائره ؛ فقد كان أهل الجاهلية يذبحون البقر والإبل والأغنام تقريباً إلى الله في شخص الأوثان كما كانوا يزعمون ، والصورة العامة التي كانت عندهم من الدماء التي تتطاير أمام الوثن أنها ترضى الإله ، ولذلك كانوا لا يكتفون بسيل الدماء ، بل كانوا يأخذون منها وينضحون الوثن إن كان الذبح أمام وثن أو جدران الكعبة إن كان الذبح أمامها .

فلما ظهر الإسلام ، أبقى ذبح الأنعام ، ولكن على صورة تقاير ما كان عليه أهل الجاهلية ، إذ اعتبر الإسلام الذبح لوفاً من الإحسان إلى المحتاجين وحبب إلى الذابحين أن يأكلوا من ذبائحهم طيبة بذلك نفوسهم ، لأنهم إنما يذبحون امتثالاً لأوامر الله . وفيما بين تشريع الإبقاء على الذبائح ، وتفسير الصورة التي ألفها الجاهليون لها ، كانت إشارة .

وهذه الإشارة كانت في كلمة « دماؤها »

(١) سورة الحج ٣٧ .

(٢) هو أبو اللدرد حماد بن محمد الدائمي السكيتي

توفي سنة ٢٣١ هـ .

(١١) فصلت ٤٢

إلا أمانى،<sup>(١)</sup> فقال : ليس المقصود بالآية هنا الجهل بالقراءة والكتابة كما هو شائع لفهم هذه الكلمة ، وإنما هي إشارة إلى ما كان يطلقه الإسرائيليون على غيرهم من اليهود الذين دخلوا اليهودية من أجناس أخرى أى أمم أخرى غير بني إسرائيل ، فالنسبة إلى أمة أو أمم . ولذلك جاء في آية أخرى : « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ، الذي يحمدهم مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، »<sup>(٢)</sup> فهو يذكر الإسرائيليون أن هذا النبي الموصوف في كتبكم ليس إسرائيلياً وإنما هو « أمي » - وكذلك لفظة « أمانى » فهي ليست من الآمنية والأمل ، وإنما من التأمين على السماء بقول « آمين » فقد كان الإسرائيليون يعتبرون كل يهودى ليس من بطنهم لا يستطيع أن يفقه التوراة مثلهم وإنما هو يستجيب لما يسمع دون فهم للأسرار ...

والحق أن هذا الاتجاه قد أثلج صدرى من أستاذنا الكبير ، والله أرجو أن يمكن له ويتيح له من الفرص ما يعينه على التفريغ لهذا المشروع الجليل .

وفي كتاب الله إشارات تاريخية كثيرة لا يتسع هذا المقال للإشارة إليها ، وإنما

« الأصنام ، أن وثنية العرب منقولة عن الصين في أرجح الروايات .

ومن الإشارات التي تحتاج في تفسيرها إلى ثقافة خاصة ما سمعته من الأستاذ الكبير عباس العقاد في إحدى ندواته حين سأله سائل : لماذا لا تقوم بوضع تفسير للقرآن الكريم ؟ .

قال الأستاذ : إنني معزوم هذا الأمر ، وصدى فكرة واضحة من منهج للتفسير بإطار الطرق المألوفة فيه ؛ لأنني أفضل أن يكون التفسير لموضوعات وأن يعنى في ذلك بدراسة المناهج العلمية الحديثة وتطبيقها ، ولا سيما فيما يتعلق بتطور مدلولات الكلمات ، على ألا يكون التفسير هو الكلمة الأخيرة أو ما قصده الآيات تماماً ، وإنما هو تقريب وطريق إلى الوصول للحقيقة ، وضرب الأستاذ لذلك عدة أمثلة ، أذكر منها مثلاً على تغير المفهوم اللغوي لبعض الكلمات ، وكيف أن المفسر لكتاب الله لا بد له من أن يلم بعلوم اللغات المقارن ويعرف ما بين أصول الكلمات واشتقاقاتها في مختلف اللغات - ولا سيما المجموعة السامية من اتفاق أو اختلاف . واستشهد لذلك بلفظي : أمي ، وأمانى ، الواردتين في الآية الكريمة « ومنهم اليهود - أميون لا يعلمون الكتاب

[١] البقرة ٧٨ .

[٢] الأعراف ١٥٢ .

وهم يعلمون» (١)، وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا ، وإذا خلا بعضهم - من يذيعون شيئاً بما في كتبهم - إلى بعض قالوا : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ؟ (٢) .

وبما يدل على أن اليهود السائلين كأنهم لديهم فكرة عن الموضوع ، أنهم هم الذين ذكروا اسم ذى القرنين من الإشارات الواردة في أسفارهم كاسرى ، وكانوا يعرفون أن العرب يجهلون هذه الشخصية إذ لم يعرفوها عنها في كتاب ، ولا يعينهم من أمرها شيء ، فسألهم النبي عليه الصلاة والسلام يعتبر في نظرهم تعجيزاً ، إلا أن يكون حقاً يأتيه وحى من السماء ، فبين لهم ما طلبوا . ولذلك روى أنهم قالوا لقريش : أسألوا صاحبكم عن ثلاثة أشياء : أصحاب الكهف ، وذى القرنين ، والروح . فإن أجاب عنها جميعاً ، أو سكت عنها جميعاً ، فليس بنبي ، وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي ، وكان أن أجاب الوحي عن القصتين وسكت عن الروح ، وهي أيضاً مبهمة في التوراة ، فكان في ذلك إغواء لليهود .

لخص الأستاذ آزاد مذاهب المفسرين في شخصية ذى القرنين ، وحيرتهم في الاهتمام إليه ، فذكر أن الصدر الأول منهم اتجهوا

هناك موضوع هام من بينها قد شغل المفسرين والمؤرخين كثيراً ، ذلك هو شخصية ذى القرنين الواردة في سورة الكهف :

قرأت بحثاً مستفيضاً حول هذا الموضوع في عدى مارس ويونيه سنة ١٩٥٠ من مجلة ثقافة الهند للسيد الأستاذ أبى الكلام آزاد من علماء الهند البارزين وأحد وزراء معارفها .

وقد صار السيد آزاد في بحثه على منهج علمي دقيق ، ووصل إلى نتائج ألفت ضوءاً قوياً على حيرة العلماء في تعرف هذه الشخصية . وخلاصة هذه النتائج أن أوصاف ذى القرنين الواردة في القرآن تتشبه وسيرة الملك (قورش) الفارسي (١) بعيدة عما عرف من سيرة الإسكندر الأكبر المقدوني ، وهو لذلك يرى أن المقصود بذى القرنين في السؤال والجواب الواردين في الآيات إنما هو : (قورش) وليس (الإسكندر) .

إن المفسرين يجمعون على أن السؤال الذي وجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان بإيعاز من اليهود . وطبيعى أن اليهود لم يسألوا مثل هذا السؤال إلا إذا كان لديهم علم بما وراءه من أخبار آياتهم الأقدمين ، والمعروف أن اليهود يكتمون ما يعرفون من الحق : « وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق

(١) المراجعة ١٤٦ .

(٢) المراجعة ٧٦ .

(١) مؤسس الدولة الفارسية في القرن السادس قبل الميلاد .

المملكتين : ميديا وفارس ، فيملكهما ملك واحد لا تقدر دولة على مواجهته ، أما التيس ذو القرن الواحد فإنه يدل على ملك اليونان .

والذى حدث بعد هذه الرؤيا بفترة من الزمن أن ظهر الملك قورش فوحده ميديا وفارس القتين مثنى فى الرؤيا بقرنين ، ومثلت شخصية ملكهما بكبش ذى قرنين ، ثم كان زوال أسرة « هنامشى » التى يكن منها قورش بهزيمة آخر ملوكها ( دارا بوسند ) على يد الإسكندر الأكبر الذى مثل فى الرؤيا بتيس ذى قرن واحد آيات من القرب .

وفى سفر يشعيا نبوءة أخرى عن ظهور ملك قوى قد صرح فيها باسم ( قورش ) الذى يكون عليه فك أسر اليهود ... وفى سفر يرميا إشارة إلى ما حدث لليهود عن أسر وإفراج ... وخلاصة هذه الإشارات تدل على أن تصور ( قورش ) كان قد وجد عند اليهود : فقد مثل فى سفر دانيال بكبش ذى قرنين ، وذكر اسمه فى نبوءات يشعيا ، وأشار إليه يرميا . ثم جاء فى سفر حزرا أن رؤساء اليهود قد عرضوا نبوءات ساقطينهم على الملك ( قورش ) عندما ظهر ففرح بها وأصدر أمره بتجديد الهيكل .

ومها قيل فى صحة هذه الأسفار أو التشكيك

فى بحثهم مما إذا كان ملكا أو نبيا أو من البشر ، وهل عاصر إبراهيم عليه السلام أو كان بعده ، ثم انجبت الأذهان بعد ذلك إلى أنه قد يكون من ملوك اليمن قياسا على وجود لقب « ذو » فى ملوكهم ... غير أن هذا الاتجاه لم يؤدى إلى نتيجة ، إذ ليس فى سمرة أحد من ملوك اليمن ما يشبه أوصاف ذى القرنين كما وردت فى القرآن الكريم . ثم خرج من ذلك إلى أن أبحاث المفسرين لم تؤد إلى نتيجة حاسمة لأنها لم تتجه الاتجاه السديد ، ولو أنهم اتجهوا إلى البحث فى أسفار اليهود لفازوا بالحقيقة .

ومن ثم فقد ركز الأستاذ بحثه أولا على أسفار التوراة ، وأول ما هتد عليه فى ذلك رؤيا النبي دانيال<sup>(١)</sup> التى رأها إبان أسر اليهود ببابل بعد أن خرب بختنصر بيت المقدس وطردهم منه . وخلاصة هذه الرؤيا أنه رأى فى منامه كبشا قويا له قرنان مائلان ينطج بهما شرقا وغربا ، ثم رأى تيسا أقبل من القرب بقرن واحد بارز بين عينيه ، فاقترب من الكبش فكسر قرنيه وصرعه ، ثم ذكر السفر أن جبريل قد غسر لدانيال رؤياه : بأن الكبش ذا القرنين يمثل اتحاد

(١) سفر النبي دانيال .

إليه فقال : « لما تمكنت من مشاهدة آثار إيران العتيقة ، ومن مطالعة مصنفات علماء الآثار فيها ، زال الحجاب ، وظهر كصف أثرى قضى على سائر الشكوك ، فتقرر لدى بلا ريب أن المقصود من « ذى القرنين ليس إلا قورش نفسه ، فلا حاجة بعد ذلك أن نبحث عن شخص غير » ،

اتجه الباحث بعد ذلك إلى دراسة سيرة (قورش) معتمدا على روايات مؤرخي اليونان لأنها أدق من الروايات الفارسية ، وقد وجد فيها تفصيلات دقيقة لا تتعارض مع أوصافه كما جاءت في القرآن الكريم . وبعد أن عرض ما تقدم من مسألة لقب ذى القرنين وسيرة حياته ، قال : « وبقى الآن أن ترى : هل الحلة التي نصلها له القرآن توافقه أم لا ؟ وسنرى أنها توافقه كل الموافقة » .

ثم أخذ يوازن بين ما جاء في وصف القرآن له من الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعدالة ، والرحمة ، وعدم حرصه على جمع المال وبين ما جاء عن ذلك في سيرته التاريخية فوجده يتشبه به تماما .

أما عن مهماته الحربية التي ذكرها القرآن فهي ثلاثة :

الأولى : كانت إلى جهة ( مغرب الشمس ) وطبيعى أن المراد جهة الغرب لا مكان

فيها ، فإن ما ورد فيها يدل على عقيدة اليهود الدينية والقومية في شأن ( قورش ) .

وقد جاء في رواية للسدى أن اليهود قالوا : إن ذا القرنين ذكر مرة واحدة في التوراة ، وهذا هو الواقع إذ لم يرد هذا الاسم إلا في سفر دانيال . ولفظ « قرن » مشترك بين العربية والعبرية .

وبناء على كل ما تقدم يكون المقصود في سؤال اليهود عن ذى القرنين هو : قورش لا غير .

اطمأن الباحث إلى هذه النتيجة من مراجعة أسفار اليهود الذين وجه أحفادهم السؤال إلى النبي صلى الله عليه وسلم . وما زاد في اطمئنائه ذلك الكشف الأثرى الهام الذى عثر عليه علماء الآثار خلال القرن التاسع عشر ألا وهو تمثال حجري يمثل شخص (قورش) أقم على شاطئ نهر ( مرخاب ) على بعد خمسين ميلا من مدينة ( استخر ) عاصمة الفرس القديمة . وهذا التمثال صورة لقورش مطابقة لوصفه في سفر دانيال ويشعيا : على رأسه قرنان أحدهما وراء الآخر كما ذكر دانيال ، وعلى جانبيه جناحان كجناحي العقاب كما ذكر يشعيا ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن تصور « ذى القرنين » كان قد تولد لقورش .

وتأكد بذلك لدى الأستاذ آزاد ما وصل



البلاد الواقعة جنوبي المضيق بقوش  
ليحميهم ، فبنى سدا منيعا في هذا المضيق منع  
تلك الهجمات والغارات ، ولما كان أهل  
هذه المناطق ليسوا على شيء من التحضر فقد  
وصفهم القرآن بقوله : « لا يكادون يفقهون  
قولا » .

وبعد : فهذا ما اتسع له المقال لعرض هذا  
الموضوع الجدير بالدراسة ، وقد وجدت  
في بحث الأستاذ آزاد حفا في المادة ، ودقة  
في العرض وأرجو أن يكون ما وصل إليه  
في بحثه من نتيجة هو الصواب .

وكنيت أود أن ينشر ذلك البحث  
كاملا على صفحات مجلة الأزهر  
الغراء ، وبإحفا لو يحدث تبادل بين  
كبريات الجملات المصرية في سائر الأقطار  
الإسلامية - لامية ؛ ففي كل منها علماء بمكانون ،  
وأعتقد أن في تبادل المقالات التي تدور حول  
بحوث علمية دقيقة - خيرا كثيرا ، ونشأ  
للمناهج البحث الحديثة .

واقه الموقف للصواب ؟

دكتور سعد الدين الجيزاوي

الغروب الحقيقي إذ لا يوجد مكان كهذا ،  
وقد فر ذلك في سيرته بحروبه مع اليبدين  
في آسيا الصغرى ، واتصاه عليهم ، وعدم  
انتقامه من خصومه بعد أن انتصر عليهم ،  
وإن من يقف على شاطئ آسيا الصغرى  
الغربي وقت الغروب حيث الخلدان الضيقة  
يخيل إليه أن الشمس تغرب في عين حمة ،  
إذ لا يبعد أن يكون هناك كدو من تفتت  
صخور الشاطئ يحمل الماء كدرا فيكون  
الوصف مطابقا .

والمهمة الثانية كانت إلى ( مطلع الشمس )  
أي إلى جهة الشرق ، فبعد أن فتح ليديا اتجه  
إلى قبائل رحل هند بلخ ( بلوخستان ) كانت  
قد حاولت الغارة على حدود بلاده الشرقية  
فأخضعهم ، ولما كانوا قبائل رحلا  
لا يسكنون بيوتا فقد وصفهم القرآن بقوله  
لم نجعل لهم من دونها - الشمس - سورا ،

والمهمة الثالثة كانت إلى الشمال حيث يوجد  
مضيق بين سلاسل جبال القوقاز الممتدة  
بين بحر الخزر والبحر الأسود ، وكانت  
تغير من هذا المضيق أقوام جميع من آسيا  
يمشرون في الأرض فسادا ، فاستجد أهل

## من دعائم بناء المجتمع :

### تكوين الضمير الديني عند الفرد والجماعة

للدكتور عبد العظيم شرف الدين

والضمير الديني عند الفرد والجماعة سلطان قوى وأثر فعال ، بل إن سلطان الضمير أقوى من سلطان القانون ، فالضمير حاضر لا يغيب ، أما القوانين فقد جبلت النفوس على الخروج عليها لأنها مفروضة عليها من سلطة خارجية عنها ، ومن أجل هذا كانت القوانين المتسمة بالإقناع والحجة أكثر تقبلا من المكلفين بها . أما الضمير فهو سلطة ذاتية نابعة من داخل الفرد نفسه تهيمن على شئونه وتشرف على تصرفاته ، وكما من المجرمين يرتكبون جرائمهم مخالفين القوانين في غفلة العيون والرقباء ، ولو كانت هندهم ضئيلة لما وقعوا فيها اقترفوه من جرائم ، وما أتوه من موبقات ، فالضمير الديني مع الفرد والجماعة في كل حين ، وكلما نما لدى الفرد والجماعة ازداد سلطانه وقوى أثره ، ومن يقع في جريمة ما في غفلة من غفلات الضمير فإن ضميره الحى قد يستيقظ فيحاسبه حسابا عسيرا ، وإن وخز الضمير أشد إبلا ما من وقع السيف ، وهناك حوادث عديدة وقع فيها كثير من الناس تحت وطأة ضمائرهم ،

حقا ، إن تربية الضمير الديني مبدأ أساسى لجماعة تريد أن تعيش حياة مستقرة ، وأن تقدم للإنسانية التى تنتمى إليها من الخدمات الجليلة ما يرقى بشئونها ، وينهض بأبنائها ، فإذا نما الضمير الديني عند الفرد حاسب نفسه على كل ما يأتى وما يدع من الأقوال والأفعال ، وحكم عقله ودينه فى سلوكه ، فلا يقدم على عمل ما إلا بعد تفكير ودوية ، فإن وجد فى هذا العمل خيرا له ولبنى وطنه وللإنسانية التى ينتمى إليها أقدم على هذا العمل وتغافى فيه ، وبذل فى سبيله كل ما يستطيع ، لا يدخر وسعا فى النهوض بما يبط به من الأعمال . وكذلك إذا نما هذا الضمير الديني عند الجماعة وجدت جماعة يسود التعاون بين أفرادها على ما هم بسبيله من خدمة الجماعة التى ينتمون إليها ، وأصبحوا يصدرون جميعا فى سائر تصرفاتهم عن ضمير حى يفظ ، فهم يحشون المواقف ، ويفكرون فى النتائج ويدرسون مشكلاتهم دراسة هادئة واعية ، هدفها تحقيق الخير للجماعة ، والبعد بها عن مواطن الزلل والانحراف .

الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .  
وتقوى الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ،  
وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر .  
وينبئ ألا يقادر إلى أذهان بعض الناس  
أن هذه الآية تكلف الناس ما لا يستطيعون ؛  
وذلك لأن قوله تعالى : فأتقوا الله ما استطعتم .  
قد بين المراد من هذه الآية ، ولو كان تقوى  
الله حق تقاته أمرا لا يستطيع الناس تحصيله  
أو أمرا يشق عليهم مشقة لا تحتمل لما كلفهم  
الله تقواه حق تقاته ؛ إذ التكليف بما لا  
يستطاع عبث ، والله سبحانه منزه عن مثله ،  
هذا إلى جانب ما يحدثه هذا اللون من  
التكاليف في النفوس من تبرم وعدم  
رضوخ للأوامر والنواهي ، بل إن القرائن  
الوضعية تعمل جاهدة على أن تخلص من  
هذا الضرب من التكاليف التي رهنق الناس ،  
وإلا أدت بهم إلى العجز عنها والخروج  
عليها ، فهل يعقل أن يرد مثل هذا في قانون  
وضعه الله الخبير بالنفوس وأدائها وطرق  
علاجها ؟ ١٩ .

وقد دعا القرآن الكريم في غير موضع  
إلى تقوى الله :

فتارة يخاطب المؤمنين بهذا لأن مقتضى  
الإيمان بالله أن يتقوا ربهم في السر  
والعلن واضحا فصب عينيه قوله تعالى :  
وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعمهم ،

وأصابهم أزمة نفسية فهبوا بعد ارتكابهم  
جرائمهم ، يحاولون التخلص من الحياة  
أو الاعتراف بما ارتكبوا من جرائم دون  
أن يراهم أحد تخلصا عما اعتراهم من أزمة  
نفسية وصراع مستعكم ، وإن تخلصهم من  
الحياة ليس علاجاً للوقف وإنما هو هروب  
من مجابهة المشكلة وضعف عن علاج الموقف  
وما هذا كله إلا من وحى الضمير حينما  
يستيقظ فيستولي على نفس صاحبه ، ويدفعه  
دفعاً قوياً إلى اتخاذ هذا الموقف تخلصاً  
للإنسان من عذاب دائم وألم مستعكم .

لهذا تدب القرآن الكريم المؤمنين إلى  
تقوى الله ، وناداهم بوصف الإيمان ليحملهم  
حلا قوياً على تنفيذ ما تدبهم إليه من تقوى  
الله فقال : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق  
تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، وذلك  
لأن الإيمان بالله إيماناً صادقا من شأنه أن يدعو  
المؤمن إلى مراقبة الله والخوف من عقابه ،  
فالمؤمن الصادق الإيمان يعتقد في قرارة  
نفسه أن الله مطلع على كل تصرفاته ، وهذا  
الإيمان يستولي على مشاعره ووجدانه ،  
ويملك عليه أقطار نفسه فلا يستطيع أن  
يتحول عن الحق لحظة من اللحظات ، وقد  
أدرك المؤمنون الصادقون هذا المعنى ،  
فكانوا متفذين لقول الرسول عليه السلام  
لئن سأله : « ما الإحسان ؟ قال : أن تعبد

وأخرى يذكر المؤمنين بنعمة عليهم وهي لا تعد ولا تحصى كقوله تعالى : « فأتقوا الله وأطيعون . واتقوا الذي أمدكم بما تعملون . أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون » (١) .

ففي هذه المواطن كلها تحمد القرآن الكريم يوجب بالمؤمنين أن يتقوا الله ، ويراقبوه في السر والعلن ، وتمشياً مع منهج القرآن الكريم في إحصاء النفوس لتقبل الأوامر واجتناب النواهي تحمد بعد نفوس المكلفين إحصاء اقرباً لتقبل ما ندهب إليهم من تقوى الله تمتنا عليهم تارة بنعمة الخلق من العدم وهذه تعد نعمة كبرى بل هي أجل النعم ، ومنذرهم أخرى يوم القيامة وما فيه من أهوال ؛ وذلك لأن النفس الإنسانية تحتاج إلى الإنذار والتبصير بالعواقب بقدر حاجتها إلى الملاينة والترغيب ، وأحياناً تحمد القرآن الكريم بأسر ما التقوى مع لفت الأنظار إلى ما أنعم الله على الناس من نعم تستدعي الشكر وحرمان الجليل ، والشكر وحرمان الجليل من صفات الإنسانية الكاملة الفاضلة : « لئن شكرتم لأزيدنكم ، وإن كفرتم إن عذاباً لشديد » . ونظراً لأهمية التقوى في تحديد علاقة المرء بربه ، وعلاقته ببنى جنسه نرى الأنبياء جميعاً قد اتقوا على هذا المبدأ ، فما من نبي إلا

ولا أخوة إلا هو سادتهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا (٢) ، وأخرى يذكر الناس بنعمته عليهم إذ خلقهم جميعاً من نفس واحدة : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وربك منها رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً » (٣) ، وتارة يذكر الناس يوم القيامة وأمواله التي تهب الولدان ، وتدخل الإنسان عن أمه وبطيه : لكل امرئ عنده يومئذ شأن يغنيه (٤) ومن هذا قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم . إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد » (٥) .

وقوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ؛ إن وعد الله حق ، فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور » (٦) .

(١) المجادلة : ١٠ .

(٢) النساء : ٧٠ .

(٣) هود : ٣٧ .

(٤) الحج : ١ ، ٢ .

(٥) لقمان : ٣٣ .

(٦) الشعراء : ١٣١ ، ١٣٢ .

وقد صور هذا الحرص قوله تعالى :  
« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ  
مَّا قَدَّمَتْ لَهَا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ  
بِمَا تَعْمَلُونَ » (١) .

فآية تدعو إلى تقوى الله أولاً ، ثم إلى  
عاسبة النفس ، ثم تدعو إلى الأمر بتقوى الله  
ثانياً ؛ فآية خير بما يقوم به عباده من أعمال  
وهذا كله من شأنه أن يربي في النفوس  
المهابة لله ويخلق فيها عنصر المراقبة وعاسبة  
النفس على ما يصدر منها ، وهذا إذا ألفت  
النفوس ومرت عليه صار طبيعة من طبائنها  
التي تصدر منها دون تكلف ووجدت فيه  
لذة وراحة فأقيمت عليه وازدادت منه .

وقد صرح القرآن الكريم بأن سنة الله  
قد جرت على أن يرسل ملائكة إلى من  
اصطافهم من عباده لينذروا الناس ، ويبينوا  
لهم أن الله واحد يجب الإيمان به وحده ،  
كما يجب تقواه ، ولكي يحمل النفوس على  
الإيمان به وعلى تقواه حق ثقافته ذكر الناس  
يوم القيامة وما فيه من أهوال ثم آمن عليهم  
بنعمه : فهو سبحانه لم يتركهم إلى عقولهم ،  
ولا اضطرب أرواحهم ، بل أرسل إليهم رسلاً  
مبشرين ومنذرين ، وإلى جانب هذا فقد  
خلق السموات والأرض بالحق ، وخلق  
الإنسان في أحسن تقويم ، وأمدّه بأسباب

ودعا قومه إلى تقوى الله ، وفي القرآن الكريم  
آيات تؤيد هذا الذي قررناه :

كقوله تعالى : « وَإِلَى عاد أخاهم هودا  
قال : يا قوم اعبدوا الله ، ما لكم من إله غيره  
أفلا تتقون » (٢) وقرأ معي قول الله تعالى :  
« كَذَّبَتْ عاد المرسلين ، إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ  
هُودُ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ .  
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
مِنْ أَجْرٍ ، إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ » (٣) .

نجد إلى أي مدى حرص هود على دعوى  
قومه إلى التقوى ، فقد بدأ حديثه معهم  
بدعوتهم إلى تقوى الله ، ثم بين لهم أنه رسول  
أمين في نبل الرسالة ، ثم عاد ثانياً إلى دعوتهم  
إلى تقوى الله وطاعة رسوله فيما يبلّغهم من الله  
وهو لا يبغي منهم جزاء ، وإنما يبنى  
الجزء من الله .

وعلى هذا النمط صور القرآن الكريم  
موقف صالح من قومه : « كَذَّبَتْ ثَمُودُ  
المرسلين . إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ .  
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ .  
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنِّي أَجْرِي  
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ » (٤) .

فليس عجيباً بعد هذا كله أن نحمد القرآن  
الكريم بحرصه على غرس التقوى في النفوس

(١) الأعراف : ٦٠ .

(٢) الشعراء : ١٢٣ - ١٢٧ .

(٣) الشعراء : ١٤١ - ١٤٥ .

(٤) الحجر : ١٨ .

متفانون فيما هم بسبيله من الدعوة إلى الله وإرساء دعائم الدين الجديد وسط بيئة سيطر عليها الشرك واستولت الوثنية على أبنائها منذ زمن بعيد .

حقا لقد كان العبء ثقيلا على المسلمين في كل أدوار حياتهم وبصفة خاصة حينما هاجروا إلى المدينة ، وقد وجد المسلمون أنفسهم مضطرين إلى أن يلتقوا مع المشركين في معارك دامية كان النصر فيها محملا بين الفريقين ، ولولا أن كل جندي كان يحمل بين جنبيه قلبا يتق الله ويخشاه لما صبرت الجيوش الإسلامية على حرارة المعارك التي دارت رحاها بينهم وبين أعدائهم ، ولتغير وجه التاريخ . ولكن كيف يتأتى هذا من قوم ضربوا الأمثلة الرفيعة في البذل والتضحية والفداء ، وكان مهمهم أن تقتصر عبادتهم وتسود أهدافهم وهي مبادئ الحق والعدل والفضيلة وهي المثل العليا التي أودعها رب الناس للناس . وصفوة القول أن الضمير الديني هو القوة الدافعة ، التي تدفع كل إنسان إلى العمل الجاد والتفاني فيه ، وإن حاجة الجندي في الحركة إلى الضمير الديني أشد من حاجته إلى السلاح وكما من جنود باعوا أوطانهم بثمن بخس لقلة خيانتهم وانعدام روح التضحية والبذل من نفوسهم . والله الموفق ؟

دكتور هبة العليم شرف الدين

البقاء في هذه الحياة ، وسهر له مافي الساعات وما في الأرض ليحمر الكون ويتنفع الإنسان بما فيه ما خلقه الله له ، أقرأ من قوله تعالى : **وَأَنى أمر الله فلا تستعجلوه ، سبحانه وتعالى هما يشركون . ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاقفون . خلق السموات والأرض بالحق تعالى هما يشركون . خلق الإنسان من عطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دواب ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأتس ، إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ، (١) .**

بما تقدم يظهر لنا السر في ضاية القرآن الكريم بالدعوة إلى التقوى ؛ فالتقوى صمام الأمان ، ومن اتقى الله فأى بنفسه عن الدنایا وراقب الله في كل تصرفاته ، وما أخرج الأمم إلى أبناء عاملين بنمو فيهم الشعور بالمسؤولية والخوف من الله ، حتى صار لكل منهم من نفسه على نفسه رقيب ، من أجل هذا حمل القرآن الكريم على تركيز هذا المعنى في نفوس المؤمنين ، ونمى فيهم الشعور بالمهابة والخوف من الله ، وهذا نجح في إعداد أمة مسلحة بأناؤها

# حصانات السفراء في الإسلام

للأستاذ حسن فتح الباب

- ٢ -

دخلت الدولة الإسلامية على السفراء  
الأجانب من الحقوق والمزايا ما فاقت به سائر  
الدول التي انتظمها المجتمع الدولي في ذلك  
الحين . وكانت تلك المعاملة المثل انعكاساً  
لوعيا السياسي الناضج بما تحققه الدبلوماسية  
الرشيده من إقرار حسن الجوار بين الأمم  
والشعوب وما ينجم عن ذلك من استتباب  
السلام في العالم وكفالة الأمن والاستقرار  
للشعوب أجمعين . وتلك عليا الغايات التي جاء  
الإسلام مبشراً بها داعياً إليها حاثاً أبناءه  
على بلوغها .

ففي ظل السلام الدولي وصفاء العلاقات  
بين الجماعات الإنسانية يأمن الناس جميعاً  
على حياتهم وأرزاقهم وحررياتهم فتتاح لهم  
فسحة من الزمن للتفكير والتأمل في خلق  
السموات والأرض والنظر في الديانات  
السامية فيمتحنون إلى دين الله الحق ويدخلون  
فيه أفراجاً لا تصرفهم عن ذلك شواغل  
الصراع بين الأفراد والجماعات في سبيل  
الاستكثار بالمغانم وتحقيق المصالح الشخصية  
ولا تصدم عنه ويلات الحرب والدمار .

وثمة مقصد آخر للدولة الإسلامية سعت  
في سبيل تحقيقه إلى توثيق علاقاتها الودية  
بجيرانها وما تطلبه ذلك من رعاية السفراء  
وكبارهم ونعنى به حرص الخلفاء والحكام  
المسلمين على دعم الجهة الداخلية في النواحي  
التجارية والثقافية من طرق التبادل  
الاقتصادي والعلمي مع الدول المجاورة .  
وحسبنا أن نذكر في هذا الصدد إزدهار  
الحركة الفكرية في عهد العباسيين في بغداد  
والأمويين في الأندلس بفضل السفارات  
الثقافية المتبادلة بينهم وبين البيزنطيين  
والفرنجية في أوروبا . فلا غرو أن يلقى  
المبعوثون الأجانب في الديار الإسلامية  
أكرم معاملة وأن ينزلوا أطياب منزل ولا سيما  
إذا ذكرنا ما يسفر عن هذا التقدير من حسن  
استجابة لدى الجانب الآخر فيجد السفراء  
المسلمون في القسطنطينية حاضرة الأباطرة  
البيزنطيين وإكرام لا شابل حاصلة الفرنجة  
وغيرهما من العواصم الأجنبية مثل  
هذه المعاملة الكريمة أينما قاموا  
أو ارتحلوا

ما لم تتمكن دار الإسلام من الظهور عليها وعرضت تلك الدول عليها الصلح ، وذلك على أساس احترام ما يقوم بينهما من اتفاقات ومعاهدات وإيقاف الحرب وإقرار التعايش السلمي بين الكتلتين المتنازعتين : دار الإسلام ودار الحرب .

ومن مقتضيات إقامة تلك العلاقات العهدية الأخذ بمبدأ منح السفراء الحقوق والامتيازات التي استقرت عليها التقاليد الدولية .

وهكذا منحت الأحكام الشرعية الإسلامية السفراء على اختلاف أديانهم وأجناسهم حصانة وسلاما كاملين في دار الإسلام . وإذا أمعنا النظر فيما نصت عليه هذه الأحكام في موضوع الحصانات الدبلوماسية وجدناها تسير أحدث مبادئ القانون الدولي المعترف بها في عالم اليوم .

ونلاحظ في هذا المقام أن الفقهاء المسلمين قد أخذوا بأحدث نظرية تستند إليها الحصانات ونعني بها نظرية الوظيفة . فكانت السند القانوني لتحويل السفراء الأجانب هذه الحصانات هو تمكينهم من تأدية مهامهم طوال إقامتهم في ديار المسلمين على أتم وجه وأفضله . ولقد أكد الإمام محمد بن الحسن الشيباني في شرح الرخسى على السير الكبير أهمية منح الحصانة الدبلوماسية للسفير بسبب وظيفته ، كرسول يجب أن يمكن من النهوض بوظيفته على الوجه المطلوب .

ولفلا عن ذلك ، فإن المنافسة السلبية التي كانت تسود العلاقات السياسية بين العالمين المسيحي والإسلامي في الصدر الأول من العصر الوسيط كان من ظواهرها المميزة تساقبهما في إظهار العظمة وأبهة الملك والتمسك بقواعد السلوك الدولي الخيد ومآثر الحضارة ، ومن آيات ذلك حسن استقبال السفراء وإكرام وفادتهم وشوغلهم بمختلف الامتيازات والعصانات .

ولئن كانت الحوافز السياسية التي ذكرناها قد اقتضت منح السفراء الأجانب في الدولة الإسلامية حقوقا وإعفاءات قاصرة عليهم ، فلا يخفى أن هذا المنح يتفق مع الأحكام الشرعية الإسلامية بل هو منبثق منها ومردود إليها . فالإسلام يأمر بالعرف ويدعو إلى رعاية النعمين وهم أصحاب الديانات السماوية من اليهود والنصارى . وقد قسم الفقهاء المعمورة بحيث تضم ثلاثة أقسام : دار الإسلام وهي البلاد التي تظهر فيها شعائر الإسلام وتسرى أحكامه . ودار الحرب وهي البلاد التي لم يغلب أهلها على الإسلام ولا تسرى فيها أحكامه . ودار الصلح كما أسماها وخصصها الإمام الشافعي رضي الله عنه . ويعني الأخذ بمضمون هذه النظرية الإسلامية العامة جواز قيام علاقات ودية وعهدية مؤقتة بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول ،



الدبلوماسية الإسلامية حتى لقد بسطت حمايتها على ختم السفير وعييده وهو ما لم تبلغه أشد الدول توسعا في منح الامتيازات ، ولا سيما إذا ذكرنا ما سجله التاريخ من زيادة أعضاء بعض البعثات الدبلوماسية في العصور الإسلامية حتى أربى عدهم أحيانا على المائة تبعاً لأهمية السفارة وعلو قدر السفير ورئيس البعثة ورئيس دولته .

وكانت حماية السفراء وحمايتهم تبدأ منذ اللحظة التي يلفون فيها أرض الإسلام حتى ساعة مغادرتهم لها بعد إنجاءهم مهنتهم . فكان الخليفة أو السلطان يرسل مندوبيه إلى حدود الدولة الإسلامية لاستقبال الممثلين الدبلوماسيين ويسلطهم إلى عاصمته . ويندر أن ترفض الدولة قدوم أحد السفراء ، بل لا يكون ذلك إلا في وقت وجود حالة غير طبيعية كحالة الحرب بين الدولتين .

وقد هنت الدولة الإسلامية أشد العناية بقواعد استقبال السفراء ومراسم الحفاوة بهم لإجلال لشأنهم واحترام لصفهم . وكانت هذه المراسم تبدأ باستقبال السفراء في أطراف الدولة ، حيث ينزلون في مساكن تليق بهم ويجري عليهم من النفقات والأطعمة ما يرغب به عيشهم . وكذلك يقام لهم بوظيفة المراكب حسباً تدهو الحاجة إليه ... وإن كانت الطرق والمسالك تحتاج إلى خفراء كان أجود أن يسير معهم الخفراء والدلاء .

وقد حرصت الدولة الإسلامية على تمتع السفراء بكافة أنواع الحصانات وشملها جميع أفراد حاشية السفير حتى خدمهم وعبيدهم فبسطت حصانتها عليهم جميعاً واعتبرت أية إهانة تلحق بأحدهم إهانة موجهة إلى شخص السفير ، وهذا على خلاف ما نص عليه القانون الدبلوماسي الحديث من قصر الحصانات على من تتوافر فيهم صفة التمثيل الدبلوماسي أو بتعبير آخر من يقومون بعمل دبلوماسي ، ذلك أنه لا يجوز التوسع في الامتيازات الدبلوماسية نظراً لأنها استثناء من مبدأ المساواة بين الأشخاص . والممثلون السياسيون هم رؤساء الهيئات الدبلوماسية ومعاونوهم الرسميون من مستشاري السفارة وأهالي سرها والمحققين على اختلاف فئاتهم وقد جرى العرف على تسمية هؤلاء الدبلوماسيين بالحاشية الرسمية وبحمى الامتيازات أيضاً أسر هؤلاء الدبلوماسيين أي زوجاتهم وأبنائهم القصر الذين يقيمون معهم في دورهم . أما الحاشية غير الرسمية مثل أميين المحفوظات والكتبة والخدم فلا تمتد إليهم الامتيازات إلا من باب المجاملة ، وتختلف الامتيازات التي تسخ عليهم باختلاف الدول ويسير أغلبها على سياسة الاتقاص من تلك الامتيازات وعدم التسامح فيها نظراً لتزايد أفراد الحاشية غير الرسمية ولأن الامتيازات تتعلق بالوظيفة لا بالشخص وتبين مما تقدم مدى التسامح الذي تنقسم به

حيث يجلسه الحاجب أو أمير المجلس ...  
فإن سأله الملك عن شيء من أحوال مرسله  
أجاب عنه بما ليس فيه سر ولا كتمان ،  
ويترك ما عنده من المشافهة والأسرار إلى  
مجلس الخلة ... ثم يشير إلى حاجبه بانصرافه  
إلى دار الضيافة للاستراحة ، وإن كان معه  
هدية فليخاطب الحاجب عنه الملك أن الملك  
الفلاقي قد بعث هدية يلتمس قبولها : فيشير  
الملك بمحضورها ، وهي عصاة عند أقرب  
الأبواب ، فتعرض عليه بما فيها من دواب  
وجوارح وثياب ، مع ثوب يتضمن ذلك  
إلا الجوارى ، فلا تعرض ، بل يمتن بها  
إلى دار الحريم بعد استئذانه مع الخدام ،  
والقهرمانة تعرض ذلك ... .

فإذا انقض مضى الحفل وأقام السفير  
وحاشيته في الديار الإسلامية ظلوا أهراء  
على أهلها في رعاية الخليفة ورئيس الدولة  
فصينت حرمتهم الشخصية وتمتعوا بهذه  
الحصانة كاملة غير منقوصة ، شاملة سلامة  
الشخص وأمنه وحرية وعدم مصادرة  
أمواله .

وقد استثنى السفراء غير المسلمين من  
شروط الأمان الذي يمنح لغير المسلمين في أثناء  
وجودهم في دار الإسلام ، فلا يشترط لبقاء  
السفير مدة سنة واحدة ، بحيث إن زادت  
يوماً واحداً اعتبر ذمياً واكتسب جنسية

وعندما يقترب ركب السفير من حاضرة  
الدولة الإسلامية ، تعد الاستقبالات الفخمة  
وتقام الزينات ويجتمع الناس على جوانب  
الطرق التي سيصلونها إلى دار الضيافة :  
ويترك في دار الضيافة ثلاثة أيام ، ولا يمكن  
أحد من الاجتماع به ، ثم يستدعى وقد رتب  
دار الملك في ذلك اليوم وتجتمع العساكر  
والجنود ، ويجلس الملك على سرير الملك  
في أحسن أبهة وزى ، وتصفق السلحدارية  
حوله بالسيوف ، ثم يمد السباط وتأكف  
الناس أكل خدمة لا أكل نهمة وأركان  
الدولة جلوس على قدر مراتبهم ، ويدخل  
الرسول والحاجب معه والمهندارية تتقدمه ،  
فإذا وصل بحيث يلحقه الملك يخدم ( يؤدي  
التحية حسب المراسم المتبعة ) الرسول ثم  
يتقدم إلى وسط الدار ، ثم يتقدم إلى المكان  
الذي يليق به لمخاطبة الملك ، فيخدم ويقف  
الحاجب والترجم حوله ، فيبلغ سلام مرسله  
ويخدم عنه الخدم اللاتفة بهما . فيقابل الملك  
تلك التحية بما يليق بها من الجواب بالقيام  
والخدمة أو القيام حسب ما يقتضيه حال  
المرسل والمرسل إليه . ثم يخرج السكتب  
التي معه فيضمها على وجهه وعينه ثم يطرحها  
بين يدي الملك ، فإن أراد الملك إكرام  
صاحبها فليقم لتناولها ، وليشر بالخدمة عند  
فنها وقراءة اسم مرسلها . ثم لا يلبث قليلاً حتى  
يشير إليه الملك بالجلوس فيتأخر ويجلس

السفراء في ظل الدولة الإسلامية ، إجلالا لشأنهم واحتراما لصفتهم وتمكيننا لهم من القيام بأعباء وظيفتهم في سهولة ويسر مهما ارتكبوا من جرم فادح وإنم كبير .

وإلى جانب الحرمة الشخصية والإعفاء من القضاء الجنائي ، أعفت الدولة الإسلامية السفراء من الضرائب التي فرضتها على الوافدين إليها ، والتي كان أهمها العشر والمكوس . وفي هذا يقول أبو يوسف : « لا يؤخذ من الرسول الذي بعث به ملك الروم عشر » .

وكانت جميع أمتة السفراء تعفى من الرسوم الجركية عند قدومهم إلى ديار الإسلام ، وكان يسمح لهم بأن يخرجوا - لدى مغادرتهم لها بعد انقضاء مهمتهم - ما يشاءون من المتاع طالما كان ذلك لا يتعارض مع أمن الدولة ، فلا يؤذن لهم مثلا بنقل السلاح لاستخدامه في دار الحرب عند دار الإسلام .

وكان السفراء ، لا سيما سفراء بزنطة ، يتمتعون بحرية القيام بالأعمال التجارية في أثناء ممارستهم شئون الدبلوماسية ، وقد شجعهم على ذلك إعفاؤهم من كافة الضرائب والمكوس وتخويلهم من الأباطرة البيزنطيين الحق في حل بعض البضائع معهم وبيعها في أسواق البلد الموفدين إليه سدادا لتفقات البعثة من ( البقية صفحة ٧٢١ )

الدولة الإسلامية ، بحق الإقليم ، كما كان شأن غير السفراء من غير المسلمين .

وقد أكدت النصوص الفقهية الإسلامية الحصانة الدبلوماسية كقول أبي يوسف في كتاب الخراج : « إن الولاة إذا ما لقوا رسولاً يسألونه عن اسمه ، فإن قال أنا رسول الملك بعثني إلى ملك العرب ، وهذا كتابه مني ، وما مني من الدواب والمتاع والرقيق هدية له ، فإنه يصدق ولا سبيل عليه ولا يتعرض له ولا لما معه من المتاع والسلاح والرقيق والمال ، وكذلك لو أن المسلمين أسروا مركبا في البحر وقال نفر من ركبها : نحن رسل بعثنا المالك ، فلا يتعرض لهم ، وبذلك شملت الحصانة الدبلوماسية السفراء الأجانب في سفرهم برا وبحرا .

أما الحصانة في المسائل الجنائية فقد احترمتها أيضا الدولة الإسلامية ، فيقول جمهور من الفقهاء : بأن الحصانة لا تنتهك حتى ولو ارتكب السفير جريمة زنا أو سرقة أو ما شابهها ، وحين تذكر الحد الذي يقام حسب الشريعة الإسلامية على الزاني والسارق وتقارنه بالعقوبة المقررة لطائفتين الجرميتين في القوانين الجنائية الحديثة وهو أنها بالقياس إلى العقوبة الإسلامية ، ندرك مدى التسامح في منح الحصانات والامتيازات الدبلوماسية

نموذج رشيد لتطوير الفقه الإسلامي :

## بين شريعة الوحي وصناعة الفقه

للأستاذ فتحى عثمان

في القرآن والسنة أحكام اعتقادية ، وفصل إخبارية ، ووصايا أخلاقية ... وكل هذه تخرج عن نطاق الأحكام الشرعية بمعناها ... فإذا ما استقرأنا آيات الأحكام وأحاديث الأحكام ، وجدناها تعرض لألوان متعددة من القواعد :

٢ - قواعد تشريعية بحثة : فإذا ما تنقلنا إلى دائرة التشريع بمعناه الأخص ، وجدنا بعض الأحكام الشرعية هي تقرير لمبادئ العدالة في مجالات العلاقات الإنسانية بصورة عامة ، وهذه القواعد أقرب إلى تكوين فلسفة تشريعية ، من تقديم أحكام تفصيلية مباشرة .

ومن هذا الباب قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » . وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر ولا ضرار » .

٣ - أحكام تشريعية تفصيلية : وهنا نجد النصوص الشرعية تراجم حالات جزئية معينة بأحكام مفصلة ، ومن هذا الباب أحكام

١ - أخلاقيات العدالة : وهنا توجه النصوص إلى تربية ذوق تشريعي ومزاج فقهي دون تفصيل أو تحديد . وكل شريعة من الشرائع تحرص على هذا الأساس الأصيل من المبادئ العامة للعدالة ، ويتميز الإسلام بإرساء أخلاقيات التشريع على أساس من العقيدة الدينية بما يجعلها أعمق جذوراً ، وأوسع نطاقاً ، وأطول أمداً .

ومن هذا الباب قول الله تعالى : « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به » ، « إن الله كان سميعاً بصيراً » . « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط

أو تشريع حل وحرمة .. إلخ. وهذا تشريع عام إلى يوم القيامة. أما يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف الإمامة والرياسة العامة للسلمين : كإتفاذ الجيوش ، وإتفاق الأموال ، وإبرام الصهود ، وتنصيب الولاة والقضاة فليس بتشريع عام ، ولا يجوز الإقدام عليه إلا بإذن الإمام . وما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف القضاء له هذا الحكم نفسه ، فمن كان له حق على آخر ويحجده وله عليه دينه فليس له أن يأخذ حقه إلا بحكم الحاكم . ويشير تحديد الوصف الذي ورد به الأثر النبوي خلافا بين الفقهاء بالطبع في بعض الأحيان . ومن ذلك حديث « من أحمأ أرضاً ميتة فهي له » فإن جمهور الفقهاء يأخذونه كحكم شرعي عام ، بينما يذهب أبو حنيفة إلى صدوره باعتبار الإمامة ورياسة الدولة فقط . ومما كان محل خلاف أيضا حديث الرسول لمند بنت عتبة وخذي لك ولولئك ما يكفيك بالمعروف ، وحديث : « من قتل قتيلا فله سلبه » (١) .

• • •

هذه هي قواعد الشريعة ، بمعناها العلي الصحيح ... وهذه الأحكام هي التي جاء بها الوحي ، وتلزم لها الطاعة على وجه الدوام .

(١) شلتوت : فقه القرآن والسنة ٣٧ - ٤٠ .

الشعائر التي يقصد بها محض التعمد ، وبعض الأحكام في بعض صور المعاملات .

وأبرز مثل في القرآن لهذا النوع في نطاق القانون للدني ( الإنابات ) آية التداين « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ... » إلخ الآية ، وفي نطاق القانون الجنائي آيات الحدود : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ... » ، « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ... » . وتضم أحاديث الرسول أمثلة شتى لهذا النوع من الأحكام التفصيلية .

غير أن ما ورد في السنة من أحكام مفصلة للمعاملات ينبغي أن ينظر إليه بتدبر وتمحيق . وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما سيده الحاجة البشرية كالطعام ، والنوم ، والملئ ... ومنها ما سيده سبيل التجارب والمادة الشخصية أو الاجتهادية كالذي ورد في الزواجة والطب وهيئة اللباس .. وما سيده التدبير الإنساني أخذاً من الظروف الخاصة كطرق الحرب - وكل ما قتل من هذه الأنواع الثلاثة ليس شرعا .

وما كان سيده التشريع من السنة على أقسام : منها ما صدر على وجه التبليغ بوصف الرسالة كتيان يحمل القرآن أو تخصيص هموم ، أو تهديد مطلق ، أو تقرير عبادة ،

العدالة ، وإما مندرجة في حكم الإباحة الأصلية : «خلق لكم ما في الأرض جميعا» . «وسخر لكم ما في الأرض جميعاً منه» . ومن هنا كانت «المصلحة المرسلة» مصدراً فقهاً مشراً ، وقد يقيد المباح من أجل المصلحة . ومن هنا كل المجال فيسباً أمام «صناعة الفقه» ...

فقد كان فقهاؤنا يتسكرون أحكاماً تشريعية كثيرة ، إعمالاً للقواعد العامة المجملة ، وهي وإن كانت توضع وتساغ بحيث تنضج مأخذها ومصادرها في نصوص التشريع ، إلا أنها في حقيقتها جهود عقلية إنسانية ، جاءت ثمرة لمواج قهى معين صاغت أخلاقيات الشريعة وفلسفتها التشريعية ممثلة في قواعدها الكلية العامة .

وكان فقهاؤنا يحدودن في فهم الأحكام التي وردت بها النصوص ، عن طريق تبين علة الحكم - بعد القطع بثبوت النص - ودواية ظروف التطبيق .

ومن هنا ينبغي أن نضع تراثنا من الفقه الإسلامى موضع الصحيح ، ولا نخطأ فيه بين الوحى المنزل ، والصناعة الفقهية إن قسماً كبيراً مما تحتويه مدونات الفقه الإسلامى ، صناعة عقلية ، وجهد إنسانى ... والفقه الإسلامى هو فقه محض : لا تقل

و«الشريعة» في هذا الضوء : - أخلاقيات للعدالة ليست محل جدل في أى عصر ولا عند أى فكر .

- وقواعد مجملة هي معين لا ينضب ثروة تشريعية متجددة وهي في إجمالها محل اتفاق . - وتبقى بعد ذلك الأحكام التفصيلية ، وهذه بدورها - فيما تتعلق بالأحكام المستمدة من السنة على الأقل مجال بحث ونظر تميز الأحكام - الشرعية العامة ، من الأحكام التي صدرت من الرسول بمحض الاجتهاد العقلى ، وقديماً سأل الصحابي رسول الله حين أصدر أمره كقائد جيش بالنزول في مكان معين : أهو منزل أنزلك الله ، أم هو الراى والحرب والمكيدة . فأجابه الرسول : بل هو الراى والحرب والمكيدة ، فقال الرجل في بساطة وأمانة وحكمة : ليس هذا بمنزل !!

- ومع ذلك فلم هذه الأحكام علتها المقصودة ، وقد قرر فقهاؤنا في أصولهم «الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً» ، ولم مباحث جليلة في الاستحسان ، بالمدول عن قياس جلى إلى قياس خفى لشاهد أولى بالاعتبار ، فضلاً عن القاعدة العامة التي تقرر أن الضرورة ، تبيح المحظور .

- وتبقى بعد هذا مجالات واسعة لم ترد فيها أحكام مفصلة ، فهي إما مندرجة تحت القواعد الكلية المجملة العامة التي تقرر مبادئ

وقد صنعوه فقها جميعا : الصياغة الفقهية وأساليب التفكير القانوني واضحة فيه وظاهرة فأنت تقرأ مسائل الفقه الإسلامي في كتبه الأولى - ككتب طاهر الزاوية لمحمد ، كما تقرأ مسائل الفقه الروماني في كتب فقهاء الرومان في العصر المدرسي ، ثم تنتقل إلى مرحلة التسوية والتفسيق والتحليل والتركيب في الفقه الإسلامي فتقف على الصياغة الفقهية في أرواح مطايعها في أدق صورها ، ثم يقول هؤلاء الفقهاء الأجلاء في كثير من التواضع إن هذا هو الإجماع أو القياس أو الاستصحاب أو الاستصحاب أو ما شئت من المصادر التي ابتدعوها ، وأن الأصل في كل هذا يرجع إلى الكتاب والسنة ، والواقع من الأمر أنهم صنعوا فقها عاصما هو صفحة عاصلة في سجل الفقه العالمي ... (١) .

والفقيه المشرع الكبير - المسيد السنهوري - قد أبرز بعباراته السالفة الفكرة في وضوح وإن لم يشأ أن يعرض لمناقشة فصوص السنة نفسها من الداخل ، وتبين ما هو ملازم على وجه الدوام وما هو غير ذلك ، ومدى الإلزام والدوام في النصوص ذات الأحكام الملزمة على وجه الدوام .

(١) الدكتور السنهوري : بحث نفكره الجامعة العربية .

عراقة في ذلك من عراقة القانون الروماني ... وهو لا يقل منه في دقة المنطق ، وفي متانة الصياغة ، وفي القابلية للتطور ، وهو مثل صالح لأن يكون قانونا عالميا بل كان بالفعل قانونا عالميا - يوم امتدت دولة الإسلام من أقصى البلاد الآسيوية إلى ضفاف المحيط الأطلسي . وكما أنبت القانون الروماني بعد أن أحييت دراسته في العصور الوسطى القوانين اللاتينية والقوانين الجرمانية الحديثة - وهي القوانين التي تعيش أوروبا اليوم في ظلها ، كذلك الفقه الإسلامي إذا أحييت دراسته وانفتح فيه باب الاجتهاد فحين بأن يفت قانونا حديثا لا يقل في الجدية ومسايرة العصر عن القوانين اللاتينية والجرمانية ، ويكون هذا قانون مشتقا من الفقه الإسلامي اشتقاق هذه القوانين الحديثة من القانون الروماني المربق ...

ويقال عادة : إن مصادر الفقه الإسلامي هي الكتاب والسنة والإجماع والقياس ... أما الكتاب والسنة فهما المصادر العليا للفقه الإسلامي ، وقد قصدت بالمصادر العليا أن أقول إنها مصادر تنطوي في كثير من الحالات على مبادئ عامة ترسم للفقه اتجاهاته ولكنها ليست هي الفقه ذاته ،

فالفقه الإسلامي هو من عمل الفقهاء صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون المدني

به ، ولا يكون أماننا يحجبنا عن أصول الشريعة وروحها ، وعن ظروف واقعا القائمة .

وقد جرى العرف بين كثير من العلماء في القرون المتأخرة ألا يفرقوا بين أحكام الشريعة الإسلامية في ذاتها وبين ما يصل إليه علماء المسلمين باجتهادهم وفقهم من أحكام والشريعة هي أمر الله إلى الناس ، أما

الأحكام الفقهية فهي أحكام من صنع البشر وصلوا إليها عن طريق الفقه والاجتهاد ، وكان من أبرز نتائج هذا الخلط بين أحكام الشريعة وغيرها من الأحكام الفقهية أن تولت أحكام من نفوس عامة المسلمين منزلة الإجلال وأحاطوها بطابع التقديس دون أن يكون لهم في ذلك أى سند أو دليل ، بل إن المسلمين ظنوا كذلك أن الاجتهاد لا يخرج عما وصل إليه أهل عصر بعينه وما اتصف به أهل العصر من فهم وما جرى عليه من طرق

في التصكير ، ١١ ١٢

إنه فارق دقيق ... ينبغي اعتباره عند مدونة شريعة الوحي وصناعة الفقه ، كأساس لتطوير هلى وشيد . ٢٠

فقه عثمان

(١) محمد أسد (ليوبولد فاس) بحث الدولة المسلمة .

نحن إذن أمام صناعة فقهية إنسانية كبرى . أمام جهود فقهية وتشريعية وقضائية يجب أن تلعب لأصحابها ... تنسب لمالك ولأبي حنيفة والشافعي ولأبي حنبل والأوزاعي والثوري والليث ولداود ولأبي حزم وغيرهم وغيرهم ولا تنسب لشرعية الإسلام إلا باعتبارها مدرسة كبرى جامعة لها طابعها العام لحسب .

ومن أجل هذا المجهود الإنساني اختلف هؤلاء الأئمة ، واختلف تلاميذ كل إمام فيما بينهم ، واختلفوا مع إمامهم في بعض الآسايين ، وحل تغيب دلالة اختلاف أبي حنيفة مع صاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن ومع زفر ؟؟ .

وعليتنا نحن أن نبدا البناء من الأساس . وأن ننظر إلى التجارب الفكرية السابقة النظرة التاريخية الصحيحة ، فهي سوابق لمجهوداتنا الإنسانية علينا أن نقبها بلواحق من جهدنا الإنساني ، ولا بأس من أن نفيد من محاولات من سبقونا على سبيل الاستئناس .

علينا أن نبدا من دراسة الكتاب والسنة ، ومن محاولة تحليل أحكام الكتاب والسنة وفهمها في ضوء واقع عصرنا وثقافته ويكون تراث أسلافنا إلى جوارنا نستعين



# علوم نبغ فيها العرب

للدكتور جمال الدين الرمادى

نبغ العرب في الشعر نبوغاً عظيماً ، وأدركوا فيه القدر الممل ، والفرد العاليا ، واستطاعوا أن يصلوا إلى المعاني الدقيقة ، والخيالات الرقيقة ، والصور المبكرة ، والأسلوب العذب الرصين ، والعبارة الشكلية الأنيقة ، كما نبغ العرب في الفصاحة والبلاغة ، وضروب البيان ، وعاضوا في علم التاريخ والجغرافيا ، والسيرة ، ونشروا في ذلك التأليف الكثيرة ، والكتب العديدة ، بيد أن هذه الألوان من المعرفة ، أصبحت مبروقة لدى الخاص والعام ، وامتد ذكرها في الآفاق وتغنى بأثرها الركبان .

ولكن هناك علوماً ومعارف شتى أجادها العرب أيما إجادته ، ولكن عنصر الأدب والشعر طغى عليها فطمست إلى حين معالمها حتى يخرج من ينفذ عنها تراب السنين ، ويجلو عنها صدى الدهور ، ويستخرج منها تاريخاً حافلاً ، وماضياً زاهراً زاهياً ، يتألق سناء ، ويسير الناس على هدهد .

ومن ذلك أن العرب ألفوا مراجع في الاقتصاد السياسي مثل كتاب : الجواهر وأصنافها لمحمد بن شاذان الجوهري ، وألفه

في القرن الثالث الهجري للتدقيق المعتمد المتوفى عام ٥٢٧٩ هـ ، وكتاب مراجعات الجواهر وعمل الفولاذ ، وكتاب الإشارة إلى محاسن التجارة للشيخ أبي الفضل جعفر ابن علي الدمشقي ، ويبحث في جيد الأمراض وردبها ، وغشوش المدلسين ، كما يشمل فصولاً في حقيقة الأموال ، كما يضم وصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم .

وتنبه العرب إلى ارتباط الحاجات بالتجارة وتدرج الحاجات والإنتاج ، وأثر الترف في طرق المعيشة ، وعلاقة الترف بالأمان ، والإنتاج ، ومساوى الترف الأخلاقية ، والحرية الاقتصادية ومجالاتها ، وبينوا أن كثرة الترف تدفع الأسعار إلى الغلاء . فالطلب على مواد الترف طلب غير مرين ويؤدي إلى غلاء الأمان ، ومن جهة أخرى نرى أن احتياج الدولة إلى فرض مكوس متزايدة تزيد على غلاء الأسعار ، أو يعتمد المنتج أو التاجر في قتل المكوس على عائق المستهلك .

وتنبه العرب إلى أن المدنية حاجة اقتصادية وحاجة دفاعية ، فهي المكان الذي يترعرع

وذكر كين الصيدلة على أقرباذين ألفه سابور  
ابن سهل المتوفى عام ٢٥٥ هـ حتى ظهر أقرباذين  
أمين الدولة ابن التليذ المتوفى عام ٥٦٠ هـ  
وذكر الفرنيجة أن العرب هم الذين اكتشفوا  
حامض النتريك وزيت الساج وحامض  
الكبريك والبولناس وروح الشادر ،  
وتترات الفضة ، وأكسيد الرنق .

ونبغ منهم ابن البيطار الذي تبحر  
في دراسة النبات ، وألف كتاب ، المغنى  
في الأدوية المفردة ، ومنه نسخ خطية  
في لندن والمتحف البريطاني وأكسفورد  
وباريس - وكتاب جامع مفردات الأدوية  
والأغذية - وطبع في مصر عام ١٢٩١ هـ  
ثم ترجم إلى اللغة الألمانية وكتاب ميزان  
الطبيب .

ونبغ نبوموس بن شاكر في العلوم  
الهندسية ، وألف ابن الهيثم كتابا في أوائل  
القرن الخامس للهجرة جمع فيه الأصول  
الهندسية والعديد من إقليدس وإبلينوس ،  
ومن أشهر كتب المسلمين في الجبر كتاب  
الجبر والمعادلة ، وعنى العرب بشرحه ،  
وتفسيره والتعليق عليه .

واشتهر من علماء الفلك في الإسلام  
أبو معشر البلخي ، وسهل بن بشر ، وحنين  
ابن إسحق ، والبيروني وغيرهم ، ونادى

فيه العيش والذي يتولد فيه التضامن  
الاجتماعي من أجل الحياة .

ولكن الترف والتضامن لا يعتبران الدافع  
الوحيد لتأسيس المدن ، بل تدعو إلى ذلك  
ساجة الدولة ، فالمدينة نتيجة لمقدمتين أحدهما  
اقتصادية وهي الحاجة إلى الدعة ، والآخرى  
سياسية وهي الحاجة إلى الدفاع .

نقبة العرب إلى كل هذه الشؤون الاقتصادية ،  
وحملت بها مؤلفاتهم مثل مقدمة ابن  
خلدون وصحيح الأعشى في صناعة الإنشا  
للقفشندي - وإغاثة الأمة بكشف الغمة  
للقريري - ونحو ذلك - وكان لهم شأن كبير  
في هذا المضمار الاقتصادي لا يمكن نكرانه  
أو نسيانه .

وألف العرب في السياسة ومنهم أبو زيد  
البلخي المؤرخ الجغرافي الذي كتب كتابين  
الكبير والصغير - وكتب في السياسة المدنية  
أبو نصر الفارابي الفيلسوف المشهور -  
ومن الكتب الهامة في هذا الباب كتاب  
« سياسة الممالك في تدبير الممالك » لابن أبي  
ريش - وجاء في مقدمة الكتاب أن مؤلفه  
ألفه للعتصم العباسي المتوفى عام ٢٢٧ هـ .

وبرع العرب في الكيمياء والصيدلة  
والطب ، وهم من الأوائل الذين اشتغلوا  
في علم الأدوية وتحضيرها - وظل العرب  
في النهضة العباسية يعتمدون في المارستان ،

والحدوج لظلماتهم ، والزجاج والقوس  
والسهام لسلاحهم وأما أهل الحضر ، فقد  
استخدموا الشجر في بناء بيوتهم وإصلاح  
أبوابهم وعمل مقاعد لجلوسهم ، وتعرض  
العرب لصناعة الخمر وإنشاء المراكب  
البحرية ذات الألواح .

وبرع العرب في صناعة الحياكة والخياطة  
واعتبروا هاتين الصناعتين من ضروريات  
ال عمران ، وكذلك نبع العرب في صناعة  
البناء ، وهي أولى صنائع العمران الحضري  
وأقدمها ، وقد بدأت بإتخاذ البيوت والمازل  
السكن والمأوى ودفع الحر والبرد ، ثم  
تطورت وتمددت وتعقدت على مر الزمان ،  
وداخلتها فنون شتى في التثنيق والتفسيق  
والتنجيد والزخرفة وما إلى ذلك حتى غدا  
الفن الإسلامي يهر المعين ويغلب الزخارف .

وبرع العرب كذلك في صناعة التوليد ،  
واشتهر في هذه الصناعة عدد كبير من السيدات  
وتسمى القائمة في ذلك منهن بالقابلة ، واستعير  
في اسمها معنى الإعطاء والقول ، كأن  
النفساء تعطى الجنين وكأنها تقبله كما كانت  
تخفف عن الأمهات آلام الوضع ويمينهن  
على الولادة المبسورة .

وكتب العرب في ضرورة تدخّل الدولة  
في أعمال الاقتصاد والتنمية الصناعية  
لإنعاش وسائل العيش لأن الدولة شديدة

المسلون بإبطال علم التنجيم حيث أنه يقوم  
على أسس واهية ، ودعائم ضعيفة ومضوا  
يقسرون العروض ، ويرصدون الأفلاك ،  
ويراقبون السيارات ، ويدعرون في دراسة  
ما كتبه الأراذل والأواخر في علم الفلك .

ومن الطريف أن المسلمين فضلا عن هذه  
العلوم والمعارف الآتية المذكور لم يغفلوا قيمة  
التدبير المنزلي وهو عندهم فرع من الحكمة  
المعمية وتعريفه : معرفة اعتدال الأحوال  
المشتركة بين الإنسان وزوجته وأولاده  
وخدامه ، وطريق علاج الأمور الخارجة  
عن الاعتدال ، ومن الكتب التي تدخل  
في هذا النطاق كتاب « الطبخ » لإبراهيم  
ابن المهدي ، وغيره لابن ماسويه ، وإبراهيم  
ابن عباس الصولي ، وجحظة والرازي  
وغيرهم .

وبرع العرب في الأعمال المهنية والصناعات  
الدقيقة ، واهتموا بالتجارة ، واعتبروها  
من ضروريات العمران إذ أن الله سبحانه  
وتعالى جعل للإنسان في كل مكون من  
المكونات منافع تسكل به ضروراته  
وحاجاته ، وكان فيها الشجر فإن له من المنافع  
مالا ينحصر عما هو معروف لكل أحد ،  
وقد اعتبروا منافع البدو في الشجر تختلف  
عن منافع أهل الحضر ، فأما أهل البدو  
فيتخذون منها العمود والأوتاد لحيامهم

أنس بن مالك ، ومن أبرز مؤلفاته كتاب « عجائب المخلوقات ، في الفلك والجغرافيا الطبيعية عند العرب » ، ووصف الأرض وما فيها وما عليها ، ورتب كلا من الحيوانات والنباتات على حروف المعجم ، وكتاب آثار البلاد وأخبار العباد الذي طبع في غوتنبرج عام ١٨٥٠م ، وابن بطوطة صاحب الرحلات المشهورة ، وله كتاب « تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » ، وقد اهتم المستشرقون اهتماما بالغا بهذه الرحلات وترجموها إلى اللغات الأجنبية وعلقوا عليها تعليقات كثيرة ، وبدد الدين الزركلي المتوفى عام ١٩٩٤م وصاحب كتاب « القروى السوافر » فيها يحتاج إليه المسافر ،

وهكذا كان فضل العرب سابقا شاملا ، وكان مجدهم لا يقتصر على الشعر والأدب وتراث أمراء القيس والناطقة والأعشى وغيرهم في العصر الجاهلي أو حسان بن ثابت وكمب بن زهير وغيرهما في صدر الإسلام أو الأخطل وجريز والفردق في العصر الأموي أو بشار والمتنبي وأبي العلاء المبري وأبي تمام في العصر العباسي وابن خضاعة وابن زيدون وابن سهل في الأندلس - بل لم يقتصر مجدهم على ما كتبه الجاحظ أو ابن العميد أو عبد الحميد أو من إلهم من الكتاب العرب أو المستعربين - إنما تطاول مجدهم

الارتباط بالعمران والحضارة ، والعمران من غير الدولة لا يتصور وفي ذلك يقول ابن خلدون : ( إن الصنائع وإيجادتها إنما تطلبها الدولة ، فهي التي تنفق سوقها ، وتوجه الطلبات إليها ، وما لم تطلبه الدولة ، إنما يطلبه غيرها من أهل الممر ، فليس على نسفها لأن الدولة هي السوق الأعظم ، وفيها نفاق كل شيء ، والقليل والكثير فيها على نسبة واحدة فاتفق منها كان أكثر ضرورة ) .

كما كتب العرب في التعاون مما يعتبر اليوم مادة جديدة للدراسة في الجامعات واعتبروا أن النوع الإنساني لا يتم وجوده إلا بالتعاون ، وأن المجتمع إذا فقد التعاون تهاوى بقياته ، وتدهأت أركانه ، وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يعيش بنفسه فقط ، فهو أحوج ما يكون إلى تسخير جهوده لخدمة الآخرين ليستفيد من تسخير الآخرين جهودهم لخدمته .

وبرع العرب كذلك في كتب المعاملات والإدارة وتنظيم الحكم ويعتبر كتاب فتح القدير لجمال الدين همام وصبيح الأعشى للنفقشندى ، وكتاب الأحكام السلطانية للواردى من أخصب الكتب في هذا الباب

أما الرحلات فظهر فيها مؤلفون ناهون ، نذكر منهم القزويني الذي ظهر في القرن السابع الهجرى ، ويرجع نسبه إلى الإمام

أن يرحلوا أقدامهم - ويرهبوا أقدامهم -  
ويعمدوا سلطانهم .

ولم يكن الدين حائلا بينهم وبين بلوغ هذه  
الغايات النبيلة أو الوصول إلى هذه الأهداف  
الكريمة - إنما كان عونا لهم على العلم وحافزا  
لهم على المعرفة ، فإذا العصى من الأمر يسهل  
وإذا القصى من الأمل يقرب - وإذا العسير  
من الخطب يهون .

وما أحوجنا اليوم - ونحن نفض عن  
أبداننا - أهوال الماضي ونهطم قيود التقليد  
البغيض - أن نترجع أجداد آياتنا الأولى  
في هذه المعارف والعلوم حتى تكون لنا عبرة  
وأسوة حسنة ، وفي ذلك فليقتنافس المتنافسون .

جمال الدين الرمازي

حتى شمل العلوم البعثة والعلوم التطبيقية  
والفنون الجيدة والفنون النافعة ، وتطرق  
عليهم إلى المعامل وآنية الاختبار وروائح  
الاحماض والبخار - وخروب الصناعات  
الثقيلة التي تمخر البحر أو تذب على الأرض  
أو يحارب بها الأعداء .

وكان لم شرع وقانون يصمم من الخطأ ،  
ويردم عن الخطأ ، ويوضح لم منازل الحق  
وهو الشرع الإسلامي والدين الخفيف ،  
والكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من  
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .  
وقد استطاعوا بفضل تمسكهم بأهداب هذا  
الدين العظيم ، وهذا الشرع السوي المستقيم ،

( بقية المنشور على صفحة ٧٢١ )

والامتيازات ما يماثل نظائرها في أعظم  
الدول الحديثة تطورا في هذا المضمار . وفي  
ذلك ما يتيسر أبلغ دليل على سحاحة القواعد  
الشرعية في الإسلام في معاملة الأجانب ،  
ورسوخ قدم السياسة الإسلامية في محيط  
العلاقات الدولية ، وعراقتها في ميدان الفن  
الدبلوماسي ، وصنوبرها في هذا كله عن  
مبادئ العقيدة الخالدة في الدعوة إلى السلام  
العالمي ، واحترام العرف والقوانين الدولية  
الجيدة وإقرار التعاون والتآخي بين الناس  
جميعا . وصدق الله العظيم : « يا أيها الناس  
إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا  
وقبائل لتعارفوا » . رائد من فتح الباب

أرباح التجارة حتى كانت تصدر إليهم أحيانا  
تعليلات تمنهم على ذلك . فكانوا - حسب  
التقاليد البيزنطية - يتمتعون العلاقات التجارية  
إلى جانب قيامهم بالمهام الدبلوماسية . فبعد  
تولى امبراطور جديد عرش بيزنطة يوفد  
السفراء إلى شتى الدول الأجنبية - وفي مقدمتها  
الدولة الإسلامية - لإعلان ذلك ، حاملين في  
الوقت ذاته بعض البضائع لبيعها في الأسواق .  
من ذلك سفرة الامبراطور ليسابين إلى  
بلاط الإخشيد للسباح لسفراء الروم بالتجارة  
في القاهرة وقد لقي هذا المطلب موافقة  
الإخشيد مصر ( سنة ٨٢٢٤ - ٩٢٦ م ) .

وهكذا منحت الدولة الإسلامية السفراء  
الأجانب في ديارها من أنواع الحصانات

# الإسلام دين التوحيد

للأستاذ عباس طه

إلى خياله فصوره عالماً عالياً وراء هذا العالم  
تعمره آلهة وأنصاف آلهة وملائكة  
مقربون ، وأن من هذا العالم تنزل على  
الناس النعم والنقم ، ومنها تصدر الأوامر  
لعوامل الطبيعة أن تسخر على بعض الناس  
وأن تضن على الآخرين . وما زال بهم  
الخيال حتى صور لهم ما يجب أن يتقرب به  
إلى تلك الأرواح العلوية من القرابين والهدايا  
المنوعة من الأطعمة ومن ضروب العبادات  
ركوعاً وجموداً وصياماً وجهاداً الخ .  
ومن هذه الحالة الساذجة نشأت الأديان  
الكبرى المعروفة حاملة طابع واضعها من  
الرجال أصحاب المطامع الواسعة أو من الرجال  
ذوى العقول الراقية أمثال - باسكال ،  
جول سيمون ، أرنت رينان - وأضرابهم  
من وصلوا من العقيدة بالخائق إلى درجة  
التوحيد والتنزيه المطلقين . ولم يحفز العلماء  
الماديين إلى مثل هذا التطرف في الحكم  
إلا وقوفهم مع الحس المجرد وزعمهم أنه  
لا سبيل إلى سائر المعقولات الإنسانية غير  
الحواس الخمس .

إن الدراسات الدينية التي توالى في العالم  
المتمدن منذ أكثر من مائة سنة كشفت  
عن أمور كثيرة حليفة بإنعام النظر .

أولها أن التدين صفة عامة لجميع بني البشر  
حديثهم وقديمهم فلم يعثر على أمة لا دين لها ،  
ولا على قبيل من القبائل البائدة قبل أن  
يدون التاريخ إلا ولها آثار تدل على أنها  
كانت تدين لتلة ، وأنها كانت تعرف أن  
وراء المحسوسات عالماً عجوباً عن الأبصار  
فيه كائنات ترجى معوتها وتستدر رحمتها .

ولما انتصف القرن التاسع عشر زادت  
الدراسات الدينية تغلغلا في صميم الأديان  
القديمة فظهر ما بينها من الصلات الوثيقة  
وما يجمعها من العقائد والتقاليد .

كان مذهب الماديين في تدين الإنسان  
إلى ما قبل مائة وخمسين سنة أن الإنسان  
لما ظهرت فيه صفة العقل واتسع مداها  
للخيالات والتصورات اضطرب خيال المخاوف  
التي تحيط به من كل جانب ، والمخاطر  
التي تناوئه من كل مكان أن يعتصم بملجأ  
يحتوى فيه من هذه النوازل ولو توهمها ، فلجأ

حتى في نظر العلماء الذين لا يؤيدون الأديان الشكلية مثل جيو Guyo مثلا فقد كتب في كتابه ( اللادينية في المستقبل ) يقول : ( إن نظرية الفلاسفة الحسين كان ينتظر سيادتها المطلقة على العقول منذ بضع سنين وقد كان رضا الكثيرون يدون أن يستنتجوا منها سائر نتائجها الضرورية ، أما الآن فقد اتضح أنها واهية ) .

أما النظرية السائدة اليوم في البيئات العالمية للدراسات الفلسفية بسبب أنها غير ظنية ويمكن تحقيقها إذا صمد الإنسان ببحثه إلى مناشئ العقائد الإنسانية . وهذا الأمر مهما يكن صعبا ، فإن وراءه رجالا يهتمون به غاية الاهتمام ، وأحسن من تصدى لهذا الموضوع الجليل فأجاد هو الأستاذ دماكس مولر ، الألماني ، فإنه بسط فيه كتابا جليلا - أصل الدين وارتقاؤه - أثبت فيه بالنصوص الدينية السنسكريتية ، وهي أبعد الديانات عهدا وأقدمها تاريخا ، أن الإنسان أول ما عبده عبد الخالق جل وعلا هي صفته غير المحدودة . وأما هذه الأوثان والأصنام فليست إلا بنات الخيال استدعتها محبة الإنسان للشيء كل ما يشعر به في نفسه فقال : « إن هذه الآلهة الجسمانية ليست إلا تمثيلا طرا على الإنسان بعد تلك الفكرة الطبيعية وبناء على هذا فقد ركع أبائنا وعبادوا أمام الله الحق حتى قبل أن يحسروا على الإشارة إليه باسمه » .

ولكن الروحيين وتريدهم الذين يعتقدون بأن العالم مركب من عنصرين : أحدهما مادي فإن والآخر روحاني باقي ، قد قرروا أن الإنسان اهتدى إلى عالم الروح بمركب فيه منه ولولا ذلك لم يشعر به ولم يهتد إليه ، وقد أظهر الإنسان حتى في أشد أدوار توحشه تعلقه بذلك العالم واعتداده به أكثر مما أظهر من تعلقه بالعالم المادي ، ومن يتأمل فيما فرضه على نفسه من لعبادات الجسدية والتضحيات قربانية والشكائم التي اتخذها لصد ميوله طائفا عتارا يحمده أن أثر العالم الروحاني على نفسه كان شديدا إلى حد لا يمكن القول معه بمذهب الحسين . فلو كان الخوف من جوائح الحياة هو الذي احتظر الإنسان ليأجأ إلى عالم ما وراء الطبيعة ، لحقت وطأة الاضطراب عنه كلها ازداد حله بأسباب تلك الجوائح ، ولكن المشاهد خلاف ذلك ، فقد اشتد تطلع أهل العلم إلى ذلك العالم اشتدادا بزوا به المتوحشين والجهال أذمافا مضاعفة . ولا يغفل أن مثل الطبيعي العبقري - باسكال - والفيلسوف السياسي جمول سيمون والنقاد الفرنسي الكبير أرنست رينان - وغيرهم يقولون مع أثر ورأى سدها ولحته الوهم ، ولا يتخلصون منه مع بلوغهم درجة الإمامة في الفلسفة والنظر السليم .

ولا جرم أن نظرية الماديين قد سقطت

إن قول الأستاذ - ما كس مولد - إن الإنسان مفلود على توحيد الله يعد تردداً لقوله تعالى: « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقوله : إن النوع البشري كان له دين واحد هو ما ذكرناه آنفاً من التوحيد موافق لما ذكر في القرآن وهو قوله تعالى: « كل الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، الآية » ، ومعناها كان الناس أمة واحدة فاختلّفوا فأرسل الله لهم أنبياء ورسل يهدونهم إلى الحق ، وهم ما اختلفوا إلا بسبب ما تسلط عليهم من الأهواء والخيالات والصور الذهنية المختلفة وذلك بدليل قوله تعالى في آية أخرى: « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلّفوا ولو لا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » ، ومعناه صريح وهو أن الناس كانوا في مبدأ أمرهم على دين الفطرة الحق فاختلّفوا باتباع الأهواء والأخذ بالباطل ولو لا كلمة سبقت بتأخير معاقبتهم إلى يوم القيامة ، لقضى بينهم عاجلاً فيما فيه يختلفون بإهلاك المبطل واستبقاء الحق . هذا الاستكشاف العلى الذى لم يجد الأستاذ - ما كس مولد - نصديق لقرآن فيما ذكره عن دين الإنسان ولكن حفره إليه ما ثبت من

ثم جزم هذا المؤلف بأن أصل الأديان كلها واحد ، وما استدعى اختلافها إلا ما أحدثته النزعات الإنسانية والأهواء النفسانية من حب التمييز والتفريق والمصر هذا كلام لم يحاف العقل ولا النقل وهو مصداق لقوله تعالى « كل الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم اليينات بغيّاً بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » ، وقوله « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وهيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين . ما تدعهم إليه » ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من يئيب . وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيّاً بينهم » .

ولا مرأه أن أول ما كرس عليه الإنسان من الدين هو التوحيد الخالص من شوائب الخيالات ، وأنه كان عاماً في جميع النوع البشرى فلما دخلت عليه التلوينات الخيالية تعددت أشكاله ، وتوهمت صورته وذهب كل فريق من الناس بما تأثر به عقله منها فأصبح للناس أديان شتى وابتنى على تكثرها وقوع النزاع بين الجماعات البشرية .



فأطغى السائلة على اليابسة وأهلك منات  
الآلوف كما حدث في مسينا بإيطاليا سنة ١٩١٠  
لذلزات الأرض هناك زلواً شديداً فهدم  
الدور على أهلها وأطغى المياه على المدينة  
فقتل من أهلها نحو مائتين وخمسين ألفاً  
وكانت كارثة ارتاع لها الناس جميعاً .

إن العالم اليوم يتطلب الدين الأول للإنسان  
الموافق للفرزة التي فطر عليها الإنسان  
خالصة من شوائب الخيالات ، وهذا هو  
الإسلام بأخص معانيه ، وليس له معنى غيره  
وإن كل من لا بد من الاستشهاد بقول عالم  
اجتماعي على صحة ما نقول فهذا الأستاذ - هنري  
برنجيه - يقول في المجلد ٢٤ من مجلة المجلات  
الفرنسية .

إذا كان النقد التاريخي قد هدم كل الأشكال  
المتحجرة في الأديان ، فإنه لم يستطع أن  
يمدو على الفرزة الدينية بل شهد باستمرارها  
وشيوعها في كل دور من أدوار التاريخ ،  
فكل تلك الآلهة المختلفة والمتعاقبة تشهد  
على أن الإنسان مفعور على الاعتقاد بالله  
رغم أنه ،

إلى أن قال : « هذه هي الشرارة  
السيكولوجية ( النفسية ) التي استخلصها  
من رماد الصور الماضية تاريخ المقارنة بين  
الأديان فن المستحيل عليه أن يطفئها ولكنه  
سينقلها إلى المستقبل »

هياضي طه

[٨]

مراجعة أقدم المخطوطات والمحفورات البشرية  
في اللغات الهندية القديمة ، وفي البيئة التي  
يرجح أن الإنسان الأول سكنها وتكاثر  
فيها ، وانتشر منها إلى سائر بقاع الأرض .

وزاد الله تعالى هذا الأمر يسائنا فصرح  
بأن الإسلام الذي أنزله على رسوله محمد صلى  
الله عليه وسلم ليس بدين جديد ، ولكنه  
الدين الأول الذي أنزله على نوح ، وهو محدود  
بأنه أبو البشر الثاني ، فإنه قد ثبت أن جوامع  
مائية كانت اجتاحت ذرية آدم إلى نوح وكان  
هدمهم قليلاً على نسبة قرب نوح من آدم .

وقد أشبه على بعض الناظرين هذا الأمر ،  
وقالوا : كيف يطغى الماء على اليابسة فيحتاج  
أمة برمتها ، كأنهم لا يعلمون أن الحوادث  
الأرضية كثيراً ما أحدثت ما يعرفه من  
تتابع ... الخليفة بعد تدوين التاريخ ، وقد  
ثار مرة بركان فيزوف سنة ٧٩ بعد الميلاد  
فحضر مدينة بومبلي برمتها وأباد أهلها جميعاً  
وهم لاهون (١) ، وكثيراً ما حدث زلزال

(١) بومبلي مدينة من مقاطعة نابولي بإيطاليا  
كانت مشيرة على الأسماء الرومانيين وكان يسكنها  
ثلاثون ألف نسمة ناد بركان فيزوف القريب منها  
غمرها كلها فجاء بطبقات من الرماد والصخور  
السائلة والحجم البركانية ، ثم من التنبان عليها حتى  
سنة ١٧٤٨ مثر فلاح لإطلي على تماثيل على  
الأرض فأمرت الحكومة بالحفر هناك فأنكشت  
لهم المدينة .

# مَائِقَالٌ عَنِ الْإِسْلَامِ

## تطور الفكر السياسي الإسلامي

للاستاذ عباس محمود العقاد

على نهج الأكثرين من المستشرقين، وطريقتهم الغالبة عليهم أنهم لا يزنون الموضوع الواحد بميزان واحد فيما يتعلق بالإسلام وبالأهم الإسلامية وفيما يتعلق بغير الإسلام وغير المسلمين، فهم ينظرون - أبداً - نظرة جانبية إلى المسائل الإسلامية، ولا يعمون النظر على قاعدة واحدة إلى هذه المسائل وإلى نظائرها في البلاد الأوروبية والأمريكية، وعندهم - دائماً - أن مسائل الإسلام موسومة بالغربة والمخالفة لما حداها من من المسائل العالمية، فهم يتطلبون الشذوذ الغريب ابتداء من النظرة الأولى، ولا يحسبون أن التحليل العلمي يقسع لتفسير الإسلاميات وغير الإسلاميات على قاعدة واحدة من قواعد الفهم والتحليل، وقد قسرت طريقتهم هذه في التأليف إلى عقول قرائهم وتلاميذهم من الشرقيين المسلمين وغير المسلمين، فكلهم يبتدىء البحث بالفرقة بين ما يحسه من شئون الإسلام وما يحسه من أمثاله في التاريخ القديم

كتاب حديث من مطبوعات أواخر سنة ١٩٦٢ طبعته هيئة فان نوستراند Van Nostrand لدراسة العلوم السياسية بمطابقتها في الولايات المتحدة والبلاد الانجليزية، وعنوانه العلم (الحكومات والسياسة بالشرق الأوسط في القرن العشرين) وموضوعه البحث في تطور نظام الحكم في البلاد الإسلامية التي يطلق عليها اسم الشرق الأوسط مع بعض التوسع، وأشهرها مصر وتركيا ولبنان وسورية والعراق والجزيرة العربية وإيران، ومؤلفه ه. ب. شرايي أستاذ مساعد لتدريس علم التاريخ بجامعة (جورجتاون) ولا فعمل عنه شيئاً غير ما جاء في تعريفه بقلم الناشرين لكتابه، وخلاصته أنه تعلم بالجامعة الأمريكية في بيروت وأتم دراسته بجامعة شيكاغو وتخرج منها سنة ١٩٤٨ ثم نال منها شهادة الدكتوراه في الفلسفة بعد خمس سنوات.

على أن الظاهر من طريقتهم في الكتابة عن الموضوعات الإسلامية أنه يجرى فيها

بل غير معقول ، فإنما المعقول دون غيره .  
أن توضع القواعد الدينية وتوضع الرخصة  
فى تعديلها على حسب شروطها ومناسباتها...  
أما أن ينزل الدين بنصوص قواعده  
ونصوص تعديلاتها معا فذلك ما لم يحصل  
قط فى شرح دينى ولا فى شرح موضوع .

قال المؤلف فى الصفحة الحادية عشرة  
ب عنوان الشريعة : « إذا دققنا فى القول لم نجد  
فى الإسلام نظرية مستقلة للحكومة ، إذ كل  
ما يرتبط بالحكومة والدولة يدخل فى نطاق  
الديانة ، فلا فاصل بين الدينيات والدنيويات ،  
والمسلم الذى يدين بالله وبرسالة نبيه محمد  
عضو من أعضاء الجماعة الإسلامية بحسب الالتزام  
إلى الديانة فقط ، لا بحسب القرابة أو النفاذ أو  
العنصر... ومن الوجهة السياسية تقسم  
الجماعة الإسلامية ، أو الدولة الإسلامية ،  
بسمات أربع وهى :

- ١ — أن الله رأسها والقرآن كما تنزل  
على النبي دستورها الوحيد .
- ٢ — وأن كلمات الله هى الشرع الوحيد  
وليس للجماعة أن تجرى لها شرعا غيره .
- ٣ — أن وظيفة دستور الحكومة  
وشكلها وأحكامها أبدية ولا يمكن تغييرها  
كيفما اختلف الزمان والمكان .
- ٤ — أن الغاية من الحكومة هى إقامة  
الدين وتنفيذ كلمات الله .

أو التاريخ الحديث من شتون الأمم الشرقية  
والغربية الأخرى ، وكلهم يخص الإسلام  
بمنظور (عاص) من أول نظرة ، ولا يحمل  
ذلك المنظار نفسه حين يتحول بالنظر  
إلى سواء .

وأظهر ما يظهر ذلك فيما كتبه المؤلف  
من تطور الفكر الإسلامى قديما وحديثا  
إلى أواسط القرن العشرين ، فإنه يحمل  
الإسلام فى تقديراته مطالبا بأحد أمرين  
مستحيلين : أحدهما أن ينصر فى عقائده من  
مبدأ الأمر على أحكام غير دينية تنبثق  
فى نظام الحكومة ، فهو إذن دين وغير دين ،  
وعقيدة وشئ ، مخالف للعقيدة ، وذلك أغرب  
ما يخطر على البال بالنسبة إلى الدين خاصة  
وبالنسبة إلى كل نظام من أنظمة الشرائع  
والسناخ على التعميم .

والأمر الآخر أن ينزل الدين الإسلامى  
بنصوص قواعده ومصحوبة بنصوص تعديلاتها  
وتطبيقاتها التى تنفى المسلمين عن التصرف  
فيها على حسب المصالح والضرورات ،  
فيحصل التعديل والتصرف قبل أو ان الحاجة  
إليه ، ويصح من ثم أن يقول المؤلف ومن  
على رأيه إن التشريع الحكومى فى الإسلام  
غير متحجر وغير مخالف للسنن المعهودة  
فى غيره من التشريعات...!

ومثل هذا التصرف ، أيضا غير ممكن ،

الموافقة على وقفها أو تعليقها على حسب الطوارئ والضرورات، قبل يكون الدستور الصالح كذلك ولاغرابة فيه، ثم تكون الغرابة كل الغرابة في دستور الإسلام ؟ .

وبين أيدينا الساعة خبر عن دستور دولة عصرية يصح أن يقال فيه إنه من أخبار آخر ساعة، لأنه مكتوب على رأس سنة ١٩٦٣ في تقويم يسمى بتقويم «إيطاليا»، وهي دولة عرفت الحكم «الثيوقراطي»، أو الديني، وعرفت حكم الملوك والأمراء، وعرفت الحكم الدكتاتوري، وهي تعرف اليوم نظام الحكم الديمقراطي ومن أحزاب حزب يسمى بالحزب المسيحي، وخلاصة نظامها السياسي كما جاء في الصفحة الأولى من التقويم لسنة ١٩٦٣ «أنه قائم على أسس التقدم الاقتصادي والاجتماعي، مع احترام الحرية الديمقراطية واستقرار العملة والمشاركة الكريمة في الدفاع عن العالم الحر وتشجيع الدعوة إلى الوحدة الأوروبية والتعايش السلي بين أمم العالم» .

وليس مع هذه المبادئ نص واحد من نصوص الدستور المكتوب أو نصوص قوانين المعاملة والعقوبات، فإذا في هذا التعريف بأسس الحكم في هذه الدولة، أو في الدولة البريطانية، بتعذر قتله إلى التعريف بدستور الإسلام ؟ .

قال : « ويتضح من هذا أن الشريعة — وهي جملة الأوامر الإلهية — ليست قانونا بالمعنى المفهوم من القانون في العصر الحديث . ولكنها قضايا معصومة ترسم للسلم أحكام سلوكه في حياته كلها دينيا وسياسيا واجتماعيا وفي الأسرة والبيت . »

وليس يعني في هذا المقام أن تناقض تصور المؤلف لحقيقة الإسلام، ولكننا نقلناه بحرفه لنسأل : وهل للدستور أو القانون على الأساس الصحيح في كل صورة من صوره قاعدة تخالف هذه القاعدة في جملتها ؟ .

وهل يصل المؤلف ببخسه يوما إلى دستور «وضعي» قويم بدأ العمل به في أمته بجميع تفصيلاته وتعديلاته دفعة واحدة ؟ وهل في دساتير العالم دستور لم يقم على قواعد ثابتة لا تتغير معها تتغير بعد وضعها نصوص المواد والقوانين المنفرعة عنها ؟ .

إن أقدم الأمم الديمقراطية هملا بالحكم النيابي هي الأمة البريطانية، ودستورها في أساسه قواعد لا تقبل التغيير وأن تغيرت المواد التي لم تكتب بتفصيلاتها حتى اليوم .

ومن هذه القواعد حرية الفرد، وحرية الاعتقاد، وحرمة المنزل، ومبدأ النيابة وقرار الضريبة، ومبدأ المسؤولية الوزارية ومبدأ السيادة البرلمانية في وضع القوانين، ومبدأ أسرار القوانين في جميع الأوقات واشتراط

إن هذه الضرورات والشبهات مرجعها كله إلى حق السيادة المطلق ، وهو حق الإمام الراعى وأهل الذكر والرأى المتفق عليه بين جمهرة الرعية .

فهل في هذا الوصف قيد شعرة من الانحراف عن حقيقة الدستور الإسلامى ؟ وهل هو على هذا الوصف بدعة فى التساتير التى تصلح للتطبيق وينتظم عليها أمر الجماعات الإنسانية ؟

إن المستشرقين وتلاميذهم ، وأصح من ذلك أن المستغربين ، وأتباعهم من الشرقيين هم الذين يبتدون بالاستغراب - أصلا - فى كل بحث من بحوثهم الإسلامية ...

وأن هؤلاء لا يكلفون ، أنفسهم أن يبتدئوا بالبحث فى شئون الإسلام ، غير مستغربين ، ولا مفرقين بين نظرة ونظرة وميزان وميزان ، ولكنهم لو نكفوا ذلك فى كل ما يحشوه لعلوا أن الفرية هنا حاصلة وانكنا فى طريقتهم وفى اتجاه عقولهم أويات ضمايرهم وليس فى الإسلام شيء من الفرية ، إلا ما استغربه المستشرقون وتلاميذهم من الشرقيين !

عباسي محمود العقاد

اتنا لا نغير حرفا من نظام الحكومة الإسلامية إذا قلنا على هذا المثال :

إن قواعد الحكم كلها منصوص عليها فى آيات القرآن الحكيم .

إن الإمام يتولى الحكم بالبيعة .  
إن الإسلام يوجب على المسلمين أن تكون فيهم أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ومنها : أهل الذكر ، الذين يسألون عن أحكام الذكر الحكيم .

إن السيادة التشريعية موزعة بين الإمام وأهل الذكر وإجماع الأمة ، أو ما هو فى حكم الإجماع .

إن أحكام الشريعة الإسلامية تنفذ فى كل زمن وفى كل مكان ، ولا يعلق تنفيذها أو يؤجل إلا وفقا لسيادة التشريع .  
إن الفرد حر مسؤول .

إن مصلحة الأمة أساس فى تطبيق الشريعة وفى وضع الأحكام التى لم تذكر بتفصيلاتها وهوادنها فى آيات الكتاب .

إن المجتمع الإسلامى ينكر احتكار الثروة ويحرم الرب بغير عمل ويفرد من ثروة الأمة كلها حصة العجزة والمحرمين .

إن الحدود الجنائية لا تعطى أبدا إلا لعلنة واضحة من علل الضرورات والشبهات .

## مختار من الشعر القديم والحديث

في رحاب النبوة:

يا حبيب الله

لعلنا نراهم نجا

نادى . . إني قريب منك ، يا غير البرية  
يا حبيب الله ، يا أجل نفس بشرية  
يا أبر الخلق بي ، يا أكرم الناس عليه  
نادى ، فالتوق لم يترك من العبر بقيه

• • •

أنت في روعي إشراف ، وفي قلبي حبه  
لم يبق ما ذقتك فيك من الوجد أحبه  
حيثما جئت وقلبي كله شوق ورغبه  
قلت للربة ، من أجلك ، ما أحلاك غربه

• • •

منذ أن كنت صغيراً حدثوني من صفاتك  
عن ريفه النور في وجهك ، عن حلو سماتك  
عن سنا الرقة في طبعك ، أو في بساطك  
فتشقتك ، حتى غبت في أحماق ذاتك

• • •

ومضى العمر بنا في هذه الدنيا الكبيرة  
وقرأت السيرة الغراء مرات كثيرة  
فتجلت قصة تعرض أحداثا مشيرة

قصّة صاغت من الليل قلوباً مستنيرة

° ° °

كم تحملت هذاب الجسم . . آه لمذابك  
وتحملت هذاب النفس من أجل صحابك  
وتقربت ، وكم قاسيت من ظلم اغترابك  
وتساميت ، فما تشكو لنفسه الله ما بك

° ° °

لو طلبت المجد ، وأفاك بملك أو إمارة  
أو طلبت المال ، لباك وأهداك نظارة  
أو طلبت الجاه ، جاء الجاه يوليك اقتداره  
حسب نور الشمس أن يبعث في الكون شعاره

° ° °

هت لا تطلب إلا أن يرى الليل النهارا  
فترى إشرافه النور هيون تترادى  
ويفيض النور نبأ صافياً يسبق الحياوى  
وربما يملأ الكون نماء وازدهاراً

° ° °

أيها العابد في غارك ، في غار حراء  
أيها الباحث من بذرك في ليل الخفاء  
مكثاً تستزل الوحي قلوب الأنبياء  
مكثاً تستقبل الدنيا تباهير الضياء

° ° °

أيها الداعي إلى الله ، وفي الكون جهاله  
أيها الهادي إلى نبع السنا ركب الضلالة  
كم تحملت أذى الشرك ، وقاسيت فضاله  
يا رسول الله ، ما أعظم أعباء الرسالة !

° ° °

أيها السارى على الصحراء فى ظل السكينه  
ورفيق العمر يفديك من الأيدى العينه  
وعلى البعد قلوب مؤمنات فى المدينه  
خرجت بالحب أعيادا وإنشادا وزينه

\*\*\*

أيها الواقف فى بدر تصف المسلمين  
ضارعا لله أن يحق بنى المعتدين  
مشفعا أن يرجع الباطل بعد الحق ديننا  
ثم لاح النصر خفاق السنا فى المالمينا

\*\*\*

أيها السائر فى الصحراء ، والجند كثير  
تبشئ مكة إذ جاءك بالفتح البشير  
وحوائك قلوب تنفى لو تطير  
وعلى وجهك إشراق ، وفى الميك نور

\*\*\*

أيها الطاهر فى مكة ، والكفار أسرى  
وجباه الظلم والظفيران تنو لك قبرا  
والآل كم حاولوا قتلك ، لا يلقون عذرا  
ثم كلن الصفع من قلبك إحسانا وبراً

\*\*\*

يا رسول الله ، ما أروع هاتيك الصفات  
ليقنى أدركت أيامك يا خير الهداة  
فأنانى النور من قلبك يحمو ظلماتي  
وفديت الممة الغراء منه بحياتي

\*\*\*

يا حبيب الله ، ما زال الحوى غضا نظيرا



## فلسفة البخل

مؤتاز على الجنى

قد يستطيع الإنسان أن يمل كثيراً من أخلاق الناس ،  
ولكنه يعجز عن تعليل البخل في بعض الخلاء !! فثلاً كيف  
تستطيع أن تجد علة للبخل لدى رجل واسع الثراء ، مريض  
الجسم ، طاعن في السن !! وهو مع ذلك يبخل على نفسه  
بالطعام الجيد ، واللباس الحسن ، والمركب الفاره ، بل يبخل  
أن يستطب الدواء ، وبشرى الدواء !! .

بصفات الإنسان أصبحت طباً غير أنى بالبخل على قاصر (١)  
هو خلق تاه الأوائل في كد ف متاهاته ، وضل الأواخر  
وهو باقه ، والرسول ، وبالقرآن ، والخير ، والفضيلة كافر  
وهو للشر وارد ، وعن الخصمة ، واللؤم ، والنذالة صادر  
كيف يرضى بأن يعيش فقيراً ذو غنى يقتنى نفيس المنائر  
كيف يرضى بأن يعيش على الحر مان مثر يقتنى بقيم الجواهر  
كيف يرضى بأن يعيش مقلاً من به البسكوت ، راح يفاخر  
كيف يرضى أن يلبس السمل البالي من يستطيع لبس الحباثر (٢)  
كيف يشقى في جمعه المال من يو قن يوما حلوله في المقابر  
عاش في شقوة ، وفي ضنك عيش وهو أن يسكن الفردائس قادر  
كلن « نيسان » شهره أبد الدهر — ر، فلم يرضى نحسه غيره « تاجر » (٣)

\* \* \*

(١) القاصد بفتح الطاء : الماهر الخادق في عمله كالطبيب .

(٢) السمل بحركة : الخلق .

(٣) نيسان : من شهور الربيع وهو أبريل شهر الورد ، وتاجر من شهور الصيف ، وهو رجب أو صفر .

رب مال في كنزه يجهد الناس  
 بالدنيا يلقي بها حاتم الجود  
 شهد الله : أن فلسفة البخ  
 من يكن حل لغزها ، ومما  
 قد صدقنا الفقير إن شح لكن  
 قتل البخل والبخل ، فهذا  
 بالتعس البخيل يعبد ربا  
 وثن لا يزال يعبد قو  
 لوعلى البر أنفقوه لباتوا  
 من لأعدى أعدائهم هو صائر  
 داء فقيراً ، ويحزن اليسر داء  
 ل تقوت النهى ، وتعي البصائر  
 ها ، فإن في حله جد حائر  
 لم تجد للفن في البخل عاذر  
 زق سوء ، وذاك داء عظامر  
 سبي المال ، وهو الجرفاجر  
 م طغام الاحلام حق الرائر  
 في وثام ، والديش أخضر فاضر

### على الجندي

( بقية المنشور على صفحة ٧٢٢ )

قلبي المشتاق يسقى غصنه ماء نعي  
 فها النمر ، وقد أبنع في قبي زهورا  
 يا حبيب الله ، خذ ماشئت زهرا وعيرا

\*\*\*

سوف أحيا طول أيامي أناجيك بحبي  
 وأنا المشتاق لا يهفو إل غيرك قلبي  
 أنت ما أروجه من دنياي في بصدى وقرني  
 لمن تكرمك وفاديت ، فبالروح ألبني

\*\*\*

نادني لاني قريب منك يا خير البرية  
 يا حبيب الله ، يا أجل نفس بشرية  
 يا أبر الخلق بي ، يا أكرم الناس عليه  
 نادني ، فالشوق لم يترك من الصبر بقية

ابراهيم محمد نجما

# الكتيب

## في العاصفة

ديوان شمرى الشاعر كيلاني سند ، ظهر في صيف عام ١٩٦٢  
عن مكتبة عالم الكتب بالقاهرة في ٩٠ صفحة .

المعاصر ، وحول رسالة الشعر ووظيفته  
في الحياة .

### — ٢ —

ونعود إلى الشاعر وديوانه ، تأمل كل  
جانب من جوانبه ، تأمل المدارس النافذة .  
تدور فلسفة المعاصر في ديوانه حول  
أمور ثلاثة :

الأول : الشعور الكامل بدور الفن في  
الحياة ، وأثره في مستقبل البشر ، ورسالته  
الحرة الجريئة الصريحة ، العاملة على دعم قيم  
الإنسانية ومثالياتها النبيلة .  
ويتضح ذلك بجملة في أولى قصائد الديوان  
« الطريق الشائك » ، التي تصور فيها كفاح  
الشعراء وفضالهم من أجل مستقبل أمتهم  
والعالم جميعاً ، ويقول فيها :

يا كم عبرنا قطرة  
وأبحرنا أمواجها

وهيمنة مزيجية

### — ١ —

شاعر من أحماق الريف ، نشأ كما ينشأ  
أبناءؤه ، يفهم الفقر والجوع والحرمان  
بظلاله ، ولكن قلوبهم الكبيرة تصدح بالحب ،  
بالأمل ، بالحياة ، بأعاني النصر ، بابتسامات  
الرييح ، بالإنسانية والسلام والأمن .  
شاعر صادق الإحساس والتعبير ، حقيق  
النظرة والتفكير ، دقيق الآراء والتصوير .  
مبتعد عن كذب الشعور ، وزيف الأداء ؛  
يحب البساطة في كل صورها ، ببساطة البحر  
الشعري الذي ينظم قصيدته منه ، وببساطة  
الأسلوب الذي يبرز معانيه فيه ، وببساطة  
الكلمة التي يختارها لنقل خفي مشاعره ،  
ودفين أحاسيسه ، إلى الناس .

وديوان « في العاصفة » القليل الصفحات ،  
حرى من النقد بالدراسة والمناقشة ، لأنه  
يمطينا مفاهيم كثيرة حول الفن ، والصورة  
الشعرية ، وطريقة الأداء عند الشاعر

وكم سعدنا فة	الإنسانية .. فالحب هو كما يقول الشاعر :-
عالية	الحب أى منجسم
نبعث من أغنية	فى قلب إنسان ترى
صغيرة ،	لون الضحا من لونه
وزادنا على الطريق	والمطر بين الزهر
ورق	وهو يدعو الشعراء إلى الحب والغناء
وأمنيات فى الصدور	لكل الناس ، حتى لخصوم الحياة ، يقول
خضرة	يخاطب كل شاعر من أصدقائه فى الفن :-
إلى أن يقول :	غن لم ، إرت لم
يا إخوة سيقبلون	قلوبهم من حجر
والليالى	واقبح لم نافذة
ويسلكون دربنا	فى قلبك المنحوسر
مواكبا	أخى الحياة غشوة
طريقهم	بالحب ، حب البشر
وأرضهم	ونصيدة ( ذات ليلة ) توحى بنزعة حب
فلتذكروا أنا عبرنا	الحير المتأصلة عند الشاعر ، فمها يقول :
ألف ألف	إن فى هذه الليلة ماتت امرأة فقيرة خيرة ،
ولم نزل عطامنا	لم يبال بموتها أحد ..
من حولكم مبعثرة	كانت ككثير فى القرية
ومثل ذلك قال الشاعر فى قصيدته «يا شعر»	مصباحا غابى الأضواء
وفى قصيدته «الصفصافة» ، يجعل الشاعر	وماتت فيها كذلك امرأة غنية بخيلة :
المن ابنائه ، ويقم من نفسه حارسا عليه	عاشت ما عاشت ما وضعت
يرطاه ويتعمده ، لينمو ويكبر ، ويصبح	لبنات فى أى بناء
شيتا كبيرا فى حياة الناس والأصدقاء .	ما غرست بضع شجيرات
الثانى : الإيمان بالخير ، وبالحب ،	للجهد بين الصحراء
حب الحياة ، وحب البشر ، وحب	

نلاحظ أن الشاعر كلما حاول تصوير الأغنياء صورهم بصورة مكبرة مغالى فيها ، ويتضح ذلك في قصيدته : « أغنية لإقطاعي » ، « وإنسان بلا أسطورة ، ولا أحب هذا الغلو الذي ليس له داع فني أو واقعي ، فالنفي في ذاته ليس رذيلة وشر ، وإنما الشر في أن لا يؤدي النفي به حقوق مجتمعه عليه .

الثالث : التماثل والابتسام للحياة ، والثقة بالخير ، بالربيع ، بالسعادة ، وأنها لا بد أن تنتصر على الظلام ، والحريف ، والشقاء ، يصور الشاعر في قصيدته « أمل » كيف مر الحريف على حياته ، فتركه شقيا محروما فقيرا ، ثم فجأة طلع الربيع ، وروى له بشيء ، فإذا المباح بطل مبغضا إليه .

وتبسمت كل الحياة

ة تبسمت في مقلتيه .  
والشاعر لم ينظم قصيدته هذه لهذا الغرض وحده ، وإنما بدأها مخاطبا حبيبته بأن تعود إليه ، لأنه صار يملك كل شيء ، فقد ذهب الحريف وجاءه الربيع ، والشاعر لا يقول هنا إنه صار يملك كل شيء ، وإنما يقول « ما زلت أملك كل شيء » ، لفظة تفاؤله بالحياة ، وإيمانه بنفسه ؛ ولا يعني كل شيء عما يملك ، ولكنه يعني كل شيء من أسباب الوصول إلى النجاح في الحياة .

وفي قصيدته « يارباح الحريف » ، والكلمات الطيبة ، نجد صورة من تفاؤله

وفي هذه القصيدة لا يسلك الشاعر طريقا خطايا بلولا يسلكه غيره من الشعراء ، ولا يدعو في إضجار إلى الخير دعوة الواقعيين والأخلاقين . ولكنه يكتفي بعرض الصورتين ، صورتى المرأين ، الخير الفقيرة التي لم يدر بموتها أحد :-

رحلت لم يدر بها أحد

من يدرى موت الفقراء  
في الفجر انتظرت بقطتها  
كالمعدة بعض الأشياء  
القطعة وصفار طيور  
كانت تأتيا بضياء  
فبكاهما الطير برقة  
وبكتها القطعة بحواء

وهنا نجد الصورة صادقة مستمدة من الواقع المثير .. أما الصورة الثانية ففيها مغالاة وتضخيم كثير ..

كانت سيدة تخدمها آلاف عبيد وإماء  
ولا يريد الشاعر العبید والإماء حفا ، لأن ذلك كان في عصر مضى وانقضى منذ زمن بعيد ، إنما يريد بهم الفلاحين والفلاحات الذين يعملون في أرضها كالعبيد ..  
ويستمر الشاعر في تكبير هذه الصورة :-

إن ضحكك قبحت مقبرة

أو ألت سلة أقداء  
ولماذا هذا التكبير والتجسيم « إتنا

ثم يصور كيف قابل وفاة أمه بالحزن ،  
وهو طالب صغير ، حاد من أسبوط ظم مجدها :  
ولما رجعت تلست أوى  
وناديت لكنها لم تحب  
لقد جئت من سفرى مجدها  
وودعت دنياى بين الكتب

ولما شمت ورج النداء  
هدوت لأبحث فى كل درب  
وأبحث فى الغرف الخاويات  
ملاحها ها هنا لم تصب  
ثم يستمر فى شعره الحزين إلى أن يقول :  
ولما انقبت وفتحت عيني  
رأيت المهوم على منكبي  
وأبصرت نفسى كطير غريب

يخاف من الطير ذى الخلب  
وأعرض عني كل المجين  
أعرض عني حق أبى  
والقصيدة دقيقة حية من شعور ، وفيض  
من قلب ذكى ، وفن ثرى .

وفى قصيدته «جنة الحب» يصور والده  
وحبانه الذى كان له وحده ، ثم كيف تزوج  
وأفرغت زوج الأب فى جنة طفله حدها ،  
ويصفها بالتنين :

سنوات مرت كشوان  
وإذا بالجنة مسودة

وابتسامته الحياة ، وكذلك نراه فى قصيدته  
« الشمس والعاصفة » التى نظمها من أسطورة  
يابانية وصور فيها الشمس وهى تنطلق من  
إسارها ، من النجوم وآثار العواصف  
والأعاصير ، قتملاً الوجود حياة وروحاً  
وأملًا ...

— ٣ —

ومن ثقة الشاعر بالفن وبالحب ، وتفاؤله  
بالحياة ، نستطيع أن نتعرف إلى قصة حياته ،  
التي صور جوانب منها فى بعض قصائده ...  
فى قصيدته « الوحدة » يتحدث عن شغفه  
وهزله ومهمومه وقرره وآماله الجريحة ،  
وبأسه القاتل ، وعن اتصاره على كل هذه  
الأسباب المزعجة فى المزعجة .

وتتوالى الأحداث على الشاعر ، تموت  
أمه ، فيلتصم الحنان فى قلب أبيه ، ولكن  
الوالد سرعان ما تزوج فتضيق الحياة أمام  
حنيه ، ويفقد حطف الأب حتى أصبح  
لا يجده ، يقول الشاعر من قصيدته « الطير  
الغريب » :

أبى لا يزال ، ولكن طوى  
طوى ظله . . فاحتوانى الحجير  
وأى مات . . وكنت أنا  
أعيش بمحلم كبير ، كبير  
وقلت : أبى سيكون أبى  
وأبى وظلى ونبى الغزير

منه وهو وزن واقص ، ومن الوافر ويجزوه  
الكامل ، والسريع . . وفي الديوان قصيدة  
واحدة من البسيط ، عنوانها «إليها» .  
وهذا يدل على حناية الشاعر بموسيقاه ،  
وجعل الشعر وسيلة من وسائل الفناء . .  
وكثيراً ما يستعمل لفظة غناء ومشتقاتها في  
شعره ، وفي الديوان قصيدة عنوانها «هكذا  
غنى الفلاح» ، وهي تمثل فرح الملاح بالإصلاح  
الزراعي وبأرضه الصغيرة التي أعطيت له ،  
وقصيدة أخرى عنوانها «أغنية عمل» .  
الثاني : كثرة الصورة في شعره ، يقول  
مثلاً في قصيدته «إفريقيا» التي تحدث عن  
وئبها وتحمرها :

إفريقيا تنهض واقفة  
من رد إلى الميت صوابه  
وقفت والريح مزججة . .  
فازدادت في الريح صلابه  
بركلن يتدفق ، نار  
أمواج تهدر ، صخابه  
سيل يتحدر ، أموات  
تبعث ، تتحرك غابه  
ومثل ذلك كثير في شعره .

الثالث : بعده عن التفرير والخطابية في شعره  
ومن ثم نجده يتناول موضوعات قصائده من  
طريق غير مباشر . . يريد أن يتحدث إلى  
الناس ليحبوا الخير ، فيتحدث إليهم عن

لغتها نار ، تنين  
قد أفرغ في الجنة حنقه  
كالفرخ الأذهب مرتاعا  
في العرش وقد أصبح وحده  
قد صرت ، فإحساس يتيم  
إحساسى بالقرية بعده  
وفي قصيدته «ثم افترقنا» يرثى أباه ،  
يذكر كيف نسيه بعد وفاة أمه ، ثم كيف  
تركه وافرقتا ، ثم يقول :  
قد مات وأصبح جهنماً  
سيواري بتراب اللحد  
فشمرت ببركان الدكري

يتمدد وحشا في قيد  
وهذه الموم والاحزان والحياة  
المكدودة هي التي صاغت الشاعر ومواهبه وفنه  
أدق صياغة ، ودعته إلى أن ينظم كل ما يشعر  
به شعوراً صادقا ، وشعرا مؤثرا أضافا .

— ٤ —

ولندع حياة الشاعر إلى فنه وشعره ، الذي  
يتميز بخصائص عدة :

الأولى : حلاوة موسيق الشاعر ، وقصائد  
الديوان كلها مننم فيها الوزن الشعري  
والنافية ، وإن تعددت النافية للقصيدة  
الواحدة في كثير من شعره . . والبحور التي  
نظم منها الشاعر هي البحور القصار غالباً ، فقد  
نظم من الرجز والخفيف والمتداون الذي أكثر

وفي قصيدته «إنسان بلا أسطورة» يقول  
على لسان فتاة تتحدث عن غنى أحباها :

حماقتي ، فأرتجى بحضنة أقر  
وكلمة « حماقتي » هنا جاءت في غير مكانها ،  
فهي تتحدث عن حب الغنى لها ولا تتحدث  
بلسانه . وإذا قلنا إن الذكر الباطنية قد  
فكرت بكلمة الغنى « حماقتي » وهو يكرها  
على سمها ، فذكرتها على لسانها ، لتصور  
ما كان يخاطبها به من كلمات حب ، فإن ذلك  
يكون غموضا لا يغفر للشاعر .

ومع ذلك كله فإن بساطة الشاعر في أسلوبه  
جعلته سهلا على الأذن ، خفيفا على القلب ،  
قريبا من الفهم . . ولا يناقض ذلك ومزية  
الشاعر في بعض صوره ، فإن مرد ذلك إلى  
المعاني لا إلى الأسلوب .

وبعد فديوان « في العاصفة » نفحة حلوة  
فيها صدق وصرامة وقوة طبع وسلامة  
ذوق ، وهي تدل على اكتمال الملكة  
عند الشاعر ، بما يصاحبها من طاقات  
فنية متميزة .

وأحب لشعراء اليوم أن يقرأوا هذا  
الديوان ويتفهموا منهج الشاعر فيه ،  
ويحكموا عليه أولا ، فقد يكون في ذلك  
ما يفيدهم من حيث لا يشعرون .

محمد عبد النعم فطامي

امرأتين ماتتا في ليلة واحدة ، ويترك للذهن  
عملية الموازنة واستخلاص الحكم وأسبابه .  
ويريد أن يقول إن الربيع جاءه بعد أن عاث  
في حياته الخريف ، فلا يذكر ذلك مباشرة  
بل يقول لحبيته : هودي إلى فقد جاءني  
الربيع وذهب الخريف ، وكأن ذلك غير  
مقصود من القصيدة . وهكذا .

الرابع : حب الشاعر للتكرار تأكيذاً  
لمعانيه ، ومن مثل ذلك قوله :

وتسمع في البعد ضجة عرس كبير كبير  
وأى ماتت وكنت أنا أميش بحلم كبير كبير -  
قد مال نحوى هامسا ، ودى بشئ لي ، بشئ -  
مازلت أملك كل شئ ، أى شئ ، أى شئ .  
ويشير هذا التكرار إلى محاولة الشاعر  
إدراك أحماق نفسه وتصوير كل ما في جوانحه  
من عواطف ومشاعر وأخيلة ومعان .

الخامس : بساطة الأسلوب والتعبير ،  
وإن كانت هذه البساطة قد تقوده إلى العامة  
حيناً ، كما في كلمة « المترهبين » وصحتها  
« المترهبين » وقد تقوده إلى استعمال كلمات  
لم تستعمل كقوله في فتاة صغيرة :

وحانة رفت على موكبي .  
وإلى التهور النحوى حيناً كقوله :  
أم الأهل في البعد لاقرأ الحماما .

بعض القاف للوزن ، وكان الواجب فتحها  
ولكن لو قمت لانكسر الشعر .



# انبثاء وآراء

جائزة الدولة التقديرية :

لمؤلفات الزيات

الفن ، فقد اجتمعت في الدستور المعجز وروعة  
النظام مع روعة النظم ، وجمال المعنى مع  
جمال البيان ...

وأحسب الفنان الموهب تلتقط احتياجات  
مجتمعه في سرعة واستيعاب ، وأجهزته الفنية  
تعالجها وتبرزها ألوانا شتى ... وهو في هذا  
كله يحقق ذاته كما ينجم مجتمعه في بساطة  
ويسر ، ودون تمزيق أو تقطيع .

لأننا نحكي هذا الراصد السباق ، ونحكي آثار  
مدرسته على كيانات وثقافتنا ... فقد استل  
الطريق الشاق في وقت تسكر فيه الآلة  
بالرطانة ، وتزيغ فيه القلوب بالإلهاد ،  
وتداعى الأمة بالتميع والخذلان .

ويحق على المجتمع العربي الذي شب عن  
الطوق ، فاضطر الاستمرار إلى الجلاء ، وبرزت  
شخصيته القومية والروحية والفكرية — يحق  
عليه بحكم شريعته في العدل ومجاهاة في الفضل  
أن يعد على الأدب الكبير ... الذي ارتاد  
الطريق ، في أصالة وشجاعة ، وثبات وإيمان

فتمى عظماء

يطيب لكاتب هذه السطور أن يحيي  
صاحب « الرسالة » بتقدير الدولة ، بعد أن  
انقضى على جبينه تقدير الجماهير طوال السنين .  
زادها الله طولا ، وزاد في عمر صاحبها بركة  
وفي جهوده توفيقا

لقد كان الزيات خير رائد لمدرسة تحمل  
عنوان « الرسالة » ... فلا يقوى على أعباء  
« الرسالة » إلا ذوو الجند وأولو العزم ، ولقد  
كان الزيات جادا في تكوينه لنفسه ، جادا  
في كفاحه ، جادا في أدبه ، يحترم عقول قرائه ،  
ويعمق الفكرة كما يتخير اللفظ والأسلوب .

وصاحب « الرسالة » كاتب هادف قبل أن  
يشفق المشتقون : هل الفن الفن أو الفن  
الحياة ، وهو مؤمن فنان ، يعرف أن الفكرة  
والحاس لا يغنيان عن الجلال : جمال الفكرة  
وجمال العبارة على حد سواء .

إن تلاميذ مدرسة القرآن قد عرفوا من  
زمن كيف يعبر عن مطالب الحياة بروائع

## عبد العظيم :

شهدت القاهرة في اليوم الخامس عشر من شهر ديسمبر ، والثامن عشر من شهر وجب حفلها السنوي الكبير في تكريم العلماء والناخبين في مختلف ألوان العلوم والفنون والآداب ، ووقف السيد / الأستاذ أحمد حسن الزيات فألقى أمام السيد / الرئيس جمال عبد الناصر كلمة شكر باسم جميع الفائزين بالجوائز التقديرية والتشجيعية ، وضمنها الإشارة إلى ما أتم به هذا العهد من نهوض في جميع مرافق الحياة وظهور الشعب بمظهره القباذي الاشتراكي فيه . وكان من أبلغ ما رد به الرئيس على ذلك وعلى تحيات الحاضرين أن أعلن أنه هو الآخر ينال جائزة في كل اجتماع تقدم فيه الجوائز ، هذه الجائزة هي الاطمئنان على مستقبل الجمهورية العربية المتحدة والأمة العربية بصفة عامة ويرى القراء في ضمير هذا المكان كلمة الأستاذ أحمد حسن الزيات .

## فرعون موسى :

السيد الأستاذ ورئيس تحرير مجلة الأزهر الغراء السلام عليكم وبعد : فقد جاء في أهرام الجمعة ١٩ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢ الموافق ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٢ م في ص ٦ باب حقائق أن فرعون مصر الذي طرد بني

إسرائيل من بلاده لم يعرف وإن كان الاعتقاد السائد أنه رمسيس الثاني . .

ولا خلاف في أن فرعون مصر هو مرفتاح المشتهر باسم مرفتاح وهو ابن رمسيس الثاني وخليفته . ويوجد في دار الآثار المصرية لوح كبير من الحجر الأسود عليه قصة خروج بني إسرائيل في عهد مرفتاح . والذي جعل الأستاذ برستد وهو من أعظم العلماء في تاريخ مصر القديم يتشكك في اسم فرعون موسى أن جثته وجدت ، وقد قال في تاريخه إن وجود جثة مرفتاح يجعلنا نتفكك في المعلومات التي تقول إنه فرعون موسى لأن فرعون موسى فارق في البحر الأحمر بنص التوراة . هذا ما قاله برستد . وأقول إن القرآن الكريم نص على إخراج جثة فرعون ليكون آية لمن خلفه . فوجود جثة مرفتاح تأييد لقرآن الكريم إذا أضيف إليه النص التاريخي المبرر وظيفي الذي في دار الآثار أصبح الشك في حقيقة فرعون موسى أمراً لا اعتبار له .

ومما يلاحظ أن جثة هذا الفرعون هي الوحيدة التي انفردت بين جثث الفراعنة المحفوظة في دار الآثار بأنها تكسو بعض أجزائها طبقة من الملح . ومن العجيب أن أحد المؤرخين المعاصرين قال : إن وجود هذه الطبقة الملحية يدل على أن مرفتاح كان مصاباً بالأملاح التي تسبب بعض الأمراض ومنها

المنحدرة يستغل هذه الطاقة الاستغلال السيئ، فيملأ فراغ المراقق بالأفكار الملوثة ويسكب في غريزته الظالمية ما يزيد للانحراف غلماً، ويوجه طاقته أسوأ توجيه ونحن - كآباء محافظين، إذا تحدثنا بين أسرتنا - نحرص على أن نترك من الحديث ما لا يصح أن يطرق أسماع أبنائنا وبناتنا، ونلقى على الآباء والأمهات، والمربين والمربيات، توجيه كبرى، في توجيه الجيل الناشئ، التوجيه الصحيح، وإحاطته بإطار قوى نفيس من الرعاية، يصون صورته وجوهره من الفسوية، والتفوت، والتمزق، فإنا بالناس نبيح كل حديث، ونذع من شاة يكتب ما شاء لمن يشاء، وينفق في وصي الناشئين والنشئات سموماً من القصة المبتذلة المتبرجة!

أليس من واجبنا أن نمنع الفساد والانحلال؟ ومن حق النفس، هل الدولة أن تحمي، وتقيه الإهمال الأدبي والجسماني والروحي؟

إن المداد الذي يسود به الكاتب الكتب والصحف إنما هو دواء شاف، أو سم زعاف، وإن السم الذي يده بعض محترفي الأدب فيما يسمى القصص الواقعية هو - كما قلت - أشد السم خطراً وقتكاً.

وتاجر القصة المنحدرة مثله كمثل بائع

الروماتزم - ولست أدري لماذا لم يفلن هذا المؤرخ إلى أن وجود هذه الأملاح نشأ من أن جثة فرعون التي تشبعت بماء البحر المالح ثم بعد العثور عليها وضع في مواد التحنيط وأهمها النطرون - ومعلوم كيميائياً أن عنصر الصوديوم من مركبات ملح الطعام وهو أيضاً في النطرون - فلما وضعت الجثة المشبعة بماء ملح الطعام في النطرون ( وكلاهما قلوئى ) - طرد أحدهما الآخر فظهر على الجثة فافتردت بهذه الظاهرة دون باقى جثث الفراعنة .

وهذا شاهد مادي على صدق القرآن الكريم يدحض آراء الذين يتشككون في القرآن الكريم وفي وجود الله سبحانه وتعالى من شيوعيين وملاحدة .

عبد السموم النجار

دمونس - بحيرة

القصصات الممنوعة والقصص الفائرة مباحة :

الحشيش والأفيون ينومان بحكم القانون ، ومنهما يقتل من ضرهما ، ويحد من تفاقم خطرهما ، وإذا كان الاتجار بهما أو بأحدهما يؤدي إلى السجن ، وتناولهما أو أحدهما يؤدي إليه أيضاً ، وكثيراً ما يؤدي إلى الموت ؛ فإن القصة المنحدرة قتل ممنوى الشباب ، وعدم للجمع الذي نعمل لبنائه ، والشباب طاقة مستعدة لأي فساد ؛ صالح ، أو غير صالح ، وصاحب القصة

وتستسلمه ، وتحضيه فيه ، ولا سيما إذا وجدت  
تفاضيا وتهاوتا ، بل تشجيعا ورعاية ،  
على عكس البانية التي تتجه دائما نحو الصعود ،  
وتجهد في الصعود لئلا ، وإن كان شاقا ،  
والمشقة حلوة من أجل المجد ، وإعلاء البناء .

ومن صميم الواقع قصص : مجنون ليلى ،  
وعترة بن شداد ، وعالمة بن الوليد وغيرهما  
وكم في الواقع من مثل عليا فلم لا يطلقون  
كلمة الواقع إلا على الانحدار ، وما لم  
يدافعون عنه بأنه الشيء الذي لا يمكن  
تجاهله ، أو التخلص منه .

إن في الرجال من صنعوا المجد ، وأنوا  
من الواقع ما كان أحلاما ، وحققوا من  
الآمال ما كان في حكم المحال .

وإن في النساء من بلغن مكانا رفيعا من  
التضحية ، والرضا بالحرمان في ظل الحب  
النظيف ، بل منهن المحاربات اللائي شاركن  
الأبطال في ميادين القتال .

إن العزم والقوة والإقدام في الرجل  
العربي صفات جديرة بأن يكون مادة فنية  
للقصة الرفيعة التي تروجه بها إلى المجد وإلى القوة .  
وإن الحياء والخشوع والصبر والتضحية  
صفات متوافرة في المرأة العربية ، توافرا  
أكثر مما عندها من الصفات المضادة ، فلماذا  
لا نعرض صورا من الواقع في مثله العليا .

حامد مبرر

الحلوى المتجول ، الذي لا يحصل على الرجز  
إلا من أيدي ضحايا أبرياء ، في المحاربات  
والأزقة ، لا يفتحون عيونهم ليروا الآثمة  
والذباب ، عندما يفتحون أفواههم لالتهام  
الحلوى المكشوفة الملوثة .

وتاجر القصة المنحدرة بفانل القانون ،  
وهو واثق بأنه لن يسجر عن إثارة قارئه  
السطحي ، والانحدار به ، متمقا غريزته  
تملقا مكشوقا ، لأنه لا يملك وسيلة يستميله  
ويجذبه بها سوى تلك الوسيلة ؛ وغايته أن  
يضمف الجفسان أمام الفرزة الهائجة ، وأن  
تهون في تقديرهما كل القيم .

إن الحشيش والافيون يقتلان البشر ،  
ولكن تشديد العقوبة على تناولهما ، والاتجار  
بهما يقتل من ضرورهما ، ويقتل الناس شرهما ،  
وأما السلاح الذي يدمر ويفتك ، ولا يرد  
خطره ، لأننا لا نحرمه ، فهو تلك السموم  
التي تدخل بيوتنا في قصص وروايات ،  
فيقرأها أبناءنا وبناتنا على أنها أدب ، وتدخل  
السينما صورا متبرجة طارية ، فيشاهدنا أبناءنا  
وبناتنا على أنها ترفيه وتسليه ، وهي الرعب الذي  
تصعب الوقاية منه ، والذي يسحق قوانا المضوية  
حقا ، ويهدم كياناتنا من حيث لا ندري .

وقد يقول المحترف الهابط ، أو من يدافع  
عنه : هذا هو الأدب الواقعي ، وأقول  
إن الطاقة الهادمة تتجه إلى الانحطاط ،

صبر بعير :

إن المراقب لما تفسره صحافتنا خلال السنوات القليلة الماضية يلحظ زيادة مطردة في نشر الأدب الخبيث ، والأخبار المثيرة للفرار البهيمية ، والصور شبه العارية ، الجارحة للصور السليم والفطرة السليمة . ويشترك في هذا صحفنا ومجلاتنا بدون استثناء وإن كان هناك اختلاف في الدرجة فإذا ترمى الصحافة من وراء ذلك ؟ وماذا يريد الصحفيون بمثل هذه التفاهات التي لا تربي نشأ ولا تصلح جيلاً ؟ .

وفي الواقع إذا نظرنا إلى الصحافة الغربية التي تعتبر بالنسبة لأمثال هؤلاء الصحفيين بمثابة مصدر الإلهام، وجدناها تختلف اختلافاً جوهرياً عن النمط الذي تسير عليه صحافتنا . فإنه مع التسليم بأن هناك صحفاً ومجلات متخصصة في نشر مثل هذا الأدب وأشد منه إلا أن الصحف والمجلات المعتادة لا تندهور إلى هذا المستوى حتى لا تؤذي بصير القارئ العادي ولا تدفعه من طرف خفي نحو الرذيلة ومن هذا نستشف أن التليذ قد فاق أستاذه ولكن في الطريق السقيم ذي المواقب الوخيمة . ومن المسلم به أننا لو كنا نطيع أحكام ديننا الحنيف لسكننا نرى مثل هذه الأشياء ، وما كان هناك حاجة لكتابة هذه السطور . ولكن مثل هذا الأدب الماجن ترفضه كل

فكر إنسانية تبني رقى الإنسانية والإنسان . وبأباه كل خلق قويم . ولما كنا بصدد مرحلة تكوين نشأ جديد وشباب قوى لكي يحمل أعباء المستقبل فإن مثل هذه الصحافة لا يمكن أن تؤدي إلا إلى هدم ما ينبغي وإنقاذ كل ما ينشأ .

محمد سلطانة أنور هلي

جامعة مارقارد

والجدة ، نشرنا هذه الرسالة لأنها تحمل إلينا من بعيد عاطفة قلب مسلم يحرص على مصلحة إخوانه ومواطنيه .

وربما أن الصحافة وقد آلت بالتأميم إلى يد الأمة المؤمنة المتدبنة ستجبه الإجماع الذي يرضى عنه الكاتب وترضى عنه الأمة .

سافر إلى بيروت هجر البحر :

تحت هذا العنوان قرأت كلمة الأستاذ علي برهان خلص منها إلى جواز كلمة « هجر » مضافة إلى شيء آخر كالبحر مثلاً . كما يكتبه كثير من رجال العصر تراوشعرا . محتجا على صحة هذا الاستعمال بقول الشاعر سواد بن قارب في وصف ناقته :

فشرت عن ساق الإزار ووسط

في الدحلب الوجناء « هجر السباب » وأقول للأستاذ الفاضل : إن « هجر » هنا ليس مما نحن فيه ، وإنما هي وصف

وفضيته من كتاب المجلة ومن هدهد إحدى  
كليات الجامعة الأزهرية ، ولهذا لم يكن به  
من نشر المقال وإلقاء تبعة كلامه عليه  
دون غيره . .

ومعنى هذا الكلام كما فهمت شخصياً أن  
المدنى ينشر مقالاته باعتباره حيداً لسلطة  
الشريعة لحسب ١١ وذلك خطأ واضح  
لأن الأستاذ المدنى كاتب إسلامى مرموق  
تحتل مقالاته صكبرات الصحف العلمية  
والأدبية قبل أن يلى المادة بأكثر من  
ثلاثين عاماً ؛ ١ ومجلة الأزهر ومن قبلها مجلة  
الرسالة لم تكن لتجصل من المنصب الرسمى  
سبيلا للفخر والديوع ، ولا قدرى كيف  
تورط الأستاذ عبد الرحيم فودة فى ذلك ،  
وهو من يعرفون أقدار الناس . إن للأستاذ  
فودة أن ينقد رأى ، ولكن ليس أن  
يقول ما ينكره الصيان .

( أبرحسام )

التعليق :

ليست مكانة فضيلة الأستاذ المدنى موضع  
الخلاص فيما كتبت وإنما الخلاف فى نسبة  
المثالية إلى قول الله ، وقه المثل الأعلى . .

عبد الرحيم فودة

الناقة ؛ جاء فى القاموس وغيره : ناقة عبر  
أسفار - مثثة العين - أى قوية تشق ما مرت  
به ، وكذلك يوصف بها الرجل والجماعة ؛  
تقول : رجل عبر أسفار ، ورجال عبر  
أسفار ، ومعنى البيت : ناقة قوية على شق  
الصحارى . وأما عبر ، المقصودة فهى بفتح  
العين وكسرهما - والكسر أفصح - ومنها  
شاطىء الوادى وناحيته ، تقول مثلاً عبرت  
الوادى أو التهر : قطعته من عبره إلى عبره ،  
يقول المتنبي فى مدح سيف الدولة

فأبصرت بدرا لا يرى البدر مثله

وعاطبت بحرا لا يرى العبر عاتمة

أى من حام فيه لا يرى شاطئه ، وإن  
يكون معنى قولهم : سافر إلى يروت عبر  
البحر ، يساوى قولهم : سافر إلى يروت  
شاطىء البحر ، والخطأ فيه بين ما لم يحمل على  
وجهه ولست أرى له وجهها .

على الجندى

المقابلة :

جاء بالعدد الأخير من مجلة الأزهر تحت  
هذا العنوان ما يلى :

« يرى القراء فى هذا العدد مقالا من المثالية  
فى نظر الإسلام لفضية الأستاذ محمد المدنى ،

## فِي أَصَابِيرِ الْجَنَّةِ الْفَتَوَى

أبراهيم محمد الأحصيل

بشرف عليه :

السؤال :

أنا مصرية مسلمة أعيش في أمريكا ، ولا يوجد حول من يرشدني إلى حل لمشكلة دينية اعترت والدي ، وألخصها في الآتي :  
في سنة ١٩٣١ تزوج أبي من سيدة فرنسية ، بعد أن أسلمت وكانت مسيحية ، وقد حسن إسلامها ؛ فأدت الصلوات ، وصامت رمضان ، ووزعها الله بابتنة عمرها الآن ثمان سنوات . وقد حدث بعد هذه المدة أن اختلف والدي مع زوجته ، خلف بين طلاق وكره ثلاث مرات في وقت واحد . وبعد أن هدأت ثورته أقامها أنها لا تجوز له إلا إذا تزوجت من شخص آخر ؛ فرفضت أن تزوج من آخر ثم تعود لوالدي ، فتناحلتا بحالته الأزواج مرة ثانية ، وتناشيا موضوع الطلاق ، ولكن ذهبت والدي الوسواس من جراء هذا الأمر ؛ فذهب إلى القنصل المصري وشرح له الموقف ؛ فقام القنصل

بكتابة خطاب يخبرها فيه بطلاقها من والدي ؛ فانفصلا على أثر ذلك بضعة شهور . ولكن عاودهما الحنين واكتشفا أنهما لا يستطيعان الفراق ؛ فزوجا على الطريقة الأوردية ، وأتمت زوجة أبي في ظل هذا الزواج بطفل ، واثبتت أبي بعد ذلك حالة من تأنيب الضمير ، وصادف أن أدركته بعض الحسائر في عمله فمزا ذلك إلى غضب الله عليه لما صدر منه ، ولهذا يريد البعد عنها ولا يدري ماذا يفعل ، وشغقة بحاله وأبت الكتابة إليكم والاستفسار .

س - ح بأمريكا

[ تاريخ ورود الخطاب ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ]

الجواب

اطلعت اللجنة على كتاب س - ح المرسل من أمريكا إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، والمحول إليها من فضيلته وتقيده ؛ بأنه قد ذهب بعض الصحابة وكثير من التابعين إلى أنه لا يقع

وظاهر أنه لم ينشئ طلاقاً جديداً أمام السيد القنصل ، غير الذي وقع أولاً على أنه لو فرض أنه أنشأ طلاقاً آخر أمام السيد القنصل كان له أن يراجعها ؛ لأن له عليها طلاقاً ثالثة ، ولا تأثير للخطاب الذي أرسل إليها من القنصلية في شيء من هذه الأحكام .

### السؤال

١ — المضاربة جارية بين الناس على ما في مذهب السادة المالكية من جميع الوجوه غير أنه حدث في هذا الزمان شهر الخروج الذي في الغالب ما يثبت من غير قصد، ولا يذكر في عقد المضاربة ، فهل يعطى منه لرب الأرض ما يعطى له من الأشجار التي يطول مكثها في الأرض أم لا ؟ مع أن عقد المضاربة في الزيتون أو النخيل وإذا غرس الخروج فإنما يفرس لوقاية الأرض من الرمل أو الرياح مكثه في الأرض لا يتجاوز ستة أعوام تقريباً فما حكمه ؟ .

٢ — يحدث أن يموت أبو المرأة فلا تطلب ميراثها حتى إذا ماتت قام بنوها بطلبه فيمنعون منه بحجة أن حيازة ميراث الأم تجاوزت الخمسين سنة فهل يسقط الميراث لمدة الحوز المذكور أم لا ؟ وهل مدة الحوز التي يسقط بها الميراث متفق عليها في المذهب أم لا ؟ .

صالح قجاج صبراته - طرابلس

هذه الصيغة وإن تكررت في وقت واحد إلا طلبة واحدة رجعية ، وقد أفتى بهذا بعض مشايخ قرطبة واختاره غير واحد من مشايخ الإسلام كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وقال الشوكاني في نيل الأوطار : إنه الحق ؛ استدلالاً بما ذكره من الأحاديث ، وهذا الرأي يتفق مع حكمة مشروعية تخريق الطلاق ثلاث مرات ؛ لأن الله سبحانه وتعالى لم يشرع تخريقه إلا ليتدارك المطلق الأسر بعد الطلقة الأولى أو الثانية ، ويتدبر . فإذا تبين له أن المصلحة في الطلاق مرسوخة في بقاء الزوجية بإحسان ، وإن تبين له أن الخير في بقاء الزوجية أمسكها بالرجعة ، وهذه الحكمة لا تتحقق في إيقاع الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد . ولا يتكرره ثلاثاً في مجلس واحد وقد جرى القضاء من قبل سنة ١٩٣٠ على أن الطلاق المقترب بعد الثلاث يقع واحدة بعد أن كان الصل من قبل على وقوعه ثلاثاً ؛ وبما ذكرنا يتبين أنه لم يقع على والده السائلة إلا طلقة واحدة رجعية ، وبما أنه قد اتصل بزوجته قبل أن تنقض عهدها كما هو الظاهر من السؤال فقد حصلت المراجعة بهذا الاتصال ؛ لأن الرجعة تحصل شرعاً بالقول : كأن يقول الرجل لزوجته : ( راجعتك أو وددتك لصقت ) ، وتحصل أيضاً بالفعل ولو بمقتداته كالس بشهوة .



## الجواب :

نجيب عن الأول بأن شجر الخروع الذي وجد في الأرض التي وقع العقد على غرس نوع من الشجر فيها ( النخل والزيتون ) .

هذا الشجر إن كان بالأرض قبل عقد المغارسة فهو لرب الأرض خاصة ، وإن وجد بعد عقد المغارسة فهو مشترك بين رب الأرض والعامل على حسب شرطهما من مناصفة أو مثالثة أو غيرها ، سواء أنبته العامل أو نبت بنفسه .

ومن الثاني بأنه إذا كانت المادة جارية بأن المرأة لا تطلب من إخوتها ميراثها من أيها خوفا منهم أن يقاطعوها أو لا ينصروها إذا وقع الخلاف بينها وبين زوجها كما هو المعروف في بعض الجهات فكونها المدة الطويلة عن المطالبة مع حوز إخوتها لمقدار ميراثها لا يسقط حقها منها طال مدة السكوت والحيازة ، ولو رتبها من بعد وفاتها أن يطالبوا بهذا الحق .

## السؤال :

هل هناك ما يمنع من تفسير القرآن تفسيراً جديداً يشمل على أحدث العلوم والنظريات ويخلو من الإسرائيليات ... إلخ

عماد دجاني - بيروت

## الجواب :

تفسير القرآن الكريم تفسيراً يشمل على أحدث النظريات والعلوم يؤدي إلى حل النص القرآني على ما لم يقصد منه أولاً وبالدلت . والقرآن لم تخف نصوصه العلمية العامة عند حد معين ، بل هو لا يتعارض مع الواقع الذي يأتي به العلم ويثبت من نظريات ومعلومات تتفق مع عقيدة الإيمان وأحكام الدين الثابتة ، ويشهد لذلك ما يدا في المجال العلمي حديثاً من اكتشافات لم تكن قد ظهرت للناس من قبل .

وأما ما نوه عنه السائل من وجود قصص إسرائيلية في تفسير بعض الآيات ، فذلك صحيح إلى حد ما ، غير أن الوحي العلمي الذي لم يترك هذا بل قد بينه أتم بيان على يد المحققين من متقدمين ومتأخرين .

## السؤال :

تقدم السيد / عبد العزيز البليدي الخطاط بتفتيش قناطر الدلتا بطلب للوزارة أشار فيه إلى أنه قد قرب على الانتهاء من كتابة المصحف بطريقة مبسطة تعطى القارئ نطقاً صحيحاً للكلمة وهي طريقة الإملاء الحديثة ويقترح كتابة المصحف بهذه الطريقة ويلتمس النظر في الموافقة على تداوله ونشره بهذه الصورة ليستفيد منه الجمهور .

مصاحف عثمان التي كتبت في هذه على حسب ما نزل به جبريل من عند الله وأقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه .

ورسمه كتاب الوحي حين نزوله ، ثم أمر عثمان بتوزيع تلك المصاحف على الأمصار وتحريق ما سواها بما كان مكتوباً عند بعض المسلمين صيانة لوحدة الأمة ومحافظة على سلامتها من التفكك والضعف بسبب الاختلاف في المصاحف .

فإذا نحن الآن أجونا كتابة المصحف بغير الرسم العثماني فإنما نفتتح باب الفتنة ونكون قد ساعدنا أعداء القرآن على النفوذ إلى قداسه يغيرون ويبدلون حسب ما يريدون وفي ظل قواعد الإملاء الحديثة .

هنا — ولستأهما بلغت فينا الغيرة على كتاب الله والحرص على تيسيره وحفظه بأكثر في ذلك من الصحابة وخشوا أن الله تعالى عليهم وقد أقرأ مصاحف عثمان ، وأقرأوا عثمان على أمره بتحريق ما عداها من المصاحف تحقيقاً لوعده الله تعالى المؤكد بحفظه في قوله سبحانه : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

وإن محاولة التغيير فيما أجمع عليه الصحابة تعتبر تشكيكاً فيما أنبتوه من علم وقصد وحيلة في جانب القرآن الكريم ، وذلك أمر خطير يجر علينا وبالاعظيما لاستطيع رده إذ هو ماس بأصل الدين ومصدر التشريع الإسلامي

وقد رقى الرجوع إلى الأزهر في ذلك للاختصاص ، فترجو إبداء الرأي .  
وكيل وذاكرة الأوقاف المساعد

المجرب :

كل القرآن يكتب عقب نزوله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبأملانه على كتاب الوحي ، ثم جمع في المصحف على عهد أبي بكر ثم في المصاحف على عهد عثمان ولم تكتب المصاحف في عهد عثمان لتقرأ برواية واحدة وإنما كتبت لتقرأ بمختلف الروايات المشهورة ، والرسم الذي يتحمل ذلك إنما هو الرسم العثماني في جميعها .

وقد اختص القرآن بكلمات يتلفظ بها لا على نظام كلام الناس ، من ذلك أوائل السور - ألم - كيمص - حم - حق . الخ . كذلك اختص بكلمات ترسم لا على نظام رسم كلام الناس : من ذلك زيادة الواو في : سأوريك آياتي - والياء بأييد - والآلف في لا أذبحنه - وكتابة الصلوة - والزكاة - والبر - بالواو مع نطقها بالآلف ، وكذلك كتابة « والضعى » ، ويحيى بالياء مع أن أصلهما الواو كالصلوة والزكاة ، وفتح تاء التائيت في مواضع مع ربطها في أخرى إلى غير ذلك مما هو كثير في القرآن وتكفلت ببيانته كتب الرسم الخاصة بالمصحف .

وقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم على

ولا ينهض مبرراً للتغيير في الحروف بالزيادة أو النقص أو التغيير في الرسم .

فالمسلمون من لدن الصحابة والتابعين إلى اليوم على الإبقاء على هذه الحروف كما وردت جيلاً عن جيل وطبقة عن طبقة على نحو ما قرأنا . وخلاصة ما سلف أن الخروج على ما توارثناه في شأن المصحف خروج على ما أجمعت عليه الأمة في أمر كتابها ( القرآن الكريم ) وهو غير جائز .

#### السؤال :

- ١ - هل يجوز ذبح الحيوان أو الطير في أى مكان من جسمه متى أدى ذلك إلى سيلان دمه .
  - ٢ - هل يجوز في الذبح استعمال الآلات الحديثة كالماكينات أو غيرها من الوسائل المستعملة في بعض الجهات .
- الله كتود فضل الرحمن  
 رئيس المعهد المركزي للأبحاث الإسلامية  
 بالباكستان

#### الجواب :

نفيد عن الأول : بأن الذبح الشرعى مكاناً معيناً من الحيوان أو الطير لا يجوز تعديده إلى أى مكان آخر ، وإن سال الدم من ذلك المكان . الآخر وذلك المكان المعين للذبح شرطاً هو الحلق واللبة - الوعدة - وهى ما بين الصدر والعنق ، لإجماع الأمة على ذلك ، ولما روى

الفتى هو القرآن وذلك مالا يستسيغه مسلم على الإطلاق .

فالواجب على المسلمين إزاء ذلك أن يحافظوا على المصحف الإمام - مصحف هذان - فلا يخالقوا رسمه بتغيير شيء من حروفه متابعة للصحابة رضوان الله عليهم في سد باب الفتنة أن تنفك سمومها في صفوف المسلمين بسبب ذلك .

وإن تذر بعض العلماء لدفع الحسرة من القارى كأن يهدف إلى محاولة الاستغناء من الموقف - المعلم - بمجرد القراءة في المصحف .

فالقرآن شأنه خطير لا بد فيه من الموقف - المعلم - ثقة من ثقة يبلغ به النبي - صلى الله عليه وسلم - ليتصل السند الذى هو من خصوصيات هذه الأمة وليستطيع القارى أن يعطى الحروف حقها من الإظهار والإدغام والإخفاء ونحو ذلك من الأحكام المبينة في علم التجويد .

وحيث كان لابد من الموقف سواء أكتب المصحف بخط الإملاء الحديث - على فرض ذلك أم بخط المصحف الإمام ، فالإبقاء على الرسم الثمانى أحرى وأولى أن يتمسك به . وإن تعلق شخص بما حدث في المصحف من قطع وشكل وتغيير وتحميس وغير ذلك فإن هذا ليس تغييراً في رسم المصحف ،

بعشرين درهما ، فأخذ ابن عمر حشر هذا البعير بدورهمين ، فدل على أن ذبح غير المقدور عليه يحصل بمقره في أى مكان في جسمه .

ونفيد عن الثاني - بأنه لا مانع شرعا من استعمال الآلات الحديثة في الذبح من الماكينات وغيرها متى كانت عددة مسيلة للدم كالسكين ونحوه ، ولم يكن إزهاق الروح بها بخنق أو نحره واستعملها من محل ذبيحته من مسلم أو كتابي ؛ لما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم « وما أنهر - أسأل - الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا ليس السن والظفر » . فكل عدد أسأل الدم من مسكين أو حبر أو خشب أو ليطه - قشرة القصب - داخل في هموم الحديث بل إذا كانت الآلات الحديثة أحد وأسرع في الذبح كانت أولى بالاستعمال لأنه من باب الإحسان والرفق بالحيوان قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتله ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » . وقوله في الحديث ، وذكر اسم الله عليه ، محمول على الندب عند الشافية وليس شرطا إجماعيا في حل الذبيحة ، بل المراد ألا يذكر اسم غير الله تعالى فإن ذكر عليه غير الله تعالى كان حراما لقوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » .

عن قوله صلى الله عليه وسلم « الذكاة في حلق البهائم » ، وأيضا هو يجمع المروق ، فالذبح فيه أيسر على الحيوان وأسهل في خروج روحه وأكثر خرجا للدم ، فيسكون أطيب اللحم الحيوان ، وهو الغرض المقصود من الذبح . فم - غير المقدور على ذبحه في ذلك المكان كبحور نده ، أو حيوان سقط في بئر مثلا فيجوز ذبحه بمقره مقره من هنا للروح في أى مكان من جسمه ، بحيث يكون من شأن المقر فيه خروج الدم وذهوق الروح بسبب ذلك المقر وحده ، فلا يكفي المقر في نحو الحافر والذليل والقرن ، ولا من كون رأسه في الماء مثلا بحيث لو ترك مات وذلك لما روى رافع بن خديج قال : « كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ففد - شرد - بعير وكان في القوم خيل يسيرة فطلبوه فأعيام فأهوى إليه رجل بسهم فحبسه الله - قتل - فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش لما ضلبيكم منها فاصنعوا به هكذا متفق عليه » . ولما جاء أنه حرب - حاج - ثور في بعض دور الأنصار فضربه رجل بالسيف وذكر اسم الله ، فقتل عنه على رضى الله عنه فقال : « ذكاة وحية » - سريعة - وأمرهم يأكله - وجه الدلالة : أنه لم يتحرم كل الذبح ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة وأنه تردى بسقط - بعير في بئر فذكى من قبل شاكلته - غاصرته - فبيع

# بَيْنَ الصَّحِيفَةِ وَالْكِتَابِ

## اختيار وتعليق

عبد الرحيم فرد

هذه الفرقة وذلك الكتاب

لو كان هذا القرآن كلام محمد - عليه السلام -  
لكان خليفاً بأن يختلف له كل عربي  
من كل مذهب ودين ، لأنه كان ولا يزال  
الكتاب الذي لا يضاهيه أو يدانيه كتاب  
آخر لعالم أو باحث أو مصلح ؛ ولأن العرب  
رأوا على هذه لأول مرة طريقهم إلى القوة  
والعزة والحضارة ، وصاروا بفضل في فترة  
لا يحسب لها حساب في عمر الأمم أقوى أمة .  
وأهم أمة . وأجود أمة . وأصدق أمة .

بل لو كان هذا القرآن كلام محمد لكان خليفاً  
بأن يختلف له كل إنسان من كل جنس ولون  
ودين ، لأنه كان ولا يزال الكتاب الذي  
لا يضاهيه أو يدانيه كتاب آخر في توحي  
الخير العام للناس جميعاً ، وفي إقامة صرح  
الاستقرار والسلام على قواعد العدل والإخاء  
والتعاون على البر والتقوى ، يأبى الذين  
آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله  
ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين ،

ولا يجرمنكم شئان قوم على أن  
أعدوا هو أقرب التقوى ، ، لا يهاكم الله  
عن الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوكم  
من دياركم أن تبرموا وتسلبوا إليهم إن الله  
يحب المقسطين ، ، يأبى الناس إنا خلقناكم  
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل  
لتعارفوا ، ، لا إكراه في الدين قد تبين  
الرشد من الغي ، إلى آخر ما نفيس به آيات  
القرآن وحظاته من معان سامية . ومبادئ  
عالية لم يأخذ الناس بها أنفسهم واسترشدوا  
بها في سلوكهم . لكان لهم منها نظام يحممهم  
على السلام والوئام ، والتعاون للقيام  
على الصالح العام .

لو كان هذا القرآن كلام محمد لكان هذا  
موضع وموقف من نفوس الناس جميعاً  
فكيف به وهو كلام الله الذي كان ، وما يزال ،  
وسيط المعجزة الخالدة للناس جميعاً ، والذي  
حمله ونقله إلى الناس جميعاً ؟ كيف به وهو الذي  
بقى يتصدى ويتحدى الإنس والجن أن يأوا  
بمثل مظاهرين متآذين ، قل أن اجتمعت

التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية اقتداء  
بنبيها . بقي القرآن في حوز حرير إنجازا  
لوعده الله الذي تكفل بحفظه حيث يقول  
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ،  
ولم يصبه ما أصاب الكتب المأخوذة  
من التحريف والتبديل وانقطاع السند ،  
حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها  
إلى حفظ الناس . فقال تعالى « والرايون  
والأخبار بما استحضروا من كتاب الله »  
أي بما طلب إليهم حفظه ، والسر في هذه  
التفرقة أن سائر الكتب السبابة هي . بها  
على التوفيق لا التأيد ، وأن هذا القرآن  
هي . به مصداقا لما بين يديه من الكتب  
ومهيمن عليها فكان جامعا لما فيها من الحقائق  
الثابتة زائدا عليها بما شاء الله زيادته . وكان  
سادا مسددا ، ولم يكن شيء منها ليسد مسدده ،  
ففضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة وإذا  
قضى الله أمرا يسر له أسبابه وهو الحكيم  
العليم . . . د . ح . ف .

من جريدة الشعب

تمت

له لم يكن يدور بخلك فضيلته رحمه الله  
أن القرآن يسجل على « أسطوانات »  
« وأشرطة » فقد تيسر بذلك سبب ثالث  
من أسباب حفظه إنجازا لوعده الله إذ يقول  
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

الإفس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن  
لأبائهم بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . .  
لقد بقي هذا القرآن على ضعف صلة المسلمين  
بجمانيه وبموامل القوة فيه محفوظا في الصدور  
والسطور . لم ينل تحوير أو تشويه ، وبقيت  
لغته هي اللغة التي امتلأت بها آذان النابرين  
من آبائنا العرب ، وكتابتها هي الكتابة  
التي امتلأت برسومها أصيبتهم ، وكان ذلك  
تصدقا لأخباره بالغيب في قوله تعالى  
« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »  
بل كان تطبيقا لتسميته قرآنا وكتابا في قوله  
تعالى « إن هذا القرآن يهدي إلى صراط مستقيم »  
وقوله « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى  
للنبيين » .

يقول المفطور له فضيلة الدكتور محمد  
هبة الله دراز في كتابه النبأ العظيم : وفي تسميته  
بهذين الاسمين ( قرآن وكتاب ) إشارة  
إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين .  
لا في موضع واحد ، أعنى أنه يجب حفظه  
في الصدور والسطور جميعا ، أن تضل إحداهما  
فتذكر إحدهما الأخرى ، فلا ثقة لنا بحفظ  
حافظ حتى يوافق الرسم الجامع عليه من الأصحاب  
المخول إليها جيلا بعد جيل على هيئة التي  
وضع عليها أول مرة ، ولا ثقة لنا بكتابة  
كاتب حتى يوافق ما هو عند الحفاظ بالإستاد  
الصحيح المتواتر ، وهذه العناية المزهوجة

### صل الله :

قال صلى الله عليه وسلم : « القرآن جبل الله  
الثنين ، لا تنقض عجايبه ، ولا يخلق من كثرة  
الزد ، من قال به صدق ، ومن عمل به رشد ،  
ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم » .  
من تفسير الكشاف

### كن رجلاً ..

وكن رجلاً كالضرس يرسو مكانه  
ليطعن . لا يمينه حلو ولا مر  
ولا توقع أى جنيتك واقع  
إذا اضلقت يوماً حوادثها النكر  
ولكن تلق الدهر غير مفزع  
بصدرك ولحم الخطوب كما تقرو

الرافى

من كتاب المساكين

### المؤمن القوي :

.. علينا إذا أردنا أن نأخذ مكاننا من جديد  
في قيادة الإنسانية أن نمتد - اعتقاداً حقا  
يظهر أثره في كل ما نقول أو نفعل - ما يراه  
شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال من أن المسلم  
لم يخلق ليندفع مع التيار ، ويسير الركب  
البشرى حيث اتجه وسار ، بل خلق ليوجهه  
العالم والمجتمع والمدنية ، ويفرض على البشرية  
اتجاهه . ويملي عليها إرادته ، لأنه صاحب  
الرسالة . وصاحب العلم اليقين ، ولأنه المستول

عن العالم وسيره واتجاهه ، فليس مقامه مقام  
التقليد والاتباع ، إن مقامه مقام الإمامة  
والقيادة . ومقام الإرشاد والتوجيه . ومقام  
الأسر والناهي ، وإذا تنكر له الزمان . وعصاه  
المتنوع واحرف عن الجادة . لم يكن له  
أن يستسلم ويضع ويضع أوداره ويسالم  
الدهر . بل عليه أن يشو عليه وينازله ،  
ويظل في صراع معه وحر ك ، حتى يقضى الله  
في أمره . إن الخضوع والاستكانة للأحوال  
القاسية والأرضاع القاهرة والاعتذار  
بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام ،  
أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب ،  
وقدره الذي لا يرد ..

من مقدمة لكتاب

« ماذا خسر العالم بالخطاط المسلمين »

لأبي الحسن الندوى

### سلم ..

أسرت قريش مسلماً في غزوة  
فضى بلا وجل إلى السيف  
سأله هل يرضيك أنك سالم  
ولك النبي ندى من الإجماع  
فأجلب . كلا : لاسيت من الردى  
ويصاب ألق محمد برطاف  
عمود غنيم  
من مجلة الرسالة

## البرهان

لا يكن أحدكم إمامة : يقول أنا مع الناس .  
إن أحسن الناس أحسنهم وإن أساءوا أسأت  
ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس  
أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تحننوا  
إسأمتهم :

حديث شريف

من كتاب المنتخب

## الروح

يقول : يكون ، حين يخرج الإنسان من  
الحياة البدائية التي تكون التقاليد فيها  
مسيطرة على الحياة ، يجد المرء نفسه يعيش  
في عالمين ، ويخضع لولاين ... فهناك العالم  
المألوف الذي يعرفه عن طريق حواسه ،  
وهناك عالم قريب إلى ذهنه ، ولا يعرفه إلا بعيني  
قلبه ، وهو - الإنسان - مشدود بين هذين  
العالمين الوجود ، وهذا الصراع بينهما هو  
الموضوع الحائل لأساليب البشر .

إن الإنسان لا يستطيع أن يمنح ولاده  
كله لأي من العالمين ، والتباين السائد بينهما  
هو ما يصنع تماثله ، والتوافق العرضي بينهما  
في حياة القديسين وأحوال الأبطال والمباركة  
هو ما يصنع أجماد الإنسان .

لم يقل : يكون ، ما هي الروح ، ولم  
يتحدث - كما يتحدث الفلاسفة - عن طبيعتها  
أهي أزلية أبدية أم أبدية لا أزلية ؟ ولكنه  
كشف عن جانب « طوي » في الإنسان  
يدعوه إلى القسوى والميلو على حين أن جانباً  
آخر في الإنسان يجره إلى الانحدار والإسفاف

أقول إن الجانب القسوى هو الروح  
أو النفس ، وأن الجانب المسف هو الجسد .  
لك أن تفهم هذا ، ولكن : يكون ، يكره  
أن يكون له موقف مع أشياء لا تقع تحت  
الملاحظة والتجربة كالنفس والروح ونحوهما  
إنه يجد ذلك عن شيء . تقطر وجوده في  
كيانه . يجد ذلك عن شيء . حال مقام فيك .  
يزجرك إلى مستويات رفيعة من الفضائل  
والأخلاق ولكنه مشدود إلى ما هي الجسد  
ومطالبه ، ولك أن تفهم من هذا ما تشاء .

عبد الكريم الخطيب

من كتابه قضية الأكرمية بين الفلسفة والدين

« يسألونك عن الروح قل الروح من أمر  
ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً . »

قرآن كريم





# مَجَلَّةُ الْأَنْفَرِ

## مجلة شهرية جامعة

مدير المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
العتوان  
إدارة اجتماع الأزهر  
بالقاهرة  
ت ١ ٤٦٤١٤

يشترك في التحرير  
عبد الرحمن بن عبد القادر  
مدايا الأشراف  
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة  
٥٠ خارج الجمهورية  
والدخول والطلاب بنصف القيمة

بصدد من شيخنا الأنس في أول كل شهر عربي

الجزء السابع — السنة الرابعة والثلاثون — رمضان سنة ١٣٨٢ هـ - فبراير ١٩٦٣ م

لِسَامِعِ الْمَرْمُومِ

١٤  
٢٤٤٤٦  
دوريات



## بعض الكلام في شهر الصيام

بمقام : أحمد حسن الزيات

قال الناس وقتلنا في شهر رمضان ما هو أهله ، ولكن القول فيه مهما يكثر يقل في جانب أثره الروحي والنفس والاجتهاد والقوى ما في ذلك شك . ولو أنك تدبرت أركان الإسلام الخمسة في طبيعتها وشرعتها تبين لك أن الصوم أشدها اتصالاً بالله وأقواماً انفعالاً بالصميم . فإذا كانت الشهادةتان إسلاماً لأنهما ذكر ، والصلاة والزكاة والحج إيماناً لأنها تصديق ، فإن الصوم وحده إسلام وإيمان وتقرى ؛ ذلك لأن الرجل قد يشهد بوحداية الله وبنبوة محمد ، ولكنه لا يقيم صلاة ولا يؤتي زكاة ولا يؤدي حجة ، وقد يقيم هذه الأركان الثلاثة كلها أو بعضها رياء وسعة ، أو اضطراراً وعادة ، ولكنه لا يصوم رمضان إلا إذا أراد غلصاً أن يحلو صدره بالذكر ، ويعطيه نفسه بالعبادة ، ويزود قلبه من مذخور الخير بما يقويه على احتمال الفتن والمحن في دنيا الآمال والآلام بقية العام كله ، وإلا كان له مندوحة منه بإسراار الإفطار إذا لم يخش الله وخشى الناس .

طبعه الكشف ، وقال إبراهيم بن آدم :  
« لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يثقل  
عن نفسه باب الرخاء ويفتح عليها باب الشدة .  
وقال يحيى بن معاذ : « الجوع للبريد  
رياضة ، وللتائبين تجربة ، ولزاهدين سياسة ،  
ولله رفين تكرمة » .

ولكن بعد المتصوفين غالوا في تعذيب  
الجسم لتهديب الروح فكان منهم من لا يأكل  
في أربعين يوماً إلا أكلة واحدة . وهذا أشبه  
بما يفعل اليوم زهاد الهنود ، والإسلام  
يسر لا عسر ، والفضيلة هي الطريق الوسط ،  
وقد قال الرسول الكريم لرجل أكثر الصيام  
والقيام حتى فارت عيناه : « إن هذا الدين  
متين فأوغل فيه برقى . إن المتعب لا أرضا  
قطع ولا ظهراً أبقى .

على أن هؤلاء القوامين الصوامين قد  
انقرضوا فلم يعد يستقبل رمضان منهم أحد .  
إنما يستقبله اليوم أقوام بعد هدم من  
الإسلام الصحيح فسادوا أشبه بذلك الأعرابي  
الذي أسلم في أول الإسلام ثم قدم على ابن  
عم له في بعض المدن قبل أن يذوق حلاوة  
الإيمان ويستثمر لباس التقوى ويستبطن  
حقيقة الدين فأدركه شهر رمضان . قيل  
له يا أبا عمرو لقد أتاك شهر رمضان . فقال  
وما شهر رمضان ؟ قالوا الإمساك عن الطعام .  
فقال أبا ليل أم بالنهار ؟ قالوا بالنهار . قال

فالتقوى إذن هي المنصر الجوهري لعقيدة  
الصوم . هي سره ورقبه وغايته ، وذلك هو  
المفهوم من قول الرسول صلوات الله عليه ،  
« قال الله كل عمل لابن آدم له إلا الصيام فإنه لي  
وأنا أجرى به . وهو المعلوم من قوله تعالى :  
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام  
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .  
والتقوى كلمة تجمع الحدود والقيود التي تضمنها  
معنى الصوم . وجماعها مجاهدة النفس وعاقبة الله ،  
وقد اجتمعا في قوله تعالى : « وأما من خاف  
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة  
هي المأوى » ، ومن مجاهدة النفس فطامها  
عن الله واللهم ، وكفها عن الأذى والضر ،  
وفي ذلك تقوية للإرادة ؛ لأن الإرادة إنما  
تقوى بريضة النفس على الحرمان المؤلم  
كما يقوى الجسم بريضة البدن بالجهد الضيف ،  
إن مظهر الخوف الخشوع ، وإن مظهر  
المجاهدة الجوع ، وإن الجوع أثر أشد في تصفية  
النفوس وتلطيف الطباع ؛ لأن كدر النفس  
يكون في الأكثر من كدر الجسد ، فقد قالوا  
إن البطنة تذهب الفطنة ، لذلك اتخذ كثير  
من أئمة الدين وأقطاب التصوف الجوع سبيلاً  
إلى تهديب النفس وتقوية العقل وإذكاء الروح ،  
قال الإمام علي رضي الله عنه يصف العارف بالله :  
« قد أحيا عقله وأمات نفسه حتى دق جليله  
ورق غليظه ، يريد بجليله بدنه الضخم وبجليظه

تأتى بالتور ، والمنازل تنقلب في الآن ،  
والحوادث ساهرة الليل والبيوت نائمة  
النهار ؛ ولكنك لا تحمد اليوم ما كنت  
تجده بالأمس من التقوى التي تعمر القلب  
والخشوع الذي يفسر المشاعر .

\*\*\*

لا أزال أذكر رمضان القرية وأنا  
في الكتاب . كان كل شيء وكل شخص فيها  
لرمضان : فالنساء قبل الظهر يحضرن الفطائر  
الحور ، وقبل العصر يطهون الطعام للفطور ،  
والرجال ينامون من بعد صلاة الفجر إلى  
متوح الضحى ثم يشنون الهوى بين الحقول  
عاشى الألبار والاصوات لا يربطون  
ولا يميطنون ولا يسي أحدهم بالأذى إلى أخيه ،  
حتى إذا دنا الأصيل تجمعوا في المساجد  
أو على المصاطب يستمعون في سكون إلى  
موعظة أو قصة ، فإذا دخلت الشمس  
في المظلل فرشوا المصائر أمام بيوتهم  
وجلسوا عليها تحت الجدران وأمامهم  
الصواني موقرة بطيبات الرزق يدهون إليها  
طبرى السيل وطالبي الصدقة ، ثم لا يلبث  
الإخاء المحض والقراية الواشجة أن يجعلا  
الصواني المتعددة صينية واحدة يصيب منها  
من يشاء ما يشاء ، ثم تدور عليهم فتاجين  
القهوة كل ليلة من بيت ، فإذا فرغوا من  
الطعام والشراب فضلوا أن يغسلوا أيديهم

أفترضون بدلا من هذا الشهر ؟ قالوا لا .  
قال وإن لم أصم فعلوا ماذا ؟ قالوا تضرب  
وتحبس . فصام يوما ثم لم يستطع ، فتحول  
عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عى وقد زرت مصرم

تهيا أبا عمرو لشهر صيام

فقلت لم هاتوا جرابي ومزودي

سلام عليكم فامكثوا بسلام

وبادرت أرضا ليس فيها مسيطر

على ولا مناع أكل طعام

نعم يستقبل رمضان اليوم أكثر الناس

بمقلية هذا الأهرابي ، فيستقبلونه لا باعتباره

ركنا من أركان الدين يقيمه من أقامه ويهدمه

من هدمه ، ولا باعتباره طهورا للنفس

ونورا للقلب وجلال للمشاعر ، إنما يستقبلونه

باعتباره تقليداً من التقاليد الموروثة وعيدا

من الأعياد المقررة يرغون لأنفسهم فيه

الأعنة فيفتنون في اللذة ويندفعون في القهوه ،

ويقضون الليل على الموائد والنهار على الأسرة .

وبين الإفراط في القهوه والأكل والنوم ،

تضيق حكمة الإسلام من فريضة الصوم .

إن رمضان اليوم أصبح ثلاثين هيدا

للفطر لا ثلاثين يوما للصوم ، فهو لفظ ضاع

معناه ، واسم فقد مساه ، ورسم كحيل من

رسوم الفاطميين ، تحمده فيه المساج في أيدي

الرجال ، والمصايح في أنامل الأطفال ، والمآذن

وجوه القوم ، حتى إذا لم يبق إلا ربه الأخير  
تمثلوه محتضرا يكابد غصص الموت قد بوه في  
اليوت والمساجد ، ونعوه على الأسطح  
والمآذن ، وبكره يوم الجمعة (التيمة) أحربكاه .  
كذلك كن رمضان القرويين في زماننا  
الأول ، كان وحده هو الباقي لهم من غفلات  
العيش ولحظات السعادة ، فلما انتقلت إليهم  
صدى المدنية من مرضى المدنية انطفأت  
في قلوبهم التقوى ، وفشا في شبابهم الإفطار ،  
وأوشك رمضان أن يصبح غريبا في القرية  
كما أصبح غريبا في المدينة ، ولا يدري إلا الله  
ماذا تدخر مدنية المال ومادية العلم لهذه  
الروحانية التي تتجلى في الصوم ، ولهذه الغيرة  
التي تشمل في الصائم ١ **أحمد حسن الزيات**

وأفواههم بالوضوء في المسجد ، ثم يبدأون ليهم  
بعد صلاة العشاء والتراويح ، ثم ينصرفون إلى  
استماع القرآن واستقبال الإخوان ومسارة  
ساذجة مشتركة تجمع أفتانا من شهي الحديث .  
كان في كل بيت قارى مجود يقرأ القرآن ،  
وساق نشيط يوزع الحلوى ، ومكلم لبق  
يروي أحاديث المدينة وأخبار ( الأهرام )  
وحوادث القرية ، فكان الرجل يلحاهم  
المرسلة وعماهم الضخمة وزعابيطهم  
الفضفاضة يتنقلون من دار إلى دار ،  
ويتنقلون على الخشاف بالثقل والاسمار ،  
وقد ملوا أحناء صدورهم على مؤاخاة بعضهم  
لبعض في الله فلا تنافس ولا تحاسد .  
وكما انقضى نهار من رمضان تغضن سرار من

## من كلام الزهاد

قال الحسن البصري : لا تزول قدم ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث : شبابه فيما أبلاه ،  
وعمره فيما أفناه ، وماله من أين كسبه ، وفيما أنفقه .  
وقال أبو حازم : إن عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا ما زوى عنا .  
وقال زياد ابن زياد : أنا من أن أمنع الدماء ، أخوف من أن أمنع الإجابة .  
وقال له عمر بن عبد العزيز : يا زياد ، إنى أخاف الله مما دخلت فيه . قال : لست  
أخاف عليك أن تخاف ، وإنما أخاف عليك ألا تخاف .  
وقال مالك بن دينار : لو كانت الصحف من عندنا لأفلنا الكلام .  
وقال يونس بن عبيد : لو أمرنا بالجزع لصبرنا .

# المادية تنهدم

للاستغاذ عباس محمود العقاد

في اعتقاده أن التقدم سيأتي من معالجة التفكير ، وأن مراعاة الفهم على التفكير في مصاعب الحياة هي التي يرتبط بها الفناء في حجم الدماغ وفي قدرته على الفهم والإدراك ، ثم في تعوده أن يعمل بداهة وارتمالاً ما يصله اليوم بعد التنبه والاجتهاد . وقرر هكسلي وموافقوه من العلماء والمفكرين الذين سئلوا عن مصير الإنسان أن هذه الآراء جميعاً أبعد ما تكون عن « المادية » أو عن تلك الفلسفة التي تربط مصير الإنسان بجسده ، وبالمعيشة المادية التي تعيشها الجماعة وتفرضها على عقول أئادها .

فلا عمل للمادية في توجيه مستقبل الإنسان ، وإنما هي الأفكار والعلوم مناط التقدم كله ، ومناط الاتجاه - من ثم - إلى أطوار من الزنى والفناء تملو على أطواره اليوم

وحسب المفكرون الدينيون على هذه الآراء فوافقها الكثيرون منهم ، ولكنهم قالوا إن نجاة النوع الإنساني عما يهدده هذا

مثل رمط من طلاء الغرب عن مصير الإنسان ، فقال العالم المشهور « سير جوليان هكسلي » ماخوفاً : إن إدوار التطور الكبرى قد انتهت بالنسبة إلى النوع الإنساني ، إلا ما يكون منها خاصاً بالدماغ والفكر ، فإن النوع الإنساني لا يزال قابلاً في هذه الوجهة للزبد من التقدم والفناء ، وليس المنظور أن يكون هذا التطور « عضوياً » حيوياً ، في بنية الدماغ ، فإن حكم الدماغ من حيث الفناء الجسدى كحكم سائر الوظائف الحيوية ... ولكن الأفكار التي تولد من مباحث العلم والفن على الأجيال المتعاقبة تزيد حصول الإنسان من المعرفة فترداد قدرته على التفكير الصحيح تبعاً لذلك ، ويحدث التجارب بين المعارفين في البيئة الواحدة فيصحب بعضهم تفكير بعض ويأتي من تجمع الأفكار وتصحيحها ما هو منتظر للنوع الإنساني في مجموعته من تطور العقل وصحة التفكير .

والذين عانقوا السير جوليان هكسلي في تطور الدماغ من البنية الجسدية لم يخالفوه

وكل هذه الآراء من أقوال كبار المفكرين إنما تهدم المادية باسم الفكر والمعرفة وتعتمد على الفارق بين جانب الإنسان العقل وجانبه الجسدى لترجيح القول باعتماده في تقدمه بعد اليوم على الناحية الفكرية منه ، أو على الناحية التي تأتي من تجمع المعلومات والاتفاع بها في حياته العلمية .

ولكن الفلسفة المادية - فيما نرى - لن تنهد من ناحية التفكير وحده ، ولا من ناحية الدماغ المفكر دون النظر إلى مادة بدنه ومادة الكائنات الطبيعية من حوله ، بل تنهد الفلسفة المادية لا محالة من كل نظرة واقعية نظرها إلى حقيقة المادة وحقيقة تركيبها مستتقة عن الفكر ، بل من الدماغ وهو يحول على المادة من بعض نواحيه .

إن المادة نفسها ليس لها قوام أصيل يقاس بغير مفايس الفكر المحض ، كما تقاس الفكرة عن الروح وعن عالم التجريد والمجردات .

فقد كان العلماء وغير العلماء يقيسون المادة بالشبر أو بالشمرة وبالقصبة أو القيراط وبالتر أو جزء من ألف من المتر ، وكان هذا كله مما يوصف بالامتداد ويدخل في العقل الإنسانى بقياس الامتداد في الفضاء أو الامتداد في الزمان ولكن هذا الامتداد من ناحيته الزمنية أو المسكانية يزول اليوم

لن يكون معلقاً بأفكاره العلمية ولا بمباحثه في شئون الفلسفة الطبيعية ؛ لأن هذا النوع الإنسانى إنما يأتيه خطر الفناء من جانبيين اثنين : أحدهما كوارث الكون الكبرى ولا حيلة له في دفعها بعلومه وفلسفاته ، والجانِب الآخر كارثة الحرب الذرية ، وهى بعض آثار التقدم العلمى ولن يكون خلاص النوع الإنسانى منها على يد العلم المتقدم ؛ لأنه هو مصدر الخطر ووسيلة الكارثة المرهوبة وسلاح الحرب الشعواء التى تودى بحياة هذا النوع أو تبقى مابقى منه فى حالة كحالات الهمجية الأولى ... وقد سئل اينشتاين مرة : ماذا يكون سلاح الحرب العالمية الرابعة إذا كانت الذرة هى سلاح الثالثة ؟ فقال جداً غاية الجد وساخراً غاية السخرية : تكون سلاحها المجاعة ... يشير بذلك إلى رجعة الإنسان كرة أخرى إلى العصر الذى سبق عصر القوس والسيف ، فضلاً عن عصر الطيارة والصاروخ .

قال أولئك المفكرون : إن الخطر إذا كان من نفس الإنسان فلا نجاة له بعلوم العقل وعجرات الصناعة ، وإنما تكون نجاته بعلم من عالم الروح تتفع به الضمائر والعقول . إنما تكون نجاته بالدين ، وبالإيمان الدينى والعقيدة الإلهية ، ولا نجاة له فى غير هذا الطريق .

ويقال أيضا في الكلام من تفجر الذرة إن هذه الشرارة تنفجح في جزء من هذه آلاف جزء من الدقيقة ، وإنما تصل بالإشعاع إلى جزء من هذه آلاف جزء من السنتيمتر بسرعة الشعاع .

فكيف يدرك هذا الجزء بحساب الامتداد الزمني أو حساب الامتداد في الفضاء ؟ .

إن دقة واحدة تستنفد الثانية ، ونحن قسم الثواني إلى ثوانك فلا تصور كيف تكون الدقة بعد انقسامها إلى ستين ثلاثة فكيف تصور الجزء من الآلاف الكثيرة بحساب هذا الامتداد .

وماذا بقى من الفارق بين حقيقة المادة وحقيقة الروح ؟ وماذا بقى من الفرق بين نهاية عالم الخفاء ونهاية عالم الشهود على يد التجارب العلمية ولا نقول على يد السبعات الصوفية أو التجليات الروحية ؟ .

على أن هذه الأجزاء المادية التي تحسب بالملايين لا تدرك بالبصر الإنساني حين تتجمع تحت المنظار الكبير ، وإنما تدرك إذا هوجلت بالأصاغ الكيمية ثم ظهرت لونا تلحه العين ولم تظهر بغير هذه الصورة إلا مقدورة مفروضة بعلم الحساب .

وكذلك تدرك الناسلات وتدرك الصبغيات التي سميت بهذا الاسم لأن الصبغة هي الوسيلة

أمام المقاييس التي تقاس بها ذوات المادة وخلايا الحياة في تركيباتها الجسدية ، وبوشك أن يعود العلم بالمقاييس جميعا إلى شيء لا امتداد له كالنقطة الهندسية التي يعرفها الرياضيون بأنها شيء لا طول له ولا عرض ولا حق ولا اتساع ولا امتداد هل الإجمال وإنما مع ذلك أساس جميع الأبعاد .

لقد وصلنا اليوم إلى القياس بوحدة الانجستروم Angstrom وهو قياس واحد على عشرة آلاف من الميكرون Micron . وما الميكرون بالنسبة إلى المقاييس التي تفهم بالامتداد ؟ .

الميكرون هو جزء واحد من ألف ألف جزء من المتر الواحد .

فهناك إذن أشياء يبلغ من دقتها أن تقاس أو تحسب بحساب جزء من عشرة آلاف مليون من أجزاء المتر الواحد .

فما الفرق في التصور بين هذا الجزء وبين المعاني الذهنية التي تدرك بالتقدير الرياضي أو التقدير الفلسفي البهرد من كل مادة محسوسة ؟ إن هذا الفرق ينتهي بما نسميه « المادة » إلى نهاية لا تدرك بغير التقدير والتفكير بل يسهل تقدير الروح والتفكير فيها بقياس المعاني الذهنية ويظل إدراكنا لوحدة الانجستروم صعبا عسيرا لاختلاطه باللاحق به من عالم المحسوسات .

فإذا كانت الصبغة تدخل عشرات الملايين من هذه الجزيئات في عالم الحس بالمنظار الكبير ، فأين من عالم الحس تلك الخاصة التي تفرقت في كل جزء من هاتيك الجزيئات التي لا ترى بالصبغة ولا بغير الصبغة ؟

كل ما يلزمنا لإدراك المعاني المجردة يلزمنا هنا لإدراك الناس بخاصتها التي كنتم فيها وراء العين ووراء الحس ووراء الحساب .

وعلى هذه الوثيرة تقضى المادة على أيدي الماديين في صميم علومهم التي عزلوها قديما هزل الأبد عن عالم المعنى وعالم الروح وعالم الخفاء .

ولقد صبح عند الذين استخدموا المادة لنكران كل عالم غير العالم المحسوس ، أن القرن التاسع عشر كان عصر الكفر بما وراء الطبيعة أو بما وراء المادة وعصر الإيمان بالمادة دون سواها ودون ما وراءها ، وأضح من ذلك أن القرن العشرين هو عصر الكفر بالمادة وعصر العودة إلى ما وراءها ، وعلى أساس المقررات المادية يجوز الباحث والطبيعي ، أن يقول : لعل القرن الحادى والعشرين سينفذ بالقول والضيائر إلى عالم الروح من خلال الذرة على شعاع من نور ؟

عباس محمود العقاد

الوحيدة التي تقرب الملايين منها إلى عالم الإدراك أو عالم المحسوسات .

وللى هنا يمكن أن يقال إن العالم المحسوس يشملها مادامت الصبغة تظهر منها الملايين أو أضعاف الملايين .

وبصح هذا القول إذا كانت الصبغة تظهر لنا الخصائص التي تحتويها الناسة الواحدة من جملة هذه الملايين .

والناسة الواحدة لا تظهر منها خاصة واحدة للصبغة ولا للحساب ؛ لأن هذه الخاصة لا تنتقل دفعة واحدة من الخلية إلى مكانها المقدور في تكوين جسم الإنسان ، بل تقتل ثم تنقسم مرة ثم تنقسم ألوف المرات ، ثم يخرج منها في كل مرة صورة بعد صورة بعد مئات الصور يتولد منها في النهاية كل ما احتوته واشتملت عليه قبل هذه التقسيمات .

فالناسة التي يتولد منها الجنين وتفتش في النهاية لون العين أو لون الشعر أو لون البشرة لا تنتقل بهذه الخاصة مباشرة أو على صورة واحدة ، ولكنها تخرج منها خاصة بعد خاصة بعد أخرى على الترتيب الذي لا يختلف في حالة من الحالات ، وتمضى التاسلات بخوارصها المختلفة في حيزها الصغير فلا يختلط بينها عمل واحدة بصل الأخرى ولا يتيسر النظر ولا الصبغة ولا الحساب أن يفصل في لحظة واحدة بين هذه الأحوال .



# مناهج الإسلام

## للقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المديني

وإن فكر و عمل على تهذيبها و تعديلها و تخفيف غلوها في كثير من الأحيان .

٣ - وهو كذلك لا ينكر الواقع المعلى .

والسنن التي يقوم عليها الاجتماع ، ولا يحاول أن تكون مثاليته صماء جافية لا تحس بما حولها ، ولا تتحرك إلا في الاتجاه الذي اختارته لنفسها ، كما أنه لا يدور كرها في دوامة هذا الواقع ، ولا ينزل مرغما على حكمه وإن جار ، ولكنه يعامله معاملة الراكب الحاذق الحرن لفرس جامحة ، إذ يمتد صوتها فتمكننا منها ثم يمسك بلجامها ، ويوجهها إلى الطريق الذي يبتغيه تاركا لها بعد ذلك مرحها وحيويتها واختيالها الطبيعي دون ما شطط منها ، أو قصور منه .

فهو واقفي في مثاليته ، مثالي في واقعيته ، إذا ساخ هذا التعبير .

وهذان المبدآن الأخيران هما اللذان جعلنا منه شريعة الوسط ، التي تأتي الإفراط ، وتنزه عن التفريط ، وتمشي في الطريق الذي يوصف بأنه «سواء السبيل» ، أو «الصراط المستقيم» ، وبذلك استحققت أن تكون هي

أهم التشريع الإسلامي بالأسرة على أساس إدراكه الميق للسكانة الاجتماعية التي تحتها في بناء الأمة .

وكن فيما سنه من القوانين ووضعه من الأحكام خاصا بها ، محافظا على أصوله ومبادئه التشريعية العليا التي جعلت من الإسلام دين الفطرة الصالح لكل مجتمع على اختلاف الزمان والمكان .

وهذه المبادئ التي يقوم عليها التشريع الإسلامي عامة ، والتي جاء تشريع الأسرة في نطاقها ترجع إلى ما يأتي :

١ - فهو يعمل على أن يحول بين المشكلة والمجتمع ، ولا يترك في المجتمع ثغرات تدخل عليه منها المشكلات ثم يبدأ بعد ذلك في حلها وعلاجها .

وبذلك يمسالج المشكلات في المنبع ، ولا يتركها حتى تصل إلى المصب ، بل يعالجها قبل أن تخلق لكيلا تتخلق .

٢ - وهو يلتزم مسامرة الفطرة ، فلا يعالج ما يعالج إلا في ضوء الاعتراف بحقيقتها ، ولا يفكر أبدا في معاندتها ومقارنتها ،

منها زوجها ، وبث منها رجلا كثيرا  
وفساء .

٢ - والروابط الأسرية ترجع إلى ما يأتي :

( أ ) العلاقة بين الزوجين :

• مركز الرجل في الأسرة .

• مركز المرأة في الأسرة .

• حق كل من الزوجين على صاحبه .

( ب ) العلاقة بين الأبوين وأولادهما :

• قيمة الأولاد وحقوقهم على الوالدين .

• فضل الوالدين وحكما على أولادهما .

( ج ) العلاقة بين ذوي القربى :

• حقوق الأقارب في البر وصلة الرحم .

• أولوية الأقارب في حقوق التضامن

الاجتماعي .

ولنأخذ في تفضيل ما أجهلناه بقدر ما يتسع

له المقام :

( أ ) المعوقون بين الزوجين :

الزواج رابطة مقدسة في نظر الدين :

لا نعلم عقداً من العقود أهم به الدين

أكثر من أهمائه بعقد الزواج :

فنحن نرى القرآن الكريم بلفت الأنظار

إلى أن « الزوجية » آية من آيات الله

الكوينية : « سبحانه الذي خلق الأزواج كلها

عما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما

الشريعة الشاهدة على الناس أي الحاكمة والفاصلة  
حين تختلف المناهج ، وتتعدد الشرح .

« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبوه

ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

شهيذاً » .

• • •

على أساس هذه المبادئ العليا ، وضع  
التشريع الإسلامي مناهج لتقوية الروابط  
الأسرية ، وفي ضوءها نبعث إن شاء الله  
تعالى هذه المناهج ، ونسأله التوفيق .

١ - إن الأسرة - في أصل اللغة - كما قال

ابن منظور المصري « لسان العرب » :

هي الدرع الحصينة ، وهو معنى يرمز إلى

إلى القوة ، وكذلك الأسر في الأصل هو

بمعنى الشد والربط ، وقد سمي الجبل أو القيد

أيضا بالإسار .

ولهذه المعاني التي تدل على القوة والتماسك

والترابط سميت عشيرة الرجل وأقاربه

الأذنون بالأسرة .

والأسرة عمادها الأول هو « الزوجية » ،

وهن الزوجية يتفرع الأولاد ، وينبت في

المجتمع الرجال والنساء الذين تتكون منهم

الامة ، وهكذا كان أصل النوع الإنساني :

« خلقتكم من نفس واحدة » ، وخلق

«ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً لنزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها» .  
«ومن آياته أفك ترى الأرض غاشقة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت» .

«ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره» .

كل ذلك يدل على أنه يعتبر الزواج ذا أهمية كبرى ، ودلالة على قدرة الله وحكمته ورحمته ، وشيئة بما للآيات الكونية العظمى من دلالات .

هذا إلى ما يوحى به التعبير بقوله : «ومن أنفسكم» ، في هذه الآية ودخولها زوجها ، في آية أخرى من ملاحظة التجانس والوحدانية في المخلوق ، حتى يتحقق لكل من الزوجين الأنس بصاحبه ، والتشابه المفضى إلى السعادة ، ثم ما يوحى به التعبير بقوله «لتسكنوا إليها» ، وجعل ينسج مودة ورحمة ، من أن الزواج هو أساس الاستقرار والطمأنينة ، التي يجدها المرء في سكنه الذي يأوى إليه ، أو في سكن نفسه حين يأمن ويهدأ ويشعر بالسعادة ، وهو مبعث المودة التي هي الحب المنبعث عن عاطفة صادقة ثابتة ، والرحمة التي هي انعطاف وميل يؤديان إلى الرفق والإحسان ، كل ذلك جعله الله في الزواج فكان به آية من آيات قدرة الله وحكمته ورحمته ، ولهذا أقسم

لا يعلمون ، ، «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» .

فالآية الأولى تقرر أن الكون كله قائم على سنة الزواج فيما نعلم وفيما لا نعلم ، والآية الثانية تجعل هذا الزواج فيما يختص بالإنسان آية من آيات الله تعالى .

وكون الزواج هو السنة التي يقوم عليها الكون في أنفسنا وفي غيرها مما نعلم ومما لا نعلم يوحى إلينا بخطر شأنه ، وبأن نظر إليه نظرة جادة ، ونعتبره ركنا أساسيا في الحياة لا غنى عنه ، ولا ينبغي أن نرتكب ما يزلله ، أو أن نستعين بأحد طرفيه ، وهما الذكر والأنثى .

وكونه آية من آيات الله يوحى أيضا بأن الله يريد أن ندرك ما يربط به من المعاني الكونية التي تجعله علامة واضحة على قدرة الله تعالى وحكمته ، وقد ذكرت الآيات الكونية لفتا للنظر إليها في آيات أخرى كثيرة من كتاب الله تعالى :

ففي ذلك قوله عز وجل :

«ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم» .

«ومن آياته مناسمكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله» .

كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم ينظر إلى الزواج ، وبلغت أنظار الناس إليه ، باعتباره عقداً مقدساً كبير الشأن ، وسنة كونية من السن الدالة على قدرة الله ورحمته وبالف حكمته .

فن واجب المسلمين أن يعرفوا له ذلك ، وألا يتخذوا آيات الله في شأنه هزوا ، وألا يقصدوا منه إلا ما يحقق أمر الله ، وبقيم حدوده .

\*\*\*

وقد شرع الإسلام مناهج لتقوية هذه الرابطة المقدسة وتحقيق ثمراتها على وجه يصلح به المجتمع ، وتسعد به الأسرة ، ولم تكن تشريعاته خاصة بعهد قيام الزوحية ، بل عامة لهذا العهد ، ولما قبله ولما بعده ، ولم يكن في هذه التشريعات مجافياً للطبيعة ، ولا متناسياً للواقع ، ولكنه كان في نطاق المبادئ التي صدرنا بها هذا البحث ، فكان هو تشريع الرحمة والمصلحة الوسطية والصراط المستقيم . وإلى العند المقبل ، إن شاء الله تعالى ، لتأخذ في بيان هذه المناهج ، والله المستعان به

محمد محمد المرنى

عميد كلية الشريعة

الله تعالى بالذكورة والانوثة ، كما أقسم بالليل والنهار ، والشمس والقمر ، والفجر والنسق ، فقال جل شأنه : « والليل إذا يغشى ، والنهار إذا تجلى ، وما خلق الذكر والآنثى » .

والقرآن الكريم يعبر عن رابطة الزوجية بعبارة قريبة من العبارة التي يعبر بها عن عهد الإيمان ، إذ يقول عن رابطة الزوجية « عقدة النكاح » ، في مثل قوله تعالى : « إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح » ، « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » ، ويقول عن عهد الإيمان « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ، فن يكفر بالظالمات ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » .

كما يعبر عن رابطة الزوجية بالميثاق الغليظ فيقول « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، بينما يعبر بهذه العبارة نفسها عن عهد الله الذى أخذه على أنبيائه الكرام ولاسيما الذين أرسلهم إل الأمم في أشهر مراحل التاريخ البشرى ، إذ يقول :

« وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم » ، ومنك ومن نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ابن مريم ، وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » .

# نفاية القرآن

## نصرة الحق مكفولة من جانب الله تعالى

للأستاذ عبد اللطيف السبكي

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق  
ليظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون »

وكذا في قولهم « إن الله هو المسيح بن مريم »  
وقولهم « إن الله ثالث ثلاثة » .

ولئن كان هذا الابتداء متشابها بين الأمتين  
فكل يسلك مسلكه في لفظه ، وكل يكذب  
الآخر فيما هو عليه ، وقالت اليهود ليست  
النصارى على شيء . وقالت النصارى ليست  
اليهود على شيء ، ومع هذا التشابه ، والتنازع  
فهم على طرف بعيد من أهل القرآن .

٢ — فإن أمة محمد لم تتجاوز معالم دينها  
فما رسم الله ، وفيما يهضمه العقل الإنساني  
الطليق من قيود العصبية . فإله سبحانه إله  
واحد ، منزّه عن الولد ، وعن كل شبه يعاق  
بقسوته ، أو يشوب عظّمته .

ودين الله لدينا ولدى السابقين علينا بنجوة  
من إنك هؤلاء الموثقون .. وعزير والمسيح  
بريثان عما نسب لإحما .

والقرآن الكريم يكشف عن أغراض  
المبطلين التي يرمون إليها من هذا الابتداء  
المعن في الكفر باقه ، والمعن كذلك  
في احتقارهم لمعتلهم ، وحسوم في الدين  
ما تأباه العقيلة الإنسانية ، ولا يتفق مع

١ — كانت اليهود محاولات في الضلال ،  
وإيمان في ابتداءع الأباطيل ، حتى أصبح  
اللون الذي يعرفون به أنهم خارجون على  
الدين ، ومبدلون لكتاب الله - التوراة -  
وقاتلون للأنبياء ، وفاكثون لليهود ،  
وساقطو المروءة والخيرة إلخ إلخ .

وفي الحق أن التاريخ يسجل عليهم أكثر  
وأكثر مما يدعون لأنفسهم من مآثر في العلم  
وحجارة الدنيا ، فضلمهم في الحياة لا يقاس  
بما اقترفوا من مآثم في جانب الله ورسوله ،  
ولا يذكر أمام ما تدفعهم إليه نزعاتهم من  
إفساد ، وما يبذلون من بدورات شقاق أينما كانوا .

وقد تحدث الله عنهم في موضوعنا بأنهم  
اقترفوا على الله ، ونسبوا إليه بتوة المزيرله  
« وقالت اليهود عزير ابن الله » ، وما كان  
العزير إلا واحدا منهم ، تميز عليهم بعله ،  
ونشاطه في إحياء شريعة موسى بينهم بعد أن  
كادت تذهب معالمها قبل عهده بالحياة .

٢ — ويشبه اليهود في ذلك أهل الإنجيل ،  
فقد تورطوا جميعاً في قولهم : « إن المسيح  
ابن الله » وقالت النصارى : المسيح ابن الله ،

تشریع الله ولو من طریق الشبهة العلية في قليل ولا كثير .

إذ يحارلون رفع بشر من عبادة الله إلى مقام الألوهية ، وهم في هذا ينزلون بمقام الألوهية إلى منزلة الإنسانية ، وتعالى الله عن ذلك علواً كثيراً .

٤ - كشف القرآن من غمواتهم من وجوه - أولها - قوله سبحانه : ذلك قولهم بأفواههم ، يعني هذا اختلاق تقذف به أفواههم ، وليس مستمداً من كتاب ولا مروياً عن رسول ولا ناجعاً عن بحث صحيح . ومع أن هذا متقدم فقد اكتفى القرآن باعتباره قولاً من الأنواء إشارة إلى احتقار هذا الاعتقاد وأنه لا يستحق أن يذكر ، أو ينار إليه ، وإنما هو مجرد كلام لا وزن له في ميزان الحق والصواب .

والوجه الثاني قوله تعالى : يضاهئون به قول الذين كفروا من قبل ، يعني أن هذا التهريج مبوق بمثله من أمم كافرة . . فإن كان أهل الكتاب يعلمون عن غيرهم هذا فهم أمثالهم فيما يعاب عليهم من غباوة وجور . . وإن لم يكونوا عالمين من سبقهم ذلك فقد عرفهم القرآن شيئاً لم يعلموه ، وتندد عليهم كما تندد على أسلافهم في تلك الضلالة العمياء . والوجه الثالث قوله تعالى : فأتهم الله أنى

يؤفكون . . ، فهذا دعاء باللعنة عليهم ، وعلى من سبقهم إلى الكفر ، وهو دعاء بمزج بالتعجب والإنكار المزدوج بقولهم جميعاً .

ومناط التعجب أنهم يؤفكون : أى ينصرفون عن الحق إلى الباطل ، ويخوضون فيه كثيراً دون أن يجرهم إنكار ، ولا دعاء عليهم ، ولا تهديد لهم .

وكشف القرآن عنهم - وأبما - بقوله تعالى : يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، يعني هذا الانحراف يراد به إطفاء النور الذى يقبلج في دعوة الله إلى الحق - على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم - لا لسبب سوى الحقد على من أرسل إليهم من غير قومهم ، وبسكتاب بعد كتبهم ، وبشريعة أكمل من شرائعهم في تجديد الحياة الدينية على منهج غير مدخول بتبديل ، وهو غالة خلود الدنيا إلى متهاها - وذلك كان شأنهم مع الأنبياء من قومهم فليس جديداً منهم بعد .

والله تعالى يزيدهم نكالا ببيان أن هذا الدين نور الله المستمد من عنده ، بعد أن اعتبر تدينهم بما يقولونه مجرد اختلاق من أفواههم ، لا يسدو الكفر المصراح والضلال البعيد . . . ويزيدهم نكالا كذلك بأن جهودهم في مقاومته فاشلة ، يؤكد أنه سبحانه سيتم نوره على ما يريد مهما يكن لم من عناد وكرامية ، وبأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

٥ - ونحن نرى تعاقب الأجيال من أهل الكتاب ، ونرى تقدم العقلية بينهم ، ودواج الثقافة فيهم ، ومع هذا كله لا يزالون على

هذا جرت سنة الله قديماً وسنته لا تتخلف وقد قال تعالى في ذلك : هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون .

٦ - وفي هذه الآية تبرز لنا والناس بشائر الحق في نصرة الحق وهزيمة الباطل من به ديد . فقد بدأنا نقرأ كثيراً مما يكتبه علماء أهل الكتاب منكرين بمقولهم الرشيدة ما يساق لهم من تطبيق باسم الدين ، وينكرون ما يفترى به على الله ورسوله ، ويأبون أن يكونوا على حقيقة لا تهمسها العقول إزاء ما يرون في القرآن من نزاهة عن هذا كله . كما رأينا أخيراً ذلك النبا عن حركة جديدة في روسيا ... نشطت هذه الحركة هناك ضد اللادينية المخيمة على الدولة الشيوعية . فالهولة بسطت أجنحة قوية في نطاق واسع من أرض الله ، وغرما عليها وسلطانها أن يقول قائما : إنا طغنا بالفضاء كله فلم نر الله هناك . هذه الدولة بدأت تتلقى مواجهة بالاعتراض على إباحيتها ، وتتلقى الطعنات في لادينيته في نفس الوقت الذي تفخر فيه بما وصلت إليه من علم يشرق على مشارق الدنيا . ولعل هذا النبا يقرب إلى أذهان البائسين تحقيق وعد الله ، ووعد الله لا يتخلف مهما طالت الأيام .

هبة اللطيف المسكن

عضو جماعة كبار العلماء

ماورثوا من تاليه البشر ، واتقسامهم على بعضهم في شأن الانبياء ، وروى اللجاج فاشياً من جانهم ، والخصومة للإسلام شائمة منهم في كل ملك يسلكونه مع المسلمين .

فهل يفاد من ذلك أن الله مكن الباطل ، أو أنهم على حق ؛ وأنهم تحكوا في بعض المسلمين لأن الله يفرم على مام فيه ... ؟ إن الإسلام في ذاته حق ، ولا حق غيره ، وإذا كانت الغلبة لأعدائه فلا سباب تتعلق بالناس ، لا بالدين ، وتجاوز المسلمين لنهج دينهم يكون جرمية منهم ، والله يجزيهم بتسليط العدو عليهم ، ليؤدبهم على فعلتهم ، دون أن يكون ذلك قادحاً في الدين ، ولعله عقاب يعبر أن دين الله في مقام العزة عنده ، وأنه يثار عن خروجها عن حوزته ، ليعودوا إليه في إخلاص ، وغيره ، وذلك نمط حكيم في معاملة الله للعباد في دنياهم .

وقد مررت بالمسلمين قرأت ذهبية كانوا فيها أعز شأننا وأكرم مقاماً ... فلما تربثوا في نشاطهم ، وتعاوضوا عن مراقبتهم لأنفسهم كان من عدل الله أن يمكن الغير منهم . وأما الدين نفسه فلا يزال مشرقاً ، وسيظل كذلك رغم ما يراد به من سوء ، ولا يمكن الباطل أن يغلبه مهما تضافرت الحيل ، وكثرت حوله الأباطيل .

والتيجارب في الحياة لا تقاس بأجالنا القصيرة ، فقد يكون الزمن طويلاً في حسابنا ولكنه قصير في جانب الحياة الدنيا ... وعلى .

# من معاني القرآن

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ لَكُمْ تَقْوَى » .

« وَرَأَتْ كَرِيمَ »

بل يصدق على المعاني النفسية والوجدانية  
مَنْ كَانَ يَرَادُ بِهَا ذَلِكَ . كَالْإِيمَانِ وَمَا يَتَّصِلُ  
بِهِ مِنَ الذِّكْرِ وَالشُّكْرِ ، وَالْخَوْفِ مِنَ الْعِقَابِ  
وَالطَّمَعِ فِي الثَّوَابِ وَمِنْ ثُمَّ وَصَفَ اللَّهُ  
الْمُتَّقِينَ بِقَوْلِهِ : « الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ  
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ  
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ  
مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ » ثُمَّ نَوَّهَ بِهَذِهِ  
الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، وَأَشَارَ إِلَى الْمَوْصُوفِينَ  
بِهَا حَيْثُ يَقُولُ : « أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

وَإِذَا كَانَتْ ثَمَرَةُ الصِّيَامِ التَّقْوَى كَمَا يَقُولُ  
سُبْحَانَهُ « لَكُمْ تَقْوَى » ، وَكَانَتْ ثَمَرَةُ الْقُوَى  
الْتِمَاسُ مِنَ الْهُدَى ، وَالْوَصُولُ إِلَى الْفَوْزِ  
وَالْفَلَاحِ كَمَا يَقُولُ جَلَّ شَأْنُهُ « أُولَئِكَ عَلَى  
هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، فَلَيْسَ  
وَرَاءَ هَذَيْنِ شَيْءٌ تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ النَّفْسُ السُّوْءُ ،  
أَوْ تَتَمَلَّقُ بِهِ غَوَايِ الْأُمَالِ ، وَمَنْ ثُمَّ كَانَتْ  
التَّقْوَى خَيْرَ زَادٍ كَمَا يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى :  
« وَتَزِدُّوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ  
يَا أُولَى الْأَلْبَابِ » ، وَكَانَتْ خَيْرَ لِبَاسٍ كَمَا يَفْهَمُ  
مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ « وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ » ،

عبد الرحمن بن قوده

يَسْتَعْمَلُ « كُتِبَ » بِمَعْنَى حُكِمَ ، وَقَضِيَ ،  
وَأَوْجِبَ ، فَمَعْنَى كُتِبَ اللَّهُ الصِّيَامُ  
فَرَضَهُ وَأَوْجِبَهُ .

وَالْوَقَايَةُ فَرَطُ الْحِفْظِ وَالصِّيَانَةِ ، وَمِنْهَا  
أَخَذَتْ كَلِمَةُ « التَّقْوَى » لَتَدُلَّ عَلَى كُلِّ مَا يَرَادُ  
بِهِ اتَّقَاءُ الشَّرِّ أَوْ الْعِقَابِ ، وَابْتِنَاءُ  
الْخَيْرِ أَوْ الثَّوَابِ .

المنى :

يَخَاطَبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ وَبِعَلَانِيَتِهِ وَكُتِبَ  
وَرَسُولُهُ - وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ - فَيُنَادِيهِمْ بِمَا يَشِيرُ  
فِيهِمُ الْإِسْتِعْدَادَ لِقَبُولِ مَا بَأْمَرَهُمْ بِهِ ، وَالْإِقْبَالَ  
عَلَى أَدَاءِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ، وَهُوَ « يَا أَيُّهَا  
الَّذِينَ آمَنُوا » فَإِنَّ ذَلِكَ يَشِيرُ فِيهِمُ الشُّعُورَ  
بِأَنَّ لِعَمَلَانِهِمْ بِهِ ، وَاطْمَئِنَانَهُمْ إِلَى حِكْمَتِهِ  
وَرَحْمَتِهِ وَشَرِيعَتِهِ يَدْفَعُهُمْ إِلَى امْتِنَالِ أَوَامِرِهِ  
وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ ، وَيَنْجِزُهُمْ - جَلَّ شَأْنُهُ -  
بِأَنَّهُ أَوْجِبَ الصِّيَامَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَوْجِبَهُ عَلَى الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِهِمْ فَإِنَّ ثَمَرَةَ الصِّيَامِ التَّقْوَى ، وَصِيَامُهُمْ  
إِذَا صَامُوا ، وَأَخْلَصُوا صِيَامَهُمْ لِقَدَرِ أَنْ يَتَوَخَّوْا  
إِرْضَاءَ رَبِّهِمْ . وَيُفْعَلُوا مَا يَقِيمُهُمْ غَضَبُهُ وَعِقَابُهُ ،  
وَمَعْنَى التَّقْوَى يَسَّحُ كُلَّ قَوْلٍ وَكُلَّ فِعْلٍ مَنِ  
كُنَّ يَرَادُ بِهِ اتَّقَاءُ الشَّرِّ . وَابْتِنَاءُ الْخَيْرِ ،



## صلاح المجتمع بصلاح أفراده

للأستاذ علي الحسني الندوي

المعسكر الشيوعي لتقيم القسط والحق ، وكذلك لم يكن المعسكر الشيوعي في وقت من الاوقات لينازع الاحلاف الاوربية في حيليل اقامة العدل لانه لم يكن حريصا على اقامة الدين والفضيلة ، إنما يصارع ويحارب ليكون هو المعسكر الوحيد في العالم الذي يبين على وسائل البشرية ؟ وليحتكر التجارة العالمية ليس لمصلحة البشرية ، بل ليكون الذين يؤمنون بعبادته وينضمون إليه سدداء على حساب الأمم والشعوب التي يسيطر عليها .

إن مرد هذه المصارعات كلها هو شهوة النفس وعبادتها ما لم تغير هذه النفسية الشريرة الفاسدة المتعفة فلا مطمع في صلاح العالم أو سعادته ورفاهه .

المهم أو الأهم أن يتغير الإنسان . إن كل شيء في هذا العالم خاضع للإنسان ، والإنسان خاضع لنفسه وضميره وعقيدته فإذا كانت هذه صالحة كان الإنسان صالحا وإذا صلح الإنسان صلح العالم ( ألا أن في الجسد مضغة

إن هذا التنافس الذي تحدث به الصحف والذي قد يؤدي إلى حروب طاحنة - نستمرسنيين طولا لا تطحن الأمم - هو تنافس في الأغراض فقط لا تنافس بين الخير والشر ، وإن هذا الصراع القائم بين الأمم الاوربية ليس معناه أن أمة منها تريد أن تسيطر على العالم لتفرض على هذه الأوصناع الفاسدة ولتخدم الإنسانية ، وتفرض قوانين الله ومحارب الفساد ، وتساوي بين الناس وتقيم القسط والعدل وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقيم الصلاة وتزقي الزكاة كما قال تعالى : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر » .

إنما هو تنافس على القيادة كل أمة تريد أن تملك الحكم لتنفذ شهوراتها . إنما النزاع هو من يكون صاحب الأمر والنهي وتكون له قوة إرضاء الشهوات وخدمة المصالح الذاتية والحزبية .

أمريكا وحليفاتها مثلا - لم تكن تنازع

إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت  
فسد الجسد كله (أروى القلب) .

تقد أصبح الناس مؤمنين - بحكم ما يكتب  
ويقال من أناس لم يتعمقوا في العلم - بأن  
صلاح العالم هو في وجود حكومة على أساس  
كذا وكذا ، أو في تولي الرجل الفلاني  
أو الحزب الفلاني الحكم وما يدروا أن المجتمع  
قاسد لقساد الضمائر والقلوب ، وما لم تصح  
فلا يؤمل الإصلاح ، هذا قول محرب خير  
لا قول إنسان منظر على نفسه ، قول رجل  
تنبأ له - بحمد الله - من الدراسة الصبيغة  
النسب الكثير .

قد يدخل الرجل إلى غرفة مظلمة فلا يستطيع  
أن يجد طلبه إذا لم يدر الزر الكهربائي ،  
ولكن الرجل الخبير بمجرد دخوله الغرفة  
يعرف موضع الزر فيديره فيسرى النور  
في التيار ويضيء جذبات الغرفة ويقضي الرجل  
حاجته - وهذا هو شأن الأنبياء عليهم السلام  
ومن سار على أثرهم - هذا الزر هو الإيمان ،  
إذا انفتح اضلقت منه موجة النور لتضيء  
العالم كله .

إنى أرى بعض الرجال في البلاد العربية  
والإسلامية وغيرها يبدون كباراً في العقل  
والتفكير والتجربة ، ولكن تفكيرهم قاصر  
غير ناضج ، يتكلمون عن المشاكل حديث

وجل لم يتعمق ولم يرسح ، يتحدثون عن  
مشاكل السياسة والاجتماع ، ويعتقدون أنه  
إذا جاء الحزب الفلاني ذهبت المشكلة ، فإذا  
جاء الحزب واجهنا المشكلة نفسها بل ما هو  
أكبر منها ، وكثيراً ما تواجه مشاكل جديدة  
أخرى ، ثم نجرب حزباً آخر فإذا هو شر  
من الأول وصدق الشاعر إذا قال :

ألا إنها الأيام أبته واحداً

وهنى الليالي كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة

خلاف الذي مرت به السنوات

إلى متى تمرى هذه التجارب على الإنسان  
المسكين؟ وإلى متى تفحص ونشرح ثم نرجع من  
غير طائل؟ ومن الخطأ الاهتمام بالمجموعات  
والمؤسسات والميكنات الاجتماعية والحكومات  
دون الاهتمام بالأفراد ، مع أن الأفراد هم  
أساس المجتمعات والحكومات والأحزاب  
والمؤسسات - تقول لهم : أيها السادة دونكم  
الأفراد ، فأصلحوهم وهيشوم لهذا الهيكل  
الاجتماعي ، فيقولون ما لنا والأفراد ، نحن  
في عصر اجتماعي طابعه الاجتماع - فقول لهم :  
آمننا بالاجتماع ولكن الأفراد اجتمعوا على  
أساس عقيدة واحدة ، التقوا على غاية واحدة ،  
فإذا لم يكن الأفراد أين يكون المجتمع؟ ولكنهم  
يقولون إن الأفراد يصلحون بصلاح المجتمع

أليس أكثرهم تاسدين ودون المستوى الواجب فكيف تتحول هذه المصائب الجرمية إلى مجموعة صالحة رفيعة المستوى عالية في الأخلاق؟ العالم كله مع الأسف عاصع لهذا المنطق حتى في المستويات العلمية .

إن مديري البلديات والجامعات والمؤسسات العلمية والحكام لو كانوا في الزمن الأول لما استحقوا أقل من العرذ، بل لكافوا في الجور لقد خلفت هذه العقبة حل الأفكار حتى أصبح الذي يشير مسألة لأفراد يتهم بالرجعية.

يا أصحاب القلوب المؤمنة أتم المجتمع، حل قبلت وجوهكم وضمائركم وعقولكم يرفد المستقبل الزاهر الذي تؤمله، فهبوا نفوسكم تهيئة ووحية خلقية إيمانية ، هذا هو نداء الوقت وواجب الساعة وجهاد اليوم .

لقد وجدت الحديث من العالم الإسلامي حديث كل بلد حلك وزرت فيه إخواننا وهو حديث كل مجلس حضرة . إن العالم الإسلامي حقيقة قائمة تسي على قدمها لا ينكر فضله إلا جاهل أو أحمق .

أنا أومن به وشاهدته في الهند وباكستان وتركيا وسوريا ومصر ، وأتم أيها الإخوان جزء من العالم الإسلامي . إذا كنتم تعتقدون أنه يعيش بغيركم وليس عليكم مسئولية فأتم نعطون أخشى لأنني كثيرا ممن يهتمون

إن مثل هؤلاء الذين يهتمون بالجموعات دون الأفراد مثل من يجمع أخشابا منخورة متأكلة عذومة ، يريد أن يصنع منها سفينة تحمل جماعة كبيرة وبضائع هامة ، فإذا قال له رجل صاحب نظر: إن هذه الأخشاب لا تصلح لبناء سفينة تحمل جماعة كبيرة وبضائع هامة ، قال إن هذه الأخشاب لا قيمة لها ، إنما المهم السفينة ، فإذا تكورت السفينة ففسدت الأرواح شخصيتها، فلا يهلك إن كانت الأخشاب قاسية منخورة .

إن الفاسد قائد ، إذا اجتمع الفاسد مع الفاسد ينتج الصالح ؟

إن العر لمر ، ولكن إذا اجتمعت الممرص أصبحت حارسا للدينة ؟؟

هذه هي عقلية أوربا - إن الممرص لمرص في أفرادهم ولكنهم أمنا في مجموعهم ما هذا المنطق ؟

الذئب ذئب ولكن الذئب إذا اجتمعت أصبحت راعية ؟

إن الجرة تحرق البيت ، ولكنها إذا اجتمعت الجرات أصبحت بردا وسلاما ؟؟

هذا شيء مضحك ولكن ليس هذا هو الأساس الذي يعمل في المدرسة والحكومة والمحكمة ؟

من أين جاءت الحكومة والقضاء والجنود ؟

وهذه القضايا التي لا يستطيعون معالجتها إن الاشتغال بالغير سهل ، ولكن الاشتغال بالنفس صعب ، والإنسان يتوخى السهولة ، ولذلك اندفع العالم الإسلامي كله إلى الاهتمام بغيره ، هذا تفكير يجب أن يعالج ، فكل بلد عربي جزء من العالم الإسلامي فيجب على كل منا أن يهيئ نفسه ليكون لبنة صالحة للبناء ، فكن لبنة مجاهدة مؤمنة صادقة ، طاهرة النفس ، واعدة التفكير ، قوية العاطفة ، فإذا كنا كذلك فصدقوني أننا نستطيع أن نفهز تيار الفساد .

الأزمة أزمة رجال ، فإين الرجال ، وإن كثروا من الناس يحرصون على الحكومات ويعتقدون أنها هي المفتاح ولكننا يسير الحكومة الرجال ، فنم هؤلاء الرجال وكيف هم ؟ هذا هو داء العالم الإسلامي فيثور نفوسكم لحركة المستقبل ، معركة الأخلاق والإخلاص والتضحية فإذا وجد رجل واحد يستطيع أن ينسى نفسه ومصلحته ومصلحة أسرته وأصدقائه وحزبه ويستهدف مصلحة بلده وأمة لاستطاع أن يحدث انقلابا .

على الحسنى التدوير

بكل شيء غير نفوسهم ، وهذا هو الواقع فعلا . أنا أنكر في العالم ولو أتى جزء منه فلاصلح هذا الجزء . ولكني أرى كثيرا من الإخوان لا يفكرون في نفوسهم ويعتقدون أن العالم الإسلامي هو كل ما يغير نفوسهم هلينا أن نصلح نفوسنا وليعتقد كل منا أنه مسئول فإذا أصلحت هذه الأجزاء صلح العالم الإسلامي . إن مثلنا أيها الإخوان كمثل ملك أعلن أنه يريد حوضا مملوءا باللبن « الحليب » وأنه سيدفع الثمن لكل من يجلب الحليب فقال أحد البائنين في نفسه . . لو أفرغ حوضا من ماء فإن هذا الماء لا يؤثر في الحليب الكثير ، فأفرغ حوضا من ماء بدل من حليب ، وفكر آخر نفس التفكير ، وهكذا سرت الفكرة بين الجميع ، وجاء الملك في الصباح فوجد حوضا من ماء .

هذه قضيتنا ، إن كل فرد منا يقول إذا فسدت فإذا يضر العالم الإسلامي ؛ وبهذا أصبح كل العالم الإسلامي فاسدا ، لو فكرتم رأيتم أن كل حديثكم عن غيركم .

انصبروا نفوسكم أيها الإخوان ومالككم

## من أيام الإسلام الخالدة يوم بدء الدعوة للدكتور سعد الدين الجيزاوي

تخليد ذكرى بعض الأيام أو الشهور أو السنين التي تحدث فيها أمور ذات شأن في تاريخ أمة ما ، أمر عجب إلى النفوس ؛ لأنه يعيد إلى أذهان الناس صوراً عن موقف بطولية مثلاً ، أو ذكرى لحظات رهيبة قمر فيها مبدأ ترتب عليه تغيير مجرى الحياة العام ، أو أنبت فيها صوت نبه الغافل ، وأيقظ النائم ، وكان من أصدائه فك أغلال ، ونحرير ، وتحرير مصير . وفي ذلك وأمثاله ما يشعل عراش الخلف ويرفع من معنوياتهم ، ويدفعهم إلى السير قدماً في معترك الحياة الصاحب . وقد تكون الذكرى مؤلفة قمتد إلى الأذهان صورة نكية كانت قد حلت نتيجة لأخطاء بعض السلف ، فيأخذ الخلف منها حبرة ، ويتجنسون مزالق السوء التي لم تورث الخطئين والظالمين إلا الائمة وسوء الذكرى .

وطبيعي أن العبارة ليست في نفس الفترة التي تحد من يوم أو من شهر أو من سنة ، بل هي فيها صاحب تلك الفترة أيا كانت من تخليد ذكرى بعض الأيام أو الشهور أو السنين التي تحدث فيها أمور ذات شأن في تاريخ أمة ما ، أمر عجب إلى النفوس ؛ لأنه يعيد إلى أذهان الناس صوراً عن موقف بطولية مثلاً ، أو ذكرى لحظات رهيبة قمر فيها مبدأ ترتب عليه تغيير مجرى الحياة العام ، أو أنبت فيها صوت نبه الغافل ، وأيقظ النائم ، وكان من أصدائه فك أغلال ، ونحرير ، وتحرير مصير . وفي ذلك وأمثاله ما يشعل عراش الخلف ويرفع من معنوياتهم ، ويدفعهم إلى السير قدماً في معترك الحياة الصاحب . وقد تكون الذكرى مؤلفة قمتد إلى الأذهان صورة نكية كانت قد حلت نتيجة لأخطاء بعض السلف ، فيأخذ الخلف منها حبرة ، ويتجنسون مزالق السوء التي لم تورث الخطئين والظالمين إلا الائمة وسوء الذكرى .

وطبيعي أن العبارة ليست في نفس الفترة التي تحد من يوم أو من شهر أو من سنة ، بل هي فيها صاحب تلك الفترة أيا كانت من

أحداث ربطت بين ما فيها من عبر ، وبين الزمن الذي حدثت فيه .

وفي تاريخ قيام الدعوة الإسلامية أيام كثيرة كان لكل منها شأن خطير ، جعلها تحدد بين الأيام ، وتذكر على مر الأيام وكر السنين

قد عرف التاريخ الإسلامي يوم الهجرة الذي اختاره عمر بن الخطاب مبدأ للتاريخ الإسلامي ، ولا يخفى ما في تسجيل حادث الهجرة على هذه الصورة الكريمة ، وربطه بتوقيت شؤون الأمة الإسلامية ، ... لا يخفى ما في ذلك من عبر يستلهمها المسلمون كلها هل هلال المحرم من كل عام .

وعرف التاريخ الإسلامي يوم بدر ، إذ كانت غزوة بدر الكبرى في السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، وصار المسلمون يذكرون أمجد مواقف البطولة كلها حل السابع عشر من رمضان في كل عام .

كذلك عرف التاريخ الإسلامي يوم فتح

تتفق وجلال تلك المناجبة ، لا على أنها ليلة  
تفتح فيها طاقة من السماء ، يدعو من يراها  
بما يشاء ؟ أو أنه من صلى فيها مائة ركعة  
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . ؟

في تاريخ السيرة النبوية أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عندما بلغ سن الأربعين ،  
حبيب إليه الخلاء ، فكان يذهب إلى غار  
حراء يقضى فيه الأيام والليالي ذوات العدد  
ثم يزرع إلى أهله فيزود ، ثم يعود إلى خلوته  
وحق جاء الحق وهو في غار حراء ، فجاءه  
الملاك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارى .  
قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد  
فأرسلني إلى أن قال : فغطني الثالثة ثم أرسلني  
فقال : اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق  
الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم .  
فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فدخل بها على خديجة بنت خويلد رضى الله  
عنها فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى  
ذهب عنه الروح ، فقال لخديجة وأخبرها  
الحبر : لقد خشيت على نفسي . . . إلى  
آخر الحديث .

ولم يرد في كتب السيرة تحديد دقيق لهذا  
اليوم . الذى كان فيه أول نداء بآيات  
الكتاب الكريم . بالنسبة لعمر الرسول  
عليه الصلاة والسلام أو ما يشير إلى حادث  
آخر يمكن أن يربط به ويحدد على ضوءه .

مكة في العشرين من رمضان ، وصار المسلمون  
يذكرون في هذا اليوم من كل عام تحطيم  
الأصنام وتطهير الكعبة من وجس  
الوثنية ، ونهاية عهد الشرك ... ثم أجد  
مواقف التسامح وكرم الأخلاق .

وهرف التاريخ الإسلامى ليلة الإسراء  
والمعراج في السابع والعشرين من رجب كل  
عام ... ثم يوم عرفة في التاسع من ذى الحجة ،  
ثم أيام العيد الأكبر ومناسك الحج ، والعيد  
الأصغر وفرحة ختام الصيام ... إلى غير  
ذلك من الأيام الحبيبة إلى نفوس المسلمين  
جميعاً ، لأنهم يجدون في تكرارها كل عام  
مساعدة وسرورا .

وهناك يوم من أيام الإسلام الخالدة ،  
جدير بأن تحرى ، ويحدد ، ويعرف ،  
وأن يتمثل به ؛ لأنه اليوم الذى بدأ فيه  
وضع الأساس الأول لهذه الدعوة الكبرى  
التي كانت روح العالمين ، وفصلت بين عهدين  
متناقضين : عهد الظلمات وعهد النور .

ذلك هو : الذى بدأ فيه نزول القرآن  
الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ،  
يوم حراء ، يوم نادى جبريل عليه السلام  
محمداً أن : اقرأ .

مضى كان هذا اليوم ؟

وإذا كان هو المقصود بليلة القدر ، فلماذا  
لا يكون احتفالنا بذلك الليلة على صورة

وهذه الآية صريحة في أن نزول القرآن كان في يوم من أيام رمضان ، ولكنه لم يحدد وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين ، والإنجيل ثلاث عشرة ، والقرآن لأربع وعشرين مضين » (١) . وأورد الإمام الزعزعي في تأويل هذه الآية ثلاثة أقوال : أولها : أن المراد : ابتدئ فيه إنزال القرآن ، وكل ذلك في ليلة القدر .

وثانيها : أن المراد : أنزل جملة إلى السماء الدنيا ، ثم نزل إلى الأرض نجوما .  
وثالثها : أن المراد : أنزل في شأنه ... أي رمضان — القرآن تعظيما لشهر الصوم وربما كان القول الأخير بعيدا ؛ لأنه يفيد أن نزول القرآن ليس بلام أن يكون في شهر رمضان .

وقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة ، إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم » (٢) وقد اختلفت الأقوال في هذه الليلة : هل المراد بها ليلة القدر أو نصف شعبان ؟ ولكن أكثر الأقوال على أنها ليلة القدر

ولو تأملنا الفترة التي قضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتيه جبريل بأول نداء ، لوجدنا أنها بمثابة الإعداد الروحي لتقوية نفسه ، وتهيئة قلبه لتلقي ذلك النبأ العظيم ؛ لأن أمر الوحي ليس بالأسر اليسير ، ولا سيما في فترة من الزمن كان الناس يناقلون فيها أخبار الجن ، والرقى والفلو ... حتى إنه قال لحديجة : لقد خفت على نفسي . ولقد ظهر أثر هذا الإعداد الروحي في ثبات الرسول الكريم عندما قالت له قريش : « وإن كان هذا الذي يأتيك ربيّا نراه لا نستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نهلك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه » .

نعم . لقد ثبت الرسول الكريم ، ولم يتردد بمثل هذا القول ، ولا بغيره من مثل : « ساحر كذاب » . « وإن تقبضون إلا رجلا مسحورا » . « وإن هذا إلا سحر يؤثر » . « إن هذا إلا قول البشر » ... بل كان يجيب بأمر ربه في ثبات و يقين : « قل : أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض » .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن إنزاله في أكثر من موضع :

قال تعالى « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ... » (٣) .

(١) الحديث ١١٣ من السكاوي العاني ، في تخریج أحاديث الكشاف لاسقلافي . وهو مسدود من أحمد والطبرانی .

(٢) سورة القصص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) البقرة ١٨٥ .

القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام ،  
ويكون المراد بأنزلناه : ابتدأنا في إنزاله ،  
وإلى هذا ذهب الشعبي فقال : « المعنى : إنا  
ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر » (١) .

وهذا لا يمنع أن يكون المراد نزوله جملة  
واحدة إلى سماء الدنيا ثم بدء نزوله على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فهل من الممكن تحديد : رمضان ، الذي  
بدأ فيه نزول القرآن بالنسبة للهجرة ؟ .

لقد حدثنا التاريخ أن الرسول عليه  
الصلاة والسلام قد هاجر إلى المدينة بعد  
أن بعثه الله بثلاث عشرة سنة . وهو يومئذ  
ابن ثلاث وخمسين .

فهل يمكن حل هذا أن يقال : إن يوم بدء  
الوحي كان في السابع والعشرين من شهر  
رمضان قبل الهجرة بثلاثة عشر عاماً ؟ .

وإذا أمكن ذلك فهل لنا أن نعيد النظر  
في أمر الاحتفال بليلة القدر على أنها ليلة  
حراء ؟ ليلة بدء الوحي ؟ .

لقد احتمل القرآن نفسه بهذه الليلة المباركة  
ووصفها بما هي جديرة به من تكريم ،  
فقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة مباركة ؛  
إنا كنا منذرين . فيها يفرق كل أمر حكيم » (٢)  
وقال تعالى : « إنا أنزلناه في ليلة القدر »  
وما أدراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من

وهو الأصوب لأن هناك سورة كاملة (٣)  
يشت أن المراد باليلة التي نزل فيها القرآن  
إنما هي ليلة القدر ، ولكن بقي ضرورة  
معرفة أمرين :

متى كانت ليلة القدر ؟ وما المقصود بنزول  
القرآن فيها ؟ .

اختلفت أقوال المفسرين في تحديد ليلة  
القدر ، ولكنهم يكادون يجمعون على أنها  
في شهر رمضان ، وأنها كانت في السابع  
والعشرين منه .

وأما المقصود بنزول القرآن في هذه الليلة  
فقد ذهب فيه المفسرون إلى قولين :

أولها وهو الأكثر أن المراد أن القرآن  
قد أنزل في هذه الليلة جملة واحدة من الوحي  
المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثم أخذ بعد ذلك  
ينزل منجاً على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم  
وقد تم إنزاله جميعاً في ثلاث وعشرين سنة ،  
وهذا القول لا يفيد متى بدأ نزول أول آية  
أى متى بدأ التنجيم : هل في ليلة القدر عند  
ما نزل القرآن إلى السماء الدنيا أو بعدها .

وثاني القولين : أن المراد هو بدء نزول  
القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم أى أنها  
ليلة النداء الأول من جبريل عليه السلام .  
وأعتقد أن هذا القول أقرب إلى الواقع ؛  
لأن الذي يعنى الناس إنما هو نزول

(١) تفسير الكشاف ص ٢٢٥ ج ٤ .

(٢) سورة الشان ٤٤٣ .

(٣) هي سورة القدر .



ألف شهر . نزل الملائكة والروح فيها  
ياذن ربهم من كل أمر . سلام هي حتى مطلع  
الفجر .

وربما لم يكن الغرض من ذكر ألف  
شهر ، تحديد تلك الفترة من الزمن بل هو  
لمجرد التكثير ، وعلى كل حال فإنها أفضل  
من ألف شهر ، إذ لم يقل إنها تساوي  
تلك المدة .

ولا شك أن تلك الآية جديدة بأن تتفوق  
في فصلها على زمن طويل ، ولقد ورد أن  
النبي ذكر لأصحابه يوماً أن رجلاً من  
بنى إسرائيل قد لبس السلاح في سبيل الله  
ألف شهر ، فاستعظم المسلمون ذلك فأنزل الله  
« ليلة القدر خير من ألف شهر » وعلى هذا  
يكون . فضل هذه الآية التي بدأ فيها نزل  
القرآن الذي يرسم للناس طرق الفلاح -  
ويرشدهم إلى سعادة الدارين أكثر من فضل  
هذا الجاهد ، وفي هذا ما فيه من توجيه النظر  
إلى عظم القرآن الكريم .

ولقد وجدت عند كثير من شعراء عصرنا  
الحديث وقفات طيبة عند هذا اليوم الكريم  
يوم بدء الوحي أكتفى بذكر بعضها :

ومن ذلك ما جاء في بردة الشاعر  
أحمد محفوظ :

أرى إلى جبل في الله يصعد  
حال أشم ، منيع الظهر والقم

يطوى النهار ويطوى الليل مبتلأ  
قربى لبارئ هذا الكون والنفس  
في هدأة من سكون لا يحاط لها  
إلا تسابيح قلب طاهر ونغم  
إلى أن قال :

وضعه ضمها جبريل في مكة  
ليودع النفس سرّاً غير منعوم  
ومن ذلك ما جاء في ملحمة أمير الأتلياء  
الشاعر حارس بحيري (١) فقد أفرد فصلاً خاصاً  
بمعنوان : فوق جبل النور ، من ستين بيتاً ،  
وصف فيها قرّة التحنث التي سبقت الوحي ،  
وصور فيها تأملات الرسول صلى الله عليه  
وسلم ، وتفكره فيما يراه حوله من أمور  
لا يرتضيها العقل السليم ، ثم ما كان يحس به  
في قرارة نفسه من ضرورة التغيير ، وتخطيم  
هذه الآراء .

وبما جاء في هذا الفصل قوله :  
ونغم محمد بالشار يوماً  
قد استوفى مجاهدة وصوما  
فحامد في الكرى حلماً وهيباً  
فيا لك في جميع الدهر حلماً

(١) الشاعر حارس بحيري هو الآن رئيس قسم  
إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة والإرشاد  
والمصلحة للشار إليها من مائتين وألف بيت مقسمة  
مئترات مئترات وهي في سيرة النبي عليه الصلاة  
والسلام .

في حديثه شاعرا قبل أن يكون مؤرخا قال :

سائل حراء : وروح القدس : هل علما  
مصنون سرهن الإدراك منكنم ؟

كم جيتة وذهاب شرفت بها  
بطحاء مكة في الإصباح والضم

ووحدة لابن عبد الله بينهما  
أشهى من الأنس بالأحباب والحشم

يسار الوحي فيها قبل مبعظه  
ومن يبشر بيسى الخير يقسم

إلى أن قال : وهو أرواح ما قال شوقي :  
ونودي : اقرأ ، تعالى الله قائما

لم تصل قبل من قبلت له بفهم  
هناك أذن للرحمن فانتلات

أسماع مكة من قدسية النعم  
أرأيت تصويرا أبدع من هذا ؟ ثم استمع

إلى تصويره لقريش عند ما علموا بهذا النبأ  
العظيم .

فلا تسأل عن قريش : كيف حيرتها  
وكيف قهرتها في السهل والعالم

تسألوا عن عظيم قد ألم بهم  
رى المشايخ والولدان باللم

وفي ظل البردة ، للرحوم الشاعر محمد  
عبد المطلب تصوير بدیع كذلك لم يتقيد فيه

الشاعر بعبارات كتب السيرة كما فعل طاهر  
بجيري . قال :

( البقية على الصفحة التالية )

وأى ملكا يميناه كتاب

تقدم نحموه ، فدنا وأوما  
وقال ، وقد أشار إليه : « اقرأ »

فلم يظهر لك القبول فهما  
هنالك غطه غطا شديدا

وأرسله ، فكاد عليه يغشى  
وقال له ، وقد خلاه : « اقرأ »

لجأ به : وهل حصلت علما ؟  
فماذ فنتعه غطا جديدا

شديدا ، ثم أرسله فهما  
وجدد قوله المأثور : « اقرأ »

نشاف الموت والأسر المصى  
وقال ، وما الذى أقرأ ؟ فكانت

سؤالا عنده المقدور تما  
هناك تلا عليه الروح فضلا

من القرآن أول ما يسمى  
ثم أخذ يصف نشاط الرسول عليه الصلاة

والسلام بعد ذلك ، وما كان من ذهابه إلى  
خديجة وقص ما رأى عليها وما دار بينهما

من حوار ، ثم ما تلا ذلك من إعلائه أمر  
النبوة ... وبده النصال إلخ ...

ونلاحظ أن مثل هذا الموضوع يقيد  
الشاعر حتى ليكأن يكون مجرد ناظم لأنه مضطر

إلى ذكر الأحداث كما رواها التاريخ ، وهي  
مهمة ليست بالسيرة .

واقصد صور المرحوم أحمد شوقي في نهج  
البردة يوم بدء الوحي في أربع صورة ، وكان

من علماء الإسلام :

## عالم مثالي يترفع

للأستاذ محمد رجب البتوي

كنازوا أهل من للوك جلاله وأمر - خطانا وأظهر مظهره  
من كل بحر والفتية زاهر وبيركه الخلق العظيم شفترا  
شوق

يعتبر أبو جعفر المنصور المؤسس الأول للدولة العباسية ، وكان من المية والخنية بمنزلة توحى الرهب وتبعك الفزع فيمن يخالطونه ويشاركوه الحكم من أمره ووزراء وقواد... ولو نظرنا إلى تاريخه نظرة فاحصة لرأيناه - وإن ملك الدنيا ودانت له الرقاب - غير سعيد بأهله وسلطانة فقد رأى الرجل من الأحداث المتناقضة

المتضاربة منذ صباه الناضج ، إلى أن لقي وبه ما أورثه القلق والحيرة واليأس ، فقد كان يظن إبان نشأته الأولى في حكم الأمويين أن ما تمناه نفسه من فزع ، وما تنفاه عشيرته من مفضل سيؤول حتماً بدوال الدولة الأموية المقبلة ، ولذلك جامد وجالد ، وانتقل إلى شق الأتامي النائية ليبشر يوم جديد تشرق فيه الشمس على العالم الإسلامي ساطعة منيرة

( بقية المنشور على صفحة ٧٨٢ )

لما أظلم الوري إن دهمته  
ونار نور الهدى يسطو على النعم  
أرق على قلبه داح أعاب به  
من جانب القدس : هذا نورنا قسم  
وحوله من قرش كل معتم  
في حماة الكفر يهوى خلف معتم  
فاستوحشت بينهم نفس له أنست  
يوحثة اليد ، وارتاحت إلى الوجم  
مستأننا محلال الله يشهد  
في النار بين خشوع اليد والألم

حق تين أصلام النبوة في  
ما قدر رأى ، ثم لم يرتب ، ولم يهم  
أوحى إليه كما أوحى إلى رسول  
من قبله بالهدى والملة القيم  
بالنور ، بالحق بالفرقان أرسله  
الله الذي هلم الإنسان بالقلم  
واقه الموقف للصواب ؟

وكنتور سعدان من الجيزاوه

وإنه ليرى في وجوههم هيون الثعالب  
يدبرونها ذات الشمال وذات اليمين ، وهو  
بعد مضطر إلى مصانعتهم والتغاضي عن بعض  
ما يأتون ليكونوا أعوان شدته ، ونصرائه  
كرهته ١١ ليت شعري أيستقيم له في هذا  
العباب المضطرب هدوء واثق ، أو اطمئنان  
مرح . لقد أخذ يستعيد تاريخ حياته ،  
ويضكر في بعض من يعرفهم من ذوي  
النفوس الحرة ليكونوا مستشاريه ونصحاءه  
فلم يكد يثر على أحد . ثم لمع في ذهنه لجأة  
خيال صديقه القديم العالم العابد الزاهد عمرو  
ابن عبيد ، فرأى فيه مثلاً للصراحة الخالصة  
والزاهدة الخالصة من المآرب والهوى ،  
والرجولة المترفة عن الرغبات والمبول ،  
فبعث إليه من يستدعيه مكرماً مبجلًا وإنه  
ليأمل أن يجد بعض الراحة معه حين يجلس  
لحظات مع نقص ملائكية لا تضكر في غير  
نوازع الحق والخير والجمال .

لم يكن عمرو بن عبيد بالخامل الذكر  
أو المجهول القدر فقد كان عالم البصرة ورأس  
مشكلمها وله جدل يفهم الخصم ، ولسان  
يفلق الصخر ... وإن اختلف أعداؤه معه  
في آرائه الاضالية وتسلكه القدرى ورأيه  
في العدل والامنية فهم متفقون جميعا - إلا  
من ندد - على لمهارة نفسه وزاومة ضميره ،  
ومتانة خلقه ١ وإن أستاذ الحسن البصرى

ثم تغيرت الدنيا وتحقق الحلم المشتبه وأصبح  
خليفة يأمر فيطاع ، فهل هدأت نفسه قليلا  
من شجنها الثائر ورجعها المقيم ؟ إنه لينظر  
فيجد نفسه مضطراً إلى أن ينقلب على أصدائه  
الأس من بنوا مجده ورفقوا أخلاقه بتسويل  
دماؤهم على شفرات سيوفه وتساخط رقابهم  
بضربات أنانيتة وحذره ١١ .

ثم إنه لا يقتصر في ذلك على أصدائه  
وأهوانه من لا تربطه بهم أواصر المم  
والنسب بل ينقل إلى أبناء همومه فيتخذهم  
خصوصاً أشد خطراً ، وأفرج أثراً من الأباعد  
الغريبة ، ويعمل فيهم جبروته فيقتال الأرواح  
ويسفك الدماء ١١ وليت شره اقتصر على  
بنى العمومة بل انتقل إلى بنى العباس أنقصهم  
فهو يقصو ولي عهده بتدبير ظالم . ليمهد السيل  
إلى نهله ، ثم يتسبع أنصاره وخلصاءه فلا  
يفلح من يده أحد ، ويظن الظنون فيلوايا  
وزرائه ونيات قواده فيعصف في الغد بصديق  
الأمس ، ويحدث من الارتباب والقلق  
في نفوس حاشيته ما يجعل الوزير المطاع  
يتربص يومه في حذر وإسحاق ... بل هو  
يسبر أغوار خلصائه ومعارفه عملاً معللاً  
فبجدهم مثله طلاب جاه ونفوذ ، وعشاق  
أموال وقصور ، فليس فيهم من يخلص له  
النصيحة بنفس صادقة وسريرة طاهرة ،

إليه بعض تلاميذه ذات صباح فقال له :  
يا أبا هيثم إني لأرحمك عما يقول الناس فيك  
فقال يا ابن أخي ، أسمعني أقول فيهم شيئاً ؟  
فقال : لا ، فإيام فارحم !!

هذا الرد الوجيه البليغ يكفي على قصره  
أن يكون مفتاحاً لشخصية قائله ، فإنه  
ليكشف لك القاب عن مشاعره وأحاسيسه  
لترى بذاته الداخلية أفقا رحباً من التسامح  
والعفة والنقاء : وهذا بعض ما جذب  
المنصور إليه فبعث يستدعيه !!

لقد فكر عمرو بن سعيد في دعوة المنصور  
إذ بلغته ، وأخذ يثبائل نفسه ماذا يروم من  
هذا الرجل وقد اعتزلت قصره وبلده ،  
وما فكرت في زيارته منذ ول أمور الناس  
مع أنه كان من أصدقائي الأقربين أيام شبابه  
في الحكم الأموي ، فكان ينزل إلى مكنتي  
فيعرف زوجتي وأولادي وأقربائي ويرى  
بنفسه ما آتي وما أذعن الأمور !! لقد  
مضت السنون الطويلة دون أن أخطر على باله  
في مضارعة عظمت المرهوبة وسلطانة العريض  
يعلم الله أنني أفر من هؤلاء المتسلطين فرار  
الصحيح من الأجرب ، وأعرف أن في التقرب  
إليهم مشاركة إيجابية فيما يقترفون من المآثم  
إن لم يجابهوا بالنصيحة الحاسمة والمعارضة  
الصريحة كما أسرا الإسلام ثم ماذا أصنع الآن ؟  
أرفض الدعوة أم أجيبها ؟ .

ليعب من شعور عارفيه حين يقول عن  
تلميذه التي تكله بفوح منها صبر المحبة والتقدير  
وقد خبره في حلقات الدرس ، واكتشف  
سلوكه في معاملة الأنداد والنظراء فاندفع  
يقول عنه في ثقة وإعجاب :

« عمرو ! وما عمرو ! رجل كأن الملائكة  
أدبته ، وكأن الأنبياء ربه ، إن تلم بأسر  
فقد به وإن فقد لأسر قام به ، وإن أرسى به  
كان أزم الناس له ، وإن نهى عن شيء كان  
أترك الناس له ، ما رأيت ظاهراً أشبه بباطن  
منه ، ولا باطناً أشبه بظاهر منه . »

هذه النزكية المشرفة من إمام خطير الرأي  
والمكانة والثقافة في عصره كالحسن البصري .  
لا تكني لدفع لجاجة بعض خصومه في الرأي  
فاندفعوا وراءه حتى قدم الشخصية إلى مهاجمة  
دينه وخصيسته ، وإذا كان الرجل قد ألغى  
بالحجة والعقل ، ورمى تهولم بالوضع  
والافتراء ، وأول ما يعتمدون عليه من  
الآيات والأحاديث والنصوص ، فقد  
رموا منه بداهية دهياء ، إنه قد رزق من  
سلامة القول وفصاحة العبارة ما ملك أزمة  
العامة والخاصة ...

فليس لخصومه معه في جميع هذه التواحي  
سبيل إلى المجاجة والتماد . وقد غلت الحفود  
المريضة بعضهم فاندفعوا بسبونه مبابا  
جارحاً يبرأ منه الخلق الأصيل حتى لقد جاء

أما حاشيته المتعلقة فلا بد أن ينالها نصيب من الوم والتفريط ، فقد كانت عون الباطل على رسالته وما برحت تميل مع السلطان حيث يميل ، لتضمن الجاه الزائف وتختلس في فظاعة الرئاسة ما تصل إليه الأيدي من قصور وضياع وأموال ، وتلك نائمة الأنا في منطق العالم الصابر الزاهد العيوف ! !

وحان موعد اللقاء ، فلما علم أبو جعفر بوصول عمرو حتى أسرع في استدعائه وتخطى إلى حضرة الخلافة مئات الوجاه من الأعيان والقواد والعلماء ممن قدموا يلتسمون الإذن ويتظرون على أسر من البحر أن يهملهم الخليفة برعايته فيسرع في قبول المثول ، وقد علم الخليفة من سيلقى من العلماء المخلصين ؟ فوطن نفسه على الاستكانة والامثال وحبه أن يسمع صوت الحق التزيه بريئا من الأغراض والشبهات ، وأدركته حصافته فرأى أن يقتل من حجرة الخلافة ذات الأرائك المذهبة والتمارق المزرقة إلى حجرة متواضعة ، شئت بالحصير كيلا يملن الرجل احتجاجه قبل السلام ! ! وقد مشى للقاء صاحبه وعاقه وقله ، ثم رفع إليه عينه وهو يقول في انكسار : عظمي يا أبا عثمان !

فنظر عمرو إلى الخليفة نظرة تتعلق بجميع ما يضر من سخط وإنكار ثم جلته سكية

هذا ما تردد في نفس عمرو : غير أنه لم يلبث أن قطع كل تردد ، وصمم على زيادة أبي جعفر لا ليلطفه ويخاصمه بل ليقول كلمة الحق فيما يأتي من الأشياء وهو بعد كما يعلم المنصور لا يخفى في الله لومة لائم ! بل يقذف بالحق على الضلال ...

فكر أبو عثمان أثناء طريقه فيما سيواجه به أبا جعفر من أشياء ، فهو في ميزانه التزيه قد حاد عن طريق الخلافة الراشدة فيما قام به من تجهير وإرهاب إذ جعل كل همه أن يثبت قوائمه حرشه فتم ذلك على أشلاء الضحايا ووجع رنات الشكالي والنادبات ، ولم يعتبر بما أصاب الدولة الأموية من انهيار حين سلك مسلكها الوبي ، بل لم يعتبر بما حكاه القرآن من إرم وعاد وفرعون ذى الأوتاد عن طغوا في البلاد ، ولا بد أن يواجه بذلك ليرتدع عن غيه ولم يهن عمرو بمافية . لحبه أن أى أمانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دنياه ، ثم إن الخليفة من ناحية ثانية قد نكت بيعة ولى العهد وأجبره على التنازل عن حقه لولده المهدى ! ! وولاية العهد عن طريق الوراثة في منفعى عمرو وفي رأى الإسلام الصحيح مفسدة تضر بالدولة وتهدم الفضل الكسول ليحتل مكان الحارم الإدارى الصبور ! فليواجه أبا جعفر بذلك ليكون على بصيرة بما تحت قدمه من بركان ،

متكما وقال هذا آخر الخيطان ! وبك  
يا ابن بجالة ! خسرت نصيحتك هن  
أمير المؤمنين ثم أردت أن تحول بينه وبين  
من يريد نصيحتك ! يا أمير المؤمنين إن هؤلاء  
اتخذوك سدا لشهواتهم ، فأنت كالآخذ  
بالقنن وغيرك يحلب ، فائق الله ، فإنك  
ميت وحدك ومحاسب وحدك ومبعوث  
وحدك ، ولن ينقذك هؤلاء من ربك  
شيئا ١١.

أخذ الحاضرون من رجال الحاشية بصراحة  
أبا عبيد الله وعلموا أن الرجل قد ملك  
بصائرهم المدخولة بما قال ، وعقدت ألسنتهم  
قد اغفروا يتلاحظون بنظرات صارعة منكسرة ،  
وتطلعوا إلى الخليفة في حذر فسموه يقول :  
يا أبا عبيد الله أعني بأصحابك فاستمع بهم دون  
هؤلاء ، فرد الرجل في قوة : أظهر الحق  
يقبحك أمه ١.

يا لها من ساعة حرجة فرج فيها العالم  
الناصح عن نفسه بعض ما يعتلج بها من  
فجور ! لقد ذكر رأيه صريحا في جبروت  
الحاكم وطينان الحاشية ، وبق أن يعلن رأيه  
في المهدي ولي العهد الجديد ! انظر بين  
الحاضرين إلى شاب متفرد عليه دلائل  
الإمارة والجاه ، وتوقع باستشفافه الملمم  
أن يكون الشاب ولي العهد ، فرفع رأسه  
ليسال المنصور عن هذا الفتى يا أبا جعفر !

وحديثه جعلت وجهه طاقه من نور واندفع  
يقرا بعد البسملة قول الله :

« ألم تركب فصيل بك بعد ، إرم ذات  
العماد ، التي لم يخلق مثنها في البلاد . وتمد الذين  
جاءوا الصخر بالواد . وفرعون ذي الأوتاد .  
الذين طغوا في البلاد . فأكثروا فيها الفساد .  
فصب عليهم ربك سوط عذاب . إن ربك  
بالمرصاد ، ا وكرر الآية الأخيرة في محمد  
جرى عنيد ! ففهم أمير المؤمنين ما يعنى  
أبو عبيد الله ، ومدركه دعة رنحة قلنا قطع  
من عينه الدموع ١١ .

فلم يتقطع الرجل عن قوله ، وصاح :  
« إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك  
منه ببعضها ، واعلم أن هذا الأمر الذي صار  
إليك إنما كان في يد من كان قبلك ثم أغضى  
إليك ، وكذلك يخرج منك إلى من هو  
بعدك ، وإنى لأحذرك ليلة تتمخض صيحتها  
من يوم القيامة يا أمير المؤمنين ١١ .

وكان سليمان بن بجالة كبير حاشية المنصور  
يسمع ويرى فاستفظع ما طرأ على الخليفة  
من حزن واضطراب وصاح بأبي عبيد الله  
بأمر المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم ،  
فرفع عمرو رأسه وقال له من أنت ؟ فقال  
أبو جعفر : أو لا تعرفه يا أبا عبيد الله ، قال  
لا ، وما أبالي إلا أعرفه ! فأجاب المنصور  
هذا أخوك سليمان بن بجالة ! فضحك عمرو

خادعة ، أو مشورة وموهومة وكم شاهد في مدى حياته مئات من هؤلاء يتوجهون إليه ويريق الذهب يخطف أبصارهم لما يزالون يسألون ويلخضون ١١ إنه ليكشف دجائل هؤلاء جميعا فيرى نفسه - وهو الخليفة - قريبة يتطلع إليها الصائدون بمجائل مسترة تدب خفية إلى خزائنه ووظائفه فتفروح منها رائحة الأثرة والاستلاب ١١ وما يزال صدره يجيش بأمثال هذه المعاني حتى تجبره على التعبير عنها في نظم منظوم فيجد لسانه يفيض بهذه الشطرات البليغة :

كلكم طالب صيد كلكم يمتنى رويد  
غير عمرو بن هبيد

فأى عالم ذلك الذي ربح أو تار الخليفة حتى دفعه - وهو خير شاعر - إلى مديحه بشطرات من الشعر كانت في حقيقتها متنفسا سريرا لشاعره المتلاطمة ، ذلكم هو أبو عثمان عمرو بن هبيد ١١

**محمد رجب البيومي**

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

فرد الخليفة هذا ابني عمده وهو المهدي ، ولي عهد أمير المؤمنين ، فاهتبلها فرصة سانحة وقال : واه لقد سميت اسما ما استحقه بعمل ، وألبست لبوسا ما هو من لبوس الأبرار ، ومهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ١١ .

تضايق الخليفة من حراصة الرجل وأراد أن يتخلص من لقائه فسأله في تصنع : هل من حاجة ؟ فقال نعم ، فتعجل أبو جعفر يسأل وما هي ؟ فقال أبو عثمان ألا تبعث إلى حتى آتيك ١ قال إذن لا نلتقي . قال عن حاجتي سألتني ، ونهض قائما فودعه الخليفة ، ومكث حائرا لا يدري ما يصنع فكأنه تخيد في مجلسه ثم جعل يفكر في منطق هذا البطل العظيم ، وكيف صدقه أقول حين كذب عليه الناس وتذكر بكل مرارة فاقته وحرمانه وكيف ضن معهما بكرامته أن يأخذ رهما أو ديناراً مما بعض حقه في بيت المال ، وتداخمت في مخيلة الخليفة صور المتسلقين والمسادحين من يلتصقون الكسب الكثير وراء نصيحة

قيل في العلم :

أول العلم الصمت ، والثاني الاستماع ، والثالث التحفظ ، والرابع العمل به ، والخامس نشره .



## أدب مقارن : عمورية وواترلو بين أبي تمام وفيكتور هيجو للأستاذ العوضي الوكيل

في موقعة عمورية ، مادحاً إياه بالبطولة والشجاعة ، وقد استلها بمقدمة ترتبط بقصة ، ذلك أن المنجمين كانوا قد حذروا المنتصم فتحها في الأوان الذي هم فيه على هذا الفتح ، وقالوا إنما نجد في كتبنا أنها لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب ، ولكن المنتصم لم يسمع قول هؤلاء المنجمين ، وسار بجيشه إليها ، فأتم الله عليه نصته ، وتمكن من فتحها ، والاستهلال يرتبط بذلك القصة ، وفي عشرة أبيات من القصيد البسيط ، يبين الشاعر فضل السيف ، ويسخر سريرة لأذهة من المنجمين وعلمهم ، لامن العلم بمادة ، فليس مثل أبي تمام من يجهل فضل العلم ، فيضمه في مقام الموازنة مع السيف ، ولكنه علم المنجمين ، ذلك العلم الذي يستقيه المنجمون من الشهب السبعة ، ونزولها في أبراجها بين صفر الأصفار أو رجب ، والمنجمون يتحدثون باسم النجوم والأبراج ، وهي نفسها غافلة لا تدري ما يدور في أفلاكها وأبراجها . وفي الأبيات الخمسة التالية يذكر الشاعر مظلة الموقعة ، وأنها لعظمتها تسمو

فصيدتان من أدب الحرب ، إحداهما شرقية والأخرى غربية ، لشاهرين في الغزابة من شعراء العربية والغرفسية ، هما أبو تمام حبيب ابن أوس الطائي وفيكتور ماري هيجو . أما أبو تمام ، فهو حبيب بن أوس الطائي ، شامى المولد ، اتحد إلى مصر صلياً وفيها نأدب ، وحفظ الشعر قصيده ورجوه ، وعالج القريض ، ثم تحول إلى بغداد وانصل بالبلاط العباسي ، زمن المنتصم وغيره ، وتوفي سنة ٢٢١ هجرية .

وأما هيجو فهو فيكتور ماري هيجو ، ولد سنة ١٨٠٢ ميلادية في مدينة يزانسون التي تقع إلى الجنوب الشرقي من باريس ، وفي طفولته زار مع أبيه عدة بلاد أوروبية . وفي سنة ١٨١٩ نال إحدى الجوائز الأدبية في الشعر من أكاديمية تولوز . وفي سنة ١٨٤٨م انتخب نائباً في الجمعية التأسيسية الفرنسية وأدركته المنية في ٢٢ من مايو سنة ١٨٨٥ م فصيغته فرنسا إلى مقره الأخير تشيخاً وطنياً رائداً .

وقصيدة أبي تمام تكاد تبلغ خمسين بيتاً ، وهو يسجل فيها انتصار المنتصم على الروم

عن أن تصفها الخطب أو يصورها  
الشعر، وأن الله حقق بها المسلمين أمانهم .  
وفيا بعد ذلك يصف الشاعر تحصينها  
وامتناعها على الفاتحين والغزاة ، ثم انتصار  
العرب ، ذلك الانتصار الذي كانت السنون  
والأحقاب تدخره للمعتصم ؛ يقول أبو تمام :  
وبردة<sup>(١)</sup> الوجه قد أصيت وباعثها  
كسرى وصدت صدوداً عن أبي كرب  
من هدد إسكندر أو قبل ذلك قد  
شابت نواصي الليالي وهي لم تشب  
بكراً ، فما اقترعتها كف ساذجة  
ولا ترقى إليها همه التوبى  
حق إذا غضى الله السنين لها  
تخفى البخيلة كانت ذبذبة الحقم  
ثم يمتحن أبو تمام فيدخل المعركة مع  
الداخلين ، ويصف بريشته الواضحة ما حل  
بالمدينة من الدمار والحرب ، وما خر تحت  
أقناضها من فؤادس وأبطال .  
كم بين حيطانها من فارس بطل  
قانى الذرائب من آتى دم سرب  
لقد تركت أمير المؤمنين بها  
لنار يوماً ذليل الصخر والخشب  
غادرت فيها بهم الليل وهو ضحى  
يشه<sup>(٢)</sup> وسطها صبح من الذهب

حق كأن جلايب الدجى رغبت  
عن لونها أو كأن الشمس لم تنب  
وبلغت أبو تمام إلى ذلك الدمار والحرب  
التفانة غريبة ، فهو متصرون في عينيه يلوح  
هذا الدمار والحرب جيلاً باهراً ، محبوباً  
كأنه ديار الأحبة المعمرة يطوف بها  
المحبون في إعجاب :  
ما ربح مية معسوراً بطيف به  
غيلان أبهى دى من ربها الحرب  
ولا الحدود وقد أدمين من نخل  
أشهى إلى ناظرى من عدها الترب  
سحابة<sup>(٣)</sup> ضئيت منا العيون بها  
عن كل حن بدا أو منظر عجب  
وحسن منقلب تبدو هواقبه  
جاءت بشائه عن سوء منقلب  
فإذا فرغ الشاعر من تصوير هذا الضعف  
الغريب مضى إلى المعتصم ، ليوفيه حقه من  
التعجيد والمدح لما ناله من انتصار مؤزر ،  
ولا ينسى أن يذكر أن المعتصم تفر إليها  
حين قلوا إليه أن امرأة تستغيث به فيها  
وقول : وامتنعاه ، ويذكر كيف انهزم  
أمامه أعظم قادة الأعداء ، ثم يتف به قائلاً :  
خليفة الله جازى الله سعيك عن  
جرثومة الدين والإسلام والحسب

أعدائه ، وولنجتون ، ذلك القائد العنيد ،  
بتراجع قليلا أمام جنود نابليون ويوشك  
أن يصبح محصوراً في قاعة قريبة .

ويبقى نابليون لأنه لم يستأمنه من أعدائه  
في الكفاح كذلك الاستانة ، ولأن النصر  
السريع لم يواته كالعادة ، ولأن الحرب تدور  
في حقد وموجدة في جو ملاء تراب المعركة ،  
وذمام المعركة في يد المقادير :

أتى المساء ووجهه الأفق معتكر  
وأوشكت ظلمات الليل تغسل<sup>(١)</sup>

والصراع قائم ثم منتثر  
والضرب ذلزل منه السهل والجلل  
والنصر أوشك أن يدنو إلى يده

وأن يصبح له في حربه الأمل  
أدنى عدويه محصور بنابته  
قد شد أطنايه من حوله الفشل

يرى بمنظاره ما لا يسر به  
ويرقب الجند في الساحات تفشل  
دارت دحى الحرب في حقد وموجدة

والأفق بالثير المبحوث مفشل  
ويظهر بلوخر ، القائد الحليف ولنجتون  
من بعيد ، فيشتد أمل الحليفين في الانتصار  
هل خصمهما الكبير ، وتصير أرض المعركة

[١] الشعر المنسوب إلى هيجو هنا من ترجمة  
صاحب المقال وقلبه .

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها  
تناك إلا على جسر من التعب

إن كان بين صروف الدهر من دحم  
موصولة أو ذمام غير مُستغيب

فبين أيامك اللاتي نصرت بها  
وبين أيام ، بدر ، أقرب للنسب

أما قصيدة فيكتور هيجو ، فإن موضوعها  
يدور حول وقعة واترلو الشهيرة التي هزم  
فيها نابليون بوناپرت أمام الانجليز وحلفائهم ،  
ونقي بعدها إلى جزيرة سانت هيلانة .

وكن لنابليون حرس امبراطوري ينتشر  
به ، ويعتقد أنه لا شيء في الوجود يستطيع  
أن يعترض طريقه ، فأراد الله أن يخفف من  
غلاء كبريائه وغروره بحربه فأراه هذا  
الحرس في وقعة واترلو وهو يدوب - كتعبير  
هيجو - ذوبان الشمعة قاربها النار . لقد  
رأى نابليون بعينه جنده الأقوياء الأشداء  
يستقنون في الميدان صرعى فرادى  
وجامعات .

وقد استهل هيجو القصيدة ، بوصف  
مرارة الصراع بعد أن حل المساء وبعد يوم  
طويل من القتال الضيف ، والضرب الذي  
ذلزل منه السهل والجليل ، وضباب المعركة  
ينتشر في أجوائها ، ونابليون يحسك بمنظار  
الميدان ، ويتتبع حركات المعركة بينه وبين

صفوف من الفولاذ، لا الجدد، حطمت  
فما بينها إلا طعين جندل  
وذا بوا كما ذابت لدى النار شمة  
وكل أمرى ومن يوم يؤجل

وهيجو في قصيدته، يقص، ويسترسل  
ولا يقدم للقصيدة بما يجعل أن الحرب كانت  
للاتقام أو لتأثر أوشى. من ذلك كما فعل  
أبو تمام، ولم يكن هيجو بأن يسبح هسل  
المتصرين أو صاف الشجاعة والاقسدار  
في المعامع، لأنه مهزوم ولعله أراد أن يبرر  
هزيمة ابن جلدته، بعد أن أوقع به القائدان  
المتحالفان الرومي والانجليزي، ولم يستطع  
كذلك أن يرسم لنا - كما فعل رصيفه العربي  
ما حل بالمنزعين من التدمير والتعطيل، بل  
إنه لم يذكر لنا - كما ذكر أبو تمام - نتائج  
هذه المعركة الهامة، وكل ما عني به تصوير  
دخول الحرس الامبراطوري المعركة،  
وتصوير هلاكه وهزيمة تحت نيران أعدائه.

إن وصف المدينة المغارة عليها، التي  
أصابها التدمير والتخريب، بلسان المتصر  
المزموه بانتصاره، وبالصورة التي صورها  
بها أبو تمام هيأت أن نجد له مثيلاً  
في أي أدب من الآداب العالمية ؟

المعرض الموكيل

كالجهم الماوية. وتمزق الأعلام وتمخلط  
بالأشلاء، ويخرق قارع الطبل على نافع البوق،  
وأزهى الملابس والقلائس يطلنخه وحل  
الأرض بالطين. ويتهاوى الجنود كما يتهاوى  
الأوراق ويميلون كما تميل السحاب.

روح القتال تغيرت وجهاتها  
والأرض تحسبها جميعاً ماوياً  
وكان كل كتيبة طود، غدا  
من حول ما يرى به متداهياً

كم قارع الطبل خر، ودونه  
أزهى القلائس ما غدون ذواهاً  
مالوا بميل السبلات نواصباً

وتهدلوا فرط الجراح دارمياً  
والامبراطور العظيم تراه في  
قلق، وقد أمسى هبوساً حانياً

قطوى صحاف الحرب بين يدي قى  
باطالما نشر الصحاف حوالياً

ولا يجد نابليون مفرأ من أن يدخل  
حرسه الخاص المعركة، ويتقدم الحرس ذو  
التاريخ المجيد في المعارك:

لم في «ديفولي» ذكره عبقرية  
وفي فرد لييان دوى النصر عنهم

ويتحلم الحرس، ويدوب:

## اجتصاد أبي حنيفة وموقفه من الحديث

للأستاذ محمود الشريف

لا أصلح للقضاء . فقال له : كذبت ! ! فرد أبو حنيفة : قد حكم عليّ أمير المؤمنين أني لا أصلح للقضاء ، لأنه ينسب إليّ الكذب ، فإن كنت كاذباً فلا أصلح ، وإن صادقاً فقد أخبرت أمير المؤمنين أني لا أصلح ، فردوه إلى السجن .

وكما رفض القضاء بين يدي أبي جعفر رفضه بين يدي يزيد بن عمرو بن هند حامل مروان على العراق في دولة بني أمية ، وضربه ابن هبيرة بالسياط ثم خلى صிலه ، وكانت أمه إلى جوارده تقول له : يا بهتان إن علياً ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه فأجابها : يا أمّ لو أردت الدنيا لوصلت إليها ولكنني أردت أن أعلم الله أني صفت العلم ولم أعرض نفسي فيه للهلكة ، وظل في حبسه حتى مات بعيداً عن تحقيق أغراض السلطان الذي قال فيه عندما كان يوصي تلميذه ، أبا يوسف : كن من السلطان كما أنت من النار تنفع بها وتباعد عنها ولا تدن منها فإنك تحترق . ومن أبرز صفاته : قوة الحجة وبراعة

مع ظهور الإسلام تقدم الفكر وارتقت الحياة العقلية ونهضت الحضارة الإسلامية ، وبلغت ذروتها في العصر العباسي فأخذت زخرفها وتكاملت ، ونشطت الترجمة ونقل إلى اللغة العربية كثير من ذخائر الفرس واليونان والهند .

وفي هذا العصر ظهرت نهضة أصيلة لم تقم على علوم أجنبية ولم ترتكز على الترجمة ، هي النهضة القسريمية التي انبثقت من فقه أبي حنيفة ونبتت من حلقته العلمية بمسجد الكوفة . وقد عاش الإمام أبو حنيفة النعمان ابن ثابت قرابة سبعين سنة منذ مولده بالكونة سنة ٨٠ هـ إلى وفاته ببخداد سنة ١٥٠ هـ . شاهد خلالها أحداث الدولتين : الأموية والعباسية ، وقد كان متين الخلق قوي الشخصية لا تلين له قساة في الحق ، ورعاً عظيم الخشية ، طلب منه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أن يتولى القضاء فرفض ، فمُوقب بالضرب والسجن ، ثم دعاه الخليفة مرة ثانية من السجن وعرض عليه ما عرضه أول مرة فقال أبو حنيفة له :

الكوفي، وداود إبراهيم النخعي، وقد تقلد علي يد حماد وقال عنه، كما جاء في الجزء الثالث من تاريخ بغداد (صحته عشر مئة) ثم تازعتني نفس الطلب للرياسة فأردت أن أعتله وأجلس في حلقة لنفسى، فخرجت يوماً بالمشى وعزى أن أفعل، فلما دخلت المسجد ورأيت لم تطب نفسى أن أعتله جلست وجلست معه فجاءه في تلك الليلة فنى قريب له قد مات بالبصرة وترك مالا وليس له وارث غيره، فأمرنى أن أجلس مكانه لما هو إلا أن أخرج حتى وردت على مسائل لم أسمعا منه فكنت أجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين ثم قدم فعرضت عليه المسائل وكانت نحواً من مئة مسألة فوافقني في أربعين منها وعالفتني في عشرين فأليت على نفسى ألا أأقارقه حتى يموت، فلم أقارقه حتى مات).

ولما مات أستاذ حماد سنة ١١٩ هـ رأى أصحابه وتلاميذه أن خير خليفة يملأ مكانه في الفتيا والدرس والتعليم هو أبو حنيفة فأجابهم إلى ما طلبوه منه. وذاع صيته وارتفع شأنه وصار مجلسه العلى في المسجد مثابة تختلف الطبقات من حكام وأمرأ وقواد. وتلذذ عليه أئمة جامعا من بعده مثل داود بن يوسف، وداود بن الحزبل، وعن حلقة أبي حنيفة يقول الأستاذ عبد الحليم

الاستدلال قالوا عنه لو أراد أن يقيم الدليل على أن هذه السارية (الاسطوانة) ذهب لفعل، وكان مع هذا كله إذا جمع المال تسابقت كفتاء في توزيعه على الفقراء وذوى الحاجة...

كان تاجراً صناعته الفكر... ومفكراً اشتغل بالتجارة، بل كان من أكبر تجار الكوفة في عصره، ومن خلال هذه الخبرة تكشف أخلاقه وقواه، فلم تلبه تجارة ولا يسع عن ذكر الله، وعرف بالأمانة في تجارته ومعاملاته... كان لا يمش ولا يمدح ولا يذبح شيئاً به عيب إلا بعد أن يبين للشئى ذلك العيب. بمك بمناج (بضاعة) إلى حفص بن عبد الرحمن شريكه في التجارة وأعطاه أن في ثوب منه عيباً وأمره أن يبينه للشئى فباع حفص المتاع ونسأ أن يبين العيب واستوفى الثمن كاملاً لهذا الثوب المصيب فأبى أبو حنيفة إلا أن يبعث لشريكه يكلفه البحث عن المشتري ولكنه لم يمتد إلى المشتري فساء ذلك أبا حنيفة وانفصل من شريكه وتصدق بثمان الثوب كله حتى لا يدخل في ذمته وماله شيء فيه شجة.

قطعت نفسه منذ صغره إلى المعرفة الحقة ورغب في العلم والاستزادة من معينه فاتجه إلى دراسة الفقه الإسلامى واتصل بكثير من أعلام الفقهاء في العراق وكند بن سليمان

فهؤلاء قوم اجتهدوا فأجتهد كما اجتهدوا .  
ومن هذا تتضح لنا الأصول والأسس التي  
قام عليها مذهبه وهي : القرآن والسنة وإجماع  
الصحابة ثم القياس أي الرأي والاجتهاد فكان  
أبو حنيفة يقيس المسألة على أخرى ليردها  
إلى أصل من أصول الكتاب أو السنة  
أو اتفاق الأئمة ، فيعمل فكره وبحكم عقله .  
سئل أبو حنيفة : إذا قلت قولاً وكتاب  
الله يخالف قولك ؟ قال : أترك قولى لكتاب  
الله . قيل : فإذا كان خبر رسول الله عليه  
السلام يخالف قولك ؟ قال : أترك قولى لخبر  
رسول الله ، قيل : فإذا كان قول الصحابي  
يخالف قولك : قال : أترك قولى لقول الصحابي  
قيل : فإن كان قول التابعي يخالف قولك ؟  
قال : إذا كان التابعي رجلاً فأنا رجل ، وكان  
يقول : هذا رأيي فمن جاءني بأحسن منه  
قبلناه ، ولا غرو فهو رائد من رواد الفكر  
الناضج والاجتهاد المستنير أراد أن يأخذ  
الدين عن أصوله الصحيحة ويقيم مذهبه على  
أحاديث ثابتة صحيحة سليمة فكان يفتحص  
الأحاديث ولا يعمل بواحد منها إلا إذا ثبت  
عنده أنه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم  
أو عن أصحابه . ومذهبه معمول بالمسائل  
والأحكام التي تعتمد على أحاديث رسول الله  
وصحابته فهو لم يترك الأحاديث النبوية كما يتساهل  
عنه ، إنما اعتمد على ما ثبتت صحته عنده .

الجندي في كتابه « أبو حنيفة جلال الحرية  
والقناع » : لم تكن حلقة أبي حنيفة كسائر  
الحلقات ، بل كانت تأتي كل يوم بمجدد يتجلى  
فيها طابع التطهر في الجسم وفي العقل معاً ،  
فلا يستعملون الماء إذا استعمله سواهم ، ومن  
أجل ذلك اتخذ أتباع أبي حنيفة للوضوء  
حياضاً ذات صنابير فنسبت هذه الصنابير إليه  
والحنفيات ، لأن استعمالها للوضوء يمنع استعمال  
الماء مرة أخرى والماء المستعمل غير طهور وعند  
أبي حنيفة : فالحنفية التي تفتحها صباح مساء  
هي الذكرى المتجددة لهذه الحلقة المتأققة  
في طهارتها . وقد أسس الثمان مذهباً قنياً  
أخذ أحكامه أولاً من كتاب الله ومن  
الأحاديث التي صححت عنده عن سنة رسول الله  
عليه السلام ، ثم من أقوال الصحابة رضوان  
الله عليهم فإذا لم يجد في كل ما تقدم حكماً اجتهد  
فيه برأيه واستعمل عقله لإيجاد حكم غير  
موجود في هذه المصادر التشريعية السالفة  
قال ابن عبد البر صاحب كتاب الاتقاء : قال  
أبو حنيفة عن أساس مذهبه في استنباط  
الأحكام : أخذ بكتاب الله ، فما لم أجد  
لبسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فما لم  
أجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله  
عليه وسلم أخذت بقول أصحابه ولا أخرج  
عن قولهم إلى قول غيرهم فإذا انتهى الأمر  
إلى إبراهيم النخعي أو ابن سيرين أو غيرهم

إن صح هذا التعبير ، وكان يرجع إليها فيما يأخذ ويدع .

ويقول المحروم أحمد أمين في كتابه : وهي الإسلام ، عن مسلك أبي حنيفة في الحديث : « كان له مسلك خاص ، وهو التشدد في قبول الحديث والتحري عنه وعن رجاله حتى يصحح » وكان لا يقبل الخبر عنه رسول الله عليه وسلم إلا إذا رواه جماعة من جماعة ، أو كان خبراً اتفق فقهاء الأمصار على العمل به أو روى واحد من الصحابة الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في جمع منهم فلم يخالفه أحد .

ويقول الأستاذ عبد الحلیم الجندي في كتابه السالف : « أما أحاديث الآحاد التي يرويها واحد من الرسول أو اثنان أو جمع لم يبلغ حد التواتر عن واحد من الرسول . وما أكثرها . فلا يطمئن إليها أبو حنيفة » .

إذن هي الحرية العقلية التي اعتمد عليها أبو حنيفة فيما اعتمد ، وكانت مبدأ من أهم مبادئه ، أحدثت ثورة فكرية قوية وبشت حركة عقلية أتت في عصر أبي حنيفة كما يقول المحروم أحمد أمين ، رقيقاً عظيماً واستخرجت أحكاماً وفقرات هي خير نتاج العصور الإسلامية .

### محمود الشريف

مراقب الكتاب بوزارة التعليم العالي

يقول نعيم بن عمرو سمعت أبا حنيفة يقول : « عجباً للناس يقولون إنني أفتي بالرأى وما أفتي إلا بما أثر عن النبي ، وقد ورد ذلك في كتاب المناقب للسكي الجزء الأول .

وقال يحيى بن آدم ، وكان من كبار فقهاء المحدثين بالمراق ، « دهم بعض الطاعنين أن أبا حنيفة قال بالقياس - الرأي - وترك الحديث وهذا كذب واقتراء عليه ، فإن كتبه وكتب أصحابه مملوءة من المسائل التي تركوا العمل فيها بالقياس وأخذوا بالآثار الواردة فيها ، ثم ذكر يحيى بعد قوله هذا بعض هذه المسائل .

وكان أبو حنيفة عالماً بالحديث حجة فيه ، يقول أبو يوسف أكبر أصحابه : « ما رأيت أحداً أعلم بتفسير الحديث ومواطن ما فيه من أبي حنيفة وكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني » .

ويقول الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه عن أبي حنيفة : « ليس لباحث منصف أن يرمي أبا حنيفة بأنه كان يترك عاماً بعض ما صح عنده من الحديث والآثار ليأخذ بالرأى والقياس ، حاشاه أن يكون فعل شيئاً من ذلك وإلا لما كان مؤمناً حقاً برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء عنه ، بله أن يكون اماماً من أئمة الشريعة الإسلامية الخالدين . غاية ما في الأمر أنه كان بصيراً بالأحاديث والآثار وكان له أصول وقواعد في فقه الحديث ،



# الآلة والآداة

للاستاذ محمد جيت الأثرى

ثم نزل بها ، التبريل ، لتكون عمود الدعوة العظمى ، ولسان الشريعة والعقيدة والحماوة والفكر ، وانساحت مع العظماء المانحين العرب في جنبات الأرض شرقاً وغرباً ، وامدت معهم امتداد المحيط الآدمي لا تدرك شواطئه ، لجرت على ريس الصعيد هنا وهناك ماء وظلا وجنى ، واستقلت لبحر بيانها الأشدة ، فتناغى بها من ليسوا أهلها واستجابت لكل نداء ، وتلوت بكل إناء ، وكان لها على كل لسان مذاق .

وبعد أن وسعت كتاب الله لفظاً وخطبة ، آية آية ، ووفت بمطالب الإسلام العظمى في الدعوة والتفسير والفتح ، جرت مع السياسة والإدارة أشواطاً بعيدة واستلهمتها الحضارة والنفس الإنسانية كما استلهمها الدين عقيدة وشريعة ونظاماً . فأمدتها بما طمحت إليه من إجابة ، وما أدركها في طريقها الطويل فناء ، ونهضت بمنطق أرسطو ، وصبرت فأحسن التمييز عن فلسفة الإغريق وثقافات الصين والهند وفارس ، وانداحت دائرتها للعلوم والفنون والآداب التي هزتها عصور العرب الذهبية وكانت ترجم كل ثقافة عدا ، بينها

كل كائن حي ، يدخل عالم الحياة طفلاً ، ثم يتدرج إلى الشباب فالسكولة فالشيخوخة التي تسلم إلى القضا . ... إلا كائنات واحداً كان استثناء من القاعدة ، ذلك هو هذه اللغة العربية .

فإنها دخلت عالم الحياة طفلة كما تدخلها الأحياء كافة . ثم درجت في مراحلها التاريخية حتى اكتملت قوتها ، فوفقت لا تريم عند شباب دائم لا يشيب ، بل يصب شباباً ، ويتجدد على هرم الزمن ، آخذاً في نموه صعداً على نظام الارتفاع . ذلك بما استكن في طبيعة تكوينها من القوة التي تعطى الحياة الهائلة من باطنها الحى وتحمض عليها شباب السن مع استبقائها مشيرة في نفسها .

ولفت هذه اللغة الكريمة العظيمة في زمن قديم لا يعرف أوله ، واجتازت مراحل تطورها الطبيعي التاريخي ، حتى شادفت الجاهلية الأخيرة مكتنفة النضج فتصدت هرونها فترة وقوة وسجاء ، متميزة باستعلان الشأن واستعلائه بصيرورتها عمود القومية ولسان مفاخرها ومآثرها في الوجود .

جملة ، وراحت لغة التخاطب في المنازل والأسواق والمجتمعات ، فاحتلت آلاف من مواضعها مكان المواضع العربية في التجارة والصناعة والزراعة ونحوها من شئون الحياة .

وأما على ذلك شيوع الجهل والامية في الناس ، ونحوه جذوة القومية العربية ، وفنور الحماة للغة العربية ، بما رأت به الدول الأعجمية الباغية تلك المجتمعات : من سد منافذ المعرفة بوجوه أجيالها الناشئة ، وتغليب سلطان لغاتها على سلطان اللغة العربية تغليباً حصرياً في دائرة ضيقة بين أسوار عالية تحجب عنها الأفق الذي تلمح بصرها إليه . حتى إذا تنفس لجر هذا العصر ، وبدأت الأمة العربية تنقسم قسم الحرية ، وتحاول أن تسترجع المذهب من سلطانها السياسي والفنوي والاجتماعي .. كانت المدنية المصرية قد دخلت الأنظار العربية على حظوظ متفاوتة من القوة والضعف بعلومها وفنونها وصناعاتها وعجتراتها وضروب أنماشها ودياشها وآبئتها وصنوف مطاعها ومشاهيرها وطفقت تفرض على اللغة العربية أسماءها الدخيلة التي تميزها أمواجاً إثر أمواج ، كما تفرض نفسها على الحياة العربية بكل مقوماتها ومفاهيمها ومسمياتها وأعيان آلائها وأدواتها ومختلف مظاهر الحضارة .

كثير مما لا يهتدى إليه أهل تمدن الحديث إلا بعد أن فضج تمدهم في القرن التاسع عشر الميلادي ، كالسياسة المدنية وقشرية وتدهير الهزل والاقتصاد السياسي والعمران والاجتماع وفنون الحرب وآلاتها ونحو ذلك من مبتكرات العقل التي جالت فيها أقلام القوم وأنت منها بالبدائع ولروائع .

وكما عذبت في ثم ابن البادية وانسجمت مع نوازعه وأفكاره وطبيعة بداوته ، وأبانت فأجلت الإجابة عن مقاصده ورغباته وأهوائه ... عذبت كذلك في ثم الحضرة المثقف الذي ربي في أحضان الغرف والنعيم ، وأسلت قيادتها لمطالب معيشته ونوازعه النفسية وخطراته الفكرية والشعورية وحاجاته العمرانية والمدنية ، وتلونت بألوان حياته في جده وهزله ، ومدت له في كل شأن من أسبابها ما شاء ، وما عاقته في أرب من آراجه .

حتى إذا انحسر سلطان العرب من منا ومن هنا ، وتراجع تمدن العربي الإسلامي أمام طوفان الغزاة - المغول والصليبيين والاسبان - انحسر سلطانها من الشرق والغرب وسال سيل العجمة في الأوطان العربية ، وهجمت الألفاظ الأعجمية الدخيلة على الألفاظ العربية الأصلية في الدواوين فأبصرتها منها

سيطر الرأى الذى يحقق سلطان اللغة العربية وقدرتها على الاستقلال بنفسها فى التعبير عن الحاجات والأفكار وعن شئون الحياة جليلاً ودقيقاً وعن مطالب العلوم والفنون والصناعات ، مستغنية بثروتها عن الاستعانة من اللغات ، إلا ما تقضى به الضرورة فى بعض الحالات .

عل أنه ينبغي أن نذكر فى صراحة تامة أن المدى أمام اللغة العربية فى هذه الأشياء ما يزال بعيداً ، وكلما قرب بعد ، ذلك لأن الحضارة زداد فى كل يوم تقدماً وانبساطاً واتساعاً وتعقد بكثرة ما يتطور أو يتجدد من شئونها ولاسيما شئون الفنون والصناعات والمخترعات ، وذلك كله يقتضى من علماء اللغة أن يبدأوا ويواصلوا الدأب . وأن يعطموها دائماً فى غير ثبات ولا وئام بمجهود حثيف مستمر يتكاملاً مع حركة الإنتاج المتدفق وحوائزه السريعة لا تستأق ولا تعرف البطء ، لأن الحياة المصرية مدفوعة بالحركة والسرعة والنشاط الذى لا يفتر . ومن وثى من الاندفاع معها خلفته وراءها فيظل فى الساقية أو وراء الساقية متقطعا .

وأن أول ما يقتضى من علماء اللغة المبادرة إلى التعبير عنه وتسميته تسميات هريئة دقيقة هو ما يدور بين الناس من أسباب العيش ووسائله وما يكون اتصاله بحياتهم أقرب

هنا وقعت اللغة العربية أمام حالة جديدة خطيرة من غزو اللغات الأوروبية الحديثة بعد غزو اللغات الشرقية القديمة ، تؤذيها بشر صنطير أئيم واحتلال لغوى أجنبي مقيم ، وتفتضحها الاستعصام بقواها الطبيعية لحر هذا الغزو وهزيمته .

وبدأت فى غمرة الموقف تتأمل تأمل المستبصر فى المواقف ، ما الذى تصنعه : هل تأذن لهذه الألفاظ الأجنبية الدخيلة أن يسيل سيلها وتفرقها بصيفها وأشكالها ولذاتها بل رطاناتها المتعددة عن طواعية واستسلام ؟ أو تقبلها كلها أو بعضها بعد إخضاعها لأصول التعريب . كما فعلت إبان تاريخها المديد عندما اتصلت بشعوب الأرض اتصال التدا بالند أو اتصال الغالب بالمغلوب فأخذت قليلاً وأعطت كثيراً ، وما فرطت من مقومات شخصيتها الأصلية شئ ؟ أو تعطلع بما تطلبه الحياة منها من العاط هريئة عالصة تؤدى المعاني الأجنبية بالنقل وبالاشتقاق من صميم مادتها الأصلية ، وهي بها قارعة وغنية أكبر الفنى ؟ وفى هذا نشب الخلاف بين الغربيين وجماعات من المدارس والباحثين فذهب كل فريق مذهبا ينبع من طبيعة دواسته وتلقيه ووعيه الخاص ، ثم لم يلبث أن خفت حدته وطفق يزول ويبدأ ويبدأ كلما تطورت الحياة العقلية والعلمية وازداد الشعور القومى ، حتى

وبلأتم بينه وبين الحاضر من غير قسر ولا إغناات فتستعمل الألفاظ العربية التي ليست في معانيها الأصلية ، وفيما يشبه معانيها الأصلية أو يكون لها بها صلة غير المناسبة .

ولا ريب في أن التوسع في أوضح اللغة القومية حتى تفهم وتغنى بنفسها أبقى على حياتها وأضمن لدوام شبابها وتجده من السباح للخيال باقتحامها واحتلال مكانها كما يود الناس ، أن يكون .

إن دواوين اللغة العربية تفيض بأسماء الآلات والأدوات والآلات والريش والماعون وألفاظ الفنون العامة التي تستجد حاجة الناس إليها ، وقد استخرجت من ككوزها ما استطعت ، وجعلته على طرف اللسان من متنازليه ، ليستعملوه في التعبير عن المعاني الجديدة وفي إطلاقه على المسميات المستحدثة على النحو الذي أشرت إليه وهو سبيل مسلك في اللغة العربية منذ القديم .

والوسيلة الثانية : هي وسيلة الاشتقاق الذي هو في اللغة العربية أشبه به المولد ، generator في الصناعات الآلية ، ما يفأ يولد لها الطاقة بمد الطاقة ويمدها بالقوة والقدرة على الحركة والعمل ما تحرك فكما أن هذا هو شأن المولد ، في الصناعات الآلية ، فكذلك الاشتقاق في اللغة العربية يمددها ما امتد بأهلها البقاء على وجه الزمن

من غيره ، وما لا يفضلون عن تناوله واستعماله لحظة من اللحظات من أجهزة وآلات وأدوات كهربية وبخارية يمارسونها في المصانع أو يرتفقون بها في المنازل والحدائق والمطاعم وهي وما إليها من صنوف الرياض والآلات والماعون من الكثرة والتنوع والتعقيد والشيوع بالمكان الذي لا يوصف ومعظمها يتطلب تسميات عربية فصيحة مأهولة نسوغها الأذواق .

ولشد ما يستشعر الإنسان الضيق والحرص حين يستعمل هذه الأشياء فيعذر عليه الوقوع على أسماء عربية لها ، أو يقع له منها على أسماء طامية ، أو عربية ومنها ما أصابه أشنع التحريف فأفسد معناه كالذي سمته ذات يوم من حامل في مصنع وماج أذاعة عطيت في سيارة ، فسأله عن اسمها ، فرأيت يتردد ، ثم قال بعد لاى بسذاجة العامي البريء : اسمها — أكرمك الله — و نذل ، وهو لا يعلم أن أصلها الانكليزي Needle معناه الإبرة ، ولم يخطر بباله أن يترك فيم يقال لهذه الأداة التي تقي الإبرة نذل ، بحيث لجأ إلى التأدب مع مخاطبه وإكرامه من ذكرها له حين اضطر إلى إسماعه إياها استجابة لسؤاله ، ومثل هذا كثير .

والمشكلة القائمة تحل بوسيلتين :  
الوسيلة الأولى : هي أن يستحيا القديم ،

فقدوا مطلقه وحرروا مباحه وحجروا به واسما .

أما وقد تحدثت حياتنا هل نحو يتطلب منا الاستبحار في كل شيء ومن ذلك اللغة ، فلا مناص لنا من أن نعيد النظر في قاعدة ( اسم الآلة ) هذه ، وأن نبحثها بحثاً جديداً متعمقاً يوضح غموضها ويكشف معالم ميدانها الفسيح وينتهي بها إلى غايتها من الانتفاع بها في توسيع مادة اللغة في جانب من أهم جوانبها بالقياس إلى الحياة الحاضرة .

• • •

بحثت هذه القاعدة في كتب النحو على طريقتين مختلفتين ، سادت بها كل منهما على منهج بحثها في سائر أبواب النحو . أولاً ما سماه بالطريقة العربية ؛ لأنها تقوم على الاستقراء الغزوي ومراعاة الاستمالات العربية الأصلية فتفقد ولا تفقد . والآخرى ما أسميه بالطريقة الانجليزية ، لأنها تسهر على منهج من التعميل المنطقي قلنا تلفتت معه إلى الاستقراء الغزوي ، ونفرض شروطاً تحرم أنواعاً من مجاز الاستمالات العربية ، فتفقد وتفقد .

( ١ ) فأما الطريقة العربية ، فقد تناولتها من ناحية أبغية بعض الصيغ الاشتقاقية التي تلحق أروها ميم مكسورة . لتعريق بينها وبين صيغ أسماء المكان والمصدر التي تكون على

وبساعدها على نموها وتطورها دائماً وعلى إسعاف الحياة بما تطلب منها من ألفاظ .

وسبيل هذه الوسيلة سبيل لا حب معروف ، قد عبده اللغة العربية بفطرتها المستقيمة ، وثروته الآلات التي تبلغ براكتها قايمة البعيدة في سهولة ويسر . - لكنه تحببه الخالامون وجاروا عليه فضيقوه وألقوا فيه الحسك والشوك ، وقصروا سلوكه على آلة معقدة مغلقة مثقلة بالقيود البطيئة الحركة كراحلة صديق الشاعر القاهري الظريف والهاء زهير ، :

عشى فتحبها العيون على الطريق مشكله  
مقدار خدائها الطوي لة حين نسرع أنمله  
ونخال مدبرة إذا ما أقبلت مستعجله  
تهز وهي مكانها فكانت كما هي ذلوله  
وأعني هذه الآلة ، قاعدة ( اسم الآلة ) كما وردت في كتب النحاة المتأخرين ، وما أريد بما أضف من حالها غير المجد الذي يمكننا من النهوض بأداء الأمانة .

هل أن بحث اسم الآلة هذا في جملته وأساس تناوله ، لم يتوسع فيه النحاة من من قداماء وحديثين ما توسعوا في غيره من مباحث النحو واللغة ؛ لأن الحياة القديمة لم تكن تدعو لبحث وتلح على تعمقه ، فأوجز الأوائل فيه الكلام إيجازاً شديداً ، ونقله الأواخر من نهج في لغة العرب

ومسقط ومدمن ومدق ومكحلة ، فإن هذه الأحرف جاءت عن العرب بضم الميم .

وقال ثعلب في « المصباح » وابن السكيت في ( إصلاح الخط ) : « كل اسم في أوله ميم زائدة على مفعول ومفعلة ، مما ينقل أو يعمل به ، فهو مكسور الأول ، نحو : مطرقة ومروحة ومرآة ومثرو وعطب الذي يحلب فيه ويخيط ومقطع ، إلا أحرفا جئن نوادر بالضم في الميم والميم ، ومن : مدمن ومنخل ومسقط ومدق ومكحلة ومنصل وهو السيف ، ذلك هو منحنى الأوائل في المسألة ، وهو ينلخص في أمرين :

(١) أن القصد هو بحث بناء مفعول ومفعلة ، وضبط حركة الميم التي تلحقهما بالكسر لما ينقل أو يعمل به من الأسماء ، والفتح للكان والمصدر ، إذ كانت الصوام تلحن في ذلك فتفتح ميم مفعول ومفعلة مما ينقل أو يعمل به ، وإنما هي بالكسر . وليس القصد أن يحصر اشتقاق اسم الآلة بهذه الصيغ الثلاث حسب ، فإن ذلك لا دلالة عليه في هذه النقول .

(٢) عبر سيبويه عن الآلة لا بلفظها بل بملحوظها وهو قوله « ما يعالج به » ، وأتى الكسائي بصريح لفظها محمولا ( الآلات ) غير أن مفهومها عنده هو « ما يوضع ويرفع » ، فهل يفيد هذا التعبير ما أفاده تعبير سيبويه ، أو هو يفيد معنى ( الأداة ) كما أفهمنا منه ،

مثالها وتفتح ميمها ؛ إذ كانت العرب تفرق بين دلالات الصيغ المتشابهة بالحركات وغيرها ، فتقول مثلا « مقص » ، للشيء الذي يقص به ، « مقص » ، للمصدر والموضع الذي يكون فيه القص ، لم يذهب إلى أبعد من ذلك ولا إلى أكثر منه مما يستدعيه البحث التفصيل .

فقال سيبويه من أئمة نحاة البصرة الأوائل في ( الكتاب ) ، وأرجو : « باب ما جالجت به : أما المقص فالذي يقص به ، والمقص المكان والمصدر . وكل شيء يعالج به فهو مكسور الأول كانت فيه ناء التانيث أو لم تكن ، وذلك قولك : محلب ومنجل ومكسحه وملة والمصق والمخرز والمخيط . وقد يهمل على مفعال ، نحو : مقراض ومفتاح ومصباح وقالوا المنفتح كما قالوا المخرز وقالوا الممرجة كما قالوا المكسحة .

وقال الكسائي من أئمة الكوفيين في ( كتاب ما تلحن فيه العوام ) : « وما كان من الآلات مما يوضع ويرفع ، مما في أوله ميم ، فأكسر الميم أبدا على مفعول ومفعلة تمول : هذا مشمل ومثقب ومقود ومنجل ومبرد ومقنعة ومصدغة ومجرة ومسرجة ومشربة ومرفقة ومغدة ومخمة ومظلة ، فهذا كله مكسور الأول أبدا ، سوى منخل

ثم جعله جاراً للزحزحى . وقد يكون غيره سبقه إليه ، عنوان الباب في (المفصل) .  
(ب) — وأما الطريقة الانجمية ، فقد تناولت الفاصلة على منهج مجمل بالتمثيل المنطوق وفرض الشروط التي تحرم الجراح من الاستعمالات المريية . ووضعت لها تعاريف على أسماء تتضارب في أشياء . وتتباين في أخرى .

ولعل لا أبعد عن الصواب إذا زعمت أن الزحزحى هو واضح أساس الطريقة الانجمية لاسم الآلة ، وإن كان تعريفه له يوم لأول وهلة أنه بسبيل من نهج الأوائل إن لم يكن غيره سبقه إلى ذلك . ومن تعريفه : اسم الآلة ، هو اسم ما يبالغ به ثنى . وينقل ، ويحى . على صيغة مفعول ومفعلة ومفعول . وشطر التعريف الأول منقول من الطريقة المريية من ثعلب وابن السكيت مع فارق بين الواو في نصبه أو في نصبها كما رواه السيوطي . . . ولكن شطره الآخر قد عدل به عن طريقة الأوائل في تناول الباب من جهة التمريق بين دلالة حركة ميم مفعول ومفعلة بالكسر والفتح إلى حصر الاشتقاق بهذه الصيغ الثلاث ( التي أخذها من سيويو . ولم ينه كما نبه سيويو على قلة مفعول فعملها كلها على مستوى واحد من الشيوخ ) دون غيرها من صيغ الآلة الاشتقاقية المتعددة في اللغة

وبين الآلة والأداة فرق لا شبهة فيه سأفصله في موضعه من هذا البحث ، وقول ثعلب وابن السكيت : عما ينقل أو يعمل به ، نص على هذا التمريق . فكان ثعلباً وابن السكيت قد استدركا بهذا الملاحظ الجديد على قاعدة سيويو الساذجة ما نقصها ودللاً به أيضاً على ما فاته من الموازنة بين المعنى العلاجي والتمثيل له ، لأن من أمثله : المحلب ، لادى يحلب فيه ، وهو ماء . يكرن فيه الثنى . ولا يبالغ به كما يبالغ بالمقص مثلاً ، وشتان ما هما ، فذلك أداة وهذا آلة . وهذا الملاحظ هو في الوقت نفسه تصحيح لكلام الكسائي أيضاً .

هذا ، وقد تردد لفظ الآلة في كلام الفراء المتوفى سنة ٢٧٦ هـ في التمريق أيضاً بين دلالات حركة ميم مفعول ومفعلة بالكسر والفتح ، نقله ابن قتيبة في : أدب الكاتب السلفية ٤٣٢ هـ فقال : وقال الفراء : يقال مرفاة ومرفاة ، والفتح أكثر . وكذلك مسفاة . ومسفاة من جعلها ( آلة تستعمل ) كسر ، مثل مرفاة ومقدحة ومصدغة . ومن جعلها موضعاً للارتضاء والسقي فصب ، عن فتح الميم فيها .

وذكر لإصطلاح ( اسم الآلة ) على بن علي الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ في شرحه كتاب سيويو مندرجاً بعد قول سيويو : باب ما عالج به . .

ومفعال ومفعلة بكسر أولها ، والاصل في الآلة مفعال ، والآران متقوسان منه ، كالخلب والمفتاح والمكسحة لما يستعان به في الخلب والفتح والكسح .

وقال صاحب المعجم ٢/٦٦٨ : وبناء الآلة معارداً على مفعل بكسر الميم وفتح العين ومفعال ومفعلة كذلك ككشف ومجدع ومفتاح ومنقش ومكسحة والمفعل اضمين ، والمفعل بفتحين ، والفعال بالكسر : يحفظ ولا يقاس عليه ، كمنخل ومسقط ومدفن وآرث آلة تأريث النارأي إضرابها وسراد ما يسرد به أي يخرق .

وقال بعض الشراح : « المفعلة لا تنفاس ،

وقال نظام الدين النيسابوري : « وهذه الأوزان ، أي مفعال ومفعل ومفعلة قياسية لامن حيث أنه يجوز أن يشق كل منها من أي فعل اتفق وإن لم يسمع ، بل من حيث أن كلا منها إن كان قد ورد السماع به في فعل معين أمكن أن يطلق هو على ما يمكن أن يستعان به في ذلك الفعل ، كالمفتاح ، فإن كل ما يمكن أن يفتح به البيت يسمى مفتاحاً وإن لم تكن الآلة المعروفة بذلك .

محمد بن عبد الوهيد

( البقية في العدد القادم )

العربية ، وهذا القيد الذي يحرم ذلك هو من صميم القيود التي فرضتها الطريقة الأجمية ، ولم يقل به الاقدمون .

ثم جاء الخافقون فأضافوا إليه قيوداً أخرى ، وصاغوا قاعدتهم صياغات متروكة وإن عليها الاختلاف والاضطراب ، وهي كثيرة ليست بسيل نقلاً إلى هذا المكان وإنما حسبي منها نقل ما يستجمع أصولهم فيها لأدل على فسادها بالقياس إلى الاستعمالات القنوية عند العرب .

قال صاحب روح الشروح على (المقصود) : « أما اسم الآلة فاسم مشتق من يفعل لما يعالج به المعامل المعمول ، ولذا لا يبنى إلا من الفعل الثلاثي المنتدى .

وقال الزنجاني صاحب « المعوى » : « وأما اسم الآلة ، وهو ما يعالج به المعامل المعمول لوصول الأثر إليه ، فيجىء على مثال مفعل ومفعلة ومفعال . كخطب ومكسحة ومفتاح .

قال السعد التفتازاني : « وقد علم من تعريف الآلة أنها إنما تكون للأفعال العلاجية ، ولا تكون للأفعال اللازمة ، إذ لا علاج لها .

وقال الشيخ ذكرى في (شرح الشافية) : « الآلة لفعل الثلاثي ، وهي اسم لما يستعان به في الفعل المشتقة هي منه ، تسمى على مفعل



# الآزهر والتطور

للأستاذ محمد الشرقاوى

## خاتمة المقال

أصدرت الوزارة عن مجلسها الإسلامى الأعلى بعض أجزاء من « موطأ مالك » برواية محمد بن الحسن الشيبانى ، وبصائر ذوى التميز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز بادى .

وفى مثل ذلك الوقت قررت كلية الحقوق فى جامعة القاهرة ، بتوصية من المجلس الأعلى لحماية الفنون والآداب ، أن تطبع كتاب « الأشباه والنظائر » للسيوطى مع حواشيه . وهذه الكتب وأشباهاها كانت من الخير . أو من الطييبى ، أن تحقق وتصدر عن الأزهر . وقد أناط قانونه الجديد هذه المهمة به ، ونعتقد أنه سيتمكن منها على وجه كاف منتج كريم .

أما المهمة الثانية فى هذه المادة من قانون « تطوير الأزهر » التى تقضي به حل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب والعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ، فذلك مما يستطيع الأزهر أن يؤديه للعالم وللإسلام عن طريق مبعوثيه وعن طريق رسائله تكتب بفهم وإدراك ، مع

« الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ورفق الحضارة وكفالة الأمن والطمانينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة » .

مكننا حدد قانون « تطوير » (١) الأزهر مهمة هذا المعهد العظيم ورسائله ، أو بعض هذه المهمة والرسالة .

أما المهمة الأولى : « حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره » فهى عمل طالما تمنى المخلصون للأزهر والإسلام أن يقوم به . وقد رأينا من ذلك فى السنة الماضية بعض نشاط لوزارة الأوقاف ولكنه كان مشوباً بشئ من الخطأ والخطر نحدثنا عنه يومئذ (٢) .

(١) المادة ٢ من القانون ، الباب الأول فى الأحكام العامة .

(٢) انظر مقالنا : « حوله هجوم الفكر الدينى » مجلة آخر ساعة فى ٤ أكتوبر ١٩٦١ « العدد ١٤٠٦ » .

يمكن أن يراجعها أمثال هؤلاء العاقبين البصراء من رجال الأزهر ورجال الثقافة الإسلامية . ثم يعلقون عليها بما يوضح أو يفسر أو يصحح ويعتدها الأزهر ترجمة يجيزها ويقرها وينشرها في العالم كله لمن يقر-ون الإنجليزية .

هذا هو جانب الإيجاب في هذه المهمة : إظهار حقيقة الإسلام وحمل الأمانة فيه ، وهناك ، في هذه المهمة ، جانب سلبي لا يقل أثراً ولا خطراً عن هذا الجانب الإيجابي .

فهناك من الكتب الإسلامية — أو التي تصالح الناس على نسبتها للإسلام — ما هو معارض لمبادئ الإسلام مدبر له أو ما هو معصوق لبهة المسلمين مفسد لعقيدتهم . وما دام القانون قد احتفظ للأزهر بحق المراجعة والاعتراض وطلب المصادرة لما يطع وينشر فيجب أن تراجع هذه الكتب على ضوء ما فيها من الضرر والشر والجهالة لصحيح العقيدة ، لا على ضوء الاعتبارات العامة وشعور الجماهير واعتبار الرعاية للواقع والمألوف المرضي من الناس ، أو من عامة الناس . لا تنالوا راعينا هذه الأمور لما تطور الأزهر وما تجمدت الآراء الخاطئة في الشريعة وما تغير شيء مما ألفه الناس وارتضوه ودرجوا عليه .

بين يدي وأنا أكتب هذا المقال كتاب من الكتب الإسلامية ، القصديجة ذات

العلم العقده فما يمكن أن ينشر . وبقيد . بين سكا . إفريقيا لا يمكن أن ينشر بين المؤمنين من أهل أوروبا وأمريكا ، وقد يضر نشره بينهم ، بل هو في اعتقادي ، محقق الإضرار . هذا ما أقصده وأنا أذكر : « الفهم والإدراك ، قبل العلم والعقده . فالوضع هنا بما يحتاج إلى ذلك . وفهم ودراسة لعمليات هذه الشعوب وثقافتها ومشاكلها وتاريخها وشتونها الحاضرة وأوضاع المجتمعات فيها ، يحتاج إلى شيء كثير من ذلك . وقد يحتاج إلى أقل منه من « العلم والعقده » .

ومن الشئون التي تصل بذلك أوثق الإنصال ، ترجمة معاني القرآن ونشرها بالغات الأوربية . والله ، الإنجليزية بخاصة وقد كان لأمر هذه الترجمة ضجيج ومجيج قبل ثلاثين سنة لم يسفر عن شيء . ثم تجدد ذلك قبل سنوات قريبة كان صوت التقليديين فيه أشد علواً وعتواً من رأى المكركين العاقمين المدركين . واعتقد أن هذا الأمر يمكن أن يحسم بأن يقوم الأزهر المتطور بمراجعة ترجمة شهد المختصون من العلماء للعاقمين وأهل الله بصحتها وسلامتها ، مثل ترجمة السيد محمد علي الهندي مثلاً . هذه الترجمة — وقد شهد لها كثير من أهل العلم والهداية والفهم للقرآن وهم في الوقت نفسه أهل بصير وذوق في اللغة الإنجليزية —

وكذلك أجد فيه أن الله تعالى خاطب الشيخ ونحوه أن يفعل ما يريد بالأولياء فيقبل منهم من يشاء ويرد من يشاء . . . ١٠٠ والكتاب كله من هذا الطراز . وقد قرأته وقرأه قبل ، كما قلت قبل قليل ، مئات الألوف من الناس على مدى قرون كثيرة ، وما تزال ألوف وألوف تقرأه قبل تطوير الأزهر ومع تطويره وبعد تطويره ما دام لم يتخذ حياله وحيال أمثاله شأنًا حاسمًا يرى دين الله من هذا الذي هو شرك كله وشركه على المسلمين والناس جميعاً

ولا يقول قائل إن هذا اللون من الثقافة الإسلامية ، قد أدرشاه وضحف أثره فهذا الكتاب الذي هرعت طرقاتاً مما فيه ألب قبل قرون من شيخ مات في القرن السابع للهجرى ، قبل أكثر من ثمانية قرون . ثم يطبع في عصرنا هذا فيكتب ناشره تحذيراً لكل من تجسأ على طبعه ، بغير إذن . وما ذلك إلا لما يعلوه ويوقته من إقبال الناس عليه ورغبتهم فيه بل لهفتهم عليه . وبعض المسلمين أو كثير منهم يقرأ ما في هذا الكتاب وأمثاله أو يرويه وبقصة معتقداً أو موقناً أنه يقدم لنفسه بذلك إلى الله عبادته وقربى . بل إنى أجد كتاباً آخر ألفه في عصرنا الحديث هذا عالم ، لا يزال حياً وهو يتحدث في كتابه هذا عن الجن والسر والتسلط

الذبح والرسوخ ، وأنا أقرأ في هذا الكتاب . كما قرأه مئات الألوف من المسلمين وغيرهم من قبل ، فأجده يقول - في كرامة شيخ من الشيوخ - إن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة المعراج قد بلغ مسطرة المنهى ومنه جبريل ، فتخط هذا عن رسول الله ثم قال : يا محمد لو دونت أسماء لاحتقرت فأرسل الله روح الشيخ . . . . إلى ذلك المقام - الذي توقف عنده ملاك الله جبريل - ووضع الشيخ موضع البراق حتى ركب النبي عليه السلام حل رقبته . أى رقبته الشيخ ، وأمسك هناك الشيخ بيده وسار حتى صار قاب قوسين أو أدنى ، وعند ذلك قال النبي عليه السلام للشيخ : يا ولدى وحدة عيني ، قدى هذه على رقبتك ، وقمناك على رقب كل أولياء الله تعالى . وأجده يقول إنه ، أى الشيخ ، وهو في المهد مضيق ، كان يمنع نفسه عن مدى أمه في رمضان من العجز إلى القروب . لأنه صائم . . . . وكذلك يقول إن من ذكر اسم الشيخ على غير وضوء فارق رأسه جسده فيموت .! ولكن أهل بغداد طلبوا من الشيخ الشعاة والرحمة في ذلك فنفعهم ورفع ذلك عن أهل العناد . وأجد في هذا الكتاب أن هذا الشيخ كان يحى الموتى بإذنه . . . . فتوجه إلى القبر وقال قم يا ذنى ، فانتش القبر وقام الميت حياً حياً ، كما كان في حياته معنياً .

وسلامة العقل وسلامة الحياة جميعاً . ومثل هذه الكتب هو الذي يجب أن يصادر ، لا غيره .

وأعتقد أني أطلت [١] في أسر هذه الكتب وصلتها بالأزهر والمتطور ، ولكنني أعتقد أيضاً أن القارئ يرى مدى خطر ما وضروها وأنها تستحق من هذا القدر من الإطالة ، ومنه هذا القدر من الصبر .

وهناك لون من الثقافة ليس إسلامياً ولكنه ضروري لرجل الفكر الديني الذي نرجو من الأزهر المتطور ، ذلك هو دراسة النهضة الأوربية المعروفة بحركة الإحياء ، وماسبقها من النهضة ، أو الثورات المسيحية ، وحركات « القلق الفكري » أو الاحتجاج — حركة لوتر وكلفن — وأثر الفكر الإسلامي وحرية العقيدة الإسلامية في ذلك . والصراع بين العلم والدين في المصور الوسطى . هذه وأمثاله ألوان من الثقافة ليست إسلامية ولكن دراستها بفهم واستيعاب وتوسع ، مما يجب أن نجده عند رجل الفكر الديني ، ولا يكون رجل دين مثقف ، ولا بيئة دينية ذات أثر وخطر إلا إذا درس ودرست تلك بعناية وفهم ، وكانت هذه المشاغل والمشاكل مع

[١] انظر أمثلة أخرى لهذا النوع من « الثقافة الإسلامية » في مقالنا : « التسوية الرابعة ضرورية محتومة » ، عدد جادى الآخرة ١٣٨٠ من مجلة الأزهر ، نوفمبر ١٩٦١ .

والعزيمة ، وعن النواصير والترايع والطيارين والقرناء . ويذكر في ذلك « الأنبياء » والعلم الحديث ، ويذكر ، إلى جانب ذلك ، زواج الجن وتناسلهم والإحصاء بينهم وبين بني آدم ... ! ويذكر أن عصي موسى تقدمت ، إلى فرعون ، بعد أن صارت حية ، تريد ابتلاعه وفتحت فاهها فكانت ست عثمانون ذراها .

فهذه « الثقافة الإسلامية » ما زالت باقية هيمة الجذور ، وما زالت الكتب والمؤلفات فيما توضع وتنتشر يقوم على تأليفها وطبعها « علماء » تخرجوا في الأزهر وتعلوا في فرنسا حتى نالوا منها « شهادة » . وعلى الأزهر المتطور أن يجد له سبيلاً إلى تهيئة الإسلام من مثل ذلك وإلى الحيولة بين هذه « الثقافة » الإسلامية أن نسقم عقولهم ونفسه عقيدتهم ونحول بينهم وبين ثقافة العصر وحياة الناس فيه

والسبيل إلى ذلك عندي أن يؤلف الأزهر المتطور لجنة من أصحاب الفكر الديني الفائقين المستقيمين فراجع هذه الكتب وأمثاله وما يرسل إليها من الشكاوى فيها ثم تضع قائمة بما ترى ضرره وخطره منها . ويصدر قانون من الدولة بتحريم الطبع لأي كتاب منها بغير إذن هذه اللجنة ، واللجنة لا تأذن .

بذلك تنفادى مصادمة الشعور العام وعدم الإمكان في مصادرة هذه الكتب ونحول في المستقبل القريب بينها وبين سلامة العقيدة

الحدث الهام أو بجملة أو اهمه مع أن الخطر ، أو الاخطار ، التي تواجه الأديان جميعا أخطار مشتركة . وقد وفينا ذلك في بعض كتبنا [١] وفي تلك السنة نفسها نجد السيد ظفر الله غان ، وزير خارجية باكستان السابق ورئيس الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، يمتنع اكتسابا لجمع مبلغ كبير ، خمسة ملايين دولار ، تخصص لبناء ، أمم متحدة روحية ، في واشنطن تشرك بها الديانات الست العالمية الكبرى ، التي تمتنعها أكبر مجموعة من البشر . ويستطيع الأزهر ، أو كان يستطيع ، أن يعرف كل شيء عن هذه الجامعة وهذا الحدث الهام وهذا المال الكثير من سفارتنا في أمريكا . وقبل ذلك قدمت إلى بلادنا بعثة أثرية عالمية أقامت في ، دير سانت كاترين ، ببناء . نعتش عن الوثائق وننقب على الكتب والمحفوظات وتجمع التاريخ ؛ وفيه قدر كبير من التاريخ الإسلامي والعربي لراجع وندرس وتكتب وتؤلف ونفسي ، واشترك معها بعض جامعاتنا المدنية ، وقد واجهت وبمحتف وصورت ونسخت وأخذت قليلا أو كثيرا من الوثائق والصور .

وقبل هذا وذاك نشرت جريدة انجليزية دينية ، وأذاعت ما نشرته وكالة الأنباء تعب

مهموم فكره وإفكار أهلها وثقافة عقله وعقولهم .

ونرجو من ، الأزهر المتطور ، أن يترك السلبية ويخرج من الامتزالية في الثقافة العامة وشتون الفكر والحياة الروحية التي تضرب في العالم كله .

وسأضرب لذلك الأمثال من الماضي لنفيد منها ونعبر بها للمستقبل . ففي السنة الماضية كان حادث من أهم الأحداث التي يجب أن يتم بها ويسجلها ويتابعها رجل الفكر الديني المستنير — من كل دين — وهو اجتماع المؤتمر المسكوني للكنيسة الكاثوليكية في روما . وكان أعظم وأضخم اجتماع من نوعه في تاريخ هذه الكنيسة ، اجتمع له أكثر من ثلاثة آلاف من الرؤساء والبطاركة والأساقفة والكرادلة يثلون وخمسة وعشرين دولة ، وبحث فيه هؤلاء شئوننا بالغة الأهمية في موقف الأديان — وبخاصة المسيحية طبعاً — حيال الخصومات الحادة الشريرة التي تعرض لها العقيدة في العالم كله من الشيوعية والامحالية مما ، وما يمكن — أو يجب — أن يتخذها الفاتحون على العقيدة لحايتها من تلك الغوائل والمخاطر والشرور والخصومات التي تريد أن تجمتها من أصولها وتبيدها ونحو أثرها من خناتر الناس وقلوبهم ، وما اعتقد أن الأزهر والفكر الديني في وطننا العربي تابع هذا

[١] الفصل الأخير : « عن العقيدة » من كتابنا : « تقوم الفكر الديني » .

وفستطيع أن أقول أشياء أخرى في  
الأزهر والمتطور ، وما ينتظر منه أو يجب  
عليه في ذلك ، ولكن الذي نحرص على قوله  
في الختام هو هذا الكلام الموجز القصير :

إذا استطاع الفكر الديني في الأزهر  
المتطور ، أن يصل الدين بدنيا الناس في العالم  
المعاصر ، وأن يربط الشريعة بالحياة القائمة ،  
ولا يضيق صدر أصحابه فيفرطوا ويحمدوا  
ويحاربوا في غير ميدان أو تكون حريتهم  
للصديق والعدو معا - كما سجل عليهم - قانون  
المتطور ، وتحدث عنهم بذلك الناس من قبل -  
واستطاع أن يؤمن بأن بعض رسائلك هو  
« تبييض » هذا ، الودق الأصفر ، وعرضه  
على الناس عرضا يفهمه الناس ويرضى عنه  
الناس كما يرضى عنه الحق والعقل ولم يسارع  
أصحاب هذا الفكر وبهروا وتابوا  
متأثرين بالذوايق والمواسل والمؤثرات ،  
أو ما يظن من ذلك ، فيفقدوا سمتهم وطابعهم  
ووقارهم وخصائص ثقافتهم وإيمانهم ورسالتهم ،  
إذا استطاع الفكر الديني في الأزهر المتطور ،  
أن يدرك ذلك وأن يقوم عليه في مستقبله  
القريب ، فقد حق لنا أن نسعد وأن يسعد  
المسلمون أيضا ، لما ينالهم عند ذلك وينال  
دينهم وحياتهم من خير كثير .

محمد الشرفاوي

من رأى الفاتيكانيان ، ثمرت تلك وأذاعت  
هذه مقالا تدعو فيه العالم المسيحي لأن يتنبه  
إلى قوة الإسلام ، وأن يفيد من ذلك في  
حرب خصوم العقيدة الذين يهاجمونها بلا  
رحمة ، تنص الشيوعية .

والشيء الجديد في ذلك هو هذا الاعتراف  
بقوة الإسلام والحرص على التساؤل مع  
رجله في صد الشيوعية [١] وأي الهيئات  
تنص بهذا الحديث سوى الأزهر ، قبل غيره ،  
وأي هذه الهيئات الإسلامية أجدر بالانتباه  
والإفادة من الأزهر .

ولست أقصد بإفادة الأزهر وامتداده بذلك  
تلك الاستفادة العاطفية التي تقوم على إظهار  
السرور باعتراف العالم المسيحي أو الفاتيكانيان  
بما في الإسلام من قوة والسعي للتعاقد معه  
عند قوى الشر ، فالإسلام له هذه القوة  
وأعظم منها سواء اعترف الغير له بذلك أم لم  
يعترف ، بل أقصد ذلك الاهتمام الفائق على  
الإدراك والمعرفة والإحاطة بمخاطب الأمور  
والتأنيب للأحداث الهامة التي تجري والحرص  
على المشاركة فيها والإيجابية حيالها .

• • •

[١] تحدثنا عن ذلك في مقالنا : « تاملوا  
محمد ما » ، عدد شهر شعبان ١٣٨١ هـ ،  
يناير ١٩٦٢ .

# الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٤ -

والجزية لغير المسلم مقابل الزكاة للمسلم ، ولذلك لا يصح إطلاقها على الزكاة ، وينقض المسلم إذا قيل مما يدفعه إنه زكاة ؛ وفي عدد ٢٥ يونيو سنة ١٩٢٥ من مجلة « الثوري » كتب أمير البيان المحرم شكيب أرسلان مقالا أشار فيه إلى هذه الناحية ، وكان ما قاله قوله : « إن لفظ الجزية كلمة شرعية ، ولها مكان معلوم في الشرح ، فلا تقال لما يأخذه الإمام من المسلمين ، لا ، بل تقال على العرب جميعا في صدر الإسلام ، فالذين لم يكونوا أسلموا منهم مثل نصارى بني تغلب مثلا عند ما ضربها عليهم سيدنا عمر أجابوا بأنهم لا يؤدون جزية

قيل : فلما أنذرهم بالبش بهم أو يدفعوها قالوا : إنا نؤديها ، ولكن لا على أنها جزية ، بل على أنها إتاوة . قال : فأجابهم سيدنا عمر رضي الله عنه : ها توها وسموها ما شئتم .

فأنت ترى أن الجزية ثقيلة اللفظ ( يعني على المسلم ) ، وأن استعمالها ألتنى من عهد بعيد ، ولا يزال تقرأ في الجرائد المصرية : الجزية الجزية ، للسال الذي كانت مصر تؤديه للدولة العثمانية ، وهو استعمال بغير

ومن الضرائب في الإسلام « الجزية » ، وهي - كما في لسان العرب - ما يؤخذ من أهل الذمة ، وهي عبارة عن المال الذي يعقد الكتاب عليه الذمة ، وقد سميت « جزية » لأنها مشتقة من الجزاء ، فهي جزاء من الذي يدفعه إلى الدولة المسلمة في مقابل تحقيقها الأمن له .

ومناسبة تشريعها أن الرسول عليه الصلاة والسلام علم في السنة التاسعة للهجرة أن الروم بقيادة هرقل يريدون مهاجمة المسلمين ، فأمر بالخروج إليهم في غزوة تبوك في شهر رجب ، ثم صالح القوم على الجزية ، وجاء « يوحنا ابن ربيعة » النصراني صاحب « آية » وصالح النبي على أن يجعل له على كل رجل في أرضه ديناراً في السنة ، فبلغ ذلك ثلاثمائة دينار (١) .

والجزية ضريبة موضوعة على الروم - كما يقول الماوردي (٢) - وهي تؤخذ مع بقاء الكفر ، وتسقط بالدخول في الإسلام ، بخلاف الخراج الذي يؤخذ مع الكفر والإسلام ، لأنه متعلق بالأرض الخراجية .

(١) فتوح البلدان للبلاذري ، ص ٦٦

(٢) الأحكام السلطانية ، ص ١٣٦ .

عنه ، لأن الخليفة لا يأخذ الجزية من أمته ، وكان الأول أن يقال : خراج مصر ، أو بالأقل : إتاوة مصر .  
والأثر الكانوا يقولون (مصر وبركوس) أي خراج مصر ، ولفظة : (وبركو) من فعل (وبرك) أي أعطى ، فكان (البركو) هو ما يعطى ، وفي اصطلاح الدولة هو المال المقطوع المضروب على الأملاك الصرفة ، وله دوائر تجبیه ، وكانت مصر باعتبار أنها عثمانية تدفع هذا الخراج كما تدفعه سائر البلاد العثمانية ، فاسم تسميته بالجزية ، ٢ .  
وقد خلق شيخ العروبة المرحوم أحمد زكي باشا على مقال الأمير شكيب في عدد ١٦ يولييه ١٩٢٥ من «الشورى» فقال : «ولقد كان لشمس العربي مكانه في صدر الإسلام ، فأبى بعض الذين سخط عليهم للجزية أن يقبلوا التعبير بها ، واختاروا لفظ (الإتاوة) على ما شرحه الأمير شكيب ، بيض الله وجهه وأهل رأسه» .

والجزية لا تؤخذ من النساء ولا من الصبيان ، وإنما تؤخذ من الرجال الأحرار القادرين فقط ؛ ومذهب الإمام الشافعي أنها لا تقبل إلا من أهل الكتاب ، ومن المجوس سواء أكانوا عرباً أم عجم ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى : «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» . واستدل أيضاً بأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من المجوس بالبحرين .

(١) الأحكام السلطانية ص ٩٣٨ .

والجزية في مقدارها على ثلاث درجات ، فلقدارها أحد أهل ، واحد وسط ، واحد أسفل ، تبعاً لثمن المأخوذ منه أو توسط حاله أو فقره ، وهذا يدل على توافر عنصر «الملازمة» في الجزية كما شرعها الإسلام .  
وهل وجود روح «التيسير» في أخذها



ولقد حدث أن صالح أبو عبيدة بن الجراح بعض مدن الشام على الجزية في مقابل المنية ، ثم عجز عن منمتهم ، فكتب إلى كل وال عن خلفه على هذه المدن يأمره بأن يرد على أهلها ما جبي منهم من الجزية والخراج ، وأن يقولوا لهم : : إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجوع ، وأنكم اشتراطتم علينا أن نمنعكم ، وإنا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط ، وما كتبنا يفتنا وبينكم إن نصرنا الله عليهم .

فلما قالوا ذلك لهم ، وردوا عليهم الأموال التي جبوها منهم قالوا : : ردكم الله علينا ونصركم عليهم ، فلو كانوا لم يردوا علينا شيئاً ، وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا شيئاً <sup>(١)</sup> .

ويصح أن يشارك أهل المنية في الدفاع عن الدولة ، ولا يكون عليهم في هذه الحالة جزية إذا اتفقوا مع المسلمين على ذلك ، وإذا كانت الجزية في مقابل المنية فإن المسلمين وضوا في بعض الروائع أن يعفوا أهل المنية من الجزية ، حين تصد إليهم هؤلاء أن ينهضوا معهم بواجب الدفاع ، كما حدث حين غزا حبيب بن مسلمة الفهري أهل (الجرجومة) شمالي سورية فطلبوا الصلح على أن يكونوا

ويرى الإمامان مالك والأوزاعي أن الجزية تؤخذ من كل كافر ، سواء أكان من أهل الكتاب أم من غيرهم ، وسواء أكلن عربياً أم غير عربى ، ويؤيد هذا الرأي أخذ النبي الجزية من مجوس البحرين ، مع أنهم يعبدون النار فهم كفار .

ويشترط في دفع الجزية الذي توافره الأمان شروط هي أن لا يذكر القرآن الكريم بطن أو تحريف ، وأن لا يذكر الرسول بتكذيب أو ازدراء ، وأن لا يذكر دين الإسلام بدم أو قرح ، وأن لا يهتك حرماً لمسلمة أو يتزوجها ، وأن لا يفتن مسلماً عن دينه ، ولا يتعرض لماله أو دينه ، وأن لا يعين أهل الحرب <sup>(٢)</sup> . وهذه الشروط في مجملها توحى بمعنى الحرص على حماية المجتمع الإسلامى من عوامل الفتنة والاضطراب ، والتذكير لدافع الجزية بحق الدولة عليه ، لأنها ترعاه فيجب ألا يسمى في عهدها أو الفساد فيها .

ومقابل الجزية هو الحفاظ والمنية ، وكفالة حرية العقيدة والعبادة ، وقد كتب خالد بن الوليد عهداً لصلوبيا بن نسطونا وقومه جاء فيه :

«إني عاهدتكم على الجزية والمنية فإن منعتكم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم <sup>(٣)</sup> .»

(١) للصدور السابق ، ص ١٢٨ .

(٢) تاريخ الطبرى ، ج ٤ ص ١٦ .

(٣) الخراج لأبي يوسف ، ص ١٣٩ .

ولو امتنع أهل الذمة عن دفع الجزية كان ذلك بمثابة التقصص لهدمهم ، وقد ذكر الماوردي أنه : « إذا تقصص أهل الذمة هدمهم لم يستجيب بذلك قتلهم ، ولا غنم أموالهم ، ولا سبي ذراريهم ، ما لم يقاتلوا ، ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا بأحد منهم من أدنى بلاد الشرك ، فإن لم يخرجوا طوعا أخرجوا كرها » (١)

وأظن أن ما سبق من حديث عن الجزية يرينا بوضوح مبلغ التيسير الذي وفره الإسلام في تشريعها ، كما يرينا وجه الحكمة في تشريعها ، فهي ليست طغيانا ولا اتهايا ولا استبدادا ، ولكنها ضريبة واجبة تؤخذ من القادورين عليها في مقابل ما تنفق الدولة من أموال وجهود لحفظ الأمن في الداخل ، ولصد العدوان من الخارج

• • •

ومن الضرائب في الإسلام « الخراج » ، والخراج في لغة العرب اسم للكراء والنفقة ، وهو شرعا جزء يؤخذ من الأرض كالأجرة أو الكراء ، وإنما يسمى خراجا لأنه يتعلق بخراج الأرض أي غلتها ، وغلة الأرض تسمى خراجا ، ومن المأذاة قول الله تبارك وتعالى في سورة المؤمنين : « أم تسألهم خراجا خراج ربك خير » ، وهو خير الزايقين .

[ ٢ ] الأحكام السلطانية ، ص ١٣٠ .

أصواتا للسلين ، وعيوننا ومسالخ في جبل الكلم ، قبل منهم ذلك .

وأيا حين توجه عبد الرحمن بن ربيعة إلى ناحية ( الباب ) جهة قزوین عرض عليه حامل الفرس شهر براز الصلح على أن لا يؤدي الجزية قائلا : « إنى يازاه عدوك وأأم مختلفة ويدي مع أيدىكم ، وجزيتنا إليكم النصر لكم والقيام بما يحبون .

فلما رفع ذلك إلى سراقه بن عمرو الذي كان قائد الجند قبل ، وصار سنة ، وكتب سراقه إلى عمرو بن الخطاب بذلك فأجازه وحسنه ، فالجزية إنما كانت إذن بمثابة ضريبة مالية ، للمساهمة في واجب الدفاع ، نظير ضريبة الدم التي كان يدفعها المسلم في حومة القتال للدفاع عن الدولة كلها » (١)

وتشمل المنفعة هنا كفاية الحرية المقيدة وحرية العبادة ، وقد روى الطبري مثلا الكتاب الذي كتبه النعمان بن مقرن لأهل فارس بشأن الجزية وقد جاء فيه : « أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم ، ولا يغيرون من ملك ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة ، ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم ، على كل حالم في ماله ونفسه ، على قدر طاقتهم » (٢)

[ ١ ] كتاب الخراج في الدولة الإسلامية ، الدكتور الرئيس ، ص ١٥٦ .

[ ٢ ] تاريخ الطبري ، ج ٤ ص ٢٤٥ .

والمراد بالخروج في الآية الكريمة الأجر  
أو النفع، والمراد بالخروج فيها رزق الله في  
الدنيا، أو أجر الله في الآخرة، وهناك من  
يفرق بين الخروج والخروج بأن الخروج من  
الرقاب والخروج من الأرض.

وقد ذكر الزخشرى فى مادة « خرج » من  
أساس البلاغة أن الخراج ما يأخذه السلطان  
وأنه يقال للجزية الخراج ، فيقال : أدى  
خراج أوعنه ، وأدى أهل الذمة خراج  
رءوسهم (١) .

وفي لسان العرب ، أن الخرج والخراج  
واحد ، وهو شيء يخرج من القوم في السنة  
من مالهم بقدر معلوم .

والأرض في هذا المقام أربعة أنواع ،  
فأحدها ما أحياء المسلمون فهو أرض عشيرة  
لا يوضع عليها خراج ، لأنها من باب إحياء  
الموات ؛ وثانيها ما أسلم عليه أصحابه فهم  
أحق به ، وتصور أرضا عشيرة عند الشافعي ،  
وقال أبو حنيفة إن الإمام خير بين أن يجعلها  
خراجا أو عسرا ، وثالثها ما ملكه المسلمون  
من محاريبهم المشركن بالقوة والقهر ، فيكون  
غنيمة للمسلمين ، ورابعها ما صالح المسلمون  
عليه غير المسلمين ، وهذه هي أرض الخراج  
وقد ينزل أصحاب الأرض الخراجة هنا

[١] انظر الأحكام الإيطالية ص ١٣٦

(٧) النثر المصوّل سابقاً، ص ١٣٧ وانظر  
الخروج إلى الدولة الإسلامية، ص ٢٦٢ - ٢٧٩  
نقته تحليل وتعليل.

[١] أساس البلاغة ج ١ ص ٤٢٤ .

اجتهاد ، وأن الجزية مقدر ألقها بالشرع ،  
وأكثرها مقدر بالاجتهاد ، وأما الخراج  
فتقدير أقله وأكثره بالاجتهاد ، وأن الجزية  
تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بالإسلام ،  
والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام (١) .

• • •

ومن الضرائب في الإسلام « العشور » ،  
والعشور هي الرسوم التي تؤخذ على أموال  
أهل الحرب وأهل الذمة الذين يعمرون بها  
على ديار الإسلام ، وتؤخذ أيضا على عروض  
تجارهم ، وعلى الأموال والتجارة التي تدخل  
دار الإسلام أو تخرج منها ، وهي تقابل  
اليوم الضرائب الجركية ، وقد جاء في كتاب  
الخراج لأبي يوسف عن العشور :

« يؤخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل  
الذمة نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر ،  
من كل ما سرب على الماشر - وهو المحصل -  
وكان للتجارة ، وبلغ قيمة ذلك مائة درهم  
فصاعدا ، أخذ منه العشر ، وإن كانت قيمة  
ذلك أقل من مائة درهم لم يؤخذ منه شيء ،  
وكذلك إذا بلغت القيمة عشرين مثقالا أخذ  
منها العشر ، فإن كانت قيمة ذلك أقل لم يؤخذ  
منها شيء ، وإن أضاف بعض المرات  
إلى بعض وكانت قيمة ذلك ألفا فلا شيء فيه ،  
ولا يضاف بعض ذلك إلى بعض .

غاية ما يحتمله ، وليجعل فيه لأرباب الأرض  
بقية يعمرون بها الترائب والحوائج .

حكى أن المهناج كتب إلى عبد الملك  
ابن مروان يستأذنه في أخذ الفضل من  
أموال السواد ، فنهى عن ذلك ، وكتب إليه :  
« لا تكن على درهمك المأخوذ أحرم  
منك على درهمك المتروك ، وأبق لم حوما  
يعقدون بها شعوما » (٢) .

ومن هذا يتضح أن الإسلام حين شرع  
الخراج لم يشرعه إرهابا ولا ظلما . وإنما  
راعى الطاقة والاحتيا ، ودعا إلى اليسر  
والرحمة ، وجعل هذا الخراج في مقابل  
التمتع بشيرات الأرض في ظل الأمن العام  
الذي تحمته الدولة ، وبفضل ما تتيحه من  
وسائل الارتفاق كسد الطرق وشفق الأنهار  
وتوفير الآلات وغير ذلك من المنافع  
والخدمات .

وهناك بين الجزية والخراج وجوه اتفاق  
ووجوه افتراق ، فأما وجوه الاتفاق فهي  
أن كلا منهما يؤخذ من غير المسلم ، وأنهما  
من أموال النية . ويصرفان في أهل النية ،  
وأنهما يجبان بحلول الحول ولا يستحقان  
قبل مروه .

وأما وجوه الافتراق فهي أن الجزية  
منصوص عليها في القرآن الكريم وأن الخراج

[١] الأحكام السلطانية ، ص ١٢٦

[٢] الأحكام السلطانية ، ص ١٣٣ و ١٣٤

ذلك اليوم من قابل . . وكان هذا سبباً في إسلام الذي .

ويروى أن عمر قال للذي : « ليس له عليك في مالك في السنة إلا مرة .

وكذلك كتب خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز يقول لواليه : « وإذا مر عليك أهل الذمة فخذ مما يديرون من تجارتهم من كل عشرين ديناراً ديناراً ، فاقص فبحساب ذلك حتى تبلغ عشرة دنانير ، ثم دعهما فلا تأخذ منها شيئاً ، واكتب لم كتاباً بما تأخذ منهم إلى مثلها من الحول » (١) .

وفيها يتعلق بتكامل القيمة التي يجب فيها العشر وعدم تكاملها نجد أيضاً هذا النص :

« وإن كانت قيمة ذلك أقل من مائتي درهم لم يؤخذ منه شيء » ، وإن اختلف عليه بذلك مراراً وكل ذلك لا يساوي مائتي درهم ، ولو أضاف بعض المرات إلى بعض فكانت قيمة ذلك إذا جمع تبلغ ألفاً فلا زكاة فيه أيضاً ، ولا ينبغي أن يضاف بعض المرات إلى بعض » (٢) .

وقال يحيى بن آدم : « إذا دخل الحربي أرض الإسلام فإنه يؤخذ منه العشر ، فإن رجع بماله قبل الحول لم يؤخذ منه شيء » في الحول بعد المرة الأولى ، وإن أقام بأرض

وإذا مر عليه بمائتي درهم مضروبة ، أو عشرين مثقالاً تبرأ ، أو مائتي درهم تبرأ ، أو عشرين مثقالاً مضروبة أخذ من ذلك ربع العشر من المسلم ، ونصف العشر من الذي ، والعشر من الحربي ، ثم لا يؤخذ منها شيء إلى مثل ذلك الوقت من الحول ، وإن مر بها غير مرة » (١) .

وهناك تفصيل لا بأس به ، وهو أنه إذا كان المال المأخوذ عليه هو نفس المال الذي تكرره مروره فلا يؤخذ عليه شيء ، وإن كان المال قد تغير ولم يتغير المار به يؤخذ عليه . ويقول أبو حنيفة في كتاب « الأموال » :

« فأما أهل الحرب فكلهم يقول : إذا انصرف إلى بلاده ثم عاد بماله ذلك أو بمال سواء : أن عليه العشر كلها ، لأنه إذا دخل دار الحرب بطلت عنه أحكام المسلمين ، فإذا عاد إلى دار الإسلام كن مستأنفا للحكم ، كالذي لم يدخلها قط ، لا فرق بينهما » (٢) .

وهناك أكثر من شاهد على عدم تكرار الضريبة ، فقد حدث أن حاملاً لعمر كرر أخذ الضريبة على فارس من ذي ، فشكا الذي إلى عمر فكتب عمر إلى الوالي : « من مر عليك فأخدت منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً إلى مثل

(١) الحراج لأبي يوسف ، ص ١٣٦ و ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(١) الحراج لأبي يوسف ، ص ١٣٢ و ١٣٣ .

(٢) الأموال ، ص ٥٣٩ .

وأول من وضع العشور في الإسلام هو  
 عمر الفاروق رضي الله تعالى عنه ، ويقول  
 أبو يوسف في ذلك : « فإن عمر بن الخطاب  
 وضع العشور ، فلا بأس بأخذها إذا لم يتعد  
 فيها على الناس ، ويؤخذ بأكثر مما يجب  
 عليهم » (١) .

وروى أن أهل « منبج » - وكانوا أهل  
 حرب - كتبوا إلى عمر بن الخطاب يقولون  
 « دعنا ندخل أرضك تجاراً ونمشرنا »  
 فدأور عمر أصحاب النبي في ذلك فأشاروا به ،  
 فكان أول من حشر في الإسلام ، ولقد  
 سأل مالك بن أنس محمد بن شهاب الزهري :  
 لم أخذ عمر العشور من أهل النخعة ؟ . فقال :  
 كان يؤخذ منهم في الجاهلية فأقرم عمر على  
 ذلك . ولكن هذه الرواية غير مسلمة ،  
 والأول أن قول مع أبي حنيفة بن سلام :  
 « وإنما فعل عمر في العشور ما فعل لما  
 أهلته من مصلحته لإيادهم عليه ، ولم يكن  
 شرط عليهم منه شيئاً » وكذلك دهر  
 أبي بكر ، وإنما قمت بلاد العميم في زمن  
 عمر ، فلماذا كان الذي كان (٢) .

ومن السهل علينا أن نلح ما في تشريع  
 العشور من عدالة وحكمة ، فهو أولاً قد نفياً  
 عن المصالح كما رأينا ، فقير المسلمين هم الذين

الإسلام حولاً فإنه يعرض عليه : إما أن يرجع  
 إلى أرضه ، وإما أن يوضع عليه الجزية  
 على رأسه ويكون ذمياً ، لا يقبل منه  
 إلا ذلك .

ولقد كتب زياد بن حدير إلى عمر في أناس  
 من أهل الحرب يدخلون أرض الإسلام  
 فيقيمون ، فرد عليه عمر يقول : « إن أقاموا  
 ستة أشهر غنمهم العشر ، وإن أقاموا سنة  
 غنمهم نصف العشر » (١) .

ولكن الإمام مالك يحدد القول هنا ،  
 إذ يرى أنه إذا حر الذي بالمال والتجارة  
 أخذت منه نصف العشر ، وإن لم يبلغ مائتين ،  
 ويؤخذ منه كلما مر ، وإن مر بماله في السنة  
 مراراً ، وإن ادعى أن عليه ديناً لم يقبل  
 قوله (٢) .

هذا في المال الذي يدخل دار الإسلام  
 أو يخرج منها ، وأما الأموال أو التجارة  
 في الداخل ومن المسلمين فليس عليها شيء ،  
 يقول المارودي :

« وأما أعيان الأموال المتنقلة في دار  
 الإسلام من بلد إلى بلد فحرمة ، لا يبيعها  
 شرح ، ولا يسوغها اجتهد ، ولا هي  
 من سياسات العدل ، ولا قضايا النصفة » (٣) .

(١) الخراج لابن آدم ، ص ١٧٧ .

(٢) الأموال لأبي حنيفة ، ص ٥٣٥ .

(٣) الأحكام السلطانية ، ص ١٩٨ .

(١) الخراج لابن يوسف ، ص ١٣٤ .

(٢) الأموال لابن سلام ، ص ٥٣٥ ، ٥٣٤ .

في الغنينة منهم الخس ، فأدنى ما يجب في المعدن أن يكون مثل ما ينال من العدو ، ومع هذا أن حكم الزرع مخالف لحكم الذهب والفضة ، لأن الزرع إنما يجب عليه الزكاة مرة واحدة حين يحصد ، ثم لا يكون فيه بعد ذلك شيء . وإن مكث عند صاحبه سنين ؛ وإن الذهب والفضة لازكاة فهما عند الفائدة حتى يحول عليهما الحول ، فتجب حينئذ فهما الزكاة ، ثم لا تزال الزكاة جارية عليهما في كل عام ، فأرى حكمهما قد اختلف في الأصل واختلف في الفرع .

وأبين من هذا فيما يختلفان فيه أن الواجب في الزرع من الزكاة العشر أو نصف العشر ، والواجب في الذهب والفضة من الزكاة ربع العشر ، فهذا اختلاف متفاوت شديد<sup>(١)</sup> . وهذا الخس يضم إلى المال العام لقضاء مصالح الأمة ؟

أحمد الشر باصبي

(١) المرجع السابق : ص ٣٤١ .

هرضوا على المسلمين أن يملأوا بالأموال والتجارة مقابل نصيب يدفعونه ، وهو ثانيا تقتضيه المعاملة بالمثل ، لأن غير المسلمين يأخذون نصيبا من أموال المسلمين إذا دخلوا ديار غير المسلمين ، وهو ثانيا يجعل العشور في مقابل ما تقوم به الدولة الآخذة من توفير المصالح العامة ، وتمهيد الطرق ، وحفظ الثغور وغير ذلك .

ويمكن أن نعتبر من الضرائب في الإسلام الخس الذي يؤخذ في المغانم المكتسفة ، وفي الركاز وهو المال أو الممدن المدفون قديما في الأرض وقد قال الحديث : « وفي الركاز الخمس » . ولعل هذا من باب قياسه على الغنينة ، وبمعهم قاسه على الزرع وقال : فيه الزكاة . ولكن ابن سلام رجح قياسه على الغنينة قائلا : « وكذلك هو عندى في النظر . أن يكون بالمعنى أشبه منه الزرع ، لأنه وإن كان يتكلف فيه الإنفاق والتفريق بالنفس فكذلك مجاهدة العدو ، بل الجهاد أشد وأعظم خطرا ، وقد جعل الله

قال الحسن البصري : إن الله جعل الصوم مضياراً لعباده ؛ ليستبخوا إلى طاعته فسبق أقوام ففازوا ، وتختلف آخرون غابوا ، ولعمري لو كشف الغطاء لشغل بحسن إحسانه ، ومسىء بإساءته ، من تجديد ثوب أو تطويل شعر .

مع بنى إسرائيل :

## الزَّعَّةُ الْعِصْرِيَّةُ وَالصَّهْيُونِيَّةُ

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ الرَّحِيمِ فَوْدَه

عشركو كبار الشمس والقمر رأيتهم لمساجدين .  
قال يا بني لا تخصص رؤياك حل لأخوتك  
فيكيدوا لك كيذا إن الشيطان للإنسان  
عدو مبين ، فقد ظهر أن الأحد عشركو كبار  
هم أخوته ، وأن الشمس والقمر هما أبواه ،  
وقد كان من أمر هؤلاء مع أخيه  
ما عافه أبوه وأبوه ، إذ قالوا ليوسف  
وأخوه أحب إلى أيئنا منا ونحن عصبة إن  
أبانا لفي ضلال مبين ، اقتلوا يوسف وأطرحوه  
أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من  
بعده قوما صالحين ، ثم ألقوا أعنام في غيابة  
الجب وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانا  
إننا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا  
فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا  
صادقين . وجاءوا على قيصه بدم كذب قل بل  
سألت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل ، ثم  
صار أمرهم إلى ما صار إليه مع يوسف ،  
فانكشف لهم أمره ، وألقوا إليه أمرهم  
وقالوا : والله لقد آثرك الله علينا وإن كنا  
لخاطئين ، قال لا تريب عليكم اليوم يفراقه  
لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا

إسرائيل هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم  
عليهم الصلاة والسلام ، وكلمة إسرا معناها  
عبد أو صفوة ، وإيل معناها الله ، فإسرائيل  
هو عبد الله أو صفوته ، ولم يذكر يعقوب  
بهذا الاسم مقطوعا عن الإضافة إلى بنه إلا  
في آية واحدة من القرآن الكريم هي قوله  
تعالى : « كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل  
إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن  
تنزل التوراة » ، وقد ذكر الله يعقوب مع  
أبيه إسحق وجده إبراهيم فقال : « واذكر عبادنا  
إبراهيم وإسحق ويعقوب أولى الأيدي  
والأبصار . إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى  
الدار . وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار » ،  
ويفهم من ذلك أنه عليه السلام كان ذا قوة  
وعمل صالح ، وبصيرة نيرة ، وتذكر لما  
في الدار الأخوة ، وأنه كان من الذين  
اصطفاهم الله ومن الأملأه الأختيار الذين  
فازوا برضاه .

أما بنو إسرائيل ، فقد كانوا في مبدأ أمرهم  
اثني عشر رجلا ، كما يفهم من قول يوسف  
عليه السلام لأبيه : « يا أبت إني رأيت أحد



بقها وقثاتها وفومها وعدسها ويصلها .  
تركهم موسى وذهب لتلق التوراة  
فعادوا في غيبته إلى الوثنية . وانخذ  
قوم موسى من بعده من حلبيهم مجلا  
جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم  
ولا يهديهم سيلا اخذوه وكانوا ظالمين .  
اختار منهم موسى عليه السلام سبعين  
رجلا ليقدموا توبتهم أمام الله . فلما رآه  
مخاطب به تمردوا عليه وقالوا : يا موسى  
لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتهم  
الرجفة وقال موسى يدهو وبه وب لو شئت  
أهلكتهم من قبل ولربى أهلكنا بما فعل  
السفهاء منا إن هي إلا قتلتك فضل بها من تشاء  
وتهدى من تشاء أنت ولينا فافقر لنا  
وارحنا وأنت خير الغافرين .

رفضوا أن يقبلوا التوراة ولم يذهبوا لها  
إلا حين رفع الله الجبل فوقهم حتى صار  
كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم .

أمرهم موسى بأن يدخلوا الأرض المقدسة  
فقالوا : يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا  
لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها  
فانا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون  
أنهم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا  
دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن  
كنتم مؤمنين ، قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا  
ما داموا فيها فذهب أنت وربك فقاتلا  
إنا هاهنا قاعدون . قال رب إني لا أملك

فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوا  
بأهلكم أجسين . فسادوا ورجعوا بأهلهم  
أجسين ، وكان ما كان . ورفع أبويه على  
العرش وغروا له سجدا وقال يا أبت هذا  
تأويل رؤياي من قبل قد جعلنا ربي حقا ،  
وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء  
بكم من البدن من بعد أن نزح الشيطان بيني  
وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه  
هو العليم الحكيم .

لقد هاجروا إلى مصر مع أبيهم ليعيشوا  
في ظل أخهم بعد أن جعل أمينا على خزائنها  
ومكن الله له في الأرض . يتقوا منها حيث  
يقام ، ثم حملوا من بعده في خدمة الغزاة من  
أعداء البلاد التي أكرمهم وآوتهم .

رحل الغزاة من أرض مصر ، فبق هؤلاء  
فيها حتى تفاقم شرهم وانكشف أمرهم وطهر  
أنهم جواسيس في عهد رحسيس .

أنجاهم الله من آل فرعون ومن الغرق  
بقيادة موسى عليه السلام فلم يلبثوا حين  
وجدوا قوما يكفون على أصنام لهم . أن  
قالوا لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة  
قال إنكم قوم تجهلون . إن هؤلاء متبرما هم فيه  
وباطل ما كانوا يعملون .

أمدم الله في صحراء سيناء بطعام المرب  
وهو كالصنغ حلو الطعم سهل الهضم .  
والسوى . وهو طائر السابى . فقالوا لموسى  
عليه السلام : لن نصبر على طعام واحد فادع  
لنا ربك يخرج لنا مما تحت الأرض من

فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين .

كان النبي الذي لجأوا إليه يدعى صمويل والملك الذي عين عليهم يدعى «شاول أو طالوت» . فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يلمسه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزهوا والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملافر الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ياأذن الله والله مع الصابرين .

لم يتصر جيش طالوت على جيش جالوت كما يذكر المفسرون والتاريخ . فقد روى أن الجيوشين اتفقا في عدة معارك فلم يرجع فيها جانب على جانب ، فبرز جالوت يتصدى ويتحدى ونادى طالوت ليخرج إلى مبارزته على أن يكون للفاتل مملكة المقتول ، فتهيب طالوت لقاءه . ولم يهرق على مواجهته . ونادى في عسكره من قتل منكم جالوت زوجته ابنته وجلسه شريكاً في ملكي . فلم يهرق واحد منهم كذلك على لقاء جالوت ثم حدثت المسجرة . فقد ذهب شاب صغير إلى أخوته وهم يحاربون مع طالوت . وسمع بما وقع من جالوت : فقدم إلى طالوت وطلب منه أن يأذن له بمبارزة هذا الجبار

إلا نفسي وأخى فافرق بينا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها حرمة عليهم أربعين سنة يتيمون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين .

آل أمرم بعد وفاة موسى وهارون إلى قتاه يوشع ابن نون فسار بهم إلى الأرض المقدسة بعد انقضاء المدة التي كتب الله عليهم أن يقضوها تائبين ، ودخل بهم القرية التي أمرهم الله أن يدخلوها ويستغفروه حين يدخلون بابها عاشعين عاضعين ، فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ، وعاقبهم الله بالوباء . كما يفهم من قوله « فأزلنا على الذين ظلموا رجلاً من السماء بما كانوا يفسقون » .

اشتبكوا مع جيرانهم الكنعانيين والمديانيين والفلسطينيين والآراميين في نزاع دائم وحروب متصلة فلم يدعهم أولئك وهؤلاء يطمثون في الأرض التي نزلوها واحتلوها ثم دارت عليهم الدائرة في أسدود بالقرب من غزة . وأخذ منهم التابوت ووضع في معبد «داجون» لجمعا شتات فلو لم المنهزمة . واستجمعوا شجاعتهم المتورمة وقالوا : لنبي لم ابث لنا ملكاً قاتل في سبيل الله . قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا . قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبناتنا

وقد عظم أمر هذا الملك في عهد سليمان عليه السلام . وكان ذلك استجابة من الله لدعائه إذ قال : « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب » .  
بدليل قول الله بعد ذلك : « فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد ، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » . وبدليل قول الله في موضع آخر : « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها وأسلنا له عين القطر » ، ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب ، وقدور راسيات احملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور » .

وقد امتاز هذا الملك بعد موت سليمان ، وعاد بنو إسرائيل إلى ذل الأسر والقتل ، فعدا عليهم يختصر وساقهم أسرى إلى بابل ، ثم عادوا إلى فلسطين ليقمروا في قبضة اليونان ثم في قبضة الرومان .

وكان طيبيما . لو كان الأمر عندهم منطق حق وطبيعة سليمة . أن يرجعوا بالإسلام ، ويؤمنوا بنبية عليه السلام ، لأنه جاء مصدقا لما معهم ، ولأنهم كانوا يمجّدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل بأمرهم بالمعروف

الذي يتحداه ، ولما أذن لهو قدم له ما يحتاج إليه من فرس وسلاح ودرع لم يقبل وقال : إن لم ينصرنى الله قلن يغنى عن هذا السلاح شيئا . ثم أخذ مقلعه وتوجه إلى جالوت ، ولما أبصره جالوت أدخل الله في قلبه الرعب منه . هل ما كان يتمتع به من بأس وقوة . فقال له : أتقتل بالمخلاق كما تقتل الكلاب ؟ قال داود نعم : وقدته بحجر أصاب جبهته ، ثم وثب عليه واتزح منه السلاح وجزبه رأسه وبذلك كانت الهزيمة وكان ما يحكيه الله بقوله : فهزمهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الملك والحكمة وعله بما يشاء .

والتأمل في قول الله « وآتاه الله الملك والحكمة وعله بما يشاء » ، وقوله : « ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبي معه والطير ، وألنا له الحديد ، أن احمل سابقات وقدور السرد » . وقوله : « واذكر عبيدنا داود ذا الأيد إنه أواب ... وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » . التأمل في هذا وغيره يدرك أن هذا الملك الذي أسلم بنو إسرائيل : كان ملك داود لا ملك بنو إسرائيل .

وكان بمحجرات وخوارق سماوية ، لا بمجهود المعاصيات الإسرائيلية .

وكان ثمرة نبوة مؤيدة من السماء ، لاثمرة لهذه الشجرة التي تعرف باسم بنو إسرائيل .

« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » . ولا شك أنه كان منهم أمة كما يفهم من قول الله « وجعلنا منهم أمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكاثروا بآياتنا يوقنون » ، ولا شك أن الله أنعم عليهم وآتاهم ما لم يؤث أحداً من العالمين ولكنهم لم يقابلوا النعمة بما يلزمها من شكر ، بل كان منهم الفدر والكفر كما أشرنا فيما ذكرنا ، ومن ثم كانت نهاية القرآن بأمرهم وبأخبارهم ، ليكشف للناس طويام وسوء نواياهم حتى يحدروهم فلا يفعلوا في شباكهم وشراكمهم فإنهم كما يقول الله « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض » ، وكما يقول « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين » .

### الفرقة النصرانية :

والفرقة النصرانية سمة لازمة لبني إسرائيل ، وقد بقيت طابعمهم الغالب على حياتهم حتى بعد أن أصبحوا أجناساً كثيرة كما يذكر الدكتور محمد عوض في كتابه الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، إذ يقول : والذين يزعمون أن اليهود جميعاً من سلالة إسرائيل قلبا يقولون لحظة واحدة لكي يذكروا أنه لو أن هذا الوم صحيح لكان اليهود في جميع

وبيناهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، ويتوهدونهم بأنهم سيحاربونهم مع نبي آخر الزمان الذي أظلمهم أوائه ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » .

وقد حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم كما حاولوا قتل عيسى ، وقتلوا كثيراً من الأنبياء بغير حق وكانوا كما يقول الله لم « أفعلنا بكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون » .

### الموضح العامة :

هذه الأحداث والمواقف تعطينا صورة عن بني إسرائيل . وتكشف لنا الملامح العامة لطبيعتهم ومنهج حياتهم ، وسلوكهم ، وهي إلى ذلك تكشف عن خبث الطوية ، وسوء النية ، والفساد ، والمكر ، فإذا كان أصلهم لإسرائيل . من الأبطال الأخيار الذين اصطفاهم الله ، فإنهم بالنسبة إليه كما يقول الله « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » ، ومن ثم كان خطابه لهم بجملة « يا بني إسرائيل ، نأنيبكم وتثريباً عليهم ولا شك أن منهم الأخيار ولكنهم قليل بالنسبة إلى الأشرار كما يفهم من قوله تعالى

تقوم عليها مدينة القدس وهيكل سليمان - فكان من ذلك . الصهيونية .

والنزعة النصرانية قد تكون فطرية أو ميولا طبيعية ووطنية ، ولكنها إذا انحرفت إلى الشعور بالغرور والكبر وما ينشأ عنه من ظلم وجود كانت مصدر شر وفساد كبير ، وأول مثل لذلك موقف إبليس مع آدم ، فقد أبى أن يسجد له مع الملائكة امتثالا لأمر الله ، ثم كان جوابه حين سأله ربه : ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ، هو قوله : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، .

ويظهر أن إبليس لم ينجح مع قوم كما نجح مع بني إسرائيل ، ومن ثم جاء الحديث إليهم عقب الحديث عنه وعن موقفه مع آدم ومع ربه في مطلع سورة البقرة ، لأن الحسد طبعته فيهم كما كان منه ، ولأن الكيد والمكر . والآنانية والنزعة النصرانية - وهي صفات وتمرأشيطانية - ، تبدو فيهم كما بدت منه . وسنعرض لذلك بتفصيل قليل .

عبر السرميم قودة

أنحاء العالم متشابهين في السحنة والمنظر والتقاطع ، لأن قانون الوراثة يقضى حتما بأن الفروع تشبه الأصل وتشابه فيما بينها تشابها شديداً ، ولو نظرنا إلى اليهود في مختلف أقطار العالم اليوم لوجدنا بينهم الشمر ذوى العيون الزرقاء والشعر الأصفر ، ورأينا بينهم السمر ذوى الشعر الجمعد في هضبة الحبشة ، والسود في جنوب الهند ، والصفر المغول في الصين ، ورأينا بينهم الطوال القامة ، والقصار ذوى الرؤوس الطويلة والعريضة ، ويوشك ألا يكون هناك اختلافات بين السلالات البشرية أكبر مما نجد بين الجماعات اليهودية في مختلف القارات وليس مما يقبله العقل أن تكون هذه الطوائف كلها من سلالة جنسية واحدة .

ولكن النزعة النصرانية جعلت من شريعة الله التي جاء بها موسى شريعة يهودية وجعلت من الأجناس المختلفة التي اعتنقت هذه الشريعة جنسا واحداً يهودياً ، وربطت مشاعر اليهود على اختلاف ألوانهم ومواطنهم بصهيون - وهو قل من التلال التي كانت

## من اعلام المسلمين في الهند ، مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد النعم النمر

- ٣ -

وحدث في مقال السابق أن أقدم نماذج من مرافعة مولانا آزاد أمام القضاة الإنجليز الذين يحاكمونه بتهمة إثارة الشعب ضد الحكومة ومقاطعتها ، وكان قد أمضى في المعتقل أربع سنين أيام الحرب الأولى وأفرج عنه في يناير سنة ١٩٢٠ ثم لم يلبث أن اعتقلته الحكومة في ديسمبر سنة ١٩٢١ ووجهت إليه التهمة السابقة وكانت حركة العصيان المدني على أشدها وسبق إلى المحاكمة . وأمام القضاة الإنجليز وقف وألقى أروع مرافعة عرفها التاريخ .. ويشهد الله أنني منذ اطلمت على هذه المرافعة وأنا مأخوذ بقوتها وروعها .. ذلك أنني لم أطلع - فيما اطلمت عليه من أقوال الزعماء المسلمين وغير المسلمين - من وقفوا موقف مولانا آزاد - لم أطلع على ما يماثلها من قريب أو بعيد ، وقد بلغ من إعجابي بها أنني حرصت على أن أطلع عليها ما استطعت من أصدقائي وأنا أحس ارتياحا وسرورا لاطلاعهم عليها ومشاركتهم لي في الإعجاب بها .. ومن أجل هذا وجدت صعوبة شديدة

وحرجا كثيرا وأنا أحاول اختيار نماذج من هذه المرافعة لأقدمها هنا تحقيقا لوعدي فكل موضوع فيها بل وكل سطر يعتبر نموذجا رائعا يسرني أن تقرأه وتحس ما أحسه من إعجاب وسرور .. وهي تقع في نحو أربع وأربعين صفحة حادية ، فإذا اختار منها وماذا أدم حتى أرضى بعض رغبتي ؟ وهل أقدم لك المقال المحدد الصفحات من نماذج أقتلها ؟ وماذا يكون لي إذن من مجهود ؟ ولكن هذا هو الحرج .. ولكني واثق على كل حال أنك بعد أن تنتهي من قراءة هذه النماذج ستعيش في جو الإعجاب بها وتنسى أنني شغلتك بقول قتلها إليك ، بل إن الشوق سيقتد بك إلى طلب المزيد منها أو الاطلاع عليها كاملة ، وأستطيع أن أقدم لك من الآن وهذا بالاطلاع عليها كاملة في الكتاب الذي سأطبعه قريبا من المسلمين في الهند في ظل الاستعمار البريطاني وجهودهم في حركة التحرير .. وقد طالت المقدمة فيها بنا إلى الموضوع .. بدأ مولانا آزاد مرافعته فقال :

ولما أحضرت فيها ورأيت الحكومة تقدم لإثبات جريمتي ، الخطبتين اللتين أقيمتا في بعض مجامع ، كلكتا ، وهما لا يحتويان على جميع الأمور التي ما ذلك أكررها في جميع خطبي ورسائلي ومقالاتي التي تعدو الحصر ، والتي إن قدمت لها كانت أضع لمقصدها ، علمت أنها عاجزة حتى عن تهيئة ذلك المسقند الذي يعتبر في مثل هذه الأيام كافيا لإزالة العقاب ، مع شدة رغبتي وحرصها على بحتي ، ولذلك غيرت مقصدي وقلت إن العلة التي كانت مانعة من الكلام أصبحت موجبة له ، فأردت أن أثبت بلساني الأمر الذي لم تستطع الحكومة إثباته مع عليها به ، وشدة رغبتي في إثباته ، وإني أعلم أن قوانين المحاكم لا توجهه علي ، ولا تعطرنني إلى الاعتراف به من تلقاء نفسي ، ولكن قانون الحقيقة فوق هذه القوانين الوضعية ، وهو الذي يسوقني إلى ما سأقوله ، إذ ليس من الحق أن نذر شيئا مستورا لأن الخصم لا يستطيع إثباته .

ويستمر في مراجعته فيقول :

ليس يبدع أن تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جنائية في عهد الاستبداد ، وأن يكون عاربه وجوده الباطل جناة وأثمة وأهلا لعقاب الشديد . وما دام الأمر كذلك فإني أعلن على مسمع من الحكومة والمحكمة بأنني

« أيا القضاة ، إني كنت عازما على ألا أقدم للمحكمة بياناً ما لأنها مكان لا رجاء لنا فيه ، ولا طلب منه ، ولا شكوى إليه ، وإنما هي كنسج الطريق إلى المنزل لا بد من قطعه للسابل ، ولذا تقف فيه وقفة على كره منا ، ولما لمدخلنا السجن تواء ، ونطوى بعض الصفحات فتجده يقول للمحكمة بعد أن سرد تاريخ المحاكمات والذين وقفوا في قفص الاتهام من الأبرار والفجار يقول :

« وإني إذ أتدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف ، وأراني قد شرفت بالوقوف فيه ، ويسبح روعي بحمد الله ويلهج لساني بشكوه من غير قصد مني ، وهو وحده يعلم ما أجده من الجذل والابتهاج ، إذ أحسبني في هذا القفص محودا للوك والسلاطين العظام ، فأين لهم في قصورهم المريحة تلك المسرة والراحة التي يرقص لها قلبي في صدري . وباليك الإنسان النافل العاكف على هواء يشعر بنفحة منها ، وإني أقول حقاً إنه لو أدركها الناس لتمنوا المثل في هذا المكان ، ولتذروا الثور من أجله .

ولا يترك وقتاً يمر بعد هذا الكلام حتى يقدم الدليل عليه ... الدليل الأقوى على إدانته بعد أن غاب عن ذهن الحكومة التي تحاكمه فيقول :

« إني كنت عازما على السكوت في المحكمة ،

أب الناس كلهم متساوون في الإنسانية ، متساوون في الحقوق إن الإسلام أعلن حقوق الإنسان قبل ثورة فرنسا بأحد عشر قرناً وليس مجرد إعلان بل وضع نظاماً عملياً للديموقراطية الحقبة بالغا في الكمال منتهاه .

إن الإسلام ينهى المسلمين عن قبول حكومة إسلامية لم تشكل برأى الأمة وانتخابها ، فإذا يكون موقفهم - إذن - من هذا الحكم البيروقراطي ، الأجنبي ، وهب أن تقوم الآن في الهند حكومة إسلامية على نظام شخصي أو تكون مستبدة فإن الإسلام يوجب على أن أسميها أيضاً ظالمة وجائرة ، وأسمي لإسقاطها وإزالتها كما أفعل الآن .

ولعمري إن مطالبة المسلم بأن يسكت عن الحق ، ولا يسمى الظلم ظلماً ، مثل مطالبة بأن يتنازل عن حياته الإسلامية ، فإن كنتم لا ترون لأنفسكم أن تطالبوا أحداً بأن يرند عن دينه ، فليس لكم أن تطالبوا مسلماً بأن يمتنع عن قوله العظيم إن أعظم لأن معنى كلنا المطالبين واحد ، إن التصديق بالحق وإعلانه عنصر ضروري للأمة الإسلامية ، فإن فصل عنها فقد أكبر ما تتناز به ، ويمضى في مراغمة العظيمة من سمر وتقديس الحرية وتضحيات المسلمين في سبيلها فيقول :-

« إن المسلم يتحتم عليه ألا يتنفع في إعلان الحق ، ولا يبالي في أداء فرضه بحصية وابتلاء ،

أنا قد ارتكبت هذه الجناية ارتكاباً واقترقتها اقترافاً ، وأنتى من أولئك الجناة الذين بذروا هذه الجناية في قلوب أممهم ، ووقفوا حياتهم على سقيها وتسميتها وتسميرها . »

ثم يمضى في صراحته وجرائه المنقطعة النظير فيقول :-

نعم إنى قلت إن الحكومة الحاخرة ظالمة ، وإن لم أقل هذا فإذا أقول يا ترى ، وأيم الله إنى لا أعجب كيف يطلب منى أن أسمى شيئاً بغير اسمه ، وأن أدهو الأسود بالأبيض ؟ إنى مادمت أعتقد أن هذه الحكومة من أولها إلى آخرها شر فكيف أدهوها وأقول دوى ولا تصلحى ؟ .

وأمام قضائه الانجليز يقف معتداً بدينه وإيمانه ويلقى عليهم درساً من نظرية الإسلام الذى يدين به إلى الاستبداد فيقول :-

إنى مسلم ، ولانى مسلم ووجب على أن أتدد بالاستبداد وبقبحه ، وأشهر مساويه ، ولعلم أن الإسلام لا يعترف بالحكومة الشخصية ، وإنما جاء ليرد إلى النوع الإنسانى حرية المنصوبة التى كان قد اغتصبها الملوك المستبدون الذين كانوا يعتقدون أن الحقوق للقوة والفساد والقهر والغلبة ، ولكن الإسلام بمجرد ظهوره أعلن إن الحق ليس فى القوة ولا هو القوة ، بل الحق هو الحق وأنه ليس لأحد من البشر أن يستعبد هباد الله ويذلهم ويستخرم ، وبين



الظالمين بظلمهم ولا يخافون الحاكم ولا نائبه ويتقبلون الموت في سبيل الجهر بكلمة الحق ضد هؤلاء السلاطين المسلمين ، وسرد من هذا التاريخ أمثلة رائعة ثم قال : -

فإذا كننا نحن المسلمين نعامل حكومتنا الإسلامية هذه المعاملة حينما تكون ظالمة فإذا برجوه من أعمال هذه الحكومة الأجنبية ؟ وهل تكون الحكومة الانجليزية الهندية المتسلطة علينا بالقوة أكرم علينا من الحكومات الإسلامية التي تقبّر طاعتها واجبة علينا شرعا ودينا ؟ ، وهل دولة الملك جورج الخامس ونيابة اللورد ريدنج ، حاكم الهند ، أكرم علينا من خلافة عبد الملك بن مروان ونيابة الحاج بن يوسف الثقفي ؟ ولو غضضنا الطرف عن الفرق الشرعي العظيم بين الحكومة الأجنبية غير الإسلامية ، والحكومة الوطنية غير الإسلامية ، والحكومة الوطنية الإسلامية وأنزلناها منزلة واحدة ، أفلا نقول في حكومات ، جيمس فورد ، وريدنج <sup>(١)</sup> ما قلناه في حكومات الحاج وعلاء القسري من قبل ؟ قد قلنا يومذاك : اتق الله فقد ملأت الأرض ظلما وجورا ، وهذا هو الذي نقوله لكم اليوم ، ولا يزال نقوله حتى يزول الاستبداد أو نزول نحن من الوجود ، ويستمر في جرأة المؤمن الواثق بربه يبين لهم ما كان يجب على المسلمين

بل يصدر به حينما كان ولولا قى دونه الخيام . وتصير هذه الفريضة أوكد وأوجب عندما يسود الظلم والجور ويمنع الناس من إعلان الحق بالعنف والشدة ، إن التوحيد أساس الإسلام وقلب رحاه وهو يعلم المسلمين أن الحرف والخشوع لا يكونان إلا لله الواحد وأن من يخشى غير الله فهو مشرك به وجاعل غيره أهلا للخوف والطاعة وهذا مالا يجتمع مع التوحيد أبداً .

وإن الإسلام من أوله إلى آخره دعوة عامة إلى التضحية والبسالة والجرأة والاستهانة بالموت في سبيل الحق وقد أبيضت من الدهر ولم تر مثل هذه الضحايا الكثيرة العظيمة التي قدمتها الأمة الإسلامية في كل دور من من أدوار حياتها في سبيل إعلاء كلمة الحق ، وتراجم حياتها ومشايخها وساداتها تنبئ عن هذه الضحايا .

وألقتلتم الحكومة قانون ( ١٢٤ ) من العقوبات الهندية ولا يرد من دينه وأداء فريضته ، إذ أكبر عقاب في هذا القانون حبس المرء طول حياته ، والمسلم يرحب به ويتمناه إن كان لا بد منه في سبيل الحق .

ويمضي الرجل العظيم في مراقبته غيرد لهم تاريخ المسلمين الأول في ظل الحرية ، وتاريخهم في ظل الملوك والولاة المستبدين من بني أمية والعباسيين وكيف كان العلماء والعوام يجاهون

الشهادة ، وألا يقول للظالم إنك ظالم لأن قانون ١٣٤ يعاقب عليه ١١ .

« ولست أفكر أن المسلمين أنفسهم مسئولون عن هذا الانقلاب الغرير وتسلط الأجانب عليهم ؛ لأنهم قد فقدوا خصائص الحياة الإسلامية وكسبوا جميع وذائل العبودية حتى أصبحوا بمهالتهم هذه أكبر فتنة للإسلام ... ولكن سوء حال المسلمين لا يسود ناصية التعاليم الإسلامية البيضاء المصونة بين دفتي الكتاب الحكيم ، والى توجب عليهم أن يجهوا أحراراً أو يموتوا كراماً وليس بينهما سبيل .

ثم يلخص موقفه من الحكومة في هذه الكلمات القليلة : « إن اعتراقاتي في هذا الباب جلية وصرحة وإني أعتبر الحكومة الحاضرة المستبدة حكومة غير شرعية ، وعندما محضاً في عين الحق والقانون ومئات الملايين من أبناء البلاد .

ثم يصف هذه الحكومة كما يراها الملايين فيقول : « لقد رأوا جراتها في سحق الحق غير فلية وممتها في لبس الصدق بالإفك غير ، كلية ولسانها في تكذيب الحقائق غير هي ولا متلثم » .

ثم يعبر مرة ثانية وثالثة ورابعة عن رأيه في هذه الحكومة فيقول « يا ليت شجرى إن لم أقل لهذه الحكومة ، إنك ظلة فاما أن تتوب

أن يفعلوه تجاههم ، وكيف أنهم كانوا متساهلين مع أعدائهم فيقول : -

« إن الشريعة الإسلامية سمحت للمسلمين خطئين إذا ظلموا : خطئة ضد استبداد الحكومة الإسلامية ، وخطئة ضد استبداد الحكومة الأجنبية ، فالأولى تنحصر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . أما الثانية فليس إلا السيف والحرب العوان وضرب الرقاب . . . ولقد كان يجب على المسلمين في الهند الآن أن يتخذوا الخطوة الثانية فيحاربوا الحكومة الإنكليزية بالسلاح ويتفانونا في جهادهم ، لكنهم آثروا الأولى . . وأعلنوا أنهم يقاطعونها ولا يتعاونون معها ، أي أنهم يعاملونها كما كانوا يعاملون الحكومات الإسلامية الجائرة . . فلا كان يجب عليها أن تفكر في صيغتهم وتساعدهم معها ؟ .

لحسبهم أنهم يعاملونها كعاملتهم لحكوماتهم الإسلامية .

« ولاني هنا أقول حقا إنه لا يؤلمني أبداً أن أرى الحكومة عازمة على معاقبتي ، وإنما لا تحاكني إلا الترحي في السجن إذ أن هذا أمر لا بد منه ، وإنما الذي يؤلمني فيفتت كبدي هو أن أرى الحالة تنقلب انقلاباً تاماً ، فبدلاً من أن ينظر من المسلم صدق اللهجة والقول الحق يطلب منه السكوت عنه وكتان

وقال : « إنني أدهو ببيع مؤلّا بدعوة في الإسلام صلى الله عليه وسلم لقومه : اللهم أحد قومي فإنهم لا يعلمون . »

وبعد ذلك وجه كلامه إلى القاضي فكان أرواح من كل ما قال :

وأنت أيها القاضي ماذا عساي أن أقول لك إن أقول لك؟ إن أقول إلا ما قاله المؤمنون قبل في مثل موقعي هذا ، فأخض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إن الحكومة ما دامت فاسدة فلا وجه في صلاحها . .

إني أختم مرافعتي بكلمات لفقد إيطاليا وشهيد الحق « فاردينو بروثو » الذي كان ينف مثلي أمام المحاكم فقال « عاقبوني بأكثر ما بمنكم أن تعاقبوني به » أيها القاضي ... لقد طال الحديث وآن أوان الوداع وإن ما يدور بيننا الآن سيحطه التاريخ ويعتبر به المعتبرون ... فعمل بنا ففرغ من هذا العمل الذي سيكون عبرة وتذكرة للآيتين ، فالتورخ ينتظرنا ، والمستقبل يتربق فراغنا ، لنسرع في الحجى إليك ، ولتسرع أنت في القضاء علينا ، وإن هذا العمل لا يطول قليلا حتى يفتح باب المحكة أخرى ، وتلك المحكة محكمة قانون الله والحق ، الزمان يقضى فيها ويكون قضاء حكما وحكمة نافذا . .

أخى . . ما أرواح ما نقلته لك وما أرواح ما تركته كذلك وحضاق به فطابق الخصال ( البقية على الصفحة التالية )

أو تزول . . فإذا أقوله ؟ أفا كذب وأقل لها ، لا بل إنك عادية فلا تتوبى ولا تزول ؟ لعمر الله إن هذا لن يكون أبدا ... وهل يستحق الظلم أن يبدل اسمه أو يسمى بغير اسمه لأنه يملك القوة والمجون والمشاق ؟ كلا بل أقول كما قال رائد إيطاليا وبطل حريتها « مازينى » : « مرة هبني في هذه الجناية » .

ويسير البطل المسلم الهندى في طريقه إلى القمة حتى يثبت أقدامه عليها ، ومن قته هذه يقول لقضائه الانجليز : -

« إن كانت محتويات هاتين الخطبتين اللتين أحاكم من أجلهما لا تلائم الحكومة وتروانى أستحق العقاب لأجلهما تحت قانون ١٢٤ فلم لا تعاقبني على جميع خطبي وهى كلها مثلها بل أشد وطأة على الاستبداد منها ، بل إنى مضطر هنا إلى التصريح أمامكم بأننى ارتكبت هذه الجناية مرارا يستحيل عدها بل ما عملت في السنتين الماضيتين غير هذه الجناية ، وهما الستان اللتان خرج فيهما من السجن ... »

« لقد قلت في هاتين الخطبتين : إن الحرية لا يثبت نبتها ولا تستوى على سوقها إلا إذا سقيت بماء الظلم والقهر . وهما هى ذى الحكومة قد أخذت تسقيها بظلمها وقهرها . . ثم وجه كلامه في آخر مرافعته إلى الشعوب والنائب العام من أبناء وطنه ولم يكذبهم ولكنه وبجهم لمساعدتهم للحكومة المستبدة

# هَدَى الْقُرْآنُ فِي إِصْلَاحِ الْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ

لِلأَسْتَاذِ مِنْشَاوَى عَيْتُودَ

إذا تطلع القادة الراشدون إلى منهج إصلاحى سديد يقوم الأفراد ويجعل منهم لبنات قرية صالحة في بناء مجد الأمة ويكون مجتمعا مثاليا فاضلا فإن أسير السبل وأقومها لبلوغ تلك الغاية الكريمة مداوسة القرآن الكريم والاستمسك بهديه القيم إذ هو المنهل العذب الذي يروى ظمأ القلوب ، ويوفر لها ما تصبو إليه من حكمة وسداد ، والنور المبين الذي يشرق على العقول فيمحصها من الأفكار الطائشة والمذاهب الهدامة ، ويعمرها

بالهداية والعرفان ، ويدفع أصحابها إلى الصراط المستقيم . والسلوك القويم . ويوجههم إلى الإنصاف بأكمل الحالات وأفضل الخلال وأصاح الأهمال مشجعا لهم على ذلك بما يتظلم من أجر وفير وعطاء جزيل : « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا » (١) .

(١) سورة الإسراء .

( بقية المنشور على ص ٨٣١ )

ما أروع ما قاله هذا الزعيم المجاهد المسلم الذي أعاد لنا في العصر الحديث أجداد أمثال له في تاريخنا القديم جهروا بالحق ولم يخشوا إلا الله . . وما أخرجنا وأخرج المسلمين وبخاصة شبابهم - موضع الأمل والرجاء فيهم - أن يقرءوا مثل هذا ويحفظوه ويعمره ويكون لهم غذاء وقيمة روحية ينطلقون بها في مضمار الحياة يحطمون أغلال الظلم

ويذكرون أسوار الاستبداد وينطلقون بأهمهم من حياة الظلام والظلم إلى النور . . إلى الحرية . . إلى الحياة الإنسانية إلى الحياة الإسلامية . . ما أحلاها . وما أسعد الذين يعرفونها ويقعدونها ويعيشون لها وفي ظلها أحراراً شرفاء كراماً أعزاء . .

( الحديث موصول )

عبد الغنى النمر

ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف وصفت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت <sup>(١)</sup> ، ، وهذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين <sup>(٢)</sup> ، ، إلى غير ذلك من الآيات التي تهدي المسترشدين وتزيدهم تبصرة وذكرى وإيماناً بربهم وإجابة إليه وثقة به وتوكل عليه .

والقرآن يهدي التي هي أقوم في العبادات فيأمر بك بأدائها عاشعاً لربك . مستحضراً في نفسك أن تعبدك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . وهل يسمع المؤمن قول العالم الحكيم صاحب القهر والسلطان : إن الله كان عليكم رقيباً ، <sup>(٣)</sup> وقوله : ألم يعلم بأن الله يرى ، <sup>(٤)</sup> ثم لا يحاول أن يعمر قلبه بجلال الله وعظمته . وخشيته وسلطوته ؟

إن هذا الخطاب الإلهي سيأخذ حتماً بمجامع قلبه ويدفعه إلى امتثال أمره . والحرص على مرضاته والتزود من طاعته حتى تكون العبادة خلقاً ومنهاجاً ، والإخلاص في أدائها غاية وأمثلاً .

هدى القرآن التي هي أقوم في تنظيم المجتمع وتوثيق الصلة بين أبنائه فأحكم الرابطة بين

وما من شأن من الشؤون يتعلق بالفرد أو المجتمع إلا ويهدي القرآن فيه إلى ما كان أعظم نفعاً وأوفر رشداً ، وأزكى عاقبة ، وأهدى ميلاً .

ففي العقيدة يهدي التي هي أقوم بتطهير النفوس من دنس الشرك ، ووجس الوثنية ويخلصها من الخضوع لغير بارئها الذي خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وأوجد فأبدع .

وفي الخضوع لله وحده تكريم للإنسان وتقدير لأدميته ، وسر يافسانيته ، وتشريف له يجعل لإثباته محتسباً بمصدر الوجود والإنعام .

ولا يخفى ما لهذه العقيدة الرشيدة من أثر جليل في احتفاظ المؤمن بمرته وكرامته ومراقبته لربه في جميع الأحوال والتصرفات ، ومن راقب ربه قلن تطوف بذهنه خواطر السوء ، ولا تلج إلى قلبه نزعات الشر ، وحرص على التزود من القول السديد والعمل المجيد .

على أن القرآن لم يكره الناس على هذه العقيدة لإكراهها بل هدى في الدعوة إليها أيضاً بالتي هي أقوم فلفت الأنظار إلى ما أودع من الدلائل في الأنفس والآفاق وما تشهد به الفطر الصافية والألباب الواضحة : وفي أنفسكم أفلا تبصرون <sup>(١)</sup> ، ، دأفلا

(١) - سورة الشاعية .

(٢) - سورة لقاد . (٣) سورة النساء .

(٤) - سورة النلق .

(١) - سورة الذاريات .

المشكلة ينجم عنه خطر داهم وشر مستعير يحتاج الأمة . ويقضى على بنائها من القواعد وحسبك شاهدا على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ( اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم ) (١) .

ولرعاية المجتمع أيضا شرع القرآن المعاملات بين الناس تيسيرا لمصالحهم وتمهيدا لرغبتهم في المعاوضة والمبادلة . وهدى فيها لثى هي أقوم فوضع لها أسساً قوية تنتج المقصود من شرعيتها مع المساواة بين الطرفين في صيانة حق كل منها وببادل المودة والثقة بينهما فأمر بالتعاون والتناصح ونهى عن الغش والخيانة وحرم أكل الأموال بالباطل وبالغش والتحذير من الربا والتخويف من سوء عاقبته . فكشف عن حقيقته وبين أنه خداع براق يضر ظاهره وهو في الواقع مجبة للخراب والدمار ومحول هدام يقضى على النظام الاقتصادي ويحبط الثروة ويجعلها مضيعة تذرؤه الرياح قال تعالى: « يحق الله الربا » (٢) وتوعد آكله بأشد أنواع الويل والثبور حيث جعلهم معرضين للحرب من الله لا قبل لهم بها ولا طاقة على احتلالها فقال - جلّت حكمته : « يأياها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم

الأغنياء والفقراء فأقامها على أساس من العدالة والتكافل الاجتماعي والرعاية الحازمة فاحترم ملكية الغنى لئلا لكنه أوجب فيه حقاً للفقير بقى بحاجاته ويوفر له الحياة الكريمة قال تعالى: « والذين في أموالهم حق معلوم . السائل والمهرور » (٣) وقد سمي القرآن هذا الواجب حقاً تكريماً للفقير واحتراماً للمعوزة وتوفيراً لمرتته . وتبيننا له أنه لا يأخذ صدقة أو منحة وإنما يتقاضى حقه الذي كان مدخراً له عند غيره . كما أن في هذه التسمية أيضاً إعلانياً للفنى بأن هذا المقدار الذي تعلق به حق الفقير تلزم المصارعة إلى إخراجه . ولا يجوز التسويف في أدائه . أو التهاون في الوفاء به . وبذلك ينعم الجميع بالعيش الرغيد . والحياة الباسمة . ويقادرون المودة والصفاء . ويصبحون بنعمة الله إخواناً ينافسون في العمل لحق المجتمع وإسعاده .

هذا وقد عني القرآن الكريم بمشكلة المعوزين والكادحين عناية فائقة لم تظهر بمثليها في تشريع ما يدل على هذا ما تجده ما تلاقى الكثير من آياته وسوره من ذكر الفقير والمسكين وتحريك القلوب للعناية بهما والاهتمام بشأنهما . وإنما سارع القرآن إلى علاج هذه المشكلة لأن علاجها في الواقع أنجح وسيلة لصيانة المجتمع وتوفير أمنه وهنائه . وإغفال تلك

(١) رواه مسلم

(٢) - سورة البقرة .

(٣) سورة المارج .

قد أرشدت الآية الكريمة إلى فضيلة البر بهم والبرام العدل معهم وختمت ذلك بما يجعل النفوس مسارعة إلى الامتثال توافقة إلى تحقيق تلك الأهداف الرشيدة حيث جعل العدل مع هذه الطائفة مرجعا للظفر بحجة الله وحظيم مثوبته - وليس أروع من هذا في إشعال جذوة الخاس إلى القيام بالواجبات والإحسان في أداؤها وضمن الحقوق وحياتها.

والسر في أن الواجب علينا نحو تلك الطائفة ورد التمييز عنه في الآية بعدم النهي هو أنه ربما يطوف بالأذهان أن مخالفة هؤلاء الناس في الدين تعطر البر بهم وتسوغ الاستخفاف بحقوقهم. تجلت الآية الحكيمة على هذا الأسلوب للرد على ما عساه يحظر بالبال مبدية أسباب الحكم علينا بوجوب البر بهم والعدل معهم .

وما أوسع ما تدل عليه كلمة البر والعدل من صور كريمة ومظاهر رائعة .

يهدى القرآن الأمة الإسلامية إلى الحالة التي هي أقوم في تنظيم علاقتها الدولية بغيرها فيأمرها أن تحصن بالسلاح والقوة التي تهرب أعداءها وأن تبنى بالمراقبة وحماية الثغور والحدود ومداخل العدو لتميش الدولة آمنة مطمئنة لا تمتد إليها يد الطامعين ولا تتحرك لها قلوب المستعمرين قال تعالى:

حُذِرْتُمْ . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَرْحَبٍ مِنْ اللَّهِ . (سورة هود ١١) .

يهدى القرآن إلى التي هي أقوم في محاسنك الأمة وتناصرها وتوحيد كلمتها وإعلاء شأنها وإبقاء هيبتها في نفوس أعدائها وجعلها منيعة الجانب مرهوبة السلطان فدعا إلى الوحدة والوئام وحذر من الفرقة والانقسام فقال عز شأنه : ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين (٢) .

ولتوثيق عرى الاتحاد والتآزر بين جميع عناصر الأمة تعرض القرآن لمعاملتنا مع قوم خالفونا في الدين ولكنهم رضوا بالإقامة في ظل الإسلام وحمايته على أن يلتزموا معنا خطة المسالمة فلا يعلنوا علينا حربا ولا يظاهروا عدوا يقاتلنا وتتعاون نحن وهم على جلب الخير ودفع العدوان وأخذ كل فريق منا على صاحبه بذلك هذا مؤكدا وميثاقا غليظا - والقرآن يهدينا في شأن هؤلاء التي هي أقوم فيقول : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤم وتسخطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٣) .

(١) سورة هود .

(٢) سورة الأنفال .

(٣) سورة الممتعة .

هذا عرض القرآن لموضوع الصلح مع قوم اشتعلت بيننا وبينهم نار الحرب فبهذا في ذلك لقي هي أقوم أيضا فأرشدنا إلى قبول عرضهم الصلح مادما قد آتينا منهم حسن النية ونبل الغاية وأخذنا الحيلة لسلامة أمن الدولة قال تعالى « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » (١) . وصفوة القول أن هداية القرآن لقي هي أقوم في إصلاح الفرد واجتماع ما أكثرها وما أروعها وما ترضينا لذكره منها ليس إلا نماذج يسيرة من هذا البحر الزاخر الذي لا تنقضي عجائبه ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وما أروعنا ونحن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - إلى أن بدأ عهدا كريما بمداومة هذا الذكر الحكيم فنتوجه في جميع شئوننا العلاج الناجع . والتوجيه الحازم وتأخذ أنفسنا بهديه الرشيد . وقيمها على صراطه المستقيم لنظفر بتكريم العمل الكبير حيث قال سبحانه : « والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا ننصيح أجرا المصلحين » (٢) .

### مشارى عبود اقرولى

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم (١) . ولم تحدد الآية الكريمة نوع القوة التي نعدها لتفسر في كل زمان بما يرهب خصوم الإسلام . والإعداد على هذا النحو هو السبيل الوحيد لضمان الأمن والسلام والوقاية من الحروب وويلاتها ولذا يعبرون عنه بالسلم المسلح ؛ إذ السبب الحقيقي للحرب بين دولتين إنما هو اختلال ميزان القوة فيهما وتضائل قوة الدولة المعتدى عليها في نظر الدولة الباغية .

وما أوشكت إليه الآية الحكيمية هو هدى الله في نشر الأمر بين الناس لا ما تزعمه تلك الدول العاتية من حماية السلام ، وأقامت لذلك مجلسا يسمى مجلس الأمن وأحاطته بسياسات براق من الدعاية الزائفة . وما هي إلا الأساليب الماكرة الخادعة التي تخفى وراءها دواغ الثعالب وغدر الذئاب واغتيال الأمم المستضعفة والتهام الشعوب المغلوب على أمرها .

والإسلام دين السلام حقولا يحارب الإلحاح وضع العقبات في طريق دعوته وحدد أمنه وسلامته ونازع سيطرته وسيادته ومن أجل

( ١ ) - سورة الأنفال .

( ٢ ) - سورة الأعراف .

( ١ ) - سورة الأنفال .



# الشّوَرَةُ الوَطَنِيَّةُ وَالْفِينِيَّةُ

في شعر أحمد محرم

للأستاذ محمد عبد المنعم خاتمي

- ١ -

وتحدث عن ظلمهم لشعوبهم فقال :  
رأيت ملوك الناس لا ينصفونهم  
وخير الملوك المنصف المترفق  
يقضون صرح الظلم في كل أمة  
إذا ملكوا والعدل بالملك أخلق (١)  
ورأى أنهم يعيشون على حساب الشرف  
والضمير فقال :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم  
شرفاً ، ويدعم أنهم شرفاء  
لا المجد مجد بعد ما حيث به  
أبدى الملوك ، ولا البناء بناء  
مالوا عن الشرف الصميم وأحدثوا  
ما شامت الأوهام والأمواه  
لو جاور الشرف الملوك لأدركت  
صمم الصغور وضامت الظلمات  
وتندد بمباس وخيانت الوطنية لمصر فقال :  
ماذا بدا لك فاضلت صفوفنا  
أو أصبحت حرب الغزاة سلافا ؟  
انغور مصر وما تحول نيلها  
سما ، وما انقلب الضياء ظلاما ؟

من حق الشاعر الكبير الخالد ، أحمد محرم ،  
على وطنه ، أن يذكره ، وأن يقدر فيه الشاعر  
الثائر ، الذي عاش لأمته ، وضحى من أجل  
حريتها وعزتها ومجدها أعلى التضحيات .

من حقه على بلاده - في نهضتها التحررية  
العربية الكبرى - أن تحتفي بشعره ، الذي كان  
غذاء ثورتها ، وشعلة أضاءت لها الطريق إلى  
غايتها ، والذي نادى بالثورة وبشر بها قبل  
ميلادها بوقت طويل .

- ٢ -

لقد عاش محرم عدواً للسلطة والحرية  
السياسية ، وللحتل وأذتابه ، وللرجعية  
والإقطاع . حارب كل هذه الأركان المتداعية  
الواحية ، وحاربه . حتى لفظ أنفاسه ،  
ولاقى ربه .

(١) ذم الملوك ، وأذرى بهم ، وتندد  
بضادهم ، من مطلع شبابه إلى آخر حياته ..  
فقال في تصوير استبدادهم :

بنت الملوك على الشعوب وغرما  
من تسوس نجاوز وسماح

(١) ٢ : ٨٦ ديوان.

(ب) وحارب كذلك الحزبية السياسية  
المستغلة الفاسدة، فقال في جنايتها على الشعب .

شعب بأيدي الجاهلين تقوده

أهواؤهم قود الدليل الضارح (١)

ودعا إلى الانقضاء من حول الزعماء  
الحزبيين ، فقال :

دعوا الزعماء إن لم لدينا

يدبين بغيره الشعب الرشيد

إذا ذكروا الزعامة فهي دعوى

يكيد بها الكفانة من يكيد

وكان الثمار الحزبي يدعو إلى تعجيد

الزعماء ، لا إلى البذل والفداء من أجل

استقلال الوطن ، فقال محرم يندد بهذا

الثمار الزائف :

هو الحق الذي نسمي إليه

ولسانه ما عشنا نحيد

إذا لم يحفظ استقلال مصر

فلا سعد بطاع ولا سعيد

(ج) وحارب محرم المحتلين حرباً لاهوادة

فيها ، فقال من قصيدته في مأساة «دندواي» ،

يندد بالانجليز وأخوانهم :

بني التاميز كونوا كيف شئتم

قلن ندع الكفاح ولن نلينا

خفوا أنصاركم إنا نراهم

لنا ولقومنا الداء الدفيننا

هم الأعداء لنا من ذويهم

وليسوا في الشدائد من ذوينا

ذمنا عهدكم فت نراكم

نشدون الرجال مودعينا ؟

ولقد شدوا الرجال عن مصر مرتين خلال

عام واحد ، ولكن بعد وفاة محرم أحصى

هشرة سنة .. ويقف الشاعر أمام الانجليز

وجهاً لوجه ، فيقول :

حياة النيل إن النيل عان

يريد المعدل والحكم التزجيا

أسأتم في سياستكم إلينا

وتلك سياسة ما نرضيها (٢)

ويخاطب أنصار المحتلين وأذنانهم ،

وينذرهم ثورة الشعب ، وهو يتنبأ بها من

وراء الغيب فيقول :

يا أيها الناس إن الله بأمركم

ألا تكونوا الأهل الظلم أحواتا

إني أخاف عليكم حادثاً جلا

لا تملكون له رداً إذا حانا

ويذكر أذنان المحتلين بذنبهم ويبلادهم

فيقول :

وأشد أبناء البلاد عداوة

من لا يرى المختل من أعدائه

هي في جلاتها هي أبنائه

ومضاجع الماضين من أبنائه

لا قليل إن رمنا الحياة بجمال  
أنا لها كلا ولا الأهرام  
ونادى بحاربة الجهل وأكثر من تصوير  
جنايته على الأمة ، فقال :

الجهل أصبح داءها المودى بها  
ومن البلية أن تموت بداتها  
وحارب الرشوة ، وصور أثرها على  
الشعب ، فقال يخاطب الموظف :

قتلت برشوة حقاً ضعيفاً  
له من إثمها كفن وودس (١)  
ودعا إلى تصنيع بلاده فقال :

أبنوا المصانع شما قبلتون بها  
شأروا اللى رفعوا شم المرافق  
أينب القوم آفاقى الهدى صعدا  
ونحن مصرى الأمان والأطمان  
ودعا إلى حرية الصحافة فقال :

لا تظلموا الأعلام إن سبيلها  
هون الضيف ونصرة المخدول  
ونعى على صحافة المحتلين أكاذيبها واقتراءاتها  
فقال :

صحف يزل الصدق عن صفحاتها  
ويظل جدد القول عنها غائباً (٢)  
هـ - وحارب الإقطاع وصور شره في  
أكل حقوق الشعب المسكين فقال :  
يا مدمن الأعمال فى طلب الفنى  
لا تظلمن العامل المسكين

(د) وحارب محرم الرجعية فى شتى  
صورها ، الرجعية الفكرية التى يقول عنها :  
أيعجب قوماً من أولى العلم أنهم  
يسرون بين الناس فى نوره عيباً (١)

والرجعية الاقتصادية والاجتماعية التى شن  
عليها حرباً لا هوادة فيها ، فدعا إلى تعليم البنات  
فى زمن كانت الدعوة إليه فيه كفراً وإلحاداً :

وجامل ظن أن العلم منقصة  
للبنت ، فانتقص التعليم وانتقدا  
مهلاً فرب فتاة أهلكك بلداً  
بجهلها ، وبعوز أفسدت بلداً (٢)

وحارب الطائفية الدينية فى مصر ، فقال :  
أسقى على المتباغضين وقد رأوا  
أن الفلاح تودد ووثام  
شرصوا العداوة بينهم لم يوصهم  
دين المسيح بها ولا الإسلام (٣)  
ومن أجل ذلك دعا إلى الإخاء الوطنى فى  
كثير من قصائده ، يقول :

الدين لله العمل وإنما  
دين الحياة تودد ووثام  
إن كان الواشى المفرق مأرب  
فلنا كذلك مأرب ومرام  
أنظّل مصرى والشعوب حيثة  
ونعيش قوضى والحياة نظام

(١) ٢ : ٨٠ الديوان .

(٢) ٢ : ١٧٦ للرجع .

(٣) ٢ : ٤٧ للرجع .

(١) ٢ : ١٨٨ الديوان .

(٢) ٣ : ٩٨ للرجع .

سبحان ربى هل هممت بمقطع  
أم جئت أمرا في الزمان عجبا  
ما كان إلا أن مردت بمنكر  
فنبئت عنه وقلت فيه صوابا  
إن القوة إذا هممت بنصهم  
ألفيتهم متذمرين غضا  
ويوبخ زمانه وعصره وقد جهلا مكانه  
ومزله فيقول :

ويله زمانا حلت به الأسى  
وشقيت فيه بكل خلق منكرا  
ويله زمانا سيعرف موضعي  
ويرى مكانى إن حيت ومظهرى  
ولئن هلكت لتعلم مكانى  
أم فثرت لها زمان البحرى  
أهليت في الأمم الخوالى جهدا  
ودفنت ربة عصرها في الأصر  
قلم من الروح الذكى يده  
ما شامرك من نطاف الكوثر (١)  
وبين بعد مذهبه ودعونه الوطنية عن  
مذاهب من حاربوه ودعواتهم فيقول .  
دعوني رما أرضى لنفسي وجنبوا  
هواى هواكم ليس مذهبا معا  
لكم شأنكم إنى أرى غير رأيكم  
وإن لنفسي دونكم متطلعا

(١) ص ٤٠٠ محرم شاعر العربية والإسلام  
للأستاذ محمد إبراهيم الجبوشى ١٤٠٠ مشاهير  
شراء مصر .

أطعمت من دمه الخزان جمة  
ولبت نطمعه البلاء قنونا  
وأئذ الإنطاعين الثورة فقال :  
إنى أرى خلل الحوادث موقنا  
جملا يقم قيسامة المترينا  
ملا موالينا أجمع واحد  
مالو تفرق جاور المليونا ؟  
ونظيل لانرجو نظاما صالحا  
بقضى الحقوق ولا نرى قانونا  
وقال فى جنائياتهم على الشعب :  
أضروا الشعب واستلبوا قواه  
وآفة كل شعب منرفوه

### — ٣ —

ولقد حاربته كل هذه الأركان التى كان يقوم  
عليها بناء مصر آنذاك ، حاربه الملكية  
البائدة ، والحزبية الفاسدة ، والرجعية الماكرة  
والإقطاع المتعصر ، وحاربه المحتلون وأذنانهم  
كذلك . . . فمات طول حياته فقيرا بائسا  
محروما ، حتى يقول فيما يقول :

ظلمت وفى فى الأدب المصطفى  
وضعت وفى يدي الكدر الثمين  
لربى ما عملت وعند قوى  
ديونى حين تلتبس الديون  
ويصور حق هذه الأركان المتداعية عليه

فيقول (١) :

(١) ٢ : ٢٥٠ الديوان .

ما سكت حتى ما أردت تهمية  
وأبعد حتى ما تروا لي موضعا (١)  
وتعرض عليه المناصب والأموال ليسكت  
فيقول :

ولست يباع نفسي وديني  
ولو أوتيت ملك المشرقين  
سائلا هذه الغبراء مجدا  
وأترك أهلها صفر اليدين  
هل التاريخ يصد الموت حتى  
وصنه الله يوم الدين ديني (٢)  
وبفضل البؤس والحرمان هل حياة  
أمه فيقول :

ما أبالي حين تسمو أمي  
من ترى من بعد هذا أرسما  
من أيادي الله أني لم أخن  
عهدا الأوفى أريد المغنا  
مرحبا بالبؤس من أسبابه  
عفة البائس من أن يأثما  
واودني عصية عن حقها  
وأي العرق الكريم المنتمى (٣)  
وحين يرى الأمور في مصر لا تبشر بخير ،  
يقول في حسرة دامية (٤) :

(١) ٧٥ : ٢ الديوان .

(٢) ٧٨ : ٢ المرجع .

(٣) ١٥٩ : ٢ المرجع .

(٤) ٨٠ : ٢ الديوان .

أكلف جد الأمر نفسي ولا أرى  
سوى أمة خرقاء شيمتها المزل  
أردت لها عز الحياة فأهرجت  
تريد حياة ما يفارقها الذل  
ولكنه لا يخطط على أمه ، بل يستغفر  
لها ولقومه ، فيقول :

أستغفر الله عن قومي وأسأله  
حظا لمصر من الخيرات موفورا  
وفي استنراضهم للعاملين من أجل مصر  
يقول :

أمن ركب العواصف أو ترقى  
إلى السبع الطباقي كن توهي  
حياة الحاملين لم عذاب  
فما أفسى العقاب وما أشدا  
وتشتد به الحاجة ، وتمضه الحرمان ،  
فيقول في ثورة عارمة :

وحدي حملت صروف الدهر فادحة  
ما عاتق منكبي فيها ولا عضدي  
وحدي بليت نفس ليس يمجها  
ما يوجب الناس من رأى ومعتقد  
ولا يطيب لها إلا الذي كرهوا  
من مركب خشن أو مطلب نكد  
وحدي شقيت بهذا الشعر أجمله  
أحدوة الدهر أو أفتودة الأبد  
أصوغه من شعاع الشمس ليس يمجبه  
ستر من الحقد أو سور من الحسد

وحدى وقت بعدى والوفاء أذى  
يمنى على الروح ما يمنى على الجسد  
من كان يمنى وراء الموت متشدا  
يمنى البقاء فأنى غير متشد  
ولا يدرى محرم مكانه ووجوده ، فيقول  
في حيرة :

وجودى لست لى فلن تكون  
أسر أنت عن نفسى مصون ؟  
وجودى ما عرفتك غير معنى  
تغلغل فى الخفاء فإى بين  
غريق فى الطلام ولا ضامن  
ولا حسن بلاذ به أمين  
أقيم عليه سور من حباب  
تضل على جوانبه السفين  
أطل ويضرب التيار وجهى  
فأين أنا أحر أم سجين

- ٤ -

لقد عاش محرم لبلاده ، لوطنه ، لشعبه ،  
لأمته ، وامتلا قلبه حباً لمصر الخالدة التى كان سر  
حبها موهومه والتفكير فى حاضرها سبب أهوائه ،  
فقال :

ولست وإن ظلمت أذم مصرا  
فصر المم والداد المخيل  
ويقول فى تصوير حبه لأمته :

فإن يسألوا ما حب مصر فإنه  
دى وقوادى والجوانح والصدور

لنفسى وفانى إن وقت بعدما  
وبى لا بها إن خنت حرمتها الغدور  
أخاف وأرجو وهى جهد مخافى  
ومرى وجانى لا خفاء ولا فكر  
هى العيش والموت المبعض والنقى  
لأبنائها والفقر والأمن والذعر  
هى القدر الجارى ، هى الخط والرضا  
هى الدين والدنيا ، هى الناس والدهر  
ويفتدى مصر وطنه الحبيب بكل ما تملك  
يداه فيقول :

مصر الحياة وجها للشرف الذى  
بطرازه الفالى أدل وأعجب  
نفسى وما ملكك يدانى لآمنى  
وسراة آباتى وما أنا متجب  
أبنى إنك للبلاد وإنها

لك بعد والدك التراث الأطيب  
ويهب لأمته حياته فيقول (١) :

وهبت العبا والشوق والحب والهوى

لمصر وإن لم أقض حق الهوى مصرا  
بلاد حببى أرضها وسمازها  
حياتى وأجرى نيلها فى فى العرا  
ويؤكد أن مصر فى حياته كل شئ ، فيقول :

مصر الرعاء والنعيم والرخد

مصر الرفيق والصديق والولد

مصر التصير والظهير والسند

مصر الهوى ، مصر العبا ، مصر الحرم

كثير من شعره ، وأهدى إليه الجزء الأول  
من ديوانه ، فقال :

فيا نيل أنت المني والحياة  
وأنت الأمير وأنت الأب  
ويا نيل أنت الصديق الوفى  
وأنت الأخ الأصديق الأطيب  
وأنت القريض الذى أقتنى  
فبزمى به الشرق والمغرب  
ولقد أحب محرم العمل الوطنى الشريف ،  
ودعا إليه . فقال (١) :

أشرع لأمنك الحياة ولا يكن  
لك فى حياتك غير ذلك مأرب  
ما المرء إلا قومه وبلاده

فانظر إلى أى المواطن تنسب  
وكان محرم يفرس الإيمان بالوطن فى قلوب  
الشعب ، ويقضى هل الخرافة القائلة بأن  
مناهضة المحتل وأساطيليه عبث ، ومن أجل  
ذلك كان يؤكد فى مواضع كثيرة من شعره  
أن الحق قوة ، والنصر له ، وأن الضعيف  
الذى يقف الحق بجانبه هو القوى المنتصر  
إذا طلب حقه وجلعه دونه ، يقول :

الحق أسطول الضعيف وجيشه  
إن شئت حربا أو أراد مغارا  
ويقول :

لا تصبى الحق صيحة عاجز  
الحق عزم صادق وجلاد

ويذكر أن حب بلاده تغلغل فى نفسه  
وأحماق قلبه ودمه وقواده فيقول :

فإن يسألوا : ما حب مصر ؟ فإنه  
دى وقوادى والجوايح والصدر  
تدفق فيها الوحي شعرا وإنما  
سقانا بها النيل الذى كله شعر  
ويقول يعبر عن قته بشعبه :

أقول لمصر مصر الحياة  
حياة الغد الدائم المتصل  
لقد جدد شعبك فى شأه  
فأ يتوانى وما يشكل

وفى إيمانه ببلاده ، وحنينه إلى استقلالها ،  
يقول (١) :

وما المرء إلا قومه وبلاده  
فإن يذهب يلقى الأذى حيث يمس  
وما من قى أنقى المهانة قومه  
فيطمع أن يلقى من الناس مكرما  
ولم أركل أرطان أكبر حرمة

وأصكرم ميثاقا وأعظم عقما  
من العار أن تشق بلادى وأسما  
وكللوت أن يقضى عليها وأنها  
أحن إلى استقلالها وإعاله

إذا ما رأينا الصدع أمرا محتما  
ومن أجل حب مصر ، أحب محرم النيل  
شربان حياتها ، ومصدر دعائها ، فذكره فى

إلى القومية والوحدة العربية ، فقال فيما قال  
من شعره :

أمم العروبة جاء يومك فاعمل  
والى مكانك قائمى وتقدمى  
ضمي القوى وتجمعي في وحدة  
عربية تحمي القواء وتحمي  
هذا السيل لكل شعب ماجد  
عالي القواء إلى العروبة ينتمي  
أمم العروبة جدد جددك فانظري  
من صفك المنشور عالم ينظم  
لك أن تسودى تحت رايتك التي  
خفقت لها الدنيا فسودى واسلى  
وصور فكة فلسطين في كثير من قصائده  
فقال فيما قال :

في حي الحق ومن حول الحرم  
أمة تؤذى وشعب يهتضم  
فرح القدس وضجت مكة  
وبكت يثرب من فرط الألم  
يا فلسطين اصطلها نكبة  
هاجها لقوم عهد مضطرم  
ومع عنصره التركي فلقد كان أحمد محرم  
عربي الروح والفكر واللسان ، وكانت  
العروبة عنده كل شيء ، يتحدث في شعره  
عن قضاياها ، ويدافع عن أيها المكافئ  
في سبيل حريتها واستقلالها . بل لقد تغلغل  
روح العروبة في كيانه وقصه تغلغل الدم  
في مسارب البدن ، حتى ليقول يرد على الذين

ونادى بالتضحيات الغوالي من أجل  
الوطن فقال :

نضن بمصر إن عدت العوادي  
واصكنا بأنفسنا نجود  
وكم حلف محرم في شعره بالجللاء ، ونادى  
به ، ودعا إليه ، وبشر به ، يقول فيما يقول :  
هو الجللاء وإن ريمت له فئة  
يود ساداتهم لو أنهم خدم  
لقد نأى محرم في شعره بالثورة ، ثورة  
الشعب على الفساد السياسي ، وعلى الاحتلال  
والرجعية والإقطاع ، وكأنه كان يرى ويسمع  
من خلال الغيب صيحة الحرية تدوى على  
لسانه جمال عبدالناصر وصحبه الأبرار ، فقال :  
لا بد للشعب مهما لأن جانبه  
من وثبة تفزع الأفلاك والنهب  
وقال من قصيدته البعث المؤمل (١) .  
وما أنا من روح الإله بأيس  
وإن ملأ المم الجوانح والصدرا  
فيارب لا تبك إلى منيق  
إلى أن أرى البعث المؤمل والفترا

— ٥ —

هذا هو محرم في ثورته الوطنية العارمة ،  
كان أسبق الشعراء إلى الإيمان بالثورة  
والدهوة إليها ، والتنبؤ بها ، الثورة من أجل  
مصر وحدتها ، ومن أجل مستقبل شعبها  
الحُر الأبي

وكان محرم كذلك من أعظم الشعراء الداعين

(١) ٢ : ٨٦ الديوان .



عوامل الضعف في أمته وفي الشعر العربي ،  
الذي قلده أرواح القلائد والآيات .

دعا محرم من مطلع شبابه إلى أن يكون  
الشعر تعبيراً جميلاً لطيفاً ، ومعاني أنيقة  
شريفة ، فذهب في مقدمة الجزء الأول من  
ديوانه الذي ظهر عام ١٩٠٨ إلى أن آتى  
الشعر رقة النفس وروسوخ العقل ، وأن من  
الضروري له حسن الأسلوب والصفاء  
وجودة النظم وجمال التركيب ، إلى تخيير  
الكلم الرشيق ، وتخيل المعاني الأنيقة ،  
ويتحدث عن الشاعر وسماه ، فيقول :

مستبد بحسب الدنيا له  
وهو خصم المستبد المحكم

ينظر النظرة تستقيم المدى  
وتربه النور يجرى في الظلم  
فيلسوف كشف الله له

عن خفايا كل سر مكتوم  
فإذا ما أخذته الحصة

من جلال الفن أغضى واحتشم  
هو عبد الفن والناس له

في حوى الفن عبيد وخدم  
يسأل الاقوام : ما هنصره ؟

هو من نور وعطر وغنم  
هو خلق بارع بما اصطفى

مبدع الكون وخلاق النعم  
ولقد غذى أحمد محرم القصيدة العربية

قالوا له : مالك والعرب ، ولست منهم في شيء  
من النسب ؟ (١) :

قالوا : هبكت أنبئني بينهم نسباً  
هبات مالك في الأعراب من نسب

فقلت والشعر تنبئني روائحه  
لولا الأعراب قد هربت من أدبي

وكما عاش محرم شاعراً ، فقد عاش ثائراً ،  
حقاً ليتحدث عن عاصفة في ثورتها ، فيقول

فيما يقول من قصيدة رمزية له :  
حرة لم تعرف القيد ، ولا

سمكت بالسجن فيما تسمع  
وينظم قصيدة عنوانها « ثورة القندوس »

يتحدث فيها عن ثورة لبليس الخاطئة -  
وثورة القدر الحق عليه ، فيقول فيما يقول فيها :

ثورة عاطشة لو لم تتم  
في ظلال العرش ما ثار القندر

- ٦ -

ولقد كان شعر محرم أكبر مظهر لثورته ،  
ولروح الثائرة الشاعرة ، إذ ثار على الفن

وتقاليد في عصره ، ثار على الاحتذاء  
والتقليد ، وعلى بلاغة العاطفة والانفعال ،

وعلى ضعف التجربة الشعرية فيه . ثار على  
الأساليب الكلاسيكية الميتة ، والقوالب

الشعرية الجافة ، وعلى المعاني الضعيفة  
المستخذية ، وحارب كل ذلك فيما حارب من

(١) ٢ : ٤٢ ديوان .

واضحة غالبية على قصيدته : ولعل محرم كان  
البذرة لفن إيليا أبي ماضي في القصة الشعرية .  
وقد طرح شاعرنا الصنعة اللفظية من  
شعره ، وساق فيه بين اللفظ والمعنى ،  
بين الأسلوب والفكرة ، بين الطبع وموهبة  
الفن القادرة المصورة ، وأيد حركة التجديد  
في الشعر ، ودعا إليها ، التجديد الذي يقوم  
على استلزام ما في القصيدة الشعرية من عناصر  
وأصول ، وينهض بخصائصها الفنية ،  
وبحفظها من الجلال والمتعة والروعة والتأثير  
ولا يقوم على أشلائها ومن أجل هدمها . .  
لقد كان أحمد محرم أحد عمد الشعر العربي  
الحديث ، وكان هو وشوقي وحافظ ومطران  
وشكري مدونة شعرية متكاملة البناء . وكان  
يؤمن بالفن وسلطانه ، وبالشعر وبحره  
ومن ثم اتخذ منه لسانا يبين به عن أفكاره  
الوطنية والوجدانية والإنسانية القليلة .  
عاش محرم مضطهدا محروما من كل شيء ،  
ومات عن ثمانية وستين عاما ، وهو لا يحصد  
القوت ولا أبسط أسباب الحياة ، معتزا بنفسه  
وقته وكرامته ، وبوطنه وأمه ، أكبر اهتزاز .  
مات الشاعر الخالد ، والتأثر الحر ، والوطن  
الذي ألهمته بلاده وألهمها أجل الأفكار  
والمثل والمبادئ والرسالات ؟

محمد عبد النعم غفاجي

أستاذ بكلية الدراسات العربية

بالموسيقى الرائعة ، والغنائية الساحرة ،  
وبالعاطفة الحارة القوية الصادقة ، وبالتجارب  
الشعرية العميقة ؛ وغذاها كذلك بالفكرة  
الوطنية الثائرة الملهمة ، وبكل المعاني والقيم  
الإنسانية الجليلة النبيلة ؛ وغذاها بالطبع  
والموهبة ، وبالديباجة المشرفة ، وبالأسلوب  
البليغ الرفيع العذب ، الذي هو مزيج من  
الكلاسيكية الجديدة ، والرومانسية الصادقة  
في التعبير عن حياة الشاعر ونفسه ومختلف  
أحاسيس ومشاعره ، وأجاد محرم الحديث  
في الطبيعة ، ومن روائعه لها قصيدته  
« الطبيعة وقتاة الزيف » ، كما أجاد في الحديث  
عن الفلاح ، وعن الحب ، وفي الوطنية  
والاجتماع ، وفي الحكمة والتأمل ، وفي  
التعبير عن وجدانه ونفسه ، وعن كل جديد  
مبتكر امتدى إليه عقل الإنسان في زمنه .  
وكان أعظم جانب من جوانب شعر محرم  
هو شعره الديني والإسلامي الذي بلغ  
الذروة فيه بالإلياذة الإسلامية التي نظمها  
في سيرة الرسول الأعظم وحياته وجهاده  
وحروبه وبطولات أصحابه وقضياتهم من  
أجل نشر رسالة الإسلام وتبليغها للناس كافة ؛  
وفي الحق أن الإلياذة كانت من أعظم الأعمال  
الفنية في الشعر العربي الحديث .

ولقد كان محرم كذلك من أسبق الشعراء إلى  
مزج الشعر بالقصة ، فظهرت الزخعة القصصية

# الإسلام ونظرية التطور

للأستاذ المحشي عبد المجيد هاشم

بالعلم الحقيق يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. إنه يجعلها بما يجعل العقول البصيرة تخرج لجلالا وإذعانا لدقة العلم وروعة التصوير وهو إن كان ليس بكتاب علمي يتعرض للاستيعاب والتفصيل لكل الجزئيات العلمية فلنا من هديه وقواعده العامة ونهجه ما يميز به بين الطيب والحديث والجاتز وغيره .

والحق أن الكاتب كان موقفا في رده وتحليله وكنسه على وفاق معه حتى قرأت السطور التالية وهي قوله : « وإذا كان التطور هو السنة التي تنظم كافة ما نرى ونحس من الكائنات وتنتقل بها من حال إلى حال : حال حسية أو معنوية عضوية أو وضعية أو روحية فإننا نستطيع أن نرى بعض هذه الحقيقة في مثل قول الله تعالى : « يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ، فكل يوم يمر بل كل لحظة يتجدد فيها الكائنات شأن جديد يصير بها إلى حال جديدة غير التي كانت بالأمس ، وليس ضروريا أن نرى ذلك التفسير والانتقال واضحا بملاحة الجديدة التي تميزه

تناول هذا الموضوع الأستاذ البهي الخولي في مجلة منبر الإسلام عدد شعبان وهذا حل صحفي في جريدة الأخبار عرض لنظرية التطور وأصل الإنسان والأجناس المعزوة لدارون ، ثم دعا رجال الدين أن يقولوا كلمتهم ويوضحوا آراءهم في هذه النظرية . وقال الأستاذ الخولي : إن الكتب السلوية كتب هداية ربانية وإرشاد إلى ما ينير القلوب ، وليست لتقرير النظريات العلمية في مختلف ميادين المعرفة كالفلك والطب والجيولوجيا وعلم الحيوان إلخ فذلك يخرج الأديان عن طبيعتها ويصرفها عن أهدافها - والإشارات العلمية التي بالقرآن لم ترد لتقرير حقيقة علمية ولا بجمود إطلاقا أن نسميها علما بالمعنى المعروف في المصطلحات الحديثة وإنما هي أمثلة جديدة تضاف إلى شواهد صدق القرآن ، .

وأقول حقيقة : إن القرآن كتاب هداية ثم هو إذا تعرض ليجلي نظريات علمية في أي حقل علمي فإنما هو حديث الذي يعلم السر في السموات والأرض ، وهو المنفرد

البشر إلى الإنسان الأول آدم عليه السلام .  
فهل يا ترى كان أقل منا تكويناً وحسناً  
وجاهاً بل علماً ؟ الجواب : لا وإلا لما كان  
أهلاً للخلافة في الأرض ولما فاق على الملائكة  
في مشهد رباني جليل حتى اعترفوا بخلافته  
« وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض  
خليفة ، قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك  
الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال  
إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها  
ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء  
هؤلاء . إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم  
لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال  
يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال  
ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض  
وأعلم ما تبذرون وما كنتم تكتمون » .

ولوحصن نظرية التطور والنشوء والارتقاء  
التكويني لكان بطبيعة الحال الإنسان الأول  
في الوجود هو أقل الناس خلقاً وأقبحهم  
منظراً ؛ لأننا نحن نقيجة تحسین وارتقاء  
ستين طويلة ضاربة في أعماق الزمن ، فأطرح  
هذا الحسن بدرجات هذه النسبة متحصل إذا  
على إنسان هزيل للغاية . وأى تكريم لو صح  
ذلك والله يقول للإنسانية جمعاء في كل  
الآزمان « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم  
في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات  
وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً » .  
إذا صح ما روى في البخاري أن الله خلق

عن ملائكة السابقة وقد يكون التخيير ظاهراً  
وقد يكون باطنياً وقد يتم ببطء شديد فلا  
تتضح معالم المباشرة إلا بعد أجيال أو بعد  
ملايين السنين كما يقول علماء التطور .

وهنا لست على وفاق مع الكاتب في هذه  
السطور وإني أعالفه وأعاف علماء التطور  
غير هياب أو عاني بأن أرى بعدم التطور  
الفكري . ثقة بما في القرآن من نصوص ترد  
كل قائل بنظرية التطور التكويني للإنسان  
لا في ملايين السنين ولا أكثر من الملايين .  
أما تفسير الآية التي ذكرت « يسأله من  
في السموات والأرض كل يوم هو في شأن » ،  
فأدق تفسير لها ما قاله النبي صلى الله عليه  
وسلم وذكره الكاتب في المقال ، ولكني أقول  
لم يذكر النبي التفسير مروية وتمشياً مع أهل  
البيئة البدوية وتجنباً للبلبة الفكرية ، كما قال  
الكاتب . والتفسير هو ( من شأنه أن يفسر ذنباً  
ويفرج كرباً ويرفع من يشاء ويضع من يشاء ) .  
وقول لمن أراد أن يعرف حكم نظرية التطور  
ونظرة الدين إليها اقرأ معي قوله تعالى :  
« ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » ، خلق  
الإنسان منذ القدم على أحسن صورة وأكمل  
هيئة وخلق إنساناً منذ النشأة الأولى له خصائصه  
ومميزات الفريدة عن كل جنس آخر .

وعليّنا أن نرجع عبر القرون والآزمان  
على ضوء النصوص الدينية الصادقة إلى أبي

وعلى نظام التطور ومقياسه الزمني بالنسبة  
للدومنين بنظرية دارون وشبهها فبمعدكم سنة  
يتطور القرد والغوريلا وأشباههما إلى نوع  
إنساني ، وما يصير النوع الإنساني الحالي  
حيثئذ هل سيحال على الاستيداع أم يصير  
نوعاً ملائكياً بمرور الزمن وتقدم السنين ١٤  
بعد ذلك تقول للسائل رجال الدين هن  
موقفهم من فكرة التطور والارتقاء هذه  
الفكرة غير مائفة إطلاقاً عند رجال الدين  
والنصوص السلفية تأبأها هل أي وضع  
سواء نظرية دارون أو جان دي لامارك  
أو غيرها أو ما يشبه ذلك ويقاربه بأي  
صورة من صور الارتقاء التكويني للإنسان .  
ولا يفوتنا أن نبين للسائل : أن الدافع  
إلى القول بهذه النظرية واعتناقها إنما هو  
الجهل الفاضح بقدره الله الخالق العظيم .  
والغرض من الدعوة إليها تشكيك الناس في  
عقيدتهم الحقة حتى لا يعبدوا الله الذي خلقهم  
ولا يترفوا بقدرته وفضله وخلقهم لهم في أحسن  
تقويم . وإنما يزعمون وجودهم للطبيعة وتطورهم  
إلى الزمن وحده ، فهو الكفيل بتحسين  
النوع ، وهذه فكرة خبيثة لا يقرها الدين  
ويصيرها قنوب أمام أضواء القوية وقضا  
الله إلى سواء السبيل ، وهذا الطريق المستقيم .

المبني عبد الحميد هاشم

المدرس بمعهد الزقازيق الديني

آدم على صورته : فأى جلال وأي بهاء  
كانت الصورة الأولى - للإنسان الأول :  
إن مراحل التكوين الحقيقي الذي نعرفه  
ما أرشدت إليه الآيات في سهولة ويسر  
في أزمنة متقاربة ملحوظة ؛

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين .  
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة  
علقة خلقنا العلقه مضغة خلقنا الممضغة عظاماً  
فكسونا العظام لحاً ثم أنشأناه خلقاً آخر  
فتبارك الله أحسن الخالقين » ومراحل حياته  
على ظهر الأرض رسمها في قوله : « والله الذي  
يخلقكم من ضعف ، ثم جعل من بعد ضعف  
قوة ، ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة » .

ولو آمننا بنظام التطور وصرنا على حسابه  
الزمني فكيف كانت تساوى يا ترى هذه الطفرة  
الكبرى في حرف أصحاب الارتقاء ، وهي التي  
ما بين تطور الطين الذي لا حياة فيه إطلاقاً  
إلى بشر سوى تقع له الملائكة ساجدين كما  
نخبرنا الآية . « إذ قال ربك للملائكة إني  
خالق بشرأ من طين . فإذا سويته ونفخت فيه  
من روحي سجدوا له ساجدين » .

بماذا قصر على ضوء نظرية التطور  
الاختلاف القائم بين الإنسان من الطول  
والقصر والألوان ؟ هل وجد النوع الإنساني  
في البدء على دقات ومرار الزمن سيصير  
النوع القصير طويلاً عند فضو وجهه الزمني أم  
أن بدء النوع الإنساني زمن واحد هو ميلاد  
آدم وزوجته على ظهر الأرض ؟

# الحشو.....!

## (حشو اللوزينج - حشو الأكر)

### للاستاذ علي البندقي

لم ترقها ، والنافذة أترك ولم تحبسها ، وربما  
رزق الطفيل ظرفاً يحطى به حتى يحمل على  
الأضياف الذين وقع الاحتشاد لهم ، والأحباب  
الذين وثق بالأنس منهم وبهم . وتمثيل الحشو  
المحب بالطفيل الطريف من النكت الباهرة  
القيمة !!

فالحشو عنده قسطن : قبيح وحسن ،  
والحسن يعد من أنماط البلاغة العليا  
كما رأيت .

وهذا ابن سنان : أن الحشو ينقسم إلى ثلاثة  
أقسام ؛ وذلك أن كل كلمة وقعت حشواً ؛  
لا تخرج عن أسرين :

إما أن تؤثر في الكلام تأثيراً محموداً ،  
وتفيد فائدة مختارة ، وهذا حشو محمود .

وإما ألا تؤثر شيئاً ، بل يكون دخولها  
كخروجها ، فوجودها وعدمها سواء .

وإما أن تؤثر في الكلام قصداً ، وفي المعنى  
فساداً ..

وهذان القسمان مذمومان ، وثانيتها أخت  
بالتم من أولها .

فالحشو المذموم عند ابن سنان ، بعضه  
قبيح ولكنه لا يفسد الكلام ، وبعضه  
يتعدى القبح إلى إفساد الكلام .

يقول ابن سنان الخفاجي : من وضع  
الأنفاظ موضعها ألا تقع الكلمة حشواً .  
وأصل الحشو : أن تأتي الكلمة مقصوداً  
بها لإصلاح الوزن ، أو تناسب القوافي  
وحروف الروي في المنظوم ، وتأليف  
الفصول والابحاج في المنشور ، من غير معنى  
تفيدة أكثر من ذلك .

وأطلق المبرد كلمة الحشو على الاستعانة ،  
وهي عنده : أن يدخل في الكلام ما لا حاجة  
بالمستمع إليه ؛ ليصح به نظماً أو وزناً  
إن كان في شعر ، أو ليتذكر به ما بعده  
إن كان في كلام منشور ؛ كنحو ما تسمعه  
في كثير من كلام العامة ؛ مثل قولهم : ألسنت  
تسمع ؟ أهيمت ؟ أين أنت ؟ وما أشبه ذلك .  
ويقول عبد القاهر : وأما الحشو ، فإنما  
كرهه وذم وأنكر ؛ لأنه خلا من الفائدة ،  
ولم يحمل منه بمائدة ، ولو أقاد لم يكن حشواً  
ولم يدع لغواً ، وقد تراءى مع إطلاق هذا  
الاسم عليه واقفاً من القبول أحسن موقع ،  
ومدركاً من الرضا أجزل حظ ؛ ذاك لأن  
فائدته إماك على مجيئه ، مجيء ما لا يعمل  
في الإفادة عليه ، ولا طائل السمع لديه ،  
فيكون مثله مثل الحسنة تأتيك من حيث

إن نوال الممدوح لا يختص بوقت دون وقت ، فلا معنى لتأريخ صلاته بالسبت ، بل لعل ذكر اليوم هنا يفيد من طرف خفي : أنها كانت فلتة من الممدوح ، لا طليعة راسخة حتى صبح أن ينوه القاصر بهذا السبت العجيب في تاريخ الجوائز والصلوات ١١ .

حشو الوزينج :

والحشو المحمود في عرف البلغاء بسوونه :  
حشو الوزينج .

والوزينج : ضرب من الحلواء الثينة ، يذكر بإزاء الفالودج أو الفالودق بفتح الف والذال ، وبينهما منافسة حادة ، وإن شئت قتل : بين آكليهما .

والوزينج : ياسكان الواو ، وكسر الوازي ، وفتح النون ، فارسي معرب ، يشبه القطائف ، ويؤدم بدهن اللوز .

وكان حميد أبو الحارث يسميه : قاضي الحلوة ، وقد وصفه ابن الرومي من قصيدة مشهورة تعد أبجع ما قيل فيه ، منها :  
مستكشف الحشو ولكنه

أرقى جلدأ من نسيم الصبا  
من كل يضاء يود الفق  
أن يجعل الكف لها مركبا  
لو أنه صور من خبزه

نعم ، لكان الواضح الأشبا ومن التوادد : أنه قيل لبعضهم : التمر

وبما مثله به الحشو القبيح قول أبي تمام في بعض مدوحيه :

جذبت نداء غدوة السبت جذبة

نظر صريحا بين أيدي القاصد  
فغدوة السبت حشو لا فائدة بذكره ، ولا يحتاج إليه ، ووجوده في الكلام ألبس هجنة وغلظا وحسفا ، وبخاصة : أن ذكر الأيام في الشعر مما يذهب بروقه ، ويورثه الثقل والفدامة ، ولعل هذا اليوم اليهودي - وهو السبت - أثقل الأيام جميعا ١١ .

وقد ذكر الهاء زهير الخنيس ، في بعض قصائده الغزلية ، فلم يأت جاسيا جافيا كسبت أبي تمام ؛ لأن الخنيس كان موعدا مضروبا للقاء من يحب ، فلم تكن مندوحة من ذكره ، وتذكير من أحب بإخلاف الوعد فيه ، وذلك حيث يقول :

وكنتم وعدتم في الخنيس بآخرة

وكم من خميس قد مضى وخميس  
وكذلك جاء « السبت » أيضا في قول بعض المصريين :

السبت عيد لأن فيه ألتاك

لا تخرى العين يوم السبت رؤياك  
ولا خفاء في جهامة كلمة السبت ، ولكن بما يخفف وقعها ويعتد به هنا : أنها وقعت هنا موقع « الخنيس » في قول الهاء زهير المتقدم ، ولكن ما عند أبي تمام في ذكر السبت ١٢ .

تقدّم الكلام عند قوله : « في جنة الفردوس » .

ثم قال : غير معجل : أي بعد عمر طويل ؛ لأن الجنة لا يتوصل إليها إلا بعد الموت . وقد جاءت للتبني فلائذ تقيسة من هذا النوع البديع .  
فن ذلك قوله :

وخفوق قلب لو رأيت لحيه  
- يا جنّي - لظننت فيه جهنما  
فقوله : « يا جنّي » حشو مستغن عنه ، ولكن وقع موقعه من الحسن والملاحة والطاقة لمطابقته جهنم ؛ فأصبح كأنه لبراهته لا يستغنى عنه ، وصار هو الأصل .  
وقوله :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب  
يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا  
لحاشاك هنا : لفظة دخلت لكمال الوزن ؛ لأنك إذا قلت : - احتقار مجرب يرى كل ما فيها فانيا - كان كلاما صحيحا مستقيا .  
ولكنها أفادت مع أصل الوزن ، دهاء حسنا للذوق في موضعه :  
وقوله :

نبت من الأعمار ما لوحيته  
لننت الدنيا بأنك خالد  
فقوله : لننت الدنيا بمنزلة الحشو ؛ إذ كان المعنى يتم بدونها ، ولو استوى له أن يقول : نبت من الأعمار ما لم لوحيته لننت

يسبح في البطن ١١ قال : على هذا التقدير يصل اللوزنج فيها التراويج ١١

وحشو اللوزنج يضرب مثلا للشيء يكون حشوه أجود من قشره وأفضل ، ذلك : أن حشو اللوزنج خير من اللوزنج نفسه ، فيشبه به الحشو في الكلام ؛ لأنه مع إمكان الاستغناء عنه ، يمد أحسن وأجل من الكلام الذي جاء فيه . وقد عرفه الشباب الخفاجي في شفاء القليل : بأنه اعتراض في الكلام يحسنه عند الأدباء .

وهذا الضرب من البيان الفاضل نادر الوقوع في كلام العرب لنفاسته وجلالة خطره . ومن أشهره قول حوف بن علم الخزاعي من قصيدته المشهورة ، التي يمدح فيها عبدا لله ابن طاهر ، وأولها :

يا بن الذي دان له المشرقان  
طراً ، وقد دان له المغربان  
والبيت المقصود :

إن الثمانين - وبلغتها -  
قد أوجعت سبي إلى ترجمان  
بفتح تاء - وبلغتها - ،

فهي جملة دعائية يستغنى عنها في الكلام ، فهي فيه حشو ولكنها أحسن منه ، أو أحسن ما فيه .

ومنه قول البحرى في مدح المتوكل العباسي :  
وجزيت أعلى رتبة مأمورة  
في جنة الفردوس ، غير معجل



أبي الحسين بن سعد ، قتل له : هل تعرف  
ثانياً قول حوف بن علم الخزاعي ؟  
إن الثمانين - وبلغتها -  
قد أخرجت سمي إلى ترجان  
في كون الحشو خير من المحشو .

فسار إليه وبلغه رسالة ابن العميد فقال :  
سأنتي عن ذلك محمد بن علي بن الفرات ،  
فسألت عنه : أبا عمرو ، غلام ثعلب ، فقال :  
سألت عنه ثعلب ، فلم يأت بشيء .

ثم بلغني : أن عبيد الله بن عبدان سأل عنه  
المبرد ، فأجده قوله عدي بن زيد العبادي  
لابنه زيد بن عدي - وهو في حبس النعمان  
ابن المنذر النخعي - :  
فلو كنت الأسير - ولانكته -

إذا طلت « معدن » ما أقول  
فقوله : ولانكته ، حشو ، ولكنه في  
الحسن نظير « بلغتها » في قول حوف بن علم  
الخزاعي .  
حشو الأكر .

وإذا كان المحشو المدح يسمى « حشو »  
الوزنج ، فقد سموا المحشو المدحوم : « حشو  
الأكر » ، وهو ما كان فيه الظرف أفتح من  
المظروف ، أو المحشو أفتح من المحشو ١١  
وفي ذلك يقول الأديب الظريف جعظة  
البرمكي : أنشدت أبا الصقر شمراً لي ، فأهز  
له وقال : يا أبا الحسن ، لا تزال تأتينا بالغرور  
والهدور . إذا جاءنا خيرك بحشو الأكر ١١ .

على الجندى

في الدنيا ، لكان المعنى مستقيماً ، لكنه -  
لما احتاج إلى ألفاظ يصح بها الوزن -  
جاء بقوله : « لمئت الدنيا » ، فأتى بزيادة  
من المدح ، وفضيلة من التكريز والوصف  
لإخفاء بحسن موقعها .

ومن طرائف حشو الوزنج قول صاحب  
ابن هباد :

قل لأبي القاسم إن جنته  
هنت - ما أوليت - هنته  
كل جمال فائق رائق

أنت - برغم البدر - أوتيت  
فقوله « برغم البدر » : حشو يتم الكلام  
بدونه ، ولكن حسن مجيئه هنا ، ودق  
مسلكه وظرف وقعه ، لأنه يدل على أنه  
فائق البدر جالاً ، فالبدر لذلك حاسد له ،  
ومغيظ منه ، وحائق عليه ١١

ومنه قول الضحاك بن حنظل :  
ولو جاورنا العام « سمر » لم نبل<sup>(١)</sup>  
- على سجدتنا - ألا يصوب ويبيع

وقد عجب على ذلك ابن خلكان في وفيات  
الأعيان بقوله : « قد دره ١١ ما أحل هفده  
الحشوة ١١ » ثم قال : وأصل البيان يسمون  
هذا النوع : « حشو الوزنج » .

ويروي الثعالبي : أن أبا الفضل بن العميد  
قال لأحمد عاصته من الأدباء : اذهب إلى

(١) لم نبل : أصله لم نبال . وهذا القول قد يمدح من  
حكم للشعور المحزوم فيعامل معاملة الثلاثي الأجوف  
في الشعر ؛ فيحذف عينه يمدح حذف لامة فيجزم  
ويستكن ما قبل آخره .

نحو مخرج رشيد لتطوير الفقه الإسلامي :

## الفقه صناعة إنسانية متطورة

للاستاذ قتي عثمان

كان قهناؤنا يبتكرون أحكاما تشريعية كثيرة... إعمالا للقواعد العامة المجمة التي وردت في الشريعة.

وهذه الأحكام في حقيقتها جهود عقلية إنسانية ، أثمرها مزاج فقهي معين من أخلاقيات الشريعة وفلسفتها .

ومن الأمثلة الواضحة لذلك حديث الرسول ( لا ضرر ولا ضرار ) ، فقد كان ينبوها لأحكام متجددة في رفض صور من المعاملات والتصرفات ، تشوبها شائبة الضرر لأحد الأطراف . وقد وجد فيه الفقه المعاصر أصلا طيبا لحظر ( التصف في استعمال الحق ) .

هل أن هذا المزاج الفقهي كان يتأثر بواقع المجتمع في ذلك العصر البعيد ، كما كان يتأثر بأخلاقيات الشريعة وفلسفتها .

من ذلك مثلا أن استخراج المعادن من المناجم كان حلا باهظ التكاليف ، ولم تكن الآلات التي تيسر مثل هذا العمل أو تعين عليها قد ظهرت في الوجود ، وكان الإنتاج محدودا والحاجات محدودة ، ومن هنا انعكست

آثار الظروف الاجتماعية والاقتصادية على الأحكام الفقهية ...

قرأ في أحكام ( الركاز ) :

( إذا وجد في أرض معدن صلب ، فهو إما أن يوجد في أرض مملوكة أو أرض غير مملوكة ) :

في الأولى : تكون أربعة أخماس المعدن لمالك الأرض ، وأما الخمس فيكون لبيت المال . وإن كانت غير مملوكة : كانت القيمة كلها للواجد ...

ويرى أبو حنيفة : أن الأرض التي ليست عليها وظيفة العشر أو الخراج يكون المعدن فيها كله لمالك الأرض ، ولا شيء لبيت المال أصلا ...

أما إذا كان المعدن سائلا كالنفط والفار وغيرهما من الزيوت المعدنية ، فلا شيء فيه لبيت المال بالاتفاق ، وعملوا هذا بأن المعدن السائل شيء بالماء !! فكما أنه لا يجب شيء في المال المستخرج من الأرض ، كذلك لا يجب شيء فيها يشبهه في السيولة والميوعة !!

نظرية محكمة في بيان ( جوهر القاعدة القانونية ) .

لأنه الفقيه الفرنسي فرانسوا جيني أستاذ فلسفة القانون الذي نشر في الفترة من سنة ١٩١٤ إلى ١٩٢٤ كتابه في « العلم والصياغة في القانون الخاص » .

ويرى « جيني » أن القاعدة القانونية جوهر يقوم على :

معرفة الواقع وحاجاته ومقتضياته من طريق ما تسجله الملاحظة والتجربة .

فرض الواجب في شأن هذا الواقع وفق ما يحليه العقل من مثل حليا وغايات بعيدة .

كما أن القاعدة القانونية شكل : يصنعه رجل القانون بفنه ، ليصنع هذه المواد الأولية التي يتكون منها الجوهر في قالب منضبط صالح لتطبيق العمل .

ويعبر جيني عن المواد الأولية التي يتكون منها جوهر القاعدة القانونية .. بالعلم .

وعن القالب الذي تصاح فيه هذه المادة .. بالصياغة ، أو الصناعة ، أو الفن فلفترض مع « جيني » عناصر « العلم » في القاعدة القانونية :

نجد أولا الأصول الواقعية أو الطبيعية أو المادية : وتشمل الظروف المادية التي يوجبها الإنسان ، سواء أكانت متعلقة بتكوينه العضوي أو نفسيته أو خلقه ،

فهل تمشي هذه النظرة الفقهية مع نظرة صمرنا إلى البترول ؟؟

وهل تمشي أحكام المعدن الصلب مع الأورانيوم مثلا ؟؟

وفي شركات ( المضاربة ) التي يكون فيها رأس المال من شخص والعمل من شخص آخر ، يرى الفقهاء يقررون الأنصبة على أساس التقدير المستند من بينهم .

ومن البديهي أن الفقه لا يقيد كل متعامل أو متعاقد بهذه النسب ، وفقهاؤنا القدامى لم يدخلوا في حسابهم صورة مجتمعنا الصناعي المعاصر ، الذي يمتلك فيه صاحب رأس المال الآلات فيشتغل عليها المئات والآلاف من العمال ، وهؤلاء لا يقوم بهم ذلك أو نصف حسب !!

في هذه التواحد وأمثالها صور من الصناعة الفقهية ...

صناعة تستهد مثاليات العدالة الإسلامية ، وقواعد الشريعة المجمة ، لكنها لا تستطيع أن تنفصل عن ظروف المجتمع في ظروفه الزمانية والمكانية !!

\*\*\*

ولكي نقين الصناعة الفقهية على حقيقتها لنستوضح معالمها من فقيه غربي أخرج

ليبين دور كل من هذه العناصر في تكوين نظامه .

فالأصول الواقعية : تكشف عن أن أساس اختلاف الجنس بين الرجل والمرأة .

والأصول التاريخية : تدل على وجوب خضوع الزواج لرقابة سلطة اجتماعية .

والأصول العقلية : تبين أهمية نظام الزواج والمجتمع وبالتالي أهمية ثباته واستقراره .

وأخيرا تأتي الأصول المثالية : لتقتصر الزواج على امرأة واحدة أو تتيح تعدد الزوجات ، ولتجيز الطلاق أو تحرمه .

فإذا اكتحل « العلم » بهذه العناصر ، جاء دور « صياغة » القاعدة القانونية في جانبها

المادى أو المعنوى (١) . . . . . ولعل في هذا

التحليل الرائع ، كشف عن الأصول «الدبناميكية» التى تتداخل وتتفاعل لتكوين

«الفقه» بجانب الأصول الثابتة أو الموجبات المثالية (١) .

• • •

من هنا نستطيع أن نقبح كيف تفاعلت الأصول الواقعية والتاريخية مع الأصول

المثالية في إنتاج الأحكام الفقهية التى نقلها إلينا التراث الإسلامى ...

ونحن نحتاج إلى دراسة تراثنا الفقهي دراسة تاريخية تتعرف فيه على تجارب

[١] كمال عبد العزيز: الوجيز في نظرية القانون - لتفصيل يراجع : حسن كيرة : أصول القانون .

أو كانت متصلة بالطبيعة نفسها من تربة ومناخ ، أو كانت مجرد ظروف اقتصادية أو خلقية أو دينية أو اجتماعية .

ثم نجد الأصول التاريخية : ويقصد بها التطورات التى مرت بها النظم القانونية المختلفة من واقع تاريخ القانون والمعلوم الاجتماعية ، لنصل الحاضر بالماضى ، وتوثق الطفرة والاجتماع .

وتأتى بعد ذلك الأصول العقلية : وهى ما يستخلصه العقل من الحقائق الواقعية

والحقائق التاريخية فيعقلها ويحورها لتتفق مع الغاية من القانون ، فهى لا تتضمن من

المبادئ والقواعد إلا ما يبدو للعقل على ضوء الواقع والتاريخ أن طبيعة الأشياء تفرضه

فرضا محتوما ، أى المبادئ الضرورية وحدها دون الكجالية والمثالية .

وأخيرا تأتي الأصول المثالية : وهى المثل العليا التى يرسمها الإنسان للنهوض بالقانون

في مدارج الكمال ، ويستلها من العاطفة لا من التفكير وهذه الحقائق المثالية هى التى

تعمل على تطوير القانون لوجبت الحقائق الطبيعية والتاريخية والعقلية دون تغيير .

هذه عناصر « جوهر » القاعدة القانونية . أو عناصر « العلم » فى هذه القاعدة ، وفقا

لما ارتآه جينى ... وقد ضرب الفقه الكبير مثلا من « الزواج »

• دراسة قانونية مقارنة : القوانين المتطورة القائمة - غير الإسلامية ، ومدى تفاعلها مع واقع البيئات التي تعيش فيها ، وتطورها لتلبية احتياجاتها ومجاراة نموها .

• إن بعض الأوضاع القانونية اليوم يقوم على أساس وجود أوضاع اقتصادية حديثة لم يكن لها نظير في الماضي الاقتصادي الإسلامي ، وذلك كالشركات القانونية المساهمة المغطاة اليوم Anonymé وعقود التأمين Assurance وما فيها من أحكام عامة نظمها القوانين ، إلى غير ذلك من الأوضاع الأخرى : وإن المبادئ المحفوفة في الفقه الإسلامي ذات صفة مرونة وقابلية عجيبة للاستيعاب والتفريع . فالنصوص الأصلية لهذه الأحكام والمبادئ - في القرآن والحديث النبوي - يمكن حصرها في بضع عشرات من الصفحات ، وقد كانت صالحة وكافية لأن يتفرع عنها ويستمد منها خلال العصور الإسلامية الأولى فقه عظيم كالجهر المحيط ، ومذاهب حقوقية اجتهدية ونظريات مهمة فيها ، تكونت منها مكتبة قضية في الإسلام بلغت آلاف المجلدات ، وكل حكم فيها مقرون بدليله من تلك النصوص بطريق الشمول أو قياس الحوادث الجديدة على الحوادث التي تناولها النص .

فكل الأوضاع الاقتصادية اليوم يمكن

أسلافنا ، وكيف استفادوا من فلسفة الإسلام الأخلاقية والتشريعية في معالجة واقع عصرهم ومشكلات يبتهم ... فدراسة تراث الفقه الإسلامي لابد أن تكون على أساس من النظر التاريخي ، وينبغي أن تقوم على أساسين :

• دراسة تاريخية ذات شقين متكاملين :  
 للبحث الإسلامي وتطوره ، والفقه الإسلامي وتطوره ، مع بيان تبادل التأثير والتأثير بين التطور الاجتماعي والتطور الفقهي .

• دراسة فقهية مقارنة : تدرس المذاهب الفقهية ككل ، ولا تعتمد الأساس المنهجي في الدراسة . فأيا كانت الخلافات الفكرية بين أصول المذاهب الفقهية ، فقد توخى هذه المذاهب لمؤثرات موحدة من واقع البيئة ومن موجبات الإسلام .

ولا بد أن يلحق بهذه الدراسة المقارنة ويشتملها دراسة للشرائع المعاصرة للإسلام أو السابقة عليه ، وبخاصة الشريعة اليهودية والقانون الروماني .

هذا هو الأساس المنهجي في دراسة تراثنا . أما بالنسبة لمستقبلنا الفقهي فلا بد من دراسة تقوم على أساسين :

• دراسة واقعية : لبحثنا والمجتمعات المعاصرة ، وبيان عليها ما يعرف بعلم الاجتماع القانوني .

وينبثق من الشريعة الإسلامية ، كما انبثقت الشريعة اللاتينية والشرائع الجرمانية من الفقه الروماني . وأحب أن أشير إلى أن القانون الحديث الذي ينشق من الفقه الإسلامي

يجب أن يكون في منطقته وفي عيافته وفي أسلوبه فقها إسلامياً خالصاً ، لا مجرد محاكاة

للقوانين الغربية . فإتينا إذا اقتصرنا على اعتبار أن هذه هي الغاية من تطور الفقه الإسلامي ، لا نكون قد صنعنا شيئاً ويكون الأول لنا أن نقتبس مباشرة من القوانين الغربية دون حاجة إلى دراسة الفقه الإسلامي أقول ذلك لأنني لاحظت أن بعض المشغلين

بهذه المسألة يعتمدون على إيراد نصوص

من القوانين الغربية ، ثم يحاولون أن يخرجوا

هذه النصوص على أحكام الفقه الإسلامي ،

دون أن يراعوا في ذلك أصول الصياغة في هذا

الفقه ، ثم يفتنون من هذا البحث السطحي

إلى أن نصوص القوانين الغربية هي الشريعة

الإسلامية ذاتها ! مثل هذا العمل لا يحمل

طابع البحث العلمي الصحيح ، وليس من

ورائه كسب يذكر ، لا للفقه الإسلامي

ولا للقوانين الغربية ، <sup>(١)</sup> إنه عمل شاق ...

ولكنه ضروري . وعلى أنه قصد السبيل ؟

فنعني عثمان

تفريج أحكام جديدة لها على أسس الفقه الإسلامي ونظرياته كما فعل الفقهاء السابقون وتلك الأحكام الجديدة — بعد تفريجها وبنائها على قواعد الفقه الإسلامي — تلحق به وتصبح جزءاً منه ، وتصبح نظرياته مرجعاً للاجتهاد القضائي والتفسير القانوني فيها ، بالطريقة التي تضمن بها الفقه الإسلامي نفسه ، <sup>(٢)</sup>

والأوضاع الاقتصادية القائمة التي أشار إليها الباحث الفقيه مرتبطة بالتطورات الاقتصادية بجملة ، وتحوله من اقتصاد ساكن إلى اقتصاد متحرك ، ومن اقتصاد يدور في فلك محدود بدورة بطيئة إلى اقتصاد عالمي يدور دورات سريعة متلاحقة متدافعة متداخلة ... ولا بد من دراسة واقع المجتمع وتطوره للاستدعاء بعد ذلك بهدى النصوص الإسلامية الموجهة

( والغاية من دراسة الفقه الإسلامي على هذا النحو أن تنتهي بعد عشرات السنين إلى أن يتجدد شباب هذا الفقه وتدب فيه عوامل التطور ، ويعود فقها صالحاً لتطبيق المباشر مسيراً لروح عصره ، وتكون نهضة الفقه الإسلامي هذه شبيهة بنهضة الفقه الروماني في العصور الوسطى . وبفتت الفقه الإسلامي قانوناً مديناً متطوراً يحارو المدينة الحديثة

[١] مسطفي الرضا : بحث في كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة .

[٢] النوردي : بحث بمجلة الجامعة العربية .

# مِيقَاتُ الصَّوْمِ

للأستاذ توفيق محمد صيَّام

كالسويس والقاهرة وواحة سيوة مثلا بواقع أربع دقائق لكل درجة فالأرض في دورانها حول محورها من الغرب إلى الشرق أمام الشمس تقطع زمنا  $= \frac{60 \times 24}{360} = 4$  دقائق لكل درجة وبمكس ذلك يكون قانون (ب) الآتي :

قانون (ب) يتساوى طول النهار في جميع البلاد التي تقع على خط عرض واحد . كالسويس والقاهرة وواحة سيوة بينما يختلف في البلاد التي تقع على خط طول واحد كدمياط والقاهرة وأسيوط ومن أجل هذا تزيد الساعات (ساعات الصوم) أو تنقص باختلاف البلاد التي تقع في خط طول واحد حسب القانون الآتي :

قانون (ج) مِيقَاتُ الصوم ، (ب) يطول النهار صيفا كلما اتجهنا شمالا في النصف الشمالي لحظ الاستواء بينما يقصر كلما اتجهنا جنوبا ، وبالعكس من ذلك يقصر النهار شتاء كلما اتجهنا شمالا في النصف الشمالي أيضا بينما

إذا استعان أحد على تحديد الزمان بالساعة وعلى تعيين المكان بالبرصة فإن مِيقَاتُ الصوم هذا القانون الجديد يشبه أن يكون أداة يستعان بها في تحديد الزمان والمكان معا لمعرفة مقدار ساعات الصوم لكل يوم في أي مكان ... لقد ألح الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بقوله ( إن الزمان قد استدار ) مشيرا إلى ذلك النظام الفلكي البديع مثلا كان رمضان من سنة ١٦ سنة في وسط الصيف وهو ذا موثك أن يكون وسط الشتاء وبعد مدة مساوية سيعود إلى أواسط الصيف بعد كمال الدورة في ٣٢ سنة تقريبا ضروره أن العام القمري يتقدم في كل سنة عشرة أيام عن العام الشمسي .

ومن نتائج هذا النظام الفلكي حملنا على هذه القرائن أ ، ب ، ج ، ( مِيقَاتُ الصوم وهو مطلبنا في هذا البحث ) .

قانون (أ) يتحد وقت الظهر ( الزوال ) في جميع البلاد التي تقع على خط طول واحد كدمياط والقاهرة وأسيوط مثلا بينما يتوالى في البلاد التي تقع على خط عرض واحد

والنهار كما يختلفان بالطول والعصر في الأزمنة  
فهما يختلفان بالأمسكنة فإن هند من يقول  
الأرض كرة فكل ساعة هيئتها فتلك الساعة  
في موضع من الأرض صبح وفي موضع  
آخر ظهر وفي ثالث عصر وفي رابع مغرب  
وفي خامس عشاء وعلم جراً . هذا إذا اعتبرنا  
البلاد المختلفة في الأطوال ( أما البلاد المختلفة  
بالعرض فكل بلد يكون عرضة الشمال أكثر  
تكون أيامه الصيفية أطول ولياليه أقصر  
وأيامه الشتوية بالضد من ذلك ، فهذه  
الأحوال المختلفة في الأيام والليالي حسب  
اختلاف أطوال البلدان وعروضها أمر  
عجيب ( ١٠٠ هـ . ) وكذلك وجدت هذه النظرية  
في كتاب شرح المواقف الشريف الجرجاني  
ص ١٥٠ = ٧ في قسم العناصر قال :

( فالشمس في أي جانب كانت من جانبي  
الشمال والجنوب كان نهارهم أي نهار الذين  
في ذلك الجانب الذي فيه الشمس أطول  
من ليهم وفي الجانب الآخر يكون الأمر  
بالعكس فإذا كانت في جانب الشمال كان ليل  
الجنوبيين أطول وإذا كانت في الجنوب كان ليل  
الشماليين أطول ) . ١٠٠ هـ .

كما وجدت هذا القانون برسائل إخوان  
الصفا وتذكرة الأخطاكي وابن خلدون قال  
في مادة جغرافيا ص ٣٢ ثم إن أزمة الليل

يطول كلما اتجهنا جنوباً وبالضد من ذلك  
يقال في النصف الجنوبي لخط الاستواء .  
فتلاحظنا كنا في رمضان بدمياط في وسط  
الصيف وجدت المغرب يؤذن بالقاهرة في  
حين بقي على غروب الشمس عندنا حوالى  
ثمان دقائق ، وبما أن النهار يطول من طريقه  
فإن الفجر حينذاك يكون قبل فجر القاهرة  
أيضاً : وجدت مشكلة حينذاك لم تحسمها جملة  
الإذاعة ( وعلى المقيمين خارج القاهرة أن  
يراعوا فروق التوقيت ) وتأدية لأمانة العلم  
وحسباً لتلك المشكلة التي ستجدد كلما عاد  
رمضان إلى وسط الشتاء أو وسط الصيف  
فكان واجبي أن أبين ذلك القانون وأكشف  
عن مراجعه فتبعت كتبنا القديمة لتحقيق  
هذا القانون فوجدت شيئاً له في تفسير الفخر  
الرازي قوله تعالى : « اختلاف الليل  
والنهار » ص ٦٤ = ٢ قال : « ذكرنا  
للاختلاف تفسيران أحدهما إعمال من قولهم  
خلفه يخلفه إذا ذهب الأول وجاء الثاني  
فاختلاف الليل والنهار تعاقبهما في اللعاب  
والجنى . وبهذا فسر قوله تعالى : « وهو الذي  
جعل الليل والنهار خلفه » ، الثاني أراد  
اختلافهما في الطول والعصر والنور والظلمة  
والزيادة والنقصان :

وهندى فيه وجه ثالث وهو أن الليل



لمجموع الليل والنهار وهو دورة الفلك الكاملة وكذلك في آخر الإقليم الثالث مما يلي الشمال أيضا يقتصران إلى ١٤ ساعة وفي آخر الرابع إلى ١٤ ونصف ساعة وفي آخر الخامس إلى ١٥ ساعة وفي آخر السادس إلى ١٥ ونصف ساعة وفي آخر السابع إلى ١٦ ساعة وهناك ينقطع العمران فيكون تفاوت هذه الأقاليم في الأطول من ليالها ونهارها بنصف ساعة لكل إقليم يتزايد من أوله في ناحية الجنوب إلى آخره في ناحية الشمال موزعة على هذا النحو ( ١٠٠٠ ) .

نوفيس محمد صبيح

إمام مسجد جمال الدين شيبه

والنهار تتفاوت في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فيتفاوت قوس النهار والليل لذلك وينتهي طول الليل والنهار في آخر الإقليم الأول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدى ليل وبرأس السرطان النهار كل واحد منهما إلى ثلاث عشرة ساعة كذلك في آخر الإقليم الثاني فيما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان وهو منقلبا المصير إلى ثلاث عشرة ونصف ساعة ويبقى بالأقصر من الليل والنهار ما تبقى بعد الثلاث عشرة والنصف من جهة أربع وعشرين ، الساعات الزمنية

### من صحيفة بشر في تعليم الخطابة

خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهر وأشرف حسبا ، وأحسن في الأصماح ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة ، من لفظ شريف ومعنى بديع .

واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتسكف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا ، وخفيفا على اللسان سهلا ، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه .

وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلك إلى التعميد ، والتعميد هو الذي يستهلك معانيك ، ويهين ألفاظك . ومن أراغ ( أراد ) معنى كريما فليتمس له لفظا كريما ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف .

# حياة الأنبياء بعد الموت

للأستاذ عباس طه

عن الأنبياء أحياء في قبورهم بلا مزية ، وم  
أولى بذلك من الشهداء الذين ورد فيهم النص  
القرآني في قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين  
قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم  
يرزقون » . بل الحياة ثابتة لجميع من فارق  
الدنيا ولو كفاراً ، كما يدل عليه حديث أهل  
القلب الذي في البخاري ، وجاء في الصحيح  
أيضاً أن الميت بعد دفنه يسمع قرع نعال  
المشيحين ، وأن الروح تنادي حامل الجنادة  
وأنة يسمع صوتها كل شيء . إلا الإنسان ،  
ولو سمعه لصحق . وقد رأى صلى الله عليه  
وسلم في ليلة المعراج موسى عليه السلام يصلي  
في قبره ، كما رآه في السماء السادسة وقد راجعه  
مراراً في أمر الصلاة ، وقد وضع البيهقي  
رسالة في حياة الأنبياء ، والسيوطي أيضاً  
رسالة تسمى (إنباء الأذكيا بحياة الأنبياء) .

أما الكتاب فقد وردت فيه الآيات المتعددة  
الدالة على حياة الشهداء ، وقد استند الإجماع على  
أن الأنبياء أرفع درجة من الشهداء قال ابن حزم  
في المحلى بعد ذكره الآيات الواردة في حياة الشهداء  
مانعه : ( ولا خلاف بين المسلمين في أن الأنبياء  
عليهم السلام أرفع قدراً ودرجة وأتم فضيلة  
عند الله عز وجل وأعلى كرامه من كل من  
دورهم ومن خالف في هذا فليس مسلماً ) ١ .  
وأما السنة ففيها شيء كثير من الأدلة على  
حياتهم ، من ذلك حديث ( الأنبياء أحياء  
في قبورهم يصلون ) رواه أبو يعلى والبيهقي  
من طرق متعددة من حديث أنس بن مالك ،  
قال المناوي في شرح الجامع الصغير : ( رجاله  
ثقات صححه البيهقي ) ٢ . ومثل ذلك المحافظ

الأنبياء أحياء في قبورهم بلا مزية ، وم  
أولى بذلك من الشهداء الذين ورد فيهم النص  
القرآني في قوله تعالى : « ولا تحسبن الذين  
قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم  
يرزقون » . بل الحياة ثابتة لجميع من فارق  
الدنيا ولو كفاراً ، كما يدل عليه حديث أهل  
القلب الذي في البخاري ، وجاء في الصحيح  
أيضاً أن الميت بعد دفنه يسمع قرع نعال  
المشيحين ، وأن الروح تنادي حامل الجنادة  
وأنة يسمع صوتها كل شيء . إلا الإنسان ،  
ولو سمعه لصحق . وقد رأى صلى الله عليه  
وسلم في ليلة المعراج موسى عليه السلام يصلي  
في قبره ، كما رآه في السماء السادسة وقد راجعه  
مراراً في أمر الصلاة ، وقد وضع البيهقي  
رسالة في حياة الأنبياء ، والسيوطي أيضاً  
رسالة تسمى (إنباء الأذكيا بحياة الأنبياء) .  
أما قوله تعالى : « إنك ميت وإنهم ميتون » ،  
فمنه أن روحك ستفارق بدنك وتدخل  
في عالم آخر ، فلا تشتغل بتدبير الجسم ،  
ولا تسمى عليها أحكام هذا العالم وثوابه ،  
ولا فقد ثبتت حياة الأموات كلهم فضلاً

عنا بحيث لا نراهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم (١) .

وقد نقل كلام القرطبي هذا أيضا ، وأقره الشيخ محمد السفاريني الحنبلي في شرحه لمقيدة أهل السنة ، ونص عبارته : قال أبو عبد الله القرطبي قال شيخنا أحمد بن عمر : إن الموت ليس بدم عض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال ، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد موتهم ومقتلهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين ، وهذه صفة الأحياء في الدنيا ، وإذا كان هذا في الشهداء ، كذا الأنبياء بذلك أحق وأولى ، مع أنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء خصوصا بموسى عليه وعليهم السلام ، وقد أخبر نبيتنا صلى الله عليه وسلم أنه ما من مسلم يسل عليه إلا رد عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبروا عنا بحيث لا ندركهم ، وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم (١) .

ويحقق ما ذكره هؤلاء الأئمة من تواتر الأحاديث الدالة على حياة الأنبياء أن حديث

السخاوي في القول البديع ، ثم له طرق أخرى أخرجهما البيهقي في حياة الأنبياء ، وبها يصير من الصحيح المتفق عليه ، ومنها حديث الإسراء ، فقد ورد فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى موسى قائما يصلي في قبره ، وأنه اجتمع بالأنبياء وصلى بهم .

وقد نص كثير من الأئمة والحفاظ ، كالقرطبي في التذكرة ، وابن القيم في كتاب الروح ، والحافظ السيوطي في غير ما كتاب من كتبه ، على أن أحاديث حياة الأنبياء في قبورهم متواترة ، قال السيوطي في مرآة الصعود : ( تواترت بها الأخبار ) . وقال في إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء ما نصه : ( حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومة عندنا علما قطعيا ، لما قام عندنا من الأدلة في ذلك وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك ) (١) .

وقال ابن القيم في كتاب الروح نقلا عن أبي عبد الله القرطبي ( صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء ، خصوصا بموسى ، وقد أخبر بأنه ما من مسلم يسل عليه إلا رد عليه السلام ، إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أنهم غيبروا

الإسلام ذكرها في شرحها عليه ، والسيوطي في ألفيته وفي شرحه لتقريب النووي .

( إذا تقرر هذا عرف أن المرسل إذا ورد من طريق آخر مرسلًا أو مسندًا صحيحاً أو ضعيفاً كما صرحوا به ، كان حجة قطعاً ، بل اشترط جمع من أهل الحديث والأصول كونه ضعيفاً لتقوم الحجة بالجموع ( المرسل والمسند ) وإلا كان المسند الصحيح كافياً في الاحتجاج .

وهذا الحديث ورد من طريقين آخرين موصولين ، أحدهما إسناده جيد والآخر ضعيف ، فالأول من حديث عبد الله بن مسعود أخرجه البزار ونص الوراق في شرح المواهب اللدنية على أن إسناده جيد ، والشهاب الحفاجي في شرح الشفا على أن إسناده صحيح ، كما جاء في نص ملا علي قاري في شرح الشفا على أن إسناده صحيح .

والطريق الثاني للحديث المذكور عن أنس ابن مالك ، كما مرأه في البخاري في القول البديع ، والسيوطي في الجامع الصغير ، إلا أنه أورده عثراً وقال المناوي : إن إسناده ضعيف . فلم يرد إلا حديث أنس الضعيف لكان مرسل بغير عبد الله المزني حجة على رأى الجميع بافضال حديث أنس إليه ، فكيف وقد انضم حديث ابن مسعود الصحيح إليهما ؟ .

عرض الأعمال عليه صلى الله عليه وسلم ، واستغفاره لأمته ، وسلامه على من يسلم عليه ، ورد من عشرين طريقاً ، وحديث الإسراء ورد من طريق خمسة وأربعين صحابياً وقد نص الحاكم والمافظ السيوطي على أن حديث الإسراء متواتر ، قال بعضهم : لا شك أنه يؤخذ من هذه الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم حي على الدوام ، وذلك أنه حال عادة أن يغفل الوجود كله من واحد يسلم عليه في ليل أو نهار .

أما حديث : حياتي خير لكم ، فهو صحيح محتج به في هذا المقام وفي غيره بلا مرية .

وما قاله المحدثون فيه قول : هذا الحديث رواه ابن سعد في الطبقات من حديث بكر ابن عبد الله المزني مرسلًا بسند صحيح كما نص عليه واحد من الحفاظ ، وقال بعضهم : إنه حسن نظراً لإرساله ، وقد نازع بعضهم في الاحتجاج به من حيث إرساله لأن حيث سنده ، ولكن فاته أن المرسل إذا ورد من طريق آخر مرسلًا أو موصولاً ولو ضعيفاً ، صار حجة عند جميع الطوائف من أهل الأصول والفقه والحديث ، كما نص عليه ابن الصلاح في علوم الحديث ، والنووي في التقريب وفي مقدمة شرح مسلم وغيرهما من كتبه ، وكذا الحفاظ بن حجر في النخبة ، والراقي في الألفية ، والسخاوي وشيخ

بل قول : عندنا في الحديث ما هو أكبر من ذلك كله ، وهو أن الحديث متواتر تواترا معنويا لورود معناه من حديث جماعة من الصحابة يبلغ عددهم حد التواتر ، وهم عبد الله بن مسعود ، والحديث طرق يزيد على الخمسة ، وأنس بن مالك ، والحديث طرق يزيد على الستة ، وأبو هريرة ، والحديث طرق يزيد على العشرة ، وعمار بن ياسر ، وأبو أمامة ، وهشام بن أبي طالب ، وابنه الحسن ، وابن عباس ، وأبو بكر الصديق ، وأوس ابن أوس الثقفي ، وأبو الدرداء ، وأبو مسعود البصري الأنصاري ، وعمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله بن عمر .

وروى مراسلا عن جماعة من التابعين منهم بكر بن عبد الله المزني ، والحسن البصري ، وعلاء بن معدان ، وابن شهاب الزهري ، ويزيد الرقاشي ، وأيوب السختياني ، وفي الباب غير المذكورين من الصحابة والتابعين ، وهذا القدر كاف في إثبات التواتر وخصوصاً على رأى من يثبت بسببه أو عشرة ، وهو الذي رجحه الحفاظ السيوطي في ألفيته حيث قال :

وما رواه عدد هم يجب إحالة اجتماعهم على الكذب فتواتر وقوم حددوا بعشرة وهو لدى أجود ومثى عليه في كتاب ( الفوائد المتكاثرة ) ومختصره ( الأزهار المتناثرة ) لحكم بتواتر أحاديث لا تزيد طرقها على العشرة ، وهناك من يكتفي في التواتر بأقل من ذلك كما هو مبين بكتب الأصول وغيرها ، وقد ذكرنا ما يزيد على العشرين وقد حكم جماعة من الأقدمين بالتواتر في الخمسة والأربعة ، ومنهم ابن حزم في ( المحلى ) و ( الأحكام ) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار ، والقاضي أبو العلي الطبري وغيرهم . أما حديثنا فتواتر على جميع الاصطلاحات ، لوجود ما يزيد على العشرين في كل طبقة من طبقات رواه وتواتر هذا الحديث في معناه لا في لفظه .

ثم يأتي بعد ذلك أنه قد ورد في كتب الفقه والأصول وكتب الكلام أن منكر المتواتر بعدم قيام الحجة عليه كإفراجه باري السموات وعذب الكائنات .

عباس له

من المجاز في القرآن الكريم :

« فن شهد منكم الشهر فليصمه » . والشهر لا ينبغي عنه وعليه فإيجاز في الآية معناه : فن كان منكم شاهداً بلده في الشهر فليصمه . أي فن كان شاهداً في شهر رمضان فليصمه .

# مَا يُقَالُ عَنِ الْإِسْلَامِ

## الجهاد في الدين الإسلامي

للأستاذ عباس محمود العقاد

الدعوة إلا مدافعين أو دافعين لمن يصدون  
الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوى السلطان ،  
وكذلك كانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة  
العريضة كما كانت وقائعهم مع الفرس  
والروم ... وقبل غزو فارس بزمان طويل  
كان كسرى يبعث بمرثى في طلب صاحب  
الدعوة الإسلامية حياً أو ميتاً ، لأنه عاظه  
داعياً إلى الإسلام .

ولا يمتنع حسن النية في الكتابة عن الإسلام  
بين الغربيين ، وبخاصة بين الذين يثرون  
منهم على رؤسائهم الدينيين ويمتهدون  
في تصفيرهم إلى جانب ضميرهم من أتباع  
الديانات الأخرى ، فن هؤلاء من يجتهد  
في تكبير شأن الإسلام كما يجتهد في تصفير  
خصومه ، ولكنهم يحتاجون - مع حسن  
النية - إلى حسن الفهم والنفاذ إلى حقائق  
التاريخ لتصحيح الأقاويل التي شاعت  
على السماع عن فريضة الجهاد في الإسلام ،  
فإن الذين لم يحسنوا فهم هذه الحقائق

بعد متابعة الكتب التي تولى عن الإسلام  
في الغرب خلصت لي وسيلة من وسائل  
الاختبار السريع لأية الحسنة والفهم الحسن  
عند مؤلفيها ، وهي النظرة العاجلة إلى مجمل  
آرائهم حول مسألة الجهاد في الدين الإسلامي ،  
فإنها هي المسألة التي شاعت على السماع  
بين غير المسلمين ففهموا منها أن شريعة  
السيف وشريعة الإسلام شيء واحد ، وقد  
يكون لهم بعض العذر إذا نظرنا إلى أناس  
من المسلمين كالأرمن يحسبون أن انتشار الإسلام  
بالسيف حقيقة تاريخية مفروغ منها ، وقد  
أشرنا في مقدمة كتابنا عن « هجرية محمد »  
إلى واحد من هؤلاء كان يتحدث عن بطولة  
النبي عليه السلام فإذا هو لا يفهم منها إلا أنها  
بطولة سيف وقاتل ، وأن النظرة العابرة  
إلى البلاد الإسلامية لتكفي لتقرير وقائع  
التاريخ في هذه المسألة ، وخلاصتها : أن أكثر  
البلاد عدد مسلمين هي أقل البلاد غزوات  
إسلامية ، وأن المسلمين لم يجاروا قط في صدر

يُحسبون - عظمين - أن الإسلام يوجب القتال الدائم على المسلم كما يوجب الصلاة والصيام وسائر الشعائر المفروضة ، ويمدون هذه الفريضة بدعة بين الفرائض الدينية أو بين الفرائض الإنسانية التي قررتها دساتير الأخلاق في أسود العقائد على الإجمال ، وحقيقة الأمر أن الأساس الأخلاقي الذي قامت عليه فريضة الجهاد فضلاً عن الأساس الديني - يستقيم مع كل أساس سليم لكل اعتقاد قويم .

فإذا تقول شريعة الأخلاق في الواجب على الإنسان نحو وطنه أو نحو عرضه ؟ إن الإسلام لا يقول شيئاً غير الذي يقوله هداة الوطنية والشرف حين ينكرون على المرء أن ينكس عن الجهاد في سبيل وطنه وكرامته وعرضه ، ويعيون عليه أن سالم من يقاقلونه في سبيل حريته وحرية بلاده وليس بالدين الصالح للإيمان به دين ينزل بحرية العتير عن مرتبة الحرية في الوطن والمعاشر من نوادر المؤلفين الغربيين الذين جمعوا بين حسن النية وحسن الفهم في مسألة الجهاد توماس كارليل الحكيم الإيخوسى الذى يسميه نقاد الغرب بنبي الكتاب ... فهو ينتهى بزم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والفنائه ، ولا يرتضى أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ ، فإنه

أضعف من أن يحسب من الأكاذيب التي تحتاج إلى تصحيح ، وهو أظهر بطلاناً من أن يبطل بالمراجعة والمناقشة ، لأن القائل به سواء ، ومن يقول أن رجلاً واحداً حمل سيفه وخرج إلى جميع مخالفيه ليبحث فيهم الخوف من سيفه - وحده - ويسوفهم كرها إلى اعتقاد ما ينكرون ، فيعتقدونه ويثبتون عليه ثم يحملون السيف معه لتحريف الآخرين ! وأول كتاب حديث قرأنا فيه تفسيراً سليماً لأخلاق المسلمين التي يستوحونها من دينهم هو هذا الكتاب الذى اخترناه ليكون موضوع مقال اليوم مما يقال في الإسلام ، وعنوانه « دولة الباكستان » لمؤلفه ( البروفسور شبروك وليامز ) صاحب الدراسات الواسعة في شئون الشرق الأوسط وشئون الهند والباكستان ، قد سبقه كثيرون من كتاب اللغة الإنجليزية وكتاب اللغات الأوربية الأخرى إلى تحليل حركات المسلمين في المنسند مع الدولة البريطانية ومع طوائف الوطنيين هناك من غير المسلمين ، فكانت خلاصة تعليقاتهم لتلك الحركات جيماً أنها وليدة التعصب الدينى أو وليدة الروح العدوانية التي اتفردوا بها بين أبناء وطنهم ، ولكن مؤلف هذا الكتاب : ( Rushbrook Williams ) يبطل هذه الحركات للمرة الأولى بين أبناء لغته وعقيدته بأنها

يحبسون - عظمين - أن الإسلام يوجب القتال الدائم على المسلم كما يوجب الصلاة والصيام وسائر الشعائر المفروضة ، ويمدون هذه الفريضة بدعة بين الفرائض الدينية أو بين الفرائض الإنسانية التي قررتها دساتير الأخلاق في أسود العقائد على الإجمال ، وحقيقة الأمر أن الأساس الأخلاقي الذى قامت عليه فريضة الجهاد فضلاً عن الأساس الدينى - يستقيم مع كل أساس سليم لكل اعتقاد قويم .

فإذا تقول شريعة الأخلاق في الواجب على الإنسان نحو وطنه أو نحو عرضه ؟ إن الإسلام لا يقول شيئاً غير الذى يقوله هداة الوطنية والشرف حين ينكرون على المرء أن ينكس عن الجهاد في سبيل وطنه وكرامته وعرضه ، ويعيون عليه أن سالم من يقاقلونه في سبيل حريته وحرية بلاده وليس بالدين الصالح للإيمان به دين ينزل بحرية العتير عن مرتبة الحرية في الوطن والمعاشر من نوادر المؤلفين الغربيين الذين جمعوا بين حسن النية وحسن الفهم في مسألة الجهاد توماس كارليل الحكيم الإيخوسى الذى يسميه نقاد الغرب بنبي الكتاب ... فهو ينتهى بزم الزاعمين أن الإسلام قد انتشر بالسيف إلى الغاية من السخف والفنائه ، ولا يرتضى أن يعتبر هذا الزعم من أكاذيب التاريخ ، فإنه

ياقرار قواعد الحكم كما تعين على التقدم الاقتصادي ... وإن يكن من الحق أن شعور الجماهير من هذه الوجهة غلبت عليه البواعث الدينية من الناحية الاجتماعية أو فر من ناحيتها المذهبية ... .

وأطال المؤلف الكلام على النظريات السياسية الإسلامية التي تقابل ما يسمى « بالابديولوجي » في اصطلاح المذاهب الاجتماعية أو السياسية فقال ما لحواء إن تلك النظريات لا تعارض نظاما من الأنظمة الدستورية في الأمم الديمقراطية على اختلاف هذه الأنظمة في أساليب الإدارة وتوزيع السلطة على طريقة الجمهوريات الرئاسية أو النيابية ، وأن الحاكم لا يملك أن يتأثر بالسلطة على أي وجه من الوجوه مستندا إلى نصوص القرآن .

وقد يعتبر كلام المؤلف عن علاقة الدين بالوطن أبلغ رد على الذين جعلوا الإسلام « مسئولا » عن اعتبار المشاركة في العقيدة سببا من أسباب إقامة الدول ، لأنه لم يفس في بحوثه المختلفة أن دعوى إسرائيل لم تهم على أساس غير أساس المشاركة في العقيدة ، وهي - على هذا - موضع العطف والتأييد ممن يعلنون شريعة الديمقراطية ويحبسون رعاية المسلمين لاعتبارات الدين « تعصبا » مقصورا على المسلمين ؟

عباسي محمود العقاد

وليدة البحث : « لاهن وطن يستطيع فيه المسلم أن ينطلق من قيود المستقلين وحسب بل هي وليدة السعي إلى إقامة بلا تسود فيها آداب الإسلام ، وتمنع فيها ظلم الأغنياء للفقراء . ويتبع فيها الولاة وصايا العدل الاجتماعي التي يتطلونها من سماحه الشريعة » .

ويقول عن « تقاليد » الإسلام : « إن هذه التقاليد تشمل مبادئ المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله وتقرر أوامر الأخوة العالمية بين جميع المؤمنين بغير نظر إلى العنصر أو اللون ، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته من يجرؤون عليه وإغاثة الموحوشين والمهمومين وبذل الحياة نفسها في سبيل الصراط المستقيم ... ومعاملتهم - من ثم - البلاد الأخرى لا تجعلهم حريصين على الغلو في إثبات وجودهم والتصلب في إملاء تقاليدهم الحرفية أو الوقوف موقف الإحجام والاعتذار » .

وصف ما يشعر به جمهور المسلمين من أبناء الهند أو يفهمونه بداهة - في معنى الدولة فقال أن التفاصيل السياسية لم تغفل أذهانهم : « ولكنهم تطلخوا إلى سياسة تسود فيها آداب العقيدة الإسلامية وتقوم على العدل الاجتماعي والحكم السبع الزفيق وتستجيب لحاجات الشعب وضروراته ، ونحى الفقر من قسوة المستقلين وتسكفل



## مختار من الشعر القديم والحديث

### مشاعر إقبال نحو العرب

في وحدتهم ، وحریتهم

لؤسنانین : الصاوی علی شعوره ، وعبد الباری العجم

لقد أتاح السواد عن صورة آدم ، وكشف  
النقاب عن فطرته الكامنة ، وأثنى في كيانه  
القلب النابض الحفاق . كل معبود ذات  
تحملم وتواوى أمام نور هداه ، وكل غصن  
يا بس اكفى حلق النوار من فيض نداء .  
يا ثروة العروبة التي تدفق عن حرارتها  
جهاد بدر وحنين .

ومن ميدان بطولتها ظهر الصديق ،  
والفاروق ، وعلى ، والحسين .

لقد ارتفع تكبير الصلاة والآذان ؛  
ليكون تكبيراً يمتد إلى صفوف الميدان .  
ووجدت العروبة مفاتيح كنوز الدارين ؛  
حين قدمت إلى صلاح الدين سيف الواد ،  
وللى يزيد البسطامى تقوى العباد ، وحين  
تبادل القلب والعقل شوة الحنى ؛ من كأس  
واحدة ؛ كان مزاجها علم الرازى وروحانية  
جلال الدين الرومى .

لأنها مزاجيا الشرع المبين ، والعلم الحكيم ،

يا أمة العرب : التي أشرفت على الدنيا  
بمواضرها المنيفة ، وصهراتها الخالدة ؛  
من الذين أبطلوا وعى البشرية ؛ بندا ؛  
لا كسرى ولا قيصر ، وردوا الخليقة إلى  
سلطان عاقها الأكبر ، ومن الذين أبلفوا  
رسالة القرآن ؛ لأول مرة في قريب المسكونة  
وبعيدا . وفي المتقدم من الشعوب  
والمتخلف منها .

من الذين رفضوا مصباح التوحيد على  
مشارف الحياة ؛ ودوت أصواتهم في  
الكون بلا إله إلا الله .

يا أمة العرب : ألم تجمد الأجيال بهذه  
الحسكة على خوائكم ؛ ألم تنزل آيات  
الوحدة والإخاء في شأنكم ؛ أليست من  
أنسام الحياة الخصب من نبيكم ؛ قد أنبقت  
شقائق العرفان ؛ على دمال صحرائكم ، إلى والله  
لقد وبيت الحرية ولينة في مهد رسالته ،  
فما يومها الحاضر إلا ظل من أمه ، وشمع  
من شمعه .

بسرايه الخادح ! وكيف نسيت أن مقارب  
الفننة مطوية في ثوبه اللامع ! ، إنك ما لم  
تند إليه من حوضك ، وشبهه من أرضك  
لن تجهد إلى الخلاص من مكرك سيلا إن  
دهاءه ألقي بالشعوب في طوفان الفتن ، وقسم  
وحدة الوطن العربي إلى مائة وطن .

لذا كانت قوة الجاهلة منبثقة من الدين  
فالدين هزم وإخلاص و يقين ، تجاوز أيها  
العربي مقام الحاضرة والبادية ، وارتفع  
بطموحك إلى العلا ، واعقد مضارب خيامك  
في المستوى الجدير بمقامك ، وجهه ناقك  
إلى معركة الفداء بزعمة أقوى دفعا من رياح  
الصحراء ، إن العصر الحاضر من مواليد  
أيامك ، وإن نشوته من عصارة أحلامك  
كنت فيما مضى شارح أسرارده ، ولم يكن غيرك  
مخططا للمعاري ، حتى إذا تبنا الغرب أسفر  
عن وجهه معشوق خليع ، قد صرى من حلية  
الكرامة ، وفاموس الحياء ، وحين بدا في طلاء  
الحسن الناظرين ، كان حر ييدا منحرفا وعلى  
غير دين .

يا رجل الصحراء : قوم المروج بمالك  
من هزم وإقدام ! وإلى هدفك الأسنى وجهه  
مسير الأيام وفي هذه المعاني نقول شعرا :

• • •

شعب العروبة والجدد المثل في

بدو وفي حضر حتى ضحي الغنم ١١

ونظام العمران ، وحكمة الدين ! أُنشأت  
في لفائف الصدور قلباً تتخطى حدود  
الإمكان ؛ ولا تقف في مراحل الجهد عند  
مكان . وكما كان لتوجهات العروبة وأصداها  
من آثار تطل على الدنيا بمفاتيها ، في تاج  
محل ، وقصر الحمراء ! من أجرى إلى  
الأندلس .

إنها آثار تسبح عن محورها يد الفناء ،  
وتفرض حل من يرأها ضريبة الثناء . في  
مظاهرها جلوه السحر العميون ، ومن إدراك  
خفاياها يكبو العارفون .

الحمد إلى غير حد . وسلامنا الموصول  
إلى النبي الأواب ! الذي حقق معجزة الإيمان  
في قبضة من تراب ! . إنه الإيمان الذي  
يمنح المؤمن معناه السيف البتار ، ويخلق  
من حدة إبل الصحراء ، فرسان خيل  
الافتقار .

وأما لهذا الطموح القاهر ! كيف تحطم ،  
وواحربا من هذا اليأس كيف تحكم ١٢ .  
تقدمت الشعوب بأعمالها في مراحل الزمن  
كيف تناسيت كنوز صحرائكم ، وكنتم أمة  
واحدة ، فكيف أصبحت أمة وشعوبا .  
إن كل من تحمل من قيد ذاتيته لم يطب له  
في العيش بقاء ، ومن أسلم زمامه للدخيل  
قضى على نفسه بالفناء .

أيها العربي : كيف طواك سحر المستعمر ؟

- من الذي حرر الدنيا لحاقها  
وأسمع الخلق لا كسرى ولا فيصر؟  
من قبلكم أبلغ الآيات فاطقة  
بوحى من خلق الدنيا وسواها ١٤  
من غيركم رفع المصباح مؤتلفاً  
ووحدة الخلق لما وحده الله ١١٤  
لم يطعم الناس إلا من موائدكم  
علماً شهباً وتهذيباً وحرافاً ١١  
في شأنكم أنزل الله الكتاب فأصبح  
ستم بنعمته في الخير إخواناً ١١  
من حول البيدر وضاً والمصادوراً  
وأنبث الورد في الصحراء للعرب؟  
استغفر الله ما غير النبي بها  
أغنت شمالكه فيما عن السحب ١١  
حكى رب قديم في الوجود هوى  
بزمه ساجداً لله إكباراً  
وكل غم من همم من نداء هذا  
يمجد الحسن أوراها ونواراً  
وأما لها جذبات طالما حفزت  
منا الخطأ وأثارت للعلاهما ١١  
قد أبدلتنا الببال من بواضها  
بأساً مبروراً ومن أنوارها ظلاماً ١١  
كل الشعوب أهدت من مواردها  
حسن الرعاء وسارت للنبي قسماً ١١  
وملء صحرائكم لو تعلون غنى  
وثروة وكفوز تغدق النعماء ١١  
كيف اتقضى حفلكم وانقض سامركم  
وكان بالأمس مثل العقد منتظماً ١٤  
توحدت من قديم الدهر أممكم  
ما بالها انقسمت في أرضها أئماً ١٤  
قد غادىكم من المستعمرين يد  
وسم العقارب في أكامها استرا ١١  
كم أهدروا من شعوب آدميتها  
كم أبطلوا قتناكم أفعدوا فطراً ١٤  
توارث العرب الأحرار وحدثهم  
مدى حصور وأجبال وأزمان ١١  
حتى إذا جاء الاستعمار قسمها  
إلى شعوب وأقسام وأوطان ١١  
أضرب خيامك في دنيا وجودك لا  
تقف بها عند رسم الدار والدمى ١١  
وادفع بناقتك الميدان أسبق من  
ريح الصحارى وأتقد وحدة الوطن ١١  
يا أيها العربي انظر لمصرك في  
دنيا يفوز بها من أحكم النظراء ١١  
بالعزم . بالعدل . بنبي ما يؤمله  
إن شئت لتكون تغييراً فكن عمراً ١١  
الصاوي هلى سمعوه ، هبوا بالبارى أجمع

# الكتاب

نقد وتعريف · مؤلفه محمد عبد الله السماوي

١ - عبد الملك بن مروان :

دكتور ضياء الدين الرئيس

هذا الكتاب هو العدد العاشر من سلسلة  
أعلام العرب ، التي تصدرها وزارة الثقافة  
والإرشاد القومي ، وتقوم بنشرها مكتبة  
مصر بالفضالة ، والمؤلف أستاذ التاريخ  
الإسلامي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

الدكتور الرئيس في أكثر من ثلثمائة صفحة  
ترجم لعبد الملك بن مروان - موحد الدولة  
العربية - في عشرة فصول : الخليفة والدولة ،  
دولة آل مروان ، عبد الملك وأسرته  
مرتين ، ثورة الشيعة بالعراق ، صراع بين  
القوى ، نحو توحيد الدولة ، عام الجماعة  
وإتمام الوحدة ، فتوحات وإصلاحات ،  
ثم شخصية عبد الملك وسياسته وخلفاؤه .

يتحدث الدكتور في الفصل السادس عن  
الصراع بين القوى في عهد الخليفة الأموي  
عبد الملك بن مروان ، أما هذه القوى ،  
فالحرب بين الشام بمثة في الخلافة ، وبين

الحجاز بمثة في قوة عبد الله بن الزبير المناهض  
لخلافة بني أمية ، والحرب بين الشام أيضاً  
وبين العراق بمثة في الشيعة تارة ، وفي أشياع  
عبد الله بن الزبير تارة ثانية ، وفي الحوارج  
تارة ثالثة .

ويتحدث في الفصل السابع والثامن عن  
توحيد الدولة العربية ، وكيف رسم الخليفة  
خطة مزدوجة : سياسية وحرية ، حتى  
استولى على العراق ثم على الحجاز ، واستطاع  
أن يوحد الدولة العربية تحت راية  
الإسلام ، وكان عام ٧٤ هـ هو عام الجماعة  
وإتمام الوحدة العربية الإسلامية ، أما أهم  
العوامل التي ساعدت على انتصار الخليفة ،  
فهو شخصيته التي كانت متمعة بالصفات المتميزة  
التي تؤهله للزعامة .

ويختم الدكتور هذه الترجمة الطيبة في الفصل  
العاشر بإلقاء أضواء على شخصية الخليفة ،  
في إطار تحليل دقيق ، وقيم شخصيته الفذة على  
دعامتين : قوة الإرادة والشجاعة ، ويضيف  
إليها صفة ثالثة هي الحزم ، ويعتبر أن صفة

ابن مروان ، فلم يكن هناك فضل لأحد سوى  
الوضع التقليدي في إستاذ الخلافة إلى ولي  
المسند . تراقبها طلائع الشعراء وأصحاب  
الحاجات ، والنفسيون ، وكبار رجال الدولة  
الرسميون .

ويذكر الدكتور الرئيس قصة موقعة الحرة  
ومؤداها أن بني مروان حين اضطروا إلى  
هجرة المدينة — والحرب قائمة بين قوة  
عبد الله بن الزبير وقوة الأمويين بانقسام  
( أخذت عليهم العهود والمواثيق : أن لا  
يظاهروا عليهم عدواً ولا يذلوه على حورة  
وكان أن تقيمهم مسلم بن عقبة بمجيش أموى  
لمهاجرة المدينة ، وذلك بوادى القرى ، فدعا  
بعمرو بن عثمان : فقال له خبرنى ما وراءك  
وأشر على ، فقال : لا أستطيع ؛ وقد أخذ  
علينا اليهود والمساويق ، أن لا ندل على  
حورة ولا نظاهر عدواً ) وجاء دور  
( عبد الملك ) فرسم له خطة الهجوم ، وكان  
أن نجتمع الخطة ويرى الدكتور إن صحت  
القصة — أنها تشهد له بما كان يتمتع به من  
مواهب الذكاء وسداد الرأى والخبرة حتى  
بالحرب ، وهذا المسلك لا يمكن لمؤرخ  
دقيق أن يدافع عنه ، فضلاً عن أن يكون  
في نظره مثار غر ومظهر تقدير لصاحبه  
أما شعر الشعراء بعد ذلك فلا أظن أن له مكاناً  
في الدراسات التاريخية إلا من قبيل الحفاظ

القوة بعد ذلك هي الطابع العام لشخصية  
عبد الملك بن مروان ...

لا شك أن الدراسة التي قدمها الدكتور  
الرئيس في ترجمته لعبد الملك بن مروان ،  
دواية تاريخية متممة — اعتمد فيها على أقرب  
المصادر التاريخية إلى الثقة — وإن كانت هناك  
ملاحظات فإني أعظم على تقديره وتنكيهه هو  
للأمور والأحداث ، فهو يرى : أن الدولة  
الأموية كثيراً ما صورت على غير حقيقتها ،  
أو كتب تاريخها على غير ما يرضى الحقيقة  
والعدل ، وطالما حمل عليها وأسبغ تقدير  
رجالها ، وذلك لأنها قامت نتيجة صراع ،  
فكان لها منذ نشأتها أعداء كثيرون ، وبقى  
للعداء لها مستحكما إلى اليوم ، ويكنى أن  
يقرر الدكتور أن الدولة الأموية قامت  
نتيجة صراع ، وليس على أساس من رضا  
المسلمين وإجماعهم ومفودتهم ، ولم يكن  
قيامها مظهر التقدير من جانب الأمة  
الإسلامية ، وقد أقلمها السيف والمال  
والدعاء السياسى ، ثم إن مؤسسا ( معارية )  
حين كان أول من ابتدع ولاية العهد  
لابن الخليفة من بعده ، كان أيضاً أول من  
خرج على إطار الإسلام ، في إلزام المسلمين  
حكماً حصياً قليلاً ، وإلى هذا وذاك يمكن  
أن يرد العداء المستحكم لها إلى اليوم ،  
أما الخلافة التي أنت متفاداة إلى عبد الملك

تناولت الدراسة : صفاته وأخلاقه ومؤلفاته  
وقيمه ومبادئه ، وعلمه ومعرفة وفي الفصل  
الثالث ، تناولت دعوة وآراءه وموقفه  
من الحضارة الأوروبية ، وتحرير المرأة ،  
ودوره في التربية النظرية والتربية العملية .  
أما الفصل الرابع فقد عرض لثورة  
العربية ، ومكانه في مذكرات هراي ، وكتاب  
مسترد بلنت . . . والتاريخ السري لاحتلال  
الإنجليز مصر . .

أعجبني في هذه الدراسة إبرازها لتقييم عظيمة  
في شخصية : علي مبارك لاسيما الشجاعة الأدبية  
والمادية ، والشجاعة قيمة قد توافر في أي  
شخص ، ولكن الملابس والظروف قد  
تحوّل دون توافرها ، في كثير من الأحيان  
فعل مبارك يسجل في عهدي إسماعيل وتوفيق  
في كتابة « نخبه الفكر » أن السائس الأعظم  
لا بد أن يكون عالما شرعيا وكذلك نوابه  
وعماله ، وأن بلاد المسلمين بلنت ذروة  
بجدها وغاية سمادتها وعمرها عندما كان  
السلطين والطاء كلاهما من أهل المعرفة .  
ثم رجعت بلاد المسلمين القهري عندما تظلم  
على الحكم فيها أهل الخشونة والجهل . فوقع  
المسلمون تحت تصرف الامواء وتنازع  
الاغراض ، فوقعوا في السير ثم قهقروا  
حتى تدهوروا . . .

وعلى مبارك يعين قاضيا ورئيسا لمحاكمة

على التراث الشعري ، وليس مستندا صالحا  
يعتمد عليه في إبراز قيم الأشخاص الذين دخلوا  
التاريخ بحق وبغير حق .

هذه ملاحظات طابرة ، لا تقلل كثيرا من  
أهمية الدراسة التي قدمها لنا الدكتور الرئيس  
والتي قدم لنا فيها تحليلا للأحداث التاريخية  
التي لم تزل موضع نقاش اليوم .

## ٢ — على مبارك :

للأستاذين : عبد الله المشد ومحمد الشرفاوي  
هذا الكتاب الذي نشرته مكتبة الأنجلو  
بالقاهرة ، قال جائزة بمجمع اللغة العربية  
الدراسات الأدبية ، وقد تناول في دراسته  
حياة ودعوة وآثار عالم مصري دخل التاريخ  
من أوسع أبوابه ، حتى أصبح جزءا من  
تاريخنا في فترة من الفترات ، كان الحكم فيها  
حكم سلطة وقسوة لشعب مسلم مغلوب  
على أمره .

والدراسة التاريخية التي قدمها لنا المؤلفان  
الجليلان : الأستاذ الشرفاوي سكرتير تحرير  
مجلة الأزهر السابق وفضيلة الشيخ المشد مدير  
الوعظ العام بالأزهر ، في أربعة فصول  
تناولت في الفصل الأول « على مبارك »  
منذ أن ولد في قرية « برمبال » إحدى قرى  
محافظة الدقهلية عام ١٨٢٣ إلى أن لقي ربه  
عام ١٨٩٣ م ، بعد أن ألقى أضواء سريفة  
على نشاطه وكفاحه ، وفي الفصل الثاني

حياة : حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها ، منهج يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود ، ويحدد مكان الإنسان في هذا الوجود ، كما يحدد غاية وجسوده الإنساني ، ويشمل النظم والتنظيقات الواقعية التي تنبثق من ذلك التصور الاعتقادي وتستند إليه .

فالأستاذ سيد قطب يبنى دراسته على أساس أن كل دين منهج حياة لأن هنالك ارتباطاً وثيقاً بين طبيعة النظام الاجتماعي وطبيعة التصور الاعتقادي ، بل إن هنالك ما هو أكبر من الارتباط الوثيق ، هنالك الانبثاق الحيوي ، انبثاق النظام الاجتماعي من التصور الاعتقادي ، وعلى أساس أن الفصام النكدر بين الدين والحياة في الغرب عاجل في المسيحية ، ملازمات سيئة في هذه نفعاتها وعند انتصارها السياسي . والاساس الثالث : أن الرجل الأبيض قد انتهى دوره كما يقول الفيلسوف الانجليزي براترند رسل والاساس الرابع : أن الحضارة المادية — حضارة الرجل الأبيض في طريقها إلى النهاية والاساس الخامس والآخر : أن هناك عظمة له سمات وملاح لا تطبق إلا على هذا الدين ، وبهذا يكون المستقبل له .

إن المؤلف الفني على أي تعريف جال بنا جولة ثمرة . استطاع من خلالها إقناعنا بأن

مصريين وطنيين اتهموا بوضع قنبلة تحت مجلس الحديري إسماعيل في الأوبرا ولكنه لم يذن أحدا لعدم كفاية الأدلة ، وهذه شجاعة كفالة بأن تضع على مبارك فوق القمة .

ولم يسجن في الدراسة اتجاه المؤلفين إلى النفاق من على مبارك — فيما اتهم فيه ، إذ نيل من قدره ، وإن كانا قد عرضنا في كتابهما ما له وما عليه ، ولكن رأيهما كان دائماً في جانب على مبارك ولا سيما في موقفه من الثورة العربية ، فأى خذلان لحركة عرابي — مهما كانت أخطاؤها أو أي إسلام لها قد لا يجد مبرراً ، وإن أي تعاون مع الاحتلال بعد هزيمة عرابي أو مع مثل الاحتلال « توفيق » لا يجد من الأعذار ما يحور وصحة المارحنه . إن هذه الدراسة التاريخية لها تقديرها لدينا ، وحسبها أن عرضت تاريخاً أميناً في قلبه وحرصه ، واتجاه المؤلفين إلى رأى معين ، لم يחדش قيمة هذه الأمانة .

### المستقبل لرهز الربيع

للأستاذ سيد قطب

كتاب جديد نشرته مكتبة وهبة بباعدين ، للأستاذ سيد قطب ، بعد أن صدر له كتابان قريبان من كتابه الجديد هما : خصائص التطور الإسلامي ، وهذا الدين .

يقرر الأستاذ سيد قطب أن الإسلام منهج

لمفهوم الأسرة بمعناها العام (جماعة المسلمين) ومعناها الخاص (الزوجان والأبناء) ثم أخذ يعرض أبحاثاً مركزة في ترغيب الإسلام في تكوين الأسرة، وأهمية الزواج، والخطبة وعناصرها ومنها المهر ومراسم الزفاف، ثم سياسة المنزل وتربية الأولاد وتعدد الزوجات.

وتحت عنوان (الأسرة الإسلامية في حاضرها) تعرض لمعامل انحلال الأسرة في الغرب. وتحدث عن صلة الرحم وفسرها بالإحسان إلى الأقربين والعطف عليهم، وعند حديثه للأسرة العامة - أي الجماعة الإسلامية - تحدث عن العلاقات الواجب إحياؤها، ومنها ما هو إيجابي: كالتكافل الاجتماعي المالي، والتضامن الجماعي السياسي، والإيثار والمساواة والمعدل والإنصاف والتضحية وإصلاح ذات البين، وصيانة الأعراض والنصيحة ومنها ما هو سلبي: كالحب وتجنب الأذى وإقالة العثرات والشفقة عن العظم.

الحق أن هذه الرسالة بحث إسلامي جدير بالتقدير، ونصوحه سليمة المصدر والرواية والسند، وإن كان هناك ما هو جدير بالملاحظة، فهو الترتيب والتنخطيط الداخلي للبحث، حيث لم يمن بهما العناية الوافية، فالقارئ يظن أن يقرأ عناصر هذه المبادئ

الإسلام وحده حري بأن يكون غلصاً لهذا العالم من جبروت المادة وطفانيان الانحلال، ورواسب الاستبداد، واستطاع تقديم نماذج من الملابس التي عزلت المسيحية عن الحياة ولكنه لم يحدثنا عن ملابس عزل الإسلام نفسه اليوم عن الحياة، ولا عن العوامل التي أقامت فاصلاً من فولاذ بين الإسلام وبين طبيعته التي تؤكد أنه منهج متكامل لهذه الحياة، ومن أبرز هذه العوامل، تلك العقليات الراكدة التي أسهمت إسهاماً فعالاً في إقامة هذا الفاصل.

والحق - مع احترامنا للأستاذ سيد قطب وقلة إيمانه - أن العاطفة الدينية قد احتلت في كتابه الجسيد المركز الأول، وإن كانت العاطفة بترجمة بغيره على الإسلام ومقوماته ومكانته اللاتفة به، والذي تعاونت شق الظروف اليوم على أن تزحزحه عنه واعما، في غفلة من الشعوب المسلمة التي تلهو في غفلتها، وفي غفلة من العلماء الذين تخلف عنهم شجاعة إخوانهم في العصور السالفة، والتي لم تكن تخشى إلا الله.. والله وحده.

٤ - مبادئ الإسلام في تنظيم الأسرة - للأستاذ أبو الوفا المراغي.

هذا بحث صدر ضمن سلسلة كتب إسلامية التي يصدرها المجلس الإسلامي الأعلى بوزارة الأوقاف، وقد بدأ الأستاذ أبو الوفا المراغي مدير المكتبة الأزهرية هذا البحث بتفسير



عن الزكاة كركن ثالث من الأركان يتحدث  
ويلقى أضاء على ملاح الاشتراكية في الإسلام  
فالإسلام بحدوده الواسع الشامل يشتمل على  
أجل صور الاشتراكية ، أما الأساس الذي  
تقوم عليه اشتراكية الإسلام فهو يختلف  
اختلافا جديداً عن الأساس الذي تقوم  
الاشتراكية عليه في غيره ، فهو في اشتراكية  
الإسلام تصير عن شعور كل فرد بحق أخيه  
عليه ، وهو عبادة مالية لا بكل الإيمان المرء  
المؤمن بدونها ، ولا يسلم إسلامه بغيرها .

وقد يرى بعض القراء أن لفظة الدين  
تشمل الدين في عمومته ( السبأى بالطبع )  
لأن العنوان : الدين عند الله . . . لا يشير  
إلى غير ذلك ، حيث أن الدين الوضعي  
لا ترتبطه بالسماوية رابطة ، وعلى هذا الرأي  
كان يجب على المؤلف أن يتناول الأديان  
الكتانية جميعاً ، ولكن يظهر من الدراسة  
أن المقصود بها أن تكون تطبيقاً لقوله تعالى  
« إن الدين عند الله الإسلام » .

وأنا أرى أن الدراسة كان ينقصها جانب  
المقارنة ، وبعض الردود على شبهات أثارها  
الاستشراق على بعض نواحي الإسلام التي  
تعرض لها في كتابه الأستاذ فودة .

محمد عبد الله السامه

على سبيل المحصر لتستقر في ذهنه ، كما أن  
الأستاذ المؤلف الفاضل يشير إلى حكم الإسلام  
فيمن يعيب بحركة الطلاق وتعدد الزوجات  
وقد ذكر أن كليهما ضرورية يلجأ إليها  
المضطر ، وكان واسع الأفق فيما تناوله متصلاً  
بمثل هذه القضايا التي لم تول المعركة حولها  
حامية الوطيس .

• - المربع عند الله :

الأستاذ عبد الرحيم فودة

هذا البحث صدر أيضاً ضمن سلسلة  
الكتب الإسلامية التي يصدرها المجلس  
الإسلامي الأعلى ، والمؤلف هو وسكرتير  
تحرير مجلة الأزهر في غنى عن أن نعرف به  
قراء مجلة الأزهر .

أما البحث على إيجاز ، فقد قدم فيه  
دراسات طيبة عن الوحي في ضوء العلم وشهادة  
الواقع ، وعن الطابع الإلهي في القرآن ،  
وعن أساس الدين وهو العبادة ، وعن مكانه  
الصلاة والزكاة والصوم والحج من الدين ،  
وكذلك تناولت الدراسة مفهوم الدين  
وعرويته وصلته بالحياة ، وموقفه من العلم  
والاجتماع .

كما تناولت الدراسة علاقة الدين بالحضارة  
والتطور والنظام والسلام ، وهو في الحديث

# انبثاء وآراء

يصطنعه بعض من يتحدثون إلى الجماهير ،  
ويتناولون في حديثهم تفسير بعض آيات  
القرآن الكريم .

استمعنا إلى ندوة عقدت في (التليفزيون)  
بمناسبة الإسراء والمعراج ، وكان أحد  
المتكلمين فيها الشيخ محمد قح اقه بدران  
المدرس بكلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية .

وقد عرض في حديثه تفسير الآيات  
الأولى من سورة النجم ، وراق له أن يتحدث  
أحيانا باللغة العامية ، وبما خلق في ذاكرتي  
من هذا الحديث قوله : أن عمدا مر في رحلته  
( محطات ) . محطة بيت المقدس ، ومحطة  
قاب قوسين ، ومحطة سدة المنتهى ، وأنه  
قام في المحطة الأولى بعملية ( تفتيش ) وفي  
المحطة الثانية وهي ( محطة قاب قوسين ) وقد  
أعاد الشيخ التعبير - تلقى التعليلات في الصلوات  
وغيرها - وبعد أن ( حمل شمله ) ونطقها  
الشيخ بضم اللام - في ( محطة قاب قوسين )  
تأخر ( جبريل ) لأنه ليس إلا ( تشريفاتي )  
أراد الله أن ( يفسح ) نبيه فصمد به إلى محطة  
سدة المنتهى .

المسحوم دين الفطرة :  
ورد السيد الأمين السلام لجميع البحوث  
الإسلامية من الصومال نبا أبان عن النصر  
الذي يحرره الإسلام بالرغم من الدعاية التي  
يثيرها التمسب التبشيري المستند إلى الحكومات  
الاستعمارية في إفريقيا والنبا يقول :  
في الوقت الذي تزدهم فيه حملات التبشير  
مع اختلاف مذاهبها في منطقة شرق أفريقيا  
نجد شابا مسيحيا مانفارا يتذوق مشاهره  
حلاوة الإسلام فيفر من وسط الزحام  
التبشيري إلى مكتب بعثة الأزهر بالصومال  
ليشهر إسلامه ، ويؤكد أن الإسلام دين  
الفطرة ، وقد أعجبه في الإسلام احترامه  
وإكرامه للإنسان دون تفرقة بلون أو عقيدة .  
ولذا فقد قرر عن اختيار أن يكون مسلما  
يشرف نفسه بهذا الدين السبع الحنيف .

مخط: ( قاب قوسين ) :  
أعتمد إلى القراء إذا كان هذا العنوان  
يمرح أذواقهم ، أو يسيء إلى شعورهم  
أو يبدو ركيكا تأقها فإني لم أجد كلمة أدق  
من هذه الكلمة في الدلالة على الأسلوب الذي

بعض أساتذة الجامعة المصرية على طلابه في تفسير قوله تعالى : ( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ) حيث قال : ( ليس محمد إلا ساعي بربد ) .

وإني لأجزم أن أي رجل من العامة يستحي أن ينطق بمثل هذه التعبيرات .

على أن الذي نوجوه من الإذاعة ومن غيرها أن ترقى لا أن تهبط بلغة الحديث ، وعبء ذلك يقع على المتحدثين أنفسهم أكثر مما يقع على المتفرجين على شئون الإذاعة . وليست اللغة العربية لغة جامدة أو مضيقة ، بل هي لغة مرنة واسعة ، يستطيع أي متحدث من هؤلاء الذين يقفون على مثل هذه المنابر أن يصطنعوها وأن يبلطوا ما يريدون من تفهيم المستمعين .

والدليل أمامنا وفي أيدينا ، فبعض المتحدثين لا يستعمل في حديثه كلمة عامية واحدة ، ومع ذلك هم من أحب المتكلمين إلى الجماهير .

هذا ما أوجوه فإذا ركب بعض الأساتيد رأسه ، وأبى إلا أن يتحدث لغة عامية ، فليراع أذواق الناس ، ولا سيما عند ما يشرع مقدساتنا الدينية والله المستعان .

علي العمري

هذا قليل من كثير مما سمعته في هذه الندوة ولقد عجبت أشد العجب كما تألمت أشد الألم لهذا الأسلوب الذي يذاع على الناس ، ويمس أكرام ما فسر به في عقائدها .

ولست أدري لماذا يلجأ هؤلاء السادة لمثل هذا الأسلوب ، ومن الممكن أن يتحدثوا بأسلوب عربي سهل لا يستعصى فهمه على أحد من أوساط الناس ، ولعلنا لا نجمل أن التعليم ، والصحف ، والإذاعة وغيرها قد رفعت من مستوى الجماهير فأصبح أكثر من يستمعون إلى الإذاعة المسبوبة أو المنظورة يفهمون ما يقال باللغة العربية السليمة :

ولقد كان من استمع إلى هذا الحديث — معي — وأنكره تلاميذ في المرحلة الإعدادية لم يفهم أن يقول الشيخ عن جبريل إنه ( تشريفاتي ) ولا عن محمد صلى الله عليه وسلم إنه ( عمل شمله عند عطة قاب قوسين ) ثم ذهب ( يتفصح ) عند عطة سدوة المنتهى .

وقد فهم بعض المستمعين أن ( قاب قوسين ) اسم موضع في السماء ، لأن الشيخ كرر التعبير دون أن يغير إلى شرحه ، وأنا أعتقد أن الشيخ لم يقب عنه معنى هذا التعبير ولكن صنيعة يشرع بها فهم هؤلاء المستمعون .

ولقد ذكرني هذا الحديث بما أملاه

## مؤقتة للمقارنة .

منه أيضا ( ما يساق من موازنات في داخل  
الآداب القوي الواحد ، سواء أكانت هناك  
صلات تاريخية بين النصوص المقارنة  
أم لا . (١) أما الآداب المقارن بالمعنى السابق  
فقاله أن تقارن « مصرح كليوباترا » لأحمد  
شوقي بمن كتبوا في هذا الموضوع من أدباء  
الغرب مثل « شكسبير » « دريدن » الانجليزيين  
و « لاشابل » و « مارموتل » وغيرهما  
من الفرنسيين .

أو ندوس مثلا أحمد شوقي وتأثره  
بلافوتين في فن « الحكاية على لسان  
الحيوان » .

ومن هنا كان وضع المقال تحت العنوان  
المذكور فيه خلط ، لانعدام الصلة بين  
« البحري » و « الفريدي فيني » من  
النساجية التاريخية ومن ناحية هدف كل من  
التصديتين . وكل ما بينهما من صلة هو التوافق  
في الاسم وفي الانتهاء بالقضاء على الذئب .

عبد الوارث عيسى

- دار العلوم -

نرحب بهذه الملاحظة ، مع ملاحظة أن  
الاصطلاح الذي ذكره الكاتب لم يصل إل  
الحد الذي يقال فيه « لامشاحة في الاصلاح »  
وقد أراد الكاتب بالمقارنة الموازنة ؟  
« المجلة »

نشرت مجلة الأزهر في عدد شعبان مقالا  
للأستاذ العوضي الوكيل يوزان فيه بين قصيدة  
« البحري » في الذئب ، وبين قصيدة  
للشاعر الفرنسي « الفريدي فيني » في الذئب  
أيضا ؛ وقد وضع المقال تحت عنوان « أدب  
مقارن » وكان ينبغي أن يكون العنوان هو  
« موازنة » إذا لمقال منها وليس من الآداب  
المقارن .

لأن للآداب المقارن مفهوما محددًا عند  
دارسيه - يخالف المفهوم الشائع لكلمة  
« مقارن » أو « مقارنة » - هذا المفهوم هو  
( البحث في الصلات التاريخية بين الآداب  
المختلفة وما لهذه الصلات من تأثير  
أو تأثر ) (٢) .

وإذن فليس من الآداب المقارن - بهذا  
المفهوم ( ما يعقد من موازنات بين كتاب  
من آداب مختلفة لم تقم بينهم صلات تاريخية  
حتى يؤثر أحدهم في الآخر نوعا من التأثير (٣)  
كما في قصيدتي الذئب في مقال الأستاذ العوضي  
ومثلها قصيدتا « البحيرة » « البحري »  
وللامرتين الفرنسي .

ومن تعريف الآداب المقارن السابق يخرج

[١] الآداب المقارن . تأليف ه . عمدي غنيمي

جلال ط ٣ - ٥ .

[٢] المرجع السابق ص ١١ .

[٣] المرجع السابق ص ١٣ .

### مجمع اللغة العربية في المغرب

قالت البنية المغربية ما يأتي : يدرس المغرب امكانية تكوين مجمع مغربي للغة العربية ، وتدرس هذا الموضوع لجنة مكونة من ممثل وزارة الدولة لشئون الإسلامية ووزارة التربية الوطنية والمكتب الدائم لمؤتمر التعريب التابع لجامعة الدول العربية .

وتدخل هذه الفكرة في إطار الدعوة التي وجهها مؤتمر التعريب لسائر الدول العربية لتكوين مجامع علمية في كل بلد منها على أن توحد هذه المجامع في مجمع واحد أو تحصى اتحاد واحد لتقوم بعمل مشترك لصالح اللغة العربية في كل أقطارها .

والفكرة مهمة جدا وخاصة في بلاد المغرب العربي التي استبدت اللغات الأجنبية فيها بميدان التعبير العلمي والحضاري ، فالمسميات الحديثة علمية وحضارية أغلبها أجنبي ، وما تزال تطنى الأعمجية على المصطلحات بتطور الحضارة والعلم حتى إنه يخشى أن يأتي يوم لا تجد فيه العربية مكانها في عقول المثقفين وأقلامهم . ولكن مجامع اللغة العربية يجب أن تكون علمية أكثر منها نظرية ، وإحياء القديم لا يجب أن يطنى على مسيرة الحديث ، وتجديد اللغة لا يجب أن يحتق وراء صقلها والحفاظ على قديمها .

لهذا نعتقد أن مهمة هذه المجامع يجب

أن تكون مهمة تجديد بتبسيط المبتدعات الحضارية والعلمية الجديدة وصياغة مصطلحاتها في الفاظ وتمايز والعمل على إدخالها في كتب الدراسة العلمية والفنية في جميع المدارس العربية لتتكون الاجيال الحديثة تتكوننا عربيا ، ولتستعيد قدرتها على التفكير والتعبير باللغة العربية السليمة .

وإذا كانت هذه مهمة كل مجمع من مجامع البلاد العربية ، فيجب أن تكون مهمة اتحاد المجامع حتى يستطيع هذا الاتحاد أن ينسق بين جهود المجامع وأن يحصل من اتجاها اتجاها لجميع البلاد العربية لا لبلد واحد فقط .

ومن المهام التي يجب أن تضطلع بها المجامع المحلية دراسة اللغة العربية في كل قطر واستخراج المصطلحات والتمايز السليمة التي ينبغي أن تدخل اللغة الفصحى ، في كل بلد عربي ترسبت كلمات وتمايز لا توجد في غيره ، وذلك ثروة لغة العربية لا ينبغي أن تضيع .

فسي أن تجد هذه المجامع طريقها إلى النور في أقرب وقت ، فإن الأعباء التي ستقوم بها لا تنتظر .

### ذكرى مصطفى صادق الرافعي

اجتمعت اللجنة الدائمة لتخليد ذكرى مصطفى صادق الرافعي بنادي طنطا الرياضي في تمام الساعة السادسة من مساء الأحد الموافق

مكافأة وتقدير الأحياء وتخليد ذكرى  
الراجلين والاعتراف بفضلهم ومع هذا  
الاتجاه الكريم للثورة الخالدة تجتمع اليوم  
اللجنة الدائمة لتخليد ذكرى الراحلين  
من خلق الثورة وتستضيء بمبادئ السيد  
الرئيس العظيم في تكريم الخالدين ، ولقد  
عرضت أيها الأخوة فكرة هذه اللجنة  
الموقرة على السيد المحافظ فوجدت سيادته  
متحمسا ومؤيدا لها كما أنه يرجو لنا النجاح  
والتوفيق والسداد وإنه من حظ هذه المدينة  
المباركة أن تكون متدى حياة ومشوى وفاة  
هذا العلم العظيم والأديب الكبير، ولاني أرجو  
وأتمني من كل قلبي أن تحقق هذه اللجنة التي  
لضم النخبة الكريمة الممتازة من مواطني  
طنطا العزيرة ما يرقبه منها أدب الراحلين  
وإنتاجه كما وأنه من حسن الحظ أن يكون  
من بيننا الأستاذ الكبير محمد عبد الرحمن  
المدير الصام للتربية والتعليم الذي أرجو  
في وجوده أن توفق اللجنة في خطراتها  
ولاني على أتم استعداد لتنفيذ كل ما تقرره  
اللجنة من شروطا .

وطلب المجلس من الأستاذ محمد إبراهيم  
مصطفى تلاوة المقترحات ، وناقشت اللجنة  
هذه الاقتراحات واستقر الرأي على ما يأتي :  
أولا : المواقفة بالإجماع على إطلاق اسم  
مصطفى صادق الراجلي على شارع البورصة

١٣ شعبان ١٣٨٢ - ١٣ يناير ١٩٦٣ بحضور  
السادة اللواء سيد مكرم خليل رئيس مجلس  
مدينة طنطا والأستاذ محمد محمد عبد الرحمن  
المدير العام لمديرية التربية والتعليم بالغربية  
والآانة لإقبال حسن حميدة دار المعلمين  
وعضو مجلس المحافظة والأستاذ محمد شفيق  
الملاوي سكرتير عام مجلس المدينة والأستاذ  
عبد الطيف الشواني المحامي وعضو مجلس  
المدينة والدكتور محمد الراجلي المدير العام  
المساعد بالمنطقة الطبية بالغربية والدكتور  
فوزي عبده حكباشي مستشاري الجندام بطنطا  
وعضو مجلس المدينة والسيدة زينب الراجلي  
مديرة التأمينات الاجتماعية بالشئون الاجتماعية  
بالغربية والأستاذ محمود سعيد الإخصائي  
الاجتماعي ومندوب الثقافة الحرة بطنطا  
والأستاذ محمد إبراهيم مصطفى رئيس الشئون  
العامة وممثل الفنان المسلمين بالغربية والأستاذ  
سيد وهي مثل الصحافة بالغربية .

وقد افتتح السيد اللواء سيد مكرم خليل  
الجلسة قائلا :

إننا في عهد الحرية والإنصاف وإن الثورة  
لم تنصف الأحياء فحسب بل امتدت رعايتها  
إلى إنصاف العاملين والمخلصين من أبناء  
الجمهورية ممن صادقهم ظروف صعبة  
ولم يجدوا في المهورد البائدة عهود الملكية  
والأسمالية والطفان فعمدت الثورة إلى

وبين أصدقائه من الشخصيات البارزة أمثال  
سعد زغلول والأديبة م. وما لدى الأسرة  
حاليا من خلفات .

### حول فهرس المرد

طالما طالعنا مجلة الأزهر الشريف بمقالات  
وبحوث قيمة هي خلاصة آراء وأفكار  
اتنفع بها كثير من القراء ، وقد دأبت المجلة  
على نشر فهرس مع كل عدد ولكفى منذ  
فترة لا أجد بها فهرسا للوضوعات وهو مهم  
بالنسبة للقارىء . وإذا كانت المجلة مزدهرة  
ففي غلافها ما يكفى لوضع الفهرس كما كان  
يحصل في الأيام السابقة بالفسبة لهذه المجلة .  
وأرجو أن تعالينا في عددها القادم وقد  
حولت فهرس العدد وليادتكم الشكر ؟

محمد عبد الرحمن الكردى

المدرس بالأزهر

(المجهر) اكتفينا بالفهرس السنوى العام  
لأن فهرس العدد يفتى عنه أن يتصفحه  
القارىء بسرعة ، ولعلنا نوفق فيما بعد إلى  
إجابة طلب الأستاذ .

بطلنا على أن يسمى شارع الرافى حاليا  
( الشيق بك سابقا ) باسم الفيلسوف الكبير  
يوسف كرم .

ثانيا : الموافقة بالإجماع على إقامة تمثال  
فنى يوضع فى مدخل دار كتب المدينة  
على أن تطرح مسابقة إقامة التمثال على  
المثاليين بالمواصفات التى تقررها اللجنة  
الفنية التى سيشكلها مجلس المدينة لهذا  
الغرض على أن يفضل أبناء القرية فى حالة  
تمائل الكفاءة .

ثالثا : الموافقة بالإجماع على إقامة  
مسابقة سنوية تكافأ بها أحسن البحوث  
فى مؤلفات الرافى على أن تنظمها مديرية  
التربية والتعليم وتخصص لها من ميزانيتها  
الحالية الجوائز المناسبة كما تحدد شروطها  
ومواعيدها .

رابعا : الموافقة على إطلاق اسم مصطفى صادق  
الرافى على مدرسة القاعد الثانوية ببطننا .

خامسا : الموافقة بالإجماع على تخصيص  
ركن ياحدى قاعات دار الكتب بالمدينة  
تجمع به مخطوطاته والمخطابات المتبادلة بينه

## باب الفتاوى :

## فِي أَضَائِرِ الْجَنَةِ الْفَتَوَى

ابراهيم محمد الأحصيل

بشرف عليه :

## السؤال :

موعد الصيام وتوحيده

- ١ - بماذا يتحدد بدء موعد صوم رمضان على أهل الخليج حتى يجب عليهم الصوم ؟
- ٢ - وإذا تحدد بدء موعد صوم رمضان في بلد إسلامي كالجهورية العربية المتحدة فوجب عليهم الصوم فهل يتحدد بذلك بدء موعد الصوم في جميع البلاد الإسلامية فيجب عليهم ؟

السكرتير العام المساعد لجهة العليا للعلاقات الثقافية الخارجية بوزارة التربية والتعليم .

## الجواب :

يتحدد بدء موعد صوم رمضان لأهل الخليج كغيرهم من البلاد الإسلامية فيجب عليهم الصوم ، بكال شعبان ثلاثين يوماً أو برؤية الهلال ليلة الثلاثين من شعبان في حق من رآه عند جميع العلماء .

ويتحدد بدء موعد الصوم في حق من لم يره

فيجب عليه الصوم بثبوت رؤية الهلال عند القاضي وحكمه بذلك فيقول ثبت عندى رؤية الهلال أو حكمت بذلك ، وثبتت الرؤية بشهادة عدلين يقول كل منهما عند القاضي : أشهد أنى رأيت الهلال ، فيحكم القاضي بثبوت الرؤية على ذلك ، كما ثبت بالاستفاضة عند جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب عادة عند مالك وأبي حنيفة . وبشهادة العدل عند أحمد ، وعند أبي حنيفة إذا كان في السماء حلة من غيم أو ضباب أو غيرها وعند مالك في حق أهل بلد لا يمتنون بأمر الهلال ، وهو الصحيح من مذهب الشافعية لقوله صلى الله عليه وسلم : ( صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكلوا عدة شعبان ثلاثين يوماً ) ولما ثبت من أنه صلى الله عليه وسلم قبل شهادة الأعرابي وحده وشهادة ابن عمر وحده فقام وأمر الناس بالصيام للاحتياط في أمر العبادة .

وعن السؤال الثانى : نفيد بأنه إذا ثبت تحديد

بدء موعد الصوم في بلد إسلامي كالجهورية



### ثبوت الرؤية عن طريق المذياع

#### السؤال :

هل يجوز أن نأخذ بخبر رؤية هلال رمضان عن طريق المذياع فيثبت الشهر عندنا في رؤية الهلال في مصر أو في مكة إذا بلغنا الخبر عن طريق المذياع ؟  
مبحوثو الفلبين

#### الجواب :

لكم أن تعتمدوا في ثبوت رؤية الهلال على إخبار المذياع لكم بأن هلال رمضان أو شوال قد ثبت في مصر أو غيرها من البلاد الإسلامية في وقت كذا وبثبت الشهر عندكم بذلك لأن المذياع طريق مأمون الخطأ متى كان صادراً من بلد إسلامي يعتمد على إداة .

### ثبوت الرؤية نهاراً

#### السؤال :

إذا وصل خبر ثبوت الرؤية عن طريق المذياع نهاراً فإذا يفضل أهل بلاد الفلبين ؟  
مبحوثو الفلبين

#### الجواب :

يجب عليهم الإمساك بشية اليوم الذي علوا فيه ولو سبق تناول مفطر حفظاً على حرمة اليوم ثم يطالبون بقضاء ذلك اليوم بعد انتهاء شهر رمضان .

العربية المتحدة فوجب عليهم الصوم ، ولم حكمة جميع البلاد الإسلامية في الأرض جميعها عند مالك وأبي حنيفة والشافعي وبعض أصحابه ؛ لأن الحكم منوط بالرؤية وقد ثبتت بشهادة الثقات عند الفاضل وحكم بها وبشهود الشهر وقد حصل بذلك ، والكثير من أصحاب الشافعي هل أنه إنما يجب على من قرب من بلد الرؤية دون من بعد ويحصل التقرب باتحاد المطلع في الأصح وعلى ذلك بعض أصحاب مالك وأبي حنيفة قياساً على طلوع الصبح وشرقه الشمس وغروبها ، ولا شك أن ذلك يختلف باختلاف البلاد وتباعد الأقاليم فليكن الهلال مثله ومن المقرر أنه إذا رؤي في بلد شرق لم أن يرى في البلد الغربي ولا يلزم منه رؤيته في الغربي أن يرى في الشرق لتقدم للشرق والغروب في الشرق عن الغرب .

ونرى ترجيح ما عليه الأئمة مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد من توحيد بدء موعد الصوم في جميع الأقطار والبلاد الإسلامية بثبوته في إحداها وإن اختلفت مطالعها . فإن المطالع مهما اختلفت فإتباع ذلك بساطة لا تبلغ نهار الصوم بخلاف المجر والشرق والغروب فإن الاختلاف قد يكون بما يستغرق وقت الصلاة فاختلف الحكم .

## قضاء رمضان :

### السؤال :

شخص فرط في صيام رمضان مدة من السنوات لا يعرف عددها وهو الآن يتقدم على ما قامه ويريد قضاء الصيام السابق ولكن كبر السن قد يجعله دون قضاء هذا الصوم فإذا فعل ؟  
عمر عبد القادر الأمين

### الجواب :

يجب عليه قضاء ما فرط فيه من الصوم ويعمل بما غلب على ظنه من عدد الأشهر التي فرط فيها ، فإذا عجز عن القضاء لكبر سنه أو مرضه مثلاً كان عليه الفداء عن كل يوم من الطعام ، فاشهر الواحد يخرج منه كيلين أو ثلثهما .

## الحقن وحكمها في رمضان :

### السؤال :

١ - أوجز بيان الحقن التي تفطر والحقن التي لا تفطر ؟

٢ - توجد حقن تشمل على ديتامينات تؤخذ في العضل ، فهل مثل هذه الحقن تفطر إذا أخذتها المرأة الحامل أو غيرها في نهار رمضان ؟

### الجواب :

الحقن التي تؤخذ في العضل أو في الوريد لا تفطر لأنها من منفذ غير منفتح انفتاحاً ظاهراً بحسبها وعن الثاني تفيد بما أفداه به عن الأول وعليه فالحقن التي تشمل على ديتامينات ، إذا أخذتها المرأة الحامل أو غيرها في العضل أو الوريد في نهار رمضان لا تفطر .

## هلى تقضى الصدقة في المرض عن قضاء الصيام :

### السؤال :

١ - سيدة مصابة بمرض السل وطال علاجها مدة ثلاث سنوات وقد أشار الطبيب عليها بالإفطار في شهر رمضان خلال هذه المدة وكانت تصدق على الفقراء المستحقين ثم شفيت الزوجة وتابعت الصيام بعد شفائها ولكن في قلبها ريب وتتوى أن تقضى الثلاثة أشهر المتروكة فهل تقضى المدة المتروكة جميعها في آن واحد أم تكفى بالنفقة التي دفعت في حينها أم تقضى الصيام بصورة تدريجية ؟  
صلاح الصويغ  
(عمر - المملكة العربية السعودية)

### الجواب :

الفدية التي دفعت وفست الموقوع فلا تطالب بالقضاء بعد شفائها وهذا على الراجح من مذهب الشافعية رضي الله عنهم .

### الوحدة في الأمور الشرعية

#### السؤال :

في بلادنا (جمهورية جنوب إفريقيا) مشكلة كبيرة يمر بها المسلمون البالغ عددهم حوالي المائة ألف مسلم وتتلخص هذه المشكلة في أن مطلع القمر في بلادنا يختلف من مكان لآخر ويوجد لدينا ما يسمى بالمجلس الشرعي نظراً لعدم وجود حكومة إسلامية فالمسلمون في بلادنا منقسمون إلى فريقين : الأول يؤيد المجلس الشرعي ، والفريق الآخر يعارضه في قراراته . وسبب هذه المعارضة هو عدم وجود السلطة بالنسبة للمجلس إذ أنه ليس منصبا من حاكم إسلامي أو حكومة إسلامية .

١ - فهل لهذا المجلس السلطة الشرعية ؟

٢ - هل لهذا المجلس ولاية على عامة المسلمين في أرجاء بلادنا ؟

٣ - هل يجب علينا اتباع آراء وقرارات هذا المجلس ؟

قاسم بن الإمام أمين

من مسلمي جنوب إفريقيا

#### الجواب :

في تلك البلاد التي ليست فيها حكومة إسلامية يجب على جماعة المسلمين فيها أن يختاروا من أهل العلم فيهم من يتولى تصريف

شئونهم الإسلامية ويقوم بوظيفة الحاكم الشرعي وإذا تم هذا كان على جماعتهم اتباع هذه الهيئة المختارة فيما تقرره مما ليس فيه مصيبة لله تعالى جمعا للصوف وتوحيدا للكلمة .

وعليه فالذي حصل في تلك البلاد من تأليف مجلس من جماعة العلماء وقع في محله وللمجلس الذي كونه سلطة الحاكم الشرعي فيجب اتباعه فيما يراه مما يحقق مصلحة المسلمين ، ولا يجوز مخالفته منعا للمنازعات وتفرق الكلمة والله تعالى يقول « ولا تنازعوها فتفرقوا » وتذهب وبحكم .

### الصيام في بلاد النهار فيها الليل عدة شهور

#### السؤال :

يعيش بعض الناس في بلاد النهار فيها عدة شهور وكذلك الليل فكيف يؤدون الصلاة والصيام في أوقاتها ؟

الحاج هل قلع آل ب  
(دواق الأراك)

#### الجواب :

هؤلاء يفقد لهم شروق وغروب ومقادير للأوقات بحسب أقرب بلد إليهم فيها شروق وغروب معتادان .

## صلاة التراويح

السؤال :

أرجو بيان كيفية صلاة التراويح وكما  
عددتها ؟

أحمد أحمد كبصر

تل رفعت - إهزاز - سورية

## الجواب

الثابت أنه صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه  
رضي الله عنهم ثمان ركعات في جماعة ثم أتبعها  
في البيت عشرين ركعة وكان يسمع له أزيز  
كأزيز النحل لجمع عمر الناس على عشرين  
وهذا هو المذكور في كتب الفقه في باب  
صلاة التراويح .

## زكاة الفطر

السؤال :

أرجو بيان نصاب زكاة الفطر ؟

إبراهيم وكال يوسف

## الجواب :

نصاب زكاة الفطر على مذهب الإمام مالك  
رضي الله عنه هو ثمانية أقداح بالكيل  
المصري تجزى عن ستة أشخاص وهي من  
غالب قوت بلد المزكي .

ويخرج الشخص من نفسه وعن تلزمه  
نفقته بقرابة أو زوجية أو نسب والأفضل  
إخراجها قبل صلاة العيد وبعد صلاة العجوة .  
وعلى مذهب المالكية أيضا يصح تسجيل  
الزكاة قبل العيد بيومين ، ويجوز على بعض  
المذاهب إخراجها من أول شهر رمضان .  
ويجوز أيضا في بعض المذاهب إخراج  
قيمتها .

تعليق على

## زكاة الزرع

السؤال :

في الفتاوى المنشورة بعدد وجب اختار  
لجنة الفتوى في زكاة الزرع رأى أبي حنيفة  
استنادا على أنه الأرقى بالعباد ، على أن هذا  
الأرق ذو شقين وفي الغالب يتأني بمراعاة  
جانب الفقراء في هذه المسألة كما شاهدته أنا .

عبد الله الشريف

طالب بكلية الشريعة

## الجواب :

ربما كانت الظروف التي صدرت فيها  
الفتوى تقتضي الأخذ برأى أبي حنيفة تيسرا  
على الزارع . فإذا كانت الحال تقتضي الرفق  
بالفقراء فاللجنة ترى الأخذ برأى غيره  
أبي حنيفة من إيجاب الزكاة على الزارع متى  
اجتمعت شروطها .

# بين الصِّفِّ والكتب

اختيار وتعليق : عبد المريم فوره

## المصنوع والقومية العربية :

.. وقد يكون من المفيد أن نشير هنا إلى رأيين في علاقة الإسلام بالقومية العربية لأستاذين أزهريين : أحدهما الأستاذ عبد الرحيم فوره . وثانيهما الأستاذ محمد الفزالي ، فقد جعل الأول عناصر القومية أو مقوماتها خمسة هي : البيئة ، واللغة ، والتاريخ ، والمصالح المشتركة . والدين ، واعتبر هذا العنصر الأخير مندجاً ومشتبكا في كل العناصر الأربعة المتقدمة . إذ يقول : « إذا كانت البيئة واللغة والتاريخ والمصالح المشتركة .. كما قدمنا - من أهم المقومات التي تقوم عليها كل قومية ، فإن الدين يندمج فيها ، ويمتزج بها ، ويدخل في كل عنصر من عناصرها . ويشترك معها بوشائج وأسباب لا يمكن تجاهلها أو التغافل عنها ، (١) ونحن إذا نظرنا ملياً فيما يهدف إليه لا يخرج قوله عن لزوم الدين وضرورته لحياة المجتمع حياة فاضلة ، وهو لا يمنع تعدد الأديان في المجتمع الواحد

والقومية الواحدة ، فهو يقول في معرض الرد على من لا يريد اعتبار وحدة الدين أساساً للقومية العربية نظراً لوجود عدة ديانات - أخرى غير الإسلام - في الوطن العربي ما يلي : قد يقول قائل : وكيف تؤثر ديننا على دين في مجتمع يقوم على عدة أديان وتتنوع أممهم هذه عقائد . وفي ذلك ما فيه من إغضاب فريق وأرضاء أو مجاملة فريق على حساب فريق ؟ والجواب على ذلك أن الحرية تنسج لعدة عقائد تقوم عليها عدة طوائف ، بحيث تعمل كل منها في ظل عقيدتها الخاصة بها منفردة عن الأخرى .. ثم نلتقي جميع الطوائف لتتضامن وتعاون على تحقيق المصالح المشتركة والمصلحة العامة وبذلك نضمن مجموعات قوية في بناء الأمة بعدد بعضها أزر بعض . » وتصارى القول أن تعدد الأديان وتعاونها يمكن في الجماعة الواحدة ومعنى ذلك بعبارة صريحة أن الدين الواحد . ليس ركناً من أركان القومية الواحدة ، وكل الذي كان يهدف إليه المؤلف هو تأكيد أهمية الدين وحاجة الجماعة إليه ليقبها من الأعاصير ، ولذلك نراه يقول : « ومن هذا الجانب

(١) انظر ص ٤٧ من كتاب الإسلام والقومية العربية للطبعة الأولى ١٩٦١ .

تظهر الحاجة إلى الدين ، ويظهر الدين ضرورة لا يحيد عنها رد مختلف الأساليب والتيارات التي تهدد كياننا الاجتماعي ، وقد عرفنا الدين الذي يعترف بكل دين سماوي ، وتلاقى فيه فضائل الأديان السماوية ، وتؤمن به الأكثرية العربية . ويتفق الأخذ به مع منطقتي الديمقراطية (١) .

من كتاب القومية العربية

للأستاذ عبد الرحمن البراز

عيد كلية الحقوق ببغداد سابقاً

### التعليق

إن مكانة الأستاذ فاضل السيد عبد الرحمن البراز بين قومه في العراق وبين كبار الأحرار المجاهدين في سبيل القومية العربية أطل على قلبي وهو يتحرك ليرد عليه ويلفت النظر إلى ما عقب به في كتابه على كلامي من استنتاج خاطيء ، فإن قوله : ومعنى ذلك بعبارة صريحة أن الدين الواحد ليس ركناً من أركان القومية الواحدة ليس هو النتيجة المحقولة لامتزاج الإسلام بكل العناصر التي تتكون منها القومية العربية من لغة وبيئة وتاريخ ومصالح مشتركة ، وليس هو كذلك النتيجة المحقولة لقولي : وقد عرفنا الدين الذي

يعترف بكل دين سماوي وتلاقى فيه فضائل كل الأديان السماوية ، وتؤمن به الأكثرية العربية ويتفق الأخذ به مع منطق الديمقراطية وقد فصلت في كتاب الإسلام والقومية العربية كل ما يتصل بهذه المعاني ، ولم أقصد به مجرد الحديث عن ضرورة الدين ، وإنما قصدت به الرد على فريقين كنس ولاذلت أراهما منحرفين فريق الدين يرون في الإسلام ديناً هريبياً لا يتجاوز العرب إلى غيرهم ، وفريق الذين يرون تنحية الإسلام عن مفهوم القومية العربية ، فكلاهما منحرف عن الجادة بعيد عن الحق لأن الإسلام من حيث موضوعه وتشريعه عام لكل الخلق والأنام ، وهو من حيث اللغة التي نزل بها القرآن ويطبق بها النبي عليه الصلاة والسلام عربي لم تنكس قومية ما كتبه القومية العربية به ، بل لم يقم القومية العربية كيان فرض وجوده على الوجود إلا على عداء ونوره .

وحسبي وحسب القراء هذا التعليق القصير على كلام رجل يتمتع بكثير من التقدير .

### بعض الظن لائم

لقد ظن أهل الغرب أو بعض أهله وبعض ظنون الناس والناس مأثم بأن بقاء المسلمين جميعهم على الجهل أعصاراً من الدين ينجم

(١) انظر ص ٥٦ من الكتاب المشار

إليه .

إن أهل أجدادنا في فلسطين وإرثها  
وحايتها هي وصية صريحة لنا بالمحافظة عليها،  
وحجة ناطقة علينا ، نحن نصرنا فيها أو  
فرطنا في جنبها ، فبالتراث بنوى حماة الأسلاف  
الصالحون ، وأضاعه الأخلاف المفرطون .

ما أضاع فلسطين إلا العرب ، وقد جاءتهم  
التنذيرات رواها ، ثم حق الأمرهم فارون  
فأدهشوا ، ثم وقعت الواقعة قابسوا ،  
وعمد خطابهم إلى الخطب ينمقونها .  
وشمراؤهم إلى القصاصد يزرقونها ، وساستهم  
إلى الدعوى يلفقونها ، وعادتهم إلى الخرافات  
يصدقونها بينما عمد ملوكهم إلى الأمداد  
يسرقونها ، وإلى الأهواء ينفقونها ، وعمد  
خصومهم اليهود إلى الغايات يحققونها ، وإلى  
الدهود يمزقونها ، ونقض الأمر ، وأوسنام  
سبا وراحوا بالأبل . وبعد أن كنا نقول  
نحن أهل فلسطين ، أصبحنا نقول ما قاله  
الجرمية في مكة .. بل نحن كنا أهلها .

ولا أدري كيف تقتصر أمة تقطعت بسوء  
صنيعها أمما ، ثم ندلت في القل حتى صارت  
تطلب الرحمة من معذبا ، وتعلمي الذية لغاتلها  
ثم ارتكست في السقوط حتى أصبح نصف  
ملوكها صيانا ، وأكثر أدلائها عيانا

محمد البشير الإبراهيمي

من مجلة الرسالة عام ١٩٦٣

لقد جهلوا الإسلام كل جهالة  
فأذوه فما شأن من ليس يفهم  
جميل صدق الزهاوي  
من كتاب الزهاوي ودبوانه المفقود  
للاستاذ هلال ناجي ،

### قاضية

بلفتنا أيام انحلال الأدلس أنه كل في بلد  
فيها يسمى «لوشة» قاض كانت تقف امرأته  
وتشير بالأحكام فينمذها فقال الشاعر الساخر  
بلوشة قاض له زوجة

وأحكامها في الردي ماضيه  
فياليه لم يكن قاضيا

وباليتها كانت القاضية

الأستاذ محمد أبو العيون

من مجلة لواء الإسلام

### إرث النبوة الخاتمة

إن فلسطين إرث النبوة الخاتمة من النبوات  
المتفاداة ، نفذ فيه عمر وصية الإسلام ،  
وحرره أبو عبيدة وأصحابه في الأولين من  
رق الرومان ورجس الأوثان ، وأدت وقائع  
اليرموك وأجنادين شهادتها على استحقاقنا  
لهذا الإرث ، ثم طهره صلاح الدين وجيشه  
في الآخرين من دناءة الصليبيين . وكانت  
وقائع حطين وحكا وغيرهما تزيك لتلك الشهادة  
باستحقاقنا لهذا الإرث واقتدارنا على حمايته .

## وفي أنفسكم .. أفلا تبصرون . . . ١

ويوجد بالجسم ألف مليون خلية مصية لكل منها عمل خاص ، ومن الغريب أن هذا العدد يبادل أو يقارب سكان الكرة الأرضية اليوم ، وهذه الخلايا يشرف عليها وينظمها المكتتب الرئيس في دقة بالغة وفي تنسيق عجيب ، ومن الغريب أن هذه الخلايا لا تشابه وإنما تختلف حجما وشكلا ومظهرا ، بعضها يشبه العنكبوت وبعضها يشبه الشجرة ، وبعضها مصوى الشكل ، وبعضها مثل كتلة من الأحشاب البحرية ، وبعضها تستطيع المعن رقوته ، وبعضها لا تستطيع أن تميزه وقد تمتد فروع بعضها امتدادا ضئيلا ، وقد تمتد فروع البعض الآخر ابتداء من أعلى المخ إلى نهاية الحبل القوي ، وهي مسافة لا تقل عن ثلاثة أقدام ، وهذا يذكرنا بسكان كوكبنا الأرضي فتبارك الله العظيم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

دواؤك فيك وما تبصر

وداؤك منك وما تشعر

ومحسب أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

المركتور سيد محمد أبو المجد

من عاضرة في موضوع الملكت

النفسية في القرآن الكريم

إن أماننا كتاب الله الكريم ، وهو معجزته الخالدة ، وآيته الكبرى ، فيه ضياء القلوب وهدى العقول ، وشفاء النفوس ، وبشرى للحسنين ، وفيه إشارات كلبة بحمة لآيات الله الكونية . المادية منها والمعنوية ، أما التفصيلات الجزئية فقد أودعها الله في كتاب الكائنات ، أو كتاب الحياة ، فالقرآن الكريم يرشدنا إلى أن ندرس آيات الله الكونية في ملكوت السموات : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » ، كما يرشدنا إلى أن نجوس لحاج الأرض باحثين متقبين : « أفلم يسجدوا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » . وهو مع هذا وذاك يدعونا إلى أن تدبر العوالم الخفية في النفوس البشرية فيقول : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون » .

وإذا تدبرنا النفس البشرية ، وتقدنا إلى داخلها وأمعنا في مجاهلها صادفنا الجهاز العصبي ، وهو همزة الوصل بين العوالم المادية والعوالم المعنوية في آفاق النفس البشرية ، وهو أشبه بجهاز حكومي مركزي كذا شديد في مكتب رئيس يتصل مباشرة بعدد ضخم من المكاتب الفرعية التي يعمل في خدمتها ملايين الوطنيين . هؤلاء الموظفون هم الخلايا العصبية التي نسميها ( النيورونات ) .





يشارك في العيد  
عبد الرحمن محمد الوائلي  
بذلك لا يشترك  
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة  
٥٠ غارح البربرية  
والمرشدين والطلاب بتفويضهم

# مجلة الأندلس

## مجلة شهرية جامعة

تصدر عن شعبة الأندلس في ركن كل شهر عجمي

مدبر المجلة ورئيس التحرير  
أحمد حسن الزيات  
المستشار  
إدارة إجماع الأزهر  
بالقاهرة  
١ ٤٦٩١٤

الجزء الثامن - السنة الرابعة والثلاثون - شوال سنة ١٣٨٢ هـ - مارس ١٩٦٣ م



١٤  
٢٤٤٩  
دوريات

المكتبة العامة

## من ذكريات العيد في القرية

### بمقلم : أحمد حسن الزيات

من ذكريات القلب في الطفولة ، وصورة  
من صور العيد في القرية ، لا أزال أجد  
أثرها في النفس حيا على موت الذاكرة ،  
جديدا على بل العمر . فأنا أنجيلها اليوم  
كما أنجيل حقيقة الواقع ، وأنجيلها الساحة  
كما أنجيل حوادث الأمس .  
كان ذلك وأنا في العاشرة من عمري ،  
أعدو إلى الكتاب في الصباح وأروح منه ، إلى  
البيت في المساء ، ومعي في الغنى والروح  
وفيق من لداني في السن ومن جيرتي في الحارة ،

سأترك العيد الذي بزغ سناء ليوم في هلال  
شوال إلى التامهن الفارين من براعم الصبا  
وأدهار الشباب ، فإن العيد محبة ودينة  
وبهجة وممتعة ، والشيوخ لم يعد لهم من كل  
أولئك شيء . لم يعد لهم إلا الذكريات  
الحلوة تعاودهم من عيد إلى عيد . وقد  
عاودتني في صباح يوم الفطر وأنا أنظر  
بمبنى السكينة من شرق البيت إلى زمر  
الأطفال يرحلون في أثوابهم الجديدة ،  
ويهلون بلبسهم المختلفة ، ذكريان : ذكرى

البائع . ومع ذلك كان راضيا مطمئنا لا يمد عينيه إلى متعة ، ولا يحسد غيره على نعمة .  
• • •

ذهبت أيام رمضان القفر وإلياه الطهر من تلك السنة ذهب الغمام النسيمات الرخية هبت على الدنيا من رياض الجنة فغطت الأنفاس ولطفت الطبايع وقربت ما بين السماء والأرض . وأصبح يوم ( الوقفة ) فإذا الكهول والشباب من أهل القرية يمتطون حميرهم في فساط ، ويسلكون طريق السوق في زياط ، ليشتروا من المنصورة حاجه العيد من لحم و ( فطرة ) ، وكان أكثر الفطرة اتمر والحروب وأقلها البندي وعين الجمل . وكان ضعاف الدين من النشء يسمون يوم ( الوقفة ) عيد الشباب ، لأنهم كانوا يستطيعون فيه الانطمار ليعلاوا بطونهم بالنجان من أصناف ( الفطرة ) بحجة انتقاء الأجود منها قبل الشراء . وكان تجار النقل يتساحون في هذا ( الاختبار ) وإن أسرفوا فيه استالة لحوام واجتلابا لسوام . وكان من تخلف في القرية من النساء والأطفال ينتظرون رجوع العير بالأخراج الموقرة على صبر نافذ وشوق شديد . فإذا ما رجسوا تقهروا المتشوقين المتشرفين بقبضات مختلفات من اتمر أو الزبيب فيزفرون البنون ويذفرد البنات ويقع البيت كله في زياط شديد ، ولكنهم يتذكرون

لا نكاد نفترق رياض النهار وقليلًا من سواد الليل ... كان هذا الرفيق هو حديق الأول في المرحلة الأولى من مراحل العمر . وكنت أحبه دون سائر الرفاق لمشابهة بيني وبينه في الخلق والطبيع والهيئة ، فضلا عما كان يتميز به من وسامة تلوح على وجهه ، ورداعة تشع من عينه ، ووقرة تسبح على فمه ، وطيبة تفبع من قلبه . كان دقيقا في لعبه فلا يمدد إلى الحشونة ، عفا في حديثه فلا يميل إلى الفحش ، وثرأ لإخوانه فلا يخص نفسه بلعبة أو متعة ، فكرته لكل لاعب وكتابه لكل قارى . وعونه لكل محتاج ، وكان مقبلا للصلاة في أوقاتها الخمسة . فإذا أقبل شهر رمضان تعاقبنا التبليغ وراء سيدنا وهو يصل التراويح إماما في بيت الله ، وتناوبنا تلاوة القرآن معه وهو يحيي رمضان قارئًا في بيت الصفة .

كان أبوه الفلاح النجار من الأجراء ( القلية ) في تفتيش على باشا شريف لا يزيد يوميه على ثلاثة أرباع القرش ، ولا سنويته على فدان من أرض الدائرة يزوجه شعيرا أو ذرة . لذلك كان لا يملك من الثياب إلا جلبابا واحدا يشتريه له أبوه في العيد الصغير فيلبسه على العم الملم كله . وكان يحرص على صيانة هذا الجلباب أشد الحرص فلا يمزقه بالعيب النيف ، ولا يبله بالنسل

يكل بعضها تقص بعض ، فإذا فرغوا من ذلك ناموا بقية الليل على مدممة الأحلام ومناغة المنى ، وتركوا النساء أمام الأفران والكوانين ينضجن الخبز ويطلون القمح ويصنعن الحلوى حتى الصباح .

\*\*\*

فرغض أنا وصديق عبد الحافظ النجار من قراءة ما تيسر من كتاب الله على أرواح موتانا ، ورأينا الناس يتصرفون فانصرقتا ولم يبق من شمة فانوسى إلا عقب لا يكاد يبلغ بنا الدار .

وفي أثناء الطريق قال لي رفيق بصوت خافت ولهجة حزينة : وبها لا أراك غدا ، فكل عام وأنت طيب . فقلت له وأنا أحدهم بنظري في استغراب ودعشة : ولم لا ترائي يا عبده ؟ لقد أهددت لك الكرة لتلعب والجل لتأرجح . قال : لا أحب أن يرائي الصبيان وليس على جسدى جديد ، ولا في رجل حذاء ، ولا في يدى قرش ، ولا في جيبى فطرة ، لم يستطع أبى أن يحقق لي شيئا من ذلك لأنه مريض منذ ستة أشهر فاقطعت أجرته من ( وسية ) الباشا باقطاع عمله .

فقلت له وأنا أدبت على كتفه : هون عليك يا عبده فإن أكثر الأطفال على مثل هذه الحال ، وما دمتا معا فكل شيء جديد ، وكل يوم عيد . فقال لي بلهجة المزوم الصادم :

أن رمضان الحبيب يلفظ أنفاسه الأخيرة مع الشمس الغاربة فتخشع الأصوات وتنهمل العبرات ويخامر الناس الخوف من انطلاق الشياطين المقيدة فيجلس الصبيان على أبواب الحجرات يكررون البسملة ويعضون حديداً بحديد ، حفظا البيت من دخول شيطان كريم .

فإذا دوى مدفع الإنطار الأخير من البندر ، ورفعت صواني الطعام من الحارة ، وقضيت صلاة المغرب في المسجد ، خرج أهل القرية جميعا إلى المقبرة ومع كل أسرة فانوس يحمله الرجل ، وسبت من الفطير تحمله المرأة ، حتى إذا بلغوها وضعوا المصابيح على أوجه القبور وجلسوا أمامها يستذكرون ويستمعرون وقد اختلط نذب النساء بتلاوة الفقهاء : أولئك يعددون مناقب الموقى بمراثين الموقمة ، ومؤلا يكررون على كل قبر سورة ( يس ) بتلاوتهم المسرعة . ثم تعود القرية الحية من القرية الميتة ليتجهزوا للعيد بجهازه فيقصون المزيج الثانى من الليل في طسوت الاستحمام أو في دكان المزين . والاغتيال بالماء الحار لا يعرفه الفلاحون إلا ليلة العيد وليلة العرس ويوم الموت ثم يعددون ذبيقتهم فيكودون المهائم ويصبغون الأحذية ، ومن لا يحسن لوث المهامة أو لا يملك طلبة ( الزونيش ) ذهب بطرجه أو حذائه إلى قريه أو جاره . والقرية كلها أسرة واحدة

تحت الجدار القصير وأدخلت إلى السكون ،  
إلا إذا حركتها طبيعة الحياة فيصبح ديك  
أو قوقى دجاجة ، قلنا قضينا حاجتنا  
من متع العيد كلها جلسنا عن جانبي الجدة  
الطيبة وألقينا إليها السمع لتساقط فيه الكلم  
المذاب من ( حذوة ) طويلة مشوقة حتى  
بدت في جفينا فترة الكرى فنحنونا على  
حصىرتنا إلى أن انطلقت مدافع الغروب  
على شاطئ النيل بالمنصورة ، وجلجل صوت  
أبي حامر بالأذان على سطح الزاوية .

• • •

كان هذا العيد المحصور بين حصى الدار  
وحظيرة البقرة وجلس الجدة أسعد من عيد  
الآخرين الطليق بين ساحة القرية وبجالي  
الحقول وملامى البندر لأنه كان عيد قلبين  
صغيرين لم ترسب فيهما أكدار الحياة بعد ،  
غلوا من الهم والحقد ، وامتلأ بالرضا  
والغبطة ، والأرض على رحبها تختصر أحيانا  
في مكان ، والسعادة على تفرقها تجتمع كلها  
في وجودك مع إنسان ، والصداقة الطفلية  
الأولى عميقة لأنها احتلت القلب على خلو ،  
لاصقة لأنها غاطت الشعور من جاذبية ،  
باقية لأن حدثان البحر تهرى عليها وهي  
راصة في الفاع .

• • •

ظلت صداقتنا البريئة الحلوة تنمو مع

هبات ! لن أجعل الصبيان يشعرون أنى أصغر  
منهم شأننا وأن أى أضعف من آباتهم قدرة ،  
وسأقضى مع أبى المريض وأبى البائسة  
وجدنى العجوز العيد الذى اختاره لنا القدر ،  
فقلت له وقد ينست من صرفه عن عزمه :  
ليكن ما تريد . وسأعيد معهم ومعك .

وغدوت عليه في داره بمسحاة الميذون يارة  
المقبرة ووجبة الإنطار ومعى نصيبى كله من  
النفل والكملك . وقضينا يوما من أسعد الأيام :  
فلمب بالآلات النجارة ، ونلهو بأوراق اللعب ،  
ونستذكر ما حفظنا من السور القصيرة ،  
ثم نركض وراء الكرة من الفناء إلى الحظيرة ،  
ومن الحظيرة إلى الفناء ، ونهبط بلثت  
بجبل المهرات وشدناه من طرفيه إلى حرق  
غليظ في سقف الزريبة وأخذنا تتأرجح ،  
وكان كل شيء في الدار مبتهجا بابتهاجنا  
مقتبضا لاحتفالنا ، فالأب قد نسى مرضه  
وقد القرفصاء يرامقنا بعين قريرة ونفس  
مطمئنة ، والأم قد تركت عملها وجعلت  
تبارك مرحنا بالنظر الحنون والقلب  
العلوف وتحمد الله على أن جاء العيد  
لابنها في الدار بعد أن رفض أن يذهب إليه  
في القرية ، والكلب الأليف كان يقبع  
خطواتنا من مكان إلى مكان ، وهو ينبج  
كأنه يضحك ، ويصبر كأنه يحامل ،  
والدجاجة قد أدخلت لنا حصى الدار وجئمت

سعاد العيش، ولا أمه تسمح عن ثوبه وجمع  
النق، فانهلت بواوردمي، وأحسست حرقة  
الحزن في صدري، وكان يبتنا يشرب الماء  
منى فلم يصب أحد منا بسوء، فظننت أن  
الدواء في هذا الماء، فحملت منه قلة إليه  
كما حملت مثلاً بالأمس إلى (زهرة) بنت  
الحارة صديقتي وصديقتي فلما رأها في يدي  
افترت شفتاه الذابلتان عن ابتسامة غائبة،  
لجرعته منها جرعات، ثم جلس بجانبه  
أهل صداه بالقة من لحظة إلى أخرى حتى  
وقف الماء في حلقه فلم يستطع أن يسبغه.  
ثم شخص بصره وحشرج صدره وأخذ  
فواق ضعيف ثم لقه سكون شامل!

أبدأ لن أسى هذين اليومين من حياة  
صديقي الأول: يوم قضيت معه يوم العيد  
وهو يقاسى هم الوحشة، ويوم قضيت معه  
يوم الموت وهو يكابد ألم الوحدة!!

واحسرتاه على فريق الصغرة! قد أقبل  
عليها عيد الفطر من تلك السنة الحزينة،  
والموت قد ختم على أكثر الدور، وتقل  
نصف أهليها من الدور إلى القبور!

أحمد حسن الزيات

مشاء ناو هو اطفنا ثلاث سنين طبعنا آثارها  
في المكتب وفي الملعب وعلى ضفاف بحر  
شبين، حتى دها مصر وباء الكولرا سنة ١٩٠٢  
نصحا أهل القرية ذات صباح فإذا كل غرفة فيها  
مرريض، وإذا كل ساحة فيها جنازة، فهان  
الموت ورخصت الأموات حتى لا يعاد محتضر  
ولا يتبع ميت ولا يمزي حتى. كان الموت  
الوحى الذريع يتخلف جبرتي في الحارة  
واحدا بعد واحد، نزلت الملاعب من  
الأطفال والمصاطب من الرجال والمكاتب من  
الصبية، وهجم الرباء الهندي الأصفر على دار  
عبد الحافظ فاختطف والديه في أسبوع،  
وبقيت الجدة على حصيلتها الحفنة تبكى الابن  
وتندب السكنة وتمحن بأضلاعها الهشة على  
الحفيد، ولكن حنوها الشديد لم يدفع قضاء  
الله، فأصبح عبد الحافظ يشكو ظمأ لا ينقعه  
ماء، وقينا لا يمنحه دواء، وإسها لا يقطع  
شيء، فظننت جدته أنه الموت، فضجى  
بالصراخ ودفنت بالويل، وسمع الجيران  
جرعها فشاركوها من بعيد. وكان أبي قد حرم  
علينا غشيان الدور ومخالطة الناس، ولكنى  
تسللت إلى دار المريض العزيز فوجدته يكابد  
هول الداء وحده، فلا أجود يخفف عن كبده

## فن الشعر العربي وحيث في لغات العالم

### للأستاذ عباس محمود العقاد

هذا الرأي ويذهب في قراءته لبعض قصائدها  
منهجا يدعو إلى إعادة النظر في مسألة الطلاقة  
بين الأوزان العربية والفارسية ، وإلى  
مطالعاته هذه يشير الباحث الفاضل الدكتور  
محمد ضيفي هلال ، فيقول في الطبعة الثانية  
من كتابه عن الأدب المقارن بعد تمهيد من  
أثر العرب في آداب الفرس : ( إن الأدب  
الهلوي أو الإيراني القديم راجع فيه نزعة  
شعبية يقصد بها إلى شرح وجهي نظرس  
مختلفتين في شكل حوار أو جمل ... وقد  
بقى لنا من الأدب الإيراني القديم حوار  
أدبي عنوانه - الشجرة الآشورية - وهي النخلة.  
... موضوعه حوار بين النخلة والتيس أيهما  
أفضل من الآخر ، وقد وصلت هذه القطعة  
إليها مكتوبة على طريقة النثر ، ولكن  
العالم الفرسى - بنفسه - اكتشف أنها  
في الأصل ذات وزن وقواف ، وأن النسخ  
كثبوا في صورة النثر جهلا منهم بالشعر  
الإيراني القديم ، وهذا الوزن قريب من  
المقارب المثوى المعروف في العربية

من المقرر في تاريخ الأدبين العرب  
والفارسي أن اللغة العربية انفردت بفن  
المروض ، وأن بعض أوزان الشعر في اللغة  
الفارسية مستعار من أعاريض العرب ،  
ويطلب أن تكون الاستعارة من قبائل  
العرب التي اتصل بها أناس من رواد الشعر  
الموزون بين شعراء الفرس الأقدمين .

وقد كان الجاحظ يقرر هذه الحقيقة على  
علم بوجود المقارنة فيها ، وقد ألمنا إلى قوله  
في هذه المسألة وعقبنا عليه في أحد الفصول  
من كتاب اللغة الشاعرة .

والأديب الفارسي ( محمد هوف ) يعرض  
لهذه المسألة كما عرض لها الجاحظ ويرى  
أن ( بهرام جور ) كان رائد الشعر الموزون  
بين شعراء الفرس الأقدمين ؛ لأنه عاش بين  
العرب وتأدب بأدابهم ، كما هو مشهور .

ولقد مضى الرأي على هذا الاعتقاد إلى  
السنوات الأخيرة ، ولكن المستشرق  
الفرنسي ( بنفيسك ) Benveniste يستخلص  
من مطالعاته في اللغة الهلوية القديمة رأيا غير

وقصها الملحنون فصارت (أناشيد) تعرف على الآلات بمصاحبة الأصوات أو بغير مصاحبها .

ومن أمثلة هذه الأغانى الثرية أغنية بانعات اليانصيب في بعض المسرحيات الفكاهية ، ونكتتي منها بهذه الكلمات :

(خذلك نمرتين وإن كسبت أبى تعالى فصحنا)  
ومثلها أكثر الأغانى في المسرحيات الفكاهية فإنها تتوقف على الموسيقى لتحسب من الكلام المنظوم ، تبعاً لنظم القناء .

أما الشعر الذى يقال عنه إنه موزون في اللغات الأجنبية فليس له فن من الوزن مقدور بغير مقادير التلحين على اختلاف القاعدة في تقسيم الحانها . فهم تارة يحسبونه بالسطر وتارة بعدد المقاطع وتارات أخرى بعدد النبرات أو عدد مواضع الوقوف ، وحكمه من الناحية الفنية حكم الكلام المشثور الذى لا فرق بين المرسل منه والموزون في اعتياده على القناء وتطويره الألحان الموسيقية وليس بالمتعذر على العاوف بفن العروض العربى أن يقطع سطرًا من الشعر الانجلىزى بمقياس التفاعيل في توزيع الحروف الساكنة والمتحركة ، دون أن يكون للتفاعيل أساس من بنية الكلمة التى تنظم في اللغة العربية على قواعد مطردة للأوزان والحروف التحريك والفكسين .

ثم في الفارسية الحديثة بعد الفتح الإسلامى .

ونحن لا نحسب - بعد اطلاعنا على خبر هذا الكشف الجديد - أن الحقيقة تنضير في أمر انفراد اللغة العربية بالفن العروضى ؛ لأن المسألة في أساسها ليست بمسألة وجود الوزن الشعرى في آداب اللغات الأخرى ، فإن وجود الوزن في أشعار أمم غير الأمة العربية لم يكن قط موضع خلاف بين مؤرخى الآداب الغربيين أو الشرقيين ، وإنما يدور البحث في هذه المسألة على حقيقة لا شك فيها كذلك : وهى انفراد الشعر العربى بفن عروضى مستقل عن القناء سواء تغنى به الناظم أو اكتفى بإرشاده بغير تنظيم أو بغير ( موسقة ) كما يقال في الاصطلاح الحديث . فالأمر المحقق أن هذا الفن العروضى خاص بلغة العرب لا نظير له في لغة أخرى من اللغات على اختلاف أصولها السامية أو الهندية الجرمانية .

أما وزن الشعر وتطويره للقناء فلا خلاف في صحوه بين كثير من أمم العالم ، ولكن الفرق بين الوزن الذى يتوقف على القناء والوزن الذى يستقل بنظمه على مجوره المختلفة وتفاصيله المتعددة هو أن الشعر والنثر سواء في قابلية ( الموسقة ) والإيقاع ، وعندنا في اللغة العربية الدارجة أغاني منشورة

باختلاف مقاديرها الموسيقية ، هي والحاجة ،  
 التي انفرد بها الكلام العربي كله ووجب  
 أن يكون لها أثرها في استقلال فن الشعر  
 عن فن الغناء ، وبمصل في تمكن هذا  
 الاستقلال الفني أن مصاحبة الشعر الغناء  
 في حذاء الإبل كانت تجري على وتيرة واحدة  
 باختلاف السرعة أو الأناة في حركة البحر ،  
 ولعل هذه التورية هي أساس التلحين في فن  
 العروض وفن الغناء معا عند شعراء العرب  
 القدمين ، وبين الإيقاع على وزن مطرد  
 والإيقاع على وزن قابل للتغير فرق ظاهر  
 هو الفرق بين حركات سير الإبل وحركات  
 الرقص عند الأمم الأخرى ؛ فإن الرقص  
 يجري على نغمات مختلف باختلاف حركاته  
 ولا يلزم قاعدة غير القواعد الموسيقية العامة ،  
 ولهذا سميت التقسيمات التي تقابل التفاصيل  
 عندنا باسم الأقدام Feet في اللغات الأوروبية  
 وليس لها منابط مستقلة عن منابط الموسيقى .  
 ونعود إلى الكشف الذي امتد إلى  
 العالم الفرنسي فنقول : إنه مما يثبت استعارة  
 الوزن الفارسي من الأعراس المصرية ولا  
 ينفيها ؛ لأن وجود بعض الشعر الفارسي  
 موزونا وبعضه الآخر غير موزون أو غير  
 مضبوط بالأعراس على جملة البحور دليل  
 على وجود أصل الشعر الفارسي مرسل في  
 الكتابة وفي الإنشاد ، وليس الشعر العربي

ومن أسباب هذا الفارق - فيما نعتقد - أن  
 الكلمات في اللغات الأجنبية تتألف بلصق  
 بعض الحروف ببعض على غير وزن مطرد ،  
 ولكنها في اللغة العربية تألف على قواعد  
 من أوزان معلومة وقوالب مطردة ، ويمكن  
 أن تتقابل فيها السواكن والمتحركات بين  
 التفاصيل وبين الألفاظ على نظام مطرد لا يتغير  
 وليست المدة الزمنية التي يتل فيها السطر  
 أو المقطع أو التبرة هي محور التقسيم والتنظيم  
 ولكن المحور الذي يدور عليه كل قسم وتنظيم  
 في اللغة العربية هو أوزان الاشتقاق وجريان  
 الكلمات كلها على أوزان متكررة حتى  
 في الجوامد أو الأعلام التي تنقل إلى اللغة  
 العربية ، وتصاغ عند النقل بصيغة تلبس  
 أوزان المشتقات .

وشبه هذا السبب في هذا الفارق بين أوزان  
 الشعر عندنا وأوزان الشعر عندهم أن الحركة  
 مقدورة في كلتا على حسب درجاتها من  
 الامتداد ، فمنها الحركة التي يمثلها الشكل  
 بالفتحة أو الكسرة أو الضمة أو السكون ،  
 وعندنا حركات حروف العلة كالألف والواو  
 والياء ، وعندنا حركات حروف العلة الممدودة  
 أو المضاعفة التي تمتد بامتداد حرفين كالألف  
 الآمال وياء الإيمان والواو بعد الحرف  
 المهموز في مثل كلمة المؤودة .

فهذه الأوزان التي تلازم جميع المشتقات  
 والجماد ، وهذه الحركات التي تختلف



ومما قاله في هذا المبحث الفنى العلى في مقام المقارنة بين فنون الشعر أن الشاعر اللاتينى الكبير هوراس كان يفخر بأنه استهوى حرائس الشعر اليونانى إلى زيارة وطنه الرومانى وهو يقصد بذلك محاكاة أوزان الشعر الغنائى فى لغة اليونان . . . قال : ولكن ما من أحد يستطيع أن يفخر باستهواء هروس الشعر العربى إلى زيارة الجرد البريطانىة أو يفخر « بنجيزة » تلك العروس العسية ، وكل ما يمكن أن يقال إن الشعر العربى قد يمثله مزيج من بلاغة الشاعر جوب اللفظية ، ومن بلاغة الشاعر شلى العاطفية ومن نزعة الشاعر لورنس الصريحة ، ولكنه وصف لا يبنى عن الحقيقة ولا يصلح بديلا لما نحن لا يعرفها .

قال وإن اللغة العربية لغة تقية صافية على نحو لم يتوافر لغيرها من لغات الحضارة ، وأنها مع ذلك تستطيع أن تؤدى العبارة التوراتية المقدسة كما تستطيع أن تؤدى عبارات الأدب ، واستشهد الكاتب برأى الشاعر المعاصر المشهور « هزرا باوند » الذى يصف الشعر العربى وصفا « اصطلاحيا » بأسلوبه المعروف ، ويمكن أن يجابه باللغة العربية أن هذا الشعر جامع بين القدرة التصويرية والقدرة الموسيقية ، أو أنه يابرق البصر والسمع فى آن .

أصل سابق للأماض من الكلام الموزون يوزن البحور والتفاهيل ، فهو فى مقام الاستحارة أولى بالأصالة والتقدم على الشعر الذى هرف فيه المنظوم وغير المنظوم .

وبين أدينا - ونحن نكتب هذا المقال - عدد شهر يناير من مجلة « الإنكاوتر » Encounter أو المساجلة والمناوشة فى أقرب معنى لها باللغة العربية ، وهى مجلة عالمية تكثر للختصين بموضوعات الأدب والفن أحدث البحوث فى النقد والتحليل على نمط الدراسات المصرية ، ويغلب على مهورتها الاستقلال عن المذاهب والنزعات المتضاربة التى يتميز لها بعض أصحاب الدعوات المتطرفة ، وقد نشرت فى هذا العدد الأخير منها فصل بعنوان « هروس الشعر العسية » للمشرق ديموند سقيوارت يعنى بها فن الشعر العربى ويخلص من المقال كله إلى تقرير الرأى الغالب على العارفين بهذا الفن من أدباء الغرب : وهو الشهادة له بأنه أدق الفنون وأعصاها على المحاكاة وأخرجها إلى العناية هند النقل والترجمة ؛ لأن مزاياه ليس من قبيل المزايا القائمة فى آداب الأمم ، وليس له نظير فى اللغات السامية نفسها التى تنسب لها اللغة العربية ... وهو يصف اللغة العبرية « بالبربرية » بالقياس إلى لغة الضاد التى وسعت ثقافة عالم واسع من عوالم الحضارة العالية .

هؤلاء ياهمال أوزانه التي لا يتقنون عليها ، فإن  
يجزم عن فظمه شاهد على تجردهم من إلمام  
المطبوعين الذين يتقنون عليه بغير تعلم ،  
وقد يكون من القادرين عليه من يجهل كلمة  
العروض ولا يدري معنى التفاعيل .

وقد انفردت اللغة العربية بهذا الفن المطروح  
لأهلها ، المعنى على الغريب عنه ، فليس من  
حقها علينا وليس من حقنا على أنفسنا أن  
نفقد من آياها بأبدينا ، لأنها بلغت تمامها  
عندنا ولم تبلغ هذا التمام عند غيرنا .

عباس محمود المصا

ولم نفهم من قول الكاتب من عروس  
الفرع العربي إنها : أحصى عرائس الشعر ،  
إلا أن مراسها صعب على غير أهلها ، وأن  
صعوبته إنما يحسها من يحاوله وهو غير  
مطبور عليه وليس فيه صعوبة على قرائه  
ولا على الموهوبين من فاضليه والمشتغفين  
بحبسه ، وهي حقيقة واضحة من سهولة نظم  
أوزانه على المطبوعين من شعراء اللهجة العامية  
أو الوجالين الأميين والناتحات الأميات ،  
ولامصلحة للشعر في أن يستقيحه غير المطبوعين  
من المتعلمين أو غير المتعلمين إذا اقتحمه

### قصور العرب في النقد

لغريب ، كانه أجود . وكلما كانت المعاني  
أرسخ في القدم ، وأصل في الابتكار ، كانت  
أفضل . ومن ذلك كان أغلب النظر مقصوراً  
على الآيات المفردة الشاهدة على صحة الكلمة ،  
أو سلامة القاعدة دون نظر إلى علاقتها  
بالقصيدة . وكان الرأي يجمأ على تقديم الشعر  
الغريب على المأنوس ، وتفضيل الشاعر  
القديم على المحدث ، وقد أغرقوا في إبطار  
الجاهل على الإسلامى ، من غير ميزة إلا  
الأقدمية ، حتى قال أبو عمرو بن العلاء :  
« لو أدرك الأخطل يوماً واحداً من الجاهلية ،  
ما فضلت عليه أحداً » .

من كتاب ( في أصول الأدب ) الزيات

من أسباب قصور العرب عن النقد البياني ،  
أن سبق الأدباء إلى النقد هم الثغويون  
والنحاة . كانوا هم قضاة الشعر في أواخر  
القرن الثالث ، إليهم يحتكم الشعراء ، وعندهم  
بأنخذ الملوك والأمراء ، حتى قال الخليل ابن  
أحمد : « إنما أتم معشر الشعراء تبع لي »  
وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ودرخت  
قولكم ففقم وإلا كدتم » .

وغرض هؤلاء الثغويين والنحاة من النظر  
في الشعر إنما كان جمع الشواهد على غريب  
الالفاظ وصحة القواعد ، وتسجيل معاني  
الشعر ، ومن ابتكرها ومن سرقها . فكلما  
كانت القصيدة أحفل بالشواهد ، وأجمع

# مناهج الإسلام

## لنقوبة روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

- ٢ -

وأول ما يفهم من هذا الحديث رغبة المشرع في الإقبال على الزواج ، فهو يدعو إليه معشر الشباب الذين هم في باكورة العمر ، والذين هم أقدر بحكم سنهم على التوفية بحقوقه وبحقوق الفطرة الإنسانية فيه . وقد جرت العادة بأن الزوجية المبكرة في السن الصالحة لها ثمر استقراراً بين الزوجين ومحبة ، وتمين على الاحتفاظ بذكريات من الشباب تظل على مدى الأيام سيما ممطرا لجو الزوجية حتى في عهد الكهولة والشيخوخة ، أما الزواج الذي يرى الذي لا يتم إلا حين تكون جذوة الشباب قد خمدت أو كادت ، فإنه يكون أشبه بالصدقة المستحقة ، وقد لا يثمر ثمراته المرجوة ، وإذا أثمر كانت ثمراته في كثير من الأحيان أشبه بثمار الصيف على أبواب الشتاء ، أو بثمار الشتاء على أبواب الصيف . لذلك كان الشباب هو الفرصة المناسبة للزواج ، ولكن من حكمة دين الفطرة أن يلتفت إلى هذه الفرصة داعياً إلى اتهازها .

وأمر آخر في هذا الحديث الشريف : هو تخصيصه هذه الدعوة إلى الزواج بمن استطاع

هرفنا نظرة الإسلام إلى عقد الزوجية ، واعتباره إياه من أم العقود والمواثيق التي يجب رعايتها ، وألا تتخذ آيات الله في شأنها هزوا . وأن الإسلام من أجل هذا حرص على تشريع كل ما يقوى هذا العقد العظيم ، ويحمله مؤدياً إلى الغايات المقصودة منه .

وتبدو هذه العناية التشريعية فيما يأتي :

المناهج التي شرعها لما قبل العقد .

المناهج التي شرعها لتثبيت الحياة الزوجية .

المناهج التي شرعها لما بعد انقضاء الحياة

الزوجية بالطلاق أو الموت ، وإليك البيان :

أولاً : المناهج التي شرعها لما قبل العقد :

الترغيب في لزواج :

١ - فن ذلك أنه يرضب في الزواج ،

ويحث عليه القادرين ، أما غير القادرين :

فيرشدهم إلى ما ينبغي أن يستمينوا به حتى

يقدرُوا :

فيقول النبي صلى الله عليه وسلم :

« يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة

فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحسن للفرج ،

ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

الذين فسروا الحديث به فنقول : هل أردتم بهذا أن الصوم له أثر حسي في إضعاف الجسم يرتب عليه إضعاف الرغبة الجنسية ؟ إن كان هذا هو مرادكم فإن به شيئاً من الضعف ، إذ أن الطب والتجربة لا يقران ذلك ، بل الصوم فيه تقوية للجسم ، وتصفية لفضلات المعدة وما يثقل البدن ويعوقه عن أداء وظائفه ، وفيه إراحة للأعضاء وتنشيط لسائر أجهزة الجسم ، وقد ثبت أن الامتلاء والتخمة يضعفان الرغبة الجنسية ، وإن كان المراد ما في الصوم من تهذيب نفس يجعل المرء متصلاً بربه ، بعيداً عن تلبية نوازح الفطرة من حرام ؛ فذلك معنى مقبول في ذاته ، وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، يصف الصوم علاجاً نفسياً لا علاجاً جسيماً لمن لم يستطع تكاليف الزواج ، فيقول له : استعن بالصوم فإنه علاج نفس تهذيب يجعلك في حصانة من تلبية دواهي الشهوة ، حين تشعر بأنها تلح عليك . وأنت لا تستطيع أن تؤديها من حلال ، فيمنعك صومك أن تؤديها من حرام ؛ لأن الصيام بما له من قوة تهذيبية يصونك ويهجرك . قول : هذا المعنى في ذاته حسن ، ولكنه تشكيف على جانب كبير من الشدة والعسر ، فإتينا إذا جئنا إلى الشبان الذين هم في باكورة العمر ، وفضارة الصبا ، وقلنا لهم : أتم الآن غير مستطيعين لتكاليف الزواج بسبب قلة

الباء ، ، وقد فسر هذا اللفظ في اللغة بمعنىين : أحدهما عقد الزواج نفسه ، والآخر الأمر الجنسي الذي يكون بين الرجل والمرأة . ولكن ينبغي أن نسبق المعنى الثاني من أول الأمر ، ولا نقبل تفسير الحديث به ، كما فصل بعض الشراح ، لسبب واضح في الحديث نفسه هو أنه يقول : « ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء » . ومن كان غير مستطيع للباء بالمعنى الثاني ، فليس في حاجة إلى أن يوصف له الصوم أو غير الصوم ليقمع عنه الشهوة ، فالغرض أنه غير قادر . ويبقى المعنى الأول ، وهو عقد الزواج ، واستطاعته هي القدرة على تكاليف الزواج ونفقاته ، فهو يقول : من كان منكم قادراً على نفقات الزواج وتكاليفه فليزوج ، فإنه - أي الزواج - أغض للبصر ، أي أشد فضله ، وأحسن الفرج ، أي أكثر إحساناً . وهذا يدل على أن الأمر الموجه إلى الشباب ليس طاماً ، وإنما هو خاص بمن قدر منهم على تكاليف الزوجية والتزاماتها . والشطر الثاني من الحديث وهو قوله : « ومن لم يستطع فعله بالصوم ، فإنه له وجاء » قد فسر بمعنى منقول مشهور ، وهو أن الصوم من شأنه أن يضعف نوازح الشهوة ويقمعها ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يصفه لمن لا يجدون تكاليف الزواج . ونود أن نقف قليلاً عند هذا المعنى لتناقض

وقال أبو هيمدة : كل بمسك عن طعام ،  
أو كلام أو سير ، فهو صائم .

وعلى هذا فالمراد بالصوم في هذا الحديث  
الصبر والتعفف وربط المزيمة على الانتظار  
حتى ييسر الله أمر الزواج ، وهذا هو الشأن  
في كل ما يرغبه المكلف وتنبه إليه نفسه :  
عليه إن أراد شيئاً وعجز عنه ، ولم يستطع  
أن يصل إليه من وجه حلال ، أن يصبر  
ويكافح نفسه ويصوم عن هذا الشيء . وبمسك  
عنه ، ويترك حتى يصل إليه من حله .

وهذا المعنى هو الذي يتفق مع قوله تعالى  
في شأن غير القادرين على تكاليف النكاح :  
« وليستغف الذين لا يجدون نكاحاً حتى  
يفتيهم الله من فضله » . فقوله عليه الصلاة  
والسلام : « فمن لم يستطع ضل به بالصوم »  
- أي بالإمساك عن الزواج مع الصبر  
ورباطة الجأش - هو في معنى قوله تعالى :  
« وليستغف الذين لا يجدون » .

وهذا يتفق الحديث مع الآية فيما يصفاه  
من علاج اجتماعي لمن لم يستطع تكاليف  
إنشاء أسرة ، وإقامة بيت ، ويكون هذا  
العلاج في تناول المكلفين على اعتبار أن  
مطالب الحياة لا يمكن أن تحقق لكل  
إنسان من أول الأمر ، وأن على الإنسان  
أن يصبر ويستمسك بإرادته القوية ،  
ويصوم عما لا يستطيع ، حتى يجد السبيل  
إلى تحقيقه من وجه شريف .

مرتباً بكم وعدم كفايتها لإنشاء بيت زوجي ،  
فصليكم أن تنتظروا وأن تصوموا في فترة  
الانتظار حيناً بعد حين حتى تهذب نفوسكم ،  
وتتقمع بهذا التهذيب شهواتكم الفطرية ؛  
إذا قلنا لم ذلك ؛ فلا شك أننا نكلفهم -  
وهم في هذه السن - تكليفاً شاقاً لا يستطيعونه ،  
أو هم على الأقل يترمون به ، وقد يفتقون  
به ذمماً ، والله تعالى لا يحب أن تؤتى عباداته  
على كره وتضرر وامتناع .

ولذلك لا أسترخ أيضاً لهذا التفسير .

والرأي عندي - وإن لم أكن رأيت لأحد  
من قبل - هو أن المراد بالصوم في هذا  
الحديث الصوم اللغوي ، وهو : الإمساك  
عن الشيء . أي أكل - قال صاحب التهذيب :  
الصوم في اللغة هو الإمساك عن الشيء .  
والترك له ، وقيل للصائم صائم لإمساكه من  
المطعم والمشرب والمنسكح ، وقيل للصائم  
صائم لإمساكه عن الكلام - يشير إلى قوله  
تعالى : « إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم  
اليوم إنسياً » . وقال الخليل : الصوم قيام  
بلا عمل - ومنه صامت الشمس عند اتصاف  
النهار إذا قامت ولم تبرز مكانها ، وصام  
النهار صوماً إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة ،  
قال امرؤ القيس :

فصمها ، وسل الهم عنك بحمرة

ذمول ، إذا صام النهار ، وهجرأ

على الزواج ، وترغب فيه ، ويذنبى أن تحمل  
على هذا الحديث في أنها مخاطبة للقادرين .  
منها ما رواه أفس من أن قفرا من أصحاب  
النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لا تزوج ،  
وقال بعضهم : أصلى ولا أنام ، وقال بعضهم :  
أصوم ولا أفطر ، فبيع ذلك النبي صلى الله عليه  
وسلم ، فقال : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ،  
لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ،  
وأزوج النساء . فن رغب عن سقى فليس  
منى .

ومن سيرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى  
عن التبتل - وراه قتادة وقرأه - وقد أرسلنا  
رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ،  
إلى غير ذلك من الأحاديث التي تتجلى فيها  
رغبة المشرع في عقد الزواج ، وحث القادرين  
عليه ، والتي تدل على كراهية العزوبة والتبتل ،  
ولو أن الناس حملوا بها لما قامت أزمات  
الزواج ، ولما وجد في المجتمع شبان معطلون  
بدون مبرر من أداء وظيفة الزوجية المقدسة ،  
ولا شابات تنطوي على البيوت زمانا حتى  
يصبحن عانسات ، وقد كن أنسات !

مقباس مهم مهم للاختيار الزوجية الصالحة  
(٢) ومن ذلك أن الإسلام يرسم للأزواج  
منهج الاختيار الصحيح للزوجة الصالحة التي  
من شأن زواجها أن يستقر ويثبت .

• فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وبعد هذا التحليل للحديث يتبين لنا أنه  
يقرر أمورا من شأنها أن تكون تقوية  
للرابطة الزوجية عندما يوثق عقدها ، وهذه  
الأمور هي :

• ترغيب القادر على الزواج في الزواج ،  
فإنه إذا أقدم عليه القادر كان ذلك أدعى إلى  
استقرار البيت الزوجي ، وقوة الرابطة  
بين الزوجين .

• كراهيته لغير القادر ، لأنه سيؤدي إلى  
تحمل ألوان من الصعاب ، ومعااناة كثير من  
المشكلات ، التي لا يستطيع معها إقامة  
حدود الله .

• الاعتماد على قوة الإرادة في المكلف ،  
وإرشاده إلى أن يصبر على رغبته حتى يهيئ  
الله له ما به يكون تحقيقها من وجه شريف ،  
وفي ذلك حث له على أن يصون نفسه ،  
ويحفظ بشرته ، ويظل هفيفا لا تدنسه  
فاحشة ، ومن استطاع أن يكون كذلك ؛  
فإنه حين يتزوج يكون الزوج النظيف الطاهر  
الطيب الذي لم يفسق وراه دواعي الشهوات  
المحرمة ، ولم يعرف إلا زوجته ، ولم يتقل  
من أحسان امرأة إلى أخرى ، وفي ذلك  
توطيد أى توطيد لبيت الزوجية ، وتوثيق أى  
توثيق لروابطها الشريفة .

• • •

هذا وهناك أحاديث أخرى كثيرة نحث

تمشيا مع عقلها الباطن الذي لا يتسع بذلك .  
 • ولا أن تشدد ذات الحسب فقط أى التي  
 ليس لها مع حسنها ونسبها صفات خلقية  
 وخلقية تجعلها سعيدا بها ، فكم من حسنة  
 نسبية ، ولكنها صعبة الخلق ، جاحدة ، تعذب  
 معاشرها ، وتحول حياته إلى جحيم ، فمن  
 ابتنى في زوجته الحسب والنسب فقط دون  
 صفات الزوجية الصالحة ، فقد ابتنى لنفسه  
 ألوان المتاعب والصعاب في كثير من  
 الأحيان .

• ولا أن تشدد ذات الجمال الزائغ التي تعد  
 تحفة من التحف ، مكتفيا بجمالها وروقتها  
 دون الصفات الأخشرى التي هي ضرورية  
 في تحقيق السعادة ، فإن الجمال وحده قد يكون  
 سببا من أسباب الشقاء ، وما لم يكن إلى  
 جانبه صفات تصونه وتحفظه فإنه يكون عبئا  
 على الزوج أكثر منه متاعا له ، وقد يكون  
 أيضا عبئا على المرأة نفسها ، ومزقة لها ،  
 إذا يغريها بالتكبر والتعالى على زوجها  
 أو يعرضها للكثير من هوامس الفتنة ،  
 أو يحسبها على الإسراف في التزين والتبرج  
 تمشيا مع غرورها واقتنائها بجمالها .

• فلم يبق إلا اختيار ذات الدين ، أى ذات  
 الفضيلة والخلق التي تعرف واجبها في كل ناحية ،  
 قتلك هي التي تعد كسبا وظفرا ، ولهذا يقول  
 الرسول صلوات الله عليه : ( فاطمى بذات الدين  
 تربت يداك ) أى اخترها واستمسك بها واظفر

• وتكبح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ،  
 ولجمالها ، ولدينها ، فاطمى بذات الدين تربت  
 يداك .

والمراد بذات الدين : ذات الخلق والفضيلة ،  
 الذين يمثلها الدين ويحققهما ، ومن أول  
 ذلك أن تعرف حق زوجها ، وحق زوجها ،  
 وحق أولادها وليس المراد من تكثفى  
 بالصلاة والصوم لحسب ، مع كونها لا ترضى  
 ما استرها الله عليه ، فالمرأة راحية في بيت  
 زوجها ومسئولة عن رعيته ،

ويذكرنا ذلك على أن الإسلام لا يشير عليك  
 حين تختار زوجتك :

• أن تشدد ذات المال ، فإن المال وحده  
 ليس من شأنه أن يعد دائما ، ولا سيما  
 إذا كان مال المرأة ، فإن الرجل الذي يتطلع  
 إلى مال زوجته يتعب كثيرا تعباً نفسياً ،  
 ويتعب زوجته ، ولا يمكن أن تكون  
 السعادة كاملة في الواقع الذي تهدى إليه  
 التجارب ، إلا إذا أحس الرجل بأنه هو  
 المتفق وهو صاحب الخير والإهداق من  
 ماله الخاص ، وكذلك المرأة إنما يسعدنا أن  
 ترى الرجل كسبا منفقا يغمرها بكسبه  
 ونفقته ، فإذا أحسث بأنه يعتمد على مالها  
 ويطلع فيه عاجلت من هذا الإحساس لها  
 بعضا تكتمه أو تبديه ، ويكون وقودا  
 لكثير من أسباب الشقاق والنزاع وتكثير  
 صفو الحياة الزوجية أرادت أم لم ترد ،

ومن تزوجها لما لم يزد الله إلا قرا، ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة، ومن تزوجها لم يردبها إلا أن يفض بصره، ويحصن نفسه، بارك الله له فيها، وبارك لها فيه .  
ويقول صلى الله عليه وسلم :

( تزوجوا الودود الولود ) .

والودود : هي التي يكون حبا منبجها من إقبال روى أكثر من أن يكون إقبالا شويها ، أو عبقا ماديا ، ومن علامته طهارة النفس من الانانية في سبيل من توده ، والرغبة في إسداء الإحسان إليه المرة بعد المرة في محن ولينة .

قال العلماء : وإنما أرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اختيار من تحقق فيها هذان الوصفان : لأن مراد الزوجية يتحقق بهما ، ولا يتحقق بدونهما ، فالودود ترضى نفس الزوج من جهة المنافع لنفسه ، والولود تحقق الغرض الأول من سنة الزواج وهو التناسل .  
وإذا كانت الزوجية ودودا ولم تكن ولودا لم تتم سعادتها به ، ولا سعادته بها ، وكذلك إذا كانت ولودا ولم تكن ودودا .

ويعرف هذا الوصفان في الأكل من أقاربهم ، إذ الغالب سريان طباع الأقارب بعضهم إلى بعض .

( والبحث موصول إن شاء الله )

محمد محمد العربي

عميد كلية الشريعة

بزواجها ، وليس معنى هذا ألا تبتنى الصفات الأخرى في الزوجية ، فلا تنظر أبدا إلى المال ، ولا إلى الجمال ، ولا إلى الحسب ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يرشدك إلى ألا يكون ما عسدا الدين هو المقصود لك فقط ، ويقول لك : إن الناس قد جرت عاداتهم غالبا أن يقصدوا إلى هذه النواحي وحدها ، فثم من يقصد المال ، ومنهم من يقصد الجمال ، ومنهم من يقصد الحسب والنسب ، فإذا رأى ما يقصده متحققا غفل عن الصفات الفاضلة ، ولم يمن بها ، ولم يكلف نفسه العلم بتحقيقها أو عدم تحققها ، غير ملتفت إلى عواقب ذلك وآثاره السيئة في حياته الزوجية المستقبلية ، ولكن الحسب الواصي هو والذي يجعل مقصوده الأول ، الدين والخلق ، ولا مانع من أن يتنقى مع ذلك ما يرضيه ويسعده ويريج نفسه من الصفات الأخرى .

وهكذا ترى الدين يرشد إلى حسن الاختيار ، ويعطى هذا الدرس النافع في قواعد الاختيار ، على اعتبار أن ذلك هو الأساس الأول في استقامة الحياة الزوجية ، التي هي شركة الحياة .

ومثل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

( لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يردبها ، ولا لمالها فلعل ما لها يفضيها ) .

وقوله عليه الصلاة والسلام :

( من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلا ،



## أدب مقارن : بركة وبحيرة بين البحري ولامارتين للأستاذ العضو الوكيل

(ماكون) الفرنسية في الحادي والعشرين من أكتوبر سنة ١٧٩٠ م ، لأب محارب شريف المتمدن ؛ يتصف بين قومه بالساحة والمروءة ، وزار إيطاليا وهو في نحو العشرين من عمره ، وطوف بأرجائها ، وقضى في ذلك عاما كاملا ؛ وعمل بالسلك السياسي الفرنسي فاقتاد إيطاليا أو اختيرت له ومن نتاجه الأدبي : التأملات ، و التأملات الجديدة ، و د موت سقراط ، و د الأغنية الأخيرة لسياحة هارولد ، ثم الهارمونيات ، وفي سنة ١٨٣٢ وهو في حوالى الأربعين من عمره قام برحلة إلى الشرق ألهمت كثيرا من الأحاسيس والخواطر ؛ ودون عنها مذكرات . وتولى منصب وزير الخارجية الفرنسية وعضوية الحكومة المؤقتة بعد ثورة سنة ١٨٤٨ التي كان لامارتين أحد زعمائها . وفي أثناء توليه الحكم لم ينس الأدب فكتب في النثر : جراتسلا ، و دافايل ، و د المناجيات .

عاش لامارتين عمرا يكاد يكون في هدد

البركة في الشرق ، والبحيرة في الضرب البركة وصفها شاعر العمرين الخالد ، و نابغة الشام الأكبر ، والبحيرة وصف نفسه عندها وذكرها بما يناسب ، شاعر الفرنسية الفحل ، وقينارتها المترنمة .

القاصر العربي هو أبو عبادة البحري ، الذي ولد بمنج ( قرأت ميمها بالفتح في بعض المصادر وسميتها مضمومة من بعض الأدباء السوريين ، من جبران منج ) على مسافة أربعين ميلا تقريبا من حلب ، في سنة ٢٠٤ هـ . وهي قرية تشتهر بالمياه الجارية والحضرة الفاتنة ، وهو شاعر من الشعراء الطائيين ، جمعت قبيلته المفاخر في جاهليتها وإسلامها ، والبحري نسبة إلى جده الأعلى بحتر . وتوفي سنة ٢٨٤ هجرية بعد أن عمر ثمانين عاما قضاه في التجوال والانتجاع الخلفاء والأمراء .

والشاعر الفرنسي هو ألفونس دي لامارتين ، يطلقون عليه في فرنسا شاعر الطبيعة أحيانا وشاعر الحب والجمال أحيانا . ولد في مدينة

ينبها وبين دجلة ، فيجعلها في المقام الأول والبحر في المقام الثاني ، ولكنه لم يبين وجه هذا السبق ، ولا في أية ناحية يكون ؛ لأنه أطلقها قضية واسعة بلا قيد ، ولكنه حين قرنها أو قارنها بدجلة ذكر أن الحسن في كليهما يتنافس ويتفاخر ، فالحسن هو الموضوع الجامع بينهما يقول البحرى :

بحسبها أنها في فضل وثبتها  
تعد واحدة والبحر ثانيها  
ما بال دجلة كالغبرى تنافسها  
في الحسن طورا وأطواراً قباها  
ثم يعود إلى مياه البركة بالوصف ، ولعله يقصد بذلك إلى بيان ما فضلت به على البحر ، وما جعل دجلة تفار منها ، يقول :

كأنما الفضة البيضاء سائلة  
من السبائك تجري في مجاريها  
والبيت السالى لذلك بيت غريب وجمل  
مأ ، لأنه يصور وقع نسيم العبا على مياه البركة ، وهو في هذا البيت يشبه غضون وجه الماء الناشئة عن هبوب ريح العبا ، بغضون الدروع المصفولة :

إذا علتها العبا أبدت لها حبا  
مثل الجواش مصقولا حواشيها  
ونرى أن البحرى ألقى على البركة - من خياله - بريح العبا ، فأبدت الحبك وأشبهت الجواش مصقولة الحواشي ، ولكنه ضنى

سنيه كعمر البحرى لأنه مات في الثاني من نوفمبر سنة ١٨٦٩ م بعد تسعة وسبعين سنة ودفن في « سان بران » في غير احتفال ضخم أو حشد كبير لبعض الاعتبارات السياسية أو غيرها .

قصيدة البحرى في مدح المتوكل على الله ، الخليفة العباسي ، ووصف بركته ، تبلغ الأربعين بيتاً (١) منها عشرة أبيات هي المدخل إلى ما أراد من مدح الخليفة ووصف بركته ، وطبيعي أن تكون في الغزل ، وفي علوة ، حيث أو في غيرها ، وإن كان هو قد ذكر ليل في مطلع القصيدة ، وهو يحتم هذا المقطع الغزلي الجميل بهذه الأبيات الأربعة

الرابعة الشائعة :

لولا حواد هذا ليس يملنى  
إلى النهى لصبت نفسى عواديها  
قد أطرق الغادة البيضاء مقعدراً  
على الشباب قصصين وأصعبها  
في ليلة ما يتال الصبح آخرها  
حلفت بالراح أسقاها وأسقها  
حاطيتها غضة الأطراف مرفعة

شربت من يدها عمراً ومن فيها  
ثم يدخل دخولا مفاجئاً بلا تمهيد إلى البركة ، فيعقد موازنة بينها وبين البحر ، ثم

(١) مرجعنا ديوان البحرى طبعته مطبعة حندية بالموسكى بمصر سنة ١٣٢٩ هـ .

أما رأت كالى\* الإسلام يكلؤها  
من أن تعاب ، وباني الجد بينها  
والبحترى حين يرى شينا هائلا بالغا  
الغاية في الإبداع والإتقان ينسبه إلى الجن ،  
جن سايان أو غيرهم فهو هنا يقول :  
كان جن سليمان الذين ولوا  
إبداعها فأدقروا في معانيها  
وهو في قصيدة الإيران يقول :

ليت شعري أصنع إنس لمن  
سكنوه أم صنع جن لإنس  
وهو يشير في الشطر الأول إلى خرابه  
حق أصبح مسكنا للجن .

وصورة النجوم حين تبدو في ماء البركة  
منمكة ، يصورها البحترى في بساطة  
بلا تعقيد ، ووصلها كأنها حديث قروي  
يتعجب ا

إذا النجوم تراءت في جوائها  
ليلا حسبت مياه ركبتي فيها  
وقد أعجب أحد النقاد المحدثين بهذا البيت  
حق جملة صورة فنية في شعر العرب كله ،  
قل أن نجد له مثيلا .

وقد وضع المتوكل في البركة سمكا ، وعلى  
حافاتها وضع مقاعد للجلوس ، وبالقرب منها  
رسم صورة لدلفين ( وهو الدرفيل ) وجمع  
البحترى صفة السمك ورسوم الدلفين في قوله :

لا يبلغ السمك المحصور غايتها  
بعد ما بين قاصيها ودانها

على البحر وعلى دجلة بمثل هذه الريح ، فلم  
يلق عليهما من خياله ريحا ، ولم يلتفت حتى  
لما يلقيه الله عليهما من هذه الريح في بعض  
فصول السنة ، أو بعض آناء الليل والنهار ،  
وفي البيت الذي يلي هذا عناية واضحة لبركة  
المتوكل ، ونبها البحترى بتزيينه البارح الفنان  
ليجعل الفضل للبركة بغير منازعة من البحر  
أو من دجلة .

لحاجب الشمس أحيانا يضاحكها  
وريق الغيث أحيانا يياكيها  
أما الشطر الأول فهو يشير إلى سقوط  
ضوء الشمس عليها ، ولطمان مياهها على إثر  
ذلك مما يمكن أن يشبه بالضحك ، وأما  
الشطر الثاني ففيه دقة ملاحظة عجيبة للشاعرنا  
العظيم ، فإن المبالغة - بصيغة المشاركة -  
تقتضى أن تبكي البركة إذ جاهدتها ريق الغيث ،  
فإذا سقط على ماتها ارتدت قطرات منها صعدا  
إلى أعلى ، فكأنها ترد على بكاء الغيث بكاء  
منها ، وهي ملاحظة عجيبة تدل على دقة الشاعر  
وبراعة تصويره .

وفي وسط هذا الجو الشعري الجميل ، يضع  
البحترى بيتا في مدح المتوكل ، فيخشش  
شعورنا به خششا ، ومالنا ولهذا المديح  
في وسط هذا الجو الجميل من مياه البركة  
ودجلة ، ونسيم العبا وحاجب الشمس  
وريق الغيث ؟

يسمن فيها بأوساط بيضحة  
كالطير تنقض في جو خوافها  
لمن سخن رحيب في أسافلها  
إذا انحططن وهو في أعاليها  
صود إلى صوة الدلفين يؤنسها  
منه ازواء بسنين يوازيها  
ثم لم ينس الشاعر ما حوّلها من الحضرة  
والنضرة فقال :

تغنى بساتينها القصوى برؤيتها  
عن السحاب منحلّا عزاليها

وهو معنى غريب وطريف أن تكني  
الرؤية وتغنى البساتين عن طلب الرى ...  
محفوظة برياض لا تزال ترى  
ريش الطواويس تحكيه ويحكىها  
أما قصيدة لامارتين « البحيرة » فهي من  
مشهورات الأدب الفرنسي على مدى الزمان ،  
ويقول عنها أحد النقاد عند ذكر وفاة  
جوليا حبيبة لامارتين :

« وما هو جدير بالذكر في هذا الموضع ،  
أن هذه الحادثة الغرامية ، قد أتت للآدب  
الفرنسي ثماراً شبيهة ، وزهوراً بيضاء لا يزال  
يتبعها على الآداب الأخرى عجباً وطرّاً ،  
وذلك مثل قصيدة البحيرة التي بلغت من الشهرة  
حداً لم يبلغه إلا بضعة قصائد لالفريد دي  
موسيه ، وفيكتور هيجو والكونت دي ليل » .

(١) الترجمة السليمة زوج كاتب للقال .

وفد ترجم البحيرة إلى العربية نظماً وترأ  
كثيرون ، ومنهم الدكتور قولا فياض  
الذي نظمها معربة واستهني بقوله :  
أهكذا تنقضى دوماً أمانينا  
نطوى الحياة وطيف الموت يطوينا  
يستهل لامارتين قصيدته بقوله :  
هكذا ، دائماً ، ندفع إلى شواطئ جديدة (١)  
في الليل الأبدي ، حيث لا عودة .  
ألا يمكننا في بحر السنين الخضم .  
أن نلقى مراسينا ولو يوماً واحداً ١٩١ .

\*\*\*

لوه ، أيتها البحيرة ، لقد أتم العام وشيكا  
دورته .

والى جانب الموجات الجيبية التي كان يجب  
أن تراها من جديد .  
انظري ... إنني جئت وحيداً ... أجلس  
على هذه الصخرة حيث رأيتها - أيتها  
البحيرة - تجلس ١ .

والاستهلال بهذه الصورة يصور عاطفة  
منجوعة في نفس الشاعر الذي فارقه حبيبته ،  
ونأت عنه ... وآب إلى مكان ملتقاهما  
وحيدا يتلى عزاء نفسه فلا يجد إليه سبيلاً .  
ثم يوجه حديثه إلى البحيرة مذكراً إياها  
بأنهيا وتكسر أمواجها على الشاطئ »

وما مر أمام صيفيه من مناظر خلابة في البحيرة  
وما حورها ، قد امتزجا في نفسه فبقيت الذكرى  
تمثلة في سكون البحيرة ، وفي عواصفها ،  
وفي تلاها الضاحكة وفي شجرات الصنوبر  
الداكنة ، وفيما هناك وهنا من صخور وهيبة  
المنظر تقف على شاطئ " البحيرة " يقول :

« احفظي أيتها الطبيعة الجميلة على  
الأقل ذكراها .

تسكن في سكونك ، في عواصفك .  
أيتها البحيرة الجميلة ، وفي مناظر تلالك  
الضاحكة ،

وفي شجرات الصنوبر - هذه - الداكنة ،  
وفي هذه الصخور المتوحشة - التي تتعلق  
فوق مياهك .

تسكن في النسمة التي ترتعد وتمر .  
في ضجة الشيطان .  
في ذلك الكوكب ذي الطلعة الفضية تبيض  
بها صفحتك ، .

وبين من ذلك أن لأمريتين ، قد صرف  
همه إلى بث عاطفته المصبوبة ، وإن يكن  
قد صور بخطوط بعيدة دقيقة هذه البحيرة  
بشعائنها وصخورها وأشجارها وكانت مناظره  
ممزوجة بأحاسيسه وعواطفه بخلاف زميله  
العربي الذي انصرف إلى الوصف الحسي ،  
مراعيا الدقة البالغة فيه ، حتى إنه لم ينس  
أن يذكر لنا ملاحظته في عيون الدلفين

ثم بالريح وهي ترمي بزيد الأواج تحت أقدام  
الحبيبة .

ثم يجرى حديث عن الزمن يمر على  
السعداء فيتمنون لو طال ، وعلى المتعساء  
الاشقياء فتكون سعادتهم في مجته ومروره  
مسرعا .

وفي خلال ذلك يصور الزمن والإنسان  
بصورة تبلغ الذروة في جمالها وإبداعها يقول :

لنسرع  
لنستمتع  
إن الإنسان ليس له مرمى ، والزمن  
ليس له شاطئ .

هو يجرى ، ونحن نمر .  
وإنه ليتشبث بلحظات النشوة والسعادة ،  
فيتنمى لو بقيت على الأقل ذكراها بعد أن  
تذهب ويقول إن « الزمن الذي أعطاهما ،  
هو نفسه الزمن الذي عاها ، ولن يعيدها  
إلينا أبدا . » ويقف برهة ليسأل الأبدية  
والعمم ، والافق الغام ، لماذا تبتلع الأيام  
وماذا تفعل بها ؟ .

وينصرف من هذا كله إلى توجيه الخطاب  
إلى البحيرة ، وإلى صخورها الخرساء ،  
ويقول إن الزمن تستطيع كفه أن تمحوها  
كما تستطيع أن تبحث فيها الشباب .

على أن ذكرى حبيته ، وما قضاه معها  
عند البحيرة من لحظات السعادة والحناءة

المرسوم تجاه البركة من حقيق أو اتساع . الحق أن درة لامارتين فريدة من فرائد الشعر  
أبداع البحري في وصفه إبداعاً عظيماً ، إلى العالمى ، لا يرقىها وجمال موسيقاها لحسب ،  
نعم ، ولكنه لم يزد على ذكر ما رآته عينه ولكن بهذه القوة وتلك الحرارة التي امتلأت  
في البركة وما حولها ، ونسى نفسه هناك ، بها معانيها وأفكارها ، ولقد قال عنها  
وماذا يحمله على ذكرها ، وليس له عند البركة لامرتين نفسه :  
غرام ضاع أو حب تبدد ، على أن لامرتين  
رأى البحيرة ورأى نفسه فيها ، أو العكس ،  
رأى نفسه ورأى البحيرة فيها ، هذا صحيح ،  
وذلك صحيح ، ألم تلاحظ أنه بمرث ذكريات  
أيامه ولياليه على سكون البحيرة ،  
وهواصفها ، ومناظر تلالها ، وقسوة  
صخورها ، وفي أشجار المنوبر التي تقف  
بجوارها .

### المعرض الوكيل

## المال مال الله والإنسان مستخلف فيه

الإنسان حين يهبه الله شيئاً من ملكه الواسع بطرق التملك الشرعية وقواعد الكسب  
النظيفة الشريفة ، يصبح خليفة من ربه في هذا المال ، أو يصبح - بتعبير العصر ، والله  
المثل الأعلى - وكيلاً عن الله في المال . ومن الأمور المتفق عليها أن الوكيل يجب عليه  
أن ينفذ أوامر مولاه وإلا لم يكن صالحاً للخلافة أو الوكالة ؛ ولذلك يقول القرآن عن المال :  
« أتفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، أى المال الذى جعلكم الله مسيطرين عليه بمقتضى  
استخلافه لكم فيه ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « المال مال الله وأنا عبده » .

## بين الكسائي وسيبويه : كيف نكتب البحوث الأدبية للأستاذ محمد رجب البيومي

المرموق ، فأسرعت إلى قراءة المقال قبل  
سواء من موضوعات العدد ، فوجدته يدور  
حول مناظرته لسيبويه في المسألة الزنبورية  
الدائنة لدى كل من درس النحو العربي ١١  
وقد زاد عجبى وأكاد أقول لم أصدق عيني مرة  
ثانية حين وجدت الكاتب المطلع يكتب  
اسم ( الفراء ) العالم النحوى الجليل ( الفراء )  
هكذا بالغين لا بالفاء ويكرره تسع مرات  
كيلا يظن عجزه أنه خطأ مطبعي يتكرر  
ويتكرر حتى يصل إلى المرة التاسعة ١١

هكذا يا قوم يجهل اسم الفراء لدى أدب  
يتحدث عن أحلام النحاة ويوازن بين الأئمة  
في مجلة أدبية تقوم على النهوض بالأدب العربى  
أما والله لو جهل اسم الفراء تلميذ في القسم  
الابتدائى بالأزهر يقرأ قطر الندى بالسنة  
الثالثة وشذور النعب بالسنة الرابعة لرسم  
في الامتحان ١١

فكيف لا يعرفه محققو اليوم من يتصدون  
لتحرير خلاصات النحاة ويحكمون على سيبويه  
والكسائي في مجلات الأدب بالقطر الشقيق ؟  
أهذا ارتقاء أم انحدار ؟ ...

ما كنت أظن أن الصحافة الأدبية في أيامنا  
هذه ستعذر بالأدب انحدارا وخيم العاقبة  
حتى تلقى العدد السادس من السنة الخامسة  
من مجلة الغربال اللبنانية ، فتصفحت رءوس  
موضوعاته على عجل ، فأدهشنى أن أجد عنوانا  
كبيرا يحتل رأس صحيفة كاملة بخطه العريض  
الممتد ، وكنت أن أكتب عيني ، ولكننى  
أحرق ، وأحرق ، فأجد العنوان يقول :  
« الكسائي وصحة عار في جبين الضاد » وأنا  
وجعل أعرف الكسائي وقد قرأت ترجمة  
حياته في أكثر من كتاب ودرست آراءه  
في العلوم العربية في شتى المراجع العلمية ،  
ولا أذكر فيما قرأت أن هذا العالم النحوى  
النحوى القراء أتى من الأفعال ما يجعله عار  
العربية بكتبها ورجالها .

هذا إذا جردناه من روائيه الأدبية  
وقراءته السبعية ونخرى بحجته العلمية وجعلناه  
بجرد إنسان يأكل وينسب وينام ١١ وقلت  
في نقى لعل الكاتب الأديب قد عثر على  
مخطوط نادر لم يعرف عنه أحد شيئا ، فأسرع  
إلى إعلان ما اكتشفه من عار هذا العالم

السدة المسرفة في القسوة ، فكان الكسائي من الرواية والقراءة والنحو يفرض علينا أن نكبره ونعرف فضله ، ومهما يجمع الجمعون على أن القول ما قال سيويه فإنني أحب ألا أنسى أن مذهب سيويه وأصحابه في النحو كان مذهب قياس وتعليل ، وأن مذهب الكسائي وأصحابه كان مذهب سماع وتقليد للمرب وأن لكل من المذهبين خطره وقيمه . هذا وقد أنشأ كاتب المجلة في تأييد حكمه على الكسائي إلى ذكر أقوال تاريخية لأناس ينتصون الرجل من مثل قول ابن درستويه : « كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجمله أصلاً بقيس عليه حتى أقصد النحو » .

ومن مثل قول الأصمعي : « أخذ الكسائي اللغة عن أهراب من الحطمة يزلون بقطر بل فلما ناظر سيويه استشهد بلغتهم عليه » .

ومن مثل قول محمد اليزيدي :

كنا نقيس النحو فيما مضى

على لسان العرب الأول

لجاء أقوام بقيصونه .

على لني أشياخ قطرب

فكلهم يعمل في قرض ما

به يصاب الحق لا يأتلي

إلى الكسائي وأصحابه

يرقون في النحو إلى أسفل

وقد ذكر الكاتب الفاضل بين مصادره كتاب الأستاذ كامل كيلاني « صور جديدة من الأدب العربي » وقد رجعت إلى الكتاب فوجدت السيد الأديب قد خصه تلخيصاً مقتضباً ، ولم يذكر حقيقة واحدة ليست به ، والحق أن الأستاذ الكبير كامل كيلاني رحمه الله قد قسا على الكسائي قسوة عنيفة ولكنها قسوة الدارس الفاحص الذي يعرف مقام صاحبه فهو لم ينحدر إلى مثل هذا العنوان المزيج الذي ارتضاء صاحب المقال ، وشخصه رئيس التحرير فكتبه بالبنط العريض على رأس صحيفة كاملة ، ومع أن الأستاذ كامل كيلاني لم ينحدر انحدار الكاتب - وحاشاه أن يفعل - فقد كانت قسوته على الكسائي موضع مؤاخفة صادقة من تعرضوا لكتابته ولم يفت الدكتور طه حسين أن يشير إليها في المقدمة التي افتتح بها الكتاب حيث يقول ما فيه ص ١٥ :

« وكامل شاب شديد النشاط لا يخلو من حدة وعنف ، فهو إذا اقتنع لم يقتنع بعقله وحده ، وإنما اقتنع بعقله وقلبه وشعوره ، وفيه كرم يتجاوز به الإنصاف إلى الإسراف في الإنصاف ، فهو لا يكتفي بأن ينصف المظلوم بالحكم له ، بل يريد أن يعاقب الظالم بالإلحاح عليه وتعديد النكير .

وما أرى أن الكسائي يستحق منه هذه



إن من يتعرض لمثل هذه المناظرة ، لا يكتفى بأن يذكر ما كان ، دون تنقيب عن البواعث والأسباب كما فعل الأديب في مقاله ، فقد كتب ما لا يخرج عن أن الكسائي كان صنيعة الدرامكة وحين علم بقدم سيويه إلى بغداد ذهب محووا إلى يحيى وجعفر البرمكي ، فقال : أنا وليكما وصاحبكما ، وهذا الرجل إنما قدم العراق لينذهب على .  
قالا : فاحمل لنفسك فإننا سنجمع بينكما .

و حين تقابل الرجلان قال الكسائي : يا بصري كيف تقول : كنت أظن المقرب أشد لسعة من الزبور فإذا هو ، أو فإذا هو إياها ، فقال سيويه : فإذا هو . فقال الكسائي : أخطأت ولحنت ، فأشرح يحيى بن خالد بن برمك ليقول : هذا موضع مشكل فن يحكم بينكما ؟ فقال الكسائي : هؤلاء الأعراب على الباب ، فأذن لهم فدخلوا فقال الكسائي : كيف تقولون : قد كنت أحسب أن المقرب أشد لسعة من الزبور فإذا الزبور إياها ، قالت طائفة فإذا الزبور هي . وقالت أخرى فإذا الزبور إياها بيمينها ، فقال الكسائي : هذا خلاف ما تقول يا بصري ١١ ، فرد يحيى مخاطب سيويه : قد تسمع أيها الرجل ! وينكر سيويه ويستكين ١١ هـ .

ذلك تلخيص ما قال ، وهو به لم يقدم

ونحن نعلم أن مثل هذه الأقوال وحدها لا تخفض طامها له مكاتته ، إذ أن المتبع المنقب عن تراجم العلماء في الشرق والغرب يجد أمثال هذه الأقوال تلصق بأفذاذ العلماء من خصومهم ونظرائهم ١١ ولا يخلو عالم ما من طعنات وجهت إليه ودونها خصومه ، حتى إن أبا حنيفة مثلاً على رسوخ قدمه في الفقه ، وقوة عقله في الاستنباط ، واتساع أفقه في الرأي وصدق يقينه في العقيدة قد رى بالمرور والمعضية ، وتجرأ بعض خصومه فوضع كتاباً كبيراً في ثلبه يحمل من الأقوال ما يشين ١١ ولم يضرب أبا حنيفة العظيم أن قيل فيه ما قيل ، بل جاء من تلاميذه من دحس الباطل فأزهقه بميزان التحقيق والإنصاف ، فالإكثار من هذه النقول المفروضة لا يفيد شيئاً دون دراسة آراء الرجل ، وتقويم أفكاره ، ورسم اتجاهه ومنجاء ١١ وهي بعد ليست ذات غناء .

وأنا هنا في هذا المقال لا أبرئ الكسائي من التعامل على سيويه ، قتلك من الحقائق التي لا يستطيع إنكارها أشد الناس حماسة الكسائي ولكني أمتنع أن يكون السبب الجارح طريق البحث العلمي ، وأنكر أن يتعرض كاتب إلى الخط من شأن الثقات من الأئمة بقول مبتورة ، وحوادث لا تجد حظها من التحليل والتفسير ١١ .

والنظرة المنصفة ترى في مذهب البصرة إتقاناً وتخرجاً وتقييداً .

وفي مذهب الكوفة توسعة وجمعا يوقسان في الفوضى والاضطراب ؛ ومن هنا كان قول بعض الأعراب : فإذا هو إياها ليس حجة في منطق سيويه ؛ لأنه على فرض ثبوته وإخلاص من تسلم به ، شاذ لا يقاس عليه ، وكان الكسائي في تهاكمه على هؤلاء الأعراب يسلك ملك أمل بلده من السكوفيين من يتمسكون بكل لفظ يقال ، على أن التواطؤ مع هؤلاء البداءة في مسألة سيويه بالذات يضعف فهم ثقة الدارسين من العلماء والرواة ؛ فهو شاهد جديد على قوة المذهب البصري وسلامة منهجه .

هذه واحدة : أما الثانية فقد كان على السكاك أن يذكر أن الدولة العباسية قد احتضنت علماء الكوفة دون علماء البصرة . لجمعتهم أساتذة الدولة الرسميين يترأسون المجالس و يقيمون المناظرات و يأخذون النذر والهبات و يعلمون أولياء العهد وأولاد الخلفاء والأمراء ، فزاد نفوذهم وعلت كلمتهم . ولم تنظر الدولة في إعلاء كلمتهم وتفضيل مكانتهم إلى ما حصلوه من الثقافة في العربية بل نظرت إليهم نظرة سياسية فرائهم يميلون إلى بني العباس وكانوا في مبدأ أمرهم علويين يخلصون لبني هاشم ، فهم أنصار أهل

جديدا يشبع رغبة القارئ أو يسلف تمهيدا يفسر ما اطرد عليه الأمر من تفضيل رجل على رجل دون حزية تعليه ؛ وكان عليه أن يذكر - أولا - أن سيويه بصرى ، وأن الكسائي كوفي وقد كانت البصرة سابقة مجلية في خدمة العربية قبل الكوفة ، إذ أن أكثر متقدي العلماء بصريون درسوا اللغة وجمعوا شواردها وأصلوا قواعدها ، حتى صاروا أساتذة غيرهم ، وقد ذهب الكوفيون إلى علماء البصرة ينهلون من مواردهم ويجلسون منهم مجالس التلاميذ من الأساتذة ، وكانت الطبقة الأولى من علماء الكوفة تلاميذ الطبقة الثانية من علماء البصرة والكسائي نفسه قد طلب النحو كبيرا ، وتوجه إلى الخليل البصري يقطف من دوحته ويأكل من ثمره ثم قرأ كتاب سيويه نفسه فزاد به علما وإطلاعا ، كل ذلك قد أحل البصرة محل الصدارة من العربية وعلومها وجمعها ترتضى في النحو مذهباً قريبا حين تقدم القواعد على أساس الأعم الأغلب من الروايات ، وتعتبر الشاذ نادراً لا يقاس عليه .

أما علماء الكوفة فلم يكن لديهم ما يؤهلهم إلى القياس النحوي وضوابطه فجلسوا مبداً في الأول قبول ما ورد عن العرب مما يندرج تحت قاعدة أو لا يندرج ، وزادوا فاعتبروا الشاذ النادر أصلاً ، وجعلوا يقيسون عليه ؛

واستحقاق ١١ فإذا كانت الأخلاق الفاضلة تحرم عليه أن يستعين بوزراء الدولة وصنائعهم من أشرار البادية على قهر الحق وغطط الينبوع فإن حرصه الأكيد على منزلته العالية التي يرميها له الناس جعله يركب الصعب فيتأمر على وفاد طاردي يحصل معه كفائه وامتيازاه ١.

ونحن لا نحاول أن نهزم مسلكه ، ولكننا نفسره على وجهه الصحيح ونعتبره مع ذلك خطأ تورط فيه تحت تأثير قاهر ، ظروف خاصة يترفع عنها قليل من الناس ، ويخضع لسلطانها كثيرون ١١ ويخيل إلى أن مبالغات كثيرة قد أساطت هذه المناظرة ، ومن أهمها ما يقال من أن سيدييه قد مات بعدما بغيل متأثراً بانتهزامه ، وهذا ربط للسياسات بغير أسبابها ؛ لأن سيدييه لم ينهزم إلا في معتقد نظرائه من العلماء ، فكلمهم قد اعترف بصوابه وسداده ، وزاد الأخفش قلجاً إلى الكسائي ليوبخه وبناقته بمشهد من تلاميذه ومريديه وليعلن حق سيدييه وباطل الأعراب من المتميزين ، ولم يجرؤ عالم في حياة سيدييه أن يقول بغير رأيه في مسألة الزنجر والقرب غير بضعة أفراد يلتفون حول الكسائي ليستعينوا بمجاهه ، وهم بينهم وبينه يعرفون بأصالة سيدييه وتوفيقه .

البيت ١ وهم بعد قيام بني العباس حصن دفاعهم المسكين وصياح قوتهم الناهضة .

أما البصرة فأمية متعصبة ١ إنلك كان الكوفيون من هذه الناحية وحدها أولى بالتصدر والاستعلاء ١ ، وكانت منزلة الكسائي وهو رئيس طلياء الكوفة لعمده أرق المنازل العالية في بلاط الرشيد فهو مؤدب الأمين ولي عهد الرشيد ، وصاحب سمر الحانية ، ورفيق سفره ، فإذا تمض سيدييه ليحتل مكانه بعله وذكائه وشبابه فلا بد أن يلتجئ الكسائي إلى من يعتصم به ويحميه ١ ولا بد أن يقف وزراء الدولة من البرامكة منه موقف المؤيد المعين ، ولقد كان سيدييه يظن أن السبق العلى وحده سيضمن له الفوز في مناظراته فذهب الواقع المؤلم بظنه الخيد ١١ .

على أن أقدم ذلك وأصححه ؛ لأقرر أن الكسائي بشر له أطلع الإنسان ورفائبه ، وهو فيا بينه وبين نفسه يستشعر قوة سيدييه وتمكنه ، ويعرف أنه استفاد من كتابه العظيم قبل أن يراه ويتأكد أن هذا الشاب البصري الذي يتفقد حماسة ، ويتأجج قوة وشباباً يستطيع في جولاته الأولى أن يذل شيخوخته ، ويكشف الكوفة عن مكان الصدارة ليحتلها البصريون عن جدارة

الهم إلا إذا عد ببدء من السيطرة في قصور الخلفاء انهما في مرأى من يجعلون أقدار العلماء وفق المناصب والألقاب ١ وهؤلاء ليسوا من ذوي الرأي بحال ...

نستطيع بعد ما تقدم أن نحكم في اطمئنان بأن كاتب الغرغال قد تسرع في عنوان مقاله من جهة أولى . كما أغفل البواعث والأسباب من جهة ثانية ، وهو مع ذلك قد غفل عن حقيقة القول الجارحة بما تلحق عادة بجميع الفضلاء ، وله ولكل كاتب يدهي البحث أن يراجع مناهج تفكيره من جديد ليعلم أن الكسائي لم يكن بذلة واحدة وصحة عاد في جبين الضاد وأن الحياة العلمية يلزمنا بالحكم الناقد دون تهرج ، ولو كنا نسلك مسلك هذا المقصر ، لقنا : إن مقاله عن الكسائي كان وصحة عاد في جبين البحوث العلمية . ولكننا لا نستطيع أن نقول ذلك إذ لا يعقل أن تنهى عن خلق ونأى مثله فنخسر الجوة في الميدان ؟

**محمد رجب البيومي**

المدرس الأول بدار المعلمين بالفيوم

أما بعد وفاة سيويه فقد أنصفه جميع من كتبوا عن المناظرة في مدى ألف عام أو تزيد ، ومن أحسن الظن بدخيلة الأعراب لجأ إلى التأويل المتعسف لجاءت توجيهاته بمنأى عن السداد ، ولعل ابن هشام النحوي هو أشهر من تبرع بتخريج رأى هؤلاء . إذ تصدى في معنى اللبيب إلى إيجاد أعراب مقتتل يحمل كلة إياها مقبولة ببعض الشيء ، وابن هشام من الرصوخ بحيث يستطيع أن يخطئ الصواب ، ويصوب الخطأ في عصر يعتمد على التأويل البعيد ١ وهو أيضا بشهادة ابن خلدون قريح سيويه ونظيره حيث يقول في مقدمته : وما زلنا ونهمل بالمغرب نسمع عن ظهور عالم بمصر يقال إنه أنحى من سيويه وهو ابن هشام ، فإذا ما تصدى لتأويل جملة يظن أن بعض الأعراب قد فطن بها فإنما يتعرض لتعليل شيء شاذ قادر لا تبني عليه قاعدة صحيحة كما يقوم الكسائيون . وحسب سيويه أن ينصفه العلماء في حياته ويتجمع خلفاؤه من بعده على تأييده ١ فأين الانهزام الشنيع ؟

قال عمر بن عبد الله الأغماني :

ترجع عنه نفسه داخرة  
بل ملكا فيها وفي الآخرة

من يطلب العز بغير التقى  
اعرض عن الدنيا تكن سيداً

## القهوة حرام ١٠٠٠ قصة لها دلالة للأستاذ محمود الشرباوي

الله ، وفعل ذلك ذهابة وزيادة قربى ولم يلزم به غيره ولم يحزم بتحريمه ولم يفت به الناس ، فذلك شأنه لنفسه وتزیده عليها . ولكن بعض المفتين - في الزمن القديم والزمن القريب - والحاضر أيضا - لا يكفيه ذلك .

• • •

نحن وكثير من المتصوفة والعلماء نقول ويقولون عن « القهوة » إنها : « غير الصالحين » ، ولكنها لم تستقر على هذا الوصف ، بل لم يحلل شربها ، إلا بعد مقارعة وسيط ضرب بها شاربوها ، ودماء جرت من الذين كانوا يقولون بأنها حلال ويبيحونها لهم .

وهذه القصة ذات الدلالة كتبها مؤرخ عالم من رجال القرن العاشر الهجري ، هو الشيخ عبد القادر الحنبلي الأنصاري ، وعنه تلخصها في هذه السطور (١) . . . اعلم أن القهوة هي الشراب المتخذ من قشر البن ، أو منه مع حبه الجسم ، أي المقلبي . . . من قاتل بحرمتها

إذا حرم الله على الناس أن يأكلوا أو يشربوا شيئا محرماً صريحاً قاطعاً ، كما حرم القرآن الميتة والدم والخنزير ، وكما حرم القرآن وحرم التوراة لحم الخنزير ، فقد قطعت جبهة قول كل خطيب ، كما يقول المثل العربي القديم .

ولكن بعض الناس وبعض المفتين ورجال الفكر الديني يقدمون على تحريم أشياء تطوعاً منهم واجتهاداً . يفعل هؤلاء ذلك ميلاً منهم إلى التشدد والتزيد والصرامة . وقد يرى بعضهم أن ذلك خير له وأكرم لحزته وأظهر لحسن سمته بين الناس ، ويسمع ذلك البعض من الناس ويطيع اعتقاداً منه بأن هذا التشدد وهذه الصرامة والالتزام ما لا يلزم ، بتحريمه ، يحصلهم أقرب إلى الله وأدنى إلى شؤبه .

حال هؤلاء وأولئك يذكرنا بما قصه القرآن الكريم عن أولئك الذين ابتدعوا الرهبانية (٢) وما كتبناها عليهم . وإذا حرم الإنسان على نفسه ما لم يحرمه

(١) كتابه : « عمدة الصوفية في حل القهوة » .

(٢) الآية ٢٧ من سورة الحديد .

عقد العلماء مجلساً عند هذا الأمير أصدوا فيه حكمهم بتحريم القهوة : « وكتبوا بذلك محضراً أنشأ لهم الشيخ شمس الدين الخطيب وطلبوا من السلطان منع الناس من شربها بعد ثبوت حرمتها : « ولما انصرفوا - أي كبار العلماء - من مجلسهم بعد تحريم القهوة ، أخرج الأمير حايير بك المتادين في الأسواق والطرفات بتحريم شربها ومنع الناس من ذلك وشدد في ذلك حتى أنه هزر جماعة من باعها وكبس مواضعهم وأخرج ما وجدته فيها من فئر ابن وأحرقه وسط المبيع . »

ولم يكن شمس الدين الخطيب وجهاته هؤلاء وحدهم من الذين أفتوا بتحريم القهوة . بل جاء بعدهم - في سنة ٩٣٩ هـ - الشيخ العلامة واعظ العصر شهاب الدين أحمد السبألي الذي رفع إليه سؤال هذه صورته :

ما قولكم ، رضي الله عنكم ، في شراب يسمونه القهوة يجتمع عليه الجماعة يشربونه ويذهبون أنه مباح ... فهل ذلك جائز أم حرام ... ؟ فأجاب الشيخ العلامة واعظ العصر : « بحرمتها وأنها مسكرة . »

وبعد ذلك بثلاث سنوات تحدث الناس إلى الشيخ مرة أخرى في أمر القهوة في مجلس وعظه : « فأفتى بحرمتها وصمم على ذلك في مجالسه بالجامع الأزهر . »

مفرط في ذمها والتشنيع على شربها . . . وبالغ القائل بحرمتها فادعى أنها من الخمر وقاسها به وسأوى . . . إلى غير ذلك من الدعاوى والتعصبات المؤدية إلى الجمدال والفتن وحصول ما أدى إلى منازعات ومحن بمكة والقاهرة والمنع من بيعها وكسر أوانها بل إلى تعزير باعها بالضرب وغيره ، وإلى تأديبهم بضايح مالم وإحراق القشرة المتخذة منه في كرات متواترة ، وبالغ الدم لها أن شاربها يحشر يوم القيامة ووجهه أسود من قعود أوانها . . . )

ثم يقول الشيخ العالم المؤرخ : إن القهوة هرفت بمصر ، أول ما عرفت ، في « حارة الجامع الأزهر » وكانت تشرب في نفس الجامع . برواق البين ، كما كانت تشرب بمكة في نفس المسجد الحرام . وبقي الحال على هذا إلى أن ظهر « عالمان » أخوانا كان بمكة ثم خرجا منها إلى القاهرة قالا بتحريمها وتأثم شاربها وتعزيره ، وأيدهما في ذلك عالم آخر كبير من علماء عصره هو : « شمس الدين الخطيب قتيب قاضي القضاة سري الدين ابن الشحنة وأناس آخرون فأعزى شمس الدين الخطيب الأمير حايير بك مصر باش مكة وعصبتها إذ ذاك على إبطائها من الأسواق ومنع الناس من شربها ، وقرر عنده أنها موصوفة بتلك الأوصاف القبيحة ورغبه في ذلك جدا ، ثم

في قصة القهوة هذه نجد الناس قد عرفوا نباتا طيبا مما لم يحرمه الله فشريوه ووجدوا منه نشاطا وخفة ومنافع ، شمدوه وأقبلوا عليه سنين كثيرة ، حتى خرج عليهم شيخان أخوان وعالم كبير أو عالمان حرموا هذا النبات الطيب وأدخلاه في عداد المسكرات وسلطوا على الناس حاكما آثما يضرهم ويسجنهم ويوقع عليهم الشر ويبدد أموالهم ويحرق بضاعتهم ، ويمسئى على كرامتهم ، ويعطل أسباب رزقهم

كل ذلك كان ، باسم الشريعة والدين ، وبقى هذا الشر واقعاً على الناس نصف قرن أو يزيد . ثم بقى منه ظل وأثر يمتد وينحسر أكثر من مائتى سنة .

وكذلك نجد في مصور كثيرة متباعدة ، من قال بتحريم الدخان ، شرباً ومضغاً ، منهم العالم الكبير الشيخ على الصعدي الذي قيل في سيرته أنه كان إذا رأى من يشربه : « كسر آله الشرب ولو كانت في يد أمير الأمراء » (١) .

وقد رأينا في عصرنا هذا من يقول بتحريمه ويقم الحد على شارب ، ومن يقول بتحريم سماع الراديو لأن فيه شيطانا ... !

(١) تخلص ذلك وترجعه الشيخين الصعدي والسياس في كتابنا : « دراسات في تاريخ الجبرق » مصر في القرن الثامن عشر . الجزء الثاني من الطبعة الثانية .

عند ذلك ثارت الفتنة وعلت نارها : « فتعصب جماعة من القوم لما سمعوا منه ذلك ، وخرجوا إلى بيوتها من تلقاء أنفسهم ... وكسروا أوانها ، وضربوا جماعة ممن كانوا هناك ، فقام بسبب ذلك قتلة . وبعد أربع سنوات أخرى « بينا جماعة في بيوت القهوة يستملونها في شهر رمضان بعد العشاء ، واقام العسس وأخرجهم منها بهيئة شنيعة ، بعضهم بالحديد وبعضهم مربوط بالحبال ، فباتوا في منزل السوباشاء « السجن » ، وضرب كل واحد منهم سبع عشرة ضربة . »

وبعد ذلك بخمس سنوات أخرى - ١٩٥٠ هـ - ورد إلى مكة مرسوم من السلطان : « بمنع القهوة وإبطالها ، وإلزام باعها بمنع التسبب فيها وإبطال معاملها . »

وقد أطلت في هذه القصة التي سجلها الشيخ عبد القادر الأنصاري ليدرك القارى معنى مقدار هذه « الفتنة » التي أثارها علماء ومفتون بتحريمهم القهوة ، وما أصاب الناس من ضنن وشر مدى نصف قرن في مصر والحجاز بسبب هذا التحريم .

بل بقيت من هذه الفتنة آثار وآثام لما بعد ذلك بقرنين ، ففي القرن الثاني عشر في القاهرة ، نجد الشيخ على السيواس - وكان من كبار علماء عصره - يقول بتحريم القهوة ، وأن صديقاً له أهداه « فرقي بن » في زواج بقة فألقاه في المراصن ؛ كأنه خمر نجس .

إلا طلبة « واحدة »<sup>(١)</sup> ، وأن هذه الوثيقة الشرعية ، التي حررت في « المجلس الشرعي » الذي انعقد لتقرير اتهام ابن تيمية ، أرسلت من دمشق إلى الملك الناصر في القاهرة فأمر بسجن ابن تيمية فسجن ، وبقي في سجنه هذا حتى مات .

ووقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلاق واحدة ، الذي كان تهمة يؤخذ بها ابن تيمية ويدخل فيها السجن حتى يموت ، هو الذي لا يقول بغيره الآن قاضي شرعي في مصر ، وكان هذا الحكم هو الذي يجرى به العمل في عهد النبي عليه السلام وفي عهد خليفته أبي بكر وشطر من عهد عمر ، حتى أمر هذا بوقوعه ثلاث طلاقات تصعبا على الناس وعقوبة لهم على تسريحهم في كلفة الطلاق .

وعند ما كنا نضع المبادئ والتعديلات الجديدة لقانون « الأحوال الشخصية » في السنوات الثلاثين الماضية ، كان فقهاء ابن تيمية - هذا السجين الشهيد - مرشدا لمشروعنا إلى مبادئ وآراء تسير حياة المسلمين المعاصرة وتلبي ضرورات حياتهم المعاصرة ، في وقته كانت فيه أصوات تملو بأن يترك ما لله لله وما لغيره لغيره ، أو أن « يفصل الدين عن الدولة » كما يقول الأوروبيون ، وكانت

(١) ص : ٥٧ من وحدة ابن بطوطة

( الطبعة الثانية ) .

وفي تاريخنا المعاصر نجد ثورة عارمة - بلغت حد التفكير وإهدار الدم - قامت على فتويين شهيرتين<sup>(١)</sup> الشيخ محمد عبده أولاها تنواه بإباحة الذبائح التي يذبحها غير المسلمين ، ونحن الآن ، بطل فقهاؤنا ومفتينا وعلماؤنا ومواقفتهم ، نستورد بأموال الدولة كثيراً مما يند حاجتنا من هذه الذبائح ويأكلها المسلمون غير آثمين ولا متخرجين . لأن أقطاب الشريعة بينهم أفتوهم ، أو أقتوا الدولة بذلك . وثاني الفتويين ما قاله الإمام محمد عبده في لبس البرنيطة . فقد أباح لبسها فلقى من التهمة والتأنيب مثل ما لقي من تنواه تلك . وانظر الآن لروس الحاضرة والكاسية حتى بين العلماء أنفسهم حيث يلبس بعضهم « القطنسوه » كما يقولون . انظر هذه الروس بعد نصف قرن من فتوى الشيخ عبده لتعرف ما نريد أن نعرف . وتذكر ما نريد أن نقول .

وفي أوائل هذا القرن أفتى بعض العلماء ، بأن تأليف الجمعيات التعاونية حرام ؛ لأنها منظمات شيوعية ... ١

وقد شهد ابن بطوطة ، حين زار دمشق ، مجلساً شرعياً أخذت فيه على ابن تيمية - على حد تعبيره هو - : « أمور منكورة » ، منها أن المطلق بالثلاث في كلفة واحدة لا تلزمه

(١) فتوى الشيخ محمد عبده للشهادة (بالترسقية) .



## من اعلام المسلمين في الهند ، مولانا أبو الكلام آزاد للاستاذ عبد المنعم النمر

خلص ما نعر « نرى تربية دينية ، وأضف إليها الثقافة الغربية ،  
وكان لضجة مبكرا تبدأ في نهاية العهد الثاني من عمره في إصدار الحملات  
الدينية ليوظف المسلمين ويهددهم إلى تحريك بلادهم قاصطه الحكومة  
وأعلنت صفته ثم اعتكته إبان الحروب الأولى وخرج بعد أربع سنين  
ليرأس جهاده ويدفع المهود إلى مطة الاعلار في حركة عصيان قدمنه  
الحكومة للمحك وأمام المحكمة ألقى أروع دفاع وأجبراء وأعلن  
اختيابه بالتهمة للوجهة إليه ، وإصراره على المضي فيها وقال للمضي  
في ختام صرافته « فاقض ما أنت قاض » .

### هاكم المذنب يعود قائبا إلى « مولانا »

[ غاندي ]

— ٤ —

الطائفي المتد ، وزاد الانجلاز - بالاعبيهم  
المعروفة - من حدة هذا الخلاف ، فبدأ  
مولانا آزاد كفاحه لتهدة الفتنة الطائفية  
المستعلة ، ولتقريب وجهات النظر بين أعضاء  
الحزب المنقسمين ، وانتخب رئيسا لدورة  
الحزب المنعقدة في دهل سنة ١٩٢٣ وكان  
في الخامسة والثلاثين من عمره ، وكان انتخابه  
مع صغر سنه دليلا على قوة مركزه وتقدير  
الجميع له ، فقد اختير رئيسا بموافقة  
الفريقين المختصين ويقول : « وروى أنني  
كنت أصغر الرجال الذين انتخبوا لرئاسة  
المؤتمر سنا » .  
واستطاع بحكمته ومكانته في الحزب أن

بعد أن انتهى مولانا آزاد من صرافته  
الحالمة الجريئة أصدرت المحكمة حكمها عليه  
بالسجن سنة ، فبق في السجن حتى أفرج عنه  
في يناير سنة ١٩٢٣ ، وخرج من سجنه ليبدأ  
الخلاف الطائفي قد استحك بين المسلمين  
والهندوس ، وتصعدت الوحدة الوثيقة التي  
جمعت بينهما فترة من الزمن ، لم ولن تشهد الهند  
مثيلا لها في تاريخها ، حتى ليكن لنا أن نسميها  
الفترة الذهبية في تاريخ الشعب الهندي .  
ولم يقتصر الخلاف على ذلك بل امتد إلى داخل  
حزب المؤتمر ، إلى الأعضاء أنفسهم ، وكان  
ذلك أمرا طبيعيا في وقت اشتدت فيه المحنة  
إلى هذا الحد ، ووقع الشعب فريسة الخلاف

حده ألمانيا دون الرجوع رأى أهل البلاد وكان هذا القرار صدمة لحزب المؤتمر ، إذ اعتبره قراراً مهيناً لبلاد ومثلها في البرلمان والحكومة ، فكان لابد له أن يجتمع ويدرس الموقف ، ويتخذ قراراً بشأنه ، وترك الكلام هنا لمولانا آزاد حيث يقول في مذكراته :

« وكانت الهند في حالة من الرهبة والترقب وازدادت رئاسة المؤتمر في هذه الظروف المهددة الغامضة أهمية جديدة وكان الأصدقاء قد ألحوا على في العام الماضي أن أتولى رئاسة الحزب ، لكنني رفضت لأسباب مختلفة على أني أحسست هذا العام أن الموقف يختلف عن سابقه ، ولا يبعد أن أكون مقصراً في تأدية واجبي أن أبيت مرة ثانية ، ورأيت من واجبي حيال أزمة الحرب هذه أن انتهر للخدمة كل فرصة تتاح لي وأؤدي واجبي بكل طريق تتفتح أمامي ، فلم أتردد في قبول الرئاسة حين أعاد غاندي طلبه مني ذلك ، ولم تكن في انتخابات الرئاسة منافسة ذات بال ، وقتل معارضي الوحيد أمام أغلبية ساحقة ، ولا شك أن إلحاح غاندي على مولانا آزاد أن يقبل رئاسة الحزب في هذه الظروف الصعبة تم اختياره من الأعضاء ونصحه في موضع شاذ بالنسبة لقضية البلاد كان على المؤتمر أن يناقش فكرة دخول الهند الحرب . مع أن نائب الملك قد أعلن ذلك فعلا

يحفظه من الانهيار ويحافظ على تماسكه ويسير به في طريق الكفاح من أجل حرية الهند حتى أعلن حزب المؤتمر سنة ١٩٣٠ حركة العصيان المدني الثانية المعروفة بمخرق قوانين الملح ، وقابلت الحكومة هذه الحركة بالشدّة فأخذت تقتل زعماء الحزب واحدا بعد الآخر وتزوج بهم في السجون ، وكان كل رئيس للحزب يمين من يحلفه ، واختير مولانا آزاد رئيساً فاختار من بعده الدكتور « أنصاري » رئيساً إذا ما اعتقل ، وسار في طريقه يتحدى الحكومة وألقى خطاباً سياسياً في مدينة « مهرا » فقبض عليه وظل سجيناً سنة ونصف سنة في سجنها .

وخرج من سجنه ولكنه لم يمكث شهوراً حتى عاد إليه بعد أن رجع غاندي من مؤتمر المائدة المستديرة دون أن تتجح المفاوضات سنة ١٩٣١ ، وألقت الحكومة القبض عليه وعلى زعماء الحزب وقضى مولانا في سجنه أكثر من سنة .

وفي سنة ١٩٣٥ م خاض حزب المؤتمر الانتخابات وفاز بأغلبية ساحقة وكان مولانا آزاد في مقدمة الفائزين بعضوية البرلمان على مبادئ الحزب ، وبدأ حزب المؤتمر يشترك في الوزارات على أساس قانون الحكم الذاتي الذي صدر سنة ١٩٣٥ وعند ما قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر سنة ١٩٣٩ م أعلن نائب الملك في الهند دخول البلاد الحرب

على أساس نظريته في عدم العنف واستندت به هذه النظرية حتى وقف يعارض دخول الهند الحرب حتى ولو كان استقلال الهند هو الثمن . وقف في الحزب يعارض مولانا آزاد ويخشى أن تستجيب انجلترا لطلب الحزب فتعلن استقلال الهند فتدخل البلاد الحرب مع انجلترا !! إلى هذا الحد تسلطت عليه عقيدة عدم العنف حتى أصبح لا يهتم بشيء ولو كان استقلال البلاد مثلما يهتم بها

استقلال البلاد الذي هو غايتها وآمالها والتي ظلت تجاهد وتضحي من أجله السنين الطوال برضى غاندى تحقيقه إذا جاء عن طريق دخول البلاد الحرب واشترك أبنائها في إراقة الدماء !! ...

بل قد بلغ الأمر بغاندى إلى حد أنه ذهب إلى الحاكم العام في الهند وقال له إن واجب الشعب البريطانى هو التورع عن استخدام السلاح و عليه أن يعتمد على المقاومة بالقوة الروحية ، حتى ذهل الحاكم من هذا الخيال الغاندى وصرف غاندى من جلسته بطريقة غير معتادة اشتكى منها مولانا آزاد حين التقى معه بعد المفاصلة . . ومع هذا نجد غاندى قد وجه خطاباً مفتوحاً إلى الشعب البريطانى يمدته فيه عن طريقة عدم العنف ووجوب اتباعها مع هتلر . .

بهذه الروح الخيالية وقف غاندى في حزب المؤتمر يعارض رأى مولانا آزاد ... وكانت مناقشات المؤتمر كلها نظرية وافراضية : ماذا

بالغلبية ساحقة دليل أى دليل على مكانة الرجل والثقة في كفايته ومقدرته على تسيير السفينة في هذه العواصف الهوجاء ، ولو كان هناك في أعضاء الحزب من يقوم مقامه لما كرر غاندى طلبه ولما فاز بعد ذلك بالأغلبية الساحقة ... وهل يعنى ذلك إلا أنه الرجل الثانى في الهند بعد غاندى ...

ولقد كان لمولانا آزاد رأى في دخول الهند الحرب أو عدم دخولها يختلف فيه عن غاندى إذ كان رجلاً عملياً واقعياً لا يذوب في المثل التي يذوب فيها غاندى حتى تبعه عن الواقع وتضعه في موضع شاذ بالنسبة لقضية البلاد كان على المؤتمر أن يناقش فكرة دخول الهند الحرب مع أن نائب الملك قد أعلن ذلك ضلاً من جهة ؛ لكن بقى للشعب مثلاً في حزب المؤتمر أن يتخذ رأياً في هذا الموضوع مهما يكن الواقع .

لقد كانت الهند تكره النازية الفاشسية وتميل إلى الديمقراطية ، ومع ذلك فإن مولانا آزاد رأى أنه لا يمكن لبلاده أن تحارب في صف الديمقراطية ومن أجل حرية الدول الأخرى . كما يقول الخلفاء في الوقت الذى ترسف هي فيه في أغلال العبودية فإذا بادرت الحكومة البريطانية وأعلنت استقلال الهند فسيكون من واجب الهنود جميعاً أن يضحوا بكل نفس ونقيس في سبيل حرية الشعوب الأخرى ...

أما غاندى فلم ينظر للوضوح من هذه الزاوية ... بل نظر إليه من زاوية الخاصة

ثم الثاني . . . وهكذا . . . ولكن سرعان ما شنت الحركة البلاد . فأخذت الحكومة تمتثل الزعماء وكان في مقدمتهم مولانا آزاد حيث حكم عليه بالسجن سنتين .

وبينا كان هذا يجري في الهند كانت وطأة الحرب قد اشتدت على الحلفاء حيث هجم الألمان على الاتحاد السوفيتي وقامت اليابان بهجوم على الولايات المتحدة في ميناء珍珠 (هينشو) وبدأت انجلترا تترأض في طريقها لتخفيف حدة التوتر في الهند فقررت إرسال بعثة على رأسها سير ستافورد كرييس إلى الهند لمفاوضة زعمائها وأعلنت ذلك في ١١ مارس سنة ١٩٤٢ م ووصلت البعثة إلى الهند وكان لا بد لها أن تخرج الزعماء من السجن لتجرى معهم المفاوضات وفي مقدمتهم مولانا آزاد ورئيس الحزب لخرج دون أن يكمل مدة السجن وكان أول لقاء له مع كرييس في ٢٩ مارس سنة ١٩٤٢ م . حيث بدأت المفاوضات بينهما لتقرير مصير الهند وعرض مولانا آزاد مقترحات كرييس على اللجنة التنفيذية للكونغرس التي أخذت تدرسها وبدأت وجهات النظر تختلف حولها . يقول مولانا آزاد في مذكراته .

وخالف غاندي منذ البدء في قبول المقترحات ، وعرفت أن خلافه يرجع إلى نفوره من الحرب أكثر من نفوره من هذه المقترحات فشكل مقترح يسوق الهند إلى

فعل لوعملت بريطانيا كذا . وماذا يكون موقفنا لو لم تفعل . . . واختلف المؤتمر ووقف بعضه مع مولانا آزاد ، والآخر مع غاندي . . . وأخيرا استطاع مولانا آزاد أن يجمع المؤتمر على قرارين أولهما . تصويب سياسة عدم العنف للحصول على الحرية وثانيهما وقوف الهند في صف الديمقراطية بشرط أن تنال حريتها واستقلالها أولا . . . وفي أغسطس سنة ١٩٤٠ م دعا الحاكم العام مولانا آزاد لمقابله وإجراء مباحثات معه فرفض مولانا آزاد الدعوة لأنها لم تكن مبنية على أساس احترام رأي الهند بل على الخضوع للأمر الواقع والسير على أسسه .

وفي الوقت الذي كان فيه حزب المؤتمر يمسج بتيارات مختلفة ومناقشات حادة ، قطعت انجلترا حبل الخلاف وأراحت المؤتمر منه حين رفضت إعلان استقلال الهند . . . وكان من القريب حقا أن يفرج غاندي لهذا الرفض ؛ لأن معناه عدم تقرير دخول الهند الحرب وبالتالي عدم المشاورة في سلك الهند بيننا حزن الآخرون ، وبدوا يفكرون ، في الطريق الطويل الشاق الذي يجب أن يسلكوه تجاه الدولة الباغية لا تراخ حرية البلاد منها . . . وإن كان موقف الطرفين قد توحد على عدم دخول الحرب وهنا بدأ غاندي يفكر في إعلان حركة العصيان المدني ولكن بالطريقة الفردية ، دون أن يكون لهذا العصيان شكل جماعي فيبدأ واحد . .

أما غاندى فكان حسن الظن باليابان ويرى أنها سوف لا تهاجم الهند إذا انسحبت انجلترا منها ... وأخذ في الوقت نفسه يفكر في القيام بحركة لا هتفيه مثل حركته السابقة بقصد إرغام انجلترا على الخروج من الهند وكان عنوان حركته « ارحلوا عن الهند » واعتقد أن انجلترا سوف لا تستطيع مقاومة هذه الحركة في الوقت الذي وصلت فيه اليابان إلى حدود الهند وأنها سترغم على الاستجابة لمطالب البلاد . بينما كان مولانا آزاد يخالف غاندى في حسن ظنه باليابان . ويرى أن انجلترا ستضرب حركة غاندى بقوة وتعتقل الزعماء . وحينئذ يبقى الشعب بدون قواده في هذا الفترة الحرجة من تاريخه وأن الحركة ستقلب حينئذ إلى حركة عنيفة يخرب الشعب فيها ويهدم ويقتل . . وهذا ما لا يريده غاندى .

وهكذا اختلف مولانا آزاد مع غاندى . . كل منهما له رأيه وحيته . . ولم تكن هذه أول مرة يختلف فيها القطبان الكبيران لكن غاندى لم يتحمل مخالفة مولانا له ، فأصرح وكتب خطاباً له في السابع من يوليو سنة ١٩٤٢ يطلب منه أن يستقبل من رئاسة المؤتمر ما دام مختلفاً معه في الرأي ، كما طلب من جواهر لال نهرو هذا الطلب . وفوجيء كبار الأعضاء بهذا الطلب ودهشوا ورأوا أنه إذا استقال آزاد ونهرو فستحل بالمؤتمر

للمساهمة في الحرب مهما كثر نفعا ودرهماً الهند لا يستجيب رضا غاندى وموافقته ، وبجانب ذلك لم يرقه الجزء الأخير من العرض البريطاني الذي قال بأن المؤتمر والرابطة الإسلامية ستتاح لهما بعد نهاية الحرب فرصة لتسوية قضية الطائفية ، (١) .

واستمرت المفاوضات أسبوعين متتاليين ، يجمع مولانا آزاد مثل الهند مع سيركريس ليلا وبصطوب معه أحياناً جواهر لال نهرو ثم يجمع بالجنة التنفيذية للتوتمر نهراً ليعرض عليها ما دار من مفاوضات ، وأخيراً أخفقت المفاوضات .

وفي الوقت الذي غادر فيه كريس الهند كان شبح الهجوم الياباني يزداد اقتراباً منها ، حتى أخذت الحكومة تعد عدها لاستقبال الهجوم ووضعت خطط الانسحاب من كلكتا وتدمير المنشآت في البلاد التي تنسحب منها على النحو الذي وضعت حينما اعتزمت الانسحاب من مصر أمام هجوم « روميل » . وكان رأى مولانا آزاد ورئيس المؤتمر أنه لا يمكن أن نستبدل سيلاً بسليل ولا بد من المقاومة ؛ ولذا أهد المتطوعين من الشعب وقسم كلكتا إلى مناطق يتولى المتطوعون الدفاع عنها وحرقة تقدم الجيش الياباني عند ما تنسحب انجلترا من كلكتا . .

(١) ثقافة الهند أبريل سنة ١٩٦٠ .

لقد أثبتت الحوادث صدق تفكير مولانا آزاد وبعد نظره . . فعند ما وافقت اللجنة على رأى غاندى وأصدر قراره ببدء حركة لا عنفية فى أغسطس ١٩٤٢ لم تقف الحكومة مكتوفة الأيدي كما كان يظن غاندى ويقدر بل بادرت باعتقال الزعماء جميعا وأودعهم بجزيرة منفردة وبقي الشعب بدون قواده وواجه تدبير الانجليز وإرهابهم .

أودع مولانا آزاد بمن مدينة «أحمد نجرن» فى ولاية الكهرات مع نهرو وثمانية من الأعضاء . . وفى أبريل سنة ١٩٤٣ توفيت زوجته بعد مرض طويل ولم يكن له أولاد يقفون بجانب أمهم وهى تهود بأنفاسها ، وسرت بين الشعب آخر كلماتها الحزينة وهى تناجى زوجها بعد أن رفضت الحكومة السماح له برؤيتها وهى تودع الحياة ، وشارك الشعب قائده لوعته وحزنه وأحاطه بقلبه وهو أظفنه وكان موقفا لا يحتمله إلا رجل من طرازه . . وزاده صغوية أن أخته لحقت بزوجته بعد ثلاثة أشهر دون أن يراها كذلك . .

ثم نقل مولانا إلى بين آخر فى البنغال شرق الهند وبقي فيه حتى أخرج منه مع بقية الزعماء فى ٥ يونيو سنة ١٩٤٥ . عند ما بدأ فى الأفق انتصار الحلفاء ونهاية الحرب واجهت بريطانيا إلى تصفية قضية الهند. خرج ليتولى المفاوضات مع انجلترا لتقرير مصير الهند ، دوة التاج البريطانى .

عبد المحسن النمر

ضربة تهدكيانه وتعرض بفيانه كما أن الشعب سيفقد قوته فى زعمائه . . . ولذلك نتائج السبقة على الحركة الشعبية فى مثل هذه الظروف التى تمر البلاد بها

وقد أدرك غاندى خطأ فى السوم الذى أرسل فيه الخطاب إذ لم يمتص على إرساله بضع ساعات حتى استدعى مولانا آزاد وأخذ يستدر له مما حدث وعند اجتماع اللجنة فى نهاية اليوم وقف أمامها غاندى فى شجاعة نفسية تعود عليها واستهل أخطاره بقوله :

«هاكم المذهب يعود تابيا إلى مولانا، ويقدر ما تدل هذه الحادثة على شجاعة غاندى النفسية فإنها تدلنا أيضا على مكان مولانا آزاد من مركز قيادى خطير فى الهند كلها . كان هو الذى يقود الحركة السياسية التحريرية فى الهند مع غاندى ، ويعمل هبها ويدبر دفتها فى أخرج الأوقات التى مرت بها . . كان مولانا آزاد يمثل العقل الواهى المدبر للحركة بينما كان لغاندى روحانيته التى أثر بها على الشعب فاقاد له ولو بدون تفكير ، وكانت روحانية غاندى تمنح به أحيانا بعيداً عن الصواب والهدف الذى تسعى إليه البلاد ، فيقف له مولانا آزاد والعقل المدبر الواهى ليصح اتجاه الحركة إلى الهدف المنشود كما رأينا موقفهما عند ما كان يبحث المؤتمر مسألة دخول الهند الحرب فى أول هذا المقال . .

# المدينة الفاضلة

للأستاذ سعيد زايد

والدعائم التي يقيم عليها صرح مدينته لجأ إلى مبدئه الفلسفي في النفس يستفقيه . فرأى أنه قد قسم القوى التي توجد في الإنسان إلى ثلاث: الشهوانية ومركزها البطن وفضيلتها العفة ، والفضية ومركزها الصدر وفضيلتها الشجاعة والفكرية ومركزها الرأس ، وفضيلتها الحكمة . وما دام في الفرد هذه القوى الثلاث فإن في الدولة أيضا قوى ثلاث ، أو بعبارة أدق يتكون المجتمع من طبقات ثلاث : العمال والصناع والزراع وفضيلتهم الإنتاج ، والجند وفضيلتهم الدفاع ، والفلاسفة وفضيلتهم الحكمة أو التأمل . وإذا كان الفرد لا يصير عاملا محترما إلا إذا تغلبت قوته الفكرية على قوته الآخرين ، وأعني بهما الشهوانية والفضية ، فكذلك الدولة لا يستقيم حالها إلا إذا تغلبت الطبقة الثالثة أي طبقة الفلاسفة على الطبقتين الآخرين وآل إليها الحكم . فطبقة الفلاسفة وحدها التي تستطيع أن تحقق العدالة وتتغذ إلى مشكلات الأمور بما وهبها الله من حاسة سادسة فوق الحواس

قال الفلاسفة - من قديم الزمان - بالمدن الفاضلة ، وعاشوا في حلها أزمانا ، وتمنوا لحلمهم الجميل الرائع أن يتحقق في عالم الواقع كي يتم العالم بالخير ، ويتمتع بالحرية ويمارس المساراة ووضعوا نظاما يحل العدل مكان الجور ، والاستقامة مكان الاهوجاج ، والسعادة مكان الشقاء .

دعا إلى تطبيق هذا النظام فلاسفة اختلفت بيناتهم وعصورهم ، فدعا إليه أفلاطون والفارابي وتوما مور وكامبانيا وغيرهم ، وطبيعي أن دعواتهم لا تتفق في تفاصيلها أرمياكلها ، ولكنها جميعا تتفق في الغاية ، وهي نشدان السعادة الكاملة لأبناء المدينة .

ويطول بنا المقام إذا حاولنا عرض آراء كل هؤلاء الفلاسفة ومناقشة أفكارهم ، وإنما نود أن تقتصر على الفيلسوف الإسلامي من بينهم وهو الفارابي ، وفي اختصارنا عليه لا بد أن نذكر - كقدمة - ملخصا لرأي أستاذه الروحي أفلاطون .

عندما أراد أفلاطون أن يضع الأسس

صالح لا يكذب ، كبير النفس ، كريم ، عادل ، مبغض للجور والظلم ، قوى العزيمة ، شجاع لا يخاف (١) . فالمعلم الثاني ، يصف أميره بكل فضائل الإنسانية ، وكل فضائل الفلسفة فهو أفلاطون في توب النبي محمد (٢) .

ذلك أن مهمة الرئيس ليست سياسية لحسب ولكنها خلقية أيضا ؛ فمن الناحية السياسية هو الرئيس الأعلى لكل المدينة ، ووزرائه ومساعدوه ليسوا إلا منفذين لأوامره ؛ ومن الناحية الخلقية هو النموذج الذي يقلده المدنيون والمثالي الذي يحتذونه ويترسمون خطوات سيره . وماعلى الرئيس إلا أن يحاول ما استطاع أن يصنع جميع الأفراد بطبيعتهم . وهذه الصفات التي يرى المعلم الثاني ضرورتها في رئيس المدينة ، إذا اجتمعت في رجل واحد كان هو ، بالطبع ، رئيس المدينة ؛ أما إذا توزعت على عدة رجال ، كانوا جميعا الرؤساء الأفاضل بشرط أن يكون هؤلاء الرجال متلائمين . أى أن يكون منهم الحكيم ، والعادل ، وصاحب العزيمة . . . وهكذا . أما إن غلوا جميعا من رجل حكيم ، فإن المدينة تبقى بلا ملك ، ويكون رئيسها ليس

الحسن ، وهي القدرة على إدراك الحقائق العامة وعلى تفهم المعقولات الصرفة .

ف رئيس المدينة - عند أفلاطون - يجب أن يكون فيلسوفا وليس في مقدور كل إنسان أن يكون كذلك ، فلقد رسم شيخ الأكاديمية منهاجا وفرض مراحل لا بد للبرء من المرور فيها كي يصير هوذا ، فن نخطاها فهو فيلسوف وحق له أن يكون حاكما للمدينة .

ولقد تأثر الفارابي بما ذكره أفلاطون ، واشترط في رئيس مدينته شروطا تقربه من الأنبياء ، فهو يقول إن الإنسان مدنى بطبعه لا يكتفى بأن يكون عضوا في قبيلة ، بل يود أن يكون عضوا في مدينة أو عضوا في الإنسانية جمعاء ، ذلك أنه يشعر بعاطفة الأخوة نحو جميع أفراد البشر .

وبعد أن يقرر المعلم الثاني ذلك المبدأ ، يتجه نحو رئيس المدينة - الذى هو واضح النواമيس والشرائع - فيرى أنه المعلم والمرشد والمدير ؛ ذلك لأن الفطر تختلف بين كافة البشر ، فن أوتي فطرة قوية وحصل على السعادة ، يقف موقف المعلم والمرشد لمن لم يعلم السعادة من تلقاء نفسه .

ورئيس المدينة عند الفارابي ، تجتمع فيه جميع الخصال الحميدة ، قوى الشخصية ، تام الأعضاء ، ذكى ، لبق ، قانع في المأكل والمشرب والنكاح ، غيرى لا محبا لذاته ،

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٨٩ - ٩٠

(٢) تاريخ الفلسفة في الإسلام ، لدى يوز ، ترجمة

محمد عبد الهادي أبو ويدة ، ط ٣ ، ص ١٧٢

الطبعة .



الإنسانى الذى هو مجموعة من الأمم مجتمعا إنسانيا فاضلا . فالمدينة الفاضلة أشبه بجسم الإنسان يختص كل عضو من أعضائه بعمل معين ، فإذا قام كل عضو بعمله حل الوجه الأكل صار الجسم فى مجموعه صحيحا ، وكذا المدينة الفاضلة وبذا تصبح المدينة سميدة (١).

وكا أن القلب هو العضو الرئيسى فى البدن تخضعه جميع الأجزاء ، وكا أن النفس - عند الفارابى - وحدة ، فكذا المدينة الفاضلة ، فيها مراتب ورؤساء تبدأ بالرئيس الأعلى ، وتنتهى إلى مرتبة من الخدمة ، ليست فيها رئاسة ولا دونها مرتبة أخرى (٢). وكذلك تصير المدينة الفاضلة فى انقسامها وتسلسل مراتب أفرادها - شبيهة أيضا بمسراتب الموجودات التى تبدى من الأول وتنتهى إلى المادة الأولى والاضطفات ، وارتباطها واتلافها شيئا بارتباط الموجودات المختلفة بعضها ببعض واتلافها (٣).

هذا هو رئيس المدينة الفاضلة عند الفارابى وهذه هى الناحية السياسية التى تلتصق عند الفيلسوف العربى ، فهو لم يضع شكلا عاما للحكومة توزع فيه الاختصاصات على وظائف مختلفة ، بل ركز جل اهتمامه فى الرأس معتقدا

بملك ، وبهذا تعرض الهلاك . ورئيس المدينة يمزج امتزاجا كليا وجزئيا فى العقل الفعال ويقتضى عنه الرغبات والهداية مباشرة ويتيسر له ذلك بالطريق الكسبى الذى يتلخص فى الرياضات والمجاهدات والتأمل والنظر ، أو بالهبة الإلهية .

والمجتمعات عند الفارابى قسطنطين : مجتمعات كاملة ، ومجتمعات غير كاملة . أما الكاملة فهى ثلاث (٤) : العظمى ، وهى جماعة من أمم كثيرة أى عبارة عن المجتمع الإنسانى بأسره . والوسطى ، وهى عبارة عن أمة واحدة - والصغرى ، وتشكون من أهل مدينة واحدة .

وأما غير الكاملة ، فهى مجرد اجتماعات فى القرى أو فى الطرق أو فى البيوت (٥) . ومن الطبيعى أن تتخلف الأمم بعضها عن بعض بفعل العوامل الجغرافية والأخلاق والشيم الطبيعية واللغة ، وما إلى ذلك .

والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد هو وسيلة السعادة ، وبه تقال ، وتصير المدينة فاضلة ؛ وبه أيضا تصير الأمة التى هى مجموعة من المدن أمة فاضلة ؛ وبه كذلك يصير المجتمع

(١) آراء أهل المدينة الفاضلة ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢) لسياسات المدينة ، ص ٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٤) السياسات للمدينة ، لفارابى ، ص ٣٩ .

طبعة جبر آباد المكن سنة ١٣٤٦ هـ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٩ .

وعقد لذلك كتاباً قائماً بذاته . وسواء أقصد الفارابي أيضاً إلى النتائج أم لم يقصد فإن قوله بوجوب إعطاء كل شخص العمل الذي يتفق مع طبيعته هو نفس ما يدعو إليه علم النفس الحديث في نظريات التربية التي تقول بوجوب تمهيد الطفل وملاحظته في الصغر وتوجيهه إلى الوجهة التي تتفق مع استعداداته ... وإن لتقسيم العمل أيضاً أثره من الناحية الاقتصادية ، فإدام كل شخص سيوجه إلى العمل الذي يتفق مع طبيعته وميوله ، فإنه لا بد أن يمود ذلك بالإنتاج الوافر المقيم على الوطن .

على أننا إذا وضعنا رأى المسلم الثاني في المدينة الفاضلة تحت مجهر علم الاجتماع الصحيح ، نرى أنه لا يسير وفق قوانينه ، ولا يراعى مقدار تحققها عليه . صحيح أن الفارابي قال بتقسيم العمل ، ولكنها كانت لديه فكرة ينقصها الكثير من الصقل والتوسع ، فهي لم تنتج عنده من دراسة قائمة على الملاحظة والتجربة ، لأنه لم يكن يعنيه أن يعرف الميول ولا الرغبات التي تسيطر على العقل البشري ، بل كان يعنى حناية كلية بما ينبغي أن يكون ولا شأن له بما هو كائن ، وهو بذلك لم يحاول أن يدرس المجتمع دراسة منظمة ثم يستخلص القوانين التي يسير عليها ويضع إصلاحه وفقاً لمراعيها فيها التدرج الذي يسير بالأشياء سيراً طبيعياً لا يحس فيه

بأنها إذا صلحت ، صلحت بقية أعضاء البدن فاشتراط في رئيس مدينته أن يكون كاملاً من جميع الوجوه ، ومادام كذلك فإنه لا بد وأن يبنى الإصلاح ونشر العدالة والمساواة ، وإذا قلده الأفراد وساروا على نهجه فإن الخير لا بد أن يعم المدينة وينتشر في ربوعها لواء الحق والطمأنينة .

على أنه هنا يجب أن نفرق بين المدينة الفاضلة والمجتمع الإنساني عند الفارابي ، فنقد أراد الفارابي أولاً أن يدعو إلى مجتمع إنساني يعم فيه العدل والمساواة والإعلاء ، وهو قد أخذ هذه الفكرة من تعاليم الدين الإسلامي لا من أفلاطون ، ولكنه عندما رأى صعوبة تحقيق هذه الفكرة عدل منها وقصر كلامه على مدينة محدودة ، ففصل فيها القول ودعا إلى التأخر والتأزر ليتكون منها جسم واحد تسرى فيه روح واحدة .

ولقد تكلم الفارابي في كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » في فصل « القول في الصناعات والسعادات » عن تقسيم العمل فوزع الأعمال بالنسبة إلى الطبائع ، ودعا إلى إعطاء كل شخص العمل الذي يتفق مع طبيعته لتستقيم الأمور ، وسواء أقصد الفارابي إلى النتائج التي تستخلص من قوله هذا أم لم يقصد فإنه يمد سابقاً لدور كيم زعيم المدرسة الاجتماعية الفرنسية الذي دعا إلى تقسيم العمل

وإلى ما ينبغي أن يكون بدون أن يعتصموا  
أساسه على ما هو كائن ... ولقد صدق  
توماس مور حين سعى مدينته باسم المدينة  
والتي لا توجد في أي مكان ، ، فالمدينة الفاضلة  
لم الفلاسفة قديما وحديثا ، وستظل حلما  
ما تخفف شيئا من غلوائها ، وينظر دعائها  
إلى الواقع بعين فاحصة ، وبينوا لإصلاحهم  
بمقدار ما تسمح به ظروف المجتمع ، وبمقدار  
تقبله للإصلاح المنشود .

سمير زهير

الفرد أن شيئا غير موافق لطبيعته قد أقحم  
عليه. وإنما استوحى فلسفته وفلسفة أساتذته  
ونخيل إليه أن أي إصلاح إنمائي بمجرد رسم  
طريق بدون مراعاة لطبائع وبدون أن يبنى  
كلامه على الوقائع المحسنة وعلى القوانين التي  
يسود عليها المجتمع.

وليس الفارابي بدعا في هذا الميدان ،  
لجميع الفلاسفة الذين قالوا بالمدينة الفاضلة  
لم يراعوا فيها قوانين المجتمع ولم يحاولوا  
أن يفهموا عقلية الشعب الذي يعيشون  
وسطه ، وإنما اتجهوا إلى مبادئهم الفلسفية

( بقية المنشور على صفحة ٩٢٤ )

وحماياتها، وكان الغزالي إذ ذلك في الإسكندرية  
فلم ، وخص قلبه بما علم .

\*\*\*

الدلالة في قصة القهوة هذه وفي كتاب  
الإحياء وما بينهما بما فصلناه دلالة بينة واضحة  
قوية ، والعبرة لا يجب أن يعتبرها رجل  
الفكر الديني منها مثيرة بصيرة منيرة ؛  
أن يقتصد في محرم ما لم يحرمه الله ، وأن  
يدرك تطور الحياة وسيرها الحتمي كما يحفظ  
نصوص المكتوب والمسموع ، وأن يضع  
عينه على مجتمع الناس ومقبل أيامهم كما يضعها  
على ماضيهم ، وأن يكون أينا على العقيدة  
أمانة الفهم والعقل وسعة الأفق - وأينا  
على الحرية أيضا .

محمد الشرقاوي

« قصة القهوة » هذه وأشباهها من حججهم  
في ذلك .

والملعون إلى يومنا هذا يصفون الإمام  
الغزالي بأنه « حجة الإسلام » ويضعون  
كتاب : « إحياء علوم الدين » حيث يضعون  
من الصدارة ، ولكن تاريخه يقول إن  
كتاب هذا عند ما وصل إلى المغرب  
ثار عليه وعلى صاحبه بعض العلماء ، لا  
لأن فيه آراء خالفت شيئا مما جاء به القرآن  
الكريم أو صحيح الأحاديث ، بل لأن فيه  
آراء خالفت فيها الغزالي بعض مذهب الإمام  
مالك ، وجمع كتاب « إحياء علوم الدين »  
من الأسواق ومن عند أصحابه فأحرق في  
المغرب من بلاد المسلمين ، جمع وأحرقته  
النيران في مساجد المغرب والاندلس

مع نوح إسرائيل :

## الزَّعَّةُ العِصْرِيَّةُ وَالصَّهْيُونِيَّةُ

لِلأَسْتَاذِ عَبْدِ الرَّحِيمِ فَوْدَه

- ٢ -

مقياس التفاضل بين الناس :

له في التفاضل ، وإنما هو آية من آيات الله العادلة على قدرته وحكمته كما يفهم من قوله سبحانه ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، والناس من جميع الأجناس أخوة يقتضون إلى أصل واحد فينبغي أن يسودهم الشعور بالأخوة وأن يتعارفوا ويتآلموا كما يقول الله ، يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، وهم كذلك على اختلافهم شعوبا وقبائل من هذه الأرض التي يقول الله فيها ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى .

من التلويح :

ولكن الأخبار من اليهود ما زالوا يبني إسرائيل وساعة اليهود بصلواتهم ويمدونهم في النفي حتى وقع في أخلادهم أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أبناء الله وأحبوه وقد كانوا كما يقول الله ، يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم

تفاضل الأشياء في تقديرنا وشعورنا على أساس الحاجة إليها ، أو المنفعة التي ترجى منها ، أو ندرتها بالنسبة إلى غيرها ، أو الحيرة التي بذلت في إخراجها وإنتاجها ، ولكنها لا تتفاضل أمام الله شيء من ذلك ، لأنه الغني وكل ما سواه محتاج إليه ، ولأنه لا تفارقت أمام قدرته في خلقه ، ما خلقكم ولا يشكم إلا كنفس واحدة ، وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أمثالكم ، ولا شيء مما يصنعه الإنسان يرقى إلى صنعه جل شأنه كما يقول سبحانه ، هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذي من دونه ، ومن ثم كان المقياس الذي يتفاضل به الناس عنده هو التقوى كما يفهم من قوله تعالى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وكانه المسلمون خير أمة أخرجت للناس ، لأنهم كما يقول الله لهم ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤتون بالله .

فاختلاف الألوان والالسة لا مدخل

• إذا ضرب أُمِّي « غير يهودي » يهوديا فالأُمِّي يستحق الموت .

• الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو مقدار الفرق بين اليهود وباقي الأُمِّيِّين .

• إن النظمة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين على الديانة اليهودية هي نطفة حصان .

#### من القرآن :

وقد سهل القرآن الكريم هذه الظاهرة في أكثر من موضع ، وعقب عليها بما يكشف فيها وفسادها ، بل قرن الحديث إليهم بالحديث عن إبليس مع آدم ليشير إلى ما بينهم وبين إبليس من مشابه وصفات مشتركة كالاعتزاز بالعنصر ، والحد والحقد والمكر والكيد فإن هذه الصفات سمات شيطانية خبيثة ، وهي من أبرز صفات بني إسرائيل واليهود بوجه عام .

وحسبنا أن نعرض بإيجاز هذه المزام وتعقيب القرآن عليها بألموه العف النظيف العالي . .

فهم يزعمون أنهم أولياء لله دون غيرهم من الناس ، والله يعقب على زعمهم بقوله « قل بأيا الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين .

بما يكسبون » ومن ذلك الذي كتبوه ونسجوه خيوطه من الأباطيل والأضاليل ما يعرف عند اليهود باسم التلود ، فإنه الكتاب الذي يحتل عندهم الميزة الثانية بعد التوراة . على ما في التوراة من تحريف وتزييف ، بل إن بعضهم يذهب إلى تفضيله على التوراة كما ذكر ذلك الأستاذ عبد الرحمن عثمان في بحثه القيم عن الصهيونية ، وقد نقله الأستاذ الشيخ محمد الغزالي في كتابه . الاستنار أحقاد وأطماع ...

إن هذا الكتاب الذي يعتمد عليه اليهود كل الاعتناء ويستشدون به في تحديد علاقاتهم بنعيم وعلاقة بعضهم ببعض ، قد تم وضعه في ألف عام ، وعلى بكثير من الخرافات والأساطير والأوهام ، وأبرز ظاهرة فيه هو البرزة العنصرية المنعركة كما نرى في هذه الكلمات التي جاءت فيه .

• إنه لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض ولاحتجبت السماء . وامتنع المطر .

• إن اليهود أبناء الله وأحباؤه ، أما باقي المخلوقات فهي يذود حشرات وسائمة كالأنعام .

• اليهود أحب إلى الله من الملائكة ، وهم من عندهم كالرفق من عنصريه . فمن يصفع اليهودي كن يصفع الله .

### الصهيونية وليدة النزعة العنصرية

من هذه المزاغم الآتية الظالمة التي أوجعت بها النزعة العنصرية . نبتت فكرة الصهيونية ، وهي تهدف إلى ربط مشاعر اليهود بصهيون ، وتوجيه نشاطهم السياسي . والادبي والاقتصادي والحربي . إلى إنشاء وطن يهودي ، وإقامة دولة في فلسطين . يكون مركز دائرتها صهيون وهو من التلال التي قامت عليها مدينة القدس حيث كان هيكل سليمان عليه السلام . وقد أشرنا إلى ما كان لسليمان عليه السلام من سلطان على الجن ، إذ كانوا يعملون له ما يشاء امن محارب وتماثيل وجنات كالجواب وقد ورد راسيات ، وإلى أن ملك سليمان كان عطاء من الله كما بهم من قوله تعالى بعد الحديث عن ملكه وسلطانه : هذا عطاؤنا فانتن أو أمك بغير حساب .

ولكن الأحلام والأوهام وجدت سبيلها إلى نفوس اليهود ، وظلت تتفاقم وتتعاظم حتى أصبح العالم فريسة لسياساتها ومحنها رفقتها فإن سياستها تهدف إلى السيطرة عليه واستغلاله واستغلاله . ليتهم لم ما يروهم من السيادة على كل من سوام ، والمأمل في قرارات المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في مدينة بال عام ١٨٩٧ بمجد هذه الروح سافرة ظاهرة ، ومجد وراء هذه الروح النزعة العنصرية الفخرية المدمرة ، فقد جاء فيها أن

• وهم يزعمون أنهم لن تسهم النار إلا أياما معدودة والله يعقب على زعمهم بقوله : قل أنخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بل من كسب صينة وأحاطت به خطيئته فأرسلنا أصحاب النار هم فيها خالدون .

• وهم من فرط النصب لعنصرهم وجنسهم يرفضون الإيمان بما أنزل الله على غيرهم كما يفهم من قول الله : وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا تؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ، ثم ينفي عنهم الإيمان بما أنزل الله عليهم كما ادعوا فيقول : قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين .

• وهم يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه ، فيرد الله عليهم بقوله : قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق .

• وهم يستيحيون أموال غيرهم ويقولون ليس علينا في الأميين سبيل ، فيصنفهم الله بأهم يقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

• ثم هم يزعمون أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا فقد الله عليهم بقوله : قل إن كانت لكم النار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين .

المزة والمهاجرة والجبروت . إنه المسيح المنتظر من سبط يهوذا ونسل دافد .

### الآرية والسامية :

وهذه النزعة العنصرية اليهودية التي أثرت ثمرها المرير في الاتجاهات الصهيونية كن لها أثر مقابل أو عائل في التفكير عند الدول الاستعمارية .

فقد زعم اليهود أنهم يتنازلون من غيرهم بمواهب عقلية خاصة . وقيل إن كثيرا من المخترعات الحديثة يقترن بأسماء علماء من اليهود كأنما صاغ الله أدمغتهم من نور كاشف . وأدمنه غيرهم من ظلام دافس .

وهذه الفكرة التي شاعت وذاعت . نذكرنا بفكرة أخرى شاعت وذاعت في جو البلاد التي نكبت بالاستعمار . فقد قيل كذلك إن العقل الآري يمتاز عن العقل السامي بخصائص العمق في البحث والاستقراء والاستقصاء . والنفاذ إلى ما وراء القشور من الباب ، وأن العقل السامي - واليهود ساميون كما يزعمون - سطحي البحث ضحل القرار ، يقف عند ظواهر الأشياء ولا يتجاوزها إلى أعماقها ودقائقها وحقائقها .

وهذه النظرية إن صحت تهدم ما يقال عن مواهب اليهود لأنهم ساميون ، وإن صح أن عقيلة اليهود كما قيل ويقال أنهم صمدية التي تشيد بالعقيلة الآرية .

من مصلحة اليهود اشغال الحرب بين الدول حتى يتيسر نقل الحرب إلى الميدان الاقتصادي وبذلك يضطر الفريقان المتحاربان إلى وقوعهما في قبضتنا لتفوقنا في هذا المضمار ، والعمل على خلق الضائقات المالية للحكومات لتنمية روح الكراهية في العمال تجاه الحاكمين ، وبذلك نهيمن على الجهاز الحكومي وخاصة لأن في أيدينا الصحافة وفي قبضتنا البرلمان ، والعمل على رفع ضفاف الأخلاق إلى مناصب الحكم ليستجيبوا في سر إلى رغباتنا ، وشغل الشعوب في أوقات السلم بالأفكار المتمارضة وبموجات الانحلال ، وبذر بذور الخلافات وتشجيع المحاولات التي تهدف إلى الهدم والتدمير ، وزهزهة الإيمان والمفاهيم الغلوب حتى لا يبقى على الأرض سوى اليهودية .

ثم ختمت القرارات التي أقتطعنا منها هذا الجانب بهذه العبارة .

بعد كل هذا لن يبقى أمامنا سوى أن نخطو الخطوة الأخيرة نحو عرش صهيون وهو بحاجة إلى العنف . وسيجلس ملكنا المحبوب على عرش سليمان ليحكم العالم وستحف به غلبة من حكام صهيون من نسل داود تعاونه في مهمته الصمدانية . وسيكون حكمهم حازما وحنيفا لحير الأسانية ، وأما الملك فيسكون مثال

وقوله فيهم ، وجاءوا في الله حق جهاده هو اجتباكم .

وقد جرى المفسرون على تأويل العالمين بأهم عالمو زمانهم وهم الوثنيون . وعندى أن ذلك لا يخلو من تكلم وتصف ، وأن الاشتراط بالغة التي نزل بها آية آن يضى لنا الطريق إلى فهم الآية على صلاحها واستقامتها .

فقد ضيق العرف مفهوم كلمة الفضل حتى صار يفهم منها الخير بدون الشر ، أما مفهومها في اللغة فهو الزيادة أو كما قيل بالنص الفضل ضد النقص .

فإذا وضعنا إلى جانب قوله تعالى في بني إسرائيل ، وأني فضلتكم على العالمين قوله في المسلمين ، كنتم خير أمة أخرجت للناس ، وقوله ، وجاءوا في الله حق جهاده هو اجتباكم ، تمعينا لدينا ما ينطق به الواقع ويشهد به التاريخ من أن الزيادة التي تميز بها هؤلاء على غيرهم أو على عالمي زمانهم . من كثرة أنبيائهم . وقد فتوهم بغير حق . وكثرة النعم التي أنعم بها الله عليهم وقد قابلوها بالكفر دون الشكر ، تشهد عليهم ، ولا تشهد لهم وتضم تاريخهم بأهم ليسوا كما يزعمون ، وشعب الله المختار ، بل كما قال عارون لأخيه موسى عليهما السلام ، إن هذا الشعب شرير . فقد ذكرت التوراة ذلك ، ونطق الواقع بذلك .

والصحيح أن كلنا النظرين مجرد زعم كاتب . وهم خاطئ . وأما مظهران لعنصريتين متحرفتين . عنصرية الدول الاستعمارية ، والعنصرية اليهودية الصهيونية أما التعوق العقلي فردة إلى الظروف الاجتماعية والمادية . وأسلوب التوجيه العلمى والتربية والشعور بالحاجة . وما إلى ذلك من العوامل التي تساعد على إيقاف المواهب ، وتعمل على إخمادها .

وقد حاصر اليهود آلاف السنين قبل عصر النهضة الأوروبية غارقين في ظلام الجهل والذل دون أن نرى لهم أثرا أو خطرا .

وحاشى الأوربيون - الآريون وغير الآريين - آلاف السنين ذئابا جائعة تحترف الصيد أو السطو دون أن نرى لهم أثرا أو خطرا .

إها أومام عنصرية تعرض في صور الحقائق العملية لثؤدى وظيبتها في خدمة الاستعمار أو الصهيونية .

وم سوء فهم :

ومن الوم وسوء الفهم تفسير قول الله في بني إسرائيل ، وأني فضلتكم على العالمين ، على معنى أن الله اصطفهم واجتباهم وجعلهم خير العالمين . فإن ذلك يتناقض مع قول الله في المسلمين ، كنتم خير أمة أخرجت للناس ،



ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم و الله عليهم بالظالمين قل إن الموت الذى تقرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون .

فالسبب الذى دفع العرب - وهم الاميون - هو أنهم انتفعوا بالرسول الذى بعث الله منهم وكان من مظاهر قدرته الله فيه أن يعلمهم - وهو أى مثلهم - الكتاب والحكمة وما يدخل تحت مفهوم الكتاب والحكمة . وبذلك ارتفعوا إلى القمة التى لم تصل إليها أمة . وصارت إليهم مفادة العالم فى كل شئ . كان يعرفه العالم . وكان ذلك بفضل الله كما يقول سبحانه . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم .

أما السبب الذى وضع اليهود وجعلهم كما يقول الله فيهم : ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله . فهو أنهم لم ينتفعوا بالتوراة ولم يعملوا بما فيها فكان مثلهم كمثل الخمار يحمل أسفارا . ثم مع ذلك يزعمون أنهم أولياء الله . وهم كما يقول الله : ولتجدنهم أحرص الناس على حياة . ولذلك طلب إلى النبي أن يتحداهم ويقول لهم : وتمنوا الموت إن كنتم صادقين . فى أنكم أولياء الله من دون الناس . وذكر أنهم لن يتمنوه أبدا بسبب ما قدمت أيديهم وما اقترعوا من ألوان الإجماع والآثام ..

ووصفهم القرآن بأهم : بتفضون عهد الله من بعد ميثقه . ويحطون ما أمراه به أن يوصل ويفسدون فى الأرض .

إن خير الناس هم الذين يحمدون فى دينهم فضائل كل دين . ويفرض عليهم دينهم أن يؤمنوا بالأنبياء والرسول من كل دين . لهم الدين يقول الله فيهم : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . وهم الذين يقول الله فيهم : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا .

#### العرب واليهود :

وقد جاء ذكر العرب مع اليهود فى سورة البقرة . وذكر السبب الذى دفع العرب . والسبب الذى وضع اليهود . وذلك حيث يقول الله : . هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والله ذو الفضل العظيم . مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الخمار يحمل أسفارا ينس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا أيها الذين هادوا إن دعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين

وعد الآخرة ..

كما ذكر الله . فلم تمتد أيديهم بالقتل والتشريد

والتهريب .

وقد عادت الكرة لبني إسرائيل وكثرت أموالهم وعلوا علوا كبيرا ؛ لأن نفوذ الصهيونية وصل إلى قمة مداه ، وكان من آثاره انشاء إسرائيل في صدر هذه الأمة وامدادها بالأموال والبني ، وتوجيه الدول الاستعمارية إلى مناصرتها ومظاهرتها حتى صارت وصار بنو إسرائيل أكثر تقهرا .

ولكنكم - وم كما ذكرنا لا يصلحون لإقامة دولة - ينتظرون المصير الذي يشير إليه قول الله : فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم . وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ولينبروا ما علوا تقهرا .

أما متى يكون ذلك ، فالجواب عنه عند الله . ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا . وأما السبيل إلى ذلك . فهو ما تشير إليه قول الله بعد ذلك : إن هذا القرآن يهدي إلى صراط مستقيم ويبيِّن المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا .

عبد الرحيم فوره

صحيح أن اليهود تمكنوا في ظل الاستعمار وبجهود الصهيونية أن يتسللوا إلى فلسطين وأن يقيموا فيها دولة إلى حين ، ولكن وعد الآخرة يتنظم ، ويضع أمامنا وأمام أعيانهم مصيرهم ، فإن التأمل في قوله تعالى : ونضربنا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتضيقن في الأرض مرتين ولتعلمن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لئلا أول بأس شديد لجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر تقهرا ، إن أحسستم أحسستم لأنفسكم وإن أسأتم قلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ولينبروا ما علوا تقهرا . . . . .

التأمل في ذلك يدرك أن العباد الذين شرفهم الله بالانتماء إليه هم المسلمون الذين يعبدونه لا يشركون به شيئا ، لا الفرس الذين كانوا يعبدون النار والكواكب ، وأنهم من أصحاب محمد وأتباعه بدليل قوله أول بأس شديد ، فإنهم كما يقول الله : أشداء على الكفار رحماء بينهم . . . . . وقد كان من أمرهم في فتح إيلياء أو بيت المقدس أن جاسوا خلال الديار

# فتح الباري

الإسلام ينهى عن المتابعة باسم الدين  
للأستاذ عبد اللطيف السبكي

يأيا الذين آمنوا إن كثيراً من الأخبار والرهبان  
ليأكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون  
عن سبيل الله .

ولم يصارحهم بنهى يتعلق بهم ، بل يسوق  
إليهم القصص عن كثير من أخبار اليهود ،  
ورهبان النصارى : أنهم كانوا يرتكبون  
على حساب الدين مآثمهم كبيرين .  
أحدهما - أنهم يأكلون أموال الناس  
بالباطل .

والثاني - أنهم يصدون عن سبيل الله .  
ومن خلال هذا القصص اللاذع من  
الأخبار والرهبان ندرك أموراً هامة مقصودة ،  
ولكننا نرجى الكلام عليها حتى نبين ماصنع  
ويصنع أولئك الأخبار والرهبان .

( ١ )

١ - كانوا ، ولا زالوا يستغلون ثقة الأتباع  
فيهم ، ويتهمزون أطمئنان الأغرار إليهم ،  
فيستخذون المظهر الديني وسيلة إلى كسب المال ،  
وتصيد المنافع في ظل هذه الثقة المظلمة  
ويتحدثون بألسنة الأتقياء ، ومنطق الزهاد ،

يريد الإسلام أن تكون الدعوة إليه  
خالصة من الشوائب ، بعيدة عن وجوه  
الاستغلال ، فإنه حين الله المحسن من كل  
ضيف ، فمن حقه أن تكون الدعوة إليه  
ملائمة له في برامتها بما يدخلها ، أو يبعد بها  
عن طهره وقاوته .

إذ لا يتفق حقلاً أن تكون الدعوة  
المدخولة وسيلة إلى التعريف بالحق ، ولا سبيلاً  
إلى الاقتناع به ، والدخول فيه .

وحينما تكون الدعوة على أصلها المشروع  
تكون هي الوسيلة التي شرطها الله على المناعة  
أن يدعوا الله عظمين له الدين .

وحينما تتوافر الدين هذه الصورة البريئة  
يتضح أن هذا هو الدين الذي يرتضيه الله  
في قوله : لا اله الا الله الدين الخالص .

وحينما ننظر في مقامنا هذا نرى أن  
الله يناجي المؤمنين بوصفهم : مؤمنين ،

(ب)

١ - ثم كانوا يجانب أكلهم للبال بالباطل من وجوهه وغير وجوهه يصدون عن سبيل الله ، فمعلم هذا صدود منهم عن دين الله الذى شرعه قديما وحديثا وبين فيه الحرام ، وغيره ، وهو - كذلك - صد لغيرهم عن سبيل الهدى بالتضليل ، وبك المعارف المزيفة ، وكف الناس عن الإسلام بالمحاولات المختلفة : تكون من طريق الإغراء بالمال للحجاج ، وبإنهاء المدارس والمستشفيات التبشيرية .

٢ - ونكون بإرسال البعثات إلى الجهات البدائية ، والمواطن المخلفة من الرقابة والحاجة لأولئك البسطاء .

٣ - وهكذا مما يقيمون من حفلات : فيها ما فيها من مغريات ولغو وطيب عناق . فالقرآن الكريم يحدثنا عن هذا كله - مما نعرف ، أو لا نعرف - فى أسلوب يحمل ... هو قوله تعالى : « لياكلون أموال الناس بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله » . والذى نذكره من خلال هذا ، وأرجأنا الكلام عليه هو :

١ - إن الله - تعالى - وجه خطابه إلى المؤمنين بوصفهم هذا : لأن فى ذلك تكريما لهم ، واستهزاء لغيرتهم الدينية أن تظن لما يلقى عليها من جانب الله - سبحانه -

ثم يسلطون أيديهم الهدايا ، ويستخدمون الجاه الدينى فى قضاء المنافع ، ويستدرجون الناس بالدعوات من أغواهم المتعبدة - فى زعمهم .

٢ - يفرزون بالناس فيجمعون الأموال قريبة منهم إلى القديسين فى الأديرة ، وفى تجديد المقابر ، والتوسع فى المعابد .

٣ - تصديهم لمغفرة الخطايا ، إذ يتقدم المذنب إلى بعض القساوسة ، ويعترف بما لديه من أسرار مآثمه ، ويدفع ما يطلب إليه من مال ، وبأخذ صكا بمغفرة ذنوبه ، ليتقدم به فى اليوم الآخر فيكون ناجيا من العذاب فى جهنم .

وإن هذه الخدعة بالذات لسبب فى شيوع الفواحش فى تلك الأوساط ؛ اعتماداً على تناول هذا الصك فيما بعد ، حتى كان من أثر هذا التضليل قيام ثورة المذهب الإصلاحى - البروتستانت - ضد الكاثوليك فى بعض الأوطان المسيحية وقتا ما .

٤ - أخذ الرشوة من ذوى النفوذ للتبديل والتغيير فى كتبهم على ما يوافق أهواء الحكام وأخذ الربا فى كل وقت - وبخاصة لدى اليهود - الذين نفشت حيلهم فى نظم ربوية لا تكاد تحصر ألوانها : بين بنوك ، ومصانع ومؤسسات ، ومتاجر ، ومعاملات فردية .

هل هذا كله لمجرد الخير وما يلاحقه  
لتعريف المسلمين بما بينهم وبين أهل  
الكتاب من فروق ؟؟  
لا : فهنا هدف مقصود ، سكت القرآن  
عن التصريح به ، لا تسامح فيه ، ولا عناية  
للمسلمين ... بل مبالغة في احتشاض  
مشارعهم ، ولفتنا إلى أن الإشارة قد تغنى  
عن العبارة ... وإن نوما من التكرير قد  
يحدث ما لا يحدده السيف في التهذيب  
والتقويم .

ذلك الهدف : هو توجيه علماء الإسلام  
والقائمين بتبليغ دعوته أن يكونوا أمناء  
على دينهم ، وعلى علمهم ، وعلى إرشاد  
الناس في دهرتهم ، فلا يكونون كالأخبار ،  
والرهبان فيما أوتكبوا من المتاجرة باسم  
الدين ، مع الانهماك في الدنيا بأساليب ملوثة  
بلون الدين ، واتخاذهم الدين قنطرة إلى  
المآرب ، ووسيلة في الزلنى إلى ذوى النفوذ .  
ويحذر القرآن أهل العلم في المسلمين أن  
يتأولوا في أحكامه متابعة لأهواء الناس ،  
واستناداً إلى نفوذ يحصيهم من صولة الأقلام  
الناقذة بالحق .

فذلك الانطلاق يكون تبجحا في مجال  
الاحتشام ، وهراقة في مواطن التحرج  
وإذا ابتلى الإسلام من بعض دجاله بشئ  
من الطموح المادى على حساب دينهم ،

٢ - وإن التشنيع بهذا أهل أخبار اليهود  
ورهبان النصارى كتبرئة للسليين من مقارنة  
هذا كله ، وكشادة بأن المسلمين أمناء على  
دينهم ، فلن يدلوا في تشريع الله ، ولن  
يغيروا في كتابه - القرآن - ولن يستحلوا  
ما حرم الله ، ومن قبل هذا منهم فلن يكون  
عن تبديل ، ولن يكون استحللا للحرم ،  
غير متخرجين كما فعل أولئك المفترون على  
ربهم ، وإنما يكون خطأ منهم ، ثم يتوب  
الله على من تاب .

٣ - إن إسناد هذا المنكر إلى كثير من  
الأخبار والرهبان يعتبر تبرئة للكثيرين  
وإنصافا لهم : وهذا هو الواقع الذى قرره  
القرآن في غير موارد .

وذلك شأنه معهم في مواطن أخرى ،  
فقد وصفهم مرة بأنهم أمناء على المال ،  
حتى لو استودعت بعضهم قنطاراً من الذهب  
لأداء إليك ، دون محاس به ، وإن كان  
بعضهم لا يؤمن على دينار واحد ...

ووصفهم كذلك بأن منهم أمة قائمة  
- مستقيمة - بتلون آيات الله ، ويستجيرون  
الحق ... ويأمررون بالمعروف ، وينهون  
عن المنكر ... وهؤلاء هم الذين دخلوا ،  
ويدخلون في دين الإسلام ، ولا يتعصبون  
للتقليد الوردانى لليهودية أو النصرانية .

ثم تنتظر :

ويكون هذا إطفاء لجذوة النشاط العلمي  
في صدور الشباب من طلاب الثقافة الإسلامية  
إذ فيه لغتهم عن تلقى الثقافة الإسلامية  
أو تشجيع لهم على التقليد الخاطئ في التلاعب  
بأحكام الله، والاطلاق في التحلل منها وراء  
التأويل، والتأديج، والمسوادة في سبيل  
المتاجرة بالدين.

وما ينبغي لنا أن نتغاضى عن توجيه  
الكتاب الكريم فيما يحكيه من الأخبار  
والرهبان حفظ الله شريعته، وحفظ علينا  
ديننا جميعاً.

عبد اللطيف السبكي

والسير في أرسنه الأخبار والرهبان في مسالكهم  
كان ذلك حجة على الإسلام لدى أعداء  
الإسلام ولم يكن هناك فارق بين علماء  
الإسلام وبين أخبار اليهود ورهبان النصارى  
وقد شنع الله عليهم.

وهذه هي الفتنة البغيضة التي نحاشاها  
سلف المسلمين في دعائهم «ربنا لا تجعلنا  
فتنة للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إنك  
أنت العزيز الحكيم».

وهذه فتنة - كذلك - للمسلمين  
الآخذين من العلماء فيما يقبضونه من فتاويهم  
وأعمالهم.

## الوحدة العربية

ولكن من الأحلام ما يترفع  
وإن كثرت أوطانه فهي موضع  
لنا الشرق حد والعروبة موقع  
إذا دميكت من كف بغداد أصبح  
لك ذرا الأهرام هذا التصنع  
لسالك بوادي النيل النيل أدمع  
لبات له أكبادنا تقطع

[ على الجارم ]

لقد كان حلاً أن نرى الشرق وحدة  
إذا صدقت دأبانه فهي راية  
فليس حدود الأرض تفصل بيننا  
تذوب حشاشات العواصم حسرة  
ولو صدعت في سفع لبنان صخرة  
ولو برى أنت لخطب مياهه  
ولو من رضوى طصف الريح مرة

## من معاني القرآن

هذا الواجب وترك أداءه . أو أنكر مكانة هذا البيت فلم يحترمه ويمظمه . فإنه لا يضرب بذلك إلا نفسه ، لأن الله غنى عن كل ما سواه ، والمتأمل في هاتين الآيتين يجد أن البيت وضع للناس كما يقول الله . فليس لأحد أن يحتكر القيام عليه ، أو يتجر بما يجي إليه ، أو يحول دون حجة ، وليس تقوم أن يتأثروا بخبره دون غيرهم ، وقد نسب الله إلى نفسه حيث قال : « وهدينا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود ، وسماه البيت العتيق » ، « والمسجد الحرام » ، وجعله كما يقول سبحانه : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » . وكما يقول : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا » .

ومعنى هذه العبارات الواضحة الصريحة أن هذا البيت لله ولكل من يؤمن بالله ، وأنه كما قال صلى الله عليه وسلم : « البيت قبة لأهل المسجد ، والمسجد قبة لأهل الحرم ، والحرم قبة لأهل الأرض في مشارقها ومنازلها من أمي » .

ويكنى هذا القدر . الذي لا يضيق به صدر .

عبد الرحمن قودة

إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً وقل على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين .

بك . اسم لمكة ، مبارك . كثير الخير ، بينات . واضحات ، مقام إبراهيم . المكان الذي كان يقوم فيه بالعبادة ، آمناً . مطمئناً لا يشعر بخوف .

### المعنى

إن أول بيت جعله الله متعبداً للناس هو الذي بمكة وهو الكعبة أو المسجد الحرام ، فليس قبله مسجد أقيم لعبادة الله وحده لا شريك له ، وهو كثير الخير والبركة ، يتنفع به الجميع والمقيمون حوله ، ويجد الناس في حجة وفي الاتجاء إليه أثناء الصلاة هدى لم يلم على اختلاف ألوانهم وموطنهم ، فيه علامات واضحات تدل على جلال منزله ومكانته ، إذ به مكان قيام إبراهيم فيه لبنانه ولعبادة ربه . وفيه الأمن يشعر به داخله فلا يخشى هدونا عليه أو اتقانا منه ، وقد أوجب الله حجه على من يستطيع حجه من الناس . ويجد السبيل إليه ، ومن أنكر

# القرآن ينهيككم باليهود

للدكتور سعد الدين الحميزاوى

وتوجيهاته أى اعتراض ، وقد أراد الله تبين هذا المعنى من أول الأمر ، في وقت تأسيس العقيدة الإسلامية ... فقد وجهت الآيات أنظار المسلمين ألا يسلكوا ما سلكه اليهود مع موسى عليه السلام بكثرة أسئلتهم ومقترحاتهم ومطالبهم التي عجزوا عن الرقابة بها فاستحقوا غضب الله ولعنته ... فزل قول الله تعالى : « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ؟ ومن يقبل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل (١) » . وفيها إرشاد للمسلمين ، وتحذير ... وتهكم مرير باليهود في هذه الإشارة بماضى أسلافهم

وقد فجر اليهود يوماً فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقول له - كشرط لدخولهم في الإسلام - : إن كنت نبياً حقاً فاطلب من ربك أن ينزل علينا كتاباً من السماء جملة واحدة كما أنت الألواح إلى موسى : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء » ، وقد كان هدف السائلين أن يظهرهم مجر محمد ويسوغوا قولهم بهتاناً

دأب اليهود في دسائهم ومحاولاتهم تشكيك الناس في رساله محمد عليه الصلاة والسلام بما كانوا يوحون به من أسئلة عن أمور مجهولة بالنسبة للعرب ، لكنها في التوراة ، ويعرفها اليهود كما يعرفون أبناءهم ، ثم بما كانوا يوعزون به من مطالب هم يعرفون أنها مستحيلة ، مثل أن يكلم الله الناس ، أو أن يحيل جبال مكة ذهباً ... حتى جرى ذلك على ألسنة من يجهلون : « وقال الذين لا يعلمون : لولا بكلمنا الله أو تأتينا آية ... » فأجابت الآية في أسلوب تهكمي بما يعلمه اليهود في كتابهم : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم (٢) » . والإشارة هنا إلى المعاندين لرسولهم من الأمم السابقة وفي مقدمتهم اليهود الذين طلبوا من موسى عليه السلام أن يرثيهم الله جهرة حتى يؤمنوا به .

ولما كانت آيات التشريع تنزل متدرجة ، وقد يحل حكم مكان حكم حسب مقتضيات التطور ... ولما كان القرآن وحياً من عند الله تعالى ، وينبغي ألا يكون على تشريعاته



وما تضمنته التوراة قبل أن يدخلها تحريف :  
« وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم » . ثم  
يجيب الآية بأن الذي أنزل التوراة ...  
هو الله تعالى ، وهو الذي أرسل موسى ،  
ثم هيسى ، ثم عمداً ، وغيرهم من الرسل  
الكرام : « قل : الله . ثم ذمهم في خوضهم  
يلعبون (١) » .

وقد أشارت آية أخرى إلى فضل رسالة  
محمد على اليهود في تصحيح معلوماتهم : « إن  
هذا القرآن ينص على بني إسرائيل أكثر  
الذي هم فيه يختلفون (٢) » .

\*\*\*

ورداً على ما كان من اليهود من محاولات  
لبلبلة الأفكار وتشكيك الناس فقد نزلت  
بعض الآيات توجه أسئلة إلى اليهود إمعاناً في  
كشف خباياهم ، وإظهاراً لكثير مما يكتمون  
من الحقائق الثابتة عندهم بصدق رسالة محمد  
عليه الصلاة والسلام .

وطبى أن اليهود لم يجيبوا عن الأسئلة  
التي وجهت إليهم ، كما أن السبأ لم تحك  
إجابات على أسئلتهم مثل الذي رأيناه في  
الأسئلة التي كانت توجه إلى مشركي العرب (٣)  
لنظري ملسكوت السماوات والأرض ،

(١) سورة الأنعام الآية ٩١ .

(٢) سورة النمل الآية ٦٦ .

(٣) مثل : « ولئن سألتهم . ليقولن : الله » .

وذوداً أنه ليس باني ، ولكن السبأ أجابت  
بإشارة لاذعة إلى ما كان من أجدادهم الآمنين :  
« فقد سألوا - أي أسلافهم - موسى أكبر  
من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة ، فأخذتهم  
الصاعقة بظلمهم ... » (١) .

ولما آلم اليهود وحياضهم ذلك الكشف  
عن كثير مما يكتمون من أخبارهم ،  
والتبكيك المتوالي في الإنارات إلى ماضي  
أسلافهم الآمنين ... نجراً أحدم وقال :  
« ما أنزل الله على محمد ، ولا على موسى ،  
ولا على هيسى ، ولا على أحد شيتنا ، ولعل  
هذا مماثل كان من جهلاء القوم ، أو لعله  
أراد أن يعبر على طريقة « على وعلى أعدائي » ،  
غير أن السبأ قد ألحقت هذا القائل في  
أسلوب لاذع يلخص موقف بني إسرائيل  
من التوراة : « وما قدروا الله حق قدره  
إذ قالوا : ما أنزل الله على بشر من شيء » .  
قل : من أنزل - الكتاب الذي جاء به موسى  
نوراً وهدى للناس يحملونه فراطيس  
تبدونها وتخفون كثيراً ٢٤ » . وفي هذا  
التفصيل ما يحزى اليهود ، لأنهم يكرهون  
أن يعرف أحد عنهم شيئاً من أمثال ذلك .  
ولكنه الوحي ، ولكنه الحق الذي لا بد  
أن يذاع ثم استمرت الآية تبين لم أن عمداً  
قد جاءكم بكثير من حقائق دينكم ،

( ) سورة النساء الآية ١٥٣

وأنهم قد عرفوا الحق في رسالة محمد، ولكنهم كتموا، وأنكروا ما عرفوا حدا من عند أنفسهم، والسؤال هنا لتقريب، لأن المسئولين يعلمون المسئول عنه سواء من معجزات أنبيائهم وموقف أسلافهم منها، أو عن الآيات الواردة في التوراة من صفات محمد عليه الصلاة والسلام، ويكون السؤال موجها بقصد الإحراج والوم على كتمان ما يلون، ويتضمن أيضا تبكيثا وتوبيخا.

٢ - وقوله تعالى :

«وأسألكم عن القرية<sup>(١)</sup> التي كانت حاضرة البحر، إذ يعدون في السبت، إذ تأتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبثون لا تأتيتهم، كذلك نبأهم بما كانوا يفسقون»<sup>(٢)</sup>.

أشارت هذه الآية إلى مسألة من مسائل السابقة التي لا يعلم خبرها إلا خاصة الخاصة من طبائهم، فإذا ما أخبرهم بها محمد عليه الصلاة والسلام، وهو لم يقرأ كتابهم، كان ذلك دليلا قاطعا على أنها قد جاءت من طريق الوحي وفي مثل هذا الإخبار ما يكفي لأن يقتنعهم بصدق محمد، ويحملهم بتبعونه، أو يكفون عن أذاه، ولكنه الحقد والشر

(١) قل إنها «آية» أو «دين» أو «طيرة» (تفسير الزمخشري) وسياق الآية يدل على أنها كانت على ساحل البحر.

(٢) الأعراف ١٦٣.

والاستدلال بما يحويه الكون من نظام يدب على قدرة الله تعالى، إذ لم يكن الغرض حاجة اليهود ومجادلهم لأن الرسالة المحمدية لم تكن - في أساسها - موجبة إليهم، وإنما كان الغرض هو القضاء على ما كان اليهود يحاولون إثارة من فتن بسبب - إدعائهم علم الكتاب، ثم الكشف عن فساد ما يدعيه هؤلاء اليهود من أباطيل وإظهارهم على حقيقتهم، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، «و«يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويصل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء».

ومن ذلك :

١ - قوله تعالى : «سل بني إسرائيل : كم آتيناهم من آية بينة ١١ ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب»<sup>(١)</sup> وتاريخ بني إسرائيل مملوء بما كان لأنبيائهم من معجزات، وفي مقدمتها معجزات موسى عليه السلام، وبما وآه قومه من دلائل على قدرة الله تعالى... كذلك في كتبهم آيات بينات لا تقبل شك ولا تأويلا، بأن رسولا سيخرج من بين صفوف العرب يتصف بكذا وكذا... ولا شك أن اليهود الذين حاصروا رسالة محمد عليه الصلاة والسلام قد كان من بينهم علماء متضلعون في دراسة التوراة

(١) البقرة ٢١١.

الأحفاد : « ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب  
ألا يقولوا على الله إلا الحق؟ ودوسوا ما فيه، »<sup>(١)</sup>  
٣ - وقوله تعالى :  
« فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل  
الذين يقرءون الكتاب من قبلك ، لقد  
جاءك الحق من ربك ، فلا تكون  
من الممترين »<sup>(٢)</sup> .

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في  
شك مما أنزل إليه ، وليس المراد من هذا  
التعبير أن يزيل الرسول الشك بسؤاله اليهود  
عما عندهم من علم به ، وإنما هو على طريقة  
التعبير في قوله تعالى « قل : إن كان للرحمن  
ولد ، فأنا أول العابدين » . ومحال أن يكون  
للرحمن ولد وإذن لمحال أن يعبد غير الله .  
وإنما المراد في هذه الآية لإخراج اليهود  
باعتراف محمد عليه الصلاة والسلام بالتوراة  
التي أنزلت على موسى وهم يعرفون ما فيها  
من أصول الديانة ، وصفات الله والبشرى  
بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وإذن فإن  
ما عندهم من العلم يؤكد صحة نبوة محمد ، وأراد  
الله بتوجيه هذا السؤال تأكيد علم الأحبار  
بالرسوخ في العلم بصحة الرسالة المحمدية  
لا وصف الرسول الكريم بالحق .

الذي جعلوا عليه وقصة هذه الآية أن اليهود  
كانوا قد نهوا عن الصيد يوم السبت ، غير أن  
أكثرهم كان لا يلزم حرمة هذا اليوم ، وقد  
أراد الله أن يتلجم فكانت الأسماك تظهر  
على سطح الماء لغراء بصيدها في اليوم الذي  
يمتزمون فيه ألا يصطادوا ، فإذا ما عزموا  
على الصيد اختفت حسرة للخائفين .

وقد احتال بعضهم على الصيد في اليوم  
المحرم بحفر حفرة قريبة من الشاطئ ودون  
مستواء ، ومد جدول بينها وبين البحر ، فإذا  
ما ظهرت الأسماك دخلت في تلك الحفرة فيقوم  
المعتدون بسد المداخل حتى لا تستطيع  
الأسماك العودة إلى البحر ، ثم يأخذونها  
في اليوم التالي . وقد استمر عدوانهم  
وغلقتهم أمر ربهم ولعنوا على لسان نبيهم  
داود عليه السلام ، ولم يبالوا بوعظ الواعظين  
ولا بما حل بهم من حنق وعذاب ، واستمر  
فريق منهم مصرين على عدوانهم حتى حقت  
عليهم كلمة الله تعالى فسخطهم قردة غاشين  
« وإذا قالت أمة منهم : لم تعظون قوما الله  
مهلككم أو مذهبهم عذابا شديدا؟ قالوا معذرة  
إلى ربكم ، ولعلهم يتقون ، فلما نسوا ما ذكروا  
به أنهيهم الذين يهنون عن سوء ، وأخذنا  
الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون  
فلما هشوا عما نهوا عنه قلنا لهم : كونوا قردة  
غاشين ، إلى أن تشير الآيات إلى مخالفات

(١) راجع الآيات ١٦٤ إلى ١٧١ من سورة  
الأعراف

(٢) يونس ٩٤ .

ومرة أخرى توجه الآيات النظر إلى اعتراف الرسالة المحمدية بالرسالات السابقة . وبديهي أن المقصود هنا هم اليهود ؛ لأنهم الموجودون في البيئة التي نزل فيها القرآن من قوم موسى . والمراد : سأل أخبار اليهود ، العالمين بما أنزل على موسى ، هل يحدون في كتابهم إشراكا بالله تعالى ؟ وإذن فننقره الرسالة المحمدية بالإشراك بالله . وعلى هذا يكون الأصل العام الذي جاء في رسالة موسى عليه السلام بتوحيد الإله هو نقص الأصل الذي يذهب إليه محمد عليه الصلاة والسلام .

وكان ينبغي إذا أن يسلم اليهود بصدق دعوة محمد . ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس في حاجة إل أن يتجه إلى اليهود ليسألهم ، وإنما هو التقرير لأصل الديانات في توحيد الله الذي جاءت به الديانات السالوية جميعاً : وشرح لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم ، وموسى ، وهيسى : أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ... » (١) .

دكتور سعد الدين الجيزاوي

ثم استطردت الآيات تعرض بمن لم يثبتوا على الإيمان وكذبوا بآيات الله ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين . إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جلتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم . .

وطبيعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسأل أحدا لأنه فهم المراد من الآية وقد سمعها اليهود وصرخوا المقصود منها فازدادوا شيئا وكتانا .

وقد روى أن ابن عباس قال عند نزول هذه الآية : ( لا والله ما شك طرفة عين ولا سألت أحدا منهم ) .

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لا أشك ، ولا أسأل ، بل إنه الحق ) .

٤ - وقوله تعالى : « وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا : أجمعنا من دون الرحمن آلهة يعبدون » (١) .

(١) الخريف ٤٥ . واعتقد أن هذه الآية هي للذبة لا الآية ٤٥ كما ورد بالمصاحف وذلك لأن الآية ٤٥ « استخف قومه فأطاعوه ، إنهم كانوا قوما فاسقين » جاءت في سياق الحديث من فرعون وهي متصلة مع ما قبلها وما بعدها أما الآية ٤٥ فإنها بعد نهاية حديث من اعتراف فرعون لا تحيد محمد وسولا . ختم بقوله تعالى « إنه قد ذكر لك والفومك ، ووف تالون » وهذا حديث جديد من موسى عليه السلام « ولست أرسلنا موسى بآيات . والسورة كلها حكيمة هذا آية واحدة : قبل إنها ٤٥ وأرجح أنها ٤٥ .

# الآلة والآداة

لثلاثاء محمد دجيت الأثرى

- ٢ -

والأحظ على ذلك أن الأمرين الأول والثاني متوقضان دلالة الاستفراء الغفوي على خلافه ، وأن الأمر الثالث لم يرجع بحته إلى طبيعة اللغة ، وإنما يرجع إلى التعديل المنطوق الذي هو أساس الطريقة الأعمدية في النحو العربي وإلى دعوى كثرة ورود رقلته ، ومن أجل ذلك اختلجوا فيه ولم يلقوا به إلى رأى جميع .

وهذا وذاك لا يصح أساساً لقاعدة ، ولا يصح كذلك أن يسمى ما يلي على مثله قاعدة ، فإن القواعد إنما تنبئ على استقرار الجزئيات ومناحي اللغة في استقامتها وأن تكون إلى هذا جامعة مانعة متفقا عليها كما جرى عليه حرف العلماء . وأين هذا بما كشفت من أمرها ؟

بل إنني لأذهب في ناحية الاستقرار إلى أدنى مراقبه في الباب ، وأريد استقرار أقوال علماء اللغة الأوائل فيه لا الاستفراء الغفوي العام ، فلا أجد أصحاب هذه القاعدة قد مارسوه . فنحن إذا هدنا إلى ما قدمته من أقوال هؤلاء العلماء في الكلام على الطريقة العربية ،

تتلخص هذه النقول ونحوها مما لم أتفه في ثلاثة أمور :

الأمر الأول :

أنها تنحصر اشتقاق اسم الآلة بالفعل ، وبأن يكون معلوماً وثلاثياً متديداً ، وتضمنه من اللام والمزبد ومن أسماء الأعيان وإن ورد في كلام العرب عشرات بل مئات من الأسماء المشتقة منها

الأمر الثاني :

أنها تنحصر الأوزان الاشتقاقية على مفعول ومفعول ومفعلة على اختلاف في أيها هو الأصل .

الأمر الثالث :

أنها تختلف في قياسها ، فقال الأكثرون . يطرء مفعول ومفعول ومفعلة ، وقاس بعضهم على مفعول ومفعول ومنع القياس على مفعلة ، واشترط بعض آخر السماع فيها كلها ومنعوا أن يطبق القياس ويصل به إلا في المسموح ، فكادوا يطلون القياس ويسدون باباً في شأن اسم الآلة ...

ولكن هذا العجب يزول حين نرد الأمر إلى طبيعة التقليد الذي يتبعه بكل مألوف عن تعصب ، وتكون منه عند صاحبه عادة التسليم لكل مقروء بحيث لا يخطر في نفسه أن يصكر في بحثه ونقده للخلوص إلى الحقيقة التي هي مطلب الإنسان المثقف .

وإذا بلغت بالبحث إلى أثر المسألة في عصرنا ، فقد لزمنا استيفاءه أن أعرض لظاهرة من تقدمها عند لغوي مفكر متعمق لغة ومدرك لحاجات العصر ، قل نتائجها عنده على النحو الذي تهدي إليه إلى جمع اللغة العربية في بداية تأسيسه قبل ثمانية وعشرين عاما ، ودى في جملة نقده إلى صوغ اسم الآلة من كل فعل ثلاثي أو غيره متعدد أو لازم ومن أسماء الأعيان أيضا ، ولكنه وقف فيه عند ترجيح أقوال اللغويين على أقوال النحاة ولم يتصمها ولم يرجع إلى أقوال النحاة للقدماء وطريقتهم في بحث اسم الآلة ، ولم يبين أسرار الاشتقاق من هذه الأشياء ودلالات الفروق التي تنشأ من كل نوع منها ، ووقف أيضا عند بحث المصنف ثلاث مفصلة ومفعل ومفعال ، ولم يتعرض لمصبة أخرى يضيفها إليها . وبحته هذا هل ما ذكرت من قصص صادف ما يستحقه من حناية ، فتوقش ، وشايمه عليه فريق من الأخصاء ، وطارحه آخرون معارضة شديدة . لماذا ؟ لأن أقوال النحاة لا تقبل الرد لكن إذا كانت

وهرضنا القاعدة عليها ، اهتدينا إلى أنهم إنما عرفوا منها قول سيويه وحده في المعنى العلاجي الذي استنبطوا منه شرط اشتقاق اسم الآلة من الفعل الثلاثي المتعدي دون غيره . وقول سيويه ليس هو وحده في الباب ، فإن إلى جانبه أقوالا لغيره من علماء اللغة الأثبات الذين قصروا جهدهم كله على الاستقراء وتعمق اللغة ، تصحح قول سيويه كما شرحتة آنفا ، فهل عرفوا ثم تخيروا منها كلام سيويه ورجحوه عليها ؟ وإذا كان ذلك ، فهل من حقهم أن يفعلوه ، وأن يرجعوا قولاً على قول ولا يذكروا علة ترجيحهم ؟ أو ليس من حق اللغة وحق أصحابها أن يطالبوا بإداء أمانتها في صدق وأن يأخذوا بحسب الباحثين أن ينطلقوا مع الأهواء أو يتسكعوا في الدراسات القاصرة ؟ أو أقول إن القوم لم يعرفوا أقوال هؤلاء العلماء كما يدل عليه ظاهر حالهم ، فيستحق بذلك رأي في أنهم لم تكن لهم تجربة حتى في أدق مراتب الاستقراء تخولهم أن يضعوا قواعد اللغة العربية على هذا النحو من التحجير الذي تأباه طبيعة اللغة العربية ولا تفره مناحي احتمالات أصحابها العرب ؟

ولست أعجب بعد هذا لشيء عجبي لمثل هذه القاعدة المعروفة أن تسلك سبيلها إلى الأذهان ، ثم تمتاز بالصورة حتى تبلغ عصرنا وتكون فيه ( نافذة المفعول ) كما يقال !

لوصول إلى تحرير المسألة ، أمضى بالبحث إلى غايته ، فأقرر أولاً : أن أوزان أسماء الآلة والأداة لا تنحصر في ثلاث كما توهمه قاعدة النحاة ، وإنما هي كثيرة ، ومنها فاعل وفاعلة وفعل وفعلية وفعل وفاعلة وفاعلة ومفعول ومفعولة ومفعول ومفعلة ومفعلة .

واقترحنا أن العرب قد اشتقوا كلها  
كلم من الأفعال المتعدية واللازمة ، ومن الثلاثية  
وغير الثلاثية ومن المصادر وأسماء الأحيان ،  
ولهذا سر دقيق سأكتشفه .

وما وسع العرب من التصرف بعقلها  
في لغتها وتنويع أوزان كلامها واشتقاقاته ،  
يبقى أن نسمنا أيضا ، فلا يحرم علينا  
ما أحلوه لأنفسهم ، ولا يحجر علينا الواسع  
مما توسعوا فيه ما لم نرد الخروج على مقاييسهم ،  
ومن إلى ذلك في دهرنا أخرج منهم إليه .

والعرب إذ توسع في لغتها بالاشتقاق وتوابع صيغه ، إنما تصرف بحرية تجرى مع غريبتها القوية في إقامة دلالات الألفاظ على المعاني ورموزها من الفروق التي تميز معنى من معنى ، فنشتق مثلاً الاسم من الفعل المتعدي وتريد به المعنى العلاجي الذي يوصل أثر الفعل إلى منفعه ، كلقص والختار والمكسحة والسداد والحامة والساطور والقذافة . ونشتق من الفعل اللازم لئلا

أقول النجاة أنفسهم متعارضة ، بعضها ينقض بعضا ، فكيف لا ترد ؟ وأين نبقى قاعدة الأصوليين في رد القولين المتعارضين : وإذا تعارضا نساقتا ؟ ألا ينبغي أن يسقط ما نساقت من نفسه ؟

ولم يذبح مجمع اللغة العربية من مناقشة الموضوع إلى نتيجة حاسمة ، وإنما انتهى إلى قرار بإقرار القاعدة ، ونوه المقرر أو شارح القرار بمعظم بركته . وقال بالنص : « إن مجمع اللغة العربية الملوكي وجد في الأوزان الثلاثة سعادا من هوذ ، ولم يتوسع في صوغ اسم الآلة من أى فعل أو اسم عين ، وإنما راعى بحيرة المسموح ، إلى آخر كلامه .

ولكن من الحق أن نقرر إن مجمع اللغة العربية في الناحية العملية لم يجد يومئذ في هذه الأوزان الثلاثة سداً من هوز، نظالها في أحيان كثيرة إلى أوزان أخرى من نوع قاعة وفاعة صاغ عليها عشرات من أسماء الآلات والأدوات يعرفها متابع دراساته في مجلة ومحاضر جلساته ومجاميع مصطلحاته في غير ذلك، وهو فعل هذا كما فعل كثير من الباحثين والمترجمين قبله من قبل ومن بعد دون أن يتخذ فيها قراراً، أو يتذكر هذا القرار فيريد إليه ويخرج عن إماعة ذلك.

• • •

وبعد هذا التفصيل الذي لم يكن بد من تأصيله

واللغة نظام تابع في مساراته لهذا النظام العام ، تجري بسبيل لا يحدد عنه وليس يحدد في بناء قواعدها وضوابطها أن تقصر النظرة على كثرة ورود الشيء . وقتله دون استثناء هذا المر الذي كشمناه ونعمره .

أما الأصل الذي جرى عليه البصريون وعالمهم من مقلدة النحاة ، فهو من أقدم الأشياء . أوة بهم في أشياء من تناقض والاضطراب ، واتهم بهم إلى الحكم على معظم ألماظ لغة العربية بالشذوذ ، وقيد حرية التصرف فيها كانت العرب تتصرف فيه وحرم المباح من الاستعمالات العرب الأصلية أن يقاس عليها ، حتى اعتبر الخفيس على ما يظنونه قليلا شاذاً أو عامياً ، كما ظن لزبدي مثلاً ( المروعة ) بالعامية ، مع أن الأصل في الأشياء الإباحة ما لم تهر إلى مفسدة ، وأية مفسدة في إرادة الاشتقاق على مقابيس كلام العرب في المشتقات دون المرجمات ، كثر ورودها أو قل ؟ ولماذا يكون الملبس على القليل ، هل فرس محته ، شاذاً أو عامياً ؟ فليس ما ذهبوا إليه من هذا الأصل الماسد في بناء الضوابط وإنما الأصل هو ما نبهته من سر النظام القوي في أصل الطبيعة العربية من حيث متاحها في الكلام

فهو الذي ينبغي أن تبني عليه الأحكام ، لتساير الضوابط المنحدمة المظرة القوية ،

حل قيام المعنى بنفسه ، وأن مدلوله هو غير مدلول المشتق من الأفعال المتعدية كالصرف والمرجحة والمصباح والسراج والمائلة والدراجة ، ونشتق من الاسم الجامد ونقصده اختصاصه به ، كالخضرة من الخضراء لا يند بها ، ولحمة من الحد والمصدعة من الصدغ والموركة من لورك والمرفقة من المرفق لأنها تتخذ لها وتوضع نحتها .

ولا ريب في أن جميع هذه المعاني الاشتقاقية المتنوعة الأخذ والدلالات ، قائمة في النفس دائماً ، تحتاج إليها في الاستعمالات أبداً ، وإنما يقوى بعضها وبكثرة ويضعف بعض آخر ويقل على حسب ما يتوفر له من الدوام والحاجات . فقد نشدت الحاجة في زمن إلى نوع من الالة ط يستكثر بالوضع والاشتقاق ، وقد تضعف الحاجة في زمن إلى هذا النوع وتشتد نوع آخر فيضمف لأرل وأضيق دائرته وعموت كثير من ألماظه ويتسع الثاني ونكثر أفراده وتقوى أسرته ، وقد نشدت الحاجة في زمن آخر إلى هذه الأنواع جميعاً فتستعمل كلها ونستكثر أفراد كل نوع استكثاراً لا يحد .

وهكذا تسير اللغة في دكب الحياة ، وتجرى مع الحاجة صعوداً أو هبوطاً على حسب الأطوار التي تتجدد أو تتقلب عليها الحياة في نظامها العام .



ومنه ابن الأعرابي وتطلب وابن فارس ،  
وهو أن كل لفظ من المرادفات فيه ما ليس  
في الآخر من معنى وفائدة ؛ لأن كثرة  
الالفاظ المعنى الواحد إذا لم تكثر بها صفات  
هذا المعنى كانت ضربا من العبث الذي تهمل  
عنه هذه اللغة الحكيمة المحكمة . ويتسارق  
مع هذا المذهب ما قدمت آتفا من قول ثعلب  
وابن السكيت ، ما يقتل به أو يقتل ،  
الذي استنتجت منه إرادتها التفرقة بين الآلة  
والآداة بدلالة التثنية للقاعدة بأسماء تنوعت  
دلالات ما اشتقت منه عن تعدية ولزوم .

فلا جرم أن بين ( الآلة ) و ( الآداة )  
فرقا ، لأن الآلة التي يصالج بها . وتكون  
واسطة بين الفاعل ومنفعه في وصول اثره  
إليه هي غير الآداة التي يرتفق بها .

وهذا القول بوجود الفرق بينهما إنما  
يجري بسبيل من دلالة تنويع الصوب  
الاشتقاق في هذا الباب من الأعمال المتعدية  
التي تفيد العلاج نارة ومن اللازم وغيره نارة  
لإفادة معنى آخر ، وفائدته عظيمة في حل  
المشكلة حلا يلائم فطرة اللغة في إطلاق حرية  
اشتقاق أسماء الأجهزة وأسماء الآلات وأسماء  
الأدوات من الأفعال والأسماء التي تلائم  
معانيها ووظائفها .

وقد يما فرق أصحاب العلوم بين الآلة  
والآداة ، وهو ما نأتس به في هذا الشأن ،

وليتفع بكل مورد من موارد اللغة على وفق  
النظام الطبيعي الذي خلقت منه وعليه .

وأقر بعد هذا وذاك أن هذا التقسيم الذي  
أستحدثه كما يلائم كل الملازمة السر القوي  
الذي أراده العرب في تنويع أوزان أسماء  
الآلة والآداة وتنويع ما تشق منه . كذلك  
يلائم كل الملازمة طبيعة الحياة الصناعية  
وحاجاتها في العصر الحاضر إذ هي تضع أمامنا  
أجهزة وآلات وأدوات ، يختلف بعضها عن  
بعض ويفرق أصحاب الصناعات بينها بحسب  
وظائفها .

وأما ( الآلة ) و ( الآداة ) فإن كلام  
المصنات والمتداول من كتب اللغة وبعضها  
ناقل عن بعض ، موجزا إيجازا شديدا  
لا يخرج عن تفسير الآلة بالآداة والآداة  
بالآلة ولا يميز إلى فرق ما بينهما إلا قليلا  
يؤخذ بالاستنتاج ، كقول الزبيدي في  
مستدركات التاج ، والآلة ما اعتملت به من  
أداة .

ومؤدى كلام هذه المصنات أن الآلة  
والآداة لفظان مرادقان أو قسمتهما العرب على  
معنى واحد ، كما تقول السيف والمضرب ،  
والأسد والبيث والفتنفر ، والخز والراح  
والفرق ، وهو مذهب لبعض علماء اللغة في  
المرادفات ، والصحيح ما عليه الأكثرون

مثلهم هذا الإغراق في الإطلاق ، كما لم أحب أن أجد مجرد المخالعين من النحاة النازعين إلى مذهب البصريين في التقليد .

والأوزان التي أريد إضافتها وإباحة الاشتقاق عليها ، هي :

١- فقال : وهذا الوزن هو الوزن الوحيد الذي حظي بعناية النحاة به بعد الأوزان الثلاثة المذكورة . ولكنهم حكموا بعدم أطراحه بناء على قاعدتهم في الكثرة والقلّة ، وإذا كان كل ما عرفوه منها — كما قال بعضهم — سبع كلمات ، إلا بعض القدماء قال بقياسه ، لأن فيه كثرة عرفها وجمالها أولئك ، وهي في الحقيقة أكثر مما جله من العرب من اسم الآلة على مفعلة ومفعول ومفعول ومن هذا فقيين ملغ حظ هؤلاء فيما زعموه من استقراء اللغة العربية ومن دعواهم بناء أحكامهم على الكثرة التي يزعمون . وقد استقصى بعض المعاصرين ما ورد على هذا الوزن من أسماء الآلة ، لجمع منها كما قال أكثر من اثنين وأربعين كلمة ، وأصبحت أنا مشين . وقد لاحظت أن العرب قد عاقبت بين فعال ومفعول في كلمات غير قليلة ، مثل : سنان ومسن ، وسراد وصرد (١) .

ولقد ألفيت بجمع اللغة العربية — في

فاستعملوا كلا منهما في معنى خاص ، فأطلقوا ( الآلة ) على العلوم الآلية ؛ لأنها في عرفهم هي الوسطة بين الماعل ومنفعله في وصول أثره إليه وقالوا : إن إطلاق الآلة على العلوم الآلية كالإطلاق مثلاً مع أنها من أوصاف النفس ، إطلاق بملاي ، وإلا فالنفس ليست فاعلة للعلوم غير الآلية ، لتكون تلك العلوم واسطة في وصول أثرها إليها وأطلقوا ( الأداة ) على الحرف المقابل للاسم والفعل وهو مائة النحاة والمنطقيون .

\*\*\*

وكما أقرر إطلاق قيود الاشتقاق في هذا الباب انسياقاً مع أغراض اللغة في تنويع دلالات المشتقات بحسب تنوع ما اشتقه منه من الأفعال وغيرها ، ومع أغراض الصناعات الآلية المختلفة في العصر الحاضر ، وأنا معتقد صحة مذهبي ومعى الحجج التي أطننت إليها . . . أقرر كذلك إضافة أوزان أخرى اشتق عليها العرب من مثل مفعلة ، ومفعول ، ومفعول تنفياً للغة من كرب التعنيق عليها من غير مسوخ ، وقتها لتسالك الكلامية أمام الناطقين بها . من غير نظر إلى كثرة أوقلة ، ما دام كلام العرب قد جرى به كما هو مذهب الكوفيين في إجلزة القياس حتى على المثال الواحد المسموع وإن لم أحب أن أغرق

(١) السراد والسرود : الخفف وما يخرجه .

فقالوا : نجار ، وخيار ، وسباك ، وأن من أسلوب العرب إسناد الفعل إلى ما يلابس الفاعل ، زمانه ومكانه ، أو آله ، فقالوا : نهر جار ، وبوم صائم ، وليل صامر ، وعيشة راضية . وهل ذلك يكون استعمال صيغة فعالة أسماء الآلة استعمالاً عربياً صحيحاً .

وأرى هنا يصح الجوء إليه إذا صحح دهمي طامية هذا الاستعمال ، وهي ليست بصحيحة ، لأن استعمال وزن فعالة أسماء الآلة استعمال عربى فصيح من قديم استعمالات اللغة كما رويت من أمثله ، وليس بماى ، وهو يقر لا بتخرجه بالتعليل المنطوق ، بل لأنه نص في استعماله القديم وزناً من صميم أوزان الآلة في اللغة العربية . وقد استخرجت من هذه الأوزان — بالاستقراء ما استخرجت ، وهرستها مع أمثلتها في هذه الدراسة النافذة على أنظار السادة القراء ، ليروا فيها رأيهم ، فيفروها أو يرفضوها ، أو يقرروا بعضها ويرفضوا بعضها آخر ، والله الموفق .

محمد بن عبد الوهاب

الناحية العملية — قد انشاق منذ أول نشأته إلى استعمال بعضها في مواضعه العملية والفنية دون أن يلتصق إلى قاعدة النحاة التي أقرها يومئذ كما قدمت . وألميت المحدثين من عامة وطامة وقد حلتهم مطالب الحياة على استعمال أوزان غير مباحة عند النحاة للسميات الآلية المستحدثة ، قد صاغوا أسماء آلة على وزن فعالة ، ولم يستفتوا فيها النحويين ، لأنهم وجدوها سائفة في الذوق ومؤدبة المعاني التي يريدون ، ولأن حاجتهم إليها لا تسمح لهم بالمراجعة والتبث وانتظار صدور الفتاوى . وكثر ذلك في استعمالاتهم وظنه بعض الأدباء طامياً ، فأحب إدخاله في زمرة الفصح ، فأفترح على جمع اللغة العربية إضافة صيغته إلى الصيغ الثلاث المعروفة ، والتبسط على الناس وتقريب العامة من المصحى . وأقر المجمع الموقر الاقتراح ، ولكن بعد أن خرجته تفرجها منطقياً بأن ( صيغة فعال في العربية من صيغ المبالغة ، وأنها استعملت أيضاً بمعنى النسب أو صاحب الحدث ، وهل الأخص الحرف ،

## مع البلاغيين :

### اللفظ والمعنى

#### للأستاذ علي العمّار

قال أحد الباحثين في علم الجمال : إن المضمون والصورة في الفن لا ينفصلان ، ولا يمكن أن يفكر فيهما على أنهما قابلان للفنسة ؛ لأنه لا يمكن أن يفكر في أنهما عنصران مجتمعان .

والطريقة الوحيدة للتعبير عن علاقتهما هي أن يقال : إن أحدهما أحد مظهري الآخر ويشبهون اللفظ والمعنى بهسقى المراض لا يقطع أحدهما بدون صاحبه .

وخلصوا من كل ذلك إلى أن جمال الأدب لا بد فيه من حسن اللفظ وجودة المعنى جميعا ، وظنوا بذلك أنهم قالوا الكلمة الأخيرة وربما نسوا أن القدماء أنفسهم تحدثوا حديثا كهذا ، وأنهم رأوا — بحق — أن الغاية في البلاغة أن يجمع الكلام الحسن من طريقه اللفظ والمعنى ، وليس بقدر على ذلك إلا امرؤ في طبيعته فضل من احتال غيرته ، وفي قريحته زيادة من القوة على صناعته ، حتى لا يضع اللفظ الحر النيل إلا على مثله من المعنى ، ولا اللفظ الشريف الفخم إلا على مثله من المعنى .

هذه قضية كثر حولها الجدل ، وعاض فيها القدامى والمحدثون ، وتناولها النقاد من العرب ، ومن غيرهم ، ويبدو أن الكلمة الفاصلة لم تقل بعد ، وإن كان بعض من كتبوا ظنوا أنهم أتوا بالقول الفصل ، ودونوا الحكم الذي ليس إلى الشك فيه سبيل رأوا القدماء يطيلون الجدل حول السر في بلاغة الكلام وروحه ، وينقسمون إلى طائفتين كبيرتين : طائفة ترجع ذلك إلى تخيير اللفظ ، وشرفه ، وطائفة ترجمه إلى إصابة المعنى ، وجودته ، فظنوا أنهم لو قالوا : إنه لا يوجد لفظ ومعنى مستقلان ، وأنهما ليسا كلماء والقدح بمعنى أنه يوجد معنى أولا ثم يسكب ، وأن الإنسان حين يتكلم إنما يتكلم معنى ولفظا في وقت واحد ، فليس للمعنى كيان بلا لفظ .

وقالوا : إننا لا نتحدث عن مضمون وصورة على أساس استقلال المضمون عن الصورة ، في المنشأ والتكوين ، بل على أساس أن الصورة هي ظاهر المضمون ، وأن المضمون هو باطن الصورة .

صدق على ذلك ، وقد قال ابن قتيبة : في بيت لبدي بن ربيعة :

ما عائب الحر الكريم كنفه

والمرء يصلحه المجلس الصالح

« هذا ، وإن كان جيد المعنى والسبك

فإنه قليل الماء والرواق ، فالبيت وإن كان

يتضمن معنى جيدا ، وقد صيغ صياغة بحكمة ،

غير رائع ولا رائق ، هذا حكم ابن قتيبة ،

وأعتقد أنه لا يزال حكما ، وإن بعد العهد

بيننا وبين هذا العالم الجليل ، فأنا ما قرأت

هذا البيت ، أو تأملته إلا حكت عليه حكم

ابن قتيبة . ولم يكن القول بتفصيل أحد

المتلازمين (اللفظ والمعنى) من رأى

البلاغيين وحدهم بل أثر ذلك من أصحاب

البيان أنفسهم :

سمع خالد بن صفوان - الخطيب المشهور -

رجلا يتكلم كثيرا فقال : اعلم - رحمة الله -

أن البلاغة ليست بخفة السان ، وكثرة

الذيان ، ولكنها بإصابة المعنى ، والفصد

إلى الحجة .

وقال ربيعة الرأي : إني لأسمع الحديث

غفلا فأستفه ، وأقرطه فيحسن ، وما زدك

فيه شيئا ، ولا خبرت له معنى .

ولا تزال نرى اختلاف الأساليب ،

واستحسان فريق من الناس لأسلوب دون

أسلوب ، ولا يمكن أن يقول عاقل : إن أسلوب

نعم ، وحتى يعطى اللفظ حقه من البيان ،

ويوفر على الحديث قسما من الصواب ، ويحقق

الكلام حظه من المعنى ، ويضع جميعها

مواضعها ، ويصفها بصفاتها ، ويوفر عليها

حقوقها من الإنصاح والإعراب .

وقد أكد الأوائل - أيضا - أنه لا معنى

إلا بلفظ ، ولا لفظ يخلو من معنى ، وأن

الإنسان يرتب المعاني في نفسه ، ثم يحدو

عليها الألفاظ (١) .

وإنما أفردوا الحديث عن اللفظ ،

والحديث عن المعنى لأن لكل منهما صفات

مستقلة عن صفات الآخر ، قال ابن الأنباري ،

« وليس لقائل هنا أن يقول : لا لفظ إلا

بمعنى فكيف فصلت أنت بين اللفظ والمعنى ؟

لإني لم أفصل بينهما ، وإنما خصصت اللفظ

بصفة هي له ، والمعنى بحى . تبعا فيه ضمنا ،

وتبعا (٢) .

غير أننا لا يمكن أن ندعى أن كل كلام

حسن مقبول قد قرى الحسن من جهتيه ،

بل الحقيقة أننا وغيرنا نستحسن كلاما لجودة

معناه ، وإن كان لفظه دون الناية في الفصاحة ،

ونستحسن كلاما آخر لما فيه من لفظ عذب ،

وإن كان معناه عاديا ، والذوق السليم شاهد

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ٣١٩ .

(٢) للثعلبي السائر - ١ - ٢٢ .

ومحورهم بأن الأدب فن ، ولا بد في الفن من التأني ، إلى حجب كثيرة أخرى ، وكل ذلك يدور حول أدب اللفظ كما يسميه الجدد دون وأدب المعنى ، فن الضروري أن يقول النقد كلته في هذه القضية كلما جد ما يستدعي الحديث فيها .

على أننا نستطيع أن تصور فصلا بين اللفظ والمعنى ، فن التجارب التي يمانها الشعراء والكتاب أن المعنى قد يقرأ لأحدهم ، ويقوى إحساسه به حتى ليكاد يلمسه ولكنه لا يهتدي إلى تصويره وربما أسعفته الذاكرة فوجد لفظا يلبسه لراه .

ومعنى هذا - عندي - أن المعنى وإن لم تكن له صورة مستقلة بغير لفظ ، قد يكون خيالا لا يخطر على خاطر الشاعر أو الكاتب ، وقد يكون بصورة عامة .

كان الشاعر الناشئ يرى صاحبه تسير في شارع من شوارع الإسكندرية فيتحبها بنظراته (دون أن يجرؤ يوما على الحديث معها ، وطال ترده على هذا الشارع ليراها تسير فيه ، ثم علم أنها وحلت إلى مدينة أخرى فظل يهبط إلى هذا الشارع كل يوم في الميعاد الذي كان يراها فيه ، وهو موقن أنه لن يراها وكان في نفسه حديث لم يفتح عنه بالالفاظ ، ولكنه أفصح عنه بتصرفه ، فهو مدرك تمام الإدراك لماذا يسير في هذا الشارع ،

الملاحظ وإن العميد متاثران ، حتى إن الكائنين من مدرسة واحدة يختلف أسلوبهما كما نراه في أسلوب القاضى الفاضل والعماد الأصمغاني ، وقد وصف ابن الأثير أسلوبين من أساليب الشعراء فأبرز الفرق بينهما حيث قال : الالفاظ تجري من السمع بجري الأشخاص من البصر ، فالالفاظ الجزلة تتنيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار ، والالفاظ الرقيقة تتنيل كأشخاص في دماثة ولين أخلاق ، ولطافة مزج ، ولهذا ترى ألفاظ أبي تمام كأنها رجال قد ركبوا غيولهم ، واستلثموا سلاحهم ، وتأهبوا للطراد ، وترى ألفاظ البحري كأنها نساء حسان هليلهن غلائل مصبرات ، وقد تمحين بأصناف الحلبي (١) .

ومما قيل : إن أسلوب الرجل هو الرجل نفسه ، فإن هذا الاختلاف في الأساليب بما يؤكد أمر الفصل بين الالفاظ والمعاني .

وقد شهد جيلنا هذا معارك كثيرة تدور حول الجديد والقديم ، وقصص أقوام الجديد وناضلوا دونه ، وكان أقوى ضرباتهم موجها إلى الأساليب القوية الرائعة ، وهم يعدون هذه الأساليب كما يقول أحدهم - (حلاوة محضنة) ولا يمتدون بشيء إلا المعنى ، وكل ما يتطلبونه من الأسلوب أن يكشف عن هذا المعنى ، ويمارضهم المتمسكون بالأسلوب البياني .

ومن عجب أن أكثر هؤلاء الذين يابون أن يخص كل من اللفظ والمعنى بحديث ، وينقلون عن التريين أن المعنى واللفظ ليسا كلماء والإناء ، يفسون بعد قليل أو كثير من صفحات كتبهم هذا الذى آمنتوا به ، ويعودون إلى حديث الفصل بينهما ، فهذا الذى قال ما نقلته فى أول هذا المقال ، لم يلبث أن عاد إلى الأمر الطيبى فذكر تشبيها مؤداه أن اللفظ والمعنى منفصلان ، قال : وقد مرت صور على الأدب ، العربى كان صورة ظاهرهما راق ، وباطنها فراغ ، كحبة الجوز الفارغة .

حبة الجوز الفارغة هذه لفظ بلا معنى ، وحبة الجوز الأخرى المملوءة لفظ ومعنى ، ولكنهما منفصلان انفصال الماء والإناء . على أن هذا الأدب الذى يشبه حبة الجوز الفارغة كان له أنصار ومحبون والأدب الآخر الذى يقابله ، والذي يجب لب الجوز بعد أن أزيلت عنه قشرته الجليدة البراقة له - أيضا - أنصار ومحبون .

فلترك الأمور على طبيعتها دون أن تلح عليها بالتدقيق الفلسفى ، ولتحدث من اللفظ والمعنى .

وقبل أن نصل إلى رأى المختار فى هذه القضية نعرض لأراء البلاغيين والنقاد

ولا أمل له فى لقاء صاحبه ، ثم نظم هذا الذى طالما جرى فى خاطره فقال :

وأسير فى هذا الطريق ومادعا

داع ، ولكن كنت فيه أراك

فاستراحت نفسه ، وهذا خاطره ، وخيل

إليه أنه قيد شيئا كان يحاول الإفلات منه .

وقد ينظر الأدب إلى معنى فى بيت من

الشعر - مثلا ثم ينظمه فى سلك آخر وليس

المعنى الثانى هو بكل حذافيره المعنى الأول ،

وإن كان هو هو فى الجملة ، مثال ذلك ما صنعه

ابن الأثير فى بيت المتنبي :

لا تعذل المعتاق فى أشواقه

حتى يكون حراك فى أحشائه

فقال :

لا تعذل الحب فيها يهواه

حتى تطوى القلب على ما طواه

حقيقة بين المعنيين اختلاف فى الجزئيات ،

فلى القلب على الهوى ، غير أن يكون القلب

فى القلب ، ولكن هيكل المعنى واحد

فى النصين .

فن الواضح أن ابن الأثير تصور معناه

قبل أن يكسوه ألفاظه ، فلما صاغه أضاف

إليه بعض التفاصيل ، ولا يمكن أن قول

إنه صار معنى آخر من كل وجه .

والشيخ عبد القاهر فى مثل هذا الموضع

كلام سنعرض له عند الحديث عن رأى

الشيخ فى اللفظ والمعنى .

ففي هذا دليل لمن عقل أنهم لا يعنون بحسن  
المبارة مجرد اللفظ ، ولكن صورة وصفة  
وخصوصية تحدث في المعنى ، وشيئاً طريق  
معرفته على الجملة العقل دون السمع .

أما معاصروه فقد أرادوا من العبارة  
والأسلوب الالفاظ ، ويستبعد أن يكونوا  
أرادوا بها - كما أراد الأوائل - المعاني ،  
لأنهم لو أرادوا ذلك لاتبعوا ذلك من قولهم  
ما ينبغي عن غرضهم وإذ لم يقولوا ذلك ثبت  
أنهم إنما يريدون من الالفاظ ما يفهم منها  
في اللغة .

وهذا واضح في كلام بعض البلاغيين  
المتأخرين عن عبد القاهر ، فقد قال ابن الأثير  
أن العرب وإن كانت تعنى بالالفاظ إلا أن  
المعاني أهم عندها ، وأكرم عليها ، وأشرف  
قدراً في نفوسها ، وأول ذلك عنايتها بالفاظها  
لأنها لما كانت عنوان معانيها ، وطريقها إلى  
إظهار أغراضها أصلحها وزينوها ، وبالغوا  
في تحسينها .

وقد تردد في كلامهم لفظ ( النظم ) وهو  
- عند عبد القاهر - ليس شيئاً غير توحى  
معاني النحو بين الكلم .

يؤخذ من كلامهم أن المعاني أنواع :  
المعنى الأول ، والمعنى الثاني ، والمعنى الثالث .  
فالأول هو المعنى الحقيقي للالفاظ ، والثاني

القدائى ، ونعني بهذه الآراء بتحديداتهم  
لفظ ، والمعنى .

اللفظ - هدم - يطلق على معان :

يراد به الكلمة المفردة ، ويراد به  
الأسلوب ، والأسلوب - كما عرفه  
عبد القاهر - الضرب من النظم والطريقة فيه .  
وإن كان عبد القاهر يرى أن ذلك معنى من  
المعاني ويحمل عليه كلام الأوائل ، وهو  
يتحدث عن المقلدين من معاصريه ، أو من  
الذين عاشوا في زمن قريب من زمنه ،  
ويحفظهم في أنهم : ( حملوا كلام العلماء في كل  
ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره  
وأبوا أن ينظروا في الأوصاف التي أتبعوها  
نسبتهم الفضيلة إلى اللفظ مثل قولهم :  
لفظ متمكن غير قلق ولا تاب به موضعه  
إلى سائر ما ذكرناه قبل ، فعملوا أنهم لم  
يوجبوا اللفظ ما أوجبوه من الفضيلة وهم  
يعنون فقط اللسان ، وإجرام الحروف ،  
ولكن جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا  
اللفظ وهم يريدون الصورة التي تحدث في  
المعنى ، والخاصة التي حدثت فيه (١) .

ويذكر فصلاً للرزباني في الموشح يشيد  
فيه باقتدار البحترى ، واعتداه شاعر آخر  
إلى لقاء المبارة ، وحسن المأخذ ، ثم يقول :



يشرب بكفه ، وهذا ليس ببخيل فيشرب  
بكف من بخل ، ثم يقول : وهو معنى لطيف .  
وفي قول النابتة للنعمان :

خطاطيف حجن في حبال متينة

تمتد بها أيد إليك نوازع

أراد : أنت في قدرتك على تخطاطيف  
صقف ، وأنا كدلتك بمد تلك الخطاطيف .  
ويذكر ابن قتيبة أنه رأى العلماء يستجيدون  
معناه ، ثم يقول : وعلى أنى لست أرى  
المعنى حسنا .

وهذا التفسير الأخير للمعنى هو الشائع  
في كتاب ابن قتيبة ، وهو مراده حينما يذكر  
للشاعر معنى سبق إليك ، وأخذ منه ، فإنه  
يجهل باليتين أو الآيات تتفق في جملة  
المعاني الجزئية .

ومن يجب أن الإمام عبد القاهر يجعل  
التشبيه غرضاً ، ويؤول كلام الأرائل عندما  
يقولون معنى العبارة ، والتشبيه كذا ، بأن  
المراد بالمعنى هنا هو الغرض ، فيقول في فصل  
من دلائل الإعجاز : « لا يكون لإحدى  
العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها  
في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها . فإن قلت :  
فاذا أضافت هذه ما لا تضيد تلك فليستا  
عبارتين من معنى واحد ، بل هما عبارتان  
عن معنيين اثنين : قيل لك : إن قولنا  
( المعنى ) في مثل هذا يراد به الغرض ، والذي

هو لازم المعنى الأول ، وهذان ظاهران  
في الجواز والكنائية ، أما المعنى الثالث ، فهو  
لازم اللازم ، ولنضرب مثلاً بقول النبي  
صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون  
من لسانه ويده » . إذا قلته وأنت تريد إنساناً  
بمعناه ، فمعناه الأول هو انحصار الإسلام  
فيمن لا يؤذى الناس لا بلسانه ولا يده ،  
ومعناه الثاني معنى كنانى ، وهو نفي الإسلام  
عن المؤذى مطلقاً ، ومعناه الثالث معنى  
تعميمى ، وهو نفي الإسلام عن شخص معين .

وقد يقصدون من المعنى الغرض ، وهكذا  
فهم الشيخ عبد القاهر في بعض كلام الأرائل :  
( ولا يفرق قول الناس قد أتى بالمعنى بعينه  
وأخذ معنى فلان فأداه على وجهه فإنه تسامح  
منهم ، والمراد أنه أدى الغرض ) (١) .

وفسر المعنى في موضع آخر بأنه حكمة  
أو أدب أو تشبيه غريب ، أو معنى نادر .  
ويفهم من كلام ابن قتيبة في مقدمة الشعر  
والشعر أن المراد بالمعنى تارة هو المعنى  
العام ، فراه يقول مثلاً : هذا الشعر لم يقل  
أحد في الهيبة أحسن منه ، أو لم يقل أحد  
في الكبر أحسن منه ، وقد يريد المعنى  
الخاص فهو يذكر قول الأعشى :

ياخير من يركب المعلى ولا

يشرب كأساً يكف من بخل

ويشرح الشعر الثاني بقوله : إن كل شارب

# الإسلام في ذروة انتصاراته

للمؤلف: الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

- ١ -

منذ نزلت رسالة الله الخالدة على خاتم رسله محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة الإسلام ، وهي تخوض أعنف المعارك ، وتلاقى أضخم الخصومات ؛ واتصر الإسلام في جميع معاركه ؛ لأنه دين الحق ، ودين القيمة ،

وشريعة الحياة .. اتصر في معاركه مع الوثنية فهدم صروحها ، وخفض هروشها ، وأزال دولتها من الوجود ، وكان محمد صلوات الله عليه يؤذن بفنائها ، منذ بعث إلى الناس كافة ؛ حتى وهو في أشد المحن والخطوب ، كان يبشر

( بقية المنشور على صفحة ٩٦٥ )

أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه نحو أن نقصد تعبيه الرجل بالأسد فتقوله : زيد كالأسد . ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول : كأن زيدا الأسد فتفيد تشبيهه أيضا بالأسد إلا أنك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول وهي أن تجعله من فرط شجاعته وقوة قلبه وأنه لا يروعه شيء بحيث لا يتميز عن الأسد ولا يتصر عنه حتى يتوهم أنه أسد في صورة آدمي <sup>(١)</sup> .

ومن الألفاظ ، والاصطلاحات التي تدور في هذه القضية ( الصورة ) و ( الفكرة ) وكلمة التصوير أكثر ورودها في كلام الشيخ عبد القاهر ، وجاءت في عبارات الجاحظ ، ويبدو أنهم أرادوا بالصورة تركيب الكلام ، على هيئة خاصة فتشمل الألفاظ ، والأوزان والقوافي في الشعر ، أو السجع ، والجناس في النثر . ومن أهم ما تعتمد عليه الصورة المجاز والكناية والتشبيه ، وهي مواد الخيال . أما الفكرة فتقابل الصورة ، وهي في حدودها الضيقة عبارة عما يشتمل عليه النص من معان ، فإذا توسعنا قليلا أضفنا ما يفسح في النص من حواطف وانفعالات . والحديث بقية ،

فالذي نعرفه أن الغرض في مثل هذا التركيب هو المدح ، أما وصف الرجل بالشجاعة فإنما هو معنى ، وقد اتفقت العبارتان في أدائه ، وإن زاد توكيده في إحداها .

أكرم عن الناس خبرنا . وبلغت رسول الله إلى سراقة قائلا : كيف بك يا سراقة إذا لبست سوارى كسرى وتاجه ومنطقته . . ثم يسكت ، ويسكت سراقة متعجبا مشدوها ؛ سوارا كسرى وتاجه ومنطقته ! يا للعجب . . ونمضي الأيام ، ويتصير الإسلام على وثنية الفرس ، ويعلم أمراطوتهم الضخمة في عهد عمر بن الخطاب ، في معارك عظيمة ، هزم فيها يزدجرد الثالث وجيشه اللجب ، وأخذت خزائنه لحملت إلى عمر في المدينة ، وفيها تاجه ، وجواهره ؛ ولم يلبث عمر أن دعا سراقة ، فدخل عليه ، فاستدفاه عنه ، وألبسه سوارى كسرى ومنطقته وتاجه ، وقال له : ارفع يديك ، وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذي سلب السوارين كسرى الذي كان يقول : أنا رب الناس ، وألبسهما سراقة ، رجلا أمرايا من مدج ، ورفع عمر صوته ينادي للناس ، ثم أركب سراقة ، وطيف به في المدينة ، والناس من حوله ، يحتفلون بهزيمة كسرى ، وبصدق محمد رسول الله فيا بشر به وهو في هجرته . . وبذلك زال أكبر معقل الوثنية ، كما انتهى من قبل معقلها في الجزيرة العربية ؛ بفتح مكة . .

ثم انتصر الإسلام في معاركه مع خصومه من أتباع الديانات الأخرى انتصارات مدوية . .

باقتضاء سلطانها ؛ ففي هجرته صلوات الله عليه ، وهو يسير في طريقه إلى المدينة ، وشباب مكة من أتباع الوثنية يصدون خلفه ليردوه إلى مكة ، حتى يظفروا بالجوائز الطائلة التي وعدتهم بها قريش ؛ ولحقه منهم سراقة الكنانى المكي ، حتى كاد أن يبلغ الرسول ، وحتى لقد سمع قراءته ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، وما هو إلا أن ساخت يدا فرس سراقة في الأرض ، فنزل من فوقها ، وأقامها ، ثم ركبها حتى كاد أن يصل إلى رسول الله ، وحلف قائلا : يا محمد إن قومك قد جعلوا فيك الدينة ، وإنى خرجت أطلبك ، وأطلب بطلبك المال والجد ، وكبا به فرسه مرة أخرى . فأقامها ، وضرب القداح يستشير آلهته ، أبتأنف السير ، وأشارت عليه : أن لا ، ولكنه ركب جواده ، واطلق في أثر محمد وصحبه ، حتى أصبح منه على مد البصر ، فلكز جواده ، ولكنه كبا به كبوة شديدة ، وألقى به بعيدا ، حتى كان سراقة يقول فيا بعد ، وهو يقص قصته : لقد شعرت حينئذ أنه قد قدر أن تفوز قضية محمد ، وحلف سراقة : أنا سراقة ، انظروني أكلكم ، والله لا أريكم ، ولا يأتكم من شيء فكروهوه ، والتفت محمد (ص) إليه ، فاقرب منه وقص عليه قصص الناس في مكة وما يردونه به ، وعرض عليه سراقة الزاد والمتاع ، فلم يأخذ منه شيئا ، وقال له :

الأيمن ، وجنوب إيطاليا ، وفي الأندلس  
وفي قارة أفريقية ، وفي البحار الكبرى ،  
وكذلك حروبه مع التار ، ثم مع الاستعمار  
الفرنسي والإنجليزى والأوربى بوجه عام ،  
كانت ولا تزال مضرب الأمثال في تاريخ  
الاتصارات الكبرى .

واليوم ، وبعد أربعة عشر قرناً من الزمان  
يقف الإسلام في عصر الفدرة ، أمام العلم  
في سلطانه وجبروته وقوته ، يقف وقفة الجهد  
والعظمة والجلال ، وقفة الشرف والقوة  
والاعتزاز ؛ إنه لا يهزم في معركته المحاضرة  
مع العلم ، ولن يهزم أبداً ، إنه المنتصر العظيم  
في انتصاراته .

وإذا كان الإسلام قد احتك برجال العلم  
القديم ، من أهل المذاهب والآراء والديانات  
المختلفة والثقافات المتنوعة ، ودل على شموخ  
ومنعة لا ترام ولا تنال ، وقضى الحق بأنه  
ينتصر على كل أولئك انتصارات كبيرة ، كان  
مظهرها قوة دعوته وذيوعها حيناً بعد حين ،  
ونبات مبادئه وشرائعه في مواجهة الحياة والعلم  
لأنها من القوة والسمو والرفعة بحيث يعنى  
الآبصار نورها ، ويعجز العقول جبروتها ،  
ويؤيد العلم في تطوره أنها الحق الذى لا لبس  
فيه ، والصدق الذى لا يمتريه الباطل من بين  
يديه ولا من خلفه ، وأنها في تجسدها  
وصلاحيتها لكل زمان ومكان تتمشى  
مع أحدث المبادئ وأعظم التشريعات .

واتصر كذلك في معركة الحياة ذاتها ؛  
فما أكثر المبادئ التى تفوز في الحرب ،  
ولكنها تفشل في السلام ... ، وليس من  
ذلك الإسلام ، ودعوته الكبرى الخالدة ،  
قد انتصر في معارك العلم والمدنية والحضارة  
وقضى على الوحشية والهمجية والجهل  
والاستبداد والظلم ، وعلى عصور الإقطاع  
والرق والجاهلية ، ونشر مكان ذلك أسس  
المبادئ ، وأنبل الأفكار ، وأمثل الآراء  
والأخلاق ؛ وجمع أمما كثيرة حول كتاب الله  
الحكيم ، فاتخذته لها إماماً وقائداً ومرشداً ،  
وحقق وحدة إسلامية بين شعوب تختلف  
دما ولغة وأخلاقاً وتقاليد ونظماً ، وحدة  
هزت المشرق والمغرب ، وكانت حديث  
الناس في جميع المجتمعات القديمة ؛ وأثل  
المسلون الحضارة الإنسانية مجدداً لا يطرأ ،  
ومفاخر لا تنفد ولا تزول ، وسبقوا إلى  
كثير من العلوم والصناعات والأفكار ، بما جعل  
مدنيتهم المادية من الرفعة في مستوى عقيدتهم  
الدينية من القوة والمنحة ، وخلفوا وراءهم  
من الآثار ما لا يزال المؤرخون يكتشفون  
من خرائبه ما يطرغون به معاصريهم .

— ٢ —

وهكذا خرج الإسلام قارناً منتصراً من  
جميع ما صادفه من الخصومات في تاريخه  
الطويل ؛ ومما رآه مع الصليبيين ، وفي جبال  
البرانس ، وعند جوانيته ، وفي جزر البحر

والإسلام الذي احتك باليهودية والمسيحية وبالنحل الفارسية والسوربانية والسكندانية والإغريقية والفرعونية ، يقف اليوم أمام الفلسفات الأوروبية المختلفة ، والزعات المتباينة المتناقضة ، وقفة فيها إيمان بالنفس وشموخ بالحق ، واعتزاز بالقوة ، وعلى ما بلغه العلم اليوم من خوارق ومعجزات ، فإنه حتى الآن لم ينقض مبدأ من مبادئ الإسلام ، ولا أنكر أصلا من أصوله ، ولا استطاع أن يهدم نظرية من نظرياته الشائعة إن العلم في جلال عبقريته سيكون من أقوى أصدقاء الإسلام وأنصاره ؛ لأن الفلسفات الإسلامية ، والأصول القرآنية ، تتلاقى وأمثالها من التي اعتدى إليها العلم أشرف التقاء ، وليس بينهما موطن نزاع على شيء من الأشياء ، حتى دعاة المادة الجدلية ، الذين يضللون الإنسانية يشعرون في أعماق نفوسهم أنهم ليسوا على شيء ، وأن الإسلام والقرآن حق لا ريب فيه ؛ ودعاة المذهب المادي الذين يقولون بخلو الوجود من غير المادة وقواها ، لا يستندون على أساس متين من العلم ، ولا على تجربة حية مرغمة والعلم بعد أن بلغ أوجه قوته ، يأبى أن ينقاد للذين ينتصرون بالمصمم أو بالوجود ما ليس لهم به علم ثابت ، وهذا هو الأصل الأول للفلسفة الحية ؛ وبما أننا نجعل أصول الكائنات ومصائرهما ، فلا يجوز لنا أن نشكر وجود شيء سابق عليها

وإذا كان سولون المشرع اليوناني القديم قال كلمة رددتها من بعده الأجيال ، وهي : « أنا لم أشرح لأهل أثينا شريعة كاملة مصدوها الخيال ، وإنما وصعت لهم قوانين توافق حاجاتهم وتلائم استعدادهم » ، فإن من حق كل مسلم أن يقول إن شريعته ، كانت أغنى الشرائع ، وأسمها ، وأقواها على مواجهة الحياة والعلم في كل عصر وجيل .

واليوم يقف الإسلام أمام العلم ، العلم في عصر الذرة ، أمام جبروت العقل الإنساني الذي وصل إلى الفضاء ، فلا يطأ طيء رأسه بل يشعر بالفخر ، أليس الإسلام هو الذي بشر ببلوغ الإنسان الفضاء ، فقال كتابه الحكيم : « فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر إذا اتسق » ، لركبنا طباق من طباق ، وكان من معجزات الإسلام الكبرى الإسراء حيث طيف بالرسول الأعظم في الآفاق والأكوان والسموات السبع ، حتى بلغ سدرة المنتهى وسمع كلام الخالق جل جلاله ، وتلقى وحيه الكريم . .

إن العلم الذي يقولون عنه إنه جبار طاع ومارد قوي ، وإنه ما صار لدينا إلا تغلب عليه - يقف اليوم مهورا بظلمة الإسلام وجلاله ، وبظلمة القرآن كتابه الحكم ، في كل نواحيه ، في مبادئه ، في دعواته ، في تشريعاته وفضله ، في جوانبه الإنسانية والروحية والمادية والاجتماعية ، في نظراته الفكرية والسلوكية ، في كل شيء احتوى عليه .

لأنها لم تكن موجودة قبل الكائنات ، ولكن الكائنات هي التي اقتضتها ، ... وإلى أي حد تنحصر هذه النواميس في دائرة نواميس أخرى ليس لنا بها علم ؟

إن العلم في عصر الذرة يقف متضائلا أمام عظمة الكون ، وجلال الخلق وإبداعه وسمو القوة التي تحكم مصائره ، إنه يقف على عتبة هذا الكون العظيم مذهولا بما يشاهده ، مذهوبا بما يرى ، متحيراً في أسرار هذه العظمة الباهرة ، وآثار هذه القوة الخارقة القادرة ، فن الذي خلق الضحى والليل إذا بها ، والنهار إذا تجمل ، والفرق في عليائه ، والشمس في رفعتها ، والنجوم في رزقتها ؟ من الذي خلق هذه الأجرام العلوية ، الضخمة ورفها ؟ وأوجد هذه المجموعات المتوالية من الأكوام العجيبة الغريبة ؟

ليس هناك شيء إلا الله ، الذي خلق الحياة وصورها ، وأبدع كل شيء خلقه ، وكل شيء أوجده .

وجود الله أصل ، يستدعي الإيمان به ورسالاته ورسله وبالعالم الروحي ، وبالبعث والحساب واليوم الآخر ، وصلى الله العظيم حيث يقول في الكتاب الحكيم : « من فهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ » محمد عبد المنعم غفاري

أو لاحق لها ، كما لا يجوز لنا أن نثبت ذلك وإذا كانت هذه هي أبعاد الفلسفة الحسية فإنه ليس منها في شيء ما ينهب إليه الماديون من حكمهم الجازم بقدم المادة وأبديتها ، وبعدم وجود عالم أرفع من عالمها ... وإذا كانوا ينكرون العالم العلوي بدعوى أنه مما لا تدركه أبصارنا ، فإن في الوجود الذي نعيش فيه ظواهر مادية كشفها العلم وقررها ، ونحن لا نفعل بوجودها ، فهل يتفق مع العقل والعلم أن نذهب إلى وجوب نكرانها ؟ كلا ، إن الإنسانية تعيش وما تزال تعيش في جهالة بحقائق كثيرة من أسرار الحياة ، فلا تزال تجهل سر الحياة ، وأسرار كثير من الأمراض التي تصيب جسم الإنسان ، وحواسنا تخدعنا في أشياء كثيرة ، ولا تستطيع أن تكشف لنا كل ما هو موجود ، بل لأنها قد تعطينا أحكاما كاذبة عن الكون المحيط بنا ، ومن الخطأ الكبير أن تقول إن ما نشاهده في هذا الكون هو كل ما فيه ... هل أن الكثيرين من أعلام العلم الحديث وسدته قد أثبتوا عن طريق العلم وجود عالم أعلى من عالم الطبيعة ، فكيف نكذبهم بدعوى تقوم على التوهم المحض الذي تقوم عليه وعلى التحكم الباطل دعوة المادية الجدلية .. وهذا دأمل بوتره ، الفرنسي يؤكده في كتابه « تغلب النواميس الطبيعية » : « أن من الخطأ أن يقال إن النواميس هي التي تدبر الظواهر الطبيعية ،

## بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية للأستاذ محمد رشيد أبو شنبه

قيام الشريعة الإسلامية على  
الإنسانية والرحمة والعمل :

وإن الباحث ليس هذا واحدا في موقف  
الشريعة الإسلامية من الربا ، فقد حرمت  
في أي صورة من صوره ، وسواء أكان  
قليلا أم كثيرا ؛ لأن إحلال القليل يؤدي  
إلى الكثير ، ولا يخلق باب هذا الشر  
المستطير ، القائم على أساس استغلال حاجة  
المحتاجين ، واضطرار المضطرين ، والشارع  
الحكيم ينظر إلى المال على أنه له وظيفة  
إنسانية إجتماعية أولا ، وإقتصادية ثانيا  
ولا ينبغي أن يطنى الجانب الاقتصادى على  
الجانب الإنسانى والإجتماعى ، وهو أن  
يكون لسد حاجات الناس ومنافعهم ، ووسيلة  
للكسب الحلال وأن لا يكون دولة بين  
الأغنياء ، فإذا استغل هو على أنه سلعة ،  
أو اتخذ وسيلة للكسب غير المشروع ،  
كأتهاد حاجة الفقراء والمعوزين ، والإبراء  
على حسابهم واستنزاف دماهم فقد انحرف به  
عن وظيفته ، وخرج عن الغرض الذى  
أوجده الله له ، وقد يما قال بعض المنحرفين

« إنما البيع مثل الربا ، فرد الله سبحانه  
وتعالى عليهم بقوله : « وأحل الله البيع  
وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى  
فله ما سلف وأجره على الله ، ومن عاد  
فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، يمحى  
الله الربا ويربى الصدقات ، والله لا يحب  
كل كفار أثيم . » (١) .

وإذا كان الله سبحانه قال في آية أخرى  
« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا  
مضاعفة ، واقفوا الله لعلكم تفلحون . » (٢)  
فليس ذلك تميزا للربا القليل كما يزعم بعض  
الزاعمين ، وإنما هو تنفير من الربا بذكر  
أشنع صورة ، وأقبح حالاته ، إذ مثل القيد  
لا مفهوم له كما قال الأصوليون وليس أدل  
على هذا من أن آخر آية نزلت في الربا ،  
بل قيل إنها آخر آية نزلت من القرآن الكريم  
جاءت مطلقة عن التقييد وهي قوله سبحانه  
« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من  
الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فآذنوا  
بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فليكن

(١) البقرة ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) آل عمران ١٣٠ .

عداوتهم ، ثم ، كم سفكت دماء زكية طاهرة ،  
وكم اسحلت محارم للأفراد والجماعات بسبب  
الجشع الاقتصادي ، الذي هو الداء الفتوى  
للمستعمرين !! وما دام النظام الربوي هو  
الذي يقوم عليه الاقتصاد في العالم ، فلا تزال  
التفوس تمتلئ بالفسح ، وما دام التنافس فلا  
يزال شبح الحرب المدمرة يترامى للعالم في كل  
وقت وصدق الله في قوله : « فإن لم تفعلوا  
فأذنوا بحرب من الله ورسوله » !! ولو  
استخدم ما تنفقه دول العالم على التسليح المدمر  
في المعونات الاقتصادية التي لا يحصىها إلا الجانب  
الإنساني لم الرعاء الدنيا ، ولعاش الناس  
جميعا إخوة متحابين ، يسودهم التراحم ،  
ويرفرف عليهم لواء السلام وإنك لتس  
إنسانية الإسلام أيضا في تشريعاته المتعلقة  
بالحروب والمعاهدات والعلاقات الدولية مع  
أن الحروب يغلب عليها روح الانتقام  
والتنكيل لا روح الإنسانية والرحمة فقد حرم  
الإسلام المثلة في الحروب وغيرها ، وأوجب  
العدل عند الاقتصاص من الأعداء بل بالغ  
في الإنسانية لحب في العفو قال سبحانه « وإن  
عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عاقبتم به ، وإن صبرتم  
لمن غير الصابرين » (١) ذلك أنه لما مثل  
المشركون بقتل المسلمين في أحد ولاسياسيد

رموس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ،  
وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسره وأن  
تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون (٢) وفي  
إنظار المصير أو التعفف عما عندك بالتنازل  
له عليه وهو المراد بالتصدق ما يلقى أحواء.  
على رعاية الجانب الإنساني في التشريعات  
الإسلامية .

أما القوانين الوضعية فلم قسم إلى درجة  
الإسلام في تشريعاته فأباحت قبيل الربا دون  
كثيرة ، وبذلك أبقت نشر أبوابا مفتحة  
كثيرة ، ولم تقرر الجانب الإنساني ، والخلق  
العناية التي حرص عليها الإسلام في تشريعاته ،  
وليس أدل على إفلاس القوانين الوضعية في  
معالجة المشاكل مما يعانى العالم اليوم من  
مشاكل خلقية وإنسانية واقتصادية ، وإن  
جل معكلاته الاقتصادية ترجع إلى إحلال  
الربا وجهله أساسا للاقتصاد ، وما ذلك إلا  
لغلبة التنافس والائثرة ، ولو سادت بين الدول  
روح البنل والتعاون ، والتراحم والسياسة  
لما عاش في هذا الجوا المشحون بالقلق والخوف  
والفرح ، ولكن الشح وصدق الرسول الكريم  
حيث قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم  
القيامة ، واتقوا الشح فإنه أهلك من كان  
قبلكم حلهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا



ومسلم في صحيحهما عن ابن عمر - رضي الله  
عنهما - قال : وجدت امرأة مقتولة في بعض  
منازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهي  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء  
والصبيان ، (١) .

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن بريدة قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أسر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ، ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال : أغزما باسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادهم إلى ثلاث خصال أو خلل ، فإذا ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم : ادهم إلى الإسلام ، فإن أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، ثم ادهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين ، ولا يكون

(١) وقد أجمع العلماء على اللبس بهذا الحديث إذا لم يقاتلوا ، فإن قاتلوا فقال الجمهور : يملون وقال البعض : لا يملون .

الشهداء حمزة وآدم المسلمون على هذه الحالة العارية عن الإنسانية قال المسلمون : لئن أمكننا الله منهم لتسكن بهم فأزل الله هذه الآية فقالوا : بل نصبر ونعفو ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن المثلة ، ورواه البخاري ، كما نهى عن التعذيب بالنار ولو كان المعذب مهدد بالدم روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « بمشارسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث » فقال . إن وجدتم فلانا وفلانا <sup>(١)</sup> فأحرقوهما بالنار ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أردما الخروج : إني أمرتكم أن تحرقوا فلانا وفلانا ، وإن النار لا يعذب بها إلا الله ، فإذا وجدتموهما فاقتلوهما . والنبي صلى الله عليه وسلم حينما نهى عن المثلة أراد الإنسان والحيوان على السواء ، وكذلك حينما نهى عن التعذيب بالنار ، أو إيجاب أحد على الدخول في الإسلام كما منع الإسلام من قتل النساء والصبيان في الحروب ، روى البخاري

( ١ ) القطعة من الجيش

(٤) كانا رجلين كافرين ، لم يراعيا آداب المرومة العربية ، فاعتدا على السيد زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصى مهاجرة من مكة إلى المدينة كان أبوها ، فتضا بهرحا فاستطعت من عليه ، وكانت حاملا فأججضت ، وقد مرضت بسبب هذا العمل المشين الذى يتم من التنازع مرثا شعردا .

أنا براكب ، إلى حبسه خطاي هذه في سبيل  
الله ثم قال له : إنك ستجد قوما زعموا أنهم  
حبسوا أنفسهم ففقدتهم ما زعموا أنهم حبسوا  
أنفسهم له ، وستجد قوما لخصوا عن أوساط  
رؤوسهم من الشعر فاضرب ما خصوا عنه  
بالسيف<sup>(١)</sup> وإني موصيك بعشر : لا تقتلن  
إمرأة ، ولا صبيا ، ولا كبيرا هربا ،<sup>(٢)</sup>  
ولا تقطنن شجرا مشرقا ، ولا تخربن عامرا ،  
ولا تعقرن شاة ، ولا بصيرا إلا لما كلة  
ولا تحرقن نخلا ولا تفرقنه ، ولا تغفل ،  
ولا تجهين ،<sup>(٣)</sup> .

وكذلك كان أمير المؤمنين حريرا الخطاب  
رضي الله عنه يوصي قواده بهذه الوصايا الذهبية ،  
وأن يفوا بالعهود ، وبأمان من يؤمن من  
الآعاجم ولو بالإشارة ، حتى ولو لم يقصد  
ذلك ، وظنه أمانا ، فقد كتب إلى القائد البطل  
محمد بن أبي وقاص يقول : « إني قد ألتقي في  
روعي أنكم إذا قيمتم العدو هزمتموه ،  
فاطرحوا الشك ، وآثروا التقية عليه ، فإن

(١) الأولون هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في  
الصوامع . ومؤلاهم العباسة ومسيخصوا نطوا  
ذلك .

(٢) إلا إذا كان له مشاركة في الحرب بل رأى أو

القيادة فإنه يقتل

(٣) للموطأ - كتاب الجهاد وباب النهي عن قتل  
النساء والولدان في النزوة .

لهم في الغنمية شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين  
فإن هم أبرأ<sup>(١)</sup> فسلمهم الجزية ، فإن هم  
أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، فإن هم  
أبرأ - يعني من الجزية - فاستعن بالله  
وقاتلهم ، وإذا حاصرت أهل حصن ،  
فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه  
فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن  
اجعل لهم ذمتك ، وذمة أصحابك ؛ فإنكم  
أن تخفروا ذمتكم ، وذمة أصحابكم أهول  
من أن تخفروا ذمة الله ، وذمة رسوله ،  
وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزل  
لهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ،  
ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري :  
أنصيب حكم الله فيهم أم لا ؟<sup>(٢)</sup> وعلى هذا  
الحرب في رعاية الجانب الإنساني في الحروب  
في الإسلام سار الخلفاء الراشدون ومن جاء  
بعدهم من الخلفاء والأمراء .

روى الإمام مالك في الموطأ عن يحيى  
ابن سعيد أن أبا بكر الصديق بعث جيوشا  
إلى الشام فخرج يحيى مع يزيد بن أبي سفيان ،  
وكان أمير ربيع من تلك الأرباع فزعموا  
أن يزيد قال لأبي بكر : إما أن تركب وإما  
أن أنزل ، فقال أبو بكر : ما أنت بنازل ولا

(١) يعني من الإسلام هي الخصلة الثانية من الخصال  
الثلاث : الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال .

(٢) صحيح مسلم جرح النووي ج ١٧ ص ٣٧

الانجليز وغيره من قاداتهم يشكلون بالمسلمين وأسرهم شرتكل من غير أن يراهم إلا ولا ذمة ، ولا رحمة ولا إنسانية ، وكما قتلوا من أطفال أبرياء ، ونساء ضعاف ، وشيوخ فأتين فأتين من هذه التشريعات الإسلامية الرحيمة في الحروب ، القوانين الوضعية في القديم والحديث ؟ نعم لقد بدأت القوانين البشرية في العصر الأخير تقسم بالإنسانية والرحمة ولكنها لم تعد أن تكون حبرا على ورق ، وليس لها آثار ظاهرة في سلوك واضعيها وتصرفاتهم في الحروب وما لنا نذهب بعيدا ؟ وهذا القرن العشرون قد شهد حربين عالميتين مدمرتين أدينت فيهما بحار من الدماء وكما فيها من ملايين الأطفال والكهول ماتوا ، وكما من ملايين النساء اتهمكت حرمانهم وكما فيها من ملايين البشر مثل بهم ، وصل الروس ، وما فعلته بهم جماعيل الألمان حينما غزت بلادهم ، بل سل الألمان وما فعلته بهم جيوش الحلفاء لما هزموا ولا يزال بعضهم إلى وقتنا هذا يرسفون في قيود الأسر ، والفلى ، والاستعباد .

هنا ولا يزال في إنسانية التشريعات الإسلامية مجال الحديث فإلى مقال آت إن شاء الله ؟

محمد محمد أبو شربة

لا أحب أحد منكم أحداً من العمى بأمان أو قرعة - من المقارعة وهي الخاطلة - بإشارة أو بلسان ولا يدري الأعمى ما كلمه به ، ولكن حننهم أمانا فأجروا له بحرى الأمان ، وإياكم والضعفك ، والوفاء الوفاء فإن الخطأ بالوفاء سلامة ، وإن الخطأ بالغدرهلكة ، وفيها وحكم وقوة عدوك ، وذهاب ديمكم ، وإقبال ديمهم واعلموا أني أحذركم أن تكونوا - يعنى بدم الوفاء - شينا على المسلمين وسينا ثوبهم <sup>(١)</sup> .

وكذلك كان سميح محمد بن عبد العزيز رضى الله عنه - روى الإمام مالك في الموطأ أنه بلغه أن محمد بن عبد العزيز كتب إلى عامل من عماله أنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث سرية يقول لهم : اخذوا باسم الله في سبيل الله تقاتلون من كفر بالله ، لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، وقل ذلك لجيوشك وسراياك إن شاء الله والسلام عليكم .

ويطول بنا القول لو أننا نقبنا آثار هذه التشريعات الإنسانية الرحيمة في تاريخ المسلمين على قوال العصور ، ولا يفوتنا أن نتوء بما كان من البطل العربي المسلم صلاح الدين الأيوبي في معاملته الإنسانية الرحيمة للصليبيين وأسرهم على حين كان قلب الأسد ، ملك

# الضرائب في الإسلام

للأستاذ أحمد الشرباصي

- ٥ -

استثمار المال ، ويظهر ذلك بوضوح في زكاة رأس المال المدخر الذي يحول عليه الحول . فإن فرض الزكاة فيه يدفع بصاحبه إلى تحريكه لاستثماره وإنمائه ، حتى لا يظل جامدا . يتناقص كل عام بما يؤخذ منه لزكاة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يلفت إلى هذا المعنى حين يقول : « من ولي بيتا له مال فليجعله ، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة ، وبمعنى الصدقة هنا الزكاة .

واقعد تحدث ، آدم سميت ، وهو من رجال الاقتصاد الأصنام في القرن الثامن عشر ، فقال إن مبادئ الضرائب الأساسية هي : العدالة ، واليقين ، والملازمة ، والاقتصاد . وهذه المبادئ متحققة في ضرائب الإسلام بصورة واضحة رائعة ، ففيها العدالة ، إذ تؤخذ الضريبة الإسلامية من القادر المالك لنصاب ، وبعد معنى المادة المقررة ، وعند بعض الفقهاء تسقط الزكاة عن المدين ، ولا يتكرر أخذ الضريبة ، والحديث يقول : « لا ثلثي في الصدقة » ، ولا تؤخذ زكاة في حول واحد .

وينبغي أن نلاحظ الفروق الموجودة بين الزكاة الشرعية والضريبة الوضعية ، فالزكاة ركن ديني وفرض إسلامي . وأما الضريبة فهي إجراء يقصوم به ولي الأمر أو الدولة . والزكاة محددة القدر ثابتة القيمة ، والضريبة تختلف تصاعدا وتنازلا ، والزكاة محددة المصارف في آية التوبة ، والضرائب لمصوم المصالح ، والزكاة لها صفة الدوام والاستمرار ، والضريبة تنقف عند الاستثناء عنها . والزكاة تؤخذ من المسلم فقط ، والضريبة تؤخذ من المسلم وغيره .

وينبغي أن نلاحظ أن الحقوق اللازمة في مال المسلم ، والتي اصططلحنا على تسميتها بالضرائب تتماز ببطانة من المميزات . فهي تتماز بأنها تهدف إلى الصالح العام وتحقيق المصالح الجماعية والاجتماعية ، وإزالة حاجة المحتاج ، وتقوية ما يحتاج إلى تقوية ؛ وليس هناك مصرف شخصي للزكاة ، ويبت مال المسلمين هو مجمع الضرائب ، وهو لجميع الأمة ، وكل عاجز فيها عن حمل أو عن نفقة يتكفل به بيت مال المسلمين .

ومن يمتاز هذه الضرائب الخاص على

على شط الفرات ؛ وحذيفة عامله على ماوراء  
دجلة . فقال عثمان : حملت الأرض أمراً هي  
له مطيعة ، ولو شئت لأضعفك . وقال حذيفة :  
وضعت عليها أمراً هي له محتملة ، وما فيها  
كثير لفضل ؛ وقد مر عمر بذلك (١) .

ويقول الإمام أبو يوسف الرشيد في كتاب  
« الخراج » : « أما العشور فرأيت أن توليها  
قوماً من أهل الصلاح والدين ، وتأمرهم  
ألا يتعدوا على الناس فيما يعاملونهم به ،  
فلا يظلمون ، ولا يأخذوا منهم أكثر مما يجب  
عليهم ، وأن يمثلوا ما رسمناه لهم ، ثم تتخذ  
بعد أمرهم ، وما يعاملون به من يجرهم ، وهل  
بما وزون ما قد أمروا به ؟ فإن كانوا قد  
فعلوا ذلك هزلك وعاقبت ، وأخذتهم بما  
يصح عندك عليهم لظلمهم أو ما أخذت منه  
أكثر مما يجب عليه .

وإن كانوا قد اتتوا إلى ما أمروا به ،  
وتجنبوا ظلم المسلم والمعاقد أثبتهم على ذلك  
الأمر ، وأحسن إليهم ، فإنك متى أثبتت  
على حسن السيرة والأمانة ، وعاقبت على  
الظلم والتعدي لما تأمر به في الرعية ، يزيد  
الحسن في إحسانه ونصحه ، وارتدع الظالم  
عن معاودة الظلم والتعدي ، (٢) .

• • •

ويروي لنا طاهر الشامي أن رجلاً من  
بنى تغلب من نصارى العرب مر على زياد  
ابن جندب الأسدي ومعه فرس ، فأراد زياد  
تقاضى الضريبة عليها - ضريبة العشور -  
فقوموا الفرس بعشرين ألفاً ، وقال زياد  
للرجل : أعطني الفرس وخذ مني تسعة  
عشر ألفاً ، أو امسك الفرس وأعطني ألفاً .  
وهذا تخيير يدل على الأمانة والإنصاف  
والتيبير .

ولما أراد زياد أن يأخذ من هذا الرجل  
على الفرس ذاتها ضريبة في مرة ثانية مر بها ،  
اشتكى الرجل إلى عمر - كما سبقت الإشارة  
إلى ذلك - فنزع عمر زياداً أن يفعل ، وقال  
له : « ومن مر عليك فأخذت منه صدقة  
( المراد هنا ضريبة العشور ) فلا تأخذ منه  
شيئاً إلى مثل ذلك اليوم من قابل ، إلا أن  
تجد فضلاً ، أي زيادة على ما أخذت منه ،  
وكانت هذه الزيادة تستحق الأخذ عليها ،  
وكان هذا العدل من عمر سبباً في أن يترك  
الرجل دينه ويدخل في الإسلام (١) .

وما يدل على عدالة الإسلام في ضرائبه  
أن عمر يقول لحذيفة وعثمان بن حنيف :  
لعلكم حملنا الأرض ما لا تطيق . يقول  
هذا عذراً منه ، وكان عثمان عامله إذ ذاك

(١) للرجع السابق : ص ٤٨ .

(٢) للرجع السابق : ص ١٣٧ .

(١) الخراج لأبي يوسف : ص ١٣٦ .

غموض ، والإسلام الخفيف قد حدد المقادير : العشر ، ونصف العشر ، وربيع العشر ، وفي زكاة الماشية حدد المقادير التي تؤخذ فيها الزكاة ، وحدد النصيب الذي يؤخذ في كل مقدار ، وحدد المصارف التي تصرف فيها هذه الأموال ، فتتحقق اليقين والوضوح . ويوجد في ضرائب الإسلام عنصر « الملازمة » ، إذ ربط الإسلام دفع الزكاة بميقات واضح ملائم الدفع . وهذا الميقات إما حولان الحول — أى مضي العام — في النقدين والتجارة ، أو يوم الحصاد كما في زكاة الزرع ، أو نهاية موسم الزرع وعند بيع الغلة كما في الجزية ، أو عند الدخول إلى داخل بلاد الإسلام كما في العشور . . الخ .

والضريبة الإسلامية — كالزكاة — تؤخذ من وسط المال ، لا من أفضله ولا من أخسه ، والحديث يقول : « إياكم وكرائم أموالكم » ، ويقول عن المال المزكى : « إن الله لم يسألكم خيره ، ولم يسألكم شره » .

ويوجد في ضرائب الإسلام عنصر « الاقتصاد » ، إذ تلاحظ فيها عدم الإرهاق لصاحب الأرض في تقدير الخراج كما سبقته نصوص تشير إلى ذلك ، وتلاحظ فيها مراعاة المصلحة العامة وتحقيق الإصلاح الاقتصادي عند تحديد المصارف لهذه الضرائب .

وتتميز الضرائب في الإسلام بالرفق في أخفها ، فزكاة المال تؤخذ بعد ادعائه عاماً ، وزكاة النعم تؤخذ كذلك بعد عام ؛ وزكاة التجارة تؤخذ بعد عام يكون مجالا كافيا للتجار والاكتساب ، وزكاة الزرع تؤخذ عند الحصاد وجمع المحصول ، والقرآن الكريم يقول : « وآتوا حقه يوم حصاده » .

والجزية تؤخذ عند نهاية الموسم الزراعي ليكون ذلك أسهل على دفعها ، كما أنها لا تؤخذ إلا من الذكور البالغين الأصحاء القادرين ، بمعنى منها النساء والأطفال والشيخوخة والمكفوفون والفقراء والرهبان .

ولقد أوصى علي بن أبي طالب أحد عماله فيها بتمتق بأهل الجزية ، والخراج فقال له : وانظر إذا قدمت عليهم ، فلا تبيع لهم كسوة : شتاء ولا صيفا ، ولا رزقا يأكلونه ، ولا دابة يعملون عليها ، ولا تضر بن أحدا سوطا واحداً في درهم ، ولا تقمه على رجله في طلب درهم ، ولا تبع لأحد منهم عرضاً من الخراج ، فإنما إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو ، فإن أنت عاينت ما أمرتك به بأخذك الله به دوى ، وإن بلغت عنك خلاف ذلك عزلك ، (١) .

ويوجد مبدأ « اليقين » في ضرائب الإسلام ، واليقين يراد به هنا التحديد بلا

منهم فليكن فقها عالما مشاورا لأهل الرأي  
 خفيما ، لا يطلع الناس منه على حورة ،  
 ولا يخاف في الله لومة لائم . ما حفظ من  
 حق وأدى من أمانة احتسب به الجنة ،  
 وما عمل من غير ذلك عاف عقوبة الله فيما  
 بعد الموت ، تجوز شهادته إن شهد ولا يخاف  
 منه جور إن حكم ، فإنك إنما توليه جباية  
 الأموال ، وأخذها من أهلها ، وتجنب  
 ما حرم منها ، يرفع من ذلك ما يشاء ،  
 ويحتج من ما يشاء ، فإذا لم يكن عدلا فقه  
 أميناً فلا يؤتمن على الأموال ، (١) .

وتمتاز ضرائب الإسلام بنصر  
 الاستقرار ، إذ لها صفة الدوام والثبات  
 ما دام مصدرها قائماً وهو ملك النصاب  
 واعتبار الوقت : حولان الحول ، أو يوم  
 الحصاد .

وهذا الاستقرار لم تعرفه الضرائب في  
 المجتمعات الأخرى إلا منذ عهد قريب ،  
 لأن هذه المجتمعات كانت تفرض الضريبة  
 بمقاييس عارضة عن الدخل والكسب ، مثل  
 هدد الأبواب والنوافذ والخدم ... إلخ .  
 وفرنسا قضت دهماً طويلاً وهي ما زالت  
 تنبسط في تقدير الضرائب بمقاييس مذبذبة ،  
 وانجلترا لم تقر الضريبة بصفة مستقرة إلا في

وتمتاز هذه الضرائب أيضاً بحسن  
 التطبيق عند جمعها ، والله تعالى يقول عن  
 جامع الزكاة مثلاً : « والعاملين عليها ،  
 لجعلهم مصرفاً من مصارف الزكاة الشرعية ،  
 فكأنهم يقومون بعمل ديني يستحقون عليه  
 جزواً من الضريبة الإلهية ، فيجب أن يتقوا  
 الله ويحسنوا في الجمع ، والحديث النبوي  
 يقول : « العامل على الصدقة بالحق كالغايي  
 في سبيل الله » .

وقال أبو يوسف لأمير المؤمنين الرشيد :  
 « وربما أمير المؤمنين باختيار رجل أمين  
 ثقة هفيف فاصح مأمون عليك وعمل  
 وصيكتك ، فوله جميع الصدقات في البلدان ،  
 ومره فليوجه فيها أقواماً يرتضيه ، ويسأل  
 عن مذاهم وطرائقهم وأماناتهم ، يجمعون  
 إليه صدقات البلدان .

وقد بلغني أن محال الخراج يعثون رجالاً  
 من قبلهم في الصدقات فيظلمون ويعتسفون ،  
 ويأتون مالا يحمل ولا يصح ، وإنما ينبغي  
 أن يتخير للصدقة أهل العفاف والصلاح ،  
 فإذا وليتها رجلاً ، فليكن ممن تثق بدينه  
 وأمانته ، أجر عليه من الرزق بقدر  
 ما نرى .

وقال أيضاً : « رأيت - أبق الله أمير  
 المؤمنين - أن تتخذ قوماً من أهل الصلاح  
 والدين والأمانة فتوليهم الخراج ، ومن وليت

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠ و ١٠٦ .

العطر مثلاً تؤخذ حياً من غالب قوت البهائم ، وقد يصح دفع القيمة ؛ والخراج يؤخذ فيه من كل دجرب ، أربعة أو خمسة أو ستة أو ثمانية دراهم حسب جودة الأرض ، والجزية في أصلها تؤخذ نقوداً ، ولكن عمر أخذ إبلًا في مقابل الجزية ، يقول ابن سلام : « وكذلك فعل ربه الله حين كان يأخذ الإبل في الجزية ، ويذكر أيضاً أن عمر أخذ في الجزية ثياباً بدل الدنانير ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « إن على كل سالم ديناراً أو عدله من الثياب » .

وقال عنزة بن عبد الرحمن الشيباني : « كان على يأخذ الجزية من كل ذي صنع ، من صاحب الإبر إبراً ، ومن صاحب المسان مسان ، ومن صاحب الحبال حبالاً (١) » .

كما يجوز تأخير اقتضاء الجزية حتى يبيع أهلها غنائم ، ليتمكنوا من دفعها حينئذ ، ولا يرغمهم على البيع إذا لم يريدوا ، ويأخذ من الفقة بقصد الجزية .

وبما يدل على روح التطور في الضريبة الإسلامية أن عمر لم يقسم أرض السواد المفتوحة على الجنود ، بل قال لهم : « قد أشرك

سنة ١٨٧٤م . وأمر بكذا فرضت ضريبة الدخل بصفة دائمة مستقرة سنة ١٩١٣م . وبلجيكا لم تترك تقدير الضريبة على أساس المظاهر الخارجية إلا في سنة ١٩١٩م . ولكن الإسلام العظيم شرع ضرائبه منذ وقت مبكر على أسس سليمة قوية مستقرة ثابتة .

• • •

ولقد أخذ الناس في القرن العشرين يعرفون مبدأ « التوعية » في الضرائب ، والواقع أن الإسلام قد سبق إلى ذلك ، فضرائبه بمنهاها العام تتنوع ، فهناك ضريبة على الرؤوس من غير المسلمين - وهي الجزية - ولذلك تسمى الجزية ضريبة الرؤوس ؛ وهناك ضريبة رؤوس المسلمين ، وهي زكاة الفطر ، إذ تجب على كل رأس مهما كان صغيراً ، ذكرًا كان أو أنثى ، وهناك ضريبة على العقار ، وهي ضريبة الخراج المضروبة على ذات الأرض المفتوحة أو المصالح عليها ، وهناك ضريبة على المحصول ، وهي زكاة الزروع والثمر ، وهناك ضريبة على رأس المال ، وهي زكاة الذهب والفضة والتجارة ، وهناك ضريبة على الحيوان ، وهي زكاة الماشية ... إلخ .

وتتميز ضرائب الإسلام بقابليتها للتطور ومسايرة طبائع الأمور وعدم الجنود ، فزكاة



الأشياء ، وسمروا بها في بلاد الإسلام ، فلم تتركهم دون أخذ ضرائب منهم ، مع أن غيرهم يؤخذ منهم على طيب المال وحلاله .  
الجواب : لا ، بل نلقا إلى التقويم ، إذا جاء في كتاب الخراج ، لأن يوسف هذا النص :  
« وإذا مر أهل الذمة على العاشر - حامل الضرائب - بغير أو خنادر قوم ذلك على أهل الذمة ، يقومه أهل الذمة ، ثم يؤخذ منه العشر ، والتقويم هنا ينبغي أن يتم على أيدي أهل الخبرة ، ولذلك روى عن إبراهيم النخعي ما يلي : « إذا مر أهل الذمة بالخمر للتجارة ، أخذ من قيمتها نصف العشر ، لا يقبل قول الذي في قيمتها ، حتى يؤق برجلين من أهل الذمة يقومانها عليه ، فيأخذ نصف العشر من الثمن » [١] .

وفلاحظ في ضرائب الإسلام عنصر المعاملة بالمثل في الضرائب الجركية ، فقد كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر يقول له : « إن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون دار الحرب ( وطن الأعداء ) فيأخذون منهم العشر » . فكتب إليه عمر : « خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين » [٢] . وفي رواية أنه قال لعمر : « إن تجار المسلمين إذا دخلوا دار الحرب أخذوا منهم العشر » . فرد عليه

الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الزمان ، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء ، وإن جئته ليطعن الراعي بصنعه نصيبه من هذا القدر ودمه في وجهه ، وأبقى عمر الأرض بدون قسمة ، وأعطاهما لمن يروهما ويؤدى عنها ضريبة العفار - وهي ضريبة الخراج - وكان من الممكن قسمتها وجعلها أوداً عشيرة كما في نظام الزكاة .

وقال عبد الله بن عمر : « كان عمر يأخذ من النبط : من الزيت والحنطة نصف العشر ، لسكنى يكثر الحمل إلى المدينة ، ويأخذ من القطنية العشر » [٣] والقطنية - بكر القاف - هي الأشياء التي ليست بمواد تموينية أساسية ، مثل الثياب التي ليست بضرورية ونحوها ، فهي إذن أشبه بالكماليات ، ولذلك رفع ضريبها وزاد فيها ، وأما المواد التموينية الأساسية ، فقد خفض عليها الضريبة حتى يشجع جالبيها على الإكث من حملها إلى الناس فتسهل عليهم الحياة .

ولقد كان التشريع الإسلامي بعيد النظر وهو يقدم القواعد في شأن الضرائب ، ولتضرب مثالا على ذلك ، فالخمر والتخزير وما أشبههما مال غير متقوم وغير محترم في نظر الإسلام ، ويحرم امتلاكه والاتجار فيه .

ولكن لنفرض أن تجاراً تاجروا في هذه

(١) الخراج لأبي يوسف ، ص ١٢٣ و ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٣٣ .

في الزكاة وهو الشخص الذي يمينه ولي الأمر  
الممثل للدولة ، كي يقدر المحصول ويحدد قيمة  
زكاته قبيل حصده ، كما أنه يجوز للدولة المسئلة  
أن تحارب مانع الزكاة كما فعل أبو بكر مع مانعي  
الزكاة في حروب الردة المشهورة .

وبما تحسن الإشارة إليه أن الإسلام حرص  
على تأكيد النصر الإلهي أو الديني أو الروحي  
في تشريع الضرائب ، ولذلك نجد القرآن  
الكريم عند حديثه عن الحقوق اللازمة  
في المال يذكر بنعمة الله وفضله ومنه هذا  
المال على صاحبه ، فهو يقول : « يا أيها  
الذين آمنوا أنفقوا من طيات ما كسبتم  
وبما أخرجنا لكم من الأرض » ، ويقول :  
« وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » ،  
ويقول : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » ،  
ويقول : « وهو الذي أنفق جنات مبروشات  
وغير مبروشات والنخل والزرع عتقها أكله  
والزيتون والرمان مثقابا وغير مثقابا ،  
كلوا من ثمره إذا أثمر ، وآتوا حقه يوم  
حصاده » ... إلخ .

وهكذا يؤكد القرآن في نفوس المؤمنين به  
أن ما يدفعونه من حقوق إنما هو شكران لله  
على نعمته وفضله .  
« والله خير الشاكرين » .

قائلا : « خذ منهم إذا دخلوا إلينا مثل ذلك  
العشر » [١] .

ومن لطائف النظم العراقية الإسلامية  
أن الإسلام قد سبق إلى نظام إعطاء إيصال  
لدافع الضريبة يفيد تقاضيا منه ، فقد كتب  
عائس الراشدين عمر بن عبد العزيز إلى ذريق  
ابن حيان الدمشقي - وكان يتولى مكس مصر -  
أي الضرائب الجركية فيها - فشرح له نظام  
ما يأخذ ، ثم قال له عن الأشياء التي تؤخذ  
عليها الضريبة : « ثمدها فلا تأخذ منها شيئا »  
واكتب لم كتابا بما تأخذ منهم إلى مثلها  
من الخول ، [٢] .

ونلاحظ كذلك أن القوانين المعاصرة ترى  
أن الدولة لها الحق في الاحتفاظ لنفسها  
بطائفة من السلطات والإجراءات لتقاضى  
الضريبة ، مثل الغرامة والحجز ، وهناك  
ما يقابل هذا أو نحوه في الشريعة الفراء ،  
فبعض الفقهاء يرى أخذ شطر من مال الذي  
يأبى دفع الزكاة ، الحديث الذي يقول :  
« من أباع فأبى أخذ ما وشر ما له » . وبعض  
الفقهاء يرى استيفاء الزكاة من تركه الميت  
قبل أى حق آخر من الحقوق المتعلقة بالترك ،  
وبعضهم يرى بطلان بيع المحصول الذي  
لم يؤد زكاته ، وهناك نظام « الخارص »

(١) الخراج ليعقوب بن آدم ، ص ١٧٣ .

(٢) الخراج لابن يوسف ، ص ١٣٧ .

# العلم والعمل في الإسلام

للمذكور جمال الدين الرمادي

نزل الكتاب المبين على النبي الكريم فقال تعالى في القرآن الكريم : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وفي هذا تمجيد للعلم ودعوة إلى طلبه ، وإشادة بأهله وحارفيه ، وغر لمريديه وطالبيه كما قال تعالى : « ادع إلى سبيل ربك بالحسنة والموعظة الحسنة » . وما الحسنة والموعظة الحسنة إلا العلم الجامع لأمور الدنيا والدين . ومن هنا كانت دعوة الإسلام دعوة العلم - وتحمل معاني الجهاد الميماء ، والضلالة الظلمة كما كان طلب الاستزادة من العلم منتهى الفخر والمجد ، والشرف والعزة ، فقال عز وجل : « قل رب زدني علماً » .

قال عز وجل لا ساحل له ، بحر غضم مسجور وكلما أمن العلم في حله ازداد معرفة بمقائق الأشياء ، ودقائق الأمور ، وأدرك موقعه من الله عز وجل ، في هذا الملكوت الواسع ، وهذا الملك الفسيح . واستطاع أن يكفل لنفسه وأهله وعشيرته ما يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل العلماء : « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » . كما قال أيضاً : « إذا أتى على يوم لا ازداد فيه

العلم والعمل فضيلتان عظيمتان حث عليهما الإسلام ودعا إليهما الرسول ، والصحابة ، والتابعون ، ومن لف لفهم من أهل الرأي والنهي ، والحكمة والحسنى .

والعلم والعمل شعاران من شعارات الثورة في العهد الاشتراكي الجديد ، فبالعلم تفتح الأبواب المغلقة ، وتفتح الآفاق المجهولة ، ويسهل المعنى من الأمر ، ويدنو القصر من الأمل ، وينمحي التخلف والتخاذل ، ويتلاشى التهاكس والتكاسل ، وينطلق الدفع الثوري قداماً إلى الأمام لا يحول دون الوصول إلى أهدافه حائل ، ولا يعوقه عن بلوغ مراميه عائق ، وبالعلم نبني مجتمعاً جديداً لا أثر فيه للاستغلال أو الاحتكار ، ولا مجال فيه للطبقة البنيضة ، أو تحكم رأس المال ، وبالعلم نحطم تلك الأصنام الفكرية والمادية التي ظلت ودعا من الزمان تهيم على أفكار البشر ، وتحكم في رقاب الشعب ، وتستنزف دماؤه ، وتستحوذ على خيراته .

والعلم والعمل صودرة جميلة تهر العين والقلب والعقل جميعاً ، بيد أنها ينبغي أن توضع في إطار خلاص من الخلق القويم ، والسلوك الحميد ، والسجايا الفاضلة ، والتشيم النبيلة .  
والعلم والعمل دعوة إسلامية كبرى منذ

المحكيات وشاعت على لسان الرسول الكريم  
فلات الآفاق ، واعتقها الناس في مشارق  
الأرض ومغاربها ، وهووا في صدورهم  
وبين خفاياهم ذلك الحديث النبوي الشريف  
« من طلب الدنيا فعليه بالعلم ، ومن طلب  
الآخرة فعليه بالعلم » .

فنعن اليوم عندما ندعو إلى العلم .. ويسجل  
الميثاق بين سطوره هذه الحقيقة الخالدة  
فيقول : « فإن العلم للجمع يجب أن يكون  
شمار الثورة الثقافية في هذه المرحلة ، على أن  
بلوغ النضال الوطني لأهدافه سوف يسمح  
لنا في مرحلة متقدمة من تطورنا بأن نسام  
إيجابيا مع العالم في العلم العلم » .

فإنما يحقق بذلك الدهوة الإسلامية الكبرى  
التي رن صداها في أنحاء العالم الإسلامي منذ  
نحو أربعة عشر قرنا من الزمان .

غير أن العلم لا تزدهر ثمارة ، ولا يبحر  
قطافه بدون العمل ، فالعمل صنو العلم فلا محل  
في الحياة لتواكل أو ضيف ، ولا مكان في  
الاجتمع لتكاسل أو هزل .

واقه عز وجل دعا إلى العمل بعد أن سخر  
الأرض لبني آدم فقال تعالى : « وسخرنا لكم  
ما في الأرض جميعا » .

واقه جل جلاله وتعال آلاؤه لم يذل لنا  
الأرض لحسب إنما سخر لنا الفلك لتجرى في  
البحر بأمره . كما سخر لنا الليل والنهار ، والشمس  
والقمر كل يجري لأجل مسمى ، ودعانا بعد

هنا يقربني من الله عز وجل فلا يورك لي في  
طلوع شمس ذلك اليوم » .

وقال في حديث آخره العلماء ورثة الأنبياء ،  
أما علي بن أبي طالب فله في العلم أقوال  
كثيرة جرت على كل لسان منها قوله : « ليس  
الخير أن يكثر مالك وولئك ولكن الخير  
أن يكثر عليك » .

وسئل ابن شهاب أفضل العلم أم العمل ؟  
فقال : العلم لمن جهل . والعمل لمن علم » .

وقال الشافعي رضي الله عنه ، طلب العلم  
أفضل من صلاة النافلة » .

أما الشاعر العربي القديم فقال في العلم :  
العلم يهي نفوسا قط ما عرفه

من قبل ما الفرق بين الصدق والمين  
للمسلم للنفس نور يستدل به

على الحقائق مثل النور للمين  
ورغم أن العلم قد قسمه القدماء إلى علوم  
منقولة وعلوم منقولة ، كما قسمه بعض آخر  
إلى علوم شرعية أو دينية وعلوم دنيوية ،  
فإنه كان عند المسلمين همادا من أعمدة الحياة  
وقواما من قوام الدنيا .

حقا تطورت العلوم بحكم الزمن ؛ وحقا  
طرا على العلم كل مستحدث طريق وكل مبتكر  
غريب ، وحقا أصبح ما كان بالأمس خيالا  
وهما اليوم حقيقة ملموسة واقعا محسوسا  
يبد أن العلم ظل مع هذا كله ورغم هذا كله  
دهوة إسلامية كبرى نزلت مع آيات القرآن

أو مدعاة إلى التخاذل والاستسلام والنكوص  
عن طلب المعالي فقال رضي الله عنه .

« لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول  
اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر  
ذهبا ولا فضة » .

كما دعا عمر إلى هلو الهمة في العمل لأن  
صغر الهمة موجب للانحطاط والانحسار  
فقال « لا تصغر من همتك فإنني لم أر  
أقعد بالرجل من سقوط همة » .

وهكذا كان العمل دعوة إسلامية كبرى  
كذلك ، ولن تتحقق الغاية المرجوة من العز  
والسؤدد دون أن يتقن كل مناحله ، ويقبل  
عليه بصدره مفتوح ونفس راضية مرضية مخلصاً  
في أدائه متعانياً في إنجازه واحشاً نصب عينيه  
جميل ثوابه وعظيم عقابه وقول الرسول الكريم :  
« ما من عبيد يخلص الله العمل أربعين يوماً إلا  
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » .

والعمل اليوم شعار من شعارات الثورة  
في المهاد الجديد ، وعندما أعلن السيد الرئيس  
نقطة التحول في المجتمع العربي الجديد قال  
« دقق ساعة العمل الثوري » .

وهو في دعوته إلى الإسلام ويرجع إلى  
جذوره الأولى في الدعوة إلى العمل ونفض  
التراخي والكسل .

« وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله  
والمؤمنون » . جمال المربع الرمادي

ذلك إلى العمل والسمي لطلب الرزق دون  
ركود أو خمول ، ودون تقصير أو قصور .

فقال تعالى : « فاتشروا في الأرض وابتغوا  
من فضل الله » .

كما قال تعالى : « فامشوا في مناكبها وكلوا  
من رزقه وإليه النشور » .

وقال الرسول الكريم في الدعوة إلى طلب  
الرزق ( من طلب الدنيا حلالاً وتقففاً عن  
المسألة وسعيًا على عياله ، وتطفلاً على جاره ،  
لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر ) .

كما قال أيضاً ( إن الله يحب العبد يتخذ المهنة  
يستغنى بها عن الناس ) .

فما أجمل هذه الأقوال الحكيمة ، وما أندر  
هذه الدرر الثمينة ، وما أشرف هذه الدعوة  
النييلة إلى العمل ، والإقبال على الصنائع  
والحرف ، وامتهان المهن الشريفة التي يصلح  
بها حال المجتمع ، وتدفعه إلى الرفعة والرق .

وفي حديث آخر يفصل الرسول هذه  
الدعوة فيقول « إن الله يحب المؤمن المحترف » ،  
ويقول عليه الصلاة والسلام أيضاً  
« أجل ما أكل العبد كسب يد الصانع » .

وفي فضل التجارة قال الرسول : « عليكم  
بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق » .

أما الفاروق عمار بن الخطاب فكان  
كالرسول الكريم يستنكف البطالة والبطالين  
ويكره التملل والمتعطلين ويعت أن يكون  
الدين وسيلة إلى الكسل أو ذريعة إلى الخمول

نمذج رَسَدِظَوِيْرِ الفقه الإسلامي :

## فلنصنع فقهنا

للأستاذ فخر عثمان

منذ صدر الإسلام ، وأعلام الفقه الإسلامي لا يعيشون في قيود الحروف التي وردت بها النصوص ، وإنما يعيشون مع النصوص في واقع اجتماعي وفكري سليم ، ومن هنا تخلد النصوص ويتجدد الفقه ، وتكون حياة الفكر صورة لحياة المجتمع .

• جاء عمر بن الخطاب ، وفي القرآن آية تلي تعطى ، المؤلفة قلوبهم ، من الزكاة ، ولكن عمر نظر إلى هلة النص لا إلى ظاهره ، فقد كانت هلة إعطائهم تأليفهم لائقاء شرم هند ما كان الإسلام ضميما ، فلما قوتت شوكة الإسلام زال الداعي إلى إعطائهم . وقد أبطل عمر صطاء كان قد أنفذه رسول الله

وأبو بكر لبينة بن حصين والأقرع ابن حابس قائلا : « إن رسول الله كان يتألفكم والإسلام يرمث قليل ، وإن الله قد أغنى الإسلام . اذهبوا فاجهدوا جهديكا ، لا يرعى الله هليكا إن رعيتا » .

نعم ...

• اذهبوا فاجهدوا جهديكا ... . هذا شعار المجتمع الجديد الآخذ في الظهور ، مجتمع لا يعطى بشير عمل !!

• واجتهد عمر في وقف تنفيذ حد السرقة على السارقين في عام الجماعة المسمى عام الرمادة ، واكتفائه بتعزير السارق بدلا من قطع يديه : « وهذا من عمر ليس تعطيلاً لحد السرقة الشرعي . بل هو اجتهاد حكيم منه في تطبيق شرائط هذه العقوبة ؛ لأن من شرائطها شرعا ألا يكون السارق مضطرا إلى السرقة اضطارا ، فقد اعتبر عمر في ذلك شجة عامة في أنهم كانوا يسرقون عن ضرورة

وحدوث النوازل التي تتطلب معرفة حكم الله فيها ...

« ثم إنهم آمنوا بعد ذلك بأن الأحكام التي قد تؤخذ من النصوص أو التي أخذت منها في زمن ما ، قد تتغير على مر الزمن واختلاف البيئة ، وذلك لتغير عليها التي أدت إليها ، أو لأن المقاصد المرادة منها

أصبحت لا تتحقق إلا بأحكام أخرى لتغير الظروف والأحوال ... وقد حفظ لنا التاريخ الصادق الأمين في مجال التشريع أحكاما عديدة توافقت هذه النصوص في روحها ومقاصدها ، وإن خالفت أحيانا طاهرها أو خصصتها أو قيدتها ... ونرى من المفيد أن نضع بين أيدينا هذا البيان الموجز لما ذكرناه ...

• ذهابهم إلى أحكام لم تكن موجودة من قبل معنيين لما بأنها خير ، أو لأنها توافقت العلل التي تؤخذ من النصوص : وذلك كما في حكم مهات الجسد ، وقتل الجاهل بالواحد ، والحكم بالدية بعد هجر أحد أولياء الدم .

• تغيير بعض الأحكام الثابتة من نص القرآن أو السنة ، وذلك لتغير العلل التي

كانت أدت إليها أو لرواها : ومن ذلك إسقاط عمر سهم المؤلفة قلوبهم ، وتقدير الدية نقدا بدل الإبل ، وإجازة التقاط الإبل العالة.

مصلحة ، وقد قال النبي : ادرموا الحدود بالشبهات ، ، ويروي عن عمر قوله لعبد الرحمن بن عاتق : « أما لولا أني أظنكم تستعملونهم وتجيئونهم ، حتى لو وجدوا ما حرم الله لاكلوه - لقطعتهم ، ولكن والله إذ تركتهم لأغرمك غرامة توجعك » .

عاش المسلمون إذن - منذ جاء الإسلام وظهر جملة الأول - مع نصوص القرآن والسنة في الحياة . . ولم يمتثلوا بأنفسهم ، أو نصوصهم ، عن الحياة .

ومن هنا عاشت النصوص معهم ، وأثمرت هذا التراث العظيم الجليل من الفقه :

فقد عرفوا أن الأحكام التشريعية التي جاء بها الكتاب والسنة لم تشرع عبثا ، بل إنها قد شرعت لعل لا بد من الفحص

هنا ، ومقاصد يقصد إلى تحقيقها ... وقد أدام إلى هذا اليقين ما وجدوه في القرآن نفسه وكذلك في السنة من التصريح أو الإشارة إلى حلة الحكم والتشريع ... وكان من النتائج الطبيعية لهذا أن عمل مؤلفي الفقهاء والأعلام على تعرف هذه العلل والمقاصد ، وكان هذا منهم تبعا للناسبات

(١) دكتور يوسف موسى : محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي ( فقه الصحابة والقبائل ) ، مطبوع الزرقاء : المدخل الفقهى العام - الجزء الأول .

ولقد جعل قهأونا من مصادر قههم :  
مصادر ثابتة هي نصوص القرآن والسنة - وإن  
كان - فهم النصوص لا يمكن أن يكون ثابتا  
نتيجة تحكم عوامل متغيرة في هذا فهم ، كما  
جعلوا من مصادر الفقه الإسلامى مصادر مرنة  
قد تدخل عموما تحت اسم « الاجتهاد » .

وم لم يكتفوا بالبحث عن علة الحكم  
الواردة النص ، وقرر أن الحكم يدور مع  
علة وجوده وعدمه ، بل قهوا أبوابا واسعة  
للإجتهاد الفقهى ، منها النظر للعرف ، ومنها  
تقدير المصلحة ، ومنها الاستحسان .

فإذا ما اهترض سبيل المصلحة المتفقة مع  
مقاصد الشريعة نص شرعى مابع : « فحل  
يعمل عندئذ بالنص دون المصلحة ،  
أو بالمصلحة دون النص !

« فإذا كان النص قطعى في دلالة وثبوته :  
لا يتصور أن تعارضه مصلحة تقتضى خلافه  
لأن معيار المصلحة هو النظر الشرعى .

« وأما إذا كان النص غير قطعى في دلالة  
أو في ثبوته : فالاجتهاد الشافى لا يقبل  
تخصيص النص - ولو كان غير قطعى -  
بالمصلحة ، لكن إذا اهترض سبيل تطبيق  
النص ضرر مارض فعندئذ تحكم قاعدة :  
الضرورات ، واختيار أهون الشرين ، فإن  
الضرورات تبيح المحظورات ... مثال ذلك

« نهاهم إلى النهى عن بعض الأحكام  
الأحكام الثابتة بالكتاب أو السنة ، دفما  
لما يترتب عليها من مفسد خطيرة بعد أن  
تغير الزمن : وفستطيع أن تذكر لهذا من  
باب التثيل رأى هر فى تقسيم الغنائم المقارية  
بالمراق ونحرها ، ورأه فى زواج الكتاتية .  
« استحدثهم أحكاما زاجرة اقتضاها  
الزمن مع ما فيها من ترك ظاهر النص  
أو تخصيصه : ومن هذا حكم هر بامضاء  
الطلاق الثلاث بلفظ واحد ، وحكه فىمن  
تزوج امرأة لا تزال فى عهدها من زوج  
سابق ، والحكم بتضمين الصناع مع أن  
أيديهم أيدى أمانة كما هو معروف .

« وأخيرا نرى من كبار الثابمين من  
يتكون العمل بالنصوص المطلقة أو العامة  
لأنهم رأوا العمل بها بناف المصلحة ، فكان  
أن عملوا بما يحقق هذه المصلحة وإن كان فى  
هذا تقييد للنص أو تخصيصه أو ترك ظاهره :  
ومن ذلك إجلالة التسمير ، ورد شهادة  
القريب لقريبه أو الزوج لزوجته والعكس ،  
وعدم قبول هريرة بن اليرير توبة من قاب بعد  
نقص منه وقطع الطريق <sup>(١)</sup> .

• • •

(١) دكتور يوسف موسى : عاضرات فى تاريخ  
الفقه الإسلامى ( فقه الصمابة والثابمين ) .



لأجل بقاء النظام على أحسن إحكام . ولهذا ترى فقهاء المذهب عالفوا ما نص عليه المجتهد في مواضع كثيرة بناها على ما كان في زمنه لعلمهم بأنه لو كان في زمنهم لقال بما قالوا به . أخذنا من قواعد منجبه .

• • •

ما معنى هذه الأصول الفكرية والسوابق التاريخية الكبرى ؟ ؟

معناه أن علينا واجبا قويا ... أن نصنع فقهاء

نعم ... نصنع فقهاء ، كما صنع أسلافنا فقهاء .

إن القانون هم وصياغة - كما يقول جيني . وأماننا أشواط بعيدة عن العلم ...

• العلم بمبادئ شريعتنا .

• والعلم بواقع مجتمعتنا وعالمنا .

• والعلم بتراث فقهاء .

• والعلم بما وصلت إليه المعرفة القانونية في عصرنا .

ومن تفاعل هذه الأصول ، تأتي الصياغة التي نستعدي فيها بسوابق الفقه الإسلامي ، كما نستأنس بصياغة غيرنا من فقهاء الشرائع والتفتينات الأخرى .

يقول العميد السنهوري في بحثه المشهور بمجلة القضاء المراقية ( العدد الأول من السنة

الثانية - مارس ١٩٣٦ :

ما لو ترس الأعداء المحاربون بجبهة من أسراتنا الذين في أيديهم ، وكان يخشى من ترك الأعداء أن يظهرنا علينا ، فإنه يجوز بل يجب ومهم بالسلاح ، وإن ترتب عليه قتل من ترسوا لهم من جندنا المصومة دماؤهم بالنص القرآني القاطع ( المستصق للقرآني ) ،

ويسير الخطاب الشافعية في ذلك وإن كانوا يعتبرون المصلحة مصدراً قويا ، على أن المالكية والحنفية يرون : أن المصلحة تخصص النص عند التعارض ، والتخصيص

عند الأصوليين هو قصر النص على بعض ما يشمله لفظه على صيل التفسير والبيان لمراد الشارع (١) .

وقد عاش فقهاؤنا دائما مع يثائهم وفي عصورهم . ونحن نجد من الفقهاء المتأخرين مثلا ابن عابدين يقول في ( رسالة نشر العرف ) :

« إن كثيراً من الأحكام يبينها المجتهد على ما كان في زمانه ، فتختلف باختلاف الزمان :

لتغير عرف أهله ، أو لحدوث ضرورة ، أو لفساد أهل الزمان ، بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه لزم منه المشقة والضرر

بالناس ، ولخالف قواعد الشريعة المبني على التخفيف والتيسير ، ودفع الضرر والفساد ،

(١) الزوا : المدخل الفقهي العام - الجزء الأول .

يد الصياغة فأحسن صياغتها لصنعت منها نظريات ومبادئ لا تقل في الرقي والشمول وفي مساهمة التطور عن أخطر النظريات الفقهية التي تتلقاها اليوم عن الفقه الغربي الحديث .

• وإني آتي بأربعة :

• يدرك كل مطلع على فقه الغرب أن من أحدث نظرياته في القرن العشرين : نظرية التصف في استعمال الحق ، ونظرية الظروف الطارئة ، ونظرية تحمل التبعة ، ومسئولية عدم التميز .

ولكل نظرية من هذه النظريات الأربع أساس في الشريعة الإسلامية ، لا يحتاج إلا إلى الصياغة والبناء . . . .

فتمنى رحمه

( لا أريد الاختصار على شهادة الفقهاء المنصفين من علماء الغرب : كالفقيه الألماني كوهلر والأستاذ الإيطالي دلفيشيو والعديد الأمريكي ويجمور - وكثيرين غيرهم من يشهدون بما انطوت عليه الشريعة الإسلامية من مرونة وقابلية للتطور ، ويضعونها إلى جانب القانون الروماني والقانون الانجليزي . وقد أشار الأستاذ لامبير الفقيه الفرنسي المعروف في المؤتمر الدولي لقانون المقارن الذي انعقد في مدينة لاهاى سنة ١٩٣٢ إلى هذا التقدير الكبير للشريعة الإسلامية الذي بدأ يسود بين فقهاء أوروبا وأمريكا في العصر الحاضر .

• ولكني أرجع الشريعة نفسها لأنبت حمة ما أقره ...

• فني هذه الشريعة عناصر لو تولتها

## العرب إخوة

العرب أمة واحدة :

هذه حقيقة مؤكدة ، لا تنقصها دعوى مدع في الشرق ولا في الغرب ؛ فالعربي في مصر أخو العربي في نجد ، وفي صنعاء ، وفي بغداد ، وفي دمشق ، وفي بيروت ، وفي الدار البيضاء من أقصى المغرب ؛ أبونا واحد وإن زعم من زعم أننا آباء ، ووطننا واحد وإن سال الاستعمار بوسائله ، أن يجعله أوطاناً ، وحدتنا في الحياة واحد ، وإن جهل باحث في الشرق أو في الغرب ، وحى أو تدعى من الحقيقة الواضحة .

على أن وحدتنا لو لم تكن وحدة جسد ولا وطن ولا هدف لكانت وحدة آلام . فإن أخوة الشعوب بالآلم لتربطنا قلباً إلى قلب من شاطئ الخليج العربي إلى شاطئ الأطلسي فما يكاد عربي يشكو ألماً حتى يتداعى له سائر العرب من قريب ومن بعيد بالسهر والحى . ( جمال عبد الناصر )

## طبيعة الشعر العربي

للدكتور عبد الله الطيّب

من الوزن والتقفية ، ما كان ليكتفى بهذا التعريف أو يقطع بأنه حد جامع مانع . ولعلك قائل فهذا مجرد تحكم من الذوق العربي أن يعد أوزان الخليل وما إليها هي الأوزان ، ثم يضرب عما عدا ذلك ، وهذا التحكم لا ينبغي أن يقيدنا نحن الآن .

والحق أنه ليس يتحكم . ولكنه مذهب وأسلوب تفرد به ذوق العرب ، وقد استوحوه من يثمتهم وحجية لغتهم . ذلك بأنهم كانوا في أول أمرهم قوما بدوا لا يصنون من الصناعات كبيرة شيء . وكانوا لغتهم هي صناعتهم . فأقبلوا عليها كل الإقبال . واقتنوا في صوغها أشد اقتنان . وجعلوا شعرهم أذوة تفتح عندما قابلت ما يستطيعونه من الملكة والإقتان والإبداع .

وقد بنوا شعرهم حين أحكوه على عناصر ربعة من النغم . أولها الموازنة . وثانها السجع . وثالثها التجنيس . ورابعها الوزن المقفى . والعناصر الثلاثة الأوليات قد سبق الحديث عنها . إذ هي مادة وما قبل الشعر ، حين كان شعرا ، وثانها نشأ إيقاع النثر الذي ذكرناه آنفا واستشهدنا به . كما قد حيزت

إن النثر العربي له مذاهب في الإيقاع أشعار الإفرنج . ودعونا أن الجاحظ واثوحيدي والصاحب وأضرابهم عمدوا إلى أشكال في الصياغة قريبة من أشكال الشعر الإفرنجي . ونحسب أنهم لو وقعوا في لغة إفرنجية عمدوا بصنيعهم هذا من شعرائها على أننا نعلم أنهم لم يوصفوا في اللغة العربية بنص الشعر . ولو على سبيل المجاز . ولم توصف أساليبهم بأنها من قرى الشعر ولو على سبيل التوسع .

ذلك بأن الذوق العربي لم يكن يرى إيقاع النثر داخلا في حيز الوزن والمروض ، مهما يبلغ من دجلىة الإقتان والونين . ولقد نحصر قسبي على هذا أن الذوق العربي قد لا يرى أنه كثيرا من أشعار الإفرنج تدخل في حيز الوزن والمروض على ما يذكره لها تقادما من مصطلحات هذين في تصانيفهم . وآية ذلك أن الذوق العربي قد اكتفى في تعريف الشعر بأن قال :—

« هو الكلام الموزون المقفى » . وعندنا أن هذا التعريف حد جامع مانع . ولو قد كان بعد شيئا من إيقاع النثر وبجمله ذا مشابهة

المعروف . ولقد فهم بعض من يتعرض لدرس الأعادىض العربية ، فيحسب أنها مجرد مقاطع طوال وقصار وليس الأمر كذلك . نعم - قد نقول - فمولى مفاعيلن ، مقطع قصير فقطمان طويلان ثم مقطع قصير ثلاثة طوال . ولكن مثل هذا القول ليس في حقيقته إلا وصفا تقريبيا يجه به في معرض التعليم ، من أجل التيسير والتبسيط - وليس المراد به التحليل والاستقصاء .

وقد جريت في كتابي « المرشد » على هذا المذهب لأنى أردت أن أعين أصحاب الملوك ، ممن لم يهتوا إلى درس العروض في متونه المروقة ، على أن يلبوا بأطرافه في غير ما عناه كبير ، وعلى منهج ربما كان أقرب إلى أذواق أصحاب الملوك . ولقد أخذ على الأستاذ الكبير بلاشير في مقال جيد كتبه في مجلة « أريكا »<sup>(١)</sup> أنى لم أعترف سابقة بعض المستشرقين من أمثال قابل وهارتمان وجابار حين أقبلت على شرح العروض بطريقة المقاطع القصيرة والطويلة ، ومن طريقتهم ، دون الأسباب والاعتاد . والحق أنى قد اعرفت لهم بهذه السابقة اعتراقا محضا إذ قلت في مستهل تهيدى عن بحث الأوزان ( المرشد - ٩ - ٧٤ ) ، ولا أريد أن أعنى القارى بالحديث عن التفصيلات من حيث

بمذاخيرها إلى صناعة الشعر من بعد فصارت من شتمات جرسه وورثته . وقد فصلنا الحديث هنا بعض التفصيل في الجزء الثانى من كتابنا « المرشد » .

والعنصر الرابع هو العاقل بين الشعر و « ما قبل الشعر » وهو الذى يجعلنا نقول عن الأمثال وعن الخطب وعن نثر الجاحظ وعن جمع البديع وعن زخارف القاضى الفاضل أنهم جميعا لسن بشعر . وهو الذى يجعلنا ننظر فى كل ما انتظمه الوزن الخليل والقافية الخيلية فنقول إنه داخل فى مدلول شكل الشعر وإن كان صى أن يخرج بعضه من هذا المدلول حين يمرض على مقاييس الجودة والتأثير ، كأراجيز الفقه والعلوم مثلا وكرموز الشاطبية ولامية الأفعال .

وحقيقة هذا العنصر - أى عنصر الوزن الملقى - أنه نسب موسيقية محضة ، تؤلف مما ، ليكون منها قالب موسيقى محض . ومن هنا كانت طبيعة إيقاعه تختلف عن طبيعة الإيقاع الذى فى سائر أصناف « ما قبل الشعر » والإيقاع فى هذه الأصناف يدور على جرس اللمط ، وألوان المخارج ، وموازنات العبارات ولكن الإيقاع فى القالب الموسيقى الذى ينشأ عن الوزن الملقى ، يدور على تناسب ضربات ، لها أبعاد زمانية ، أشبه شىء بالضربات التى تصعب التأليف الموسيقى

(١) أريكا ، العدد ١٩٥٩ - ص ٧٠ .

والعلل ، خشية ألا يخفى أمرها عنه  
كل الحفاء .

ولقد حرصت في كتابي والمرشد ، أن أستدرك  
هذا النقص بإلجاع بين المنهين من طريق  
المزاوجة بين الأجزاء الثمانية ( قولون -  
مفاعيلن - مفاعلاتن - فاعلاتن - مفاعلاتن -  
مستغملن - فاعلن - مفعولاتن ) ورموزها  
المقطعية . وقد جربت هذه الطريقة في التلميم  
فوجدتها مجدية تقول مثلاً : —

هذا الجزء هو مفاعيلن التي تقع في الطويل  
أو مفاعلاتن التي تقع في الوافر حين بدخلها  
الزحاف وفي المزج وفي مجزوء الوافر الذي  
هو ضرب من المزج حين بدخله الزحاف .  
ففي وجدت هذا الجزء في أول البيت فهو  
إما مزج وإما وافر ، إلخ . ومن وجدته  
هكذا ( ٧ - ٧٧ - ) فهو وافر ليس غير .  
وأساليب المعلمين بعد ، ثقبان ، وليس هنا  
موضع البسط والتفصيل . هذا وهنا أمر  
في غاية الأهمية في النظام الخليلي ينبغي التنبه  
عليه ، وهو أنه يبرز جانب الموسيقى المصنعة  
في أوزان الشعر . وهذا مرادنا من قولنا  
إن مذهب المقاطع مقصر عن حقيقة إدراك  
النسب الزمانية .

ولقد نبه الأستاذ بلاشير في مقاله القيم  
إلى هذا التقصير من طرف خفي ، ودعا

ذخاقتها وعلها . فهذا أمر قد فرغ محدثون  
وقدماؤم - من درسه - ومرادى أن أحاول  
بقدر المستطاع تبين أنواع الشعر التي تناسب  
البحر المختلفة . ولقد فطن الأستاذ بلاشير  
إلى مرادى أيما فطنة . فأعجب مع هذا كيف  
قامه الذي قامه من احتباس . وما أردت إلا  
ما قدمت ، فهذا مذا .

وإني . بعد ، أكرر ما قلته في « المرشد »  
من أن أعيب على قدماء العروضيين ما أسرفوا  
من المصطلحات ، وما جنحوا إليه من فساد  
القصة في بعض الدوائر . وأوثر على مذهبهم  
في التلميم ما أخذ به المستشرقون من استعمال  
علامات المقاطع القصار والطوال فهي  
في جملتها أسير مثالا من حفظ التفصيلات  
وأجزائها وأسماء عطلها وذخاقتها . حل أني  
لا أقبل في هذا الموضع من تنبيه القارئ  
إلى ما أراه من عجز هذا المذهب عن أحكام  
تقطيع الآيات في العروض . إذ أكثر  
جهده منصب على تحليل التفصيلات من حيث  
كها المقطعي . والبيت العربي يحتاج المهر  
في تقطيعه إلى معرفة موضع الضرب والعروض  
ونصف الضرب ونصف العروض وكسورا  
من ذلك أيضا . فمن هنا لا يكاد دارس  
العروض يستغنى عن الاستماعة بالنظام الخليلي ،  
وأن ينظر في كثير من أصناف الزحاف



حيث حلوا الأمازيض حلامطلقا على طريقة المقطاع الغوية التي إن صلحت مطلق الصلاحية في توضيح الأوزان الإفرنجية ، فإنها لا تصلح إلا على وجه تقريبي في توضيح الأوزان العربية . خذ مثلا قول دريد ابن الصمة :-

يا ليتني فيها جذع  
أحب فيها وأضع  
أفرد وطفاء الزمع  
كأنها شاة صدع

طريقة التقطيع الحديثة تترك أن البيت الأول (١) : يا ليتني فيها جذع ، مكون من هذه المقاطع : -

/ - ٧ - - / - ٧ - -

وأن البيت الثاني مكون من هذه المقاطع : -

/ - ٧ - / - ٧ - ٧

وكما ترى فإن د كم ، المقاطع في البيتين مختلف ويكون الشاعر على هذا قد تجرد في تصنيفه . وطريقة التقطيع القديمة بذلك على أن الشاعر زاحف في البيت الثاني زحافا محتملا . وهي في هذا أدق وصالح حقيقة تصنيفه من الطريقة الأولى . ألا أنها كأنها ترى في ما صنعه نوعا من شذوذ .

والحق أن الشاعر لم يشذ ولم يخطئ في نسبة الزمانية حيث يقال إنه زاحف . وكأنما

(١) غطر سطور الزجور عند الروميين .

في دائرة ، نوم أصلا دائريا ينبع منه ذلك البحر نفسه اليه وبني أنظمة الزحاف والمثل على ما اقتضاه هذا النوم .

وأحسب أن التحليل ومن اتبعوه قد أنوا من حيث أنهم كانوا نحاة . وقد جرت التحليل عادة النحور إلى أن يسلك بالعروض مذهباً نحوياً . وقد كان رجلاً عظيم الذكاء دقيق المدخل إلى المثل في أبواب النحر . ذكر سيبويه مثلاً أنه كان يمتنع من حذف الأصل من أمثال سفرجل ، ويرى أن نحر على سفرجل لتكون بمنزلة دننير كما ترى مع أنه ليس بسفرجل في كلام العرب (١) فهذا بينه هو الاتجاه الذي اتبعه في العروض إذ الفعل أوزاناً في ضوء اللوح العربي ، ثم نفى وجودها .

ولقد اضطر التحليل ، في حله العروض على طريقة النحر ، إلى أن يستكثر من الاصطلاحات التي قدمنا لك ما نراه من عيبها . وإنما اضطره إلى هذه الاصطلاحات ما تعود من اتباع القواعد الشواذ في منهج النحر . والمثل والزحاف كلها تنزل منزلة الشواذ من قواعد البحور المثالية وغير المثالية . ولعمري ما أثرها من شواذ .

وكما أخطأ التحليل حيث حمل العروض على نتائج النحر ، أخطأ أكثر المحدثين

(١) الكتاب ٢/ ١٠٦ .

وصف تقريبي وليس بحد كامل ؛ لأن  
مستعملين هذه في الإمكان تصورهما متفعلن  
أو مفتعلن ، — وذلك بأن يصب الشاعر  
مقطعا قصيرا ( كما يقول الغويون ) في قالب  
الضربة الأولى لتامة قصير الوزن هكذا : —

م ت ف ح ن  
ت ت ت ت ت

فيكون الشاعر كأنه استعمر سكتة بعد  
م ، هذه من غير محاولة من لتقصير الضربة .  
ونفك هنا — من قبيل الاستطراد — إلى موضع  
( ح ن ) في بياننا . وهي ما يسميه العروضيون  
وتدا بمحوا . . وعندى أنهم قد داموا  
بذكر الوزن المصنوع ( ح ن ) والمفروق ( تفع )  
نوعا من البيان النغمي ، ومن هنا أرم أدق  
من الذين اكتفوا بالبيان المنطقي وحده .  
إذ ( ح ن ) و ( تفع ) فيما معان نغمية أكثر  
من مجرد قولنا ( ٧ - ) أو ( ٧ - ) . وقس  
على ذين قولهم « قاصلة كبرى ، وقاصلة صغرى ،  
وما أرى القوم إلا قد هجروا عن الكتابة  
الموسيقية فالتفوا الأسماء لنغم ومع الذي  
قدمته من تأثرهم بنظام النحر .

( البقية في العدد القادم )

دكتور عبد الله الطيب

يؤمن بذلك . ذلك بأن كل عروض إنما هو  
شكل موسيقي تام ذو أبعاد زمانية ثابتة النسبة  
بعضها إلى بعض ، وليس بمجرد مقاطع طوال  
وقصار تدل على كم كلامي . وهذه الأبعاد  
الزمانية بحركة القوالب من المقاطع المعطية  
طوالها وقصارها ، ودرج حين قال : —

بالتنى فيها جذع  
أحب فيها وأضع

إنما أراد ودنا مداره على ثلاثة أبعاد  
زمانية متساوية ثالثها مقسوم إلى بصدق  
متلاحقين وهو وزن الرجز .  
وصورة جزئه الحقيقية هكذا : —

ت ت ت ت ت

الرفان الأولى والثانية لكل واحدة منهما  
حين ذنى منفرد . والثالثة والرابعة في حين  
ذنى واحد معا مساو لكل واحد من الحيزين  
قبله . وقصارى الشاعر في محاكاة هذه الأبعاد  
ومحاولة إبرازها إلى الآن الموسيقية أن يجعل  
لكل واحد من البعدين الأولين مقطعا  
منفردا . وما أخرى أن يكون طويلا والبعدين  
الثالثين مقطعين معا ، وما أخرى أن يكون  
أولها قصيرا ليكون أدل على التلاحق .

وقد حاكى الخليل هذا الوجه المحتمل  
في طريقة الشعراء فقلل لجزء الرجز بقوله :  
« مستعملين » ولكن هذا التمثيل كما نرى



# النسخ في تقدير علماء الأصول

للاستاذ عباس طه

قسمين : نسخ الكتاب ، ونسخ السنة ،  
والأول وهو نسخ الكتاب أى نسخ آية  
من القرآن ينقسم إلى نسخ حكم ونسخ تلاوة ،  
وإنما صدق التعريف على القسمين أى نسخ  
الحكم ونسخ التلاوة ؛ لأن كلا منهما فيه نسخ  
الحكم ، وذلك أن معنى نسخ التلاوة نسخ  
حكم التلاوة ، أى أن هذه الآية كانت لتلاوتها  
أحكام تلاوة القرآن ككونها يثاب على  
تلاوتها ، ويصح الصلاة بها ، ولا يجوز  
للجنب أن يتلوها ولا للحدث أن يمسه  
وهي مكتوبة ، فنسخت هذه الأحكام .

وأما نسخ الحكم المدلول لما كثر به المتوفى  
عنها حولا ، وكالوصية للوالدين والأقربين  
وأمثال ذلك ، فالنسخ هو للأحكام على كل  
حال ، وإنما سمي أحدهما نسخ حكم والآخر  
نسخ تلاوة لتفرقة بين القسمين .

ثم النسخ جائز عقلا وثابت شرعاً ،  
أما جوازه عقلا فلأن الله تعالى هو الأمر  
الناهي باختياره ، وليس في العقل ما يمنع  
من أن يأمر بشيء في وقت وينهى عنه  
في وقت ، سواء أ قلنا إنه يفعل باختياره  
بدون قيد بحكمة أو علة ، أو قلنا لا يصدر  
عنه فعل إلا لحكمة وقائدة ، فلي الأول

النسخ هو دفع استمرار حكم شرعي بخطاب  
شرعي متراخي ، أو هو الخطاب الشرعي الدال  
على دفع استمرار حكم شرعي سابق . والفرض  
من قولنا بخطاب شرعي الاحتراز عن قطع  
استمرار الحكم الشرعي بالموت ، أو الجنون  
أو نحوهما . وكله متراخ للاحتراز عن دفع  
الحكم بغاية متصلة بالخطاب المثبت له . نحو  
قوله تعالى : « ثم أتموا الصيام إلى الليل » .  
فإن كلفة إلى الليل غاية وليست نسخاً لاتصالها  
بالخطاب المثبت للحكم الذي انتهى بالغاية .

وقولنا ( بخطاب شرعي ) في التعريف  
الأول ، أو ( الخطاب الشرعي ) في التعريف  
الثاني : المراد منه الوحي الإلهي الذي يوحى  
الله إلى نبيه عليه السلام فيبلغه النبي إلى قومه  
بأى وجه من وجوه الإبلاغ ، سواء أ كان  
قولاً أو فعلاً أم تحريراً ، وسواء أ كان  
القول مسوقاً للإيجاز مع بيان الحكم أم لم يكن  
كذلك ، وذلك لأن جميع ما يصدر عن  
الرسول في مقام التشريع إنما هو عن الوحي  
الإلهي ، لا فرق في ذلك بين التشريع الابتدائي  
والتشريع النسخ لحكم سابق .

ومن هذا يعلم أن النسخ جميعه موجه  
للأحكام ، ومع ذلك فإن النسخ ينقسم إلى

قوله تعالى : «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج» . نسخت الآية السابقة عليها في التلاوة وهي متأخرة عنها في النزول ، وهي قوله تعالى : «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً» . وذلك أن ترتيب التلاوة عشر ترتيب النزول ، وليس المقام الآن في بيان ذلك ، بل هو معروف شائع وتلص حكته في فن التفسير ، كقوله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » الآية ، تدل على وجوب ثبات الواحد للعشرة ، نسخت بقوله تعالى بعدها : «الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين» الآية ، فإنها تدل على وجوب صبر الواحد للثنتين دون ما زاد عليهما . ومن النسخ نسخ التوجه لبيت المقدس في الصلاة بالتوجه للكعبة ، ونسخ وجوب صوم عاشوراء بوجوب صوم رمضان ، ونسخ حكم الوصية للوالدين والأقربين بآية المواريث ، أو بقوله صلى الله عليه وسلم : (لا وصية لوارث) على الخلاف بين الفقهاء في ذلك .

ومن هنا يجيء سؤال هل ينسخ كل من الحديث والآية بالحديث أو بالآية ؟ أى هل ينسخ الحديث بالحديث والآية ، وتنسخ الآية والآية بالحديث والآية ؟ أما نسخ الحديث بالحديث والآية بالآية فلم يخالف فيه

الأمر ظاهر ، فإنه متى كان اختياره كافياً في الفعل أو في الخطاب ، فيجوز أن تتعلق إرادته بالأمر بالشئ في وقت وانتهى عنه في وقت آخر ولو لم يكن لذلك سبب ، كما مره بالصوم في اليوم الأخير من رمضان ونهيه عنه في اليوم الأول من شوال ، وعلى الثاني وهو أنه لا يصدر فعل أو تكليف إلا للحكمة وثمرة ، لا مانع أن يكون في الفعل مصلحة في وقت ومفسدة في وقت آخر فيؤمر به في الوقت الأول وينهى عنه في الثاني ، ومثل ذلك المريض يكون تناول الدواء مفيداً له حين مرضه فيأمره الطبيب بتناوله ، ويكون مضراً له بعد سلامته فينهاه الطبيب عنه حينئذ ، أو كالغذاء الجيد لا تتحمله معدة المريض الضعيف فينهى عنه ، فإذا شفى من مرضه وسلت معدته واحتاج إلى ما يعيد قوته حتم عليه الطبيب تناول ما كان يمنعه منه . واعتبر ذلك في تربية الطفل يعطى من الغذاء الخفيف ما يناسبه حتى إذا شب زيد له من متين "غذاء" بخمدار ، ومنع من رضاع أمه ، إذا كان ذلك لا يناسبه بعد كبره . ولا شك أن الأم حريصة لأدواء شتى في التربية فيصح أن يناسبها في وقت ما لا يناسبها في وقت آخر . وفي القرآن الكريم ما يدل على جوازده وهو قوله تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » .

وأما نبوة شرعاً فلا دلة كثيرة - منها

إما بالتبليغ على ما هو رأى بعضهم في معنى التبيين ، وإما بتخصيص العام وتقييد المطلق وبيان المحمل وما أشبه ذلك ، وعلى كل حال لم يقل أحد بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحى . يوحى لأحكام غير ما ورد في القرآن . وأما نسخ الآية بالحديث فلهن من جوزه ومنهم من منعه ، والمجوزون أكثرهم على أنه لم يقع وإن جاز عقلا ، لأن كلا من الناسخ والمنسوخ من عند الله على ما سبق ، ويقولون فيما ترم فيه أن فيه نسخ الآية بالحديث : إن الناسخ آية لا حديث . فن ذلك آية الوصية للوالدين والأقربين ، كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين : ترم فيها أنها نسخت بحديث « لا وصية لوارث » فيقولون : إن الناسخ في الحقيقة آية الموارث ، فقد بينت لكل ذى حق حقه ، فلم يرجع أمر التقسيم والإعطاء إلى الوصى كما دلت عليه آية الوصية المنسوخة ، ويكون حديث « لا وصية لوارث » لبيان نسخ آية الوصية بها ، ولذلك روى أنه عليه الصلاة والسلام قال بعد نزول آية الموارث .

ومن فلك آية الجلاء : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » : ترم فيها إنما نسخت بالسنة ، وهو فعله صلى الله عليه وسلم ، وأمره برجم ما عز إذ ثبت عليه الزنى وهو محصن ، فيقولون

أحد من مثيق النسخ ، ما لم يؤد إلى نسخ حديث متواتر بحديث آحاد ، فإن الناسخ لا يكون أقل قوة من المنسوخ ، وأما نسخ الحديث بالآية أو الآية بالحديث فقد اختلف فيه ، فالمجوزون يقولون : كل من عند الله ، وهو الحاكم والمكلف ، والنبي مبلغ ، سواء بقول من نظمه هو أو بالنظم القرآنى الكريم ، « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » . فكل من الحديث والآية معناه موسى به من الله ، والفرق إنما هو في اللفظ المؤدى به ، فإذا كان اللفظ المؤدى به من قبل النبي صلى الله عليه وسلم فهو الحديث وإذا كان نظمه ولفظه بما أوحى به مع مراعاة الإنجاز فهو القرآن ، ويكون متعبداً بتلاوته حينئذ . والنسخ على كل حال الحكم من الأحكام ، سواء أكان الحكم المدلول عليه بالنص السابق ، أم كان الحكم المتعلق بلفظه على ما سبق في التقسيم .

والمؤمنون لنسخ الحديث بالآية استندوا إلى قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » فقلنا أن السنة البيان لحسب ، وليس لم فيه حجة ، فقد أجمع المسلمون على أن من الأحكام ما تبين أصله بالسنة ، فليست السنة قاصرة على البيان وليس في الآية دليل على انحصار أماله صلى الله عليه وسلم في البيان ، وغاية ما يدل عليه أنه يكون منه بيان ما نزل إليهم ،

بالقرآن ثم نسخ النسخ ، وغاية الأمر أن  
النسخ في الأول نسخ الحكم المدلول للآية مع  
بقاء تلاوتها ، والثاني نسخ الحكم مع بقاء  
التلاوة ، ونسخ التلاوة مع بقاء الحكم .

وملخص هذا الرأي أن نسخ الآية  
بالحديث جائز عقلاً ، ولكن لم يثبت قطعاً ،  
ولو ثبت ما لزوم منه محال ، بشرط أن يكون  
بالحديث متواتراً . والقائلون بوقوعه  
يستدلون بهذا الذي ذكرناه .

أما المانعون الذين يقولون بعدم جواز  
نسخ الآية بالحديث ، فإنهم يستدلون بقوله  
تعالى : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت  
بغير منها أو مثلاً » ، فإنها تدل على أن الذي  
ينسخ الآية آية مثلاً أو غير منها .

ويقول الأولون : لا دلالة فيه على أن  
المآتي به هو النسخ ، بل كل ما يدل عليه  
هو أنه إذا حصل نسخ لحكم آية أو تلاوتها  
أتى الله بآية أو حكم مثلاً أو غير منها  
في الثواب الأخرى أو في نفع العباد  
وغيرهم ، ولا يلزم أن يكون المآتي به هو  
النسخ ، بل يؤتى بحكم أو بآية عند الفسخ .  
والفرق بين المعنيين واضح . وسنشرح  
التخيرية عند بيان حكمة نسخ التلاوة أو  
الحكم ، وإنما ننبه هنا على أن مرجع التخيرية  
ثواب المد أو نفعه ، لا أن إحدى الآيتين  
خير من الأخرى في ذلك ؟

( وللبحث بقية إن شاء الله )

في دفعه : إن هذا تخصيص للعام لا نسخ ،  
لأن نسخ هو رفع الحكم كلية ، والتخصيص  
لإبقائه مع قصره على بعض أفرادها ، فهو من  
البيان المدلول عليه في قوله تعالى : « لتبين  
للناس ما نزل إليهم » ، ومن الفقهاء من  
يقول : إن التخصيص نسخ ، فإنه رفع الحكم  
هما كان يقتضيه قبل التخصيص ، وهؤلاء  
يقولون إن النسخ هنا بآية نزلت ثم نسخت  
تلاوتها وبقي حكمها ، وهي ( الشيخ والشيخة  
إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله ) ،  
فقد روى عن عمر رضي الله عنه أنه خطب  
الناس فقال : خشيت أن يطول بالناس  
زمان فيقول قائل : لا نجد الرجم في كتاب  
الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله عز وجل  
الاولى الرجم حتى على من زنى وقد  
أحسن ، ، وروى أبو داود عنه أنه  
رضي الله عنه خطب وقال : « إن الله بعث  
محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه  
كتاباً فكان فيها أنزل عليه آية الرجم . وهي  
الآية السابقة - قرأنها ووعيناها ، ، ثم  
قال : ( لولا أن يقال إن عمر زاد في الكتاب  
لكتبها على حاشية المصحف ) ، ومعنى ذلك  
أنها بعد نسخ تلاوتها لم تعد من الكتاب  
الكريم ، وقد سمع الحاضرون الخطبة ولم  
يشكر عليه أحد ، فاعتبر إجماعاً سكونياً ،  
وهو كاف في صحة روايتها وأنها كانت قرآناً  
ونسخت ، فيكون ذلك من نسخ القرآن

# مايقال عن الأسيلا

## بطولة صلاح الدين

للاستاذ عباس محمود العقاد

في القرون الماضية ولاسيما القرن الثامن عشر وما يليه ، فأثرت بها على الشعراء والمؤرخين والمثليين والمصورين من جميع الطبقات ، ولكن نسبة الإغناء عليهم تزداد في السنوات الأخيرة ، وبخاصة في السنوات التي أعقبت ظهور حزب العمال ، وكان منهم ثلاثة من حملة الأقلام المعروفين في الشرق هم : توينبي المؤرخ ، وسميرت موام القصاص ، وجب المسنق ، وكلهم من طبقة غير الطبقة التي تسمى عندم طبقة الأعيان ، أو النبلاء .

ولا محل للمقارنة بين مسووم وجب في الموضوعات التي يكتبان فيها ؛ لأن موضوع أحدهما الفضة وموضوع الآخر الاستنراق ، ولكن المقارنة بين توينبي وجب بما يستدعيه النظر في كتابة كل منهما عن التاريخ الشرق والإسلامي على الخصوص فإن توينبي يحسن عرض الحوادث ويقصر غاية التقصير في فهم الشخصيات ، ولاسيما شخصيات البطولة والعظمة ، ومن قصوره عن ذلك أنه ظن أن أباسفيان وقومه بني أمية غلبوا التي عليه

الأستاذ هاملتون جيب ، مسنق معروف في البلاد العربية ، يكتب في الأدب والتاريخ وفي الشؤون الاجتماعية المتعلقة بها ويقسم بين زملائه المسنقين بسمة الأثران وتقدير التبعة ، واجتناب المساس بالشعور فيما يبحث من المسائل التي تختلف فيها الآراء وتمتزع بالعقائد الدينية ، وقد عرف في بلاده وفي البلاد العربية باسمه الثاني أو لقبه المشهور « جب » قبل الإغناء عليه برتبة الفروسية أو الرتبة التي تؤول صاحبها لقب من ألقاب النبلاء ، وهو لقب السيد أو « السيد » باللغة الانجليزية . فأصبح يذكر - بعد لقب - باسمه الأول مع اسم أبيه على حسب التقاليد العربية عندم في تسمية أصحاب الرتب والألقاب ، فهو يذكر الآن باسم هاملتون جيب ، ويكاد الذين يقرءون هذا الاسم في الشرق أن يشكل عليهم الأمر في حسبه كاتباً آخر غير الكاتب المعروف بينهم منذ سنين . وقد كان الإنعام بالألقاب على الأدباء والفنانين معهوداً في البلاد الانجليزية

والأبطال ، ولكنه يجعل هذا الإعجاب حكما بأسباب ولا يتركه حكما «غيايبا» بغير أسباب وبغير مبالاة بإحضار «البطل» في مقام الوزن والتقدير ، أو مقام التمييز بين بطل وبطل وبين نوع من العظمة وسائر أنواعها التي ينسب إليها العظماء ، على اختلاف الميادين والأعمال . بل ينبغي للتاريخ أن يقسم البطولة إلى أنواع وأقسام ، فليس كل بطل مخلوقا على مثال أقرانه من الأبطال ، وليس كل بطل قرنا لسلك عظيم موصوف بصفات البطولة ... بل ليس كل عظيم ممدودا من الأبطال ؛ لأن العظمة قد تمرزها خاصة البطولة في العظم ؛ وهي خاصة الإيمان بالمثل الأعلى والفداء ومغالبة النفس في هوى من أهوائها الغلابة المظاعة ، وأهمها وأشبعها هوى الشهوات والذات وهوى «الآثانية» في حدودها المحصورة التي لا تتعدى صاحبها في مطالبه وأمانيه . وبما أريد فسرهُ للأستاذ هاملتون جب بعد الإفاضة عليه كلام له عن البطل الإسلامي الكبير صلاح الدين الأيوبي بطل الحروب الصليبية الذي كثرت المقارنة بينه وبين أبطال هذه الحروب من قادة الأمم الغربية .

فلا شك عند المستشرق الحكيم في بطولة صلاح الدين ولا في عظمة هذه البطولة ، ولا في استحسانه للشهرة التي ذاعت عنه وحوله بين أبناء الغرب والشرق على السواء ، ولكنها بطولة تقوم على تمحيص الأعمال والغايات

السلام في ميدان السياسة واستخلصوا الملك من بيت بني هاشم ومن آل النبي جميعين ... ولم يفهم الموقف برمتة منذ قلم بالأمير الخليفة الصديق والفاروق ، ومنذ نهى النبي عليه السلام عن العصية وعن وراثة الأنبياء ، ولا يستطيع أحد يفهم طبائع العظمة أن يضع عمداً عليه السلام في ميزان المقدرة العقلية والنفسية ويضع أمامه أيا سفيان أو أبنائه ثم يحكم لهؤلاء بالرجوع في طبيعة من هذه الطبائع على أي اعتبار ، ولكن تقدير «الشخصيات» والحوادث معا يستوفى حقه في كتابة «جب» ، فلا يغفل عن الفوارق بين دلائل العظمة والبطولة في قادة التاريخ الإسلامي ولا يفوته أن يرجع بهذه الفوارق إلى أسبابها الواقعية ، التي تختبر أحيانا طرقا من الأسباب «النفسانية» كما كشفت عنها دراسات علم النفس الحديث . والبطولة - كما لا يخفى - تهول عقول الناس فيجسمونها كلها في نوع واحد من الإعجاب والتعظيم ، ومقتضى الإعجاب والتعظيم عند أكثر الناس أن يكون البطل في الذروة من كل خلق إنساني عظيم محبوب ، فهو مثل في الشجاعة ومثل في الكرم ومثل في الفداء ومثل في البلاغة ومثل في كل ما يمتاز به النجدة الممتازون ... ألما الناقد التاريخي فينبغي أن يكون له ميزان أصح وأعدل من هذا الميزان ، فلا يلغى التاريخ إعجابنا بالبطولة

وتختلف أوقاتهم التي يستمدون فيها للشاركة في كل ميدان وكل هجمة أو مدافعة تأتي على استعداد أو على حين غرة - كل أولئك فن من فنون التعبئة العسكرية لا يقدر عليه كل قائد ولا يقدم عليه كل فارس ، ولو كان أعلم بالفروسية من صلاح الدين .

وقد جاء في ابن الأثير أن ضابطاً من الموصل رأى صلاح الدين وهو يسان على ركوب فرسه فقال ما معناه : انظر إلى السواقب يا من يعينه على ركوب فرسه أمير من آل سلجوق ومن سلاله الأتراك ذنكي ١١ .

ولكن هذا الفارس الذي كان بين قواده من هو أخبر منه بفنون الفروسية لم يكن في زمانه كله من هو أقدر منه على جمع القوى وتأليف الشهاب واختيار الزمان والموقع الذي يصلح للهجوم أو يصلح للدفاع .

ولقد كان صلاح الدين حقيقاً ذكياً عليماً بطبائع الناس ، ولكنه لا يوصف بالمسكر والعاه ولا يحسب من دهاة الساسة المعدودين في تاريخ الإسلام ، وكان وقاؤه بالوحد مضرب المثال في معسكر الفرنجة ومعسكر الإسلام ، ولكنه لو لم يكن حسن الظن بالناس لما تورط في بعض وعوده التي اصطوره الرقاع إلى المحافظة عليها ؛ لأنه كان يأبى التندر ويتنظر من غيره مثل هذا الإباء ، فيصدق ظنه في حين ونحيب ظنونه في أحيان ، ولكنه كان يملك القدرة على تدارك الخطأ

ولا تقوم على الشهرة العامة والصفات الجملة ، أو هي بطولة من نوع مقدور بأسبابه حتى بين البطولات العسكرية التي هي وحدها مجال متسع لأنواع من البطولات المختلفة ، كبطولة القيادة وبطولة التعبئة وبطولة الحركة السريعة وبطولة الهجوم أو بطولة الدفاع .

وصلاح الدين كان بطلاً متصراً في أكثر مواقفه وميادينه ، ولكن بطولته في القدرة على التعبئة أكبر وأبرز من بطولته في فن القيادة وتوجيه الجيوش في إبان المعركة ، فإنه في هذا المجال لم يكن مستجماً ثقة العسكريين المحترفين من حوله ، ولم تكن عضالهم إياه بالامر السادر في بعض الظروف المحرجة وإن تبين فيما بعد أنهم غطتوني وأنه كان على صواب .

والتعبئة الروحية كانت في مقدمة فنون التعبئة التي أقتها بطل الحروب الصليبية ، فإن هذه التعبئة الروحية كانت أكرم لهم من سائر فنون التعبئة العسكرية في جمع القوى وإتساع الفكرة وكبح عوامل الآخرة بين أتباعه ومنافسيه ، ولكن التعبئة العسكرية لم تكن في بابها أمراً يسيراً يستطيعه كل من تصدى له من المجاهدين الصوريين ، لأن تسيير جيش من أمم الشرق الأوسط بين العرب والأكراد والترك والرايا والمواليين للعباسيين وموالاتهم المواليين للفاطميين ، وتكوين هذا الجيش من أجناد مختلف براعهم إلى الاشتراك في الحرب الصليبية

بقوته العسكرية وثروته المالية وعلاقاته بأرباب القوة والثراء في الولايات الأخرى .  
وآية البطولة في صلاح الدين أنه غلب نفسه كثيراً كما غلب أعداءه من الفرنجة والمسلمين ، وأنه حكم نفسه كثيراً قبل أن يحكم وعياله من المطيعين له أو المتمردين عليه .

وقد كانت هذه النظرة الواقعية إلى كنه العظمة التي اتصف بها هذا البطل العظيم وليدة الاطلاع الواسع على مصادر أعماله ومصادر تاريخ عصره ومصادر الأقوال التي نسبت إلى المتصلين به من حاملوه في ميادين سياسته وحروبه ، ومن بين هؤلاء من يخالفونه في الدين ومن هم على دينه وعلى مذهبه السني ولكنهم يتعصبون لأسماء الموصل الخنفين عليه ، أو على مذهب الشيعة ولكنهم يحضونه الثناء لأن غيرتهم الإسلامية غلبت على كرامتهم الرجل الذي قضى على دولة الفاطميين .

ونرى من مراجعة الطرائق التاريخية التي يقبها المستشرقون أن طريقة دجيب ، في تمييز أنواع البطولة ، بين من كتب عنهم من قادة المسلمين هي المثل المختار لمن ينصف البطولة حيث كانت ويبني لإنصافه على الأسباب والأعمال ، وعلى وجوه التمييز بين دواهي الإعجاب والتعظيم ، ويمينه على ذلك اطلاع واسع وقدرة على العلم بما يأخذ به وما يدهه عما يطلع عليه .

عباس محمود العقاد

بعد وقوفه ، لفرط إيمانه بحق القضية التي تصدى لها ووقف جهوده عليها .  
ومن عادة الناس أن ينظروا إلى أكبر أعمال البطل وأولها على القدرة والكفاية فيحسبوا أنها هي المقصد الذي تحموا من جميع أعماله وهي الغاية الأولى والأخيرة من جميع جهوده وتدبيراته . ولا خلاف على أن العمل الأكبر الذي تصدى له صلاح الدين وأفلح في إنجازه هو صد الجيوش الصليبية والتغلب على أمراء الصليبيين وقادتهم في ميادين الحرب والسياسة ، ولكنه من الخطأ أن يقال إنه هو العمل الذي توعدا وأنصرف إليه بتدبيره وسعيه من بداية حياته ، فإنما كان شاغله الأكبر قبل كل شاغل هناك أن يدعم الدولة الإسلامية المتصدعة ويقتلع جذور الفساد والشقاق من دواوينها ومعاهد إدارتها ، وقد كان صلاح الدين (الإداري) المدبر هو صلاح الدين الحق في رأى نفسه ورأى المتعقبين لمساعيه ودواهي أعماله ، ويزداد حفي الإكبار والإعجاب كلما لوحظ من مساعيه المتتابعة أن أفراس الطموح ومطامع النفس لم تسيطر عليه ولم تصرفه عن غايته الشامة من تدعيم الدولة العباسية وتغليب أسباب الألفة بين أجزائها على أسباب التفرقة والانقسام ، وهو على علومته واعتداده بكفايته لم يطمع في كل ما كان يستطيعه من السلطان ولا في كل ما كان ميسوراً له



# الكتاب

نقد وتعريف بقلم : الأستاذ محمد عبد الله السرمه

١ - ماله بمجوده القموف فيه بين الملحقين :  
و تفورم من التصب قرأى .

الفضية التي تارها فضيلة الشيخ عبد الجليل  
عيسى تعتبر من الخطوة بمكان ، فهي تمس  
كيان الفقه الإسلامى فى اتجاهاته ، ومكانة  
الفقهاء المقلدين وحنيف الأق من المنهدين  
فقد بلغت فوضى الخلاف فى المسائل الفقهية  
وفى كتب المتأخرين بوجه خاص حدا لا يطاق  
ويكفى مثالا لهذا ، اختلاف العلماء فى صيغ  
ما لا يحتمل الخلاف ، فصيغة الأذان أو  
الإقامة بما تكرر ألوف المرات فى عصر  
النبوّة والخلفاء الراشدين ، وأمام جماهير  
المسلمين ، ويرى فضيلة المؤلف أن مثل هذا  
يمثل خطرا على سلامة نقل التشريع عن  
الرسول - صلوات الله عليه .

إن الخلاف فى المسائل الفرعية أمر لا حيب  
فيه ، إذا كانت وجهات النظر غير متناقضة  
وإذا تجرد الخلاف نفسه عن رزايا التصب  
والهوى ، وما دام الخلاف نفسه يستجلى  
مرونة التشريع وسماحته ، أما إذا أدى

الأستاذ الشيخ عبد الجليل عيسى  
نشرت هذا الكتاب الجديد دار القلم  
بالقاهرة لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى  
شيخ كليق أصول الدين واللغة العربية  
بالأزهر الشريف سابقا .

الكتاب يقع فى حوالى مائة وستين صفحة  
من القطع المتوسط ، تناول فضيلة المؤلف  
فيه الخلاف بين المعقول وغير المعقول ،  
وما يسوغ فيه الخلاف بشرط عدم التصب  
وما لا يسوغ فيه الخلاف ، وأخطر أنواع  
الخلاف ، وبعض الخلافات التي تستلقت  
النظر ثم بيان بعض أسباب هذه الخلافات  
وآثارها السيئة مشيراً إلى كلام الإمام محمد  
عبده فى المنار ، والإمام الغزالي فى الإحياء  
والحافظ بن حجر فى شرحه للأحاديث ، وشيخ  
الإسلام بن تيمية فى بحوثه ورسائله وفتاويه  
ثم عرض فضيلته نبذا جاءت متفرقة

وتقويم الخلق والتربية الدينية وحرمة النفس ،  
والارتقاء الروحي ، ثم قوة العلم وتعرض  
الدعوة إلى العلم ووسائله وشق ألوانه الدينية ،  
ثم قوة الاقتصاد ، وتناقش قيمة المال والملكية  
كوظيفة اجتماعية وعلاقة المالك بالمال ،  
والاهتمام بالطبقات الفقيرة ، ثم قوة التماسك  
الاجتماعي ، وتناقش الحرية بأنواعها ، والعدالة  
والعمل والروابط الأدبية والحكم ، والفصل  
الأخير قوة الجهاد ، ويناقش قضية السلام ،  
والمهود والمواثيق والقتال .

هذه دراسة مستفيضة على جانب من الأهمية ،  
استعرض فيها قضية المؤلف العناصر التي  
تتألف منها القوة الحقيقية التي تصل بالامة  
إلى غاياتها ، وهي عناصر تناوشت الحياة  
جميعا ، وهي - كما يرى - ليست مثل القوة  
التي اصطلاح الناس عليها ، فهي قوة في العقيدة ،  
وقوة في الخلق ، وقوة في العلم ، وقوة في المال  
وقوة في التماسك الاجتماعي ، وقوة في التنظيم  
السلي وقوة في الاستعداد الحربي ، وقد كانت  
هذه القوى العاقل الأساس في نجاح الامة  
الإسلامية في أول أدوار حياتها التاريخية  
وما زالت كذلك حتى غمرت ما بنفسها ،  
وأخلفت ما طاعت الله عليه فقير الله ما بها ،  
وكان العامل في هذا التغيير - في نظر المصلحين  
هو التنازع على الحكم والسيادة ، والتعصب  
للجنس والنسب ، والاختلاف في أصول الدين

الخلاف إلى تناقض الآراء . فأصبح بعضها  
يحمل ما يحرمه البعض الآخر ، فهنا يمثل  
الخطر الأكبر .

وقضية المؤلف في هذه الدراسة المركزة  
يصور أسباب الخلاف وآثاره التي أوهنت  
روابط الامة الإسلامية ظاهرا وباطنا ، وأبرز  
أن الفقه الإسلامي إزاء هذه الفوضى يمر  
بمحنة وأية محنة هذه المحنة التي صاغها الجود  
والتمسك وضيق الأفق ، وقد استطاع أن  
يفحص الداء وله من الأسانيد ما يؤيده  
ولكننا كنا ننتظر أن يبنى فضيلته بإيجاد  
حل سريع وعلاج حاسم لهذه المشكلة ،  
وأن يضع الخطط التي تنقذ سمعة الفقه  
الإسلامي من المهازل التي تسربت إليه من  
طريق المتأخرين من الفقهاء .

• • •

## ٢ - عناصر القوة في الإسلام :

للأستاذ الشيخ سيد سابق

هذا الكتاب نشرته مكتبة وهبة بمباين  
للأستاذ الشيخ سيد سابق مدير الثقافة بوزارة  
الأوقاف ، ويقع في حوال مائتين وأربعين  
صفحة من القطع الكبير .

أما الفصول التي تناولها الكتاب فهي قوة  
العقيدة وتعتمد على الإيمان بالله والحق ،  
ثم قوة الخلق وتناقش الضعف الإنساني

## ٣- مع الضمير الإنساني :

للاستاذ خالد محمد خالد

« مع الضمير الإنساني في مسيره وعصره »  
كتاب جديد للأستاذ الأديب خالد محمد خالد ،  
قامت بنشره مكتبة الإنجليو بهاد الدين بالقاهرة .  
يذكر المؤلف في مقدمة كتابه : أن كتابه  
يمثل رؤية تاريخية لموكب الضمير الإنساني  
في رحلته الجلية منذ بدأ مسيره حتى يومنا  
هذا ، رؤية تسمى إلى استجلاء الخصائص  
التي يغود الضمير بها قافلة الإنسان صوب  
كألفا المقدور ، كما تحاول استشراف  
المستقبل الواعد لبني الإنسان من خلال  
التجربة الحية للضمير .

وهو يعني هنا بالضمير الإنساني ، تلك  
البصيرة التي أفاها الله على الجنس البشري  
في مجموع أفرادهِ وعقباتهِ ورؤاه ، يعني  
إرادة التفوق التي تغود بالحاحاتها النبيلة  
وحدها القويم جميع العائلة البشرية لتعاقب  
مسير الخير العظيم .

إن هذه الدراسة تعتمد على أربعة أسس :  
الضمير في عصر الرؤيا حيث نراه يستشراف  
في حذق كل دحم مكونة بين البشرية  
والكون والعالم ، وفي عصر النبوة حيث  
نرى الضمير في صحة الأنبياء يزكي الكثير  
من رؤاه السالفة ، ويمنحه من تورا الله  
ما يشد رصده ويثبت خطاه ، وفي عصر

وفروعه وإرجاف المرجفين ودساتير  
المستعمرين ، والابتعاد عن روح الإسلام  
والتعلق بالهكل دون الجوهر .

إن فضيلة الشيخ سيد سابق قدم دراسة طيبة  
في كتابه ، ولكن من حق القارئ أن يتساءل :  
لم أراد فضيلته دراسة عن القوة التي لم يتعارف  
الناس عليها ، وهي القوة التي تمثل فيها  
مشكلة اليوم ، فالقوة الروحية والأخلاقية  
من شأنها أن توجه القوة المادية ، والإسلام  
عنى بالقوتين معا ، وتولى تنظيمهما .

وفضيلة المؤلف - في قوة العلم - لم يمتنع  
إلا بالعلوم الدينية وحدها : من تشريع  
وتوحيد وتفسير وحديث وفقه وسيرة  
وتصوف ، بينما الإسلام يمتز بالعلوم الدينية  
والدينية على السواء ، وعلماء السلف من  
المسلمين قدموا للانسانية من المعارف مازالت  
تتمز به في ميادين الفلك والعلب والمهندسة  
والرياضة ، وما إلى ذلك مما حمل أوربا على  
الاعتراف بفضلتهم .

كنت أود بعد ذلك أن تكون الأحاديث  
النبوية التي ساقها فضيلة الشيخ سيد سابق  
مخرجة ، وإن كان لم يورد إلا الصحيح . حتى  
تكون لهذه الدراسة القيمة التقدير الجدير  
بها لدى المثقفين الإسلاميين .

#### ٤ - العقيدة وخطر الانحراف :

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى  
ظهر هذا البحث في العدد الأخير من سلسلة  
الثقافة الإسلامية بالقاهرة ، وهو بحث على  
جانب من التركيز مع خطوة الموضوع ،  
تناول الدكتور فيه أولا : العقيدة وأثرها  
في بناء الأمم ، ويعني بالعقيدة المعتقد النفسى  
الذى تطلعن إليه النفس ، ويعمل به القلب ،  
سواء كان عقيدة دينية مصدرها الوحي ،  
أم عقيدة سياسية أو اجتماعية ، وإذا كانت  
المعتقدات التى تبين على النفوس ضرورا متعددة ،  
فإن أعلاها - بلا ريب - العقيدة الدينية  
في الله الواحد الأحد .

يرى الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ  
القشريعة بكلية حقوق القاهرة أن للانحراف  
عن العقيدة درجات أدناها أن يعتمد المؤمن  
على حوله وقوته في بعض ما يريد القيام به  
من أمر متاسيا أنه ليس شيئا بدون حول  
الله وقوته ، وأما أعلا درجات الانحراف  
عن العقيدة فهو أن يسوء ظن المؤمن بالله ،  
ومن ثم يصل به الحال إلى النفاق .

وبعد أن عرض سيادة الدكتور العقيدة  
الصحيحة ومقاييسها ، والجانب الخطير  
في الانحراف عنها : الإيجاف منه والسلب ،  
عرض لمظاهر هذا الانحراف عن الإسلام  
وعقائده ، في بعض التشريعات والقوانين

المغل حيث نجد الملم بكل قوانينه ،  
والإنسانيات بكل جيشانها وبعثاتها ، يحملان  
المشعل ليقيا به كفة الضمير ، ثم في عصر  
غاندى والذرة - وهو يرمز إلى عصرنا  
الحاضر - حيث يمثل فيه نهاية مسير الضمير  
وبداية عصره ، فيسقيين البشرية طريقتها  
الأرواح ، ويستكمل وحدته ورشده .

للقارىء أن يسأل : ماذا يقصد الأستاذ  
عالمه ، أريد أن يجعل الضمير الإنسانى يمر  
بمراحل أربع ، وأن عصر النبوة هو المرحلة  
الثانية ، التى تلاها مرحلتان في عصر العقل  
وعصر الذرة ، وبلغ رشده - فقط - في  
العصر الأخير ؟

لأن عصر النبوة الذى انتهى بمحمد لم يبلغ  
فيه الضمير الإنسانى نهاية نموه ، وبذلك لم  
تلب النبوات حاجة البشرية كاملة . أدرجو  
ألا يكون هدف هذا البحث كذلك ،  
فإن الضمير الإنسانى لتستكمل نموه برسالة  
الإسلام حاتمة الرسالات ، ثم عاد أدراجه إلى  
الانحطاط بعد ذلك ، وفي عصرنا الحاضر -  
عصر غاندى والذرة ، استوى الضمير  
الإنسانى اليوم على الحضيض ، وما الشقاء  
الذى تعانيه الإنسانية والبشرية فى عالمنا من  
جلاء الحروب المدمرة إلا دليلا على أن الضمير  
الإنسانى فى منزل هن الحياة يشقى جوانبها .

ليتفرغ إلى الملاسة له بالموضوع أحيانا ويمنح به الإسهاب أحيانا أخرى إلى قليل من التكرار، ومع ذلك فهو عالم جليل جرىء لم يقصر به هذه من الدخول في معارك حامية الرطيس مع الزنادقة من الفلاسفة والمخرفين من الصوفية .

#### ٦ - حياة رسول الله :

للأستاذ محمود شلبي

أصدرت هذا الكتاب مكتبة القاهرة بالأزهر في أكثر من مائتين وتسعين صفحة من القطع الكبير ، والمؤلف يذكر في مقدمة كتابه هذا أنه يعتمد اعتمادا كلياً على سيرة ابن هشام ، ويعملها مرجعه الأول ، متممدا المحافظة على ألفاظها وإيرادها بنصها ، لأن بلاغتها منقطعة النظير ، أما مجهود المؤلف فإنه سيحضر في حذف الإشعار من سيرة ابن هشام ، وإيراد ما لا جمدوى منه ، وما يختلف فيه ، وما لا يتفق مع روح العصر . إن الأستاذ محمود شلبي يستعرض أولا فترة ما قبل البعثة ، ثم فترة البعثة ، ثم الهجرة ، ثم فترة ما بعد الهجرة وهي مثلة في غزوات الرسول ، ثم فتح مكة وحجة الوداع ، ثم خاتمة حياة الرسول حيث لحق بالرفيق لأهل . والكتاب ميزة من الجود أن تنكرها ، فقد قدم لنا حياة رسول الله في كتاب موجز سهل القراءة والاستيعاب معا .

محمد عبد الله السامح

التي يحكم بها المسلمون اليوم ، فالإسلام كل لا يتجزأ ، ونظام متكامل ، فلا يصح أن يؤمن المسلمون ببعض ويكفرون ببعض .

#### ٥ - الوضوح بالقدرة :

لشيخ الإسلام ابن تيمية

الناشر مكتبة أنصار السنة المحمدية ببغدادين ، وابن تيمية في بحثه هذا ، يعرض ويناقش الحديث الذي في الصحيحين عن أبي هريرة : احتج آدم وموسى فقال موسى : يا آدم أنت أبو البشر الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأحمد لك ملائكته ، فلماذا أخرجتنا ونقصك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي كلمك الله تمكليا ، وكتب لك التوراة ، فيكم تجد فيها مكتوبا ، وعصى آدم وبه ففوى ، قبل أن أخلق ؟ قال : بأربعين سنة ، قال : فحج آدم موسى .

ويعرض ابن تيمية الآراء المختلفة تجاه الحديث ، ومنها ما أنكره ، ومنها ما أوله تأويلا فاسدا ومنها ما جعله عمدة في سقوط الملام عن المخالفين لأوامر الله ورسوله .

ويجول ابن تيمية جولة واسعة مع القدرة والمرجئة والمعتزلة بشئ فرقا ، ويناقش حقيقة المحبة والفناء في الله ، ويصب جام غضبه - كما دامت - على الفلاسفة والصوفية ..

إن الملاحظ على شيخ الإسلام ابن تيمية الإسهاب في الموضوع الذي يناقشه ، حتى

# انبثاء وآراء

على مبارك لم يكن غائبا :

يقول الأستاذ محمد عبد الله السبان في مقدم كتابنا « على مبارك » حياته ودعوته وآثاره التي نشر في العدد الماضي من مجلة الأزهر ، - ومضان - يقول الأستاذ السبان إن دفاعنا عن على مبارك وموقفه من الثورة المراحية ، لم يسجبه ، ... ولا أريد أن أناقش هذا القياس الذاتي في النقد : مقياس الإيجاب الذاتي والرضى أو عدم الرضى في تقييم العمل الأدبي والتاريخي . بل أريد أن أعود لتبصرة عظيم من أكبر عظماء وطننا العربي في القرن التاسع عشر من تهمة الخيانة والتسكّر لوطنه . فلم يكن على مبارك ضالعا مع « الثورة » المراحية منذ مقدماتها الأولى الأولى حتى يقال إنه غائبا ، بل كان نصيراً ومؤازراً وأميناً لها عند ما كانت « حركة » . فلما بدأت تأخذ طريق المنطف والثورة ظل على ولائه ، لمبادئها ، في الإصلاح ، مع نصحه لها ؛ لأنه كان يعرف قدرتها ويعرف أوضاع العالم يوم ذاك ويزن هذه وتلك بميزان العقل لا بميزان العاطفة . كان هذا رأيه ، ورأى الشيخ محمد عبده أيضا ، وبق

على ولائه لهذا الرأي لم يتحول عنه قبل الثورة ولا بعدها ولا في أثنائها وكان في بعض هذه المواقف أكثر شجاعة من بعض الذين اشتركوا في « ثورتها » ، وكان في كل المواقف يكسب ثقة عرابي والمرايين حتى إنهم اختاروه سفيراً لهم عند توفيق لإبان استحكام الألفة بينه وبينهم وسافر فعلا مندوباً عنهم حيث اجتمع بتوفيق في الإسكندرية ، كما دعوهم لمؤتمر المشهور في وزارة الداخلية بالقاهرة .

ولا أريد أن أعود لما فصلناه في كتابنا : « على مبارك والثورة المراحية » . فقد بينا فيه - عابدين منصفين - موقفه منها وشهادة المعاصرين له ، ومنهم عرابي - ونفضنا غباراً ثقيلاً مظلماً أحاط به عبد الله النديم - لأسباب اعتقد أنها نفسية عاطفية - بل أريد أن أبجل هنا شهادة لم نستطع تسجيلها في الكتاب ؛ لأننا لم نكن وصلنا إليها ، وهي شهادة من عدو لصر ورجالها ، شهادة انجليزى استعماري ليس مطلوباً منه ، مثلنا ، أن يدافع عن رجالنا ويظهر شرفهم ويعلم برادتهم من تهمة الزيف الوطني . بل

أو الاتهام الذي ألقاه الأستاذ السان اليوم على مبارك وهو يناقش كتابنا وألقاه من قبل أستاذ في جامعة الاسكندرية على الشيخ محمد عبده وسعد زقزلول وغيرهما ، لا أريد أن أقول إن هذا الاتهام بالخيانة والزيف الوطني ونحوها مما يلحق على عطاء تاريخنا زيدا واعتقادا من قائلها بأن في ذلك مسaire وإرضاء ؛ لأنني أعتقد أنه من الآسور الواضحة أن الثورة الواقعة من نفسها المؤتمنة بروسخ القيم الوطنية لدى شعبها ، هذه الثورة لا يرضيها ولا يهجها ، ولا يسرها إلقاء تهمة الزيف الوطني والخيانة على من يستطيع المؤرخ المتصف أن يبرئهم منها بمحقق ثابتة مقننة ، ذلك خير لضميرنا العلمي وكسرامتنا رجائنا وطهارة تاريخنا من إتهام الأبرياء أو إلقاء التهم معلقة على رؤسهم ونحن نستطيع أن نبرئهم منها بالحق ، بل ذلك ليس خيرا لنا فقط ، بل هو واجبا .

وهذه النقطة بالذات آثارها من كتابنا من قبل قارى من جامعة القاهرة في جريدة الأخبار وناقشه فيها الأستاذ الكبير عباس العقاد ، فكان مما قاله فيها ما يلي :

أما موقف على مبارك من الثورة العربية خلاصة القول فيه أن الرجل كان ثائرا يدعو إلى الإصلاح وتنظيم الحكم النيابي ولكنه لم يكن « هرايبا » في خطته وفي طريقة تنفيذه

لعل هو أن يحسبهم على عكس ذلك . هذه الشهادة كتبها « سير ولوكوكس » المهندس الكبير الذي تحدث عن على مبارك في كتابه : « أربعون سنة في خدمة مصر » فقال إنه هذا المصري العظيم كان ، لفته الاحتلال ولفته ، يمنع تلقيب المهندسين الانجليز ، والسير ولوكوكس واحد منهم ، بالقب العسكري الانجليزي الذي كان يطلق عليهم ، ولم يمرض عليه مسئول مصري غير على مبارك ، وزير الأشغال يومئذ ، كما أنه ، كما ذكر السير ولوكوكس ، كان يحد من سلطة المهندسين الانجليز ويعترض على المسالية ولا يميزها إلا إذا كانت بأمر منه . وليس هذا وذاك بالأمر اليسير والاحتلال البريطاني يوم ذاك في سطوته وحنفواته ، وليست هذه صفة الخائن المتواطئ المشكوك في ولائه لوطنه .

وشهادة أخرى هي شهادة الواقع الذي لا ينكر ولا تمجد دلالة : فقد أغضب على مبارك الخديويين ، أكثر من مرة ، وبقى متعطلا عن العمل سنوات طويلة بسبب ذلك ، وتولى لكفانيته وإخلاصه ، أعظم الأعمال وأهم الوزارات في مصر ثم مات فقيرا .

• • •

لا أريد أن أقول إن مثل هذا الكلام

هذا الخبر: هو إن مؤتمريوان الكنائس في أنحاء أندونيسيا المنعقد في مدينة سورابايا بهادوة الشرقية اتخذ قرارا في جلسته السرية في حزيران برنامج عشرة سنوات المكون من عشرة فصول أهمها جعل جزيرة جاوة بأكملها نصرانية في مدة ٢٠ عاما ، وتحريك كل أنحاء أندونيسيا إلى نصرانية في بحر ٥٠ عاما على أن يكون هناك وزير ديني خاص للنصارى .

هذا القرار السري الفاضح يدل دلالة صريحة على أن النصرانية رغم الخلاف التاريخي للنائب بين البروتستانت والكاثوليك قد اتحدت وتكتلت للمهاضة الإسلام في عقر داره ، وفوت تحطيم القوى الإسلامية متأكدة من أن الحكومة القائمة لن تعارض أية فكرة دينية معادية طالما الجمهورية الأندونيسية تحصى نشاط التبشير وتمنعي المساعدات الكفيلة باتعاش حركة التنصير كما أنها تتيح دخول الأجانب من دعاة النصرانية دون قيد ولا شرط متمشية في ذلك مع مبادئ بانجا-يلا التي أم مبدأ فيها الإيمان بالله أي الإيمان بوجود إله - حتى يدخل في ذلك الهندوكية الموجودة حالياً في جزيرة بالي .

إذا لجأنا إلى واقع الأمر نجد أن المسلمين لم يجدوا حوثاً إلا من وزارة الشؤون الدينية لمدارسهم المتعددة المنازع بينا النصارى

رأيه . وقد فصل من وظيفته وحاق به الغضب غير مرة لا تتفاده نظام الحكم الهندي في كتبه وفي أحاديثه ... ولم يكن على مبارك ، على التحقيق من أتباع القصر المحايين لسياسته ولا من أتباع هراي المتقادين له في جميع خططه ، ولكنه - على ما يظهر - لم يكن مؤيداً لمسلك هراي في المرحلة الأخيرة بعد حوادث الإسكندرية (١) .

عمود الشرقاوي

### التبشير في أندونيسيا

صبيحة مسلم فيبور

إن حياة الإسلام في أندونيسيا تحتاج إلى هناية ، وهناك خبر هام بهم المسلمين في أنحاء المعمورة قاطبة لأنه خبر يقرر مصير الإسلام في تلك البلاد الإسلامية التي كانت في مقدمة الاضطار الإسلامية نعباً للإسلام وكانت الحركة الاستقلالية قائمة على أكتاف العلماء ورجال الدين وأبناء الإسلام ، ولم يكن المسلمون موالين للاستعمار ولكن الأسف يلا قلوبنا حينما نجد أنفسنا في أيام الاستقلال أقل شأنًا ، وأضعف حالاً من ذي قبل ، قد شتتت شملنا السياسة النفعية ، والأغراض الشخصية ، والاختلافات المنهجية ، وتنازع البقاء في تقرير العز لمن يتولى أزمة الأمور ومناصب الحكم .

(١) يوميات الأستاذ القاد - جريدة الأخبار في ٨ أغسطس ١٩٦٢ .



ولا ريب أنها تمتشى قسما بمساعدات الدول الخارجية بالمال والرجال .

والإثر لاندونيسيا يرى أن الكنائس قد انتشرت أكثر مما كانت في أيام الاستعمار وقد أنشئت الكنائس في المناطق التي كانت محرمة ولا سيما في المناطق التي كان فيها سلاطين مسلمون ، هؤلاء الذين كانوا يهيمون بالإسلام بقواهم الفكرية والمادية وبسلطتهم القانونية والتنفيذية .

والأسف الشديد نجد المدارس النصرانية عامرة بآبناء الإسلام والاعتقاد السائد أن تلك المدارس أكثر اهتماما بالتربية وبالنظافة والنظام .

هذه الأمور نجد بها الآن في أندونيسيا الإسلامية وقد لعبت النصرانية فيها دورا هاما وأخذت طريقها في النمو المطرد بما يخاف أن تتحقق معه الأمنية التي تسعى النصرانية إلى تحقيقها بكل ما لديها من قوة .

هذا وأرجو منكم نشر مضمون هذه الكلمة دون ذكر كاتبها ولكم مني مزيد الشكر .  
د مسلم أندونيسي ،

استولوا على جميع غلفات الاستعمار من مدارس نصرانية استعمارية ومن كنائس استعمارية ومن ملاهي وغيرها وهي أحسن الأمكنة وأجملها ثم يأخذون مساعدات من وزارة الشؤون الدينية تتساوى في مبلغها مع ما يتقاضاه المسلمون رغم كثرة عديم بجانب ما يأخذون من مساعدات خارجية من دول أجنبية .

والجدير بالذكر أن النصارى يرحسون صفوفهم في تنمية الفكر وفي قوة الناحية المادية حتى جمعوا أموالا واشتروا أراضى واسعة في مناطق عديدة لإعدادها في بناء مدارس وكنائس وملاهي ومؤسسات وقد استطاعوا جمع أموال طائلة بطرق لولبية عدة مثل طبع كتب صحفية واجتماعية داخلها التبشير ثم يبعها في البيوت والمدارس وغيرها دون أن يشعر المرء بدعاية نصرانية فيتأثر بها الأبناء الصغار .

والمدارس النصرانية أكثر المدارس إمكانية من ناحية العلم والمادة ، ومن ناحية الاستعداد الروحي والمادي ومن ناحية الجمال والمال ومن ناحية التفكير والتدبير ،

### تصويب في هذا العدد

في صفحة ٩٧١ العمود الثاني السطر ٢٠ جاءت الآية الكريمة بحرفة وصحتها : « فإن لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله ... » إلخ الآية الكريمة .

# فِي ضَائِرِ الْجَنَّةِ الْفَتَوَى

أبراهيم محمد الأحصيل

يشرف عليه :

عليه أداؤهما ودام ذلك أكثر من خمس صلوات سقطت عنه الصلاة لمجره ، ولو كان عقله سليما على ظاهر الرواية وحل الفتوى . ولذا لا يلزمه الإبقاء بالفدية لسقوط الصلاة عنه والله أحق بقبول العفو عنه .

وأما إذا كان قادرا على الصلاة ولو بالإيماء ، ولكنه لم يفعل حتى مات فإنه يجب عليه الإبقاء بالفدية ، فيخرج عنه وليه وهو من له ولاية التصرف في ماله بوراثة أو وصاية ، من تلك تركته عن كل صلاة حتى الوتر نصف صاع من بر أو دقيق ، أو صاعا من شعير أو تمر أو فحة ذلك . وهي أتعق وأفضل ( ولصاع قحطان وثلاث كيل ( المصري ) فإن لم يوص جاز أن يتبرع عنه وليه بها .

وإذا صل عنه لا يسقط الفرض ؛ لأن الصلاة عبادة بدنية محضة لا تقبل النيابة . نعم يجوز أن يصلي ويحصل ثواب صلاة الميت فريضة في حسنات الميت ، ولكن ذلك شيء آخر غير سقوط الفريضة عن الميت .

المذكور قبل دخول الوقت :

السؤال :

هل يصح الأذان قبل دخول وقت الصلاة بخمس دقائق ؟

مرسى محمد علي

الجواب :

الأذان قبل دخول وقت الصلاة لا يصح طال الزمن أم قصر ؛ لأن الأذان شرح للإعلام بدخول الوقت الشرعي فلا يكون قبله .

سقوط الصورة :

السؤال :

ما هو إسقاط الصلاة المعروف وحل هو شرعي أم لا ؟ ومتى يجب وكيفيته ؟

الدكتور أحمد أحمد موسى

الجواب :

يجب على المسلم أن يؤدي الصلاة ولو من قعود إذا كان مريضا أو بالإيماء برأيه ، ولا يجوز له إخراج الفدية عن صلاته وهو حي فإن تعذر

## حكم ترك الصورة كسر :

السؤال :

رجل تارك الصلاة كلاً وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤدى الزكاة وسبق له الحج وينصدق كثيراً فما حكم هذه الأحوال ؟  
عبد العظيم إبراهيم محمد

الجواب :

ترك الصلاة كلاً مع الإيمان بفرضيتها يستوجب عقاب تارك الصلاة . وما يفعل بعد ذلك من أنواع الطاعات الأخرى مثل الحج وأداء الزكاة والتصدق في سبيل الله كل هذا يثاب عليه .

## هل يصلى المرء ولو غفقت أمه ؟

السؤال :

شاب في السابعة عشر من عمره فقاً بين أب مسلم وأم مسيحية يترقب بالإسلام ويؤدى فرائضه ما عدا الصلاة لأن أمه تنصب وتقول ذلك وتقول له : ( إنك مسيحي تهاون ) ويريد أن يعرف حكم الإسلام في الجهر بالصلاة لو غفقت أمه ؟

على عبد الملك

الجواب :

هذا الشاب مسلم بما لا يه المسلم ولا يضره إن كانت أمه مسيحية فإن الولد يتبع خيره

الأبوين ديناً ، وعليه أن يتسك بدينه ويؤدى جميع فرائضه ويتعمد عن جميع ما نهى الله عنه ، وعليه أن يؤدى الصلاة لأنها عماد الدين وإذا أمكن أن يؤديها بعبادتها عن أمه في مسجد أو غيره حتى لا تشو ولا تقاذى كان ذلك أولى ، حرصاً على حسن صحبتها والأمور بها في قوله تعالى : « وصاحبها في الدنيا معروفاً » وإذا لم يمكنه أداء الصلاة إلا حيث تراه أو تعلم به فعليه أداء الصلاة ولو تأذت بذلك مما يقوله تعالى : « وإن جاهدك حل أن تترك في ما ليس لك به علم فلا تطعهما » ويقوله صلى الله عليه وسلم : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ولا يضره دعاؤها عليه « وما دعا الكافرين إلا في ضلال » ، أما الجنة نعم أقدام الأمهات ، فلك فيما يرضى الله تعالى دون ما ينصبه ويخالف أوامره .

## زكاة المال الذي دفع كعربونه :

السؤال :

اتفقت مع جماعة أن أشتري منهم أرضاً بمبلغ ٥٥٠ جنيه ودفعت عربوناً من القيمة قدره ٣٠٠ جنيه في سنة ١٩٥٦ ومنذ ذلك التاريخ لم يفصل في دعوى كانت على الأرض المذكورة بين الشركاء مما حال دون تسليمها إلي وقبض باقي الثمن حتى أول سنة ١٩٦٢ حيث استعدوا لتسليمها إلي وقبض باقي الثمن

ما يبلغ نصاباً ومضى عليه الحول بعد قبضه ،  
وكذا إذا قبض دون النصاب وكان عنده ما يكلل  
النصاب ومضى عليه الحول .

### زكاة أدوات العمل :

#### السؤال :

أمتلك مصنع نسيج أرضه ومبانيه  
وماكيناته الموجودة به كما أمتلك محلاً تجارياً  
فما هي الزكاة المفروضة على كل نوع من هذه  
الأنواع ، وهل الديون التي على هذه الأشياء  
تدخل في قيمة رأس المال أو تقدر الزكاة  
بعد استبعاد قيمة الديون من رأس المال ؟  
محمد حافظ بشير

#### الجواب :

المصنع أرضه ومبانيه وماكينات النسيج  
الموجودة به لا تدخل في تقويم عروض  
التجارة لأنها معدة للتجارة لا للتبادل بالبيع  
والشراء ، وعلى ذلك فلا زكاة فيها ، وإنما الذي  
يقوم هو العروض بالمحل التجاري وكذا  
الغزل الذي يذبح فإن بلغ بمجموع ذلك نصاباً  
وجب فيه الزكاة بمقدار ربع العشر من القيمة  
وأما الديون المشفوعة بها فذلك فالحال منها  
في عام الزكاة لا يدخل في قيمة العروض  
بل تعدو القيمة وتستبعد منها هذه الديون  
فإن بقي بعد ذلك نصاب وجب فيه الزكاة  
بمقدار ربع عشر الجميع كما تقدم .

إلا أن ظروفى لم تسمح لي بدفع هذا الباقي  
وطلب منهم فسخ البيع فوافقوا ولكنهم  
لم يمدوا إلى المرون .

فهل المبلغ الذي دفعته عربونا وهو الـ ٢٠٠  
جنيه يجب عليه الزكاة منذ تاريخ دفعه ،  
أم من تاريخ عدول من استلام الأرض ؟  
أم أنه لا زكاة عليه أصلاً ؟

رشدى جميل

#### الجواب :

المرون الذي دفع لثراء قطعة الأرض  
ثم عدل عن الشراء بالإقالة من هذا البيع  
لا زكاة فيه عليك من المدة التي سبقت الإقالة ،  
لأنه لم يكن مملوكاً لك حينئذ . أما من المدة  
التي بعد الإقالة فيعتبر ديناً في ذمة البائعين ،  
وعليه فجب زكاته إذا قبض ومضى عليه الحول  
بعد القبض .

### زكاة العرين :

#### السؤال :

أنعمت ببلدنا من المال في تميم الوقف  
على سبيل القرض لجهة الوقف فهل يجب فيه  
الزكاة متى يجب ؟

رشدى جميل

#### الجواب :

دين القرض يجب زكاه إذا قبض منه

### نقل الزكاة :

#### السؤال :

هل يصح للزكى أن ينقل الزكاة أو أكثرها من محل إقامته إلى بلد بعيد له فيه أقارب .  
عبد الباقى إبراهيم السيد

#### الجواب :

نقل الزكاة أو أكثرها إلى أقارب المزكى في بلد بعيد عن موضع الزكاة جائز شرعا إذا لم تكن حاجة فقراء بلد الزكاة أشد من حاجة من يراد النقل إليهم .

زكاة ريع الممتلكات هل تقضى عنها المواتر ؟

#### السؤال :

هل المبالغ المدفوعة للحكومة بصفة عوائد أملاك تجزئ عن زكاة ريع الأملاك ؟  
عبد الرحمن المصطفى عبد الرحمن  
كلاب - السودان

#### الجواب :

عوائد العقارات السكنية لا يبنى دفعها عن زكاة الناتج من ريعها بل يزكى إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول وتوافرت فيه شرائط وجوب الزكاة .

هل تلزم الزكاة عن فروق متجمدة :

#### السؤال :

تسلت مبلغا خاصا بفروق متجمدة عن

سنوات ماضية وهى قيمة الفرق بين مربوط الدرجتين فهل تلزمى الزكاة عن هذا المبلغ ؟  
محمود إبراهيم حسين

#### الجواب :

لا تجب الزكاة في هذا المبلغ المحكوم به للسائل أخذاً بمذهب الإمام محمد بن الحسن من أصحاب الإمام أبي حنيفة رضى الله عنهما ، وهو مذهب لبعض الأئمة الفقهاء .

ضمان الشيء المختلف خطأ :

#### السؤال :

أمتلك جاموسة تساوى من الثمن ١٠٠ جنيه وبينما هى تحتاز الطريق العام - وهو متسع بمقدار ٣٠ مترا ومرصوف - صدمتها سيارة تسببت فى ذبحها لأنها كسرت وأصبحت غير صالحة وييمت لها بمبلغ ٢٢ جنيها وبجسم الناس والمرفق بيننا حضر صاحب السيارة بنفسه ودفع لى مبلغ ٥٠ جنيها لشراء غيرها بدلها .  
فهل مبلغ الخمسون جنيها المدفوعة منه حلال أم حرام ؟

محمد أحمد مجلان

#### الجواب :

القاعدة الشرعية أن من ألتف شيئا يملكه غيره فعليه ضمانه والمبالغ الذى دفعه المتسبب لك لا يخرج من كونه ضمانا لما ألتفه ثم صلحا بينكما فيعمل لك شرعا أخذه .

# بَيْنَ الصَّخْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوره

إله الله معنا

هذه هي الكلمة التي ألقاها النبي صلى الله عليه وسلم في أذن صديقه أبي بكر رضي الله عنه ليضئ بها قلبه ، ويبدد بها المواجس التي هجمت عليه ، وهو يرى الخطر يحدق بهما ، ويكاد يطبق عليهما ، فقال : يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى قدميه لرآنا تحت قدميه . لقد كانا في الغار ، وكان حول الغار - وفيها وراء الغار - قوى الكفر المتألب المتحارب ، قسى لفتك بهما ، واقتضاء عليهما ، وهما أحزنان لا يمكنان غير الإيمان ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم مظاهر الحزن تفتى وجه أبي بكر ، وسمعه يبدى بلسانه ما كان يشعر به في قرارة وجدانه ، فقال ما يحكيه القرآن منه ، ولا يحزن إن الله معنا .

وبهذه الكلمة المؤمنة المطمئنة صور صلى الله عليه وسلم قلبه الكبير أدق تصوير ، وهو كما كان يشعر به من ثقة وإيمان أعظم تعبير ، وكان ذلك هو التفسير لقول الله بعد ذلك ، « فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

لم تكن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

من مكة إلى المدينة استجابة لشعور بضيق أو خوف ، فقد رأى الدنيا كلها تتحداه . وتألب عليه ، حتى أوشك همه أن يتنخل عنه ورأى - عليه السلام - في كلامه إليه ما كان يشعر به من قلق وأرق وإشفاق عليه وعلى أهله ، فقال لفقوته المشهورة : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » .

ولم تكن هجرته عليه السلام ضيقا بأرض تحمل فيها من ألوان البلاء والناء ما تنوء بحمله الجبال ، فقد وقف قبل أن ينادوها بعد بصره إلى الكعبة ، ويودع مكة بهذه الكلمات الطيبات ، « والله إنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت » ، بل إنه صلى الله عليه وسلم لم يكده يعضى في المدينة حاماً وبعض عام حتى شعر بالحنين يشده إليها ، وينوازج الشوق وحب الحنن تثير قطلمه إلى وحى يرضى شعوره ، ويرجى ضميره ، ويوجهه إلى « أول بيت وضع للناس » فكان إذا فرغ من الصلاة ، رفع بصره إلى السماء ، وقلبه في جوانبها ، وتشتوف إلى وحى يرضيه ويهديه ، حتى نزل قوله تعالى :

« وإنما كانت الحكمة كبرى فصرها كل الأحداث التي وقعت بعدها ، فكل ما أحرزه الإسلام من قوة وازدهار وانتشار بعد الهجرة هو التفسير الكبير للحكمة والحجة التي تستفاد من الهجرة ، وكل ما يقال من الأسباب المحققة لا يخرج عن معنى قول الله : « وإذا يحكم بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

فقد كان الكافرون يمحرون به وبالدين الذي بعث به ، فأفسد الله عليهم مكرهم ، وغلب تقديره تقديرهم ، فلم يصلوا إلى رسوله بشر ، ولم يطفثوا نوره ، وقد أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، بل كانوا كما يقول الله فيهم : « يريدون أن يطفثوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .

لقد كان الله معه ، وكان يشعر بأن الله معه ، فألقى الله سكينته عليه ، وكتب له ولدينه أن يظفر ويظهر ، وإذا كان ذلك شأنه سبحانه مع الرسل قبله كما يفهم من قوله : « إنا لننصر رسنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » ، فكيف لا يكون ذلك شأنه معه . وهو خاتم أنبيائه ورسله ، بل هو منهم كما يقول الشاعر .

كيف ترقى رفيك الأنبياء

ياسماء ما طاولتها سماء

« قد نرى قلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » .

ولم تكن هجرته صلى الله عليه وسلم — القسما لواحدة بعد فيها برد الراحة ، فقد كان يعرف إنه إذا ترك المشركين في مكة فسواجهم مع اليهود والمنافقين والكافرين في المدينة ، وفيما حول المدينة ، ثم في كل مكان تشتعل فيه الحرب بين الكفر والإيمان ، وقد لمح بذلك أحد الذين يأمرون في العقبة ، وصرح له من ذلك بقوله : يا رسول الله . إن بيننا وبين قوم حربا ونحن نأطعوما ، فهل صبيحت إن أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدهنا ؟ فتبسم - صلى الله عليه وسلم - وقال : أتممتني وأنا منكم ، أسألم من سألتم وأحارب من حاربتم .

وكتب هؤلاء القوم الذين أشار إليهم هذا القائل من اليهود ، وكانت الحبال التي تشد أهل المدينة بهم هي اليهود ، ولا شك أن اليهود أشد الناس عداوة للؤمنين كما يقول الله فيهم : « تجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .

لم تكن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الشعور بالخوف أو الضعف ، أو الضيق بمكة والأمل في الراحة والنعم بالمدينة ،

بين عمرو بن الخطاب وعمرو بن معمر بن حرب

قيل إن عمرو بن الخطاب وعمر بن معمر بن حرب  
سأل عمرو بن معمر يكرب فقال له : ما تقول  
في الحرب . قال : مرة المذاق إذا كشفت  
عن ساق ، فن صبر حرف ، ومن ضعف  
تلف ، قال : فما تقول في الرمح . قال :  
خيلك وربما عانك ، قال : فالتبل . قال :  
قال : منايا تخطى . وتصيب ، قال : فالترس ؟  
قال : عليه تدور النواثر ، قال : فالسيف .  
قال : عبيدك . فكلتك أمك ، قال عمرو :  
بل أمك . فقال : الخي صرعتي ، فاعلظ له  
عمرو في القول فقال :

أتوعدني كأنك ذو دين

بأنتم هيته أو ذنواس

فلا تضر بملكك كل ملك

يصير لذة بعد الشباس

فقال عمرو : صدقت . فاقص مني ، قال :  
بل أفضوا يا أمير المؤمنين ، لولا آية سمعتها  
منك لجلتلك بالسيف . أخذ منك أم ترك ،  
قال : وما هي . قال سمعتك قرأ : إنه من  
يأت به جرما فإن له جهنم لا يموت فيها  
ولا يحيا . والله لو علمت أني إذا دخلتها  
مت لعلت .

الأستاذ « محمود مصطفى »

من كتاب هيئة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام

وكما يقول الله : « وما أرسلناك إلا رحمة  
للعالمين » .

صلى الله عليه وسلم ، ووقفنا إلى الصلاة  
عليه والانتفاع بهديه ، والافتداء به في الصبر  
والتقوى والإحسان ، فإنه كما يقول سبحانه  
« إن الله مع الصابرين » ، وكما يقول جل شأنه  
« إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .  
« ح ف » .

من مجلة نور الإسلام

الشجاع عند الخطر :

إن الشجاع إذا فاجأه الخوف لا تفرمته  
ولا تزعزع عزيمته ، بل يثبت ليوازن بين  
قوته وقوة خصمه ، ويعالج الأمر لمصلحة  
بجالة الفؤاد ، وإلا التمس طريق الفرار صونا  
لحياته ، ولا عار عليه .

وينفط الجسم حينئذ فشاطا قلما يحضر له  
ببال ، فقد حدث أحد السامعين أنه رأى  
رجلا قاريا من أسدي يحاول اقتراسه ، وفي أثناء  
فراره تسلق جدادا حاليما ، ولما زال الخطر  
عاد هذا الرجل إلى تسلق الجدار فشق عليه .  
وربما لا يحصل الحرب . وإنما يقوم  
مقامه الاضطراب إذا اشتدت وطأة الخوف  
كاللهول الذي يحسه المستيقظ وقد شبت النار  
بمنزله ، وربما برق له شعاع من نور عقله يثير فيه  
النشاط إلى إخماد النوا أو الفرار طلبا للمساعدة .

الأستاذ محمد حسين النمرأوى

من كتاب الفرائز





يَشْرِكُ فِي التَّحْقِيرِ  
عَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَعْقَاعُ  
بَدَلُ الْأَشْفَاكِ  
٤٠ فِي الْمَجْلَدِ الْخَامِ  
٥٠ غَارِجُ الْمَرْبُورِيَّةِ  
وَالْمَدِينَةِ وَالطَّلَابُ الْبُغْيَانُ

# مَجَلَّةُ الْأَنْزَهَرِيَّةِ

## مجلة شهرية جامعة

مَدِيرُ الْمَجَلَّةِ وَنَائِبُهُ  
أَخِيذُ بْنُ الزَّيَّاتِ  
الْمَنْشَوَانُ  
إِدَارَةُ الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ  
بِالْقَاهِرَةِ  
١٩٦٤

بَصْدُ عَنْ شَيْخِ الْأَنْزَهَرِيَّةِ فِي أَوَّلِ كُلِّ شَهْرٍ

الجزءان التاسع والعاشر - السنة الرابعة والثلاثون - ذوالقعدة وذوالحجة سنة ١٤١٢ هـ - أبريل ومايو ١٩٦٣ م



١٤  
٢٤٤٤٦  
دور

السَّامِعُ الْمَلِكُ الْمَلِكُ

أحمد لطفي السيد

بِقَامِ : أَحْمَدُ حَسَنُ الزَّيَّاتِ

١٨٧٢ - ١٩٦٣

في المغرب ، وتطلع في الوقت نفسه على آخرين فتكون شروقا في المشرق .  
وشيخوخة لطفي السيد كانت ككهولته وشيئته سلاما وطمأنينة لم يكدر صفوها حقد على أحد ولا طمع في شيء ، فكانت حياته الوداعة النافمة أشبه بحياة الجدول السلسل الرقاق تفيض على جوانبه الازى والحصب من غير هدير ولا طغيان ولا كدو .  
كان في كل أعماله العلمية والإدارية والسياسية يستار سيرة العلماء ويستن سنة الفلاسفة ، لا يقول قولا ولا يعمل عملا

بين السحر والفجر من يوم الثلاثاء الخامس من شهر مارس لسنة ١٩٦٣ حين ينسلخ النهار من الليل ، وينبثق النور من الظلام ، تخلصت روح لطيفة من قيدها المادى الفليظ وصعدت إلى مصدرها الأول ومرجعها الأخير ؛  
تلك هي روح الأستاذ الفيلسوف أحمد لطفي السيد ، لفظها في غير قلق ولا ألم كما ينسم الطفل النائم الهداية ، وموت الشيخوخة المطمئنة ثقة وروحية سعيدة من فناء منقطع إلى بقاء متصل ، فهو موت وحياة في وقت معا . كالنفس تغيب عن قوم فتكون غروبا

في خلال حديثه الكلمة الفرنسية أو الهمجة ( الشرفاوية ) فتكسبه ظرقا و رقة .

وكان مجله أشبه بمجلس صديقه أو سطو زعيم المشائين في عماشية المظلة ، أو شيخه الأفغاني إمام المصلحين في قهوه المفضلة ، يتوشى فيه الفائدة والمثقة ؛ فسامعه لا ينفك ، واضى العقل ريان العاطفة . وكان بارعا في سلسلة الحديث سريرا إلى اقتناص المناسبة ، فلا تخشى حل الحديث في مجله أن يبوخ ، ولا حل الصوت في حضرته أن يخرج .

وكان أسبق معاصريه إلى التجديد فلم تعرف قبله في الشرق كلمات الحرية والديمقراطية والاستقلالية بمعناها المطلق . وأجل مظهر لهذا التجديد كان في نزعته السياسية وطريقته الكتابية ؛ ففي صحيفة ( الجريدة ) التي كانه أسانا لحزب الأمة وكان هو رئيس تحريرها نهج للناس سياسة مصرية عاقلة لا تتصل بالدعوة الثنائية ولا بالجماعة الإسلامية .

وفي هذه الجريدة ابتكر أسلوبا للكتاب لفظه قدر لمصناه ، ووصفه طبق لموصوفه ، وسيله قصد لغاياته ، فكان مذهبا جديدا جرى عليه الكتاب والصحفيون إلى اليوم ، وكان من سبقه إلى التجديد أن دعا إلى إصلاح الخط العربي وإنشاء الجمع القنوي وتعليم الفتاة المصرية .

إلا في حدود المنطق والخلق والقانون ، وكان لمعبريته وبلاغته يرسل القول فيكون مثلا أو حكمة ، ويفعل الفعل فيكون مثلا وقدوة .

وكان في وزانة الحكيم ووقار الحليم يتحدث أو يناقش فلا يستغزه نزق جاهل ، ولا يستنخه غضب مكابر . فإذا اشتد الجدل في حضرته بين اثنين في مسألة فصلا الصوت واحتد اللسان قال لها : علام الخصومة والخلاف ؟ في المسألة رأيان ، فأحدكما من رأي والآخر من رأي .

وكان على شغوف بدنه بامر الجلالة ظاهر الآبهة ، لا يقبل القنوي في مجله ، ولا يبالغ في التعبير عن شعوره . فإذا ضحك لا يضحك بعلة له ، وإذا عبس لا يعبس بكل وجهه ، وإنما هي الإقسام الحلو في كل ما يحب أو يكره .

وكان أظهر مزايا لطف السيد حديثه ؛ فقد كان آخر طبقة شهبوا ببراءة الحديث من أمثال محمد عبده وسعد زغلول وإبراهيم الحلباوي ، فأنت في حضرتهم لا تشتهي الكلام لأن لذلك في أن تسمع ، ولا تثير الجدال لأن منك في أن تستفيد ، ولطف السيد كان عدنا نقي الصوت حلو النغمة متشد الأداء واضح الجرس فكك اللسان متخير اللفظ ، فلو ذهب تكتب ما يقول لكان قريب الشبه مما تكتب ، وكان ينثر

والعامية بقبول ما وضع الصناع والزراع  
والتجار وغيرهم من كل ذى حرفة .

• • •

كان تفكيره الحر وتجديده الواعى أصيلين  
في فطرته ظهر أثرهما على رأيه وهو في روثق  
شبابه . حدثني رحمه الله عن سبب اتصاله بالإمام  
محمد عبده قال : كان الشيخ يتدب في كل عام  
لامتحان طلاب الحقوق في السنة النهائية ،  
وكانوا قد اقترحوا علينا في امتحان الإنشاء  
أن نكتب في هذا الموضوع : ( كيف كان  
الحكومة حق عقاب المجرم ؟ ) . وجعلوا  
زمن الإجابة عن هذا السؤال أربع ساعات  
على ما أذكر ، فكتب المذاهب الأربعة  
التي قررها العلماء في هذه المسألة ثم كتب  
عليها ففندتها جميعا وفتيت أن يكون للحكومة  
( حق ) عقاب المجرم لأنها قائمة على القوة  
لا على الحق . وأسرفت في التدليل على ذلك  
حتى ملأت الكراسة . ثم خرجت فذكرت  
لرفاق ما كتبت فاكتأبوا وقرروا جميعا أني  
لا محالة راسب ، واشتد من جانهم القوم  
والتقريع حتى ذهب من نفسي كل أمل  
في النجاح . فلما كان يوم الامتحان الشفوي  
وقف الشيخ فقرر موضوعي وكان قد وضع له  
الدرجة العليا ، ولكنه فصح لي أن أقصد  
الآن في هذه الآراء إشفاقا علي . ومنذ  
ذلك اليوم لزمته .

• • •

• • •

قالوا فيه : إنه أستاذ الجيل ، وكان الأصدق  
الآحق أن يقولوا : إنه أستاذ أجيال ثلاثة ،  
فقد أن صدرت ( الجريدة ) في عام ١٩٠٨ كان  
فيها وفي ندوتها مصدر توجيه ومشعل هداية .  
كان يندو إلى مجلسه صفوة الشباب والطلاب فيفتح  
قلوبهم للأراء الجديدة ، ويهيئ نفوسهم للقيادة  
الرشيدة ، ويمنحهم مرائق التطرف الجامح  
والتصرف المزعج . وقرأ لهم منطق أرسطو  
وسياسته فتخرج عليه طائفة من  
الكتاب والمحاميين تزعوا الإصلاح وقادروا  
النهضة . وظلت أستاذه متصلة الأمر من يوم  
أن خرجت الجريدة إلى الناس إلى يوم أن  
دخل هو في جوارحه .

كان في السنين الثماني عشرة الأخيرة من حياته  
الطويلة المحبة رئيسا لمجمع اللغة العربية فكان  
لهذه الأستاذية من قوة الشخصية وحضور الدفن  
وصدق التوجيه وسعة الاطلاع واستقامة المنطق  
وحدة النشاط الأثر البالغ في اضطلاع المجمع  
بمسب . رسالته . كان من أهم الأعضاء لطيفة  
اللغة ووظيفة المجمع وحقيقة التطور ، يرى  
كما نرى أن القضية ملك للتكلمين بها  
لا للواضعين لها ، فهم أحرى أن يتصرفوا  
فيها تصرف الوارث فيها وراث ، يعدل ويكمل  
وفقا لحالته وطبقا لحاجته . ففي هذه  
رد المجمع الاعتبار إلى المولد وقبل السماع  
من المولدين ، وقرب المسافة بين الفصحي

وأفلاطون ، وركنها الأدبي على كتاب الله  
وشر العرب ، كان يحمل القرآن على ظهر  
قلبه وطرف لسانه ، يؤديه آية آية كأنما  
يتلو في مصحف مثنو . وكان كثير المحفوظ  
من الشعر يستمده من أوعية شتى ويرويها  
عن عصر عتسفة ، فكنا في مجلس الجمع  
كلما ندع من ذاكراتنا شاهد من القرآن أو الشعر  
أسفنا به .

وليس معنى ذلك أنه وقف في فلسفة عند  
اليونان وفي أدبه عند العرب ، وإنما كان  
يسار الفسفة في كل مذهب ، ويتابع المعرفة  
في كل وجه .

ولطفي السيد بعد أولئك كله كان  
حلياً رحباً يرتاح للخمر ويدل عليه ،  
ويمنح السلام ويدعو إليه . وكان لفناًه  
السرية وبيته القسوية يسمت سميت  
الاستقراطيين في الغندام والمظهر ، ويقصد  
قصد الديمقراطيين في المعاملة والسلوك .  
وهو الوحيد في علماء مصر الذي طال أجله  
وحسن عمله ، وجمع بين ثقافة النصف الأخير  
من أقرن التاسع عشر والنصف الأول من  
القرن العشرين

رحمه الله رحمة واسعة وهو ضنا من علمه  
وفضله خير العوض .

أحمد حسن الزيات

كان أول يوم اتصلت فيه أسباني بالفقيه  
العظيم يوم زومته في مكتبته بالجزيرة أنا  
وصديقاي طه حسين ومحمود الزناتي نشكو  
إليه فصلنا من الأزهر ونحن في السنة النهائية  
من الدراسة فيه لخلاف تاريين الطلاب في درس  
أستاذنا المرموني حول فقرة من خطبة للحجاج  
رواها المبرد في الكامل ، وكان الخطيب الجري .  
قد أساء الأدب في حديثه عن طواف بقبر  
الرسول فكفروه لذلك ، وكنا نرى أن سوء  
التعبير يوجب التعذير ولا يوجب التكفير .  
فلما دخلنا عليه هش بنا وبش لنا وسمح منا  
وسمنا منه ، ثم قال بلجته الرزينة إن الأمر  
أيسر من ذلك . ورفع سماعة التليفون وقال  
للشيخ حونة التواوي وكان شيخ الأزهر  
يومئذ : إن عندي ثلاثة من طلاب الأزهر  
فصلتموم رأى رأوه . ولعل من الخير  
ألا تقتلوا في الشباب حرية الرأي ما دامت  
لا تخالف أصلا من أصول العقيدة ولا نصا  
من نصوص الأحكام . وسأه أن يلقي قواد  
الفصل ففعل ، وانصرفنا من عنده وليس  
أحد من رجال الفكر وأصحاب البيان أحب  
إلينا منه .

• • •

كانت ثقافة لطفي السيد راسخة الأصل متينة  
القواعد ، أقام ركنها العقلي على فلسفة أرسطو

# الضرائب لا تجزى عن الزكاة

لفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد شلوت

الفردى من الضرائب والرفقة  
وأمرته حكم الشرع في هذه المسألة يجب  
أن نعرف (أولاً) الأساس الذى بنيت  
عليه فرضية الزكاة فى الإسلام ، والإسلام  
الذى أبيض به الحاكم المسلم أن يضع (ضرائب)  
على المالكين ، فالزكاة أحد الفروض الدينية  
والأركان الخمسة التى بنى عليها الإسلام فهى  
فى وضع الصلاة والصوم وشهادة التوحيد ،  
مدد يغذى الإيمان ويطهر النفوس ، ويؤديه  
المسلم بمقتضى إيمانه وتقديته .

أما الضرائب ، فوضعها وضع آخر غير  
هذا الوضع ، وهو أن الأمة انتمت فى الحاكم  
أو الحاكم أحثل للأمة إذا لم يجد ما لا يحقق  
به المصالح العامة للجماعة كإشياء دور العلم ،  
والاستشفاء وتعميد الطارق وحضر القرح ،  
والمصانع ، وإعداد العدة للدفاع عن البلاد ،  
ورأى مع هذا أن أغنياء الأمة القادرين على  
المساعدة فى إقامة هذه المصانع قد قبضوا أيديهم  
ولم يمدوها بالبذل والمعونة جلزله - وقد  
يجب - أن يضع عليهم من الضرائب ما يحقق  
به تلك المصالح ، دون إرهاق أو إغناء .

وهذا فرق آخر بين الضرائب والزكاة وهو  
أن مقادير الزكاة محددة معينة بنص الشارع

حرك القرآن الكريم عواطف الأغنياء  
بكل الطرق ، وأرغف وجدانهم ، واستدر  
عطفهم على الفقراء والمساكين إسلحا لهم  
وللجموعة ... تارة بالترغيب وأخرى  
بالترهيب ، وبعد أن استتب الأمر للجماعة  
المسلمين ، وتبيأت النفوس لقرابين وأنظم ،  
وضع للفقراء حقوقا كورد دائم ... وضعه  
فى الكفارات والأجزية على الأخطاء التى  
يرتكبها الإنسان فى حياته الشخصية وعباداته .  
وضع فى الزكاة فرحا من الفروض الدينية  
ينفذه بالقوة ، ويقال من امتنع عن أدائه ،  
وضع فى الذمب والفضة وفى البضائع التجارية  
وفى أواشى وفى الزرع بنسب لا ترقى الذى  
وتسحف المسكين والفقير ، وتصلح شأنه  
بنسب يفوق مجموعها مجروح ما يصرفه بعض  
الأغنياء فى ترفهم وبذخهم ... من غير فائدة  
تعود عليهم وعلى أمتهم .

وقد كان للزكاة فى صدر الإسلام نظام  
خاص ، وكان للحكام بها عناية خاصة فى جمعها  
وصرفها ، كانوا بها يجهزون الجيوش ،  
ويدعمون المغارم ويؤلفون قلوب الضعفاء ،  
ويعينون المحتاجين ويقيمون المصالح .

وإذا كان الانجماء في الضرائب والحراج هو ما ذكرنا ، من أنها ليسا مبدولين بحكم الدين ، وقضاء واجب النفس في التطهير من خلق الشح ، ولا بقضاء واجب الأخوة الدينية التي أراد الله أن يستكمل بها إنسانية المؤمن ، فلا ينبغي التفكير في معارضة اعتبارهما قائمين مقام الزكاة ، فالزكاة فرض ديني كالصلاة والصوم يجب على الإنسان بحسبة نفسه عليه متى ملك النصاب قارفا - كما يقول الفقهاء - عن حاجته الأصلية .

نعود إلى الأغنياء :

فهل لأغنيائنا أن يخرجوا هذه الزكاة الواجبة عليهم وأن يضعوا أيديهم في أيدي العاملين ويتصامنوا معهم على إخراج نظام خاص للزكاة والصدقات ، به ينقشون البلاد من خطر الفقر والمأطل ، قطعتم الجباة على حياتها وتنتفع بأموالها وينها .

هذه هي مكانة الزكاة والصدقات من الشئون الاجتماعية ، وهي مكانة القطب من الرحى ، وهذا هو موقف الإسلام من الزكاة والصدقات وهو موقف يخفف من وطأة الأغنياء على الفقراء ، ويبعث في الفقراء روحا مليئة للأغنياء ويبعث للجباة بأن تنتفع هؤلاء . وهذا ، وهو طريق الخير والإصلاح .

وإن المال الذي يخرج به الأغنياء إلى الفقراء هو في واقع من الأغنياء إلى الأغنياء باعتبار قائده ، وما يعود به من خير وصلاح وأمن وأطمئنان ؟

محمود شلتوت

لا تزيد ولا تنقص عما حددته الشريعة ( ٢٥٥ ) في المائتين ) بالنسبة للتقدي ( والعشر أو نصفه ) بالنسبة للزروع والثمار ، أما الضرائب فقد ترتفع وقد تنخفض بل قد تُلغى أصلا .

الضرائب وتجب مع الزكاة

وإذا كانت الزكاة من وضع الله وكانت فرضاً إلهائياً يجب إخراجها ووجبت حاج إليها أم لم توجد ، وتكون في تلك الحالة بمثابة مورد دائم للفقراء والمساكين الذين لا يخلو منهم أمة أو شعب ، وكانت الضرائب من وضع الحاكم عند الحاجة - كان من البين أن أحدهما لا تفق عن الأخرى ، فهما حقان مختلفان في مصدر التشريع وفي الغاية ، وفي المقدار وفي الاستقرار والدوام .

وعليه فيجب إخراج الضرائب وتكون بمثابة دين شغل به المال ، فإن بلغ الباقي نصاب الزكاة وتحقق فيه شرطها وهو الفراغ من الحاجات الأصلية ومر عليه الحل وجب دينياً إخراج زكاته .

أما الحراج الذي تأخذه الحكومة على الأراضي الزراعية ، فيرى جمهور أئمة المسلمين أنه حق مغاير لحق الزكاة في دليله ، وسببه ، ومصرفه ، وحكمته ، فلا يمنع أحدهما الآخر وبالمقارنة بين أدلة هؤلاء ، وأدلة مخالفهم يتبين جلياً رجحان مذهب الجمهور ، مع ملاحظة أن مخالفهم لا يرون تأثير الحراج على كل أنواع الزكاة ، وإنما يرون تأثيره عاصراً زكاة الزروع .

# المصدر في اللغات

للأستاذ عباس محمود العقاد

نعتبر اللغة العربية في طليعة اللغات التي ثبت لها الارتقاء بهذه الخاصة النادرة التي لا نظير لها فيما نعلم من لغات الحضارة .

ولنقارن بينها وبين اللغة الانجليزية وهي أشهر اللغات وأشيعها في العصر الحاضر ، وعصروها من الكتابات العلمية والفنية لا يزيد عليه محصول لغة أخرى تعاصرها وتعارضها في ارتقاء أبنائها .

فالصفة المصدرية التي توجد في تكوين اللغة لا وجود لها في اللغة الانجليزية ، وإنما توجد في بعض كلماتها صيغ مشتركة بين الصفة والاسم ، ولا تطرد فيها الدلالة على المعنى المجرد سيما أو قياسا للتعبير عن المعاني المصدرية باختلافها واختلاف درجاتها من التجريد .

وفي هذه اللغة صيغة تقابل صيغة اسم الفاعل تؤخذ من الفعل المضارع ، وصيغة أخرى تقابل اسم المفعول تؤخذ من الفعل الماضي ، وصيغة تأتي بالحقاق مقطوع صميم بآخر الكلمة يفيد معنى المصدرية حيناً ومعنى الوصفية حيناً آخر ، كقولهم Greatness بمعنى العظمة من Great بمعنى

من أشهر العلامات التي يستدل بها على ارتقاء اللغة أن تكون وافية بوسائل التعبير عن المعاني المجردة ؛ لأن تجريد المعاني من المحسوسات سهل من أعمال التفكير يتقدم إليه الإنسان مع تقدمه في الحضارة ، واستمراره زمناً طويلاً على تعود البحث ، واستخلاص الحقائق المنصوية من حقائق الحس والعيان .

ولا يستدل بكثرة المفردات وحدها على وفاء اللغة بوسيلة التجريد ؛ لأن الكثرة على غير قاعدة متأسلة في تكوين اللغة عرض طارئ ، وزيادة في الكم والمقدار ، قد تتوافر لكل قوم يكثر بينهم عدد الكلمات ، ومنها أسماء المجردات كيفما انقصت بغير تمييز بين لغة ولغة في تكوينها الاصيل .

وإنما تعرف قدرة اللغة على أداء المعنى المجرد ، بدليل واحد لا مرأى فيه ، وهو أصالة هذه الوسيلة في قواعدهما التي تجري مجرى قياس والبيع المطرد في كل مادة من موادها وكل فصل من أفعالها ... ومن هنا كانت صيغة المصدر موضع المقارنة الصحيحة بين اللغات في هذا الباب ، وكان من الحق أن

من حيث الدلالة المجردة فهو كالمصدر الذي نتخذه في اللغة العربية وصفا ونقطة من التجريد إلى العيان. فإذا قلنا: «الشاهد العدل» أو «الكلام الحق» أو «الرجل الضرب» فقد جمعنا للمصدر كل ما يجمعونه لمصادرهم التي لم توجد لها صيغة خاصة بالتجريد، ولكننا حين نقل الكلمة من المصدرية إلى الوصفية نكسبها شروط الوصف من قبول الجمع والتثنية أو قبول التذكير والتأنيث، فنقول الشاهد العدل، والشاهدان العدلان، والشهود العدلون. أو نقول الكلام الحق، والكلمة الحقة، والمحقق الإنسانية. وليس في لفهم وسيلة للفرقة بين المصدرية والوصفية في مثل هذا التعبير.

• • •

وجملة القول في هذا الباب أن أدوات المصدرية عندهم هي بعينها أدوات الاسمية، أي أدوات استخراج الاسم من الفعل والصفة، إما بتقديم حرف الجر، إلى، To على الفعل وتضمينه معنى «أن» المصدرية عندنا، وإما بتذييل الفعل والصفة بمقطع صغير كقطع «شن» Tion أو مقطع «نيس» nees وقد تقدمت الإشارة إليه، وهو خاص بالصفات.

• • •

أما في اللغة العربية فالمعنى المصدرى المجرد

عظيم، أو قولهم Wisdom بمعنى العقل من Wise بمعنى عاقل، أو قولهم Justice بمعنى العدل من Just بمعنى عادل. وقد يتحدون للدلالة على المعنى المصدرى كلمة ليس لها فعل أصيل وإنما يأتي الفعل من تصريفها الصناعي كقولهم Beuty بمعنى الجمال أو معنى الجليل وأخذهم الفعل منه بإضافة بعض الحروف إلى آخره، فيقولون Beutlily بمعنى جمال و Beutlifying بمعنى التجميل.

وإذا عبروا عن المعاني المجردة كان هذا التعبير معنى عارضا غير مطرد في جميع الكلمات، كأنه إضافة طارئة على اللغة لم يكن لها أساس في تركيب كل مادة من موادها ولا في اشتقاق كل فعل من أفعالها، وربما غلبت دلالة الوصفية الحسية على دلالة المصدرية المجردة في معظم هذه الكلمات.

فمعنى الخلق عندهم موجود Creation ولكنه يدل كذلك على جملة الكائنات المخلوقة.

ومعنى الحياة عندهم موجود كذلك Life ولكنه قد يكون أقرب إلى معنى المفعول المطلق عندنا من معنى المصدر، فلا فرق بينه وبين قولنا طاش عيشا أو حي حياة، وليست المصدرية فيه تجريدا عاليا محسوبا له حساب إلى جانب حساب الفعل المحسوس. وعلى أحسن ما يكون هذا المصدر عندهم



القياسي أو المصدر المتواتر على السماع ، ولهذا حسب بعض النحاة أن المصدر هو الأصل في تركيب الكلمات ، وهو قول يختلف فيه ولكن لا خلاف في أصالة المصادر مع الأفعال وسائر المشتقات .

ثم يأتي المصدر المسمى مطرداً من الأفعال الثلاثة وما فوقها بأوزانه المعروفة ، وتأتي المصادر الصناعية من كل اسم على وجه التغريب ، كالإنسانية والحيوانية والنباتية والسبية والعلية والحجية والواقعية ، وكل ما يراد به معنى الحالة التي تجردت من الحس ودخلت في عداد المفاهيم الذهنية .

وهذه المصادر الصناعية هي غاية ما بلغتته اللغات الأجنبية من تحقيق معنى المصدر المجرد في بعض الكلمات ، ولكنها لا تطرده في جميع الكلمات ولا تزال ملتزمة بالوصفية أو بالدلالة التي يشترك فيها الإدراك العقلي وإدراك العيان .

وليس أدل على دقة اللغة من تعديد صيغ المصادر فيها للتمييز بين المعاني الخفية التي تتفق في التجريد ولكنها تختلف في حالاته أو موضوعاته اختلافا لا تؤديه صيغة واحدة ، ولا بد فيه من التوزيع على نسق معلوم .

فانظر معنى مجرد .

والمنظر معنى آخر مجرد .

مفروض في كل فعل من أفعالها إلى جانب المعنى المحسوس ، واستقلاله بالتجريد ملحوظ عند المقابلة بينه وبين صيغ المصادر الكثيرة كلها طرأت لهذه الصيغ حالة الوصفية أو المدد أو الكيفية أو الحرفة العامة التي هي حدث ولكنها في حالة التكرار معنى خارجي لا يقترن بالحدث في وقت محدود .

فالعربي يقول زرع زرعاً وزرع زراعة وزرع زرعاً بفتح الزاي ، أو بكسرهما ، على حسب المعنى المقصود .

وكلها مصادر مجردة على اختلاف في درجات التجريد حسب الملابسة العارضة بينها وبين المحسوسات .

فالزراع عمل لا يقبل الجمع والتثنية في معناه الخالص للصدورية ، ولكنه يطلق على التثنية المزروع فيجرى عليه في هذا المعنى حكم المحسوسات ، فيقال الزرعان والزرودع .

والزراعة صناعة مجردة أو معنى من المعاني الذهنية لا يرى بالعين ، خلافاً لمعناه إذا أطلق على كيفية العمل التي تختلف باختلاف الزارعين والمزروعات .

والزرعة بافتتح مصدر للزراعة ، والزرعة بالكسر مصدر للهيئة ، وكناهما تفيدان في التجريد معنى غير معناهما في الوصفية أو الاسمية على الإطلاق .

وكل فعل على الإطلاق يأتي منه المصدر

المجردة التي لم ترتبط بهيئة مشهودة أو بعدد محدود ، فإذا جاوزت هذا المعنى بطل معناها في الإعراب وأصبحت في حكم الاسم الذي يدل على ذات أو على شيء محسوس .

فالمصدر يعمل في الإعراب عمل فعله المتحدى أو اللازم ، فإذا صغر لم يعمل لأن التصغير ينقله من التجرید إلى صورة خاصة مشهودة أو موصوفة بوصف مقصور عليها .

فيقال مثلاً : قولك الحق واجب ، ولكن لا يقال هذا في : قول ، لأن تصغيره قيد بقوله معهود ولم يعممه لطلاق القول .

ويقال إن إفتان المرء حمله واجب ولا يقال إن إفتاته حمله واجبة للرة الواحدة ؛ لأنها خرجت من الإطلاق المجرد إلى التقييد المحدود ولا يكون له معنى المصدر إلا إذا أمكن أن يتوب عنه الفعل مسبوقاً بأن المصدرية ، ولا فرق بين قول القائل : أن يتقن وبين قوله : الإفتان ، لأنهما حالتان مطلقتان على السواء .

ويجب على الباحث في المقارنة بين اللغات أن يلتفت إلى الفارق بين وجود المصدرية بهذا التفصيل في أساس تكوين اللغة وبين وجود عدد من المفردات المتفرقة اعتباراً في لغة من اللغات وبغير وحدة بينها في الصيغة وبغير تفرقة بينها في العمل ولا في الدلالة ، فإن الفارق ظاهر بين ورود المعاني المصدرية في عدد من الكلمات المتفرقة وبين ورودها ( البقية على صفحة ١٠٣١ )

والنظارة معنى غيرهما مجرد كذلك .  
والنظرية ومثلها التطبيقية معنيان مجردان ، وإن لاح أن التطبيقية عمل يدوي محسوس ، ولكن العمل ، شيء لا يحس بالعيان ، وإنما يحس العامل والموصول .  
وموضع الدقة بين هذه المصادر أن النظر عم من المنظر ؛ لأن المنظر محدود بكيفية الناظر في نظره وكيفية المنظور كما يكون عند النظر إليه .

وإن النظارة حالة تحيط بعدة منظورات وتوحى معنى التكرار كما يوحيه معنى كل صناعة يباشرها من بكثرة العمل فيها .

وإن النظرية ناحية من نواحي التفكير تقابل الناحية العملية فيه ولا يلزم من كل نظر أن يكون نظرية متبعة في عدة أحوال .  
ولم ترد هذه الفروق فرضاً معتسفاً من فروض النحاة للتعليل والتأليف بعد جمع اللغة والموازنة بين رواياتها وأسانيدها ، ولكنها تأصلت في العقول كما تأصلت على الألسنة بالأوزان القياسية أو الأوزان السماعية التي تكررت وتشابهت وتماثلت فيها الدلالات على النحو الذي يفسره النحاة ولا يقبل تفسيراً سواه .

ومن الدلائل على أصالة المعاني العقلية في وضع المصادر أنها تعمل عملها في الإعراب مادامت على احتفاظها بالصورة الذهنية

# مناهج الإسلام

## للقوية روابط الأسرة

للأستاذ محمد محمد المدني

- ٣ -

رؤية المخطوبة وهرم حواشي المأثرة بها : منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل ، .  
٣ - ثم نراه يرشد إلى رؤية المخطوبة . وإذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه .  
فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة  
وإذا خطب أحدكم المرأة فقد أن يرى . وإن كانت لا تعلم .

( بقية المنشور على صفحة ١٠٣٠ )

أو مزاج العمل والواقع ، وقد يكون المزاج الحسى فى أمة العرب ملحوظا غالبا على غيره من الأمم المزجة إذا كان الفرض منه أن مبيضة العربى فى الصحراء تشحن فيه حس البصر والسمع والشم على الخصوص لا تقاء الخطر وصدق التفرس فى السعى إلى معاشه والزحمة بين حواضره وبواديه ، ولكن هذه القدرة الحسية ، قد تزيد من قدرته على التجريد ، ولا تنقص منها ، لأنها تذهب به إلى تمييز أقصى الحس وغاية الشهادة والعيان ، وليس أقدر على تمييز الاختلاف عن بينغ بالخصلة من الحاصل غاية مداها ، فإنما تميز الأشياء بضدها كما قيل ؟

عباس محمود العقاد

فى كل مادة من مواد الكلام على ارتباط بأوزانها وارتباط بين تلك الأوزان ومعانيها المقصودة ، وارتباط بعد ذلك بين الصيغ ودلالات التجريد .

وهذا الفارق الواضح هو الفارق بين استعداد اللغة العربية لفرض المعانى المجردة فى كل حالة من حالاتها واستعداد غيرها من اللغات لتلفيق هذه المعانى حيثما اتفق على حسب الظروف .

ومما يجب كذلك على المقارنين بين اللغات أن يحسنوا فهم العلاقة بين مزاج الأمة ومزاج اللغة التى نشأت فيها .

قد أجمع الباحثون فى طائفة الشعوب على وصف العرب بالمزاج الحسى تمييزا له من المزاج النظرى أو الخيالى أو الباطنى ،

أو المهذبة لا تكون كذلك ، فلهؤلاء أقول :  
إن الطبيعة البشرية هي الطبيعة البشرية  
ولو لبست ففاض من الحرير ، والرسول صلى الله  
عليه وسلم أخبر بالنفوس والآهواء ، وأكثر  
لهما للدواء الذي يحسم الداء .

وبذلك يبين أن الإسلام جمع بين إعطاء  
الفرصة للعطوب لكي يعرف من ستكون  
شريكة حياته ، واحتاط في الوقت نفسه  
بالمصلحة الفتاة لكيلا تكون ضحية سهلة للفتنة  
في فترة معينة قد يتركها بعدها ولا يتم زواجها .  
ونحن نشاهد أن كثير من المآسي يقع بسبب  
عدم مراعاة هذا الأدب الإسلامي المحفوظ .

وهذا التشريع في الحقيقة تشريع وقائي ،  
وإن كان هناك فتيات كثيرات واعيات  
قويات الإرادة ، لا يمكن أن يصيبهن سوء ،  
كما أن هناك كثيراً من الفتيان فيهم من  
الشرف والاستقامة ما يحصنهم عن ابتلاء  
السوء ، ولكن الأمر ليس أمر شك  
أو ارتياب دائماً ، وإنما هو قبل كل شيء أمر  
احتياط على السمة ، واجتناب لفة سوء .  
والخطية التي يتركها خطيبها بعد أن يعلم  
الناس أنه كان يتفرد بها ، ويخرج منها دون  
محرم ، لا تكون موضع إقبال غيره من  
الفتيان ، ولكن إذا علم أنها لم تكن كذلك  
كان الناس في اطمئنان إليها .

هي المرأة في قبول الزواج أو رفضه :  
ثم نراه يجعل للمرأة حقاً في الموافقة على

ومن المغيرة بن شعبه أنه خطب امرأة ،  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « انظر إليها  
فإنه أخرى أن يؤدم بينكما » .

وخطب رجل امرأة ، فقال النبي صلى الله  
عليه وسلم : « انظر إليها فإن في أحسن  
الأنصار شيئاً » .

والحكمة في إباحة النظر إلى المخطوبة  
ظاهرة ؛ لأن المرء يتقن شريكه حياته فمن  
حقه أن يراها ليخبر أوافق أم لا ، وقوله  
صلى الله عليه وسلم : « ذلك أخرى أن يؤدم  
بينكما » معناه : أن تحصل الموافقة والملازمة .  
هذا وأكثر العلماء على أن الذي يجوز  
للعاقل رؤيته من المخطوبة هو لوجهه  
والكفان فقط .

واتفقوا على أنه لا يجوز الخلوة بها  
دون محرم .

ومن ثم لا يجوز أن يخرج معها منفردين  
لتنزه أو نحوه كما جرت عادة بعض الناس .

وفي مثل ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :  
« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ،  
فلا يخلون بامرأة ليس معها ذو محرم منها ،  
فإن ثالثهما الشيطان » .

ولعل المراد من الشيطان في هذا الحديث  
وما يخاله هو تلك الخواطر التي تجري  
الطبيعة البشرية بأن تخطر للناس في مثل هذه  
المواقف ، وإني لأعلم أن بعض الناس ربما  
اشتاؤا من تصوير اجتماع الرجل والمرأة  
بهذه الصورة زعماء منهم أن المجتمعات الراقية

وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم :  
« إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته - وفي  
رواية : من ترضون خلقه - فزوجوه .  
ولا تفعلوه تكنر فتنة في الأرض وفساد كبير » .  
أعظم انطاح بركة أبصره مؤمن .

ثم نراه يرشد إلى تمييز المهر ، حتى يسهل  
الزواج ، ولا يحمل الزوج بسببه ما لا يطيق  
فيبدأ حياته الزوجية على وجه من أوجه  
الارتباك الاقتصادي

ومن هدى النبوة في ذلك قوله صلى الله  
عليه وسلم :

- ١ - أعظم النكاح بركة أبصره مؤمنة
- ٢ - أخف النساء صداقة أعظمهن بركة .
- ٣ - خير الصداق أبصره .

٤ - وعن أبي سلة قال : سألت عائشة  
كم كان صداق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟  
قالت كان صداقه لأزواجه اتفق عشرة أوقية  
ونشأ - قالت : أندري ما النش ؟ قلت : لا ،  
قالت نصف أوقية ، فذلك خمسمائة درهم .

( وذلك ما يساوي بالعملة المصرية نحو  
ثلاثة عشر جنيها وربع الجنيه ) ١٣٢٥ قرشا .

٥ - وقال عمر بن الخطاب : لا تشلوا  
صدق النساء ، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا ،  
أو تقوى في الآخرة ، كان أولاكم بها النبي  
صلى الله عليه وسلم . ما أصدق رسول الله  
صلى الله عليه وسلم امرأة من نساءه ،  
ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من  
تتق عشرة أوقية .

زواجها أو رفض هذا الزواج ، سواء  
أكانت بكراً أم ثيباً

وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :  
« لا تزوج الائم الثيب حتى تستأمر ،  
ولا البكر حتى تستأذن » .

وأنت خذاء بنت خدام - وكانت ثيباً -  
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت له أن  
أبها زوجها من رجل نكحها ولا تميل  
إليه ، فرد الرسول زواجها .

وجاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم  
فقال : إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي  
خسيت ، فغيرها الرسول بين أن يهين هذا  
الزواج أو تبطله . فقلت : قد أجزت ما صنع  
أبي وإنما أردت أن يعلم النساء أن ليس  
لنكاحهن من أمرهن شيء - أي إذا أئين .

ومعجب البحت من عائشة الخاطب :  
ثم نراه يرشد الآباء إلى البحث عن  
خلق الخاطب قبل إجابته ، لينظروا هل  
يصلح لها ، وما غاية من هذه الخطبة .

وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :  
« النكاح رق ، فلينظر أحدكم ابن يرضع كريمة » .  
ويقول الإمام الثوري :

« إذا أراد الرجل الزواج وقال : أي شيء  
للرأة ، فاعلموا أنه لص » .

ومعجب قبول الخاطب الكف ،  
كما نراه يرشد إلى وجوب تلبية الخاطب  
وقبوله إذا كان كفتا صالحا .

شأنها أن تسكن الاستغناء الزوجي ، وأن تدرأ عن البيت أم البنات والمفاجآت السيئة والمقنعة .

قوام الرجل على المرأة :

فالرجل هو القوام على المرأة .

وفي ذلك يقول الله عز وجل : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » .

وهذا توجيه إلهي يجب على الرجال والنساء جميعاً أن يدركوا سره ، ليؤمنوا به على بصيرة . إن الأسرة مجتمع صغير يتألف منه ومن أمثاله المجتمع الكبير ، ولا بد لكل مجتمع من رياسة وسلطة يرجع إليها ، ويحكم بها ، وإلا تعرض المجتمع للفوضى وتصادم الآراء والرغبات ، فالأسرة بحاجة إلى أن تستند هذه السلطة إلى أحد أعضائها ، والرجل أولى الزوجين بأن يهتد إليه بذلك .

أولاً : لأن هذا هو حكم الطبيعة ، إذ هو الأقوى على تحمل الأعباء ، وتقبل التبعات ، والأقوى على شيء هو الأجدر بالتقديم له . ثانياً : لأنه هو المسكف بالإتفاق ، وبإذن إلهي من حقه أن يكون صاحب القول الفصل فيه ، وفي كل ما يستند إليه .

وهذه الآية الكريمة تعبر بقوله : « بما فضل الله بعضهم على بعض » ، وهناك آية أخرى تقول : « ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض » ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » .

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على وجبة المشرع في تيسير المهر حرصاً على تشجيع الزواج ، وعدم اضطراب الزوجين في دين أو التزامات نتيجة للخلافة في المهر والمطالب .

والزوج الذي يبدأ حياته مع زوجته مديناً بسبب المخالفة في مهرها ومطالب زواجها ، يظل ينظر إلى زوجته كمصدر من مصادر ضيقه وحسره ، وخير لها وله أن يستقبلا الحياة الزوجية بدون ضيق وحسر .

وإذن فإن العوامل التي تروج الزوج والزوجة وتسهلها في حياتهما يسر المهر ، وتكاليف العرس .

ولو أن ذلك نفا في المجتمع ، لحلت أزمة الزواج إلى حد كبير ، فإن كثيراً من الشبان يبدون حياتهم الوظيفية أو نحوها بدخل محدود لا يسمح لهم بإعداد مبلغ كبير منه يقدمونه مهراً ، وشبكة ، ونفقات خطبة ، فيجسمون عن الزواج وقد يستمر ذلك بهم سنوات حتى تضيق ذمرة شبابهم ، وربما انزلقوا إلى مسالك سيئة النتائج ، ولا نفرض بهم وبمجتمعاتهم إلا إلى أشد الضرر الصحي والأخلاق ، ويقابل ذلك في جانب العتاة تعطال عن الزواج ، فإنه بمقدار ما يحجم العتيان عن الزواج ، يكثر بوار الفتيات ، وفي ذلك أكبر الخطر على المجتمعات ، حيث يكثر الانحراف والانحلال .

(ب) وفي أثناء الزوجية :

نرى الإسلام يسن تشريعات وآداباً من

وفهم من هاتين الآيتين :

١ - أن الله تعالى يريد لفتة أفعال الرجال والنساء إلى طبيعة كل منهما وما فضل به بعضهم على بعض : فالرجال مخلوقون لغرض ، ولم وظيفتهم الطبيعية في الحياة ، وقد همشوا على وضع جسمي ونفسي يلائمهما ويساعد على أدائها ، والنساء كذلك : خلقن على وضع جسمي ونفسي يلائم ما قصد منهن وكل في ناحيته مفضل بمزايا اكتسبها بحكم الطبيعة ، أي بحكم السنن الإلهية العادلة الحكيمية ، فلا ينبغي أن يتطلب الرجال ما هو من خصائص النساء وما فضلن به وميزن ، ولا ينبغي أن يتطلب النساء ما هو من خصائص الرجال وما فضلوا به وميزوا فان ذلك ممن ، والنفي هو طلب مالا يكون وهو خروج على الطبيعة ، ومحاولة للخلط في نتائج لا تبررها المقدمات الواقعية .

فإذا ساد هذا الوعي في المجتمع ، كان له إيجاب في كثير من جوانبه وكان جديراً بأن يحل كثيراً من المشكلات المعقدة ، وأن يصلح كثيراً من الأوضاع الفاسدة ، وأن يحفظ على المجتمع طبيعته وفطريته .

٢ - أن الزوج والزوجة يكونان شيئاً واحداً هو كل : الزوج بمعنى ، والزوجة بمعنى وتفضيل بعض أجزاء الجسم الواحد على بعض ليس معناه الأفضلية بمعنى أنه أحر وأغلى ، ولكنه معناه فضل الاختصاص بشئ ، لجسم الإنسان مثلاً كل له أجزاء

العين جزء ، واليد جزء ، والأذن جزء ، ولكل جزء ميزته في وظيفته الخاصة التي لا ينفى عنه فيها جزء آخر ، فالفضل هنا بمعنى المزية فيما له خلق هذا الجزء ، والتفضيل بمعنى التمييز والتخصيص فالأقف من حيث وظيفته وميزته له قيمته وفضله وساحة الإنسان إليه ، والعين من حيث وظيفتها وميزتها لها مثل ذلك ، وفضل هذا لا يمارض فضل ذاك ولكن إذا أراد الإنسان أن ينظر فانه لا يوجه أنفه للنظر ، وإنما يوجه عينه وإذا أراد أن يشم ، فانه لا يوجه إلى الشم أذنه ولكن يوجه أنفه ، وإذا أراد أن يمسى سعى برجليه ، لا يديه ، وهكذا . فإذا عرف الرجل والمرأة ذلك استراح الرجال من النساء ، واستراح النساء من الرجال على سنة الإذعان لتوزيع الاختصاص . وما أحسن ما روى عن المنيرة بن شعبة إذ يقول :

النساء أربع ، والرجال أربعة ، رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليهما : ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهي قوام عليهما .

ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوَحْلين ينتطحان .

ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة فهما لا يأتیان بخير ولا يفلحان .

( البحت موصول إن شاء الله )

محمد محمد المصطفى

# نفاية القرآن

## التاريخ الصحيح من مقومات الحياة

للاستاذ عبد اللطيف السبكي

« إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض : منها أربعة حرم . »

الزمن في مجرى الأمور ينمق التاريخ ، ويكون مرآة لكل جماعة ، ترى في صفاتها ما قدمت من إنتاج ، وتميز بما لها من إيجابية في الحياة أو تبصر من خلالها ما تركت من فجوات عالية من آثار حيوية ، ونقص بما فاتها من نشاط ، وبما يحلت به من جهود في التعمير . ولعلها حينئذ تنمض إلى تدارك رسالتها في جوانب دنيانا التي استغلطنا الله فيها لنعمل ونجهد ، ونسير إلى الأمام .

ومن ذلك يقال : إن التاريخ معلم أمين . وإن يكن التاريخ مرآة يتمثل فيه ماضينا ، ويشع نور هديه في مستقبلنا ، فهو تقويم أدبي لشخصية الجماعة ، تمدح به ، وتأسس بذكرياته في مساجلة الأجداد من الثمرب ، وتفاخر به المتخلفين عن ركب الحياة ، وتزود من توجيهاته ، وإيمانه ما يجدد قوتها ، ويشير عزماتها ، فتظل وثابة وفي صعود .

من هذه الآية ندرك في سهولة - أولاً - أن الله - تعالى - تعلقت حكمته أن يجعل للناس وقتاً زمنياً ، قدره سبحانه - باثني عشر شهراً ، أثبتنا في كتابه المكنون الذي اعتبره سجلاً أزلياً لما يجري في ملكوته - وهو الروح المحفوظ .

وندرك - ثانياً - وفي وضوح : أن الله جعل من تلك الشهور أربعة حرماً ، ذات اختصاص في جانب التشريع .

والمقام بحاجة إلى تعرف ما هنا في غير إطالة :  
١ - لا شك أن تحديد الشهور باثني عشر شهراً تنظيمياً للزمن ، يضبطه في حدود معينة ، ليسهل علينا التوقيت به ، ولنعرف لأموالنا هدماً ، ونهاية ، ونقيس أعمالنا بأزمانها : طويلاً ، وقصراً ، فيكون انجاسنا في شئون الحياة على بصيرة ولا نخطئ فيها خبط عشواء . ومن هذا التوقيت للأحداث ، واحتساب



الزمني مناط العبادة ، وتخصيص الحج بأشهر معلومات؟؟.

وانظر : تجمد رعاية التقويم أبلغ ما يكون في اعتبار الحج ذا ميقات مكان بجانب الميقات الزمني ، وفي اعتبار مناسك الحج مقيدة كلها بالمواقيت .

حتى يصل الأمر إلى اعتبار معرفة ميقاتا مكانيا محدودا لسائر الحجيج في يوم معين من الزمن كل عام .

ثم انظر : تجمد التوقيت الزمني شرطا مأخوذا به في فروع أخرى .

فالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، مقيدة كلها بموعدها الزمني .

وتسكيف العبي بأحكام الدين .

وهذه النساء بعد ظهورهن من الزوجية ، والوصاية على اليتامى ، وتوثيق الديون بين الناس ، والمعاهدات في الحروب : كل هذا منوط بزمنه انقصد له في تشريع الله سبحانه - أوحى بما يتفق الناس في توقيفاتهم المتعارفة بينهم ...

وهذه التقديرات الزمنية تعتبر تواريخ جزئية في تقويم الفنون الفردية ، كما يعتبر التاريخ العلم وشيجة اجتماعية في تقويم الحياة العمومية .

وحيث تبين لنا من هذا أن شرعة التاريخ من جانب الله منذ خلق السموات

وإن شعبا لا يبنى بتاريخه ، لاشبه بإنسان حال من نفسه ، ومجهول النسب في بيئته ، فلا حظ له من كرامة النسب ، ولا وزن له بين الأماجد ، وحياة خلو من بهجة الحياة . وإننا لندرك بفطرتنا ما للتاريخ من وحى شخصي ، تتأثر به في المحيط العائلي .

فلاصول الكريمة ، والورثة العريقة البريئة من الثوائب سلطان قوى في توجيه الأفراد ، ولها بهاء يزدان به أروء في قومه ، ويجمع حوله القلوب ، ويسكب التجلة ، والثناء : مادام يعيش في إطار النسب المجيد ، بعيدا عما يحرفه في مساطط الدماء من الناس .

هذه مرآى التاريخ التي من أجلها بين الله هذه الأشهر واعتبارها موافقت للناس وما نحن بحاجة إلى التوسع في الاستنتاج ، وقد أغنانا القرآن عن تكلف الاجتهاد في هذا بقوله تعالى : « ويسألونك عن الأهلة - عن الأشهر وتصدما - قل هي موافقت للناس ، والحج » . فالتوقيت أمر هام ، وهو تشريع من جانب الله ، وضرورة حيوية للناس تقتضيها الفطرة في نظام الدنيا .

ويؤيدنا بياننا لهذا أن الله سبحانه ذكر صراحة أن الأشهر ميقات لعبادة الحج .

والحج ركن في الإسلام ، فسنة الله جارية على ربط هذه العبادة بزمنها المعين .

وأى بيان أقوى من ذلك في اعتبار التقويم

فإذا حاربوا - مثلاً - في رجب سموا شعبان ، ونقلوا إلى شعبان اسم رجب .

مكأنهم بهذا لم يحاربوا في الشهر الحرام ، بل في حلال ، وكأنهم بهذا على تقليد لشريعة إبراهيم .

وهذا التأجيل ، أو التوقي ، تلاعب في أمور مقدسة ، فيكون كفراً صراحاً فوق كفرهم الأصيل .

وخطر هذا ليس قاصراً على مجرد التغيير في أسماء الأشهر ... بل لأنهم قتلوا حكماً شرعياً من مواعده وتاريخه المخصص له إلى زمن آخر ... وهو وقف الحرب ، وعدم وقفها .

ومن وراء ذلك أيضاً يطرأ على مناسك الحج ، إذا غيروا في شهر من أشهره ، وحزحوا أعمالها إلى أشهر غيرها .

وربما شاع ذلك التغيير للأشهر فيحسبه أناس آخرون أنه هو التاريخ الموروث الصحيح ، ويسرون عليه ... وهذه قلة الناس في دينهم ، والفتنة في الدين أشد جرماً عند الله من القتل ، إذ تقتل يكون لنفس واحدة ، أو لأفراد ، وقد يكون له سبب يبرره ، ومع بلوغ الشر مداه فهو محصور نوعاً .

ولكن قلة الدين تم الكثيرين ، وتدفع بالناس إلى الكفر ، وليس بعد الكفر ذنب .

والأرض ، فأعمالها ، أو العبث بها يكون إخلالاً بمنهج الحياة المنفردة ، وإنشاداً في النظام العام .

والله تعالى لا يحب الفساد ، ولا يأذن به في قليل ، ولا كثير ؛ لأنه يكون جرأة على الله ، وشذوذاً عن رسالة الإنسان - فيما عهد الله إليه من إصلاح ، وتعمير في دنياه - إلى متابعة الشيطان في جانب الإنشاد .

٢ - كانت قريش في حياة جهلاء ، ومع هذا كانوا يأخذون ببعض التكاليف الدينية ، التي توارثت إليهم من شريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام - فاحترامهم للكتابة ، ومشايرتهم على الحج ، وتغاييمهم لشهر رمضان أمور يعتقدون بها ، تقليداً سائراً في غضون أديانهم الأولى .

وإن من تشريع الله أن جعل في العام أربعة أشهر ذات اختصاص ، رجب ... ذا القعدة ... ذا الحجة ... المحرم .

فهذه أشهر حرم ، لا يرفع فيها سلاح ، ولا يشار فيها حرب ، وهي للعمرة في رجب كما تعودوا . والحج في الثلاثة الباقية .

وبتعطيل الحرب يأمن الناس على أنفسهم ، فيتفرغون للناسك في اطمئنان .

ولكن طغيان قريش كن يدفعهم إلى إنارة الحرب ولو في الأشهر الحرم .

وجهاً تم زينت لهم أن يغيروا اسم الشهر باسم غيره .

أما ما قبل خلق السموات والأرض فن الغيب ، البعيد عنا ، والذي نفسد سبحانه بعلمه ، ولم يهيئ لنا أن نستخدم العلم فيه . بل ، ولا وجهة للعلم إلى عبارة الوصول إلى ذلك . فيما نعهده ؛ لأن العلم الباطح في الكونيات إنما يبحث في عالم الوجود لا في عالم الغيب .

أعني يبحث فيما بعد خلق السموات والأرض ، وما بينها .. إن تبيأ له أن يبحث في الوجودات العلوية كأجرام السموات ، والنجوم ، والبروج ، والكواكب والرياح ، والأمطار .

وكذا في الوجودات الأرضية : من جبال وزروع ، وبحار ، ومعادن إلخ .

أما ما يكون من قبيل الغيب قبل الخلق لهذا السكون فلا نفهم منه إلا ما يعلنه الله من طريق الدين .

وكذلك ما يكون ضاربا في أحماق التاريخ القديم فيعرف منه شيء كثير من القصص الدينية الصحيح الذي لم يداخله عيب طابع . ويعرف شيء منه من طريق العلم الباطح بالاستقراء ونظرا لأن القصص الدينية مصدر علمي لنا كانت الكتب السماوية : وبخاصة التوراة ، والقرآن حافلة بالكثير من أنباء الغيب في الماضي السحيق عن البشرية في كثير من عصورها ، وتطورها ، وأحداثها .

لذلك أنكر الله على قريش هذا النسي . إنكارا شديدا ، بقوله - تعالى :

« إنما النسي زيادة في الكفر ، يفضل به الذين كفروا ، يحلون عاما ، ويحرمونه عاما لو أطوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله دين لم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين . »

فانظر إلى جماعة الخطر ، والنصرف الحاطي في تشريع الله بالهوى ، والافتراء على الله تباركنا ، أو غرورا بالرأي أو الغما للثورة ، وتظاهرا بين الناس بقرة الذهن ، ورجاحة العقل ، أو ما هو مثل هذا ؟ .

إن التافه على التجديد في تشريع الله ملة مردية في الهلاك .

ومن خصائص أهل العلم الامناء أن يحاطوا لأنفسهم ، ويقلدوا السلف والأئمة فلا يتكلموا إلا عن بيعة ، وإيمان ، وأطمئنان .

ولأن يكون المفق متحرجا ، ومتما بقة عليه ، أو ضيق ذهنه ، خير له وأحب إلى الله من أن يكون فرحا بسعة زائفة على حساب الدين .

ثم نستطرد قليلا في هذا المقام ، فنقول : إن الله حدد الأشهر باثني عشر شهرا ، وجعل ذلك التحديد منذ خلق السموات والأرض أي منذ صار لهذا الكون وجود شاخص ،

إلى جانب الدين سواء فكلاهما - الدين والعلم -  
فيض من جانب الله ، والله حق ، وما خلق  
السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ،  
ولن يتعارض الحق مع نفسه .

فإذا ما وصل العلم بمدى بحوثه الناضجة  
المعقولة إلى غلظة الطاهر من نصوص الدين  
فلا بأس من تأويل النصوص بصرفها عن  
الظاهر إلى وجهها الحق الملائم لروح التشريع  
والمتفق مع توجيهات النصوص البينة الأخرى .

والقرآن نفسه يشير إلى التأويل في الملتصاق به  
- مثلاً - ويظهر إلى دراية الراسمين في فقه  
الدين .

فلترك العلم في سبيله وراء الحقائق ولتأخذ  
هذه ما يقرره في تناجحه ، وسرى العلم حتما  
في خدمة الدين كما ساف .

وهذا هو العلم يقبظ نظره في آفاق الدنيا  
ويحاول أن يثبت تاريخها للأرض ، والبشرية  
منذ سكنتها . ويحاول ، ويحاول ... فلا  
نضيق به ذرعا ، ولا نسي - به الظن ، ولنا  
من ورائه خير كثير ، والأمر كله لله من قبل  
ومن بعده .

عبد المطلب السبكي

عضو جماعة كبار العلماء

وكانت حافلة كذلك بأبناء الغيب في عالم  
الآخرة .

وكان القصص عن الغيب فيما مضى ، وفيما  
يتعلق بالآخرة من قبيل المعجزات للأنبياء -  
إلا ما بدته بنو إسرائيل في التسوداة من  
حذف أو زيادة .

• تلك من أنبياء الغيب نوحها إليك ،  
ما كنت تعلمها آفت ولا قومك من قبل هذا ،  
• نحن نقص عليك أحسن القصص بما  
أوحينا إليك ، • • • لقد كان في قصصهم عبرة  
لأولي الأبصار . • • • وكذلك كان الوحي إلى  
سابق الأنبياء بكثير من شئون الغيب :  
دينيا ، ودنيا ، وأخرويا .

ونظراً - ثانياً - لأن العلم الباحث  
في الكونيات ، وفي العقليات سبيل إلى نفاقتنا  
أو للتخلي عن الجبهة كان موضع اهتمام الدين  
أو جذراً بامتداحه ، والحث عليه ، والثناء  
على أهله .

ولأخرج حل الدين من إطلاق العلم في سبيله  
ما دام لا يتعدى فطاه الإنسان ولا يتناول  
في غرويه على ما قرره الدين .

وحينما يتحرر العلم ، أو يتعارض مع الدين  
فسبيل التوفيق بينهما أن يترك العلم في تحقيقه  
حق يمتد إلى الحق ، وحينئذ يحدد نفسه

# الإسلام والمدنية الحديثة

للأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود

- ١ - إن الشرق الآن - في جميع أرجائه - سائر نحو التقدم المادى والتطور الصناعى ، بخطى واسعة . وهو على وجه العموم ، يتخذ المدينة الغربية مثلاً يحتذى ، ويعتبر الحضارة الراحنة فى أوروبا وفى أمريكا تتاجاً بديماً للعبقرية والنضوج . وما لا شك فيه : أن كل محب للشرق ويخلص له ، يحبذ هذا الاتجاه فى جانبه المادى - جانب المعامل والمصانع - ويبحث عليه ، ويدعو إليه ، ويأمل أن يصبح الشرق - عما قريب - مساهماً فى تطور هذا الجانب ، وتقديمه ، فلا يقتصر دوره على مجرد التقليد . وموقف الدين من هذا التقدم المادى ، حينما يكون وسيلةً للتفان الإنسانى ، وطريقاً لنفع البشرية ، إنما هو موقف المبارك المشجع . وإن الدين الذى يذكر كتابه المقدس : أن الله سخر للإنسانية ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه ، لا يتأنى أن يقف من هذا التسخير الفنى يقوم به الإنسان الآن موقف المعارض . والروح الإسلامية الصحيحة ، تشجع العلم وتجل العلماء ، والآثار فى ذلك - قرآنية كانت
- أو عن الرسول ، صلوات الله عليه ، أو عن أئمة المسلمين - لا تحصى - يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات . . « قل هل يستوى الذين يعملون ، والذين لا يعملون . . » ولأنه لمن المعروف ، أن أول كلمة نزلت من القرآن ، إنما هى « اقرأ » ويقول صلوات الله عليه « العلماء ورثة الأنبياء » . ويعقب الإمام الغزالى ، حل هذا الحديث الشريف فيقول : ( ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة ) . ويقول صلوات الله عليه « العالم أمين الله سبحانه فى الأرض » . وفضل رسول الإسلام ، العالم على العابد فى أحاديث كثيرة .
- ٢ - هذه الروح ، أنتجت ثمرتها اللازمة لها : أسمى الحضارة الإسلامية ، وقد كُن الإسلام مدنية ، وكانت له حضارة ، أنتجت عباقرة أفاضاً : كجابر بن حيان فى الكيمياء ، وابن الهيثم فى الطبيعة ، وأبى بكر الرازى فى الطب ، وغيرهم كثير . وكانوا يحمون حياة كريمة ، وكانت يبتهم

ولقد بدأ علماء الغرب الآن يعملون نحو الإنصاف ، فيتحدثون عن المكتشفات العلمية في الطبيعة ، وفي الكيمياء ، وفي الطب وفي غير ذلك من العلوم التي كان للعرب فضل السبق في اكتشافها ، ويتواضع الغربيون الآن نوعاً ما فيما يتعلق بالمنهج التجريبي ، فيصرح بعضهم - كما فعل الأستاذ بريفولك - بأن أسسه وأصوله وضعها العرب .

يتحدث بعض علماء الغرب المنصفين عن المكتشفات العلمية في الحضارة العربية وعن اختراع العرب للمنهج التجريبي وعن أثر ذلك كله في الحضارة الغربية الحديثة فيما يتعلق بنشأتها بل وفيما يتعلق بوجودها .

ومن أجل مظاهر الإنصاف في ذلك عند علماء الغرب الذين تحدثوا عن هذا الموضوع كلمة الأستاذ بريفولك ، التي تعبر عن حقيقة هي لا شك واضحة كل الوضوح لمن درسوا تاريخ الحضارة العربية . وتاريخ الحضارة العربية - يقول الأستاذ بريفولك - : « إن ما يدين به علينا ، لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدعشة ، لنظريات مبتكرة بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا ؛ لأنه يدين لها بوجوده نفسه ، فالعلم القديم كما رأينا ، لم يكن العلم فيه وجود ، وعلم النجوم عند اليونان ورياضاتهم كانت علومها أجنبية ، استجلبوها من خارج بلادهم ، وأخذوها عن سواهم ولم تألم في يوم من

الإسلامية محمد لم جهدهم ، وقد درلم نوحهم . وهؤلاء الأئمة الأفاضل ، هم الذين وضعوا أصول العلم التجريبي ، وبنوا أبحاثهم على الملاحظة والتجربة وقد كان منهجهم وعلمهم يدرس في أوروبا ، فأخذت أوروبا منهجهم العلمي وعزته لنفسها وأقامت عليه حضارتها الراحنة . والمنهج العلمي الحضارة الحديثة إذا ، إنما هو منهج الحضارة الإسلامية يقول الأستاذ بريفولك : « إن روجر بيكون درس اللغة العربية والعلم العربي ، والعلوم العربية في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس ، وليس لروجر بيكون ، ولا لسميه الذي جاء بعده الحق في أن ينسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي ، فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل السلم والمهيج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه لغة العربية وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد للبرقة الحقة .

والمنافعات التي دارت حول واضعي المنهج التجريبي ، هي طرف من التعريف المائل لأصول الحضارة الأوروبية ، وقد كان منهج العرب التجريبي في عصر بيكون ، قد اقتصر انتشاراً واسماً ، وانكسب الناس في لف ، على تحصيله في دبرج أوروبا (١) .

(١) من كتاب مجيد للتفكير الديني في الإسلام ١٤٩٩ .

هذا الانتاج وتسيطر على استعماله ، يحتاج إلى شيء من التفصيل :

ذلك أن استعماله يمكن أن يتجه إلى الخير وإلى الرقاعية والسعادة وإذن فإن الإرادة الإنسانية ، التي تتجه به هذا الاتجاه ، لا تجد من الدين ، إلا العون والمساعدة والاعتباط . ويمكن أن يستخدم النتاج المادي في الشر والإيذاء ، والبطان والغلبة ، وإذن فإن الإرادة الإنسانية التي أضرت بالإنسانية لا تجد من الدين إلا اللعنة والمقت ...

وإذا كان الدين يقف موقف المعارض من الاستعمال الضار للتخترعات فليس معنى ذلك ، أنه يقف موقف المعارض من التخرعات نفسها ، ويجب أن يكون هذا واضحا في جميع الأذهان حتى لا يأتي قوم لا يميزون بين موقف الدين من الاختراعات ، وموقفه من استعمالها الضار فيصفون الدين بالجمود مع أنه بموقفه هذا ، وبتفرقة تلك ، يبلغ الذروة في هداية الإنسانية والعمل على إسعادها ... وعلى ذلك ، فإنه يمكن لشبية في الشرق أن تطلعن إلى موقف الدين من الحضارة اسادية وأن تعتبره اوقف الوحيد ، الذي يجب على كل مفكر ، أن يتخذ مثلا أعلى ، يعمل على سيادته لخير الإنسانية ...

أما موقف الدين من الثقافة الغربية ، فذلك موضوع آخر يحتاج إلى مقال آخر

الدكتور عبد الحميد محمود

رئيس قسم الفلسفة وترحيل بجامعة الأزهر

الأيام فتمتزوج امتزاجا كليا بالثقافة اليونانية وقد نظم اليونان المذاهب وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات ، ولكن أساليب البحث في دأب وأناة ، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها ، والمناهج التفصيلية للعلم ، والملاحظة الدقيقة المستمرة والبحث التجريبي ، كل ذلك كان غريبا تماما عن المزاج اليوناني ، ولم يقارب البحث العلمي نشأته في العالم القديم إلا في الإسكندرية في صدها الحالي . أما ما ندعوه العلم ، فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة لطرق التجربة والملاحظة والمقاييس ، ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ، أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي (١) .

وإذا تساؤلنا الآن عن موقف الدين الإسلامي من المنهج التجريبي ، وعن العلم المادي ، فإننا نجزم غير مترددين بأن موقف الدين الإسلامي من ذلك ، موقف الداعي المشجع المستحث الأمر ، طلب العلم فريضة على كل مسلم وصلة ، ، ككتاباً أو متعلما ، ولا تسكن التلكة فتهلك ، .

٣ - وإذا كان الدين يقف من العلم المادي ، ومن التقدم المادي ، موقف المشجع ، فإن موقفه من النيات والإرادات الإنسانية التي تتحكم في استخدام

(١) من كتاب التفكير الديني في الإسلام - ص ١٠٠ .

# المجتمع الاشتراكي في ظل الإسلام

للأستاذ عبد الرحيم فوده

- ١ -

١ - المجتمع :

بل يمسع العالم الإنساني بما يشتمل عليه .  
ويقتضى إليه من شتى الأمم والأجناس ، فإن  
الإنسان حيث كان ، ومهما يختلف به الزمان  
والمكان هو هو كما برأه الله حيوان ناطق ،  
والناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم  
يقتضون إلى أصل واحد ، فهم أسرة كبرى  
تتكون من أسر صغيرة تسمى الفصيلة أو  
القبيلة أو العشيرة ، وأسرة كبيرة تسمى كل  
أسرة منها الشعب أو الأمة ، وقد تقاربت  
المسافات بما وصل إليه الإنسان من وسائل  
المواصلات ، وتقاربت الثقافات بما اخترع  
من أجهزة الإذاعة والتلفزيون ، وأدوات  
الطباعة والنشر ، حتى صار الواحد هنا يسمع  
ما يقال في أقصى الأرض ، وهو جالس إلى  
جوار المذياع . ويرى في دور الحياة ،  
وعلى شاشة التلفزيون ، ما يقع أو يدور  
في جوانب الدنيا من أحداث . وتخصص  
ومشاهد ، ويقرأ في الصحف والكتب  
ما يكتب في مختلف أنحاء هذه المعمورة وقد  
كان ذلك خليقا بأن يوجه الناس جميعا إلى  
التعارف والتعاون على البر والخير لو أن هذه

حينما يكن اجتماع . ومكان جامع . وروابط  
جامعة . تطلق كلمة المجتمع ، فهي تطلق وتصدق  
على الأسرة لأنها تتكون من أفراد تجمعهم  
روابط النسب . والقربى . والمكان  
والمصلحة المشتركة ، وتطلق على القرية لأنها  
تتكون من عدة أسر تجمعها علاقات المجاورة  
والمصاهرة . والمصالح المشتركة . أو المرافق  
العامة ، وتطلق على المركز ، لأنه يتكون  
من عدة قرى متجاورة تخضع لإدارة موحدة  
ويطلق أبنائها في المدارس والمعاهد والمساجد  
الكبرى ، والاندية ودور القضاء ، وما يقال  
في المراكز ، يقال في المحافظات التي تتكون  
من عدة مراكز ، ويقال في الدولة أو الجمهورية  
التي تتكون من عدة محافظات وأقاليم يحكمها  
جميعا قانون واحد ، وتعرف عليها حكومة  
واحدة ، ويجتمع أبنائها على عادات وتقاليد  
ومصالح مشتركة ، بل إن معنى كلمة « مجتمع »  
يلسع حتى يمسع الأمة التي تتكون من عدة  
شعوب تجمعها وحدة الدين واللغة والجنس



والاذواق ، والواهب والاخلق ، كما أنهم مختلفون في السمات والملاخ ، وقد قيل في تفسير قوله تعالى : « وقد خلقكم أطوارا » إن معناه خلقكم ضروباً وأحوالاً مختلفة أو خلقاً مختلفة كل واحد منكم على حدة وقيل كذلك : إن معناه مختلفين في المناظر والاخلق ، وقال الفراء : إن معناه : نظفة ثم حلقه . ثم مضى . ثم عظاما . والآية تقس لكل هذه المعاني وتسع غيرها مما يكشف عنه البحث والتأمل .

ولا شك أن المجتمعات الإنسانية مع اشتراكها في الروابط والصالح والمعاني العامة يختلف بعضها عن بعض في السمات والملاخ ويتميز بعضها عن بعض بخصائص وأشكال مختلفة ، كما يتميز الأفراد في الأسرة الواحدة بمواهب وملاخ وأشكال مختلفة بل كما تتميز الأوراق والأفصان في الشجرة الواحدة بأحجام وأشكال مختلفة فقد شاعت حكمة الله أن يكون الاختلاف في العناصر أساس خلق هذا الوجود ، وأن يكون ذلك الاختلاف قانوناً مضطرباً في تكوين كل موجود

عما تقع عليه العين أو يقع تحت الحواس ، حتى الكلمة التي تقال أو تكتب لتعبر عن ذات أو معنى تتكون من حروف مختلفة والكلام الذي يقال أو يكتب ليعبر عن شعور أو تفكير يتكون من كلمات مختلفة والدواء

الأجهزة استخدمت في وجوه البر والخير ، ووجهت إلى ما يجب أن تنبه إليه بما يدل عليه قوله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » فإن ذلك هو المنطق الطبيعي للمعاني الإنسانية والإنسان وهو إلى ذلك نداء الله الذي خلقهم ورزقهم وأمرهم أن يستجيبيوا له لإذاعهم لما يحجبهم : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » ، « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء » ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام إن الله كان عليكم رقيباً .

ولكن هذه الأجهزة لم تستخدم - كما يجب - في الأغراض السلبية ، وإشاعة الأمن والإيثار بين الناس ، وإنما انخرقت بها الأطماع والشهوات إلى خدمة الشيطان ، فأصبحت تستخدم في الحرب الباردة والساخنة وتعمل على إثارة القلاقل والبلابل وإغراء العداوة والبغضاء . وكثيراً ما تستخدم في تخدير الضمير العالمي ، وتضليل الرأي العام .

## ٢ - ١ - المصروف :

والواقع الذي لا سبيل إلى تجاهله أو التغافل عنه ، أن الناس بفطرتهم مختلفون في الميول

والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله  
من عباده العلماء إن الله عزيز غفور .

### ٣ — المثلثات

وإذا كانت العناصر المختلفة لا تؤدي  
وظائفها إلا بالتلافيا مع غيرها . كان  
الاتلاف ضرورة لا عيب هنا في إقامة  
الاجتماع الصالح السعيد ، ومن ثم كن من أجل  
ما من الله به على أبناء هذه الأمة حين شرح  
صدورهم للإسلام أن ألف بين قلوبهم ،  
وقال لنبه عليه السلام : « لو أنفقت ما في  
الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن  
الله ألف بينهم ، وقال يذكركم بهذه النعمة :  
« واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء  
فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا  
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . »  
وقد كان العرب قبل الإسلام كما قال جعفر  
ابن أبي طالب لنجاشي الحبشة : ( كنا قوما  
أهل جاهلية . نعبد الأصنام . ونأكل الميتة  
ونأكل الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسوء  
الجوار . وبأكل القوى منها الضعيف .  
فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا  
منا نعرف نبيه وصديقه وأمانته وعفافه .  
فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع  
ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة  
والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء  
الإمانة . وصلة الرحم ، وحسن الجوار .

الذى يستخدم في علاج أى داء يتكون من  
عناصر مختلفة .

فالاختلاف حقيقة طبيعية لا سبيل إلى  
إنكارها ، والاتلاف العناصر المختلفة لتؤدي  
مع اتلافها وظيفة خاصة أو عامة أمر  
لا سبيل إلى الشك فيه ، فإن ذلك ما نظامه  
في كتاب الله المرقى : وهو هذا الوجود بما  
فيه ومن فيه ، وفي كتابه المقروء وهو هذا  
القرآن الذى « لا يأتيه الباطل من بين يديه  
ولا من خلفه » ، لأنه كما يقول الله : « نزيل  
من حكم حميد » ، ومن ذلك قوله تعالى : « وآية  
لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها  
حباً فنه يأكلون . وجعلنا فيها جنات من  
نخيل وأعناب وجرفنا فيها من العيون .  
ليأكلوا من ثمره وما حملته أيديهم أفلا  
يشكرون . سبحانه الذى خلق الأزواج كلها  
عما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يحطون . »  
وقوله تعالى : « ومن كل شئ خلقنا زوجين  
لعلكم تذكرون » ، وقوله سبحانه : « ومن  
آياته خلق السموات والأرض واختلاف  
السكنى والوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين . »  
وقوله جل شأنه : « ألم تر أن الله أنزل من  
السما ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها  
ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها  
وغرايب سود . ومن الناس والنبات

والكف عن المحارم والفساد ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا . وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناهم ، وآمنا به .

ثم كانوا بعد الإسلام كما يقول الله : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » ، وكما يقول : « ذكر روح أخرج شطاء فآزروه فاستغلظ فاستوى على سوقه يسحب الزراع لينبسط بهم الكفار » ، وكما يقول : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

#### ٤ - الاشتراكية :

ولا شك أن النتيجة الطبيعية للألفة التي تجمع بين العناصر المختلفة هي الاشتراكية بمناها العف الذي ينبع من الضمير ويوصى به الدين ويتحقق به العدل والفضل ، بل إن الاشتراكية العادلة الفاصلة هي النتيجة الطبيعية للواقع المحس الذي يعيش فيه الناس ؛ لأن الإنسان منذ كان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لا يستطيع أن يعيش متزلا من غيره . منفصلا عن مجتمعه ، فهو في حاجة دائمة لازمة إلى الزارع والصانع والحامد والحاكم ، وكل عامل في المجتمع يؤدي له خدمة مباشرة أو غير مباشرة . وقد عبر الشاعر القديم عن هذه الحقيقة حين قال .

الناس للناس من بدو وحاضرة  
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدع  
ولنضرب لذلك أبسط مثل وهو الرغيف الذي يأكله ، فإن الإنسان بقناوله بعد هذه أعمال لا يستطيع بمفرده أن يؤديها ، لأن هذه الأعمال يشترك فيها الزارع والطاحن والعاجن والحائك ، والبائع ، وما يقال في الرغيف يقال في غيره من كل ما يحتاج إليه في المسكن والملبس والمأكل وما إلى ذلك من الضروريات ، وكذلك شأنه في كل ما ينشعب به من السكاليات ، بل إنه - دون غيره من بقية أنواع الحيوانات - يصعد دائما بمجاهات متزايدة لاسيلا إلى إنشاعها وإقناعها ، وهذه الحاجات - على تعددها وتزايدها - تتطلب التوزيع والتنويع في العمل وتحريك كل القوى والمواهب للإسهام في الإنتاج ورفع مستوى الدخل العام ، فليس من العدل ولا من المصلحة أن يستأثر كل إنسان بغيره ، فينتفع به دون غيره وليس من الخير أن يهرم المجتمع من مواهب وقوى يملؤها الحرمان . أو يثقلها الظلم عن المشاركة في العمل وزيادة الرخاء والرفاه ...

ومن ثم كانت الاشتراكية في الإسلام هي ما يفهم من قول الله : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » .

وسنعرض لها في شيء من التفصيل ؟  
( يتبع )

عبد الرحيم فودة

# العلماء سُفراء وفادة<sup>(١)</sup>

للأستاذ محمود الشرفاوى

في يوم من أيام ربيع الأول من سنة ١٢٠٠ هـ (يناير ١٧٨٦ م) قام حسين بك شفت<sup>(١)</sup> أحد كبار المالك ، ومعه طائفة من جنوده قاصداً منطقة الحسينية واقنع دار رجل اسمه أحمد سالم الجزار ، كان رئيساً على دراريش الشيخ البيوى ، ونهب الأمير حسين دار هذا الشيخ . وفي صباح اليوم التالى ثار جماعة من الحسينية ، وخرجوا إلى الأزهر ، وشكوا أمرهم إلى الشيخ أحمد الدردير ، فشجعهم في ثورتهم ، وغضب لهم وقال لهم أنا معكم . فقام الفاضل إلى أبواب الأزهر فقفوها ، وصعدت طائفة منهم على المآذن يصيحون ، ويدقون الطبول ، وانتشر الناس في الأسواق وقد ظهر عليهم الغضب والتعنف ، وأقبل التجار متاجرم . فلما رأى الشيخ الدردير ثورتهم هذه قال لهم : موعدنا غداً لنجمع الناس من أطراف المدينة ، وبولاق ومصر القديمة ، وأسير معكم إلى بيوت هؤلاء الأمراء ننهجها كما ينهبون بيوتنا . وسينصرنا الله عليهم ، أو نموت شهداء . وبعد ساعات

كانت العلماء ، في جميع عصور الإسلام ، الريادة والقيادة : يرودون الحياة أمام الناس ويقدمون لهم ثمرة هذه الريادة من العلم والتجربة والثقافة والفضائل والتقوى . ويقودونهم - أفراداً وجماعات - إلى طريق الخير والفلاح . وفي بعض عصور التاريخ نجد هؤلاء العلماء ريادة أخرى وقيادة للسياسة والثورة في سبيل رفع الظلم ورد العدوان . كان ذلك أوضح ما يكون الواضوح في مصر في القرن الثامن عشر ، حين ألغى الظالمون في ظلمهم واعتدى المعتدون على وطنهم

في هذا القرن كانت تقوم ثورات شبيهة كثيرة يهب فيها أهل مصر لرد عدوان الظالمين - وعقابهم أيضاً - وكان العلماء يشاركون الشعب إحساسه وثورته ، بل كثيراً ما كانوا يقودونه في ثورته ، ويمرضونه .

## الشيخ الدردير يقود ثورة

والشيخ أحمد الدردير ، وكان مفتياً للبالكية ومن أكبر علماء عصره ، في ذلك مواقف كريمة تذكر بعضها منها :

(١) يقول الخبر في إن « شفت » معناها المدي والأرجح أنها محروءة من كلمة « شفت » التركية . هذا للفق .

« فصل من الطبيعة الثالثة » لكتابنا : « دراسات في تاريخ الجبرتي » مصر في القرن الثامن عشر .

الشيخ عباس ووقف المغاربة :

وقبل ذلك بعشر سنوات آلت بعض الأوقاف المحبوسة على طلبة العلم إلى طلبة المغاربة ، ولكن واضح اليد تجحد هذه الأيلولة وأنى أن يسلم الحق لأصحابه ، ولجأ في ذلك إلى الأمير يوسف بك أمير الحج قصره هذا على باطله ، وأقام المغاربة دهرام أمام القاضى فأثبت لهم حقهم ، ولكن الأمر كبر على يوسف بك ، وأنى أن يتمثل لحكم القضاء ، بل أمر بالشيخ عباس - زعيم المطالبين بوقف المغاربة - أن يساق إلى السجن . فلما ذهب رسل الأمير يوسف بك إلى الأزهر لأخذ الشيخ عباس طردهم الأزهريون وسومهم ولم يمكنهم منه ، ثم قصدوا إلى الشيخ أحمد الدردير فأحبوه الخبر ، فكتب الشيخ إلى يوسف بك ألا يتعرض لأهل العلم ، وألا يعاند في حكم أصدره القاضى ، وأرسل الشيخ كتابه هذا إلى يوسف بك مع شيخين أخذاهما لذلك . فلما وصل الشيخان برسالة الدردير أمر يوسف بك بالقبض عليهما وزجرهما جزاً شديداً ثم بجهنما . ووصل خبر ذلك إلى الشيخ الدردير ، وأهل الأزهر ، فاجتمعوا عند الصباح وأبطلوا دروس العلم ، والأذان ، والصلاة . وأقفوا أبواب الجامع . وجلس العلماء عند القبلة القديمة . وكان الأزهر يموج بالناس ، فصعد الصغار منهم إلى المنارات والمآذن يكثرُونَ من النداء على الأمراء . وشارك

من النهار أرسل إبراهيم بك : شيخ البلد وكبير الماليك ، نائبه ، وأميراً آخر إلى الشيخ الدردير يرجوه أن يرسل إليه قائمة بجميع ما نهب من بيت الشيخ الجزار حتى يرده إليه .

وفي شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها كان مولد السيد البدوى ، في طنطا ، وكان الشيخ الدردير في المولد ، وجاء كاشف<sup>(١)</sup> الغريبة ، من قبل إبراهيم بك ، ففرض على الناس مقارم ثقيلة ، وأخذ لإبلا لبعض الأهراب كانوا يبيعونها في المولد ، فشكوا أمرهم إلى الشيخ ، فأمر بعض أتباعه أن يذهبوا إلى الكاشف ، فغشوا بطشه ولم يذهبوا ، فركب الشيخ بنفسه ومعه بعض أتباعه ، وكثير من السامة . فلما أقبل على خيمة الكاشف ناداه لحضر إليه . وكله الشيخ ، وهو على ظهر بغلة ، وقال له : إنكم لاتخافون الله ، واشتد عليه بالزجر والتأنيب . فلما رأى الناس ذلك خرجوا عن طيورهم ، وضربوا نائب الكاشف ، وقامت قتلة بينهم وبين الجند ضرب فيها وأسر واحد من أتباع الشيخ ، وذهب كاشف المنرفية وكاشف الغريبة بعد ذلك يعتذران إلى الشيخ ، ولما عاد إلى القاهرة قدم إبراهيم بك بنفسه إلى منزله معتدرا ومعه كبار الماليك .

فيه إسماعيل بك بأن يجيب وغائبهم ويضل جميع ما يطلبون ، وقال إن ضيقه في ذلك الشيخ السادات ، وظل إسماعيل بك يرسل المتربين داخل الأزهر يوما كاملا حتى استجابوا ، وفتحوا أبواب الأزهر ، وكانوا شرطوه على إسماعيل بك ألا يمر إلاغاء ، ولا الوالى ، ولا المحاسب قريبا من الأزهر .

### الشيخ السادات يفرود الثورة :

كان الشيخ السادات ، من أكبر الشيوخ مقاما ، وأعظمهم شأنًا ، وأوسعهم جالما وثروة ، وأعزهم منزلة لدى الناس ، ولدى الأمراء على السواء . ولكنه ، مع اختيار نابليون له عضواً في الديوان ، وزيدته له في بيته ، كان من أكبر خصوم الفرنسيين ، والمحرمين على الثورة عليهم .

ف عندما قامت ثورة القاهرة الأولى تبين أن زعيمها الأول هو الشيخ السادات . وتبنت لديهم ذلك حتى أمر الجنرال كليبر بإعدامه ، ولكن نابليون رده عن ذلك ، مع بقاءه من زعماته للثورة ، وقال : إن قتل شيخ في مكانة السادات يضر أبلغ الضرر بمركز الفرنسيين ، ويؤيد في حشد المصريين وكرهاتهم له .

ثم قامت ثورة القاهرة الثانية على الجنرال كليبر . وكان السادات من المحرضين عليها . فجاءت فرصة كليبر لشفاء ما في نفسه

الشعب أهل الأزهر شعورهم بالسخط واحتجاجهم على الظلم ، فذهبت الحوانيت والمتاجر ، وعرف الأمراء ما جرى فأرسلوا إلى يوسف بك ليطلق صراح الشيخين ، فأطلقهما ، وأرسل شيخ البلد إبراهيم بك ، كبيراً من رجاله إلى العلماء ، فلم يستطع إرضاءهم ، وجاء كبير آخر يطلب إلى الناس أن يفتحوا متاجرهم ، وينصرفوا لشأنهم .

فذهب إليه طلبة الأزهر ، وجموع من الشعب بأيديهم العصي والمساوق ، وضربوا أتباع هذا الكبير ووجوههم بالحجارة . فأطلق عنهم هو ورجاله الرصاص . وقتل ثلاثة من الطلبة ، وجرح بعض أفراد الشعب وخشى الأمراء بعد ذلك أن يتفاقم الخطب ، وتزيد ثورة الشعب والعلماء اشتعالا ، فأرسلوا في اليوم التالي كبيراً منهم ، مع الشيخ السادات ، وآخرين من الأمراء . ودأوا من الحكمة ألا يذهبوا إلى الأزهر ، في وسط هذه الفتنة جلسوا في مسجد الأشرف ، وأرسلوا إلى أهل الأزهر ومن معهم من الثائرين ، أن طلباتهم أجيب ، فلم يقنعهم ذلك ، ولم يتركوا أما كنهم . فلم ير إسماعيل بك ، كبير الأمراء ، بدا من أن يذهب بنفسه إليهم ، فقل مع الشيخ السادات ، ولم يستطع أن يواجه الثائرين داخل الأزهر ، جلس مع السادات في مسجد المؤيد ، وأرسلوا إليهم كتاباً تعهد

التي كانت محبوسة على زوجة أجداده .  
وشرطوا عليه ألا يجتمع بالناس ، وألا يخرج  
إلا بإذنهم ، وأن يقتصد في نفقاته ، وينقص  
عدد أتباعه وخدمه .

وبحرف منه : **المرآة الأيضا :**

وعندما قدمت الحملة التركية الانجليزية  
لحرب الفرنسيين وإخراجهم من مصر ،  
سنة ١٨٠١ ، وعلم الجنرال منو ، نائب  
نابليون وقائد الجيوش الفرنسية ، أنها نزلت  
أبو قيرى الإسكندرية ، أمر ، للمرة الرابعة ،  
بالقبض على الشيخ السادات حتى لا يثير  
المصريين عليهم . وحين في القلعة ، وبقي فيها  
بهيما حتى يارح الفرنسيون مصر

وقد مات ابن الشيخ السادات وهو في السجن  
فلم يسمحوا له بالخروج يراه ، بل أذنوا له  
بالسير في جنازته تحت الحراسة ، ثم أعادوه  
إلى السجن .

ومن مواقف الشيخ السادات الوطنية  
الكريمة ، أنه عندما أضرت الحرب والحصار  
بالثخين في القاهرة ، التزم بالإلتفاق  
على المحاربين والجاهدين في المنطقة التي كان  
يقم فيها ، عند قناطر السباع .

ومات الشيخ السادات بعد ذلك في مارس  
سنة ١٨١٣ في عهد محمد على بعد أن عرف  
له الناس وبجل التاريخ هذه الشجاعة  
وهذا البذل .

**محمد الشرفاوى**

من السادات . وكان يذكر نصيحة نابليون  
فلم يفتله . ولكنه أوقع به من العذاب والمهانة  
شيئا كثيرا . حيث فرض عليه ضريبة قاذرة ،  
قدرها مائة وخمسون ألف قرنك . فلما رفض  
أن يدفعها أمر بسجنه في القلعة . وكان ينام  
على التراب ، ويمشون به على قدميه في شوارع  
القاهرة ، ويضرب في صباح كل يوم خمس عشرة  
عصا ، ومثلها في كل مساء . وحبسوا أتباعه  
وخدمه . وطلبوا زوجه وابنه فلم يجدوها .  
فغضبوا غادما له عذابا شديدا حتى دل  
على مكانها ، فسجنوها . ووضعوا معه  
زوجته في سجن واحد ، فكانوا يضربونه  
أمامها ، وهي تبكي . وهاجموا داره ، ففتشوها  
ونهبوا ما كان فيها من مال ومتاع وحضروا  
أرضها للبحث عما فيها من سلاح ومال .  
وجعلوا على يفته عشرين حارسا . وعندما  
أعادوا تشكيل الديوان ، (١) أخرجوه .

وبعد أن أنزلوه من القلعة عادوا فسجنوه  
فيها مرة أخرى خمسين يوما ، ثم أخرجوه  
بعد أن أتم دفع ما فرضوا عليه ، ولكنهم  
عادوا فصادوا جميع ممتلكاته وإقطاعياته  
- وكانت شيئا كثيرا - وحبسوا مرتبته  
وأوقافه وأوقاف زوجاته ، وبيع الأوقاف

(١) عندما نابليون القاهرة ألب الديوان  
من مدينين « الموى » و « الموصى » وكان  
الأخير يتألف من كبار العلماء والتجار وأهل الرأي  
واللغة من المصريين . وكان رئيسه الشيخ عبد الله  
الشرقاوى ومن أبرز أعضاء الشيخ السادات .

## من معاني القرآن

« إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » .

ويصدون : يمتنعون ويصرفون الناس .  
سبيل الله : طريقه الذي شرعه وصراطه المستقيم ، ومعناه واسع جامع يتناول كل بر وخير .  
والمسجد الحرام هو الذي أوجب الله تعظيمه واحترامه ، ونهى عن انتهاك حرمة ، وهو المسجد الذي تقوم فيه الكعبة ، وتسمى مكة البلد الحرام كذلك ، لأن الله كرمها بوجود البيت فيها .

يعصون : يمتنعون ويصرفون الناس .  
سبيل الله : طريقه الذي شرعه وصراطه المستقيم ، ومعناه واسع جامع يتناول كل بر وخير .  
والمسجد الحرام هو الذي أوجب الله تعظيمه واحترامه ، ونهى عن انتهاك حرمة ، وهو المسجد الذي تقوم فيه الكعبة ، وتسمى مكة البلد الحرام كذلك ، لأن الله كرمها بوجود البيت فيها .

والمسجد الحرام هو الذي أوجب الله تعظيمه واحترامه ، ونهى عن انتهاك حرمة ، وهو المسجد الذي تقوم فيه الكعبة ، وتسمى مكة البلد الحرام كذلك ، لأن الله كرمها بوجود البيت فيها .

العاكف : المقيم الملازم للإقامة ، والباد : الطاريء عليه من البادية أو من الخارج .

إلحاد : ميل عن القصد وعدول عن الحق ، يقال ألحد السهم عن الهدف عدل عنه .  
وألحد فلان عن الحق عدل وأدخل فيه ما ليس منه ، وألحد في الحرم استحل حرمة .

الحق :

إن الذين كفروا بالله ورسوله . وهم مع كفرهم يمتنعون غيرهم عن الإيمان ، ويصرفونهم عن الطريق الذي شرعه الله . . والذين الذين ارتضاه ، والمسجد الذي عظمه وكرمه .

والمتمأمل في هذه الآية ، يجد أن الصد عن سبيل الله ، وعن المسجد الحرام قد افترقا بالكفر ؛ لأنه بسبيل منه ، أو هو أظهر ما يكون منه ، كما يجد أن المسجد الحرام للناس لا لفرقة من الناس ، وذلك ما يفهم من قوله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس » ، وقوله : « وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناء » وقد أندر الله من يريد فيه زينة وجورا بالعذاب المؤلم الشديد . « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه » ، ذلك ومن يعط شعائر الله فإنها من تقوى القلوب » .

عبد الرحمن فرود



# أحمد أمين

للمؤلف عبد المعطي الميري

متواضعة بقول فيها ، إنه كان يقرأ ، ويلخص ما قرأ وما هو يطبع ما لخص .

يقول هذا وهو يؤدب الفلسفة ليتفتح بها الأدباء فيفلسفوا الأدب ...

ونقرأ فيض « خاطره » ، أو « حياته » ،

فتظن أن الرجل قد وقف حياته على الأدب

الحاصل ، ففي الكتاب الأول يتناول مختلف

فنون الأدب ، فيكتب الدراسات الفنية ،

والتقنية ، ويصور الحياة في شق مظاهرها

ومشاهدتها ... وفي الكتاب الثاني يكتب

ترجمة ذاتية لحياته ، فيسجل ما ألم عليه ،

وما اضطرب فيه ، فإذا بالكتاب صورة

كاملة الملامح ، واضحة الأجزاء ، لجيلة ويسته

وبجمته ، ويسد بذلك فراغا تشكونه المكتبة

العربية لفقرها من كتب الترجمات .

ويفرغ في أحماق الأدب الضمى فيضع

قاموس اللغة والتقاليد والتمايز ، ذلك القاموس

الذي كنا في أشد الحاجة إليه ، والذي كان

يحتاج لإعداده ووضعته إلى عدة رجال . فهو

لم يدع شاردة ولا واردة عما يضطرب على

ألسته الشعب في السوق والبيت والحارة ،

إلا وضعه الكتاب ، هذا بالإضافة إلى اهتمامه

بالأمثال والأساطير والعصور المتنوعة

لحياة الشعب ...

أمرى أحمد أمين المكتبة العربية بما قدمه من

إنتاج قيم ، يضيف إلى معلومات قارئه معارف

ومفاهيم جديدة في مختلف العلوم والآداب .

وأرخ بأسلوبه الرائع عهداً مجيداً للعلماء

وكيف تحظى بحوثهم بحظ الأدباء ، فأنت

تقرأ الكتاب الذي يعالج فيه كتابة التاريخ

فتراء من ناحية الأسلوب كأنه نموذج للأدب

الرفيع ، ومن ثم جمعت آثاره بين عمق العالم

وشاهرة الفنان .

تقرأ الكتاب فلا تود أن تتركه حتى تفرغ

منه . ولا تمدحه إلا لتبدأ في الرجوع إليه .

ومع هذا فأنت تقرأ العلم ، تقرأ الفلسفة ،

أو التاريخ ، وقد تعودت أن تقرأها

بأسلوب العلماء !!

تقرأ قصة الفلسفة اليونانية ، قصة الرجل

الأول الذي ينظر في الكون حائراً : ما هذا ؟

ولم هذا ؟ وكيف هذا ؟ ويرتقي ذلك الإنسان

ويقطع المراحل ، وتتأقب الأجيال ،

وتصل الحفقات حتى تصل إلى العصر الذي

نعيش فيه مسجلة لمختلف الفلسفات ونموها

وتطورها ، وذلك في عرض فني ليس بعده غاية

لفنان ، ومع هذا المزج بين العلم والأدب ،

وما يتطلبه ذلك من شمول وتمحيص العالم ،

وانفعال وتوثب الأديب يقدمه صاحبه بمقدمة

الكبير السن ، الكثير المسؤوليات أن يتعلم الإنجليزية وذلك على أثر حديث لصديق عن كتاب للمستشرق الأيرلندي ماكدونالد تناول فيه نظام الحكم وتاريخ الفقه ، والمذاهب والمقالد في الإسلام ، فيقسم أن يقرأ هذا الكتاب في لفته ١١ .

ويوفقه الله فير يقسمه ... يذهب إلى مدرسة برليتز ، ويذلل المجهود الشاق فيقرأ في البيت ، ويحفظ في الطريق ، ويذاكر وهو يراقب الامتحانات ، ويراجع وهو يشرف على حصص الدروس ولم يكن في فصل يتعاون فيه مع الطلبة ولا في بيئة تعودت سماع لغة أجنبية ولذلك يقول له الشيخ الحضري : « قد جرب هذه التجربة مئات من طلبة دار العلوم فساروا خطوات ثم رفضوا ، فبرء عليه بقوله : « سأجرب كما جربوا ، ولكن سأنجح إذا فعلوا » .

وبجهد نفسه فيعكف على كتاب الإسلام للسيد دأمر على ، يحاول أن يقرأ في الإنجليزية وكان يجلس في الصفحة الواحدة ثلاث ساعات ، يكشف في المسح عن كل كلمة وهو جاد صابر ...

ويوفقه الله إلى الإنجليزية تدعى مس دور ، وهي مثقفة تنشر المقالات في جريدة التايمز فتحدث المجرة ويلم تمام الإلهام باللغة الإنجليزية وأدبها ...

يتحدث عن ذلك فيقول : « ماذا كنت

كان على تواضعه الشديد يعرف لنفسه قدرها ... سأله مرة أحد الصحفيين عن أثر تعيينه عميداً لكلية الآداب فكان جوابه : « إنني أصغر من أستاذ ، وأكفى أكبر من عميد ١١ » .

ويطلب له أن يكشف عن حياته فيقول : « كنت في بدء حياتي العلمية كثير الفراغ ، أصره في القراءة والكتابة ، فألفت لجزر الإسلام ومضاه ... ثم قل فراغى لاشتغال بكثرة المجالس واللجان ، فأنا عضو في الجمع القوي ، وفي مجلس دار الكتب ، ومجلس كلية الآداب ، ودار العلوم ، ورئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر . والجامعة الشعبية ، ومذيع في الراديو ... وكل هذه أكلت من وقتي ، وبشرت دمي ، ووزعت جهدي مع قلة فائدتها فيما أعتقد ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لفضت كل هذه الأمور ، ولفرغت إنعام سلسة لجزر الإسلام ومضاه ، وظهره ، وعصره ، فقد كان ذلك أجدي وأنفع وأخلد ، ولكن الظروف أحكام ...

ويتحدث عما يروقه في الأدب فيقول : « أكثر ما يعجبني في الأدب ما غرد مناه ، ودق مرماه ، ولذلك لا يهز قلبي لا أكثر شعر الطبيعة في الأدب العربي لبنائه على الاستعارة والتشبيه ، لا على حرارة العاطفة » .

• • •

ويخطر له وهو الفقيه القاضي الشرعي

من النقاد والمستشرقين بالثناء والتقدير ... يقول الدكتور طه حسين : « ولست أخفى أنى لم أكن أعرف حدا لهذا الدهش الذى كنت أجده حين أرى أحمد أمين يتصرف فى المسائل الأدبية والفلسفية والفكرية بقدم ثابتة ، ويد صناع ، وعقل يعرف كيف يفكر ، وكيف يقتل من قضية إلى قضية ، ومن مقدمة إلى نتيجة ، وكيف يضع الأشياء بعد ذلك كله فى نصابها معتدلاً أحسن اعتدال ، لا يعرف التقصير ولا يعرف الإسراف ... والحق أن الدكتور طه حسين لم يجاوز الحق فى هذا الحكم ، فزرح الحياة الإسلامية قد بعثت فى صورة واضحة بأسلوب بين المنهج ، سهل المخرج ، لها من جلال العالم الحظ الأوفر ، ومن رقة الشاعر النصيب الأكبر ، هذا فوق تفردها بطابع العصر الحديث .

تقدّأرح المرحوم أحمد أمين بفجر الإسلام وضحاه صفحة مجيدة للتاريخ فى الأدب العربى لم يسبقه إليها مؤرخو العربية إذ كان ينقصهم فوق التحرر من الفهم وعاداتهم وحزبيتهم الإحاطة بالمناهج العلمية الحديثة التى تجعل نصيب الاستقراء والاستنباط والتحليل فوق نصيب الالفاظ والتراكيب ، فثلا مسألة كنشال الفرق الإسلامية كيف كان يتم تكوين فكرة سليمة من درس الكتب القديمة التى تزخر بمختلف الآراء ، وتعدد الروايات ، وبخاصة أن كتابها كانوا كثيراً

لو لم أجز هذه المرحلة ؟ فقد كنت ذا عين واحدة ، فأصبحت ذا عينين ، وكنت أعيش فى الماضى ، فصرت أعيش فى الماضى والحاضر ، وكنت أكل صنفاً واحداً من مائدة واحدة ، فصرت أكل من أصناف متعددة على موائد مختلفة ... لو لم أجز هذه المرحلة ثم كنت أدياً ، لكنت أديباً رجياً يعنى بزويق اللفظ لا جودة المعنى ، ولو كنت مؤلفاً لكنت جاعاً أجمع مقترفاً ، أو أفرق مجتمعا من غير تمحيص ولا نقد ... فأنا مدين فى إلتاىبى الضعيف فى الترجمة والتأليف والكتابة إلى هذه المرحلة من المراحل الأولى ...

...

وكان مضرب الأمثال فى الأدب والجدد والصبر ... يتفق مع زميله عبد الحميد العبادى وطه حسين على تأريخ الحياة الإسلامية ... على أن يكتب العبادى التاريخ ويكتب طه حسين الحياة الأدبية ، ويتناول هو الحياة العقلية ، ثم ينصرف كل إلى شأنه وتلح المشاغل على الاثنين — العبادى وطه ... فلا يصنعان شيئاً ، فأما هو فينجز ما التزم به ويفشر لجر الإسلام ... ثم بقدر أن صاحبه قد انصرفا عما اتفقوا عليه فيعكف على الموضوع فينجز ما كان سينطلق به الجميع ... وتظهر المكتبة العربية بذلك المرجع العظيم للحياة الإسلامية ... ويتابع صدور أجزاء لجر الإسلام وضحاه قعطى

في شيء\* ، ولعل نقطة الضعف فيهم أنهم  
أفرطوا في قياس الغائب على الشاهد ، أخطئ  
في قياس الله على الإنسان ، وإخضاع الله  
تعالى لقوانين هذا العالم قد أزموا الله تعالى  
مثلاً بالعدل كما يتصوره الإنسان وكما هو نظام  
ديني ، وفاتهم أن معنى العدل - حتى في الدنيا  
معنى نسبي يتغير تصوره بتغير الزمان ،  
وأن ما كان عدلاً في القرون الوسطى يعد  
ظلماً الآن ، فكيف إذا انتقلنا من عالم الدنيا  
إلى عالم الله وكذلك الشأن في قولهم في الحسن  
والقبح ، والصالح والأصلح ، إنا نرى أن  
الإنسان إذا ضاقت نظره حكم على الأشياء  
حكماً ، فإذا اتسع نظره تغير حكمه ... فن  
نظر فقط إلى أمره كانت بعض أحكامه  
خطأ بالنسبة لمن اتسعت نظره إلى أمة  
أو إلى الإنسان عامة ، ونحن في أعمالنا  
تنظر إلى عالمنا ، والله تعالى رب العالمين  
قد ينظر في أعماله إلى جميع العوالم ما نعلم  
منها ، وما لا نعلم ، فكيف نخضع الله لتصور  
العدل الذي تتصوره نحن في عالمنا هذا -  
كذلك قولهم في أن صفات الله هي عين الله  
أو غير الله ... كل براهينهم مبنية على قياس  
الغائب على الشاهد ولكن الشبه بعموم ،  
وقد فرضوا أن العينية والغيرية والزمانية  
والمكانية لازمة لكل موجود ، وهذا في  
نظري خطأ محض فهي قوانين إنسانية ، وإن

ما يعمدون إلى إرضاء فريق يدينون برأيه  
دون مراعاة الحق والتاريخ .

إنهم كانوا واحداً من اثنين ، فريق يشرح  
وجهة النظر لكل فرقة ويقف عند هذا الحد  
وفريق آخر يمرض لكل رأى ويبدى  
حجته ولكنه يعمد إلى قرض جميع الرأى  
المختلف لها بأسلوب يسفه فيه هذا الرأى ،  
وهكذا ظل تاريخ تلك الفرق ينقصه من  
يشرح وجهة النظر ويحلها ... ينقصه القاضي  
العادل الذي يحكم بعد إمعان النظر - من غير  
حرج ولا تسفيه ، إلى أن أتبع له أحد أمين  
الذي يقول : « إن من طلب العلم ودعا إليه  
علم أن المتف يذهب صاحبه إلى المتف  
والإصرار عليه » ادع إلى حيل ربك بالحكمة  
والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن .  
وعلى سبيل المثال نعرض لمناقشة أصل  
من أصول المعتزلة ، ولعله أهمها وهو العدل  
يقول لقد وقفوا - المعتزلة - أمام مشكلة  
المثوبة والعقوبة فأروا أن ذلك لا يكون له  
معنى إلا بتقرير حرية الإرادة في الإنسان ،  
وأنه يخلق أعمال نفسه ، وأن في إمكانه أن  
يفعل الشيء ولا يفعل ، فإذا فعل بإرادته  
وترك بإرادته كانت مثوبته أو عقوبته  
معقولة عادلة ، أما إذا كان الله يخلق الإنسان  
ويضطره إلى العمل على نحو عاص ، فيضطر  
المطيع إلى الطاعة ، والمعاصي إلى العصيان  
ثم يعاقب هذا ويثيب ذاك فليس من العدالة

وهذا النظر الشيوعي إلى الإمام يلقي على تاريخ  
الفاطميين وهى الدولة الشيعية ضوءاً قوياً  
مفسراً لسر تقديس الناس لهم حتى يبلغ الأمر  
أن يقول شاعرهم :

ما شئت لا ما شئت الأقدار

فاحكم فأنت الواحد القهار

ثم ينتقل إلى أثر الفرق في الأدب فيشير  
إلى المهزلة الذين أغتروا من حيث المعاني وقوة  
العقل ، وحملة الدين ، وتوليد الأفكار العقلية  
ونظروا إلى الكون وإلى الطبيعة وإلى إجراء  
التجارب عليها ودلائلها على عاقبتها ، وغوصهم  
على المعاني غوصاً وقللم الأدب من لفظ  
رشيق ، إلى معنى هقيق ...

ثم يتحدث عن الشيعة وكيف أثروا على  
الأدب من الناحية السياسية والعاطفية فقد  
أكثروا من القول في الحق وطلبه ، والإرث  
وغصبه ، ثم يكون على حق ضائع ودم أريق  
وحرمات انتهكت ، وبيوت دمرت ، وجيش  
صلبت وقذرت ...

وهكذا كل للناس من الأديين جميعاً فكر  
وطائفة ، وعقل وقلب . . . وكلامهما لا بد منه  
ولا غناء منه للأدب ...

وبعد فهل ترائى قلت شيئاً من الكبريم  
الفقيد ١٩

رحمة الله ورحمة واسعة بقدر ما أسدى  
للعرية - أمة ولغة - من خير وفضل ؟

عبد المعطي المسيرى

تساعنا قليلاً قلنا : إنها قوافين هالمة هذا ،  
ولسنا نستطيع القول بأنها تنطبق على غير  
هالمة أو لا تنطبق فإصدار حكمنا على الله  
اعتقاد أنها قوافين شاملة للإنسان جرأة  
لا يرتضيها العقل الذى يعرف قدره ،  
ولا يعدو طوره .

من خلال هذه السطور تقدر المنهج الذى  
سلكه أحمد أمين في التأريخ ، ومن خلالها أيضاً  
تقدر كيف اتحد معق العالم ، ويراغ الشاعر  
معقنا بذلك أملاكنا نختف به وتسناء .

وفي مناقشته لقول الإمام على في « المتعة »  
ما يلقي الضوء على نظريته للإصلاح الاجتماعى  
فبعد أن صور شناعة ذلك الأمر وتسهيله  
للإباحة وما تجره من فساد واستهتار يقول :  
« وإذا كان المثل الأعلى للأسرة زوجاً واحداً  
وزوجة واحدة ، وحرمة وثقى باقية أبداً  
في سعادة بنشأ في أحضانها الأبناء والبنات ،  
فما أبعد فكاح المتعة عن المثل . »

ثم يعرض إلى رأى الشيعة في الإمام وكيف  
أنها لا تتفق مع الإيمان الصحيح ، ولا تستقيم  
مع النظر المستند إلى الطبيعة ، فهم يرون أن  
الإمام مصوم ، وأنه مشرع ومنفذ ،  
ولا يسأل عما يفعل والخير والشر يقاس  
به فاعمله فهو خير ، وما نهى عنه فهو شر  
أليس في ذلك إلقاء للعقل ، وتسلياً مطلقاً  
لتصرفات لا يفسرها الشرع ولا العقل  
ولا الطبيعة ؟

## نظريّة البليحاء بين المستشرقين والمسلمين

للدكتور صلاح الدين عبد الوهاب

### الاستشراف :

كانت أول مقدمات الاستشراف في التاريخ هي الحروب الصليبية في القرنين الصاشر والحادي عشر الميلاديين ، إذ وجهت الكنيسة في أوروبا الدعوى في جميع الدول الأوروبية إلى المساعدة في تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين ، وصورت لهم المغارة التي ولد فيها السيد المسيح ، والبحيرة الرائقة التي سار عليها ، والمبكل الذي خطب فيه ، والأهمى الذي جعله مبصرا ، والمرأة التي حبس نزيها ، فاجتهد جميعا في به والطريق غضبا بدمائه ، ثم أعمدة خشبية يجرها من ورائه وقد جعلت لكي يصلب عليها ، وقد تم صلبه ومات ليخلص البشر من خطاياهم ( هكذا يستقدون ) . أفيدع المسيحيون كل ذلك لمحمد وجماعته ؟

ونشبت الحروب الصليبية وهي لم تكن في حقيقتها وفي الباطن عليها حبا في تخليص بيت المقدس ولا رغبة في استرداد قبر المسيح وهيكله ، بقدر ما كانت خوفا متأججا في نفوسهم من الإسلام والمسلمين ، ورغبة

في السيطرة على قلب البلاد الإسلامية ومشرق الدعوة إلى هذا الدين الحنيف ، وهو الشرق الأوسط ، وحدم كل آثار هذا الدين ونزع تعالجه من قلوب من يدينون به ، والحد من تقدمه وانتشاره عن طريق استبعاد بلاده وأبنائه قبل أن يهدد انتشاره الكنيسة ، ويعمل على تفويض أركانها .

ولم يتم للفريين ما أرادوه . وفكصوا على أحقادهم منحورين بعد أن دارت وص الحرب زهاء قرن من الزمان على قررات متفاوتة .

ولكن هذا الروح لم ينفذ في نفوس رجال الكنيسة عاصة والفريين عامة بل إنهم حملوا للإسلام والمسلمين هذا الشعور الهدام الذي ظهر واضحا جليا في الاستعمار الحديث منذ القرن الثامن عشر .

وكان هدف هذا الاستعمار الغربي دائما هو :  
(١) إضعاف القيم الإسلامية ومحاولة تفكيك المسلمين في دينهم .

(٢) تمجيد القيم المسيحية ومحاولة العمل على نشرها .

حياتهم وجهودهم العلمية على هذا العمل، ومن هؤلاء الأساتذة المعاصرين جيب Gib وفون جروتيوم ودانييل وروثثال وكاتسن وأندرسن وسوتيان وآربري والفريد جيوم Gillaum وميليو Milliet الفرنسي ولامانس ووات Watt وغيرهم .

فلينأنا ننته كثيرا بهذا التيار المعادي وأن تتبع خطوات الإمام الشيخ محمد عبده في رد هذا الهجوم بكل ما في الوسع من جهد .

وكان جمل ما اعتمد عليه المستشرقون في رسالتهم الهدامة هو فني أن الإسلام دين موحى به من عند الله . أما طريقهم إلى هذا الهدف فهو التشكيك في رسالة محمد بإثبات بشرية القرآن ، وأنه كمن يتصنع الوحي ، أو أن ما كان يبدو عليه حين الوحي إنما هي أعراض مرضى عصبي ، ثم أخيرا إلقاء الريب في قلوب المسلمين عن طريق مناقشة موضوع انعدام المعجزات الحسية على يد النبي صلى الله عليه وسلم .

أولا : إثبات بشرية القرآن :

ويقوم دليلهم المدعى على نظريتين :

النظرية الأولى : القرآن فيض من عاطف محمد أو اضطباع لإلهامه :

ومن القائلين بهذه النظرية المستشرق المجري اليهودي جولدمسير إذ يقول إن محمدا تأثر « بالمناصر الأجنبية » التي كانت تسود

وكان أول حدث علمي في تاريخ الاستشراق هو مكتب الترجمة الذي أسسه ريموند ، أسقف طليطلة بإنشائه عام ١١٣٠ ميلادية ، فترجم أعمال ابن رشد وابن سينا والفارابي والكندي . ثم قام هذا المكتب بعمل أول ترجمة عرفت في التاريخ للقرآن وعرض الأسقف كنيث kennett هذه الترجمة عام ١١٤٣ م على دكتيني لدراستها وأزد عليها . فكان هذا هو أول ما عرف عن الاستشراق الغربي .

والاستشراق اليوم علم قائم بذاته . ففي كل الجامعات الأجنبية الكبرى ، في إنجلترا ( كبريدج وأكسفورد ولندن وأدنبرة ) وفي فرنسا ( باريس ) وهولندا ( ليدن وأستردام ) وألمانيا ( هيدلبرج وميونخ وهامبورج ) وإيطاليا ( روما ) وأمريكا الشمالية ( هارفارد وكولمبيا ونيويورك وكورنل وكاليفورنيا وشيكاغو وبييل وفرنستون ) وفي كندا ( ماك جيل Mci Gill ومونتريال وتورنتو ) - في كل هذه الجامعات وغيرها دراسات شرقية منظمة تدار على نطاق واسع . لا يقصد منها دراسة موضوعية للإسلام والعلوم الإسلامية بقدر ما يقصد بها تصوير لتقاط ضعف وممية في الإسلام والعلوم الإسلامية .

والكتب التي تولف اليوم في هذا النطاق تخرج بالعشرات من أساتذة متخصصين وقفوا

يسكن في قصة زيد بن حارثة وزوجته بنت جحش التي تزوجها محمد (عليه الصلاة والسلام) بعد طلاقها من زيد بناء على أمر من الله عز وجل .

فإن النقطة التي دار حولها الجدل هي أن النبي (عليه الصلاة والسلام) يبرر رغباته الشخصية بوحى إلهي ، ويدعى أن عائشة رضي الله عنها قالت لمحمد عليه الصلاة والسلام : « أرى أن الله يرحم لتحقيق رغبتك » .

ويختم دانييل كل ذلك بقوله : إن الغربيين لا يمكنهم التسليم بصحة الوحي المؤقت الذي ينزل إجابة على مشكلات سياسية واجتماعية متجددة .

النظرية الثانية : القرآن تسطير للعالم  
التي تلقاها محمد من الأحبار اليهود والفساوسة  
المسيحيين .

يقول هذه النظرية مستشرقون كثيرون تذكر منهم ما يلي :

المستشرق جولد تسيهر وهو يقول : إن نبشير محمد ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً ، والتي رآها جذيرة بأرض توفظ عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه .

يقول الأستاذ جون نوس Gohn Noss

منطقة مكة في وقته . وقد بلغ هذا التأثير مبلغه فأدرك بقوة إرماعاة الأصول التي تسند إليها تلك الأفكار حتى أصبحت عقيدة انطوى عليها قلبه . وصار من كثرة إيمانه بها يستقد أنها وحى إلهي وأنه أداته لهذا الوحي . ( كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٥ ) ويمثل جولد تسيهر في هذا الشأن عبارة قالها هارنالك ، من الأمراض التي تصيب الرجال الذين يرتفعون فوق مستوى البشر ، والذين يستمدون منها حياة جديدة كانت تعتبر مجهولة من الناس قبل ذلك ، كما يتخلدون منها قوة تهدم كل ما يصادفهم من عقبات . ( المرجع السابق ص ٦ ) .

ويستطرد جولد تسيهر في نظريته فيقول : « لقد كانت السور الأولى في النزول على الشكل الذي تعود السكان القدماء وضع نبوءاتهم فيه ، ولو جاء في شكل آخر لما رضى أى عرب أن يرى فيه قرآناً موحى به من الله . وما أعظم الفرق بين جمع السور الحكية وجمع السور المدنية . بينما يرى محمد يسود في الأولى رؤاه الكشفية الإلهامية visions فقرات مسجوعة متقطعة وفق صوت ضربات قلبه المغموم ، فرى الوحي في الثانية يتخذ لنفسه الشكل السجعي لكنه مجرد من اندفاعه وقوته ، حتى في الحالات التي أعاد فيها النبي طرق الموضوعات التي تناوّلها في السور الحكية .

ويقول دانييل مؤلف كتاب الإسلام والمغرب : إن دليل الوحي النفسى



أولاً بشرية القرآن عند المستشرقين :  
ونجمل أدلة المستشرقين في إثبات تخلف  
الإيهام الإلهي عن القرآن فيما يلي :

١ - يقول المستشرقون فقط على الجزء  
القصص في القرآن ويصفونه بأنه ترديد لما  
جاء بالعهد القديم والعهد الجديد . وهذا  
دليل النقل في نظرهم .

٢ - يوجهون النقد إلى أسلوب القرآن ١١  
فينسبون إليه التكرار والحشو والتخيل  
ويقول في ذلك الأستاذ فون جرونيم  
الأستاذ بجامعة كاليفورنيا بأن محمداً  
في القرآن لم يصل إلى مرتبة أفلاطون لأنه  
في كثير من المراجع المحمد أسلوبه إلى مجرد  
قترات غير متصلة خالية من الترابط المنطقي (١)

٣ - إن القرآن لا يقف عند حد  
التعارض في كثير من الأصول العقائدية مع  
الكتب السارية السابقة ، بل يتعدى ذلك  
إلى التصادم بينه وبين الفلسفة وما يقتضيه  
العقل الطبيعي . وهو في كثير من المواضع  
غريب يهدم في غرابته الفارسي الغربي الذي  
ألف الكتابات المنطقية .

٤ - إن القرآن يتضمن سوراً باسم النحل  
والعنكبوت والنجان وهي أسماء لا تصلح -  
في نظرهم - لأن تكون موضوعاً لوحى إلهي (٢)

٥ - إن طريقة تجميع آياته تدل بذاتها

(١) فون جرونيم - اسلام القصور الوسطى  
ص ٨٠ طبعة ثانية

(٢) دانييل المرجع السابق ص ٥٨ - ٦١

أستاذ الفلسفة بكلية فرانكلين ومارشال  
الأمريكية في مؤلفه « أديان الإسلام » :

إن الإسلام يزعم ويفاخر بأن القرآن  
يكلل أنصاف الحقائق التي أنتجها الأديان  
السابقة ، مع أن كل من له دراية بالأديان  
العالمية يدرك لأول وهلة عند قراءة القرآن  
أن محمداً نقل كثيراً من تعاليم الأديان  
الأخرى . ومع أنه اعتمد كثيراً على التقاليد  
الموسوية والمسيحية في تصوير العلاقة بين  
الإنسان وربه في التاريخ ، وكذلك نقل  
عن السابائين والذوروستانيين ، إلا أنه  
أصبح على الله - ربه - ثوباً من الخلق العربي  
والشخصية العربية .

ويرى هذا الرأي أيضاً الأستاذ إبراهيم  
كانش أستاذ الحضارة والثقافة العبرية بجامعة  
نيويورك فيضع مؤلفاً كاملاً لموضوع  
المصادر اليهودية للقرآن أسماء « اليهودية  
في الإسلام » ، إذ يقول في مقدمته :

إن محمداً لم يكن يقصد في أول الأمر  
الدعوة إلى الإسلام كدين جديد ، إذ اعتبر  
نفسه الأمين الشرعي على الكتاب المنزل  
من عند الله Scripture لتأكيد الكتب  
السموية القديمة ، ولهذا السبب لم يجد في أول  
الأمر فارقاً بين اليهودية والمسيحية واعتقد  
أن اليهود والمسيحيين سيجوبون به حق إذا  
ما تحقق له أنهم لن يعضدوه ولن يساندوه  
تهدم بالإسلام كدين جديد .

الإنجيل وهو لاحق للتوراة بحوالى ألف سنة؟ ولا يمكن لمحمد أن يكون قد تلقى هذه التعاليم عن اليهود والنصارى كما يزعمون وقد ورد في القرآن ما نصه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء » مع أن هذا النبي لم يكن وليد حقد عليهم ولا تنافس معهم إذ جاء في القرآن الحكيم : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وهارون وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

٢ — أما تنافر أسلوب القرآن وتبويب آياته مع المنطق فهو مردود بأن القرآن لم يزل دفعة واحدة بل جاء منجما على ثلاثة وعشرين عاما خفكت بالحوادث التي كان نزوله مرتبطا بتطورها ومنها المتشابه ومنها المتجدد ، لذلك كان لا بد عند تقدير هذا العمل الإلهي من أن يمتد سبب نزول كل آية واجتماع التاريخ المفصل لكل حادثة وبغير ذلك لا يمكن أن يفهم معناه على وجه سليم وأن تقدر قيمته ، ولا شك أن عظمة القرآن ومنطقه يبرز في ذلك لأن السكينة المناسبة عند الحاجة إليها كالماء لا تعادله كنوز الأرض عند الظلم .

على اصطناحه ، وتبويبه غير منطقي يصعب منه تبين كيفية ترتيب آياته أصلا .  
مناقشة هذه الأدلة :

١ — افترض المستشرقون أن النبي (عليه الصلاة والسلام) اتصل بأخبار اليهود والنصارى المسيحيين وأخذ عنهم القصص التي وردت بالقرآن بدليل ورودها متشابهة مع القصص التي وردت بالتسوراة والإنجيل ، ويقولون إنه لم يتم دليل على هذا الاتصال المزعوم ، فضلا عن أن حقائق التاريخ تكذبه فضلا عن أنهم يتخذون من هذا الاتصال المزعوم مقدمة لدعواهم لربوبوا عليها النتائج التي يريدون أن يخلصوا إليها . وفي هذا مصادرة على المطلوب ، فالثابت أن اليهود كانوا متركزين في يثرب وفي غيبر وفي اليمن وعند أن هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة بدأوا في مناصبته العداء وهو نابذ أخبارهم<sup>(١)</sup> أما المسيحية فكيف تكون أصلا للقرآن وقد جاء القرآن حربا على أصولها وأهمها نظرية التثليث وصب المسيح السلام « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » .

وفضلا عن ذلك فلماذا يوجه المستشرقون هذا النقد إلى القرآن لمجرد تشابه مع التوراة والإنجيل في جزئه القصص ولا يوجهونه إلى

(١) السيد أمير علي في مولفه بالانجليزية : روح الإسلام ، طبعة ١٩٦١ ص ٦٦ وما بعدها .

وكفى تدليلاً على تنزيل القرآن من عند الله ما جاء في سورة آل عمران :

« هو الذي أرسل عليك الكتاب منه آيات محكمات من أم الكتاب ، وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد » .

إن هراية أسلوب القرآن وتجزئه عن الأسلوب البشري هو بذاته دليل على أنه تنزيل من عند الله وأنه أوحى به إلى محمد عليه السلام ، وتظهر هذه الهراية من مقارنة القرآن بالحديث . ففي تنوعهما وعظم الفارق بينهما دليل على دحض مفترقات المستشرقين ببشريته ؛ لأن الشخص لا يستطيع أن ينوع كتاباته كيفما شاء فللمكتابة خصائص ولوازم كالخط .

ثم إن الفرق بينهما تعلم اللغة العربية وآدابها لا يستطيع أن يصل إلى مرتبة بلاغية تمكنه من الحكم على أسلوب القرآن ، لأنه يظل دائماً أسير التفكير بلفظه الأصلية التي بها نطق أول ما نطق ، وبكلماتها انتقلت إليه

مدلولات المحسوسات وتعريفات المسمايات .  
٣ — إن الطابع الإلهي في القرآن جل ظاهر فطريقته في مزج العقائد والمواعظ والحكم وأحكام المعاملات والآداب بعضها ببعض في الآيات المتفرقة في السور لم يسبق لها مثيل في كلام العرب .

وفضلاً عن كل ذلك فإن خلود هذا الكتاب مع جده دليل على الوحيته . إنك في كل مرة تقرأ فيها آية من آياته أو سورة من سورته تجد كما هو جديداً على السمع تفتح لك فيه معان جديدة لم تكتشفها من قبل ويزداد فهمك إياه فتزدقه وتؤمن به . ولا شك أن هذه الخصائص لا تصدق على كلام البشر ولو كان كلام محمد عليه الصلاة والسلام .

٤ — لو كان القرآن من صنع بشر لما تضمن تلك الآيات التي تبلغ من السمو ما لا يمكن لعقل بشري بلوغه لأنه اختراق للحيوب واستقصاف لأسرارها العليا ومن ذلك قوله تعالى :

« يا معشر الجن والإنس ، إن استعظم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان » .

أنيا : الومى المدهى لبسى (المراضع هيا عرض دانييل في مؤلفه (الإسلام والغرب) آراء المستشرقين الزحيان في الإيحاء إلى محمد برسالة الإسلام فقال :

في كثير من الأحيان إلى غار حراء ليتأمل ويفكر . وكذلك لم يشترك محمد مع قريش في ندواتهم الأدبية التي كان الدخول إليها متوقفاً على بلوغ الرجل من الأربعين ؛ لأن من عادات العرب أن صغارهم لا يجالسون كبارهم وأن الشاب صغير السن لا يسمح له بمناقشة الكبار ولا بالجلوس معهم في مجلس واحد .

ولم يؤثر عن محمد أنه قال أو فعل ما من شأنه أن يدل على حب الرياضة والشهرة أو البحث في شئون السياسة ، بل لقد كان ليطمه ونشأته بعيداً عن والدين يحنران عليه أثر بعيد في عزوفه وهزله وسجوه عن أترابه . كذلك فإن الثابت أن محمداً كان سليم البنية عالياً من الأمراض العضوية والعصبية ، إذ قبضه الله إلى جوارده وهو في منتصف العقد السابع من عمره رغم ثلاثين عاماً أمضاها في جهاد وكفاح وحرب وأسفار مرهقة وتفكير مضن مما لا يمكن أن تتحمله بنية رجل مريض بجسمه أو بعقله .

وما أن بلغ الأربعين من عمره وكان محمداً خالياً إلى نفسه بالغار متحنثاً في إحدى الليالي حتى تمثّل له جبريل وفاداه ؛ باسمه ثم قال له : « اقرأ » فقال ما أنا بقارئ ، ثلاث مرات ، وكان الملك بعد كل جواب يضمه إلى صدره ، ويعتصره حتى يبلغ الجهد من محمد مبلغه ،

« ينكر هؤلاء أمثال ويكولف ومارك التوليدى نزول أى وحى على محمد ويذهبون إلى أنها مجرد نوبات صرع epileptic كانت تنابه من حين إلى حين . ويقول سان بدرو إن حديث عائشة عن تصيب العرق من النبي وإصابته برعدة عندما كان يزوره الوحي يثبت صحة ما كان يتهم به أبناء قريش من أنه كان منجماً أو حرافاً . ثم يعرض دانييل لها بقوله روجر يكون من أنه في جميع الأديان حتى الوثنية منها ، يؤمن الناس بأن الله قد أوحى بهذا الدين . وعلى هذا يعتقد المسلمون بأن محمداً قد أوحى إليه من عند الله ؛ لأن هذا هو ما قاله لمحمد . ويصل الحد بهذا المستشرق إلى القول بأن ما كان من نبوة محمد ليس وحياً وإنما كان امتلاكاً شيطانياً

### الرد على هذه المزاعم :

الأمر المسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يظهر بمظهر عقلى أو على يدل على مستقبله ولم تكن لديه مواهب أدبية ظاهرة حتى بلغ من الأربعين . أما قبل ذلك فلم يكن إلا رجلاً صادقاً أميناً يشتغل برعى الغنم والتجارة .

ولا شك في أن الثابت أن محمداً لم يشترك مع قومه في عبادة الأوثان بالكعبة بل كان يفضل الخلود إلى الوحدة ، فيذهب

ثم انقطع نزول الملك عليه مدة ، قوى  
أثناءها محمد واستعد لقتلي واشتد إليه شوقه  
وحينه . ثم بعد ذلك وبينما كان يسير سمع  
صوتا من السماء فرفع بصره فإذا الملك الذي  
جاءه بالغار ، فرجع إلى أهله وتحمل وتدثر  
فزلت عليه الآية :

« يا أيها المدثر . قم فأذر . وربك فكبر .  
ويا بك فطهر . والرجز فاجبر » ثم تتابع  
الوحي فكان تبليغ رسالة السماء . (١)

ولم يكن خوف محمد واضطرابه من الوحي  
واشتداد رعبه حتى يتصبب عرقه ويرتعش  
جسده ، لم يكن كل ذلك نتيجة مرض عصبي  
ولمما هي حال الرجل الذي يفاجأ برؤيا  
شيء لم يحسب له حسابا ولم ير مثله من قبل  
ولو كان يعلم أن هذا الملك سيظهر له ،  
أو أن الوحي سينزل عليه لوطنه نفسه على  
عدم الخوف ، ولما ذهب إلى أهله عاتقا  
يلتمس النقاء والدثار ويخشى على نفسه  
الملاك وهو الذي دأب على التحنن  
في النار من قبل وحيدا لا أنيس له  
في النهار ولا مسكن لوحشته بالليل ،  
فلو كان محمد كاهنا أو عرافا لما ازجج قلبه

وكأنه هذا العمل يوصل إليه قوة روحانية  
ضخمة سيحتاج محمد إليها عندما يتلقى الرسالة  
الإلهية ، فلما ضمه في المرة الثالثة وأرسله  
قال له :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق  
الإنسان من خلق . اقرأ وربك الأكرم ،  
الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ، (١)  
رجع محمد إلى بيته بهذه الآيات وفزاده  
يرتعف ، وقال لزوجته خديجة : ذملوني  
ذملوني ، فلفته خديجة بثيابها وصبرت حتى  
ذلت وحدته ، واطمان خاطره وقال محمد  
لخديجة : لقد خشيت على نفسي من الهلاك  
والضرر فرددت عليه قائلة : « كلا والله ما يخزيك  
أحد أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل  
وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف وتعين  
على نوائب الحق » .

(١) كان أول اتصال محمد بالوحي من طريق  
الرؤيا الصادقة التي تتحقق كانبلاج المصباح أي أن  
ما كان يراه بمثابة يتم على حقيقة في البقعة . ومثل  
هذه الرؤيا رآها يوسف عليه السلام وحكاما لوالده  
قنها من روايتها لإخوته :  
« إذ قال يوسف لآبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر  
كوكبا والنس والشمس رأيتهم لي ساجدين قال  
يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكفروا  
بك كيدا » .

وقصة يوسف موجودة في التوراة ويؤمن بها  
اليهود والمسلمون وبذلك يؤمن هؤلاء الرؤى كما  
يؤمن بها العلم الحديث .

(١) تمييزاً عن شدة الوحي ومعهم طائفة محمد إياه  
في أول الأمر قال تعالى « إنا سنلقي عليك  
قولا ثميلا » .

من الذين إذا رأيهم اقتنعت أن تكون واحداً من أشياهم ؟

هل عهدا حتى تاريخ الإنسانية أن المرضى المتوسين يصلحون لقيادة أنفسهم فضلا عن التصدي لقيادة الأمم وإيصالها إلى أوج لم تصل إليه أمة قبلها ولا بعدها ؟

التعرف: بين الوحي والبراهم :

والآن نتقل إلى نقطة هامة في هذا الموضوع وهي البحث فيما إذا كل الوحي إلهاً ما يفيض من نفس الرسول الموحى إليه أم أن الوحي شيء جاء من عالم الغيب ؟

مضى كنا قد أفتنا ان دليل العقل على أن محمداً لم يبتدع القرآن وإنما هو كلام الله لفظاً ومعنى ، كان لنا أن نستند إلى آيات القرآن لتدعيم نزول الوحي :

قال الله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه على حكيم » .

وقد قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد بعد تعريف الوحي لغة :

« وقد عرفوه شرعاً بأنه إلهام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه ، أما نحن فنعرّفه على شرطنا بأنه عرفان يحمده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة ، والأول بصوت يتصل

ولما اوتعد خوفاً من هذا الملك الهدي تحدث معه ، ولكنها التجربة الجديدة التي لم تخطر له على بال هي التي أحدثت ظاهرة الخوف هذه ، ومن ناحية أخرى فإن الرجل الهدي خلق دولة الإسلام من العدم ، لا يمكن أن يكون مصاباً بمرض حصي ؛ لأنه إن كان مصاباً بهذا المرض وجب أن يكون هدفاً لجميع أعراسه من شذوذ الأخلاق والحساسية المتطرفة والحفتان والهذيان ، ولم يؤثر من النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان مصاباً بشيء من هذه الأمراض .

وقد كتب المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدي رداً على مفترقات المستشرقين من أن محمداً كان يصنع الوحي ما تنقله هنا

إذا كان محمد وهو هستيرى مريض في رأيهم يوفق إلى مثل هذه الأمور الجسام ، حتى يغير سطح المعمورة من حال إلى حال ، مما لم تأت بمثله أقيان الفاتحين ولا كبار الملوك والسلاطين ، بل ولا أولو العزم من المرسلين فإذا كان صانعا لو كان رسولا حقاً يرى الملك ويسمع منه الوحي ؟

ولو كان هذا حال رجل خيالي مريض شاذ الأخلاق ، وعرضة لجميع الأمراض التي ذكرناها ، أي من الصنف الذي إذا رأته رحمة واستحلت بالله من حاله ، فإذا بقي للصادقين الكاملين وللأسماء العالمين ،

ويقول سبحانه :

« ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده . . »

« قل نزل روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للسليين . ( سورة النحل ) .

• • •

ومن المفيد هنا أن نذكر أن بعض علماء الاستشراق قد اعترفوا بالوحى لمحمد ، ومن هؤلاء إدوارد موتيه الذى قال فى مقدمة ترجمته للقرآن :

( كان محمد نبيا صادقا كما كان أنبياء بنى إسرائيل فى القديم ، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه وكانت العقيدة الدينية ولمكرة وجود الألوهية متكنهن من أولئك الأنبياء أسلافة . فتحدث فيه كما كانت تحدث فيهم ذلك الإلهام النفسى وهذا التضاعف فى الشخصية الذين يحدثان فى العقل البشرى المراتى والتجليات والوحى والأحوال الروحية التى من بابها ) .

أما اتهام المستشرقين للنبي عليه الصلاة والسلام بأنه كان يسخر لإلهامه الداخلى لتحقيق أغراضه التى تنبؤ عن الطريق السوى ، فظاهر العناد ؛ لأن الحادثة التى يحدثون بها وهم زواج النبي من زينب بنت جحش بعد طلاقها من زيد بن حارثة إنما كانت لغرض التشريع

لسمعه أو بغير صوت ، ويفرق بينه وبين الإلهام بأن الإلهام : وجدان تسيقته النفس وتفساق إلى ما يطلب من غير شعور منها من أين أتى ، وهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور ، فالوحى revelation غير الإلهام inspiration إذ يتميز عنه بأن دليله خارجى من النفس المحسوسة إليها ، فهو الكلام الذى يلقي فى قلب الرسول سواء من خلف الحجاب كما سمع موسى عليه السلام النداء من وراء الشجرة ، أو بواسطة حاكم مرسل من عند الله فيراء الرسول متشلا فى صورة بشرية أو غير متشمل ويسمعه منه أو يعيه قلبه (١) .

وإذا أشهدنا القرآن وجدنا من آياته الكثير الذى هو دليل نزول الوحى على محمد ، فيقول الله تعالى :

« قل من كان عدوا لجبريل ، فإنه نزل على قلبك بإذن الله ، مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للؤمنين » ( سورة البقرة آية ٩٧ ) .  
ويقول أيضا عز وجل :

« وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . . ( سورة الشعراء آية ١٩١ وما بعدها ) .

(١) الإلهام أو الوحى النفسى هو الإلهام للفائض من النفس العالية وهو ما حاول بعض المستشرقين إثباته للنبي محمد عليه الصلاة والسلام غيا الوحى .

يؤكد إلغاء الشريعة المسيحية ( العهد الجديد )  
بمعجزات أخرى يأتي بها محمد لو أراد نسخ  
هذه الشريعة بالقرآن .

ومن الغريب أن الأستاذ سويتمان لم يورد  
ما قاله الخليفة المهدي ودا على البطريرك  
في ذلك .

والمسلمون يردون على هذه الحجة بقولهم :  
إنه رغم إتيان النبي محمد عليه الصلاة والسلام  
ببعض المعجزات الحسية كسأة نبع الماء من  
بين أصابعه ، وتسييح الحجر في كفه وانشقاق  
القمر ، ومجد الجبل بين يديه ، إلا أنها لم يقصد  
منها أن تكون دليلاً على رسالته بل كانت  
معجزته كتاباً وبياناً .

والسبب في اختلاف معجزة النبي محمد عن  
معجزات من سبقه من الرسل ، أن المعجزات  
تختلف تبعاً لاختلاف قوع الرسالة . فإذا  
كانت الرسالة عملية ، يقصد بها إقناع قوم معينين من  
الناس ، كانت أدلة الرسالة حسية مقصوداً منها هداية  
هؤلاء القوم خاصة ، ففي وقت يشه موسى عليه  
السلام كان البحر هو مقياس العظمة والجبروت  
وهو الذي يبعث النفوس على التصديق بمكاة  
الشخص . فكانت معجزة موسى هي السحر  
بأوسع معانيه من انقلاب العصاة إلى حية  
ابتلعت حبال السحرة الآخرين ، إلى انشقاق  
البحر ليتسع لمبور قومه هرباً من فرعون .  
في ذلك قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا موسى  
بآياتنا إلى فرعون وملته » .

إذ كان زيد هو ابن النبي بالتبني وكان العرب  
يحرمون امرأة الدهي كإمرأة الإبن الحقيقي  
فأراد الله أن يقضى على هذه العادة فقضى  
بذواج زينب من النبي صلى الله عليه وسلم  
إذ قال عز وجل : « فلما قضى زيد منها وطراً  
زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج  
في أزواج أدعيانهم إذا قضوا منهن وطراً  
وكان أمر الله مفعولاً » .

مثالاً : تختلف المعجزات الحسية كدليل لنبي  
الإيمان :

يمرض الأستاذ سويتمان Sweetman  
في كتابه ( الإسلام واللاهوت المسيحي ) (١)  
لثناثة دارت بين الخليفة المهدي والبطريرك  
تيموثي Timothy حول مذهب التثليث  
في المسيحية وغير ذلك من الموضوعات  
الاعتقادية الهامة كصفات الله وموت المسيح  
عليه السلام والكتب المخرقة وغير ذلك .  
ويقول : إن الخليفة المهدي سأل البطريرك  
بقوله : ( هل تصدق بأن القرآن كتاب منزل  
من عند الله على محمد ؟ ، فيجيبه تيموثي بأنه  
لا يستطيع الإجابة عن هذا السؤال مباشرة  
وكأنه يستطيع أن يؤكد أن الكتب السماوية  
( الرسائل ) أكدتها خوارق ومعجزات ،  
فلما أراد الله أن ينسخ الشريعة الموسوية أكد  
ذلك بمعجزات عيسى ، وكان يجب لذلك أن  
(١) القسم الأول من المجلد الأول طبعة ١٩٤٥ م - ٨٠ .



احترام العقل في الإسلام هو كلية من  
السلوكيات : « هل يستوى الذين يعلمون  
والذين لا يعلمون » .

والقرآن يقدم نفسه بنفسه في تحد ظاهر ،  
فيقول سبحانه وتعالى :

« قل لمن اجتمعت الإنس والجن على  
أن يأتوا بمثل هذا القرآن ، لا يأتون بمثله  
ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً . ولقد صرفنا  
الناس في هذا القرآن من كل مثل ، فأبى  
أكثر الناس إلا كفوراً » .

وكان الله على علم بتكذيب الناس للقرآن  
فقال سبحانه :

« أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور  
مثله مفريات ، وادهسوا من استطعتم من  
دون الله إن كنتم صادقين » .

هذه هي نظرية الإيحاء ألقينها إليكم موجزة  
ومنها ترون مدى ما يصل إليه المستشرقون  
من إسفاف في هجومهم على هذا الدين  
الحنيف الذي لم يتلق بعد من أبنائه إنصافاً  
بالدفاع عنه أمام هذه المفريات ، ولكنه  
لا يزال وسيظل أبداً شاخ البنيان يحفظه الله  
عز وجل إلى يوم الدين ، « يوم يقوم الناس  
لرب العالمين » .

دكتور صبري عبد الوهاب

وفي زمن المسيح عليه السلام كان سيئه إلى  
عبادة الوثنية الطاغية آيات حية أخرى  
كشفاء الأعشى والأبرص والآكله وإحياء  
الموتى إلى غير ذلك من آيات عيسى .

أما إن كانت الرسالة قد قصد منها إلى أن  
تكون عامة للخلق جميعاً كالإسلام وأن يختم  
الله بها رسالات الرسل ، فإنه يجب ألا تكون  
غارقة حية تظهر في عهد الرسول المبلغ لهذه  
الرسالة ثم تنقضي وتصبح في خبر ماض بعد  
وفاته ، بل اقتضت حكمة الله عز وجل أن  
تكون معجزة خاتم الرسل باقية الأثر لاتزول  
بوفاته بل تبقى عالمة أبديت العصر فاطقة  
بالإيجاز ، معلنة التحدي على المنكرين ما بقي  
أثر الوجود الإنساني .

يقول الله تعالى في عوم الرسالة الإسلامية :

« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً  
ونذيراً » .

« فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد  
وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » . يومئذ يود  
الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى  
بهم الأرض ولا يكتنون الله حديثاً » .

فالقرآن لم يأت إلا بعد أن اكتمل النمو  
العقلي في البشرية وأصبح الإنسان قادراً على  
تفهم إيجاز اللفظ ، فكانت معجزة باقية  
تخاطب الأجيال جميعاً ، والامم جميعاً لأن

# طبيعة الشعر العربي

للدكتور عبد الله الطيِّب

- ٢ -

معنى الزحاف

هذا وقد يحى الشاعر في جزء الرجز مقطع  
قصير في مكان الضربة الثانية هكذا : -

• • •

م ت ع

ن ن ن ن

• • •

وقد يجمع بين النوعين هكذا : -

• • •

م ت ع

ن ن ن ن

• • •

وفي كل ذلك تجد تجد في نفسه سكنات  
بعد المقاطع . أو لمجرد زمانيه تحمل المقاطع  
في جملتها من غير إحلال بالناسب . وهذا  
التقدير للسكنات والمجوات من جانب الشاعر  
هو الذي سماه الخليل وأصحابه بالزحاف .  
وعندى أن هذه حقيقة معناه . تأمل مثلا  
الآيات السابقة من رجز دريد . فإنك تجد  
قال في الشطر الثاني :

أخب فيها وأضع

وضربات هذا من حيث قسمها الزمنية هكذا :

أخب فيها وأضع

ن ن ن ن ن ن ن ن

والآلف والواو كما نرى حولها لمجوات  
زمانية ، أو بعدا سكنات ، أى التعبير  
ساخ لك فذلك . وليس بعد أى اختلال  
في حقيقة الوزن . وليس ثم اختلاف  
بين أصول نسب الزمانية في هذا الشطر وبينها  
في الشطرين : -

باليتي فيها جدد

أفرد وطفاء الزرع

ولا ريب أن التقطيع المروضى بالمقاطع  
أو بالأجزاء الخليلية يظهر شيئا كآه غلط  
وليس .

وفي اصطلاح المروصين لهذه الزحاف  
ما يشعر بأنهم رأوه من قرى الخلل . إذ أصل  
الزحاف من زحف البحر إذ أعياء البحر فرسه .  
فكأن الشاعر عندما أصابه إعياء البحر فرس  
كلامه جرا ليكل التعمية (١) . وأحب

(١) على أن هذا الوصف نفسه لا يتناول إدراك  
معنى حقيقة الزحاف الموسيقية من جانبهم إذ كأنهم  
فطنوا إلى أن النسخة في ذات نفسها تامة وأن تلك  
المقاطع زاحطة .

فراومه ، وبقي قلبون من أهل الذوق الأصيل  
 يطلبون السر الكين في موسيقا للتعايل .  
 كطلبهم السكال الإيقاع الماعلى . من مؤلا .  
 أبو تمام وأبو عبادة البحتري على حقد منهم  
 ونقبة إزاء الذوق الذى كان يماصرهم وقد  
 كان أبو تمام أحمدا إلى أن يراخف  
 فيما يجرى به . إلا أن البحتري كان أخبر  
 بحيث يذغى أن يقع ، وقد كان المثلي يمرض  
 عن ظاهر الزحاح إلا الحرم ، ومضى أن  
 يكون من أسباب ذلك أنه كان رجلا عاربا  
 تلتبس في أشعاره السطوات ، فكان لا يألوا  
 تجويدا على أنى أوجع : أنه كان أيل طلبة  
 إلى الاندفاع والإقدام فهذا ما كان يحول بينه  
 وبين السكتات الطوال ، وعسى أن يكون مذهبه  
 في الحرم من دلائل إقامه وانقطاع كقوله :  
 لا يحزن الله الأمير فإني

سأخذ من حاله بنصيب

ويدول أيضا أنه قد استقبل ما يكون  
 من سكتات الأوائل بالاختلاس وهذا قد كان  
 يقع في أشعارهم كالذى رواه سيوبه من  
 قولهم (١) :

له رجل كأنه صوت حاد

إذا طلب الموسيقى أزدحم

ومن قولهم :

وأيقن أن الخيل إن تلبس به

يكن لمسيل الثغل بعده أبر

( ) في كتاب بولاق ، ١١ / ١ .

أنهم أرادوا هذا الاصطلاح أول الأمر  
 لأمثال قول الأعطل :-

مفترش كافتراش الليث كللكه

لوقه كائن فيها له جرد

وقول امرئ القيس :-

ألا وب يوم لك منهن صالح

ولا سبيا يوم بدارة جليل

ثم اضطروا إلى إطلاقه على غيره مما يشبه

من مخالفة المقاطع للتفصيلات الذى لا يظهر

أمره إلا في العروض كالذى يقع من الإختار

في الكامل ، وشاهد العروضيين كما نعلم :-

وإذا سكرت فإني مستهلك

مالي وعرضي وافر لم يكلم

وعندى أن نحو ( مفترش ) و ( الأرب

يوم لك منهن ) لبا بأبعد من صحة النسبة

الوضعية من ( أحب فيها وأضع ) كل ما هناك

أن السكتة بعد ثناء من مفترش ، أدخل

في حاق السكتة الموسيقية وأقصد في ذلك

من أن بلوكها إخراج الكلام .

وقد كان القدماء من الشعراء يرفون هذا

ويدركون صحة وتلام حلاوته ؛ إذ التعبير

الموسيقى قد كان من ضمن تعبيرهم للشعرى .

أما المحدثون فقد بسطوا شيئا من الفطرة

العربية ؛ إذ صار أمر الصناعة التى يدركها

الحس اللامس والناظر أسرح إلى إعجابهم ،

وكان الإحكام يمل كل لحظة في التفاعيل ،

مما يجرى مجرى الصناعة المربية الملوسة

## معنى الاختلاس :

والاختلاس كالزحاف سواء بصواء .

وأعجب للعروضيين ؛ إذ لم يذكروا في باب الوزن ولعلمهم اكتفوا بذكر التحويين له في باب إشباع الضائر كالذي مر بك من استقهاد سيويه . ولا ريب أن الاختلاس مذهب موسيق صادق التعبير عن نفس المتنبي الساخن الجارف . وإقدامه عليه . وكان معاصروه أشد له عيبا منها لكثير من أصناف الزحاف . مما يدل على أصالة الرجل في موسيقا الشعر العربي وصدق نظره وقته . تأمل مثلا قوله :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبير

فوجدت فيه بآمال إلى الكذب

تمثرت به الأنواء السها

والبرد في الطرق والأقلام في الكتب

وقد جمع في قوله ( تمثرت به ) زحافا خفيا

مع الاختلاس كما نرى . وهذا في قصيدة مما

احتفل له وهو ناضج يعرف كيف يقول ،

فلا يسبقن إليك أنه قد ذل (١) وقد روى أنه

(١) قد يكون الاختلاس أحيانا من الزلل

وضف الملسك بلا ريب كالحق يقع كثيرا في شعر

الشريف محمود فبادر والتواصي كقوله ( ديوانه ،

طبع تونس ، رقم ٣١ / ٤ بمكتبة المطارين

بتونس ص ١٧ ص ٥ ) :

وأعتر من أهرام مصر قواعد

وأبتر من ديوان كسرى بناء

والاختلاس في ألف كسرى ، وكقوله ( ص ١٢٥

ص ١٥ )

يفيه خوفه أن تل - يونه

لكنها أغصاءها الأحشاء

وقوله : - ( ص ١٥ ) :

كان ربما أنشد . تمثرت بك ، (٢) فأحسبه

إن فصل ذلك إنما كان يلتمس ، ألا يخرج

بالسؤال من بعض من قد بنفس عليه وهذا

من باب التفتية اللازمة أحيانا ، وبين قوله

( تمثرت به ) و ( تمثرت بك ) برون بعيد ،

ومكان الجودة من الأولى لا يخفى .

هذا وتأمل اختلاف في قوله :

ولا إلا بأن يصنى وأحكي

فليت لا يقيمه هواك

هذه هي الرواية الجيدة المشهورة ، وروى

« فليت » وهي منهقة ، وهذه القصيدة آخر

ما نظمه المتنبي وهي من عيون شعره

وحقيقة الاختلاس هي تحويل الضربة

الثامة إلى فئتين متلافتين ومن هنا كان

كأنه عكس الزحاف ، إذ هذا يعوض إبتاع

المقطع بالسكرت ، وأقول ( كأنه ) لأن

هذا مجرد تقريب وتمثيل ، ولزيادة الإيضاح

ويكاد رأيه أن يبارى رؤية

فلوح بل وجودها الأشياء

وقوله : ( ص ٢٠ )

قد كان في حلم الأمير وصاحبه

ودع يظنه مثلكم إهراء

ورغم الهزلة هنا معكلا إلا أن يكون أتباعا على

المسكاة في ودع وهو بعيد . ولعل أن يؤتى فباد

من جهة التهو . فيرجع إلى ديوانه ، فسي أن

يكون هذا ثابت من حمرة منصوبة إذ هي أن

تكون مقبدة ، واثقة أعلم .

(١) ديوان المتنبي تحقيق الدكتور عبد الوهاب

هزام ، مصر ، ١٩٤٤ ص ٤٢٣ - حاشى ٤ .

لمن ظل أبصره فتجاني  
كخط زبور في صيب ياني  
لقد جئت فيها بأشياء ينكرها السمع  
كقولك :

فإن أمس مكروبا فيارب غارة  
شهدت على أقب وخر البان  
وكذلك قولك في الكلمة الصادية :

على قنق حيق له ولعروسه  
بمنجج الوعاء بين رصيص  
وقولك :

فأسق به أخنى إذ نأت  
وإذ بعد المزداد غير القريض  
في أشباه ذلك ، هل كانت غرائزكم لا تحس  
بهذه الزيادة ؟ أم كنتم مطبوعين على إتيان  
مفامض الكلام وأتم طلمون بما يقع فيه ؟  
كما أنه لا ريب أن زهير كان يعرف مكان  
الوحاف في قوله :

يطلب شأوا مرأين قدما حسنا  
تالا الملوك وبذا هذه السواق  
فإن الغرائز تحس بهذه المواضع فتبارك الله  
أحسن الخالقين .

فيقول امرؤ القيس : أدركنا الأولين من  
العرب لا يحفلون بجمي . ذلك ولا أدري  
ما نحن منه . فأما أنا وطبقتي فكنا نمر في  
البيت حتى نأتى إلى آخره . فإذا فنى أو قارب  
تبين أمره للسامع .

أضرب لك مثلا ما روره من قول المتنبي  
( فليتك لا ) وهذا جار على ترك الاختلاس  
وعلى جزء الوافر ( مفاعلتن ) وما هو مشهور  
من قوله ( فليت لا ) وهو جار على الاختلاس  
وجار أيضا على جزء الوافر ( مفاعلتن ) ،  
فالأول بيانه عندنا شيء من هذا القبيل :

مفاعلتن

فليتك لا

تمتمتمتم

والثاني هكذا :

مفاعلتن

فليتك لا

تمتمتمتم

وهذا البيان تقريب وواضح منه ما نرى  
إليه ، إذ قد راث الشاعر في ضرباته الأوليات  
وجعل الأخيرة ثنتين متلاحقتين أو كالثنتين  
المتلاحقتين .

رأى المعري :

هذا الذي ذكرناه من أمر الوحاف  
والاختلاس من أنهما من عنصر الموسيقى  
الشعرية نفسه وليس ببعيد بحسن تجنبه كما  
رأى أكثر المحققين وقد نفعه أبو العلاء المعري  
إلى جانب كبير منه في رفته مع امرؤ القيس  
في رسالة الغفران إذ قال :

فيقول ، لا برج منطقيا بالحكم فأخبرني  
عن كلنك الصادية والصادية والنونية التي أولها :

وجعل من هذه المقالة أن المعرى كان يرى  
نحو من هذا الذي تقول به من أن أردان  
الشعر إنما هي نسب زمنية وضربات موسيقية  
فنى وقع عند الشاعر أنها استقامت له ،  
فلا بأس عليه أن يحتسب المقطع أو يريث به  
في داخل ما اختاره من قوالب الوزن والآيات  
التي ذكرها المعرى من شعر امرئ القيس  
بما يوضح هذا أجل توضيح ... خذ مثلاً  
قوله :-

شهدت على أقب رغو البان

فهنا في أجزاء الثلاثة الأولى ألوان  
من الوجد والحطف ، إذ بعد ( شهدت )  
سكنة يسيرة في الحمزة من ( أقب ) سكنة  
تكاد تختفي في المد والنهيل . وفي اللام  
السكنة من ( أقب إلخ ، اختلاصة راقصة ،  
سببها إتمام الجزء الثالث إتماماً مقطوعاً ،  
والذي يجرى عليه الشعراء مزاحفته بالتبعض  
هكذا ( رغو بآن ) . ولا بد هنا من التنبيه  
على أن قلقة ( اللام ) مما يفسد سياق الموسيقى  
في هذا البيت ، وكثيراً ما يقلقها المعاصرون ،  
وهي حرف هين لين ، والقلقة تحدث في  
سكنة يزيد بها حجم النغم .

هذا وقول المعرى في آخر حديثه :-  
« فيقول امرؤ القيس أما فدا قلت إلا بزحاف ،  
هو النقص الذي أردنا إليه من سياق الحديث

فيقول ثبت الله تعالى الإحسان عليه .  
أخبرني عن قولك :

ألا وب يوم لك منهن صالح

ولا سيما يوم بدادة جليل  
أنتفذه ( لك منهن صالح ) فزاحف الكف ؟  
أم تنشده على الرواية الأخرى ؟ فأما يوم  
فيجوز فيه التصب والخفض والرفع . فأما  
التصب فعلى ما يجب للفعول من الظروف  
والفاعل في الطرف هنا فعل مضمر . وأما  
الرفع فعلى أن تعمل ( ما ) كانه ، وما الكافة  
عند بعض البصريين نكرة ، وإذا كان الأمر  
كذلك ( فهو ) بعدها مضمر ، وإذا خفض  
يوم فما من الزيادات ويشدد من ويخفف .  
فأما التشديد فهو اللغة العالية وبعض الناس  
يخفف ويقال إن الفردق مر وهو سكران  
على كلاب جمجمة فلم عليها فلما لم يسمع  
الجواب أنها يقول :

فأرد السلام شيوخ قوم

مردت بهم على سلك البريد

ولا سيما الذي كانت عليه

قطيفة أرجوان في القمود

فيقول امرؤ القيس : أما أنا فما قلت  
إلا بزحاف : ( لك منهن صالح ) وأما المعلنون  
في الإسلام فقبيروه على حسب ما يريدون  
ولا بأس بالوجه الذي اختاروه اه (١) .

(١) رسالة النثران للمعري تحقيق بنت العاطي .  
دار المعارف مصر - ١٩٥٠ - ٣٠٧ - ٣١٠ .

وفي خزانة الأدب رأى عسى صاحبه أن يكون نظر فيه إلى مقالة المصطفى هذه (١) .

### ضربات الوزن

إنه الآن قد وضع مرادنا من القول بأن الوزن يدور على نسب وضربات لا على مجرد تفصيلات مطعنة ، وما ذكرناه بمعرض التبيين عن ألوان الزخاف الظاهر ، والتي حسبها المحدثون خلافاً وليس به ، مما يساعد على إبراز هذا المعنى

والآن تلفت القارىء إلى ألوان الزخاف الخفى والسمل مما تقبله المحدثون ولم يعيروه بأنه تدويع الأذان كالذى تمثلنا به من قول دريد : —

أحب فيها وأضع

وكالذى فى بيت عنتره : —

وإذا سكرت فإننى مستهلك

حال ومرضى وافر لم يكلم

كالذى نراه أن هذه الزخافات الخفية

فى ( مستهلك الخ ) وفى ( أحب ) لم تنشأ من مجرد الشاعرين أن وردا المقاطع التى تطابق ضربات ما أخذاه من وزن اعتماداً على خفاء هذا المعنى عن أذن السامع . كلا ولكننا نرى أن طبيعة الصياغة الشعرية عندهما هى التى اقتضت أن يفعلوا ما فعلوا . وكذلك يفعل كل شاعر . إذ لا تجد شاعراً يجرى ضربات وزنه مطابقة كل المطابقة لضربات النغمات النموذجية ، وإنما يفهم وينوح . فيعطيل حيناً ويقصر حيناً . والمروضى قد يستند له من ذلك بأه غير غائب عن الأذن وإن يك زخافاً . والمروضى يعطى " فى هذا الاعتذار ، إذ قد غاب عنه أن الشاعر إنما أراد ليس الأذن لا مجرد ألا يلبو وزنه عنها . لا بل إنما أراد أن يستغل مادة الوزن النغمية فى البحر الذى هو بصدده أتم استغلال ويستخرج غيره أسرارها ليعبر به عن جانب هام من معانيه . ذلك بأن معانى الشاعر لا تقتل كلها فى نفسه ليكون تعبيرها من طريق اللهظ المبين ، ولكن جانباً كبيراً منها يروم أن يكون تعبيره من طريق النغم والرنين . والزخاف من أكبر ما يستعين به الشاعر فى هذا الباب .

(١) أحسبه فى أوائل الجزء الأول وقد منى موضعه

### الحركات والسكنات والحروف :

على أن سكنات الواح وخلفات الاختلاس وضربات الوزن ، كل ذلك لا يتضح انضاحا موسيقيا حقا إلا مع الحركات والسكنات وضروب الين والإشباع والمد والشدة والإمالة والإشمام والمخارج التي تخرج بها الحروف . ولا يسبقن إلى وملك أن تربط هذا بكلمات الشاعر من حيث هي أدوات البيان المحض ، ونفنى بالبيان المحض مدلول نقول الظاهر فإن لهذه جميعها قوة تعبير نغمية ، أدخل في حاق الوزن منها في الصياغة البيانية مع أن الكلمات نفسها أدخل في حاق الصياغة البيانية منها في الوزن . ولأمر ما اختلفت زجات الشعراء في البحر الواحد اختلافا جسيما . هذا الفرزدق مثلا ، شاعر لحن مبدع ، قدبر على ضبط الوزن وتنويع زجانه . ولكنه مع ذلك دون صاحبه جرير في قوة الرنين وإيجائته . وكذلك نجد إذا وازنت ابن الرومي بالبحرئى والشريف الرضى بأبي الطيب المتنبئ .

وإذا تأملنا قول جرير مثلا :-

دهوتك واليمامة دون أهل  
ولولا البعد أسمعك المنادى  
على علباء ترفع نار خير  
وتقدح بالوردى من الزناد  
إذا ما خفت ود إلى نفسى  
وصار إلى مساكنه فؤادى

لم نجد زادى التنويع الوحافى على (مفاعيلن) في أول العروض أو الضرب .

ومع ذلك نحس في أبيانه هذه طربا شديدا ورنينا عظيما ومع هذا الرنين إجماء وجدانيا يصل إلى سويداء القلب ولا ريب أن هذا منشؤه من الصياغة الموسيقية التي ألزمها الشاعر ، حيث أعطى كل ضربة من ضربات تفعيلاته ألوانا تناسب معاني نفسه من الحركة والسكون والين والمد والإشباع وأصوات الحروف . وإنما تجيء أصوات الحروف بعد ما قدمناه ، ومنى صار الشاعر إليها فقد دنا من الكلمات والبيان العظمى المحض .

ولا أكاد أرتاب أن الشاعر وبما جالس المعنى في نفسه بشيء من هذا القرى أول الأمر :-

تم ت ت ت ت  
تا تنسا تم تم  
ت تو تو ت ت  
دهوتك تا دهوتك تم تم

دهوتى تا  
ولولا ذاك قد علم المنادى  
دهوتك والفراشة فوق هينى  
دهوتك والنهايم فوق هينى  
دهوتك والمفاوز بين قومى  
دهوتك والمفاوز دون أملى  
دهوتك واليمامة دون أملى



تم تم تم لا سمك المنادى  
ولولا البعد أسمعك المنادى  
وهذا مجرد تمثيل كما ترى .

والحديث عن الحركات واللين والإشباع  
يؤدى بنا إلى الحديث عن القافية لا محالة .  
ذلك بأن الحركات تنزل من ضربات الوزن  
موزنة الحدة والارتفاع والانخفاض في الضربة  
الموسيقية، والمخرج ينزل منزل الصوت الذى  
تؤدى به الضربة . والقافية في الوزن العربى  
إن هى إلا رمز جامع بين حمل الحركة وحمل  
المخرج وضربة الوزن .

#### القافية :

الذى هتدى ، أن الشاعر العربى إنما عمد  
إلى القافية فقرنها بالوزن ليضفى عليه صبغا  
نغميا من اصطبع الوزن به صار أكثر  
تهيؤا لأداء ما ينتج في صدره من معان .  
وإن جاز لنا أن نقب أبعاد الوزن ونسبه  
الزمانية برنات متناسبة ، فإن موقع القافية  
من هذه الرنات شبيه بموقع الكثافة من رنات  
الموسيقا ، مثلا الشدة التى تعد عليها أوتار  
العود في قطعة ما ، والزيادة في توضيح هذا  
المعنى فنضرب لك أمثالا أخرى ، خذ دقات  
الطبل ودقات القدم على الأرض ، والنقر  
على النحاس ، والنقر على قرع مكفأ على وجه  
الماء ، والصغير المتلاحق على ميثه دقات ،  
كل أولئك لمن طبائع صوتية متباينة ،

أو قل لمن كثافات صوتية متباينة . وإذا  
فرضنا الشبه الزمنى الكامل في جميع هذه  
الدقات فإن الوزن المجرد المبني عليه التناسب  
الزمنى فبن جميعا واحد ، وليس فيه أدنى  
تفاوت . وهذا التناسب الزمنى المجرد أشبه  
شىء بأحاديض الشعر السكائنة وراء أروام  
الشاعر .

والطبائع الصوتية المختلفة الناشئة من دق  
القدم ، ودق الطبل ، ونقر النحاس ونقر  
القرع وحلم جرا ، أشبه شىء بالطبائع النغمية  
التي تصنفها القوافى على الأوزان . ولقد  
ألمعنا إلى شىء من هذا المعنى في مقدمة المرشد  
الأول إذ تحدثنا عن ألوان القوافى وضربنا  
لها أمثالا من ألوان الشعر (١) . وقد أخطأ  
قدامة حيث دعى أن القافية شئ زائد  
على الوزن لأنها كما قال كلفة تزداد عند مقناع  
البيت ليست لها ذات قائمة بنفسها . وقد بينا  
هذا من خطئه في الجزء الثانى من المرشد  
فليرجع إليه (٢) .

#### طود التنويع :

ولا أكاد أشك أن الشاعر العربى كان أول  
أمره بنوع القوافى . ولعل هذا أن يستفاد  
من مقال ابن سلام أن أوائل العرب كانت

(١) راجع للمرشد ١ - ص ١٠ - ٧٣ .

(٢) المرشد ٧ ٤٣ - ٤٣ .

الشعبي . وابن هشام يعلق على أكثرها بقوله  
وهذا يجمع لا شعر . وربما روى ما يستقيم  
به وزنها من بعد .

هذا وكثير مما بلغنا من الأراجيز التي كان  
يتناقلها الأبطال عند المناجزة ( أو ينسب  
إليهم إنشادها في معرض القصص ) مما يجوز  
به الاستشهاد هنا إذ منها ما يتولى هذا الذي  
نذهب إليه من أن القوم كانوا ينوعون  
قوافيمهم قبل أن يصلوا إلى توحيدها . خط  
مثلا قول ابنة عتبة يوم أحد : —

وبها بنى عبد الدار وبها حاة الأديار  
هزبا بكل تبار

نحن بنات طارق إن قبلوا فناق  
أو تدبروا ففارق فراق غير وابق  
( وقد سبق منا الاستشهاد بهذه الأبيات  
في المرشد (١) وما يجري مجراها ما كانت  
تساب به الفتيات في ملاعبهن تلقى إحداهن  
رويا تمدح به أباها وتنسب أبا قريبتها ،  
وتجيبها الأخرى بنحو من ذلك . من ذلك ما  
رواه صاحب الحاسة من قول إحدى  
الجواري (٢) : —

سبي أبي ، سبك لن يضره  
إن معى قوافيا كثيرة  
ينفع منها المسك والنديرة

تصنع البيت والأيات فيها من لها  
من حوادث (١) . وأحسب أنها أن الشاعر  
القديم ربما كان يشد بيتا أو بيتين من روى  
واحد . ثم يسكت ويشد آخرين من روى  
آخر . .

ولعل الشعراء أول اهتمامهم للوزن قد  
كانوا ينوعونه أو يخلطون أصنافا منه . ثم  
استقام لهم طريق العروض من بعد ،  
وأحسب نحو قول القائل : —

الشيخ شيخ تكلان  
والورد ورد جعلان  
أفنى إليك مرة بن سفيان

وبما صح أن يستشهد به في هذا الموضع  
لاختلاف أماريته ، وإن يك كاه من بحر  
الرجز (٢) وقد عثر على أبيات أخرى  
تعب هذه تدعى الآن موضعها ولعلها في  
سيرة ابن هشام . وما يجري هذا الجرى من  
أراجيز السيرة ما رواه ابن إسحق من ارتجار  
نساء هوازن بعد حنين (٣) : —

قد غلبت خيل الله خيل ثلاث  
ونجيلة أحق بالثبات

وفي السيرة بعض أشعار كثيرة مضطربة  
الأوزان مما أرى أنها كانت من قبيل الغناء

(١) طبقات قول الشعراء ص ٢٣ دار المعارف  
تحقيق العلامة محمود محمد شاكر .

(٢) المرشد ١ - ٩٦ .

(٣) السيرة ١ - ٧٩ .

(١) المرشد ١ - ١٠ .

(٢) الحاسة ، مصر ١٣٣٥ هـ - ٢٠ - ٣٧٧ .

وقد روى الممرى في رسالة الغفران يمين  
من قصير المقارب ، بما كانت تنفي به  
الجوارى في الأهراس ، لا يكاد يشك الناقد  
أنهما بقية من أسماك تشبهها ، وهما :-

وأهدى لنا أكسبا  
تبجح في المريد  
وزوجك في النادى  
وبعلم ما في غد

ولا يخفى أن نحو هذا إنما كان يراد به محض  
الترنم ، لتباعد أطراف معانيه ، وأحسب  
أن هذين البيتين خلصا إلينا لارتباطهما ببعض  
ما جاء في الحديث ، إذ هما مذكوران في حديث  
الربيع بنت معوذ بن عفراء ، وفيه أن  
الجوارى أنشدن ، وفيما نبي يعلم ما في غد ،  
فتها من صلى الله عليه وسلم ، إذ لا يعلم الغيب  
إلا الله . هل أنه صلى الله عليه وسلم لم ينهن  
عن الغناء نفسه . والله تعالى أعلم . وحديث  
الربيع مما رواه البخارى وحى الله عنه .

هذا وشواهد الإبطاء والإقواء وتقارب  
المخارج نحو :-

بنى أن البرشء من

المخلق اللين والطميم

كلها مما يقوى حجتنا في أن أمر القوافي لم  
يبدأ بحكما . ولعل أكثر الانتماء الشعبية لم  
تكن تلزم الإحكام أو تمتد إليه . وفي  
قواصل القرآن ما يثبتنا أن تشابه الوزن  
( البقية على صفحة ١٠٧٩ )

والذيرة طيب يعمل من الصندل المدقوق  
وعى معروفة عندنا في السودان ، وقول  
الأخرى :-

يا رب من هادى أبى فساده  
وارم بهمين على فؤاده  
واجعل حام نفسه في زاده

وأذكر حل سيل الاستفراد أن هذا اللون  
من نساب القنيات معروف عندنا في قرى  
السودان عنه مثلا قول إحدا من :-

أبرى أنا  
الراكب الحرا  
المجسلة  
وأبوك أنت  
الراكب الكدس  
يمشى ويبيض

والكدس هو القط في حاسبتنا  
هذا ولا يبعد أن كانت العرب تذهب  
بأماشيده الأهراس إلى شيء من التنويع  
والتمسيط ، بدليل اعتمادها الأوزان القصار  
كلذى يروى عن الجرادتين :-

أقصر من أهل مصيف

فبطن مكة فالعريف  
هل تبلغن ديار قومي  
مهرة سبيها دقيف  
يا أم نهات فولينا

قد ينفع النائل الطفيف

مع البلاغيت :

## اللفظ والمعنى

للأستاذ على العماد

- ٢ -

في قلوبهم أن يدهوه ، ويبينوا له موضع العيب في شعره فدسوا له قينة تغنيه بشعره في المتجرده ، وفيه الإقواء - وهو اختلاف حركة الروى - فلما بلغت قوله :

دع البوارح أن رحلتنا هذا

وبذلك خبرنا الغراب الأسود أطال مدة الدال ، والقوافي كلها مكسورة ، وكانت حين أنشئت أحد الأبيات السابقة لهذا مدح الدال مخفوخة ، وامتد بها الصوت متخفضا فتبين له عيب شعره فكان يقول :

وردت يثرب وفي شعرى بعض العبد  
فصدرت وأنا أشعر العرب ،  
وفي رواية أنهم قالوا له قد أقويت ،  
وأضموه فلم يفهم ، فجاءوه بمغنية تغنيه ( من  
آلية ) وتبين له الباء في القوافي المكسورة  
والضمة في القوافي المضمومة .

ومعنى هذا أن أهل يثرب في ذلك التاريخ  
كانوا يعرفون بعض المصطلحات العروضية  
التي دونها الخليل بن أحمد فيما بعد ، ولا غرابة  
في ذلك ولا بعد .

ولما سمع عبد الملك بن مروان - وكان

لم تدون هذه المسألة علما قبل القرن  
الثالث ، ويتلب على الظن أن الجاحظ أول  
من دونها ، ولكن النقاد منذ العصر الجاهلي  
كانوا يتجهون في تقديم الشعر أو النثر إلى  
الألفاظ أو إلى المعاني ، ومما يابان واسمان  
يدخل تحتها أنواع توجه إليها كلها النقد ،  
وقد عده عبد العزيز بن علي الجرجاني صاحب  
كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه بعض  
هذه الأنواع . فقال وهو يتحدث عن أغاليط  
الشعر ودونك هذه الدواوين في الجاهلية  
والإسلام هل تجد فيها قصيدة تسلم من عيب  
أو أكثر لا يمكن لعائب القبح إما في لفظه  
ونظمه ، أو ترتيبه ، أو تقسيمه أو معناه ،  
أو إعرابه . ثم ذكر في موضع آخر بعض  
المتأخذ التي لاحظها النقاد على الشعراء مثل  
الإحالة وفساد المعنى ، ومثل اللحن والغلط .  
ونسوق - هنا - أمثلة لما أخذ النقاد على  
الشعراء فيما يتعلق بالألفاظ :

من ذلك ما حدث للناطقة الديباني ، فقد كان  
يقوى في شعره ، فدخل المدينة وأهل الحجاز  
يمجبون به ويقدمونه ، فلم يجرؤوا عليه

واقدا ذواقه الشعر - قصيدة عبدا لله بن قيس  
الزقيات التي يقول فيها :  
إلى الحوادث بالمدينة قد  
أوجعني وقرعن مروتيه

وجعني جب السنام ولم  
يتحرك ريشا في مقاديه  
قال : أحسنت لولا أنك غنيت في قوافيك ،  
فعبد الملك لم تعجبه هذه القوافي الممثلة  
في البيوت وكان يفضل عليها قوافي متأسكة ،  
ولا يشفع له ما ذكره من أنه ما هذا كتاب  
الله ، ما أغنى عن ماله . هلك عن سلطانيه ،  
ذلك أن ( الفرق جسم بين أواخر هذه  
القوافي في النظم والروح ، وبين قوافي  
ابن الرقيات ، وهو وإن أراد أن يجتدي  
الفرق إلا أنه لم يكن موفقا في ذلك  
الاحتذاء ) (١) .

ولا شك أن قد عبدا الملك هذا يتصل  
بالألفاظ لا بالمعاني فلو أن الشاعر قال :  
( وقرعن مروتي ) و ( في مناكبي ) لم يتوجه  
النقد إلى هذه القوافي ، فالذين إنما جاءها  
من الإضافة إلى ضمير الغائب ، وهو شيء  
يحميه الذوق .

وهذا التخلف في الألفاظ غير التخلف في المعاني  
التي تدل عليها بعض الألفاظ ، فقد يكون  
اللفظ في نفسه قويا وسكنا دوراته في مجالات  
خاصة يضيق عليه لونا من الظلال يجعله خشنا .

واقدا ذواقه الشعر - قصيدة عبدا لله بن قيس  
الزقيات التي يقول فيها :  
إلى الحوادث بالمدينة قد  
أوجعني وقرعن مروتيه

وجعني جب السنام ولم  
يتحرك ريشا في مقاديه  
قال : أحسنت لولا أنك غنيت في قوافيك ،  
فعبد الملك لم تعجبه هذه القوافي الممثلة  
في البيوت وكان يفضل عليها قوافي متأسكة ،  
ولا يشفع له ما ذكره من أنه ما هذا كتاب  
الله ، ما أغنى عن ماله . هلك عن سلطانيه ،  
ذلك أن ( الفرق جسم بين أواخر هذه  
القوافي في النظم والروح ، وبين قوافي  
ابن الرقيات ، وهو وإن أراد أن يجتدي  
الفرق إلا أنه لم يكن موفقا في ذلك  
الاحتذاء ) (١) .

واقدا ذواقه الشعر - قصيدة عبدا لله بن قيس  
الزقيات التي يقول فيها :  
إلى الحوادث بالمدينة قد  
أوجعني وقرعن مروتيه

وجعني جب السنام ولم  
يتحرك ريشا في مقاديه  
قال : أحسنت لولا أنك غنيت في قوافيك ،  
فعبد الملك لم تعجبه هذه القوافي الممثلة  
في البيوت وكان يفضل عليها قوافي متأسكة ،  
ولا يشفع له ما ذكره من أنه ما هذا كتاب  
الله ، ما أغنى عن ماله . هلك عن سلطانيه ،  
ذلك أن ( الفرق جسم بين أواخر هذه  
القوافي في النظم والروح ، وبين قوافي  
ابن الرقيات ، وهو وإن أراد أن يجتدي  
الفرق إلا أنه لم يكن موفقا في ذلك  
الاحتذاء ) (١) .

ولا شك أن قد عبدا الملك هذا يتصل  
بالألفاظ لا بالمعاني فلو أن الشاعر قال :  
( وقرعن مروتي ) و ( في مناكبي ) لم يتوجه  
النقد إلى هذه القوافي ، فالذين إنما جاءها  
من الإضافة إلى ضمير الغائب ، وهو شيء  
يحميه الذوق .

وهذا التخلف في الألفاظ غير التخلف في المعاني  
التي تدل عليها بعض الألفاظ ، فقد يكون  
اللفظ في نفسه قويا وسكنا دوراته في مجالات  
خاصة يضيق عليه لونا من الظلال يجعله خشنا .

واقدا ذواقه الشعر - قصيدة عبدا لله بن قيس  
الزقيات التي يقول فيها :  
إلى الحوادث بالمدينة قد  
أوجعني وقرعن مروتيه

وجعني جب السنام ولم  
يتحرك ريشا في مقاديه  
قال : أحسنت لولا أنك غنيت في قوافيك ،  
فعبد الملك لم تعجبه هذه القوافي الممثلة  
في البيوت وكان يفضل عليها قوافي متأسكة ،  
ولا يشفع له ما ذكره من أنه ما هذا كتاب  
الله ، ما أغنى عن ماله . هلك عن سلطانيه ،  
ذلك أن ( الفرق جسم بين أواخر هذه  
القوافي في النظم والروح ، وبين قوافي  
ابن الرقيات ، وهو وإن أراد أن يجتدي  
الفرق إلا أنه لم يكن موفقا في ذلك  
الاحتذاء ) (١) .

(١) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٣٦  
للرحوم طه ابراهيم .

ولكن انفقوا على أن ذا الرمة كان يجيد التشبيه حتى قال بعضهم إنه لا يحسن غير التشبيه فهل أراد جرير أن تشبيهات ذى الرمة تبدو رائحة ، فإذا نقش عما وراءها لم يكن شيء فالتقد حينئذ يتصل بالمعاني .

كما أن ذا الرمة كان يكثر من الغريب في شعره فيبدو عند إنشاده أول مرة صامتا رائحا فإذا تأمله السامع لم يجد وراءه كبير معنى ، وهو قد كذلك يتصل بالمعاني .

ويبدو أن ذا الرمة ، كان صاحب طريقة جديدة في وصف الصحراء والكائنات التي فيها سواء كانت كائنات فاطقة أم كائنات صامتة فلم يرق هذا النحو من القول لغيره عصره ولا لرواته ، ولذلك نهجهم لا يطرونه في الفحول ، ونحن يسأل ذو الرمة الفردق عن ذلك يجيبه بأن الذي منه أن يعد في الفحول صفة الصحاري وأبهار الإبل ، ومرة أخرى يجيبه حين يسأله : مالى لا ألحق بكم معاشر الفحول ؟ فيقول الفردق : لتجافيك عن المدح والمجاء واقتصارك على الرسوم والديار . ومن هنا - فيما أعتقد - جاء حكم الأصمعي بأن شعر ذى الرمة لا يشبه شعر العرب ، وقد ظنوا - واه - الرجل !

ومن تقدم للمعاني ما ورد في حكومة ( أم جندب ) بين امرئ القيس وعلقمة الفحل ، وذلك إن امرأة القيس لما نزل في طي زوجها امرأة منهم يقال لها ( أم جندب ) وكان

عوليس من الحتم أن يكون وقع من امرأة ماجنة ، وإذا صح أن القصيدة التي منها هذا البيت قيلت حقاً في وصف امرأة النعمان وهي متجردة كما أراده النعمان على ذلك كان للناطقة هذه في تسجيل هذا المشهد ، أما الأعشى فكان في حل من ترك هذه الالفاظ التي يتاجن بها النساء .

ومن تقدم اللفظ وصف أبي عمرو بن الحلاء لشعر ليلى بأنه ( دحى بزر ) يريد أنه خشن لا يستعليه السمع .

وربما كان منه قول جرير بن الحطاف في شعر ذى الرمة : ( تقط هروس ، وأبهار طباء ) وقد فسر ذلك الأصمعي فقال : شعر ذى الرمة حلوا أول ما تسمعه فإذا كثرت إنشاده صعب ولم يكن له حسن لأن أبهار الطباء أول ما تنم بوجودها رائحة ما أكلت من الشيع والقيصوم والنبث الطيب الرج فإذا أدمن شيء ذهبت تلك الرائحة وقطت الهروس إذا حسلتها ذهبت ، أو كما قال المبرد : إنما تبقى أول يوم ثم تذهب .

وعلى كثرة ما دارت هذه الكلمة على ألسنة الرواة لم يبنوا أنها حل هذه الصفة في شعر ذى الرمة راجعة إلى الالفاظ التي تتحدح بريقها أول ما تلس الأذن ثم تذهب روحها إذا أعيد إنشادها ، أو إلى المعاني التي تبدو لأول وهلة رائحة فإذا تأملها الملتقى لم يجد لها من الروعة ما وجد لأول مرة .

ومن ذلك ما قاله الرشيد للفضل المعنى :  
هل تعرف بيتا أوله أكرم بن حبيب في  
أصالة الرأي ، ونبل العظة ، وآخره بفراط  
لمحرقته بالقاء والدواء . فقال المفضل : قد  
هولت على قلت شعري بأى مهر تقترح  
مروس هذا الخدر ؟ قال : يا نساك  
وإنساك ، وهو بيت الحسن بن هاني :

دع عنك لوى فإن القوم إغراء  
وداوى بالى كانت هى الداء  
وربما جمع النقد بين اللفظ والمعنى ، ومن  
ذلك وصف الأصمى لشعر لبيد بن ربيعة  
بقوله . كأنه طيلسان طبرى . يعنى أنه جيد  
الصنعة ، وليست له حلاوة .

ووصف محمد بن سلام الجميعى لبيد بقوله :  
كان عذب المنطق ، وقيق حواشى الكلام ،  
وكان ملأ رجل صدق .

ومن أشهر العبارات فى ذلك كلمة سيدنا  
عمر رضى الله عنه ، فقد كان عمر يقدم زهير  
ابن أبى سلمى ، ويقول فى تمليل ذلك : إنه  
كان لا يعاقل فى المنطق ، ولا يتبع الغريب  
الحوشى ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولم يمدح  
أحدًا إلا بما فيه .

فبعض هذا النقد يرجع إلى اللفظ وهو  
ترك الحوشى أى الغريب الذى يقل دورانه على  
الألسنة ، وبعضه يرجع إلى المعنى وهو البعد  
عن المبالغة فى الأوصاف وإثارة الصدق فى المدح .  
أما المعاطلة فقد اختلف العلماء فى تفسيرها

مفركا تبخضه النساء فكرمت ذوجه هذه ،  
ثم أناء علقمة الشاعر فتذاكرا الشعر عندهما  
فقال كل منهما لصاحبه : أنا أشعر منك ،  
فقال علقمة ، قل شعرا وأناست الصيد ،  
وهذه الحكم بينى وبينك يعنى أم جندب  
فقال امرؤ القيس قصيدته التى مطلعها :

خليلى مرا بى على أم جندب  
لنقضى حاجات الفؤاد المذهب  
وقال علقمة قصيدته التى مطلعها :

ذهبت من المهران فى غير مذهب  
ولم يك حقا كل هذا التجنب  
فقال لامرؤ القيس : هو أشعر منك ،  
وأيتك ضربت لرسك بسوطك ، وحركته  
بساقك ، وزجرته بصوتك تشير إلى قوله :

فلزجر الألووب ، ولساق درة  
ولسوط منه وقع أهوج منعب (١)  
ورأيت أدرك الصيد ثانيا من عنان فرسه  
تشير إلى قول علقمة :

خادركم ثانيا من عنائه  
بم كسر الراء المتحلب  
فأم جندب إنما قدمت المعانى ، فاستدحت  
معنى علقمة ، ومجنت معنى ذوجه  
امرؤ القيس .

(١) الألووب - بضم الهمزة - شدة جرى الفرس  
الهمزة - بكسر الهمزة - جرى فى الله - الأهوج :  
الأحق للرب - بكسر اللام وفتح الهمزة - الذى  
يستعين بصوته .

والمعاظلة - عنده - أن يدخل الشاعر لفظة من أجل لفظة تفهمها أو تجانسها وإن أدخل المعنى بعض الاختلال ، وذلك كقول أبي تمام :

غان الصفاء أخ غان الزمان أعا

عنه فلم يتخون جسمه الكد

فانظر إلى أكثر ألفاظ هذا البيت

وهي سبع كلمات آخرها قوله (عنه) ما أشد

تشبه بعضها ببعض ، وما أفتح ما اعتمد

من إدخال ألفاظ في البيت من أجل ما يشبهها

وهو (غان) و (غان) و (يتخون) وقوله

(أخ) و (أعا) فإذا تأملت المعنى - مع

ما أقصد من اللفظ - لم تجد له حلالة

ولا فيه كبير قائمة لأنه يريد : غان الصفاء

أخ غان الزمان أعا من أجله إذ لم يتخون

جسمه الكد (١) .

ونحو قوله :

يوم أفاض جرى أفاض تمزيا

فاض الهوى يجرى حياء المزد

لجمل اليوم ( أفاض جرى ) والجوى

( أفاض تمزيا ) والتعزى موصولا به

(فاض الهوى) إلى آخر البيت ، وهذا غاية

ما يكون من التعقيد والاستكراه مع أن

(أفاض) و (أفاض) و (فاض) ألفاظ

أوقعها في غير موضعها ، وأفعال غير لائقة

بفاعلها ، وإن كانت مستعارة لأن المستعمل

وهي في الأصل مداخلة الشيء في الشيء يقال

تماطلت الجرادتان إذا ركب إحداهما

الأخرى ، وقسرها قدامة بن جعفر بمداخلة

بعض الكلام فيما يفهمه من وجه أو فيما كان

من جنسه ، وهذا ليس بمشكر ، وإنما

التكبر عنده فهو في أن يدخل بعض الكلام

فيما ليس من جنسه ، وما هو غير لائق به ،

قال : وما أهرف ذلك إلا فاحش الاستعارة

مثل قول أوس :

وذاك هدم عار نواشرها

تصمت بالماء توليا جدما

فسمى الصبي توليا ، وهو ولد الخمار ،

فإن ما جرى هذا انجرى من الاستعارة قبيح

لا عذر فيه ، وقد استعمل كثير من الشعراء

الفحول المجيدين أشياء من الاستعارة ليس

فيها شناعة كهنه ، وفيها لم معاذير إذا كان

خرجها عرج التشبيه (١) .

وبفهم من عبارات قدامة أن من المعاظلة

الحسن والقبيح ، ومرجع ذلك إلى إصابة

الشبه المقبول في الاستعارة ، وقد جعلها

قدامة من هيوب اللفظ ، ولكن هيوب التشبيه

من عيوب المعاني .

وقدر غير قدامة المعاظلة بتفسير آخر ،

وعابوا على قدامة تفسيره هذا ، ومن هؤلاء

الأمدي والعسكري ، وابن سنان ، وإن

الأنير ، وهي على تفسيراتهم من هيوب

اللفظ ، وأول من نبه على غلط قدامة الأمدي ،

(١) يتخون يقتبس ، والعبارات من اللوازة

ص ٢٣٦ - ط السادة .

(١) عدال الشعر - ١٧٤ ، ١٧٥ الطبعة الأولى .



ولا المعنى المعقد ، وإنما هي المدخلة التي ينشأ عنها مثل هذين .

أما العسكري في الصناعتين فكانت شواهد من النوع الذي يسميه علماء البلاغة المتأخرون بالتحقيد اللفظي .

ثم نستورد إلى التنبيه على ما وقع فيه بعض المحدثين من أخطاء ، قال صاحب كتاب (قدامة بن جعفر) بعد أن ذكر آراء علماء اعترضوا على قدامة : «والذي نستطيع أن نستخلصه من كلامهم أن (المعاظلة) هي كل ما يؤدي إلى التحقيد سواء أكان تعقيداً لفظياً منشؤه تناثر الحروف في الكلمة الواحدة أو في الكلمات المتجاورة ، أم كان تعقيداً معنوياً منشؤه ما في الكلام من تقديم وتأخير من المواضع الأصلية للكلام» (١) .

وفي هذه العبارات القصيرة أغلط .

فالشواهد التي ساقها الآمدي والعسكري ليس فيها تناثر في الحروف ولا في الكلمات والتحقيد اللفظي ليس منشؤه التناثر وإنما التناثر قسم له ، والتحقيد المعنوي ليس منشؤه التقديم والتأخير .

والذي نعرفه في مقدمة كتب البلاغة أن التحقيد اللفظي سببه التقديم والتأخير وما أشبههما ، أما التحقيد المعنوي فنه الاستعارة البعيدة على حد ما ذكره قدامة . وكل ذلك معروف مشهور في كتب البلاغة .

في هذا أن يقال : قد علم ما بغلان من جوى ، وظهر ما يكتنه من هوى ، وبأن عنه العزاء ، وذهب عنه العزاء والتعزى . فأما أن يقال : فاض الجوى أو أفيض أو غاض أو أغيض فإنه - وإن احتمل ذلك على سبيل الاستعارة - قبيح جداً . وكذلك غرض الهوى بحر التعزى معنى في غاية البعد والهجاء ، ثم اضطر إلى أن قال (بحرى حياء المازيد) فوجد المازيد وخضفه وكل وجهه أن يقول (المازيد بن) صفة البحرين ، لجملة صفة الحسى ، ويقال إنه أراد ببحرى حياء المازيد قلبه ودماغه لأنهما موطن العقل ، وذلك محتمل إلا إنه جعل المازيد وصفا للحسى ، ولا يوصف العقل بالإزباد ، وإنما يوصف به البحر ، وهذا وإن كان يتجاوز في مثله فإنه إلى الوجه الأرداً عدل به ، وجنب الطريق من الوجه الأوضح (١) .

وإنما أطلت بذكر كلام الآمدي لأنه على أخطاء وقع فيها بعض الباحثين المحدثين وواضح أن الآمدي يريد أن المعاظلة قد ينشأ عنها إخلال بالمعاني ، فالمعاظلة عنده هي ذكر لفظة مراعاة لفظة أخرى وهذا حدها ، وهي عيب لأنها قد تؤدي إلى استعارة غير محبودة أو إلى تعقيد في المعنى أو استكرام في الألفاظ ، فهي ليست الاستعارة القبيحة ،

(١) قدامة بن جعفر ص ٢١٥ الدكتور بدوي طباعة .

(١) المصدر السابق ص ٢٢٧ .

من علماء البيان - وأعتقد أن ما ذهبوا إليه الحق - يرون أنه ( لا ) . فالاستعارة هي استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لملاقاة المشابهة فمنه تنقل كلمة من معناها الأول إلى معنى ثان إذا كان بين المعنيين مشابهة فنجي . بالاستعارة مقبولة فإذا لم تكن هناك صلة بين المعنيين أو كانت الصلة بعيدة ، والتداخل غير واضح وهذا النقل ، إن لم نقل إنه غير متحقق بالمرّة .

وأشد غرابة من هذا قول المؤلف : والتنافر كلمة اصطلاحية استخدمها الجاحظ ثم جرى استعمالها على ألسنة البلاغيين والنقاد ، فما الميب في أن يحاول قدامة أن يحدد معنى كلمة المماثلة ، ويجعل لها مدلولاً اصطلاحياً تبارك به من كلمة التنافر التي وضعت دلالتها وتبين معناها ؟

ولو راجع المؤلف هذه العبارات لعجب من تدوينه لها ، فليس أبعد من هذا الكلام عن التحقيق العلمي .

فالجاحظ لم يقل إن التنافر هو التعقيد ، ولا هو سبب من أسبابه ، وليس من هم المؤلف المتأخر أن يخالف من تقدمه ، وإذا كان واضح معنى التنافر واستقر لمهل يلزم أن يتمس مؤلف للمماثلة معنى اصطلاحياً آخر ، ولو لم تظهر المناسبة بين المعنى القوي والمعنى الاصطلاحي ؟ .

وقد ذكر المؤلف أن الآيات التي تمثل بها الآمدى فيها ضرب من تنافر الحروف في الكلمات مجتمعة لأنها تكررت متجاورة ، وهو كلام غير مقبول ، فإن أحداً لم يقل إن في هذا الكلام تنافر في الحروف ، ولم يشر الآمدى إلى هذا .

والمؤلف يدافع عن رأى قدامة على الرغم من أنه يذكر أن رأى العلماء بعد قدامة يكاد يعتقد على رفض ما ذهب إليه .

وحجة صاحب قدامة في الدفاع عن رأيه غريبة فهو يقول : إن المعنى القوي للمماثلة وهو التراكب أو التشوب أو التداخل لا ينفان مع مذهب قدامة لأن التداخل الميب يؤدي إلى التعقيد ، وليس شيء يظهر فيه التعقيد مثل الذي يبدو فيما مثل به قدامة .

فما هو التداخل الميب ؟ وما مثاله ؟ هل هو الذي ذهب إليه الآمدى ومن تبعه ؟ وإذا لم يحقق المؤلف هذا التداخل الميب بصورة معينة من صور الكلام ، وجعله لفظاً بلا حقيفة ، لينطبق هذا اللفظ أخيراً على الاستعارة المردودة فهل كل هيب يؤدي إلى التعقيد يصح لنا أن نسميه مماثلة ؟ والجواب : لا . فهذه اصطلاحات قصد بها التحديد ، ولا مانع أن تؤدي أنواع مختلفة إلى نتيجة واحدة .

والقضية : هل في الاستعارة تراكب وتداخل ؟ المؤلف يرى أنه ( نعم ) وغيره

بما ذكره مؤلف قدامة ، فقد قال : لا ترى  
في شعر زهير شيئاً من هذا الجنس ، ويوجد  
في أكثر شعر الفحول نحو ما تفاد عنه عمر  
رضي الله عنه .

وأيا ما كان فذكر المعاطلة في قول سيدنا  
عمر يسير في رأى أكثر النقاد والبلاغيين  
إلى عيب لفظي نجا منه شعر زهير .

هل العراري

والعجب عندى كل العجب كيف ذهبت  
كل هذه الأغلاط عن أعضاء اللجنة التي ناقشت  
هذا الكتاب وصنعت مؤلفه الدكتوراه ؟  
إن الكتاب - في جملة جيد ، ولكن كان  
ينبغي أن تنبه اللجنة لمثل هذه الأخطاء .  
وبذلك يسلم الكتاب وبصفو .

ثم إن أبا هلال العسكري استدل على غلط  
قدامة بدليل هو أقرب إلى القواعد العلمية

### ( بقية المتنوع على صفحة ١٠٧٩ )

والله في جهنم كل كفار حديد . مناع الخبير  
محدث مررب . الذي جعل مع الله إلهاً آخر  
فألقياه في العذاب الشديد . وفي سورة  
الإنسان تجد فواصل من أمثال : كان مزاجها  
سليلاً . كان مزاجها كافوراً . قواربرا ،  
قواربرا ، جزاء . ولا شكورا . وذلك  
قطوفها تذيلاً .

ثم إن الشعراء أحكمت القوافي كما أحكمت  
الوزن بعد طول تدرج ، والتمسك وحنه  
الروى فيما تحتفل له من كلام ، وهذا مدلول  
قول ابن سلام الذي ذكرناه آنفاً حيث قال :  
إن القصيد إنما قصد على هدهاشم وعبد المطلب  
ابن هاشم .

الدكتور عبد الله الطيب

( البحث بقية )

والجرس وتقارب المخرج وبما نزل منزلة  
الروى كالذى في سورة الطور مثلاً : -  
والطور وكتاب مسطور . في رق منشور .  
والبيت المعمور . والسقف المرفوع . وكالذى  
في سورة ق : - قال قرينه وبنا ما أطفيته  
ولكن كان في خلال بعيد . قال لا تختصموا  
لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدل القول  
لدى وما أنا بظلام للعبيد . يوم نقول لجهنم  
هل امتلأت وتقول هل من مزيد . وأزلفت  
الجنة للثمين غير بعيد . هذا ما نوعدون  
لكل أرباب حفيظ . من عسى الرحمن بالغيث  
وجه بقلب منيب . أدخلوها بسلام ذلك  
يوم الخلود لم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد .  
وكم أهلكنا قبلهم من قرن ثم أشد منهم بطشا  
نعموا في البلاد هل من محيى ، وقبل هذا -

# الإسلام في تنجانيقا

للأستباز عطيته صقر

في العالم في إنتاجه . وعاصمتها مدينة دار السلام التي تقع على ساحل المحيط ويتكون سكانها من ٦٦ ٪ من الإفريقيين و ٢٩ ٪ من الآسيويين من العرب والهند وباكستان ، و ٥ ٪ من الأوروبيين ، وطابع المدينة الماني في المباني والشوارع والمظهر العام . يبلغ سكان تنجانيقا نحو ثمانية ملايين حسب إحصاء سنة ١٩٥٠ ، ويقدره بعضهم الآن بـ عشرة ملايين نسمة ، وهؤلاء السكان خليط من أجناس مختلفة وقبائل متعددة ، فالإفريقيون ويبلغ عددهم أكثر من ثمانية ملايين يتكونون من ١٢٧ قبيلة أهمها السوكوما والتياكيوزا والماساي والراشاجا والباهايا ، ويذكر الرحالة والباحثون أن قبائل الماساي تعيش على الفطرة ، وهي شديدة البأس في القتال ، هذاؤها الذين يزوجوا بالدم الذي يسحب من عروق البقر بثقبها ثم تضميدها بالبن .

كانت البلاد جزءاً من السلطنة العربية العمانية ، ثم استولت عليها ألمانيا سنة ١٨٨٥ م ثم وضعت تحت الانتداب البريطاني عقب الحرب العالمية الأولى بمقتضى معاهدة فرساي ، واستمرت تحت وصايتها حتى استقلت منذ عام ١٩٦٢ م أعلنت جمهورية في ديسمبر الماضي .

في التاسع من شهر ديسمبر سنة ١٩٦٢ ، وعلى قمة جبل كيليمانجارو Kilimanjaro الذي يرتفع عن سطح البحر ١٩٣٤٠ قدماً ، والذي قال عنه جون جنتز : إنه هو الذي يغطف السحب البنفسجية من الرياح الموسمية الهائجة ، ويمصرها مطراً فيصنع بها الحياة ، يصنع الأنهار والحدائق ، وتحول الأنهار إلى بحيرات ، ويبقى هو شاعراً يحمل الغابات على ظهره ، في هذا اليوم وفوق قمة هذا الجبل - الذي يقدره الأهليون ويعلمون له إذا تأخر المطر ، ويعتقد بعضهم أنه عرش الإله - يرتفع علم مكون من اللون الأخضر والذهبي والأسود لإيدانابولدهمهورية تنجانيقا Tanganyika ، التي نالت الاستقلال في مثل هذا التاريخ من العام الماضي ، بعد ثلاثة وأربعين عاماً كانت فيها مشدودة إلى جملة التاج البريطاني .

تقع هذه الجمهورية في شرقي إفريقيا ، وتحدها شمالاً كينيا ، وجنوباً موزمبيق ، وشرقاً المحيط الهندي وزنجبار ، وغرباً الكونغو . وتبلغ مساحتها ٣٦٢ و ٧٦١ ميلاً مربعاً ، وأهم حاصلاتها الكتان والسيال الذي تصنع منه أجود الخبال ، والذهب والماس الذي تعتبر تنجانيقا ثالث دولة

حيث كانت لم يها علاقات تجارية قام بدور كبير فيها حرب الجنوب المشهورين بنشاطهم البحري في المحيط الهندي . وقد زارها المسعودي المؤرخ والرحالة الشهير في بداية القرن العاشر الميلادي مع البحارة الهانين ، ووصفها في كتابه مروج الذهب الذي أتم كتابته سنة ١٠٤٧م ، وقال إن أهلها ماهرون في صناعة المعادن وحيد الفيلة ، ويحملون الحديد قيمة أكبر من الذهب ، وأن فيهم خطباء ممتازين ، ولم عقائدهم الدينية الخاصة . وزار ابن بطوطة في القرن الرابع عشر الميلادي مدينة كلوا Kilwa على الساحل ، وقال إنها واحدة من أجمل المدن وأحسنها بناء ، وذكر أن مذهبيهم شافعي ، وأن سلطانهم يسمى أبا المظفر حسن .

دخل الإسلام تنجانيقا بشكل واضح في بداية القرن العاشر الميلادي على أيدي التجار العرب ، وكان أول من هاجر إليها من المسلمين - كما يقول أونولد في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » - جماعة من العرب نفوا لأنهم اتبعوا تعاليم عارضة على الدين لكن يقول بها شخص يدعى زيدا من سلافة النبي ... ولا يبعد أن يكون زيد هذا هو زيد ابن علي حفيد الحسين ، وقد ادعى في عهد الخليفة هشام أنه المهدي ولكنه قتل سنة ٨١٢٢ (٧٤٠م) . وجاء عرب آخرون أسسوا مدناً على الساحل الإفريقي منها مقديشو

وكانت قبل سنة ١٩٢٥ يدير شئونها حكام مسلمون من قبل سلطان زنجبار ، من أصل عربي وسواحيل ، غير أن حكومة الانتداب أصبحت تتعامل فيها بعدمع رؤساء القبائل ، وتعطى بعضهم شيئاً من السلطة في إدارة الشئون الخاصة بالقبيلة ، واجتهدت في إقناع المسلمين عن المناصب الرئيسية ، متذرعة - كما هي عادت في سياستها الاستعمارية - بأنهم يهتمون بنشر الإسلام ويحملون شئون الرعية . والبلاد مجلس وزراء وبرلمان كان عدد أعضائه في أغسطس سنة ١٩٦١ يبلغ ٨٢ عضواً منهم اثنان من العرب ، ١٥ من الهنود ، ١٦ انجليزيا . ورئيس الجمهورية هو يوليوس ناييري Julius Nyerere ونائب الرئيس هو ديشيدي كواوا وكان قبل ذلك رئيساً للوزراء . وهو رئيس اتحاد نقابات العمال التابعة لحزب تانوا اتحاد تنجانيقا الإفريقي الوطني ، وهو أكبر حزب سياسي تكون سنة ١٩٢٩ باسم الجمعية الإبريقية لتنجانيقا ، ألفها جماعة من الموظفين الانجليز لإلقاء المحاضرات الثقافية ثم تطورت بعد الحرب العالمية الثانية ، ولما عين نيري رئيساً لها سنة ١٩٥٢ حولها سنة ١٩٥٤ إلى حزب سياسي . لم يعرف الغرييون تنجانيقا إلا في مطلع القرن السادس عشر حين اجتاحتها دالميدا D'almeida البرتغالي سنة ١٥٠٥ م . ومن الثابت أن العرب عرفوها من زمن قديم

السواحيل العاصي الذي يقول : « إذا تفاجروا فيلان فالحشائش دائما هي التي تدوسها الأقدام ، والفيلان هما ألمانيا وانجلترا ، والحشائش هي شعب تنجانيقا .

المدارس الموجودة منها حكومية وطاقفية ، ومدارس الإفريقيين بدائية في نظامها وعلومها ويدرس في بعضها القرآن والكتابة بالكيسواحيلية . ومدارس الطوائف منظمة وتدرس فيها اللغة العربية مع الانجليزية ، والدين يدرس بقدر ضئيل في المدارس الحكومية ، وهناك ميل لتعليم البنات بين المسلمين ، غير أنهم طلبوا من الحكومة ألا تكون المدارس تحت سيطرة المسيحيات ، والمسلمون لا يقبلون على دخول مدارس المبشرين ، ويضطلون الجهل على التعلم فيها .

وفي المناطق التي يكثر فيها المسلمون توجد كتابات كثيرة ، ففي منطقة تابورا Tabora وبخاصة مركز يريجيني Irijini الواقع على شاطئ بحيرة تنجانيقا يوجد ٣٣ مكتبا ، والآباء يحبون أن يعلموا أولادهم القرآن ، ويدفع الولد للعلم ٦٠ شلانا عند نهاية الدراسة ، وإذا حفظ ٢٠ سورة التحق بمدرسة عليا يديرها أحد المشايخ ، ويوجد من هذا النوع ستة مدارس تدرس فيها علوم التوحيد والشريعة إلى جانب العلوم المدنية .

واللغة السائدة هي الكيسواحيلية Ki Swahili وكى معناها لغة ، وسواحيلي

في منتصف القرن العاشر ، ومن هذه المدن تسرب الإسلام إلى الأقاليم ونفذ إلى داخل القارة . وفي أوائل القرن الحادي عشر جاء إليها مهاجرون من الخليج الفارسي بزعماء وجبل يسمى عليا ، وهو أحد أبناء سلطان شيراز السبعة ، وأسس مدينة كلوا إحدى مدن تنجانيقا .

والدين الغالب في هذه البلاد هو الوثنية الإفريقية والآسيوية ، وفيها نحو مليون كاثوليك ، أما المسلمون فقد اختلفت الإحصاءات في تقدير عددهم ، وأقربها ما ذكره أطلس التاريخ الإسلامي الذي نشرته جامعة برنستون الأمريكية في طبعة ١٩٥٤م حيث يقدرهم بنحو ١٤٦٠٠٠٠ . ونقول نثره فيديس التبشيرية الصادرة في ١٣/٤/١٩٥٧ إن عددهم ١٨٣١٠٠٠ من مجموع ٨٥٦٠٠٠٠ فنسبة المسلمين على أقصى تقدير لا تصل إلى ربع المجموع العام للسكان . وقد نشر على لسان أحد الزعماء أن نسبتهم ٧٠٪ ولكن ذلك مراعى فيه مجموع سكان شرق إفريقيا بدوله المتعددة التي تكثر نسبة المسلمين في بعضها .

والحالة العلمية في البلاد متخلفة بشكل عام . وكان للاستعمار أثر كبير في ذلك ، ففي سنة ١٩١١م كان فيها ١٠٠٠ مدرسة بها ٦٦ ألف تلميذ ، وليس فيها الآن هذا العدد ، وكان المفروض أن يزيد طبقا لستة التدرج الطبيعي ، ولكن صدق في تنجانيقا المثل

يسمى هيبدي وهو أول عمدة مسلم لها . ورئيس المجلس التشريعي سنة ١٩٦٢ هو عبد الكريم كريمبي من أصل باكستاني واسع الرأى ، ويمتلك مبنى الجمعية التشريعية ويمول حزب « تافو » . والسلطان عبد الله فونديكيرا وزير فى الحكومة وعضو الحزب المذكور وزار القاهرة سنة ١٩٦٢ .

والمسلم هناك يحرص على لبس الكانزوا ، وهو قباء خاص من القطن الأبيض وطائفة بيضاء تسمى « الكيبانديكو » . ويتكلم الكيسواحيلية باضاز وإن كان يتكلمها . والتقاضى فى تنجانيقا أمام المحاكم اتق تقضى بالقانون الانجليزى وبعض التقاليد الخاصة بالبيت ، والأحوال الشخصية يرجع فيها للوالى وهو يحيلها إلى محكمة زنجبار الشرعية والنساء غير المسلمات سافرات ومثلهن المسلمات الإسماعيليات ، أما غيرهن ففى سنز كامل .

وفى البلاد مناطق يكثر فيها النفاذ الإسلامى من أهمها « تافورا » التى يقول عنها الدكتور شيل فى مجلة العالم الإسلامى التى تصدرها الجمعية الألمانية للثقافة الإسلامية برلين : إنها حصن الإسلام المنيع فى إفريقيا الشرقية بها هى وضواحيها ثلاثون مسجداً وكتاباً ، وأربع مساجد كبيرة لصلاة الجمعة ، أحدها للمسلمين والثانى للهنود والباقيان الوطنيين . وأغلب المؤذنين والمدرسين فى هذه المساجد من سكان الساحل الشرقى وهم يتقنون كتابة

نسبة إلى الساحل ، وهذه هى لغة التخاطب وحى مزيج من لغة السكان الأصليين والوافدين عليها يقول عنها بليل دافيدسون إن أسسها وعناصرها تتصل اتصالاً وثيقاً بلغات قبائل الباتو الإفريقية ، وإن كان قد لحقها تأثير عربى كبير فى قرون طويلة . وبعض العرب يتكلم العربية فى نطاق ضيق والغالبية يفاخرون بعروبيتهم مع جهنهم باللغة ، والهنود يتكلمون الجوجادنية والأوردية ويمتزج بهما ، وبالرغم من أن لغة المحدم والمريبات هى الكيسواحيلية فإنها لم تستطع أن تفروها بين اللتين كما غزت اللغة العربية ، والعربية لا تدرس فى المدارس الحكومية واللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية . وفى تنجانيقا تصدر بلغات عدة ، أشهرها « تنجانيقا ستاندرد » ، وتصدر بالانجليزية . وتصدر صحيفة « أوانجازا » بالسواحيلية ، وليست هناك صحافة إسلامية تذكر ...

والمسلمون منشرون فى أنحاء تنجانيقا ، ويشاركون فى الحياة العامة للدولة جنباً إلى جنب مع سائر المواطنين ، ولجسهم مراكو هامة فى الحكومة كانت ذات أثر كبير قبل أن تعمل بريطانيا على إبعادهم من المناصب الحساسة ، لتفصح المجال للبشرى لى يصنعوا رجالاً على أعينهم يخدمون أغراض الاستعمار . ونائب رئيس الجمهورية الآن مسلم هو رشيدى كواوا ، وعمدة دار السلام

الشيخ أحمد صالح البوسعيدى والى دار السلام والجمعية الإسلامية برئاسة السلطان عبد الله فونديكيرا ، ولها مجالس إقليمية فى طنجة برئاسة عبد الله كريمجي ، وفى دار السلام برئاسة أخيه ، وفى غيرها من البلاد . وقد أنشأت هذه الجمعية ٧٠ مدرسة ، ٥٣ مسجداً فى تنجانيقا .

وأشهر المساجد فى دار السلام المسجد الجامع ومسجد الكلاسة ، والمذهب الفقهى السائد عند أهل السنة هو الشافعى وهناك بعض الأحناف . وذلك إلى جانب مذاهب الشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية ، والمذهب الألبانى .

ومن الشخصيات الإسلامية المعروفة غير من ذكرنا : الشيخ حسن حميد عالم أهل السنة بدار السلام ، والشيخ حسين جمعة وهو زعيم الحزب ومدير مدرسة الحسين ، وتبوأ رئيس الجمعية الإسلامية فى تنجانيقا وزنجبار ، والسلطان سعيد فونديكيرا والى السلطان عبد الله وكان له جهده فى نشر الإسلام فى منطقة تانزانيا هذا والمبشرون قفون جداً من نشاط المسلمين فى نشر الدعوة ، ويقررون أن كل مسلم صغيراً كان أو كبيراً يعد نفسه داعية للإسلام وكبار الزعماء لم يفوزهم فى هذا المجال ، ويساعد على انتشار الإسلام زواج المسلمين من غير المسلمين الوافقات من « يوروندا » وغيرها طلباً للعيش فى ظل هذه المناطق

الحروف العربية وقرأتها وإن كان الكثيرون لا يجيدون فهمها ولا يستعملونها إلا فى الأغراض الدينية .

وفى هذه المنطقة يوجد مركز « يوجيبي » وهو ذو أهمية بالغة ، يقع عند نهاية الخط الحديدى الذى يصل دار السلام بالبحيرة ، وقد أنشأ التجار العرب ليكون محطة للقوافل ، وذلك منذ مائة عام تقريباً . ويقدر عدد المسلمين به بنحو ٣٥ ألفاً . والمبشرون فى منطقة كيجوما Kigoma يبدون نخوة كبيرة منه . والمسلمون يمتنون بنظافة مساجدهم ويحافظون على إحياء الشعائر فى رمضان ، ويمدنون المواكب إلى ساعة متأخرة من الليل يتردد عليها كثير من غير المسلمين فيعشقون الإسلام إعجاباً بنظامه التكافلى العظيم . وفى يوجيبي جمعيات لمحاربة البدع كما يوجد نشاط كبير لفرق الصوفية ، فإن إحداها تقيم كل يوم سبع حلقات فذكر على الانغام والأناشيد .

ومن أهم المراكز الإسلامية أيضاً باجامويو Bagamoyo وطنجة Tanga حيث توجد بها جمعيات كثيرة بفد إليها الراغبون فى المعرفة من أقصى البلاد ، كما يقوم كبار رجالها برحلات تعليمية فى أنحاء الجمهورية .

ومن الجمعيات الدينية البارزة : جمعية نشر الثقافة الإسلامية تأسست سنة ١٩٥٣ برئاسة



الغربية من إفريقيا الشرقية، وفشروا الدعوة بين الوطنيين، كما استطاعوا وضع البلاد تحت نفوذهم الاقتصادي والتجاري، ولو أنه لا تزال هناك نواح لم يتمكن فيها الإسلام من ترسيخ قدمه، ورغم من وجود ما يدل على تطور فكري نحو الأفكار الإسلامية بين قبائل الوطنيين من حين لآخر.

والواجب على المسلمين في جميع الأقطار أن يقدروا مثل هذا الكلام وأن ينتهزوا فرصة تطلع الناس هناك إلى الإسلام وما يحاول المبشرون أن يصنعوه في هذا المجال، وإذا كان في الأزهر الآن طالبان من تنجانيقا وإذا كان قد أرسل سنة ١٩٤٦، ١٩٥٣ بعض علماء لاستطلاع الأحوال هناك، فإن هذا غير كاف فيما يجب على الجمهورية العربية بالذات أن تفعله لإزاء هذه الجمهورية الفتية، التي لها وضعها الخاص بالنسبة إلى كثير من الدول المجاورة، والمقابلة على عهد جديد من الحرية والوحدة والإحساس العميق بالقومية الإفريقية العامة، والتبرم بسياسة الغرب القائمة على الاستغلال والتفرقة العنصرية التي عانت منها إفريقيا زمنًا طويلا وإننا نلتمظرون.

عطية صفر

مفتش الوضف بالأزهر

الخيرة، وهذه فرصة لإسلامهم وإسلام من يتصل بهم من الأقارب وغيرهم. والمبشرون يوجهون أكبر اهتمامهم لمقاومة الإسلام في يوجيبجي، ولكن تأخذ صورة أوضح على هذا أذكر لك ما جاء على لسانهم في نشرة فيدس المصادرة في ١١/٦/١٩٥٥ وهذا نصه:

لا شك أن دين محمد طاق وميب لرسالة الكاثوليكية، وليس الخوف من سرعة انتشاره، بل لأنه يحيل أتباعه إلى متعصبين ضد المسيحية، إن لإيمان المسلم مع بساطته يفسح رغبته الدينية، فهو يسمح له بحرية واسعة في سلوكه... إن الإسلام يفوق المسيحية في سرعة انتشاره، فإن التجار وبخاصة الهنود والباكستانيون دعاة باوذنون متعصبون حيث يقيمون متاجرهم في الأماكن المزدحمة بالسكان، بل يقيمون كثيراً منها وسط الأديان، وهي دائماً مراكز لنشر الإسلام، والأهالي يودون التخلص من عار الوثنية والجاهلية بهذا الدين الذي لا يكلفهم كثيراً... هل سيصير الإسلام دين الأغلبية؟ نحن نأمل ألا يكون ذلك وإن كانت إمكانياتنا للعمل محدودة جداً.

وبعد، فإن الدكتور شيل قال في مجلة العالم الإسلامي: وإن المسلمين الغربياء تمكنوا في سنة ١٩١١/١٩١٢ من التخلل إلى المناطق

# الدين وعلاقته بالأدب

عند : ت. س. البوت  
للمستاذ رشاد محمد خليل

تقنية المعادل الموضوعي ، المهم أن إليوت  
باعتراف الجميع أكبر الشعراء الانجليز  
المعاصرين ، ومن أكبر نقاد الأدب في العالم ،  
فهو غير متهم على الأقل في مقدراته الفنية ،  
أو تذوقه ، وحين يتكلم عن العلاقة بين الدين  
والأدب لا يمكن أن يتم بأنه يصدر في كلامه  
من جهل بالاعتبارات الفنية ، أو يستجيب  
لقوة من لونات الهوس الديني ، وإذا كان  
تقادنا تحت تأثير تيار النقد المادي المعاصر  
قد أهملوا رأي إليوت في العلاقة بين الدين  
والأدب ؛ فلاني أعتقد أن الأمانة تقتضينا  
أن نكون من الدجاجة بالدرجة التي تمكنتنا  
من أن تقدم الرجل من جميع جوانبه لقراء  
العربية ، ولا نكتفي بنظريته في المعادل  
الموضوعي ، وذلك نظراً إلى تأثير إليوت  
العميق في الأدب العالمي وفي أدبنا العربي  
المعاصر على السواء ، ثم إن اتجاه النقد العالمي  
إلى فصل الدين عن الأدب لا يستلزم منا  
الخنوع الأعمى ، وإن زقوف إليوت في وجه  
هذا التيار ليقول رأيه بشجاعة ليؤكد أن  
سيطرة الاتجاه المادي على الواقع المعاصر  
ليست خاتمة المطاف ، كما يؤكد أن هذه الحيرة  
التي تجتاح عالم اليوم أخذت بالفعل تتلصص

بكد الإجماع في أوساطنا الأدبية ينحد  
على ضرورة الفصل بين الدين والأدب ؛ لأنهم  
يعتبرون الدين حبراً على حرية الأديب  
وإبداعه ، مع أن هذا الفصل غير ممكن  
في واقع النفس الإنسانية ؛ لأن النفس  
الإنسانية وحدة لا تتجزأ ؛ والدين والأدب  
كلاهما يصدران من هذه النفس ، ويتجهان  
نحو هدف واحد هو تنظيف الوجدان  
الإنساني ، وبناء الضمير على أساس سليم ،  
وهم يحتجون لهذا الفصل بتاريخ الأدب الغربي  
وأحكام نقاده ، ويعتبرون كل من يربط  
الدين بالأدب ملحداً في حق التقدم الإنساني.  
ونحن نقدم هنا علماً من أعلام الأدب  
الغربي المعاصر ، داورت حوله في صحافتنا الأدبية  
معارك حامية ، وانقسم النقاد حول ( معادله  
الموضوعي )<sup>(١)</sup> بعضهم ينادي به ، والبعض  
الآخر يتهجم عليه ، وإن كانوا جميعاً قد سكتوا  
عن رأيه في صلة الدين بالأدب ، مع أن هذه  
الصلة في رأي إليوت وتضكيه أخطر من  
  
(١) المعادل الموضوعي نظرية اشتهر بها إليوت  
وهي تدعو إلى أن الفصل الأدبي ليست مهمته نقل  
الواقع أو نقل إحساس صاحبه ، وإنما مهمته خلق  
حالة ذهنية عند القارئ تماثل الفصل الأدبي نفسه .

الروائيون جميعا ما هدا جيمس جويس  
المسيحية مجرد ترهات ) .

ثم يسخر من الذين يريدون تجزئة العقل  
الإنسانى إلى جزء متدين وآخر غير متدين  
بقوله . ( هل من الممكن أن يؤمن الناس  
بفكرة محدودة دينية كانت أو غير دينية بجزء  
من عقولهم ثم يقرءون الرواية أو الشعر بجزء  
آخر ؟ <sup>(١)</sup> بل إن إليوت ليذهب إلى أبعد  
من ذلك فيجزم باستحالة اتخاذ موقف حيادى  
إزاء العمل الأدبى ( إنى أعتقد أن الموقف  
الحايد إزاء الأدب لا يجدى ، لحتى ولو كان  
الكتاب المذنب يحاولون فرض وجهات نظرم  
في الحياة علينا أصحاب أصالة ذاتية في الحقيقة ،  
أو حتى لو كنا نحن أفرادا أصحاب أصالة  
ذاتية في الحقيقة ، فإذا ستكون النتيجة ؟  
إن الذى سيكون بالتأكيد هو أن كل قارئ  
سوف يتأثر في قراءته بما كان مستعدا لأن  
يتأثر به من قبل فقط ، إنه سوف يسير  
في الركب ومن هنا لن يكون هناك أى ضمان  
لكى يصبح رجلا أفضل ) <sup>(٢)</sup> وإذن فالشخصية  
الإنسانية تتلقى الأدب ككل وتتأثر به ككل  
ومهما يحاول الإنسان أن يفصل بين تذوقه  
الأدبى واعتقاده قلن يتيسر له ذلك ( فالحقيقة  
أن ما قرأه لا يتعلق فقط بما نسميه الذوق  
الأدبى ولكنه يؤثر مباشرة في تكويننا

طريقها إلى راحة عميقة لن يكون لها مصدر  
في غير الدين .

وإليوت يعتبر ربط الأدب بالدين مسئولية  
النقد الأدبى فيقول : ( إن النقد الأدبى يجب  
أن يسهل بوجهات نظر أخلاقية وعقائدية  
معينة ، وفي كل عصر من العصور الماضية  
وجد اتفاق عام على مسائل أخلاقية وعقائدية  
قام في ظلها النقد الأدبى ، ولكن في عصر  
كعصرنا حيث لا يوجد مثل هذا الاتفاق العام  
نجد من الضروري بالنسبة للقراء المسيحيين  
أن يقوموا قراءتهم خصوصا ما كان منها  
خاصا بالأعمال التخيلية بموازين أخلاقية  
وعقائدية واضحة دقيقة ، فالأدب في مظهره  
لا يمكن أن يقوم بالموازين الأدبية البحتة  
هذا إذا افترضنا أصلا إمكان وجود أدب  
يقوم بالموازين الأدبية البحتة وحدها <sup>(٣)</sup> .

ثم يستمر إليوت في نظريته الجزئية فيعتبر  
تطور الأدب الغربى تطورا منحرفا عن  
قاعدة الاعتقاد الغربى وهو المسيحية ، ويرى  
أن هذا الانحراف مر بثلاث مراحل . المرحلة  
الأولى اعتبرت الرواية المسيحية قضية مسلما  
بها في اعتقاد العصر فابتعدتها من تصويرها  
الحياة ، وفي المرحلة الثانية وقفت الرواية  
من الاعتقاد المسيحي موقف المعارضة وفي  
المرحلة الثالثة وهو العصر الحديث اعتبر

(1) Religion and Literature

Selected prose : I.S. Eliot

(١) ، (٢) ضرر المصدر

وإن كان فلك يحدث وسط مؤثرات أخرى إن جملة نكوبتنا - على ما أعتقد - عبارة عن أحسن ما نتخب من طريق الامتثال الواحي خلال دراستنا الأدبية . صحيح أن من الممكن أن نقرأ الأدب للتسلية فقط أو الاستمتاع الجمالي إلا أن هذه القراءة لا يمكن أن تؤثر في جزء مستقل من تفكيرنا فقط ، وإنما تؤثر فينا ككل ، كوجودات بشرية ، إنها تؤثر في وجودنا الأخلاقي والديني (١) .

ويرى إليوت أن الأدب والدين كلاهما مكمل للآخر فيقول : ( لكي تستكن من إصدار أحكام أدبية سليمة يجب علينا أن نعرف شيئين أولا : ماذا نكون فعلا ؟ وثانيا ، ماذا يجب أن نكون ؟ ... لأنه ليس كافيا أن نفهم ماذا ينبغي أن نكون ما لم نعلم من نكون ونحن لا نعرف من نكون ما لم نعرف ماذا ينبغي أن نكون ، إن الوعي الذاتي بماذا نكون وما ينبغي أن نكون يجب أن يبرأ جنباً إلى جنب ... إن واجبنا كقراء للأدب أن نعلم ماذا نكون وإن واجبنا كمسيحيين كما هو واجبنا كقراء للأدب أن نعلم ماذا يجب أن نكون ، إن واجبنا كرجال أمناء ألا نعلم بأن ما نكونه هو ما ينبغي أن نكونه ) . (٢)

بل إن إليوت يبدو بمرارة إلى قيام أدب مسيحي ( إن أمتي الآن هي أن يوجد نوعان

من الأدب أدب خاص بالعالم المسيحي وآخر خاص بالعالم الملحد (٣) ) ويبدو المسيحيين إلى تقويم الأدب تقويماً مسيحياً ( إن أعتقد أنه يقع على عاتق جميع المسيحيين واجب إقامة موازين ومقاييس نقدية مهيئة لكل ما يزدنا به العالم من أدب ، وهذه المقاييس والموازين يجب أن تقوم جميع ما قرؤوه ، إن من واجبنا أن نتذكر أن معظم قراءاتنا الحالية قد كتب بواسطة أناس ليس لهم أي اعتقاد في نظام سام ، وإن كان بعضه قد كتب بواسطة أناس لم آراء خاصة في نظام سام غير نظامنا . إن معظم قراءاتنا الهامة قد كتب بواسطة أناس ليسوا فقط مجردين من هذا الاعتقاد ، ولكنهم أيضا يجهلون حتى حقيقة وجود أناس في هذا العالم ، هم من التخليف للدرجة التي يحملهم مازالوا مستترين في الإيمان بعالم من هذا القبيل . . . إننا بقدر ما نكون واعين بالمسواجز التي تفصلنا عن الجانب الأكبر من الأدب المعاصر بقدر ما نكون في موقف أقل أو أكثر أمناً من آذائه . . . ) .

ذلك هو موقف ت. س. إليوت الأديب النافذ الفيلسوف من صلة الدين بالأدب باعتباره مسيحياً ، فما هو موقف أدبائنا وقادتنا من هذه الصلة باعتبارهم مسلمين ؟ .

رشاد محمد خليل

## من اعلام المسلمين في الهند مولانا أبو الكلام آزاد للأستاذ عبد المنعم النمر

- ٥ -

صحة السابق « دس على مولانا آزاد في أوائل الحرب العالمية الثانية وظل المعتقل حتى أخرج منه ليتولى المفاوضات مع « كريبي » ممثل بريطانيا سنة ١٩٤٢ ولما أخفقت المفاوضات ، وبدأت « دوريتا » امتلاكه الحكومة الانجليزية مع الرجم . اليهود الآخريين في السنة نفسها وظل في المعتقل حتى أفرج منه في يونيو سنة ١٩٤٥ لاتجاه بريطانيا إلى للمفاوضة لحل مسألة الهند

هنا وهناك وكلما مر الوقت اشتدت الفتن وكثرت المذابح بين المسلمين والهندوس ... لما جعل المتفاوضين يوافقون على قرار التقسيم ، الذي وافق عليه المؤتمر وغبما عنه ، والرابطة تسامعت من ناحيتها فيما يتصل ببعض الولايات مثل تقسيم بنغال وبنجاب ، وانتهى الأمر أخيراً إلى إعلان الحكومة البريطانية قرارها بتسليم السلطة نهائياً إلى الدولتين الوليدتين في أغسطس سنة ١٩٤٧ .

وكان مولانا آزاد يؤمن إيماناً تاماً بالوحدة فوقف ضد فكرة التقسيم من أولها لم يتخرج عنها إلا مضطراً برغم ما كان يصيبه أحياناً من إيذاء المنتسبين للرابطة ...

وهكذا ظل مولانا آزاد يجاهد ويقود المجاهدين ، وبوجه دقة السياسة في حزب المؤتمر ، ويتولى المفاوضات باسمه حتى ظفرت

لقد اتجهت بريطانيا إلى حسم مشكلة الهند بعد أن انهزم ألمانيا في ربيع سنة ١٩٤٥ م وأفاق الحلفاء من كابوس تقيل ، ولذلك وجه الورد ويفل نائب الملك في الهند دعوة إلى ممثلي حزب المؤتمر والرابطة الإسلامية للاجتماع به في يوليو سنة ١٩٤٥ بمدينة « سلا » في شمال الهند وكانت الحكومة تتخذها مصيفاً لها ، فكان مولانا آزاد - باعتباره رئيساً لحزب المؤتمر - وغاندي هما اللذان يمثلان الحزب في هذه المفاوضات ، وكانت المشكلة الحقيقية أمام المتفاوضين هي التقسيم أو هدم التقسيم . كانت الرابطة تصر على التقسيم ، وحزب المؤتمر يصر على الوحدة ، وانجلترا تكاد تخفض يدها من الهند وتسلبها لأهلها .. ومن وراء المتفاوضين كانت الهند كلها تموج بالخلافات والفتن الطائفية والمذابح

فيها ... وفتحت له أنهر جديدة من الثقافة والمعرفة لم يكن يعرفها من قبل ، وساعدته هذه الثقافة ، على حسن إدراكه لثقافته الدينية ، وحسن توجيهها ، فكان صاحب اثقتين الشرقية والغربية ، وصاحب الإمامتين : الإمامة في الدين ، والإمامة في السياسة ، وكانت إمامته في الدين تسبق إمامته في السياسة ، حتى يقول الأستاذ همايون كبيره : « كنت أظن أن مولانا أزداد عظم من كبار علماء الدين - كما ظن كثيرون غيره - ، ولا يعرف من السياسة وحل المشاكل على النهج الحديث إلا قليلا ، ولكني دعشت حينما علمت أن معالجته لكثير من القضايا السياسية ، كانت معالجته طيبة دقيقة ، وأحسن من معالجة كثيرين من الساسة الهنود الذين تلقوا علوما حديثة . »

ويصفه المهاتما غاندي فيقول : « إنه لا يبارى في العلوم الإسلامية كما كان متبحرا في اللغة العربية ، ووطنيته متينة صادقة كإيمانه بالإسلام . »

كان قد تلقى العلوم الدينية ونبع فيها في مقتبل شبابه ، وقبلها كما مثاله من يتخرجون في المدارس الدينية ، ولكنه لم يلبث بعد أن اطلع على الثقافة الغربية وانسجت مداركه أن اضطرب بين الثقافة القديمة والحديثة ، وخرج من هذه المرحلة بعد أن اتخذ له

البلاد باستقلالها ، وظل بعد ذلك رئيسا للحزب حتى سنة ١٩٥٠ ، حيث اختير رئيسا للبرلمان ثم وزيرا للعارف في وزارة الهند المركزية وظل يشغل هذا المركز حتى توفى . وكان وضعه باعتباره من الأقلية لا يسمح له بتولى رئاسة الجمهورية رغم أن الأنظار كانت توجه إليه أكثر من غيره . ولكنه مع بقاءه وزيرا للعارف كان يعتبر المرجع الأول في توجيه دفة السياسة الداخلية والخارجية للهند ، لا يقطع فيها برأى دون أخذ رأيه والاستشارة بتوجيهاته ... حتى يقول نهرو في كلمته التي ألقاها : «

إلى من أذهب الآن للتنازل إذا عنت لي مشكلة سياسية ؟ لقد ترك وراءه فراغه عظيما يقسع كلما تقدم الزمن حتى لا نجد على مروره من يسده منه . »

وإذا كان مولانا أزداد قد بلغ القمة في جهاده السياسي فإنه أيضا يقتصد القمة في جهاده الديني بل إنه من طريق جهاده الديني - طريق إيمانه بدينه الذي يأبى الخوان والذل والاستعباد بدأ كفاحه من أجل تحرير بلاده ... وخطا خطواته إلى القمة ...

لقد تنفص في بصفوة الثقافة الدينية المعتادة في بلاده - كما عرفنا من قبل - وبعد أن انتهى من دراسته الدينية بدأ يشرب الثقافة الغربية ، ويتعلم اللغات الأجنبية ، حتى أصبح خليعا

وحينما كنت ظمآن لم يكن ظمئى كغيرى  
كل من مشربى غير المنهل العام الذى يشرب  
منه الناس ،

دخل مولانا آزاد ميدان السياسة من  
طريق الدعوة إلى الدين الصحيح الذى لا يقبل  
الاستعباد ويأبى على أتباعه الرضوخ لذل  
والهوان مثله فى ذلك مثل السيد جمال الدين  
الأفغانى والشيخ محمد عبده ، ولم يكن غريبا  
بعد هذا أن نجد صرعانه فى المسلمين نقشابه  
فى أسلوبها ومعانيها مع صرعانها فقد كانوا  
جميعا ينهلون من منبع واحد .. ويهدفون إلى  
هدف واحد منبهم الإسلام وتعاليمه وحيويته  
وهزته وكراته وهدفهم لإيقاظ المسلمين ،  
وبعضهم من جديد ليعيشوا كراما أعزاء كما  
جعلهم الله ... خير أمة أخرجت للناس .

اقصرا مى صرخة من صرعانه للمسلمين  
ولاحظ وجه العجبة بينه وبين الأفغانى يقول :  
« إن العقل موهبة من الله وهبها لنا  
لنستخدمها فى الإصلاح ، لا لنضيعها فى الغفلة ،  
فما بالنا لا نميز بين البقطة والنوم ، وبين  
الموت والحياة ؟ ولا تفكر فيما ميقوله  
هنا التاريخ إذا لم تنهض ؟ وكيف لا تنجع  
أكبادنا ، وتذهب أرواحنا ، وتلتاع قلوبنا ؟  
وما يمنعنا أن نفنى بمروحنا الدامية ،  
التي تمكّد تقضى على الصوة الروحية ؟ ،  
ما يمنعنا أن نرى ما يجب على العيون أن

منهج الحرية فى البحث أساسا لمعلوماته حتى  
سمى نفسه فى هذه الفترة « آزاد » بمعنى حر .  
وبهذا يدرس ويؤمن من جديد فلاداد إيمانه  
وقوى يقينه واشتدت حماسه لما يؤمن به  
حتى نحمده يقول :

« إن أمن الكنوز التى قد بها الدين  
الحنيف للمسلم هى رسالة الديمقراطية  
والتساوى بين البشر ، أنا مسلم وأهت  
إسلامى وبأن تقاليد الإسلام ترائى ،  
وتعاليم الإسلام وتاريخه وثقافته وآدابه  
وحضارته هى غنائى وثروتى وواجبى أن  
أحفظ هذا التراث وهذه الثروة . »

ويقول مبينا خطته فى البحث : —  
لا أستطيع أن أومن بأسر وأقبله قبل أن  
أغربه بغير عقل وأعرضه على عك فكرى  
ويقول : « إن كل ما وهبت لى أسرتى وييتى  
وأسلت إلى من أوضاع المجتمع وتقاليد  
أبى أن أقتنع به منذ أول يوم ، فاحالت  
دورى قيود التقليد وصوائده فى أية ناحية  
نصبتها ، ولم تزل عاطفة المحضر والتنقيب  
عن ظامئة أينما حللت ، فلى فى داخل  
« قوادى اليوم بقين ، شا كته الظنون  
بأصنافها وألوانها ، ولى فى أحماق روحى  
عقيدة ، ابتليت بكل بلاء الصبيان ، وعذاب  
الشك ، ولقد شربت السم من كل كأس ،  
واختبرت دواء المضاد من كل مستشفى ،

شيخنا عنكنا ، خبر الأيام وخبرته ، فدعاه أعضاء مجلس « جمعية حماية الإسلام » في « لاهور » إلى لقاء محاضرة ، عن « الأساس العقلي للدين » ، وهو لم يبلغ العشرين من عمره . وكم كانت دهشة الحاضرين في الاجتماع ، حين زاوا أمامهم شابا صغيراً ، جاء من بعيد ، ليلقي عليهم محاضرة في هذا الموضوع الديني الجديد ، وانجذبت أذهانهم إلى أن يكون نائباً عن « آزاد » في قراءة محاضرته ، ولكنهم حين عرفوا أن « آزاد » الذي سمعوا عنه وقرءوا له ، وأعجبوا به ، هو هذا الشاب الصغير الذي يلقي عليهم محاضرته ، ازدادت دهشتهم وإكبارهم له ...

وحين أصدر سنة ١٩١٢ مجلة « الهلال » في قوب لم تألفه المجلات الدينية من قبل ، كان قد ثبت أقدامه على الطريق ، فبدأ يتخذ منها مناراً قوى الإشعاع ، لبث آرائه ونشرها لإيقاظ الهمم الخاملة ، وهدى النفوس الحائرة بأسلوبه الشيق الجديد ، وصدر العدد الأول الأول بكلمة قال فيها :

« رب أدخلني مدخل صدق ، وأخرجني مخرج صدق ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً » . وبعد : فقد حلت بين اليقظة النابهة سنة ١٩٠٦ ، ومكثت سنين متتالية ، أبحث عن التعبير العملي لهذه الرؤيا ، وكنت في غاية الاثنيان ، لتحقيق هذه البنية ، وما زالت

تراه ، وأن نفقه ما على القلوب أن تفقهه ، ونسمع ما على الآذان أن تسمعه ؟ ألسنا من أتباع الدين القويم وحاملين أمانة الله وخلفاءه في الأرض ، فإبائنا نخاف وتتخاذل ، ولا نهامد ؛ لكي نصبح أحراراً ذوي سيادة ، تتمتع بالكرامة ، ونخطو خطوات واسعة في سبيل تخليص الأمم المستعبدة من رقة العبودية ؟ .

« وإذا أهرقنا ولم نستغل مواهبنا ، فسيطوى التاريخ ما خص لنا من باب حافل بالحمد والشرف ، ويفتح لنا باباً آخر يسجل فيه أمام الأجيال : أن الهند سعت إلى الحرية ، وجاءت في نيل الاستقلال ، ونادت أبناءها لحمل لواء الجهاد ، فلبى قوم نداءها ، واحتجب آخرون ، ولجئوا إلى مغارات الفلّة . . وواحرستنا حين يقول : إن هؤلاء كانوا أمة مسلمة تزعم أنها قائدة الأمم ، ودعيمة الأقاليم » .

كان نضجه مبكراً على غير العادة . . وإن كان على سنة المهووين الناديين ، فاندفع بنضجه وموهبته ، إلى خدمة دينه وأمته في وقت مبكر ، فكان يكتب في المجلات ، ثم أنشأ له مجلة سماها « لسان الصدق » ، قبل الهلال والبلاغ وأخذ يكتب فيها مقالاته الدينية على أسلوب عقلي جديد عرف به ، حتى ظنه القراء الذين لم يروه ،



معه ، وتنفض عنها غبار الحروف والجبن ،  
وتقتسم الحياة وصحابها دون تردد .. ويذكرهم  
بأجسادهم ، وأسلافهم ، ليميدوا سيرتهم ،  
ويكونوا خير خلف لهم ، وينذروهم عاقبة  
القمود والجحود ، وترك الميدان لنورهم  
يسبقهم ، بينما يسجل التاريخ لهم صفحة  
خري وعار .

فيقول مفتتحا كلمته بآيات قاصلة من  
القرآن الكريم .

« يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون غير  
أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه  
إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله  
بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ... الآية ، .  
ثم يقول : « يا قوم اعلوا وأدركوا ، أنه  
ما قدر له أن يكون سيكون ، وما من أحد  
يعول دون حدوده ، وسيأتي يوم تكون  
الحند فيه قد اجتازت آخر مراحل التطور  
السياسي ، ويسجل التاريخ تقدم البلاد  
وخطواتها في سبيل النهضة ، أفلا فكرتم فيما  
سيسجله التاريخ عنكم .. إلخ . »

وفي الوقت الذي يهز فيه النفوس بهذه  
الكلمات يتجه إلى العلماء الذين يقودون العامة  
ويفدونهم بالمعلومات الدينية فيكتب لهم في  
صدر مجلته مقالا باللغة العربية أحيانا وهو  
مجيدها ، وهم يعرفونها كذلك ليحزحهم  
عما اعتادوه من تقليد ، ويدفعهم

بين الآمال والعزائم ، ولعلنا هاجنى القنوط  
مهاجمة عنيفة ، للتغلب على عزائمى ، والنيل  
من إرادتى ، لكننى تشبثت بعزيمتى المستحكة  
معتصدا على عون الله واتقا بتأييده ، إلى  
أن سان يوم أقول فيه : « هذا تأويل رؤياى  
من قبل قد جعلها ربى حقا ، ولا يخفى حل  
عالم السرائر ، وعارف الحفايا ما يحيط بى  
من المشاكل المصنية ، وما يهدنى من الآلام  
والأحزان ، مما يكاد يذهب معه وهى ،  
ويحرمنى طمأنينة البال ، بيد أننا لا نهد  
معبورا لترك حياتنا تسير معطلة ، وتضيق  
صدى . »

ومالنا نضل - كما دتنا - بالحديث عن الفشل  
والخيبة ، وشكوى الدهر !! ليت شعرى ..  
ماذا دعا الناس إلى الإيمان بأن الحياة لا بد  
أن تكون مقرونة بالطمأنينة والهدوء ،  
وما يمننا أن نقوم في وجه النوائب والآلام  
ألا نرون أن الفواصين يسبحون البحر إلى  
شاطئ السلام ، بينما يرتعد الخائفون وجللا  
وهم راكبون في السفن ، إلا أن الحياة مقرونة  
بالعدائت لا فكاك لها قبل الموت ، فهلا  
روض الشاكون الناحبون نفوسهم ، لاحتمال  
المشاق ، ومكابدة الشدائد ، فعبروا الأبحر  
دون خوف أو خشية ١٤ .

ومكثا بدأ يخاطب العقل بجانب العاطفة  
ويغوص إلى أحماق النفوس ، فيزها لتسير

## تدرج القرآن في تشریعات التحريم

للدكتور سعد الدين الجبزي

القلوب ، وتفتت العقول إلى ما كانت فيه من غفلة ، أصبحت النفوس مستعدة لقبول مبادئ الإصلاح ، واقتلاع ما كان متأصلاً من سيئ العادات ، وقبيح الأفعال ، أسوة بما اقتلع من جنود الوثنية والإشراك . ومن ثم فقد تداركت رحمة الله العباد بما جاءهم به آيات الكتاب الكريم من تشریعات صالحة ، ومبادئ سليمة ، اطمأنت إليها

جاء الإسلام لينبئ مجتمعاً سليماً ، متكامل الجوانب على أسس صالحة لكل زمان ومكان ، مكان مجتمع كانت تسوده الفوضى ، وتناثر فيه عادات ألهاها الناس دون نظر إلى ما فيها من صلاح أو فساد ، ولم يكن ذلك عجيباً من قوم ألفوا عبادة الأوثان لا لمنافع رأوها فيها ، بل لأنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون . وبعد أن اخترفت دھوة التوحيد شفاف

( بقية المنشور على صفحة ١١٠١ )

لأول من مجلته ، البلاغ ، التي أصدرها بعد ما عطلت السلطات البريطانية مجلة الهلال ، وكان هذا العدد بتاريخ الجمعة ( ٤ ) من المحرم سنة ١٣٣٤ ١٢٥٠ نوفمبر ١٩١٥ م ) فكانت افتتاحية هذا العدد باللغة العربية فخرت بها أيما فخر ، وأقبلت على قراءتها بشغف ، فليست فيها روح جمال الدين الأفغاني ، وأحسست فيها أسلوباً مثل أسلوبه ، وقدرته فائقة ، وتوفيقاً بالغاً في الاستشهاد بالقرآن والسنة ، كانت الافتتاحية طويلة وعنوانها : الاجتهاد والتقليد ، حرصت على نقلها كما هي كماثر من آثار مولانا آزاد باللغة العربية أحفظ به حتى متاح الفرصة لدراسة شاملة عن مولانا آزاد ... وإلى العدد القادم إن شاء الله

عبد المنعم النمر

القضاء على الخرافات والبدع ، التي اندست على الإسلام ، وتسربت لأذهان العامة ، فاعتبروها خطأ — من الدين ، وليس من الدين في شيء . كان يدهو العلماء التحرر العقلي ، وتناول القضايا الدينية ، بروح العالم المفكر الفاهم لأهداف الدين وروحه ، الذي لا تهمة القشور ، ولا يثير خلافات عليها ، يفرق بها ، كلة المسلمين . ويزيد من ضعفهم ولكن يهدف من هذا كله إلى فهم روح الدين ، الذي لا يرضى بالذل والاستعباد ، ولا بالتأخر والجلود والضعف ، حتى إذا فهم العلماء هذا استغلوا نفوذهم وسط عامة الشعب المسلم فبمشوا فيه الممهم النائعة ، ودفعوه إلى الركب المتحرك العامل .

وحينما كنت بالهند وقع في يدي العدد

الجمتمع السليم الذي يتفق مع قوم قد عرفوا  
 ربهم ، وآمنوا به وبرسوله ، ودرسخ  
 في قلوبهم أن هناك يوماً آخر يقوم فيه  
 الناس لرب العالمين فيحاسبون على كل كبيرة  
 وصغيرة : الخير خير والشر شر ، حساباً عادلاً  
 ولقد كان من العادات الشائعة في الجاهلية  
 عادة شرب الخمر ولعب الميسر . فأما الخمر  
 فقد كانت لها مجالس يشفاها الفتيان والشيوخ  
 وفي كثير منها النساء والفتيات ، ولم يكن  
 هناك تخرج أو تأثم في تناولها ، اللهم إلا  
 قبيل ظهور الإسلام حين كانت هناك إرهابات  
 عامة تؤمن بضرورة عهد جديد تتغير فيه  
 عامة الأوضاع فقد أخذ بعض هؤلاء القوم  
 يتخرجون بعض الشيء عن مجالسها وتناولها .

ونظراً لأن شرب الخمر كان من الأمور  
 المسيطرة على النفوس ، فقد تدرج التشريع  
 الإسلامي في تحريمها ، وكان هذا التدرج على  
 مراحل أربعة : المرحلة الأولى كانت في آية  
 النحل . « ومن ثمرات النخيل والأعناب  
 تتخون منه سكرأ ورزقا حسناً » ، وفي  
 تفسير هذه الآية هذه أوجه .

منها أن المراد بالسكر : الخمر ، وأن  
 ذلك قبل التحريم ، ثم نسخت الآية بآية  
 المائدة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ

نَفْسُهُمْ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا قُلُوبُهُمْ ، فَرَاغُوا  
 يَتَقَلَّفُونَهَا بِصُدُورِ رَحِيَّةٍ ، وَيَتَفَهَمُونَهَا ،  
 وَيَسْتَزِيدُونَ فِي قَهْمِهَا ، وَيَسْتَفْسِرُونَ  
 حُمَايَئِهَا عَلَى فَهْمِهِمْ مِنْهَا ، وَكَانَتِ الْآيَاتُ تَجِيهِمُ  
 حُمَايَئِهِمْ فِي دَفْعِ وَتَدْرِجٍ وَوَضُوحٍ ، فَكَانَتِ  
 أَحْكَامُ تَأْتِي بَعْدَ أَحْكَامٍ : تَنْسَخُهَا ، عَلَى قَوْلٍ  
 مَنْ يَتَّبِعُونَ النَّسْخَ مِنْ عِلْمَاءِ التَّمْسِيرِ أَوْ تَعْيِيدِ  
 لِطُلَافِهَا ... حَتَّى كَلَمَتْ هَذِهِ الْمُبَادِي السَّامِيَّةُ  
 فِي تَشْرِيعَاتِ الْإِسْلَامِ يَوْمَ ، نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى :  
 « الْيَوْمَ أَكَلَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ  
 نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » (المائدة ٣) .  
 ونعرض في كلتنا هذه صورة من أسئلة  
 المؤمنين ، وإجابات السماء عليها تبين كيف  
 كان التدرج في التشريع :

قال تعالى : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ  
 قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ، وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ . وَإِثْمُهُمَا  
 أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا » .  
 « وَيَسْأَلُونَكَ : مَاذَا يُنْفِقُونَ ؟ قُلِ الْغَفْوُ .  
 كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ .  
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

« وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى . قُلْ : إِصْلَاحُ  
 لِّحْمِ خَيْرٍ ، وَإِنْ تَحَالَطَوْمْ فَإِخْوَانُكُمْ . وَاقِهِ  
 يَعْلَمُ الْمُفْسِدُ مِنَ الْمُصْلِحِ . وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَمَكُمُ  
 إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » (البقرة ٢١٩ - ٢٢٠) .  
 وكانت هذه الأسئلة وأمثالها صادرة عن  
 يقين ، رغبة في الاطمئنان إلى إرساء قواعد

وكانت المرحلة الثالثة عند ما خلط بعض الصحابة آيات من القرآن الكريم عند ما كان يؤم بعض إخوانه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنغم كثيرا وانتظار حكم السماء وسرطان ما نزل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » (١) وهنا ترك أكثر الصحابة شربها ، وإلى هذه المرحلة لم يكن هناك تحريم بات ، وإنما كانت الآيات تحذيرا وتنبها على ما في الخمر من أضرار . أما المرحلة الأخيرة فقد كانت عندما تلاهى جماعه من المسلمين بالمدينة المنورة وتضاربوا وثار بينهم فتنة أشبه بما كان يجرى في الجاهلية من التماخر والتهاجي بعد أن لعب الخمر برءوسهم ما لعبه ، وغضب كبار الصحابة ، والرسول لما حدث ، وغضب كبار الصحابة ، واتجه عمر إلى الله يسأله أن يبين لهم في الخمر ما شافيا ، واستجاب الله فأرسل على رسوله هذا البيان الشافي « يا أيها الذين آمنوا : إنما الخمر ، والميسر ، والأنصاب ، والأزلام ، رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وبصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » (٢) وهنا قال عمر : قد اتهمنا يا رب .

والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .

ومنها أن المراد بالسكر : الخمر أيضا ولكن مقابل الرزق الحسن أى أنكم تتخذون بما هو حلال مباح : نوحين : أحدهما الخمر وهو خبيث ، والآخر ما تأكلونه طيباً من هذه الثمرات وتربحونه من مكاسب .

ومنها أن المراد بالسكر : « النيد » الذى لا يعتبر خمر فى بعض أقوال الحنفية ، وهو ما طبع من عصير التمر والزبيب والعنب حتى ذهب نشاء ، وعلى هذا لم يكن هناك نسخ . والأقوال الثلاثة مقبولة ، وأولها هو المناسب لتدرج التشريع (٣) .

والمرحلة الثانية فى تحريم الخمر كانت الآية التى صدقنا بها هذا العقال ، فعند ما رأى كبار الصحابة أمثال عمر بن الخطاب ، ومعاذ ابن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشرب الخمر أبدا أدركوا أن وراء هذا الامتناع سرا وراحوا يسألون الرسول الكريم عن حكم الله فى شربها فزلت الآية الكريمة مناسبة للظرف الذى وجه فيه السؤال من فترة التشريع وعندئذ أخذ كثير من الصحابة يمتنعون عن شربها .

(١) وقد عرموا الخمر بأنه ما غلى واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وكذلك قبح الخمر أو الزبيب الذى لم يطبخ وذهب ثلثاه فطام الخمر على خلاف فى إباحته ، والقاعدة العامة فى تحريم الخمر أن : « كل ما أسكر كثيره فله حرام » .

(١) النساء ٤٣ .

(٢) للتائد ٩٠ - ٩١ .

ووزع قيمته على الفقراء ومن خرج له أحد السهام الثلاثة الأخيرة أزم بدفع ثمن البعير كله ، وقد كان هذا العمل من مفاخر الجاهلية إلى أن تنوى هذا الأصل وصاروا يتخذون السهام للرجح دون نظر إلى معرفة الفقراء ، واستمروا ذلك بطول الزمن ثم بالنوا فيه حق إن الرجل كان يقامر بكل ما يملك ويصبح معدما بعد يسار .

ولما كان الإسلام ينشد المجتمع الصالح فقد وجه أنظار المسلمين عند ما سألوا عن حكم هذا العمل بأن ما فيه من مضار أكثر ما فيه من منافع ، ثم نهى عنه كلية هند ما قرنه بالانصاب ، وغاطب المسلمين بفصل الأمر : فاجتنبوه .

ولم يكن تحريم الخمر والميسر عبثا بل كان لحماية الأبدان والأموال ، وتفصيل ذلك يحتاج إلى صفحات وصفحات ، فتبارك الله الذي شرع لعباده كل ما فيه خيرهم وصالحهم .

ماذا ينفقونه ؟

« ويسألونك : ماذا ينفقون ؟ قل : العفو ، » (١) .

ولما كان إتفاق المال من الأمور التي تشق على أكثر النفوس البشرية فقد وجه القرآن أنظار المسلمين في آيات كثيرة ، بينا لهم فضل الإتفاق مرغبا لإيائهم والبذل في مثل قوله

(١) البقرة ٢١٩ .

وهل بعد هذا البيان من دليل على تحريم الخمر ؟ إنها قرئت في الآية بالانصاب فهي تعدل في جرمها عبادة الأوثان ، وفعل الأمر « فاجتنبوه » صريح في تنهى عن شربها .

هذا هو الحديث عن « الخمر » الذي كان جزءا من السؤال ، أما الجزء الآخر وهو « الميسر » الذي صار عاملا في هدم الأمر وخراب البيوت وخلق طائفة من المتعطلين الرواحين في كسب غير ثابت ولا مشروع ، فإن فكرة الأولى كانت أشبه شيء بالاكتمال لمساعدة الفقراء والموزين ، إذا كان العرب يادى ذى عند ما يشتد القحط يأتون ببيعير يذبحونه ويمزقونه ثمانية وعشرين جزءا ، وكانت لهم عشرة أقداح - أمهم - يوزعون على سبعة منها أجزاء البعير وهي : الفذ ، وله سهم واحد ، والتوأم وله سهمان ، والرقيب ثلاثة ، والحليس أربعة ، والنافس خمسة والسبل ستة ، وللعلى سبعة (وهذا هو مورد المثل المشهور عندما تقول : لفلان القدرح الملقى) .

أما السهام الثلاثة الباقية ( النجح السفيح والوغد ) فليس لها أنصباء وكانوا يضعون هذه السهام العشرة في جراب ثم يجيئونها ويطلبون من أحدهم إدخال يده في الجراب وإخراج سهم على اسم فلان من المستهين وهكذا ، فن خرج له سهم فو نصيب أخذه

أنهم أسرة واحدة . وقد نهى الإسلام  
عن التكشف ودعا إلى العمل ورسم إلى ذلك  
أمثل الطرق .

#### رعاية لليتامى والفقراء

ومن حرص التعاليم الإسلامية على سلامة  
الاجتمع وإقامة عدالة اجتماعية شاملة كانت  
عناية تلك التعاليم بشأن الأيتام الذين  
لا يملكون من أمر التصرف في أموالهم  
شيئاً . فقد كانت الولاية على أموال الأيتام  
إلى بعض أقربائهم ولما كانت هذه  
الأموال مظنة الطمع فيها ولا سيما إذا كان  
الولي ضعيف النفس غير أمين فقد توالى  
الآيات في النصح للأيتام والحرص على  
ما فيه مصلحتهم حتى يشبوا ويكبروا  
ومن ذلك قول الله تعالى « ولا تقربوا  
مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن » (١) وقوله  
« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً  
إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون  
سعيراً » (٢) وقوله : « وآتوا اليتامى أموالهم ،  
ولا تبدلوا الخيث بالطيب » ، ولا تأكلوا  
أموالهم إلى أموالكم ، إنه كان حرباً كبيراً » (٣)  
ولقد تخرج كثير من المسلمين بسبب ما في  
هذه الآيات من تحذير ، وعزلوا أموال

تعالى « وآتوا في سبيل الله » (٤) و« وما أنفقتم  
من شيء فهو يخلفه » (٥) « هذا الذي يقرض  
الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » (٦)  
إلى غير ذلك . وحرصاً من المسلمين الأولين  
على أن يقع إنفاقهم موقفاً يرضى الله ورسوله  
فإنهم راحوا يسألون الرسول تارة عن نوع  
المال الذي ينفقون - وتارة عن مقداره -  
وثالثة عن الجهة التي ينفقون فيها .. فكانت  
الآيات تجيبهم إجابات تناسب مقام السؤال  
ففي الآية التي نحن بصدد بيانها أن الإنفاق  
إنما يكون من القدر الزائد على حاجات  
المراء الأصلية دون إرهاق وفي موضع آخر  
كانت الإجابة عن بعض مصارف النفقة  
الواجبة للوالدين والأقربين ولغيرهم من  
اليتامى والمساكين ... « قل ما أنفقتم من خير  
فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين  
وابن السبيل » (٧) .

وليس في دعوة الإسلام إلى الصدقة أو في  
فرض الزكاة على الأغنياء لمستحفيها لبس  
في ذلك شيء يدعو إلى البطالة أو خلق طبقة  
تتكشف الناس وإنما هو نوع من التعاون  
الاشتراكى يعود فيه ذو اليسار بفضله على  
المعسر حتى تصلح حاله ويثمر أهل المجتمع

(١) البقرة ١٩٥ .

(٢) ١ - سبأ ٣٩ .

(٣) البقرة ٢٤ .

(٤) البقرة ٢١٥ .

(١) الإسراء ٣٤ .

(٢) النساء ١٠ .

(٣) النساء ٥ ، والحبوب ، الذنب والإم .

قد عتب بعد الإجابة على أسئلة المؤمنين عن  
الخمر والميسر والإتفاق واليتامى بتوجيه  
النظر إلى أمر هام في بناء الأسرة وهو أن  
يكون ركنها : الرجل والمرأة مؤمنين ، لأنه  
إذا كان أحد الطرفين مشركا تسبب عن ذلك  
فساد الذرية . وقد راعى القرآن هنا حالة  
قصية أصيلة في نفوس البشر ، هي الإعجاب  
والميل الجفسي ، فنهى عن اختيار أحد الطرفين  
ولو كان قد أعجب الطرف الآخر ما دام مشركا  
فقال تعالى : « ولا تسكحوا المشركين حتى  
يؤمن ، ولامة مؤمنة خير من مشركة  
ولو أعجبتم ولا تسكحوا المشركين حتى  
يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ،  
وإن أعجبكم أولئك يدعون إلى النار ، والله  
يأبى أن يهدي القوم لعلمهم يتذكرون » ٢٢١ (البقرة) .  
والمقصود هنا : المشركون والمشركات  
الذين لا كتاب لهم . أما عن أهل الكتاب  
فقد نزلت آيات أخرى تبيح زواج المسلم  
من الكتابية دون العكس : « اليوم أحل لكم  
الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل  
لكم ، وطعامكم حل لهم . والمحصنات من  
المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا  
الكتاب من قبلكم » ١١

دكتور محمد الدريه الجيزاوي

اليتامى التي كانت لم عليها ولاية عن أموالهم ،  
وأصبحوا يرون في التعامل معهم مظنة للجور  
وقد كان في هذا العزل خسارة على الأيتام ،  
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
فأنجبه إلى الله بسأله البيان ، فنزل قوله تعالى :  
« قل : إصلاح لم خير . وإن تخالطوهم  
فإخوانكم ، والله يعلم المفسد من المصلح » ١٢ (١)  
وقد تضمنت هذه الإجابات أمورا أهمها :  
أن المحافظة من حيث هي لا ضرر فيها ما دامت  
النيات في إصلاح شأن اليتيم خالصة ، بل  
ينبغي أن تكون هذه المخالطة لازمة على أن  
تراعى مصالح اليتيم كما تراعى مصالح الوصي  
نفسه ، واعتبرت الآية أن القيم أح للوصي .  
وقد لجأت الآية إلى مخاطبة الذات العليا من  
الإنسان وهو الضمير : « والله يعلم المفسد  
من المصلح ، أي أن المظاهر لا وزن لها لأن  
الله تعالى يعلم السرائر . وفي الترغيب في هذه  
المخالطة رعاية من الله بشأن الأيتام .

وهكذا نرى كيف كانت إجابة السماء على  
أسئلة السائلين فيها تعليم وإرشاد ، وكانت  
متشعبة مع ظروف السائلين ومدى حاجتهم  
إلى المعرفة حيناً ، صالحة لكل زمان ،  
متدرجة مع تطور فترة التشريع .

وتمشيا مع سياسة القرآن في التعقيب بدرس  
مفيد عقب إجابة السائلين وحرصا على البيان  
والتفصيل في أدق الأمور التي تتصل بالأسرة

# شكيب أرسيلان الناقد

## آراؤه في الشعر

### للاستاذ أحمد الشرباصي

#### مقدمة الشعر :

في سنة ١٩١٢ نشر مصطفى لطفي المنفلوطي كتابه ( مختارات المنفلوطي ) وفيه مقال عنوانه ( حقيقة الشعر ) لأمير البيان الأمير شكيب أرسيلان<sup>(١)</sup> ، وفي هذا المقال تصوير لرأي شكيب في حقيقة الشعر ومكانته ، ولذلك يستحق التلخيص والتعليق .

يمر شكيب عن الشعر بأنه قول قليل وعذب عقل باهظ ، لا يحسنه إلا أصحاب ( السليقة الفائقة ، والعليمة الصافية التي لا تتاح إلا للأحاد ، ولا يؤتاها إلا الأفراد ، بكاد قائله يتجرد من عالم المادة بقوة نفسه ، وشغوف حسه ، ويلحق بالملأ النوراني في مضاء عزمه ، وورى ذنده ، وسرعة فكره ، ولو كانت الكهرباء شمساً لكانت هي الشاهر ) ثم يذكر شكيب أن القدماء كانوا يحسبون الشعر ( قوة من وراء الطبيعة ، وربما جعلوا له شياطين ، وكان الشعر في الجاهلية دولة وملكا ) . وذكر أنهم كانوا يحملون النافع

من الشعراء إجلالهم للآراء والرؤساء ، وإذا جاد رسولهم بكلام معجز أحالوه على الشعر ، كأن الشعر هو ( الدرجة الثانية التي يمكن أن نزل عنها الآيات من حبة الوحي ) . ويرى أن الشعر مية من الله ، وقوة روحية يفيضها على من يشاء من عباده ، فتخلق به في سموات الخيال ، فيرى الطبيعة في أجل صورها ، ثم يصور مشاهدتها بلفظ شبيهة بموضوعها ، فإذا ( فكر سام ، ومقام شريف ، وما أردت من معنى بكر ، ولفظ خل ، لذلك قيل : إن الشعر هو لغة تامة ) . ويشير شكيب إلى أهمية الانفعال في الشعر واستعداد قيومته من منابع النفس والقلب ، فيقول ( وإذا تغفل الشاهر في أنحاء النفس وأحاء القلب ، وهام في أودية الانفعال ، وأخذ يؤدي من هناك ما يلقيه إليه مضاعفاً هوى ملح ، وشوق هاف ، وحس شاغف وتمن واسب ، وتوسل هاليع ، ورغبة ورهبة وإيمان كإيمان المعجزة ، ثم آت من أودية إحساساته وأعطاف فراساته بذلك إلى سامعيه أشجي وأصبى ، وأرقص وأبكى ، وأحرق

(١) مختارات للمنفلوطي ، ص ٨٣ - ٨٦ .



ثملا الفراغ الواقع بين المدرك والمدرك ،  
حتى لا يصل إلى الذهن إلا كاملا بكل قوته ،  
ولا يحل في العقل إلا بجميع حاشيته .  
ويرى شكيب أن الشاعر أن يفن في

الأساليب بحسب اختلاف المطالب ، ويتعرض  
لموسيقى الألفاظ والمبارات الشعرية . فيقول :  
« وللشعر سمة المذهب ، والتميز في شعوبه  
القول بحسب ما تقتضيه المطالب ، فهو ملك  
الكلام ، يتصرف فيه كيف يشاء ، فيه تجسيم  
المجرد ، وتحميد المجسم ، وتشبيه المجردات  
بالمحسوسات ، وتلطيف المحسوسات إلى درجة  
المجردات ، فثارة يحسم المجرد حتى يكاد يحس  
وبعس ، وتضيق عليه الأيدي ، وتنعكس  
أشعة نوره على العين ، وتهتز دقاته فتهتز  
طبلية الأذن ، وطورا يهف (١) به الملوس ،  
ويهلل حتى يشف شغوف البلور ، ويسطح  
من وواته النور . »

ويرى شكيب أن الكلام لا يحيط بكل  
الانفعالات مهما كان الإنسان ذلق المنطق  
قوى الأداء بين اللسان ، لأن الألفاظ  
تأخر عن الإحاطة بجميع المعاني : « وأن  
الشاعر أن يتغنى لسانه بكل ما يتغنى به جنانه ؟  
وأي الثريا من يد المتناول ؟ فإن اللغة رموز  
محدودة وإشارات مخصوصة ، وهي تطلع  
أن تعبر عما في النفس البشرية ، والنفس البشرية  
عالم بنفسه . »

(١) يهف : يرقق .

وأروى ، ونضر وأذوى ، وأياس وأرجى  
واقتر وأغنى ، وأسعد وأشقى ، وبلغ من كل  
مقام الغاية القصوى ، وجنب بأفنان سدره  
المنتهى .

• • •

ثم يذكر شكيب عدة تعريفات وجيزة  
لشعر ، هي هذه التعاريف :

١ - الشعر مظهر المرء في أممي خواطر  
فكره ، وأسمى مواطن لبه ، وأبعد مرآى  
إدراكه

٢ - الشعر هو رؤية الإنسان الطليمة  
بمرآة طبعه .

٣ - الشعر شعور عام ، وحس مستغرق  
ياخذ المرء بكلية ، ويتناول به جميع خصائصه ،  
حتى يروح نفوان عمره ، أسهر رايته ويريه  
الاشياء أضغاث مضاعفة ، ويصورها بألوان  
ساطعة وحل مؤثرة تفوق الحقائق .

٤ - الشعر كلام يلقي بلسان الإحساس ،  
ونطق ينزل عن رضى الخيلة ، وأوصاف  
يقضى بها الشوق .

ويلخص شكيب لفظة شاعرية ، إذ يقال  
للبالغة في الشعر فيقول : « وإنما كانت  
المبالغة زيادة على الحقيقة لتكئين السامع من  
الوصول إلى مقدار الحق ، والحرص على  
ألا يتطلع منه قلم على طريق الإلقاء وفي  
أثناء الانتقال ، فكأن هذه الزيادة جعلت

الانفعال في الشعر ، واستمداده من القلب والنفس ، وليست شكيب طبق هذا المبدأ على نفسه في شعره . إذن نصار لشعره شأن آخر ، فقد كان في شعره يجيد الصنعة أكثر من استجابته للانفعال .

٤ - نلاحظ أن تعاريفه لشعر فيها اختصار وتعميم وإبهام ، وقد وقع في هذه التعاريف تكرار لبعض المعاني ، ولعل أقرب هذه التعريفات إلى حقيقة الشعر هو التعريف الأخير : ( الشعر كلام يلقي بلسان الإحساس ، ونطق ينزل عن وحى الخيلة ، وأوصاف يقتضى بها الشوق ) لأنه جمع الأصول الثلاثة للشعر وهي : الإحساس ، والتخيل ، والوجدان .

٥ - ومن التبعاض الحية في المقال تعليقه المبالغة في الشعر ؛ لأن الشعر وصف لإحساس ولو طاق السامع ما طناه القائل من إحساس ، لذلك كإدراكه ، وتأثير بالشئ المحس كإدراك الشاعر الذي يتحدث عنه ، ولكن الشاعر أحس ولمس ، والسامع سمع لحسب ، وشتان بين الرؤيا والسماع ، فالإحساس أقوى من الإدراك ، والمحادثة أقوى من الحكاية ، والصورة أوضح من الكلمة . فلكي يعرض الشاعر الفرق بين معاناة التجربة والاستماع إلى حديثها ، يمدد إلى لون من المبالغة فيعرض الشئ في شعره مضاعفا ، ويصوره بألوان ساطعة ، ويحليه بجملية تزيد عن الحقيقة .

ثم يعود ليتحدث عن مكانة الشعراء وأنهم أسراء الكلام ، ولم حق التصرف باللغات ، ويتحدث عن خلود الشعر والعناية برأيه . منذ القدم ، وأن ذكرى الملوك تذهب وتبقى ذكرى الشعراء ، وأن الشعر يحفظ القصة ويسجل التاريخ ، ويذيل عن القلوب صدا الكروب ، وأن أبقى الآثار الأدبية هو القول ، وأبقى القول هو الشعر ، إذ ينفث النثر فنائر الشرو ، وأما الشعر فيرسخ ورسوخ النقش على الحجر ، وقد تزول النقوش ولا يبقى الشعر من رءوس البشر !

هذه خلاصة وافية لمقال ( حقيقة الشعر ) ، ونلاحظ عليه هذه ملاحظات :

١ - أتى شكيب في صدر المقال بمفردات غريبة لاحاجة إليها ، وكأنه أراد أن يتفاح بها ، فذكر هذه الالفاظ : ( الحناذيد القرع - المغاور السبق - الناحسون الكمل - المنة الوثيقة ) .

وكان يستطيع أن يقول مكانها : ( المجيدون المبرزون - الانطال السابقون - الخبراء الكاملون - القوة المحركة ) .

٢ - أجاد التعليق حينما ذكر أن الجماهيين حينما جاءهم كلام الله ولم يخضعوا له قالوا عنه إنه شعر ، كأن الشعر في اعتقادهم هو ما يلي الوحي .

٣ - كان موقفا عند ما يتحدث عن أهمية

الاشياء الخارجية أو الداخلية من نفس إلى نفس (١) .

٨ - أكثر شكيب في مقاله من المترادفات والالفاظ الخطائية مع تكرار المعاني ، مع أن الموضوع يحتاج إلى دقة وضبط ؛ لأنه يتحدث عن « حقيقة الشعر » .

### شروط الشعرية :

والشاعرية في رأى شكيب شروط ذكرها حيناً حكم « الشوق » بأنه استوفى جميع شروط الشعرية وهي (النسج الرقيق المتين ، والأسلوب الرشيق الرصين ، واللفظ العربي الفصحي التي لا تؤق من جهة ، والمعنى المتناهي في الدقة ، اللابس من اللفظ أجل حلة ، والانسجام المطرد من الأول إلى الآخر في سكب واحد وسبك متوادر) .

ونلاحظ أن في الشروط تكراراً ، فما الداعي إلى قوله (اللابس من اللفظ أجل حلة) بعد أن ذكر قبله قوله : (والأسلوب الرشيق الرصين) ؟ . وماذا يريد بالانسجام المطرد من الأول إلى الآخر ؟ أريد أن يكون لكل كلمة مع صاحبها مقام ، أم يريد وحدة الموضوع وتسلسل الفكرة ؟ .

ولم يكتب شكيب بالحديث عن شروط الشعرية في نثره ، بل تحدث عنها في شعره فقال :

(١) محاضرات في الأدب ومذاهب ، ص ٢٧ .

٦ - كان شكيب موقفاً حين تحدث عن لزوم تصرف الشاعر في القول بحسب ما تقتضيه المطالب ، بحيث يحسم المجرد إذا أراد تقريبه وتمثيله ، ويجرد الجسم إذا أراد له الدقة والعمق المؤديين إلى إثارة التأمل والبحث .

٧ - وكان موقفاً حين ذكر أن الالفاظ مهما كثرت تنقاصر عن الإحاطة بجميع المعاني . ولذلك قال الكثيرون إن اللفظ عبارة عن رموز وإشارات ، وليست رسماً كاملاً ولا نقلاً تاماً ، و « أخذ الأدباء والقصراء يشكرون على القلة قدرتها على أن تنقل إلينا حقائق الأشياء ، وقالوا إنها لا تعدو أن تكون رموزاً تثير الصور الذهنية التي تلقيناها من الخارج ، أو كونها من الجمع بين أشباه من الصور التي تلقيناها من ذلك الخارج ، وعلى هذا الأساس لا تصبح اللفظ وسيلة لنقل المعاني المحددة أو الصور المرسومة الأبعاد ، وإنما تصبح وسيلة للإيهام .

ولما كانت وظيفة الأدب الأولى هي توليد المشاركة الوجدانية بين الكاتب والقارئ أو المشاهد ، فقد قالوا بأن الأدب لا يسمى إلى نقل المعاني والصور المحددة ، وإنما يسمى إلى نشر العدوى ونقل حالات نفسية من الكاتب إلى القارئ . أو على الأصح الإيهام بها ، وبالتالي يسمى الأدب أو الشعر الرمزي إلى أن يتفصل وقع

ومن يهدى ، لعل هذا هو السر في أن  
شكيب حذف هذا البيت من القصيدة حين  
أوردتها في كتابه عن شوقي (١) .

وإذا كان شكيب في مقال ( حقيقة الشعر )  
قد وصف الشعراء بأنهم يكادون يلحقون  
بالملا النوراني ، وأنهم كالأمراء والرؤساء  
في مكاتمتهم وجلالة قدرهم ، وأنهم ملوك  
الكلام ، وأن شعرم أبقى الآثار ، فلا غرابة  
إذا رأينا بهو الشاعر بأن يجعل الشعر  
فوق كل شيء ، وفوق كل منحنى من مناحي  
الحياة ، مادام يريد أن يكون شاعراً علواً ؛  
فيقول شكيب :

« ولا يجوز للشاعر أن يجعل السياسة  
أو الاقتصاد أو الصناعة أو الفقه أو شيئا  
آخر من مناحي الحياة فوق الشعر ، بل ينبغي  
أن يكون الشعر هو غرضه الأول ، وأن  
تدور حياته من حوله ، لجميع المتخاضل  
نكون له فضلة . ويكون الشعر هو الصمد .

ولهذا قال خليل مطران : ( إن شوقي كان  
يفكر في الشعر قاعداً وقائماً ، وحاضراً  
وبادياً ، وسائراً وسارياً ، وفي المركبة  
وماشياً ، إل غير ذلك ... فقد قام نحو الشعر  
بالواجب الذي لم أقم به أنا ولا غيره عن جعل  
الشعر فضلة عمله ، ولم يقله إلا عند  
الضرورة .

... ..

والشعر أن تحمد النفوس رضاها  
والشعر ما رسم الضيائر قائلاً

منها الكنائس ، نالجا أحناء ما  
والشعر ما ترك المعاني مُشْثلاً

فتكاد تلس بالألف بها . ما  
والشعر حيث يقال : من ذا قالها

ما الشعر حيث يقال : من ذا قامها (٢)  
وهذه الآيات تذكرنا بمقاله ( حقيقة

الشعر ) فهناك تحدث عن الطبيعة الصافية ،  
والقوة الروحية ، والتغلغل في أعماق النفس ،

وأحناء القلب ، والقيام في أودية الانفعال ؛  
وعن مضاعفة الشيء ، وتجسيم المجرد ، والتمعن

في القول ؛ وهنا يتحدث عن رغبات النفوس ،  
ونجوى الضيائر ، واستبطان ما في أعماقها

لنشر ما في أحنائها ، وتمثيل المنويات حتى  
تصير كالحجرات ، وحتى تكاد صغائرهما

تلس بالألف ، فيجيب الناس بمن يحقق  
هذا ، ويهتفون باسمه . فبين المقامين

تشابه وتقارب .  
ولكننا نلاحظ أن البيت الأخير من

الآيات السابقة لا يعطى شرحاً محدداً ،  
ولعل شكيب اندفع إليه بهوى المقابلة بين

كثي ( قالها ) و ( قامها ) ، مع ما نحس  
من بعد الكلمة الأخيرة من لغة الشعر .

واكتفوا بالأماني ، وإنما هي بضائع  
النسوك .

• • •

ولقد يريد شكيب أن يبدى رأياً في بعض  
الشعر ، أو يحدث أن يطلب إليه طالب أن  
يبدى هذا الرأي ، فيأتي حديثه غير محدد ،  
فيب التعميم والتوسع ، والتعبر بالألحاظ  
البراءة والعبارات الطعنة ، دون أن نستبين  
بها معالم واضحة ، ويمكن أن نسوق على ذلك  
أكثر من شاهد :

يقرا الأمير في سنة ١٩٣٠ قصيدة الشاعر  
محمد حسن النجدي في مدح الملك عبد العزيز  
ابن سعود ، فيقول عنها :

( قرأت شعراً يعتقه الطبع ، وبشره  
الخاطر ، ويعرف القادى أبحاره من  
صدوره ، وتمثل قافيت من أول كلمة من  
بيته ، يدل على ملكة غير معتادة ، وطبع  
حناء في الصفاء ، ومكانة في اللغة رفيعة ،  
وتصرف في القول سلس القياد ، ويجول به  
صاحبه كما أراد ، فقلت : والله إنه لبغري  
من بغري هذا الغري . . ثم يلحق شكيب  
هذا الشاعر بأبي تمام (١) .

وكان من الممكن لشكيب - وهو أمير  
البيان ، والمالك لتواصي القول بأكثر من  
حنان ، والجرال بقلعه في أكثر من ميدان -

قد أعطى شوقي نفسه الشعر ، فأعطاه  
الشعر مالم يخط غيره في هذا العصر (٢) .

وهو يتحدث هنا عن الشاعر الذي يريد  
أن يأتي أولاً ، وإلا فهناك شعراء جموا  
بين الشعر وغيره من الأعمال ، وكان شعرهم  
جيداً ، وإن لم تصدروا الطليعة بين الشعراء .

• • •

ويقول شكيب : ( ومن المعلوم أن  
صاحب الصنعة إنما يتقدم فيها إذا كان راغباً  
لا متكلماً ، ومنه لا متبرماً ، وكان  
يجتهد أن يبدع فيها لأجل الإبداع ولأجل  
سبق غيره من الصناع (٣) ) .

ونلاحظ هنا أنه لم يذكر ( المحبة ) أو  
( الطبع في الشعر ) مع أنه قال في مقالة ( حقيقة  
الشعر ) إن الشعر لا يمتنع إلا أصحاب الطليعة  
الخاصة ، وقال فيها أيضاً إن ( الشعر  
هبة من الله ) .

ولو اقتصرنا على الرغبة والمحبة وحدهما -  
دون الموهبة والاستعداد والمعاماة والقرص  
والافتداء والتجربة - لما كفت الرغبة والمحبة  
وحدهما لتخريج شاعر ، فما أكثر الذين  
يرغبون ويحبون أن يكونوا شعراء ، ثم  
لا يكونوا ، لأنهم حرموا الطبع الشعري ،

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٣) مجلة الفتح ، عدد ١٣ فبراير سنة ١٩٣٠

بغير الحث على حفظه ، فإنه لا يبلغ الواسف منه مشار ما يبلغ هو من نفسه ، فهو الشعر الذي يصح أن يقال فيه : عينه فراده ، وسره استظهاره ، وأمره تبليغه ، وتحليته تسويغه ، وروايته رواؤه ، وفته جلاؤه ، والإشادة به نفس إنشاده ، والفرغم به مجرد إبراده ، فوما نهى على محاسنه كان تذيب على نفسه أبلغ وأسرع ، ومهما أقت عليه من الإرامين كان برهانه في ذاته أظهر وأسطع .

إنه لعمري هذا السهل الممتنع ، الداني المرتفع ، القريب البعيد ، المعتصم بيقن الامتناع وهو أقرب من جبل الوريد ، وإنه هو النوع المرقص المطرب العرب عماني نفسك بأحسن ما تريد أن تعرب ، لا تكلف ولا تصف ، ولا تصنع ولا تزيد ولا تعمل ، بل الجمل الذي لا يحتاج إلى جعل .

وهي الألفاظ على أقدار المعاني ، لا تزيد ولا تنقص ، والأثواب على نسبة القدود فلا تطول ولا تقصر ، وهي القواني لا تجد منها قافية إلا معروفة قبل الوصول إليها ، وترى البيت كله منسجماً عليها ، مصداقاً ما خلفها وما بين يديها .

وأما دخول الأذان بلا استئذان فإن هذا في هذا العصر شعر أقيمت في وجهه حجابة السامع ، وتناولته حتى أفهام البليلاء تناول

أن يجد سبب الحديث على هذا القطع من الأحكام العامة والآراء المبهمة ، كأن يزيد مثلاً هذه العبارات : « وفراشه شمرأ يطعم منه لعقل » وتكتحل به العين ، ويحيط القاري بمناهيه من مبادئه ، ويلج قاصيه حين يسمع دانيه . . . إلخ . . . وإذا كان شكيب لم يجد سبب الحديث هنا على هذه الصورة فقد مره رعد في موطن آخر .

فقد كتب شكيب بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٣٨ مقدمة لديوان الشاعر شبلي ملاط . فإذا قل ٤٠ : إنه لم يحلل الديوان ولم يفصل القول عنه ، ولم يذكر ماله وما عليه ، ولم يبين طريقة الشاعر في شعره ، ولا خصائص هذا الشعر وعبداته ، بل أطلق بثبت أنه صاحب قلم قدير طبع لا مامله ، يستطيع أن يحرر فخرم لوحات من التمبرات ، وصوراً من البيان ، ومعارض من النثر الفني .

ولنصبر على مطالعة المقدمة كاملة ، فليست بذات طول ، والوقوف عليها مهم لنرى كيف تسبح الحقائق مغمورة بطوفان هذه الصيغ الرشيقية الجذابة التي تكثر فيها المفردات وتكرر المعاني .

يقول شكيب رحمه الله :

« شعر الأخ الأستاذ شبلي بك ملاط لا يمكن وصفه بأحسن من مرثته ، ولا ننته

هذا النوع الذي يشرب منه الإنسان ولا يبرئ  
وكأما قارنه يأكل في نومه كما يقال .  
ثمند أهله أن يأثروا بما لم يأت به الأوائل ،  
فقاتهم الأوائل والأواخر معا ، وحاولوا  
أن يبدعوا ويفيروا فاقصروا على شيء سوى  
الإنسان بالإنجم الذي لا يفهم ولا يفهم ،  
وما قاربوا الإحسان إلا عندما استولت عليهم  
السليقة الأصلية ، ونزع لهم للعرق العربي  
الصحيح ، فرجعوا إلى ما فشتوا ، فهم بين أمرين :  
إما أن يقولوا ما يفهمه الناس ، ونسيجه  
أذواقهم ، وحينئذ فهو الشعر العربي المطلوب  
على غرار الشعر الجاهلي أو الخضر المولد ،  
وليس شيء من هذا بمجديد .

وإما أن يقولوا ما يخالف أسلوب هؤلاء  
ليقولوا بدعا ويحدثوا غير معهود ، حينئذ  
هو الشعر الذي لا يعرف له قبيل من دبير ،  
ولا شرق من غرب ، وأنا في شك هل يفهمه  
أنفس قائله ؟ وإن تظاهروا بفهمه !

إن الفصيح لا يتعلق بقديم وجديد . وإنما  
هو ما يوافق الذوق البشري ، ولأم الطبع  
الإنساني ، وخاض في السمع بلا تصكير ،  
وامتزج بالطبع بلا طبع ، وإن هذا مركز  
في فطرة الإنسان منذ وجد الإنسان .

فإن كان الشعر العربي الملائم لذوق هذه  
الآفة مرآة صافية نقية ، فيكون في شعر الأئمة  
الملاط الذي ينادى القارىء كل عبارة منه :

الأبصار الجادة للبروق اللوامع ، فيكون  
شعر الأئمة الملاط في وضوحه ونصوعه ،  
وبروزه وسطوعه ، وتعلق خواتمه بهواديه ،  
وارتباط أواخره بمجاديه ، وبأنه لا يحير  
قارئا ولا سامعا ، ولا يتعب لها ذهنا ، ولا  
يسومها بقدر الهبابة كذا ولا جهدا ،  
وإن كان يسومها الصلاء فهو علا . دون  
تصعيد جامد ، ولا كد فاحص ، وإنما بطير  
بك في آفاق المسالى وأنت على مهاد وثير ،  
ومركب كرش الثعام موطأ بالحرير ، وأنت  
راكب جناح الأثير . لا تسمع للملاط بيتا  
إلا حتمت له : مرحي ، وتظن أنك تسمع  
بيتا فإذا بك تسمع آية : يا همام ابن لي  
صرحا .

ولا ينحصر نبوغ الملاط في المقاصد العالية  
والمراتب العالية . والمنازع التي تجد فيها طائر  
شعره معلقا دائما ، وإن كان في هذا الموطن  
لا يثني له غبار ، ولا يدرك له مطار ، وإنما  
هو مستول على الأمد في أكثر المواضع .  
وإن كان قد ملك ناحية الجزل فما فاته  
الرفيق . وإن جال في مأسد السباع فطالما جال  
في مراتع الآرام ، لا يروى حتى يصيد ،  
ولا يحول حتى يصول ، ولا يصول إلا  
صولة الفحول .

ولعله فاته من مزاي الشعر تقليد ما يقال له  
والشعر الجديد ، وغيره أنه لا يحسن

في المقامات تلاوة وحفظاً ، وإما أن شكيب أراد أن يرهن الناس أنه - وإن قارب السبعين ، وكتب مترسلاً في الأدب والتاريخ والسياسة والاجتماع ما كتب بلا تحسين ولا تزوين - قادر على أن يصوغ ذلك النثر الفني المقتضى ثروة لغوية ، وذاكرة قوية ، وفكرة حل تصريف القول لتدل له هذه الصنعة المعظية الدالة على البراعة والإتقان .

ومهما يكن من أمر فإنك تستطيع أن تسمى هذه المقامة الشكيبية السابقة بما شئت من أسماء ، إلا أن تسميها مقدمة في تحليل ديوان ١ .

أحمد الشرباصي

أن تحتك معنى سرياً ، وأن هذا الشعر مذ كان كان هجرياً ، (١)

المدح ، لقد انتهت المقدمة ، بل انتهت تلك الجملة المسجوعة المصنوعة ، المشقة المنمقة ، التي نستطيع أن نجري القلم عليها فنحذف نصفها ونبقى النصف الآخر ، ومع ذلك لا يضيع من المعنى الذي احتواه شيء ١ .

إما أن تكون المجاملة هي التي دفعت شكيب إلى أن يزخرف بتقديم الديوان هذه الألوان من البديع وما إليه ، وإما أن شكيب عن إلى المقامات ، التي كان يحفظها ، فأراد أن يضع مقامة حل طرازها ، استرواحاً لذكرى ذلك الماضي الأدبي العزيز الذي كان يدم في النظر

( ١ ) مجلة الكتاب ، عدد يونيو ١٩٥٠ .

قال أبو فراس الحمداني :

عند الجفاء وقلة الإصاف  
ولو أنه عارى المتناكب حاف  
وإذا قمعت فكل شيء كان  
ومروءتي وقناعتي وعفافي  
شرفاً ولا هدد السوام الضافي  
بيت الكرام ومنزل الأضياف  
حقاً كأن صروفه أحلاف

لا أرتضى ودا إذا هو لم يدم  
إن الفنى هو الفنى بنفسه  
ما كل ما فوق البسيطة كافياً  
وبما لي طبع الحريص أبوتى  
ما كثرة الخيل الجياد بزائدى  
ومكارى عدد النجوم ومنزلى  
لا أقتى لصروف دهرى عدة



# البسائية أو البهائية

للاستاذ محمد ابراهيم الجيوشي

نمريم :

الإسلام دين الله الخالد وشريعته الباقية :  
« ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه  
وهو في الآخرة من الخاسرين » . أنزله الله  
على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم  
تثرياً كاملاً عادلاً يصلح عليه أمر الدنيا  
والآخرة ، وبني بحاجات البشرية في أعصارها  
المتعاقبة وأوطانها المختلفة : « اليوم أكملت  
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت  
لكم الإسلام ديناً » . وفي ذلك إيدان من الله  
سبحانه لرسوله بإتمام النعمة وإكمال الدين .  
ودعوته صلوات الله وسلامه عليه عامة إلى  
الناس كافة في جميع أقطارهم وأعصارهم :  
« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ،  
وذلك إيدان من الله سبحانه وتعالى بأن  
الإنسانية قد بلغت رشدها ، وأن بين أيديها  
من موارث النبوة ، ومبادئ الرسل ما يضيء  
أمامها الطريق ، ويفتح لها آفاق الخير والمحبة  
والمساواة ، ما دامت متمسكة بهذا الهدى ،  
مسترشدة بهداه ، وقد تكفل الله بحفظه ورعايته  
وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .  
ومن هنا تميزت هذه الرسالة بالكمال  
والوضوح والشمول ، والقدرة على تقديم

الحل لكل مشكل يعرض ، أو حادث يحد ،  
وكان من طبيعة الرسالة التي حوت هذه  
الأميزات أن تكون عامة الرسالات ، وأن  
يكون صاحبها صلوات الله وسلامه عليه خاتم  
الأنبياء والرسل ، حتى لا تقع الإنسانية نهياً  
لأوهام المتنبيين ، وخیالات المشعوذين ، ولهذا  
اقتضت حكمة الله سبحانه أن يذكر ذلك صراحة  
في القرآن الكريم ، ليقطع الطريق على ذوي  
الانحراف العقلي والشطحات الذهنية ، أو على  
الأقل ليضع للإنسانية مبدأ تلجأ إليه كلما سول  
لغبول شيطانه ، ووسوس له أنه يوحى إليه .  
وهذا التوجيه من الله سبحانه هو ما يصرح  
به قوله : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم  
ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . وقد أكد  
النبي هذا المعنى ، في قوله صلوات الله وسلامه  
عليه : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن  
تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وصنّي » . وقوله  
في حديث آخر : « هباء أمتي كأنبياء  
بنی اسرائیل ، فإذا كانت الأمم السابقة  
في حاجة إلى أنبياء يتعهدونهم بين الحين والحين  
حتى تأتي الرسالة التالية ، فإن الرسالة الخاتمة  
قد زودت الإنسانية بزاد روحى خالد نافع  
يقوم عليه هباء يحفظونه ويمرونه ،

والدردود يطبقونها على الوزير الروحاني الأول الذي يشمل العقل السكلي . .  
وقد ولد محمد علي في شيراز أول المحرم سنة ١٢٣٦ هـ ٢٦ مارس سنة ١٨٢١ م وكان أبوه تاجراً . فتوفى وهو صغير ، فقام خاله بكفالاته ، وأخذ يشتغل بعد ذلك بتجارة أبيه ، ثم طهر اهتمامه بالأمور الدينية ، وجنح إلى الزهد والتشف والاشتغال بالتصوف إلى حد الهوس ، حتى لقد كان يصعد إلى سطح المنزل ويظل في الشمس ساعات طويلة وقد انتهت به هذه الحال إلى أن بدأ عليه خلل في تفكيره واضطراب في قواه العقلية .

فبعث به خاله إلى النجف وكر بلاه ، للاستشفاء بزيارة قبري الإمام علي والحسين رضي الله عنهما ، ولكنه طالب له المقام هناك ، فأقيم في كربلاء وأخذ يساود ما كان عليه ، وأكثر من التلاوة والتجهد مما لفت إليه بعض تلاميذ الرشتي فأخذه إلى مجلس شيخه وكان الرشتي شيخ طائفة الشيعية بعد الأحسان وكان كلامها يكثر من الحديث عن الموحود والمهدي والقائم الذي أوشك زمانه ويحث أتباعه على البحث الجاد عنه فوجد الشيرازي في كلام الشيخ الرشتي ما يهدد أحلامه ، ويفتح أمامه باب الأمل فيما مجست به وساوسه ، فأخذ يكتب ويقلد الرشتي فيما يكتب ، واعتكف مدة

ويكشفون للبشر ما فيه من مزايا وقدره على مواجهة الأحداث بالحلول الملائمة لها ، وحماية البشر من نزوات الزيف وموجات الإلحاد . ولكن على الرغم من كل ذلك ، فإن تاريخ الإسلام شهد كثيراً من المنتهين الأدهياء ذوي النيات السيئة من قرامطة وإسماعيلية وباطنية وما إلى هؤلاء المنحرفين وكان أكثر ما أصاب العالم الإسلامي في ذلك إنما جاء من وراء العقيدة القائمة بمجىء المهدي ورجعة الإمام وخاصة عند طوائف الشيعة ، فإن هذه العقيدة مازالت تعمل عملها في صفوف المسلمين حتى يومنا هذا وما البائية والبهائية والقديانية إلا ثمرة مرة لهذا الفرس الغريب على الإسلام وتعاليمه ومبادئه الواضحة النقية .

#### البائية والبهائية :

هذا تمهيد لابد منه لمن يريد أن يتحدث عن البائية ، فالبائية ؟ وما مقصدها وإلى أي شيء تدعو ؟ ، وما موقفها من الإسلام ؟ .  
لكي نعرف البائية لابد أن نعرف أولاً البائية التي انبثقت عنها البائية وورثت دعوتها ، وقامت على أقاضها ، أو صارت امتداداً لها ، فالبائية نسبة إلى الباب وهو محمد علي الشيرازي الذي أعلن أنه باب العلم بالحقيقة الإلهية وسمى نفسه الباب .

وكلمة الباب معروفة عند طوائف الشيعة والصوفية ، فالإسماعيلية يطلقون كلمة الباب على الشيخ أو الأساس الذي يعلم الناس أمور الدين .

وقامت في البلاد فتن واضطرابات ، ثم انضم إلى أتباعه يحيى نوري الذي لقب فيما بعد بصبح أزل وأخوه حسين علي الذي لقب بالجهاد وصار زعيم البهائية ، وكذلك امرأة تسمى قرة العين .

وحين بدأ للحكومة الإيرانية الخطر الذي يتهدد أمن البلاد من دهوة الباب وأتباعه اهتقلته وحاكته أمام جمع من العلماء حتى أقر بكفره وتاب أمامهم ، ولكن أتباعه أنكروا ذلك ولم يكفوا عن عبثهم وبث الرعب والقلق في نفوس الناس وتهديد من يعترض طريقهم حتى قاموا بأكثر من ثورة في أماكن متعددة ، فلم تجدد الحكومة بدا من اعتقاله وإيداعه السجن حتى تبدأ الفتنة التي نشأت بسببه .

وحق هذه الفترة لم يتأكد من دعوة الباب أنه خارج على ما جاء به الإسلام ، ولكنه في فترة بجنه عقد أصحابه مؤتمرا في صحراء بدشت : يتلقون فيه البشائر التي وردت من الإمام المنتظر ، وعلى الرغم من انعقاد المؤتمر فإن أعضاءه لم يكن لديهم رأى موحد عن موقف دعوتهم من الإسلام ، فكان بعضهم يرى أن دعوتهم تابعة لما جاء به الإسلام ، وكان بالمؤتمر فريق آخر يرى أن البابية أمر جديد ودهوة مستقلة ، وكان يترجم هذا الانقسام قرة العين واستطاعت أن توجه المؤتمر حتى أعلنت

في المسجد ، ثم أخذ يمس لمن حوله بأنه باب المهدي ، فاجتمع كثير من الناس بمظهره وأقبلوا عليه يسمعون منه وهاجه آخرون . ويرى أتباعه أنه حج وكتب في طريقه عدة رسائل ادعى أنها وحى إلهي ، وأعلن بعد أن عاد إلى فارس « أنه مرآة يظهر فيها نفس الله » .

وكان أمره قد اشتهر وأخذ يهاجم رجال الدين ويتهجم ، ووجد من يسمع له ، ولا يحب في مجتمع مثل هذا أن ينصت إليه ، وهو يؤمن بفضيلة الإمام وهدوته ، وبمجيء المهدي ، فقد سهل ذلك على الباب أن يجد من يتعلق به ، وقامت الحركة بينه وبين رجال الدين في الوقت الذي انضم له بعض الأنصار والتفوا حوله بعد أن تسمع الناس بأمره وأصبحت قنته على كل لسان . فأفضى لأصحابه بدعوتهم الجديدة ، و زاد الأمر فسادا بينه وبين العلماء فرفضوا أمره إلى الحكومة فتحتمه من نشر مذهبه الباطل وعقيدته المنحرفة الضالة ، وكان قد أعلن أنه « النقطة » أي منبثق الحق وروح الله ومظهر قدرته وجلاله وفلك بعد أن تنازل عن لقب الباب لبعض أصحابه .

وكثر أتباع الباب ، وأخذوا يهجون البلاد ، يدهون الناس إلى أتباعه ، ويعلمون رؤيتهم له وتلقينهم بركاته ، فهاجت الخواطر

نور يسير ، فبناء على ذلك أقول لكم - وقولي هو الحق - لا أمر اليوم ولا تكليف ، ولا نهي ، ولا تعنيف ، ولنا نحن الآن في زمن الفترة ، فخرجوا من الوحدة إلى الكثرة ، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم ، وبين نساءكم بأن تشاركوا بالأعمال ، وتغاسبوا بالأفعال ، وأصلوا بعد السلو ، وأخرجوا من الخلوة إلى الجلوة ، فاهن إلا زهرة الحياة الدنيا ، وإن الزهرة لا بد من قطفها وشمها ، لأنها خلقت للضم ولشم ، ولا ينبغي أن يمد ولا يحد شاموها ، بالكيف والكم ، فالزهرة تنحني وتقطف ، والأحباب تهدى وتمحف ، وأما ادعاء المال عند أحكم ، وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال فهو أصل كل زور ، وأساس كل وبال ، ساووا فقيركم بغنيكم ، ولا تجبروا حلائكم عن أحبابكم ، إذ لا ربح الآن ، ولا حد ، ولا منع ، ولا تكليف ولا صد ، غنوا حاكمكم من هذه الحياة ، فلا شيء بعد المات .

وكان هذا الخروج الفاجر والإلحاد السافر والحقد الأسود على الإسلام وتعاليمه وشرائعه وعبادته والتكذيب بيوم البعث والدعوة إلى الإباحية والاطلاق .

كان هذا الفسق المحموم الذي جرى على لسان هذه المرأة التي استعبدتها الشهوة الطاغية والنهم المحموم كان ذلك كله صدمة لكثير من ظنوا أن هذه الدعوة بتحقيق لمحى المهدي

أن البابية ناسخة الشريعة الإسلامية ، وأنه يجب إلقاء الباب بالقوة ، ووقفت تخطب فيهم معلنة أمورا خطيرة تدعو فيها إلى هدم الدين وتقويض دعائم الشريعة والتحلل من قيود الخلق والدعوة إلى الإباحية في المال والنساء ، وذلك مادعا إليه القرامطة من قبل وكان حسين على المقلب فيما بعد بالبهاء من رؤساء هذا المؤتمر ، ومن الحذر أن نعرض على القراء نص خطبة قره العين حتى يقفوا بأنفسهم على مدى ما تحمله هذه الدعوة من كفر صراح ، ومن اجتراء على قواعد الأخلاق والسلوك ومن إهدار لقيم الإنسانية الفاضلة ومن عجيب أن يجهر بهذه الدعوة امرأة يأخذ البايون قولها على أنه دين يتبع وشريعة تقام قالت : « اهلوا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب .

وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا ، وأن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو ، وفعل باطل ، ولا يعمل بها بعد الآن الاكل غافل وجهل ، إن مولانا الباب سيفتح البلاد ، ويسخر العباد ويستخضع له الأقايم السبعة المسكونة ، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة ، حتى لا يبقى إلا دين واحد ، وذلك الدين الحق هو دينه الجديد ، وشرعه الحديث الذي لم يصل إلينا إلى الآن منه إلا

الباب مبشراً بهاء الله ، وسلفاً له وهم أكثر أتباعاً من الأزلية .

### تعاليم الباب :

قام الباب بتفريق صفة من التعاليم جمعها من الديانات المختلفة وأطلق عليها دينه الجديد ودعا إليها أتباعه ومريديه ونجملها فيما يأتي :

١ - ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والجماعة إلا في الجنازة .

٢ - جعل القبلة هي البيت الذي ولد فيه بشيراز ، أو مكان مجته ، أو البيوت التي عاش فيها هو وأتباعه وفرض على أتباعه الحج إليها .

٣ - أنكر وجوب الطهر من الجنابة .

٤ - جعل العدد - ١٩ - عند البابية تقديراً خاصاً ، ولذا فهم يقدسونه جداً .

فالسنة عندهم تسعة عشر شهراً ، والشهر تسعة عشر يوماً ، ويديرشون جماعتهم مجلس يتألف من تسعة عشر عضواً .

والصوم عندهم تسعة عشر يوماً من شروق الشمس إلى غروبها وهو يقع في أول الربيع في شهر بابه .

وقد أباح الباب لأتباعه خمسة أيام قبل الصوم يقضونها في الحو ويجون وإقبال منهم على الشهوات والزوات بلا قيد ولا حد .

ولا بد من قراءة تسع عشرة فقرة من كتاب البيان في كل يوم ، ويجب أن يدعو

الذي يصحب الشريعة وينشر العدل فإذا بهم يحتاجون بهذا الإلحاد ينساب ثقله وتنطلق صفاربه ، فتمقبوا هؤلاء الممارقين وطاردوم واختفت المرأة مع أحمد دعاة الباب وكان يلقب بالقدوس ، وقد أورد الأستاذ عبد الرحمن الوكيل كثيراً من أخبار هذه المرأة في كتابه ( البهائية ) .

وانتهى هذا الصراع بقتل الباب رأس هذه القنينة ومحركها ، وتمرض أتباعه للاضطهاد والمطاردة وهتتوا في كثير من البلدان .

وعلى أثر قتل الباب أعلن يحيى نوري الملقب بصبح أزل أنه خليفة الباب وتوجه إلى بغداد فغته الحكومة التركية إلى قبرص ، أما أخوه ميرزا حسين علي الذي لقب فيها ببهاء الله ، فقبض عليه ثم أفرج عنه ورحل إلى كربلاء . ورحل بعضهم إلى روسيا ، وأقاموا لهم مسجداً هناك وكانت هذه الدعوة تجسد صلفاً من الروس لأنها تمهد السبيل لأطامهم في إيران ولم يفرج عن ميرزا حسين علي إلا بشفاعة قنصل روسيا وشهادته ببراءته ، وتنازع صبح أزل وأخوه بهاء الله على خلافة الباب ، وادعى كل منهم أنه المقصود بقوله « من يظهره الله » وهذا دليل آخر على كذبهم وباطلهم ، وقد أدى خلافهم إلى انقسام البابية إلى الأزلية والبهائية ، والأزلية هم المتسكون بتعاليم الباب المحافظون عليها وهم أقلية ، أما البهائية فتعتبر

وهن الجنة إنها القرح الروحى الذى يصر  
به المؤمن بالمظهر الإلهى .

وهن النار إنها الحرمان من معرفة الله فى  
تجلياته فى مظاهره البشرية .

والباب هو البرزخ المذكور فى القرآن  
لأنه بين موسى وهيسى .

وقد صرح الباب فى رسالة بعث بها إلى  
الألوسى صاحب التفسير المشهور بأن دينه  
ناسخ للإسلام فقال : كل من كلف على شريعة  
القرآن كان ناجيا إلى ليلة القيامة ويعنى بها  
الليلة التى أعلن فيها أنه القائم أو المظهر الإلهى  
الجديد ، ولهذا حرم على أتباعه قراءة القرآن  
حتى أحرق البايون المصاحف وزعم أنه  
أفضل من محمد وأن كتابه أفضل من القرآن ،  
وأن محمداً بمقام الآلف وهو بمقام النقطة .

هذا الكفر الصراح نادى به الباية  
وورثته البائية وزادت عليه ألوانا أخرى  
أكثر ضلالا وكفرا ، ونحن كان الباب قد  
زعم أن الله قد أرسل عليه كتاباً سماه البيان  
لأنه البهاء ، قد زعم أيضا أن الله قد أنزل  
عليه كتاباً أيضاً سماه الأقدس .

وستناول فى كلمة أخرى البهاء ومذهبه  
ومدى ما أضافه من ضلال فرق الضلال  
الذى ورثه عن الباب .

محمد إبراهيم الجيوشى

كل واحد تسعة عشرة شخصا مرة فى كل  
تسعة عشر يوما ولو لشرب الماء .

٥ - الزكاة خمس المقار تؤخذ فى آخر  
العام من رأس المال وتمطى للجلس  
المؤلف من التسعة عشر عضواً .

٦ - الزواج إجبارى بعدد من  
الحادية عشر ، ويكفى فيه رضا الطرفين  
ويجوز إيقاع الطلاق تسع عشرة مرة ،  
وهذه المطلق تسعة عشر يوما ، ولا يجوز  
الزواج بأرملة إلا بعد دفع دية ، وإلا بعد  
اقتضاء عدتها ومدتها خمسة وتسعون يوما .

٧ - الميراث سبعة أنواع - الولد ،  
الزوج ، الزوجة ، الأب ، الأم ، الأخ ،  
والأخت ، وأكبر الأصبة الولد .

٨ - العيد عيد النيروز ومدته تسعة عشر  
يوماً . وفى صباح كل جمعة يجب استقبال  
النفس بالسلام .

والباية يكفرون بأمور الآخرة كما وصفها  
القرآن ويفسرونها تفسيراً آخر كما فسرما  
الباطنية من قبلهم .

فهم يقولون من القيامة إنها قيام الروح  
الإلهى فى مظهر بشرى جديد .

وهن البحث إنه الإيمان بالوهمية هذا  
المظهر الجديد .

وعن لقاء الله يوم القيامة إنه لقاء الباب  
لأنه هو الله .

## محمود الغزنوي البطل الذي ضيّم للإسلام أمة للأستاذ محمد رجب البيومي

ولكن خلفاء بني العباس جميعا من لندن  
الصفاح إلى المستعصم لا يضمنون في سلسلتهم  
الممتدة بطلا من طراز محمود ! أما أن لنا بعد  
في تأليفنا الحاشدة أن نوجه اهتمامنا إلى القيم  
الرواسع دون أن نعود إلى التريه والتمكرارا  
أم أننا نلتصم بأسر السبل في التأليف !  
لقد كان الزمن الذي تألق في سمائه كوكب  
محمود الغزنوي لا يسمح بظهور مثله بحال  
فليست هناك خلافة راشدة تقسح ميدان  
البطولة المخصصة لأمثال خالد وسعد وعمر  
وأبي عبيدة والمثنى وليس هناك خليفة أموي  
واسخ السلطان مرهوب الكلمة ، واسع  
الملك تحفد حوله الكهات المتنازة من  
أمثال قتيبة بن مسلم ومحمد بن القاسم وعوس  
ابن نصير ! أما الدولة العباسية لعهد محمود  
فقد تساقطت جنباتها ، وفداعت أسسها ،

كلما قرأت تاريخ البطل العذ محمود الغزنوي  
تجبت كيف لا يجرى اسمه على كل لسان يدين  
بالإسلام ، وكيف لا تفرد الكتب الخاصة  
بتحليل خوارق وتفهم نواده ! بل كيف  
تخصي كتب المطالعة المتنوعة في المدارس  
والمعاهد دون أن يفرده باب في كل كتاب  
قيم الناشئة في شق بلاد الخليفة من هو ذلك  
البطل المعجز الذي أهدى إلى الإسلام  
مائة مليون نسمة لا يزال أحفادهم اليوم  
يمثلون لباكستان وكشمير وبعض المدن في  
الهندستان ! إن ملكا عظيما كهارون الرشيد  
يجري ذكره على كل لسان لا يمكن أن يوازي  
شيثا إذا قيس بمحمود ! صحيح أن الرشيد  
خليفة وأن محمود سلطان يستمد شرعيته من  
القادر بالله أحد الخلفاء من نسل هارون !

الفردوس العارسي ١١ وأبو العلاء يسير مع  
طبعه الناقم الساخط حين يهاجم بطلا تنافط  
نحت ضربات سيفه أشلاء الضحايا من  
المتصارعين في كل مكان . إذ أن الشاعر الذي  
يرسم الحيوان الضعيف إذ يستفزع ذبحه  
وراقة دمه ، لابد يرتاع لما يسمع من  
معارك دامية تفور بالدم ، وتطغى بالإنجاس  
والرقاب ! هذا إلى أنه ملك . وللولك في  
منطق أبي العلاء غطسة واستملاء لأبرصيان  
إحساسه الرعيف وهم في أكثر أحوالهم ظلة  
جاثرون فلا بد أن يهاجمهم الشاعر الفيلسوف ،  
ولا بد أن ينال شيئا من مجرمة أعظم ملك  
دون اسمه في عصره وفي الزعد في كل أفق ،  
وهما كان بطلا لهذا ذا مثل وأهداف ،  
والأفهل كان يستحق عمود الغزوى أن يقول  
فيه الحكميم الفيلسوف :

أمر إن كنت محموداً هل خلق

ولا أمر بأبي الملك محمود

ما يصنع الرأس بالتيجان بمقدما

وإنما هو بعد الموت جلود

و يقول :

محمودنا الله والمسمود غائمة

فقد عن ذكر محمود ومسمود

ملكنا لو أننى خيرت ملكها

ومود صلب أشار العقول بالعود

ففي كل مملكة أمير يحكم أو خليفة يناوى ،  
أو وال يدل وبقية ، حتى بغداد نفسها تنفع  
فريسة لكل طامع من الوزراء . إلا بعد هي .  
أتباعه ويمسك جنوده ثم يصل إلى مقر  
الخلافة ليكون أمير المؤمنين لبة في يده  
إذ يصدر عن أمره ! ويسهر في نياحه فإذا  
تمكن خصومه من طرده ، وتملكوا الأمر  
من بعده كان أمير المؤمنين ومن مشيئهم كما  
يبتغون ! هذه الحال المؤسفة من نفسك  
الخلافة الإسلامية وقيام الدولات المستقلة في  
العواصم المختلفة ونفاحن المفرضين حل  
الرياسة والسلطان ! أقول هذه الحال المؤسفة  
لم تحمل دون ظهور رجل فذ كعمود الغزوى ،  
يجمع الكلمة ، ويمسك الجند ثم يغزو أتباعه  
وقيادته بلاد الوثنية ليعطوا الآذان الإسلامي  
في دجوع متناحية تقدر الأصنام ، وتعبد  
التمائيل من دون الله !

والغريب أن هذا البطل الفذ كان بغيضا

إلى بعض شعراء عصره فارسيين وعربا ، فلم

يرزق شاعراً علم ما يجعل بطولاه في ملازم

رائعة كما رزق سيف الدولة أبا الطيب مثلاً .

هل بعد ما بين البطلين من فروق . بل صدم

بشاعرين كبيرين أخذنا بقتضائه ويائسان

للعناكب الواحمة فتجنى عليه ، وهما

أبو العلاء المعري العربي ، وأبو القاسم



لا يرضى منعه الديني ، وبخاصة إذا كان الملك  
سنيا شديد الغيرة على مقدسات أهل السنة  
وقد شن حروبا طاحنة على القرامطة والملاحدة  
وعقد الأوامر المخلصة بالخلافة العباسية حتى  
منحه القادر باقة لقب يمين الدولة ، وزاد  
الملك في وجهته فاضطهد المعتزلة والرافضة  
فإذا جاء إليه شاعر شعبي يتحدث عن رسم  
وسراب والضحك وذى القرنين وأساطير  
الجال والبحار ، فلن يحميه منه انتشارا لما  
فعل ١١ على أنه قد بذل له المقتول من المال  
كيلا يضيع جهده مباءة والفردوس لا يضيع  
بأدون الإغراق والامتلاء ، فأنصرف عنه  
هاجيا غالبا ، والمسألة مسألة مبدأ قبل أن  
تكون مظنة بطل وإمساك ١١

أذكر أن إيران قد احتفلت منذ أهرام  
بمرور ألف عام على وفاة الفردوس ، وبعثت  
الممالك المختلفة من يمثلها في مهرجان الشاعر  
الكبير بطهران ١١ وقد تورط بعض الحفباء  
في نقد السلطان محمود الغزنوي إذ منح الشاعر  
ما يظنه بعض حقه ١ حتى جاء دور الشاعر  
البنائي الأستاذ بهاره الخوردي فهجا محمود  
الغزنوي هجاء مفضحا حين قال :

يا لعقوق أبيني مجد أمته

وبجمل الدهر مول من موالها

أئن وقت أمة يوما لشاهرا

رماء سافلها عن قوس واشيا

وأبو العلاء وإن كان يفضل عود الحديد  
على ملك محمود الغزنوي فهو لم يفتش في  
حديثه عنه ولن يستطيع ، أما الذي ألحش  
وبالغ في الإلحش حقا فهو أبو القاسم  
الفردوس إذ أنه قضى أكثر حياته ينظم  
تاريخ الفرس في الشاعمة ويعلل نفسه أن  
الملك الغزنوي سيفرقه بالذهب طوقا فارجع  
إليه ما نفذ من ثروته الموروثة وضياعه  
البائدة ، ولكن منحه محمود لم تقنع شاعر  
الفرس المعتز ، ففر من بلاطه مرسل قوارعه  
اللاذعة في هجاء البطل الكبير ١ ونحن حين  
نحقق أمر الفردوس في أفق أوسع من  
ورغباته الشخصية ، نرى أن محمودا مصيبا فيما  
فعل ، لأن الفردوس قد استجاب إلى نغمة  
الأمير نوح بن منصور الساماني حين اندفع  
يبحث عن أساطير فارس المهرسية ليكمل  
منها تاريخا يلهم تاريخ العرب والمسلمين ،  
فأخذ يبحث ما في خزائن الموابدة والدعافين  
من الصحف القديمة لتغدو آية نفاذ ينبي  
عن المجد الغائب ، وحين تم ذلك جعل منه  
الفروس مادة حديث ففقد ثلاثا وعشرين سنة  
ينظم الأساطير والخرافات ، ولكن الدولة  
السامانية كانت قد لفظت أنفاسها في هذا  
المدى المتطاوول وجاءت الدولة الغزنوية ،  
وملكها محمود لا يشجع هذه النعرات  
المصيبة ، بل يرى في صنيع الفروس هراء

وأسانف القتال ، ونحن نسجل هذه الحادثة السريعة لئلا نرد بها على من تابعوا ابن الأثير حين ذكر أن السلطان محموداً قد ولّى وجهه شطر الهند ليكفر عن حرب المسلمين ! إذ أن فتح الهند كان في دمه منذ طفولته وقبل أن تنشب الحرب بينه وبين أمراء الدول الصغيرة لعمده ١١ وقد كانت هذه الحرب حتماً مقدوراً لا محيد عنه ؛ لأن محموداً قد نظر لأول صهده بالسلطان فرأى الصغار من الأمراء يتصارعون في غير طائل ، وقد تحرش به الأمير الساماني في خراسان وهم يقتتلت ، فكان لابد من نزاله ليأمن جانبه القريب ! كما أن آل بويه بالرى ومن شاكلهم من السلاجقة لا يرحبون بقيام ملك إسلامي كبير ، وسيكونون يتآمرهم المتواصل سداً في طريقه فرأى بعد نظره أن يضم ممالكهم إلى مملكاته ليجد من الوحدة العامة ما يساعده على تحقيق مشروعه الخطير في نشر الإسلام ! ولو لم يأمن جانب جيرانه من المترفين بعد أن قضى عليهم بعزمته الواثبة ما استطاع أن يترك بلاده إلى أماكن نازحة تدهور إلى أن يغمر ظلامها الممالك بنور الهداية والإسلام ! على أن شعوره الديني قد دفعه إلى مهادة الخليفة العباسي ، وحوز قبوله وإعجابه ، فكان ذلك مدعاة اطمئنان نفسي كبير أمدّه برصيد ضخم من الثبات ١١ .

والاستاذ بشارة يجهل محمود الغزنوي دون نزاع ! فليس الملك من السفالة في قيسل أو كثير ؟ كما أنه يجهل ملابسات الشاهنامة وفتنلات الزمن يجهلها ومتاعها ولو علم ما تمنى فأفقد ١١ .

وبعد ؛ فكيف سطر هذا الملك العظيم تاريخ بطولته الخفيل ؟ لقد فتحت عينه في الوجود فرأى أباه الأمير سيكتكين ذا قدر وبطش ، فهو قائد فارسى عنك ، واثمة الظروف لحكم غزنة من قبل السامانيين حكماً قوياً جالاً ثم طمعت به صمته إلى الهند ففزا شملها الغربي مرتين متواليتين ! وانتصر انتصاراً مؤزراً شهده ابنه محمود إذ كانت يصحب أباه في غزاته دون أن يتعدى الرابعة عشرة من السنوات ، والمدهش الرائع أنه في عمره الناشئ قد أظهر فروسية وحكمة بل وقف من والده موقف المعارض في أمر هام ١١

فقد عرض الأمير جييال راجا لاهو جزيرة ليفوز بصلح يحقن الدماء ، ومال الأدب إلى القبول مكتفياً بما أحرزه من نجاح ، ولكن محمود الصغير يتف في وجهه رافضاً أن تكون الجزية غاية القتال وقال لوالده في إصرار : إنا نبحث عن مثوبة الجهاد في سبيل الله ! لا من الفضة والتضار ! فزل أبوه على رأيه

في عديم المائل قوة مقائدة تفق أمامه موقف المدافع الصبور ١١ فقد اصطدم في غزاه الأولى ( بجبال ) صاحب لاهور بدر أبيه ، وكان يخط في نومه طائفاً أن وفاة سيكنكين ستضع تدفق المسلمين من جديد فأبقظه محمود على رأس عشرة آلاف معانل لحشد جنوده على مجمل واستعان بمجاوريه حتى اكتمل له أكثر من اثنين وأربعين ألفاً من المحاربين ، ودارت المعركة رهيبة حامية فأبادت الهنادكة إبادة غزبية ولم يبق إلا مصر الهندوكي على احتياك كلهم فعرس نفسه على النار تكشفها عن خذلاها كما تنفض بذلك تقاليد الهند ١ .

واصل القائد البطل زحفه ، فأحدث الرعب الزلزل في كياف الراسارات من الحاكين ، وتجمع أمراء أوجين وكوليار وكلنجر وقنوج ودمل وأجمير ليقفوا بغيولم وألباهم وجنودهم حشداً كثيفاً أمام القاري القاهر وزحفت جيوش الهند مجتمعة لتلقى المسلمين في إقليم البنجاب ١ وكان القتال هائلاً خيفاً ١ فقد المسلمون من أبطالهم عدداً يبيكي عليه ، لأن جيش محمود لم تتجاوز ستة آلاف مقاتل ١ ولكنه بمحض إيمانه وقوة عزيمته قد ثبت بالبقية من وجله أمام جيوش لم

ومع ما عرف عن والده سيكنكين من الإعجاب بمحمود والمباعاة ببطولته فقد شاء أن يجعل الأمر من بعده لولده الصغير إسماعيل وهو إنسان ضعيف متردد لا تصل به همته إلى شيء من آمال أخيه الأكبر ، ولم أرفيا قرأت تمليلاً لذلك ، ولكنني أعتقد أن الأب قد رأى طموح محمود واتساح آماله تخاف أن يقذف ببنيته إلى الهند في حامية واقفاد دون أن يسلك مسلك الحيلة في الصبر والانتاد ١ وآثر أن يرجع بالملك لإسماعيل ليأمن بهدونه عثار التوئب والاطلاق ، ولم يكن محمود بالشاب القافع المستكين ، فسرمان ما انتزع الملك من أخيه ١١ وبدأ فوحده المملكة الإسلامية في فارس ، ليعزز بعدها إلى الهند في عزيمته وإصرار ...

كانت الهند تزوج تصدح حكم الإنطباع ١ فكل مدينة تخضع لراجا مثله يشجع رغبته الخاصة بطنياه فإذا أقس من نفسه بعض القوة أجه إلى من يحاوره فسطا عليه ، وضم إمارته إلى إمارته ثم لا يلبث أن يجمد أميراً أقوى منه يستمد لوزاله فتدور الحرب بين الطامعين وطعنيها العامة من الراضحين المسيهين عن يضطرون إلى الولاء خيفة من الإرهاب الأحمر ، والطفانيان المنجبر ١١ .

حين صمم محمود على عاربة هؤلاء لم يجمد

أفغانستان على سهل الهندستان في جنوده  
الأتراك الأشداء ، بخيولهم المارعة ،  
وأسلحتهم الموفرة ، ونظامهم الحربي  
البديع انصباب السيل الدافع . فبهز الأتباع  
الصعاب ، ويكسر لأصنام الهندية لا يزال  
تعباً ولا نصيباً ، ثم يكر راجساً إلى غزنة  
متملىً اليدين من السبي الزائع والغنائم الهائلة  
بما حوته معابد الهند من كنوز الذهب  
والفضة ، ونمائس الأعراف وقد انجلى هذا  
الغزو المتناسع عن امتلاك السلطان محمود  
لقلبي البنجاب وكشمير ، وسيطرته على  
ملكه كجرات الواقعة على المحيط الهندي ،  
فدخل الهند في دين الله أفواجا . وترك لهم  
السلطان الفاتح من يعلمهم أصول الدين  
الإسلامي ، وبلغتهم مبادئه فرسخ الإسلام  
من ذلك الوقت في بلاد الهند ، وأصبح ديانة  
قومية ثابتة القوائم قوية الأساس .

كانت همة البطل أبعد من أن تحد ، فلم  
يكن يجلس ما بينه وبين نفسه ليفكر في  
العوائق ويفترض الأوهام ، ولكنه كان إذا  
هم ألقى بين عينيه هومة ، وإذا كنا ندهش  
لعزيمة خالد بن الوليد حين اخترق الصحراء  
يوم الرموك بجنوده ليلبلغ أعداءه من حيث  
لا يتوقعون فقد قام السلطان بمثل ما قام به  
سلفه الخالد حين اخترق صحراء ( الثار ) وهي  
مفازة جرداء تمتد أكبر صحراوات الهند ،

يستطاع التاريخ عدما على الوجه الدقيق إلى  
الآن ، حتى أحرز الانتصار الساحق ، ووجد  
في معابد الهنادكة من الغنائم الذهبية ما أربى  
عن الوصف إلى حد أن جنوده قد تركوا  
مخالف الهدنة اكتفاء بما عثروا عليه من  
الذهب ١ فليس لديهم من الدراهم ما يكفي  
لحل هذه الكنوز ١ وكان النصر في معركة  
البنجاب سلافاً حين إذ آثار الفتوة في  
بلاد الإسلام فأقبل المتطوعون ينسلون من  
كل حذب إلى جيوش محمود . على حين أحدث  
الطبع والرعب في أفراد الشعب الهندوسي  
وقادته فباتوا يترصدون يومهم القريب .

كانت السنوات تمر دون أن يخلو عام واحد  
من موقعة هائلة لمحمود الغزنوي يدمر بها  
أعداءه المحتشدين ففتح المقتان وكواكير  
وما زال ينتقل على شاطئ ( هند مند ) حتى  
استولى على بهم نقر وناردن وبلغ كشمير  
ففتح بها خمسة أصنام من الذهب الخالص  
مرصعة بأعلى الجواهر . وحمل من السبي  
والسلاح ما أمد كمامه بقوة جديدة وأمل  
بها النجاح ١

قال الأستاذ عبد الحميد العبادي في كتابه  
( صور وبحوث من التاريخ الإسلامي )  
ص ٨٠ : « وقد غزا السلطان ما لا يقل عن  
سبع عشرة غزوة ، فكان ينصب من جبال

لا تدخل في حساب عاد أو تباع طن منهم  
ما قدفة مئات السنين في جوفه من النفود  
والقرايين ، وكان الهنادكة يستقدون أن  
تناسخ الأرواح في الأبدان يتم حول الصنم  
في معبده ، وأن حدير البحر المنبسط من  
حوله حلاة يقوم بها الماء حياة وطلاحة ،  
أما الخدم من السدة فيتجاوزون الألفين من  
البرامكة ، ومعهم خمسمائة من الرافضات  
المنشدات يرتلن حوله القسايع اوقداجتمع  
جميع الأمراء الراجيون بكل ما يملكون  
من عتاد ورجال وغيول وأفيال ذبابا عن  
إلهمم النظيم ، ورأوا في الاستشهاد بساحة  
منتهى الأمل في الحياة ، فدارت معركة  
رهبة بين جيوش الإسلام ، وجحافل الوثنية  
ثبتت فيها الفلة الواضحة ثباتا عدا من الخوارق  
إذ كان عمود يقسم رجلاه فرقا فرقا ، ويحطلم  
يتناوبون الأماكن المخلفة كل يوم ، فأوقع  
في نفوس أعدائه أنه يصحب معه عددا  
أكثر من عديم القراي ، إذ يرون  
كل يوم من المسلمين جديدا لم يقفوا  
عليه من قبل ، وكانت مذبة خطيرة ستط بها  
نحوون ألفا من الهنادكة وعبر المسلون على  
أشلائهم المزاحمة طريقهم إلى الصنم بالمعبد ،  
توجه السلطان إليه بنفسه فهلك عليه بالحديد  
حتى انفجر جوفه عن ثروات كانت تسيل في

وكان الوثنيون يظنونها حصنا طبيعيا  
لا يستسلم لعدو قاصح ١١ فهم يستصمون بها  
آمنين ١١ ولكن المريجة الحديدية تدفع عمودا  
إلى قيادة جنده ضاربا المثل بنفسه ، حين  
يتقدم الكتابب الفاذية في فلاة مترامية  
يشتمل بها القيط ، وتفجر مرامها الفاحلة  
عن مهالك ذات أهوال ، فلا ماء يروى  
ولا شجر يظل ، ولا ثمر يشبع ١١ ولكن  
الأمل في نصرة الإسلام قد أمده بالماء والثر  
والشجر ، فهانت لديه الصحاب ، واستعذب  
الآلام حتى بلغ مبتغاه ففاجأ الأعداء .

وقد كان مبدأ الهنادكة في سومنات معقد  
إيمانهم وقبة أظفارهم ، فهم يكتسبون من  
صنمه الناموس في حيونهم مثقلا بأوقار  
الذهب والفضة والماس مقدرة على الجهاد ،  
ومعونة على الزاحفين ، وقد أذاعوا ثباتا  
بينهم أن غضب إلهمم الأصم في عبيد  
سومنات على أتباعه العاصين هو الذي أمد  
السلطان الفزوى بالنصر انتقاما لحقه وثارا  
من مروق أتباعه ، وما ظنك بمعبد مقدس  
ينفض على ست وخسين سارية ترصع بمقايح  
الذهب وقلائد الجوهر ، وتمتلئ ساحاه  
وأركانه بمئات من التماثيل المصنوعة من  
الفضة الخالصة والذهب الحر ، أما الصنم  
الأقدس فقد امتلا جوفه بثروة ضخمة

المؤلفات ، وهو بذلك قد سبق نظام الملك السلجوقي في إلقاء المدارس ، مما يبطل دهرى ويأدنه الأولى في هذا المضمار ، وقد كان من بين من يعموا ساحاته من أبطال الفكر البيروني العالم الشهير والحمداني والعيني والبتي والشافعي من أدباء اللغة العربية والعنصرى والسجدي والأسدي من أدباء اللغة الفارسية ، وقد استدعى ابن سينا على شوق فلم يجب دعوته لصلات قديمة كانت بينه وبين السامانيين ، رأى أن يوليها فلا يتصل بمن فرض سلطانهم في الحياة .

وكان عدله المنصف بين أفراد رعيته سبياً وطيداً في نطق المسلمين به ، ومن غشواته التادئة في إحقاق الحق أن بعض الناس شكوا إليه ابن أخيه إذ ارتكب جريمة قتل ظناً مدلاً بمكانته من عمه ، لحق بمحمود الأمر بنفسه ، واستمع إلى الشهود في غيظ وغضب فلما يقين الأمر ، دعا ابن أخيه ، وقاده إلى أحد غرف القصر ، ثم أطفأ المصباح وذبحه وطلب جرة ماء ، ويقول الباحثون في تطليل ذلك أنه كان يجب ابن أخيه حياً ، وقد أطفأ المصباح حتى لا يرى وجهه فتأخذه به شفقة قتل يده عند التقاصر ١١ وهذه الحادثة وحدها تجسدك جمال العدل وأصدق معانيه ١ وهي تفتي عن مئات الصفحات في تدوين شقائق هذا المنحرف المؤمن الحريص .

كل اتجاه مسيل الماء ، ثم حمله الملك الظافر ليضحه بين أحجار عتبات مسجد الفخيم بفزنة ، فكانت كل مصبل يطأه بقدمه خمس مرات ١١ ولعل الذين ينهرون السلطان يجب المال يعرفون أن الهناكة قد عرضوا عليه قبل معركة سومنات أن يشتدوا الصنم بما يريد من مال مهما جل ، ولكنه صمم على الحرب لأن الهدف من المنح الظافر هو تحطيم الصنم لا جمع الأموال ، وقد صدقت فراسة محمود إذ أن الهناكة المنحدرين في المهمل الذي قد غاصرهم شك في الوهية حين رأوه يتساقط من فجراً ثم يجر على الأرض في امتنان ، فراهم معتقدون الوام ، وأقبلوا على الإسلام بدرسون مبادئه حتى اعتنقوه من بصر وبقين ١١

أقد انتهت غزوات البطل بالنصر ، وإذا كان قد رزق الخطوة السعيدة في جهاده المؤمن ، فقد كانت أعماله الحربية لا تقف حائلاً دون إصلاحاته الداخلية إذ أن بلاده تمتعت بكثير من مناحي التعمير والازدهار والرخاء ، وأصبح بلاطه مقصد العلماء والأدباء والشعراء وقد أسس في غزنة جامعة كبيرة حشد لها الأساتذة المختارين من شتى البقاع ، وأجرى حل طلابها الرواتب والجرایات وزينها بخزانة ثمينة تجمع أنفس الكتب ، وأغزر

الطراز الأول ، انصف بالسداة ورواية  
العتون والمعلوم فهو جدير أن يمد من أحاط  
الملوك طرا .

كما نقل الدكتور أحمد محمود الساداني في  
حاشيته ص ٩٨ رأى المؤرخ الأوربي  
لين بول في محمود إذ يقول : « إن ذلك  
السلطان الذي أقام تلك المنشآت الضخمة نفذة  
وأقام دور العلم ودعا العلماء حتى كان محمود  
علمهم بما لا يقل عما يعادل ما تقي ألف  
من الجنهات كل علم ، فضلا عما كان يجري  
على طلبة العلم من الأرواق لا يمكن أن يسلك  
في ذمة البرابرة العظيمة ١١ » .

هذا هو محمود الغزنوي وهذا بعض أياديه  
على الدين والأدب والعلم أفلا يصح بعد ذلك  
أن نفرد له عشرات الكتب وأن نمنحه بعض  
ما تمنح نابليون والإسكندر وهانيبال ١١

محمد رجب البيومي

المدرس الأول بدار المعلمين

لقد هم بعض الكاتين من المنادكة على  
السلطان في تاريخ غزواته ، وذلك طبيعي  
لدى من يتصبون لفومية ، ولكن المادلين  
من هؤلاء لو أنصفوا البطل لذكروا ماله  
وماعليه ، ومن بينهم المؤرخ الهندي دبراساد ،  
إذ يقول نقلا عن ترجمة الدكتور أحمد  
الساداني بكتاب تاريخ المسلمين في شبه القارة  
الهندية ص ٩٧ :

« إن محموداً لم يد في نظر المسلمين غاربا  
ومجاهداً كبيراً أخذ على نفسه القضاء على  
الشرك في مهاد الوثنية ، وهو في نفس الوقت  
عند المنادكة طاغية مخرب ، حلم مقدساتهم ،  
وهمر معابدم وآذى شعورهم الديني في  
كثير ، ولكن المؤرخ المنصف حين  
لا ينفذ من حسابة تقاليد العصر الذي كان  
يمش فيه واعتباراته ، لا يسه إلا أن يقرر  
أن محموداً كان دحيا بارزاً من خيرة القادة  
والوعاء ، وحاك حازما وجنديا صقريا من

## دستور عمر لنفسه

قل أن يضع عمر ، الخليفة الثالث دستورا للولاة وضع دستورا لنفسه : قوامه أن الحكم  
محنة للحكومين ، وأنه لا يصلح إلا بشدة لا جبرية فيها ، ولين لا رهن فيه . وأن الخليفة  
صئول عن ولاه ، واحدا واحدا ، في كل كبيرة وصغيرة ، ولا ينفية من الوم أنه  
أحسن الاختيار .

نحو مذهب ربيع بن زكريا الفقيه البغدادي :

## من معالم الطريق للاستاذ فتحي عثمان

« أنه سئل الفقيه نجم الدين : أتفتي بهذا أيضا ؟ قال : نعم . كما أفتى به أيضا الحاتوقي ومفتي الروم أبو السعود ، والشيخ حامد الحمادي في فتاواه الحامدية . »

« وقد نقل صاحب ( الدر المختار ) آخر ( فصل القرض ) أنه ورد الأمر السلطاني وقضى شيخ الإسلام بأن لا تزيد المنفعة عن خمسة في المائة من مبلغ القرض ، فإذا زادت يعاقب الشخص لمخالفة الأمر السلطاني . »  
« ونقل ابن عابدين أيضا في حاشيته هنا عن كبار رجال المذهب كالحصاف ومحمد بن سلة جوازه ، وعن بعضهم كراحته . ثم نقل عن السامحاني : ( أنه صدر أمر سلطاني مبني على قضي أخرى برفع نسبة المنفعة إلى خمس عشرة في المائة وعليها الصل ) ؛ لأن الأمر بها متأخر عن الأول فكان معدلا له . »  
« ونقل ابن عابدين عقوبة من يخالف ويأخذ زيادة عن الحد المحدد في الأمر السلطاني بأن طاعة أمر السلطان بمباح واجبة . »

« وقد بحث ابن عابدين في أن مجرد مخالفة الأمر السلطاني في عقد لا توجب فساد العقد . »

« ذكر حاصل ( الدر المختار ) في آخر باب ( القرض ) من كتاب ( البيوع ) : أن شراء الشيء الرخيص بالثمن العالي في مقابل الاستقراض من البائع جائز للمحاجة ، وقد سموا ( بيع المعاملة ) . وهي طريقة للقرض بمنفعة . »

« وذكرها أيضا صاحب ( الدر المختار ) نفسه قبل ذلك آخر باب ( المراجعة في البيع ) قبيل فصل القرض باسم ( المراجعة ) : وهي أن يبيع الدائن للدين شيئا بأعلى من قيمته بحيث يحصل للبائع ربح يعادل الزيادة التي يريد لها لقاء تأجيل الدين إلى المدة التي يطلبها المدين . »

« وقد صرح في هذا المكان من الدر وحاشيته نقلا عن فقهاء المذهب أنه : لو قضى المدين الدين قبل حلول أجله الذي عقدت من أجله المراجعة ، أو إذا توفي المدين بعد المراجعة قبل نهاية الأجل فاستوفى الدائن دينه من تركه المدين لحلول الدين المؤجل بسبب وفاته فإن الدائن لا يستحق من المراجعة إلا بنسبة ما مضى من الأجل ، وإذا كان قد قبض الربح وجب عليه رد حصة ما بقى من الأجل . »

« ونقل ابن عابدين هنا عن صاحب القضية



نصبح هذه الآنية حقيقة واقعة ، ينبغي أن تقوم نهضة عليية قوية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن ، ونرجو أن يكون من وراء جعل الفقه الإسلامي مصدرا من المصادر الرسمية للقانون الجديد ما يعين على هذه النهضة .

• • •

ومن أول مجالات هذه النهضة العلمية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون المقارن جامعة الأزهر ، وكلية الشريعة منها بوجه خاص .

هذه الكلية تستطيع أن تهيئ المناخ الصالح الذي يشق في ظلّه التعامل الفكري بين تراثنا الفقهي وبين الدراسات القانونية المعاصرة . ونستطيع أن نسهب على طريق هذا الشكوى الفقهي المؤمل المعالم التالية :

#### بالنسبة لدراسة الفقه الإسلامي :

يلبغى أن نكون الدراسة الفقهية العالية في مستوى الكليات دراسة مقارنة ، ولا تكون مقصورة على مذهب معين ، ويمكن الرجوع إلى أمهات كتب الفقه التي اهتمت على القرآن والسنة بصفة أساسية دون أن تلزم التقيد بمذهب معين مثل كتب ابن حزم ( المحلى ) مثلاً وابن رشد ( بداية المجتهد ) مثلاً وابن القيم ( زاد المعاد وإعلام الموفين ) مثلاً والشوكاني ( فيل الأوطار ) والصفار ( سبل السلام ) وهكذا ...

ولكن هذا يدل على أن الأمر السلطاني إذا تضمن التصريح بطلان المقادير المخالفة فإنه يكون باطلاً حتماً (المر المختار ، ورد المختار) . وقد ذكر ابن عابدين أيضاً في (رد المختار) آخر الباب الأول من (كتاب القضاء) أن صاحب (البحر) ابن نجيم قد قل من أئمة المذهب : أن طاعة الإمام في غير معصية هي واجبة ... هذا أصل جليل ...

نخرج منه بصورة تاريخية فقهية رائعة لتطور الزمان ، وبروز صور من المعاملات نتيجة لضغط الظروف الاقتصادية ، ومرونة الفقه الإسلامي في مواجهة الأحداث المتجددة . ونخرج منه بأصل تشريعي جليل يعطى اجتهد سلطاتنا التشريعية مكاتمه وأهميته في بناء تشريعاتنا المعاصرة .

وكل هذا ، بلق علينا عبثاً أقل من المسئولية . المسئولية لتبقى قهنا المعاصر ، وتشريعاتنا المعاصر ، على ضوء الدراسة الجادة الوعى ، والتفاعل الخلاق مع واقعنا الاجتماعي والفكري ... بقول العميد السخوي في مقدمته الزائفة لكتابه ( الوسيط في شرح القانون المدنى الجديد ) :

• جعل الشريعة الإسلامية هي الأساس الأول الذى يبنى عليه تشريعاتنا ، لا يزال أمنية من أهم الأمنيات التى تحتلج بها الصدور وتنطوى عليها الجوائح ، ولكن قبل أن

بصفة خاصة من كتب الحراج ، ومنها ما ألفه أبو يوسف ويحيى بن آدم ابن قرشي ، فضلا عما أورده كتب التاريخ من تدوين المديونات وجمع الزكاة والحراج وتوزيع العطاء والأرزاق إلى غير ذلك من الموارد والمصارف المالية ، وفي مقدمتها كتب تاريخ الطبري والبلاذري وابن عساكر وابن خلدون ... إلخ ، كذلك كتب « السيرة » التي تناول قصة الغيبة الزيدية . ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة الحراج للدكتور ضياء الدين الرئيس ، والحراج للدكتور بدوي عبد القاطب عوض .

٣ - القانون الدولي العام والخاص :  
للتريعة الإسلامية أحكامها في السلم والحرب والمهاد والعلاقات الدولية ، وفي أحكام الذميين والمعاهدين والمحاربين والمستأنسين ... إلخ ..

وقد وردت مباحث ضافية عن ذلك في كتب الفقه وخاصة الموسوعات : مثل المبسوط للرخصى ومدونة مهنون ، فضلا عن كتب السيرة للأرزاقي وأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني ، ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة كتاب الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادي بالانجليزية : سيرة الدولة الإسلامية ...

٤ - القانون الجنائي :

يجب الاهتمام بدراسة القسم العام من

وقد سبق أن كتبت في « الفكر الإسلامي والتطور » ، أقترح أن يكون التخصص في الفقه موصوعيا لا مذهبيا : فيكرن التخصص في الفقه الجنائي أو المدني وفي الفقه الدستوري أو الدولي ، لا في مذهب بيته ...

وقد تقدمت بذكر مسهب للجهات المختصة أثناء قيام لجان تطوير الأزهر بعلمها تعرضت فيها لفروع الدراسات القانونية المعاصرة ، وإسكان دراسة الفقه الإسلامي على هدى منهجها في التصنيف والتقسيم ... وأنا أنقل هنا ما سبق أن ذكرته في للذكر المشار إليها :  
(١) - القانون العام :

١ - القانون الدستوري والقانون الإداري : يمكن دراسة نظام الحكم في الإسلام ، وقد أدخلت هذه الدراسة في دبلوم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ، ويمكن الإفادة مما كتبه المتكلمون والعقلاء عن الإمامة ومن كتب مثل السياسة الشرعية لابن تيمية ، والطرق الحكمية لابن القيم ، والأحكام السلطانية للبارودي ، ومنها لأبي يعلى ، ومقدمة ابن خلدون ، وكتب الحسبة ... إلخ ...

ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة الخلاصة للأنهوري بالفكرية والنظريات لسياسة الإسلامية للدكتور ضياء الدين الرئيس ...

٢ - التشريع المالي : ويمكن الإفادة

### (ج) الفلسفة القانونية والاقتصادية .

من المرجح أن نورد دراسة الفلسفة الحرفية أو فلسفة الفكر القانوني تجمع فيها آراء الأصوليين ، والمتكلمين والفلاسفة والمفتين في فلسفة التشريع الإسلامي ، ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة : كتاب فلسفة التشريع الإسلامي لصبيح محصاني ، وبعض كتابات السنهوري .

كذلك من الممكن لقاء أعضاء على الفلسفة الاقتصادية الإسلامية .

على أنه من الأصل أن يندمج الدراسات الإسلامية في بعض الفروع مع الدراسات القانونية في دراسة موحدة مقارنة ، فهذا أعون على التفاعل المنشود ، وعلى تكوين الفقيه القانوني والادوق الفقهى ، وبخاصة في فروع القانون التي يمكن أن تنقسم فيها إنباء الفقهية الإسلامية مع المادة الفقهية المعاصرة مثل الأحكام المدنية باستثناء الأحوال الشخصية والقانون الدولى ، وكذلك فروع القانون التي لا تشغل الكتابات الإسلامية فيها حيزاً مذكوراً مثل قواعد المرافعات والإجراءات الجنائية والأحكام التجارية والفلسفة الاقتصادية .

• ونسكون هناك دراسة نصية في أمهات كتب المذاهب ليألف الطلاب البحث الجاد

القانون الجنائى ، ويشمل أحكام الشريعة الإسلامية في الجريمة والجرم والعقوبة ، ومبحث المسئولية الجنائية ، ولا تكون الدراسة مقصورة على الأحكام الجزئية في القصاص والمحدود والتعازير ، كما يلزم أن تكون هناك دراسة موضوعية تاريخية لفقه الإجراءات الجنائية في الإسلام ، ومن الدراسات الإسلامية المعاصرة : التشريع الجنائى الإسلامى - لعمدة ، التعذيب للدكتور عبدالعزيز عامر ، الجريمة والعقوبة والمسئولية الجنائية لأحمد قحى بهنى ... إلخ ... .

### (ب) القانون الخاص :

الحاجة ماسة لبدل محاولات لتأصيل نظرية الالتزام في الفقه الإسلامى ، مع الاستئناس بالدراسات المعاصرة ومن أهمها . السنهوري مصادر الحق في الفقه الإسلامى . الزرقا : المدخل الفقهى العام . شفيق شحاته : نظرية الالتزام في الشريعة الإسلامية . صبحى محصاني : نظرية الموجبات والعقود في الشريعة الإسلامية .

ويمكن إبراز وإفراد بعض مباحث البيوع والشركات والرهن والكفالة لمحاولة تبين ملامح الفقه الإسلامى في الأحكام التجارية . كما يمكن إبراز وإفراد الدراسات المبثورة عن القضاء والشهادة والذهوى والإفراز لمحاولة تبين ملامح فقه الإسلامى في أحكام المرافعات .

أن تدوس كذلك في كلية الشريعة مع الاستئناس بالتوجهات الإسلامية العامة ، مثل : علم الاجتماع القانوني ، علم الإجرام أو علم العقاب ، مبادئ الطب الشرعي ، وذلك فضلا عن دراسة تشريعات العمل والتعاون والإدارة المحلية من التشريعات القانعة .

\*\*\*

ينبغي أن يسود الدراسة في كلية الشريعة أساسا اتجاه عام يشمل في التجميع والتركيب والتأصيل ، وتقديم النظريات العامة بقدر الإمكان بدلا من دراسة المسائل الفقهية اشتاتا وتفاديق ، فهذا وحده هو الذي يخلق لدى الطالب ذوقا قانونيا ، بدلا من إنحزام الذاكرة بالمعلومات الجزئية التي لا يمكن أن يتسع للإحاطة بها منهج ولا وقت ...

على أنه لا بد من تعويد الطلاب على البحث واستخدام المراجع وبخاصة المطبوعات والأهميات ، وتكوين المزاج العلمي الذي درب على معالجة النصوص وتضمين الفقه الفقهية أسلوبا ومنهجيا

وستستفيع الدراسة الفقهية على هذا النحو من الدراسات القانونية المعاصرة ثم يأتي الوقت الذي تقتضيه فيه المعرفة القانونية العالمية من جديد بثقافة الفقه الإسلامي المعاصر المتطور ... ولكل أجل كتاب .

واقه يقول الحق وهو يهدي السبيل

فقه عثمان

المتعمق في المراجع الأصلية ، ومن ذلك : كتب الإمام الشافعي والحراج لأبي يوسف والسيوط الكبير لمحمد بن الحسن والمبسوط للسرغسي ومدونة سحنون ... إلخ ...

• وينبغي أن توجه عناية خاصة لدراسة تاريخ الفقه الإسلامي دراسة حية تقوم على أساس متابعة تطور المجتمع الإسلامي والفكر الإسلامي ، ورصد الآثار المتبادلة بين الفقه والحياة في تاريخ المسلمين .

وبالنسبة لدراسات القانونية المعاصرة :  
• يرجى الاهتمام بصفة خاصة بدراسة المدخل للعلوم القانونية ، ويجب ألا تقل محاضراته عن ست محاضرات أسبوعيا ، ليتعرف الطالب على الأسلوب العلمي المعاصر في الدراسات القانونية ، ويتفهم روحها وفلسفتها .

• كما يرجى الاهتمام بدراسة تاريخ القانون مع العناية بصفة خاصة بتجديد منزلة الشريعة الإسلامية في البناء القانوني العالمي . والتاريخ نور كشاف ، على ضوءة تتحدد الأصول والمعامل في إطار تركيبي يعين على الفهم الصحيح للعلم على هدى السن الاجتماعية الإنسانية ، خاصة بالنسبة للعلوم الاجتماعية والإنسانية والتاريخ منها .

وهناك دراسات قانونية حديثة شرعت كليات الحقوق بجامعة تان في دراستها ، وتنبى

# النسخ في تقدير علماء الأصول

للأستاذ عباس طه

( معناه - جوارده ووقوعه - أقسامه - حكمه )

- ٢ -

وكذلك يستدل المانعون بقوله تعالى : « وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون . قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للصلين ، وذلك أنها تدل على أن الذي يأتي مكان آية آية لا حديث ، وقوله : « قل نزله روح القدس ، يدل على أنه منزل من عند الله ، وذلك هو القرآن . ويدفع المجزون هذين الدليلين بأن قوله : « وإذا بدلنا آية مكان آية ، لا يبنى أنه قد ينسخ حكم آية بحديث ، فإن عبارة ( إذا صنعت كذا ) لا تدل على أنه لا يصنع إلا ما ذكره ، وقوله تعالى : « قل نزله روح القدس ، يقتضيه ما نزل قرآنا وما نزل سنة ، فإنه لا ينطق عن الهوى .

هذا طرف من أدلة المانعين والمجيزين ، فكتفي به في الجملة علما بأن استقصاء مثل هذا مما يكل أذنان جمهور القراء ، وإنما ظم من مثلهما بما تقاربه مدارك الأوساط ، ومن شاء الاستقصاء لحبذا المقصد ، ولكن

لا تنسخ صفحات المجلة لغيره بل على ذلك كتب الأصول .

وعن منع نسخ الآية بالحديث الشافعي وأحمد ، وعن أجازه بشرط التواتر مالك وأصحاب أبي حنيفة وابن شريح وكثير من المتكلمين أشاعرة ومعتزلة ، على خلافه في الوقوع كما ذكرنا آنفا .

أما حكمة النسخ فالكلام فيها في موضعين : ( الأول ) حكمة النسخ على الصوم ، ( والثاني ) حكمة نسخ التلاوة مع بقاء الحكم ، أو نسخ الحكم مع بقاء التلاوة .

فالقيام الأول يكفي فيه ما سبق الإشارة إليه من أن الدين نزل تدريجيا فترية قوم تأصلت فيهم عادات ومألوفات ، حتى اعتقدوا فيها أنها المكارم ووسائل المجد ، ومرجع الفخار ومقياس حرة النفس ، وقد اختار الله تعالى وجلت حكمته أن يبعث رسوله من هذا النصب الذي بلغ ثغابة العظمى في تقدير أسباب المجد والمآثر ، وغلبت على نفسه وجهة المنعارة

نبيهم لينأملوا آثامها ومعارها ، ثم اقرأ قوله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ، فزاد قلوبهم إلى أنها لا تناسب هذا المقام العظيم ، مقام وقوف العبد بين يدي ربه يناجي به بكلامه بكل خضوع ، ويستنزل رحمته بكل جهد ، فينفى أن يكون حاضر كل العقل ، حتى إذا تفلطوا إلى مناقتها لأعظم مقام فصل إليه نفوسهم ، وجرى حوادث ذات قلوبهم إلى ما فيها من ضرر ، تصوفوا من آثامهم لتحريرها بنا الجفا. قوله تعالى : « يا أيها آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » . إيمانهم يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متهمون . . . أفلا ترى كيف كانت الحكمة البالغة في تربية شعب اصطفاة الله من بين الشعوب باختيار رسول منه ، لما أودع فيه من صفات النبيل والمجد ، فيقيها له بعد أن ينقيها عما علق بها من الأدراخ ؟ وكذلك آيتنا القربص حولا والربص أربعة أشهر وعشراً : كان الأول علاجاً لمادة نأصلت في نفوس أشراقهم ، واعتبرت وفاة من الزوجة لزوجها المتوفى عنها ، وهي أنها تحرم على نفسها الرجل من بعده ، فكان في هذا وفاة حقاً ، ولكنه

والحدث بالمحمد والفرار من المذموم بدرجة ما عرفت في شعب غيره ، وبكفى في ذلك تدبج ما كان يثرو بينهم من الحروب الطاحنة إلى درجة التفتان بين المتطاحنين وبقى ذلك سنوات عديدة فما كانت أسباب ذلك ترجع إلى التزاحم على مال أو متاع أو اقتناء ثروة أو غيرها مما هو هدف الحروب في زماننا هذا ، بل بين المتحضرين كافة في كل وقت ، وإنما كان مرجع حروبهم في الكثير الغالب هو الحية في الشرف والنعرة في التفاخر والاعتداد بالمعضية والتبريز في المجد والنبيل ، فشعب هذا شأنه وقد اختاره الله تعالى للقيام بنصرة نبيه ونشر دينه ليس من الحكمة أن يمسى قصراً ، وأن تنزع منه مألوفاته قوياً ، بل الحكمة كل الحكمة في أن ينقل تدبيرها من حالة إلى حالة تليها حتى إذا ركن للثانية انتقل إلى درجة تليها ولم يجرأ .

يتجل هذا في تحريم الخمر التي كان يتغنى بها شعراؤهم ، وبقباها قتيانهم ويتحدث بها فحشانهم ، يرونها أمارة الرجولة وعنوان الشهامة رزمة الفتوة ، لجأت الأحكام والآيات تستأجر من نفوسهم رويداً رويداً ، حتى استقر أمرها على المنع البات وقرأ إن شئت قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل » ، فلو كان ذلك من الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ، فقد

الذي أهدنا له جل شأنه بتقدير الحكم الذي كان يناسبه مناسبة متصلة في الأمة إلى حكم مناسب للدوام والاستقرار فتزداد شكراً ويقوى امتثالنا للحكم راقنا عنا بالرحمة المودعة فيه ، فقد يكون انتقالاً إلى أعف فنشكر نعمة التخفيف ، وقد يكون انتقالاً إلى حكم أشد من الأول فنشكر نعمة التهذيب لفوضنا ، والتعريض للزيادة في مثوبتنا ، ونفع الأحكام التي ورد عليها الفسخ تقرأ للعجب العجيب .

وأما القسم الثاني : وهو نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فيظهر في كل آية بما يناسبها ، وإذا كان السؤال في آية الرجم فلنخصها بالذكر ، ولنبد فيها ما يظهر لنا مما نقتصر له الصدور .

لقد وردت الآية في عقوبة هذه الفعلة الفاحشة جسد المعش في نفسها ، التي تزداد لحناً إذا رقت عن لم يكن ليظن به أن يتردى في هاويها ، وينلوث برجسها ، ويفتزع بشناعتها ، وهي مع كونها إجراماً خبيثاً فيها معنى المعش والعار والقيح حتى فتح تكرار سيرتها ، فهي مما يستحي من تكراره ، وهي من الشناعة بحيث ينبغي أن نذكر في ذلك ما يستحيل ولا يكاد يقع ، وما ينبغي أن نذكره الأسماح من تكرار سماعه والألسنة من تكرار التنفط به .

وإذا حتى نخرج عن اعتباره فضيلة ، فالظلم لا يدوم وإن دام دمر ، ولكن العدل إن دام همر ، فلم يكن من الحكمة أن تقطع صفة الوفاء الأبدي المندسة في نظرم إلى الحكم الذي أراد جل شأنه أن يستقر الأمر عليه ، وهو تربص أربعة أشهر وعشراً طفرة واحدة ، بل الحكمة كل الحكمة أن نكون الفاعل على درجتين : ( الأولى ) إلى حالة كان يراها بعضهم والعقول تسيفها بعد الأولى بسيرة ، وهي تربص الحول . ومن يبك حولا كاملاً فقد اعتذر . ( والثانية ) بعد هذه وهي ما استقر عليه الحكم ، وهو كاف للوفاء عند الإنصاف .

وهكذا إذا نقبص الأحكام التي نسخها وأحدثت التأمل ، وإليك ظافر بحكمة تزيدك إيماناً وشكراً وينطق لسانك بقوله جل شأنه : والحدقة الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

الموضع الثاني : حكمة بقاء التلاوة مع نسخ الحكم . أودع التلاوة مع بقاء الحكم . وقد ذكرنا فيما سبق أن معنى نسخ التلاوة هو نسخ حكمها ، أي لم يبق للآية صفة القرآنية . من التعمد بتلاوتها ، وصحة الصلاة بها ، ونحو ذلك . فأما القسم الأول وهو بقاء التلاوة مع نسخ الحكم ، فتجعل لنا حكمته البالغة في توبيخنا ، ونشهد التدرج في الحال

أنك تسقيج نفسك التحدث إلى بنيك  
وبنائك بأخبار سرقات أو قتل أو نهب ،  
وتتعاشى أن يصل إلى سمهم أو سممن  
أخبار منك الأعراض أو تعرض الرجال  
النساء وتعرض النساء للرجال وعلى ذلك  
يكون أصل الفريضة لخطرها ثبت بقرآن  
بلى ، كما أشار إليه عمر وعنه في  
خطبته السابقة ، ونزبه الإسماع والألسنة  
عن تكرار ذكره ، وإدواجه في سلك  
ملا يكاد يحصل حتى يتعرض له — مدعاة  
لنسخ آيته ، وبذلك تجعل الحكمة البالغة  
في التشريع بآية قرآنية ثم نسخها مع بقاء حكمها .  
وأما حكمة نسخ التلاوة والحكم جميعاً فإنها  
تعلم بالقياس إلى ما ذكرناه وبإبقاء التوفيق ؟

عباس ط

هذا كله في فرض أن يقع من ذاق هذا  
الامر وعرف قيمته ، وأما أصل وقوعه  
عن لم يعرفه ولا سبق له غشيانه في حلال ،  
لهو بما لا يكاد يقتلع كلية من الناس ، فالذي  
إذا فرض لحقه ألا يفرض إلا من فتيان  
لم يتخلصوا من جهالة الشباب ، ولم يتزوجوا  
طعم الزاوج ، فقد يفترون فيه فلا يستحقون  
ذلك الإعدام المزدري ، وهو القتل كما تقتل  
الحشرات الخبيثة ، ولكن يؤذون ، فليكن  
فأديهم أمراً مائلاً أمامهم تنلى عليهم آيته  
كل حين ، أما من بلغ درجة السكال فلا يسع  
العقل أن يصدر منه هذا حتى يتعرض لحكمه ،  
فن الحكمة بعد أن علم أمره أن لنسخ  
تلاوته ويبقى حكمه معلوماً في الشرع ودل  
على البقاء منه على الله عليه وسلم مراداً  
وصنع صحابته من بعده .

وبما يشرح الفرق بين الإجماع والفحص

### ملاحظة

اقرأ في باب أنباء وآراء تعليقا على خطأ وقع  
في مقال الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب .



# ما يقابل عن الإسلام

## أقوال وأقوال .....

للأستاذ عباس محمود العقاد

موضوع الإسلام من موضوع التاريخ  
الإنسانى ، ولا سيما التاريخ المتصل بتطور  
المقائد والنظم الاجتماعية .

وبين يدي الآن خمسة كتب وصلت في يدي  
واحد ، أربعة منها تناول الكلام على  
الإسلام والمسلمين في بعض النواحي العامة  
أو الشخصية ، والخاص منها قد خلا من  
الكلام عن الأديان عامة ، فلا ذكر فيه  
للإسلام ، ولا للسيحية ، ولا لليهودية ،  
أو البوذية ؛ لأنه بحث مقصور على العلاقة  
بين الكيمياء والحياة الحيوانية .

• • •

وأقرب هذه الكتب إلى موضوعات  
الدين كتاب ألفه الأستاذ ف. ك. هابولد  
Happold عن المذاهب الباطنية ، أو المذاهب  
التي تطلق عليها اسم الصوفية ، لما في التصوف  
أحيانا من أسرار ووحية يعلمها بعض أهلها  
ويشيع بين طلابها ومريدتها أنها تخفى على  
غير الواسلين .

لعالم الفتر في البلاد الأوربية عادات متفق  
عليها ، تتكرر في كل فترة من فترات الثقافة  
العامة على نمط يتناسجها .

واحدى هذه العادات التي لاحظناها غير  
مرة في هذا الباب أن مواسمهم ، الطباعية ،  
لا تمر في سنة من السنين دون أن تظهر  
في الموسم بعد الموسم منها كتب عدة عن  
الإسلام والبلاد الإسلامية .

وقد تلمح بهذه العادة عادة أخرى تلاحظ  
في الكتب التي لم يخصصها المؤلفون  
بالموضوعات الإسلامية ولم يفسروها عليها ،  
فقد يصدر الكتاب عن موضوع من موضوعات  
المقائد العامة ، أو موضوع من موضوعات  
التواريخ والرحلات ، أو موضوع شائع  
يتعلق بالحياة البشرية في أدوارها المختلفة ،  
فلا ينسى مؤلفه أن يتناول شيئا من الدراسات  
الإسلامية من جانبها الفكرى أو جانبها  
التاريخى أو جانبها السياسى ، أو جوانب  
الأخلاق والمصالح الاجتماعية ، فلا يتفصل

الحق في الذات الإلهية ، فليس هناك وحدة أو حلول أو امتزاج بين ذات الخالق وذات المخلوق ، وإنما هناك الحب الذي يبطل والانانية ، كما تبطل الأثرة في نفس العاشق حبا للمشوق ، ولكن مع الفارق التاسع بين العشق الإلهي وبين عشق الإنسان للإنسان .

• • •

والكتاب الثاني من الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق بقلم الأستاذ تيموثي وير Ware الذي تخصص للبحث في تاريخ الأديرة والرهبات الشرقية مع تاريخ الشعائر والنحل التي يدين بها الرهبان المنتسبون إليها ، وقد أشار في عرض الكلام على تاريخ بيزنطية إلى أحوال الكنائس والقاهرة رسائر أتباعها وأتباعهم في ظل السلاطين العثمانيين ، فتهد الدولة الإسلامية بالسباحة في معاملة الرعايا المسيحيين وقال إن السلاطين لم يقصروا عن براطة الروم في رعاية البطارقة الكبار ودقساء الدين على العموم ... إلا أنه عاد فقال إن السلطان كان ينظر إلى رعاياه من المسيحيين كأهم طبقة ثانية بعد الطبقة الأولى من رعيته المسلمين ، وقد يكون الخطأ في كلام المؤلف هذا راجعا إلى إهمال المقارنة بين السلاطين والبراطرة في معاملة المذاهب المختلفة ، وإلى نسيان المقارنة بين الأجناس في واجب الإخلاص للدولة التي يقعونها .

تكلم هابولد عن كل طريق من طرق الصوفية المشهورة في عقائد الخنود والقرس والمسيحيين الأقدمين والمحدثين والإسرائيليين في نشأتهم بفلسطين على الخصوص ، وأفرد للصوفية الإسلامية فصلا كبيرا معززا بالشواهد من الشعر والنثر في كتب الانعطاب البارزين من شيوخ الطرق بين الشعوب الإسلامية ، فذكر جلال الدين الرومي والجامي وابن الفارض والطار والحلاج والبساطي وغيرهم من لم يشتهروا في الشرق والغرب ، مثل شهرتهم ، وذكر حجة الإسلام الغزالي ليند إليه ميزان الاعتدال بين المذاهب الصوفية التي يرضاها أهل السنة وبين المذاهب التي جاوزت حد الاعتدال وبلغت من الشغل في القول بالحلول ووحدة الوجود حدا لا يرضاه اللجنة من أئمة الإسلام .

وأ نصف المؤلف إذ قال : إن الإسلام أشد الديانات الكبرى حرصا على تنزيه الذات الإلهية من عوارض البشرية والتجسيم ، سواء ظهرت في القول بامتزاج الإنسان بالإله ، أو امتزاج الإله بالإنسان ، أو ظهرت فيما يسمونه بالتجلى ويعنون به رؤية الحق ، في صورة إنسان أو مخلوق من المخلوقات .

وقسطاس الاعتدال كما شرحه الإمام الغزالي في مشكاة الأنوار ، أن العابد يفتي في حباقة وينسى أنه قار لأنه ينسى ذاته ولا يذكر وجوده الباطل إلى جانب الوجود السرمدي

وفي الكتاب بيان مفصل لكثير من الحوادث والمخاض ، وكثير من القضايا الاجتماعية والأزمات السياسية والعسكرية ، ولكن عناية المؤلف بنظرة نابليون إلى هذه الأمور ونخطه في تدبيرها وتصريفها مع دولته ومع المصريين والعثمانيين كانت أهم وأعظم من عنايته ببيان الحوادث لذاتها أو بيان آثارها وتأنجها ، وربما كانت عنايته بموقف نابليون من علماء الدين وموقف علماء الدين من البعثة العلمية التي أحضرها معه للدرس والاستطلاع هي الفصل الذي يقال عنه إنه يكتنص بين سائر الفصول ، وأنه أجمع الفصول لأسباب التعريف بمقربة نابليون الذي يحبه بعض المؤرخين بين عظماء القادة العسكريين وتظهره مواقفه من قلادة المجتمع المصري الروحيين في مظهره الغالب عليه : وهو مظهر الزعيم الاجتماعي المحنك والقائد السياسي ، أو الدبلوماسي في أكثر الأحيان .

وكان نابليون يرى بعد اختباره لكبار علماء الأزهر أنهم أهل للتوقير والاحترام بحق العلم والمعرفة وحق الورع والتقوى وحق الخلق الكريم والحسنة الراجعة ، وليس بالقليل منهم من كان أهلاً للتوقير والاحترام بحق التزاه وحق النسب العريق ، وكان في مسلكه نجوم وتودده إليهم يؤمن

ولو أنه قارن بين السلطان والامبراطور - أي سلطان وأي امبراطور - لم يبقنا أن الامبراطور كان يأبى على المسيحي الذي يخالف مذهبه أن يعيش في ظله آمناً على حياته مساوياً لأخيه المسيحي في حقوقه وحرية اعتقاده ، ولم تكن عنده طبقة أولى وطبقة ثانية من رعاياه ، وإنما كانت الرعية طبقة واحدة يحق لها الوجود وطبقات أخرى لا توجد في ظله إلا على خوف وحذر وحرمان من حرية العبادة بغير مصادرة واضطهاد .

وقد يلم المؤلف من مقارناته لأسباب التفرقة بين رعايا السلطان أنهم يفترون اضطراباً بحكم الفوارق الجنسية والعنصرية ، وأنهم يعاملون بحسب إخلاصهم للدولة التي تعامهم ، تفرقة في درجات الولاء لا تفرقة في الحرية الدينية التي تكفلها الدولة لأهل الأمة من رعاياها

• • •

والكتاب الثالث عن بوناپرت في مصر للكاتب الإنجليزي كرسيفور هيرولد الذي يكتسب من التدرج الفرنسي والشخصيات التاريخية بأسلوب التباينات الصحفية ، ويحميد الوصف في هذا الأسلوب غير مستغف بأمانة التحري التي ينفل عنها كثير من طلاب التحويل والاستشارة بين المؤرخين الصحفيين أو الرزائين المؤرخين .

وهو يعتقد أن الجامع الأزهر أثر من آثار صلاح الدين وبأخذه الزمو بهذه العلاقات الأزهرية التي جمعت بينه وبين البطل الإسلامي الكبير في مقام واحد .

• • •

وختم ما نقله من الكتب الأربعة فصل من الساعات الأخيرة في حياة الأستاذ الإمام محمد عبده رحمه الله ، وهو فصل من فصول الكتاب الذي ألته السيدة ماري رولات بنت السير رولات عافظ البنك الأهل على عهد الاحتلال ، وقد اختارت لكتابها اسم بناء مصر الحديثة وقصدت بهم بناء النهضة منذ عصر الثورة الميرانية ، وأولم في تدويرها الأستاذ الإمام رائد الدعوة الثقافية - الروحية - قبل الجيل المعاصر .

ومعظم معلوماتها عن نشأة الأستاذ الإمام مستمدة من تراجمه الميرية ولكنها اعتمدت على مصادرها فيما روت عن أخباره الأخيرة وكتبت ما أوردته منها بأحلوب ينم على التعظيم والإكبار .

قالت : « لأنه كان يحس آلام المرض قبيل وفاته ولكنه كان لا يزال مشبع النفس بكثير من مشروعات الإصلاح ونيات السعي والعمل : صحيفة كبرى ، وجامعة جديدة ، وسياحة إلى فارس والهند وروسيا لتنفذ أحوال المسلمين فيها وتدعوه ضرورة الصحة

لأنهم دون غيرهم مناط القدوة الاجتماعية وسرجمع الطاعة والاعتبار اليه الحاكمة ، وقد حاول أن يستخلص منهم الفتوى الدينية بوجوب طاعته ولكنه قنع منهم آخر الأمر بالمعاصرة على المشورة واجتتاب ما يدعو إلى الثورة والتمرد من جانب المصريين .

ويقول مؤلف الكتاب إن علماء الأزهر قد احتفظوا بوقارهم ورماتهم العقالية أمام عجائب العلم الحديث التي خيل إلى علماء البعثة أنها تقع عندهم موقع السحر من أبناء الشعوب البدائية ، ولكنهم قد نظروا إليها - فعلا - نظرهم إلى حيل السحرة وأصحاب السموات وإن كانوا قد فهموا أنها تستند إلى علم جدير بالتحقيق من قبيل ما عرفوه أو سمعوا به من حكمة الأرايين .

قال المؤلف إنه لم تهم حقة قصيرة على عهد نابليون حتى كان الإفرقيون والاسبويون قد علموا ما وراء تلك الحيل من أسرار الكهرباء والكيمياء ، وتبين أن السذاجة كانت من نصيب علماء الحملة لأنهم قدروا الدهشة في غير موقعها من حقول أولئك الحكماء .

وبما يؤخذ من طرائف هذا الكتاب مأخذ تتأمل والاعتبار أن نابليون على رغبته في العلم بأحوال مصر وأحوال الجامع الأزهر على الخصوص ، قضى أيامه بمصر

واجتنبت مظاهر التقليد في الصلاة عليه  
وفاء الراحل الذي قضى حياته في كفاح  
التقاييد والمزوف عن باطل الثناء ، ولكن  
المشيعين له من المسلمين وغير المسلمين كانت  
تغمرهم غاشية الحزن العميق ، وشهد  
بين الجمع رجل يغلبه النحيب فأقبل عليه  
صديق يعزيه ويشاطره المصاب ، فنظر إليه  
وهو يقول : إنه لا يبكي شجوه وحده ولكنه  
يبكي لأولئك المحرومين الذين كان من عمله أن  
يعطوهم عليهم بالصدقات في كل شهر من مرتب  
الشيخ ... وقد كان حظيا فقيرا في الحياة  
وقضى محبة وهو فقير عظيم .

...

ولم يسل كتاب السيدة رولات من الأخطاء  
والسهوات ، ولكنها أخطاء وسهوات  
كأمثالها مما ورد في كتب هذه المجموعة ،  
قد تحمل على نقص العلم بالواقع أو اختلاف  
النظر إليه ، قبل أن تحمل على سوء النية ؟

عباس محمود العقاد

أولاً - أن يبدأ بالسفر إلى أوربة للعلاج  
وإن لم يشعر يومئذ بمبلغها من الخطر ...  
وقد كان يزور صديقه برمل الإسكندرية  
لقضاء أسبوع عنده قبل الإبحار إلى أوربة  
ولكنه لم يلبث أن شعر باستداد وطأة المرض  
وتبرج الألم والاضطراب ، وأقعدته الوهن  
عن الحركة ثم تعذر عليه التنقل فلم يسمح  
منه غير ذكر اسم الله يستمد منه العزم  
والعزاء وطلق يردد في صوت يشبه الهس  
الخافت : الله أكبر .. الله أكبر .. وأدركته  
زوجته بما وسعها من العطف والرعاية  
وهي تصنى إليه فلا تسبين ما يقول إلا أن  
تفهم من حركة الشفتين أنه يوالى التسليم  
بكلتى التكبير ، الله أكبر .. الله أكبر ..  
ولم يكده يستطيع قبل أن تفيض روحه  
إلى بارئها غير التكبير والابقسام وهو ينظر  
إليها ... وقد وقف القطار الذي يحمل  
جثمانه من الإسكندرية إلى القاهرة في غير  
مواضع الوقوف قضاء لواجب الحزن  
والتشجيع ممن كانوا ينتظرونه في الطريق ...

## استدراك

أشرنا في العدد السابق إلى تحريف في الآية الكريمة الواردة في صفحة ٩٧١ العمود الثاني  
ونعيد نشر الآية الكريمة السابقة لها لسهو فيها لم نشر إليه وهي : يا أيها الذين آمنوا اتقوا  
الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين .

## خطأ الأحمدية في تفسير قوله تعالى "وخاتم النبيين"

يرسله الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، آخر الرسل المبشرين عن الله ، فكل دعوى من هذا القبيل باطلة ، وهذا أمر مسلم به ، يمثل جانبا مهما من الإيمان برسالة الإسلام ، من ينحرف عنه فهو خارج على الدين ولو أصر على التمسك بلقب مسلم ، أو رفع عاليا شعارات الإسلام . ويبدو أن بعض المنتسبين للإسلام بالاسم لا يؤمنون في قرارة أنفسهم بهذا ، ويودون ببالغ الجهد لو تحول المسلمون كلهم فناركوهم في اعتقادهم الفاسد .

وهم من أجل هذا لا يهتمون في سبيل خدمة أغراضهم المنحرفة أن يهدموا إسلامهم أساسه . ولقد قام عضو في إحدى الجماعات المنحرفة ( الأحمدية ) في سبتمبر الماضي بنشر المقال التالي :

أرسل إلينا الدكتور تمام حسان المستشار الثقافي للجمهورية العربية المتحدة بنيجيريا بمقال كتبه بالإنجليزية وداعل بعض الأحمدية في تفسير قوله تعالى وما كان محمد أباً أحد من رجالكم<sup>(١)</sup> ، وتعبنا لننفع رأيانا ترجمته وقد أورد سيادته نص مقال الأحمدى ، ثم عقب عليه منفذا ما حواه من أخطاء وصدر الموضوع بهذه الكلمة كقدمة له :

آخر في الإسلام :

العقيدة الإسلامية تبهم كل فرد مسلم ، ومن أقوى الدعائم التي تقوم عليها هذه العقيدة : أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وأنه بلغ الرسالة تامة من غير نقصان . فالإسلام إذا دين كامل يشهد بذلك القرآن الكريم ، وليس هناك حاجة إلى نبي آخر

### قول الأحمدية في "خاتم النبيين"

النبيين في الآية ، ولكن الدراسة الدقيقة للسياق المفهوم منها ، يزيل ما اعترى الأفهام من غموض هو نتيجة لأخطاء سائدة .

ففي مكة حيث مات أولاد النبي الذكور كلهم في طفولتهم ، هيره أعدوه بأنه أبتر (والأبتر الذي لا يعقب ابنا ذكرا) ومقصدهم

د ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما<sup>(٢)</sup> .

لقد ساد الاضطراب في فهم الوضع الحقيقي والمعنى الذي للكريم على ضوء وصفه بخاتم

(١) نصرنا الأصل الإنجليزي بأمر هذا العهد من الجملة

(٢) الأحزاب الآية ٤٠

أولها : أن النبي الكريم كان خاتم النبيين بمعنى أنه لا نبي بعده ولا قبله بالمعنى السليم إلا إذا كانت نبوته تحمل خاتم النبي : بمعنى أن كل نبي سابق يجب أن يذكيه الرسل ويشهد له - كما لا يمكن لإنسان أن يبلغ مرتبة النبوة بعده إلا إذا كان من أتباعه . فالنبوات المدعاة لا تتأكد إلا إذا كانت متفقة مع الوحي - المبلغ عن الله بواسطة النبي - ومطابقة شعائره .

ثانيها : أن النبي أفضل وأشرف وأكمل الأنبياء ومصدر الحنية والسكينة لم جميعاً . ثالثها : أن النبي الكريم آخر الأنبياء المرسلين بشرائع .

والتفسير الأخير قبله كثير من العلماء الأجلاء كابن عربي ، وشاه ولي الله ، والإمام ملا علي قاري ، والمجدد الفارابي وغيرهم . وطبقا لما فهمه هؤلاء الأئمة المحققون : يستحيل أن يأتي نبي بعد محمد بشريعة تفسخ شريعته إلا أن يكون الآتي من أمته .

والسيدة عائشة ذات الدراية والموهبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أزال الغموض الذي اكتنف المراد من قوله تعالى : «خاتم النبيين» حين قالت : (قولوا خاتم النبيين ، ولا تقولوا لا نبي بعده) .

فالمفهوم من هذا أن التعبيرين عند السيدة

من ذلك أن الدعوة سوف يقضى عليها إذا عدم النبي وريثا ذكرًا يحفظه عليها . فاجأت سورة الكوثر لرد على هؤلاء . وتنفي مشيبتهم من النبي وتلصقها بهم .

وكان من الطبعي بعد نزول سورة الكوثر أن تهدأ نفوس المسلمين ، ويطلبوا إلى أن الله سيبارك ذرية فيهم الذكور ، فيمسيحون إلى أن يشربوا عن الطوق ويريروا رجلا .

فلأجل أن تنفي الآية التي نحن بصدد هذا الفهم أكدت أن النبي لم يكن ولن يكون أباً لرجل ما . وتعارض هذه الآية في الظاهر مع ما قرره سورة الكوثر : من أن أعداءه هم البتر وليس هو - وللتوفيق الحق بين الآية والسورة يقول : إن رسول الله أب ووحى للأمم الإسلامية ، ووصفه بخاتم النبيين يشير إلى أنه أب ووحى أيضا للأنبياء جميعهم ، سابقهم ولا-قهم - فإذا ثبت أنه أب ووحى للؤمنين وللأنبياء فكيف يقال عنه : إنه أبتر ؟

وعلى العكس من ذلك إذا قلنا : إن خاتم النبيين تعني أنه آخرهم بمعنى أنه لا نبي بعده فالآية حينئذ تبدو وكأنها تشويز لا تسارق بينها وبين السورة ، وحينئذ لا تدحمر افتراء المعتدين بل تدعم اتهامهم وتقويه .

وتمشيا مع معنى خاتم النبيين نستطيع أن نفرض أربعة معانٍ ترد على الفهم :

## تفنيد هذا القول :

هذه هي المقالة التي تعسف كاتبها وركب الصعب ليشوه بها الحقائق ويؤيد قصده الباطل بتفسيره للآية تفسيراً ملتوياً يتصادم مع الشواهد التاريخية ، إذ ليس هناك ارتباط ما بين الآية التي صدر بها المقال وبين سورة الكوثر .

فتاريخ التشريع الإسلامي يقرر أنه عندما حدد القرآن الكريم المحرمات من ذوات القرابة في سورة النساء آية : حرمت عليكم أمهاتكم ... الخ .

كان بين المحرمات زوجة الابن - ومع وضوح المراد من الابن في الآية وهو الصلي ، إلا أن بعض المسلمين تخرجوا من الزواج بزوجات الآباء بالتبني بعدم - وكان زيد بن ثابت دعيًا الرسول وكان في الأصل رقيقًا وسماه الرسول بعد ضمه إليه زيد ابن محمد - وزيد هذا كان مزوجًا بزوجة قرشية تدعى زينب بنت جحش وكانت تمل عليه لشرفها وسابق عبوديته ؛ حتى قصرو منها وأعلن النبي مراراً رغبته في طلاقها ، فكان النبي ينصحه بإمسأكها ، فاختر الله زينب هذه لتكون مثلاً قارقاً بين الابن الصلي والدعي - وأمر نبيه بأن يتخذ زينب زوجة له بعد طلاقها من زيد . وشغل

حائشة مختلفا المعنى ، والدلالة والتناقض بينهما قائم .

رابعاً : أن النبي الكريم آخر الأنبياء بمعنى أن صفاته وسجاياه كاملة ، وفي القدوة من العلو .

وعاتم النبيين مقصوده هذا . معنى إذ هجر عن نهاية الكمال بما لا يقوم به لفظ سواء . وفضلاً عن هذا فقد جاء في القرآن ما يؤيد بوضوح ظهور أنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وبين هذا من الآيتين الآيتين بما يبدد الغموض ، ولا يدع مجالاً للشك :

« ومن يطع الله والرسول فأرسلناك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » (١) .

« يا بني آدم إني أنا نبيكم رسل منكم بقصون هليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٢) .

والنبي الكريم كان واحداً لديه تتابع النبيين من بعده فقد روى أنه قال : ( لو عاش إبراهيم وولده ، لكان نبياً ) . رواء ابن ماجه في كتاب الجنائز .

وروى عنه قوله : ( أبو بكر خير الرجال ما لم يظهر نبي ) كثر المال (٣) .

(١) الآية ٦٩ - النساء

(٢) الآية ٣٥ - الأعراف .

(٣) تطبيق على القرآن المجيد ج ٢ من المجلد الثاني



وهذه الآيات منسجمة مع القصة السابقة وواضح أنه لا ارتباط بينها وبين سورة الكوثر اللهم إلا في أن كلا منها من القرآن الكريم وإن كانت كل منهما تغير إلى حادثة معينة في حياة محمد صلى الله عليه وسلم .

والجمع عليه أن القرآن الكريم يميل في أسلوبه للجواز والإيجاز .

وإذا تدبرنا معاني الآيات السابقة تحقق لنا حبك نسجها إذ الناقد الصير لا يلبس خلا أو تقط ضعف في سلامة أسلوبها القرآني .

والقرآن حقا معجزة بلاغية نزلت على أفصح جيل من أجيال العرب ، الذين أوتوا الفصاحة والبلاغة دون سائر الأمم .

والآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة الأحزاب تعدتان عن سنة الله في الدين خلوا من قبل ، الذين يلبثون رسالات الله ويخشونه ... ويؤخذ من هذا أمران :

الأول : أن ليس هناك حرج على النبي .  
والآخر : أنه سنة الله في الأنبياء من قبل ، ومن هنا يتبين سوء الاستدلال وخبط الاستشهاد بالآية لتدعيم القضية المقتناة ، كما يتبين بجملة أن الآية تتفق تمام الاتفاق مع ما قبلها ، ومن الممكن توضيح ما تعنيه في ضوء ما يلي :

١ - مضت سنة الله في أنبيائه الذين خلوا أنه لا حرج في تنفيذ أحكام الله .

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الوقت برد الفعل الذي يستتاب حقول الناس نتيجة لزواجه من زينب فأبطل في التنفيذ فأمر الله عليه الآيات التي منها الآية التي فرما الأحمدية .

والآيات المتصلة بهذه الحادثة تتابع رزولها على النحو الآتي :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ، وإذا تقول قلدي أنهم الله عليه وأفصت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكم لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعياتهم إذا قضاوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا . ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . الذين يلبثون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله ، وكفى بالله حسيباً . ما كان محمد أياً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وغاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » (١) .

(١) الآيات ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ من سورة الأحزاب .

يعترفون بصحته ولكنهم يزيفون المراد باستنتاجات مخترعة .

وبدلاً من اعتمادهم على هذا الحديث الصحيح وسيرهم على مقتضاه نهدم يحتلقون حديثاً وينسبونه للسيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويأتون بهذا الحديث المخلوق هكذا : « قولوا حقاً إنه عام النبيين ، ولكن لا تقولوا لاني بعده » .

وايس من رأى أن أبطل هذا الحديث ابتداءً . ولكنني أطالب من ساقه بذكر سنده ورواته من رجال الحديث والمصدر الذي أخذوه عنه ، وأسمح لنفسي أن أنير اللفظ الآتي

١ - من الشائع في أسلوب القرآن الكريم استعمال تعبير مكان آخر ما دام كل منهما يؤدي المعنى المراد . ويلاحظ هذا بكثرة في القرآن الكريم كقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا واسمعوا ووالكافرين عذاب أليم » . (١)

فاختيار أحد المترادفين كان مراعاة المشابهة بين الآخر وبين لفظ مثله في اللغة العبرية يعني الهراء والسخرية .

وفي اللغة العربية كلتا الكلمتين تؤدي معنى انجبه إلينا . وعلى هذا اللفظ يمكن القول بأن السيدة عائشة اختارت أسلوب

(١) الآية ١ - سورة البقرة

٢ - لا حرج مطلقاً في قضية زواج محمد صلى الله عليه وسلم من زينب .

٣ - محمد ليس أبا يزيد بن ثابت ولا لأي رجل ما ، بل هو رسول الله وخاتم النبيين الذين سبقوه .

ولا جدال في المعنى الخرفي لكلمة « خاتم » ولا يمكن تفسير الخاتم بمناه المعروف لأن محمداً إنسان والقرآن الكريم في أسلوبه - كما سبق بيانه - يميل إلى المجاز وإذا كان السياق ينفي عن وجود مجاز في الآية فلتبحث هذا المجاز : كلمة « خاتم » تعني آخر شيء يلزم وضعه على الوثيقة ، ولا يسمح بإضافة شيء بعده ، هذا هو المعنى . ولا يمكن فهم غيره من الآية . وأي تفسير آخر يعتبر فرضاً لرأى بشرى على أمر سماوى .

وهذا المعنى - أى أن محمداً آخر الأنبياء تؤيده الفواحد الآتي :

١ - أنه يقضى تماماً مع آية « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » . فالدين الكامل لا يحتاج لنبي آخر .

٢ - المروى أن النبي عليه الصلاة والسلام نفي محمداً أى نبي بعده بقوله : ( لا نبي بعدى ) وليس هناك - من يشك في صحة هذا الحديث حتى الذين يقولون بنبي آخر ، فهم

الموحد الذي سيؤدي دور المسيح ، وآخر  
عن المهدي المنتظر .

وأخيرا ينبغي أن تذكر أن الآية المستشهد  
بها في المقالة من سورة الأحزاب - ومن  
العجيب أن من استدلوا بها على مقدم  
الباطل غفلوا عن آيتين في نفس السورة هما :  
« إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله  
في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مبينا »<sup>(١)</sup>  
« يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا  
موسى فبرأه الله مما قالوا ، وكان عند الله  
وجيها »<sup>(٢)</sup> .

ترجمة : إبراهيم محمد الأصيل

( ١ ) الآية ٥٧ - سورة الأحزاب

( ٢ ) الآية ٦٦ - سورة الأحزاب

القرآن في التعبير فقالت : عاتم النبيين عاملية  
من لا دابة له بالقرآن وأسلوبه وشامت  
الإيمان له فقالت : أي أنه لا نبي بعدى .

٢ - ولبعض المتطرفين من الفرق  
الإسلامية عادة هدامة - وهي تأييد وجهة  
نظرم باختلاق محض للأحاديث - والشواهد  
على هذا كثيرة ذكرها علماء التاريخ الإسلامي  
وأقرب مثل على هذا ما ذكر من أن الفرع  
السياني من البيت الأموي عندما غلبه الفرع  
المرواني على الخلافة ووجد الفرع الأول أنه  
قد أصبح مجردا من القوة المادية التي تمكنه  
من استرجاع السلطة المفقودة ، بحث عن  
القوة الدينية بوضع حديث يتنبأ بالسياني

## تلييه . . . ١

في مقال الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب ، نظرية الإيحاء ، بين المستشرقين والمسلمين ،  
ورد ما يفهم منه أن معجزة موسى سحر ، وفرق كبير واضح بين المعجزة والسحر فالآخر  
الآتي به مضموم بقول الله تعالى : « ولا يفلح الساحر حيث أتى » ، ولا يتفق هذا مع مقام  
الرسالة ، فوجب التنبيه خشية اللبس ، ونزجي الشكر للسيد الدكتور على ما بذله في بحثه  
القيم من جهود صادقة .

المجلد

## مَحَبَّةُ الشَّجَرِ الْقَدِيمِ وَالْحَبِيبِ

### طَافَةُ مِنْ شَعْرِ الْأَسِيرَةِ

لِلأَسْتَاذِ الْعَوْضِيِّ الْوَكِيلِ

#### ١ - وَلَدِي

شدت شعرا ، أو إن سمعت غناء	ما لعينيك تروا إذا أفـ
خطرات بعيدة ، وضياء	ما لعينيك تبعثن بقسايـ
ك أحاسن أماني الظلالم	ما لعينيك ، يا بني ، وخديـ
ش ، وغادرت شقوتي أشلاء	كلما شئتكم اطمان بي العبد
رقنا كأنهم طاب مساء	هات كفيك يا بني بكفي
ثم أصبحت منية تراهي	كنت لي يا بني بالأمس حلأ
بالرييح الجميل إن هو جاء	كنت من قبل يا بني أغنى
ه وأغدو بصره شفاء	وأحي أطيافه ورائبـ
وأراه لي في الحياة عزاء	وأغني به ، وأغفو إليه
بك كون من الجمال أقاء	ثم أقبلت يا بني وفي عيـ
عدد لا أحده إحصاء	تفحتني بألف ألف ربيع
ك ، وآليت ، لا تركت الغناء	تعتبت يا بني بعينـ

#### ٢ - عَلَى الشَّاطِئِ

بالد من أنفاك العطران	أبني ما نسم المصيف تلاء
وملأته من هذه الخطوات	تمشي على رمل الخليج فزدهي
منها صروحا شمع الشرقات	ولقد تظل على الرمال مشيدا
يشدو هواك بهذه الخفقات	تلهو وقلبي في يمينك عائق
تبقى وتهدم نافذ المزمات	ولقد أراك على ضالك دائما

ترنو إلى البحر الوسيم بمخاله  
ولقد يقوم الموج حولك ماثراً  
وأنا وأملك تحتويك بنظرة  
ولقد أشاركك الفداة ملاعباً  
أبني قنصم ما بنيت فأثوفاً  
وغداً ستبني لي شواخ ذكراً  
تبني قنومك في السلا آمالم

### ٣ - أنموذج حياة

دلفت إلى الكهولة غير وان  
وقلي لا يزال فني طروباً  
تدله بالثالث والمثاني  
ولي بيت كآيات المعاني  
تعاليني الوفاء به حسان  
أغني في غمائه هزاراً  
أغنيه وحولي من بنيه  
دسوقي به يصني ويشدو  
نميش كأتنا في بيت شعر  
نميش كأتنا في غير حكون  
نميش كأتنا في غير دنيا  
لسان بالثناء عليك وطب  
وأقوال مدبجة الحواشي  
وجوه في لغاتك ضاحكات  
فلا يفرك من راض وضاء  
بني لكم على الأيام مجدى  
فمن لم أبني من حجر بناء  
وحسي أنني أحياء حياتي  
وفي حين لا يرجى وفاء

ونابت لقي قبل الأوان  
وإن بك منه غير الغوان  
وبالنسرين أو بالأفصوان  
ومضى لا يشبه بالثاني  
فأرجع بالوفاء إلى الحسان  
أعاب بشدوه طيب الدكان  
مصافير تزقزق للأغاني  
ومعدوح ، بساجلي الشاني  
رفيق الصوغ ، طوى المعاني  
مليء بالتفاق وبالنعان  
تبع بكل ذي حقد جبان  
فهل تدري بما تحت اللسان  
لها سم كسم الأفصوان  
وأضلاع على السوى حوان  
فإن رضاه ومن بالزمان  
ومجد الشعر جيد غير فان  
فإن القصاصد خير بان  
طهور القلب واليد واللسان  
وصول الخليل ، وإن جفاني

# الكتاب

دراسة في كتاب : الزهاوى وديوانه المفقود<sup>(١)</sup> . . .

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

أمثال : الزهاوى الشاعر لأدم ، وحقيقة الزهاوى المبيد ، ومحاضرات عن الزهاوى للحائى ، والزهاوى شاعر الحرية لأنور الجندي ؛ وما كتب عنه من فصول كثيرة نشرت في العديد من المؤلفات ، ومن مقالات ظهرت في مختلف الصحف والمجلات في العالم العربى ؛ وجدنا أن هلال ناجي قد استوعب هذه الدراسات ، وجمع ما تفرق منها ؛ وأبدى رأيه في الكثير منها ، وفي مختلف الآراء عن الزهاوى وشاعريته . .

٢ - يشمل هذا الكتاب على مقدمة وسبعة فصول :

تناول المؤلف في المقدمة الإشارة إلى ما كان بينه وبين الزهاوى من صلات روحية ، كانت الحافز له على دراسته في هذا الكتاب ؛ وإلى منهجه فيه ، وإلى ديوانه « الزنعات » الذى نشره لأول مرة في هذا السفر القيم ، وإلى أشياء أخرى تدور حول ذلك .

١ - الزهاوى ( ١٨٦٣ - ١٩٣٦ م ) شاعر من كبار شعراء العربية في العصر الحديث ؛ وقد ترك شعره دويماً في كل مكان ، في حياته وبسببها . . ولا يزال موضع الدراسة والبحث حتى اليوم .

وإذا كان ما صدر عنه من دراسات وبحوث يعد قليلاً نادراً بالنسبة لمسكاته ومزنته في الشعر الحديث . . فإن دراسة ضخمة جادة ، قد كتبها الأديب العراقى الأستاذ هلال ناجي ، ونشرتها له دارالمروبة بالقاهرة ، تعد أوفى ما ظهر من دراسات حتى اليوم عن الزهاوى وشعره ؛ وقد جمعت كل ما تفرق من دراسات وبحوث ومقالات عنه وعن فلسفته وشاعريته ؛ وإذا وازنا بينها وبين ما ألف عن الشاعر من كتب ، من

(١) دراسة كبيرة تلحق في ٣٨٦ صفحة من الطبع الكبير للأديب العراقى الأستاذ هلال ناجي ، نشرها دار العرب بالقاهرة عام ١٩٦٣ .

أما الفصل السابع فقد اشتمل على تحقيق الديوان الزهاري « النزغات » ونسبته إليه ، وعلى متن الديوان ...

وعلى ذلك عدة ملاحق ، منها مقالة الزهاري نشرت في المؤيد عام ١٩١٠ في الدقاع عن المرأة ، ومقالة له نشرت في السياسة الأسبوعية في ٢ سبتمبر عام ١٩٢٧ حول النثر والشعر ، ودراسة نشرت عن الزهاري في كتاب « الشعر والشعراء في العراق » بقلم أحمد أبو سعد الذي طبعته دار المعارف ببلنجان عام ١٩٥٩ ، وأخرى للدكتور داود سلوم في كتابه « تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي » المنشور في مطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٥٩ .. وعلى ذلك ذكر مصادر الكتاب وفهرست الموضوعات .

٣ — ولا شك أن هذه الدراسة ذات خطر كبير في باب الدراسات الأدبية عامة ، فإن مؤلفها جمع فيها ما عثر عليه من آثار الشاعر وآرائه وما كتبه عنه والعديد من الآراء في الأدب والنقد ، وفي باب الدراسات المتخصصة في شعر الزهاري وشاعريته ، لما حوته من ترجمة دقيقة له ، ومن عرض لآثار شعره وشاعريته ، ومن توفيق في نشر ديوان كامل من دواوين الزهاري لم ينشر من قبل ، وهو « النزغات » . ولهذا الديوان قصة طريفة أشار إليها المؤلف أثناء حديثه عنه ، وكنت أنا

وفي الفصل الأول يتحدث عن حياة الزهاري .

وفي الثاني يذكر آثاره العلمية والشعرية وبعض مقالاته .

وفي الثالث يتحدث عن شعر الزهاري ، ويعطيل في الكلام على شعره الفلسفي ، ويوازن بينه في هذا الجانب وبين المعري موازنة طويلة ، ولقد اقتصر في الحديث عن شعره على هذه الناحية وحدها من نواحي شاعريته وشعره ، مشيراً في أثناء ذلك إلى تأثره بالرصافي ، وآثار التقليد في شعره .

وفي الفصل الرابع يتحدث عن آراء الزهاري في الشعر والشعراء .

وفي الخامس يعرض لآراء المستشرقين في الزهاري ، ومن بينهم : كلمنفاير ، ودلانيدا ، وكراشفكوفسكي ، ويديمير .

وفي السادس يعرض لما كتب عن الزهاري من كتب وبحوث وما نشره عنه من مقالات . وإن كان قد يفوته بعض ذلك من فصول كتبت عن الزهاري في مثل : كتاب مذاهب الأدب ، وقصة الأدب المعاصر ، ومن رواد الأدب المعاصر ؛ ومن آراء أخرى قيمة عن الشاعر في كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » ، للنقاد مصطفى السحرقي ، ومن بحوث منشورة عنه في بعض المجلات الأدبية كجريدة « أبولو » ، وغيرها .

ونشرها لأول مرة في هذا الكتاب الضخم الذي أنحف به قراء العربية وأدبها .

٤ - وهذه الدارسة القيمة سوف تنير - ولا شك - السبيل لكل من يريد الكتابة عن الزهاوي وشاعريته وفلسفته ، وهي - وإن سارت على منهج فيه الكثير من الشمول والتحليل - ذات طابع متين ، وتنطق بما بذل المؤلف فيها من جهد ، وما وفق إليه فيها من نتائج .

ولعل ناجي التهنته حقاً على هذا الجهد الرائع الذي خدم به الزهاوي والدراسات الأدبية المتصلة به وبالأدب العراقي المعاصر .

وفي الحق إن الفترة التي أقامها هلال ناجي في القاهرة ، والتي امتدت من خريف عام ١٩٥٩ حتى عودته إلى وطنه العراق في الخامس عشر من فبراير عام ١٩٦٣ ، كانت فترة خصبة في حياة هذا الأديب المتوثب إذ أخرج فيها ديوانه « الفجر آت يا عراق » وكثيراً من كتبه ، ومن بينها : كتابه عن الزهاوي ، وكتاب « صفحات من حياة الرضائي وأدبه » .

ومن القاهرة نبعت إليه في بغداد كل تحية وتهنئة وإكبار .

محمد هبة النعم ففامي

وأديبين معروفين هما مصطفى السحرقي ووديع فلسطين نلم أنه في حيازة الأدبية العربية الآنسة صفية أبي شادي التي تقسم حالياً في واشنطن وقد فسر الأديب حليم متري سر ذلك لي بأن الزهاوي أودع الديوان لدى سلامه موسى لنشره ، وبعد حين أعطاه سلامه موسى للدكتور أحمد زكي أبو شادي لنشره ، ومضت الأيام وهاجر أبو شادي إلى نيويورك في عام ١٩٤٦ ثم توفي في واشنطن في ١٢ أبريل عام ١٩٥٥ ويصنف مكتبته الحافلة هناك بشمن زهيد واحتفظت ابنة الشاعر من بينها بكتبه المطبوعة والمخطوطة ، وبآثار أدبية قليلة من بينها ديوان الزهاوي المخطوط « الزغات » . ومن طريق نشرت أخبار أدبية في مختلف الصحف والمجلات في العراق عن الديوان .

وسمى وديع فلسطين والسحرقي لدى صفية أبي شادي لإرسال الديوان إلى القاهرة للاطلاع عليه فأحضرته معها في زيارتها لوطنها مصر في صيف عام ١٩٦١ ، وأودعته لدى وديع فلسطين للاطلاع عليه لا لنشره الذي احتفظت به الأديبة حقاً لنفسها للمكيتها للمخطوطة ، واستعار الأديب العراقي الكبير هلال ناجي المخطوطة



## انبثاء وآراء

دفاع عن الإمام أبو حنيفة :

اطلعت على ما حرره وحققه الأستاذ محمود الشريف في (مجلة الأزهر - رمضان سنة ١٣٨٢) عن أخذ الإمام أبي حنيفة بالحديث إلى حد أن الحديث الضعيف أول عنده من الرأي ، فذكرني ذلك بفرية مكشوفة ذكرها القاضي ابن خلكان ، وقلها عنه الأستاذ المخلص الدكتور الحوفي في كتابه الممتع (الطبري ١٨٢) وهي :

أن أبا يوسف كان يحفظ المغازي وأيام الصرب وأنه منى ليستمع لابن اسحاق أوصيه ، وتختلف عن مجلس أبي حنيفة ، قلنا أتاه قال له يا أبا يوسف من كان صاحب رواية جالوت ؟ فقال أبو يوسف : إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك واقه علي رءوس الملا : أيها كان أولا وقمة بدرام وقمة أحد ، فإنك لا تدري أيها كانت قبل الأخرى ، فأصك عنه أبو حنيفة .

وهذا اختلاق تكذبه شواهد الواقع ، لأن أبا حنيفة هو الذي يحدث أصحابه في مسانيدهم عن تفضيل سيدنا عمر أصحاب بدر فيما فرض لهم في الديوان على باقي أصحاب النزوات المتأخرة وهو الذي يتلو في ختماته

ليلا ونهارا (ولقد نصركم الله ببندواتكم أدلة) المعروف نزولها في أحد ، وهو الذي أمل على أصحابه (كتاب السير الصغير) ولا يغفل أن يجهل الإمام تاريخ النزوة التي فيها تجلست قوة جيش الإسلام في أول معركة يخوضها . وابن خلكان قتل ذلك من (الجلس الصالح للعافي الجبري) مع إغفال السند ، ولو ذكره لرأى القاري فيه كذبا مشهورا وهو محمد بن الحسن بن زياد النقاش الكذاب المنكر الحديث - على ما في تاريخ بغداد الحطيب وميزان الاعتدال ولسان الميزان .

والمعافي الجبري ليس من رجال التحري في النقل ، وكتابه هذا يجمع بين الجد والهزل ومن دلائل ذلك ما يحكيه عن المأمون من أنه حمل الإمام الشافعي على شرب عشرين رطلا من النبيذ ، ففعل ولم يتغير عقله ، كما في لسان الميزان ، مع أنه لم يلقه في عهد خلافة البتة ، وهذا كذب بحت .

وابن خلكان يذكّر له تسجيل ما يحيط من الإمام النعمان من كل مصدر قائل ، ولا يترد قلبه عن تدوين أسطورة الأباريق الرصاص عن حماد بن محمد المكشوف الحال ، وصلاة الغفال التي لا يشك في اختلاقها .

من القادرين اعتماداً على قدرتهم المالية، وبهذا يضع ركن هام جداً من أركان الإسلام ، فإنني أرجو أن تبين لجنة الفتوى النص<sup>(١)</sup> الشرعي الذي اعتمدت عليه من الكتاب والسنة ولا أحب - مقدماً - أن يكون الاعتماد على قول فقيه مجرد عن الدليل ؛ لأن هذه الأمور الطامة لا يجوز الاعتماد فيها على مجرد قول فقيه من الفقهاء ؛ إذ أن العبادات يجب أن تقف في شأنها عند ما ورد سواء أكان عاماً بأدائها أم بقضائها لا يجوز فيها قياس ، فهل عند لجنة الفتوى نص اعتمدت عليه في فتواها ؟

عبد المنعم النمر

وحول المجلة هذا الخطاب إلى لجنة الفتوى فردت عليه بالخطاب التالي :  
السيد الأستاذ ورئيس تحرير مجلة الأزهر السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد ورد إلى لجنة الفتوى خطاب من الأستاذ عبد المنعم النمر وهو يحول إلينا من إدارة المجلة ، وفي هذا الخطاب يعترض الأستاذ على فتوى صدرت من اللجنة ( سنة ١٩٥٨ ) ونشرت بالعدد الأخير من المجلة ، وموضوع الاعتراض فتوى تتعلق بإسقاط الصلاة وحكم الفدية فيها .  
واللجنة تنيد الأستاذ أن الفتوى صحيحة

(١) طالع وهذا مفعلاً من لجنة الفتوى في هذا الموضوع في باب الفتاوى من هذا العدد

قلت هذا التحقيق من كتاب ( حسن التقاضى للعلامة الكوثري ) بتصرف وزيادة .  
وقد روى الموفق المسكي بسند صحيح ما وقع لأبي يوسف مع الثمان في هذا الشأن وليس فيه جرح ولا غش بالإمام أبي حنيفة .

مسامح المربع الوراني

إسقاط الصلوة عند العجز

السيد الأستاذ الكبير رئيس تحرير مجلة الأزهر السلام عليكم ورحمة الله

ورد في « باب الفتاوى » عدد شوال من مجلة الأزهر فتوى عن إسقاط الصلاة وهل هو شرعي أو لا ... إلخ ، وجواب لجنة الفتوى عليه .

ولقد لفت نظري أن لجنة الفتوى أقرت إسقاط الصلاة بالفدية كما يفعل العوام حيث جاء في فتواها : « وأما إذا كان قادراً على الصلاة ولو بالإيماء ولكنه لم يفعل حتى مات فإنه يجب عليه الإيضاء بالفدية ، إلخ ما جاء بالفتوى ... ولما كان هذا أمراً يصادم روح التشريع ، لأن الصلاة تطهير للنفس وقد مات تارك الصلاة فلا مجال لتطهير نفسه وتركه خلفه ، والصلاة عبادة بدنية لم أطلع على نص يبيح النيابة فيها ولا يبيح الفدية التي قالت اللجنة الموقرة إن تارك الصلاة يجب عليه الإيضاء بها ، ولما كان هذا يفتح الباب واسعاً لإهمال الصلاة ولا سيما

الفاخرة من مصابة بجرمة اختارت أن يكون إقليم الناضور من شمال المغرب مركزاً لنشر مذهبها الذي لا يتلاءم مع طبيعة الشعب المغربي المثبت بأذيال دينه الخفيف ، وقد أثارت محاكمة البهايين في الأيام الأخيرة الماضية ضجة عالمية ، تناولتها عدة صحف داخلية وخارجية بالتعليق نتيجة الحكم العادل الذي أصدرته محكمة الناضور على تلك الفئة المارقة من الشباب الذين سولت لهم أنفسهم أن يهاجموا الإسلام في مقفله الحصين .

ولكن الشيء المؤكد هو أن الشعب المغربي بل معظم الطبقة المثقفة منه لا يعرفون لا قليلاً ولا كثيراً عن التحلة البهائية رغم أن مسألة البهائية استطاعت أن تغزو البيوت وأن تردد على الألسن ، لذلك أقم من سيادتكم أن نخصصوا دراسة مستفيضة عن هذا المذهب الدخيل في الإسلام بمجتسك الموفرة تنويراً للفكر وتعميماً للفائدة ، وسأكون مديناً بالجليل لسيادتكم إذا ما ليتم طبع هذا ، ودعم العلم مناراً ، وللإسلام نورا والسلام .

إدريس الطاهري الحسني

الرباط - المغرب الأقصى

إجابة لطلب السيد الكاتب نشرنا بحثاً عن ذلك المذهب في هذا العدد

المجلة

وهي تقليد للمذهب الخنفيه ، وفي المذهب أدلته التي اعتمد عليها من القرآن والسنة وتستحسن اللجنة للأستاذ وهو عالم أزهري أن يراجع كتب المذهب ليفتتح .

وليس من منهج اللجنة أن تهجر المذاهب المتعددة وتقصّد مباشرة إلى الاستدلال بالقرآن والسنة فإن ذلك تفكيك في المذاهب الصحيحة ولجوء إلى الاجتهاد من جديد وفيه تضيق في الإقناع .

وليس من عمل اللجنة أن تعيد البحث في كل أمر لا يجب القاري وبخاصة من يستطيع البحث بنفسه فضلاً عما في ذلك من النزوح إلى رغبات شخصية لا تقف عند حد . ومن الخير أن يكون مثل هذا الاعتراض في صيغة الاستفهام لا في صيغة الإنكار قبل التثبت من الحق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

البهائية

اطلعت في عدد من مجلة الأزهر الغراء ( رجب سنة ١٣٨٢ ) في باب معرض الكتب على مقال تعريفى لكتاب البهائية من تأليف الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ، وكما كان يودى لو كان المقال المذكور دراسة وافية تعرف بهذا المذهب الدخيل على الإسلام . ذلك أن البهائية قد قربت إلى بلادنا ، واستطاعت أن تعشش في بعض العقول

# فِنْ ضَائِرِ الْجَنَّةِ الْفِتْوَى

ابراهيم محمد الاصيل

بشرف عليه

رأى العربى فى الاصحاحية :

السؤال

أبلغتنا وزارة الخارجية عن مشروع إقامة مسجد فى مدينة أمستردام هولندا - ولإمكان بحث الموضوع من جانب الوزارة نرجو التفضل بالإفادة عما باتى :

١ - رأى الأزهر فى الطائفة الأحمدية ومدى تمسكها مع تعاليم الإسلام الصحيحة .

٢ - رأى بالنسبة لصلاحية مساجد بعض الطوائف المتشكك فى مذاها مثل طائفة الأحمدية الباكستانية لأداء الصلاة لجميع فئات المسلمين .

٣ - هل يرى الأزهر أن تأييد الطائفة الأحمدية فى إقامة مسجد لها فى أمستردام أمر جدير بالرعاية ؟

وكيل وزارة الأوقاف المساعد

لشئون التخطيط والدعوة

الموافق

أطلعت اللجنة على نصوص من مذهب

الأحمدية فى بحث كتبه فضيلة الأستاذ الشيخ المحضر حسين ، ونشرته مجلة نور الإسلام فى عددها الصادر فى رجب سنة ١٣٥١ هـ . من ذلك : ما زعمه غلام أحمد فى خطبة الإلهامية أنه نبى مرسل ، إذ جاء فيها : « أرايتم إن كنت من عند الله ثم كذبتونى فما بالكم أيها المكذبون » . وقال : « لأنكم ترون كيف تنصر الناس وارتدوا عن دين الله ثم تقولون ما جاء مرسل من عند الله ما لكم كيف تمسكون » . وقال : « فأنتم الله هل هذه - يعنى أمة الإسلام - بإرسال مثل عيسى وهل ينكر بعده إلا العمون » . وقال : « وكان عيسى حيا لبنى إسرائيل وأنا علم لكم أيها المفرطون » . ومنه ما جاء فى منشور وضعه أحد رؤسائهم وعمره السيد / عبد الحميد كامل وطبع فى مصر : « إن طريق الوحي لا يمكن أن يسد فى وجوه الناس » . وفى هذا المنشور : « إن المهدي والمسيح قد ظهرا فى الهند يحمل يقال له ( قاديان ) وأنه يوجد الآن آلاف من

جئت تختتم الأنبياء ، . إلى غير ذلك من الأحاديث المتواتر معناها المفيدة انتهت النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . وعلى هذا انعقد إجماع الأمة وصار معلوماً من الدين بالضرورة فيكفر باحده .

وإن طائفة هذا شأنها وشأن أتباعها لا يجوز بحال أن تساعدوا بأى وجه من وجوه المساعدة لا فى مسجد ولا فى غيره ، فإن مساجدهم ، ليست إلا للتضليل والإغواء ونظائرها تنصب ليصطادوا بها الشباب الفاضل من أبناء المسلمين يفردون بهم ويوقعونهم فى شباكهم ينشئون فى دوحهم من سمومهم ما يضلون به عن الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحميد بل إن واجباً على جميع المسلمين فى جميع بقاع الأرض أن يضيقوا الخناق على أمثال هذه الطائفة العنيفة المضة حتى تنقرض كما انقرض من قبلهم الحارث بن سعيد الذى ظهر أيام عبد الملك بن مروان واغتر به خلق حتى وقع فى يد عبد الملك فقتله ولم يبق له فى الأرض أثر ، وكما انقرض إسماعيل الأخرس الذى ظهر فى أول حكم العباسيين واتبه طوائف وقتل فانقطعت قنته .

ومساجد هؤلاء مع مساجد المسلمين كمسجد الضرار الذى أقيم فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم بقصد الضرار وتفرقة جماعة المسلمين ، وتجميع طوائف المخالفين فيه .

حواطه يستمعون الوحي الإلهي ، . ومازحه أيضاً غلام أحد من أنه أوحى إليه : . وإلى جاعلك للناس إماماً ينصرك رجال نوحى إليهم ، . إلى غير ذلك مما هو كفر صراح وخروج عن دين الله بين وغواية لا ليس فيها ولا خفاء .

وعلى ذلك تنيد الحق : بأن مذاهب الطائفة الأحمدية المتفرعة من مذهب غلام أحد وطائفته القاديانية مذاهب باطلة منافية بعقائدها وعباداتها لعقائد وعبادات المسلمين الصحيحة : فهي تقوم على أن دعائها يوحى إليهم وأنهم أو أن منهم أنبياء ومرسلين يكلمهم الله بما ينظفون به مخالفات القرآن الكريم والسنة النبوية ، فهم بهذا يكذبون قوله تعالى : . ما كن محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، . وقوله صلى الله عليه وسلم كما فى صحيح البخارى عن أبي هريرة : . كانت بنو إسرائيل تسومهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدى ، . وقوله كما فى صحيح البخارى عن أبي هريرة أيضاً : . إن مثل ومثل الأنبياء قبل كئيل كئيل بنى يثنا فأحسسه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة وأنا خاتم النبيين ، . وفى رواية مسلم عن جابر : . فأما موضع اللبنة ،

### الجواب

الأفضل تقديم الحج على الزواج إذا كان قادراً على الزاد والراحة فاضلاً عن المسكن وما لا بد منه وعن نفقة من يجب عليه نفقته إلى حين عودته وكان الطريق آمناً ؛ لأنه حيثئذ يكون فريضة محكمة ، وهو أحد أوكل الإسلام بإجماع العلماء من غير تكبير ما لم يخش على نفسه الوقوع في المعصية بتأخير الزواج وإلا قدم الزواج على الحج .

مع المرأة من غير محرم :

### السؤال :

تريد الزوجة أن تؤدي فريضة الحج وقد حج زوجها قبلها فهل لها أن تذهب بمفردها أو مع جارتها ؟

### الجواب

لا يجوز شرعاً أن تسافر الزوجة بمفردها ولا مع جارتها ، وإنما تسافر مع محرم لها كابن أو أخ أو خال أو مع دفقة مأمونة من النساء فقط أو النساء والرجال .

هي التوكيل في النطاق والزواج على شرط والاتجار في ملابس السيدات وآلات الترفيه

### السؤال :

١ - يريد توكيل والده في عقد نكاح ابنته

وقد نهى الله النبي عليه الصلاة والسلام عن الصلاة فيه وكشف له أمره ونوايا أمه من إقامته ، وقوله تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضرراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تتم فيه أبداً المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه . » وإن الصلاة - وإن كانت تصح في أى بقعة من الأرض متى كانت طاهرة سالمة لأداء الصلاة فيها الحديث - جعلت في الأرض مسجداً وترتها - أى ترابها - طهوراً ، لا يحمل أداتها في مساجد هذه الطائفة وأمثالها لما يلزم عليه من أخذهم هذا أداة للدعاية يروجون بها لمذاهبهم ومعتقداتهم الباطلة ، ولما في ذلك من تعريض شبابنا والعامّة من المسلمين لتلقى سمومهم والتذهب بمذاهبهم وفي ذلك مفسدة أى مفسدة ، وإن القاعدة الشرعية : أن دور المفساد مقدم على جلب المصالح .

### الحج والزواج :

### السؤال :

شاب أزهب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً ، ويريد أداء فريضة الحج فهل الأفضل أن يقدم الحج على الزواج أو يؤخر الحج إلى أن يتزوج ؟

على أحد عمر

النساء لا شيء فيه شرعا ؛ لأنها تستعمل فيها هو مباح شرعا كأن تزين بها لزوجها مثلا أثناء خلونها ، وما يتربها من حرمة فهو أمر ناشئ من إساءة استعمالها كأن ترتديها أمام أجنبي عنها ، وكذلك حكم الراديو وغیره إذ هي صالحة لأن تستعمل في المباح ولا تبعة على من يتجر فيها إذا ما أسئ استعمالها وإساءة التبعة على من يسئ استعمالها .

حول إسقاط الصلوة عند العجز :

اطلعت اللجنة على كتاب باب الفتاوى بخصوص فتوى صدرت سنة ١٩٥٨ في موضوع إسقاط الصلاة وهل هو شرعي أولا ، ومتى يجب وما كفيته وفترت في مجلة الأزهر عدد شوال سنة ١٣٨٢ هـ (مارس ١٩٦٣ م) ، وفي الكتاب بطلب الباب بإلقاء مزيد من الضوء على هذه الفتوى بناء على مكاتبات وردت إليه .

ورأينا أن الخلاف ليس وليد اليوم فإنه من قديم وقد بينه صاحب جمع الجوامع فقال : « وهو أى القياس حجة في الأمور الدنيوية قال الإمام اتفاقا وأما غيرها كالشرعية فمنه قوم عقلا وابن حزم شرعا وداود وغيرهم الجمل وأبو حنيفة في الحدود والكفارات والرخص والتقديرات وابن عبدان ما لم يضطر إليه ، وقوم في الأسباب

فمن له حق التوكيل ، الوالد أم الفتاة ؟ وإذا كان لوالد الفتاة أن يوكل والده فهل لا بد في هذه الحالة من أن يستمد هذا الحق من ابنته بطريق التوكيل ؟

٢ - يريد أن يشترط لابنته على زوجها أن يكون لها الحق في فسخ الزواج بدون توقف على موافقة الزوج في حالة ما إذا أراد أن يحملها على أن تسلك طريقا يخالف أحكام الشريعة الإسلامية ؟

٣ - ما حكم الاتجار في ملابس السيدات مع ما فيها من تصميمات مخالفة لأحكام الدين وكذلك حكم الاتجار في آلات الراديو والتليفزيون وخلافها مع أنه يساء استعمالها ؟ محمود محمد عطية - أمريكا

الجواب -

الأب ولي طبيعي على أولاده فله بهذه الصفة أن يباشر عقد الزواج لبناته ، وأن يوكل غيره في ذلك ، ومع ذلك يستأذن ابنته البكر إذا كانت بالغة رشيدة ، فإن كانت نيبا وجب استئذانها .

وعن الثاني نفيد بأنه يجوز شرعا للزوجة أو لوليها أن يعترض على زوجها مثل هذه الشروط وأن تجعل العصمة بيديها بمعنى أن يكون لها أن تطلق نفسها من زوجها إذا خالف الشروط المتفق عليها .

ونفيد عن الثالث بأن الاتجار في ملابس

عنه مكان كل صلاة مد وقد أتى بذلك علماء  
الحنفية وقال به المحققون من الشافعية ويصل  
عنه وتسقط بذلك الصلاة عنه كما قال به علماء  
الشافعية ، وقالوا هو من حمل الشخص لنفسه  
ولا يفق به ، وقد صلى السبكي من قريب له  
مات ، وأما الحنفية فقلوا يصل ثواب الصلاة  
إليه ولا تسقط عنه وذكر المحب الطبري  
أنه يصل إلى الميت ثواب كل عبادة تفعل  
عنه واجبة كانت أو مندوبة ، على أن المسألة  
لم تعد التخفيف عن الميت والكل متفق على  
أن إثم التأخير لم يسقط بهذا إنما أمره  
فيه إلى الله .

أما الحنفية فقلوا بطل أحد أنه يصام أو يصل  
عنه فإن ذمته عامرة ويحتمل أن يقدر فيؤدى  
كما لم يقل أحد أنه يفدى عن صلاته وإن  
قالوا يفدى عن صيامه الآية ، وعلى الذين  
يطبقونه فدية ، أى لا يطبقونه كما هو أظهر  
القولين للشافعية والثاني أن الآية منسوخة  
بآية « فر شهد منكم الشهر فليصمه » وعليه  
فالعاجز لم يرم أو مرض لا يرجى برؤه لا صوم  
عليه ولا فدية ( لا يكلف الله نقسا لإلزامها )  
وهو قول في مذهب مالك رضى الله تعالى عنه .  
والعتوى كما شرت في الجملة مذكورة  
في كتب الحنفية وهو بعد هذا واضحة ليس  
فيها إغراء لقادر بأن يترك الصلاة ابتكالا على  
الفدية فإن طريق الفدية لم يسلم من المخاطر .

والشروط والموانع ، وقوم في أصول  
العبادات وقوم الحاشي إذا لم يرد نص على  
وفقه كضمان الدرك وآخرون في العقليات  
وآخرون في النص الأصل وتقدم قياس اللغة ،  
والصحيح حجة إلا في العادية والحنفية  
وإلا في كل الأحكام وإلا القياس على منسوخ  
خلافا للمصنفين ، راجع شرح الجلال المحلى  
وما كتب عليه من حواش وتقريرات إن  
شئت وليس انقام مقام بسط واستيفاء .

من هذا يقين أن القياس حجة فيها نحن  
فيه حيث فهم المعنى الذى نيط به الحكم  
في الأصل الذى ورد به النص وكان موجودا  
في الفرع بلا مانع ، وذلك أنه ورد في الخبر :  
« من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه وليه  
مكان كل يوم مسكينا » ، وورد « من مات  
وعليه صيام فليصم عنه وليه » من الوكيل  
وهو القرب فالمراد به كل قريب للبيك وإن  
لم يكن ولى مال ولا عاصبا ولا وارثا وقد  
قبل بكل . والحديث في الصحيحين عن عائشة  
وابن عباس ولا يقدح فيه حملها على خلافه  
فإن الحجة فيما روي لا فيما حمل . والمعنى  
في ذلك ما في المحل من العجز التام فإن الميت  
قد خربت ذمته واقطعت عنه أسباب الحياة  
فلم يعد هناك احتمال أن يقدر فيؤدى مع  
الحاجة إلى ذلك لنفع المؤدى والمؤدى عنه  
وهذا المعنى موجود بتمامه في الصلاة فيفدى



# بَيْنَ الصَّحْفِ وَالْكِتَابِ

اختيار وتعليق : عبد الرحيم فوره

بيت الله

... والعرب كانت تخرج من ثمانية عشر فرنا إلى الكعبة المكرمة ؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنها بيت الله على ما كانوا عليه من اختلاف الآلهة وتعدد الديانات وتفاير المذاهب ، وكانوا يقصدونها سنويا للطواف بها من غير أن يذهبوا لنفسه فريق منهم دون الآخرين ، لأنها كانت عندهم يتتافه الذي هو إله العالمين ، ورغبا من شيوخ عبادة الأوثان في سواد قبائل العرب ، فإنه لم يرد عنهم أنهم عبدوا هيكل الكعبة أو الحجر الأسود مع احترامهم لها ذلك الاحترام الذي لا يمكن تصوره ، وكانوا يعتقدون أن هذا الحجر نزل من السماء ، وبه أخذ بعض الفقهاء ، ونحن لا ندري إن كان وصل إليهم من طريق النيازك أو من طريق آخر .

محمد لبيب البتانوني : من كتاب الرحلة الحجازية هذا الحجر . .

إن هذا الحجر الأسود ليس من آثار الجاهلية والوثنية كما زعم المتعاملون على الإسلام ، وإنما هو أثر من آثار أبي الأنبياء وعظم الأصنام . إبراهيم عليه

السلام ... هذه حقيقة ينطق بها التاريخ . ويشهد بها الواقع ، ولا نعلم أحدا تطاول إلى إنكارها . أو حاول إثارة الشك فيها وهذا الحجر على مكاته الأثرية وقيمته الدفينة لم يسمع عن العرب في الجاهلية أنهم عبدوه فيما عبدوا من الأصنام ، وإنما كان بلونه الأسود العلامة المميزة التي يبدأ منها الطواف حول البيت ، وكان تقبيله لهذا المعنى ولما يرمز إليه من معان أخرى كبرى لا نقوبها شائبة وثنية ، كما يفهم من كلام عمر رضي الله عنه حين خاطبه بقوله : أما والله إنني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك .

أما لماذا قبله رسول الله ، ولماذا قبله اقتداء به مما سكته عنه عمر رضي الله عنه حرصا على سلامة العقيدة في قلوب المسلمين ، فلأن تقبيله استجابة طبيعية للإحساس بجلال هذا الأثر الحبيب ، وليس جلالة ذاته ، فإنه كما يفهم من قول عمر رضي الله عنه حجر لا يضر ولا ينفع ، وإنما جلالة لجلال الذكرى التي يحملها ، والمعاني التي يمثلها . فقد يمثل لناظر إليه معنى ما يرمز إليه

## حول الكعبة

ومن بعض العرب أنه حمل أمه إلى الحج  
على ظهره وهو يقول في حديثه بنفسه :  
أحمل أمي وهي الحلة  
ترضني الدرة والصلالة  
ولا يجازي والد فعالة  
الزخشرى - من تفسير الكشاف

## إلى الله قبلك

يروي أن أهرابا وقف على باب علي بن أبي  
طالب رضي الله عنه فقال : إن لي عندك  
حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك  
فإن أنت قضها حمدت الله وشكرتك ،  
وإن أنت لم تقضها حمدت الله وعذرتك ،  
فقال له علي : خط حاجتك في الأرض ، فإني  
أرى الضر عليك ، فكتب الأعرابي على  
الأرض : إني فقير : فقال علي : يا قنبر  
، خادم ، ادفع إليه حتى العالنية . فلما  
أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حلة قبلي بحاجتها  
فسوف أكسوك من حسن التاحللا  
إن شاء ليحي ذكره حبه  
كالنبيك يحيى نداه السهل والجبللا  
لازهد الدهر في عرف بدأت به  
فكل عبد سيجري بالذي فعلا  
فقال علي : يا قنبر ، أعطه خمسين دينار ،  
أما الحلة فلبسأتك ، وأما الدنانير فلأدبك  
من كتاب معراج البيان للأستاذ علام سلامة

من امتثال إبراهيم لأمر ربه حين كان يرفع  
مع ابنه إسماعيل قواعد البيت ويقولان :  
« ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم » ،  
وقد يرى فيه ما يرى الناس في العلم الوطني  
من معاني الشرف والجلال وهو لا يعدوا  
أن يكون قطعة من قش على قطعة من  
خشب ، فاند تازع العرب من فريش على  
شرف دفعه ووضعه في مكانه حين أعادوا  
بناء الكعبة بعد أن هدمها السيل ، وتداعوا  
لقتال ، ثم احتكروا إلى النبي صلى الله عليه  
وسلم ، فوضعه في ردائه . وأمر كل قبيلة أن  
تمسك بطرف منه ، ثم دفعوه جميعاً حتى  
وصل إلى مكانه من البناء ، فأخذ النبي  
صلى الله عليه وسلم ووضعه فيه بيديه  
الشريفتين .

ح . ف - من مجلة نور الإسلام

## يا رب الجميع

لك الدين يا رب الجميع جمعهم  
لبيت طهور الساح والمرصات  
أرى الناس أصنافاً ومن كل بقعة  
إليك اتوا من غربة وشتات  
تساووا فلا الأساب فيها تفاوت  
لديك ولا الأقدار مختلفات  
شوق - من ديوان الشوقيات

their claim off, they would adduce a saying they attribute to Ayisha, the wife of our prophet. This saying they quote as follows: "Say that certainly He is the Seal of the Prophets, and do not say there is no prophet after Him". I cannot off hand disqualify this saying, but I can ask those responsible for the quotation to shed some light on the chain of its traditionalists, and to state the source from which this saying was taken. Meanwhile, let me agitate the following points of speculation:

1) It is quite the vogue in Arabic stylistics to choose an expression to another while both give the same meaning. The Holy Quran itself is no exception in relation to observing this vogue e.g. "O ye who believe: Say not 'ra'hina' but say 'un'hurna' and hearken; for unto misbelievers shall be grievous woe." (2:104). The choice between these two synonymes was due to the resemblance between the first and a Hebrew word meaning mischievous. In Arabic both words mean "observe us". In the same manner Ayisha might have chosen a Quranic expression, namely "Seal of the Prophets" to a non-Quranic one, i.e. "There is no prophet after me".

2) It has been a mischievous habit of some extremists among

Muslims to seek support for their views by sheer fabrication of Hadeeths. This is widely reported by Muslim historians. To give an example of this one should remember that when the Sufiani branch of the Umayyad Dynasty was overtaken by the Marwani branch, the Sufianis, having lost material strength for regaining their supremacy, sought a religious support in fabricating a Hadeeth which proficied a promised Sufiani who would play the same role given to the promised Messiah and later to the promised Mahdi.

To conclude, it should be remembered that the verse quoted by the article is taken from Sourat ul Ahzab; one wonders why those who adduced that verse overlooked some two other verses to be found in the same Soura? These are the two verses:

"Verily, those who annoy God and His Apostle, God will curse them in this world and the next, and prepare for them shameful woe" (33:57).

"O ye who believe I be not like those who annoyed Moses; but God cleared him of what they said, and he was regarded in the sight of God." (33-69).

other nations, are considered most eloquent.

The verses (38—39) speak of the course of God with those who passed away before . . . Those who preach God's message and fear Him etc. This means that the context is dealing with two points :

1) There is no hindrance to the prophet, and

2) This was the same with past prophets.

At this juncture comes the verse misquoted and misrepresented by the article in question. This verse appears quite in tone with the above illustration, and could be represented in the following light :

1) It has been the course of God with past prophets that there would be no hindrance in relation to God's decrees.

2) There should, in the question of Zainab, be no hindrance to Muhammad.

3) Because Muhammad is not a father of Zaid or any other man of you; he is the Messenger of God and the Seal of the prophets mentioned under No. 1 above.

There is no argument as to the literal meaning of the word "Seal", but the word is not to be given its

literal meaning here, for it is clear that Muhammad was human, and not metallic. And as has been given above, the Quran is fond of using metaphores. Therefore, the context calls for a metaphorical consideration. Let us think of this metaphore. A seal is the last thing to be placed on a document; no other thing is to come after. This is the meaning, the only meaning, one can understand out of the verse. Any other interpretation would be reading a selfish purpose in a divine revelation. This meaning, namely Muhammad is the last of the prophets, is supported by the following evidence :

1) It is completely harmonious with the verse : "This day have I perfected your religion for you and have completed *my favour on you* and have chosen for you Islam as religion". Because a complete and perfect religion is not in need of another prophet.

2) It is related that the prophet (peace be upon him) excluded all possibilities of a future prophet by saying : "there is no prophet after me". Nobody, even those who perpetuate a belief in another prophet, can doubt the authenticity of this saying; they recognize it well, but they dodge its implications.

Instead of relying on this authentic Hadeeth and therefore calling

Prophet advised him to retain her. Now God has chosen this Zainab to be the example of a legal precedent showing the difference in status between the wife of a real son and that of an adopted one. Muhammad *was ordered to take* Zainab in marriage after her divorce was completed.

But Muhammad (peace be upon him) who thought of what the wrong implication would be in people's mind, was reluctant over the issue. Therefore God revealed to Him the verses ending with that quoted verse at the beginning of the article alluded to above. The verses relative this incident (33:36 - 40) run as follows :

"It is not for a believing man or for a believing woman when God and His Apostle have decided an affair, to have the choice in that affair; and who rebels against God and His Apostle has erred with an obvious error (36)

And when thou didst say to him God had shown favour to and thou hadst shown favour to, "Keep thy wife to thyself and fear God " ; and thou didst conceal in thy soul what God was about to display ; and didst fear men, though God is more deserving that thou shouldst fear Him ; and when Zaid had fulfilled his desire of her, we did wed thee to her that there should be no hindrance to the believers in the matter of the wives of their adopted sons when they

have fulfilled their desire of them ; and so God's bidding to be done. (37).

There is no hindrance to the Prophet about what God has ordained for him; — (such was) the course of God with those who have passed away before, — and God's bidding is a decreed decree ! Those who preach God's messages and fear Him and fear not any one except God, — but God is good enough at reckoning up. (38—39).

Muhammad is not *the father of any of your men*, but the Apostle of God, and the Seal of the Prophet's ; for God all things doth know !" (40).

These were verses relevant to the Story of Zainab ; it is quite clear that no connection could be established between these verses and Sourat ul Kawthar except that both quotations belong to the Holy Quran, and relate two different incidents of Muhammad's life.

From a stylistic point of view, the Holy Quran is fond of metaphores and conciseness ; this is universally acknowledged. Words as well as meanings of adjacent verses are so wonderfully interwoven that a critical reader can find no loopholes or weak points in Quranic style. In fact Quran is a linguistic miracle revealed in the midst of the most eloquent generation of the Arabs, who, among

it quite clear that the expression of the seal of the prophets, and there will be no prophet after him, were considered by her to be contradictory to each other in meaning and significance.

4) That the Holy Prophet was the last of the prophets, but only in this sense that all the qualities and attributes of prophethood found their most perfect and complete consummation and expression in him; "seal" in the sense of being the last word in excellence and perfection is of common use.

Moreover, the Quran clearly speaks of the advent of prophets after the Holy Prophet. The following two verses leave no ambiguity on this point :

" And who obeys Allah and this Messenger of His shall be among those on whom Allah has bestowed His blessings, namely, the Prophets, the Truthful, the Martyrs and the Righteous. And excellent companions are these." (4 : 69)

" O children of Adam : if messengers come to you from among yourselves, rehearsing My Signs unto you, then who shall fear God and do good deeds, on them shall come no fear nor shall they grieve." (7 : 35)

The Holy Prophet himself was clear in his mind as to the continuity of prophethood after him. He is reported to have said : " If Abraham

(his son) had lived long, he would have been a prophete " ( Maja, kitab al Janai'z ), and, " Abu Bakar is the best of men after me, except that a prophet should appear " Kanzal-'Ummal ).\*

\*\*\*

THIS was the article which has taken much pains to distort the actual meaning of the Holy Quran, a meaning that is supported by historical evidence. There is no connection between the verse quoted at the beginning of this article and Sourat ul Kauthar, and there should be no such mistake if there would be no deliberate design.

The history of Islamic Sharia states that when the Holy Quran specified the women of relation who are prohibited in marriage to a Muslim (4 : 23), a son's wife was among these. Despite the clear qualification of the son being a blood-son, some of the Muslims refrained from marrying the ex-wives of their adopted sons. The Prophet himself had an adopted son who was an ex-slave. The original name of this son was Zaid Ibn Thabit, but after adoption he came to be known as Zaid Ibn Muhammad. Zaid had a Quraishi wife named Zainab bent Jahsh who was too proud for her ex-slave husband, and he repeatedly confessed to the Prophet that he wanted to divorce her ; the

\* Commentary of the Holy Quran Part II, V. II.

Holy Prophet would be blessed with sons who would live to an adult age. The verse under comment removed that misconception inasmuch as it declared that the Prophet is not, never was, nor will ever be the father of any grown-up young men. The verse under comment while appearing to be in conflict with Sura Kausar in which not the Holy Prophet but his enemies have been threatened with being issueless, in reality seeks to set at rest doubts and misgivings to which this seeming contradiction gives rise. It says that the Holy Prophet is *the spiritual father of a whole Ummat and he is also the seal of the prophets, signifying that he is the spiritual father of all the past and future prophets*. So when he is the spiritual father of all the believers and all prophets how can he said to be amputated i.e. issueless. But if the expression the seal of the prophets be taken to mean that the Holy Prophet is the last of the prophets and that no prophets will come after him, then the verse appears to be out of tune with the context and instead of refuting the objection of disbelievers that the Holy Prophet was issueless, supports and reinforces it.

Briefly, according to the meaning of the seal of the prophets, the expression can have four possible meanings :

1) That the Holy Prophet was the Seal of the prophets, i.e., no

prophet, past or future, can be regarded as true unless his prophethood bears the seal of the Holy Prophet. The Prophethood of every past prophet must be *confirmed and testified by the Holy Prophet* and nobody can attain to prophethood after him except by being of his followers. All claims to prophethood must be judged and tested by reference to the revelation received by the Holy Prophet and to his teachings.

2) That the Holy Prophet was the best, the noblest and the most perfect of all the prophets and that he was also a source of embellishment for them.

3) That the Holy Prophet was the last of the Law-bearing Prophets. This interpretation has been accepted by many eminent Muslim theologians, saints and savants such as Ibn Arabi, Shah Wali-Allah, Imam Ali Qari, Mujaddid Alf Thani, etc. According to these great scholars and saints no prophet can come after the Holy Prophet who should abrogate his Millat or should not be in his Ummat.

A'isha the talented spouse of the Holy Prophet, has removed all ambiguity about the meaning of the expression, the seal of the prophets.

She is reported to have said :

Say that he ( the Holy Prophet ) is, the seal of the prophets, but do not say that there will be no prophet after him. This saying of A'isha makes

## WRONG INTERPRETATION OF AHMADIYYA ABOUT THE SEAL OF THE PROPHETS

---

Dear Brother-in-Islam,

The faith of Islam is the concern of every individual Muslim. One very important article of this faith is that our Prophet Muhammad (peace be upon him) is the Messenger of God, and that he taught the complete and perfect Religion of Islam. And because Islam is the perfect Religion, as the Holy Quarn testifies, *there was no need for another prophet, to be sent by God, therefore. Muhammad was the last of the God-sent Prophets; any prophet who claims such title after Muhammad could only be self-styled.* All this is an integral part of the faith of Islam; and whoever deviates from such belief is a renegade, even if he insisted on claiming the epithet "Muslim", or if he louded Islam in his slogans.

It seems however that some of those who insist on using the above epithet do not see eye to eye with this article of faith, and try to make all Muslims believe in their deviation, thus aiming for som reason or another to explode Islam from within to serve their own ends. An organ of this deviationary Movement has, last

September, published the following article :

### "SEAL OF THE PROPHETS"

"Muhammed is not the father of any of your men, but he is the Messenger of Allah, as a. the Prophets; And Allah has full knowledge of all things." ( 33 : 41 ).

Much confusion and misunderstanding seems to prevail as to what is the real spiritual status and position of the Holy Prophet as indicated by the expression : the Seal of the Prophets. A careful study of the context, however, removes the prevalent misconception. At Mecca when all the Holy Prophet's male children died in their childhood, his enemies taunted him with being amputated (one who has no male issue), meaning thereby that in the absence of male heirs to succeed him his Movement would sooner or later come to an end. In answer to this taunt of disbelievers it was emphatically declared in Sura Kausar that not the Holy Prophet but his enemies would remain issueless. After the revelation of Sura Kausar the idea naturally found favour with the early Muslims that the



## فهرس أبجدي عام لموضوعات المجلد الرابع والثلاثين

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
		(١)	
٥٥٣ ...	الإرشاد والتطور (كتاب)	٩٥٣ - ٧٩٧ ...	آلة والأداة ...
٤٤٠ - ٤٢٠ } ...	الأزهر والتطور	٩٥٣ ...	الأبجدية العربية أكل الأبجديات
٨٠٥ - ٦١٩ }		٢٣٨ ...	ابن تيمية (كتاب)
٤٣١ ...	أسباب الفصاحة العربية	١٦١ ...	ابن خلكان المؤرخ
١٤٦ ...	استخراج القياس الأصول من القرآن	١٧٧ ...	ابن السكيت
٢٤٧ ...	الاستمادة حين ينزل القرآن من أواسطه	٨٢٦ - ٦٧٨ - ٤٦٨ }	أبو الكلام أزداد
١٢٢ ...	استعمال دواء بزيل آلام الوضع (فتوى)	١٠٩٧ - ٩٣٥ }	
١٧٢ ...	الاستقلال في التشريع	٢٢٨ ...	أبو هلال العسكري
٢٣٩ ...	الأسرة في الإسلام (كتاب)	٥٢٨ - ٢٣٧ ...	أبو بكر الخوارزمي
٣٤٥ ...	الإسلام : دوره في القارة الإفريقية	٧٩٣ ...	اجتهاد أبو حنيفة وموقفه من الحديث
٢٨٩ ...	الإسلام دين المحبة والبرهان	٢٩٨ ...	أحاديث علوم الدين للقراني
٧٢٢ ...	الإسلام دين التوحيد	١٠٠٩ ...	الاحتجاج بالقدر (كتاب)
٨٧٨ ...	الإسلام دين العطرة	٢٥١ ...	أحكام عامة في المحبة والوصية (فتوى)
١٢٧ ...	الإسلام في بورما	١٠٥٣ ...	أحمد أمين
٩٦٦ ...	الإسلام في ذروة انتصاراته	١٠٢١ ...	أحمد لطفى السيد
٦٥ ...	الإسلام في تشاد	٢٩٦ ...	الإعلاء منشود والفرقة نسيئة
١٠٨٨ ...	الإسلام في تنجانيقا	٢٥٧ ...	أدبنا بين لواقمية والكلمية
٤٧٢ ...	الإسلام في نيجار	٨٥٠ ...	الأدب العربي المعقول
٥٠٥ ...	الإسلام في الملايا	١٢٩ ...	الأدب رسالة يوجه ولا يوجه
١٠٤١ ...	الإسلام والحديثة الحديثة	١٠١٤ ...	الأذان قبل دخول الوقت (فتوى)
٢٤١ ...	الإسلام وتوازن المجتمع (كتاب)	١١٦٣ ...	إسقاط الصلاة عند العجز (فتوى)
٨٤٧ ...	الإسلام ونظرية التطور		

المصحة	الموضوع	المصحة	الموضوع
١٩٣ - ٧٨ ...	البيان العربي ...	٥٩٣ . . .	الإسلام والعالم
٢٥١ .. ..	الجهة وشرها (فتوى)	٩٤٣	الإسلام ينهى عن المتاجرة باسم الدين
٤٥١ - ٣١٤ } ٦٧٣ - ٤٩٩ } ٩٧٩	بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية ...	٥٥٤ ...	أشياء غير ممنوعة من الصرف ...
٢٢٦ ... ..	بين الشريعة والفلسفة ...	٥٣٩ ... ..	إطاعة القضاء (قصيدة) ...
٧١٢ ... ..	بين شريعة الوحي وصناعة الفقه ...	٥٦٢	الافتراض من البنك بمائدة (فتوى)
٤٦٠ ... ..	بين العلم والعمل ...	٥٢٧ ...	أقراص منع الحمل لمن ؟ (رأى)
(ت)		٢٠٦ ... ..	الإفطاح الثقافي ...
٥٣٣-٥٠٠	تأثير الإسلام في العبادة اليهودية	١٢٣	إفلال راحة الجار بالزوار (فتوى)
١٠٣٦	التاريخ الصحيح من مقومات الحياة	١١٤١ ... ..	أقوال وأقاريل ...
١٠١٢ ...	التبشير في أندونيسيا (نبأ)	٣٦٨ ...	المأني بكذب عن الإسلام ...
٣٧٣ ... ..	التجبي وحكمه (فتوى)		الإمام الأعظم أبو حنيفة دواست
٢١١ - ٧١ } ٣٢١	التجارة في القرآن ...	٩٥ ... ..	واقفة في مذنبه ...
	التجارة في الرقيق هل هو حرام بنصر	٢٥٠	استماع المرتين بالزمن (فتوى)
٢٤٩ .. ..	شرعي (فتوى)	٤٢٩	إلى العالم الإسلامي شعوبه وزعمائه
١١٠٢	تدرج القرآن في تشريعات التحريم	٣٤٩	إلى التي شرب عقلها الشراب (قصيدة)
	التربية الأساسية في الخطب المنبرية	٣٦٣ ... ..	أيام من حمري (ككتاب)
(كتاب)			الإيمان والاستقامة طريق الأمن
١٠١٥ ...	ترك الصلاة كسلا (فتوى)	٢٦٠ ... ..	والسلام
٥٥٥ ... ..	تشدد في الفقه لا موجب له ...	(ب)	
٥٢٣ (فتوى)	تشریح لأجسام في رأى لدين	١١٩٧ ... ..	البابية أو البهائية
٤٥٥	التضمين أو نيابة حرف مكان آخر		البهائية ورأى ...
٧٢٦	نظير الفكر السياسي الإسلامي	٩٠٩ . . .	بركة وبحيرة ...
٣٧٠ ... ..	تمقيب على نقد ...	٧٥٧ ...	بعض الكلام في شهر الصيام ...
		٤٧٢ ... ..	بلال بن رباح ...
		٥٤٧ ... ..	البهائية (كتاب)
		٥٦٦ .. ..	البوطة وشرها (فتوى)

المنحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
حق التوكيل في الزواج والاتجار في أدوات	تفتيب واقتراح	٥٥٨ ... ..	
الترايه (فتوى) ... ..	التفاضل والتنازل	٦٨٣ ... ..	
الحلف بالنس (فتوى) ... ..	تكوين الضمير الديني عند الفرد		
الحقن وحكمها في رمضان (فتوى) ٨٨٦	وابلغاة	٧٠٢ ... ..	
حكم تمثيل الشخصيات الإسلامية (فتوى) ١١٩	تنبيهه ، بين المعجزة والسحر ،	١١٥١	
حكم التوصل بالأنثيا وما يصحبه (بريد) ٢٤٣	التوصل بالأولياء وما يصحبه (فتوى) ١٢٢		
حكم زواج عتاني الأديان (فتوى) ١٢١	(ث)		
حكم عقد القران في شهر المحرم (فتوى) ١٢٢	الثورة الوطنية والفنية في شر أحد محرم ٣٨٧		
حكم النفقة من زكاة الأموال على جهات	ثورة التوحيد الفلسفي على التعدد الوثني ٤٣٩		
النفع العام (فتوى) ... ..	الثقافة في حياتنا الفكرية	٣٧٩ ... ..	
حياة الأنبياء بعد الموت ... ..	(ج)		
حياة رسول الله (كتاب) ... ..	جائزة الدولة التقديرية للأستاذ الزيات ٧٤١		
(خ)	الجزيرة تنقذ مرة أخرى ... ٣٨٦		
خطأ الأحادية في تفسير قوله تعالى وعائمه	الجمع بين المرأة وعائتها في النكاح (فتوى) ٣٧٤		
النبيين ، ... ..	جمع بحث على أبحاث ... ٢٤٥		
خطأ الأحادية في تفسير قوله تعالى	الجهاد في الدين الإسلامي ... ٨٦٦		
وعائمه النبيين ، - مقال بالانجليزية ١١٦٧	(ح)		
خطية مبهولة للسيدة عائشة في أبيها ٣٨١	حج المرأة من غير محرم (فتوى) ١١٦٢		
خواطر طائف (قصيدة) ... ٢٥١	الحج والزواج (فتوى) ... ١١٦٢		
خيانة اليهود من صفات الكافرين ٢٨٢	الحبة في الإسلام (كتاب) ... ٣٤١		
(د)	الحسن العادي (قصيدة) ... ٢٣٣		
الدخان وهل فيه زكاة ؟ (فتوى) ٥٦٢	الحديث شربه وأكله (فتوى) ... ٥٦٧		
دراسات في دلم المعنى السيميائيك ٨٧-٢٢٢	الحشو - حشو الوزينج ، حشو الأكر ٨٥٠		
دفاع عن الإمام الأعظم (رأى) ... ١١٥٤	الحصانات الدبلوماسية في الإسلام ٤٨٥		
دم الكيش دواء الكباب ... ١١٥	حصانات السفراء في الإسلام ٧٠٧		
دموع الأمير (كتاب) ... ١٠٩			

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
...	زكاة ربيع الأموال لن تنفى عنها	٢٠٥	دور العقيدة في شخصية الفرد والأمة
١٠١٧	الموائد ... (فتوى)	٥٥١	دور الكلمة في اللغة (كتاب)
٨٨٨	زكاة الزرع ... (فتوى)	٥٠٤	الديباج الحسرواني (قصيدة)
...	زكاة الزرع وهل تجب على المؤجر	٨٧٧	الدين عند الله (كتاب)
٥٦٤	أو المستأجر ... (فتوى)	٥٤٩	الدين في موقف الدفاع (كتاب)
٨٨٨	زكاة القطر ... (فتوى)	١٠٩٤	الدين وعلاقته بالأدب ...
١٠١٥	زكاة المال الذي دفع كعربون (فتوى)		
...	الزكاة وهل تلزم من فرق متأخرة		

## ( ذ )

٦٩٢	ذنب عربي وذنب فرنسي ...
١٢٢	الذبايح في النحر الواجب (فتوى)
٧٥١	ذبح الحيوان بالماكينات ونحوها (فتوى)
٨٨١	ذكرى مصطفى صادق الرافعي ...
٢٢٦	ذم المحوى (كتاب) ...

## ( ر )

...	السبعة الاحرف التي أول عليها	...	رأى الشريعة الإسلامية في احتفالات
٥٠	القرآن ...	...	ملكات الجلال والمصايف واليا نصيب
...	سلطان الأمة منوط باستقامتها	٥٢٢	(فتوى)
١٧	ودرام النعمة دعين بصياتها ...	١١٦٠	رأى الدين في الأحدية (فتوى)
٥١٢	السيات الفنية في شعر عزم ...	٨٨٥	الرؤية من طريق المذبايح (فتوى)
٥٢٠	سن الزواج شرطا وقضاء (فتوى)	٨٨٥	الرؤية وثبوتها نهائياً (فتوى)
٢٨٠	سوريا وسورية ...	٥٥٤	الرصافة وضبطها ...
...		٢٥١	الرضاع المحرم ... (فتوى)

## ( ش )

٢٧	شحنة المشاعر الإنسانية ...	...	زكاة أدوات الإنتاج (فتوى)
٥٧٦	الشخصية السبوية للأمة ...	١٠١٦	زكاة الدين ... (فتوى)
...	شخصية ذو القرنين بين قورش		
٦٩٥	والإسكندر المقدوني ...		

## ( ز )

المصنف الموضوع

(ط)

- طاقة جديدة في مجالات العمل الإسلام ٤٨٤  
طاقة من شعر الأسماء قصيدة ١١٥٢  
طاروس بن كيسان ... ٤٧٨  
طبيعة الشعر العربي ٩٩١ - ١٠٧٠  
الطريق إلى اتحاد إسلامي (كتاب) ٢٤١  
الطلاق بلفظ ثلاث ... (فتوى) ٢٧٤  
الطلاق وتكريره ثلاث مرات (فتوى) ٢٤٧

(ع)

- عام جديد على أذهار جديد ... ١  
عابد الشمس ... (قصيدة) ١٠٣  
عبد الملك بن مروان ... (كتاب) ٧٨٢  
المؤمن عبد السلام ... ٢١ - ١٨٤  
المؤمن عبد السلام ... (كتاب) ٥٥٢  
عرب: تحدرها وتطورها ... ١٦٨  
عصرنا الذهبي الرابع ... ٥٧٤  
صحة المرأة يدها وهل حكمها فيها  
حكم الرجل ... (فتوى) ٥٢١  
العقد العرفي ... (فتوى) ٢٥١  
العقيدة أولا ثم العمل ... ٥٨٩  
العقيدة وأثر الاعتراف (كتاب) ١٠٠٨  
العلم والعمل في الإسلام ... ٩٨٣  
العلماء سفراء وقادة ... ١٠٤٨  
علوم فيخ فيها العرب ... ٧١٧  
هل مبارك ... (كتاب) ٨٧٤  
هل مبارك لم يكن عائنا (رأى) ١٠١٠

المصنف الموضوع

شراء الحب قيل أن يحصد بأقل

- من ثمنه وقت الحصاد (فتوى) ٢٤٩  
شركة من يجد المال مع من يجد  
العمل ... (فتوى) ٢٤٩  
شكيب أرسلان الناقد ... ١١٠٨

(ص)

- الصداقة وهل تغني في المرض من  
قضاء الصوم ... (فتوى) ٨٨٦  
صفحات من تاريخ المرأة في  
الإسلام ... ٢٧٧  
صلاة التراويح ... فتوى ٨٨٨  
صلاة الجماعة وتتمدها في مسجد  
واحد ... (فتوى) ٣٧٢  
صلاة الظهر بعد الجمعة على مذهب  
الشافعي ... (فتوى) ٣٧٢  
صلاح الدين بطولته ... ١٠٠١  
صلاح المجتمع بصلاح أفراد ... ٧٧٣  
الصلاة (سقوطها) ... ١٠١٤  
صياغة مشروع لجامعة إسلامية ... ٢٧٠  
الصيام في بلاد المار والليل فيها عدة  
شهور ... (فتوى) ٨٨٧

(ض)

- الضرائب في الإسلام { ٦٦٨ - ٤٧٧ - ٧٦٤  
٩٧٦ - ٨١١  
الضرائب لا تجزى عن الزكاة ... ١٠٢٥  
ضمان المال المتلف خطأ (فتوى) ١٠١٧

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥٢٤	القرآن وكتابت بالحروف اللاتينية (فتوى)	٧٨٣	عمرو بن عبيد
٩٤٨	القرآن يتحكم باليهود	٧٨٩	عمورية وراثرو
٨٨٦	قضاء رمضان (فتوى)	١٠٠٦	عناصر القوة في الإسلام
٩٢١	الفهومة حرام قصة لها دلالة	٨	حوامل الإعراب في اللغة
٥٥٦	قولهم أحسن من ذي قبل	١١٢	صودة إلى البسلة في بدء القراءة
٥٥٤	قولهم سافر إلى بيروت عرض البحر	٧٤٢	صيد العلم
٧٤٥	قولهم سافر إلى بيروت عبر البحر		(غ)
٢٤٥	قولهم لم يكن يعرف		غلة الأرض إذا لم تكف هل فيها زكاة
	القوانين التي وضعها الإسلام ضمائم	٥٦٢	(فتوى)
١٢	وتنفيذ		(ف)
٣٧٤	قانون الوصية (فتوى)	٧٤٢	لمعون موسى
	(ك)	٨٥٤	الفقه صناعة إنسانية متطورة
١١٤	كاد أن	٩٨٦	لفهنا وصل نصنعه
٣٠٨	كتابة التاريخ المعاصر	١٤٢	لمكرة وتطبيقات
	الكتاب العربي المخطوط وملاحظات	٥١٢	المكر العربي ومكانه في التاريخ (كتاب)
١١٦	عليه	٧٣٣	فلسفة البخل (قصيدة)
	كرامة العقل وقداية الحرية من رسالة	٣٥٣	فلسفة تاريخ محمد (كتاب)
٢٤٠	الإسلام	٨٩٨	فن الشعر العربي وحيد في لغات العالم
	كتابة القرآن بطريقة الإملاء الحديثة	٤٤٥	فن الصورة في أدب المازني
٧٤٩	(فتوى)	٥٠٦	في بلادى الجميلة (كتاب)
٥٦٥	الكلاب وتربيتها لحراسة الدار (فتوى)	٧٣٧	في العاصفة (ديوان شعر)
٦١٠	الكنندي فيلسوف العرب	٢٣٤	في ظلال الإسلام كل الرجاء (قصيدة)
٩١٥	كيف نكتب البحوث الأدبية	٥٥٧	في محيط النحر
	(ل)		(ق)
٩٦٥	اللفظ والمعنى		قدم الكتابة العربية
٣٦١	لنفس نظر (تعليل)	١٣٧	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
		( م )	
٢٧٥ ... ..	المرأة والصورى فى الإسلام	٧٦١ ... ..	المادية تهديم ... ..
٢٤٨ ... ..	المركز الثقافى الإسلامى بواشنطن	٤٣٥ / ٢٠٠ ... ..	المازى شاعرا ... ..
١٠٤ ... ..	منبدا من النور ( قصيدة )	١٠٢٧ ... ..	المصدر فى اللغات ... ..
٦٠١ ... ..	المساهمة الإسلامية فى "طب ... ..		ما لا يجوز الخلاف فيه عند المسلمين
	المسئولية الفردية والمسئولية الجماعية		( كتاب ) ... ..
٤١٦ ... ..	فى نظر الإسلام ... ..	١٠٠٥ ... ..	مؤلف قصة الحضارة فى أيامه الأخيرة ٣٧٨
٢٨٧ ... ..	صلك الإسلام إلى القارة الإفريقية	٥٣٧ ... ..	المؤمن الحر فى نظر إقبال ( قصيدة )
٨٧٥ ... ..	المستقبل لهذا الدين ( كتاب )	٨٧٦ ... ..	مبادئ الإسلام فى تنظيم الأسرة ( كتاب )
٢٢٩ - ٩٩ ... ..	المسلمون السود فى أمريكا ... ..	٧٤٦ ... ..	المثالية ... ..
٥١١ ... ..	المسلمون فى الهند ( كتاب )	٥٦١ / ٤٣٥ ... ..	المثالية فى نظر الإسلام ... ..
٨٦٩ ... ..	مشاعر إقبال نحو العرب ( قصيدة )	٢٥٠ ... ..	جماعة أهل الذمة ومداهها ( قوى )
١٠٨٠ ... ..	مع البلاعيين : اللفظ والمعنى ... ..		الاجتمع الإسلامى يهتم بالقوة ليهيش
١٠٠٧ ... ..	مع الضمير الإنسانى ... كتاب	١٥٢ ... ..	فى ظل السلام من أعدائه ... ..
٣٠٥ ... ..	مع القرآن فى الآفاق ... ..	١٠٤٤ ... ..	الاجتمع الاشتراكى فى ظل الإسلام ... ..
٤٩٤ ... ..	معتزك المقامب الفلسفية ... ..	١٨٨ ... ..	اجتمع الطبقة الواحدة فى الإسلام ... ..
	معنى الهجرة ودواهيها ... ..	٨٨١ ... ..	بمع اللغة العربية فى المغرب ( نبأ ) ... ..
٣٧٧ ... ..	المكتبات العامة ورسالتها فى المجتمع	٨٧٨ ... ..	محطة قاب فوسين ( تملق ) ... ..
٤٨٧ ... ..	الملكية فى الإسلام ... ..	٤٢٤ ... ..	محمد حفظ الرحمن ... ..
٥١٥ ... ..	من الأستاذ الدكتور البهى ( برید )	١٠٦ ... ..	محمد رسول الحرية ( كتاب ) ... ..
	مناهج الإسلام لتفوية روابط	١١٢٣ ... ..	عمود الفزنوى ... ..
١٠٣٩ / ٩٠٣ / ٧٦٥ ... ..	الأسرة ... ..	٤٩٤ ... ..	عبدى الدين النووى ... ..
٧٧٧ ... ..	من أيام الإسلام الخالدة يوم بدء الدعوة	٧٤٣ ... ..	الخندوات منوعة والقصص الداهية مباحة
٧٤٥ ... ..	من بعيد ... ..	٩٣١ ... ..	المدينة الفاضلة ... ..
	من تاريخ الأدب الحديث	١١١ ... ..	المدينة المنورة فى التاريخ ( كتاب )
٤٤٦ ... ..	بكربة عبد الحليم المصرى ... ..		
٦١٣ ... ..	من ثمار الإيمان ... ..		



الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١١٤٩-٩٩٧	النسخ في تقديره عليا- الأصول	٨٩٣ ...	من ذكريات العيد في القرية ...
٧٦٩	نصرة الحق مكفولة لمن جانب الله تعالى	١١٣٢ ...	من معالم الطريق ...
٥٨٤/٤٥٤ ...	نظرات في فقه عمر ...	٣٢	من معاني القرآن ...
١٠٥٨	نظرية الإجماع بين المستشرقين والمسلمين	١٨٣	
٤٦٣/٦٦٧/١٢٨	نظرية التصوف في إسماعيل الحق	٤٠٠	
٥٢١ ...	النقد الأدبي من خلال تجاربي ...	٤٣٩	
	نقل الدم وهل يبطل الزواج	٦٧٧	
٥٢١ ...	والمصاهرة (فتوى) ...	٩٤٧	
٥٢٣	نقل أعضاء جسم ميت إلى حي (فتوى)	١٠٤٢	مبجج القرآن في تربية الفرد ...
١٠١٧	نقل الزكاة ... (فتوى)	٤٥٣	المهر والشبكة قبل العقد ... (فتوى)
١١٥	النكته ومعناها حقيقة وبجاءاً ...	٥٨	الموازنة في التاريخ الإسلامي ...
(هـ)		٨٨٠	موازنة لا مقارنة ... (تعليق)
٨٣٢	هدى القرآن في إصلاح الفرد والمجتمع	١١١	الموجز في التوبة الإسلامية (كتاب)
	هل كلمة سيدنا في شهادة أن محمداً	٤٥٧	الموسوعات والمعاجم القرية ...
٥٦٨ ...	رسول الله وأرواحه (فتوى) ...	٣٣	الموضوع في الأدب العربي ...
١٠١٥	هل يصل المرء ولو غصبه أمه (فتوى)	٨٨٤	موعد الصيام وتوحيده ... (فتوى)
(و)		١٣٢	الميثاق الوطني في رأى الأزهر ...
٥١٤ ...	وجه أبو بكر (كتاب) ...		مهات ابن أخ شقيق مع أخوين
٨٨٧	الوحدة في الأمور الشرعية (فتوى)	٢٥٢	شقيقين ... (فتوى)
١١٣	وضع الزهور على القبور (فتوى)	٨٥٩	ميقات الصوم ...
٢٤٤ ...	والصاديات ضحبا ...	(ن)	
(ى)			فهو منهج جديد في تطوير الفقه
٧٣٠ ...	يا حبيب الرحمن (قصيدة) ...	٥١٦ ...	الإسلامي ...
١١١ ...	يحيى بن يعمر العدواني ...	١٥٨ ...	فداء القرآن ...
		٩٣٧-٨٢٠	الزوجة العنصرية والصهيونية